يوليو (تموز) ١٩٨٨، ذو القعدة ١٤٠٨

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '88 N° 116



اوسع المجلات انتشاراً في العالم



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,

El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

July 88 N° 116 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

ثمن العدد

ال - سورية ٥ ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - ٠ ار - مصر ١٫٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٦ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - ٧٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د

عودة إلى التيتانيك

بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على غرق "التيتانيك" استقبلت هذه السفينة الاسطورية "زواراً" على عمق ثلاثة كيلومترات

إضمحل نور النهار في زرقة الاعماق عندما وصلت السرعة الهبوطية لمركبة الغوص "آلفين" إلى أقصاها أي ٣٠ متراً في الدقيقة. وبهذه السرعة قُدِّر لبعثتنا المكونة من ثلاثة رجال الوصول الى قعر المحيط في نحو ساعتين. وكان ذلك صباح ١٣ يوليو (تموز) عام ١٩٨٦. ولدى بلوغنا القعر كان أملنا أن نلقي نظرة عن كثب على حطام "التيتانيك" التي حددنا موقعها في السنة السابقة خلال بعثة فرنسية - أمريكية مشتركة. لكن غموضاً كبيراً كان في انتظارنا. ففي غوصنا الى عمق ٣٨٠٠ متر كنا كرواد فضاء يحطون على كوكب بعيد دونما أمل في النجاة في حال حدوث خطأ أو خلل.

حشرنا أنفسنا، أنا والقائد رالف هوليس ومساعده دادلي فوستر، داخل غرفة القيادة البالغ قطرها مترين، تماماً كالسردين المحشور في علبة كروية. لم نتكلم إلا قليلاً أثناء هبوطنا السريع نحو الاعماق المظلمة.

إن الهبوط الطويل الحر يعطي عادة شعوراً بالسكينة. ولكن لم يكن من وقت لدينا للتأمل الهادئ، إذ واجهتنا متاعب منذ اللحظات الاولى. اكتشفنا أولاً أن جهاز استكشاف المواقع في المركبة

Photographs, paintings and text adapted from «The Discovery of the Titanic,» by Dr. Robert Ballard, published by Warner / Madison Press Books and protected

"آلفين"(١) توقف عن العمل إما بسبب مياه البحر الجليدية أو بسبب الضغط المتعاظم. ومن دون هذا الجهاز كنا كالعميان لا نرى أمامنا أكثر من بضعة أمتار. وبعدما وصلنا الى عمق ١٨٠٠ متر لاحظ رالف تسرّب الماء الى صندوق البطارية التي تزود المركبة الكهرباء. وشكرنا الله لوجود بطارية احتياط، فلم يشكل العطل خطراً على حياتنا لكنه كبّل قدرتنا على الغوص، فأدركنا أن اقامتنا في الأعماق ستكون قصيرة ذلك اليوم. وأخيراً سجل الجهاز الصوتي لسبر الأعماق (٢) اقترابنا السريع من القعر، وبدأ ذلك القعر الغامض يبين شيئاً فشيئاً.

التيتانيك، مدفونة ومهترئة –

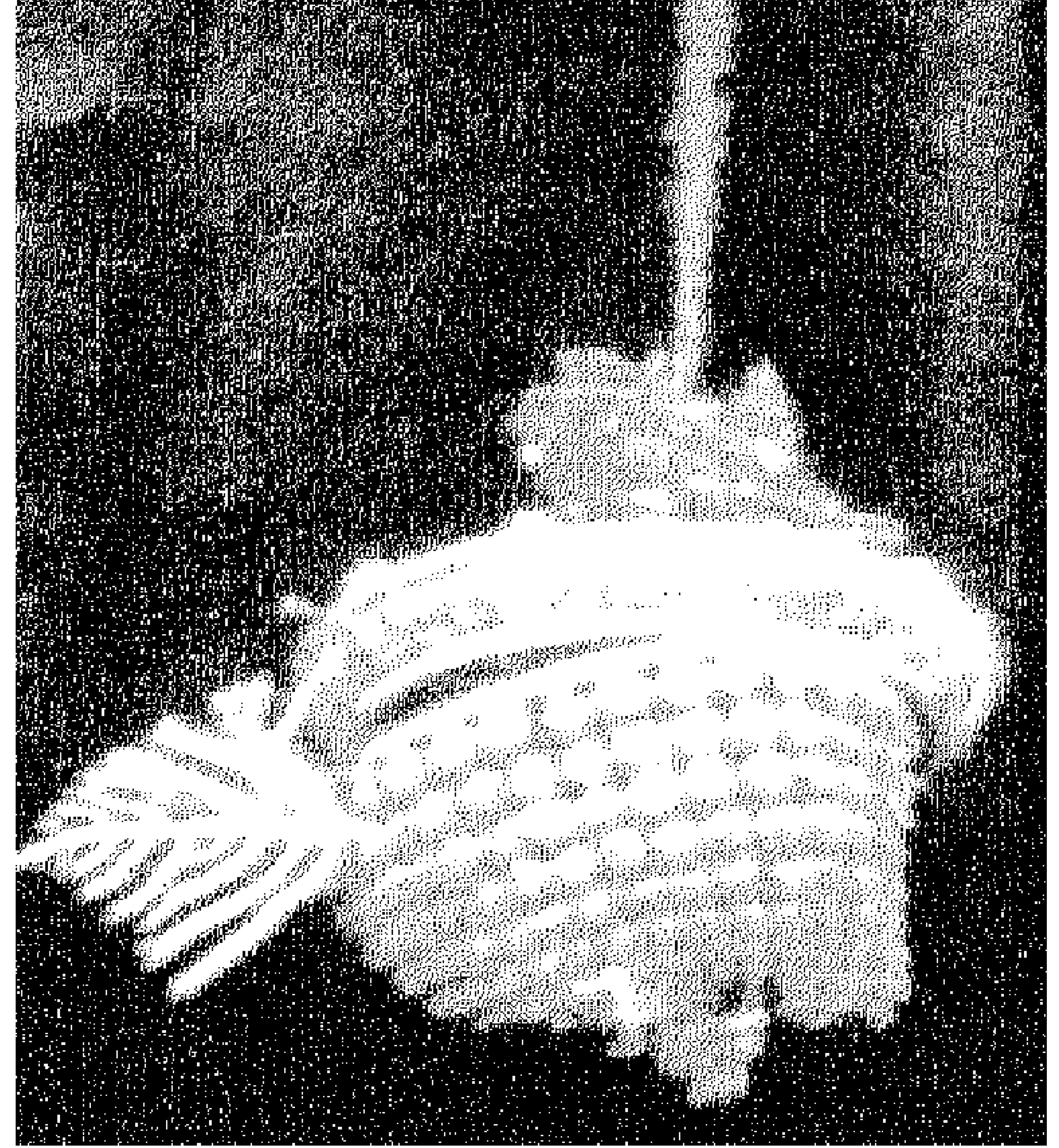
كانت أضواء المركبة تخترق الظلام. ونظرنا من خلال كوى الرؤية جاهدين لالتقاط أي أثر للسفينة، ولكن لم يكن هناك ما يشير الى التيتانيك ولا الى حطامها، لم نرَ سوى دفق من الوحول. وجرف التيار حبيبات بدت من الكوى كالثلج الرقيق المتساقط.

كانت التيتانيك في مكان ما قربنا لا تبعد أكثر من ١٢٠ متراً. فوق سطح الماء ليست هذه المسافة شيئاً يحسب، ولكن في هذا العمق البالغ أكثر من ثلاثة كيلومترات في جحيم مظلم، فإن بضع مئات من الأمتار تعادل أكثر من ألف كيلومتر. ومن دون جهاز استكشاف المواقع، لم يسعنا إلا تخمين موقع السفينة الغريق.

(١) Sector-scanning Sonar

(٢) Echo sounder





صباح يتدلى من سلك في التيتانيك.

أدار رالف المركبة غرباً فبدا قعر المحيط غريباً، اذ ارتفع على نحو فجائي، فأدركنا ان هذا الارتفاع لا يُعقل أن يكون ظاهرة طبيعية. تسارعت نبضات قلبي، فقلت لرالف: "اتجه يمنة، أظنني أرى حائطاً من السواد في الجهة الاخرى لهذه الهضبة."

حرك رالف المركبة ببطء شديد إلى الأمام حتى أوقفه مشهد لم يرَ مثيلاً له في مئات من رحلات الغوص الى عمق المحيط، اذ انتصبت أمامنا لوحة حديد غير متناهية ترتفع من القعر. إنه هيكل التيتانيك الضخم. وزفرت طويلاً اذ كنت، من غير وعي، أمسك أنفاسي.

بعدما وجدنا التيتانيك كان علينا العودة الى السطح والرجوع الى سفينتنا الأم لنحل مشاكلنا الميكانيكية ونتمكن من الغوص مجدداً في اليوم التالي.

عمل طاقم "آلفين" خلال الليل على اصلاح الغواصة المريضة، وهذه عملية قلّما تحصل في البحر. وفي اليوم التالي صعد مارتن بوين الى متن المركبة لمعاينة "جايسون" وهو الربوط (٣) المركز في مقدم المركبة "آلفين". كان مارتن خبيراً في ادارة الآليات التي يتم التحكم بها من بعد لاسلكياً، وكان عليه ان يسيّر "جايسون" في أول اختبار له في أعماق المحيط. وكان "جايسون" عيناً جوالة مجهزة بآلات تصوير فيديو وعادية ومتصلة بالمركبة "آلفين" بواسطة حبل يبلغ طوله ستين متراً. وكان الهدف تسيير هذا الجهاز فوق الحطام أو داخله اذا أمكن، لينقل إلينا تسجيلاً صورياً شاملاً للأماكن الخطرة التي يصعب علينا ولوجها.

كان علينا ايجاد منفذ لهذا الجهاز الى داخل السفينة اذا أردنا النجاح في تسييره. فأخذت أتفحص بعض الصور الملتقطة عام ١٩٨٥ خلال رحلات استكشافية أجرتها مركبات غوص غير مأهولة. ووجدت أن المدخل الوحيد الممكن كان السلم الكبيرة الأمامية في السفينة، فنظراً الى تحطم القبة الزجاجية الأنيقة التي كانت تغطي السلم، برز ممر واسع أملناه منفذاً سهلاً لادخال "جايسون" عميقاً في السفينة.

(٣) الربوط «robot» هو ما يعرف بالرجل الآلي.



كرسي من الحديد الصب يرتاح في الاعماق



رسم تصويري لمركبة الغوص "آلفين" وهي تنتظر على متن التيتانيك فيما الربوط "جايسون" يستكشف حجرة "السلّم الكبيرة." والى اليمين، "جايسون" ينظر عبر نافذة احدى الحجرات.

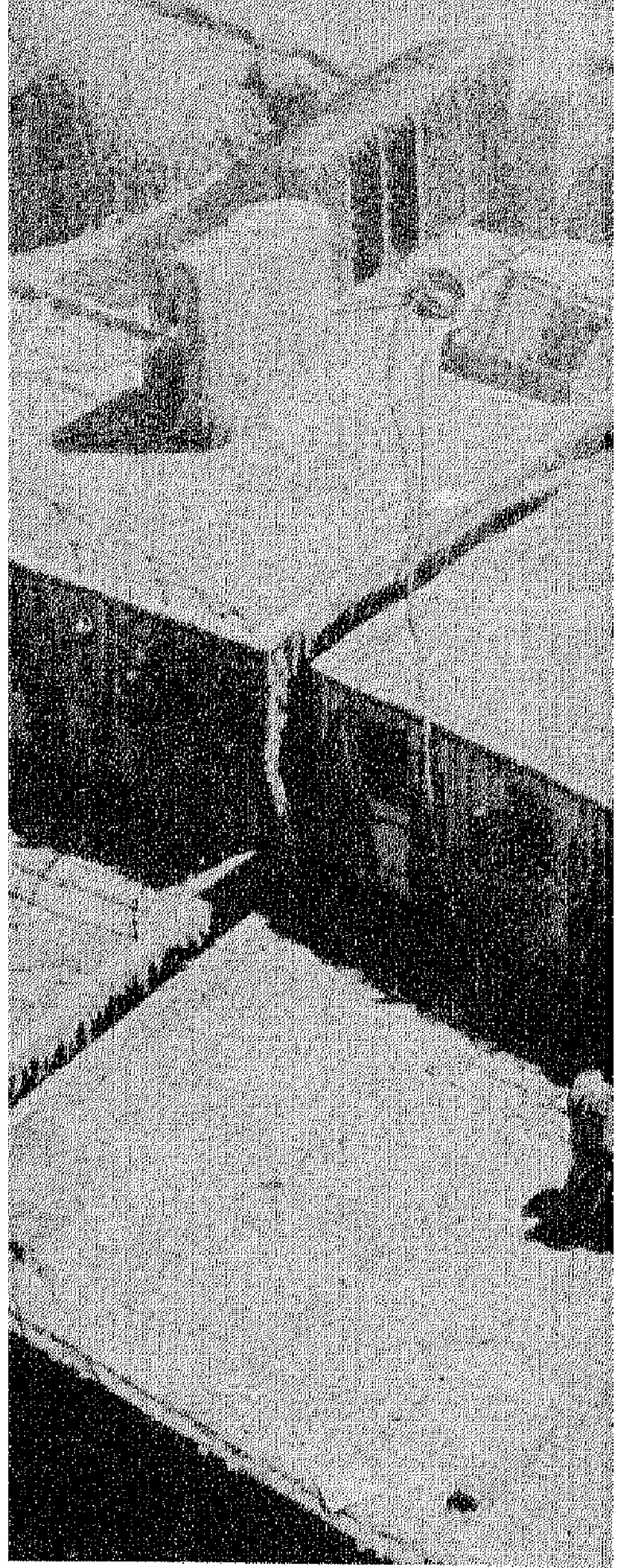
عودة الى التيتانيك

كانت مشاهدتنا الثانية للتيتانيك مثيرة جداً. كان الطرف الحاد لمقدم السفينة يلوح في الظلام كأنه يتجه نحونا مباشرة، فكان رد فعلي الاول أن علينا تغيير اتجاهنا. لكن التيتانيك كانت رابضة لا تستطيع الحراك فمقدمها غارق الى عمق عشرين متراً في القعر الموحل، ومراسيها لا تزال مكانها. السفينة اذاً مدفونة عميقا ولا تمكن زحزحتها.

وعندما اقتربنا منها بدا هيكلها المعدني كأنه يذوب في أنهار من الصدأ تصب في القعر وتتجمع في برك يبلغ عرض الواحدة منها حوالى ١٢ متراً.

ارتفعنا الى ما فوق الجدار المخيف لمقدم السفينة. في بعض الاماكن شكّل الصدأ حول الثقوب "رموشاً" دامعة كأن التيتانيك تبكي. وقرب الدرابزون الأعلى تدلت رواسب صدأ متحجر على شكل هوابط.

كابوس خفي - بينما كانت المركبة "آلفين" تدور فوق مقدم التيتانيك ذهلت لأحجام الاشياء التي شاهدتها: مرابط حبال ضخمة وسلاسل كبيرة للمرساة ورحويّات (رافعات) ذات رؤوس برونزية شديدة الضخامة. وكانت السفينة بدت لي في السابق بعيدة وغير محسوسة، أما الآن فهي قريبة مني،إنها شيء مادي حقيقي. جاهدت لأنظر الى الارضية الخشبية التي كانت تحتنا بحوالى متر، فوجدت أن معظمها تحول ألوفاً من الأنابيب الكلسية البيضاء التي يبلغ طول واحدها حوالى خمسة سنتيمترات وهي مساكن رخويات بحرية. تبدد أملنا بالعثور على خشب



ولكن بعدما غادرنا السطح غُمرت محركات "جايسون" بالمياه فتوقفت عن العمل. فكانت خيبتنا كبيرة، لكننا قررنا متابعة الغوص. كان أمامنا ١٢ يوماً فقط للعمل في هذا المكان، لذلك أردت ألا أضيع دقيقة واحدة، وارتأيت أننا نستطيع انجاز أمور كثيرة من دون "جايسون."

سليم في المتن. إن ألوف الكائنات البحرية سببت خراباً أكبر مما تسببه مياه البحر الاكّالة.

بدأت أتساءل عما اذا كانت بطانة المتن المعدنية تتحمل ثقل مركبتنا. وعندما حطت "آلفين" أحدثت صوتاً مخنوقاً. لو تداعت هذه البطانة الفولاذية لتحطمنا تحت المتن، لكنها صمدت وعرفنا أن متن التيتانيك يستطيع تحمّل حط مركبتنا في المستقبل.

ارتفعنا وتوجهنا نحو المؤخر. فبدا لنا هيكل السفينة الضخم، ثم ظهرت الطبقة الثانية وتبعتها الاولى ومن ثم الطبقة العليا حيث منصة الربان. اختفت الحجرة الخشبية لمدير الدفة تماماً، أما جهاز التحكم بالمحرك، حيث كانت الدفة مثبتة، فكان سليماً مصقولاً بفعل التيار المائي.

وتابعنا تحركنا فوق الفجوة حيث كانت المدخنة الكبيرة مثبتة. وكل ما وجدناه من بقايا القمع البالغ ارتفاعه ٢٣ متراً كان أجزاء معدنية مثلمة. اجتزنا المتن خلف المدخنة وعبرنا الى بيت السلّم الكبيرة.

انحرف رالف بالمركبة عبر نوافذ الطبقة الاولى المخصصة لتنزه ركاب الدرجة الاولى. كانت قطع كبيرة من الصدأ تتدلى من هذه الطبقة. وأحدث انعكاس أضواء "آلفين" تأثيراً غريباً كأن حفلة تجري في جناح الدرجة الاولى والاضواء تشع عبر النوافذ.

فجأة ارتجت المركبة وتساقط شلال من الصدأ مغطياً كوى الرؤية فيها، فصرخت: "لقد اصطدمنا بشيء! ترى ما هو؟" فرد رالف: "لست أدري، سأتراجع."

كان كابوس خفيّ يتوعد قبطان المركبة، فتراجع بحذر شديد خارج الهيكل وصعد بنا بهدوء. وبرز أمام الكوة الامامية في مركبتنا أحد الأعمدة التي كانت تستعمل في رفع زوارق النجاة وخفضها. هذا هو الشيء الذي اصطدمنا به. كان العمود يربط زورق النجاة الرقم "٨" الذي رفضت ايدا شتراوس ركوبه مفضلة البقاء والموت بجانب زوجها إيزيدور. وقد بدا متن الزورق كأنه مزدحم بركاب يصرخون: "النساء والاطفال أولاً!"

وكنا علمنا من الصور التي التقطت عام ١٩٨٥ أن مؤخر السفينة تحطم ورسا على بعد ٦٠٠ متر من المقدم. فتابعنا تحركنا للبحث عنه. وخلف فجوة القمع الرقم "٣" كان المتن غائصاً في زاوية شديدة الانحدار، فاختفت خطوط السفينة الجميلة وتحولت صفيحة فولاذية ملتوية وممزقة. غيرنا اتجاهنا وبدأنا الصعود.

طوافة تحت الماء – في اليوم التالي قادنا دادلي فوستر الى الفتحة الجانبية للقسم الأمامي من السفينة، وهبطنا على المتن بالقرب من بيت السلم الكبيرة. كان على مارتن تحريك "جايسون"، رجل الأعماق الآلي، فبدا متوتراً. لم نكن نعلم ما اذا كان في وسع "جايسون" تحمّل ضغط المحيط البالغ ٤٢٠ كيلوغراماً على السنتيمتر المربع، وإن يكن يستطيع ذلك من حيث المبدأ. استعمل مارتن جهاز التحكم وحرّك "جايسون" بحذر شديد وأخرجه من مرأبه، وقد حوّلته المحركات الاربعة الصغيرة طوّافة تعمل تحت الماء نزولا وصعوداً في ظلمة السلم الكبيرة.

في البداية لم "يرَ" جايسون شيئاً. ولكن عندما أنزل أكثر بانت له غرفة من خارج فتحة في الطبقة الاولى. وحين رجّحه مارتن رأى شيئاً على مسافة قريبة فقال بهدوء: "هنالك شيء يشبه الثريا." فقلت: "لا، هذا مستحيل! كيف صمدت الى الآن؟"

مع أن السفينة سقطت مسافة ثلاثة كيلومترات واصطدمت بالقعر بقوة تعادل قوة اصطدم قطار بجبل، فقد بقيت هذه الثريا مثبتة وسليمة. طلبت من مارتن أن يحاول دخول تلك الغرفة، فغادر "جايسون" بيت السلم وتقدم نحو الثريا مقترباً منها الى مسافة نصف متر.

عندئذ تدخل دادلي على نحو قاطع قائلا: "بوب، لم يعد لدينا متسع من الوقت. علينا الصعود الى السطح."

كان على طاقم "آلفين" التقيد ببرنامج صارم. ولكن أن تكون داخل التيتانيك و"جايسون" يهبط السلم الكبيرة فهذا تحقيق لحلم، لذلك أردت أن أصرخ احتجاجاً.

صور مؤثرة – في الايام التالية قمنا بثماني عمليات غوص أخرى قبل أن نغادر الموقع. وقادتنا رحلتنا السادسة الى منطقة الحطام بين مقدم السفينة المهشمة وأجزاء مؤخرها. ألوف من تجهيزات السفينة كانت مبعثرة على أرض المحيط، بينها أوانٍ خزفية وأطباق فضية وقدور ومقالٍ وأكواب وأحذية ومغاطس حمّامات.

فجأة وجدتني أحدق الى عيني وجه صغير أبيض. ولبرهة وجيزة خلت أنني أمام جثة متحجرة فذعرت. لكنني ما لبثت أن عرفت أن ذلك كان رأس دمية خزفية وقد اختفى شعرها وثيابها. وتحولت صدمتي حزناً وتساءلت: ترى هل كانت الفتاة صاحبة الدمية بين الناجين المحظوظين أم أنها تشبثت بدميتها عندما كانت تغرق في المياه الباردة؟

وفي رحلتنا الثامنة استكشفنا الجزء الخلفي الذي عانى الخراب أكثر من المقدم. وثبتنا لوحة تذكارية لتخليد ذكرى ألف وخمسمئة شخص فقدوا مع السفينة، فقد كان المؤخر مقبرة كثير من الذين قضوا.

واذ شارفت رحلتنا الحادية عشرة الأخيرة نهايتها بعد جولة في سطح التنزه مع "جايسون"، بدا متن السفينة غير واضح بسبب الظلام، وكان آخر ما رأيته السطح المهشم لجناح الموظفين، كما شاهدت عمود إنزال زورق النجاة الرقم "٨". وبموجة من الكآبة أدركت أنها ربما كانت المرة الأخيرة أزور هذه السفينة العظيمة.

لقد رست التيتانيك في مقرها الاخير ولن ترفع بعد اليوم. اذ ان المحيط العميق هو المكان الآمن والمناسب ليكون نصباً تذكارياً لخطأ سببه التعجرف ولعمر ضائع ولبراءة لن تستعاد، وأكثر من ذلك لأناس قضوا. في المستقبل، عندما أتذكر التيتانيك، سأراها جاثمة في القعر شامخة على رغم اهترائها. وقد وجدت السلام في الاعماق.

روبرت بالارد

الكاتب عالم مرموق واحد ابرز جيولوجيي البحار في العالم.

منذ وقوعه في الأسر
كافح هذا الصحافي الأمريكي ضد الاختفاء
في الثقب الاسود الذي يزدرد الرهائن في لبنان

سَمَكَة في الثقبِ الأسوَد

خرجت قرابة العاشرة صباحاً متوجهاً من صيدا الى بيروت في رحلة تدوم ساعة. وكان معي صديقي الطبيب علي عسيران ابن وزير الدفاع اللبناني عادل عسيران. وكان يقود سيارة علي الـ"فولفو" العتيقة سائقه الخاص وهو شرطي سابق اسمه سليمان سليمان.

وصلنا الى ضاحية بيروت الجنوبية، ملاذ الشيعة الذين نزحوا من قراهم في الجنوب بعد القصف المدفعي الاسرائيلي في السبعينات. كانت صور الزعيم الايراني آية الله الخميني معلقة فوق الطرق وملصقة على الجدران، وفوق أحد الحواجز علقت لافتة لحزب الله الذي تدعمه ايران. إننا لم نلج قسماً من لبنان فحسب، بل ولجنا عالماً آخر. وتراءى لي أنه في مكان ما من هذه الأحياء الفقيرة يحتجز عدد من الأجانب الذين خطفوا في السنوات الأخيرة في لبنان.

وما ان اجتزنا حاجز تفتيش سورياً حتى تجاوزتنا سيارة "مرسيدس" خضراء تسير ببطء في زحمة المرور الصباحية. ذكرت مازحاً أن المرسيدس أضاعت لوحتيها الرسميتين. فجأة توقفت متعامدة أمام سيارتنا قاطعة علينا الطريق.

فتحت ابواب المرسيدس ووثب منها أربعة شبان أو خمسة شاهرين أسلحتهم. وترجل أربعة مسلحين أخر سراعاً من سيارة ثانية توقفت خلفنا. وأمر المسلحون علياً وسليمان بمغادرة السيارة فيما لبثت أنا في المقعد الخلفي لا أجرؤ على التحرك. سدد أحدهم رشاشه عبر الشباك الخلفي الايمن وأوعز الي بالخروج. بحثت عن مكان أفر اليه، لكن الرجال المدججين كانوا في كل مكان.

شرع المسلحون يجرونني نحو المرسيدس. في تلك اللحظة تذكرت ديفيد هرست مراسل صحيفة "الغارديان" اللندنية الذي كاد أن يخطف في بيروت قبل عام. واذ سألته مستفسراً كيف أوتي الشجاعة ليفر من خاطفيه

Condensed from Rolling Stone (December 3, '87), © 1987 by



قال: "لم أطق فكرة السقوط في ذلك الثقب الاسود."

عاركت كي لا أدخل السيارة. سدد أحد الملتحين سلاحه إلي صائحاً: "سأقتلك." أفزعني الصوت أكثر من السلاح. وضربني شاب آخر على مؤخر رأسي بعقب رشاشه فطرحني أرضاً. وقبل ان أعي ما حدث كنت في المرسيدس.

وفيما نحن نتجه شرقاً صوب المطار اتصل أحد المسلحين عبر جهاز لاسلكي قائلاً بالعربية إنهم "آتون بالسمك." لقد وضعوا لي الطعم وصادوني. وها هم الآن يأخذونني الى البيت. شعرت كأنني أنحدر أكثر فأكثر الى الثقب الاسود الذي ذكره هرست.

الاربعاء في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٨٧ أصبحت الاجنبي الرابع والعشرين في عداد "المخطوفين" في لبنان. لقد عشت في لبنان بين ١٩٧٢ ١٩٧٦ كصحافي مستقل، وعملت في ١٩٨٣ و١٩٨٤ مراسلا لشبكة «ABC» الامريكية أغطي أخبار منطقة الشرق الاوسط. وها قد عدت الى المنطقة لتأليف كتاب.

كانت زوجتي في لندن وصحبي وزملائي جميعاً ألحّوا علي ألا أعود الى بيروت الغربية. وإذ كنت مدركاً امكان الخطف فقد كنت محترزاً. كانت زياراتي خاطفة الى النصف "المسلم" من المدينة قادماً من القسم "المسيحي" في بيروت الشرقية الآمن نسبياً. وكان معي مرافق أو سائق أينما ذهبت. وكنت أبدّل منوال تنقلي، ولم أذكر قط على الهاتف إلى أين أنا ذاهب. لكن ذلك كله لم يكن كافياً.

توقفت المرسيدس أمام مبنى مقنطر أتلفته الحرب يرفرف عليه علم ايران كما لاح لي. أمرني المسلحون باغماض عيني واقتادوني إلى حجرة تقشرت جدرانها. أجلسوني قبالة زاوية وأوثقوا معصميّ خلف ظهري وأبلغوني ألا أتحرك أو أجيل بصري بعيداً عن الزاوية. ونخسني صبي بمسدسه قائلاً "أنت عميل في الاستخبارات الأمريكية."

رسالة بالدم – خلال نصف الساعة التالي ابتهلت الى ربي بصمت. كنت مشغول البال على زوجتي فيونا واولادنا الخمسة الذين تراوح أعمارهم بين عامين وأربعة عشر عاماً. كيف سيكون وقع النبأ عليهم؟ ثم فكرت في علي وسليمان وصليت كي لا يحتجز أي منهما كرهينة، ليس كرمى لهما فقط، بل من أجلي أنا أيضاً. فإذا كانا طليقين أمكنهما أن يتصلا بالجيش السوري ويحاولا انقاذي. شعرت بقلبي يهبط اذ اختلست نظرة فرأيتهما وقد أجلسا الى الحائط مربوطي الايدي ومعصوبي العيون.

الأحد في ٢١ يونيو (حزيران) كان يومنا الخامس في الاسر. لقد نقلنا الى مبنى آخر. أنا الآن معصوب العينين ومقيد الى سرير. ولعجزي عن الاتصال بعلي وسليمان بدأت أتحدث بصمت الى أفراد أسرتي. كنت أخال كل يوم أن أحد أفراد العائلة الى جانبي.

لم يسمح لنا بالاستحمام أو الحلاقة.

وفي النهاية لان أحد الحرس وسمح لي بأن أستعمل موسى للحلاقة في الحمام. جلست على المرحاض وأمسكت الموسى وجرحت راحتي. ثم أزلت لفة الكرتون الموضوعة داخل ورق الحمام، وبريشة من وسادتي سطرت رسالة بالدم: "أرجوكم، ساعدوني. اسمي تشارلز غلاس أنا رهينة في الطبقة الرابعة من هذا المبنى."

وقذفت اللفة من نافذة الحمام.

كان معنا خمسة حراس أو ستة وفي حوزتهم مسدسات كاتمة للصوت. وما كانوا ليتركونا وحدنا الا حين ندخل الحمام.

يوم الأربعاء، وهو الثامن لاحتجازنا، جلس أحد الحرس في كرسي الى جانب سرير علي وشرع يروي نكتاً شنيعة بالعربية. حسبت أنهم على وشك اطلاق علي وسليمان. وكان لي صديق مسيحي خطف قبل عام وأخبرني أن حرسه غدوا ودودين في اليوم الاخير لاحتجازه. وسرعان ما اقتاد حارسان علياً وسليمان خارج الغرفة، ولم أرهما بعد ذلك قط.

يوم السبت في ٢٧ يونيو (حزيران) نقلني الخاطفون الى حجرة يبلغ طولها أربعة أمتار وعرضها ثلاثة، أنشئت لتكون زنزانة لامد طويل. النافذة مغطاة بقطعة معدنية صدئة. وقد كبّل معصمي الى قيد في الجدار الاسمنتي.

في الليلة التالية سلمني أحد الحراس رسالة قائلا: "اقرأها." نزعت العصابة عن عيني وقرأت المذكرة، التي يفترض أن أوجهها الى علي عسيران محذراً من أنني سأقتل إن هو حاول انقاذي.

قال الحارس: "ستكتب هذه لنا،" وسلمني قلماً. نسخت ما ورد في المذكرة مبقياً على أغلاط النحو والتهجئة. واذ خرج الحارس احتفظت بالقلم وأخفيته داخل حشية فراشي. كنت بالغ السعادة. فهذا أول تأكيد بأن علياً وسليمان طليقان.

"أنا تشارلز غلاس" - كتبت بالقلم، على صفحة مزقتها من كتاب أعطيته، رسالة أخرى بالانكليزية والفرنسية والعربية، عارضاً مبلغ ١٠ آلاف دولار مكافأة لمن ينقذني. ولكن لم يكن من سبيل لايصال الرسالة الى الخارج. وتمكنت من فتح شباك الحمام، لكنه كان مسدوداً بمروحة مدوِّمة. وذات يوم دخلت الحمام أثناء انقطاع التيار الكهربائي، وهو أمر دائم الحدوث في بيروت. فتحت الشباك. وإذ كانت المروحة متوقفة تمكنت من دفع الرسالة الى الخارج.

في السادس من يوليو (تموز) جاءني عضوان أعلى رتبة في المجموعة وسألاني: "أترغب في التعاون معنا إذا وعدناك بالعودة الى بلدك؟"

أجبت دونما تردد: "أجل."

- اذاً، اقرأ هذه.

تناولت ورقة فيها بيان يبدأ بالآتي: "أنا تشارلز غلاس. كثيرون منكم يعرفونني صحافياً، لكن القلائل على علم بالحقيقة. لقد استخدمت الصحافة غطاء لتمويه عملي الرئيسي مع وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية."

قلت: "هذا غير صحيح."

فرد أحدهم: "لا أهمية لذلك. ان لم تقرأه فلن ترى عائلتك ثانية."

وخرج الرجلان وعادا مع مصور. قرأت البيان بلكنة أمريكية جنوبية، وهي محاولة أردت أن ألمح فيها الى أني محتجز في الضاحية الجنوبية لبيروت. وحاولت أيضاً أن أظهر أصابعي مشبوكة دلالة على أني لم أقصد ما أقول.

وعلمت في ما بعد أن زملائي في شبكة «ABC» عرضوا الشريط على زوجتي ففاجأتهم اذ أخذت تضحك قائلة: "انه يمثل."

كان أملي في النجاة معلقاً بالرسائل التي ألقيت بها عبر مروحة الحمام. ولكن انقضت أسابيع من دون أي حدث.

قرأت كتباً واشتركت في مباريات شطرنج وهمية مع ابنيّ ادوارد وجورج اللذين تغلبا عليّ دائماً. كانت رتابة الأسر قاتلة، تقطعها فترات وجيزة وعنيفة من الكآبة أو الغبطة.

بعد ظهر ذات يوم اندفع أحد الخاطفين الى حجرتي، وهو الذي دأب على سؤالي عن صلاتي بوكالة الاستخبارات الأمريكية. وصاح: "ما هذا؟" ملوحاً برسالتين تحت أنفي كي أراهما من تحت العصابة. قال مهدداً بقنبلة يدوية في يده الأخرى: "إن ارتكبت أخطاء كهذه فلن ترى أولادك أبداً. كم ورقة من هذه أرسلت؟"

وكنت ألقيت تسع رسائل من نافذة الحمام. قلت: "أربعاً، على ما أعتقد."


أوعز الرجل إلى أحد الحراس بالبحث عن الرسائل الأخرى، وقال: "أنت تدرك أننا اذا لم نعثر على الورقتين الاخريين فسننقلك الى مكان آخر."

عاد الحارس صفر اليدين. وفي وقت متقدم من تلك الليلة دُفعت الى المرسيدس الخضراء. وجلسنا بالسيارة مدة خمس دقائق الى أن وصلنا الى مبنى آخر. وساقني الحراس إلى غرفة هناك وطرحوني على حشية قذرة على الأرض وأنا معصوب العينين مقيد.

في الصباح التالي كنت مستلقياً بهدوء متظاهراً بالنوم وأنا أسترق نظرات عجلى الى الغرفة من تحت عصابة عيني. الى يميني قرب مصراع النافذة خزانة ملابس كبيرة. وخلافاً للغرفة السابقة، لم تكن نوافذ هذه الحجرة مكسوة بالمعدن، كما انها تفضي إلى شرفة. يبدو أنهم اضطروا الى نقلي بسرعة، وهذا المكان لم يعدّ كسجن مناسب.

بدأت آمل أنْ قد تكون ثمة فرصة للفرار أخيراً. فبتحريك الخزانة يمكنني أن أفتح المصاريع فأبلغ الشرفة. وهذا أمر سهل، لكن الصعوبة هي في نزع القيود من معصمي ورسغي.

حلقات مفقودة – صباح اليوم التالي لفّ الحراس شريطاً لاصقاً حول قيد معصمي. كان القيد يحدث قرقعة عالية كلما تحركت، ولم يرد الخاطفون أن يسمع الجيران ذلك. وأبقوا حلقتين من القيد غير مشدودتين، وهما الأولى والسادسة، لينفذ فيهما القفل. نقلت الشريط من الحلقة السابعة الى السادسة، حتى إذا ما أخذوني الى الحمام ذلك المساء وأعادوا قَفْل قيد معصمي، وفّر لي ذلك حلقة اضافة. ومنذ ذلك الوقت بات القيد واسعاً بحيث يمكنني التملص منه.





بقيت الصعوبة الأساسية في قيد الرسغ، فحلقاته أصغر. كانت ثمة ١٤ حلقة حول رسغ قدمي، وحوالى نصف متر من السلسلة يصل الى ثقب في الجدار. ولكي يتسنى لي إفلات رسغي من القيد كنت أحتاج إلى ١٨ حلقة. ولكن كيف الحصول على الحلقات الأربع الاضافية؟ عمدت الى شبك حلقتين من القيد وربطتهما بخيط من عصابة عيني، فبات القيد ضيقاً. ولما أعاد الحارس قَفْله منحني حلقة اضافية من غير أن يدري. ولتمويه الخيط حككته بصدأ القيد. وغدوت قادراً على حلحلة القيد بقَطْع الخيوط.

استلزمني الأمر أسبوعاً للحصول على ١٨ حلقة. عزمت على مغادرة المكان تلك الليلة، وشرعت أراجع في ذهني تفاصيل فراري. ولكن عندما أعاد الحارس قفل قيودي بعد اصطحابي الى الحمام، تقطع بعض الخيوط، واذ خرج، عددت حلقات رسغي: انها سبع عشرة! أخذت أجذب القيد بقوة مذعوراً كوحش هائج محاولاً أن أنزعه، لكني لم أفلح.

طليق أو ميت – أمضيت الأيام القليلة التالية معالجاً القيد، لكن عدد الحلقات بقي يراوح بين ١٦ و١٧. وأخيراً، صبيحة الاثنين ١٧ أغسطس (آب) أبقى الحارس الذي أعادني من الحمام ١٨ حلقة.

لم يسعني أن أجازف بفك قيدي ثانية لآكل أو أقصد الحمام. واذ جاءني الحراس بطبقي الغداء والعشاء أخبرتهم أني مريض لا أستطيع الأكل. واذ عادوا مساء ليفكّوا قيودي لدخول الحمام قلت اني ما زلت مريضاً ولا أرغب الا في النوم.

تلك الليلة بدت مشاهدة الحراس للتلفاز بلا نهاية. وأخيراً ذهبوا الى

غرفتهم. ولم يطل بي الأمر حتى سمعت التنفس المكدود لاحدهم وشخير الآخر. اضطجعت لساعة ساكناً مصغياً الى الشخير ومسرّاً في نفسي: بحلول الصباح سأكون اما طليقاً واما ميتاً.

جذبت القيد ببطء حول معصمي الأيسر وكدت أسقطه الى الأرض. ثم سحبت الحلقات في قيد رسغي قاطعاً الخيوط الأربعة واحداً واحداً. حرّكت الخزانة عن المصراع متوقفاً لدى سماعي صريف الخشب. أخيراً غدا في وسعي أن أفتح الباب وأندس خارجاً الى الشرفة. أخذت أتفرس في العالم الماثل خارج زنزانتي. السماء صافية والليل دافيء ساكن والشوارع مهجورة. تنشقت عميقاً ونظرت الى أسفل. كانت أمامي سقطة من ست طبقات أو سبع.

وكان المخرج الوحيد من الشرفة، عدا ذاك الذي يعيدني الى زنزانتي، عبر باب مفضٍ الى المطبخ. دخلت وسرت بهدوء عبر المطبخ ومنه الى الممر حيث رأيت الباب المفتوح لغرفة نوم الحراس.

وبعد انعطافي يساراً اتجهت صوب الباب الامامي. وببطء أدرت المفتاح. ثمة مزلاجان سحبتهما وأدرت المقبض جاذباً الباب بتؤدة. وانسللت خارجاً ومعي المفتاح، ثم أغلقت الباب ورائي. هبطت السلّم الى مدخل المبنى ومنه الى الطريق الاسفلت.

رحت أعدو بفرح غامر وبأسرع ما أستطيع على رغم أني لم أمش أكثر من خطوات معدودات يومياً لمدة شهرين. وكلما سمعت سيارة تقترب كنت أتوارى في الظلال. ثم رأيت نوراً أصفر منبعثاً من فرن مفتوح، دخلت الفرن وطلبت أن استعمل جهاز الهاتف، لكن رجلين خلف المنضدة شرعا يتجادلان في العربية.

الوقت ينفد. قد يفيق الحراس في أي لحظة. خطوت الى الخارج. وتوقفت أمامي سيارة فيها رجل وامرأة وطفل، فسألتهم بالعربية: "هل تتكرمون بايصالي الى فندق سمرلاند؟ ابني مريض جداً والطبيب في ذلك الفندق."

سألني السائق: "هل أنت أجنبي؟"

كان منظري عجيباً: لحيتي طويلة لم أحلقها منذ أسبوع، وقدماي حافيتان. لكن المرأة قالت: "خذه الى السمرلاند... من أجل الطفل."

قال لي موظف الاستقبال في الفندق: "السيد غلاس! ماذا تفعل هنا؟"

كنت أعرف موظفي الفندق اذ نزلت هناك غير مرة. قلت: "لقد هربت من حزب الله. خبئني."

عندئذ ناداني البواب: "تعال بسرعة." وأخذني الى أحد المكاتب وأشار علي بأن أجلس. كنت أرتجف.

وأوضح لي رئيس جهاز الأمن في الفندق أن القوة الوحيدة التي يسعها أن تساعدني في هذا الشطر من بيروت هي الجيش السوري. وفي ما بعد اصطحبني رائد سوري كان مدعواً الى حفلة في الفندق الى شقة قائده.

قال اللواء علي ديب: "أنت شغلتنا كثيراً. لقد أصدر رئيسنا أوامره الينا شخصياً بالعثور عليك." ثم أضاف: "ينبغي أن يكون لسوريا شرف تقديمك في دمشق."

قرابة الخامسة من ذلك الصباح

انطلقنا في قافلة عسكرية سورية نحو دمشق. وفيما نحن متجهون جنوباً على الجادة الساحلية نظرت خلفي الى ما قد يكون آخر منظر تراه عيناي لبيروت والساحل اللبناني. انعطفنا يساراً الى تلال الشوف. كان البناؤون يشيدون الجدران على طول الطريق، كدأبهم منذ قرن. وفي شعاع ما قبل بزوغ الفجر كان الفلاحون في شراويلهم السود وقلنسواتهم البيض يحمّلون الخبز في سلال على ظهور الحمير.

وفيما نحن ندنو من قمة جبل لبنان شاهدت الشمس ترتفع فوق ذرى أشجار الصنوبر. أنزلت حاجب الشمس لأحمي عيني من أشعتها وأخبرت مرافقي الضابط أن هذه هي المرة الاولى منذ ٦٣ يوماً أرى الشمس. فرفع الحاجب قائلاً: "اذاً انظر اليها. أنظر الى الشمس."

تشارلز غلاس

في وقت لاحق من ذلك اليوم سلّم تشارلز غلاس الى مسؤولين أمريكيين في دمشق، ثم نقل جواً الى لندن على متن طائرة قدمتها شبكة «ABC» حيث اجتمع بزوجته وأولاده. وهو منهمك حالياً في تأليف كتابه "قبائل لها رايات."

أريد زوجتي!

أعمل في المتحف البحري بولاية ماين مسؤولا عن ترميم اللوحات الزيتية لقباطنة البحر وزوجاتهم في القرن التاسع عشر. ومرة أنهيت العمل على لوحة القبطان جون كورتيس وأعدتها الى مكانها في "مكتبة كورتيس التذكارية"، لكنني كنت لا أزال أعمل على ترميم لوحة زوجته. وبعد سبعة أشهر من الجهد المتواصل تلقيت بطاقة من المكتبة جاء فيها: "انني أفتقد زوجتي، كم ترى يقتضي من الوقت لتنظيفها؟ جون كورتيس."

ن.ل.س.

مزاح على الحدود

في رحلتي الاولى خارج البلاد أعطيت موظف الامن العام جواز سفري، فراح يتفحصه، ثم أخذ ينظر الي تارة والى الجواز طوراً. وران صمت طويل قبل أن ينطق: "هل لي أن أهنئك يا سيدتي؟ انك تبدين مختلفة كثيراً عن صورتك في الجواز."

س.ل.ف.

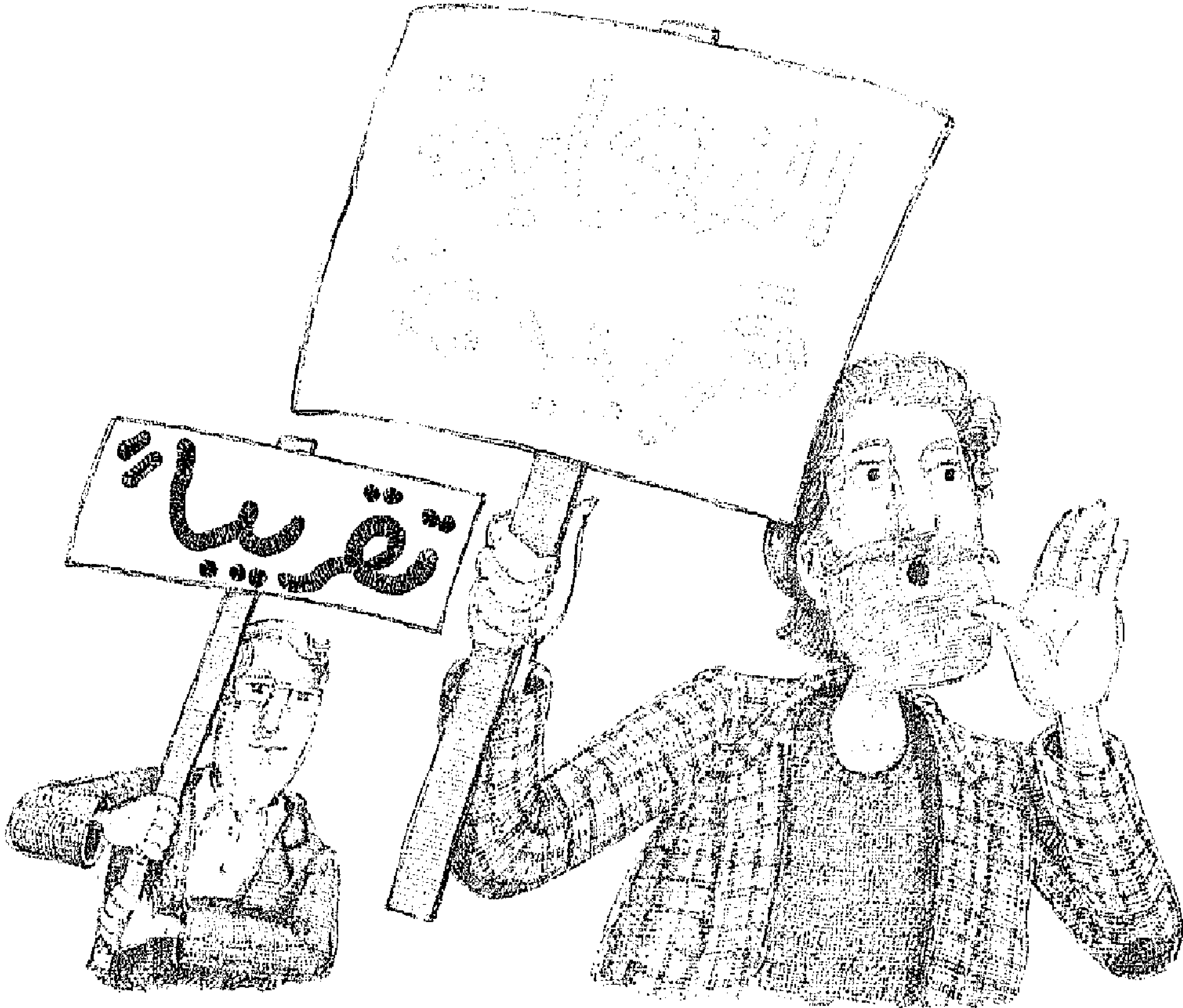
برقية "حميرية"

اتخذت فرقة من الجيش البريطاني حماراً كجالب حظ لها. ولسوء الحظ ماتت البهيمة بعد عدة أيام. وكان قائد الفرقة غائباً آنذاك، فأرسل اليه مساعده البرقية الآتية: "الحمار مات. هل نبتاع حماراً آخر أم ننتظر عودتك؟"

أ.أ.

انهيار اقتصادي؟ الانهيار الحقيقي في البورصة (كالذي حصل في الولايات المتحدة عام ١٩٢٩) يحدث عندما تتجه بلدان العالم الى افلاس مصرفي وتتوقع مرور اثنتي عشرة سنة من الفتور الاقتصادي ونسبة ٣٣ في المئة من البطالة. قد يعنّ لنا أن ندعو ما حصل في أمريكا في ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ انهياراً اقتصادياً، لكن هذه التسمية ليست دقيقة جداً. فاذا كان العام ١٩٢٩ هو عام الطوفان الذي دفن كل شخص وكل شيء، فان العام ١٩٨٧ هو أشبه بسيل محدود. صحيح أن فقاعة كبيرة انفجرت، لكنها ليست نهاية العالم.

ان الطريقة التي نناقش بها أمور الساعة توهمنا بأن نهاية العالم قريبة



ان استعمال عبارة "انهيار اقتصادي" لما حصل ينطوي على شيء من المرح والابتهاج الشخصي، فكأنك تقول: "لقد تخطّيت الانهيار الاقتصادي عام ١٩٨٧."

الازمات تنطوي على عنصر اثارة. والمجتمعات المستقرة والثرية والناجحة تتمتع في أوقات السلم بعدة امتيازات، لكن الاثارة ليست بينها في غالب الاحيان. والآن، وقد أوصدت أبواب الفضاء الخارجي موقتاً كمسرح للروائع، فان الحاجة الى المسرحيات المأسوية يجب أن تؤمَّن في شكل آخر: في تضخيم الاخبار السيئة بطريقة مسرحية.

خذ الحرب مثلاً. بما أن لعبة كرة القدم أصبحت بديلاً أقل ارضاء، فان الملذات البديلة من القتال ينبغي أن تُطلب في مكان آخر، في الخيال مثلاً. خلال مناقشة الكونغرس مسألة التورط الامريكي في حرب الخليج قيل إن البحارة الامريكيين في حال خطر. لكن الامر لم يكن كافياً بالنسبة الى أحد النواب الذي صعد الى المنبر ليصرح بالآتي: "نحن اليوم في حال حرب شاملة وإن تكن غير معلنة."

وعالم الطب مصدر غزير آخر للمسرحيات. والموضوع اليوم هو، طبعاً، الآيدز (١) الذي تحدث عنه مسؤول حكومي أمريكي رفيع المستوى قائلاً ان الطاعون الاسود الذي تفشى في القرن الرابع عشر يبدو عَرَضاً بسيطاً اذا قورن بالآيدز. إن تشبيه هذا المرض الذي ينتقل بصعوبة ويُمنع بسهولة بذلك الوباء القاتل غير المميّز الذي أهلك ثلث سكان أوروبا في ثلاث سنوات، هو سوء تصرف سياسي، الا أنه يستوعب تماماً الغُلُوّ المحيط بالايدز.

لكن الآيدز هو حقاً مشكلة صحية رئيسية كما أنه مرض مميت. وقبل الآيدز كان توقنا الى الجنون ينشط مع أمراض أقل إرضاءً بكثير. أتذكرون هلع القوباء؟

لقد تتابعت رؤانا الكارثية من غير انقطاع بحيث يصعب اقتفاؤها. في السنتين ١٩٨١ و١٩٨٢، في قمة حملة التجميد النووي، لم يكن هناك مهرب من فكرة أن الغد سيكون "اليوم التالي" (٢). وفي العام ١٩٧٢ تكهن "نادي روما" بأن العالم سينضب منه الذهب والقصدير والزئبق والفضة قبل العام ١٩٨٨، وبعد أربع سنوات سيصبح النفط من الذكريات. وقبل ذلك، عام ١٩٦٨، تكهن بول إرليك في كتابه "القنبلة السكانية" بحدوث مجاعة واسعة الانتشار وبالطاعون وبحرب نووية بحلول العام ١٩٨٣. واليوم نُحذَّر من أن قلة الولادات ستضع نهاية للعالم.

انهيار، حرب، طاعون، أطفال كثيرون، أطفال قليلون. ان ما يبقي النهاية بعيدة هو الاسلوب المرح الذي نعرض فيه الكوارث: لقد تخطينا أزمة أخرى!

تشارلز كروثامر

---

(١) الآيدز هو مرض فقدان المناعة المكتسبة.

(٢) "اليوم التالي" (The Day After) فيلم تلفزيوني يصور الخراب الشامل الذي يتبع حرباً نووية.



نفاد الصبر بلسان طفل: انه الانتظار بعَجَلة.

ل.ب.س.

حذارا قد يكمن العجز الجنسي
في السيجارة التي تحملها!



التدخين يهدِّد حياتكم الجنسيّة

هل يمكن أن يكون هناك دليل على الرجولة أكثر من "فارس "مارلبورو" وهو يمتطي حصانه القوي أو ذاك الشاب في اعلان "كاميل" الذي يبدو ثاقب النظرات وهو يتأمل تحدياً صعباً؟

غالباً ما تصوّر الاعلانات التدخين كنوع من اكتمال الرجولة. ولكن من دواعي السخرية أن التدخين قد يزيد احتمال الاصابة بالعنّة، أي العجز الجنسي، كما تبيِّن الدراسات الحديثة.

يعتقد الباحثون أنه في عمر الخمسين يعجز أكثر من ٣٥ في المئة من الرجال، أو يكادون، عن التوصل الى انتصاب مُرضٍ. ولأن أولئك الرجال نادراً ما يتحدثون عن هذا الامر، لا يعلم أحد كم من الزيجات تتحطم بسبب هذا الوضع وكم من الضحايا اليائسة تلجأ الى الكحول والمخدرات.

قبل عشر سنين كان الاطباء يعزون تسع حالات عنّة من كل عشر إلى مشاكل عاطفية. أما اليوم فاننا ندرك أن السبب الرئيسي في نصف الحالات على الاقل هو جسدي.

بدأ الاشتباه بوجود رابط بين العجز الجنسي والتبغ حين لاحظ الباحثون الطبيّون عدداً هائلا من المدخنين بين المصابين بعجز جنسي يعود سببه الى مشاكل في الاوعية الدموية. وأفادت دراسة شملت ١١٦ رجلا "عاجزاً" في جامعة بريتوريا بجنوب أفريقيا عام ١٩٨٦ أن ١٠٨ منهم مدخّنون. كما اكتشفت دراستان أكثر توسعاً أن ثلثي العاجزين جنسياً يدخنون بنسبة ضعفي معدل التدخين بين الذكور عموماً (أجريت إحدى الدراستين في مركز أبحاث العنّة في باريس ونشرت نتائجها في الصحيفة البريطانية الطبية "لانسيت" عام ١٩٨٥.

وأجرت جامعة كوين ومستشفى

Photo: Chris Hackett / The Image Bank

كينغستون العمومي في أونتاريو بكندا الدراسة الثانية في العام ١٩٨٦). إلّا أن هذه الدراسات لم تحدد كيف يساهم التدخين في الاصابة بالعنّة. لذلك احتاج العلماء الى براهين مخبرية عن الضرر الجسيم الذي يحلّ بالجهاز الجنسي بسبب تعاطي التبغ، بالمقارنة مع عوامل كالتقدم في السن وتناول الكحول.

العامل الابرز - من أجل فهم صعوبة الحصول على هذه البراهين، لنتأمل فيزيولوجْيا الانتصاب المعقدة والتي ما زالت غير مفهومة تماماً: داخل القضيب خزانان رفيعان طويلان يعملان كبالونين. يحوي كل منها مجموعتين من الصمامات، واحدة تدفع الدم الى الداخل وأخرى تدفعه الى الخارج. أثناء الاثارة الجنسية، ترتخي الصمامات "المدخِلة" فجأة، وهي حلقات عضلية حول الشرايين القضيبية، فينتفخ "البالونان" ويضغطان الصمامات "المخرِجة" فتنغلق جزئياً. وإذ يزيد الدم المتدفق على الدم الخارج يصبح العضو صلباً بعد وقت قصير.

ويدوم الانتصاب مع استمرار التوازن بين الدفق الداخل والدفق الخارج. إنما اذا انسدّ أحد الاوعية "المدخِلة" الرئيسية، وإن بنسبة ٢٥ في المئة، فقد يتعطل الانتصاب.

يدرك العلماء منذ زمن بعيد أن التدخين لسنوات يُمكن أن يعيق تدفق الدم الى أطراف الجسم. وقد بينت المعاينات أن تسعة أشخاص من عشرة يعانون انسداداً سطحياً في الاوعية الدموية، هم من المدخنين.

أيمكن أن يؤثر المرض الوعائي في القضيب أيضاً؟ في العام ١٩٨٦ عمد العالم النفساني ورئيس الدراسة الكندية مايكل كوندرا، وزملاؤه في أقسام علم النفس وأبحاث المجاري البولية والطب العقلي، الى التعمق في الاجابة عن هذا السؤال. فاستخدموا طوقاً صغيراً خاصاً لقياس ضغط الدم في الشرايين القضيبية عند ١٧٨ عاجزاً جنسياً من المدخنين وغير المدخنين. ومن طريق هذا الفحص وسلسلة شاملة من فحوص أخرى، اكتشفوا أن واحداً من كل أربعة مدخنين يشكو ضعفا في دوران الدم في القضيب، فيما يعاني واحد من كل ١٢ غير مدخنين هذه المشكلة. وبحسب المقاييس الاحصائية، أثبت ذلك وجود رابط بين التدخين واختلال الدورة القضيبية بنسبة تفوق ٩٠ في المئة.

وأكدت أبحاث أخرى هذه العلاقة. ففي دراسة دامت سنتين ونصف سنة ونشرت في العام ١٩٨٧، اقترح سبعة باحثين في المركز الطبي بجامعة جورج واشنطن اجراء جراحات لـ٣٥٣ مصاباً بعجز جنسي. وقد اعتمد هؤلاء الباحثون عشرة اختبارات خارجية لتحديد سبب الاصابة. فإلى الداء الواضح في الاوعية الدموية، ارتبط التدفق غير الطبيعي الى القضيب بالتدخين كأبرز العوامل.

اختبار منقذ - الى هذا التأثير الطويل المدى، هل للتدخين أيضاً تأثير فوري في التجاوب الجنسي؟

في هذا المجال أجرت مجموعة من الباحثين من جامعة جنوب ايلينوي

وجامعة فلوريدا في تالاهاسي اختباراً مثيراً زود بموجبه ٤٢ مدخناً أدوات لقياس سرعة الانتصاب، فيما سجلت آلات مختلفة مؤشرات أخرى للمرض الوعائي السطحي. ومن أجل إزالة أي تأثير للايحاء، أخبر الباحثون مرضاهم أنهم يريدون قياس تأثير السجائر كمثير جنسي. ولتجنب التفاوت في فعل التدخين استخدم الباحثون سجائر غنية بالنيكوتين وأخرى قليلة النيكوتين. وزيادة في الدقة قدموا الى مجموعة ثالثة حلوى النعناع بدلا من السجائر.

وبعد تدخين سيجارة واحدة أو مضغ قطعة من النعناع، نقل كل رجل الى غرفة منفردة حيث شاهد فيلماً مثيراً مدة دقيقتين فيما جرت مراقبة تجاوبه الجنسي. بعد ذلك انتظر كل منهم عشر دقائق ليدخن سيجارتين أو يتناول قطعة أخرى من النعناع ثم يشاهد فيلماً آخر وتجرى مراقبته من جديد.

وكانت النتيجة أن الانتصاب عند مدخني السجائر الغنية بالنيكوتين أبطأ منه عند مدخني السجائر القليلة النيكوتين أو متناولي حلوى النعناع.

وفي حين أن تأثير النيكوتين فوري فنادراً ما يحدث العجز الجنسي المزمن بين عشية وضحاها. إذ يلاحظ المصاب تدريجياً أنه يستغرق وقتاً أطول ليحرز انتصابا، أو أن انتصابه يبدو أضعف من المعتاد، وقد يفقده تماماً.

هل يساعد التوقف عن التدخين في التخلص من العجز الجنسي؟

تجيب عن هذا السؤال دراسة دامت ستة أشهر وأجراها الدكتور ميتشل أدسون وزملاؤه في قسم أبحاث المجاري البولية في مستشفى واشنطن. فخلال ليلتين سجلوا انتصابات مجموعة من ٦٠ رجلا عاجزين جنسياً أثناء النوم. عادة، للرجال انتصابات عدة أثناء النوم، ولكن كان لمعظم المرضى في هذه الدراسة انتصابات غير وافية مما يدل على أن سبب العجز خلل جسدي. وبعد الفحص طلب من ٢٠ من المرضى المسرفين في التدخين الانقطاع عن السجائر لستة أسابيع قبل الخضوع لفحص جديد.

وحين أعيد اجراء فحص "الانتصاب النومي" بعد ستة أسابيع، حقق سبعة من الرجال الذين توقفوا عن التدخين انتصابات وافية.

ليس التدخين بالطبع السبب الوحيد للعجز الجنسي. وقد حددت الدراسة الفرنسية التي نشرت في صحيفة "لانسيت" أربعة عوامل رئيسية للعجز الجنسي العائد الى ضعف في الدورة الدموية: التدخين، والبول السكري، وارتفاع نسبة الكولسترول، وارتفاع ضغط الدم. لكن التدخين كان الأهم، لأنه يضاعف تأثيرات العوامل الاخرى.

قد تكون معالجة السكري أو ارتفاع ضغط الدم أو الكولسترول باهظة التكاليف وغير مؤكدة النتائج، كما تتعذر معالجة بعض الحالات في فترة قصيرة. أما الامتناع عن التدخين فيمكن أن يكون فورياً. فالمدخن الذي يعاني مشاكل في الجماع يحسن صنيعاً برمي سجائره في أقرب سلة للمهملات، فيستعيد نشاطه الجنسي وينقذ حياته.

الدكتور ديفيد روبن

عاصمة صناعة الافلام الايطالية في عيدها الخمسين تشهد ازدهاراً متجدداً

انها السنة الثالثة والثلاثون بعد الميلاد في "الاستوديو ٤" في سينيسيتا. النجم السينمائي نينو مانفريدي يغسل يديه. صوت الـ"كلاكيت" يعلن نهاية اللقطة. يريد مانفريدي أن يعرف: "كيف كان المشهد؟" فيؤكد له المخرج لويجي ماغني: "جميل، جميل جداً." لقد انتهى تصوير أشهر غسل لليدين في التاريخ، حيث يمثل مانفريدي الدور الرئيسي في فيلم "بيلاطس البنطي"(١) وهو انتاج ايطالي عُيِّن اطلاقه في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨.

أما "الاستوديو ٥" فيردنا الى اليوم في لوس انجلس حيث يتشاجر بورت رينولدز وليزا مينيلّي في فيلم "استأجر شرطياً"(٢) وهو انتاج أمريكي رئيسي للعام ١٩٨٨.

السماء زرقاء والنسيم يتماوج عبر حقل قمح في "الاستوديو ٣" حيث يصور اعلان عن المعكرونة. أما في مؤخر القاعة فثلج بعلو نصف متر وفتاتان شقراوان تتزحلقان في "الشارع"، هذه المرة في اعلان شامبو.

العمل ناجح جداً في سينيسيتا(٣) المعروفة أيضاً بـ"هوليوود نهر التيبر"، وهي أشهر محترفات الافلام في أوروبا. في العام ١٩٨٦ صنع هناك ما يزيد على مئة فيلم سينمائي واعلاني. انها المرة

---

(١) According to Pontius Pilato

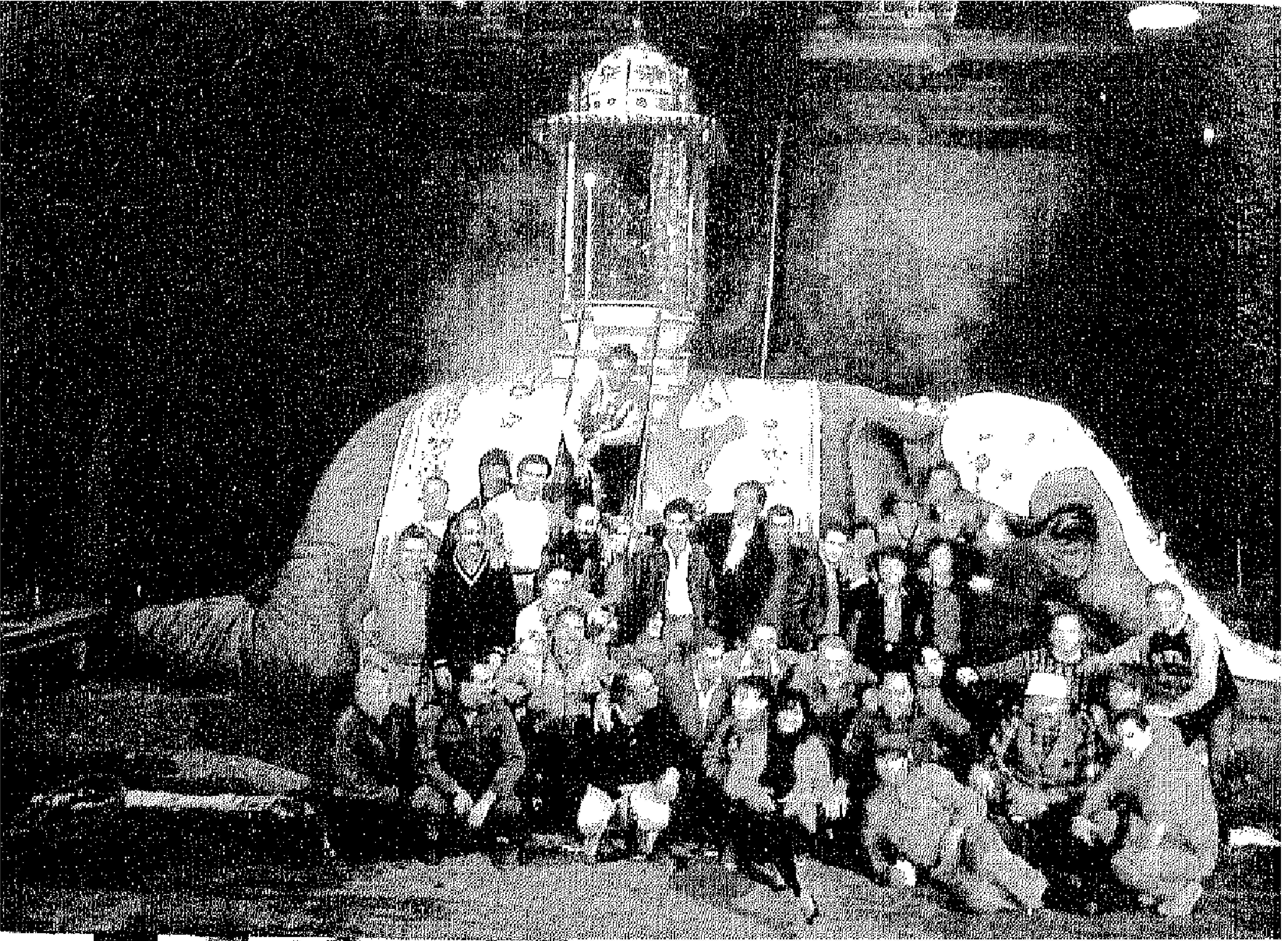
(٢) Rent a Cop

(٣) معناها "مدينة الافلام".



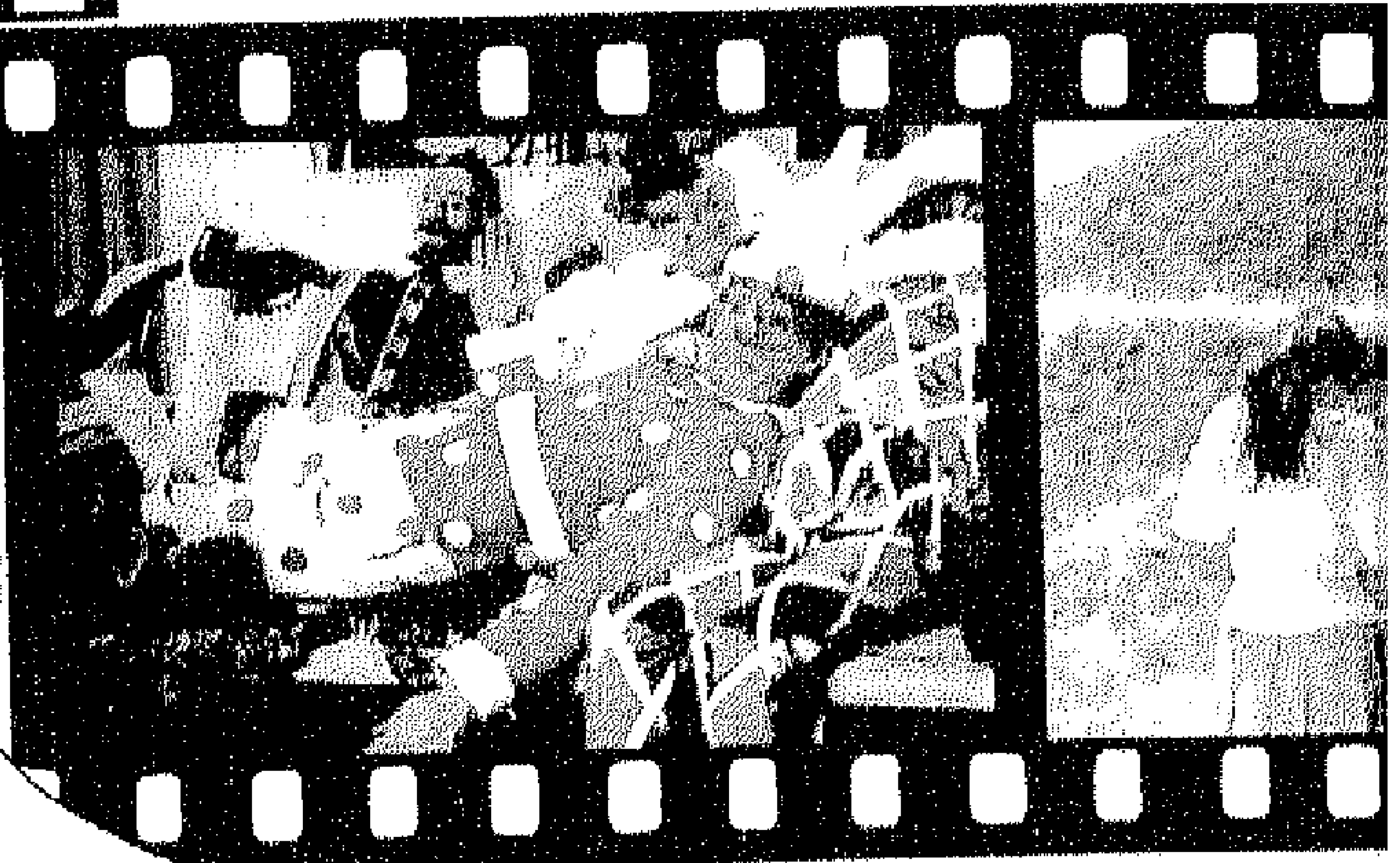
سينيسيتا: هوليوود

Photos: (from top left) AFE-Emilio Lari; Videowrite; Videowrite;





(فوق) صورة تذكارية لفريق الممثلين والعاملين في فيلم "المقابلة" للمخرج فيليني. (اللقطات، من اليسار) آنا مانياني في "بيليسيما"؛ "توتو آكولوري" (١٩٥٧) أول الافلام الايطالية الملونة: صوفيا لورين في "لا تشيوشيارا"؛ اليزابيث تايلور في دور كليوباترا؛ شون كونري في "اسم الوردة"؛ مارشيلو ماستروياني في "العينين السوداوين."



أوروبــــــا

الاولى في ثلاثين سنة تكون سينيسيتا منتجة الى هذا الحد. الاستوديوات الاثنا عشر محجوزة كلها، والمنتجون والمخرجون والممثلون من أنحاء العالم يملأون المكان.

ان صناعة الافلام هي احدى أهم الصناعات في روما وتتداول قرابة ٣٠٠ مليار لير (٢٣٠ مليون دولار) سنوياً وتستخدم ما يزيد على ١٥ ألف شخص. والآن، بعد مرور عشر سنين من الركود، يتزامن العيد الخمسيني لسينيسيتا مع عودة الازدهار.

وعادت أيضاً الافلام التي تكسح شبابيك التذاكر. ومن الاعمال الحالية انتاج ألماني عن "مغامرات البارون مونتشوزن" (٤) تبلغ موازنته ٤٤ مليار لير (٣٥ مليون دولار) بحيث تفوق موازنة أي فيلم أوروبي منذ الحرب العالمية الثانية. انتاج هذا الفيلم يستلزم عشرين فيلاً ومئات من الفرسان وألوافاً من العناصر وخدعاً ومؤثرات سينمائية خاصة كافية لتجعل فيلم "حروب النجوم" (٥) يبدو عملاً عادياً. قال لي المنتج توماس شوهلي: "أنا أعرف كل الاستوديوات الاوروبية. وقد اخترت سينيسيتا لانها الفضلى."

هوليوود نهر التيبر — في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٣٧ دشن بنيتو موسوليني مدينة الافلام سينيسيتا القائمة على أرض مساحتها ستون هكتاراً والواقعة على بعد عشرة كيلومترات من جنوب شرق وسط المدينة. أعدّت سينيسيتا للديكتاتور الفاشي أفلاماً دعائية. وأحد أول الافلام التسعة عشر التي صنعت هناك في العام ١٩٣٧ كان فيلم "سيبيو الافريقي" (٦) الذي اقتفى جذور الفاشية في روما القديمة.

خلال سنوات الحرب كانت معظم أفلام الاستوديوات هناك تنتمي الى نوع يعرف بـ"المواتف البيض" وخصّصت للحياة "الجميلة" الناعمة هواتف أنيقة بيضاء ونساء لطيفات بجلابيب من ريش النعام. وفي العام ١٩٤٣ انفجرت الفقاعة، فبسقوط الفاشية أقفلت سينيسيتا وصرف ١٢٠٠ مستخدم. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٤٤ دمر نصف الاستوديوات بقنابل الحلفاء. وكان الجيش الالماني المحتل صادر معظم التجهيزات وشحنها بعيداً.

وفي نهاية الحرب غدت سينيسيتا مخيماً للاجئين، وظلت كذلك الى العام ١٩٤٧ حين استؤنفت صناعة الافلام في اثنين من استوديواتها. أول فيلم صور هناك بعد الحرب كان "كووري" (٧) للمخرج دويليو كوليتي. ويتذكر القدامى من سكان روما عبورهم غرف منامة ومستشفى ومعرضاً للجثث وهم في الطريق الى العمل. وكانت تقام مباريات في كرة القدم بين الفنيين واللاجئين.

كانت أياماً ذهبية للسينما الايطالية. صاغ فيتوريو دي سيكا وروبرتو روسليني أسلوباً جديداً للافلام هو المذهب الواقعي الجديد(٨). أما الافلام الكلاسيكية مثل

(٤) The Adventures of Baron Munchausen
(٥) Star Wars
(٦) Scipio the African
(٧) Cuore
(٨) Neo Realism

"لصوص الدراجات" فكانت تصوّر موضعياً، ولم تكن ناجحة في شباك التذاكر. وهكذا كانت تلك أيضاً أوقاتاً عجافاً.

أنقذ الوضع سياسي شاب يدعى جوليو أندريوتي، كذلك الامريكيون. مرّر أندريوتي قانوناً يقضي بوضع رسم على كل الافلام الاجنبية التي تدبلج الى الايطالية. بعد ذلك قضى نظام نقدي بأن تنفق شركات الافلام الامريكية في السوق المحلية ٥٠ في المئة من الارباح التي تجنيها في ابطاليا. وفي العام ١٩٥٠ استجابت شركة "مترو غولدوين ماير" العملاقة وحجزت سينيسيتا لانتاج "كوفادس" (٩) وهو أول ثلاثة أفلام كاسحة، تبعه "بن هور" (١٠) في العام ١٩٥٧ و"كليوباترا" في العالم ١٩٦٠. وولدت بذلك "هوليوود نهر التيبر."

ضمت تلك الافلام ألوف الممثلين، وتطلبت موازنات عظيمة وجداول زمنية للتصوير استغرقت سنوات. أيام الجمعة كان الصف أمام مكتب دفع الاجور يمتد أبعد من كيلومتر. يقول أتيليو دونوفريو الذي كان حينذاك كاتباً صغيراً وأصبح الان المدير العام لسينيسيتا: "ان ما أنفقه الامريكيون على المياه المعدنية والمكالمات الهاتفية والبرقيات كان يمكن أن يموّل فيلماً كاملاً، لكننا تعلمنا منهم الكثير وأصبحنا محترفين."

كانت تلك أياماً رائدة، ولم تكن الامور كئيبة قط. اثناء تمثيل "بن هور" هربت جياد هائجة وملأت شوارع سينيسيتا، ووجد الناس أنفسهم يتسلقون أشجار الصنوبر من دون أن يعلموا كيف وصلوا الى هناك.

وفي فيلم "كليوباترا" بنيت مدينة تشبه الاسكندرية القديمة على شاطىء أنزيو، وقسم منها على ركائز خشبية في الماء. يقول ألفريدو فنشنتي وهو الان رئيس دائرة اعداد المسارح: "انه لامر مضحك، لقد وجدنا أنقاض مدينة رومانية قديمة مغمورة هناك، هياكل عظمية من أيام الانزال الامريكي، ووفرة من الالغام. وكان يجب أن تزال قبل أن نذهب الى العمل كل يوم."

الى ذلك الحين كانت روما مدينة قاتمة يتسلط عليها رجال دين ومشترعون واداريون. تغيّر كل ذلك وأصبح شارع فيا فنيتو، بمقاهيه الملأى بنجوم السينما مرادفاً للسحر والتألق. لم يخترع فيديريكو فيليني كثيراً في "لا دولتشي فيتا" (١١).

– بدأ التيار ينحسر في منتصف الستينات. فبعد عقد ونيف من المسار الرصين أضحت سينيسيتا طماعة جداً. كانت هناك أماكن أرخص منها للافلام، مثل اسبانيا. وكانت هوليوود تخسر في المعركة ضد التلفاز. وانسحب الامريكيون.

عند تلك النقطة اقتصر معظم الانتاج المحلي على أفلام تاريخية ذات موازنات منخفضة دعيت "سينما الصنادل" (١٢) لان

(٩) Quo Vadis?
(١٠) Ben Hur
(١١) La Dolce Vita
(١٢) Sandal movies «sandaloni»

كل من فيها انتعل صندلاً وهو خفّ بسيور من جلد. ثم حقق مخرج شاب يدعى سرجيو ليوني فيلم "حفنة دولارات" (١٣) وولد نوع جديد من الافلام بات يدعى "وسترن السباغيتي" (١٤).

في تلك الايام آثر المخرجون الجديّون أن يصوروا أفلامهم في مواقع الاحداث... إلا فيليني الذي يحبّ أن يعيد بناء كل المواقع في "الاستوديو ٥" في سينيسيتا، وهو الاكبر في أوروبا. وهو نسخ البحر الابيض المتوسط هناك وأعاد بناء البندقية وريميني وأجزاء واسعة من روما. أما السبب، فهو: "أنت في الاستوديو سيد الشمس، تستطيع أن تكيّف الضوء وتملك ناصيته تماماً كما يفعل الرسام بالالوان."

أسعفت أفلام فيليني مدينة الافلام كي لا يتدانى مستواها عبر فترة طويلة في السبعينات، ولكن حتى فيلم "الميسترو" لم يشبع الافواه الجائعة. وبحلول العام ١٩٨١ كانت سينيسيتا رازحة تحت دين من ١٣ مليار لير (١٠،٣ ملايين دولار) وأوشكت على الافلاس.

باعت سينيسيتا ١٢ هكتاراً من الارض لجمع ٢٠ مليار لير (١٦ مليون دولار) وجاءت بادارة جديدة برئاسة دونوفريو، وصرفت بسخاء لتحديث الاستوديوات. ولم تتأخر النتائج. ففي العام ١٩٨٦ بلغ رقم الاعمال ٢٣ مليار لير (١٨ مليون دولار) أي خمسة أضعاف رقم العام ١٩٨١.

جمع فيلم "اسم الوردة" (١٦) ١٥١ مليار لير (١٢٠ مليون دولار) وأضحى في وقت ما أنجح الافلام مردوداً في أوروبا.

وفي المشاهد قرية من العصور الوسطى تحوي برجاً بعلو ٣٧ متراً صممت وبنيت في سينيسيتا. أنتج الفيلم في ١٤ أسبوعاً فقط مما مكّن المنتج شوهلي من خفض التكاليف الى ٢٠ مليار لير (١٦ مليون دولار). وكان محظوظاً أيضاً، فهو خطط لاستعمال آلات تهيل الثلج بغية ايحاء منظر شتاء في القرية، غير أن ثلجاً حقيقياً سقط قبل ليلة من التصوير.

هيث كل شيء — تقدم سينيسيتا مجموعة كاملة من خدمات الافلام تحت سقف واحد. وهذه تشمل مختبرات طبع (تستطيع تحميض ١٨ مليون متر من الافلام وطبعها سنوياً) واستوديوات للتحرير وتسجيل الصوت مع أجهزة لفحص الافلام وآلات فيديو لعرض سريع ولفّ الكتروني، ودائرة نشطة ومتطورة لآلات التصوير والاضاءة، ومستودعاً يخزن ١٥ ألف قطعة من الاثاث والملابس وسواها، واحدى فضلى مجموعات المواقع المشيدة للتمثيل في العالم.

القوة العاملة ٣٠٠ مستخدم بدوام كامل، ترتفع الى ٣٠٠٠ عندما تعمل الاستوديوات بطاقتها القصوى. عميد الجميع هو ريناتو دي انجيليس (٧١ عاماً). فاذا ما احتجت الى تمثال أبي هول من الصمغ الزجاجي بطول ٢٠ متراً، فان انجيليس هو الشخص الذي يجب أن تقصده.

للصمغ الزجاجي والـ"بوليستيرين"

(١٣) A Fistful of Dollars
(١٤) Spaghetti western
(١٥) Il maestro
(١٦) The Name of the Rose

منفعة كبرى لكونهما خفيفين. في العصور السالفة كان نقل أعمدة رومانية مصنوعة من الجبس يستلزم عشرات الايدي. والان، مع البلاستيك، يستطيع المرء انجاز العمل بيد واحدة. أراني انجيليس أدوات تجارته. وكان يعمل على مجموعة كبيرة كاملة من أجنحة النسور المصنوعة من البوليستيرين وتماثيل وأفاريز لزخرفة واجهة أحد الهياكل. استعمل سلكا معدنياً حامياً (يشبه سكين الجبن الكهربائية) لقطع كتل البوليستيرين الكبيرة، وأكمل التفاصيل بمنشار آلي وفرشاة معدنية.

صدمة فيليني – المواد المحمولة كالسلالم والدعائم لا تزال تصنع من الخشب، وثمة دائرة كبيرة للتجارة تهتم بها. المناشير والمخارط تعمل آلياً، وكل ما عليك أن تفعله هو ادخال لوح خشب من جهة ومراقبة القطعة المنتجة وهي تخرج من الجهة الاخرى.

ووصلت التكنولوجيا العالية الى دائرة الاضاءة أيضاً. وجهاز الانارة الالكتروني الأكثر تعتيماً، الذي صُمم لمدير التصوير فيتوريو ستورارو الحائز جائزة أوسكار، يمكنه احداث تأثيرات ضوئية متزامنة.

تحدثت مع الخياطة أنجيلا أنزيماني التي كانت تخيط أزرار كَبْس شفافة على قماش من الشاش البهي تحتاج اليه "سلومة" في اليوم التالي في فيلم "بيلاطس البنطي." أخبرتني أنها تعمل في أربعة أفلام أو خمسة سنوياً، وأحياناً تستيقظ باكراً في الثانية صباحا لتعمل ١٦ ساعة في اليوم. انها تتذكر يوم تبين أن البزات العسكرية الثلاثمئة غير صالحة وينبغي أن تعاد خياطتها قبل التمثيل. وقالت لي بعد حين: "الان يجب أن تعذرني، والا فلن تكون غداً رقصة."

تذكّرت كلام فيليني عن صدمته الاولى في سينيسيتا عندما زار الاستوديوات كصحافي في أواخر الثلاثينات وكتب: "كانوا يصورون ملحمة مغامرات. وكانت هناك جياد تعدو وممثلون موقّتون يسقط بعضهم فوق بعض، وصراخ لا يصدق، وغبار وأوامر تعطى بصوت عال. ورأيت المخرج السندرو بلاسيتي معلّقاً برافعة تعلو أمتاراً عن الارض وجالساً في كرسي موصول بالمنصة، بدا لي رجلاً جليلاً، لكنني فكّرت في أنني لست أهلاً لهذا العمل."

كم يخطىء المرء في ظنونه! ولكن هذا هو عالم الفن.

كريستوفر ماثيوس

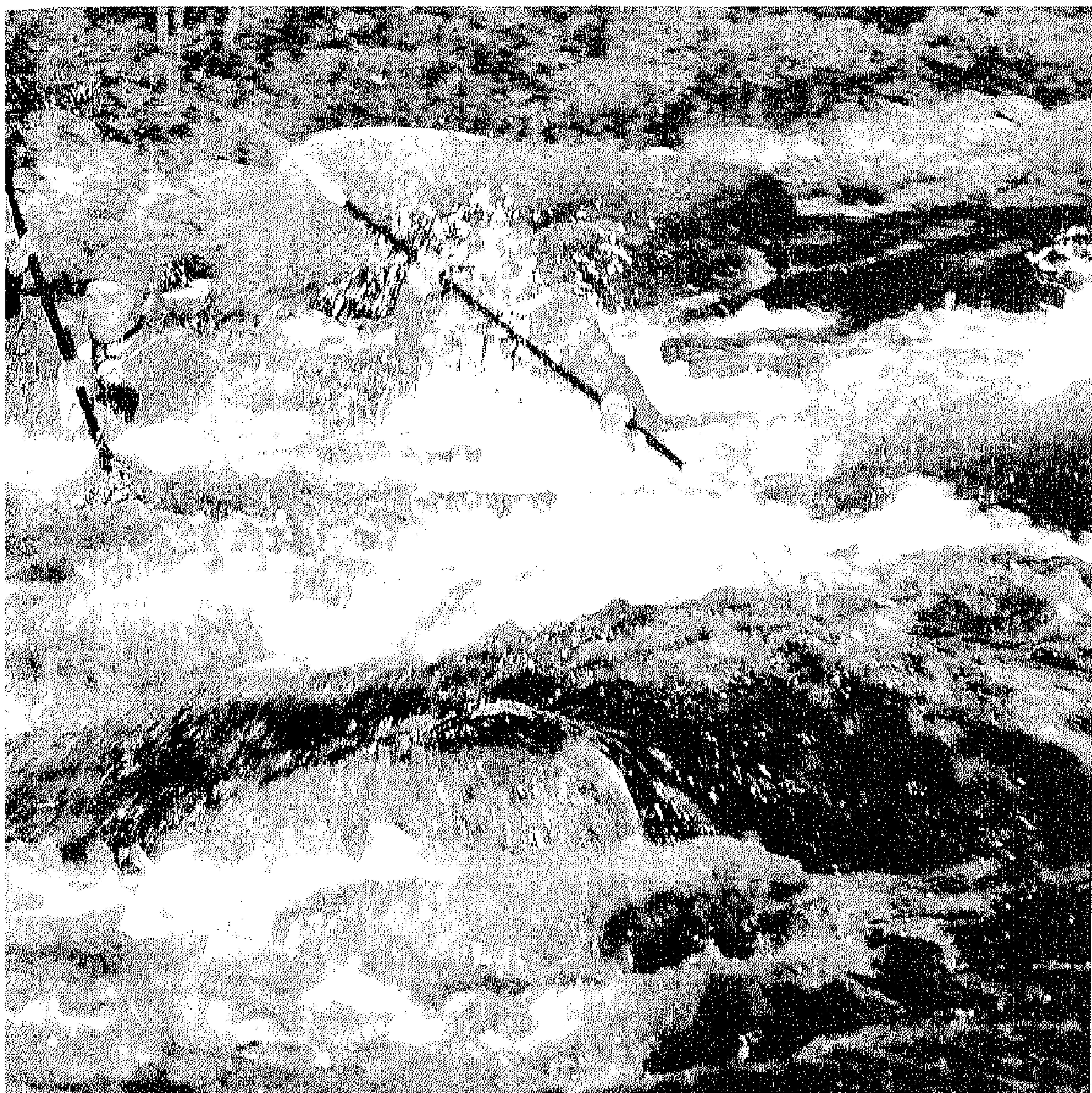
شابّ في المئة

قال العجوز للطبيب: " بالله عليك يا دكتور، ساعدني، فقد ناهزت المئة وما زلت أطارد الفتيات."

فطمأنه الطبيب: "حسناً. حالتك هي بالتأكيد جديرة بالاهتمام، لكنها حالة سوية. قل لي: لماذا تريد مساعدتي؟"

فرد العجوز: "لاني أتعقب الفتيات، لكني لم أعد أذكر لأي غرض أفعل ذلك."

م.ب.س.



سَـباق زوارق
أمْ صِـرَاع جَبابرة؟



برهن هذا الاختبار عن قوة احتمال الانسان على رغم الخطر والانهاك انه ذو سحر لا يقاوم

توقف المجذفون، والضباب يطوّقهم من كل صوب وأصابع أيديهم منثنية ومتجمدة، وراحوا يصغون الى الهدير المتصاعد من تساقط شلالات الماء على منحدرات النهر. ثم شاهدوا صخوراً شامخة مكسوة بالطحلب تطل عليهم من ضفتي النهر حيث يضيق مجراه. والتيار المائي البارد الفائر يجرفهم بسرعة متزايدة الى مياه هائجة مائجة.

كانت الساعة الخامسة من صباح ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٨٧ في لابلاند على مسافة ٣٠٠ كيلومتر شمال دائرة القطب الشمالي. وبعد ساعتين من التجذيف المضني في سباق الزوارق القطبي الذي هو اعنف سباق للكنو (١) والكاياك (٢) بات السبعة والخمسون متنافساً وسط المعمعة. ولاربعة اسابيع خلت كانت مياه بحيرة كلبسجارفي، حيث انطلق السباق، لا تزال متجمدة. ولما كان الثلج على الجبال المجاورة في فنلندا ونروج واسوج لم يذب بعد ما فيه الكفاية لتغذيتها، فقد بات على الاثنين والاربعين كنو وكاياك ان تشق طريقها وسط الوحول اكثر مما وسط الماء.

الى هذا فقد استقر الضباب المتجمد على الماء واصبح الشاطىء قفراً تغطيه اشجار دائمة الاخضرار حيث تجول الدبب والذئاب احياناً. وضلّ المجذفون طريقهم في متاهة الخلجان الصغيرة ذات الطرق المسدودة. ثم كان عليهم ان يحملوا

---

(١) الكنو (Canoe) زورق طويل، خفيف وضيق يدفع بواسطة مجاذيف.

(٢) الكاياك (Kayak) زورق مصنوع من جلد يشبه زوارق الاسكيمو.

زوارقهم على اكتافهم ويعبروا مسافة ٨٠٠ كيلومتر في مستنقع عريض. وعندما حملت إيزابل منتري بطلة فرنسا في سباق الكاياك والجائزة مرتين المدالية الفضية، زورقها وخاضت في المستنقع حتى ركبتيها، احست بخدر في اصابعها وقد غطت قشرة من الجليد ظهر زورقها.

والآن، ها هي الكنو والكاياك تندفع الى مضيق براكوسكي حيث الصخور الخطرة والدوامات العمودية التي تؤلفها المياه المنحدرة كالشلالات فوق حافة الصخور، تتعذر رؤيتها من بعيد بسبب كثافة الضباب. وبعد كارثة السنة الماضية التي ادت الى تحطم كاياكه في ثلاثة مواقع، تمكن المجذف الالماني الغربي ابرهارد باشتولد (٢٦ عاماً) من النجاة بقدرة قادر. الا ان كاياكاً بمقعدين اصطدم بالصخور وكافح راكباه الايطاليان الفيو بريوستي (٢٩ عاماً) ولويجي بارتوليني (٣١ سنة) حتى وصلا الى الشاطىء بعدما اصيبا برضوض في ظهرهما وارجلهما. وانقلبت كاياكات اخرى لدى مواجهة المجموعة الثانية من المنحدرات المائية، لكن زوارق الانقاذ سارعت الى سحب من كانوا فيها الى الشاطىء قبل فوات الاوان.

اليوم الاول – الساعة السابعة من صباح اليوم الاول ولا يزال امام المتسابقين ١٣٤ مجموعة من المنحدرات الواقعة على خط طوله ٥٠٠ كيلومتر حيث تنتظم كحبات عقد ثلاثة انهر واكثر من ١٢ بحيرة كبيرة مؤلفة قسماً من الحد الفاصل بين اسوج وفنلندا. وبعد ستة ايام من السباق يكون اقل من نصف المتبارين فقط اجتازوا كل المسافة ابتداءً من غابات الصنوبر القطبية حيث ترعى الأيائل، الى خط النهاية في مدينة تورنيو على شاطىء بحر البلطيك.

ان التجذيف في هذه الكنوات يشبه التزلج على الثلج، وهو رياضة لها مهاراتها خصوصاً السباقات في المياه الهائجة وسباق الماراثون والسباق المتعرج ضد الساعة.

ويقول المدير الفني لهذه الرياضة البريطاني ستيف باولز (٣٦ عاماً) الذي نظم اول سباق قطبي للكنو والكاياك في العام ١٩٨٣: "قلما اجتمعت في حدث واحد مثل هذه المهارات. انه طويل وبارد وخطر ويتطلب براعة وعناية فائقتين."

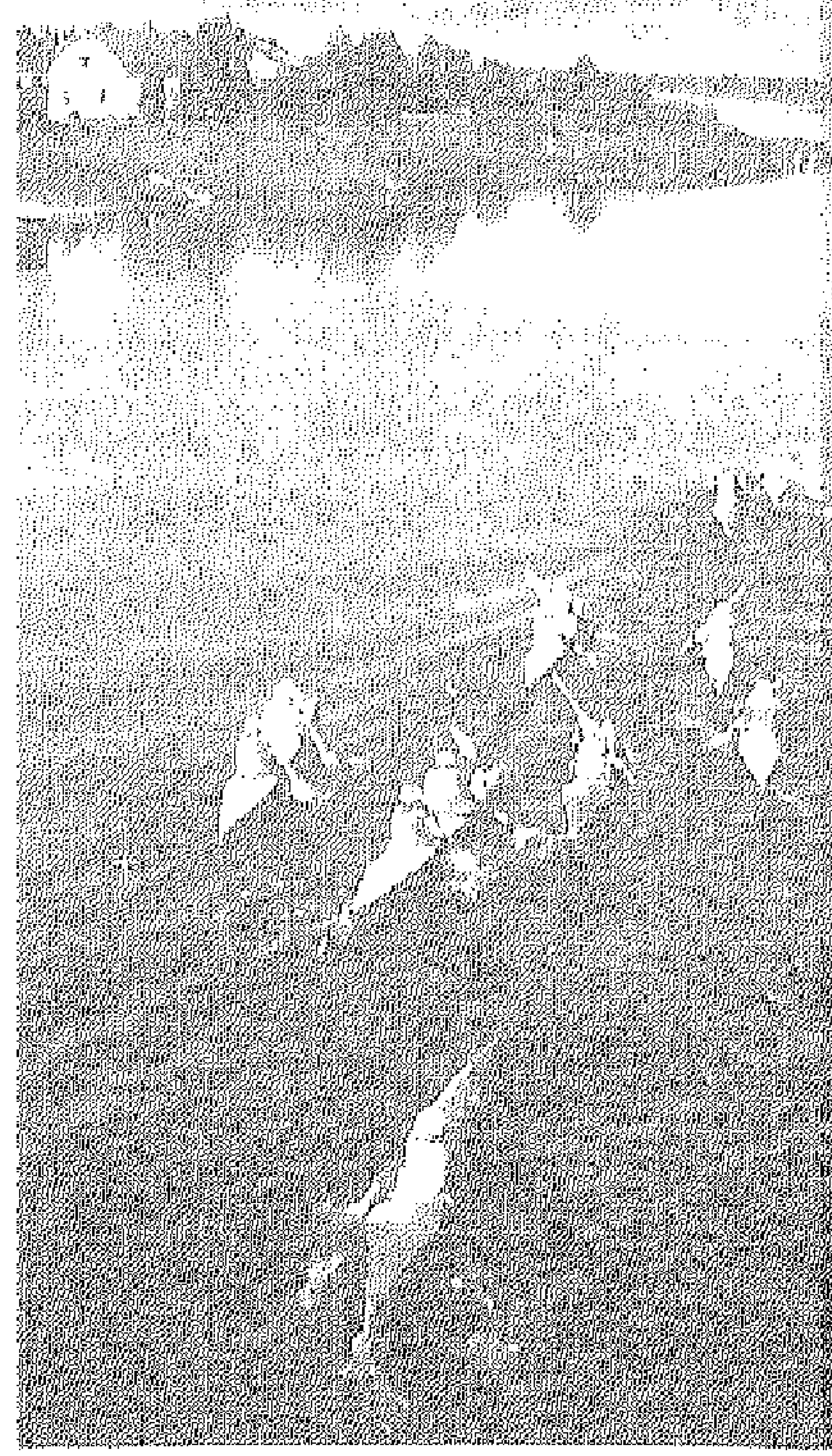
وعلى مر السنين برهن هذا التحدي لمجموعة متنوعة من المجذفين من ١٧ دولة، انه لا يقاوم(٣). واشترك فيه السنة الماضية متبارون من ستة بلدان(٤).

جان بيار بيرني (٤٢ عاماً) بطل العالم اربع مرات في التجذيف في المياه الهائجة من اعلى النهر نزولا حتى اسفله مع رفيقه البلجيكي جان رانغلي (٣٨ عاماً)، كانا مدربين تدريباً عالياً. كذلك الفنلندي أيمو اوجابالو (٥٢ عاماً) كان محترفاً زراعة الاشجار المثمرة والخضر والازهار ولم يدخل قط في حياته سباق

---

(٣) تهتم بهذا السباق عادة الدول الآتية: اوستراليا والنمسا وبلجيكا وبريطانيا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وفنلندا وفرنسا وايرلندا وايطاليا وهولندا ونيوزيلندا ونروج وبولونيا واسوج وسويسرا والمانيا الغربية.

(٤) بلجيكا وبريطانيا وفنلندا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية.



المجذفون يمخرون وسط لابلاند، وتبدو فنلندا عن يسارهم وأسوج (السويد) عن يمينهم.

المراثون، وهو تمرن طوال الشتاء في كاراجه مستعملا جهازاً مؤلفاً من مطاط ونوابض. ولن انسى صويني ليليكما اكبر المتبارين سناً الذي كان في الثالثة والخمسين من عمره لما شاهد هذا النوع من السباق، وقد أخذ به الى درجة انه بدأ يمرن نفسه عليه في الاسبوع الاول لعودته الى استوكهولم من اجازته السنوية. وللحال اشترى كاياكاً. ومما قاله في هذا الصدد: "انها المرة الثالثة اشترك في هذا السباق، والمنحدرات لا تزال تخيفني.

هنـاك اربع فئـات رئيسيـة من السباقات وينال الفائز بكل منها مجذافاً مذهباً. وهذه الفئات هي:

١. السباق القصير بالتجذيف السريع في كاياك ذي مقعد واحد ويختصر بـ «K1» .

٢. السباق في المياه الهائجة في

سباق زوارق

كاياك من مقعد واحد ويختصر بـ«K1» .

٣. سباق الكاياك ذي المقعدين ويختصر بـ«K2» .

٤. سباق الكنو ذي الشكل الكندي وفيه مجذفان ويختصر بـ«C2» .

ولمـواجهة الحـوادث الطارئـة في المواقع الموحشة زود كل زورق جراية للطوارىء وشريطاً للتصليح وكيساً للنجاة يحول دون الانخفاض الشديد للحرارة. ومن اجل المحافظة على الطاقة، علقت بظهر كل زورق مجموعة من السكاكر والشوكولا والموز وقليلا من لحم الأيل المدخن. ويعتمر المجذفون خوذاً خاصة بالسلامة، ويربطون بسترات النجاة من الغرق انبوباً متصلا بقوارير معبأة بمركبات من الشاي البارد والكوكاكولا والماء الممزوج بالعسل والملح ومشروبات اخرى منشطة.

وبفضل شمس منتصف الليل القطبية لم ينم سوى القلائل من المجذفين الذين فوجئوا بهيكي كيفينن يعلن بدء السباق بطلقة مسدس الساعة الثالثة. واليوم الاول من السباق هو الاعنف.

وما ان حان موعد استراحة نصف الساعة الاجبارية في فسحة خالية من الاشجار في غابة على الطريق، بعد اجتياز المتبارين ٧٥ كيلومتراً، حتى ظهرت الضمادات على سواعد كثير من المجذفين الذين شعروا بآلام وتورم فيها فضلا عن آلام مبرحة في اردافهم. وشوهد جان بيار رانغلا يدفىء مؤخرته المخدرة بنار مخيم. ودهن جان بيار بيرني اليته المتقرحة بمرهم يستعمله عادة راكبو الدراجات الذين يعانون من كرسي الدراجة ما يعاني هو الآن. لكن احداً لم يلجأ الى

مثل حيلة طوني بريجون الالماني الغربي الفائز(٥) عام ١٩٨٤ في سباق الكاياك القطبي من الفئة «K2» ، إذ نشر على مقعده قطعاً من اللحم الطري بسماكة سنتيمترين وجلس اعليها.

وبعد استراحة اخرى دخل المجذفون باتيكالوسكي اكبر منحدرات السباق. وتمركزت فرق المساعدين والمنقذين على الصخور العالية واشعلت ناراً مدخنة لإبعاد اسراب البعوض، فامتزج دخان النار برذاذ ماء النهر الهادر.

وهكذا شق المجذفون طريقهم بتلو متلقين لكمات وضربات مؤلمة من "قبضات" المياه المزبدة.

كان البلجيكيان بيرني ورانفلا اول من دخل الحمام البخاري في قرية كاريسيفاكو بعدما انهيا اليوم الاول، باعنف مراحله، قاطعين ١٣١ كيلومتراً في ١١ ساعة و١٢ دقيقة، في موازاة ١٧ ساعة و١٣ دقيقة من المعاناة والعذاب للتقني الفنلندي كيمو لان وشريكه تيمو، وهو اخوه ايضاً، اللذين كانا آخر الثمانية والثلاثين متبارياً الذين اكملوا السباق ووصلوا الى الشاطىء منهكين.

اما اولئك الذين تخلفوا عن المرحلة الاولى فلم يخسروا بل بقي لهم الحق في ان يعاودوا السباق في اليوم الثاني مع جزاء تأخير ست ساعات عن بدء السباق. واوضح منظم السباق جوكا بوكاجوانسو (٣١ عاماً) انه "في بعض السنوات الخالية قلما اكمل السباق زورق من دون ان ينسحب، وان مرة واحدة. لذلك فان الاهمية تبقى في الاستمرار والوصول الى النهاية، ايا تكن المرتبة."

اليوم الثاني – إنشق فجر اليوم الثاني عن ضباب من الألم. فبعدما حطمت الرقم القياسي لليوم الاول بست دقائق استيقظت ايزابل منتري وكتفها متيبسة بحيث تعذر عليها رفع اللقمة الى فمها. لذلك القت المجذاف جانباً ولازمت الفراش. وعندما اصطف الثلاثة والثلاثون زورقاً استعداداً لبدء سباق المئة كيلومتر، وهو الاكثر انهاكاً للعضلات من سواه، كان كثير من المجذفين مصابين بالدوار. كذلك البرلينيان بيتر هالوغ واندرياس كوم اللذان كانا في الصف الثاني من الزوارق المتسابقة وقد توقفا عن التجذيف بعد اجتيازهما نصف كيلومتر فقط، وانتابهما الم شديد.

اما الفرنسيان فرنسوا روسا وفرنسوا رافيا فكانا راكعين في زورقهما يتقدمان متباري الفئة الرابعة «C2» لكن البرودة ما لبثت ان "اكتشفت" نقطة الضعف عندهما، إذ كان رافيا بدأ السباق بذراعين متورمتين مضمدتين. وبعد ساعة من بدء السباق اخذ الكنو يدور بهما على نفسه. ولما لم تبق لرافيا القوة الكافية للاستمرار في التجذيف قرر مع رفيقه الخروج من المنافسة.

واتسع النهر بين منحدر وآخر واصبح امتداداً طويلا وراكداً لبحيرة كبيرة.

ولما كانت مرفقا سوفريمان قد انهارا من جراء الارتجاج المتواصل الناتج من ارتطام المجذاف بالصخور، فقد قرر زوجها اندي البالغ من العمر ٤٠ سنة ان يتجه

---

(٥) حاز بريجون ايضاً المدالية الذهبية في فرنسا في يوليو (تموز) ١٩٨٧ في التمرج وكان رفيقه في هذا السباق الالماني الغربي يورغن غارلش.

بزورقهما نحو الشاطىء. وجدير بالذكر ان اندي وسو كانا الزوجين الوحيدين المشتركين في السباق. وقد تدربا على اكثر من ١٥٠٠ كيلومتر منذ عيد الميلاد. ومما قاله اندي الفائز في سباق زوارق دائرة القطب الشمالي «K2» ان هذا أشق عمل قاما به في حياتهما.

وأستقبل المجذفون الصامدون بحرارة في بلدة ميونو وكوفئوا بيوم راحة، إلا انه كان يوماً ماطراً جداً. وحاول الفيو بريوستي ولويجي بارتوليني اصلاح كياكهما المحطم، فلم يفلحا. فحتى الصمغ الصنوبري نفسه بعدما سخن على نار معدة لشوي اللحم لم يلصق بسبب شدة البرودة الرطبة. اما الفرنسي كلود برنار (٣٠ عاماً) فبقي في سريره في الزورق طوال النهار وساعده المتورم جداً ملفوف بجرائد ومثقل بالثلج.

الثالث والرابع - بدأ اليوم الثالث من السباق بهبوب ريح قاسية راحت تلسع وجوههم كمن يختبر قدرتهم على تحمل العذاب. وبسبب دموع البرودة التي غشت بصرهم وجد اندي فريمان مشقة كبيرة في رؤية الصخور امامه. ولكن النهر تابع جريانه السلس الى مناطق ريفية مشمسة وذات مناظر اكثر جمالا من سواها.

وقد ظهرت على طول ضفتيه دساكر صغيرة تجمعت فيها اكوام من الحشائش المجففة. ومن قواربهم الخشبية الغريبة، ذات المقدم المنعطف الى الاعلى في شكل يشبه الخف التركي، راح الصيادون يشاهدون المجذفين وهم يتسابقون قربهم. وفي اماكن استراحتهم في مروج ملأى بالزهور كانت حلل الطبخ، بما فيها من سمك السلمون الغليظ وحساء البطاطا (البطاطس) تغلي على نار حطب الصنوبر.

واذ قصُرت مسافات التجذيف يوماً بعد يوم بات السباق اختباراً لمدى احتمال المتسابقين المعاناة اكثر مما هو قضية صمود.

في بداءة اليوم الرابع من السباق ارتطم مصادفة مجذاف ولفغانغ اورتل (٣٤ عاماً) المدرس في كولونيا بمجذاف زورق آخر. وشعر بألم حاد يسري في ساعده المتورم فقال: "لقد تابعت تجذيفي ببطء مسافة ١٥ كيلومتراً ولم يبق ورائي احد إذ ان الكل قد سبقني." وسريعاً بعد ذلك هرع الى المتسابق كلود برنار الفريق الالماني الغربي المساند له فور تلويحه بالراية. ولما كان الألم في ساعديه شديداً فقد استسلم وجر كاياكه الى الطريق.

هنالك مجذف واحد بقي نشيطاً، كما كان في بدء السباق، هو الكهربائي جوسي ريهينن (٤٠ عاماً) الذي كان دوماً طليعة كل المراحل باستثناء اليوم الاول. انه فنلندي متجهم الوجه وقوي العضلات وعدّاء ماراثون سابق وفائز في سباق الزوارق «K1» في دائرة القطب الشمالي عام ١٩٨٦. ومنذ ذلك الحين وهو يواصل تدريبه حتى في فصل الشتاء. وهذا يعني تجذيفاً خطراً بين جدران الجليد العالية لمدخل مركز توليد الكهرباء حيث كان النهر يجري بسرعة فائقة يتعذر معها تجمده. وعلى رغم انخفاض الحرارة الى ٣٧ درجة مئوية تحت الصفر، فقد واصل

ريهينن كفاحه مثبتاً نفسه في كاياكه كجبل جليد وممسكاً مجذافه المغطى بثلاثة كيلوغرامات من الجليد الجامد.

بعد القطب الشمالي – بعد اجتيازهم دائرة القطب الشمالي واجه المتبارون مرحلة الخمسة والسبعين كيلومتراً الاخيرة، وهي الاشد عنفاً في سباقهم. فالرياح الهوجاء والامطار الغزيرة الآتية من بحر البلطيك، حولت البحيرات الرتيبة التي تفصل بين المنحدرات الكبيرة بحاراً قاتلة مما اضطر الكاياك والكنو الى ان تمخر عباب هذه الامواج العاتية كالغواصات قاذفة بمجاذيفها التي تشبه طواحين الهواء، سيلا عالياً من الرذاذ. وكان من عواقبها ان فاكيبارتا وابن عمه تمكنا مرتين من التقدم الى الضفة ومرتين اضطرا الى الرجوع.

في ماتكاكوسكي التي تشكل اهم مرحلة بسبب منحدراتها العظمى، انطلق المجذفون بسرعة في مضيق حاد بين الشاطىء وصخرة هائلة. وما كاد بوهونن واخوه يعبرانه حتى هبت دوامة وفتلتهما بسرعة وقلبت زورقهما. ومن دون وجل اسرعا الى زورق آخر وشدا السير.

اخيراً حلت مرحلة كوكولانكوسكي وهي مسافة كيلومتر واحد من المياه الصاخبة الثائرة.

واخذ المشاهدون يزدحمون على منصات ركيكة مبنية للصيادين على ضفتي النهر. وللمرة الثانية اضطر بوهونن واخوه الى النزول في الماء والسباحة لان المياه المتدفقة شقت ظهر زورقهما الثاني فغرق.

وبعد صراع عنيف في العشرة الكيلومترات المتبقية من نهر ضربت مياهه ريح هوجاء، تمكن عشرون زورقاً فقط من اصل الاثنين والاربعين من الوصول الى خط النهاية تحت الجسور في تورنيو. وبعد تجذيفهم ٥٣٧ كيلومتراً بدا المتبارون متألمين ومبللين وملوثين و...منتصرين.

وكانت النتيجة ان البلجيكيين بيرني ورانغلا ربحا سباق الفئة «K2» بفارق يزيد على ساعة.

وبعد منافسة متقاربة جداً (الكتف الى الكتف) تمكن جوسي ريهينن وابرهارد باشتولد في كاياكهما المعد لسباق التجذيف القصير من الفوز بسباق الفئة «K1». اما رينو رابونيامي ومني فيولو من فنلندا فقد ربحا سباق الفئة «C2».

من جهة اخرى، صرف البلجيكيان الفائزان ٤٣ ساعة و١٠ دقائق في التجذيف، فيما عام الاخيران في السباق تيمو وكيمو لان مدة ٥٧ ساعة و٥٩ دقيقة.

ومما يجدر ذكره ان جان بيار رانغلا صرح بعد فوزه "ان الاخيرين هم الذين يستحقون الميداليات لأنهم هم في الحقيقة ابطال سباق الزوارق في دائرة القطب الشمالي."

جون دايسون



قد يكون الصفح أكثر أشكال الثأر تفنناً. ك.د.

مَوْعِدٌ مَعَ العام ٢٠٠٠

هاتف في السيارة وجهاز اتصال في الجيب
وداعاً يا مكاتبنا

انّنا نعيش أزمنة خطيرة. لم يسبق أن توافرت تسهيلات حياتية كثيرة كما اليوم. لنأخذ هاتف السيارة على سبيل المثال: يا له من نعمة للجنس البشري! أو... هل هذا صحيح؟

يسهل هاتف السيارة العمل من داخلها. إنما مع زيادة امكان العمل من داخل السيارة سيزداد لجوء الناس الى سياراتهم. ومع ازدياد عـدد السيـارات يبطـئ السيـر وتزداد الحاجة الى الهاتف في السيارات. فإذ نعلق في ازدحام السير نستطيع بضغط بعض الازرار الاتصال بمكتبنا لنعلم من هناك بأننا سنتـأخـر عن اجتمـاع بسبب الزحمة.

وسيحين وقت لا يضطر أحد الى الوصول الى مركز عـمـله. فتـدار الشركات من الطرق العامة والجانبية وتخلو الابنية الفسيحة الا من شركات انتاج هواتف السيارات.

ولكن هنـاك تهـديـدات تكنـولـوجيـة أخرى، منها أجهزة الإخطار الشخصية وأجهزة الاتصال الثنائية اللاسلكية. ولا أنسى ذلك الرجل الذي شاهدته فـي ردهـة فـنـدق في نيويورك يتحدث الى جيب معطفه بهدوء وإصرار شديدين. كان يكرر: "أنا هنا. أنا هنـا." ظننتـه مجنونـاً كمعظم الناس الذين تـصـادفـهـم فـي نيويورك، ولكن تبين لي لاحقاً أنه رئيس جهاز أمن الفندق.

من جهـة أخـرى، لـنـنـظر الى النـاحيـة الايجابية. لنفترض أن هذه التكنولوجيا الحديثة ستخفف عنا



مهماتنا المملة والمتكررة. اذاً كيف سنمضي أوقاتنا؟

سنعمد الى المشي أو نذهب الى النوادي الرياضية. في هذه الايام ترى الاشخاص الذين لم يعودوا في حاجة الى رفع إبر الفونوغراف يصطفون في طوابير لرفع الاثقال واستعمال معدات التمرين المتطورة. سيتوافر لنا الوقت للحب بالطبع، ولكن آنذاك قد يقاطعنا جهاز الإخطار الشخصي في أي دقيقة.

وهناك دائماً وقت للطعام والشراب، ولكن يبدو أن هذين غائبان عن لوائح الحمية المستقبلية القليلة الدهن والقائمة على التكنولوجيا المتطورة. ما اعتدنا اعتباره طعاماً جيداً أصبح الآن من المحرمات. الحليب والبيض والزبدة والسكر، تلك الوجبة اليومية في طفولتنا، تحولت سموماً داخل شراييننا المرهقة تسد مجاريها. كما أصبح اللحم الطازج ذكرى من الماضي بعد غزوة اللحوم المبردة.

ماذا تبقى لنا؟ السمك، والدجاج المسلوخ، والبسكويت "الخفيف" الذي لا يتميز بطعم، و"الطبخ الحديث" الذي يقدم لقمات صغيرة من قلوب السماني المسلوقة أو أكباد الوروار.

ولكن يتراءى أمل ضئيل في البعيد، اذ تروج أحاديث عن العودة الى وجبات أسلافنا، ويرتكز هذا الطعام الموعود، كما يقال، على البندق والتوت. لنقرن هذا مع رواج رياضة المشي والعدو، ماذا نجد؟ سلالة تركض وتأكل البندق. ومع حلول السنة ٢٠٥٠ نكون جميعاً عدنا الى الاشجار فيما تمشي سياراتنا تلقائياً متصلة بعضها ببعض بواسطة الهاتف.

مايكل بالين



أسئلة وجيهة

لماذا الواصلون الى المسرح متأخرين يحظون دائماً بمقاعد في وسط الصف؟
لماذا يعتاد الناس اقتراف الرذائل أكثر مما يعتادون إتيان الفضائل؟
كيف يعرف المستمعون دائماً متى يتعين على الخطيب ختم كلمته فيما هو نادراً ما يعرف؟
لماذا تُتبع عبارة "هذا ليس من شأني" بكلمة "ولكن"؟

س. س.

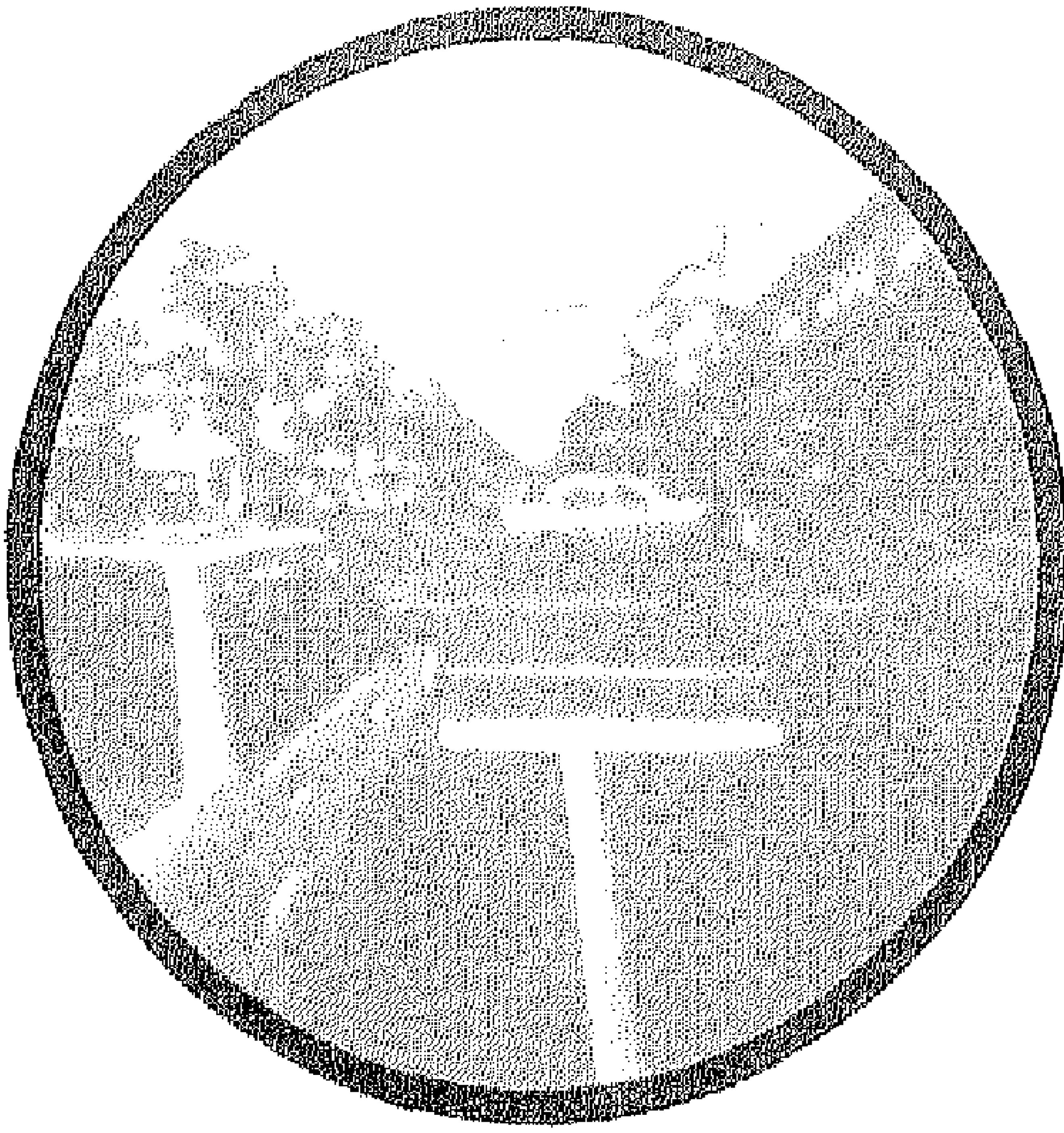
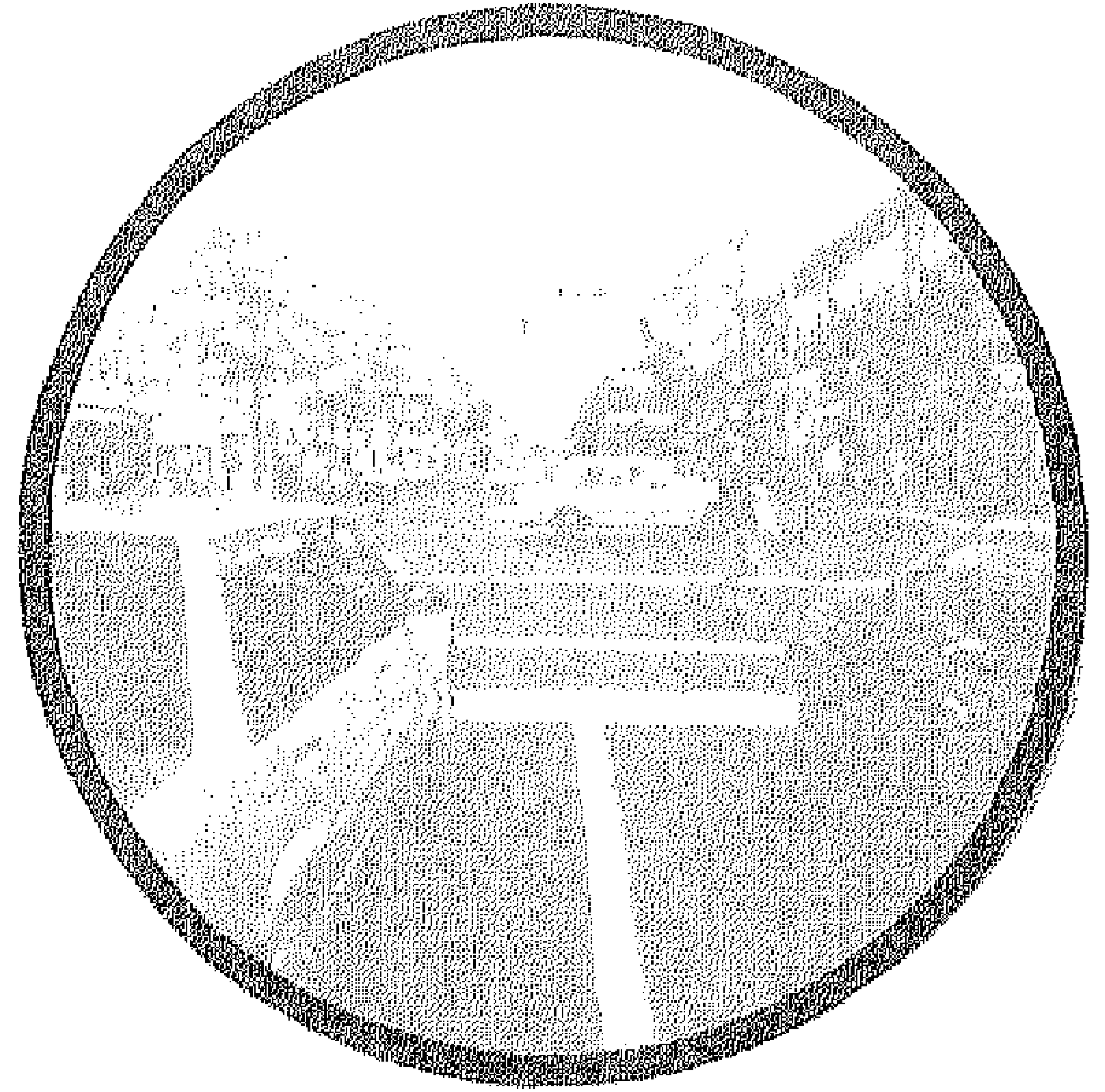
صدق المنجِّمون!

تسلم رجل رسالة لا تحمل الا اسمه، واسم العمارة المغمورة حيث شقته، واسم المدينة. وقرأ على الغلاف بخط أسود غليظ هذه الملاحظة من مصلحة البريد: "لا عنوان! لا رمز بريدي! ألسنا ماهرين حقاً؟"

م.ك.

ان التقدم الكبير في جراحة زرع القرنية يعيد البصر الى ألوف الناس سنوياً

نعمة النظر

منظر في طريق، وكيف يمكن أن يبدو لشخص يعاني خللاً في قرنيته (الى اليسار).

عاش جون ماغير منذ طفولته على شفا العمى. ففي السن السادسة أتلفت عينه اليسرى بحبة خردق طائشة من بندقية فأبدلت بعين اصطناعية بعد سنة من الحادث.

في الاربعينات من عمره بدأ يرى بعينه الصحيحة هالات حول الاضواء، وهذه أولى اشارات الاصابة بالزَرق (غلوكوما) أي تجمّع السائل وارتفاع الضغط في حدقة العين مما قد يؤذي العصب البصري ويؤدي الى العمى. وعولج بتقطير دواء في عينه، وتم ضبط الزرق.

ثم ما لبث ماغير أن أصيب بالسُّد، أي إعتام عدسة العين، فبات يرى الاشياء مغشاة رمادية. وأجريت له جراحة.

في أواسط الخمسينات من عمره بدأ نظره يشح، لكنه في بادىء الامر لم يطلع أحداً على حاله، حتى زوجته، فهو لم يرد أن يزعج أحداً ولا أن يكون موضع اهتمام زائد. وأخذ يتعثر بالصناديق في مخزنه،

«رأيت وجه أمي»

"قبل سنوات ثلاث اكتشف طبيبي أني مصاب بتقوس القرنية (keratoconos) فوصف لي عدسات لاصقة قاسية كعلاج ناجع ووحيد لهذه الحالة.

"لكن العدسات لم تناسبني، ومع الوقت أحدثت في عيني اليسرى تقرحاً. وتعطلت العين وبدأت أعيش معاناة حقيقية، فمن يدري متى تنحو العين اليمنى منحى شقيقتها ويصيبها ما أصابها؟ فضاقني الهم وأخلدت الى الشجون، وكنت تراني ساهماً، مكروب النفس، قلق الخاطر، أطلب الشفاء وأبحث عن مرافىء السكينة.

"وكنت إذذاك في إسبانيا، فعرضت حالتي على الاطباء، فاختلفوا في شأني. أشار علي بعضهم بزرع قرنية، وتحفّظ آخرون عن ذلك. وغرقت في بحر من الحيرة لا قرار له. فصعوبة الاختيار في مثل هذا الموضوع تركتني في دوامة عاصفة من التفكير. وبقيت متردداً بين الاقدام والاحجام، حتى قادني التفكير وسداد رأي بعض الاطباء وتشجيعهم الى القبول بإجراء الجراحة.

"وجاء الفرج، إذ استدعيت الى المستشفى قبيل نهاية العام ١٩٨٧. وأبلغتني مسؤولة في نادي "ليونيس" الرابية (لبنان) بتوافر بضع قرنيات في "بنك العيون"

وتطور الامر فلم يعد قادراً على قيادة السيارة وجزّ العشب أمام منزله. وكفّ أخيراً عن القراءة، ثم تقاعد قسراً وهو في الخامسة والخمسين.

ظل ماغير طوال خمس عشرة سنة يرى العالم كمن ينظر من خلال نافذة ملطخة بالشحم. ولم يتمكن الاطباء من تحديد سبب تلف قرنيته. كان قادراً على التمييز بين النور والظلام، لكن الصور بقيت مغشاة بطبقات ثلاثية. وكان نظره أضعف عشر مرات من النظر العادي، أي أنه يرى من مسافة ٦ أمتار مثلما يرى شخص عادي من مسافة ٦٠ متراً، بحيث يصح اعتباره أعمى بمقتضى القانون.

قرص النور — ماغير هو الآن في الحادية والسبعين من عمره. وهو كان سيبقى مكفوفاً مدى الحياة لولا التقدم المثير الذي أحرزته جراحة زرع القرنية، اذ تعدّت نسبة نجاحها تسعين في المئة. انها حقاً لمن عجائب العصر الحديث. لكن هذا الانجاز لم يحظ بالدعاية الواسعة التي نالتها جراحة زرع القلب ونداءات التبرع بالكبد والكلى.

القرنية هي الواجهة الشفافة للعين، ويجب أن تكون نقية كالبلور لكي يكون النظر جيداً، لانها النافذة الواقية التي يدخل منها الضوء العدسة ومنها الى الشبكية. وهي أشد أعضاء الجسم حساسية، لذلك تطرف عينك ويسيل دمعك عندما تدخلها ذرة من تراب. والقرنية تختص بمرونة رائعة وقدرة على التجدد، اذ عندما تتلف طبقة الخلايا الامامية (بفعل استعمال العدسات

الذي أسسه النادي، وأن هيئة بنك العيون درست حالتي وقررت منحي قرنية. فقبلت المنحة شاكراً ممتناً.

"وفي غرفة العمليات استعد الفريق الطبي لاجراء الجراحة. وفي دقائق عابرة نزعت قرنيتي البالية وزرعت مكانها قرنية وهبها مجهول، رحمة الله عليه. وأفقت على صوت أمي يهتز ويرتعش، وعيناي مغمضتان تسبحان في سواد. وبقيت أياماً في ليلي الدامس أرقب اندلاع النور وسط الظلمات.

"ولما فتحت عيني المصابة رأيت وجه أمي. كما رأيت وجوه القوم حولي تتألق غبطة وتفترّ بشراً. ومنذ اللحظة الاولى أحسست بتحسن نظري، فحمداً لله.

"وها قد انقضت ستة أشهر على اجراء الجراحة، والقرنية الجديدة داخل العين آخذة بالالتئام والالتحام، وقد غدوت فرداً من أسرة العين السعيدة. ووضع عيني اليسرى الآن أفضل كثيراً مما كان، وليس أدلّ على ذلك من أنني أسطر هذه الكلمات، وقد كنت من قبل لا أقدر على الكتابة إذ كان الحبر يتلاشى ويغور في أحضان الورق فأكاد لا أراه.

"ولئن تكن النتائج النهائية لهذه الجراحة تحتاج الى بعض الوقت، فانها أدت قسطاً كبيراً من دورها فأزاحت عني عبئاً ثقيلا كنت أنوء به طوال الايام السالفة.

"وإني أملك أملاً بعيداً كالفجر، وسيفيض النور غامراً باذن الله.

أحمد شفيق دمج – برجا، لبنان"

نُشر باذن من بنك العيون في نادي "ليونيس" الرابية، لبنان.

اللاصقة لمدة طويلة مثلاً) تنمو الخلايا مجدداً.

ولكن هناك بعض اضطرابات، كالجروح والامراض والحروق الكيميائية والعلل الخلقية، ربما أتلفت القرنية بكاملها وعلى نحو دائم، مما يحول دون وصول الضوء الى الشبكية فتفسد الرؤية. وهذه هي الحالة التي يجدي فيها زرع القرنية.

أثناء العملية ينتزع الجراح قرصاً صغيراً من القرنية المصابة بقطر ١٥ مليمتراً ويزرع مكانه قرصاً مماثلا من الواهب المتوفى. هناك طريقتان أساسيتان للزرع: الترميم النافذ للقرنية(١) وهو الأكثر شيوعاً حيث تبدل القرنية بكامل سماكتها، والترميم الرقائقي(٢) وهو تقنية جديدة تعتمد ابدال جزء من سماكة القرنية.

جراحة خارقة – ان أفضل المرشحين لزرع القرنية هم أولئك المصابون بغشاوة أو ندب أو تشوه في قرنيتهم، على أن يكونوا سالمين من الزَرَق أو أي علة في العصب البصري أو الشبكية. يقول الدكتور جاي كراخمر أستاذ طب العيون في كلية الطب بجامعة أيوا: "اذا كان العصب البصري أو الشبكية غير طبيعيين، وإن تكن القرنية في حال جيدة، فان النظر سيبقى غير سليم."

وتضيف الدكتورة ديبورا سنديل من جامعة تنيسي في شاتانوغا التي أجرت الجراحة لماغير: "ليس ضرورياً أن يكون المرء أعمى بمقتضى القانون كي تجرى له جراحة زرع القرنية، وان يكن نظر أكثرية

(١) Penetrating keratoplasty

(٢) Lamellar keratoplasty

المرشحين أضعف عشر مرات أو أكثر من النظر العادي." وقد راوحت أعمار الذين زرعت لهم قرنية بين تسعة أيام ومئة وعامين.

ويمكن اجراء الجراحة من دون الاقامة في المستشفى وبتخدير موضعي أو عمومي. يعمل الطبيب من خلال مجهر ذي قوة عالية. فيعلّم القسم المصاب بواسطة آلة قص أسطوانية، ثم يقص النسيج المعلّم تاركاً فتحة مكانه. تقطع دائرة أكبر من قرنية المتبرع وتثبت في الفتحة ثم يخيطها الجراح بخيط نايلون أرفع من شعر الانسان. (تنزع القطب المثبتة بعد خمسة أشهر وتبقى الخيوط الاخرى لمدة سنة أو أكثر).

بعض المرضى يبصرون في اليوم الذي يلي ازالة الضمادات، لكن النظر يستعيد كامل قوته تدريجاً. وقد يضع المرضى نظارات أو عدسات لاصقة لتحسين الرؤية خلال فترة الشفاء الطويلة، وقد يحتاج بعضهم الى نظارات تصحيحية.

النظرة الاولى – تعزى الموجة العارمة لجراحات زرع القرنية الى أربعة عوامل: أولاً، تقنيات الجراحة المتطورة والمجاهر الاكثر قوة. ثانياً، التقدم في مقاومة نبذ جهاز المناعة في الجسم للانسجة المزروعة. ثالثاً، تحسين طرق حفظ الانسجة الموهوبة، اذ بات يمكن حفظها سالمة لمدة أسبوعين. رابعاً، ازدياد النجاح في الحصول على القرنيات.

ولكن على رغم هذا التقدم لا يزال هناك نقص في عدد الواهبين.

يقول جون ماغير متذكراً لحظة نزع الضمادة عن عينه: "رأيت كل شخص في الغرفة!"

في بادىء الامر وضع نظارات لكي تساعد القرنية على تركيز الرؤية. وبعدما تقدم في الشفاء أعطي عدسات لاصقة خاصة تخترقها الغازات، فزادت نظره دقة. وهو يقول: "صُدمت حين أبصرت ما كان يفوتني."

تجهل عائلة ماغير اسم واهب قرنيته. لكن زوجته تقول: "لولاه لبقي جون أعمى طوال حياته. الكلمات لا تكفي للتعبير عن امتناني. اننا نشكر الله كل يوم على نعمة النظر التي أسبغها على جون."

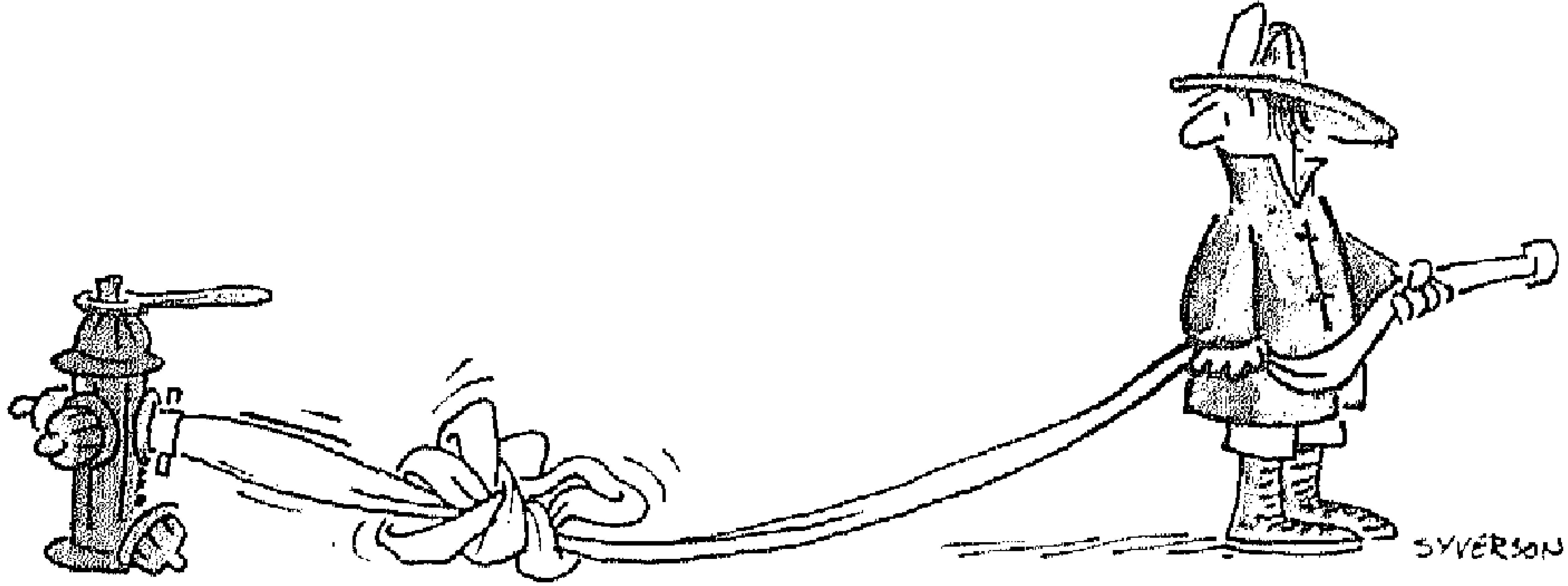
بولا باتيك سبنسر

نور الموسيقى

كان بول توبياس يؤدي عزفاً منفرداً على الفيولونسيل ضمن فرقة "جوييار تشامبر" النيويوركية في ريو دي جانيرو عندما انقطع التيار الكهربائي وعم الظلام مسرح "سيسيليا مايرلس." فحافظ توبياس على هدوئه وظل يعزف أمام الجمهور المحتشد. ووسط بهجة محبي الموسيقى راح يرتجل مستلهماً قطعة موسيقية لتشايكوفسكي. وفي نهاية الحفلة صفق له الجمهور وقوفاً وحمله على العودة الى المسرح مراراً، للتحية.

ف. س. ب.

حديقة افكار



- ☐ لا شيء يستطيع مقاومة هجمة الضحك.

مارك توين، كاتب أمريكي

- ☐ من السطحية أن نحيا من أجل هدف مستقبلي فقط، فسفوح الجبال هي دعامة الحياة، لا قممها.

ر.ب.

- ☐ الاستعداد التام يصنع الحظوظ.

ج.ب.

- ☐ أوّل صباح من أسبوع العمل هو أفضل علاج للأرق.

س.ك.

- ☐ ما زال عمل الفرد الشرارة التي تدفع البشرية الى الامام.

أ.س.

- ☐ أعتقد أن الزواج يجب أن يكون قاسياً وجديداً وغريباً، فيجعلك تكسر قوقعتك وتنطلق في عالم آخر وأكبر.

آن مورو ليندبرغ، كاتبة أمريكية

- ☐ ليس أسوأ من أن تكون نشيطاً ولا عمل لديك.

أ.ل.

- ☐ قد نجتاز الحياة بقلة أدب، لكن حسن الأدب يسهّلها.

ليليان غيش، ممثلة أمريكية



جوهر الزواج الناجح

يسمو فوق الرومنسية والاعجاب ليصبح أساس شراكة ثابتة

ليس الاحترام بنداً ضمن عهود الزواج، ولا تعلّم الكتب طرق ممارسته. ومع ذلك فهو محور الزواج السعيد المتين.

أجل، الاحترام. قد يبدو كلمة غريبة ورسميّة هذه الايام. لكنه شعور يتحدث عنه أزواج ناجحون باقتناع مؤثر.

في كتابها "الازواج الصامدون في عصر الطلاق" (★) قابلت المؤلفة فرنسين كلاغسبرن ٨٧ زوجاً ونساءهم اقترنوا قبل ١٥ عاماً أو أكثر. كانت تأمل تحديد العوامل التي ساعدت في ديمومة هذه الزيجات ونجاحها في وقت انتهى كثير غيرها الى الطلاق. فاتضح أن الاحترام هو العنصر الفاعل. وتقول كلاغسبرن إن غالبية من قابلتهم أجابوا: "أنا أحترمه" أو "أنا أحترمها."

ما هذا الذي يسمونه احتراماً؟

انه يختلف عن الاعجاب. وتذكر الدكتورة الكسندرا سيموندز أستاذة الطب النفسي العيادي في كلية الطب

(★) Married People: Staying Together in the Age of Divorce.

بجامعة نيويورك: "عندما تقع في الغرام تعجب بالفريق الآخر. تنبهر به كما ينبهر طفل بوالده."

ينمو هذا الاعجاب الرومنسي معتمداً الوهم أن الشخص الآخر "مثالي لك." لذا لا يدوم طويلا. وتفسر فرنسين كلاغسبرن السبب: "بعد حين تجد أن من تزوجت لا يتطابق مع توقعاتك تماماً. فهناك تباين في الشخصية وفي التصرفات وفي وجهات الحياة."

يمكنك أن تحاول تغيير الشريك ليقرب من المثال الذي نسجته مخيلتك. إنما من أجل ديمومة زواجكما وازدهاره عليكما "الاتفاق على الاختلاف." إقبل بتضارب الآراء وتعلم افساح المجال للفريق الآخر للتعبير عن ذاته. بسلوكك هذه الطريق تبدأ تنمية احترام متبادل. فالاحترام بين الانداد واقع يُلمس.

تروي الدكتورة سيموندز: "يهوى زوج إحدى مريضاتي الرياضة، وخصوصاً كرة المضرب، أما هي فتفضل الذهاب الى مسرح أو المكوث في المنزل للمطالعة. يمكنها أن تقول ببساطة: "أذواقنا مختلفة،" لكنها بدل ذلك تقول: "كيف يمكنه أن يبدد الوقت والمال بتلك الطريقة؟" انها تحبطه وتحط من قدره."

هذا الاستخفاف الكلامي هو المظهر الاوضح والسلاح الرئيسي لفقدان الاحترام، أو الازدراء. وتضيف سيموندز: "الازدراء هو أسوأ الاحاسيس، إذ يُشعر الشخص الآخر بعدم قيمته."

لقد صادفنا عدة زيجات يتعرض فيها أحد الفريقين أو كلاهما لشريكه بقسوة متحججاً بأن "ذلك من أجل مصلحتك." لا تُرعى "المصلحة" بهذه النبرة العدائية. تتذمر الزوجة باستمرار طالبة من زوجها مزيداً من الطموح، فتشعره بالاخفاق لأنه يفضل العمل الحرفي أو الوظيفة على الاعمال التنافسية الحرة. أو يتهم الزوج امرأته بإضاعة الوقت مع صديقاتها: "لمَ لا تقومين بعمل مثمر؟"

في الزيجات الناجحة يعزز كل من الزوجين احترام الذات في الآخر. قد يظهر أحدهما جهلا ظريفاً للأمور المفضلة عند الآخر، لكنه لا يشعره بالغباء أبداً. وتتحدث الدكتورة ألكسندرا سيموندز عن زوجها مارتن الجراح والطبيب النفساني: "يفضل مارتي تمضية يوم عطلة مشمس في القبو حيث يمارس هواية النجارة."

هناك ولع في هذا التعبير ودعم متين لحقّ الآخر في التصرف على هواه. ويمكن التعبير عن الاحترام بعبارات مثل: "لا أود الذهاب الى الحفلة الموسيقية، ولكن تمتّع بها ما أمكن." أو: "طبعاً سآتي معك، ولكن لا تحنق إن استغرقت في النوم."

الاحترام إذاً هو تقدير "انفصالية" الآخر والاساليب التي تميزه. ويستغرق اكتشاف هذه الامور وتقبلها وقتاً طويلا. ولهذا السبب يُعتبر الاحترام ميزة النضج في الزواج لا ميزة الغرام المتأجج الاول. لكن هذا لا يعني أن الازواج الذين يتبادلون الاحترام يعتمدون قاعدة "إتبع طريقك وأنا سأتبع طريقي". بل على العكس تماماً، الاحترام هو "ما يشدكما ويساعد كلا منكما على التعلم من الآخر وقبول وجهة نظره وجعلها جزءاً منك،" كما ترى كلاغسبرن.

أنـا وزوجي من عالمين مختلفين وجيلين مختلفين. فهو أوروبي عايش الحرب العالمية الثانية ويكبرني بـ١٨ عاماً. لذا نصطدم في بعض الاحيان. لكننا اكتسبنا احتراماً متبادلا على رغم بعض التضاربات التي أزعجتنا كثيراً في السابق. والنتيجة أننا أصبحنا أكثر تشابهاً. لقد اقتبست نزعته الى اتخاذ مواقف صلبة من أمور الحياة، واقتبس هو بعضاً من تسامحي مع الآخرين. وازداد إعجابي وتقديري لموسيقى الجاز، وبات هو يستمع الى ضجيج الـ"روك - اند - رول."

تلك هي مفارقة الزواج النـاجح: بالاحترام فقط تشقان الطريق نحو التغيير. ويكمن المعنى الراسخ للاحترام في كلمة "التطلع." فالاحترام نظرة واضحة ولكن بعين محبّة، ترى الواقع كما هو لكنها ترى أيضاً ما يُحتمل أن يكون وتحاول جعله مثمراً. الاحترام هو فن الحب الذي يكرِّم به كل زوج الصفات الفريدة والفضلى في زوجه.

آني غوتليب



سكرتيرة جائعة

قبيل وقت الغداء خرج المدير من مكتبه وناول السكرتيرة حزمة من الاوراق. فقطبت هذه حاجبيها وبدأت تضرب بعنف على آلتها الكاتبة.

فقال لها المدير: "رويدك يا آنسة، فالعمل الشاق ما قتل انساناً قط."

فردت السكرتيرة: "ربما كان ذلك صحيحاً، لكن الجوع قاتل."

ب.ف.

المرأة الأخرى

قالت الابنة لأمها المطلقة: "أمس أحضر أبي امرأة الى البيت."

فصاحب الام: "هل بلغت به القحّة أن يسكنك في ذلك الجو القذر؟"

فردت الابنة: "هذا ما قالته المرأة ايضاً لأبي، وهي انصرفت من غير أن تنظف النوافذ!"

ر.د.

غداء الجمعية

كان أحد زملائنا في العمل يأتي بطعامه المطبوخ من البيت فيما نطلب نحن طعام الغداء من المطعم المجاور. وكثيراً ما استغفلناه واستولينا على غدائه.

وذات يوم اغتنمنا فرصة انشغاله ففتحنا علبة زاده بلهفة. ولشد ما كانت دهشتنا عندما وجدنا في العلبة الفارغة بطاقة كتب عليها: "آسف أيها الاصدقاء، زوجتي مسافرة."

م.س.ف.

رامانوجان عبقري سبق زمانه

الفقر والعزلة لم يحدّا عبقريته فوضع نظريات أذهلت علماء الرياضيات الى اليوم

كان ج. هاردي منزعجاً. فعالِم الرياضيات الشهير هذا في جامعة كمبردج تلقى لتوّه رسالة من هندي يدعى سرينيفاسا رامانوجان يطلب فيها رأيه في مئة وعشرين نظرية رياضية قال إنه اكتشفها. ولقد اعتاد هاردي أن يتلقى في انتظام رسائل مماثلة من مهووسين يدّعون حل أنواع شتى من المسائل الرياضية. والرسالة تلك لم تبدُ مختلفة عن سواها، فرماها هاردي بنظرة اشمئزاز.

كانت بين النظريات المعروضة واحدة أو اثنتان معروفتان من قبل، أما معظم النظريات الباقية فكانت غير مفهومة وأحياناً غير معقولة. فقال هاردي في نفسه: لا بد ان يكون رامانوجان دجّالا مخادعاً. وألقى بالرسالة جانباً.

إلا أن الرسالة ظلّت تراود خياله طوال ذلك النهار. ترى ماذا يشده الى تلك النظريات الغريبة العجيبة؟ في المساء استدعى ج. لتلوود، وهو عالم رياضيات لامع آخر في جامعة كمبردج، وأكبّ الاثنان على تقويم عمل ذلك الهندي.

ما ان انتصف الليل حتى تجلّت أمامهما الحقيقة: ان سرينيفاسا رامانوجان نابغة عبقري. وشرح هاردي الامر لاحقاً بقوله ان تلك النظريات الغريبة لا بد من أن تكون صحيحة لأنه "لا يمكن أحداً أن يملك الخيال لاختراعها. وعلماء الرياضيات العظام هم أكثر عدداً من اللصوص أو الدجالين الذين يتمتعون بمهارات كهذه."

هذا الحادث في يناير (كانون الثاني) ١٩١٣ شكل نقطة تحوّل في تاريخ

الرياضيات. كان رامانوجان آنذاك كاتباً مغموراً في احدى شركات مدراس بالهند. وبعد أقل من سنة دخل جامعة كبردج، وبدأ العالَم يعترف به واحداً من أكثر علماء الرياضيات إدهاشاً. ومع أنه توفي في العام ١٩٢٠، فقد ظل جزء كبير من أعماله سابقاً لعصره الى درجة أن بعضه لم يُفهم كما ينبغي إلا في السنوات الأخيرة. والواقع أن النتائج التي توصل اليها تساهم حالياً في حل بعض معضلات علم الادمغة الالكترونية والفيزياء، وهما حقلان لم يكن يملك أي فكرة، وإن غامضة، عنهما.

والى ذلك، لرامانوجان عند الهنود أهمية خاصة. يقول الدكتور س.س. رانغاشاري من مدرسة الرياضيات في معهد تاتا للأبحاث الاساسية في بومباي: "قبل رامانوجان لم تكن الهند انتجت عالم رياضيات من الدرجة الاولى منذ مئات السنين. إلا أن أعماله ألهمت عدداً كبيراً من الهنود اتخاذ الرياضيات مهنة. وهو أشاع بيننا شعوراً بالثقة بالنفس، ومنذئذ عرفت الهند عدداً كبيراً من علماء الرياضيات ذوي الوزن العالمي."

رياضي منذ الطفولة – يقع قسم كبير من أعمال رامانوجان ضمن نطاق "نظرية الاعداد" (١) وهي فرع من الرياضيات يبحث في القواعد الدقيقة والعلاقات التي تنظم الاعداد. ويصف علماء الرياضيات النتائج التي توصّل اليها بأنها "أنيقة" و"جميلة" غير أنها أكثر تعقيداً من أن يقدرها الشخص العادي. أما حياته الخاصة فمسألة أخرى. فهي مليئة بالمآسي والمحن ومن أكثر قصص الرياضيات رومنسية، وتذكر بأن النبوغ يقدر أن يبرز ويزدهر حتى في أقل الظروف وعداً بالنجاح.

رامانوجان الذي مضت على ولادته ١٠٠ سنة سليل عائلة فقيرة تنتمي الى طبقة "البراهمة أيانغار" الرفيعة المستوى. وكان والده كوبوسوامي محاسباً ذا أجر متدن يعمل عند تاجر أقمشة في كومباكونام، ووالدته كومالاتامال تؤجر غرفاً في بيتها دعماً لموارد العائلة.

ومثل كثير من الموهوبين والعباقرة كان رامانوجان بكر أبويه.

ظهر اهتمام رامانوجان بالرياضيات في سن مبكرة جدا. ومن الامور التي أثارت فضوله، وهو طفل، أشكال النجوم والمسافات بينها، وهو حسب قطر الارض عند خط الاستواء وحده من دون مساعدة أحد. واقراراً بمواهبه كان معلموه يكلفونه إعداد برامج الدروس.

والى الارقام شغف رامانوجان بالكتابات القديمة، واستظهر مقاطع طويلة من الكتب السنسكريتية الكلاسيكية وكان يهوى تلاوتها.

انتاج غزير – في السن الخامسة عشرة استعار رامانوجان من مكتبة الكلية في بلدته كتاباً مدرسياً متقدماً في الرياضيات. لم يكن الكتاب جيداً، فهو عبارة عن فهرس لبعض النتائج من دون براهين شاملة، لكنه حمل اليه من السحر ما شكّل له دافعاً الى الانطلاق في أعماله الخلّاقة.

(١) Number Theory

في العام ١٩٠٣ جاء ترتيب رامانوجان الأول في امتحان التخرّج في مدرسته وحاز منحة جامعية. لكن انشغاله التام بالرياضيات أعاق تحصيله في المواضيع الاخرى، فرسب مرتين في الامتحانات الجامعية.

عرف رامانوجان في الجامعة أتعس سنوات عمره. وكان والداه رزقا طفلين آخرين فصارت العائلة في وضع مالي حرج لم تعرف مثله من قبل.

وعندما أصرّ والداه اللذان ساءهما فشله في الجامعة، على أن يجني بعض المال بدأ يعطي دروساً خاصة في الرياضيات. لكنه كان معلّماً ضعيفاً يشرح أموراً فوق مستوى الطلاب وادراكهم، وهم سرعان ما انقطعوا عن المجيء اليه.

كان عزاء رامانوجان الوحيد في تلك الفترة عمله في الرياضيات. لكنه لم يكن يجد من يفهم أعماله، وقد قطع فيها شوطاً متخطياً جميع الكتب المدرسية المتوافرة في كومباكونام. كان رأسه يعج بالافكار فيكبّ على دراستها على نحو محموم، وأحياناً يختبىء تحت السرير تجنباً لغضب والديه.

وأملا في إعادته الى أرض الواقع، زوّجه والداه في العام ١٩٠٩ عروساً تدعى جاناكيامال لم تكن جاوزت العاشرة من عمرها، وهي لذلك لم تكن تأتي الى كومباكونام الا في المناسبات. والواقع أن الزوجين لم يمضيا معاً سوى ثلاث سنوات من أصل إحدى عشرة سنة زواجاً.

في غضون ذلك، وتحت الحاح الحاجة الى العمل، قصد رامانوجان أشخاصاً مهتمين بالرياضيات طالباً المساعدة. وكانت تلك خطوة حكيمة من جانبه. ولشدة اعجاب رامشندرا راو، وهو جابي نولور الذي أصبح في ما بعد رئيس "الجمعية الهندية للرياضيات"، بما رآه مدوناً في دفاتره (على رغم عدم فهمه اياه) عرض أن يدفع له راتباً شهرياً.

قبل رامانوجان العرض، الا أنه شعر بالذل وأبى أن يعيش على الاحسان واستمر يبحث عن عمل. أخيراً، في شهر مارس (آذار) ١٩١٢ وبفضل المدير الذي كان عالم رياضيات هاوياً، حصل رامانوجان على وظيفة مكتبية في شركة المرفأ في مدراس. لم يكن العمل يدر عليه مالا وفيراً (٢٥ روبية في الشهر) أو يسمح له بشراء ما يحتاج اليه من ورق، فاضطر الى تدوين معادلاته على ورق التغليف المرمي في سلال المهملات. وعلى رغم فقره تميزت تلك الفترة من حياته بغزارة الانتاج، وكان عمله يستغرقه كلياً حتى انه كان ينسى أن يخلد الى النوم أو أن يأكل. وكانت زوجته وأمه تطعمانه، وهو يعمل، كي يستطيع الاستمرار في الكتابة.

حلم الأم – في تلك الاثناء نشرت بعض أعمال رامانوجان في مجلة "الجمعية الهندية للرياضيات" وأصبح وجوده مألوفاً في الاوساط التي تعنى بالرياضيات في مدراس. وهو كان بقامته القصيرة الممتلئة ورأسه الكبير وعينيه اللامعتين الثاقبتين وشعره الطويل المربوط الى الوراء تمشياً مع العادات البراهمية، يخلّف انطباعاً قوياً في أنفس كل من يلتقيهم. على أن الهند كانت في ذلك

الوقت في حال ركود ولم يكن فيها أحد جديراً بأن يقوّم عمل رامانوجان أو يمدّه بالحافز الذهني الضروري، فألح عليه أصدقاؤه لكي يرسل أعماله الى بريطانيا التي كانت آنذاك أحد أهم مراكز الابحاث الرياضية في العالم.

كتب رامانوجان ثلاث مرات الى علماء رياضيات بارزين، وتلقى ثلاث مرات إجابات مبهمة. ثم في ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩١٣ كتب الى ج. هاردي الرسالة التي غيّرت مجرى حياته وأفضت الى مشاركة ذهنية خارقة.

حالما أدرك هاردي قيمة رامانوجان العلمية حضه على الحضور الى كمبردج والعمل فيها. الا أن والدته رفضت الفكرة رفضاً باتاً. فوفق العقيدة البراهمية التقليدية، كل من يعبر البحار يفقد مكانته الطبقية عندما يرجع وينبذه المجتمع. ثم انه تلقى في شهر مايو (أيار) ١٩١٣ منحة لاجراء أبحاث في جامعة مدراس، مدّتها سنتان وتدر عليه ٧٥ روبية (٦ دولارات) في الشهر. فبقي في الهند. وللمرة الاولى في حياته ارتفع رامانوجان فوق العوز المادي وأصبح حراً يصرف نهاره مفكراً في الرياضيات من دون أن تقضه فكرة من أين يأتي بالمال ليعيل عائلته.

ومن المفارقات أن والدة رامانوجان كانت اول من كسر طوق التقاليد حوله. فهي أفاقت ذات يوم من نومها وأعلنت أنها رأت حلماً ظهر فيه ابنها جالساً في غرفة فسيحة يحوطه أناس أوروبيون، ثم سمعت صوتاً ينهاها عن الوقوف في طريق ابنها.

السرير الانكليزي – وصل رامانوجان الى جامعة كمبردج في ابريل (نيسان) ١٩١٤ قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ببضعة أشهر. ولا تذكر السجلات شيئاً عن لقائه الاول وهاردي، إلا أنه ليس من رجلين أشدّ اختلافاً منهما. كان هاردي في السابعة والثلاثين من عمره آنذاك، ناحل الجسم، جميل الطلعة، يهوى لعبة "الكريكيت" وكان عقلانياً مشككاً. أما رامانوجان الممتلىء الجسم وعدو الرياضة فكان مؤمناً ورعاً. وهو قال ذات مرة: "ليس لأي معادلة معنى ما لم تكن تعبيراً عن حكمة الله سبحانه وتعالى."

ولم يكن تعاطي الرجلين الرياضيات أقل اختلافاً. هاردي عقلاني منهجي، ورامانوجان حدسي يدرك الامور بالبديهة ولا يهتم بإثبات نتائجه بدقّة وصرامة. ولأنه درس على نفسه كان يعاني نقصاً في المعلومات العائدة الى بعض النواحي الاساسية في الرياضيات الحديثة. وكان على هاردي أن يسد تلك الثغرات من دون أن يسيء الى ثقة رامانوجان بنفسه أو أن يُنضب إلهامه. وفي وقت لاحق قال هاردي: "لقد نجحت في ذلك، غير أنه من البيّن أنني تعلّمت منه أكثر كثيراً مما تعلم هو مني." وخلال إقامة رامانوجان في بريطانيا، التي دامت خمس سنوات، شارك هاردي في انتاج أروع المقالات والابحاث في علم الرياضيات.

في كمبردج اشتهر رامانوجان كعالم رياضيات. وقال هاردي ذات مرة: "كان يريني بضع نظريات جديدة كل يوم." ومع ذلك فانه لم يحبّ يوماً العيش في بريطانيا، وكان يكره طقسها البارد

الرطب الذي يختلف كثيراً عن طقس مدراس المشمس. والحقيقة أن لياليه الاولى في كمبردج كانت غير مريحة أبداً، وهو لم ينعم بليلة واحدة من النوم الهنيء إلا بعدما شرح له أحد أصدقائه الهنود طريقة ترتيب الأسرة في بلاد الانكليز وأخبره ان الحرامات توضع تحت الملاءة. وهو كان الى ذلك الحين يستلقي تحت غطاء السرير مرتجفاً ومرتدياً معطفه ومتدثراً بشاله!

عدد شائق - الطعام أيضاً كان مشكلة بالنسبة الى رامانوجان. فهو كان نباتياً متزمتاً يقتصر طعامه على البقول والحبوب والفاكهة، ولذا كان شديد الحرص على اختيار طعامه، يحضّره عادة بنفسه في غرفته. مرة كان ينزل في أحد فنادق لندن العائلية حيث قدم اليه شراب "أوفالتين." وبعدما فرغ من تناوله نظر الى العلبة وراعه أنّ بين محتوياته مسحوق البيض. واتفق بعد بضع ساعات أن فاجأته غارة جوية وهو في الشارع، ومع أنه لم يصب بأذى فقد ظل مقتنعاً بأن ما حدث كان عقاباً من الله.

وفي ما عدا مثل تلك الهفوات غير المقصودة عاش رامانوجان في بريطانيا هندوسياً مستقيم الرأي. وهو خصص في شقته في الجامعة غرفة للصلاة يؤدي فيها فروضها في انتظام. ومع أنه كان يرتدي الزي الاوروبي عندما يخرج، فانه كان في غرفته يرتدي الزي الهندي المعروف ويضع شارة طبقية ويمشي حافي القدمين. وكان محبوباً بين الهنود في كمبردج وله بينهم أصدقاء يدعوهم في المناسبات الى تناول الطعام عنده. كان مضيفاً جيداً يحضر لزواره أصنافاً نباتية شهية ويرفّه عنهم بالاحاجي الرياضية السهلة.

أمضى رامانوجان في كمبردج ثلاث سنوات غزيرة الانتاج. وفي ربيع ١٩١٧ اعتلت صحته، واشتبه بأنه مصاب بالسل، لكن الراجح أنه كان يعاني نقصاً شديداً في الفيتامينات. ورأى الاطباء أن صحته قد تتحسن اذا ما عاد الى وطنه، لكن الحرب التي كانت دائرة آنذاك جعلت السفر محفوفاً بالمخاطر فظل في بريطانيا. وفي السنتين التاليتين دخل المستشفى غير مرة وراحت صحته تنهار تدرُّجاً انما من دون أن يؤثر ذلك في قدراته ومواهبه الرياضية. فمرة كان هاردي يعوده في المستشفى وراح يتحدث معه عن رقم السيارة التي أوصلته الى المستشفى.

قال هاردي: "كان الرقم ١٧٢٩، وبدا لي عدداً باهتاً."

فاعترض رامانوجان: "لا يا هاردي، لا. انه عدد ممتع وشائق جدا. فهو أصغر عدد يساوي مجموع عددين مكعّبين بطريقتين مختلفتين" (٢).

رياضي "معاصر" - مسألة أخرى غير المرض عذّبت رامانوجان في ذلك الوقت. فلقد تبيّن له أن جزءاً كبيرا من عمله في الهند كان مجرد إعادة اكتشاف لنظريات سبقه اليها علماء الرياضيات الاوروبيون. يا للسنوات الثمينة المهدرة! كل

(٢) الطريقة الاولى: ١٧٢٩ = (١٢×١٢×١٢) + (١×١×١). والطريقة الثانية: ١٧٢٩ = (٩×٩×٩) + (١٠×١٠×١٠).

انجازاته في بريطانيا لن تعوّض تلك الخسارة الفادحة. وتملكه حزن كبير واستبدت به الكآبة والشعور بالوحدة، فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه أمام قطار مقبل، لكن القطار توقف قبل فوات الأوان. وقُبض على رامانوجان لكن هاردي أقنع الشرطة باطلاقه.

بعد ذلك بوقت قصير تلقى رامانوجان جائزتين فريدتين. ففي فبراير (شباط) ١٩١٨ انتخب عضوا في "الجمعية الملكية" وأصبح الهندي الثاني الذي يلقى هذا التكريم. وبعد بضعة أشهر أصبح أول هندي ينتخب عضواً في ادارة كلية "ترينيتي" بجامعة كمبردج.

في أواخر العام ١٩١٨ أبلّ رامانوجان جزئياً من مرضه، وفي فبراير (شباط) ١٩١٩ سافر الى وطنه بحراً وكان ضامراً، شديد الهزال.

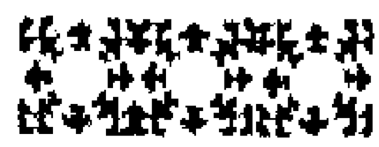
استقبله بنو وطنه استقبال الابطال، ولكن لا الطقس الدافىء ولا طهو زوجته جناكي أفلحا في تحسين صحته. ومع أنه إستمر يكتب الى هاردي ولم ينقطع عن عمله في الرياضيات، فقد كان واضحاً أن النهاية دنت. وفي الصباح الباكر من ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ أسلم الروح.

خلّف رامانوجان ألوف النظريات غير المنشورة التي عثر عليها لاحقاً في دفاتره وعلى أوراق مبعثرة. وظل تراثه موضع اعجاب علماء الرياضيات. وذات مرة استعار الرياضي المجري (الهنغاري) اللامع جورج بوليا دفاتره من هاردي ثم أعادها اليه بعد يومين وهو في حال رعب. وشرح الامر قائلا ان نظريات رامانوجان استحوذت على تفكيره كلياً مما جعله يهمل عمله. وقد صرف علماء رياضيات آخرون سنوات طويلة محاولين حلّ نظرياته واثباتها، وكانت نتيجة جهودهم أن نشأت فروع جديدة من الاختصاصات.

والواقع أنه بعد انقضاء أكثر من ستين سنة على وفاة رامانوجان ما زالت بعض تبصراته واكتشافاته وثيقة الصلة بكثير من مسائل الرياضيات المعقدة الحديثة. ويقول الدكتور رينشارد اسكي من جامعة وسكونسن الامريكية: "من المؤسف أن ولادة رامانوجان لم تتأخر مئة سنة. فرائع أن يكون بيننا عالم له بصيرته وبديهته."

أما الاستاذ فريمان ديسون من معهد الدراسات العليا في جامعة برنستون في نيوجرزي فيقول: "أحرص دائماً على قراءة الرسائل الواردة من أماكن غير معروفة والمدوّنة بخط لا يقرأ علّني أجد بينها واحدة من رامانوجان آخر."

ب. ساندرسان و ر. بادمافيجايام



قشة البعير

شوهد رجل في سيرك واقفاً قرب جمل مربوط. فجأة انحنى والتقط قشة ووضعها على ظهر الجمل ثم ابتعد متوقعاً حدوث شيء، فلما خاب ظنه همهم وهو يغادر السيرك: "هذه ليست القشة التي تقصم ظهر البعير!"

ب.غ.

عزيزتي آن لاندرز...

نصائح عملية من محررة بارزة لزاوية الاستشارات الشخصية

إن عملي الطويل في تحرير زاوية الاستشارات الشخصية في عدّة صحف علمني الكثير عن الدور الذي يؤديه المال في حياة الناس. فنصف المشاكل المالية ترد عليّ من قراء أقرضوا مالاً لصديق أو قريب. لنأخذ القصة الآتية مثلاً:

عزيزتنا آن لاندرز،

في السنة الماضية أقرضنا بعض الاصدقاء مالاً ورفضنا أن نتقاضى منهم أي فائدة، وهم تعهدوا دفع ٣٥ دولاراً كل شهر لتسديد المبلغ. استمروا في الدفع مدّة ثلاثة أشهر ثم توقفوا. وقد انقضت أربعة أشهر من دون أن نتلقى منهم حتى مكالمة هاتفية. يظهر أنهم يخجلون من مواجهتنا.

من المؤسف اننا فقدنا صداقتهم. كيف نتصرّف في المستقبل إزاء مثل ذلك الطلب؟

صديقان نادمان

عزيزيَّ النادمين،

لا تعقدا قروضاً شخصيّة. أقترح أن يكون القرض من مصرف وتوقعاه ككفيلين. قد تطاولكما المسؤولية بهذه الصفة، لكنكما ستكونان أوفر حظاً إذا ما صدر التذكير بالدفع عن مصرف وليس عن صديق.

هل أنا من مؤيدي قول شكسبير: "لا تكن دائناً ولا مديناً"؟ لا. فبعض الناس لا يتهربون من دفع ديونهم، والانسان الذي يمتنع عن مساعدة الآخرين أناني ولا معنى لحياته. أما الحلّ فيكمن في مدّ يد المساعدة، ولكن على أساس تعامل تعاقدي جدي. فالاتفاق المكتوب ينفع

Condensed from «Ann Landers Says: Truth Is Stranger...,»

جداً عندما تخون المرء ذاكرته أو تخبو حرارة عرفانه.

ثمة أمر آخر مثير للاهتمام يظهره البريد الذي أتلقاه. فقلّة المال ربما شكلت ضيقاً أو حرماناً، لكنها ليست سبباً للبؤس أو الحزن متى وُجدت موازنات متكافئة. وملايين الناس يكافحون ويجاهدون من أجل تغطية مصاريفهم الضروريّة، ويقومون بأود أنفسهم وعيالهم. قد يتذمرون أحياناً، ولكن ما يبقي على سلامتهم النفسيّة والجسديّة ويحول دون انهيارهم هو وجود عنصر بشري معوّض في حياتهم: زوج محبّ أو زوجة صالحة أو أولاد يحتاجون اليهم ويبادلونهم الحب.

من جهة أخرى، ترد علي رسائل من مئات النساء اللواتي يملكن بيوتاً جميلة وثياباً انيقة وموارد مالية غير محدودة، ومع ذلك هنّ مكتئبات هائمات لا يسيّرهنّ هدف. ومنهن من لا تجد سبباً للاستمرار في الحياة على رغم سهولة عيشتها ويسرها المادي. هنا تكمن المشكلة في اعتقادي، فربما كانت حياتهن غاية في السهولة. وفي غياب هدف يكافح المرء لتحقيقه وتحديّات يتغلب عليها، تفقد الحياة نكهتها وتصبح من دون طعم.

وفي ما يأتي بضع رسائل متبادلة متعلّقة بمشاكل ماليّة نموذجية:

عزيزتي آن لاندرز،

بعد تخرّج ابننا في المدرسة الثانوية قبل سنتين، وكان عمره عشرين سنة، حصل على وظيفة قريبة من المنزل. ما زلت أغسل ثيابه وأحضّر له فطوراً صحيّا مغذّياً، ونادراً ما يفوّت وجبة العشاء في البيت. ألمحت اليه أنني قد أفيد من بعض المال (لدي أربعة أولاد آخرين يصغرونه) لكنه تجاهل الملاحظة.

هل تعتقدين أنه يجب عليّ أن أطلب منه بصراحة أن يدفع مالاً في مقابل طعامه وبقائه في البيت، أم أن ذلك يُعدّ جشعاً؟

أمّ

عزيزتي الأم،

اقترح أن يدفع لك ابنك ٢٥ في المئة من راتبه. هذه "معادلة آن لاندرز" المطبقة على الاولاد غير المتزوجين الذي يبقون في البيت ويتمتعون بجميع وسائل الراحة التي اعتادوها في طفولتهم وصباهم. لا تلمحي، بل قولي له ذلك صراحة!

عزيزتي آن لاندرز،

مضى على زواجنا ٣٢ سنة وعشنا معا سنوات جميلة. كان جورج يدبر تجارة ناجحة ويجري استثمارات جيّدة ويتكفّل بجميع المصاريف ويخصني بمبلغ نقدي شهرياً. وإذا احتجت الى مال اضافي كان يدفعه من دون مناقشة، وأنا بدوري لم أعتد أن أطرح أسئلة.

ومنذ أسبوعين توفي جورج على أثر نزف دماغي وخلّف فوضى رهيبة. فالوصيّة عمرها عشر سنين. وقد أخبرني شريك سابق له أنه يملك أسهماً وسندات أودعها خزائن فولاذية في مصارف خارج المدينة. ونحن نفتش عنها الآن. نصيحتي الى الزوجات ألا يدعن ازواجهن "يحمونهنّ" مثلما فعل زوجي، وأن يطرحن عليهم السؤال: "إذا متّ غداً، فهل تظن أن شؤونك ستكون على ما تروم لها من ترتيب؟" ليتني أنا طرحت عليه هذا السؤال!

نرجسة

عزيزتي نرجسة،

ربما كانت قراءة رسالتك أهم ما تفعله ألوف الزوجات اليوم. فشكراً لك.

القول إن النساء مشوشات العقول في ما يتعلق بالامور المالية خرافة. ويتضح من الرسائل التي أتلقاها أن مشاكل الموازنة تعود غالباً الى غباوة الزوج في الامور الماليّة.

ترد علي أحياناً رسائل كتلك التي يقول فيها أحد الأزواج: "سوف ينتهي بنا الأمر الى مأوى المعوزين إذا استمرت زوجتي في شراء كل ما تقع عليه عيناها." غير ان رسائل الزوجات اللواتي يشتكين من أزواج مبذّرين تزيد على تلك التي أتلقاها من الأزواج الذين يرددون الشكوى نفسها. وصلتني مثلا رسالة كتبت فيها إحدى الزوجات: "اشترى زوجي دراجة نارية جديدة فيما لا نزال نسدّد فواتير الاطباء منذ الحادث الأخير الذي تعرّض له وهو يقود الدراجة السابقة."

عزيزتي آن لاندرز،

لا أوافقك الرأي على اجابتك تلك الام التي أرادت أن تستفهم عمّا إذا كانت تحق لأولادها زيادة في مصروف الجيب على أساس أن والدهم حاز ترقية في العمل وعلاوة على الراتب: كان جوابك: "نعم، هذا من حقهم، بشرط أن يؤدوا أعمالاً إضافية في البيت كي يستحقوا الزيادة."

أنا جد ولي أحفاد، وأعتقد أنه لأمر مخز أن ندفع لأولادنا أجر الاعمال التي من واجبهم أن يؤدوها. واجب على الأولاد أن يساعدوا في أشغال البيت لانهم يعيشون فيه ويأكلون.

ابن سبعين

عزيزي ابن السبعين،

مع الاسف، ولّت الايام حين كانٍ في وسعك أن تقول للولد: "هاك فلساً متع به نفسك." من الضروري أن يملك الاولاد قليلاً من المال للانفاق او للادخار. انا مع تعليمهم العلاقة بين العمل والمكافآت، وهذا ممكن تحقيقه على أحسن وجه إذا ما اوكلنا اليهم بعض الأعمال وأوضحنا لهم ان مخصصاتهم المالية هي في مقابل اسهامهم في اعمال البيت.

عزيزتي آن لاندرز،

لي صديقة عبقرية في الاحتيال للحصول على كميات صغيرة من المال. في الحافلة تقول لي: "إدفعي عني، فليست معي قطع نقود صغيرة (فكّة)، وسوف أدفع عنك في المرّة المقبلة." وعندما نخرج معاً لتناول فنجان قهوة أجد نفسي مكرهة على دفع الفاتورة، وهذا يحصل مرتين في الاسبوع على الاقل. أمس طلبت مني أن أجلب ساعة يدها من حانوت إصلاح الساعات متعمّدة عدم ذكر أجرته. أنا لا أودّ أن أبدو حقيرة وبخيلة، لكنني لست قادرة مالياً على تحمّل ذلك النصب، وإن كان تافهاً.

ميني المسكينة

عزيزتي ميني،

يجب التعاطي مع النصابين بمهارة. لا تدعي صديقتك تربكك. عندما تتناولان القهوة معاً لا تخجلي من القول: "إنه دورك. لقد دفعت أنا بالأمس." وعندما تطلب منك أن تجلبي لها أشياء من حانوت المصلّح لا تترددي في القول: "أظنّ أنه سيطلب أجراً. آسفة، لا أملك ذلك المبلغ."

عزيزتي آن لاندرز،

أحد زملائي في المكتب اصطحب فتاة الى حفلة خيرية ودفع دولارين ثمن ورقتي

يانصيب، وأعطى الفتاة احداهما. كانت الجائزة الكبرى ٤٠٠ دولار فربحتها الفتاة. وعندما تسلمت المبلغ ناولت الشاب دولاراً قائلة: "لا ريب في أن هذا هو يوم سعدي." فاستشاط الشاب غضباً. الزملاء في المكتب منقسمو الرأي حول هذا الموضوع. هل المبلغ كلّه من حق الشاب، أم نصفه أم لا شيء منه؟
مع الاحتفاظ بحكمي

عزيزي القاضي،

كان يجب الاتفاق سابقاً على اقتسام الربح. وتبدو لي المناصفة هنا تدبيراً معقولاً. والفتاة، باستئثارها، خسرت اكثر مما ربحت إذا كان الشاب يعنيها.

عزيزتي آن لاندرز،

قبل بضعة أشهر تعرّضت صديقة لي لانهيار عصبي، وعندما أخبرت زوجي بالأمر قال: "ماذا يقلقها؟ إنها تملك بيتاً جميلاً ولديها زوج لطيف وثلاثة أطفال رائعون، وفوق ذلك لا تعمل!" بالله عليك قولي لي شيئاً.
ناقمة

عزيزتي الناقمة،

ربّة المنزل اما أن تكون الأعلى أجراً في الدنيا وإما الأدنى أجراً. والأمر يتوقف على زوجها. فإن كان عديم الاحساس تكون الأقل أجراً. أما إذا كان صاحب ذوق وفهم فتكون زوجته الأعلى أجراً.

آن لاندرز



بعد عمر طويل...

بادر مندوب شركة التأمين احدى السيدات: "هل تعرفين قيمة التأمين على حياة زوجك؟"

فسألته: "ماذا تعني؟"

قال: "اذا توفي زوجك، فعلامَ تحصلين؟"

فكرت السيدة قليلا ثم ردت: "على كلب صغير."

ف.ا.

كهرباء بومباي

خلال مؤتمر في مدينة بومباي حول المشاكل الحياتية في المدينة انقطع التيار الكهربائي فجأة، فتابع المجتمعون عملهم في ضوء الشموع. وهنا لاحظ أحد الخطباء: "بدأ المؤتمر بالضرب على وتر حساس اذ أبرز مشكلة الطاقة."

ت.هـ.

انتهاك القوانين

كل قانون يتجاوزه الناس كثيراً يكون رديئاً، ويتعين على المشترع أن يلغيه أو يعدّله كي لا تنتقل عدوى الانتهاك منه الى قوانين أكثر انصافاً.

م.ي.

عالجوا القلق ب... القلق



أساليب مختبرة تعيد عقلك الى مسار الانتاج

"أدمنت القلق طوال حياتي. كنت أجلس الى مكتبي حاملا همّ أصغر مشكلة في عملي، ثم ينتابني قلق من الافلاس، وذاك بدوره يقودني الى القلق في شأن تدبير معيشتي في سني المتقدمة، فتتشابك المشاكل."

المتكلم شاب غني في منتصف الثلاثينات من عمره ورئيس شركة للتأمين. قد يبدو خاليا من الهموم، لكن الواقع أن القلق ظل يساوره الى فترة قريبة. ويقول: "إن لم تصادفني مشاكل في العمل كنت أبحث عما يقلقني. أظن أني أمضيت نصف نهاراتي مهموما، ونصف لياليّ ايضا. كنت أفتقر الى النوم مما أرهقني معظم الوقت وأفقدني القدرة على الانتاج."

القلق يساور الجميع، لكن مجموعة من علماء الاجتماع الذين اعتنوا بهذا الموضوع اثناء دراستهم مشاكل الأرق يقولون ان لا جدوى من معظم القلق الذي يساورنا، بل إن في مستطاعنا خفض مقدار قلقنا.

اكتشف أولئك الباحثون أن القلقين أمثال صاحبنا مدير شركة التأمين يعانون ظاهرة "العقل المسابق". ويوضح توماس بوكوفك العالم النفساني في جامعة

بنسلفانيا وأحد رواد أبحاث القلق: "لا يهدأ تدفق الافكار المهمومة ولا يتوقف." قد يبدأ المرء القلق في شأن حاجة السيارة الى كوابح جديدة. ثم يتهيأ له أن كوابحها أفلتت فصدمت السيارة طفلا، فتحمله أفكاره الى المحكمة ثم يخال نفسه في أزمة مالية تودي بعائلته الى حال من العوز.

قد يبدو تسلسل هذه الاحداث مسلياً، لكنه لا يحمل شيئاً من المرح الى المهموم. ويصاب القلقون المزمنون بتشنج في العضلات واضطراب في المعدة وحصر نفسي وشعور بالكآبة مما يؤدي الى مشاكل صحية أكثر خطورة. ويرى إلوود روبنسون، وهو عالم نفساني شاب يرئس "برنامج معالجة القلق" في جامعة كارولينا الشمالية، أن "القلق دائري. فهو يتفاعل ويتعاظم فتزداد حال المرء سوءاً."

درجات القلق – لنتأمل قضية أمّ لها ابنان مراهقان. انها في الثانية والاربعين لكنها تبدو في الخامسة والعشرين وتتمتع بطبع هادىء فلا يرتاب أحد في أنها تعاني قلقاً مزمناً. بدأت تنهمّ في الجامعة. وبعدما تخرجت وتزوجت وزاولت التعليم وأنجبت ازدادت همومها. ورافقت ذلك أعراض صحية: اضطرابات في المعدة وأرق. كانت تستلقي في الفراش ليلا يساورها القلق على ولديها وتلاميذها وحسن ممارستها لعملها (يتميز القلقون بقلّة تقدير الذات.) وقبل أربع سنوات بدأت تشعر بارهاق شديد مما أجبرها على التوقف عن التعليم.

يؤكد رولاند فولنسبي العالم النفساني الذي يرئس عيادة القلق في هيوستن بتكساس، أن هذه الحال شائعة: "بعض الاشخاص لا يكونون من النوع القلق في البداية، لكنهم يصبحون كذلك. ويجدون أن قلقهم في تطور إذ تضرمه مثيرات بعيدة." فبعدما كان يقلقهم دفع فاتورة، بات دفع ثمن شيء لم يشتروه يزيد قلقهم. وبعض مرضى فولنسبي يتقاعسون عن الخضوع للمعالجة لأن الأمر يقلقهم كثيراً.

القلق، كما يعرّفه الباحثون، هو ما يفعله العقل حين يكون الجسم مضطرباً أو متوتراً. ويقول فولنسبي: "من الصعب أن يكون العقل فارغاً لا يفكر في شيء." فالقلق يمنح الشخص المتوتر "ما يفعله." وبالنسبة الى بوكوفك يشعر شخص كهذا بأن القلق "جزء مني وهو ما أفعله طوال الوقت. والامتناع عنه يضايقني فكأنني شخص آخر."

كل امرىء يقلق من حين الى آخر. لكن هناك ما يسميه فولنسبي "درجات النزوع الى القلق." ويعتقد معظم الباحثين أن درجة القلق لا تهم بمقدار المشاكل الناتجة منه، إذ انه يحرمك النوم أو يلهيك عن العمل أو الدرس أو يشعرك بتوعك صحي.

وقت للقلق – المهمّة الاولى لتخفيف القلق هي تحديد أوقاته، والخطوة التالية هي اعتراضه قبل أن ينمو.

ينصح فولنسبي مرضاه الذين يدركون فجأة أنهم قلقون، بالتركيز على شيء آخر يكون ايجابياً ووصفه لأنفسهم باعتناء.

الجانب النظري في هذا الرأي أن العقل لا يستطيع التركيز على عمليتين فكريتين في آن.

يساعد "التصور" على توقيف لولب القلق. فإن كان أحدهم قلقاً من رحلة جوية وخيّل اليه أنه سيصاب بدوار الجو أو أن الطائرة ستتحطم، فليختلق صوراً لمضيفة باسمة أو ركاب مرحين قد يلتقيهم، مبدلا الافكار السلبية بأخرى ايجابية. ويقول روبنسون: "نحن نحاول اقناع الناس بأن يفكروا في ما يقلقهم بواقعية أكبر. يقلق بعضهم باستمرار على أدائهم الدراسي مع أنهم ينجحون دائماً. فنلفتهم: تذكروا، هل سبق أن رسبتم في أحد الامتحانات النهائية؟"

ويقترح روبنسون أسلوباً آخر هو "التدرب على الاسترخاء": فحص كل مجموعة عضلية وشدّها ثم بسطها مما يساعدها على الارتخاء. ومهما تبدلت الاساليب في هذا المجال يبقى الهدف وقف دورة القلق. ويبرع الناس سريعاً في هذا التدريب، وخلال أسبوع أو نحوه ينجحون في تقصير فترة القلق. ويشير بوكوفك: "القلق عادة، وإبطال هذه العادة يستوجب إبدالها بعادات أخرى."

البحث عن بدائل هو نصف الخطة. ويكمن النصف الآخر في مفهوم يشابه الصلاة اليومية: خصص كل يوم فترة اختلاء، واقلق بترو على جميع الامور التي تجول في رأسك. يسهل الامتناع عن القلق أثناء النهار والتركيز على أفكار بنّاءة إن أقنعت نفسك بتوافر فرصة للقلق لاحقاً.

كذلك يبدو أن فترة القلق المتروي تبيده تماماً. ونجاح ذلك غير مفهوم، لكن علماء النفس اكتشفوا قبل زمن بعيد نظرية "التعوّد" في ما يتعلق بالمثيرات: إن شممت رائحة اللحم المقدد لفترة طويلة فستتوقف عن تمييزها بعد مدة. وعلى نحو مماثل ينحو القلق الى الانخفاض خلال فترة القلق المفروض.

ويتفق الباحثون على أن تمتد هذه الفترة ٣٠ دقيقة فقط. لا تلجأ الى كرسيك المفضل في غرفة الجلوس لأن الترابطات قد تعيدك الى القلق كلما جلست في تلك الكرسي. كذلك لا تعيّن تلك الفترة قبل موعد النوم. يدوّن بعض مرضى فولنسبي همومهم مما يساعدهم على التركيز. ويمارس صاحبنا مدير شركة التأمين فترة قلقة بين الخامسة والخامسة والنصف بعد الظهر، فيغلق بابه ويخفت النور ثم يستلقي حاملا ورقة وقلماً.

لا أعذار – يصرّ بعضهم على أن القلق مفيد، لكن الباحثين يشيرون الى اختلاف مهم بين القلق وحلّ المشاكل. ويقول روبنسون: "عوض الانزعاج المتواصل من النتائج السلبية، علينا البحث عن حلول ايجابية."

تنجح برامج القلق الحديثة في خفض القلق بنسبة ٥٠ في المئة. ويمكن اتّباع هذه البرامج في المنزل من دون مساعدة طبية باتخاذ الخطوات الثلاث الرئيسية الآتية:

١. تعلّم أن تميِّز بدء دورة قلقك.

٢. إعترض دورة القلق بالتصور أو بالتركيز على أمر آخر ايجابي أو

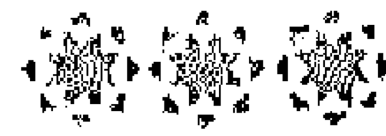
بالاسترخاء. أقنع نفسك بتوافر الوقت للقلق لاحقاً.

٣. تفرغ لفترة ٣٠ دقيقة من القلق يوميا، وثابر على ذلك.

تزيد فرص النجاح إن عيّنت أحداً لمراقبتك والتأكد من اتباعك العلاج وتذكيرك بالمثابرة عليه. ويقول فولنسبي: "يشرع الناس في اختلاق أعذار من نوع: كان ابني مريضاً ولم يتوافر وقت لفترة القلق. هذا العلاج فاعل إن طبّق لعدة أسابيع، لكنه يرتكز على التطبيق المتواصل."

لن يمتنع أحد عن القلق جذرياً، لكننا نستطيع أن نتدرب على تخفيف قلقنا. وقد نجح مدير شركة التأمين في ذلك. كان يساوره القلق في كل الامور في العام الماضي، لكنه اليوم يقول: "حين أختلي بنفسي في فترة القلق، لم أعد أجد غالباً ما أقلق في شأنه."

جايمس لنكولن كولبير



طبيب وصيدلي

يعمل زوجي طبيباً في مستشفى محلي. مرة طلب من أحد مرضاه أن يشتري محلولاً للتخدير الموضعي من عيار أربعة في المئة لاجراء جراحة بسيطة. وعاد المريض بزجاجتين في كل منهما محلول من عيار اثنين في المئة، وشرح أن الصيدلي قال إن زجاجتين من عيار اثنين في المئة تعادلان في مفعولهما زجاجة واحدة من عيار أربعة في المئة.

فاحتدم زوجي وطلب من المريض أن يعيد الزجاجتين الى الصيدلي ويسأله: "هل يتزوج ابنتيَّ عشر سنين اذا لم يجد عروساً في العشرين؟"

ر.ب.غ.

الاشجار، ذكور واناث!

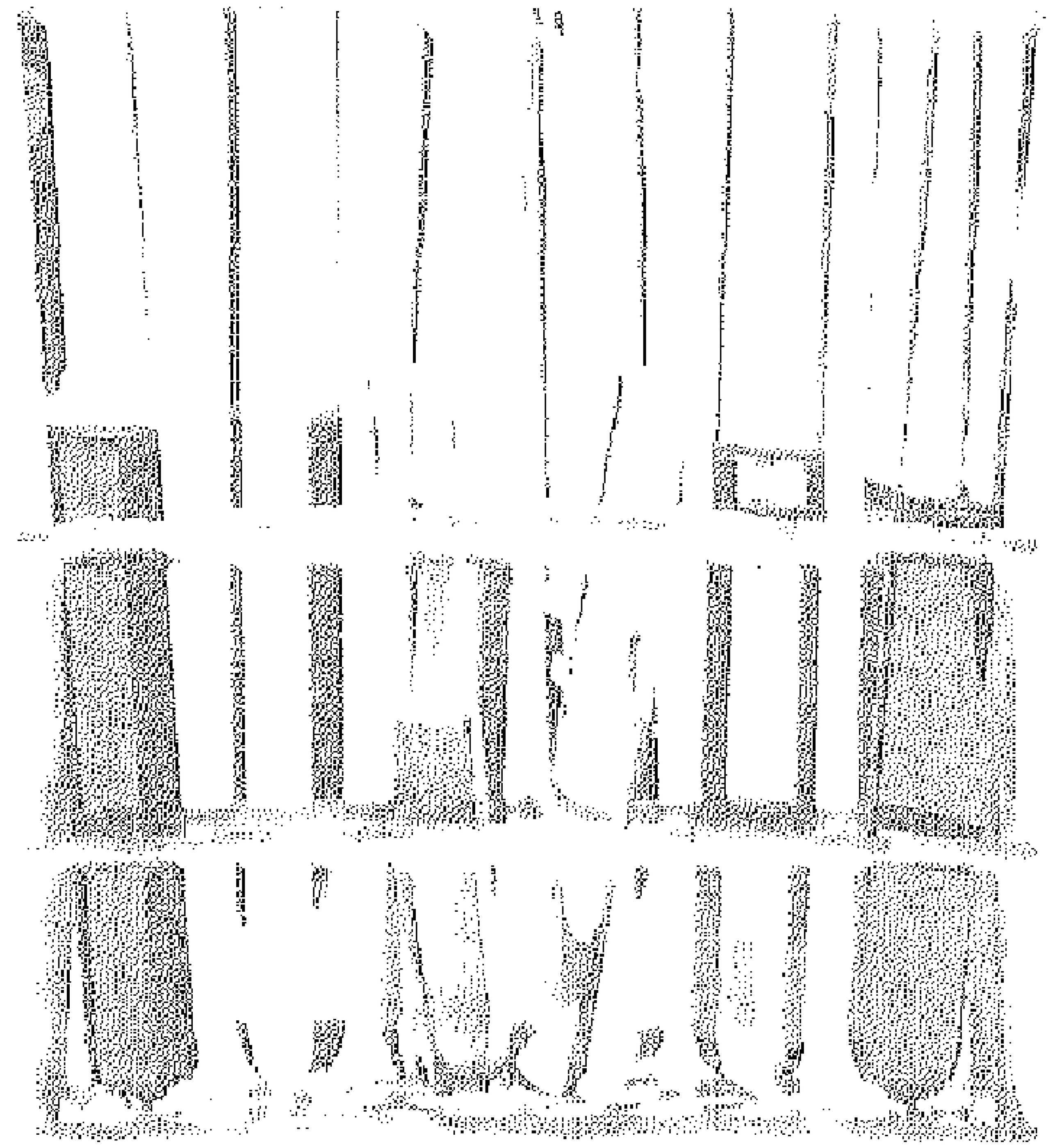
في جزيرة كاليدونيا الجديدة التابعة لفرنسا قطع الجيش الامريكي عدداً من الاشجار المحلية لتشييد مطار. فرفعت السلطات الفرنسية في الجزيرة مذكرة الى قيادة الجيش تطلب تعويضاً مالياً لضعفي عدد الاشجار المقطوعة. وعند السؤال عن السبب كان الجواب أن الاشجار هي اما ذكور واما اناث، فكلما قطعت شجرة من أحد الجنسين تحطم قلب شجرة من الجنس الآخر.

ف.هـ.

أخ لنونو

عاد الصبي الصغير من دار الحضانة فأخبره والده: "نونو، لقد ولد لك اليوم أخ صغير." فهتف نونو: "آه، احمل لي حقيبتي يا أبي كي أخبر ماما."

ل.س.



أصداءٌ من عالم الطبّ

عدسات لاصقة للرمي

أنزلت الى السوق عدسات لاصقة تُطرح بعد الاستعمال. يمكن وضعها في العينين لمدة أسبوعين من دون أن تنزع ثم ابدالها بعد سنتين جديدتين. يقول الدكتور جاك هارتستاين الاختصاصي بالعيون في كلية الطب التابعة لجامعة واشنطن في سانت لويس بولاية ميسوري: "اذا ألصقت هذه العدسات جيداً فانها أكثر أماناً وإراحة من العدسات الاخرى التي توضع لمدة طويلة." وقد اجرى هذا الطبيب، مع اختصاصيين آخرين، اختبارات على هذه العدسات التي وافقت عليها مديرية الغذاء والدواء، قبل أن ينتجها المصانع على نطاق واسع. ومن أصل ١٤٠ شخصاً يعالجهم الدكتور هارتستاين لاءمت العدسات الجديدة عيون ١٢٠.

يقول هارتستاين: "يزداد عدد أطباء العيون الذين يعارضون وضع العدسات التي تبقى في العين فترة طويلة. فمن اجل مد القرنية بالاوكسيجين تحتوي هذه العدسات اللينة على ٧٠ في المئة ماء. لكن الماء يمتص أيضاً الجراثيم والمهيّجات والبروتيينات، الامر الذي قد يتسبب في تغشية النظر والالتهابات وتقرحات القرنية.

ويقدّر هارتستاين أن مستخدمي العدسات المعدة للطرح سيقتصدون مئة دولار على الاقل سنوياً ثمن القطرات المطهِّرة.

نشرة جامعة واشنطن

عقار جديد للفصام

الحياة عند المصابين بالفُصام (الشيزوفرينيا) هي صراع بين الحقيقة والوهم. ولكن ثمة تحسن مرتقب في معالجة هذا الداء بفضل العقّار "كلوزابين." فهو اختبر على مصابين لم يتجاوبوا مع أي علاج متيسر في الوقت الحاضر، فكان فعّالا جداً في تخفيف الاوهام والهلوسات والافكار الهدّامة. وهو حسّن أيضاً الحافز النفسي لدى المريض واهتمامه بما يجري حوله ومستوى طاقته وحيويته.

ويتناقض نجاح تجربة العقار كلوزابين مع وجهات النظر المقبولة عند قطاع واسع من علماء النفس والقائلة بأن الفصام الذي لا يتجاوب مع العلاج انما ينجم عن تلف في بنية الدماغ لا سبيل الى اصلاحه. يقول الدكتور هربرت ملتزر من كلية كايز وسترن ريزرف الطبية والمعالج في مستشفى جامعة كليفلاند بولاية أوهايو، وهو أحد الذين أداروا الدراسة: "يتأثر السلوك الذهاني - أو يتقرر الى حد بعيد - تبعاً لعوامل بيولوجية أو بيوكيميائية. وقد تفيد الادوية في تصحيح اختلال التوازنات البيوكيميائية."

وينتظر العقار كلوزابين الان موافقة

"مديرية الغذاء والدواء" في الولايات المتحدة على صلاحيته. وعلى مستعمليه أن يخضعوا أسبوعياً لفحوص دم منذ اشتبه بوجود علاقة ممكنة بينه وبين نوع مميت من اختلال الدم قابل للشفاء. يقول الدكتور ملترز: "يوفر هذا الدواء أملا للمصابين بالفصام العسير المزمن، حتى في أصعب حالاته."

صحيفة "ميلث"

فكوك اصطناعية

الزرع الاصطناعي قد يساعد الفكوك التي أصابها تلف جسيم بسبب اعتلال شائع يعرف بـ"متلازمة المفصل الفكي الصدغي" (١) وأهم أعراضه عجز الفك عن الانفتاح والانطباق على نحو طبيعي. والزرع كان لقية سعيدة لرينا أونيل المقيمة في تكساس، وكان فكها انخلع في حادث سيارة. ويقول جراح الفم الدكتور كيفن ماك برايد الذي زرع ثمانين "جهازاً" في أفواه مرضاه، إن الجهد المتواصل الذي يبذله فكّا رينا غير المتطابقين سبّب تلفاً في عظم المفصل الواقع تحت الاذن تماماً. وقد نزع الجراح قطعاً من الفك التالف وثبت على ما تبقى من عظم الفك مفصلا كروياً حقّياً (٢) حيث "الكرة" معدنية و"الحقّ" بلاستيكي.

في غالب الاحيان تنتج متلازمة المفصل الفكي الصدغي من ضعف موروث في المفصل، لكن التلف قد يحصل أيضاً نتيجة حادث أو لدى أناس يصرفون بأسنانهم أو يطبقونها بفعل الاجهاد.

وكالة "يونايتد برس إنترناشونال"

(١) Temporomandibular joint

(٢) Ball-and-socket joint

الاجهاد والتهاب المفاصل

تتضح يوماً بعد يوم العلاقة بين الاجهاد والتهاب المفاصل نظير الروماتزمي(★). الدكتور فريد كانتروفيتز أستاذ الطب السريري في كلية الطب بجامعة هارفرد في ولاية مساتشوستس يستشهد بدراسة أجرتها جامعة روشستر في نيويورك. جاء في الدراسة أن ٢٨،٤ في المئة من الاولاد المصابين بالتهاب المفاصل نظير الروماتزمي قاسوا من قبل اصابة جرحية أو رضّية أو نفسية مضنية. ولم تبلغ هذه النسبة الا ١٠ في المئة عند فريق اختباري مقارن لم يختبر افراده اصابة من هذا النوع. ويضيف الدكتور كانتروفيتز أن هذا لا يعني أن الاجهاد وحده يسبب المرض، لكنه قد يعجل تطوره عند اولئك الذين لديهم استعداد له.

جوزفين رودس المستشارة في اعادة تأهيل المصابين بالتهاب المفاصل نظير الروماتزمي، قادت دراسة دامت سنتين حول نتائج تخفيف الاجهاد لدى ٣٩ مصاباً بالتهابات مفصلية حادة شبه روماتزمية. وبعد دورة شفائية جماعية دامت ٢٠ أسبوعاً وتضمنت تغذية استرجاعية بيولوجية وتمارين على الاسترخاء وتقنيات لتحسين صورة المريض في عين نفسه، أظهرت غالبية المرضى تحسناً "ذا مغزى" يتضمن نقصاً في الاحساس بالالم وفي الحاجة الى الدواء. وبعد عام صاروا أكثر انتاجية ونشاطاً على الصعيدين الاجتماعي والمهني.

صحيفة "ميديكال تريبيون"

(★) Rheumatoid arthritis

التجارة بلا أخلاق!

ثلاثة أمثلة على أهمية الاخلاق العالية في النجاح التجاري

□ لنفرض أنك مدير لشركة وقد وُفِّقت وحصلت على صفقة من وكيلٍ مقاول بسعر ينقص ٢٠ في المئة عما يجب أن يكون، وهي غلطة قد تؤدي الى طرد ذلك المقاول من عمله، لكن قبولها يوفر لك حظاً أكبر لتكسب عقداً بمشروع سكني كبير. فماذا تفعل؟

□ لنفرض أنك تريد أن تتعاطى أعمال التجارة في أسواق أجنبية حيث الرشوة لا بد منها، حتى انك لا تستطيع أن تفتح مكتباً من دون رشوة. فماذا تفعل؟

□ لنفرض أنك تاجر عقارات، ولم تكد تشتري فندقاً حتى اكتشفت أنه ليس مُربحاً. لكن زبائنك المستثمرين أرسلوا اليك حوالات لضمان مشاركتهم اياك في تلك الصفقة. فماذا تفعل عندئذ؟

ماذا تفعل عندما تصطدم المبادىء الاخلاقية بالارقام المالية في الحساب الاخير؟ ان هذه الافتراضات السابقة التي تصور هذا الإحراج حدثت فعلاً في ثلاث شركات.

أما طريقة تخلص هذه الشركات من مآزقها فترينا أن المقاييس الاخلاقية العالية تترجم في بعض الاوقات أرباحاً طائلة. ان هذه الشركات الثلاث تنظر الى ما هو أبعد من الحاضر، الى أهداف بعيدة الامد. وهكذا فإن فلسفتها الاخلاقية تمنحها ميزة تمكنها من اجتذاب أصحاب المواهب وربح الزبائن والموزعين المخلصين وكسب محبة الناس واحترامهم.

ان السعي الى الميزة الاخلاقية يدعو أحياناً الى تفويت فرصة سانحة أو تكبد خسارة مالية موقتة. ولكن، يقول روبرت جورج المدير التنفيذي في شركة "مداليون" للبناء في مدينة مريماك بولاية نيوهامشير: "يقول المثل: إن كل شيء يدور سيكمل دورته." بمعنى أنه إذا كان الاتجاه الحاضر يميل الى الخسارة فإنه في النهاية سيميل الى ربح ما بطريقة ما. وهذا تماماً هو المنطق الذي أقنع جورج بأن يكون مستقيماً جداً مع

Condensed from Nation's Business (August '87), © 1987 by

الوكيل الذي رست عليه المناقصة بسعر متدن جداً. ويتابع جورج: "كانت شركتنا هي الاوفر حظاً في الفوز بمشروع سكني بقيمة مليونين ونصف مليون دولار، وبدا لي أن عرض وكيل محلي كان عشرين في المئة أنقص من المعقول، أي ثلاثمئة ألف دولار أدنى من أسعار عرضها أربعة وكلاء آخرين، مما يتيح لنا تقديم أفضل سعر فنربح المقاولة." وكان اتجاه جورج أن يقبل العرض، لكن ضميره عاكسه.

هل يجوز أن يستعمل جورج أرقاماً يعرف أنها ستؤدي في النهاية الى تكاليف زائدة؟ لا بد من أن يترك ذلك لطخة على سمعة الشركة لا تمحي. ولكن ماذا سيحل بالمشروع؟ ثم تساءل: هل من العدل أن تترك شخصاً يقع في شرك يجهله وأنت عالم به؟

لذلك رفض جورج فكرة العرض الرخيص. ولكن كيف له أن يعلل سبب رفضه من غير أن يفضح معلومات قد تؤذي أحداً. لذا اتصل بالوكيل وقال له انه لن يخبره بالاسعار التي عرضها منافسوه لكن السعر الذي طرحه هو متدنّ جداً بحسب رأيه. فسحب الوكيل عرضه، ومع ذلك فازت شركة "مداليون" بالمقاولة.

بعد سنة تلقى جورج عرضاً من الوكيل ذاته لمشروع آخر، وكان أيضاً عرضاً منخفض السعر، إذ تضمن ٢٠ في المئة حسماً على التسعيرة الاساسية، ذلك لأن الوكيل لم ينسَ جميل جورج في السنة الفائتة. وهذا ما أكد لجورج أن المرء عندما يقوم بعمل ايجابي فلا بد من أن يرتدَّ عليه بالمثل.

■ ■ ■

تبين للكونغرس (البرلمان) الامريكي أن الممارسات التجارية الامريكية لا تتفق دائماً مع الممارسات الاجنبية، فسنّ قانوناً عام ١٩٧٧ يمنع دفع "عمولات" للحصول على عقود خارج البلاد. ولكن، حتى قبل صدور هذا القانون، كانت شركة "امباير ساوث وست" في فينيكس بولاية أريزونا، وهي في الاصل موزعة لمعدات "كاتربيلر" للجرافات، تمكنت من العمل بأمانة وجَنت في الوقت ذاته أرباحاً لا يستهان بها.

وفي الستينات عُزلت الشركة عن السوق المكسيكية لأنها رفضت ان تتبع الممارسة السائدة هناك وتعطي رشوات.

وطوال تلك الفترة ، يقول المدير التنفيذي جاك ويتمن: "كان موقف الشركة يرفع احترامها في المكسيك إلى أبعد الحدود." ووصل الى كثير من شركات التعدين والمزارعين والمقاولين أن هنالك شركة أمريكية تملك الجرأة الكافية لمعارضة الاسلوب المتبع، ولذلك أرادوا ان يتعاملوا معها.

وتمسكت شركة "امباير" بالطرق المكسيكية المشروعة. وأخيراً، في العام ١٩٦٧، حظيت بالموافقة على فتح وكالتين لها في البلاد. ونظراً الى شهرتها بالنزاهة بدأت تفيد من عملها هناك.

وكثيراً ما يردد ويتمن أن التصرف الاخلاقي المميز لا بد من ان يعطي نتائجه عند الحساب الأخير، لأنه رأى بنفسه أنه عندما كانت العروض متساوية كان الزبائن في أكثر الاحيان يسندون المقاولة الى شركة "امباير."

■ ■ ■

الى أي مدى تذهب لكي تحافظ على سمعتك في النزاهة والاستقامة؟

مؤسسة "هلبي ولسون" شركة استثمار مختصة بشراء العقارات وبيعها. وهي ترفض أن تنفذ أي عملية استثمار تتضمن مجازفة للآخرين اذا كانت هي نفسها لا تقبل بها إذا عرضت عليها. وهنا تشرح بولا هلبي، زوجة بروس هلبي أحد مالكي الشركة، كيف وُضع هذا المبدأ على محك التجربة:

"كنا مهتمين بشراء فندق في إل باسو بولاية تكساس بمبلغ مليونين و٧٠٠ ألف دولار. وبعد دراسة أجريناها استنتجنا أن المدينة على وشك أن تفيد من المد الصناعي. وبناءً على ذلك اشترينا هذا الفندق وصرفنا ما يلزم لإصلاحه وتجديده. ومن ثم باشرنا عرضه على زبائننا. ولكن تبين لنا أن الخسارة الشهرية للفندق تفوق كثيراً ما كنا نتوقعه، إذ اكتشفنا أننا كنا في منطقة من إل باسو لن تفيد من ذلك المد الصناعي."

والى ذلك الوقت كانت الشركة باعت بعض المستثمرين حصصاً محدودة. وكان السؤال: هل يخفي أصحاب الشركة شعورهم الذي لا يدعو الى الراحة ويواصلون استثمارهم للمشروع ام يرجعون الحوالات الى أصحابها ويتحملون الخسارة وحدهم؟

وأُخذ القرار. وأُخبر المستثمرون بأن الصفقة ستعلّق ريثما تجري الشركة تحقيقاً أوسع.

وطوال أشهر حاول هلبي أن يجد بوادر تحسّن مشجعة، لكن شيئاً من ذلك لم يظهر.

وتذكر هلبي: "كان الحل البديهي البسيط والخالي من كل مسؤولية ورحمة أن يقفل الفندق نهائياً ويذهب كل في طريقه. ولكن بدلاً من ذلك عمدت الشركة الى بيع الفندق من المصرف الذي تتعامل واياه بمليوني دولار، أي بقيمة القرض الذي أخذته منه، بينما ربح المصرف مليوناً ونصف مليون دولار هو المبلغ الذي صرف على تجديد الفندق واصلاحه.

وهكذا أعيدت الحوالات الى المستثمرين مرفقة برسائل من مديري الشركة يعربون فيها عن أسفهم لأن الخطأ خطأهم. وتقاسم الشركاء الخمسة الخسارة التي بلغت أكثر من ثلاثة ملايين دولار. وأقرَّ هلبي بأنهم تلقوا ضربة قاسية.

ولكن لشركة "هلبي ولسون" الحق في أن تتفاءل. فقد انهمرت عليها رسائل من زبائنها تشيد بنزاهتها وتعبر عن ثقتهم بقدرتها، وفيها أنهم يأملون أن يتعاونوا واياها في المستقبل بصفقات أخرى.



ان مديري هذه الشركات الثلاث ليسوا ساذجين. فإنهم يومياً يشاهدون منافسين لهم يفيدون من أعمال لاأخلاقية، ولكن بأي ثمن؟ إنهم يؤكدون أن الاخلاق الرديئة تطرد الزبائن في النهاية وتوهن عزائم الموظفين.

الميزة الاخلاقية دقيقة جداً، فهي لن تمنحك النجاح بين ليلة وضحاها، لكنها، في مواقف المنافسة، غالباً ما تعطيك اليد الطولى والنفوذ.

كارين برني

ما بدأ نزهة سارة في الطبيعة تحول كابوساً في قبر جليدي

انه أصيل أحد نير في نهر بايرون الجليدي، وهو بساط من جليد أزرق يمتد كيلومترين ونصف كيلومتر في غابة شوغاش الوطنية التي تبعد ٩٠ كيلومتراً عن جنوب شرق أنكوريج في ألاسكا. في الثالثة والنصف بعد ظهر ٢٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ وصلت ماري آن سميث (٢٤ عاماً) لنزهة مع صديقها جويل كنيسون (٢٩ عاماً). وكان معهما تشارلز وفرجينيا رنفرو وولداهما الصغيران.

رغبت ماري آن في التقاط بعض الصور من موقع أبعد فوق النهر الجليدي. وبدأت تتسلق بحذر منحدراً بزاوية من عشرين درجة. لم تخش الانزلاق، فقد كان الجليد مرصوصاً وقاسياً.

جلست ماري آن على علو ٩٠ متراً تتمتع بالمنظر الشامل المذهل. على كل جانب قمم شامخة تعلو ١٢٠٠ متر تغمر

Illustrations: Victoria Vebell



نهر بايرون في حضن بارد بلوري. وإذ تراكمت طبقات جليدية عبر السنين كانت أخاديد كبيرة تظهر في سطحها الاسود القاتم وتختفي بعد أيام وربما خلال ساعات. وامتدّ تحت ماري آن بحوالى ٤٠ متراً أخدود بعرض مترين أو ثلاثة أمتار عبر مقدّم النهر الجليدي.

بعدما التقطت ماري آن بعض الصور لاحظت أن الجليد الذي سخنته الشمس غدا ألين من ذي قبل. ولكي تكون في مأمن قررت العودة نزولا وهي قاعدة.

فجأة شعرت كأنها على منحدر مصقول تتدحرج ثم تدور على نفسها فوق النهر الجليدي. ومدت يديها يائسة علها تتعلق بأي شيء يوقف هبوطها السريع.

ثم رأت الشق العميق يظهر تحتها كفم عملاق دميم فصرخت: "النجدة!" وقرب حافة الهوة لمحت شاباً جمده منظر ذعرها فيما جسمها يتقلب وذراعاها وقدماها تتضارب.

توسلت اليه: "أوقفني!" ولكن فات الاوان. تطايرت في الهواء الى "معدة" النهر الجليدي وهي تتواثب ككرة "بلياردو" تضرب حائطاً ثم آخر. وإذ تعمقت في غوصها أصبح عالمها قاتماً.

سينطبق الشق! – أول من وصل الى الشق كان تشارلز رنفرو والمنقذ اريك ساكس الملحق بقاعدة إلمندور الجوية في انكوريج والذي كان ساعتئذ خارج نوبة عمله. كان تشارلز واقفاً على الجانب الآخر من الشق ورأى ماري آن تسقط. أسرع الى المكان وتمدد على الجليد وتحرك رويداً بحذر الى الامام وتمتم: "آه، يا الهي!" نظر الى الهوة فرأى ماري آن محصورة في الشق الجليدي على عمق تسعة أمتار. كانت "مطوية" مثل مدية، وجهها الى أسفل ورجلاها وقدماها أعلى من رأسها وذراعاها تتدليان هامدتين. هل دُق عنقها؟ هل ماتت؟ خاف تشارلز أسوأ الاحتمالات.

أنقذ إريك ساكس ٤٣ شخصاً اثناء عمله مع سلاح الجو. كان يعرف الوضع السيىء عندما يراه، وهو لم يرَ وضعاً أسوأ. في ذلك الاصيل سمع اريك النهر الجليدي يطلق أصواتاً وأنيناً كحيوان متألم. وخشي أن تكون المنطقة غير مستقرة مما يعني أن الشق سينطبق من دون انذار. وعرف أيضاً أن الجليد بدأ يذوب حول جسم ماري آن الحار وبدأت هي تسقط الى مكان أعمق وبعيد عن المتناول والنظر.

قال اريك لتشارلز: "إسمع، أنا مدرَّب على الانقاذ. نحتاج الى التجهيزات الملائمة، والوقت من ذهب. اذا استعادت الفتاة وعيها فاحفظ معنوياتها عالية. أنا ذاهب لطلب النجدة."

أما جويل فاختار الانضمام الى اريك بدل الوقوف عاجزاً. ركض الاثنان نحو موقف السيارات الذي يبعد ١٦٠٠ متر.

طرفت ماري آن بعينيها وتحسست بأصابعها ما حولها. كانت جمجمتها تدق كالطبل. في البدء لم تكن لديها فكرة أين هي. كل شيء مبلل، زَلِق، دَبِق. ورويداً عادت اليها الذكرى الرهيبة وهي تسقط في المنحدر. انها تسمع صوت تشارلز فوقها.

نادت: "تشارلز، أين أنت؟"

– هنا يا ماري آن، هل أصابك أذى؟

"رأسي، دبق. أعتقد أنه ينزف."

– كل شيء سيكون على ما يرام. النجدة في الطريق اليك.

صرخت: "يا الهي، أنا أنزلق!"

شعرت بالجليد الذي يقيد كتفيها ورأسها يرخي قبضته. شدت برجليها على الجدران كي لا تسقط الى أدنى.

نظر تشارلز شزراً الى الفتحة المظلمة ونادى: "أنت لم تزلقي بعيداً." كان عليه أن يحوّل انتباهها كما علَّمه اريك. وتابع: "تكلمي معي يا ماري آن، عن جويل."

وساد صمت مطبق.

"منذ متى عرفته؟"

– منذ سبع... سبع سنوات.

"كيف التقيتما؟ تكلمي معي يا ماري آن."

– رأسي يؤلمني كثيراً.

استدار تشارلز مسعوراً نحو الشمس المائلة الى الغروب وتساءل: ماذا

سيحدث، اذا لم نستطع اخراجها قبل الظلام؟

فجأة تمدد جويل الى جانب تشارلز ونادى: "عزيزتي، ماري آن، أنا هنا." انه عاد بينما أجرى اريك اتصالا هاتفياً طلباً لفريق انقاذ وتجهيزات.

"أين أنت؟" – كان ماركو وفيكي رادونيش ومايكل ميلر ينهون يوماً ساراً من تسلق الجليد عندما سمعوا نداء للنجدة: "تعالوا بسرعة، سقطت امرأة في الهوة. اننا نحتاج الى شخص يحمل عدة تسلّق."

بعد لحظات وصلوا الى الهوة الجليدية. وكان مايكل ناظراً لعمال حفر آبار النفط وقد أنهى حديثاً دورة في معالجة الاصابات الطارئة، فتطوع لمحاولة الانقاذ. عقد حبلا طوله ٥٠ متراً بمقعد للتسلق وثبت الحبل عند حافة الشق ببراغي تغرز في الجليد وبدأ النزول.

على عمق خمسة أمتار انحصر جسمه في شق ضيق. وقد بلغ طول مايكل ١٨٥ سنتيمتراً ووزنه ٨١ كيلوغراماً، وهو ألفى نفسه عاجزاً عن النزول أبعد من ذلك. نظر الى ماري آن فتأكد له أنها تواجه هبوطاً في حرارة الجسم. كانت ترتدي ثياباً خفيفة. واذا طال بقاؤها في الرطوبة والصقيع فسيخسر جسمها حرارة أكثر مما ينتج. في البدء خمول وضياع، ثم موت. عليه أن يجرب شيئاً، أي شيء.

نادى: "ماري آن، سأدلي الحبل." ربط مشبكاً في طرف الحبل آملا أن تستطيع تثبيته بسروالها أو سترتها. لكن الحبل ظل ينزلق بين أصابعها الجامدة.

حين عاد اريك وجد مايكل عاجزاً عن النزول أعمق مما هو. فتسربل بعدة تسلّق وانضم اليه في الشق.

مرت دقائق ثمينة وهما يقوّمان وضع الفتاة، ثم خطرت لاريك فكرة. قال لماري آن: "أنا نازل ورأسي تحت، وسأحاول أن أربطك من رسغيك. ارفعي قدميك بمقدار ما تستطيعين." وبينما كان مايكل يُسحب الى فوق ليأتي بمزيد من الحبل بدأ اريك يزحف نزولا في وضع الغطس.

تحرّك اريك ببطء ورأسه في وضع جانبي، شاقاً طريقه عميقاً الى فراغ يشبه المدخنة. تشنجت ضلوعه وآلمته. كان طوله ١٧٣ سنتيمتراً ووزنه ٦٨ كيلوغراماً. حاول أن يقلص جسمه متنفساً الهواء جرعات ضئيلة ليحفظ صدره من التمدد. فجأة توقف: هناك صوت ضعيف رنان. تساءل: أطبقات الجليد تتحرك من مكانها؟ أجوانب الشق أوشكت أن تنطبق؟

اندفع بيأس وعضلاته متوترة. أصبح أقرب اليها متراً ونصف متر. وغصّ بهواء رطب تَفِه. أما صوته فأصبح مجرد همس: "ماري آن!"

سألته: "أين أنت؟ كم أنت قريب؟"

– ثلاثة أمتار أو نحوها، مدّي أصابع قدميك.

شعر اريك بخدر في وجهه وأذنيه، كافح ضد الخوف المسعور من الاماكن المغلقة، وركز على الحذاء الابيض. شغّل الحبل بيده اليمنى مدلياً أنشوطة نحو الشق الجليدي، أقرب فأقرب.

حدق اريك الى فردة الحذاء الابيض دونه، وتساءل: أين الثانية؟ أراد القدمين

معاً في الانشوطة. آه، حسناً، لا خيار لدي. "اصمدي يا ماري آن."

هز الحبل نصف سنتيمتر الى اليمين. سنتيمتراً: "أمسكت به! جيد، يا ماري آن. سيسحبونني صعوداً لأكون خارج دربك، وعندئذ سنخرجك."

مضى أكثر من ساعة على اختفاء ماري آن في الكهف الجليدي المظلم. بدأ نور الشمس يتلاشى وهبطت الحرارة الى ما دون درجة التجمد.

فلّينة تنطلق – تساءلت ماري آن بخوف: ماذا ينتظرون؟ وسمعت أصواتاً تتجادل فوقها.

قال أحدهم: "قد نخلع رجلها من المفصل." فردّ آخر: "لا، يجب أن نمضي في ذلك." ومزّق الجدل ما تبقى من معنويات ماري آن، فصرخت: "اعملوا بسرعة ومن دون جدل."

أخيراً سمعت جويل يقول: "نحن نمكّن الحبل يا ماري آن، أجاهزة أنت؟"

شعرت بشدة عنيفة فصرخت. "قفوا، رأسي، أنتم تؤذونني."

واذ ارتخى الحبل أحست ماري آن بأن سيطرتها على انفعالها بدأت تنهار. أغمضت عينيها وحاولت أن تنسى الصقيع الذي لا يطاق.

مرت الدقائق ببطء. انها الخامسة عصراً. بدأت ماري آن تشعر بنعاس ودوار.

فجأة سمعت صوت اريك الضعيف ثانية يناديها: "ماري آن، أصغي بعناية تامة." فأرهفت سمعها. ثم أضاف: "أنا عائد نزولا، سأدلّي حبلا آخر، عليك أن تمسكي به وتضعي الانشوطة حول معصميك." ربما بهذا الحبل الثاني وبالحبل الذي حول رسغيها يستطيع المنقذون جذبها.

تدلّى اريك ثانية ورأسه الى تحت، بالغاً نقطة تبعد حوالى أربعة أمتار عن ماري آن. ركز كل ارادته على جهد أخير للتحرك الى أدنى. ثلاثة أمتار فقط. هيا يا ولد. أنت قادر على ذلك. وقال بنفس مبهور: "ماري آن، أمسكي الحبل."

كان نعاس ماري آن يزداد. قالت لنفسها بلهجة الآمر: إبقي يقظة. إستسلمي الآن تنتهي. قبضت على الحبل مرتبكة بأصابعها الجامدة. أدخلت احدى يديها في الانشوطة ببطء وألم وأمسكت الحبل بالثانية.

نادى اريك: "جيد، مستعدة؟"

صارعت ماري آن موجة من الذعر. قالت لنفسها: اذا كان هناك من ألم فأنا أستطيع تحمله، سأتحمّل أي شيء لكي أخرج.

شد المنقذون الحبل بقوة واتزان، لكن جسم ماري آن لم يتحرك ونبّههم اريك: "لقد دخلت زاوية ويجب أن نحركها الى الوراء والى الامام كمفتاح في قفل."

حاول الفريقان شد الحبلين ثانية فيما اريك يعطي الامر بالتحريك لفريق ثم للآخر.

ونادى اريك: "ماري آن، عليك أن تقلصي صدرك. أزفري كل الهواء الذي داخل رئتيك." *

شد الحبلان الى الوراء والى الامام، وأخيراً اندفعت ماري آن طليقة كما تندفع فلينة مشدودة من قنينة.

صرخ اريك: "اجذبوا! اجذبوا! انها تتحرك الآن."

واذ تشبثت ماري آن بالحبل أحست انها تُرفع من الهوة. ودوّى حولها صدى التشجيع من المنقذين فوقها.

بعد لحظات وضعت على نقالة وتنشقت نسيم ألاسكا النظيف النقي.

جذب جويل الغطاء الى ذقنها وهمس لها: "عزيزتي، ستكونين بخير، الحمد لله."

نقلت في مروحية الى مستشفى "العناية" في أنكوريج حيث بقيت مدة أربعة أيام. كانت تعاني انخفاضاً في حرارة الجسم وارتجاجاً في الرأس وتمزقات عضلية مضاعفة ورضوضاً.

وذات يوم أيقظها في المستشفى صوت رجولي وضغط على اليد. انه الرقيب الاول اريك ساكس.

قال بهدوء: "أنت شجاعة، أريدك أن تعرفي ذلك."

فردت: "اذا كنت شجاعة حقاً فذلك لانك والآخرين ساعدتموني لأكون كذلك. ما فعلناه فعلناه معاً."

مرغريت ريس



آخر موضة

كنت أمشي في أحد شوارع لندن. فرأيت امامي فتاتين ترتديان ثياباً غريبة مزركشة وقد حلقت احداهما شعر رأسها وأبقت الاخرى على خصلة ملونة مثل ذنب حصان. وأشارت إحداهما الى الجانب الآخر من الطريق: "أنظري الى تلك المرأة وشعرها المصفف. كم هي قليلة الذوق!"

ش.د.

بُعد نظر!

قالت ربة البيت للخادمة الجديدة: "سيكون أجرك أربعين درهماً في الشهر الاول، وستين بدءاً من الشهر الثاني."

فردت الخادمة: "حسناً يا معلمتي. سأبدأ العمل في أول الشهر الثاني."

ك.ك.

تقدير الفن

قال هاوي جمع التحف الفنية للعامل الذي يحمل قطعة اشتراها لتوه: "احترس اثناء نقل هذه التحفة الزجاجية. كن حذراً، لان تاريخ صنعها يرقى الى ألفي سنة."

فرد العامل: "اطمئن، سأحافظ عليها كما لو أنها صنعت اليوم."

ك.م.

لُــورْد هَـــاوْ

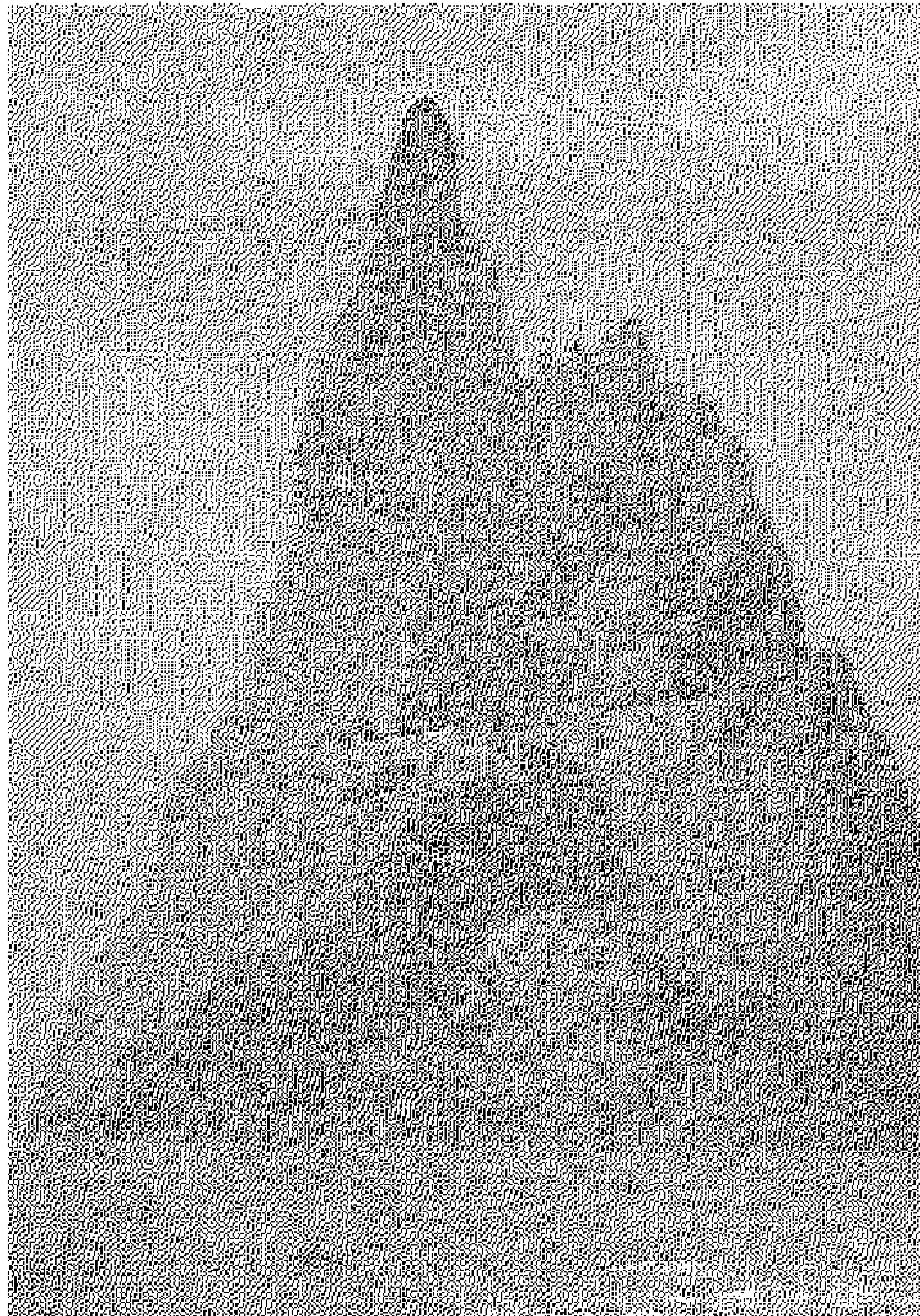
على هذه البقعة المفضضة المعزولة
في البحار اللازوردية يكاد الزمن يتجمد

كوخنا المؤلف من حجرة واحدة يتوارى بتحفظ بين النخيل والشجيرات الاستوائية كمعظم المباني في جزيرة لورد هاو. تقول الفتاة المحتفية بقدومنا: "لا تغلقوا الابواب حين تخرجون كي لا تضطروا إلى تسلق النوافذ للدخول. فنحن لا نوزع مفاتيح هنا."

نركب الدراجات القوية، وسيلة النقل الاكثر شيوعاً في الجزيرة، ونطوف في الطرق المحفرة التي تربط بين ١١٠ منازل و١٧ نزلا وأربعة متاجر.

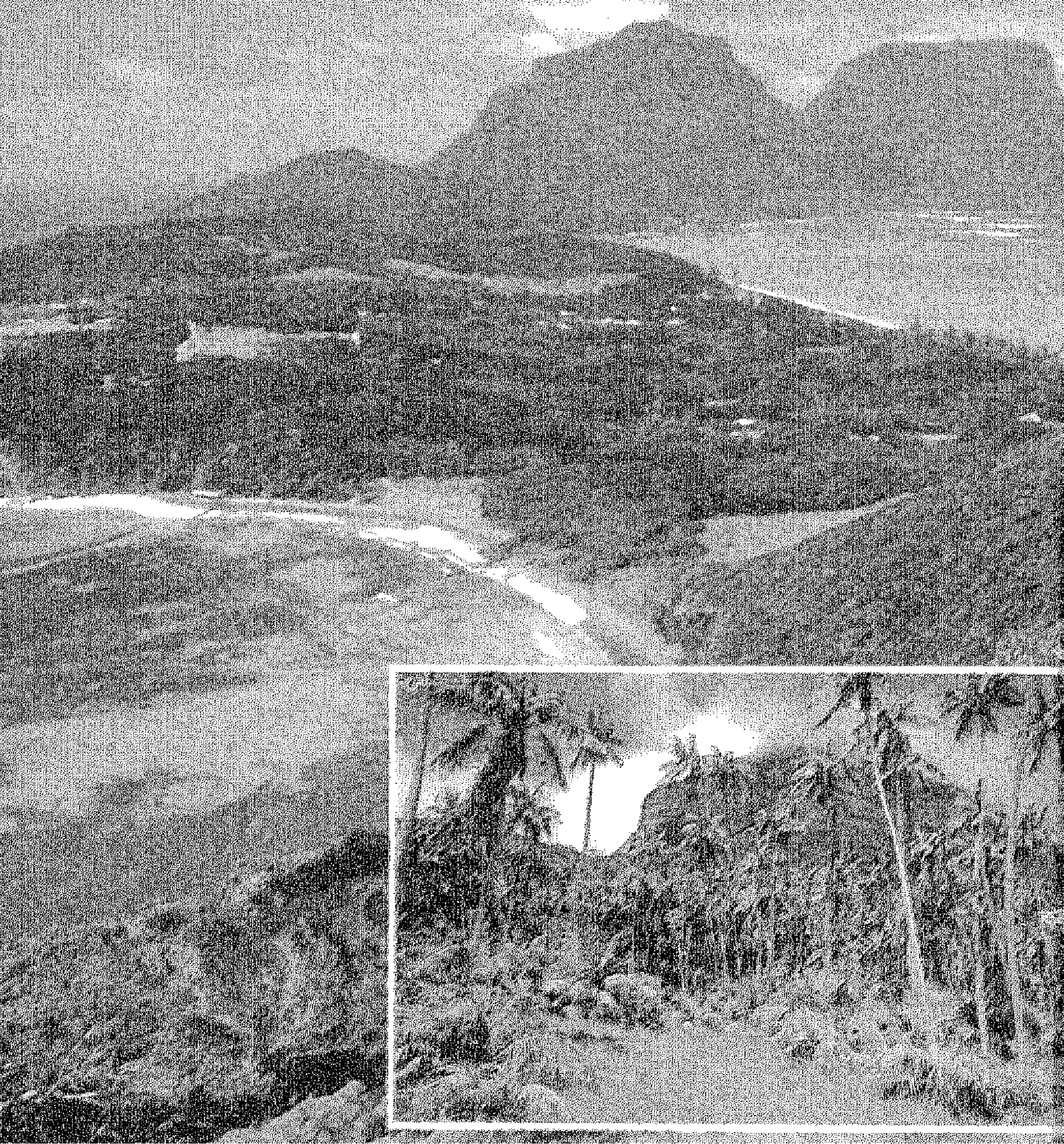
نجول بالدراجات قرب الغدير المحفوف بالرمل الابيض والصخور المتلألئة تحت الماء بألوان الحيد المرجاني في أقصى جنوب العالم. ويلوح جبل غاور البالغ ارتفاعه ٨٧٥ متراً وجبل ليدجبيرد البالغ ٧٧٧ متراً، نائيين مظلمين يغشاهما الضباب. من الصعب العثور على جزيرة آنق من لورد هاو.

(الى اليسار) منظر شامل لمنخفض الجزيرة، ويبدو الحوض وجبلا ليدجبيرد وغاور.
(الصورة الدخيلة) نخيل كنتيا السخي.
(تحت) اطعام السمك في مسبح نيد، وهرم بول الجليل.





فِردوسُ أوستراليا



هذه الجزيرة التي زارتها سفن من "الاسطول الأول" عام ١٧٨٨ بعد أسابيع من انشاء المستعمرة في مرفأ جاكسون، أرض فضية اللون بركانية على شكل قذيفة بومرنغ (١) تبلغ ١١ كيلومتراً طولاً وثلاثة كيلومترات عرضاً عند أوسع نقاطها. وهي قائمة في بحار لازوردية وتبعد مسافة ٧٠٠ كيلومتر عن شمال شرق سيدني، في منتصف الطريق بين أوستراليا وجزيرة نورفوك.

الجمال الطبيعي شبه الاستوائي في الجزيرة، ونباتها وحيوانها الفريدان، أعجبت موظفي الأونيسكو فأدرجوا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ "مجموعة لورد هاو" البالغة ٢٢ صخرة وجزيرة صغيرة موقعاً أثرياً في العالم تنبغي صيانته للاجيال القادمة. وقد صنفوها في مرتبة واحدة مع عجائب عالمية كالأهرام وجبل افرست.

طويلو الاعمار – سكان جزيرة لورد هاو، وعددهم ٢٨٥ نسمة، يتصفون بروح الجماعة ويحيون كأسرة واحدة كبيرة. فالعديد منهم ذوو قربى فعلا، وهم يشيدون بحياتهم الوادعة بمنأى عن مشاكل العالم الخارجي.

هناك كليف ويلسون، الربان وحارس الخضرة الطبيعية والدليل السياحي الذي يؤجّر دراجات هو وزوجته بيث كما يعمل وكيل نقل بحرياً. يقول كليف: "لا بطالة لدينا هاهنا. ولكن ليس من متسع لذوي الاختصاص. فنحن نعمل على أساس أن نجار اليوم هو سمكري الغد."

وغاري كرومبي هو الخباز وصاحب متجر ومشتل، كما انه يؤجّر السيارات وأدوات الغطس. أما سعة حيلة جيم دورمان فمثالية، اذ استطاع خلال سنوات انقاذ أشياء مختلفة من مرمى القمامة في طرف الجزيرة، وابتكر منها معرضاً للتذكارات.

وعلى نحو مخالف للمنحى العالمي الشامل، فإن الجرائم في جزيرة لورد هاو نادرة الحدوث مما يبعث البهجة في النفس. وفي حقل الغولف ذي الحفر التسع يحصل الضيوف على مضارب وكرات وعربات ويضعون اكراميات في صندوق خاص. وفي الجزيرة التي تعد رسمياً جزءاً من مقاطعة نيو ساوث ويلز الاوسترالية، شرطي واحد حتى خلال المواسم السياحية المكتظة في عيدي الميلاد ورأس السنة عندما يزداد سكان الجزيرة إلى سبعمئة نسمة.

ومجلس الجزيرة هو الممثل لحكومة "نيو ساوث ويلز،" ويشرف على ادارة الحانة الوحيدة التي تستغلّ أرباحها في اجراء تحسينات في الجزيرة.

وينظم نيل وكارول وولنو جولات مسلية في حافلة صغيرة مزدحمة. توقف كارول الحافلة في باحة المدرسة لتري الركاب خريطة نافرة للجزيرة من صنع الأولاد. ويتولى ثلاثة أساتذة متفرغين ورابع بدوام جزئي تعليم ٤٤ تلميذاً من روضة الاطفال الى نهاية المرحلة المتوسطة. ويتلقى هؤلاء التلاميذ أفضل تعليم في الدولة. ويقصد كثير من الأحداث البر الاوسترالي لمتابعة الدراسة الثانوية.

---

(١) البومرنغ خشبة معقوفة يتخذ منها سكان اوستراليا الاصليون قذيفة يرشقون بها، ومن أصنافها ضرب يرتد الى الرامي.

الولادات القليلة في الجزيرة البالغة واحدة أو اثنتين سنوياً، تجلب المسرّة الى المستشفى الحسن التجهيز ذي الأسرّة الثلاثة. وإلى الجانب الآخر من الطريق، في دار الحكومة القديمة الفخمة يعلن بفخر ولادة طفل جديد في جزيرة لورد هاو وذلك بتثبيت حفاض زهري أو ازرق على سارية العلم.

وتبقى روح الجماعة المتواشجة رفيقة السكان إلى اللحد. واذ يموت أحدهم يعدّ مجلس الجزيرة ترتيبات الجنازة في مقابل رسم زهيد. وتظهر شاهدات القبور أن سكان الجزيرة طويلو الاعمار اذ يتخطون الثمانين والتسعين.

سنوات عجاف – "ألقاك عند مقلى السمك" هتاف يسمع بانتظام يوم الجمعة. الجميع يتجهون إلى "مطعم المجرة" لسماع الاقاويل والتهام الشرائح اللذيذة من السمك الملكي. وهذا أقرب ما يكون إلى الجمع "الغفير" الذي يمكن أن تلقاه في الجزيرة. وغالباً ما تعقب ذلك حفلة راقصة في نادي البولينغ وحفلات على الشاطئ وتخييم اذا كان الطقس ملائماً.

وتقام أكبر الاحتفالات في الاسبوع الذي يقع فيه "يوم الاكتشاف" اي في ١٧ فبراير (شباط). في ذلك اليوم من العام ١٧٨٨ لمح الملازم ليدجبيرد بول، وهو في طريقه إلى جزيرة نورفوك على متن السفينة "سبلاي،" جزيرة سماها "لورد هاو" تيمناً بالاميرال الأول في بريطانيا. وفي رحلة العودة الى مرفأ جاكسون وجد بحارة بول أن المياه تعج بالأسماك والسلاحف البحرية، والغابات ملأى بطيور لا تخاف اذ أنها لم تر رجالاً من قبل. وقد صاد البحارة طيوراً لموائدهم وسلاحف لقدور الطهو في سيدني.

وما ان ذاع صيت جزيرة لورد هاو كمورد ماء وغذاء وأخشاب حتى تقاطر إليها المستوطنون، وكثيرون منهم صيادو حيتان كانوا يرتزقون بتموين السفن العابرة. ولكن مع مجيء السفن المسيّرة بالبخار وانكماش الطلب على زيت الحيتان تناقص عدد السفن الراسية في الجزيرة. فبعدما بلغ عددها سبعاً في السنة ،مرت فترة في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر لم تظهر خلالها سفينة واحدة.

وبانقطاع الامدادات من العالم الخارجي مرّ عشرات من القاطنين الجزيرة بأوقات عسر كالتي عرفها روبنسون كروزو في الرواية الشهيرة.

غارة الجرذان – أدرك السكان في الثمانينات من القرن الماضي أن الثروة في الجزيرة تجنى من أشجار النخيل المنتشرة في كل مكان، اذ تبين أنها نبات مثالي يوضع في أصص داخل البيوت. وأخذ المستوطنون يصدرون البذور لتجهيز ساحات النخيل حسب النمط الشائع في الفنادق الفخمة وعابرات المحيطات في بداية هذا القرن. وازدهرت هذه التجارة كثيراً.

عام ١٩١٨ جنحت السفينة "ماكامبو" قرب الجزيرة. ونزلت منها جرذان غزت الجزيرة والتهمت مقادير كبيرة من بذور النخيل مما هدد بنفاد هذا المورد. وتذكر

نيدو الحليب الأفضل



ليلي ويلسون، وهي في الحادية والتسعين من عمرها، أنها قتلت جرذاناً في صباها وجمعت جوائز من ستة بنسات في مقابل كل ذبل. أما الآن فإن برامج التسميم الشاملة تحد من القوارض، ويصدر أحد المشاتل نحو مليونين ونصف مليون غرسة نخيل سنوياً.

ان الكثير من سكان الجزيرة متحدرون من الرواد الاوائل. وأحدهم، واسمه ميشال تومسون، هو من حفدة صائد الحيتان الامريكي ناثان تشايس تومسون الذي قدم الى الجزيرة في مستهل العام ١٨٥٠. وهو يعمل على ترميم بيت أسلافه الأقدم في الجزيرة. ومع أن تومسون ولد في الجزيرة إلا أنه لا يملك أرضاً فيها، ولا يملك أي كان أرضاً فيها ايضا. فالجزيرة بأسرها ملك للتاج البريطاني، ويعطى سكانها إجارة من ٣٠ ألف متر مربع أو أقل إلى الابد، ويتوجب عليهم أن يسكنوها على الدوام، مما أدىّ إلى ازالة أكواخ العطل.

ويحافظ مجلس الجزيرة على مظهرها، بحظر الأسلاك الممدودة في الجو وقصر ارتفاع المباني على سبعة أمتار ونصف متر. ولا يسمح لتومسون وغيره من المستأجرين بقطع غصن شجرة أو تغيير طلاء البيت من دون اذن المجلس.

يقول حاكم الجزيرة جيم لايسي: "يتذمر البعض من ان تعليماتنا بيروقراطية عمياء. لدينا هدف واحد نسعى اليه: أن نصون بيئتنا الفريدة."

حصن أسطوري — في المتحف، يتولى ديفيد بولارد، أحد علماء الحياة البحرية من "معهد أبحاث مربي السمك" في نيو ساوث ويلز، عرض شرائح عن الحياة البحرية والمرجان في اليابان وفلوريدا والحيد المرجاني الكبير في اجتماع لساكني الجزيرة.

لقد وفد بولارد إلى الجزيرة ليقترح سبلا لحماية الحياة البحرية فيها. ويوضح أن المنشآت السياحية في المحيط الهادئ أتلفت المرجان: "أنتم محظوظون. إن جزيرة لورد هاو لم تشهد تطاولا في البنيان أو توسعاً على نطاق كبير. ان حيدكم المرجاني مصون."

وللتحقق من ذلك نغطس في حوض الجزيرة. وعلى بعد أمتار من الشاطئ ننزلق على الحاجز المرجاني الملون الذي يمور بضروب مختلفة من المرجان والشقائق وما يربو على ٤٠٠ نوع من السمك، بما فيها السمكة الفراشة ذات المنظر الأخاذ.

ولدى وقوفنا في الماء إلى حد الركب في "مسبح نيد" في الجانب الآخر من الجزيرة، نطعم مئات الأسماك خبزاً وهي تدور ملتوية حول سيقاننا. نجلس في دعة على الشاطئ بين النخيل وشجر تين البنغال لنراقب ظلال طيور الضأن (٢) العائدة من يوم صيد في البحر. واذ تنحدر فجأة إلى الأرض تسرع الى جحورها المتوارية. كل عام يتخذ خمسون ألفاً من هذه الطيور ذوات القوائم اللحمية من الجزيرة مكاناً تعيش فيه. وبعضها يفد الى الجزيرة آتيا من سيبيريا.

الجزيرة أمنية تراود مراقبي الطير، اذ يمكن تحديد ١٢٠ نوعاً من الطيور

(٢) Mutton birds

باقتفاء آثارها. وثمة نحو مئة ألف من الخراشن (٣) وطيور النوء (٤) تعشش في الجزيرة كل عام. وكلا الجبلين في الجزيرة، غاور الوعر الذي يستغرق بلوغ قمته ثلاث ساعات، وليدجبيرد، هما الملاذان الاخيران الرئيسيان في العالم لطيور النوء. والطائر المحلي الأشهر هو دجاج الخشب الذي تناقصت اعداده إلى اثني عشر طائراً، ولولا برنامج لتربية الطيور في الاسر لكان هذا العصفور الصغير غير الطيار، انقرض نهائياً.

وعلى مسافة ٢٣ كيلومتراً من جزيرة لورد هاو يقع هرم بول حيث أعلى ذروة صخرية في العالم على ارتفاع ٥٤٨ متراً، شامخة في الافق على نحو غريب، كحصن غامض في أسطورة. وهذه الاطلال المسننة لأحد البراكين لم يتسلقها أحد قبل العام ١٩٦٥.

مقاومة العصرنة – ننضم إلى الدليل بول بومون في جولة إلى الصخرة على متن مركبه، تواكبنا عشرات الدلافين اللعوبة المتسابقة.

واذ تقذفنا الامواج العاتية خارج الحيد المرجاني نقدر الصعوبات التي يكابدها سكان الجزيرة للحصول على المؤن. يتوقف هناك مركب صغير كل أسبوعين، لكن البواخر الكبيرة لا تتمكن من ولوج الحوض الضحل. وترسو في البحر المفتوح الباخرة "نورفوك ترايدر" التي تموّن جزيرة نورفوك أيضاً، وتفرّغ حمولتها من ثلاجات وسيارات وأطعمة وسواها في قارب الشحن الذي يقتنيه سكان الجزيرة.

القرن العشرون يتغلغل الى وجوه كثيرة من الحياة في الجزيرة. عام ١٩٧٤ بنت شركة "الهندسة الملكية الاوسترالية" مدرجاً يستوعب الطائرات الآتية من جزيرة نورفوك والبر الاوسترالي.

وعندما أدخلت الهواتف الخاصة عام ١٩٨٣ ووصل الى الجزيرة الهوس العالمي بأجهزة الفيديو، واجه السكان تغيرات مذهلة. وقررت ادارة نزل "أشجار الصنوبر" القديم مقاومة التطور بعدم تركيب جهاز هاتف، باعتبار أن الزوار (أمثال نيفيل ران رئيس الوزراء السابق في نيو ساوث ويلز) يقصدونه فراراً من ايقاع حياة المدينة.

ولكن في العام ١٩٨٧ جذب القمر الاصطناعي للاتصالات "اوسات" أجهزة الهاتف والـ"فاكسيميلي" (٦) والتلفاز الى الجزيرة. وأذعن نزل "اشجار الصنوبر" للامر وركب فيه هاتف مكتبي وآلة "فاكسيميلي" للحجوزات.

يقول جيم لايسي: "التغيرات آتية بلا ريب، ولكن بعد مئة سنة سيبقى في مستطاع الناس أن يؤموا هذا المكان ويمتعوا أنظارهم بجزيرة لورد هاو التي لم تعتر محاسنها الطبيعية شائبة، تماماً كما نتمتع بها اليوم."

جايمس هاتشيسون ومارغو بفايف

(٣) sooty terns وهي ضرب من النوارس.
(٤) Petrels
(٥) Woodhen
(٦) نظام لارسال الصور أو المواد المطبوعة سلكياً أو بالراديو.

القافية انتصار على تقييدات اللغة. ك.د.

تقرير خاص

الى الرياضيين: المنشطات موت بطيء

في أوائل شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٧ كانت بريجيت دريسل، إحدى فضلى رياضيات ألمانيا الغربية الاولمبيات، تتدرب على رمي الكرة الحديد، فشعرت بألم حاد في أسفل ظهرها مما دفعها الى استشارة طبيب في بلدتها مينز. ولم ينفع الدواء المسكّن في ازالة الألم، ولم تجدِ الاقراص والتحاميل والحقن التي تناولتها في اليومين التاليين.

ثم ساءت حالها على نحو مثير، فهُرع بها الى مستشفى جامعة مينز حيث أكب أكثر من عشرين طبيباً اختصاصياً على معالجتها والحيرة تغمرهم. لكن جهودهم ذهبت سدى. وبعد ظهر ذلك اليوم ازرقّت شفتاها وأظافيرها وتكوّنت على فمها قشرة بيضاء. ولم تنفع الانابيب وعمليات نقل الدم والتنفس الاصطناعي في قسم العناية الفائقة، وتوفيت بريجيت في الليل عن ٢٦ عاماً.





نحو ٥٠ في المئة من الرياضيين العالميين يتعاطون العقاقير المحظورة لتعزيز أدائهم. وهذا الجنون لا يهدد حياتهم فقط بل مستقبل الرياضة كلها

ظلّت تفاصيل قصّة بريجيت خافية حتى شهر سبتمبر (أيلول)، وما ان شاعت حتى أحدثت صدمة عنيفة في عالم رياضة الهواة. واكتشف المحققون أن بريجيت في سعيها الحثيث الى نيل ميدالية ذهبية في دورة ١٩٨٨ للالعاب الاولمبيّة، دأبت طوال السنتين السابقتين على تناول أكثر من مئة صنف من العقاقير، ابتلاعاً وتنشقاً وحقناً. وأثمر مسعاها ذاك إذ سجّلت في تلك الفترة صعوداً "صاروخياً" نقلها من المرتبة الثالثة والثلاثين في الترتيب العالمي الى المرتبة السادسة. على أن أعجوبة تقدّمها، كما موتها، كانت في معظمها كيميائية. وهي عانت ميتة بطيئة مروعة وغامضة بعدما تسمّم جسمها وانحلّ دمها. ولم يجد الاطباء وصفاً لوفاتها إلا العبارة الفضفاضة "حادث حساسية سامّة."

تصريحات خطيرة

النزع الذي عانته بريجيت دريسل كان برهاناً مخيفاً على أن أزمة كبرى تهدّد الرياضيين الدوليين ومصدرها العقاقير. ويقول البريطاني سيباستيان كو بطل العالم في سباقي الثمانمئة متر والالف متر: "ان أكبر مشكلة منفردة يواجهها عالم الرياضة اليوم هي إساءة استعمال العقاقير." وتشير التقديرات الى أن أكثر من ٥٠ في المئة من الرياضيين ذوي المستوى العالمي يستخدمون المواد الممنوعة لتعزيز أدائهم. فالميداليات والكؤوس والارقام القياسيّة ملطّخة بالكيميائيات.

في روما، بعد خمسة أشهر من وفاة دريسل، أدلى العدّاء الامريكي كارل لويس الفائز بأربع ميداليات ذهبيّة في دورة الالعاب الاولمبيّة للعام ١٩٨٤ في لوس انجلس، بتصريح حطّم الهدوء الظاهري المخيّم على مباريات البطولة العالميّة في سباق المضمار والميدان. قال: "ان عدداً كبير من الرياضيين المغمورين يأتون الى هنا ويركضون على نحو لا يُصدّق. هناك بين الفائزين بميداليات ذهبية في هذه السباقات من يتعاطون العقاقير. إن الامر واضح والجميع على علم بذلك."

بهذا التصريح دق لويس ناقوس الخطر. وأظهرت الاشهر التالية صحّة أقواله:

- في نوفمبر (تشرين الثاني) مثل البريطاني ديفيد جنكنز، الفائز بميدالية فضيّة في الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢ في سباق الاربعمئة متر تناوباً، أمام القضاء في سان دييغو واعترف بأنه شريك في شبكة تربح ملايين الدولارات سنوياً متخصصة بالستيرويدات الابتنائية(١) وهي مواد اصطناعية تعمل عمل الهورمون الذكري "تستوستيرون" ويستخدمها الرياضيون ومحترفو كمال الأجسام من أجل تنمية عضلاتهم. وعلى أثر ذلك تمّ اكتشاف شبكات أخرى في بريطانيا وهولندا وفرنسا.
- في الشهر ذاته قُبض في محطة للسكك الحديد على ثلاثة رياضيين بولونيين من المشتركين في بطولة العالم لرفع الاثقال التي أقيمت في

(١) Anabolic steroids

فريدريكستاد بالنروج، ومعهم ٩٠٠٠ جرعة من الستيرويد. وذكّرت هذه القضية بقضية اثنين من رافعي الاثقال السوفييت قبضت عليهما السلطات الكندية في العام ١٩٨٤ وفي حوزتهما كميّة من الستيرويد تبلغ قيمتها ٦٠٠٠ دولار. وفي أواخر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ أوقفت السلطات الجمركية النروجية الفائز الأول في مباراة فريدريكستاد، بطل العالم البلجيكي اريك كوبن، وضبطت في سيارته كمية من الستيرويد والتستوسترون تبلغ قيمتها ٣٤ ألف دولار.

• في خريف ١٩٨٧ كشف مستشفى الاطفال في لندن عن اختفاء شحنة من هورمون النمو البشري تبلغ قيمتها ٤٠ ألف جنيه استرليني، وهي مادة تمّ تركيبها حديثاً كعلاجٍ للاطفال المعاقي النمو (الاقزام) وأعتقد - خطأ - أنها تزيد الرياضيين الشباب قوة وحجماً.

• في فبراير (شباط) ١٩٨٨ حُرم ياروسلو مورافيكي، أفضل لاعبي الهوكي في بولونيا، من الاشتراك في الالعاب الاولمبية الشتوية في كالغاري بكندا بعدما أظهرت التحاليل وجود ستيرويد في دمه.

• في الدورة العالمية في سباق المضمار التي أجريت حديثاً في زوريخ، تغيب أكثر من نصف الرياضيين الثمانية والعشرين المشتركين في ألعاب القوى (رمي الكرة الحديد والمطرقة والقرص) مما أثار اشمئزاز منظّم المباراة راس بروغر ودفعه الى القول: "ان المعنى الوحيد لهذا التصرّف هو أن الفحص الخاص بالمخدرات أثار خوفهم. وإذا استمرّت الأمور على هذا المنوال فلن تكون هناك مباريات في المستقبل. لذلك يتعيّن علىٰ الاتحاد الدولي للرياضيين الهواة وعلى الاتحادات الوطنية للرياضة أن تفرض مزيداً من الرقابة."

بعد انتهاء مباريات البطولة في روما نفى رئيس الاتحاد الدولي للرياضيين الهواة بريمو نبيولي المزاعم حول تفشي استعمال العقاقير بين المتبارين، وأعلن أنه لم يسجَّل أي حادث مخدرات في أي من مسابقات بطولة العالم في العاب القوى منذ بدئها عام ١٩٨٣. على أن تأكيداته تلك قوبلت بكثير من الشك. وقال الدكتور روبرت فوي كبير الاطباء في اللجنة الاولمبية الامريكية معلقاً: "اني أشكّ في طريقة اجراء الفحص، وأدعو الى التحقيق في طمس النتائج الحقيقية."

ولقد عبّر ألكسندر دو ميرود رئيس المفوضية الطبيّة في اللجنة الاولمبية الدولية عن شكوكه هو أيضاً.

وفي حجرات الادراج المقفلة في أرجاء العالم تُسمع أصوات الرياضيين الذين بدأوا يدركون المعاني الضمنيّة لوفاة بريجيت دريسل. ومن هؤلاء رياضية تدعى غابي بوسمان هي عدّاءة في فريق ألمانيا الغربية وإحدى زميلات دريسل اللواتي فهمن سبب شعورها بالاحباط. وهي تقول: "هناك حقول يصعب فيها بلوغ المستوى الاولمبي ما لم يلجأ المرء الى العقاقير، وانما لشجاعة لا يستهان بها أن تتمكن رياضية عاديّة من التباري مع عدد كبير

من المنافسات اللواتي هنّ أقرب الى الرجال منهن الى النساء." وبوسمان التي تتمتع برشاقة وأنوثة وبتحرر مطلق من العقاقير، تخلّت أخيراً عن اختصاصها السابق وهو سباق الاربعمئة متر وتحوّلت الى سباق الثمانمئة متر. والسبب أن العقاقير تفيد في العدو مسافات قصيرة بينما هي أقلّ فاعلية في السباقات الطويلة.

والى صوت ميرود ارتفعت أصوات أخرى احتجاجاً. ويقول البروفسور ويلدور هولمان رئيس الاتحاد العالمي للطب الرياضي في كولونيا: "في اعتقادي أن هناك عدداً ضئيلاً جداً من الرياضيات اللواتي سجلن أرقاماً قياسيّة عالميّة من دون الاستعانة بالستيرويد الابتنائي في الرياضات التي تتطلب سرعة وقوّة وطاقة، مثل الركض والقفز العريض والعالي ورمي الكرة الحديد والقرص وربما الرمح."

تأثيرات مفجعة

كان الرياضيون الأول في زمن الاغريق يتناولون الفطر وغيره من المواد أثناء الاحتفالات الاولمبية في القرن الثالث قبل الميلاد. ومنذ ذلك التاريخ والمتبارون لا ينفكون يبحثون عن مواد تعطيهم دفعاً إضافياً. على أن استخدام علم الكيمياء لم يغزُ عالم الرياضة الا بعد الحرب العالمية الثانية، واقتصرت أساليب الغش حتى منتصف الستينات على استخدام المنبّهات المرتكزة على مادة الأمفيتامين. ولقد أعلن البروفسور مانفريد دونايك، عضو اللجنة الاولمبية الدولية ورئيس المختبر الالماني الغربي لمكافحة المخدرات، أن أرض الحمّامات التي خصصت للرياضيين في دورة طوكيو للالعاب الاولمبية عام ١٩٦٤ "كانت مكسوة بالقوارير والمحاقن المبعثرة في كل مكان."

ومنذ بدأ اخضاع المشتركين في المباريات الدولية لفحوص مخبريّة في العام ١٩٦٨ في دورة غرينوبل للالعاب الاولمبية الشتوية، أهمل الامفيتامين نظراً الى سهولة اكتشافه في عيّنات البول، وراح المتبارون يفتشون عن مواد بديلة.

كان الستيرويد الابتنائي العقار العجائبي الذي اكتشفوه. فعمله ليس تزويد الجسد الطبيعي حيوية ونشاطاً، بل إعطاء الرياضي جسداً جديداً. ولوحظ أن امتصاص الجسم كميات ضخمة من الستيرويد الابتنائي أو من هورمون التستوستيرون يساعد على تنمية العضلات في فترات اعجازية. ولم يُعرف التأثير المريع الذي تخلفه هذه المواد في الجسم إلا لاحقاً. فهي تبني جهة وتهدم أخرى، وفيما العضلات تنتفخ وتنمو تضعف الأوتار وتهن نسبياً.

في أسوأ الحالات تكون النتيجة انفجار أوتار العرقوب (أوتار أخيل) أو تهشم الركب أو تمزّق العضلات وانفصالها عن أقواسها العظميّة كما حصل للمصارع الاسوجي (السويدي) بيل سفنسون. فهو كان يتناول الستيرويد بانتظام الى أن جاء يوم انهارت العضلة الرئيسية في ظهره، وكان ذلك أثناء دورة ميونيخ الاولمبية عام ١٩٧٢. وحصل ذلك ايضاً

لرافع الأثقال الفنلندي كارلو كانفانسنيمي الذي انفجرت عضلة كتفه اليسرى أثناء مباراة على المستوى الوطني في العالم ١٩٧٥.

ولهذه المواد تأثير قاس في الاناث. ويقول ارنست جيكوب طبيب الفريق الالماني الغربي النسائي للالعاب الثنائية: "ان الستيرويد الابتنائي هو أسوأ ما يمكن أن تتعاطاه رياضيّة." ومن شأن الهورمون الذكري، طبيعياً كان أم اصطناعياً، أن "يوهم" جسم المرأة بأنه جسم رجل، فينبت الشعر في أجزاء مختلفة من الجسم وفي الوجه ويعمق الصوت ويتوقف الحيض ومعه الخصب. ومعظم هذه التأثيرات ذات طابع دائم. أما تأثيره على المدى البعيد فيتعدى كل ذلك إلى ما هو أسوأ مثل سرطان الكبد وتعطل الكليتين ومشاكل في القلب واعاقة في النمو إذا كانت المتعاطية مراهقة.

وللستيرويد الابتنائي تأثير مفجع في الرياضيين الذكور. فعندما يشعر الجسم بتدفق الهورمون الجديد يوقف انتاجه للهورمون الذكري في محاولة لاعادة التوازن الطبيعي، ويروح يفرز كميات أكبر من الهورمون الانثوي. وربما أدى ذلك الى إخصاء كيميائي وأعراضه تقلص الخصيتين وبروز الثديين. وقد يقع متناول الستيرويد ضحيّة نوبات من العدوانية والسلوك الجنسي الشاذ غير المتوقع، الى التأثير الطويل ذاته الذي تتعرض له الإناث من اضطرابات في الكليتين والكبد والقلب والنمو. كما أن بعضهم يصابون بالعقم، ويتعرض البعض الآخر، ولاسيما الذين يتناولون كميات كبيرة من هذه المواد، للاصابة بسرطان غدّة البروستات.

اختصر ريموند بروكس أستاذ كيمياء الغدد في مستشفى القديس توما في لندن، مخاطر استعمال الهورمون مشبهاً إياه بروليت روسية(٢) حيث حشي المسدّس بثلاث رصاصات. أما البروفسور جيرار سايان المستشار في وزارة الرياضة والشباب في فرنسا فقال: "إنه نوع من الانتحار بالاحتراق البطيء."

وعلى رغم المخاطر التي يحملها الستيرويد فانه منتشر على نحو وبائي. وتشير التقديرات الحالية الى أن عدد الذين يتناولونه بانتظام في الولايات المتحدة وحدها يراوح بين مليون وثلاثة ملايين، والنسبة هي ذاتها في أوروبا. ويقول الامريكي إدوين موزس بطل سباق الاربعمائة متر حواجز ان أكثر من نصف الرياضيين في أمريكا يتناولون نوعاً من العقاقير. أما ماري ديكر سلاني إحدى أبرز عدّاءات المسافات الطويلة في العالم فتؤكد أن "عدد متعاطي الستيرويد بين الرياضيين الدوليين يفوق عدد الممتنعين عنه." وفي صيف ١٩٨٧ عمد ساندرو دوناتي مدرّب الفريق الوطني الايطالي لسباق المسافات القصيرة آنذاك، الى مهاجمة عالم سباق المضمار متهماً بأن المخدرات متفشية فيه.

(٢) في الروليت الروسية أو "لعبة الموت" توضع رصاصة واحدة في قرص مسدس ويدار القرص، ثم يضع اللاعب فوهة المسدس على رأسه ويضغط الزند، فيكون حظه الموت أو الحياة.

ويرى نوربرت ولوش رئيس الاتحاد النمسوي لألعاب القوى "أن عدداً كبيراً من الرياضيين يتوهمون أن عليهم تناول الستيرويد لكي يتمكنوا من التباري دولياً. وهناك عدد قليل جداً من رافعي الاثقال لم يتعاطوا الستيرويد."

المستقبل المنظور لا يحمل نهاية لهذه المشكلة. ويقول البروفسور أرنولد باكيت عضو اللجنة الطبيّة في اللجنة الاولمبية الدولية والمدير السابق لمركز ضبط العقاقير واختبارها في بريطانيا: "يظنّ الرياضيون أنه لزام عليهم أن يتناولوا شيئاً ما لكي يكونوا على مستوى متعاطي العقاقير. وهكذا تظلّ المشكلة في تصاعد مستمر."

وخلص كولن موينهان وزير الرياضة في بريطانيا الى نتيجة متشائمة: "ربما أدى ذلك الى نهاية الرياضة التنافسية العادلة."

ويؤكد البعض أن هذه الرياضة انتهت فعلاً، ويدلون بالشواهد والبراهين. ففي أثناء الالعاب الاولمبية في مونريال عام ١٩٧٦ احتدّ مدرّب فريق ألمانيا الشرقية النسائي للسباحة حين سئل عن ضخامة عضلات السابحات الجميلات في فريقه وعمق أصواتهن، ورد غاضباً من دون حرج: "إننا هنا لنسبح لا لنغني."

"نظافة" مغشوشة

قبل إحدى عشرة سنة، عندما لجأت العدّاءة الالمانية الشرقية رينات نوفلد الى الغرب، كشفت أنها كانت تتناول اقراصاً "مساعدة." وأيدّ أقوالها نعيم سليمانوف بطل العالم في رفع الاثقال الذي لجأ حديثاً من بلغاريا الى تركيا.

يبقى التعاطي الحر في الغرب سيّد الموقف. وهناك امكان جني أموال طائلة من بيع الهورمون في الشوارع كما بيّنت قضية ديفيد جنكنز. ولا يجد الزبائن مشقّة في العثور على ما يبغون من الاقراص والحقن ما داموا مستعدين لدفع أثمانها. ولا تتوانى شركات الصيدلة عن تعويم السوق. ومعظم المتعاطين في الغرب هم من محترفي كمال الاجسام. على أن كثيراً من رياضيي سباق المضمار انضموا الى الصرعة السائدة، فهم يتهافتون على الستيرويد المعدّ للاستعمال البشري إذا توافر. أما في حال عدم توافره فانهم يتحولون الى الستيرويد المعدّ للاستعمال البيطري، والكثير من المتعاطين يفضلون الصنف الثاني لأن تأثيره فيهم، كما في العجول التي أعد لها أصلاً، هو زيادة الوزن بنصف الثمن.

لكن الثمن على الصعيد البشري غالباً ما يكون المرض أو الموت. وفي تقدير البروفسور لودفيك بروكوب مدير المعهد النمسوي للطبّ الرياضي، أن عدد الرياضيين الغربيين المتفوقين الذين قضوا في فترة ما بعد الحرب بسبب المخدرات يبلغ نحو سبعين، يقابلهم نحو خمسين رياضياً من الكتلة الشرقية. والفرق يعود الى الرقابة الشديدة التي تمارسها الدولة في الكتلة الشرقية على الرياضيين. والثمن المدفوع بطرق أخرى باهظ أيضاً، ولقد أسرّ طبيب سوفييتي الى زملاء له غربيين بأنه اكتشف خلال معايناته لرياضيين سابقين شباب أكثر

بحلتها الجديدة

مجلة لكل بيت

اسبوعية نسائية اجتماعية شاملة

جعلها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت:



منوعات

تحقيقات ومقابلات

فن

ثقافة

تجميل

اناقة

مشكلة وحل

طب

مطبخ

طبيعة

حديث الابراج

بالاضافة لعدة ابواب اخرى

من ٢٠٠ حالة من سرطان البروستات ناشئة بلا ريب من تعاطي الهورمون.

ولاعتبارات عائدة الى طموح شخصي بلا حدود من جهة، والى مكانة الدولة واعتبارها من جهة أخرى، تستمر لعبة العقاقير في الشرق والغرب وتزداد أساليب الغش براعة. والآن وقد غدت الفحوص المخبريّة إلزامية في جميع المباريات الاولمبية ومباريات الاتحاد الدولي للرياضيين الهواة، أصبح همّ الغشاشين أن يتغلبوا على الفحص. وأبسط طريقة لذلك هي ايجاد مسؤول رسمي على استعداد لأن يمدّ الرياضيين المدمنين بعيّنات من البول "النظيف" أو يغضّ النظر عن الفحص. وهذا ما حدا رون بيكيرنغ، وهو مدرّب بريطاني مرموق ومعلّق رياضي، على توجيه انتقاد الى مباريات البطولة التي أجريت في روما. وهو قال لي: "استناداً الى ما ذكره رياضيون آخرون، نعتقد أن الرياضيين الايطاليين تناولوا كميات كبيرة من العقاقير لانهم علموا أنهم لن يخضعوا للفحص."

قائمة المحظورات

غالباً ما يتساهل منظمو المباريات غير الاولمبية ولا يلتزمون اجراء فحوص متشدّدة. وفي العام ١٩٨٢ في مباراة دولية أقيمت في لندن بين بريطانيا وألمانيا الشرقية، إتفق ممثلو البلدين على الغاء الفحوص. وفي مباراة أخرى أجريت في بريطانيا عام ١٩٨٣ أصرّ طبيب الفريق السوفييتي على إرسال عيّنات الرياضيين الى مختبر في موسكو بدل المختبر البريطاني المتفق عليه سابقاً. وهو نال مطلبه. وعندما أرسلت النتائج بعد أشهر الى بريطانيا كانت جميعها "نظيفة."

تبقى في جعبة الغشّاشين خدعتان يلجأون اليهما عندما يستحيل عليهم تجنّب الفحص، وهما التوقف عن تناول الهورمون أو استخدام عنصر مموّه. وبما أن آثار الستيرويد تختفي من الجسم خلال أسابيع قليلة، فإن السر هو التوقف عن أخذه قبل شهر أو نحوه من المباراة. ولا يقع في الشرك سوى المخادع الذي لا يتوقف عن تناول المادّة في الوقت المناسب، مثلما حدث للسويسرية ساندرا غاسيت رابحة الميدالية البرونزية في سباق الـ١٥٠٠ متر في مباريات بطولة العالم التي أقيمت في روما في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧، إذ كانت الوحيدة التي كشف الفحص تعاطيها الهورمون. ويُعتقد أن لاعبات سواها انقطعن عن الهورمون في الوقت المناسب.

والعنصر المموّه هو عقار ثان يخفي آثار العقار الأول. وخلال العام ١٩٨٧ أثار فضول تقنيي المختبرات وعجبهم وجود آثار للعقار "بروبنيسيد" في عيّنات بول اللاعبين. وبعد مزيد من التقصي اكتشفوا السبب: البروبنيسيد يحجب آثار الستيرويد الابتنائي طوالِ ساعات ويعوق اكتشافه. وعلى أثر ذلك أدرج على قائمة المواد المحظورة في اللجنة الدولية الاولمبية.

وهذه القائمة التي جُمعت عام ١٩٦٧ والتي تجددها بانتظام اللجنة الطبية المتفرعة من اللجنة الاولمبية الدولية، هي

خط الدفاع الامامي في الحرب ضدّ المواد الكيميائية في عالم الرياضة. وهي تحظر صراحةً استخدام نحو مئة مركّب موزّعة على خمس فئات، وهي: المنبّهات مثل الامفيتامين، والمسكنات المخدِّرة مثل المورفين، والستيرويد الابتنائي الطبيعي والمركب اصطناعياً ومدرّات البول وسواها من العوامل المموِّهة، والمعترضات البائية(٣) وهي الدواء المستعمل ضدّ الإجهاد الذي يفضّله القنّاصون لأنه يثبت أيديهم ويمنع الرجفة ويشحذ التصويب.

عام ١٩٨٥ حظرت اللجنة الدولية الاولمبية طريقة أخرى لتعزيز أداء اللاعبين وهي "التقوية بالدم"(٤). ويتم ذلك بسحب نحو ليتر من دم الرياضي وخزنه في البرّاد ثمّ إعطائه اياه مجدداً قبل المباراة مباشرة. وهذا من شأنه أن يضاعف مقدرة الرياضي على حمل الاوكسيجين وبالتالي مقدرته على الاحتمال. ولقد اعترف الفنلندي عدّاء المسافات الطويلة كارل مانيكا باستخدام هذه الطريقة في مباريات موسكو الاولمبية عام ١٩٨٠، وهو فاز فيها بميداليات فضّية وبرونزية. وبعد دورة لوس انجلس الاولمبية عام ١٩٨٤ صرح أربعة أعضاء من الفريق الامريكي الفائز في سباق الدراجات بأنهم لجأوا الى هذه الطريقة.

ماذا بعد؟ أحدث صرعات اليوم إقبال الرياضيين على هورمون النمو البشري المركّب إصطناعياً وعلى الهورمون التناسلي المشيمي(٥). ويستعمل الأول علاجاً للاطفال الذين يعانون نقصاً في الهورمون، إلا أنه يؤدي في الكبار الى تضخم عظم الأطراف بسبب خلل يحدثه في الغدّة النخامية يرافقه نتوء في الفك الاسفل وتضخم في اليدين والقدمين وغلاظة في الشفتين واللسان. وعلى رغم التحذيرات من خطره وعدم جدواه، يسود بين الرياضيين اعتقاد متهوّر بأنه يعزّز الأداء. ولقد اعترف عدّاء المسافات القصيرة الايطالي بيترو مينا بأنه يتناوله. والظنّ السائد أن سواه من الرياضيين يحذون حذوه.

أما الهورمون التناسلي المشيمي فيستخرج من بول النساء الحوامل. وهو يحفز جسم الذكر على انتاج مزيد من التستوسترون الذي يزيد نمو العضلات.

إجراءات أساسية

مع اقتراب موعد الالعاب الاولمبية الصيفية المقررة في سيول بكوريا الجنوبية، وتعاظم فضيحة المخدرات، يتجه عالم الرياضة الى نقطة اللاعودة. ففي شهر فبراير (شباط) ١٩٨٨ صرح رئيس اللجنة الدولية الاولمبية خوان أنطونيو سمارانش أن تعاطي الرياضيين المخدرات "يجعل جوهر الرياضة مهزلة."

اذا كان للرياضة الأولمبية أن تُصان، فيجب اتباع ستّ خطوات أساسية على الاقل:

□ **العقوبات:** يجب إخضاع الرياضيين في كل مكان للعقوبات نفسها، وهي حرمان الرياضي الاشتراك في أي مباراة لمدّة سنتين عند أول

(٣) Beta-blockers
(٤) Blood doping
(٥) Chorionic gonadotropin

مخالفة، وفصله نهائياً بعد المخالفة الثانية. وهذه هي التوصية الحالية للجنة الدولية الاولمبية. أما المدربون وأطباء الفرق الذين تثبت إدانتهم بتشجيع الرياضيين أو اجبارهم على تناول العقاقير، فإن اللجنة الدولية الاولمبية توصي باسقاط حقّهم في ممارسة المهنة مدى الحياة.

□ **الكشف:** يجب اعتماد نظام للفحص على مدار السنة، وإجراؤه أيضاً خارج الاوقات المحدّدة للمباريات الفعلية. وتشكل "فرق طائرة" من الفاحصين الدوليين تعيّنهم اللجنة الاولمبية الدولية وتخوّلهم حق مباغتة الرياضيين حيثما كانوا وإخضاعهم للفحص من دون انذار سابق. ومن شأن هذا النظام، الذي أصبح معتمَداً لدى الاتحاد الدولي لرفع الاثقال وغيره من الهيئات الدولية والوطنيّة، أن يؤمّن برامج فحص نزيهة.

□ **الفحص:** يجب الاسراع في اعتماد برنامج بحث وتقصّ تشرف عليه اللجنة الدوليّة الاولمبية، وذلك من أجل التوصل الى أساليب للفحص أجدّ وأسرع وأفعل.

□ **التربية:** على اللجنة الدولية الاولمبية إحاطة الرياضيين والأهل والمدرّبين وأطباء الفرق الرياضية بمخاطر العقاقير والعقوبات المترتبة على استخدامها.

□ **الاهلية:** على اللجنة الدولية الاولمبية أن تعلن صراحة أن أي رياضي لن يعتبر مؤهلاً للاشتراك في المباريات الاولمبية ما لم يتعهد تزويد اللجنة عيّنة للفحص في كل مرّة تطلب منه ذلك. وهكذا يصبح الفحص عشوائياً حقاً. ولقد باشرت بريطانيا هذا الاجراء في اختيار أعضاء فرقها الوطنية.

□ **الضبط:** يجب أن تُصنّف الستيرويدات على أنواعها، بما في ذلك التستوستيرون وهورمون النمو البشري الاصطناعي والهورمون التناسلي المشيمي وغيرها من مركّبات الهورمون، كمواد يجب اخضاعها للضبط والمراقبة مثل الامفيتامين والهيروبين والكوكايين. وهذا التدبير من شأنه أن يشكّل ضغطاً على شركات الصيدلة التي تنتج كميّات تفوق الطلب الطبّي المشروع.

ستساعد هذه الخطوات على ضبط الرياضة، ولكن يكمن الحل الحقيقي في النفوس وليس في النصوص. وكما قال رون بيكيرنغ: "علينا أن ننبّه المجتمع الى المخاطر التي تشكلها العقاقير، ليس فقط على الرياضيين بل على مستقبل الرياضة ككل. ولا يمكننا أن نولي الجهد الرياضي الاحترام الذي يستحقه إلا إذا حافظنا عليه نظيفاً. ربما بدا ذلك مفرطاً في المثاليّة، ولكن ليس منه بديل."

رودولف شلمنسكي

سأل شاب صديقه بعدما تركته خطيبته: "ولكن، ألم تخبرها عن عمك الغني؟" فرد الصديق البائس: "طبعاً أخبرتها. ولذلك هي اليوم زوجة عمي."

ر.س.

ربّات المنازل في عصر الآلة





لم يعد بائع الثلج يأتي
ولا بائع الحليب
ولا الخياطة
ولا الطبيب...

هل مفاجأة القول ان الادوات المنزلية لا تخفف العمل دائماً؟

وما مدى صحة هذا الكلام؟

لا بد من أن هناك أجهزة توفّر شيئاً ما والاّ كففنا عن دفع ثمنها الباهظ من أتعابنا. فالملابس التي كنا نغسلها بايدينا ونغليها على الموقد بتنا نضعها في غسالة كهربائية. وأبدلنا حبل الغسيل بالمجففة الكهربائية ومكنسة القش بالمكنسة الكهربائية وصندوق الثلج والقبو بالبراد والثلاجة.

وعلى رغم ذلك ما زالت ربات البيوت يمضين عدد الساعات ذاته في العمل المنزلي مثل جداتهن وأمهاتهن في العشرات والعشرينات والثلاثينات من هذا القرن.

لماذا لم تخفف هذه الادوات العمل في المنازل؟

Condensed from American Heritage of Invention & Technology (Spring 1987),

لنتأمل تاريخ المكنسة الكهربائية. لعشرات السنين قبل انقضاء القرن الماضي حاول المخترعون ابتكار جهاز لتنظيف السجاد يدخل تحسينات على التقليد السنوي لحمل السجاد وتنظيفه "ضرباً" بعصا في الخارج.

لكن ظهور المكنسة الكهربائية تزامن والاختفاء الفعلي لخادمات المنازل. وبالنسبة الى الفئة المرتاحة مادياً عنى ذلك أمراً واحداً: قيام ربة البيت بأعمال منزلية أكثر من ذي قبل. فما كانت تفعله الخادمة بمكنسة القش تفعله السيدة الآن بمكنسة كهربائية.

أما بالنسبة الى الأكثرية المتوسطة الدخل فاقتضت المكنسة الكهربائية ارتفاعاً في مستوى العيش. في معظم العائلات ارتبط اقتناء المكنسة الكهربائية بالانتقال الى بيت أكبر. ومع اتساع المنازل ارتفع مستوى صيانتها. فبات السجاد ينظف يومياً أو أسبوعياً بدلاً من مرة كل ستة أشهر كما جرت العادة. والنتيجة اضطرار ربات المنازل صاحبات المكانس الكهربائية الى تنظيف مساحة أكبر مما نظفته أمهاتهن. والمساحة الاكبر تقتضي وقتاً أطول.

وظيفة جديدة - يمثّل تاريخ الغسالة الكهربائية ظاهرة مشابهة. ففي العشرينات ألغت هذه الآلة عهد المرأة الغاسلة والغسيل اليدوي. ومع الزمن ازداد الوقت الذي تخصصه ربات البيوت للغسل بعدما كنّ يفدن من تلك الخدمات.

والى ذلك أدّت الغسالة الكهربائية الى زيادة النظافة المنزلية والشخصية. فتوقف الرجال عن استعمال الياقات وأطراف الاكمام القابلة للابدال مما أوجب غسل القميص بكامله. وباتت السيدات يغيّرن الملاءات أسبوعياً بدلاً من نقل الغطاء العلوي الى أسفل وابدال ملاءة واحدة فقط.

وفي أواخر الخمسينات، حين دخلت الالياف الاصطناعية الاقمشة فباتت لا تحتاج الى كي، زادت كمية الغسيل من جديد. فالقمصان والتنانير والسراويل التي كانت ترسل الى محلات التنظيف الجاف باتت تطرح في سلال الغسيل المنزلية. ومع الثمانينات باتت مدبرة المنزل المتوسطة، المجهزة بغسالة وجفافة آليتين، تغسل كمية من الغسيل تزيد عشر مرات على ما اعتادت أمها غسله. لقد تبدد العمل الشاق، لكن الثياب الوسخة لم تختفِ.

وهناك السيارة. نحن لا نفكر في سياراتنا كآلات منزلية، لكنها كذلك فعلاً إذ ان الاعمال المنزلية بمفهومها الحالي لا تنفذ من دونها. فالراجح اليوم أن تجد مدبرة المنزل المتوسطة خلف المقود لا أمام الفرن. عليها أن تنقل أولادها الى المدرسة وزوجها الى عمله، ثم تعيدهم الى البيت بعد الظهر. وعليها تسوّق البقالة.

فاقتناء السيارة يعني أن الزوجة تحولت الى خدمة التسلم والتسليم من منزلها واليه. ومع ارتفاع عدد السيدات السائقات اكتشف مزيد من رجال الاعمال مباهج الاستغناء عن خدمات التسليم المنزلية.

بمعنى آخر، لم يعد بائع الثلج يأتي،

ولا بائعو الحليب والخبز واللحم والبقالة، ولا شاحذ السكاكين (المجلّخ) ولا الخيّاطة ولا الطبيب. لقد أضيفت وظيفة جديدة الى وظائف ربة البيت: سائقة سيارة.

نساء عاملات – لم يقلّ الوقت المخصص للأعمال المنزلية على رغم شيوع كثير من الأدوات الموفرة للعمل، فما ضرورة ولوج السيدات عالم العمل خارج البيت؟ بين التبريرات الشعبية هناك التطورات التقنية في الاعمال المنزلية. فأفران الموجة المتناهية الصغر (الميكروويف) والطعام المثلج وحفاضات الاطفال التي تطرح بعد الاستعمال حجج دامغة. الوقت متوافر للنساء، وعليهن الخروج من المنزل والبحث عن عمل خوفاً من الجنون المحتم.

لكن كل ربة بيت "عاملة" تدرك أن ذلك هراء. فسبب وجود معظم النساء في عالم العمل اليوم هو، ببساطة، الحاجة الى المال. والواقع أن أولئك النساء "العاملات" الآن مسؤولات عن وظيفتين. انهن يعملن ما نسميه يوماً مزدوجاً. السكرتيرات وعاملات المختبر والمعلمات والممرضات والطبيبات الخ... يسرعن الى منازلهن بعد ثماني ساعات عملاً ليتحولن طباخات وغاسلات صحون ومنفذات للأعمال المنزلية اليومية مدة خمس ساعات أخرى، تاركات التنظيف والتسوق لعطلة الاسبوع.

ان الوسائل التقنية المنزلية جعلت عمل المرأة سهلاً خارج المنزل من دون إلحاق ضرر بصحتها. قد تشعر ربة المنزل العصرية "العاملة" بالارهاق في نهاية يومها المزدوج، لكنها على الاقل تستطيع الخلود الى النوم متأكدة من تأمين مستوى من الراحة لعائلتها كانت وقفاً على الاغنياء من قبل.

روث شفارتز كوان



لسان حصان

قصد رجل شارد الذهن طبيباً. ففحص هذا نبضه، وإذ وجده طبيعياً طلب منه أن يريه لسانه. واذ فتح الرجل فمه قال له الطبيب: "كل شيء على ما يرام، ولكن لماذا وضعت طابعاً بريدياً على لسانك؟"

فأشرقت أسارير الرجل وقهقه: "ها، ها! طالما تساءلت أين وضعته!"

ت.س.

المعلمة شمعة

في عيد ميلاد المعلمة قدم اليها تلاميذها الخمسة والعشرون هدية مزدوجة. كان في الرزمة الاولى قالب حلوى رائع، وفي الرزمة الثانية سكين وخمسة وعشرون صحناً ورقياً.

ا.س.



مسرح الدمى المتحرّكة العريق في إندونيسيا
محور ثقافة هذا البلد وتراثه

دمى اندونيسيا

ما إن تأزف التاسعة مساء حتى يكون معظم سكّان القرى الوسطى في جزيرة جاوه الاندونيسية تجمعوا للاحتفال بموسم حصاد الرز. عائلات كاملة تتهيأ لتمضية الليل بطوله، فتفترش حصر القش حول شاشة بيضاء كبيرة فيما بائعو الطعام يدورون بالشاي الساخن والموز المقلي وأنواع أخرى من الطعام الخفيف، والاولاد يتراكضون والكبار جالسون يتبادلون القيل والقال، وخوار الماشية ينبعث من الحقول المجاورة.

على جانبي الشاشة صفّان من الدمى الجلدية المسطحة الزاهية الالوان، مقابضها المروسة مصنوعة من قرون الثيران ومغروزة في جذع شجرة موز عند أسفل الشاشة. وأمام هذه صف من الصنوج البرونزية تشكل أوركسترا "غاملان" من ١٥ عازفاً يؤدون لحناً

ايقاعياً مرحاً ايذاناً باقتراب بدء الاحتفال. ومع تلاشي أنغام الغاملان يرتفع صوت كي تيمبول الجالس القرفصاء أمام الشاشة مرنماً باللغة الاندونيسية الكلاسيكية: "فليعمّ الصمت. كثيرة هي مخلوقات الله التي تدبّ على الأرض وتحلّق في السماء وتسبح في البحار. ولا عدّ لجميلات العالم على أن لا شيء يضاهي ما في مملكة دواراوي التي تبدأ فيها قصتنا".

بهذه الكلمات يفتتح الـ"دالانغ"، أو محرّك الدمى، مسرح "وايانغ كوليت" الذي يعود الى زمن غابر في التراث الجاوي ويشكّل قلبه النابض. يستمر العرض تسع ساعات تتحوّل خلالها الدمى ملوكاً متغطرسين ومحاربين شجعاناً وشياطين مهلكة. ويضفي المهرّجون على الحفل نكهة من الدعابة الفظّة ويقدمون ارشادات أخلاقية وتعليقات اجتماعية.

ممالك أسطورية – في هذه الليلة تعمّ عروض الدمى أرجاء الجزيرة، من القرى الى محطات الاذاعة ومنازل أفراد الطبقة الوسطى وحتى قصر السلطان في جاكارتا. وعلى رغم اعتبارها فناً على طريق الزوال تحت وطأة التلفزيون والسينما، فلا تزال حية زاخرة متكيفة مع تقلبات المجتمع كما كانت دائما عبر التاريخ. ومثلًا على ذلك نرى أن عددا كبيراً من الدالانغ يحرصون على تقديم احتفالات مختصرة نظراً الى أنه ليس في وسع أبناء المدن العصريين تمضية الليل بطوله في حضور حفلة واحدة.

يقول باندام غورتنو، وهو محرّك دمى بارز ومرجع كبير في هذا الفن: "إذا شئت أن تفهم اندونيسيا فعليك أن تفهم أهل جاوه، ولكي تفهم هؤلاء عليك أولاً أن تفهم الوايانغ."

على ان جوهر الوايانغ دقيق مرهف بمقدار ما هو معقّد. والاجنبي الحاذق يدرس أولاً دور الوايانغ والدالانغ في حياة جاوه المعاصرة. ويشرح كي تيمبول، أحد اكثر محركي الدمى شعبيّة: "إن واجب الدالانغ هو الاعلام والتعليم." والواقع أن مسرح الوايانغ يُستخدم على نطاق واسع لنشر المعلومات حول برامج الحكومة ويؤدي دوراً مهماً في الارشاد الأخلاقي للشباب ويغرس فيهم القيم التقليدية في وجه موجة التصنيع.

إلا أن الترفيه يبقى واجب الدالانغ الأول. وعلى رغم كل الزخرف الفلسفي المدخل على قصص الوايانغ المستمدّة من الملحمتين الهنديتين الغابرتين "ماهاباراتا" و"رامايانا"، فانها حكايات مشوّقة قوامها أساطير المغامرات والمؤامرات والحب والغرام. ويصور معظمها سلسلة من الصراع بين عائلتين: بانداوا وكوراوا. أما أحداث الرواية فتجري في ممالك أسطورية في جاوه، وهي محبوكة حول قضايا متعلقة بالزواج أو بالصراع على السلطة السياسية أو بالنضال من أجل الفوز بنعم الارباب.

ومع أن الوايانغ يبدو كسلسلة أحداث غير مترابطة فانه يظل في الواقع ذا بناء شديد التماسك ضمن أداء مقسّم على ثلاثة فصول متساوية الطول تقريباً. يرسم الفصل الأول خطوط القصّة ويستمر من التاسعة مساء الى منتصف الليل. أما

الفصل الثاني فيستمر حتى الثالثة صباحاً، وفيه تتكشّف الحبكة. ثم يأتي حلّ الصراع في الفصل الثالث الذي يستمر حتى الفجر. خلال ذلك تعزف فرقة غاملان الموسيقية التي تضم مغنية أو أكثر، موسيقى حزينة أو تساند الدالانغ في غنائه.

حرفة متوارثة – في الاساس، يمثل مسرح الوايانغ للدمى المتحركة الصراع بين الخير والشر الذي يخرج منه الخير دائما منتصرا. وكما هي الحال بالنسبة الى أبطال الملاحم الهنديّة، لا تمثّل شخصيات الوايانغ أناسا حقيقيين بمقدار ما تمثّل خصائص بشريّة معيّنة. وتتميز الشخصيات التي تمثّل الخير، وتدعى "هالوس"، بالتواضع وضبط النفس ودقّة القسمات ونحول البنية. أما الشخصيات التي تجسّد الشرّ فتدعى "كازار" وهي صاخبة فظّة منفّرة. وأكثر الشخصيات تجسيدا للشرّ هي الشياطين ذات العيون المستديرة المحدّقة والأفواه الفاغرة.

يبقى الـ"بوناكاوان" أو المهرّجون الذين ينقلون الحكمة الى الناس باللغة العامية لا الفصحى. وهم الى ذلك يروحون عن النفس بالهزل والغناء والرقص وتقليد شخصيات أسيادهم. وللمهرجين الحرّية في الخروج على النص المكتوب والتعليق على العالم الحديث والمناقشة في هموم القرية وشجونها والتعريف ببرامج الحكومة، مثل تحسين المحصول والحدّ من النسل.

يقول باندام غوريتنو: "يعتقد معظم الخبراء أن الوايانغ كان في الأصل نوعاً من إجلال الاسلاف. ويبدو أنه سبق وصول الهندوسية الى جاوه قرابة القرن الخامس."

واتخذت مسارح وايانغ كوليت شكلها الحالي منذ القرن السادس عشر عندما زوّدت الدمى أذرعاً متحرّكة.

ينتقل هذا الفن تقليدياً من جيل في العائلة الى آخر، إذ غالباً ما يرث الدالانغ فنّه عن والده أو عمّه. ولقد أنشئت المدرسة الاولى لتعليم الوايانغ في متحف سونان في صولو، مركز الثقافة الجاويّة، في العام ١٩٢٣. أما اليوم فهناك عدة معاهد لتعليم الوايانغ، أبرزها اثنان في صولو وجوجاكارتا، يضم كل منهما بضعة عشر من الطلاب الطموحين. مدّة التدريب أربع سنوات، يدرس خلالها الطالب مواد تاريخية وأدبية ويتعلّم أصول الفن، من تصوير صوتي للشخصيات الروائية (على الطالب أن يؤدي ٣٠ صوتاً مختلفاً) الى البراعة الفنيّة في تحريك الدمى باليدين معاً. وبعد التخرّج يشرع الدالانغ المبتدىء في التعرّف الى الـ"لاكون" وهي ٢٠٠ قصّة يرتكز عليها الوايانغ.

عِبَر حياتية – في السنوات الأخيرة طرأ تغيّر كبير على هذا الفن عندما أخذ أبناء العائلات غير المحترفة يتعلمونه. ويقول أحد الطلاب: "أود أن أستخدم الوايانغ كوسيلة للتعبير عن الذات. ولقد اعتدت في طفولتي اللعب بدمى وايانغ صغيرة كنت أصنعها من قضبان الشجر وأوراقها."

هناك آخرون تجذبهم القيم التي يرتكز

عليها الوايانغ. ويقول سوبارنو، وهو شبه محترف بارز: "ان رغبتي في اكتساب الصفات النبيلة التي تتميّز بها شخصيات وايانغ وتنميتها في أفراد جمهوري، هي ما دفعني الى أن أصبح دالانغ. إنها شخصيات تمثّل الوفاء والوطنيّة والرهافة."

يقول كي تيمبول: "أحد الامتيازات الرئيسية التي يوفّرها امتهان الدالانغ هو التعبير عن أماني الناس وتطلعاتهم. إنها مهنة تتيح لي تعريف الجمهور بمشاكل المجتمع والمساهمة في حلّها. ويحترمني الناس ليس كمحرك دمى محترف فقط بل كناقل للمعلومات وموصل لها أيضاً."

ويعترف كي تيمبول بأنه كان للوايانغ تأثير كبير في حياته الشخصيّة: "قبل عشر سنين واجهتني مشاكل سكنية كثيرة، فكنت ما ان أنتقل الى بيت حتى أضطر الى تركه بعد أشهر. وبعدما غيّرت منزلي أربع مرّات في ستّة أشهر، حضرتني قصّة الاخوان بانداوا الذين أجبروا على ترك قصرهم في أستينا. وبدل أن يستقرّوا قرب بلدهم أقاموا مملكتهم الجديدة في الغابة. وأنا، تشبهاً بهم، شيّدت منزلاً في حقول الرز على بعد أربعة عشر كيلومتراً من المدينة، حيث أقمت بهناء وسعادة منذ ذلك الوقت."

غالباً ما يدمج مشاهدو الوايانغ الفن بحياتهم الشخصية. ويقول جاك سامبويرنو. من سكان جوجاكارتا: "أرى نفسي في الرواية التي أشاهدها، وأرى سواي أيضاً. وعندما أتمعّن في صفات الشخصيات أصبح أنفذ بصيرة بالنسبة الى الناس حولي. وقبل أن أعقد شراكة عمل مع أحد الناس، مثلا، أعيّن في ذهني أياً من شخصيات وايانغ يشبه، وعندئذ أعرف نقاط القوّة ونقاط الضعف في شخصيته."

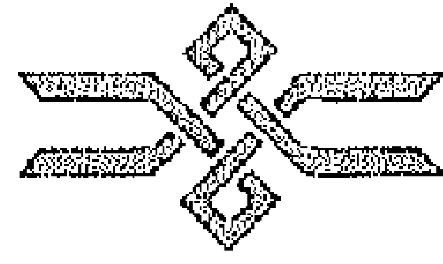
الدمية الاخيرة – تقع مهمة تصميم شخصيات الوايانغ على عاتق صانع الدمى. وفي معمل نموذجي بالقرب من جوجاكارتا يتولى عدد من الفتيان صنع الدمى في إشراف "المعلم" باك ساغيو. يكشطون جلد الجاموس ويشذّبونه ثم يخرّمونه بعناية بمئات الثقوب الصغيرة التي تظهر على الشاشة رسوماً معقّدة من الأضواء والظلال. ولكي يرى الحضور الدمى وهم جالسون خلف الدالانغ، تطلى بالألوان الزاهية فيما تغطّى الاجزاء غير المطليّة برقاقات برونزية أو ذهبية. ويوضح ساغيو الامر: "معظم الدمى المصنوعة اليوم يشتريها السياح أو هواة جمع التحف، لان الدالانغ يتسلم مجموعته اما من والده وإما من معلّمه، وهي تخدمه مئة سنة."

وكأي ممثل أو فنان في كل مكان، يواجه الدالانغ الصاعد صعوبات جمة قبل أن يصبح شهيراً ومعترفاً به. ومن أصل قرابة ٤٠ ألف دالانغ في اندونيسيا يعيش أقل من ألف على دخلهم الفني فقط. والجمهور عادة يفضّل الاستماع الى شريط مسجل لدالانغ مرموق على مشاهدة مسرحيّة حيّة يقدّمها فنان مغمور. والى ذلك، فان اعادة تنظيم القرى في وحدات ادارية كبرى حدّت من الفرص المتاحة للفنّان. وفي حين يطلب الدالانغ البارز ٢٠٠٠ دولار، فضلا عن المصاريف، في

مقابل تأديته عرضاً في العاصمة جاكارتا، تراه يرضى بُعشر هذا المبلغ للتمثيل في القرى، لأن الريف هو قوام حياته.

وهج أحمر ينبثق من وراء الجبال الشرقيّة ويبشّر ببزوغ فجر جديد. على الشاشة ما زال الاخوان بانداوا، وهم الشخصيات الخيّرة في الرواية، يحتفلون بالانتصار. وفي هدوء يختمون الحبكة المعقّدة. وفيما الجمهور يغالب النعاس ويجمع حاجاته استعداداً للانصراف، يخرج الدالانغ الدمية الاخيرة من صندوقه ويشدّ الحضور مجدداً الى مقاعدهم. وهذه، بخلاف الدمى الأخرى، دمية من خشب ذات ثلاثة أبعاد (غير مسطحة) ترتدي ثياباً فاخرة، وهي معروفة باسم "غوليك." ومع أن المعنى الشائع لهذه الكلمة هو "دمية،" فلها معنى آخر هو "التفتيش." وفيما الدالانغ يرقّص الدمية بفخامة ووقار يرتفع صوته مهيباً بالجمهور أن "فتشوا داخل أنفسكم واستخلصوا العبر العميقة من الرواية وطبقوها في حياتكم."

جيريمي آلن



غداء العريس

ذهبت مع ابنتي البالغة عشر سنين الى حفلة عرس. وبعد الغداء راح الضيوف يصافحون العريسِ ويعطونه الهدية المعهودة، وجلّها نقداً. وراقبت ابنتي هذا التقليد بفضول. ثم وضعت أوراقاً مالية في ظرف وطلبت منها أن تهديه الى العريس. وعندما فعلَت سمعت ضحكاً عالياً.

وسألت ابنتي عما حدث فأجابت: "قلت له أن يحسم ثمن غدائنا ويعيد البقية."

ك.ك.

ضاع الحمار ووُجد الرسن!

اندفع رجل داخل مصرف مزدحم وصرخ: "هل فقد أحدكم حزمة من الاوراق النقدية مربوطة بشريط احمر؟" فارتفعت أيد عدة.

"خذوا، "قال الرجل،" لقد وجدت الشريط الاحمر."

س.ك.

زوجات صغيرات

لا تحاول أن تحزر مَقاس زوجتك. إشترِ لها أي قطعة كتب على بطاقتها "صغير" واحتفظ بالايصال.

د.ل.

إرشادات زراعيّة

البستاني ينمي موهبته مع الوقت. اجنوا محصولا وافراً باتباع هذه الافكار المفيدة من الخبراء



قبل ست سنوات حفرت روبرتا وريتشارد وول من ولاية كونيتيكت خندقاً وزرعا الهليون. بعد ذلك انتظرا بفارغ الصبر مدة ثلاث سنوات، كما نصت الارشادات، لقطف المحصول اللذيذ الاول. ولكن لم ينمُ شيء. وحملت نبتات الأنديڤ (١) بذوراً قبل أن يقطفاها. كما اكتشفا بعد فوات الاوان أن نبتات الفريز (الفراولة) التي أثمرت في الموسم الماضي كان يجب أن تشذب.

واليوم ينتج آل وول محاصيل ممتازة، ليس فقط من الفريز والانديڤ والهليون، وانما فواكه ونباتات أخرى أيضاً. لقد أفادا من الخبرة ومن مصدر آخر هو المتجر الزراعي. وتقول روبرتا: "يزودني مدير المتجر معلومات لا أحصل عليها من أي مكان آخر."

قد تجدون تحدياً في فكرة انشاء حديقة، ولكن أبشروا، فحتى إن كان المرء مبتدئاً فقد بات سهلا عليه أن يزرع خُضره بفضل التقدم في أساليب البستنَة. ولكي تعززوا امكانات نجاحكم جرّبوا هذه الارشادات التي يطرحها خبراء:

(١) الانديڤ نبات يشبه الخس مع بعض مرورة.

Illustrations: Ed Little

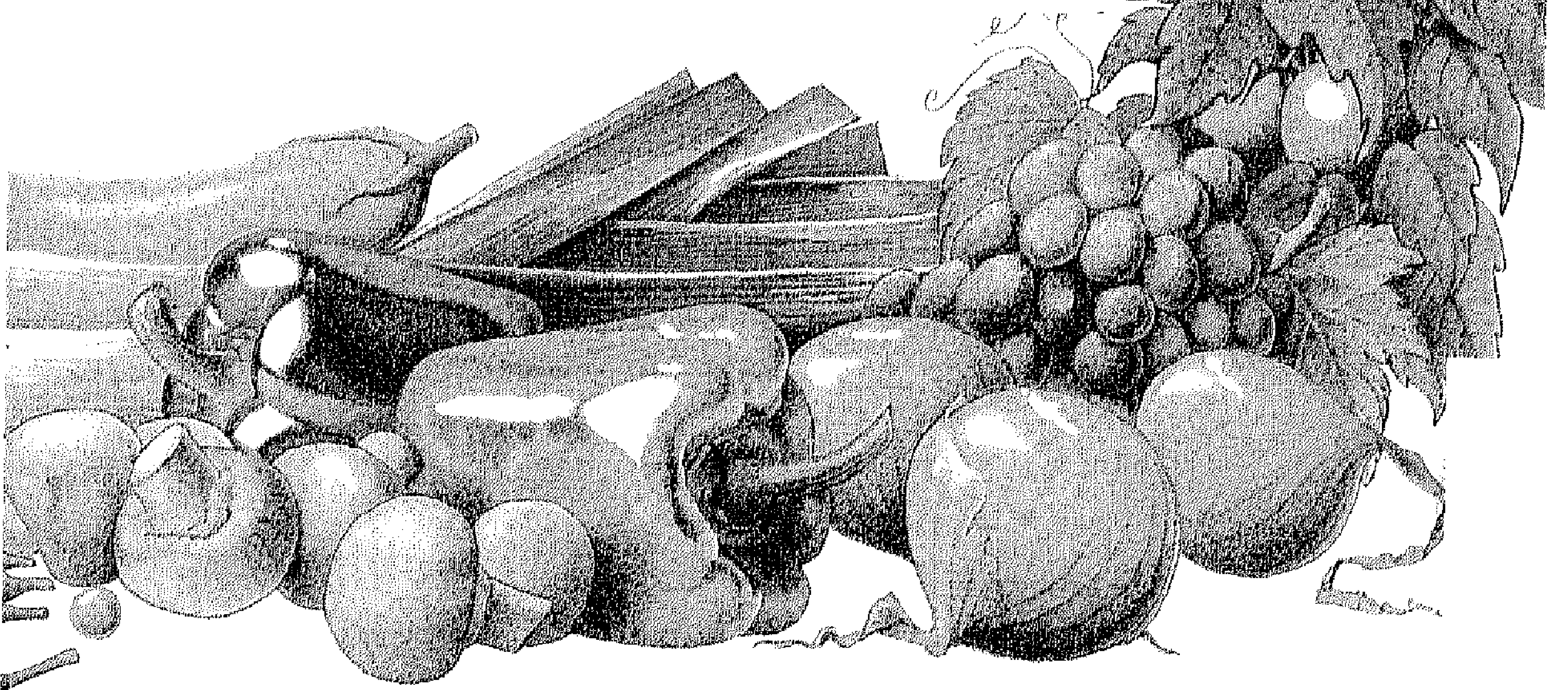
١. خططوا للمستقبل. يقول البروفسور جايمس ستيفنز من جامعة فلوريدا في غاينسفيل: "ينزع الناس الى زرع مقادير من النباتات تتجاوز طاقتهم على الاعتناء بها، ثم يخيبون ويذوي البستان من الاهمال."

لكي تخمنوا حجم البستان المناسب لكم أدرسوا العوامل الآتية: المساحة المتوافرة وحجم العائلة والوقت الذي ستخصصونه للزراعة وما اذا كنتم تتوقعون مساعدة من أحد. أرسموا خريطة على ورقة مبينين ماذا ستزرعون وأين، مع عدد الاثلام وطولها والمسافة بينها.

ازرعوا فقط ما تستطيعون استهلاكه، واحسبوا لكل شخص غرسة بندورة (طماطم) أو فلفل أو قرع. ان بستاناً طوله ثلاثة أمتار وعرضه ثلاثة يمكنه تزويد عائلة مؤلفة من أربعة أشخاص ما يكفيهم من الخضر التي يحبون. ولا يتطلب البستان الا ساعة من العمل في الاسبوع.

اختاروا أرضاً منبسطة ومصرّفة للماء وتتلقى بين ست ساعات وثمان من أشعة الشمس يومياً. ليكن البستان بعيداً عن الاشجار الكبيرة ذات الجذور المنتشرة، ولكن قريباً من تجمع للمياه.

٢. حضّروا التربة كما ينبغي. يشرح ج. روبرت ناس، أستاذ علم البستنة في جامعة بارك بولاية بنسلفانيا: "عملياً، تحتاج كل أنواع التربة الى عناية." إفحصوا مستوى الحموضة





في تربتكم. قد تحتاجون الى اضافة الكلسيوم أو الكبريت.

لتهيئة قطعة الارض، احفروا عميقاً في التربة لقلبها أو استأجروا محراثاً آلياً. هذا العمل يهوّىء الارض ويحسّن تصريفها للمياه. امزجوا التراب بمواد عضوية مثل السماد أو مزيج من الروث وأوراق الشجر للتغذية. أضيفوا سماداً تجارياً لتأمين النيتروجين والفوسفور والبوتاسيوم.

تحتاج التربة الى سماد في وقت ما أثناء النمو. ولتجنب الاخطاء الشائعة في اضافة القليل أو الكثير من السماد، استشيروا متجراً زراعياً حول التوقيت الصحيح وكميات السماد.

٣. اشتروا بذكاء. ان للبذور والغرسات المنقولة حسنات، وفقاً لأنواع النبات وخياراتكم الشخصية. تقدم البذور تشكيلة واسعة، وهي رخيصة نسبياً. اقرأوا التعليمات على العلبة لتعرفوا تاريخ انتهاء الصلاحية ومعلومات الغرس.

تكلف الغرسات المنقولة أكثر، وخياراتها محدودة، لكنها تنمو بسهولة وتسبق المحاصيل الاخرى. وينصح ناس: "ابحثوا عن الغرسة الكاملة الممتلئة ذات اللون الاخضر الحسن والساق الثخينة. تجاهلوا تلك التي تحمل زهراً أو ثمراً (هذا يؤثر في المحصول) وتلك الضعيفة النمو."

٤. ازرعوا في الوقت المناسب. تذكروا أن النباتات تنقسم فئتين: محاصيل الموسم البارد ومحاصيل الموسم الحار.

تصمد نبتات السبانخ والخس والقنبيط والبصل والبازيلاء والفجل والجزر في الصقيع، وتنمو جيداً في الطقس البارد المعتدل. أما الوقت المناسب لزرع بذورها فهو قبل أسابيع من انحسار الصقيع في المنطقة.

ازرعوا الغرسات المنقولة التي تنمو في المواسم الدافئة، مثل البندورة والفلفل والباذنجان، بعد انحسار الصقيع تماماً. ولتجنب الذبول اروُوا الارض أولا ثم ازرعوا الغرسات في يوم غائم أو مساء.

ستتمتعون بمحصول مطوَّل باستعمالكم تشكيلة من الذرة والبندورة والفلفل تنضج في أوقات مختلفة. وبدلا من زرع المحصول دفعة واحدة، ازرعوه في ثلاث دفعات أو أربع على مدى أسبوعين.

٥. أزيلوا الاعشاب الضارة وارووا الارض. تنافس الاعشاب الضارة المزروعات على المواد الغذائية والرطوبة في التربة. انثروا بذور الخضر في المساكب المحضرة حديثاً. وافرشوا مهاداً (٢) بعد بروز النبتات.

يحفظ المهاد الاعشاب الضارة تحته، ويساعد على امساك المياه ويدفىء التربة.

الري أمر مهم جداً. استعملوا مرشة بدلا من دلق المياه. عموماً، ينصح بسنتيمترين ونصف سنتيمتر من المياه في الاسبوع. والكمية المناسبة من المياه تتوقف على نوع التربة.

٦. سيطروا على الامراض والحشرات المؤذية. هناك اليوم خضر كثيرة مقاومة لعدة أنواع من الحشرات والامراض. ازرعوها متى أمكنكم ذلك.

تجنبوا زرع فصيلة الخضر ذاتها في المكان نفسه أكثر من مرة كل ثلاث سنوات، لان المرض قد يبقى في التربة.

الحشرات تهديد جدي للنباتات، ومع ذلك يمكن التغلب عليها بسهولة أحياناً. ينصح آرثر شيبرد من جمعية البستنة في نيويورك بالاتي: "اغسلوا النباتات بخرطوم (نربيش) لازالة الحشرات بانتظام. اقلبوا الاوراق وانفضوا الحشرات عن الجوانب السفلى."

ان المبيدات الكيميائية ليست ضرورية دائماً في بستان صغير، وأنصار التربة العضوية لا يستعملونها، ومع ذلك يتفق الخبراء على أن هناك مبيدات آمنة اذا استعملت وفقاً للتعليمات، وأنها ربما كانت ضرورية للمحاصيل المعرضة للحشرات مثل القنبيط والبطاطا.

٧. الحصاد في أوجه. من أجل الحصول على نكهة ممتازة، اقطفوا الزرع في الوقت الملائم. يقول ناس: "تبلغ البندورة ذروتها عندما تتلون بالتساوي من دون ترك أي أثر للون الاخضر. ويجب أن تُقطع الثمرة بسهولة، وهذه قاعدة جيدة بالنسبة الى خضر كثيرة."

تصبح الذرة الحلوة جاهزة للأكل عندما تكون "الشرّابة" بنية ويخرج سائل من الحبة لدى ثقبها. ويبلغ الشمام والقرع الشتوي ذروتهما عندما يكتمل حجمهما.

(٢) المهاد طبقة من النشارة أو التبن أو القش أو العشب أو قصاصات الورق، تفرش على التربة لوقاية جذور النبات الغضة من الحرارة أو البرد.

دَعِي طِفلكِ يَنمُو مَعَ سِيرِيلاك

سيريلاك

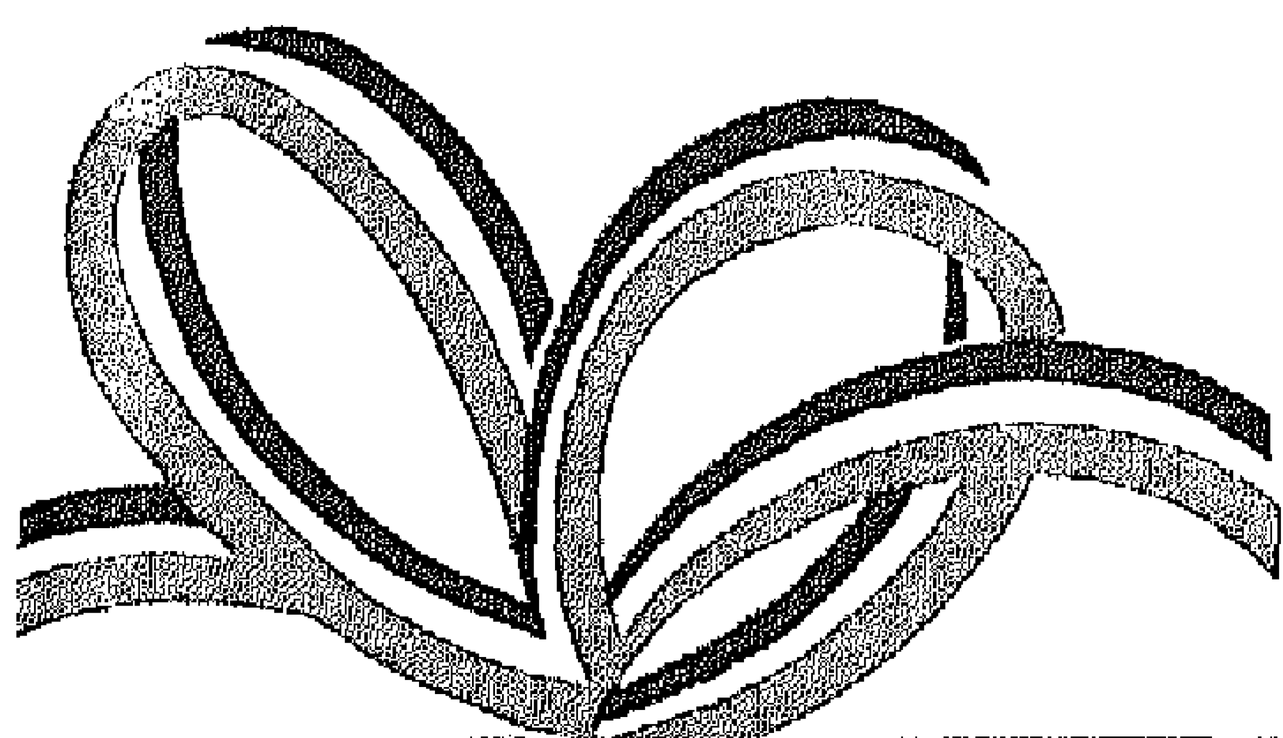
الطَعامُ الأول لِطفلكِ بالمِلعقة

عندمَا يَبلغ طفلكِ شهرَه الرّابع
لايَعودُ الحليبُ وَحدَهُ يَكفيه .
عَليكِ بوَجبَةٍ مِن سيريلاك .
سيريلاك متوفّر بعدّة أنواع تُلائم مَذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العَناصِر
الغِذائيّة الأساسيّة التي تؤمّن
لِطفلكِ نموًّا متناسِقًا
وَسَليمًا .

Nestlé

تضمنه
نستله

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٨/٥/١ و١٩٨٩/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً اميركياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت – لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ – ١١٣
بيروت – لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

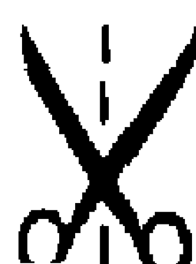
____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________



مع أخلص تمنياتنا

لكن الكبر يسيء الى بعض النباتات. ومع أننا نفتتن بالاحجام الكبيرة للقرع الصيفي والخيار والباذنجان فان هذه الثمار الضخمة ليست نكهة. من أجل نكهة رائعة اقطفوا الثمار الصغيرة. ويحسن قطف الخس والخيار والسبانخ واللوبياء والقرع باستمرار للمحافظة على انتاجيتها.

ويصعب الحكم على النباتات الجذرية. لذا ينصح بمراجعة التعليمات المطبوعة على أكياس البذور للتأكد من مواعيد النضج.

وساعة القطف تؤثر في النكهة أيضاً، لذا أقطفوا المحصول في الصباح الباكر عندما تكون الرطوبة في أعلى درجاتها.

البستاني شخص متحمس وسعيد يدرك أن انتاج الطعام للمائدة هو أحد أسباب هوايته، ولكن هناك سبب آخر هو الصحة الذهنية. وتقول كاثي وايت من أوكلاهوما: "أحب أن أكون في الخارج وأراقب الطبيعة وهي تعمل. اني أنسى هموم الحياة في بستاني."

فلورنس ايزاكس



قدح وذمّ

سأل القاضي المتهم: "هل صحيح أنك دعوت هذا الرجل أحمق ووغداً ومحتالا خليعاً؟"

– هذا صحيح يا فضيلة القاضي.

"وهل قلت إنه لص أيضاً؟"

– آه، كلا، يا صاحب الفضيلة. لقد نسيت أن أقول له ذلك.

أ.م.أ.

نظافة زائدة!

قال الزبون لصاحب المطعم وهو يدفع ثمن غذائه: "مطبخك نظيف جداً يا صاح."

فرد صاحب المطعم مبتسماً بافتخار: "شكراً لك، ولكن كيف عرفت ذلك؟"

فأجاب الزبون: "لان طعم الصابون طاغٍ على كل طبق أكلته."

أ.ش.

لوحة العمر

تقدم رجل بشكوى ضد سيارة صدمته. فسأله الشرطي عما اذا كان رأى رقم السيارة الجانية فأجاب: "طبعاً رأيته، واتفق أنه يوافق السنة التي ولدت فيها زوجتي."

فنهرته هذه: "هَهْ، سام، إنسَ الامر. فعلى كل حال، لم يحصل لك من الصدمة غير الفزع."

أ.ف.د.

آخر الابتكارات

كتبٌ على كَاسيت!



الكتب المسجلة تستحضر زمان القص الشفوي ان راوية موهوباً يحيطنا بعالم سحري اذ يعرض كتاباً أثيراً

كان دأبي التشكي من أن ليس عندي وقت كاف للقراءة.

وطلبت قبل بضعة أشهر سيرة تروقني لأحد الابطال، فجاءني الكتاب بالبريد، لكنه لم يكن على ورق، بل على أشرطة صوتية. "قرأت" الأشرطة الستة أثناء تجوالي اليومي من العمل وإليه.

وفيما أنا أقود السيارة على الجادة ألفيت نفسي في قطار في جنوب افريقيا عام ١٨٩٩. الرصاص يئز حولي وحول المخبر الصحافي المبتدىء ونستون

Photo: Robert Milazzo

تشرشل. كنت في كرب خشية أن يقتل فيتبدل مجرى أحداث القرن العشرين.

ومنذ انتهت تلك الساعات التسع من مشاركتي الشغوفة خضت نهر المسيسيبي في رواية "مغامرات هكلبري فن" للروائي البريطاني تشارلز ديكنز. ونجوت من الاضطرابات والفتن التي حفلت بها الستينات من القرن الماضي في رائعة بروس كاتون المؤلفة من ثلاثة أجزاء (٤٠ شريطاً) بعنوان "الحوليات المئوية للحرب الأهلية"(١)وأصغيت الى مؤلفات عشرات الكتاب الآخرين، كواشنطن ايرفنغ وأغاثا كريستي.

لدي الآن سعة من الوقت لكي "أقرأ"، وكذا الملايين الذين يمضون ساعات كل أسبوع متنقلين في السيارة إلى أشغالهم، مما يتيح وقتاً كافياً لسماع نحو عشرين كتاباً كاملاً كل عام. وليس الذاهبون إلى أعمالهم والآتون منها يومياً هم وحدهم المستفيدون، فالملايين سواهم، أمثال المرضى المتماثلين في المستشفيات والبيوت لديهم وقت يملأونه. وفي الامكان "قراءة" الكتب أثناء الطبخ أو طلي المنزل أو العدو الوئيد. يقول أحد غلاة المتحمسين لهذه الظاهرة: "ندهش اذا فكرنا في الساعات التي نمضيها ونحن نؤدي مهمات تشغل أيدينا وعيوننا وتدع أذهاننا حرة لاستيعاب قصة جديدة."

إلى الآن، ثمة نسبة ضئيلة من العوام تدرك وجود تسجيلات للكتب، لكن انتشارها في تسارع. ويعرض عدد من الناشرين الكبار نصوصاً ملخصة للكتب الرائجة والآثار الأدبية على شرائط. وتباع هذه الشرائط وتؤجر في المكتبات. وثمة ٨٥٠ منظمة تؤجر الأشرطة أو تبيعها في أرجاء العالم.

تسجيلات الكتب ظاهرة جديدة تمزج الأدب والتمثيل. ورواتها هم المؤلفون أنفسهم أحياناً. وفي وسع المرء أن يشعر بحضورهم الحي متوارياً خلف كلماتهم. والمثال البارز على ذلك هو الكاتب جايمس هيريوت اذ يروي "الأشياء الزاهية الجميلة"(٢) بحذاقة بالغة.

والقصاصون الموهوبون يتلاعبون بجرْس الصوت أو اللكنة لتمثيل الشخصيات المتعددة في كتاب ما، إضافة إلى محاكاة حالاتها النفسية وعواطفها. والبعض الآخر يبدلون أصواتهم على نحو مثير وسريع يجعلك أكيداً من أن عدة أشخاص يتحدثون اليك.

ويرى ميشال ديردا محرر قسم الكتب في صحيفة "واشنطن بوست" أن "في الكتب المسموعة سحراً ذا أشكال وألوان. فهي تستعيد زمناً كان القصّ فيه شفوياً، وذكريات عن قصص الأشباح التي تروى همساً حول نار المخيم المضطرمة."

وفيما تروق الروايات غير الملخصة كثيرين، ترضي تلك الملخصة آخرين. وكلما طالت كان ذلك أفضل. وقد قصّ الممثل النيويوركي والتر زيمرمان رواية "موبي ديك" للكاتب الامريكي هرمان ملفيل في ١٨ شريطاً مدة كل واحد ٩٠ دقيقة، أي ما مجموعه ٢٧ ساعة. وفي ذلك كتب تشارلز شامبلن محرر الشؤون الفنية في صحيفة "لوس انجلس

---

(١) Centennial History of the Civil War

(٢) All Things Bright and Beautiful



نسكافه

قهوة اللحظات السعيدة!

نسكافه قهوة صافية
محضرة من أجود انواع البن
في العالم .
كوب من نسكافه في الصباح
وفي أي وقت من النهار يعيد
اليك الحيوية والنشاط .
أهنأ الأوقات تقضيها مع عائلتك
والأصدقاء بصحبة نسكافه
اللذيذة والمنشطة .

نسكافه

قهوة الشباب العصري الناجح

تايمس": "وددت ألا تنتهي الرواية. فالكتاب اذ يحرّك أذن العقل يرسخ بجلاء وقوة أفلتت من عينيّ القارئتين. لم يشهد مسرح المخيلة أحداثاً رائعة كهاته ليحركها."

وكثير من أدب الاطفال مدين للتسجيلات، اذ انها كتبت لتقرأ بصوت عال. وثمة أعداد من الأشرطة موجهة إلى الاطفال، وقد سجلت كارول شاننغ نسخة رائعة من "ويني الساحر"(٣)، وخلد باسيل راتبون في تلاوته مغامرات شرلوك هولمز.

ويقول أ. ب. هاردسون أستاذ اللغة الانكليزية في جامعة جورجتاون بواشنطن: "سماع الأشرطة يضفي المرح على قيادة السيارات." ويصف نزهة بالسيارة من مدينة واشنطن الى كندا مع زوجته وكتاب ديفيد هوارث "١٠٦٦: سنة الفتوحات"(٤) في ثلاثة أشرطة: "سررنا اذ شتتت العاصفة الاسطول الغازي الأول لغليوم. ورجونا بحماسة أن تغرق عاصفة أعنف الغزوة الثانية في القناة. ولما لم يحدث ذلك أملنا أن يحتجز النورمنديون على الشاطىء المعادي قرب هاستنغس. وجعلنا وصولنا متزامناً ونهاية الكتاب بأن سقنا بسرعة ٧٠ كيلومتراً في الساعة في المرحلة الاخيرة من رحلتنا."

في الإمكان تسجيل قصص قصيرة غير ملخصة على شريط أو شريطين. أما الكتب الكاملة فيلزمها ما بين ثمانية وعشرة أشرطة، وتتطلب ما بين ١٢ و١٥ ساعة من الاستماع.

لن تحل الأشرطة مكان الكتب المطبوعة أبداً، فهي ذات قصور كبير. ان الاستماع إلى كتاب متْلو يستغرق عادة ضعفي وقت قراءته. ولا يسع المرء أن يتخطى المقاطع المتباطئة بسهولة. كما أن الأشرطة غالية الثمن مما يجعل معظمنا غير قادر على شرائها.

لكن التسجيلات توسع آفاق الذهن. وهي مغامرات أدبية تؤنس المرء وتعلّمه أثناء القيادة. وعموماً، فإن القراءة بالأذن تضفي على الكتب سحراً جديداً.

نويل فيتماير

(٣) Winnie the Pooh

(٤) 1066: The Year of the Conquest



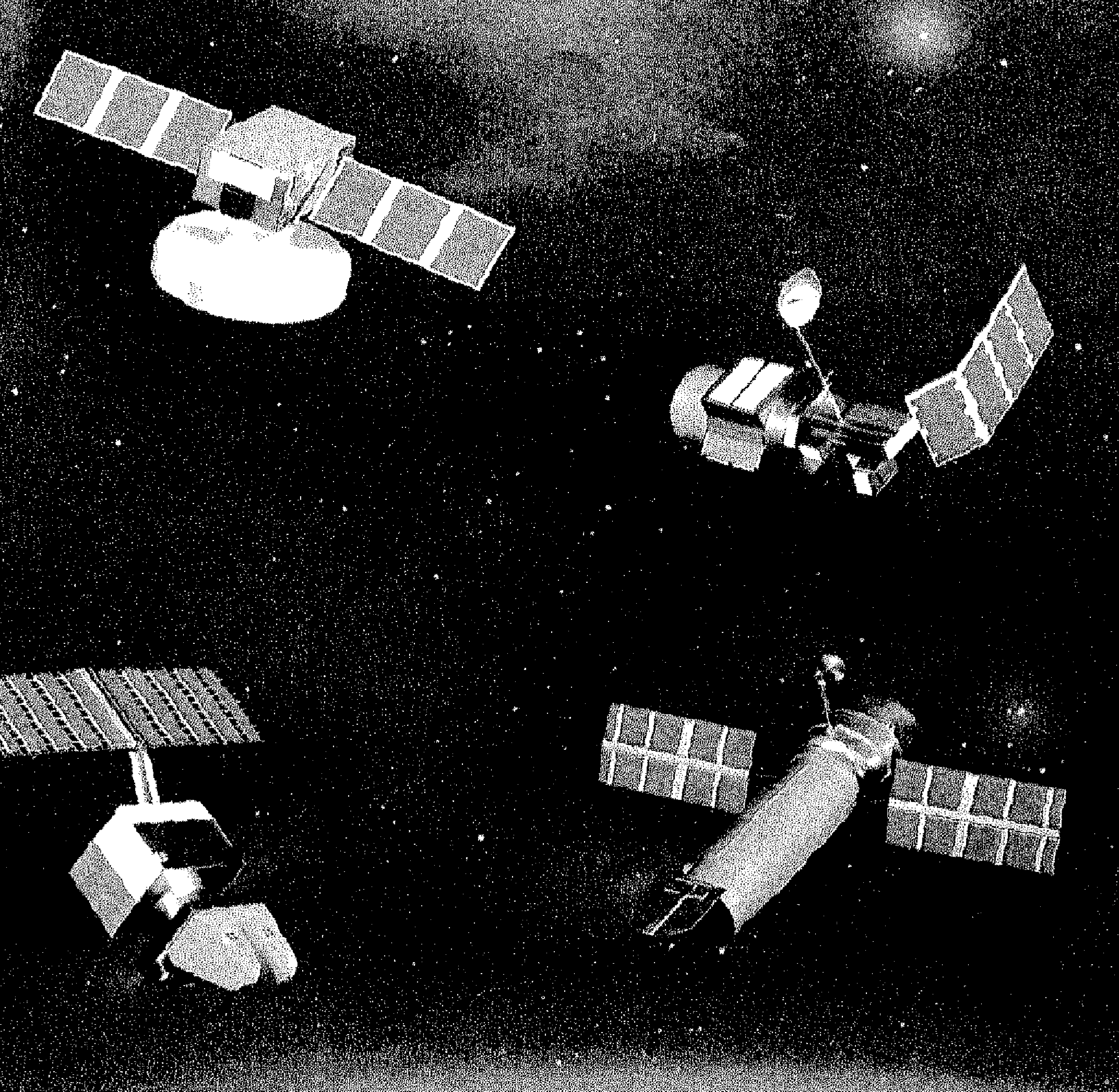
فلسفة الطناجر

عندما تبتاع طناجر (حللا) ومقالي فأنت تقتني أدوات تساعدك على العيش. كن بعيد النظر، فأنت لا تريد لحياتك ما يحدّ نماءها. والطناجر الكبيرة دليل وجود الاولاد والاصدقاء والضيوف من حولك. فطناجرك يجب أن تكفيهم جميعاً. لذا لا تول ثقتك عائلة طناجرها صغيرة.

م. ف

كان قُيّض لي أن أكون مهندساً، لكني بنيت قصوراً في الهواء.

حكيم هندي



القمر الاصطناعي

سوبرمان الفضاء



عندما كانت المقاتلات الامريكية تحوم فوق طرابلس الغرب في ١٤ ابريل (نيسان) ١٩٨٦، أسرع مراسل الشبكة التلفزيونية الامريكية «ABC» الى الهاتف في غرفته في أحد فنادق العاصمة الليبية. وعلى مسافة ألوف الكيلومترات سمع مشاهدو برنامج "أخبار العالم هذه الليلة" أصوات المضادات الارضية تدوي في غرف جلوسهم. أما الذي أمّن هذا الاتصال فكان قمراً اصطناعياً بعيداً يدور حول الارض. وبوجود هذه الأقمار بتنا نتوقع مشاهدة أخبار تصل الينا فوراً من أنحاء العالم.

إن الاقمار الاصطناعية المتطورة اليوم تمتلك قوى مدهشة، تماماً مثل "سوبرمان." فالى قدرتها على التحليق بسرعة تفوق سرعة الرصاصة، فإنها تستطيع أن تسترق النظر عبر الغيوم وحتى تحت الارض. وهي تتبع الحيوانات المهاجرة وتخلط مليارات الارقام وتعيد ترتيبها وتبث المعلومات من غير كلل ليلا ونهاراً لمدة تقارب الثماني السنوات ومن مسافات تبلغ مئات الكيلومترات، بل ألوف الكيلومترات.

إذا قُدِّر لك ان تسبح في الفضاء

نماذج أقمار اصطناعية حالية ومستقبلية: (فوق، من اليمين) "لاندسات - ٤" زود العلماء صوراً ساعدتهم في وضع خرائط للارض، "توبكس/بوسايدون" قمر فرنسي - أمريكي مشترك لأبحاث المحيطات سيطلق سنة ١٩٩١، "سيسات" وفّر دراسة للمحيطات. (تحت، من اليمين) «KH-11» قمر أمريكي سري، "سبوت - ١" قمر فرنسي جديد يلتقط صوراً بثلاثة أبعاد، "نافستار" قمر تابع لوزارة الدفاع الامريكية يساعد السفن على تحديد مواقعها.

بمحاذاة قمر اصطناعي يدور مع دوران الارض، فستدهشك هذه البدعة الهشة المنظر. فهي تضم الواحاً رقيقة وصحوناً ناتئة من هنا وهناك واذرعاً ناحلة ملتوية تبدو على وشك الانثناء تحت وطأة ثقلها وجسماً يشبه علبة من التنك يناسب كسيارة قديمة. فجملة القول أن هذا الشيء يشبه أداة للاختبار العلمي مخلعة ومتروكة خارجاً في الصقيع.

جميلات من براغٍ وعزق – إن أهم الأقمار الاصطناعية هو ذلك المخصص للاتصالات. فعلى رغم حجمه المتواضع الذي يوازي حجم سيارة "ستايشن" فهو عملاق عصر المعلومات، إذ انه بدورانه يتلقى سيلا متواصلا من الاشارات الآتية من الارض، ويعيد توجيهها. وهو يرسل ألوف المكالمات الهاتفية البعيدة المدى في وقت واحد، اضافة الى بث برنامجين تلفزيونيين. كما ان القمر الاصطناعي المخصص للاغراض العسكرية يستطيع ارسال رموز خاصة.

ولقد أصبحت هذه الاجهزة المسافرة المركبة من براغٍ وعزق، معشوقة العالم التجاري أيضاً. إن شركة "ج.س.بني"، وهي سلسلة ضخمة من المخازن التي تبيع بالتجزئة (بالقطاعي) بدأت قبل سنوات ترى في الفضاء حلًا لمشاكلها الناشئة على الارض. والمسؤولون عن المشتريات في كل مخزن ينتقون البضائع التي يريدون تخزينها. ولكي يتسنى لكل مسؤول أن يختار، عليه أن يسافر مستطلعاً البضائع المتوافرة. المسؤول عن شراء الألبسة، مثلا، يسافر الى مدينة نيويورك نحو خمس عشرة مرة في السنة. ولا يخفى أن سفر مئات المسؤولين لدى مئات المخازن يحمل الشركة تكاليف باهظة.

لهذا السبب تمّ ادخال أداة صغيرة تسمى «GSTAR II». وكما أن المحور في عجلة يربط مجموعة القضبان المتشابكة، فإن «GSTAR II» التابع لشبكة «GTE» الفضائية يربط الآن معظم مخازن شركة "بني" الكترونياً بعضها ببعض. وعدة مرات في الاسبوع، تبث شبكة "بني" التلفزيونية العاملة بواسطة القمر الاصطناعي والتي بلغت تكاليفها ثمانية ملايين دولار، عروض الأزياء والبضائع في مركزها الرئيسي في مانهاتن بنيويورك. وتنقل هذه العروض مباشرة الى القمر الاصطناعي «GSTAR II» الذي يدور على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر فوق خط الاستواء، وهو بدوره يبثها الى هوائيات مركزة على سطوح مخازن الشركة ومكاتبها في أنحاء البلاد. فأصبح في إمكان المسؤولين عن المشتريات في ولاية كاليفورنيا أو آيوا مشاهدة العروض التلفزيونية الحية وتقرير ما يريدون طلبه.

صحون على السطوح – لسحب المعلومات من قمر اصطناعي يحتاج المرء الى صحن لاقط، أي الى واحد من تلك الطباق المقعرة التي انتشرت كالفطر في السنوات القليلة الماضية وركزت على السطوح أو في أفنية البيوت. هذه الصحون هوائيات تجمع المعلومات التي تبثها الاقمار الاصطناعية الى

الارض. أما الصحون المركزة في الافنية والمتصلة بأجهزة تلفزيون فتمكن المشاهدين من تجاوز محطات التلفزيون المحلية والتقاط باقة من البرامج الجميلة مباشرة عبر قمر اصطناعي. وهناك صحون مزودة اجهزة ارسال تنقل اشارات الى الاقمار الاصطناعية.

إن أول ارسال تلفزيوني حي بث عبر الاطلسي تمّ بواسطة القمر الاصطناعي المسمى "تلستار - ١" عام ١٩٦٢، واستعمل فيه صحن دوّار ركزّ على قمة جبل في ريف ولاية ماين، وبلغ قطره ٢٧ متراً ووزنه ٣٨٠ طناً. أما الاقمار الاصطناعية اليوم فترسل اشارات قوية جداً مما أتاح استعمال صحون خفيفة لا يتعدى عرضها مترين، وهي باتت شائعة.

وساعد صغر حجم هذه الصحون على التخفيف من تكاليفها مما أدى الى ازدهار الاعمال التجارية القائمة على الاقمار الاصطناعية نظراً الى انخفاض سعر الكلفة سنة بعد سنة. ففي منتصف الستينات بلغ ايجار شبكة هاتفية تعمل على قمر اصطناعي ٢٤ ساعة يومياً ستين ألف دولار شهرياً، أما اليوم فلا يتعدى الايجار ٦٠٠ دولار شهرياً.

إن التطور التكنولوجي سيجعل الصحون الحالية الموضوعة في أفنية البيوت تبدو شديدة الضخامة، وفي العام ١٩٩٠ سيطلق أسطول جديد من الاقمار الاصطناعية للبث المباشر التي ترسل اشارات تلفزيونية ذات ذبذبة عالية تفوق مثيلاتها في أيامنا. وكل ما سنحتاج اليه لالتقاطها هو هوائيات مسطحة خفيفة الوزن لا تتجاوز مساحتها نصف متر مربع.

حزام الاقمار - القمر الاصطناعي يدور فوق الارض، لكن الصحن الذي يتعقبه يبقى في وضع ثابت. فعلى ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر، وهو الارتفاع القياسي لأقمار الاتصالات، كل دورة كاملة للقمر الاصطناعي تستغرق أربعاً وعشرين ساعة، لذلك يبدو القمر الاصطناعي فوق خط الاستواء كأنه يحلق من غير تحرك. وانطلاقاً من هذا الواقع يشكل القمر الاصطناعي قمة لبرج غير مرئي يرتفع ٣٦ ألف كيلومتر عن الارض.

قبل استعمال الاقمار الاصطناعية كانت الاشارات التلفزيونية ترسل بواسطة أبراج بث معدنية. والمساحة التي كان يغطيها البث عبر برج الارسال كانت لا تتعدى ستين كيلومتراً مربعاً، تحدها التلال والمباني والتقوس الطبيعي للارض. أما اليوم فيغطي بث القمر الاصطناعي ثلث مساحة الكرة الارضية.

ومما يثير الدهشة أن يصبح الحزام الفضائي الذي يطوق خط الاستواء على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر مزدحماً بآلات التكنولوجيا الحديثة. فالاقمار الاصطناعية تتزاحم اليوم داخل هذا المدار، وكثير منها يجوب الفضاء في مدارات أخرى. وقد أحصت "القيادة الامريكية لشؤون الفضاء" ٦٨٥٠ "جسماً من صنع الانسان" منتشرة في مدار الارض. وعدد الاقمار الاصطناعية العاملة في هذه المجموعة لا يتعدى نسبة واحد الى عشرين، وثلاثة أرباع هذه الاجسام حطام خزانات صواريخ قديمة وأقمار اصطناعية هامدة.

هذا المدار الذي تتزامن فيه سرعة

الاقمار الاصطناعية مع سرعة دوران الارض هو المفضل في الاتصالات، ولكن هناك مدارات أخرى منخفضة تعلو بين ١٥٠ كيلومتراً و١٣٠٠ كيلومتر فوق الارض وتعتبر المركز الرئيسي للاقمار الاصطناعية المخصصة للقياس والتتبع والتجسس. وقد أصبحت الصور المرسلة من الاقمار الاصطناعية عن أحوال الطقس جزءاً ثابتاً وعادياً في نشرات الاخبار المسائية. وهنالك أقمار أخرى مزودة أعداداً كبيرة من آلات التصوير المتطورة تراقب جبال الجليد وانتاج المحاصيل وانفجارات البراكين. كما أن هنالك قمراً مجهزاً بآلات لقياس الحرارة يساعد صيادي سمك التن على الاهتداء الى مناطق التيارات الدافئة في المحيط حيث يكثر هذا النوع من السمك.

إن مجموعة "لاندسات" من الاقمار الاصطناعية المتخصصة بوضع خرائط لجغرافية الارض والتي أطلقت للمرة الاولى عام ١٩٧٢، كشفت مجموعة كبيرة من أسرار الارض. وقد ساعدت دراسة الصور المرسلة من "لاندسات" شركات المناجم في العثور على معادن الاورانيوم والنحاس والموليبدنوم. أما مفتاح معرفتهم في هذا المجال فكان التغيرات الدقيقة في مقدار نور الشمس الذي تعكسه أوراق النبات، وهي تغيرات تحصل نتيجة وجود مقادير ضئيلة من المعدن في التربة.

وهناك قمر اصطناعي فرنسي يدعى "سبوت - ١" يؤمن صوراً أكثر وضوحاً من تلك التي يقدمها "لاندسات." فمن مداره الذي يعلو ٨٤٠ كيلومتراً عن سطح الارض يلتقط صوراً ثلاثية الابعاد، وهذه ظاهرة مفيدة بالنسبة الى مهندسي الطرق وبناة السدود وكل من يهمه أن يرى الارض بثلاثة أبعاد. وفي العام ١٩٨٦ زود هذا القمر الاصطناعي الصحافة العالمية صوراً للمنطقة التي أصيبت بالاشعاع النووي حول تشيرنوبيل إثر انفجار المفاعل النووي السوفييتي. وفي مقابل مبلغ زهيد لا يتجاوز ١٥٥ دولاراً، تزود شركة "سبوت" للتصوير هذا القمر تعليمات فيلتقط بدوره صوراً لأي مكان يختاره الزبون، أكان في موطنه أم على قمة جبل إفرست.

خرائط تحت البحار - لا تزال استعمالات حاذقة وغير متوقعة للأقمار الاصطناعية تظهر وتوضع موضع التنفيذ. فعالم البيولوجيا البحرية بروس مايت من جامعة أوريغون يعمل حالياً على استعمال قمر اصطناعي من طراز "تايروس" مخصص للأرصاد الجوية في اقتفاء حوت مزود جهازَ ارسال.

وخلال وقت وجيز سيتمكن علماء المحيطات من دراسة أسهل لقعر المحيط والتيارات التي تجوبه بفضل القمر الاصطناعي "توبكس/بوسايدون" وهو إنتاج فرنسي - أمريكي مشترك. وعند إطلاقه سنة ١٩٩١ سيحمل هذا القمر الاصطناعي مجسّ رادار لتحديد ارتفاع سطح المحيط الذي يسجل تغيرات تصل الى ثلاثين متراً. وأحد أسباب هذه التغيرات أن جبلاً تحت الماء، بوزنه الأثقل، يمارس جاذبية على سطح الماء الذي يعلوه أقوى كثيراً من جاذبية قعر

منخفض. ونتيجة ذلك تتجمع المياه فوق سلسلة جبلية تحتمائية وتنخفض فوق منخفض. وهذه التغيرات في ارتفاع الماء لا تظهر للعين المجردة، ولكن في إمكان القمر الاصطناعي "توبكس/بوسايدون" تحديدها، اذ عندما ترتد موجات الرادار عن سطح المياه يلحظ القمر الاصطناعي التغيرات الحاصلة في المياه الى مدى سنتيمترات قليلة، فيساعد العلماء على مسح قيعان المحيطات وتياراتها بتفاصيلها الدقيقة المدهشة.

ولكن ليس كل ما يكتشفه القمر الاصطناعي يكون مقصوداً. فهناك اليوم أقمار اصطناعية خاصة بالتنصت تضبط التجارب الصاروخية وتستمع الى المكالمات الهاتفية البعيدة المدى وتسترق السمع الى اتصالات أبراج المراقبة الارضية بالطيارين.

وفي وسع أقمار الاستطلاع أن تكون حادة النظر فعلاً. ففي العام ١٩٨٤ نشرت مجلة بريطانية صورة مذهلة لأول حاملة طائرات سوفييتية تعمل بالطاقة النووية وهي قيد البناء. وأظهرت الصورة بوضوح تفاصيل الرافعات في حوض بناء السفن، كما ظهرت نوافذ المباني. وافترض وقتذاك أن الصورة تم التقاطها بواسطة قمر اصطناعي أمريكي سري في حجم حافلة ويدعى «KH-11».

وعلى رغم احاطته بالسرية يعتقد أن «KH-11» الذي تعتمده وزارة الدفاع الامريكية يمكنه أن يناور في مداره ويضخم المناظر التي تثير الاهتمام ويلتقط الصور بتتابع سريع مثل آلة التصوير السينمائية. كما يشاع أنه في ظروف مثالية يستطيع قراءة رقم لوحة سيارة.

في المستقبل لن تكون الاقمار الاصطناعية موجهة نحو الارض فقط. فإن وكالة الفضاء الامريكية "ناسا" تخطط لإطلاق سلسلة مراصد مدارية تبدأ بالمرقاب (التلسكوب) الفضائي "هابل" الذي تبلغ تكاليفه ١،٤ مليار دولار. وفي غياب غلاف جوي يحجب الرؤية سيكون في امكان هذا المرقاب تحري كواكب تدور حول النجوم القريبة.

وتطاول الاقمار الاصطناعية بيوتنا لتكون أكثر فاعلية في تغيير حياتنا اليومية. فمن المحتمل مع بداية السنة ١٩٩٠ أن تُبَثّ المكالمات الهاتفية في السيارات عبر الاقمار الاصطناعية. يقول روبرت ماهر رئيس "رابطة صناعة وسائل الاتصال البعيدة المدى": "اذا كنت ممن يرسلون بضائعهم في شاحنات، فسيكون في امكانك أن ترفع سماعة الهاتف وتعلم على الفور موقع شحنتك من البطيخ."

"سبوتنك"، ذلك القمر الاصطناعي السوفييتي الذي اطلق عام ١٩٥٧، يبدو كأنه أطلق قبل دهور. ويصعب علينا أن نصدق أنه في مستهل الخمسينات، قبل اطلاق الاقمار الاصطناعية الاولى في مداراتها حول الارض، كان هناك أناس مشككون يتساءلون عن المنافع التي يمكن أن تحققها البشرية من إطلاق هذه الآلات النائية. أما اليوم فقد أثبتت هذه "العلب" المعدنية السريعة أنْ لا غنى عنها. وفي السنوات المقبلة ستكون لها وظائف لا تحدها إلا مخيلاتنا.

دوغ ستيوارت



شتيفي غراف: نجمة ألمانيّة في المضرب العالميّ

قبل خمس سنوات، اكتشف المدرب الامريكي رينه ريتشاردز اللاعبة شتيفي غراف في الدورة المفتوحة للولايات المتحدة. وهو يتذكر: "كنت أدرّب لاعبة ناشئة هي ميليسا براون وكان مقرراً، في التصفيات، ان تواجه شتيفي التي كانت آنذاك في الرابعة عشرة. فراقبتها في مباريات الادوار الاولى ولاحظت أنها تتحرك بسهولة على أرض الملعب، وأن تسديدها الخلفي المنحرف ثابت، الاّ أنها تنزع الى الابطاء في تسديد الكرات الامامية، فأشرت على ميليسا لتركز على الضربات الامامية، وهكذا عُقد لها الفوز."

Condensed from New York (August 31, 87), © 1987 by

واليوم، ما من مدرب يجرؤ على تحدي التسديدات الامامية لشتيفي. هذه التسديدات، التي يبدو جلياً أنها تغلب على أداء لاعبات كرة المضرب، خولتها لأن تفوز في ٧٥ مباراة من أصل ٧٧ مباراة خاضتها العام الماضي، ولتصنف، تالياً، اللاعبة الرقم واحداً في العالم اثر فوزها على كريس إفرت في دورة "فرجينيا سليمز" في لوس انجلس في ١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٧. وللمرة الاولى في ١٤ عاماً تتصدر لاعبة غير كريس افرت ومارتينا نافراتيلوفا لائحة الجمعية العالمية للاعبات المحترفات في كرة المضرب في نهاية السنة.

كانت مارتينا نافراتيلوفا الوحيدة التي هزمت شتيفي (مرتين فقط) في العام ١٩٨٧. وتحفل المنافسة بين اللاعبتين عادة بكل عناصر المواجهة الكلاسيكية: السن المتقدمة في مواجهة الشباب، اللاعبة العسراء في مواجهة اليمناء، التسديدات العالية في مواجهة الكرات الارضية.

لكن رؤية شتيفي، وهي تلعب، مشهد مثير أيا تكن منافستها. ويوضح والدها بيتر غراف: "انها تحب ان تنهي المباراة بسرعة خلافاً للاعبات الاخريات اللاتي يعتمدن الاسلوب الدفاعي فيمكثن في الملعب ثلاث ساعات في كل مباراة." الحقيقة أن شتيفي تعتمد اللعب الهجومي الذي يغطي رقعة الملعب مسددة الكرات الارضية الرائعة بسهولة تعيي منافساتها. وعلى أثر خسارتها ثلاث مباريات على التوالي أمام شتيفي، وكانت آخرها في دورة "كأس الاتحاد" في أغسطس (آب) ١٩٨٧، أقرت كريس افرت: "لو اني تمكنت من العثور على أي خلل في أدائها لكنت استغللته. ولكن ما من ثغرات في درعها." ويثني ريتشاردز على هذا: "شتيفي من اللاعبات الفريدات اللواتي يظهرن مرة واحدة كل عشر سنين."

ابنة ابيها – ولدت شتيفي غراف في ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٩ في مانهايم – نكارو، وهي بلدة تقع على مسافة ٢٢ كيلومتراً شمال غرب هايدلبرغ. مارس والدها، وهو ملاكم سابق عمل في بيع السيارات والتأمين، رياضة كرة المضرب عندما كان في الثامنة والعشرين. وما لبث أن صار عضواً في فريق المقاطعة وباشر تعليم هذه الرياضة. في سنتها الثالثة، شرعت شتيفي، وهي بعد في الثالثة، تبتكر أساليب في اللعب بمضربه داخل البيت. وهو يتذكر: "كانت تلح عليّ دائما لالعب معها كلما عدت من عملي واعتقدت لفترة أنها انما تبغي بعض الاهتمام فقط."

واذ بلغت شتيفي الخامسة أدرك بيتر غراف أن لدى طفلته استعداداً لممارسة هذه اللعبة. وقد باتت تستطيع اللعب وهي عند الخط الخلفي للملعب، ولاحظ أيضاً أنها أفضل من كثيرين من تلاميذه الذين يكبرونها سناً في التركيز على الكرة وسيطرتها على المضرب.

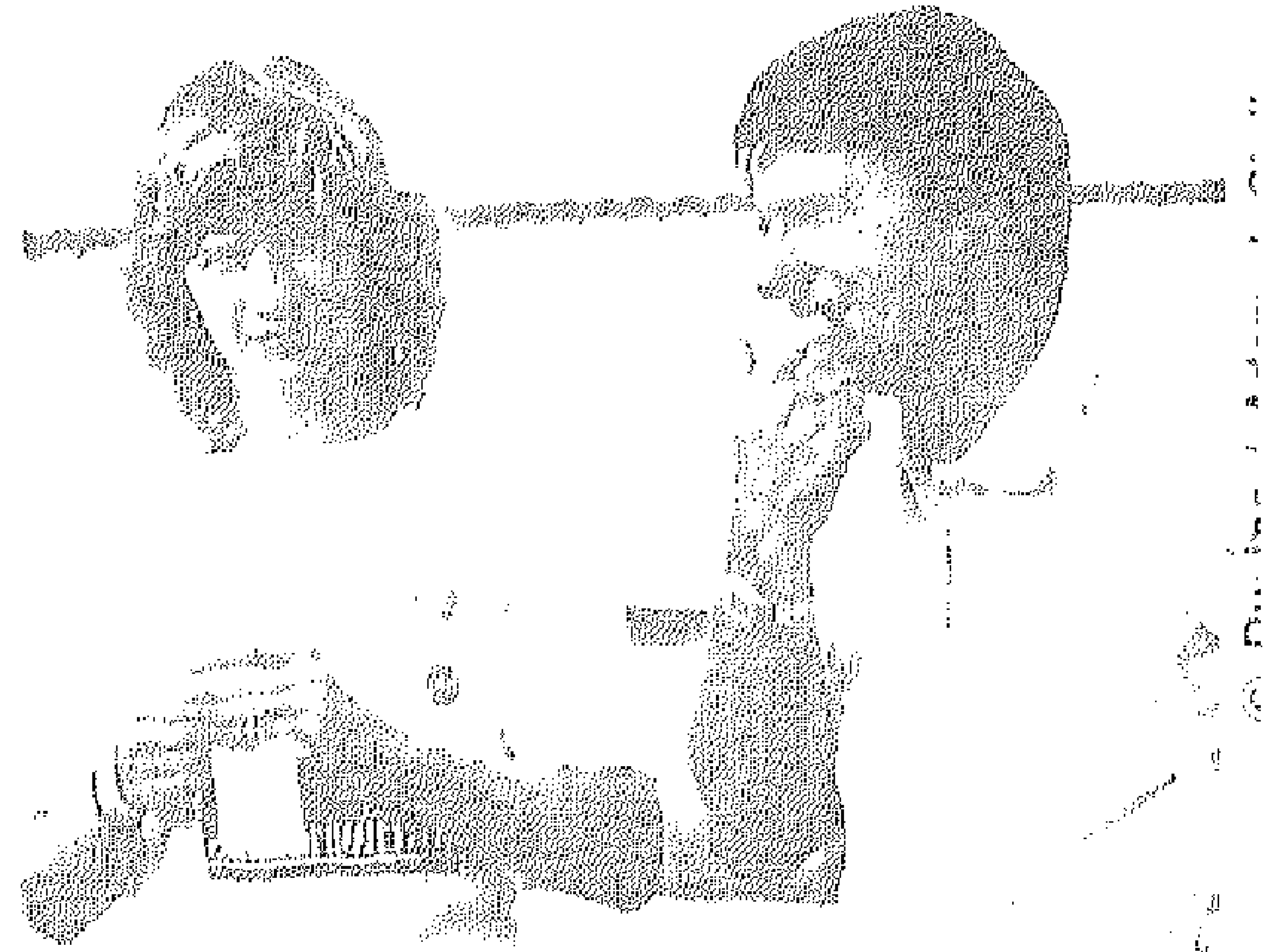
ألحقها بمركز التدريب لاتحاد بادن لكرة المضرب في ليمان، وكان أحد زملائها في مناسبات عدة اللاعب الالماني الشهير بوريس بيكر، وكان هذا لا يزال

ناشئاً. بيد أن المركز كان على مسافة نصف ساعة في السيارة ولم يكن فيه سوى ثلاثة ملاعب لـ١٥ أو ٢٠ لاعباً. لذلك حين باشر بيتر غراف ادارة قاعة لكرة المضرب قرب منزله، أخذ على عاتقه تدريب ابنته بنفسه. وتقول شتيفي عن صعودها: "لم أفكر قط في احتراف رياضة كرة المضرب بل كنت أهواها فقط. كنت أشترك في دورات وأتدرج دوماً الى المرتبة التالية. لقد حدث ذلك طبيعياً."

الصعود السريع - ارتقت السلم سريعاً. فبعد احرازها بطولة المانيا في كرة المضرب للحديثات - وكانت في الثانية عشرة - ثم بطولة المانيا للناشئات - وكانت في الثالثة عشرة - احترفت شتيفي رياضة كرة المضرب وباتت في ذلك الوقت أصغر لاعبة يصنفها الاتحاد الدولي لكرة المضرب. وبعد سنتين وصلت الى دور الـ١٦ في دورة ومبلدون في بريطانيا، واحرزت ميدالية ذهبية في مسابقة استعراضية في دورة الالعاب الاولمبية ١٩٨٤. وفي العام ١٩٨٥ وصلت سبع مرات الى الدور النهائي أو نصف النهائي في سبع دورات. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٦ فازت على كريس أفرت في دورة "هيلتون هيد آيلند" في الولايات المتحدة لتحرز اولى الدورات محترفة." وعلى أثر هذه الانطلاقة فازت شتيفي في ثلاث دورات أخرى محققة بذلك اربعة انتصارات متتالية في ستة أسابيع توجتها بفوزها على مارتينا نافراتيلوفا في نهائي الدورة المفتوحة لالمانيا الغربية.

في أي حال، تعتبر أفضل مباراة خاضتها الى الآن تلك التي خسرتها أمام نافراتيلوفا في دورة الولايات المتحدة المفتوحة ١٩٨٦. كانت تسديدات شتيفي في بدء المباراة متزعزعة، وتقدمتها نافراتيلوفا بأربعة أشواط في مقابل شوط واحد. وبعد توقف لفترة، بسبب المطر، أظهرت اللاعبتان أداء رائعاً في ثلاث مجموعات انتهت بفوز نافراتيلوفا بعدما حسمت هذه، بصعوبة، الشوط الفيصل والاخير بنتيجة ١٠ - ٨. خلال هذه المباراة، وفي كل مرة كانت احدى اللاعبتين تحرز نقطة الترجيح التي تسبق نقطة الفوز، كانت الاخرى تستعيد رصيدها من النقاط بتسديدات جريئة وخطيرة وتنجح في اجتناب الهزيمة. في هذه الاثناء احتشد عدد كبير من اللاعبين واللاعبات في المدرجات مؤكدين بذلك الاحساس الذي بدأ يخالج جمهور المتفرجين: أن شتيفي كانت تهديداً واضحاً لسيطرة نافراتيلوفا الطويلة على مسابقة السيدات. ومذذاك باتت تقريباً لاعبة لا يمكن ان تهزم.

يقول مدربها بافل شلوزل وهو لاعب دولي سابق: "تسدد شتيفي الكرة بطريقة أقوى وأقرب الى الشبكة مما يستطيع كثير من اللاعبين المحترفين." وفي حين أن اعتمادها غالباً ما يكون على كراتها الامامية التي تشبه ضربات السوط وتجمع الخداع الى القوة الفائقة، فان أكثر ما يدهش بعض الخبراء قدرتها على التحرك في كل الوضعيات. وتقول جين سكوت مالكة مجلة "تنس ويك": "الفارق الرئيسي بين اللاعبين واللاعبات هو


شتيفي مع والدها بيتر في الدورة المفتوحة للولايات المتحدة عام ١٩٨٦.

اللياقة البدنية، وهذا، في المقام الاول، ما يفسح لشتيفي لتأخذ وضعاً تستطيع فيه تسديد كراتها الامامية."

يعتقد ديك دِل مدرب غبرييلا ساباتيني اللاعبة الرقم واحد في الارجنتين أن الذي خول شتيفي الفوز على ساباتيني هو الجهد العظيم والادراك العميق لمجريات اللعبة أكثر منه مهارتها الجسدية. ويقول: "أنت لا تراها ابداً تسدد كرة عشوائية خرقاء، ذلك بانها تملك رؤية واضحة لما تريد تحقيقه وهي مدركة ما تسعى انت اليه."

غدت أسطورة - في التاسعة عشرة غدت شتيفي أسطورة في قدرتها على تحمّل الضغط. وتفسيرها لذلك بسيط وهو أنها لا تشعر بالضغط اطلاقاً وتقول: "حين أكون في الملعب أركّز على كرة المضرب فقط."

أقلقت هذه القدرة الجسدية كثيرات من اللاعبات، وتقول اندريا ليانسد: "خسرت مباراة من ثلاث مجموعات أمام شتيفي في دورة شتوتغارت، وذلك قبل أن تصير على ما هي من مهارة، بسنوات. واني أذكر أنه في كل مرة اعتقدت أنها لا بد ستنهار، كانت تزداد قوة." وتقرّ شتيفي بأنها لا تستطيع حتى التمرن من غير أن تحاول الفوز: "عندما ألعب ضد مدربي ونحاول معاً إبتكار أساليب جديدة كالتقدم الى الشبكة لدى كل ارسال، أجدني وقد تراجعت الى الخط الخلفي سعياً وراء تسجيل النقاط كلها."

تعتبر شتيفي لغزاً خارج الملعب بمقدار ما هي كذلك داخله. فمنذ انضمامها الى الدورات الدولية وهي على مسافة في علاقتها مع سائر اللاعبين واللاعبات، خلافاً لعلاقتها الوثيقة مع أهلها. فوالدتها وشقيقها الاصغر منها يشاهدان كل دوراتها ويجتمعان بها حين تعود الى منزلها في برول، فيما يضطلع والدها بدور رئيسي في حياتها المضربية.

ونظراً الى نزعته التصادمية (أبعد مسؤولي مباريات ومديري دورات واصطدم مع حكام) وكذلك الى علاقتهما الحميمة، غالباً ما يفترض المراقبون أنه القوة الكامنة خلف نجاحها، وانه "الوالد المضربي" المثالي. أما الذين يعرفونهما جيداً فيقولون أنه الآلة التي تمهد الطريق أمام ابنته في سعيها الى الكمال وقد منحها حرية التمتع بهذه الرياضة. وتؤكد شتيفي: "طوال فترة لعبي كناشئة، لم يمارس عليّ والدي أي ضغط للفوز. واذا هُزمت فالمسألة لا تتعدى حد الهزيمة." والواقع أن بيتر غراف يعامل ابنته بلطف ورقة شديدين، فهو يعانقها ويقبلها بعد كل مباراة، خاسرة كانت أم رابحة.

موزة "الغوريلا" – أما وقد وصلت شتيفي الى القمة، فاللاعبات يسعين في اثرها، وتبجّل وسائل الاعلام كل حركة لها، ويطلب ضامنو الدورات مزيداً من وقتها. وتساعدها روابطها العائلية الوثيقة في التعامل مع الشهرة. الا ان ما تخشاه، حاضراً، فهو التصريحات التي تدلي بها افرت ونافراتيلوفا اكثر منها المباريات التي تخوضها ضدهما. ولا تزال "الصرعات" الدعائية تحرجها، كما حدث لها عندما أسرع رجل في زي "غوريلا" الى المنصة خلال ندوة صحافية عقدتها في ماوا بنيوجرزي وقدم اليها موزة احتفالا باحتلالها المرتبة الاولى. حين رأته شتيفي، تركت المنصة واختبأت خلف ممثلها فيل دوبيكيوتو.

لم تحول اهتمامها بعد الى المال الذي تكسبه. فالعقود الموقعة وبدلات المباريات الاستعراضية (تتقاضى ٥٠ الف دولار حداً أدنى بدل اشتراكها في مباراة استعراضية واحدة) أضافت ما يفوق ٣ ملايين دولار الى دخلها من الجوائز المالية والذي تعدى مليون دولار العام الماضي. وهي تقول: "لا أفكر اطلاقاً في أن أصبح ثرية، فوالدي هو الذي يتولى المسائل المالية، ثم ان الطريقة التي بها أحيا لا تتطلب انفاقاً كبيراً."

بدل أن يكتنف شتيفي احساس بالضغط كونها اللاعبة الرقم واحد فانها على عكس ذلك تستمتع بتربعها على هذا المركز، وتقول: "قبل ان أفوز في دورتي الاولى، كانت رياضة كرة المضرب تشغل كل تفكيري. أما الآن فانا أكثر ارتياحاً وأرغب في أداء أمور أخرى: الطهو، الموسيقى أو الذهاب الى الشاطىء."

انها تحاول ان ترتاح عادة قبل كل دورة، فتتمرن فترة ساعتين صباحاً تتبعهما بثلاث على الشاطىء ثم ساعتين مراناً بعد الظهر فعشاء يليه احيانا حضورها فيلماً سينمائياً أو حفلة موسيقية.

اثناء وجودها في البيت تعنى بكلابها الثلاثة وأحدها هدية من دائرة برول قدم اليها اثر فوزها في الدورة الفرنسية المفتوحة في باريس. وهي كذلك تحب المطالعة خصوصاً كتب ارنست همنغواي الذي تقول عنه أنه: "يرى الامور بطريقة مختلفة."

لعل شتيفي ترى الامور بطريقة مختلفة هي أيضاً، ليس حين تكون النتيجة ١٥ في مقابل صفر في الشوط الاول بل حين يكون رصيد النقاط ٣٠ – ٤٠ لمصلحة منافستها قبيل انتهاء احدى مجموعات المباراة، والمتفرجون في حال ترقب وامامهم لاعبتان مستميتتان. اذذاك، تهدأ وتيرة المواجهة بالنسبة اليها، فتتسرع حركة قدميها وتلوح الكرة ضخمة وجلية، هدفاً يدعوها الى نسيان الارهاق. وتقول شتيفي: "ربما أجيد اللعب أفضل في وضع كهذا، فأنا أهوى المجازفات وأستمتع في الحقيقة بقذف الكرة، لا فرق أخسرت أم ربحت، فأنا أدرك تماماً أني جاهدت في تسديد ضرباتي على الاقل."

مايكل ستون

فن العيش هو تحويل الحياة عملا فنياً.



دائرة المعارف

تحرص "المختار" على تقديم مقالات مفيدة يجد فيها القارىء معارف جديدة مسبوكة في أسلوب واضح. وهي تنصح القراء بالافادة من مطالعاتهم، ليس فقط للتسلية وكسب المعلومات، بل أيضاً لاغناء لغتهم بمفردات وعبارات قد تبدو عادية وسهلة لكنها نادراً ما تُستعمل في الكتابة الخاصة.

هنا كلمات وردت في الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. ماطل: تثاءب - سوَّف - شد وفتل - دافع.

٢. شهَّر: حادَ - تكلم بالحسن - فضح - أمضى شهراً.

٣. استحثَّ: حضَّ ونشَّط - نبش - أسرع - استقصى.

٤. وبأ: خبر شؤم - شعر خفيف - حشرة - مرض عام.

٥. رياء: ثوب - تظاهر بالخير - لعاب - ماء صاف.

٦. - امتعض: انتفض - ركض خائفاً - غضب - بلع ريقه.

٧. تدارك: تلافى - تذكر - تماوي - علم أخيراً.

٨. تسلَّط: غلب وقهر - تكلم فحشاً - أصرّ - أنعم النظر.

٩. ضَنْك: جوع - وجع القلب - كوخ - ضيق.

١٠. لَدُنْ: فوق - عند - نعمة - يد بيضاء.

١١. كشر: قشر - عضَّ - كشف عن أسنانه - قطب جبينه.

١٢. رمعان: التماع - مشي حثيث - تحرُّك - شباب.

١٣. توانى: قصَّر ولم يهتم - تدلل - تبختر - أتى متأخراً.

١٤. استهجن: استفزَّ - طار صوابه - ربّى - استقبح.

١٥. يمَّم: بارك - سافر بحراً - تفاءل - قصد.

١٦. بَذْخ: كرم - كبر وعظمة - ثرثرة - مزاح.

١٧. مأثرة: فعل حميد - ثأر - مجزرة - تفضيل.

١٨. مالق: سلّى - آخى - تودد وتذلل - خاصم.

١٩. تألَّب: تدهور - علا منصبه - تألم - تجمع.

٢٠. بثرة: بذرة - خراج صغير - قشرة - بسمة.

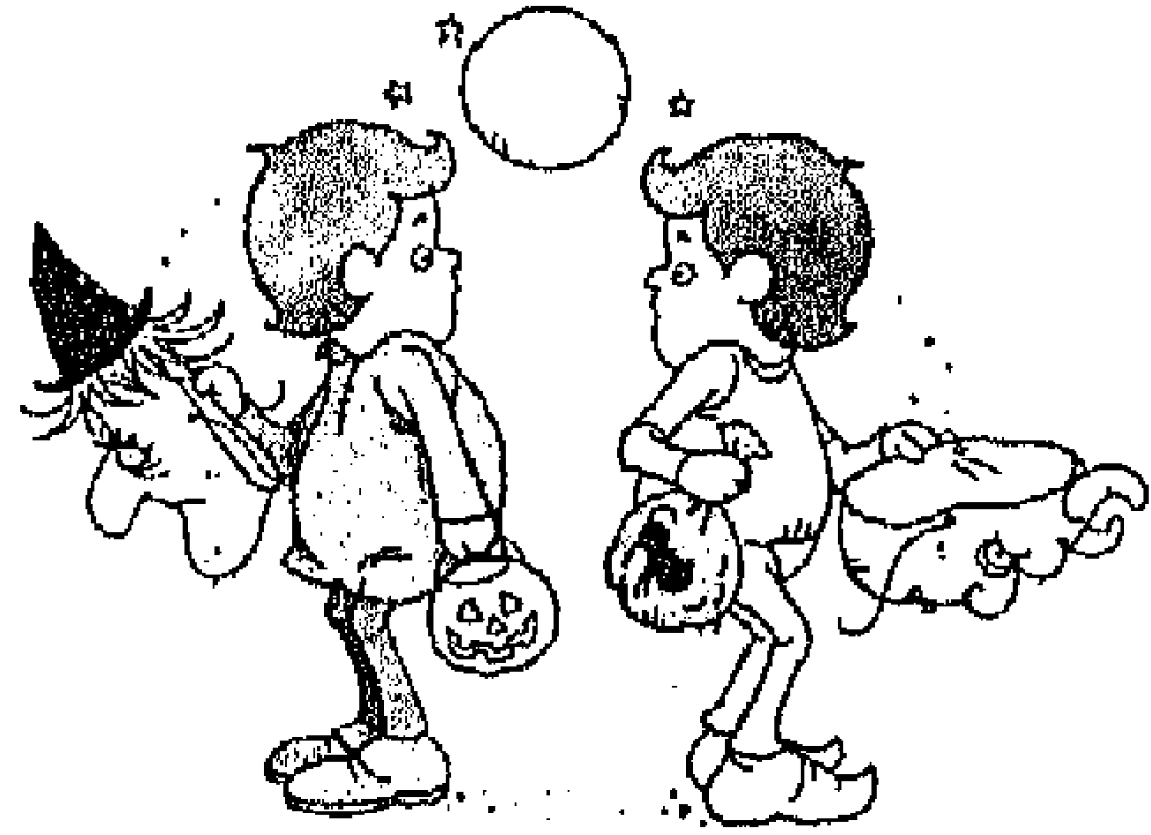
٢١. غَبَش: ضباب - بقية الليل - جرح - وسخ في العين.

٢٢. رُكون: اصغاء - سلطان - وقار ورزانة - سكوت.

٢٣. سدل: مشى ليلاً - أخفى وتكتم - نسي - أرخى.

٢٤. فَرْط: مجاوزة الحد - صفعة - بكاء - قطع نقد.

٢٥. راوند: فضة - نبات مفيد - عطر - حب الرمان.



الأجوبة الصّحيحة

١. ماطله بحقِّه: سوَّفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.
٢. شهَّره: فضحه وجعله شهرة. أشهرَ الامر: أظهره.
٣. حثَّه واستحثه على الامر: حضَّه ونشَّطه على فعله.
٤. الوبأ والوباء: كل مرض عام. جمعه أوبئة.
٥. الرياء: التظاهر بالخير من دون حقيقة.
٦. امتعض من الامر: غضب منه وشقَّ عليه.
٧. تدارك: تلافى. تدارك الخطأ بالصواب: أتبعه. تدارك القومُ: تلاحقوا.
٨. تسلَّط عليه: غلبه ومارس عليه القدرة والقهر. السُلطة: المُلك والقدرة.
٩. الضَنْك: الضيق من كل شيء. يقال: مكانٌ ضنك وعيشة ضنك.
١٠. لَدُنْ ولَدَنْ ولُدُنْ ولَدِنْ ولُدْنَ ولَدْنَ: ظرف زماني ومكاني بمعنى عند، ولا يستعمل الا في الحاضر.
١١. كشَر وكشَّر عن أسنانه: كشف عنها وأبداها.
١٢. رمع أنفُه رمعاناً: تحرك من غضب أو كِبَر.
١٣. توانى في حاجته: فتر وقصَّر ولم يهتم.
١٤. استهجن فعلَه: استقبحه. الهُجْنة من الكلام: العيب والقبح أو ما يعيبه الانسان.
١٥. يمَّمه: قصَدَه. تيمَّم للصلاة: مسح يديه ووجه بالتراب.
١٦. البذخ: الكبر وعظم الشأن.
١٧. المأثرة: المكرُمة المتوارَثة والفعل الحميد.
١٨. مالقه: تودد اليه وتذلل له وأبدى له بلسانه من الاكرام والود ما ليس في قلبه.
١٩. تألَّب القومُ: تجمعوا وتحشَّدوا، عادةً ضد واحد.
٢٠. البثرة: خراج صغير. بثرَ وجهُهُ: خرجت به بثور.
٢١. الغَبَش: بقية الليل أو ظلمة آخره.
٢٢. الرُكون: الوقار والرزانة والثبات. الركين: الرزين والوقور.
٢٣. سدل الشعرَ أو الثوبَ: أرسله وأرخاه.
٢٤. الفَرْط والافراط: مجاوزة الحد.
٢٥. الراوَنْد: نبات عريض الورق يؤكل، خاصته الطبية اطلاق البطن وتقوية المعدة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

كتاب الشهر

بقلم

ميرندا وروبرت رَصل



أيها العالم ما أجملك!

بدأت مأساتنا في ربيع ١٩٨٥ وقد مضت على زواجنا ثلاث سنوات. وكنا مقيمين في بوسطن بولاية مساتشوستس، وكان بيل يعمل في التجارة، وفي أوقات فراغه يصمم قطع أثاث ويصنعها. لم ننجب أولاداً في بادئ الامر ريثما تتحسن أحوالنا المادية فنتمكن من تأمين عيش لائق لهم. الا أننا ربينا قطتين.



وكنت في منتصف سنتي الاولى أدرّس الفن في المدرسة الثانوية، وكان ذلك أول عهدي بساعات التعليم الطويلة المضنية والتوتر الدائم. وقد اعتدت حديث والديّ في هذا الشأن، وهما أستاذان جامعيان. لكن الوهن أخذ ينال مني.

بدأت أشعر بالصداع. وكلما ذكرت ذلك لزميلاتي في التعليم ابتسمن كمن يعرف السبب وقلن لي ان هذا هو تماماً ما أصابهن في سنوات التعليم الاولى. غير أن ذلك لم يطمئنّي كثيراً. كنت أحس الالم يبدأ في قفا رأسي كأنه ينبعث من داخل عظم الجمجمة. ولم تُجدِ المسكنات كالاسبيرين والتايلينول لانني كنت كمن يتناول حبوب سكاكر.

كنت حين ينتابني الصداع في المدرسة أقبض يدي بشدة وأركز على كل عبارة وأصلّي لكي لا أنفجر غضباً لدى طرح

Illustrations: Rick McCollum

أبسط الاسئلة علي، وفي نهاية النهار أذهب الى الموقف وأجلس في سيارتي في انتظار أن يخف الالم فأتمكن من القيادة الى البيت.

عاد بيل في احدى الامسيات فوجدني منهارة في الاريكة غارقة في دموعي تحت وطأة الالم، فقال: "ان هذا الامر لخطير ويستدعي طلب مساعدة."

استشرنا الأطباء واحداً بعد آخر الى أن باتت أسماؤهم تملأ قائمة طويلة، فمنهم من قال لي: "امتنعي عن تناول القهوة،" ومنهم من قال: "تناولي هذه الحبوب أربع مرات في اليوم،" وآخر سألني: "هل أنت سعيدة بزواجك؟"

وفيما اختلفت وصفاتهم وتعددت فانهم أجمعوا على أن فحوصهم الدقيقة لم تكشف أي شيء يثير المخاوف.

مرّ شهر ابريل (نيسان) وتبعه مايو (أيار) فاذا باوجاعي تزداد سوءاً من دون أن يكون هناك أي مسكّن لها. وما ان يسعدني الحظ فأغفو قليلاً حتى يوقظني ألم مبرح في كتفي اليسرى أشعر معه كأن هناك ما يسحق العظم في الداخل، ثم ينساب الالم نزولاً الى الذراع ومن ثمّ الى المرفق. فأقول في نفسي ربّما كنت على وشك أن أفقد عقلي.

وفي هدأة الليل كان بيل يقرأ لي أو يفرك ظهري أو يروي لي قصصاً الى أن يغلبه الارهاق فينام. عندئذ أجاهد لكي أرقد بلا حراك لئلا أوقظه، لكنني لم أكن لاستطيع ذلك فأنسلّ من فراشي وأجول في البيت محاولة خنق تنهدي وبكائي.

انتهت السنة الدراسية في يونيو (حزيران) فوددت لو أن لي القدرة أن أهتف جذلة. قال لي بيل: "ان ما نحتاج اليه كلانا هو الذهاب في عطلة." فزرنا والديه لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في كوخ استأجراه. كان اليوم الاول على أتم ما حلمنا به، اذ نمت الليل بطوله. ربما كان بيل على صواب.

ولكن لا، لقد خاب فألنا. ففي صباح اليوم التالي أخذ الالم المبرّح يخترق عظامي متنقلا في جسدي، وبذلت وسعي كي أكبت دموعي التي كاد الالم أن يفجرها خوفاً من أن أفسد العطلة على بيل ووالديه. كانت تلك الاوجاع شبحاً يخيفني ويدفعني الى العزلة والابتعاد عن هؤلاء الاشخاص الذين أعيش بينهم ويغمرونني بعطفهم.

مخاوف وأوهام

رقدت قليلاً تلك الليلة ولزمت الهدوء الى أن أغفى بيل فانسللت خارج المنزل ومشيت في ظلمة الليل الى حقل مجاور والعشب الندي يدغدغ قدمي، ورفعت نظري الى السماء المرصعة بالنجوم. فرجعت بي الذكرى الى سنوات خلت حين كنت أحلم بلقاء أمير أحلامي والعيش حياة هنيئة رغدة. وها أنا الآن أقف حافية في ثياب النوم، وحيدة أستلهم لمسة سحرية من الليل، من هواء الصيف المنعش، من النجوم، لمسة تبعث فيّ الثقة، شيئاً ما يطمئنني: لا داعي الى الخوف، سيكون كل شيء على ما يرام. فانتظرت، وصلّيت، لكنني لم أحظ بتلك اللمسة.

صباح اليوم التالي لرجوعنا الى بوسطن رتب لي بيل موعداً مع طبيب بارز

للامراض العصبية، هو الدكتور ريتشارد تايلر في مستشفى بريغام للامراض النسائية في بوسطن. ذهبت بمفردي لأن بيل كان مشغولا. وفي الطريق الى عيادة الطبيب كان علي أن أمشي مسافة قصيرة بعدما أودعت سيارتي الموقف، فاضطررت الى التوقف ثلاث مرات لكي أرتاح بسبب اعيائي الشديد. وتجلّت حالتي اليائسة للطبيب فور وصولي، فسألته متلهفة عما أشكو. أجابني بلطف: "لست متأكداً، لكنني لا أعتقد أنه مرض عصبي. حسناً فعلت بمجيئك الى هنا. انه المكان الصحيح لك وسنساعدك."

أجريت لي سلسلة من الفحوص باشراف طبيب شاب متمرن، وراحت ممرضات مرحات يأخذن العينات الواحدة بعد الاخرى. ونصحني الدكتور تايلر بالبقاء في المستشفى لاجراء مزيد من الفحوص الضرورية في اليوم التالي.

اتصلت ببيل وأخبرته، فأتى ومعه فرشاة أسناني وقميص نومي، وقد بدا شاحباً قلقاً. وكان أن جاء طبيب آخر لاجراء فحوص اضافية، فالتفت الى بيل وقال له: "سيكون يومها حافلاً غداً، فيجب أن ترتاح جيداً. لذلك أرى من الافضل لها أن تتركها وتذهب الى البيت."

غادرني بيل وهو مضطرب الاعصاب. أما أنا فسيطر عليّ الخوف. وبعد أخذ مزيد من عينات الدم دخل الطبيب ووقف الى جانب سريري ووضع يده على كتفي وقال لي: "يجب أن تتشدّدي، اذ ربما اضطررنا غداً الى استخراج عينة من السائل الشوكي في العمود الفقري واجراء فحص مجهري لنقي العظم(١)، انما هذا يتوقف على النتائج التي تظهرها الفحوص."

قلت في نفسي: ولماذا يجب أن أتشدد؟ ما الذي يحاولون اخفاءه عني؟ هل هناك بعد ما هو أسوأ مما أنا فيه؟ ان صدري يؤلمني وأكاد أعجز عن التنفس.

ورحت أبكي، لخوفي من كل شيء.

ثم جاء الطبيب والممرضة فهدّأا من روعي وأعطياني حبوباً مسكنة لم تزدني الا قلقاً. وبعدما انصرفا نهضت أتمشى في الاروقة الخالية، متنصتة لعلها تتناهى الى سمعي تحركات ذلك الوحش الذي أعلم أنه كامن في داخلي. فلم أسمع سوى أصوات جرّ الاقدام والهمسات الخافتة وأنات المرضى تتردد في الممرات التي يغلفها السكون. لكنني كنت متيقنة أن الوحش هناك متربص في المنعطف التالي ويداه مبسوطتان لضمّي اليه. وخيّل الي أنني في أي لحظة سأحس سعير أنفاسه يلفح وجهي ويديه اللزجتين تطبقان علي. كانت تلك أسوأ ليلة مرت علي... الى ذلك التاريخ.

طلعت الشمس في اليوم التالي فبددت أشباح الظلام. وعجبت اذ وجدتني أفيض بهجة وحبوراً بدلاً من أن أشعر بالانقباض والارهاب. وتملكتني نشوة غريبة من الثقة والطمأنينة. فرأيت نفسي بعد أشهر طويلة من القلق والمعاناة قد اتخذت قراراً جازماً: فها قد دخلت المستشفى، وأنا الآن في هذا السرير أنتظر بلهفة ما ستسفر عنه الفحوص. واليوم، ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٥، سيكون يوماً حسن الطالع. ولم لا؟

(١) النقي (marrow) هو مخ العظم.

انه يوم جميل! سيأتي الاطباء بعد الفطور ويطلعونني على ما ظهر في التحاليل ويحددون مرضي ويزودونني وصفاتهم ويطمئنونني وينصحونني بألا أقلق. ومن ثم أغادر المستشفى الى البيت.

ولكن ما ان جاء طبيبان بالنتيجة بعد الفطور حتى تبددت أحلام اليقظة. فبدلاً من أن يتمنيا لي شفاء عاجلاً ويرسلاني الى البيت، أبلغاني أنهما سيسحبان عينة من النقي لفحصها مجهرياً، وأنهما سيفحصان أيضاً عينة من السائل الشوكي. ولم تخفّ عنهما خيبتي.

سألني أحدهما: "ألم يخبرك أحد أنك ستخضعين اليوم لعملية سحب النقي؟"

أجبت بصوت خافت: "أظن أنني نسيت ذلك، ولكن هذا الفحص كان يتحتم اجراؤه في حال أظهرت التحاليل..." وعجزت عن اكمال الجملة.

فرد الطبيب الآخر: "لقد صح ما توقعناه، فالتحاليل تشير الى ضرورة فحص النقي كخطوة لاحقة."

وسألت: "ما هي عملية فحص النقي؟"

فشرحا لي: "سنغرز ابرة في العظم الحوضي لاستئصال عينة من النقي. انها ليست بالعملية السهلة، لكننا سنحاول أن نخفف عنك الالم ما أمكن."

أطبقتُ أسناني بشدّة وانكمشتُ متوتّرة. ثم شعرت بوخز الابرة ومعها مخدر موضعي. وبعد نحو دقيقتين باشر الاطباء عملهم بتحريك الابرة دائرياً، وكنت أحس بكل حركة لتلك الابرة الكبيرة وأسمع صوت احتكاكها داخل عظمي.

وشعرت، على رغم المخدر، كأن هناك سيّافاً يطعنني ويحز عظمي بسيف غير مرهف الحدّين.

غرز الطبيب الابرة حتى العمق في عظمة الحوض المجوّفة، وأخذ يسحب النقي من الداخل. لم أكن أتوقع أن أعاني أوجاعاً بتلك الشدة، فأخرجت يديّ من تحت المخدة وأطبقت بهما على فمي لتفادي الصراخ، ورحت أهمس للمخدة تهديدات أتوعد بها الاطباء بالويل والثبور وبمعاملتهم بمثل عملهم.

سأل أحد الاطباء رفيقه عن سير العملية فأجابه: "سننتهي بعد بضع دقائق."

فصرخت: "دقائق! دقائق! دقائق!" وخنقت الوسادة صراخي وانسكبت عليها دموعي الساخنة. ثم شعرت بيد تربّت كتفي بلطف وسمعت صوتاً هادئاً يقول لي: "سمِّنا ما شئت، لو كنت في وضعك لفعلت الامر ذاته."

لم أكفّ عن الصراخ. وتابع الطبيب الحفر الى أن انتهى، فنزع الابرة.

قال لي: "لقد كنت عظيمة، وعليك أن تأخذي قسطاً من الراحة قبل فحص السائل الشوكي. أعدك بألا يكون الالم شديداً."

حاولت تحصين ذاتي والاختباء في زاوية في عمق أعماقي، لكن الاطباء والممرضات عادوا ومعهم ابر أخرى. حاولوا أن يخففوا عني الالم، ولكن هيهات، وطعن العمود الفقري بالابر هو الالم عينه. شعرت بأني منهكة. وبعد انصرافهم كان الارهاق بلغ مني الذروة فنمت طويلاً ولم أعد أعي شيئاً، الى أن

استيقظت لاجد الممرضة قد أتت بطبق الطعام. نظرت اليه ولم أدر ماذا أصنع به. واذا بمعذبيَّ يدخلون غرفتي ومعهم مساعدان.

وقف طبيب شاب أسود الشعر الى جانب سريري وقال لي: "لقد تلقينا النتائج."

نظرت اليه مستطلعة ولم أجرؤ على السؤال.

أخبرني أن النتيجة لم تكن حسنة. وبعد صمت قصير أضاف: "أنت مصابة باللوكيميا (٢)." صعقت للنبأ وبدا كأنه سهم يخترق صدري. وقلت في نفسي: اذاً هذا هو اسم ذلك الوحش الذي يتربص به.

ثم قال الطبيب: "انه مرض خطير. يولّد النقي خلايا الدم البيضاء والحمراء واللويحات. وهذه الخلايا تتلف باستمرار، ويجب صنع خلايا بديلة، والنقي هو المصنع الذي ينتج الخلايا البديلة. ويحدث أحياناً أن يصاب المصنع بخلل فيأخذ في توليد كميات كبيرة من الخلايا البيضاء وقليل من الخلايا الحمراء. وهذا هو سبب ضعفك الشديد، اذ لم تكن لديك الخلايا الحمراء الكافية لنقل الاوكسيجين الضروري الى الجسم. والانتاج المفرط للخلايا البيضاء زاد الضغط على العظام من الداخل، مما سبب لك الصداع والالم في الكتفين."

فسألت عندذاك: "اذاً ما العمل؟"

أجاب الطبيب: "آه، حسناً، سنباشر العلاج منذ اليوم، وستشعرين بتحسن سريعاً."

قلت: "وهل هذا يعني أني سأشفى؟"

فهز رأسه قائلا: "ان تلك الاوجاع ليست سوى مؤشرات. فالمرض أكثر تعقيداً، ولكن علينا أن نكون شاكرين لما نقدر عليه. هل زوجك آت لرؤيتك قريباً؟"

قلت: "سيأتي بعد الظهر ليأخذني الى البيت."

قال: "أخشى ألا يكون هذا ممكناً، ولكن سيكون لنا حديث معه. ولا تقلقي، لانك ستحتاجين الى كامل قوتك." ثم انصرفوا جميعهم بوقار.

أحسست بخدر يسري في عروقي وبدوار في رأسي. كنت كمن فقد حسه ودخل غيبوبة نفسية. جاء بيل فوجدني شاحبة وقد صدمني النبأ، فكنت أحاول عبثاً كفكفة دموعي المنهمرة. فقال لي والعبرات تكاد تخنقه: "لقد أخبروني، وأراني مذنباً بحقك لانني حسبتك ستتغلبين على أوجاعك وتستعيدين عافيتك. وها قد بانت فداحة خطأي. انني آسف جداً."

قلت له: "لا، لم تكن مذنباً أو مخطئاً، انما أنا كنت قاسية عليك. فأنى لك أو لسواك أن تعرفوا الحقيقة المخيفة؟"

انحنى بيل وقبلني مطمئناً فامتزجت دموعنا. وقال: "انها معركتنا نحن الاثنين، وسينتهي كل شيء على ما يرام، لست أدري كيف، لكنني أعرف أننا سننجح وستتم لنا الغلبة."

كان أبي وأمي يقضيان فصل الصيف في جزيرتنا في سان لورنس بكندا. ووصل أخي مارك الى هناك مع عروسه نانسي لتمضية عطلتهما، وتبعهما أخي جايمس

(٢) اللوكيميا أو ابيضاض الدم نوع من السرطان.

قادماً من واشنطن. وكانوا كلهم على علم بالصداع الذي أشكو منه، لكنهم لم يعرفوا السبب الى أن اتصلت بهم. فحمّلوا أمتعتهم في سيارة وجاؤوا الى بوسطن قاطعين مسافة ٦٥٠ كيلومتراً.

أقبل علي أفراد العائلة جميعهم، باستثناء أخي ريتشارد الذي كان يعيش في أوستراليا. كانوا قلقين على مصيري، فمنهم من بكى فيما حاول الآخرون حبس دموعهم. واتضح لي فجأة أنني أنا مصدر حزن العائلة كلها. لكنني اكتشفت من خلال حزنهم مبلغ محبتهم وعطفهم. كانوا يخشون علي من الموت أكثر مما كنت أخشاه أنا. ورأيت أن محبتهم لي ألقت علي مسؤولية تحفزني على أن أتعافى وأبقى قيد الحياة.

دخل الاطباء، وأفراد عائلتي متحلقون حولي. فشرح لنا أحدهم أن لوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة(٣) التي أنا مصابة بها خطيرة جداً. وقد خطا العلم خطوات كبيرة متقدمة في معالجة اللوكيميا لدى الاولاد، وكانت النتائج حسنة بحيث بلغت نسبة النجاح ٨٥ في المئة وربما أكثر، بعدما كانت كلمة "لوكيميا" الى عهد قريب تعني حكماً بالموت. ولكن، لسوء الحظ، لم تكن هناك خطوات مماثلة في معالجة البالغين الذين تندر اصابتهم بلوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة.

فكم كانت نسبة حظي في البقاء قيد الحياة؟ ذلك كان السؤال الخطير الذي جال في خاطر كل منا ولم يجرؤ أحد على طرحه. أدرك الطبيب ما أردنا معرفته فشرح لنا أن مرضي نادر جداً ولكل حالة منه ميزة خاصة، وليس هناك سوى أساس واه للتكهن بتطوره. كان ذلك كلاماً لطيفاً كيّساً صيغ بلغة غير جازمة قابلة للتأويل مفادها أنه غير متيقن من مصيري: أأعيش أم أموت؟

سيباشرون معالجتي ذلك المساء بحقنة وريدية بمقدار من الـ "أدرياميسين" الذي يلقب "الشيطان الاحمر" بسبب لونه وقوته، وتكفي نقطة

(٣) Acute lymphocytic leukemia



منه على الجلد لكي تخترق طريقها وصولاً الى العظم. أما لماذا لا يتلف الاوردة التي يحقن ضمنها فلم يفدنا أحد بهذا الامر. انه بدء الهجوم الكبير: الحرب الكيميائية ضد الخلايا السرطانية في مجرى دمي.

وما هو الا يوم أو يومان وأعود الى البيت وأتبع نظاماً أتناول بموجبه عقاقير مختلفة. عيّن الاطباء بدقة جميع الاعراض الجانبية التي يحتمل أن تترافق وتناول العقاقير. كان هناك عدد لا يحصى من تلك الاعراض الجانبية، وكل منها خطر ومخيف. وعلي أن أخضع أسبوعياً للفحوص والحقن بالابر في عيادة أمراض الدم. واذا تمكن الاطباء من الوصول بمعالجتي الى حد لا يبقى فيه اي مؤشر على وجود المرض، فسأكون أصبحت في طور الخمود(٤) أي خفة حدة المرض.

واذا استطعت العودة، وإن الى تلك الحالة الغامضة، فستكون خطوة جبارة في الطريق الى... الى ماذا؟ الشفاء؟ الحياة الطبيعية؟ ان الاطباء لا يسمّون الحالة التي قد أعود اليها. لكن بلوغي مرحلة الخمود يعني أننا ربحنا الجولة الاولى في المعركة. ولكن من المحتمل أن يكون العدو تسلّل الى عمودي الفقري أو الى دماغي حيث يكمن ريثما تهدأ الامور ثم يعود الى الظهور. واذا أسعدني الحظ في بلوغ الخمود، فيجب مهاجمة المرض في مخبأه، ويعني ذلك معالجة الجمجمة بالاشعة، تتبعها سنتان من المعالجة بالادوية التي تؤخذ من طريق الفم وحقناً ضمن الاوردة، هذا اذا لم تلمّ بي انتكاسة في تلك الاثناء، والانتكاسات كثيرة الحدوث.

شعرت بالاحباط. وتساءلت: هل قدر لرأسي أن يشوى في لهب الاشعة؟

صحوت الى نفسي وتبصّرت في ما آلت اليه حالي فوجدت أني فقدت السيطرة على حياتي وأصبحت ضحية لا حول لها ولا قوة. ولكن لا، لن أذعن، فهناك دائماً خيارات، منها أن أدير ظهري لكل هذه التدابير الوقائية وأغادر المستشفى متأبطة ذراع بيل وأعود الى ممارسة عملي وأحقق كل أمانيّ وأحلامي. ثم، من يهتم؟ لكن هذا ليس بالتفكير الصحيح، اذ ان هناك أناساً دأبهم الاهتمام الشديد بما أعانيه والغيرة عليّ. ربما كتب لي أن يحجبني الموت باكراً، ولكن لا يسعني أن أختار طوعاً هذا المصير ما دامت هناك خيارات بديلة.

عينت الساعة الثامنة مساء موعداً لحقني بالادرياميسين. فاجتمع الكل حول سريري صامتين مترقبين، وبدوت كنجمة مسرح في ليلة افتتاح.

دخل طبيبان ومعهما عدة العملية. وكنت أعطيت كمية مكثفة من المسكنات. فتراجع أفراد عائلتي حتى التصقت ظهورهم بالحائط. وتقدم بيل وأمسك بيدي وقال لي: "سأبقى معك هنا الى أن تنتهي العملية."

استيقظت في الصباح التالي فوجدت بيل يغط في نومه الى جانب سريري وهو لا يزال ممسكاً بيدي. وكنت نمت طوال الليل فتخطيت أشدّ الاوجاع التي يسببها "الشيطان الاحمر." لم أشعر بالصداع أو

(٤) Remission

بأي آلام أخرى، بل بسلام داخلي يغمر كياني.

غادرت المستشفى بعد بضعة أيام عائدة الى البيت. ورجع أبي وشقيقاي جايمس ومارك مع زوجته الى الكوخ الصيفي في كندا، وبقيت أمي معي مدة أسبوعين لتساعدني في ترتيب أموري. بعدما انصرفت أمي أقامت معي صديقة طفولتي ماري أسبوعاً، فكانت تجبرني على لزوم فراشي وتحشو الثلاجة بالاطعمة التي يسهل طهوها في الفرن وتفعل كل ما يدخل البهجة الى نفسي.

ذاع نبأ مرضي الخطير فتدفقت علي الاتصالات الهاتفية والرسائل التي تحمل وصفات من أناس أحبوا ان يساعدوني. فمنهم من نصحني بأن أصبح نباتية فلا أتناول سوى الخضر والحبوب والفاكهة، ومنهم من أشار عليّ بمزاولة التأمل والاستغراق في التفكر، وأشار آخرون بالغناء لفترات معينة في اليوم.

واشتكيت من الوضع المزعج الى أحد الاطباء، فقال لي: "كثيرون من الناس يجدون راحة وعزاء في هذا الاهتمام الذي يغدقه عليهم الآخرون، فلا تقللي من أهميته."

أما المسؤولون في مدرستي فتعاطفوا معي حين أطلعتهم على وضعي وطبيعة مرضي، وقبلوا أن أعود الى التعليم بعد أن أتعافى تماماً. في تلك الاثناء تابعت زياراتي للعيادة بانتظام. وكان الطبيب الشاب دوغلاس تايك، المكلف العناية بي، رائعاً في غاية اللطف يبعث الامل والطمأنينة في نفوس مرضاه ويبدد مخاوفهم.

كانت الحقن وفحوص النقي والسائل الشوكي تجرى لي بانتظام. كنت أشدّ شعري من حين الى آخر لكي أطمئن الى أنه لا يزال في مكانه، فقد حذرت من أنه مهدد بالسقوط. ثم أخضعت للمعالجة بالـ"ستيرويد" مما أيقظ فيّ نهماً شديداً، وسررت لمعاودتي التلذذ بالطعام. لكن الستيرويد حمل جسمي على الاحتفاظ بالسوائل فنتج من ذلك انتفاخ وجهي ومعدتي انتفاخاً كبيراً.

وبنتيجة تناولي عقار "فينكريستين" كنت أفقد الاحساس برؤوس أصابع يديّ وقدميّ. وعلى رغم الاعراض الجانبية التي ترافقه، أصر الاطباء على أن أتناوله لكونه عنصراً رئيسياً في المعالجة. واستمرت الحال على هذا المنوال وأنا أنتظر. لكن الاطباء لم يعرفوا كم سيطول الانتظار.

كان ذلك بعضاً من مشاكلي التي شاركني بيل في تحملها، الى ما هنالك من مشاكل خاصة به، ومنها النهوض باكراً للوصول الى عمله في السابعة صباحاً. وأذن له رئيسه بأن يغادر عمله حين يصطحبني الى العيادة أو يضطر الى مساعدتي في مئات الامور التي أفتقر فيها الى مساعدة. ولكي يعوّض الوقت الذي ضيعه كان يشتغل في محل النجارة الذي يملكه الى منتصف الليل أحياناً. ولم يشتكِ ولم يتذمّر. أما أنا فكنت أرى أن في وسعي تحمّل مأساتي برحابة أكبر لو أنها لا تعقد حياة كثيرين أحبهم.

وأظهرت الفحوص أني بلغت مرحلة الخمود، فاحتفلت وبيل للمناسبة بوجبة

من الاطعمة اللذيذة المجلّدة التي هيأتها صديقتي ماري قبل أن تعود الى عائلتها في مونريال.

ما أروع أن تكون لديك أخبار سارة تذيعها، وإن حدّ من بهجتها التفكير في معالجة الدماغ بالاشعة التي تستلزم خمس عشرة جلسة. حضرت والدة بيل لتساعدنا في هذه المرحلة. وذهبت الى الجلسة الاولى فأجريت لي خلالها مقابلات مع عدد من الناس وضبط وزني واستخرجت عينة من دمي.

كانت غرفة المعالجة بالاشعة باردة مظلمة. وطلبت مني الاختصاصية نزع مجوهراتي والتمدد على طاولة معدنية كبيرة. ثم أخذت تحرك فوقي جهازاً ضخماً الى أن ظهرت نقطة حمراء. وحين ركزت النقطة فوق المكان الصحيح من صدغي عمدت اختصاصية ثانية خلف نافذة زجاجية كثيفة الى ادارة مفاتيح على لوحة ضبط كأنها تسيّر عربة فضائية.

قالت لي الاختصاصية التي الى جانبي، قبل أن تخرج مسرعة: "لا تتحركي." وسمعت أزيزاً غريباً وشعرت بوخز خفيف في فمي وبنكهة معدنية تملأه. كنت غارقة في التفكير في ما حل بي، واذا بالباب يفتح على مصراعيه وتدخل الاختصاصية بلهفة تهنئني على حسن ما فعلت. فتساءلت متعجبة: وما الذي عملته؟ فان كان هذا كل ما في الامر، فعلام يستبد بي القلق؟

وتوالت الايام وفي كل منها تكرار لسابقاتها، الى أن أفقت ذات صباح لاجد حزمة من شعري سقطت على الوسادة. راعني المشهد وان كنت حذّرت منه، فسماع الكلام عن احتمال حدوث أمر ما هو غير رؤيته يتحقق فعلاً. لقد دخلت مرحلة الانهيار، وها أنا أتساقط قطعة قطعة وأرى شعري الملقى على الوسادة جزءاً من تلك القطع.

لم يزد قلقي على ما كان في الاسبوع المنصرم. ولكن مهما يكن فها هي الحقيقة المرة ماثلة أمام عيني تنبئ بالحرب الخفية الدائرة داخلي، وتلك هي الضحايا، خصل طويلة من شعري سقطت في المعركة وزالت من كياني.

قصصت شعري الى الكتفين موهمة نفسي بأن ما سيسقط منه سيكون أقل فيخف قلقي. لكنه استمر في السقوط، فحلقت رأسي وتخلصت نهائيا منه ومن قلقي عليه.

قال بيل وهو ينظر الي مندهشاً: "اني أرى رأسك بلا شعر يتلاءم ومظهرك، أنت تبدين كاحدى رائدات الفضاء في أفلام الرحلات الى النجوم. لن يطول بك الامر قبل أن تعتادي مظهرك." وهذا ما كان.

في منتصف أكتوبر (تشرين الاول) كان مضى شهران على خضوعي للمعالجة. ولحسن حظنا كنت أقبض تأميناً بموجب عقد وظيفتي المدرسية، وتعويضات مرَضية واعانات مالية، ولولا ذلك لأعلنّا افلاسنا منذ بداية المأساة. وكان برنامج معالجتي الكيميائية يقضي بزيارة العيادة أسبوعياً على مدى سنتين. ومع ذلك شعرت برغبة ملحة في معاودة عملي، فاعتمرت شعراً مستعاراً كنت أكرهه وأعجز عن تثبيته على رأسي كما يجب، وعدت الى مزاولة مهنتي في التدريس.

أقبل نوفمبر (تشرين الثاني) وزال

تأثير الصدمة الاولى فبدأنا نشعر أن أمورنا آخذة في الاستقرار وأننا نعود تدريجاً الى حياتنا العادية.

أثناء احدى زياراتي المنتظمة للعيادة طرح الدكتور تايك موضوعاً جديداً: زرع النِقي (مخ العظم). ويقضي ذلك باجراء فحوص دم لجميع أفراد عائلتي علّ نقي أحدهم يطابق نقيي أنا. وبما أن كياني نسخة مركّبة من كيان أبي وأمي فالاحتمال ضئيل أن يتطابق نقي أي منهما مع نقيي. ولكن قد يتطابق نقي أحد أشقائي: ريتشارد ومارك وجايمس.

قال الدكتور تايك: "متى حصلنا على النقي الملائم نبحث في طريقة زرعه." فقلت له اننا نعلم أن الاطباء يلجأون الى الزرع في محاولة أخيرة للشفاء، ترى هل أصبت بالانتكاس؟

فطمأنني الدكتور تايك وقال ان هناك نظريتين في ما خص الزرع، وان في وسعنا البحث مطولا اذا تحقق امكان معالجتي بهذه الطريقة.

الخيار الحاسم

أظهرت نتائج التحاليل أن نقي مارك وجايمس لا يطابق نقيي. ثم وصلت نتائج ريتشارد من اوستراليا فكانت متطابقة. فعقد الدكتور تايك اجتماعاً في أوائل ديسمبر (كانون الاول) مع الدكتور جوزف أنتين عضو فريق الزرع في مستشفى بريغام لشرح الايجابيات والسلبيات.

وتسهيلاً لفهم الطريقة شبّه الطبيبان النقي بتربة حديقة تنتج الخُضر واللوكيميا بوباً أعشاب برية تخنق الخضر. واذا قدّر للجسم أن يبقى حياً فيجب اتلاف الاعشاب البرية. لكن هذه الاعشاب قوية الجذور الى حد يفوق التصور. فقد ترشها بالمبيدات - المعالجة الكيميائية - وتزيلها، لكنها قد تعود فتنبت أقوى مما كانت. والمعالجة بالزرع هي جزء من مرحلتين لمواجهة هذه المشكلة.

في المرحلة الاولى يتم اتلاف الخضر والاعشاب البرية بالاشعة والمعالجة الكيميائية، وتصان التربة. وعلى أمل عدم بقاء بذرة واحدة من الاعشاب البرية حية، يجلب الطبيب (الحدائقي) بذوراً جديدة من حديقة خالية من الاعشاب البرية، فتضرب هذه البذور جذورها في التربة وتنبت خضراً جديدة. وهكذا يعود كل شيء الى الوضع الصحيح. لكن هذا الامر لا يبلغ درجة الكمال، لان هناك خطوات كثيرة قد تطرأ خلالها تفاعلات قاتلة.

قد يعجز المريض عن تحمل الاشعة والمعالجة الكيميائية القوية. وهناك أيضاً النقي الجديد المزروع الذي قد لا يتجذر وينمو في العظم. وحتى اذا نما فربما نبذ النقي المزروع الجسم المضيف، وهو لا يملك اي دفاعات لأن جهاز مناعته الذي يعتمد على خلايا الدم البيضاء قد أتلف، أما النقي الجديد فيحتفظ بجهاز مناعته كاملا وقد يرى في الجسم المضيف عدواً غريباً فيهاجمه في حين جيء به لينقذه.

واذا أمكن ضبط عامل النبذ هذا فتلزم المريض بضعة أشهر لكي يتمكن من انشاء شبكة دفاع تامة، وأي اصابة أو عدوى خفيفة قد تتحول خلال هذه المدة مرضاً قاتلاً.

بعد استيعاب هذا الشرح المفصل، لماذا أفكر في معالجة كهذه؟ كان الجواب عن تساؤلي واضحاً، لكن كلا الطبيبين أورداه بطرق لبقة. وأخيراً قال الدكتور أنتين: "لو كانت المصابة زوجتي أو ابنتي، أو كنت أنا المصاب، لاخترت اجراء الزرع."

عندئذ سأل بيل: "وماذا عن النفقات؟"

فكان الجواب أن التأمين الطبي يتكفل بذلك عادة.

وفي عطلة الميلاد اجتمعنا في منزل مارك ونانسي. وذات ليلة بعد انصراف والديّ كنا نتسلى بلعبة الـ"مونوبولي"، فاستدار مارك نحوي فجأة وحضني على اجراء عملية الزرع. وعضده جايمس في ذلك. الا أن بيل أبدى معارضته. فالمعالجة الكيميائية أزالت دلائل المرض، فلماذا المغامرة بعملية الزرع التي قد تقضي علي. وهو كان التقى امرأة خضعت للمعالجة الكيميائية كانت لا تزال في حال جيدة.

فنبهته نانسي، وهي طبيبة أيضاً: "لكن الذين بقوا قيد الحياة هم الذين تقدر أن تكلمهم. انني أشاهد الآخرين وكم يتحملون من عذاب شديد، وأرى بعينيّ انحلالهم البطيء. على الاقل، اذا أخفقت عملية الزرع فستكون النهاية سريعة." وخيم الصمت على الجميع وأكملنا لعبتنا.

كان الجدل يدور بينهم في شأن حياتي أنا، وكان علي أنا أن أختار. وبعد بضعة أيام من الحيرة والتردد اتخذت قراري: الزرع.

لكي أتمكن من اجراء عملية الزرع كان علي انهاء الفصل الدراسي الاول في آخر يناير (كانون الثاني) وانتظار خلو سرير في جناح الزرع. وفي هذه الفترة كان علينا أن نجد شقة سكنية جديدة أقيم فيها لدى مغادرتي المستشفى بعد عملية الزرع، لان شقتنا كانت في بناية قديمة ملأى بالغبار والشقوق. ذلك بأنه لن يكون لدي جهاز مناعة بعد العملية، فيتعين أن تكون البيئة التي أقطنها نظيفة من الجراثيم.

حفل شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ بالنشاط، وفي نهايته بتنا نقيم في شقة جديدة أكثر نظافة. وأبلغ الي أنني سأدخل المستشفى في منتصف فبراير (شباط). ووعد ريتشارد بالوصول في الطائرة التالية الآتية من أوستراليا. وغلبت المخاوف شعوري بالاثارة، وتركزت آمالنا وحياتنا على نقطة واحدة هي الزرع. وكنت تخليت عن المعالجة الكيميائية وغاب عني الدوار الذي كان يلازم تناولي الادوية. وشعرت بالقوة جسدياً وعدت سليمة عاطفياً وعادت الي قدرتي الكاملة على ضبط نفسي.

قدم ريتشارد من صيف أوستراليا الى شتاء بوسطن الجليدي. وتوجه رأساً الى العيادة لاجراء فحص كامل. ثم عاد الى منزلنا وهو مضطرب وقال: "صحيح أني لم أتوقع أن يستقبلوني بعزف الموسيقى، ولكن لدي انطباع أنهم لا يريدونني هناك."

كان هناك خطأ ما. وجاء الجواب في كتاب مرسل بالبريد من شركة التأمين الطبي جاء فيه أن التأمين لا يشمل زرع

النقي في مرحلة الخمود الاولى لمرض لوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة. اذاً، ذلك كان سبب امتناع المستشفى عن فحص ريتشارد. ووقع النبأ علينا وقوع الصاعقة وشعرنا كأن العالم حولنا يتداعى وينهار.

اعترضنا على هذا التدبير متذرعين بقول الدكتور تايك لنا في ديسمبر (كانون الاول) ان شركة التأمين ستدفع النفقات. وأوكل الامر الى الدكتور جويل رابيبورت رئيس جناح زرع النقي، فاذا سوّيت المشكلة سرنا على الخطة المرسومة، والى حينه سنعود الى المعالجة بالمواد الكيميائية.

غلب علينا اليأس والغضب والتعاسة، فكم قاسينا من شك وحيرة ومرارة الى أن توصلنا الى القرار الخطير بقبول اجراء عملية الزرع. وها قد ضاعت معاناتنا وشجاعتنا، وتوقفت عن عملي قسراً وتكبد ريتشارد مشقة السفر من أوستراليا، كل ذلك لكي نصل الى حيث يقال لنا: "قضيتكم هي الآن قيد الدرس."

[illegible]

أقام ريتشارد مع والديّ في منزل قديم استأجراه في لانكاستر بولاية بنسلفانيا. وكنا على اتصال مستمر بالدكتور رابيبورت لمعرفة ما يجري.

شرح لنا الدكتور رابيبورت أن سياسة شركة التأمين الطبي لا تسمح بدفع نفقات الجراحات الاختبارية التي يندرج فيها زرع النقي في مرحلة الخمود الاولى لمرض لوكيميا الكريات اللنفاوية الحادة، لذلك أرسل تقريراً يشرح فيه أن وضعي الخاص يجعل عملية الزرع معالجة أصولية صحيحة لا عملية اختبارية.

ولكن كم من الوقت يستغرق التوصل الى معرفة النتيجة؟

قد يستغرق ذلك شهراً وربما شهرين أو أكثر. لكننا قدّرنا مدى صعوبة اقرار سياسة جديدة خاصة تؤدي الى دفع تعويضات كبيرة. فعمليتي وحدها تكلف نحو ٢٠٠ ألف دولار.

ذاع نبأ المأزق الذي علقنا فيه فهب الانسباء والاصدقاء لمساعدتنا. وذات يوم تلقى والداي كتاباً من صديق يتضمن حوالة بقيمة ألف دولار وجاء فيه: "أنفقوا هذا المبلغ على الاتصالات الهاتفية أو بطاقات السفر بالطائرة أو الكافيار أو أي شيء آخر." وأرسل آخرون بطاقات مؤاساة وتمنيات حارة لقرب شفائي.

في هذه الاثناء لم تكن المعالجة الكيميائية كما يرام. وعلى رغم تخفيف جرعات الادوية ازداد وهن الاحساس بأصابع يديّ ورجلي، ثم فقدت صوتي. وهذه الاعراض الجانبية قد تتحول عللاً دائمة، لذلك يجب وقفي عن تناول الفينكريستين.

وفي وقت لاحق بدأت أعاني مشاكل من جراء تخثر الدم في القسطر (أو الميل) (٥) المولج في العرق. ويستعمل القسطر للمرضى الذين يغرز فيهم عدد كبير من الإبر (في حالات أخذ عينات الدم بانتظام والحقن في العروق ونقل الدم). وبما أن العثور على العروق الصالحة يصبح

(٥) القسطر (catheter) أنبوب معدني أو مطاطي يدخل في العرق أو مجرى البول.

صعباً مما يزيد في مشاكل المعالجة، يصار الى استخدام القسطر النقال وقسطر "هيكمان"(٦) المصممين لتلافي هذه الصعوبات. ففي كل منهما أنبوب يولج جراحياً في أحد الاوردة الكبيرة ويترك أحد طرفيه مفتوحاً لكي يسهل ادخال السوائل وعقاقير المعالجة الكيميائية وسحب الدم. وكان هناك قسطر نقال مغروزاً في جهة صدري اليمنى تحت عظم الترقوة. والفكرة في غاية البساطة، فهي تتيح اختراقاً واحداً وصحيحاً بدل الغرز في كل مكان للتفتيش عن عروق صالحة طال عذابها.

لكن هذه الطريقة لا تعمل في أحيان كثيرة. فقد كانت خثرات الدم تسد القسطر النقال فتحول دون سحب عينات من دمي ومعالجتي بالمواد الكيميائية. واستغرق اصلاح هذا الخلل بقائي بضعة أيام في المستشفى.

من ثم أبدل القسطر النقال بقسطر "هيكمان" مجهز بثلاث قنوات لاستيعاب المواد الكيميائية والحقن الوريدية ونقل الدم. ورجعت الامور الى طبيعتها. وكان أبي على اتصال دائم بالاطباء، وعيّن محامياً لحض شركة التأمين على معالجة قضيتي.

في بداية أبريل (نيسان) بعد ستة أسابيع من الموعد الذي كان حدد لعملية الزرع، طرأت مضاعفات جديدة بسبب خثرات الدم، فكان لا بد لي من دخول المستشفى. وعلمنا في تلك الاثناء أن التأمين وافق أخيراً على دفع نفقات الزرع.

تعيّن اجراء فحص لصدري بالأشعة السينية (إكس) لكي يتأكد الاطباء من عدم وجود أي عدوى قبل الاستعداد للعملية. كانت العملية ستودي بجهاز مناعتي مما يعرضني للاصابة بأي مرض. وأظهر فحص الاشعة عُجرة على رئتي اليسرى. في الاحوال الطبيعية تغرز ابرة ويستخرج بواسطتها جزء صغير من العجرة لفحصه، انما للتأكد من عدم وجود أي عدوى لدي كان على الاطباء أن يشقّوا صدري ويستخرجوا جزءاً كبيراً لدراسته.

وصلت والدتي بالطائرة الى بوسطن في اليوم الذي سبق الجراحة. وقد أظهر فحص العجرة أنها خالية من العدوى.

وكان بيل قبل محنتنا يعزف على الغيتار مع بعض الاصدقاء في بروفيدانس بولاية رود أيلاند. ولما علموا بمصابنا نظموا حفلة موسيقية لمساعدتنا. وأعلن عن الحفلة بدعاية واسعة فحضرها أناس كثيرون وكان ريعها مساعدة كبيرة لنا بمقدار ما كان العطف الذي أثارته مواساة وعزاء في محنتنا.

في منتصف ابريل (نيسان) أعلن الاطباء أنني أصبحت مؤهلة للعملية التي تهدف الى اتلاف نقي عظامي. تبدأ العملية بمعالجة كيميائية قوية على مدى سبعة أيام، تتبعها ثلاثة أيام من المعالجة بالاشعة صباحاً ومساء للجسم كله. وسأعطى مرة كل يوم جرعات كيميائية قوية. وفي ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ باشر الاطباء العملية.

(٦) Port-A-Cath and Hickman catheter

وضعت في غرفة معقمة لها ثلاثة جدران عادية وستارة بلاستيكية ثقيلة مكان الجدار الرابع. وفي وسط الستارة ثقبان يمتد منهما قفازان بلاستيكيان طويلان يستطيع الطبيب عبرهما أن يقوم بأعمال كثيرة من دون أن يدخل الغرفة. وفي الجدار فوق رأسي مراوح تغذي الغرفة بالهواء النقي.

يجب أن يكون كل ما في الغرفة معقماً. وتمسح الغرفة بمواد مطهرة قوية، وتؤدي هذا العمل ممرّضة ترتدي برنساً وقفازاً وخفاً وكمامة جميعها معقمة. حتى الطعام يجب أن يكون معقماً.

كان علي أيضاً أن أعقم جسمي أربع مرات يومياً، مما يستدعي تنظيف كل فتحة بمطهّر قوي، وتنظيف داخلي بتجرع شراب كريه يطهر القناة الهضمية. وتستغرق العملية كلها خمساً وأربعين دقيقة.

كانت المعالجة الكيميائية قاسية جداً، لكنني كنت مسرورة لبدء العملية التي ستقرر مصيري. يوم الثلثاء في الثاني والعشرين من شهر ابريل (نيسان) لفّتني الممرضات بملاءة وقدنني في عربة للفحص بالاشعة. وطلبت أمي أن تبقى الى جانبي وأبدت استعدادها لارتداء أي شيء يطلب منها.

في غرفة الاشعة مُددت على طاولة معدنية باردة وعمدت اختصاصية الى تقويم وضع جسمي، ثم خرجت عبر باب معدني ثقيل أقفل وراءها بصوت مدوٍ. ثم سمع أزيز عندما أديرت المفاتيح وأخذ الهدم الصامت يعمل في عمق كياني.

قلت لاحقاً لأمي: "ان هذا يجعل من أحلامي بالانجاب هباء منثوراً."

فردت أمي: "لكنه يؤكد لنا بقاءك معنا يا حبيبتي."

قلت: "انني أخشى هذه الرحلة كثيراً، فكأنني أنحدر الى سجن مسحور تحت الارض."

فردت: "سأكون دائماً الى جانبك، وسنخرج معاً من السجن."

"شكراً يا ريتشارد"

نهار الاربعاء في ٢٣ أبريل (نيسان) أدخل رينتشارد المستشفى على أن يخضع الخميس لاستئصال عينات من نقي الحوض فيما تجرى لي جلسة خامسة من المعالجة بالاشعة. والخطة هي كما يأتي: يخدَّر رينشارد، ويأمل الاطباء سحب ألف سنتيمتر مكعب من النقي من خلال ثلاثمئة ثقب في عظمه مما يستغرق بين ساعتين وأربع ساعات. وفي لغة الاطباء تدعى هذه العملية "حصاد" النقي. لكن "ثقب الآبار" قد يكون أكثر تعبيراً.

ويقلَّص النقي المستأصل من ألف سنتيمتر مكعب الى خمسين، ويعالَج لتخفيف حدة نبذه للجسم المضيف. ويزرع النقي في الثامنة مساء الخميس بعد أن يستعيد رينشارد وعيه وتنتهي الجلسة الاخيرة من معالجتي بالاشعة.

كان والداي وبيل بجانبي قبل الموعد المقرر. وفي الثامنة الا ربعاً سمعت رينشارد قادماً يجر قدميه ببطء وألم كي ينضم الينا.

هتفت أمي: "آه، يجب أن تلزم سريرك يا بني. هل سمحوا لك بالمجيء الى هنا؟"

قال ريتشارد: "قدمت من اوستراليا قاطعاً مسافة ١٦ ألف كيلومتر، ولن أحجم عن قطع ٤٥ متراً الى هنا."

ضحكنا بعصبية وفي خاطر كل منا سؤال واحد: "هل ستثمر تضحية ريتشارد فينقذني؟ لقد راهنت بحياتي على هذا الامل: لحم من لحمي وعظم من عظمي."

ثم جاء الدكتور رابيبورت الذي سلمته حياتي. فأدخل يديه في القفازين الطويلين في الستارة، ووضعت ممرضة محقنة كبيرة بين يديه.

فسألته غير مصدقة: "أهذا كل شيء؟ كل شيء داخل هذه المحقنة؟"

"نعم، انه كل شيء،" أجابني الطبيب وقد بدأ حقني عبر قسطر "هيكمان." وأضاف: "انه لامر مدهش حقاً. نضع خلايا النقي في مجرى دمك فتهتدي وتجد سبيلها الى عظمك فتستقر في داخله وتبدأ توليد دم طبيعي جديد من دون أن يرشدها أحد الى أين تذهب وماذا تعمل."

فما أشبه هذا بالعجيبة اذا تم فعلاً! ولكن اذا لم يتمّ... وخيّم علينا الصمت فيما نقي الحياة يدخل جسدي. ثم سمعتني أقول بصوت واهن: "شكراً لك يا ريتشارد."

فهمهم أخي. وبعد ثوان قلت: "انني أسحب كل كلمة سيئة قلتها في حقك."

فانفجر ريتشارد والآخرون ضاحكين. كنت بلغت في معاناتي نهاية المطاف، وبدا لي في تلك اللحظة أنني أنهض من عمق الهاوية لأعود فأتبوأ مكاني وأشارك في الفرح والخيبة والبهجة والحب التي يقوم عليها كيان العائلة.

لدى انتهاء العملية تنفسنا الصعداء. طلب أبي من الطبيب أن يريه المحقنة، فناوله اياها وانصرف. وبقيت المحقنة في يد أبي وهو يتحسسها ويتفحصها فيما الجميع منهمكون بالحديث. ثم مرّرها الى بيل وقال: "هذه هي التحفة التي ستتصدر رف الموقد في بيت بيل وميرندا، عسى أن تنظرا اليها لسنين كثيرة آتية بملء الشكر والعرفان."

لم يبق سوى الانتظار. ولكن كم سيطول الانتظار ومن أجل ماذا؟ من أجل تولّد خلايا دم حمراء جديدة هي الدليل على أن "المصنع" باشر الانتاج. ثم تؤخذ عينة من الدم بعد النهوض صباحاً وقبل النوم مساء لتبيّن الارتفاع الثابت في عدد الخلايا البيضاء ولاحقاً في الكروموزومات الذكرية(٧).

وهتفت: "كروموزومات ذكرية! ماذا تعني بذلك؟"

فشرح لي الطبيب: "لن يسرنا كثيراً ان نجد كروموزومات أنثوية في خلايا دمك، لان ذلك يدل على أن هناك بعضاً من نِقْيك القديم لا يزال ينتج. وهدفنا استئصال النقي القديم بكامله وابداله بنقي شقيقك. ولكونه ذكراً، فان النقي المستخرج منه سينتج خلايا دم تحوي كروموزومات ذكرية."

سألت: "وهل يعني هذا أنه سينبت لي شاربان؟"

فأجاب ضاحكاً: "لا، لن يحدث ذلك. لو لم أخبرك بالامر لما عرفت شيئاً عنه."

فقلت وأنا ما زلت غير مقتنعة: "حسناً، ولكن إياك أن تطلع زوجي على ذلك."

---

(٧) Male chromosomes

مكث أبي وأمي الى يوم الاحد ثم غادرا عائدين الى عملهما في التدريس. وتقدم من ريتشارد طبيب يبدو أنه لم يتبرع بنقي عظمه إذ قال له: "انك قد تشعر ببعض الانزعاج لفترة لن تتجاوز الاسبوع، وتعود بعدها الى عملك." ولكن مرت ستة أسابيع قبل أن يستعيد ريتشارد نشاطه ويعود الى أوستراليا.

كنت آنذاك في ذروة الخطر من العدوى اذ لم يكن لدي جهاز دفاع. ولئن يكن النقي الجديد المزروع وجد مقصده وبات في طور النمو فانه لم يكن قادراً بعد على صيانة دمي، وعلي الاعتماد على نقل الدم بمعدل مرة في اليوم للخلايا الحمراء وأخرى للويحات أي الخلايا التي تمكن الدم من التخثر. ويوماً بعد يوم كانت تطل أزمة تختلف عما سبقها، لكن عدد خلايا الدم بدأ الارتفاع.

كانت في جناح الزرع في المستشفى خمس غرف معقمة أخرى، وكانت غرفتي الاقرب الى مركز الممرضات. ولم أرغب في معرفة ما يجري في عمق الجناح أو سماع التشاور الخافت بين الاطباء والممرضات وصرير عجلات أجهزة الاشعة وخزانات الاوكسيجين والاعلان في مكبر الصوت عن حالة طارئة يتبعها وقع أقدام في الرواق.

كانت في غرفتي أصوات ناعمة وهمس الهواء المنقى وهو ينفخ فوق رأسي ثم يخرج من الباب عند قدمي. وبين وقت وآخر يعلو صوت جهاز الهواء وينخفض فكأنه يطلق تنهّدة ارتياح تنفيساً.

في الاسبوعين الاولين لوجودي في المستشفى كان السعال والتقيؤ لنزيل الغرفة المجاورة يخيفني. وأخبرتني احدى الممرضات: "اسمه خوان، وهو في حال سيئة."

بدا كل من تشنجاته كأنه الاخير. ووجدتني أشاركه في نوباته القوية وكأن جسمي أنا يتمزق. فأتنفس بارتياح وترتخي قبضتاي عندما تنتهي نوبته، ثم يعاودني التوتر تحسباً للنوبة التالية. وعجبت حين استيقظت ذات صباح فوجدت أنني نمت الليل بطوله. فأصغيت، لكني لم أسمع سعال خوان وتشنجاته.

وأخبرتني الممرضة التي جاءت لاخذ عينة من دمي: "خوان مات ليلة أمس."

سألتها: "متى أجريت له عملية الزرع؟"

أجابت من دون مبالاة وهي تتفحص المحقنة في يدها: "أوه، قبل مدة، قبل ثلاثة أسابيع تقريباً." ثم خرجت وتركتني لوحدي تتقاذفني الافكار والهواجس.

كانت حاجتي شديدة الى العزلة والانفراد بنفسي، وأحسست في الوقت ذاته بحاجة الى الاتصال بالعالم. وجاءني أصدقاء كثيرون، فصُدموا وعز عليهم أن يشاهدوا صديقة تشوَّه وجهها وانتفخ بفعل الادوية وتعرى رأسها من الشعر وبرزت أنابيب من صدرها، وكل ذلك من خلف ستارة ومن دون أن يسمح لهم بالاقتراب منها لمواساتها بكلمة عطف أو لمسة حنان.

طلب جايمس اذناً بالتغيب عن عمله في واشنطن ليبقى بقربي. وكان يأتي كل يوم فيَلبس بذلة معقمة لكي يتمكن من

دخول غرفتي. فأقمنا طاولة بيننا وكنا نلعب بالنرد (الطاولة) ونشاهد مباريات البايسبول وكرة السلة على التلفزيون ونستمع الى اشرطة مسجلة.

لم أعد أتقيأ كثيراً، انما كان الاكل لدي واجباً رتيباً بغيضاً، وكان مناسبة يظهر لي فيها جايمس مبلغ اهتمامه من خلال حضه اياي على الاكل، تارة باضحاكي وطوراً بالخداع والمراوغة، كي لا أقف عند تناول ثلاث لقمات أو أربع بل أزدرد العشر اللقمات المقررة لي أو أتجاوزها. وكنت أشعر بالامتنان العميق لما يبديه من اهتمام بغذائي وبادخال البهجة الى نفسي، وأرى في عمله تكريماً لي وتكريساً للمحبة التي طبعت علاقة افراد عائلتنا بعضهم ببعض.

كانت مأساتي مستمرة لم تكتمل فصولها. ففي نهاية الاسبوع بدأ أنفي ينزف بغزارة وشعرت بالانحلال وكأن داخلي يتقوّض. وتراءى لي أن ما هي الا دقائق وأصبح مجرد بركة من الدم على الارض والى جانبها جلدي كأنه بالون فرغ منه الهواء. ضغطت ضمادة من الشاش المعقم على أنفي لكن الدم استمر في التدفق.

ثم أقبل الطبيب وقال لي: "استمري في ضغط الضمادة يا ميرندا." ونادى ممرضة: "أسرعي اجلبي محلول الكوكايين."

شعرت بالدوار في رأسي يزداد باطراد وكأني أسبح وقد غلب علي التعب وأخذت أغرق على مهل. لكنني لم أكن لأبالي. كنت أسمع كلمات غامضة تتردد: "نقل الدم... اللويحات..." ثم شعرت بيدين مقفزتين تدفعان برأسي الى الوراء وتحشوان أنفي بضمادة مشبعة بمحلول الكوكايين دخلت اثرها غيبوبة فارقني فيها الخوف وحملتني الى عالم الاحلام.

كان لدي في غرفتي جهاز فيديو، وفي كل ليلة كان بيل يأتي ومعه فيلم جديد. وسمح لي أيضاً بقراءة كتب معقمة. لكنني كنت أفضل زيارات الاصدقاء على كل الكتب والافلام. ولدى انتهاء موعد الزيارات كان أقرباء المرضى الآخرين وأصدقاؤهم يتوقفون للتحدث الي قليلا.

تلك كانت لحظات سعيدة حقاً أحرص عليها ما حييت. ولكن مهما بلغ بهاء تلك اللحظات فهي لم تبدد الظلام الذي حاقني اذ كنت لا أزال معزولة عن العالم وعن الحياة العادية الهانئة وراء ستارة بلاستيكية. وكم تساءلت: هل سيسعدني الحظ فأخرج من وراء تلك الستارة؟ واذا خرجت فكيف سيكون شعوري وقد أصبحت حرة طليقة معافاة في هذا العالم الواسع بعدما كنت سجينة المرض والقلق والخوف؟

وتساءلت أيضاً: اذا كانت هذه حالي فكيف عساها أن تكون حال ماريا جارتي في المستشفى.

جاءت ماريا من احدى جزر البحر الكاريبي وهي لا تتكلم الا الاسبانية. وكان الاطباء والممرضات يستعينون بمترجم كلما أرادوا ابلاغها - أو ابلاغ عائلتها - أمراً ما.

لم تكتب لماريا الحياة فماتت. وفي ليلة وفاتها، وللمرة الاولى منذ دخولي

المستشفى، هطل المطر بغزارة. كان ذلك في العيد الثلاثين لمولد بيل، فجلسنا معاً في ظلام الغرفة نبكي، وقد أثار فينا موت ماريا المخاوف الدفينة وأدركنا كيف ينتهي كل شيء الى الزوال. انه لامر مخيف جائر، فالموت حقيقة ثابتة قد تدركك في أي لحظة ولا يد لك فيها.

اليوم الكبير

في أواخر يونيو (حزيران) أبلغ الي الاطباء النبأ السار، انهم "سيعيدون تلويثي." فعدد خلايا دمي آخذ في الارتفاع ببطء وشهيتي تعود اليّ.

لو كنت شاعرة لنظمت قصيدة عصماء ولو كنت موسيقية لوضعت لحناً جميلا يشيد بالتلوّث. لقد سئمت الطهارة اذ كان لدي منها ما يكفيني مدى الحياة. تلك الطهارة حتمت عزلي كلياً عن الناس. وقد مضت ثلاثة أشهر لم يلمسني فيها أحد، حتى بيل. ولن أنسى ما حييت مبلغ السعادة والبركة الكامنتين في لمسة انسان آخر.

لكن اللمس كان لا يزال محرماً علي. فسيُعمد أولا الى اعادة تلويث معدتي بتغذيتي باللبن الرائب الذي يحتوي على جراثيم من النوع المفيد الذي لا ضرر منه. واذا كانت النتيجة حسنة فسأرقى الى تناول "الطعام الملوث" غير المعقم. وقد تمر سنة قبل أن يرفع الحظر عن تناولي جميع الاطعمة. لكن اللبن كان الخطوة الاولى الواضحة والثابتة في طريقي الى استعادة الحياة العادية التي تركتها منذ أمد بعيد.

أعطى اللبن نتيجة باهرة، ومن ثم أجيز لبيل أن يدخل غرفتي من دون قفازين وأن يلمسني ويعانقني. كانت تلك أمنية عذبة اختلجت في صدري وراودت أحلامي طويلا. وكان عناقنا الاول قوة سحرية أعتقتني من ليل الموت وشدتني الى حضن الحياة. فبوركت أيها التلوّث وبوركت النعمة التي حملتها الي!

أذن لي بعد ذلك بالنهوض والخروج من غرفتي على أن أضع كمامة وقفازين. وقفت بباب الغرفة فتملكتني قشعريرة من الخوف وترددت في الخروج ووددت أن أرجع الى خلف الستارة. لكن النزعة الى الحرية غلبت علي فخرجت وطفقت وبيل نروح ونجيء في الجناح ونصعد السلم ونهبطها لكي تستعيد رجلاي نشاطهما.

وبعد انتهاء موعد الزيارات كنت أطوف على غرف النزلاء الذين كنت أتصل بهم عبر الهاتف ولا أعرفهم شخصياً، فاعرّفهم بنفسي ونتحادث. وكنت أشعر بغصة لقرب مفارقتهم اذ صهرتنا المصيبة ووحدت آلامنا وآمالنا وأصبحنا كأننا عائلة واحدة.

كان ٧ يوليو (تموز) يومي الاكبر. فارتديت ملابسي وحذاء رياضياً. وكان هذا حدثاً رائعاً بالنسبة الي، وطفت مترنحة على النزلاء أودعهم والأسى يعصر قلبي للمحنة التي ما زالوا يعانونها.

ثم جاء بيل وخرجنا في السيارة الى العالم الرحب، عالم الحرية والامل والكفاح. كنت كمن يخرج من الظلمة الدامسة الى النور الساطع، فبهرتني مشاهد جموع البشر المتدافعة والملابس الزاهية والسيارات والشوارع والارصفة والاشجار والطيور. دُهشت واصبت بالدوار



ميرندا رصل في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨.

لروعة هذا العالم الواسع وتعدد صوره المتلاحقة التي بدت كأنه لم يسبق لي أن رأيتها.

توجهنا الى الشاطىء حيث كان ملتقانا الاول، وتمشينا هناك وتمددنا على الرمل وتنشقت الهواء الطبيعي النقي الذي لم يمر عبر مصفاة. وكانت الشمس ترسل أشعتها الدافئة والريح تحمل رائحة البحر القوية. كان كل شيء حولي حقيقياً، وكنت أنا هناك في قلب الحقيقة.

وعندما عدنا الى البيت مساء دخلت الحمام وصرفت وقتاً طويلا أتلهى بفتح الصنابير واقفالها وتعويم المرحاض بالماء. وكان مضى علي وقت حسبته دهراً لم أغتسل.

كنت لا أزال معرضة للعدوى وكانت لا تزال هناك قيود كثيرة مفروضة علي: فلا أكل فاكهة أو خضر طازجة، بل يجب أن تطهى لمدة طويلة قبل تناولها. ولا أكل محار ولا مصنوعات المخابز التي ربما سعل عليها أحد أو لمسها، ولا أطعمة معلّبة أو جاهزة. وسمح لي بالسير في الشوارع وانا مرتدية كمامة وقفازين، كما سمح لافراد عائلتي بأن يزوروني اذا لم يكونوا مصابين بالزكام أو بألم في الحنجرة. وأذن لبيل بامساك يدي، لكن القبل بقيت ممنوعة.

ومع ذلك لم تكن مشاكلي انتهت، اذ كنت أتعذب من داء العقبولة المنطقية (٨). ولكن طرأ علي تحسن عام، فأزيلت قيود الاطعمة الواحد بعد الآخر. وفي عيد الشكر في الخميس الاخير من نوفمبر (تشرين الثاني) ذهبنا في السيارة الى واشنطن لزيارة والدي بيل، ثم توقفنا في لانكاستر لزيارة والديّ. وأخذ شعري ينمو وازدادت قوتي. وأقام لي بيل محترفاً في المستودع حيث كان مشغله للنجارة. أعددت معظم هدايا الميلاد في المحترف وعدت الى مزاولة الرسم.

في ربيع ١٩٨٧ توجهنا شمالا الى كوخنا الصيفي في الجزيرة بكندا، وانضم الينا أبي وأمي واحتفلنا بانقضاء السنة الاولى على اجراء عملية الزرع. كانت أزهار الربيع في كل مكان تملأ الارض بهجة، فجمعت منها باقات كبيرة. وكنا نجلس في المساء أمام الموقد نصطلي

(٨) herpes zoster وهو ما يعرف بالـ"زونا".

ونصغي الى أصوات الاوزّ المهاجر ونسمع حفيف أجنحته وهو يحط على سطح الماء.

وعندما رجعنا الى بيتنا بعد أسبوع عدنا الى الاعتناء بالحديقة وزرعها، وكنا نجلس في الغسق وسط جمال الازهار والشتول النامية الزاخرة بالحياة. وكان الهواء الدافىء يحمل الينا شذا الربيع العاطر، والسكون شاملا لا يقطعه سوى مواء هرة أو صراخ طفل في المنزل المجاور. وكم نعمنا بتلك الامسيات الهادئة التي عشنا فيها لحظات من عمرنا كما يحلو لكل انسان أن يعيش حياته: عذوبة وسكينة وطمأنينة.

وبعودة الربيع بعد هجوع الشتاء دبت الحياة في كل الكائنات وارتدت الطبيعة أبهى حللها. كذلك عاد الي ربيع الحياة بعد شتاء مأساتي الطويل. وقد اكتشفت من خلال محنتي أمرين: أولهما مبلغ محبتي للناس ومحبتهم لي، وهي محبة ما زالت تبعث الدفء في قلبي. فليس هناك من يعول عليه في الشدة والأسى سوى الناس بعطفهم وغيرتهم. وثانيهما أن الحياة هي الحاضر. فالذي فات فات والغيب في يد الله وللانسان الساعة التي هو فيها. وخيل الي أن معاناتي لم تكن سوى فترة تثقيفية جعلتني أعي أهمية اللحظة الحاضرة وما تأتي به. لم يكن لدي متسع من الوقت للتفكير في ما يحمله الي الغد، لانني كنت منهمكة أتعلم كيف أعيش في الحاضر.

ربما كان أهم ما تعلمته في محنتي أن العالم جميل جداً لكنه حافل بالاخطار. وانني سعيدة لكوني أتيت اليه، وأنوي أن أستمتع ما أمكنني بفترة اقامتي على هذه الارض.

ميرندا وروبرت رصل

ترجمة الياس عقل

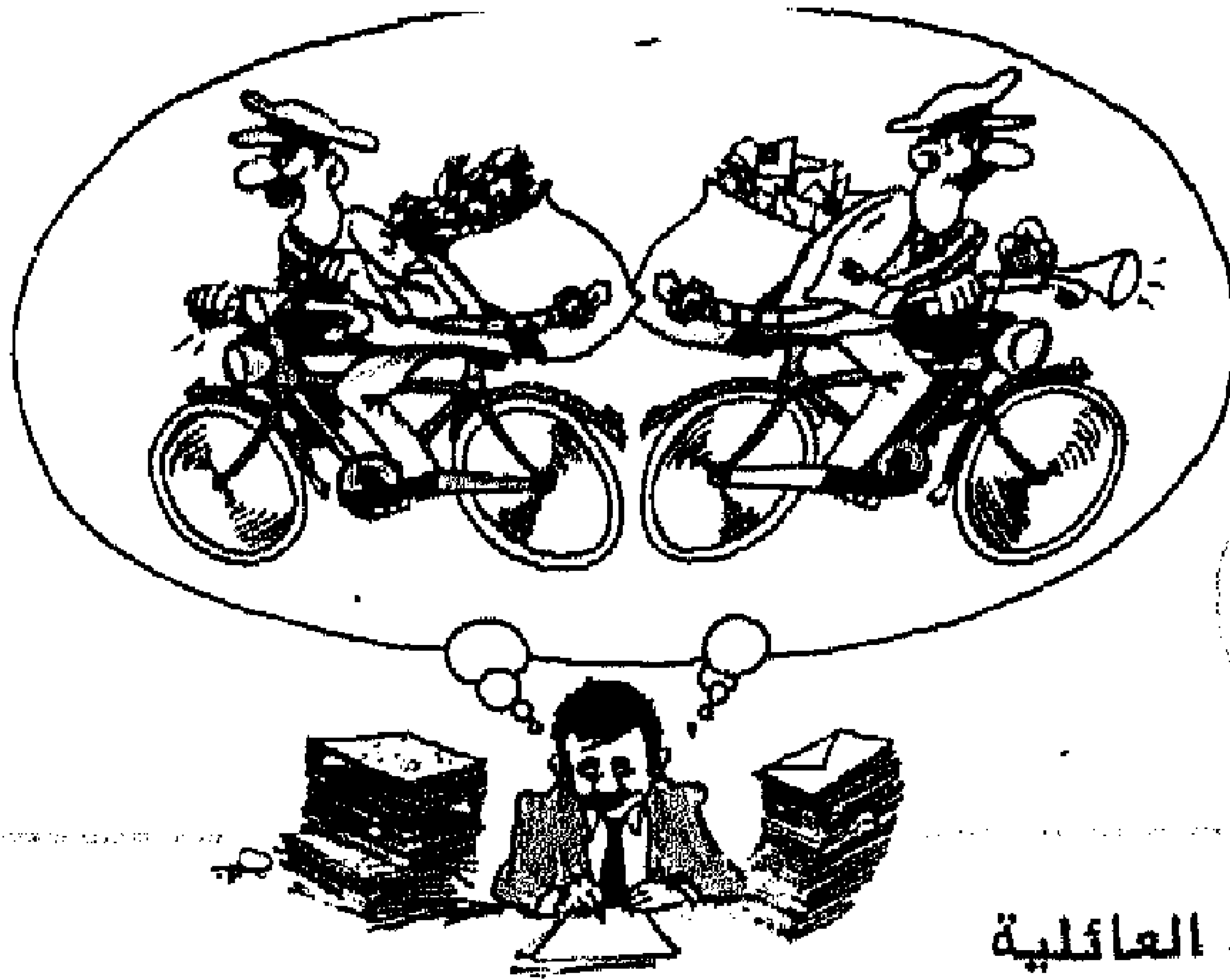
ميرندا رصل هي اليوم رسامة وشريكة زوجها بيل كروزبيه في مؤسسة للتجارة في بوسطن. أبوها روبرت رصل، الذي عاونها في كتابة هذه القصة، هو أستاذ اللغة الانكليزية في كلية فرنكلين ومارشال في بنسلفانيا. وفي سيرته الذاتية التي نشرتها الـ"ريدرز دايجست" عام ١٩٦٣ يروي كيف يكون شعور من ينشأ أعمى.

أمّ في الحافلة

كانت الحافلة العائدة بي من بيت أمي مزدحمة بالركاب. ولكي أهدّىء الاولاد كنت دائماً أشير الى أشياء مهمة ينظرون اليها في الخارج. وهكذا، فما ان شاهدت محلا لبيع الحيوانات الاليفة حتى صرخت: "أنظروا، أرانب!"

كل الرؤوس في الحافلة استدارت مطيعة لتشاهد تلك الحيوانات الجميلة ذات الفراء الابيض في قفصها خارج المحل. بعد ذلك راح الجميع ينظرون الي كما لو كانوا ينتظرون تعليمات إضافية. ولكن لم يعد هناك ما يقال، إذ تذكرت فجأة أني تركت أطفالي عند أمي!

ك.غ.



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

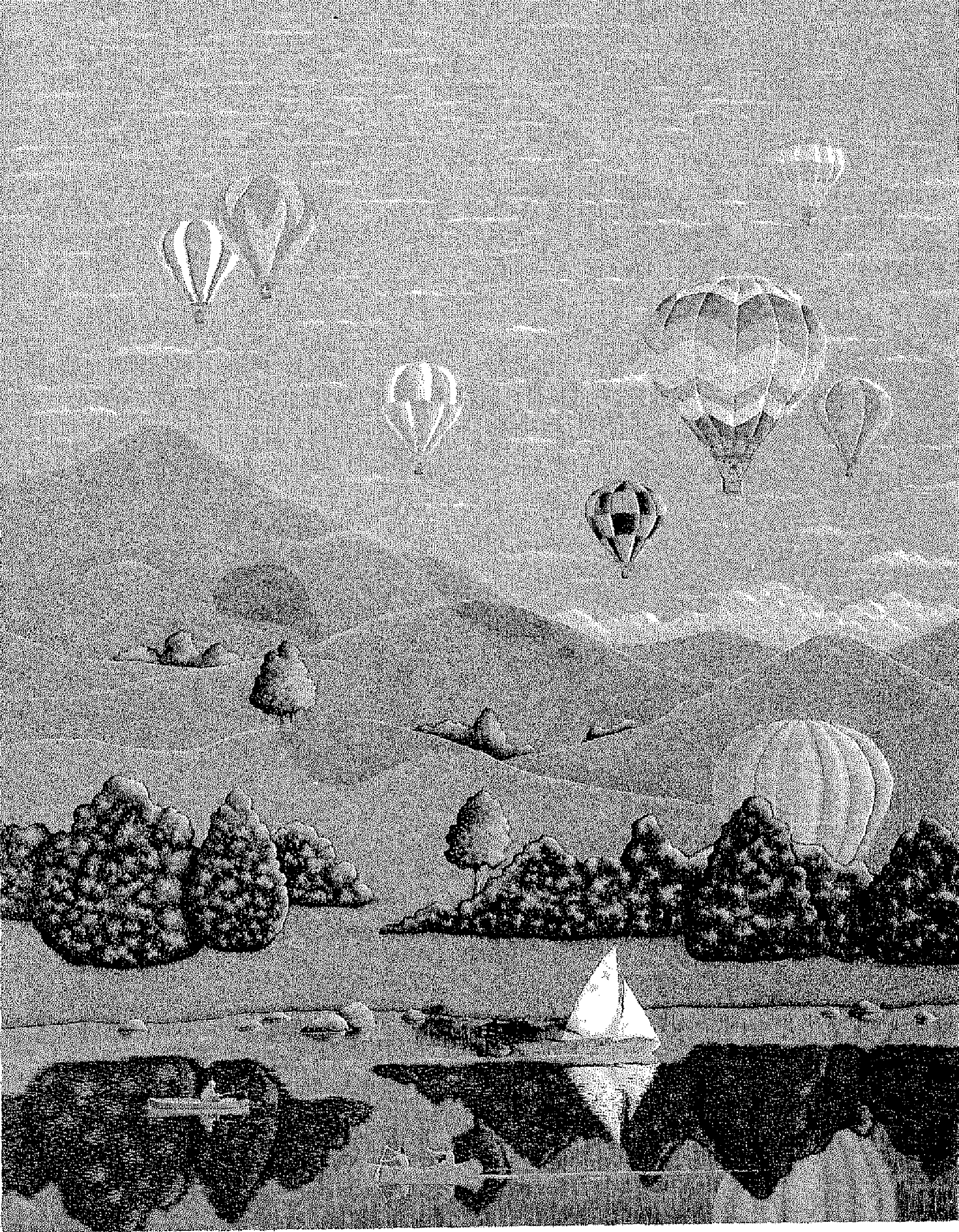
السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٣٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"متعة الصيف" للفنان ايفان ترمبلاى

أغسطس (آب) ١٩٨٨، ذو الحجة ١٤٠٨

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest August '88 N° 117

كيف نواجه اولادنا المراهقين؟

(ص ٤٦)

سيارة الغد

(ص ٩٦)



مهمة سرية لغواصة المانية

(ص ١٠٩)

ضحايا الكوكايين

(ص ١٢)

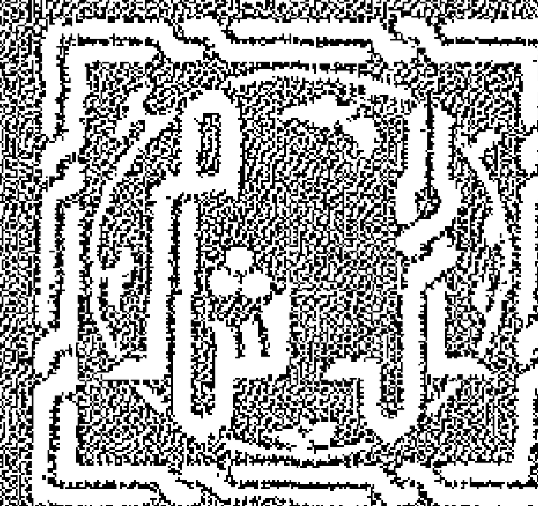
اوسع المجلات انتشاراً في العالم

٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بكاملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام ـ ص. ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٣٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,

El-Metn, Lebanon.

Tel.: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August '88 N° 117 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

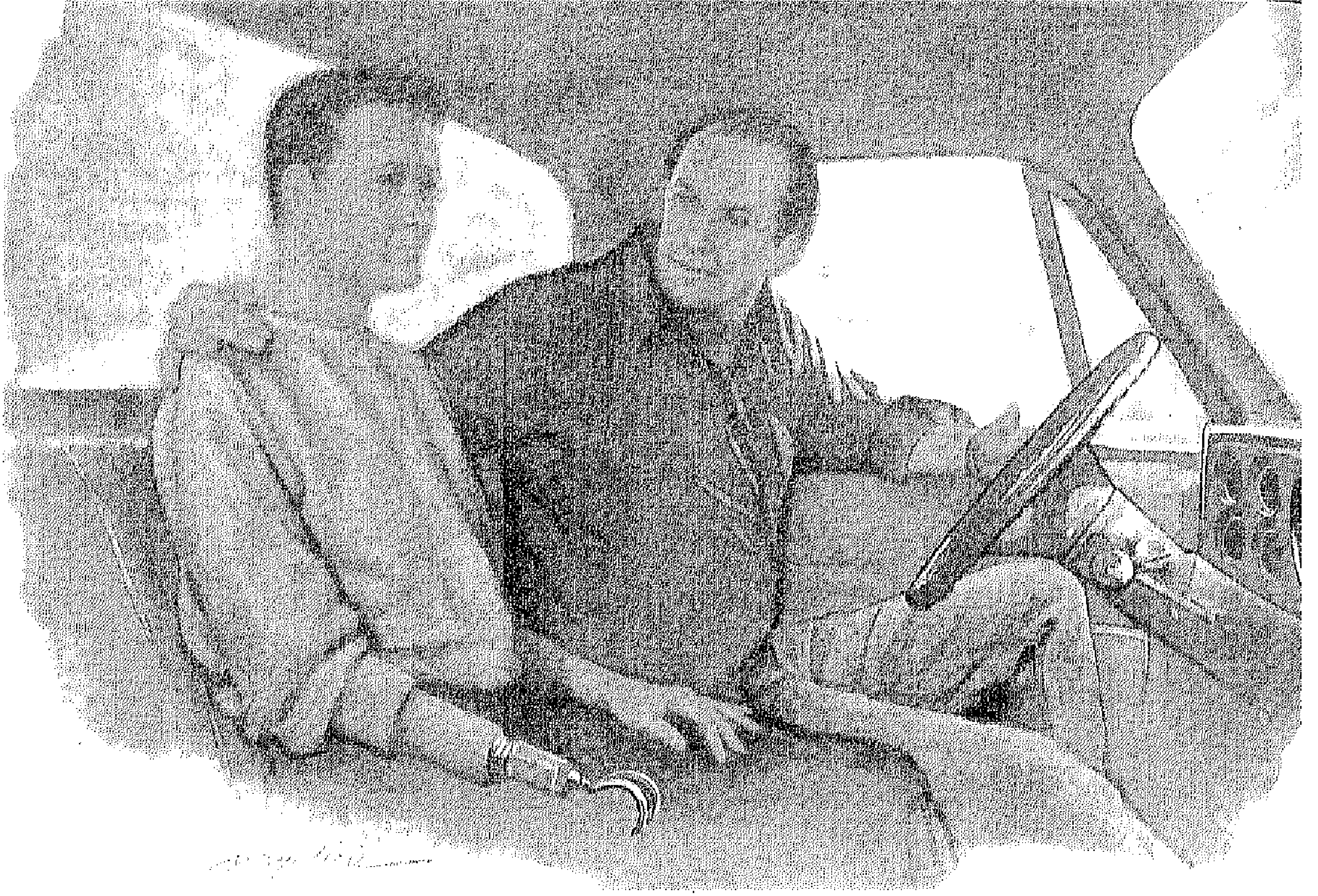
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

ثمن العدد

لبنان ٠٠١ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١٫٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٦ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د



كُتب للجندي المغوار أن يجتاز تجربة أليمة ولم يكن قادراً على ذلك لوحده

صائد الأيائل

كانت رحلة طائرة الاسعاف من الفيلبين مضنية، اذ توقفنا في قواعد جوية في اليابان وألاسكا وايلينوي وأخيراً في واشنطن العاصمة.

من هناك اتصلت بأهلي في ولاية نيويورك. أخبرتهم أني سأُرسَل في اليوم التالي الى فورت ديكس بولاية نيوجرزي، وبعد ذلك الى مستشفى "فالي فورج" العمومي قرب فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. كان ذلك في يوليو (تموز) ١٩٦٧.

قلت قبل أن أنهي المكالمة: "يا أمي، من الافضل أن تتصلي بديكي." هو الذي سيخبر أصدقائي بأني عدت من فيتنام فاقداً ذراعاً وساقاً. هو سيمسك زمام الامور.

التقينا في فرقة كشفية في السنة الرابعة الابتدائية. ولم نتفق على أي شيء منذ ذلك الحين، وهو لا يزال مصراً على أننا التقينا في السنة السادسة.

في اليوم التالي في المستشفى

بفورت ديكس رأتني أمي وأختاي للمرة الاولى بعد ستة أشهر. لم أكن في حالة جيدة اذ بلغ وزني ٤٦ كيلوغراماً وشوهت ثقوب كبيرة ساقي الباقية وغارت عيناي في محجريهما. وكانت الانابيب منتشرة في كل مكان. وباختصار، لم أعد ذلك الجندي المغوار البالغ طوله ١٨٨ سنتيمتراً ووزنه ٨٣ كيلوغراماً الذي رأينه يغادر الى فيتنام في رحلته الثانية.

بعد انصراف عائلتي دخل ديك إرليك وعدة أصدقاء فملأوا الغرفة. وإن صدمه مظهري الخارجي فهو لم يظهر ذلك. وأخبرني بعد سنة: "كنت تبدو مثل موجة صغيرة تحت الملاءة. كنت صغيراً جداً."

كل ما أتذكره أني ذرفت دموعاً عندما عَبَر الباب وتحت ذراعه رزمة من علب الشراب.

وإذ همّوا بمغادرة الغرفة قالت لي جودي، احدى الصديقات: "كن جاهزاً في عطلة عيد العمال سنأخذك الى لونغ آيلند."

كان الامر بعيد المنال بالنسبة الي، وكل ما طلبته هو أن يتوقف الالم.

العطلة الرائعة – رحلة الاصدقاء الى المستشفى كانت تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة، وقد كررها ديك مراراً على مدى الشهرين التاليين كلما تسنى له ذلك. كذلك فعل الآخرون. ولم يمضِ أسبوع من غير أن يتصل بي هاتفياً. لم يكن يدرك عظمة فرحتي عندما أفصح له عن مشاعري، بعدما وجدت فيه عوناً لمواجهة عائلتي ومعارفي. كان هناك معي، ووجوده عنى لي كثيراً.

وإذ اقتربت عطلة عيد العمال لم يتهاون أصدقائي في خططهم وأصروا على أن أقضي معهم نهاية الاسبوع. كنت خائفاً أن أترك المستشفى وأمانه، فبدأت أختلق الاعذار، لكنهم جاؤوا وأخذوني.

انقضت نهاية الاسبوع على نحو رائع، وبدت الحياة حلوة بعد كل الذي حصل. حتى اني ملكت الشجاعة لأسأل ديك أن يغير ضمادة ساقي، فلم يجفل أو يرف له جفن. واني لاتساءل هل كان في استطاعتي التصرف معه بالطريقة ذاتها.

أعادني ديك الى المستشفى. وبعد القيادة أربع ساعات في زحمة السير توقف عند مطعم بالقرب من المستشفى. تيبست في مكاني، فتجاهل ديك ارتعابي وسألني: "هل تريد أن تأكل؟ أكاد أموت جوعاً، وأمامي رحلة طويلة الى البيت."

فأجبته، "لست جائعاً، سأنتظرك في السيارة."

وضع يده على كتفي وعيناه في عيني وقال: "أنت صديقي، وأنا فخور بك، مع أنني أكره تلك الحرب. لنجرب الآن. ستثب الى الكرسي المتحرك وأنقلك الى مائدة حيث تثب من جديد ونأكل معاً. هل أنت موافق؟ اذا ساءت الحال فسنغادر المكان فوراً، أعدك بذلك. وأؤكد لك أن الامر لن يكون سيئاً كما تعتقد."

ولم يكن الامر سيئاً على الاطلاق، اذ كان ولادتي الجديدة وقفزتي الاولى ومعركتي الاولى. لقد نجوت!

قهر الصعاب – في الصيف التالي، وكنت لا أزال في المستشفى، قضيت نهاية أسبوع أخرى على الشاطئ. كنت

أمشي برجل خشبية وأضع كلّاباً جديداً في مكان ذراعي المبتورة. وشققت طريقي بصعوبة الى بقعة على الرمال.

سألني ديك وهو يتذكر كم كنت أحب ركوب الامواج المتكسرة عندما كنا في سن المراهقة: "هل أنت جاهز للسباحة؟"

أجبته: "لا، أعتقد أني سأقرأ فقط."

فقال: "هل يقلقك الامر؟ اذاً من الافضل أن تفعله."

وخلعتُ الساق والذراع واستندت الى كتفه ووثبت الى الامواج. ولم أنظر الى الخلف على الاطلاق.

انتقلت الى كاليفورنيا تلك السنة لدخول الجامعة، والتحقت بكلية الحقوق. وفي السنوات التالية، كلما ضايقني شيء ما كنت أفعله. تعلمت التزلج وهبطت بالمظلة ودرت حول العالم في ثلاث صيفيات.

بين العام ١٩٧٩ والعام ١٩٨١ أدرت برنامج عمل للشباب الذين تراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٣ سنة. وفي نهاية فترة التدريب كنت أسأل الشباب عما اذا شاهدوا فيلم "صائد الايائل"(★). وكل الذين شاهدوه قالوا انه عن حرب فيتنام، فكنت أشرح لهم بصبر: "لا، انه عن الصداقة، عن الناس الذين يفعلون أي شيء من أجل الآخرين ومن غير تردد."

لقد وجدت صائد الايائل قبل ٣٧ سنة، على رغم أن ديكي، عندما يقرأ هذا المقال، سيصرّ على أن المدة هي ٣٥ سنة. وأريد أن أؤكد هنا أن اتخاذي إياه صديقاً لم يكن أمراً سيئاً كما ظننت.

شكراً لك يا ديكي.

ب.ت. كولينز

(★) The Deer Hunter

كولينز هو اليوم نائب رئيس شركة "كيدر وبيبادي" للسندات المالية في كاليفورنيا. ويملك ديك ارليك مطعماً لثمار البحر في نيويورك.



تقدير الفن

يروي النحات والرسام الايطالي أجينوري فابري: "ابتاع شخص أجهله احدى لوحاتي. فسألته زوجته أين سيعلقها، فأجابها أنه لا يعرف، لكنه سيضعها حتماً في مكان ما بحيث اذا عاد الى البيت عكر المزاج يكون واثقاً بأنها ستمنحه هنيهات من الفرح. ان جواباً كهذا يرفع من معنويات الفنان الذي يحتاج الى تفهم مباشر من الجمهور."

أ.ل.

الذكر الحسن

من أقوال الكاتب البرازيلي بيدرو نافا في أهمية أن يترك الانسان ذكراً حسناً: وراء رغبة المرء الجامحة في التشبث بذاكرة الغير تكمن الخيلاء والدفاع الذاتي. كل انسان يحاول أن يترك انطباعاً، أن يعيش قليلاً بعد، أن يترك الشعلة مضاءة، فلا يتفتت غباراً في التراب.

ت.ك.ر.

المختار
أغسطس (آب) ١٩٨٨ من ريدرز دايجست السنة العاشرة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

دليل الغذاء الصحيح

هل السمك الذي يعيش في المياه المالحة اكثر ملوحة من السمك الذي يعيش في المياه العذبة؟

أي نوع من الزيوت يحتوي على اقلّ نسبة من الدهن وبالتالي يكون الأقل تسميناً؟

هل يجب تقشير الفاكهة قبل تناولها تخلّصاً من مبيدات الحشرات؟

اسئلة تراودنا ونود ان نعرف الاجابات عنها. في ما يأتي آخر ما توصّل اليه علم التغذية الحديث من إجابات تتسم بالدقة والتحديد.

▫ هل لحم العجل الصالح للشي مقوّ اكثر من لحم الفروج الابيض؟

■ تتوقف خصائص الطعام المنمية للجسم على مقدار ما يحتويه صنف معين من البروتيين، واللحم الأحمر ولحم الدجاج متساويان من هذه الناحية.

▫ يقال ان اللحم الابيض اسهل هضماً من اللحم الأحمر واللحم المطهو اسهل من اللحم النيء؟

■ خطأ. ولا نعلم مصدر هذه الافكار وهي، على رغم سعة انتشارها، تفتقر الى اي اساس علمي.

▫ هل قطع اللحم الجيدة اكثر غذاء من سواها؟

■ لسوء الحظ هذا الامر صحيح احياناً. فكلما إرتفعت نسبة الانسجة العضليّة في

القطعة (كما في القطع الصالحة للشيّ)، كانت مغذّية اكثر؛ وكلما ارتفعت نسبة الانسجة الضّامة أو الغضروفيّة فيها، كانت مغذّية أقل.

▩ هل البيض طعام كامل؟

■ كلا. مع ان البيض طعام غنيّ ويحتوي تقريباً على جميع العناصر الضرورية للنمو الكامل، إلا انه لا يحتوي على الكربوهيدرات ولا الفيتامين "ث".

▩ هل الدهن الموجود في السمك "جيد"؟

■ نعم، خصوصاً في السمك ذي اللحم المائل الى الزرقة مثل السردين والرنكة والسلمون والتنّ التي تحتوي على حوامض دهنيّة غير مشبّعة ولذا يوصى بها في نظام الحمية الذي يقضي بتناول الاطعمة ذات المحتوى القليل من الكولسترول.

▩ هل سمك المياه المالحة اكثر ملوحة من سمك المياه العذبة؟

■ ان مستوى الصوديوم في النوعين هو نفسه تقريباً (٦٠ الى ٦٤ غراماً في المتوسط). فالقد والنازلي الطازجان ليسا اكثر ملوحة من سمك التروتة (الترويت) او الكراكي النهري. وبين اصناف الطعام البحري المختلفة، القشريات والمحار هي الانواع الوحيدة الغنية بالملح. (تحتوي مئة غرام من الكركند على قرابة ٣١٠ مليغرامات من الملح).

▩ هل السمك مغذّ كاللحم؟

■ نعم، فمئة غرام وزنا صافياً من السمك توفر المقدار نفسه من البروتيين الذي توفره مئة غرام من اللحم. وهناك انطباع بان السمك "اقل تغذية" لأنه يُهضم بسرعة اكبر.

▩ بماذا يتفوق السمك المعلّب على السمك الطازج؟

■ إنه أغنى منه بكثير بمادة الكلسيوم. فأثناء عمليّة تعقيم العلب وخلال مدّة التخزين، يصبح عظم السمك قابلاً للذوبان مما يزيد مقدار ما يحتويه لحم السمك المعلّب من الكلسيوم عشرة اضعاف ويرفع نسبته من ٣٣ الى ٤٣٧ في المئة. وبينما تزوّدنا مئة غرام من السردين النيء جزءاً من عشرين مما يحتاج اليه الجسم يومياً من الكلسيوم، فإن مئة غرام من السردين المعلّب تزوّدنا اكثر من نصف حاجتنا اليومية من الكلسيوم.

▩ ما هي افضل الطرق لتحضير السمك المغذي؟

■ الاعتقاد السائد ان السلق هو الطريقة الفضلى، لانها لا تستخدم الدهن. إلا ان جزءاً من الفيتامينات والاملاح المعدنية يذوب في المرق الذي غالباً ما يُطرح خلافاً لما يجري مع مرق اللحم. وعندما يُحضّر السمك في الفرن او يُلف بورقة معدنيّة فإنه يفقد اجزاء اقل من العناصر الغذائية ويبقى سهلاً للهضم شأنه شأن غيره من الاصناف المعدّة بطرق اخرى.

▩ اي نوع من الزيوت يحتوي على اقلّ من الدهن وبالتالي ايّها الأقل تسميناً؟

■ كل الزيوت، من الاقلّها كثافة الى الاكثرها كثافة، متساوية في مقدار ما تحتويه من دهن (٨١٤٥ وحدة حرارية في كل ليتر) ولذلك فإنها كلها تحدث التأثير نفسه على الوزن.

▩ هل الزيت "الخفيف جداً" افضل للصحّة من غيره؟

■ نعم. والسبب انه كلما كان الدهن سائلاً في درجة حرارة عاديّة، زاد ما يحويه من الحمض الدهني غير المشبع وهو العنصر الذي يفيد في خفض مستوى الكولسترول وتحسين الدورة الدمويّة.

□ هل السكّر الاسمر افضل مصدر للفيتامينات والمعادن من السكّر الابيض؟

■ انهما متساويان في هذا المجال اي انهما لا يحتويان تقريباً على اي من الفيتامينات او المعادن. والواقع انه ليس ثمة اساس علمي للقول بأن السكر الاسمر يحتوي على فيتامينات اكثر وانه اكثر "نفعاً" من السكر الابيض. والفارق بين الاثنين هو في طريقة الصنع. فالسكّر الاسمر يستمدّ لونه من الدبس المضاف اليه.

□ هل يفضّل العسل على السكّر؟

■ غالباً ما نعتقد ذلك بسبب ما يحتويه العسل من فيتامينات ومعادن. إلا ان هذه المواد موجودة فيه بكميات ضئيلة جداً، وتلزمنا ٦ كيلوغرامات من العسل لسدّ ما يحتاج اليه الجسم من الفيتامين "ث" يومياً. وكل مئة غرام من العسل تحتوي على ٥ ميليغرامات من الكلسيوم في حين ان كوباً من الحليب يحتوي على ٣١٩ ميليغراماً.

□ هل يصلح الحليب غذاء للكبار؟

■ نعم ولا. فالغشاء المخاطي في الامعاء لدى الاطفال يفرز الـ"لاكتاز" الانزيمة الضروريّة لهضم الـ"لاكتوز" وهو السكّر الموجود في الحليب. ولكن مع مرور الزمن، ينخفض مستوى اللاكتاز لدى الكبار، لذلك نجد ان بعض الناس يتناولون الحليب ببطء ومصحوباً مع غيره من اصناف الطعام.

□ هل يجب ان يشرب الاطفال الحليب الكامل الدسم؟

■ الأفضل نعم، لأنه يحتوي على كميّة اكبر من الدهن، والحليب الكامل الدسم يحتوي على الفيتامين "أ" وفي بعض البلدان يضاف اليه الفيتامين "د". وهذان النوعان من الفيتامين ضروريان للنمو ويضافان ايضاً الى اصناف اخرى من الألبان.

□ هل يوفر اللبن الصحّي الكامل الدسم ضماناً لعمر طويل؟

■ للحكم عمّا إذا كان استهلاك اللبن بانتظام هو حقاً ضمان لعمر طويل، كما يزعم البعض استناداً الى المعمّرين الذين تجاوزوا المئة السنة في القوقاز، علينا اولاً ان نحدّد مدى الفضل العائد الى عناصر أخرى ربما أدّت الى طول اعمارهم (وإن يكن هناك خلاف حول هذه النقطة) مثل العيش الهنيء والهواء النقي في مناخ اجتماعي وسياسي وجغرافي محلّي.

□ هل في استطاعة اللبن ان يقوم مكان الحليب؟

■ الى حدّ ما. فاللبن، الحليب المخمَّر ببساطة والذي يتطلب صنعه اقل عدد من العمليات بين بقية مشتقات الألبان والاجبان والزبدة، يحتوي على العناصر نفسها التي يحتوي عليها الحليب ما خلا الفيتامين "د" واللاكتوز. ومقدار اللبن في مرطبان سعة ١٢٥ غراماً يوازي ١٧٥ ميليتراً من الحليب. على ان الحليب سهل الاستهلاك نظراً الى انه يمكن تناوله صرفاً او بنكهات مختلفة او إدخاله

في اطباق متنوعة مالحة او حلوة وذلك من دون سأم بينما تناوُل كميّة موازية من اللبن، اي ما يساوي اربعة مراطبين في اليوم، ربما كان مملّاً.

▫ هل القشدة الطازجة مضرّة بالكبد؟

■ كلا، ان تأثيرها يشبه تأثير الكثير من المواد الدهنية، فإنها تحفز المرارة وتجعلها تنقبض وتطلق مادة الصفراء التي تختزنها.

▫ عند تحضير الخضر، ما هي افضل الطرق لحفظ الفيتامينات والمعادن؟

■ يجب بشر الخضر او تنظيفها بالفرشاة بدل تقشيرها. ومن المستحسن تحضيرها قبل طهوها او تناولها مباشرة. والأفضل ان تغسل بالماء الجاري والا تُنقع. كذلك يجب طهوها كاملة. وعلى ربة المنزل ان تحرص، عند تقطيعها الخضر على جعل القطع او الشرحات كبيرة، فكلّما صغرت زاد مقدار ما تخسره من الفيتامين. وعليها ايضاً اعتماد الأوعية المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ (المواعين النحاسية تتلف الفيتامين "ث")، والانتباه الى وقت الطهو ودرجة الحرارة. اذ يفضل طهو الخضر في ۴۰ دقيقة بنار حرارتها ۱۲۰ درجة مئوية على طهوها ساعة بنار حرارتها ۱۰۰ درجة. (لهذا السبب تُعتبر طناجر (حلل) الضغط فكرة سديدة).

▫ هل الأرضي شوكي (الخرشوف) مفيدة للكبد؟

■ هذه الشهرة غير مُستحقَّة. فالأوراق التي لا تؤكل، تحتوي على الـ"سينارين" وهي المادة التي تستخدمها صناعة الادوية في معالجة الكبد.

▫ هل السبانخ هي الأغنى بالحديد؟

■ كلا. وعلى رغم سمعتها فإن مئة غرام منها تحتوي على ۳،۷۰ ميليغرام من الحديد بينما يحتوي مقدار مماثل من المشمش المجفف على ٦،۳۰ ميليغرام ومن الفستق على ٦،۷٥.

▫ اي فاكهة هي الاكثر تغذية؟

■ يجمع عدد كبير من الخبراء على انها المشمش المجفّف. والى كونه مصدراً للطاقة والنشاط، فإنه يحتوي على الكلسيوم والحديد والفوسفور والبوطاسيوم وعلى مقدار كبير من الفيتامين "أ".

▫ هل عدم تناول الفاكهة بمقدار كافٍ يسبب نقصاً في الفيتامين "ث"؟

■ كلا. فالخضر توفّر الكثير منه. ومقدار الفيتامين "ث" في مئة غرام في كل من الخضر الآتية هو: البطاطا (البطاطس) ۴۰ ميليغم، الهليون ۳۳، قرّة العين (البقلة المائية) ۴۳، الملفوف (الكرنب) ۴۷، والبروكولي (نوع من القنبيط لونه اخضر) ۹۳.

▫ إذا كنت تتبع نظام حمية لتخفيف وزنك فهل تستطيع ان تتناول مقدار ما تشاء من الفاكهة؟

■ كلا. يعتقد الناس ان الفاكهة، كما الخضر، هي مصدر لا بأس به للماء وللفيتامينات والمعادن، لذلك يستطيع المرء ان يتناول منها ما يشاء ومتى اراد. إلا ان الفاكهة تحتوي على السكّر، ونصف كيلوغرام من العنب مثلاً يحتوي على ۳٥۰ وحدة حراريّة.

▫ هل يجب تقشير الفاكهة للتخلّص من المبيدات؟

■ انه إحتراز غير مجد لأن اللب، مثل القشرة، غالباً ما يمتص مقداراً مماثلاً من المواد السامّة، لذلك ينصح الذين ليست لديهم مشاكل مع الألياف، بتناول الفاكهة بعد غسلها وتنظيفها بالفرشاة، من دون تقشير.

□ هل يُنصح بالتفاح في حال الإسهال او الإمساك؟

■ في الحالين. فللتفاح الطازج والمبشور مفعول يساعد على التماسك ولذا يُنصح به في حال الإسهال. من جهة أخرى يحتوي التفاح الكامل غير المقسوم والمطهو بالغلي البطيء، على الياف تحارب الإمساك.

□ كيف تقدّر محتوى الطعام من الملح (كلورايد الصوديوم)؟

■ إذا أجبت "بواسطة طعمه الاكثر او الأقل ملوحة"، فأنت مخطىء. فبعض انواع الطعام يحتوي على نسبة مرتفعة من الملح من دون ان يكون طعمه مالحاً مثل الاطعمة التي تحتوي على الملح في حالها الطبيعية كالبيض الذي يحتوي كل مئة غرام منه على ١٣٨ ميليغم من الملح والحليب الذي يحتوي كل ١٠٠ ميليلتر منه على ٤٩ ميليغم والجبن الذي يحتوي على ٣٠٠ في كل ١٨٠٠ ميليغم.

□ هل المياه "العسيرة" مضرّة بالصحة؟

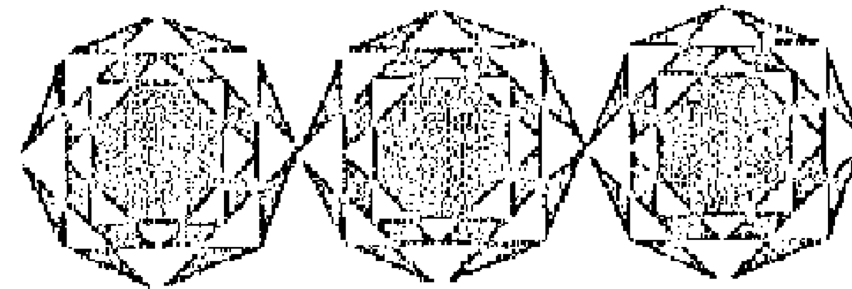
■ تخلّف المياه العسيرة وهي الغنيّة بالكلسيوم والمغنيزيوم، رواسب في مواعين المطبخ وانابيب المياه والادوات المنزلية، لكنها لا تشكّل خطراً على الصحة. واظهر بعض الدراسات ان عدد الوفيات بامراض القلب والشرايين في المدن ذات المياه "العسيرة" هو أقلّ منه في غيرها.

انما هناك امر يجب ان تفعله كل صباح وهو ان تدع بضع ليترات من الماء تجري من الصنبور (الحنفية) قبل ان تشرب منها وذلك تخلصاً من رواسب الرصاص او غيره من المعادن التي تكونها المياه الراكدة في الانابيب خلال الليل.

□ ما هو متوسط ما يحتاج اليه الجسم من الماء كل يوم؟

■ قرابة ليتر ونصف ليتر. وباستثناء الاشخاص الذين يعانون مشاكل صحيّة معيّنة (في القلب والكلى)، فإن معظم الناس لا يتناولون ما يكفي اجسامهم من الماء خصوصاً الذين يعيشون في شقق هواؤها جاف ويعملون في أماكن مكيّفة. يجب ان نشرب الماء مراراً بجرعات قليلة اثناء الطعام وبين الوجبات.

جوزيت ليون ✍



الباحث الجيد

قال الدكتور ألبرت سابين مكتشف اللقاح الشفهي لشلل الاطفال:
"على الباحث الجيد أن يتحلى بفضول وعناد هائلين وباستقامة عظيمة. فاذا اكتشف شيئاً بدا له أروع من أن يُصدّق، فثمة احتمال كبير أنه ليس صحيحاً."

إ.ب.

ضحايا الكوكايين

لا حصانة لأحد ضد هذه الآفة المدمرة، لا القوي ولا الغني ولا الموهوب. وحتى حين لا يفتك الكوكايين بالجسم فإنه يفترس الذات مبيداً كل ذرة كرامة وثقة وحاملا نزعاً أقسى من الموت.

ينتشر ادمان الكوكايين بين المحترفين. لقد دمر مديرين ومحامين وأطباء وأصحاب مهن مختلفة. وعلى رغم تحصنهم الاوليّ من أهوال ادمان الشوارع، يتخبط أولئك المحترفون في مأساتهم عاجزين عن الخلاص كأي مدمن بائس في الازقة. وهنا قصص ثلاثة محترفين دمر الكوكايين حياتهم.

انهيار حلم

ولد ستان بيلين في الثلاثينات لعائلة مدينية أطبقت عليها الازمة الاقتصادية الكبرى التي عصفت بالولايات المتحدة آنذاك. وتفككت عائلته أكثر بسبب خلافات والديه المتواصلة. ويقول: "كنت أحيا في ظل شعور بهلاك محتم."

ما زال ستان يذكر يوم وقف على جسر يحدق الى مركب جميل. كان يرى الركاب يستمتعون بنزهتهم. انه مشهد من الراحة والترف ما كان ليتخيله أبداً. وأثارت تلك الصورة الذهنية فكرة النجاح في الصبي. فباتت أهدافه المال والقوة والنفوذ.

نجح ستان في المدرسة وبرز في المواد العلمية. لكنه افتقر الى الجرأة ليواصل التخصص الطبي وتحول الى طب الاسنان لكونه السبيل الاسرع الى تحقيق أهدافه.

تزوج شابة عرفها منذ أيام دراسته الثانوية، وعاشا نحو ٢٠ سنة حياة سعيدة حسدهما عليها كثيرون. انتشرت سمعته الحسنة وأخذت الاموال تتدفق عليه وعيّنته حكومة الولاية في منصب محترم. رزق طفلين جميلين وقطنت العائلة في منزل رائع وامتلكت سيارات فخمة وأمضت عطلات مثيرة.

حقق ستان هدف حياته حين اشترى يختاً فخماً وأبحر الى الجسر حيث لمح للمرة الاولى آمال مستقبله. لكنه يقول: "أحسست أن هناك خطأ ما. لقد اقتنيت كل ما حلمت به لكني شعرت بالحزن واليأس. وأسوأ من ذلك ادراكي أن

شعوري لن يتبدل."

في أوائل الثمانينات دعاه أحد أصدقائه الاطباء الى الغداء، وأخبره أنه يتناول الكوكايين كمضاد للانقباض. وصفه كمخدر رائع لا ينتهي الى الادمان. فاعتقد ستان أنه العلاج المناسب لانقباضه.

ويروي ستان: "أدمنت الكوكايين من الجرعة الاولى. لقد منحني رباطة جأش وثقة بالنفس وقوة، وهي أمور اعتقدت أني أستطيع شراءها بالمال. جعلني انساناً أفضل ومتحدثاً ألبق وطبيباً أبرع."

في البداية لم يقرّ ستان بأن ما يفعله خطأ: "لقد أغاظتني حملة مكافحة هذا المخدر المذهل واعتباره غير مشروع."

بعد سنتين من الادمان فقد ستان مناعته ضد مخاوف ادمان الشوارع لدى مقتل صديقه الطبيب. وبعد أسبوع غادر عيادته ولم يعد: "في ذاك الوقت اعتقدت أني عاجز عن تحمل ضغوط مهنتي، لكن الحقيقة كانت غير ذلك. كنت في حاجة الى مزيد من الوقت للادمان." وأمضى أيامه تائهاً من دون هدف وراودته فكرة الانتحار.

وفي السنة الثالثة أخذت تأثيرات الكوكايين تتلاشى. فأصبح ذلك الشعور بالنشاط يدوم بضع ثوان ليسقط ستان ثانية في أعماق كآبته. وهو يذكر: "أخيراً وصل بي الامر الى الاستسلام للبكاء." وأدركت جين أن حال زوجها يائسة وأقنعته بدخول مصح لاعادة تأهيل المدمنين. فالتحق ستان بمؤسسة شهيرة لكنه أخفى ١٤ غراماً من الكوكايين في ثيابه. ويذكر: "أبديت تعاوناً لأيام قليلة الى أن تجرعت الكوكايين الذي كان في تي." ثم غادر المصح فجأة كما اعتاد يفعل كلما نجحت جين في اقناعه بطلب المساعدة.

وذات مرة بعدما اعتقد ستان أنه تغلب على إدمانه وجد قارورة صغيرة من الكوكايين منسية تحت بساط السيارة. ويتذكر: "مجرد رؤيتها أثار رغبتي فوضعتها في جيبي. فكرت في أن ابقاءها سيشدد عزيمتي ومقاومتي الاغراء. لكن عقلي لم يتجاهلها قط."

ومثل ثعبان ملتف استقرت قارورة الكوكايين في جيب ستان، واندلعت معركة في عقله أسفرت عن انتصار الثعبان بضراوة لا يعرفها سوى العاجزين أمام الادمان.

اليوم أنهى ستان برنامجاً شاملا لاعادة التأهيل، وهو يعمل مرشداً في برنامج لمكافحة المخدرات ويتقاضى سُبع ما كان يكسبه من طب الاسنان، وقد خسر منزله ويخته.

والآن، في بناء حياته الجديدة، يصرّ ستان على ألّا يدع الثعبان يقترب منه.

"الكوكايين يناسبني"

كانت حياة ماري شيا قصة نجاح نموذجية. عيناها الزرقاوان تتقدان جرأة وثقة، وقد آمنت بأن المستقبل الممتد أمامها يحمل الأمل نفسه الذي انتزعها من منشأها الوضيع. في السادسة والعشرين من عمرها نالت اجازة في الصيدلة وحازت وظيفة جيدة. لقد جاهدت طويلا لتصل الى هذه المرحلة.

كانت ماري واحدة من خمسة أولاد لعائلة متوسطة في بوسطن. بدأت العمل في التاسعة وادخرت المال لدخول الجامعة، وهو هدف لم يحققه أحد في عائلتها. وعلى رغم براعتها في الدراسة والموسيقى والرياضة، شعرت ماري بخيبة والديها وأزعجها ذلك باستمرار.

بدأت تتناول الامفيتامين في الثالثة عشرة. وكان هذا العقار ينشط أجهزتها فتكتفي بأربع ساعات من النوم وتحافظ على حركتها المسعورة.

وباستقلاليتها الدائمة كسبت ماري المال من حضانة الاطفال والعمل في صيدلية لدفع ثمن العقاقير التي لم تتعدّ قدرتها المالية. لم تتورط في مشاكل قط ولم تبدُ عليها عوارض الادمان. وفي الحادية والعشرين التحقت بالجامعة وتوقفت عن تناول العقار. وتقول: "لم أعد أحتاج اليه. أصبحت ناضجة وحرة ومستعدة للحياة."

في السنوات الست التالية لم تتناول المخدرات. وبعد تخرجها في الجامعة حظيت بعمل صيدلي. واشترت هي وخطيبها مزرعة صغيرة وعاشت حياة مشحونة بالعمل الشاق والركض والتزلج والزراعة.

خلال تلك السنة الاولى في ١٩٧٩ زحف شيطان المخدرات الى حياة ماري. أخبرها بعض الاصدقاء عن خبرتهم المثيرة مع الكوكايين. وتتذكر: "تخلصت من المخدرات سابقاً بسهولة، وصدقت خرافة أن الكوكايين لا يؤدي الى الادمان. فلمَ لا أجربه؟ كنت أحب فورة النشاط الهائجة، وبدا أن الكوكايين يناسبني تماماً."

في السنوات التالية تناولت ماري الكوكايين مرة في الشهر. وذات يوم عثرت على كمية منه في الصيدلية وفكرت في أن أحداً لن يفتقده إذ انه مخزون بين الادوية التي انقضت مهلة استعمالها. حملت ماري كمية قليله وتناولتها في البيت. وتكررت العملية حتى سيطر على الشابة هاجس موعد الجرعة التالية.

اكتشف خطيبها ما كانت تفعله وواجهها بالأمر. وتقول: "اتهمني بتبديل جميع قيمي، وأعتقد أنه كان على حق." وهي جبهته بعناد مفضلة الكوكايين عليه.

سيطر المخدر على حياتها ودمّر أثمن ما في مستقبلها. وتوقفت عن عملها إذ عجزت عن مواجهة الرتابة اليومية، وبدأت تعمل خادمة تنظف البيوت. للمرة الاولى في حياتها أصبحت ماري تحيا من دون هدف.

بعد فترة قُتل مدمن عرفته ماري في جريمة تتعلق بالمخدرات. وتقول: "أدركت أن عليّ الهروب."

الخوف من القتل أعاد ماري الى وعيها. فغادرت بوسطن وقطنت في بلدة صغيرة جنوب الولايات المتحدة. وسرعان ما حازت وظيفة في صيدلية. ويتذكر صاحب تلك الصيدلية: "كانت معاملتها للزبائن ممتازة وقد تحلّت بالصبر واللطف ولاسيما مع المسنين."

وتقول ماري: "كانت أمامي فرصة ذهبية لبداية جديدة." لكنها اقتنعت بأنها تستطيع تناول الكوكايين كمهدىء، وعمدت الى تناوله مرة كل

أسبوع. نجحت في الفترة الاولى ورُقّيت الى وظيفة مديرة للصيدلية.

إنما مرة جديدة فقدت ماري السيطرة على نفسها وبدأت تختلس الكوكايين من الصيدلية، الى حد أنها سرقته من الوصفات التي كانت تحضرها مبدلة اياه بمخدر عادي. ومنحها الكوكايين الراحة الوحيدة من الكآبة التي استبدت بها بسبب ضياع حياتها الموعودة.

وأثر الكوكايين في صحتها. ازدادت نبضات قلبها مما اضطرها الى تناول عقاقير لابطائها. كانت تتناول الاقراص المنومة للهروب من يأسها ومن واقعها. وقد أصرت على أنها تستطيع التغلب بمفردها على أي مشكلة، لذا لم تفكر في طلب المساعدة.

وفي محاولة أخيرة لاسترجاع احترامها لنفسها توقفت فجأة وقطعاً عن الكوكايين. عادت تمارس رياضة العدو وتعتني بنفسها. واقتضى جزء من مخططها عدم اقامة صداقات جديدة والتركيز على التحرر نهائياً من المخدرات. وتذكر: "أصبحت كأنني مدمنة الابتعاد عن الكوكايين، فبتّ وحيدة جداً."

بعد سبعة أشهر في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ اشتركت ماري في سباق عدو وفازت بالمرتبة السابعة بين ٢٠٠ عدّاءة. انتابتها نشوة عارمة من الثقة واحترام الذات. وفي نوبة غبطتها خرجت مع بعض الاصدقاء للاحتفال بالمناسبة. ومثل ثعبان سامّ متربص بين الاعشاب حاصرها الكوكايين بإحكام مروع.

هكذا صاحبت ماري مجموعة من المدمنين، وبينهم تجار خطيرون، وأصبحت تزودهم عقار الـ"ڤاليوم." كانت تزوّر الوصفات الطبية ثم تدفع ثمن الڤاليوم وتقايضه بالكوكايين. وفي فترة وجيزة بدأت تبيع الكوكايين.

انحدرت ماري ببطء الى مستويات مخزية لم تتصورها أبداً. عاشت في رعب دائم من الاعتقال. ونحو نهاية العام ١٩٨٤ استقالت من وظيفتها مرة أخرى. وفي هذا الوقت بات تأثير الكوكايين واهناً مهما بلغت كميته. فحاولت ماري حقنه في عروقها، كما حاولت تدخينه. وتناولت صنفاً مركّزاً وقوياً من الكوكايين.

أخيراً، حين لم يعد من منفذ الا الانتحار، التمست ماري العون. واليوم تبدو عيناها الزرقاوان حزينتين. لقد أتمت بنجاح برنامج علاج من المخدرات.

تقول ماري وهي الآن في الخامسة والثلاثين: "اني مسرورة لانتهاء الكابوس." وهي تتوقع الاشتراك في مجموعات لمكافحة الكوكايين بقية أيام حياتها: "كان من غير المجدي مقاومة المأساة بمفردي. ولطالما ظننت أنه يمكنني حلّ مشاكلي الخاصة، لكن ذلك كان صحيحاً قبل التورط في الكوكايين."

رقصة الموت

في العام ١٩٧٨ برز باتريك بيسيل راقصاً أول في "مسرح الباليه الامريكي" في نيويورك، وكان في الحادية والعشرين. نادراً ما بهر شاب مثله عالم الباليه المشحون بالمنافسات. وقد قال الراقص الاشهر ميخائيل باريشنيكوف في اطرائه: "انه أحد أسطع النجوم في عالم الباليه."

وساهم باتريك بيسيل أيضاً في دحض

الخرافة الامريكية القائلة بأن الباليه وقف على المخنثين. كان بقامته البالغة ١٨٨ سنتيمتراً شاباً خشناً ومفرطاً في الشراب، قادماً من تكساس، يهوى الدراجات النارية وأحذية الكاوبوي... والجنس. كان يتمتع بعضلات مفتولة، يقذف الراقصات في الهواء كفراشات رائعة.

في شهره السابع في ١٩٥٧ لم يكن بيسيل يمشي بل يركض كما تذكر والدته. وحين كان في العاشرة رجته شقيقته أن يرافقها الى صف الرقص إذ لم يكن لها رفيق. كانت مواهبه الطبيعية مذهلة في التناسق والقدرة على الاحتمال، ومنذ ذاك الحين أصبح الرقص حياته.

يُعرف عالم الباليه بقساوته في المتطلبات الجسدية والعاطفية. هدفه الاكبر الكمال المطلق. وخلافاً للرياضيين المحترفين، لا يعرف نجم الباليه الاكتفاء بتحقيق هدف نهائي أو التغلب على المنافسين. انه ينافس ذاته فقط، وقد تكون هذه المنافسة الأصعب لطالب الكمال.

كان باتريك أحد خمسة أولاد ولدوا خلال ست سنوات لباتريسيا ودونالد بيسيل. وكان هذان زوجين طموحين وقد غيّرا مسكنهما ست مرات قبل أن يبلغ باتريك الثانية عشرة.

باتريسيا بيسيل، التي عانت كبتاً وكآبة خلال تلك السنوات، مقتنعة بأن سبب تزعزع ثقة باتريك بنفسه عائد الى الضرب الجسدي والعاطفي الذي كان يتلقاه منها وهو طفل، فعكست كرهاً عميقاً لذاته.

ومهما يكن مدى صحة ذلك فقد بدت حياة باتريك بيسيل محفوفة بالعذاب منذ كان شاباً يافعاً. أشارت كل الدلائل، حتى في بداية عمله، الى ادمانه الكحول والكوكايين ومخدرات أخرى. لكن قوته ومهارته الفائقتين مكنتاه من تأدية أصعب المهمات من دون أن يدرك مديروه الحقيقة.

وفي سيرتها الذاتية "راقصة فوق قبري" أعلنت الراقصة غلسي كيركلاند أن بيسيل عرّفها الى الكوكايين بعد نجاحه في نيويورك. وهي راقبت تفاقم جنون الارتياب لديه الى درجة أنه بات يحتفظ بفأس تحت سريره وسكين تحت وسادته أثناء النوم. وبات يقف ساعات عند باب بيته حاملا قنينة مسيّل للدموع لردع المتطفلين الموهومين.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨١ بعد ثلاث سنوات من العمل أخفق بيسيل في محاولة انتحار. وفي هذا الوقت غدا هو وكيركلاند في حال تتعذر السيطرة عليها، يمضيان أسابيع في حفلات الكوكايين الصاخبة. وباتا يتغيبان باستمرار عن التمارين ويتأخران عن الحفلات. فطردا من العمل ثم أعيدا وطردا من جديد. أخيراً التمست غلسي كيركلاند المساعدة.

لكن باتريك بيسيل لم يفعل.

وفي خريف ١٩٨٧ أرسلت مؤسسة الباليه بيسيل الى مركز "بيتي فورد" في كاليفورنيا. وهو أخبر أصحابه أنه على استعداد لتنظيف حياته وهو يبحث عن بداية جديدة.

غادر قبل أسبوع من الاوان ورجع الى نيويورك. وخلال ديسمبر (كانون الاول)

كانت ايمي روز، وهي راقصة باليه خطبها بيسيل، تجول في كاليفورنيا على أن تعود الى نيويورك بعد عطلة الاعياد. بقي بيسيل وحيداً، فاشترى شجرة للميلاد وزينها.

في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) اتصل بوالديه وتحدث اليهما طويلاً. وتوسلت اليه والدته ليمضي العيد معهما في المنزل، فرفض متذرعاً بأنها فرصته ليثبت أنه أصبح قادراً على العيش من دون كوكايين.

بعد أربعة أيام من عيد الميلاد دخلت ايمي روز الشقة ووجدت جثة باتريك على الاريكة في غرفة الجلوس. فقد توفي باتريك بيسيل اثر جرعة مفرطة من الكوكايين وسواه من المخدرات. وكان بلغ الثلاثين.

يتهدج صوت باتريسيا بيسيل وهي تذكر ما نشرته صحيفة "نيويورك تايمس" عن وفاة ابنها. فقد جاء في عنوان الخبر: "تصبح على خير أيها الامير الجميل."

من المستحيل تقدير ما كان لينقذ باتريك حين بدأ رقصة الموت الطويلة. وتقدّم والدته تبصراً حكيماً اذ تقول:

"نحن نسرع في القاء اللوم على الآخرين وعلى الضغوط المعاكسة والاشغال المجهدة وتجار المخدرات، على كل شخص ما عدا أنفسنا. لكن معظم هذه المشاكل ينشأ في البيت أثناء تربية الاطفال. يصعب عليّ الاقرار بذلك، لكنني أخفقت في تعزيز الثقة واحترام الذات لدى باتريك، وهما ما احتاج اليه لمواجهة الحياة. فمهما بلغت نسبة نجاحه كان يشعر دائماً بالخيبة. وقد لجأ الى المخدرات لأنها ساعدته على الهروب من هذا الشعور. حين نتوصل الى فهم وجه الادمان هذا وقبوله، قد نستطيع أن نفعل شيئاً حياله."

هنري هورت



درب الكلى

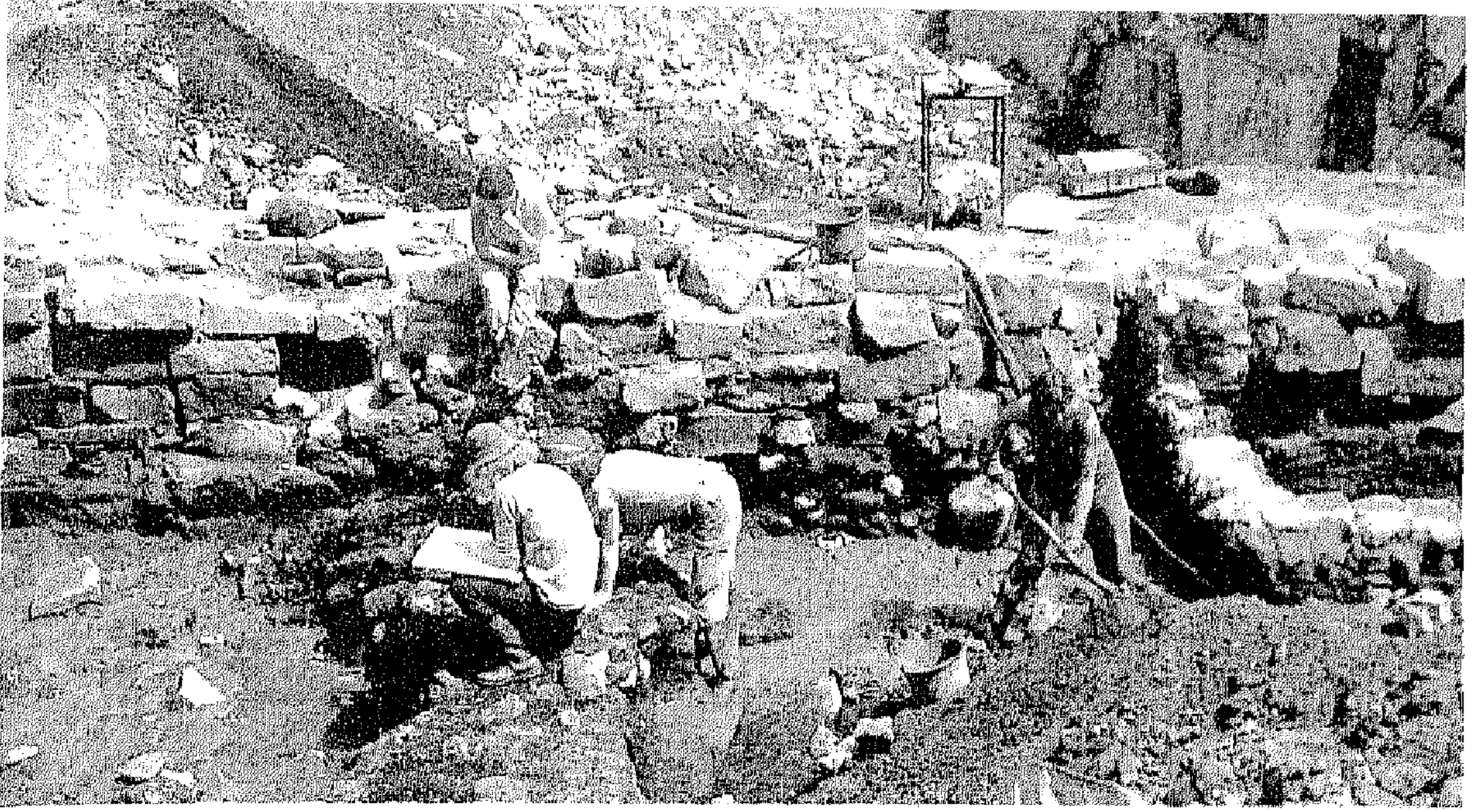
في معهدنا الطبي دأب الطلاب على استخدام قسم الكلى والمجاري البولية كطريق مختصرة الى جناح آخر في المبنى. لذلك نعمد في أثناء اجراء جراحة الى تعليق هذه العبارة على باب القسم: "يجرى الآن زرع للكلى. قد يتعين على عابري هذا القسم أن يتبرعوا بكليهم."

ج.م.

سائقون مجازون

في ولاية منيسوتا الامريكية شركة حافلات مدرسية تطلق على سائقيها صفة "اختصاصيين مجازين بنقل المراهقين."

ف.م.



هُواة ينبشون كنوز ألمانيا

أحفر حيثما شئت في ألمانيا تستخرج كنوزاً من العصر الحجري والروماني والجرماني و... القرون الوسطى

□ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ كان هاينرش زونتاغ المزارع في قرية فرتسدورف، من منطقة الآيفل ينبش حفرة في أحد حقوله كي يخزن الشمندر للشتاء. وحين بلغ في حفره ٥٠ سنتيمتراً عمقاً اصطدمت مجرفته بشيء معدني. أثار الأمر استغرابه فأخذ ينبش التراب، فاكتشف كأساً ذهبية من مدينة مسيني البائدة في كريت ترقى الى نحو العام ١٤٠٠ قبل الميلاد.

□ في ربيع ١٩٦٨ في قرية غونرزدورف في منطقة الراين، عزم مالك ببيت بطبقتين على بناء قبو وكان العمال باشروا الحفر مخترقين طبقة من حجر الخفّاف البركاني عندما عثروا على حجار غير عادية حفرت عليها رسوم حيوانات وبشر. أخيراً كشفت عمليات الحفر عن أطلال ثلاثة بيوت مغطاة بالجلود وخيمتين كان يقطنها صيادون رُحّل قبل نحو ١٢ ألف عام.

Photo: Gerhard Bäuerle

▫ ڤلفغانغ يوهيه هاوي آثار كثير التردد على مواقع البناء في وسط مدينة مينتس. وحيث يحظر الحفر الشخصي يتعقب ولفغانغ شاحنات النفايات الى أماكن تفريغ حمولتها باحثاً ومنقباً في الحجار. وفي العام ١٩٧٢ وقع على كشف العمر: سيف ضابط روماني محفوظ تماماً مع غمده المزخرف، وقيمته نحو ٥٠ ألف مارك (٢٨ ألف دولار).

ألمانيا التي يقطنها البشر منذ عشرات آلاف السنين هي بمثابة صندوق كنوز يحوي آثاراً متقادمة في الزمن. يقول هاينتس غونتر هورن النائب السابق لمدير متحف راينلند الحكومي في بون: "في مقاطعة الراينلاند وحدها نرتاب في وجود قرابة ١٥٠ ألف موقع تحوي آثاراً. ولكن الى اليوم تم التعرف الى عشرة في المئة منها فقط."

ليست ثمة مدينة تضاهي كولونيا بآثارها الرومانية وتلك التي ترقى الى القرون الوسطى، وقد ترسخت المدينة كمستعمرة رومانية عام ٥٠ بعد الميلاد. وفي بقاع أخرى تسود آثار من العصر الحجري والبرونزي أو ذات أصل سلتي أو جرماني أو ذات صلة بالفايكنغ.

ويوضح يورغ بيل وهو رئيس علماء آثار ما قبل التاريخ والفترة المبكرة منه في وكالة بادن فرتمبرغ الحكومية لصون النصب التذكارية التاريخية في شتوتغارت: "ان معالجتنا اليوم لعلم الآثار مغايرة لتلك التي سادت قبل عشرين عاماً. فنحن لا نهدف الى العثور على الاشياء العتيقة فحسب، بل الى اعادة تركيب البنية الاجتماعية وطراز الحياة الصناعية والزراعية التي عرفتها حضارة غابرة." وبغية تحقيق ذلك يعمل علماء الآثار بالتعاون مع علماء من فروع أخرى كعلم الانسان وعلم النبات. وكم من هاو قدّم بصائر مهمة لفهم ثقافات طواها النسيان.

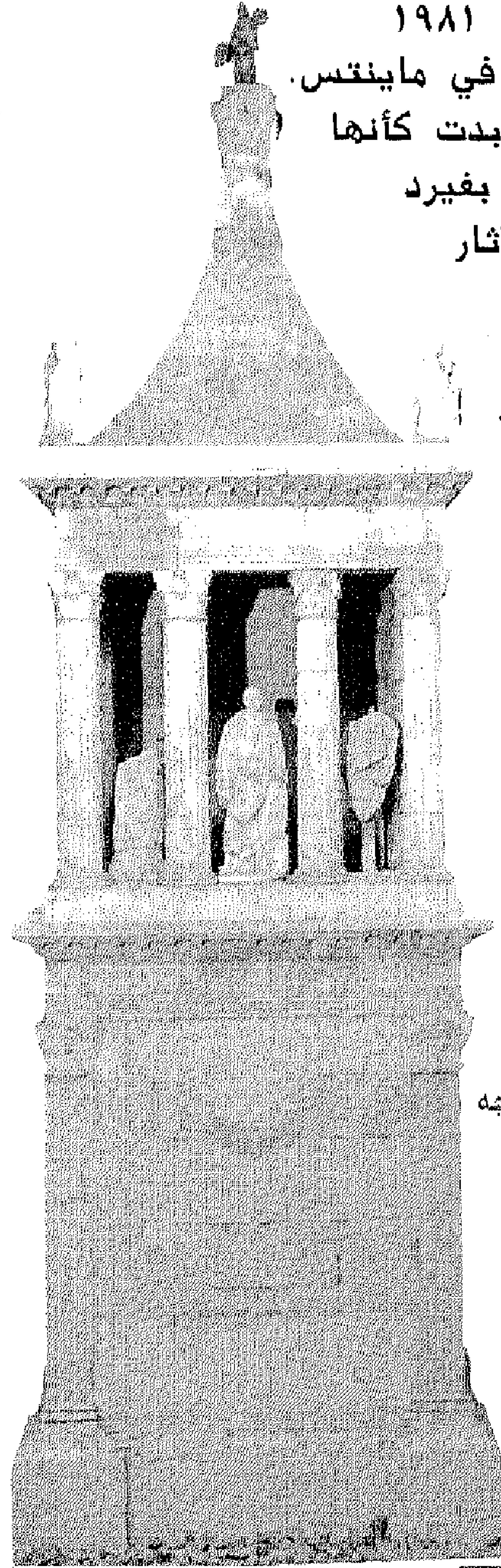
مقبرة مراكب – في ربيع ١٩٧٠ فيما كان هوبيرت اينبرغر يعد مصعد التزلج في منتجعه الشتائي في قرية بيدنغ في جبال الالب البافارية، عثر عرضاً على حفر حوَت ٦٠٠ طوق عنق نحاسية وأجزاء من ٣٠٠ طوق أخرى، وكلها ترقى الى العصر البرونزي الأول. وقد أبان الكشف أن معرفة سكان جنوب ألمانيا بعلم المعادن في العام ١٨٠٠ قبل الميلاد كانت بالغة التطور، إذ استعمل الزنك لتقسية النحاس.

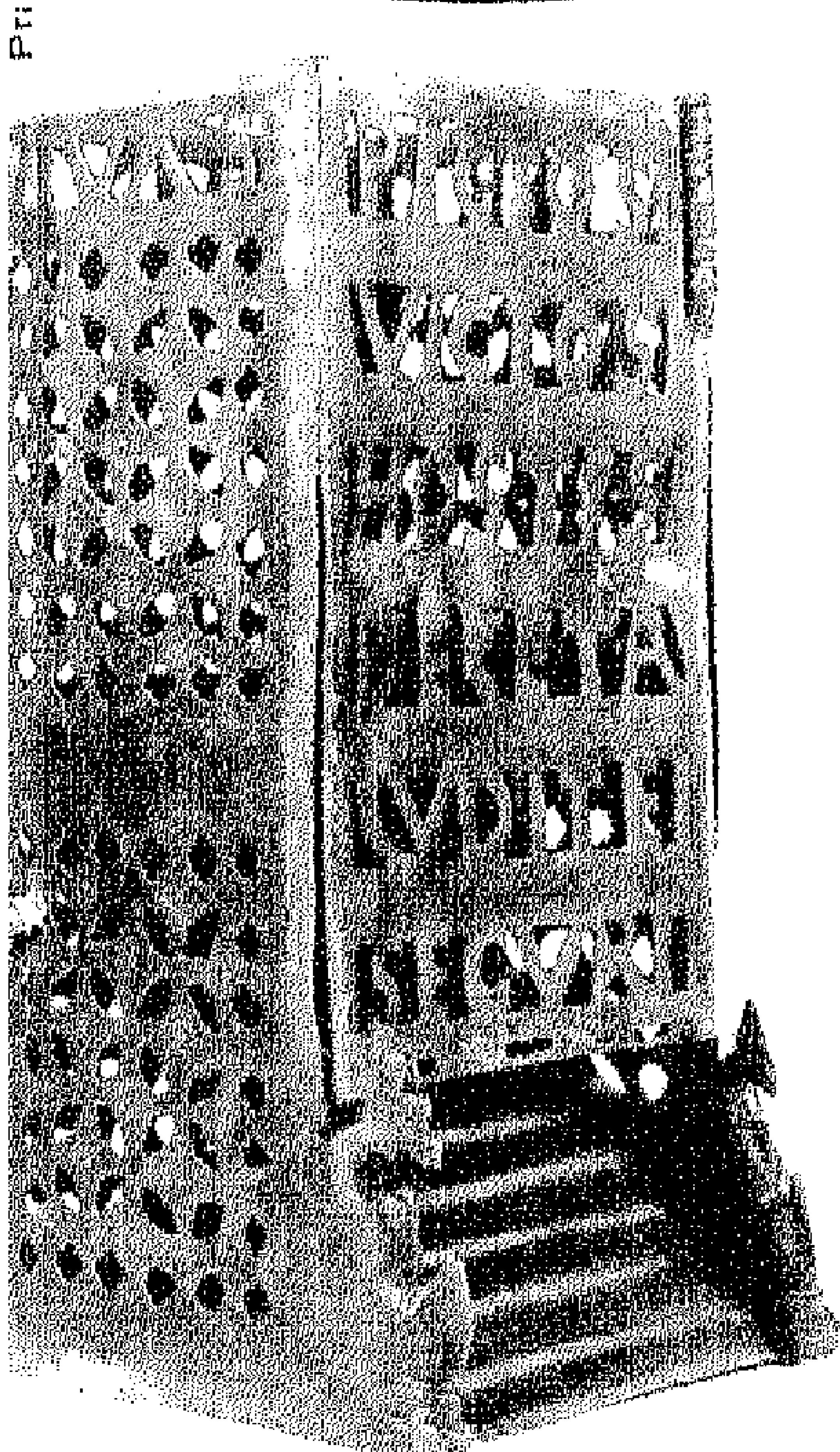
وفي احدى مزارع الحبوب قرب شتوتغارت اكتشفت ربة البيت ريناته ليبفريد قبر الامير هوخدورف، وهو أحد أروع الاكتشافات في أوروبا هذا القرن.

بدأ الحفر عام ١٩٧٨، وأخرج من باطن الأرض قبر كامل لم يمس مع أغراض مدفونة ذات جمال خلّاب تذكر بعظمة ما وجد في قبر الفرعون توت عنخ آمون. ولكن أهم من المظهر البراق للكنز المعروض في متحف بادن فرتمبرغ الحكومي في شتوتغارت، هو ما يزودنا من معرفة حول الثقافة السلتية. وللمثال فان احدى التحف التي وجدت في القبر صاغها صنّاع اغريق في جنوب ايطاليا، مما يدل على أن السلتيين في ألمانيا كانت لهم علاقات تجارية وطرق تجارة عبر الألب.

ونحن مدينون لهاو آخر بمعرفة أن السفن الرومانية المبحرة في الانهار كانت مختلفة جداً عن الرسوم التي تجدها منقوشة في الصخر أو الفسيفساء. كان ذلك الهاوي يمشي ذات ليلة من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ في محاذاة موقع للبناء في ماينتس. فعثر على قطعة خشب بدت كأنها جزء من سفينة. فاتصل بفيرد روبرخت رئيس علماء الآثار في الوكالة الحكومية لصون النصب التذكارية في راينلند - بالاتينات. فأوعز هذا بوقف أعمال البناء وشرع في حفر تبين أنه الاكثر كلفة في المانيا.







(الى اليسار) هذا التمثال البرونزي الصغير الذي يعرض الآن في متحف فيسننبورغ الروماني، استخرجه بستاني هاو.

(أسفل اليسار) آلة الميسر الرومانية "توريكولا" لا نظير لها في العالم.

(تحت) قبر لوسيوس بوبليسيوس ذو الطبقات الثلاث أعيد بناؤه طبقاً للأصل.

Römish-Germanisches Museum Cologne
Rheinisches Landesmuseum Bonn

بعد ثلاثة أشهر اكتُشفت ١١ سفينة، أضخمها تجاوزت ١٦ متراً طولا و٢،٥ متر عرضاً. وتبين أن السفينة منها مصنوعة في القرن الرابع. وفي ظن العلماء أن موقع الاكتشاف ربما كان مقبرة للمراكب.

وباء التنقيب - انهمك شابان، في العشرين والثانية والعشرين من العمر، في العمل كعالمي آثار محترفين. فاكتشفا قبر لوسيوس بوبليسيوس أحد المحاربين في الفيلق الروماني الخامس الشهير. ويذكر يوزف غنز: "قررنا العمل على نحو علمي." ولذا قدم وشقيقه هاينتس وبعض الأصدقاء سجلا بالغ التفصيل عن الحفريات، واصفين كل تمثال وجدوه برسوم ذات مقاييس نسبية وصور تغطي كل مراحل الحفريات.

بدأت الحكاية عام ١٩٦٥ حين همّ الاخوان بالعمل على توسيع منزل والديهما في ساحة شلودفيش بمدينة كولونيا. وقد اصطدما على عمق ثلاثة أمتار تحت أرض القبو بعائق صخري كبير. يقول يوزف: "حسبته جزءاً من ناووس روماني، فأنا أعرف أن بيتنا قائم على "درب أبيان" حيث كان الرومان يدفنون موتاهم." وبعد ازاحة التراب تمكن الاخوان من قلب الصخرة. وقد شهقا لما رأيا: تمثال "بات" حارس القطعان والرعاة.

في اليوم التالي أعلما المتحف الروماني - الجرماني بالامر. وبعد معاينة الخبراء للأثر المكتشف أصدرت سلطات المدينة مرسوماً بحماية الموقع، وحظر على الشابين متابعة الحفر. وفي أي حال كان الأخوان يفتقران الى المال والرجال لتنقيب كامل. واذ لم يحدث شيء لبعض الوقت عزما على العمل سراً.

وظّف الهاويان اليافعان ٢٣ ألف مارك ونحو ١٣ ألف ساعة من العمل الشاق، لكن المردود جاء مجزياً على نحو باهر، اذ سحبا أكثر من ٦٠ حجراً محفوراً ومنقوشاً بعناية وتفصيل، وأربعة تماثيل كاملة. وفي العام ١٩٦٧ أذاعا النبأ. وبعد ثلاث سنوات باعا الكنوز من المتحف الروماني - الجرماني بمبلغ ٥٠٠ ألف مارك (٢٨٥ ألف دولار). وقد أعفيا من مخالفتهما الحظر نظراً الى عظم انجازهما.

التنقيب غير المشروع هو ما يدفع علماء الآثار المحترفين الى نعت التيار السائد للهواة بـ"الوباء." وبحسب قول هانز غيرد هلنكمبر مدير المتحف الروماني - الجرماني: "قلائل من الهواة ينقبون في سبيل متعة الاكتشاف أو يحدوهم اهتمام بالتاريخ والفن. فالجيل الجديد من صيادي الكنوز لا هم له سوى القيمة التجارية للآثار."

وكثيراً ما يتوافد لصوص القبور مجموعات في الليل وفي عطل نهاية الاسبوع مزودين رفوشاً ومذاري. يتوجهون الى مواقع الحفر غير المحروسة ويفتشون عن كنوز يبيعونها من حوانيت الفن والقطع القديمة. ويشتبه في أن بعضهم يعمل لحساب تجار الآثار. يقول بيل: "المسألة أخطر من فقدان قطعة أثرية عتيقة، اذ يُقضى على معلومات قيمة حين يسلب المنقبون غير الشرعيين المواقع."

هواة ينبشون كنوز المانيا

توريكولا! – في سبيل حماية الحفريات ينظم علماء الآثار الحكوميون دوريات جوّالة في الليل وفي نهاية الأسبوع، ويعمدون أحياناً الى تركيب أجهزة مراقبة الكترونية. ولسوء الحظ قلّما يقبض على السلّاب. ونادراً ما يمثلون للمحاكمة أو يحكم عليهم. يقول كورت ڤنكلمن النقيب في شرطة كولونيا: "اذا ما صدر حكم بالتجريم فيتوجب على اللص دفع غرامة من ألفي مارك. غير أنه قد يقبض ٥٠ ألف مارك في مقابل الآثار التي يعثر عليها."

والمشكلة الاعسر تكمن في صيادي الكنوز الذين يستعملون معدات كشف الكترونية. وفي بعض مناطق ألمانيا الغربية يطوف أعضاء نوادي التنقيب في الارياف أيام عطل نهاية الاسبوع مزودين أجهزة تطلق أصواتاً مميزة كلما حددت موضع أحد المعادن. ثم يغدو الحفر أهوج. وفي هذا يقول الاستاذ يواخيم رايخشتاين رئيس وكالة شلزڤيغ – هولشتاين الحكومية لأبحاث فترة ما قبل التاريخ وبواكيره: "بعد مسح كهذا في نهاية الأسبوع تبدو البقعة كأنما جحافل الخلد قد غزتها. وبالطبع فان أي أثر قيّم يقضى عليه."

ويتطلب استعمال الآلات الكاشفة إذناً في معظم ولايات ألمانيا الغربية. وقوانين كشف الآثار متباينة، ولكن ينبغي تسجيل أي اكتشاف فوراً في المكتب المحلي التابع لوكالة صون الآثار التاريخية التذكارية. وجميع الولايات الالمانية، الا واحدة، تخوّل من يعثر على أثر الحصول على نصف قيمته، ويكون النصف الآخر من حق صاحب العقار حيث وجد الأثر. وتحدد الاسعار في السوق العالمية للفن القيمة التجارية لكل قطعة أثرية.

والمكافأة في الغالب مثار خلاف. فإذا ما شعر مكتشف الأثر بأن المبلغ المدفوع غير كاف، فانه لا يبلّغ عن جميع الكنوز. وثمة مكافأة بقيمة ١،٨ مليون مارك (نحو مليون دولار) دفعت لبستاني في ڤيسنبورغ في بافاريا استخرج من فناء داره عام ١٩٧٩ أحد أكبر الكنوز الرومانية المحفوظة، وبينها تماثيل برونزية صغيرة ولوحات فضية وكراسٍ تطوى، مما دفع البافاريين الى الاحتجاج بأن القطع جزء من التراث العام وليست ملكية خاصة.

نقش باللاتينية على آلة ميسر (قمار) رومانية: "إلعبْ بلا همّ، وتمتع بنصيبك من الدنيا." وقد استخرج الآلة مزارع في قرية فتڤايس – فرويتسهايم على الراين عام ١٩٨٣. أما الآلة البرونزية التي لا نظير لها فتعرض اليوم في متحف راينلند في بون. ويبلغ ارتفاعها ٢٣ سنتيمتراً وعرضها ١٠ سنتيمترات، وتدعى "توريكولا." وطريقة استعمالها بسيطة: يسقط اللاعب النرد من أعلاها، فيتدحرج عبر حواجز من البرونز منحدراً الى درجات يبلغ بعدها رقعة اللعب.

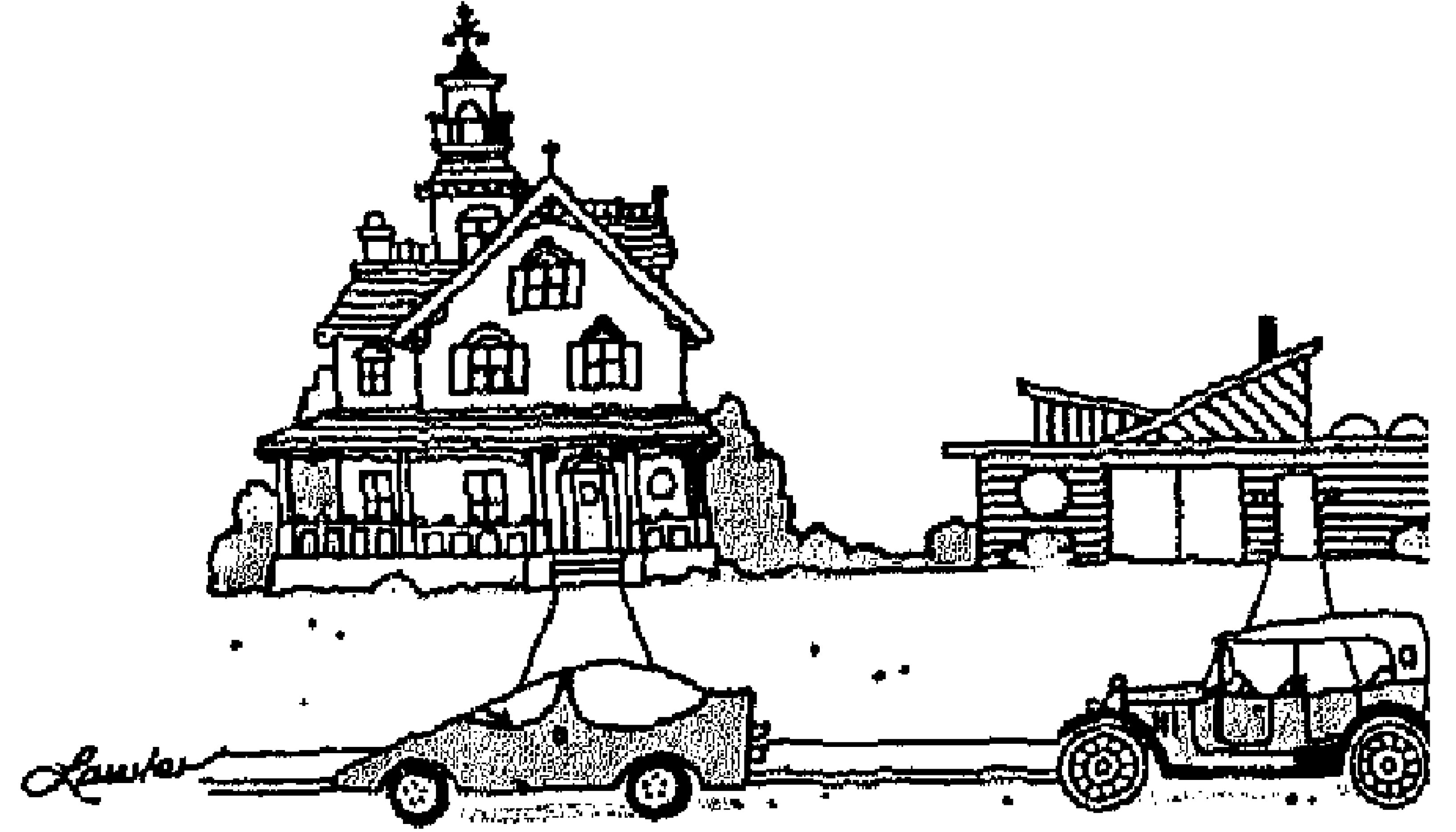
ما كنا لنشهد هذه الذرة الاثرية لو لم تقدنا اليها عين يقظى لعالم آثار هاو.

جون دورنبرغ

الامتثالي هو عبد بارادته.

ر.ج.

تأملات معاصرة



الاعراس

تحمل حفلات الزواج الى أهل العروسين معاني وايحاءات قد لا يدركها هذان. لماذا؟ ليس فقط لان الوالدين شاهدوا أعراساً أكثر وألفوا هذا النوع من الاحتفالات، بل أيضاً لانهم يعون ما يحمله الحدث من حقائق وما يشير اليه من سلطان. وفي أفراحهم وأتراحهم ظلت ذكرى زواجهم ماثلة أمامهم. فهم يعرفون اذاً ما الزواج، بكل مغازيه السامية والمثيرة.

و. ب. ه.

ليلة في الطبيعة

دعيت مرة في ليلة رأس السنة الى حفلة في مزرعة فوق تلة تشرف على قرية صغيرة. عند منتصف الليل توقف تساقط الثلوج وسطع البدر فوق البساط الابيض فيما سجل ميزان الحرارة في الخارج ١٨ درجة مئوية تحت الصفر.

وخرج جميع من في الحفلة ليتأملوا الثلج الناصع. وساد في الجوار صمت مطبق خُيّل معه الى الحاضرين أن العالم فارغ وطاهر وجديد. فلا نأمة تسمع في المكان، لا هدير سيارة ولا حتى عواء كلب. ولم يكشف ضوء القمر ما يلوث نقاء الطبيعة. غير أن هناك أناساً يعيشون في القرية، ولا بد من أن يكونوا رموا زجاجات فارغة وغسالات وبرادات عتيقة قريباً من هنا، لكن الثلج غطّاها حتى لكأنها لم تكن.

إنْ يخرج المرء الى العراء في ليلة كهذه يكتشف تلك الروعة التي يقول الناس المعاصرون انهم فقدوا القدرة على اختبارها لكنهم في الواقع كفوا عن تلمسها في الامكنة المناسبة.

ن. ب.

النفس الاخير

حين أكون في المستشفى مع مريض يحتضر يغلب علي وزملائي المزاح. أما العاملون الآخرون في الرواق فيعتقدون أننا نتجاهل الحقيقة. ولكن يجب أن ندرك ان الناس ليسوا "عائشين" أو "مائتين"، انهم اما أحياء واما أموات. فما داموا قيد الحياة فعلينا أن نعاملهم كأحياء. ولهذا السبب أجد كلمة "مميت" مضيمة الى حد كبير. انها تعني أننا بدأنا اعتبار ذلك الشخص كأنه مات فعلا ولم يعد قادراً على الضحك او الفرح.

الدكتورة برني سيغل



ديفيد كوك.

«شادو» لعبة طائرة

صُمّمت الطائرة الصغيرة في غرفة الجلوس وبنيت في قبو المنزل وحلقت الى ذروة النجاح

كان المهندس البريطاني ديفيد كوك في الحادية والأربعين من عمره عندما فصل من عمله، فعزم على إعادة بناء حياته. جثا في غرفة الجلوس وفرش صحائف ورق على السجاد وبدأ يرسم طائرة. في ذهنه تلمع رؤيا: آلة في منتهى الخفة، سلسة القيادة، ممتعة في أثناء الطيران ورخيصة بحيث تصلح لجميع خدمات الطيران في بلدان العالم الثالث.

خلال أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ انهمك كوك كلياً في عمله فيما زوجته كاترين وولداه جاكوب (٩ سنوات آنذاك) وكلوي (٧ سنوات) يروحون ويجيئون بهدوء حوله. أخيراً نهض عن الارض وقد تشنجت رجلاه وأنجز رسم نموذج أولي لـ "شادو"(١). لا زيادة غير ضرورية في الوزن، وفي تركيبها الداخلي عامل أمان تحقق بالتواء بارع في الجناح.

صنعت الطائرة المبتكرة الصغيرة في

(١) Shadow أي الظل.

Photos: Julian Nieman



ثلاثة حوانيت في مقاطعة سافوك شرق بريطانيا، وجرى اختبارها في مطار بارهام المحلي حيث اجتذبت جمعاً كبيراً من المعجبين، بينهم الطيارة إيف جاكسون التي قطعت العام الماضي ١٩ ألف كيلومتر الى أوستراليا على متن "شادو" اطلقت عليها اسم "غيرتي." وقد تغنت شعرياً في وصف الحرية التي تمتعت بها وهي تقود طائرة "أعظم من الثروة."

مصنع منزلي - لدى تصميمه طائرة "شادو" اجتمع لديفيد كوك، الى حذقه كمهندس في مصانع ريتشارد غاريت في ليستون قبل أن تقفل في العام ١٩٨٠ وترمي به وبستمئة آخرين في الشارع، خبرة واسعة في حقل الطائرات الخفيفة.

ظل كوك لسنوات طويلة منهمكاً في اختبار الطائرات المنزلقة(٢). وقد رمى

(٢) الطائرة المنزلقة (glider) جسم مجنَّح يتعلق به الهاوي ويرتمي من مكان عالٍ فيحلق لفترة ثم يهبط.

بنفسه مرة عن الاجراف القليلة الارتفاع في تورينيس في سافوك ممتطياً الرياح التي تهب من بحر الشمال. وجهز طائرة منزلقة بمحرك وأخذ يركض لاهثاً عدة كيلومترات من دون أن يتمكن من الاقلاع، الى أن حصل على القوة الدافعة الضرورية للتحليق بوساطة جهاز للدفع صممه وصنعه بيديه. وفي العام ١٩٧٨ نال ميدالية "نادي الطيران الملكي" البرونزية لمآثر الملاحة الجوية لقطعه بحر المانش جواً بأقل مقدار ممكن من الطاقة، وذلك على متن منزلقة أمريكية من طراز "فولمير جنسن" مجهزة بمحرك قوته تسعة أحصنة.

ان منزل كوك في ألدرينغهام بسافوك غير عادي، يتألف من حافلة قطار قديمة مرفوعة على قوائم طويلة، وبين القوائم فسحة أرضية تشكل القبو حيث عمل كوك بمساعدة ستيف إمرسون، الذي كان رسامه في معامل غاريت، على بناء نموذجي "شادو" الاول والثاني. وعندما وصف احد المهندسين كوك بـ "العبقري" لجعله القياس بين روابط الاجنحة في حدود ٢،٥ مليمتر دون حد الكمال المطلوب لمقاومة الضغط، اعتذر هذا عن عدم قبول الاطراء معترفاً: "كان يقتضي أن يكون العرض بهذا القياس لكي يتيسّر اخراج الطائرة من باب القبو."

كان يسكن في المحلة رجلا أعمال متقاعدان هما دنيس بريت وجورج أيرلند، فوثقا بكوك ومداه بالمال لانشاء شركة تعنى بتطوير الطائرة. وعملت زوجته كاترين مدرِّسة وتعلمت تسجيل تكاليف "شادو" وحافظت على هدوئها حين كانت غرفة الجلوس ترتج بفعل أصوات المحركات التي تخضع للتجارب في الطبقة الارضية. وتتذكر: "كانوا يستخدمون ميزان المطبخ لوزن أجزاء الطائرة وسكين الخبز لقطع الاسفنج. وقبل أن أباشر كيّ الملابس كان علي أن أحف طلاء الطائرة عن المكواة."

اختبارات - ذات يوم مشرق من العام ١٩٨٢ صعد كوك الى النموذج "٠٠١" الاولي، واقلع على مدرج مهجور في قاعدة مهجورة لسلاح الجو الامريكي. وكان يطير بحذر وعلى مهل ولا يرتفع عن المدرج أكثر من ٣٠ سنتيمتراً.

حملت هذه التجربة، وتلك الاكثر طموحاً التي تلتها، أنباء سارة وأخرى سيئة: لقد كان التصميم صحيحاً، لكنّ الاسراف في استخدام مواد بلاستيكية خفيفة جعل الطائرة قابلة للانثناء جداً.

لذلك برزت "شادو ٠٠٢" المصنوعة من الخشب المضغوط ومزيج الالمنيوم الاكثر متانة من المواد البلاستيكية. وقد شهدت كاترين في هذه المرحلة بصبر وطول أناة اعادة استخدام أدواتها المطبخية في صنع الطائرة الجديدة.

في مارس (آذار) ١٩٨٣ أصبح كوك جاهزاً ليجري اختباراً لطائرته الجديدة. وحالما حلق بالنموذج "٠٠٣" أدرك أنه توصل الى تحقيق هدفه وحصل على ضالته المنشودة. لقد كان بين يديه ما يعتبر الى حد بعيد أفضل طائرة من النوع الخفيف جداً (دون ١٥٠ كيلوغراماً) وهي تضاهي من جميع النواحي، ما عدا الوزن، كثيراً من الطائرات الخفيفة التامة

التجهيز، وتؤمّن، مثل طائرة منزلقة، بهجة للنفس في التحليق. ومنذ ذلك الوقت قام بأكثر من ٨٠٠ رحلة في "شادو ٠٠٢" التي أصبحت طائرته الخاصة، وارتفع بها مرة الى علو ٣٣٥٠ متراً وهو أعلى رقم تجرأ على بلوغه بلا أوكسيجين، وقال: "لقد شعرت بفخر."

وقد حظي بلحظة أكثر افتخاراً حين تولى طيار اختباري مستقل يدعى بيتر ديفيس اختبار الطائرة وأطلق لها العنان. وأظهر تسجيل فيديو للاختبار استقرار الطائرة الرائع وهي تظهر واقفة على ذيلها مثل حيوان كنغر وتكاد تكون بلا حراك، فلا تنهار ولا تسقط مدوِّمة - وهاتان ضرورتان ملحّتـان في حقل الطيران.

رحلة لعبتين - ذهبت مع كوك ذات صباح الى مدرج بارهام المتشقق حيث أخرجنا "شادو ٠٤٠" المعدّة للعرض، من العربة المقطورة وجمعناها بعضها الى بعض. واستغرقت هذه المهمة التي قمنا بها نحن الاثنين، عشر دقائق فقط: كل ما فعلناه هو تثبيت كل جانب بأربعة مسامير مصوملة لربط الاجنحة والقوائم، وشبك المسامير بأربعة دبابيس أمان.

بدا هيكل الطائرة نحيلاً منسجماً كسيارة سباق. فقد وقفت ثابتة على عجلتين للهبوط وعجلة في المقدم، وجناحها الاعلى منسجم مع سطح ركن الطيـار الخلفي، وقد ركب المحـرك "روتاكس" الثنائي الدورة وقوته ٤٠ حصاناً الى الوراء لادارة المروحة الدافعة. وامتد أنبوب من الالمنيوم الى الوراء كرافعة لامساك سطح الذيل الافقي والدفة.

جلس كوك في الركن الامامي وجلست أنا في المقعد الخلفي. كان الاقلاع مجرد اندفاع قصير متسارع حلقت بعـده الطائرة بهدوء تام كدنا لا نشعر به. وفي وجود القائد وحده تستطيع "شادو" الاقلاع عن مدرج طوله حوالى ٢٠ متراً. واذا أوقف المحرك على ارتفاع ١٥٠٠ متر تتحول الطائرة آنذاك منزلقة تسبح محمولة على الهواء مسافة ٢١ كيلومتراً قبل الهبوط الى الارض.

وعرض كوك ميزة أخرى من ميزات "شادو" هي قدرتها الاستثنائية على المناورة، وقال: "لنفترض أنك ترغب في مراقبة احدى البنايات"، وأمال الطائرة بقوة حتى أصبح الجناح الايمن موجهاً الى برج المراقبة في المطار. وفيما كنا ندور حوله كان الجناح الموجه يكاد يلامس جدران البناء - مروراً بالباب الامامي... الى الباب الخلفي... ثم الباب الامامي... قال كوك: "في وسعنا مواصلة هذه المناورة ساعة كاملة."

لدى هبوطنا تكلمت مع روي سيرز وبريان هيل، وهما زبونان قدما من ستافوردشاير بطائرة "شادو" اشتراها سيرز في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦، لطلاء خدوش فيها. قال سيرز، وهو مدير شركة تلفزيونات: "طرت وبريان في عطلة خلال السنة الماضية الى كورنول. فذهبت زوجتانا في السيارة وطرنا نحن في لعبتينا."

عجوز هارب - لا يمكن صنع أي طائرة

وعرضها للبيع في بريطانيا ما لم تحظ بموافقة سلطات الطيران المدني. وقد اقتضى الحصول على موافقة هذه السلطات أشهراً مضنية من الاحباط مما دفع كوك الى القول: "كدت أتداعى منهاراً تحت وطأة الضغط."

ولكي يفي كوك بشروط سلطات الطيران بشأن قوة "شادو" كان عليه أن يرفعها ثم يتركها تسقط الى الارض. وفي اختبار آخر كان على كوك وامرسون أن يأخذا الطائرة الى مخزن مزارع ويكدسا أكياس ذرة على الجناحين تعادل ثقل ثلاث سيارات "أوستن ميني"، على حد قول إمرسون. أما أسوأ ما في الامر فكان المعاملات الكتابية. قال كوك ساخطاً: "لن نحصل على الموافقة الا متى زاد وزن أوراق المعاملات على وزن الطائرة." في هذه الاثناء بدأت المبيعات الى الخارج فيما ظل بيع "شادو" متعذراً في بريطانيا.

عند هذا الحد تقدم الكولونيل المتقاعد مايك بلومان عارضاً مساعدته. وكان شاهد "شادو" في أحد معارض الطيران وأدرك امكاناتها. فقال له كوك: "قد قُبلت مشكوراً."

أراح بلومان كوك من الشؤون الادارية مستعيناً بخبرته في الجيش للتعامل مع سلطات الطيران المدني. ويتذكر إمرسون: "أخيراً، في أثناء تناول القهوة ذات صباح، دخل ديفيد وأعلن مرحا أننا حصلنا على الموافقة."

واليوم تستخدم شركة "فاكس المحدودة للمعادن" في مصانعها لـ"آلات كوك الطائرة"، ١٥ عاملاً يرئسهم ستيف إمرسون (٣١ سنة) كمنسق للانتاج. ومن ستة أوفدهم "برنامج تدريب الشبيبة" أصبح الآن ثلاثة كاملي التمرين. وكلما اكتمل صنع طائرة "شادو" جديدة وتم اختبارها في الطيران، يحلق واحد منهم فيها. يقول امرسون: "ان هذا يساعد على ضمان البراعة الكاملة في العمل."

يروّج كوك لبيع "شادو" بالتحليق في طائرة "٢٠٠" في العروض التنافسية في بريطانيا والخارج. وعام ١٩٨٦ فاز بمعية صديقه الربّان ديفيد سوتويل في المسابقة الدولية "من الفجر الى الغسق" التي نظمها نادي "تايغر" من ريدهيل. فقد تفوقا على طائرات ذات محركين وعلى مروحيات، وطارا ٩٢٧ كيلومتراً في يوم طويل من يونيو (حزيران)، وزارا ٦٧ قاعدة عسكرية امريكية بنيت خلال الحرب العالمية الثانية.

لكنّ أعظم اللحظات فخراً في حياة كوك كانت في أغسطس (آب) ١٩٨٧ عندما طلبت منه الشرطة المحلية مساعدتها على العثور على عجوز في الخامسة والثمانين مضى يومان على اختفائه. وبعد تحليق ٢٠ دقيقة شاهد كوك الرجل راقداً بين نبات الوزّال بحيث لا يراه رجال الشرطة الباحثون في الجوار. فحوّم فوقه ودلّهم على مكانه.

مبيدة الجراد – يبلغ انتاج طائرات "شادو" أربعاً في الشهر حالياً. وقد بيع منها أكثر من ٨٠ طائرة، نصفها جاهز، بمبلغ يراوح بين ١٢٩٠٠ و١٣٥٥٠ جنيهاً استرلينياً، والنصف الآخر كأجزاء معبأة في صناديق.

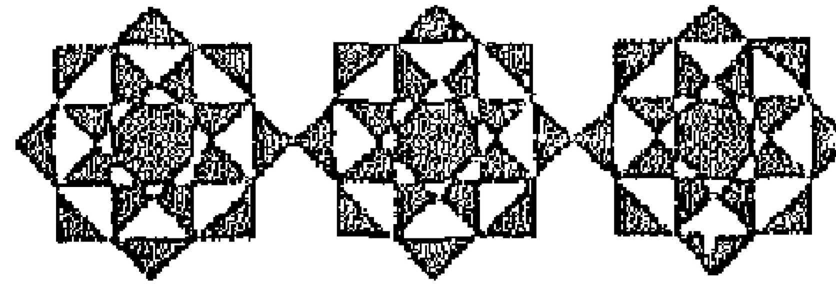
في الطيران السوي تبلغ سرعة "شادو" ١٥٠ كيلومتراً في الساعة. ويبلغ ثمن الوقود الذي تستهلكه في التطواف بسرعة ١٠٥ كيلومترات في الساعة أقل من خمسة جنيهات استرلينية في الساعة. والمالكون الذين يؤمّنون خدمة الطائرات بأنفسهم قد لا تتعدى كلفة نفقاتهم العامة عشرة جنيهات استرلينية في الساعة.

ومع أن قوانين سلطات الطيران المدني تسمح لـ"شادو" بالطيران في رحلات ترفيهية، فقد تعمل أيضاً كآلة اقتصادية. يقول معلم الطيران في يوركشاير بريان غودّن الذي يتقاضى ٣٩ جنيهاً استرلينياً لتعليم ساعة واحدة في طائرة "شادو" مزدوجة القيادة يقابلها ٦٠ جنيهاً في الساعة للتعليم في طائرة خفيفة عادية: "انها متميزة بصفتها طائرة تدريب، آمنة ويسهل التكهّن بردود فعلها." وتستخدم شركة "تارغت تكنولوجي" في كنت التي تصنع لوزارة الدفاع أهدافاً طائرة تضبط من بعد، طائرة "شادو" لاختبار التجهيزات الالكترونية.

وفي خارج بريطانيا، حيث أنظمة الطيران أقل تشدداً، أثبتت "شادو" أنها مثالية في مراقبة خطوط الانابيب والبحث عن الناس الذين تدهمهم المصاعب والكشف عن الحرائق في الغابات. وبابدال العجلات بعوامات أقلع نروجي باحدى هذه الطائرات من بحيرة. وفي اليمن تستخدم "شادو" حاليا لرسم سجل فوتوغرافي للمحاصيل لحساب منظمة هولندية. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٧ قبل الامير فيليب زوج الملكة اليزابيث، بصفته رئيس "الصندوق العالمي لتمويل الحياة البرية"، طائرة "شادو" طار بها المسؤولون الى زيمبابواي حيث تستخدم في مكافحة سرقة وحيد القرن الأسود من المحمية.

اذا زودت الطائرة خزان وقود اضافياً يغدو في وسعها أن تقطع مسافة ٨٠٠ كيلومتر بسرعة ١١٠ كيلومترات في الساعة. كذلك يمكن وضع وحدة متطورة خاصة برش المبيدات فوق ركن الطيار الخلفي. ويقول كوك: "اذا غزت أسراب الجراد السودان ففي إمكان ٤٠ طائرة "شادو" محمّلة مبيدات أن تقضي عليها بفاعلية أكثر وبتكاليف أقل من طائرة عادية واحدة مخصصة للرش. وهذا ما فكرت فيه منذ البداية."

جون أنيس



حديث جارتين

سأل أبي أمي: مع من كنت تتحدثين على الباب ما يقارب الساعة؟"
فردت: "مع جارتنا أم حسان."
قال أبي: "يبدو أنها كانت مشغولة فلم يتسنَّ لها وقت للدخول."

كنوز



البارون

اقتنى هذ الخبير احدى أهم المجموعات الفنية في العالم، وذلك لغاية سامية أن يشارك الناس في متعتها

جلس "البارون" في سيارته الليموزين الفخمة يقلب صفحات بيان لمزاد علني. وجذبت انتباهه فجأة صورة "تشكيل بالرمادي والأزرق" لموندريان. وهذا في عرف الخبير النهم حب من أول نظرة. فكان لزاماً عليه اقتناء اللوحة. لكنها كانت تباع في لندن تلك الليلة، والبارون مدعو الى العشاء في بيت السفير الامريكي بباريس. لا مشكلة، فقد وصلت الخطوط الهاتفية بين بيت السفير وقاعة المزاد. وانقطع التيار الكهربائي على نحو مفاجىء اثناء المزاد، غير أن البارون استمر في المزايدة. وحين جلس لتناول العشاء كانت ثروته زادت لوحة لموندريان.

البارون هو هانس هاينريك تايسن – بورنيميزا، رجل طويل القامة ناحل أشيب في السابعة والستين من عمره. شكله جذاب وهو مفعم بحب الحياة والفكاهة والفطنة، ثري على نحو لا يصدق بأهوائه ومقتنياته وبدخل شخصي يبلغ بضعة ملايين من الدولارات سنوياً.

ولكن بين كل مقتنيات البارون، القطعة الأنفس هي عينه البصيرة التي ساعدته على اقتناء احدى أهم المجموعات الفنية الخاصة في العالم والتي تصنف في المرتبة الثانية بعد مجموعة ملكة بريطانيا. وتضم مجموعته ١٤٠٠ لوحة تمتد من فترة ما قبل عصر النهضة في اوروبا الى الحاضر، وفيها روائع لرسامين مثل مونيه وموندريان وبيكون وسيزان وبيكاسو ورمبرانت وكارافاغيو.

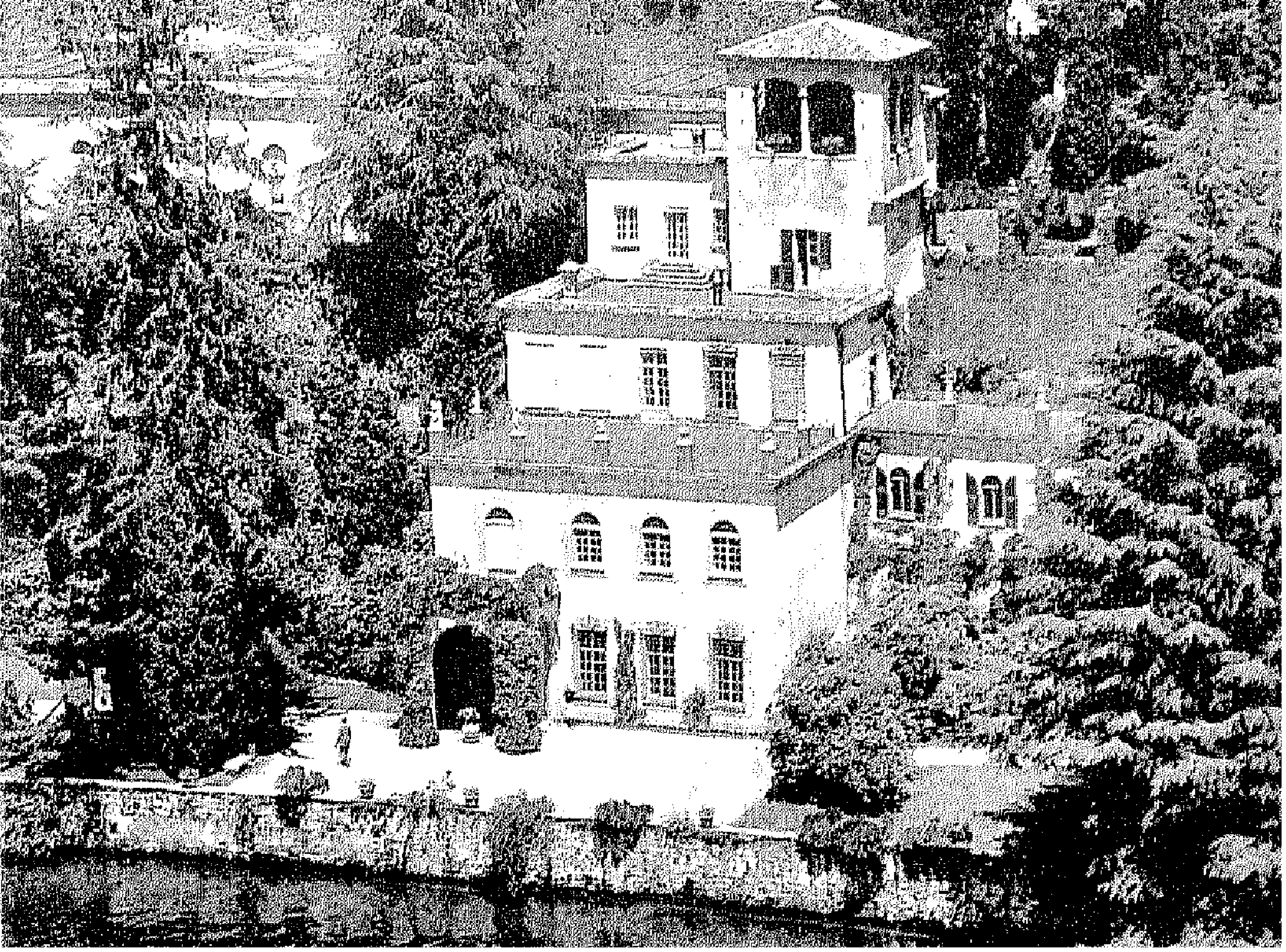
وفي المجموعة أيضاً تماثيل برونز من عصر النهضة وجواهر وأثاث ومجموعات روسية من ثياب الباليه ورسوم وعلب ذهبية ترقى الى القرن الثامن عشر، تضاف اليها احدى أروع المجموعات الاوروبية من السجاد الشرقي. ويقول ج. كارتر براون مدير "المعرض الوطني للفنون" في واشنطن: "المجموعة مذهلة. ان تايسن يجلس على منجم للملك سليمان الحكيم."

معظم قطع مجموعة البارون البديعة تزدحم في الحجرات الفخمة في قصره "دايلزفورد" الذي يعود الى القرن الثامن عشر والكائن في غلوسترشاير ببريطانيا، وفي منازله في لندن واسبانيا وجامايكا. لكن المقر غير المنازَع لمجموعة تايسن هو "لا فافوريتا"، وهو دارة فخمة ترقى الى القرن السابع عشر وتقع على ضفة بحيرة لوغانو في سويسرا.

وقد الحق بالدارة معرض مؤلف من ٣٠ غرفة علق فيها بين ٣٠٠ و٣٥٠ تحفة، وهي مفتوحة للجمهور الراغب في زيارتها. اذ ان تايسن الذي أمضى حياته وهو يكنز مجموعة خاصة بالغة الروعة، يصر على أن تكون مجموعته في متناول الجميع.

مبادلة مع السوفييت – خلال أكثر من ٢٥ عاماً كانت معظم لوحات تايسن معارة الى المعارض الموقتة في المتاحف الكبرى حول العالم. وقد أقام "متحف الفن الحديث" في باريس عرضين منفصلين للروائع الحديثة التي يملكها تايسن. وفي العام ١٩٨٣ عرضت ١١٣ لوحة من تحفه الامريكية في متحف الفاتيكان. وفي ربيع ١٩٨٨ عرض ما يربو على خمسين تحفة من روائعه القديمة في "المعهد الملكي للفنون" في لندن. وعرضت مختارات أخرى في ألمانيا الغربية وايطاليا واسبانيا والمجر (هنغاريا) والولايات المتحدة وأوستراليا ونيوزيلندة واليابان.

وخلال السنوات الخمس الماضية نظم تايسن ثلاث مبادلات فنية مع الاتحاد السوفييتي، وبذلك يكون أول شخص أو بلد أو متحف يقوم بهذا العمل. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أرسل السوفييت ٤٠ لوحة من المرحلة الانطباعية وما بعد الانطباعية من متحفي "إرميتاج" و"بوشكين" الى "لا فافوريتا" في مقابل



"لا فافوريتا" دار تايسن من القرن السابع عشر، وهي حالياً مقر مجموعته.

٤٠ تحفة قديمة من مجموعة تايسن.

وكادت المبادلة ألا تتم. فقبل الموعد المقرر لافتتاح المعرض في "لا فافوريتا" أعلن السوفييت أن ليست ثمة طائرات تنقل لوحاتهم الى سويسرا. فبعث البارون برسالة تلكس فورية: "نأسف لان الأمور لا تجري كما خطط لها. واني لن أرسل أياً من لوحاتي أيضاً." وفي غضون ٢٤ ساعة كانت الطائرات السوفييتية تنقل اللوحات، وافتتح المعرض في لوغانو في الموعد المضروب لجمهور غفير ملأ الصالات. وقوبل افتتاح معرض لوحات تايسن بحفاوة مشابهة في موسكو ومن ثم في لينينغراد وكييف.

يقول تايسن: "في الاتحاد السوفييتي أمَّ المعرض مليون شخص دفع كل منهم ثلاثة روبلات، أي ما ما يعادل ايجار منزل لمدة أسبوعين، ليشاهدوا لوحاتي في المبادلة الثالثة خريف ١٩٨٧، وفيهم تعطش مزمن لا يشفى غليله لرؤية الأشياء الواردة من الغرب. واني في موضع يمكنني أن أخدم في هذا المجال، ولذا فاني مستمر."

بصيرة نافذة – ولد هانس هاينريك تايسن – بورنيميزا (ويدعوه أصدقاؤه هايني) في لاهاي بهولندا عام ١٩٢١. أمه مارغت ابنة بارون مجري يدعى بورنيميزا منح صهره وسلالته حقاً في لقب التشريف الذي يحملـه. وأبوه هاينريك ابن أحد أقطاب صناعة الفولاذ، جمع ثروته الخاصة من إرث مختلط من مناجم الفحم وشركات الهندسة. انتقل عام ١٩٣٢ الى سويسرا حيث اشترى دارة

"لا فافوريتا" وشاد من بعد صالة العرض ليؤوي فيها مجموعته المتنامية من اللوحات والروائع القديمة.

وكان هايني الصغير نادراً ما يرى أباه. انه أصغر أخوته الأربعة، وقد نشأ على يدي مربية ألمانية في هولندا. عام ١٩٣٩ قلق هاينريك من مطامح هتلر فاستقدم ابنه الى سويسرا. هناك درس هايني الحقوق والاقتصاد وتاريخ الفن في جامعة فريبور. وبعد سنوات أصبح مواطناً سويسرياً.

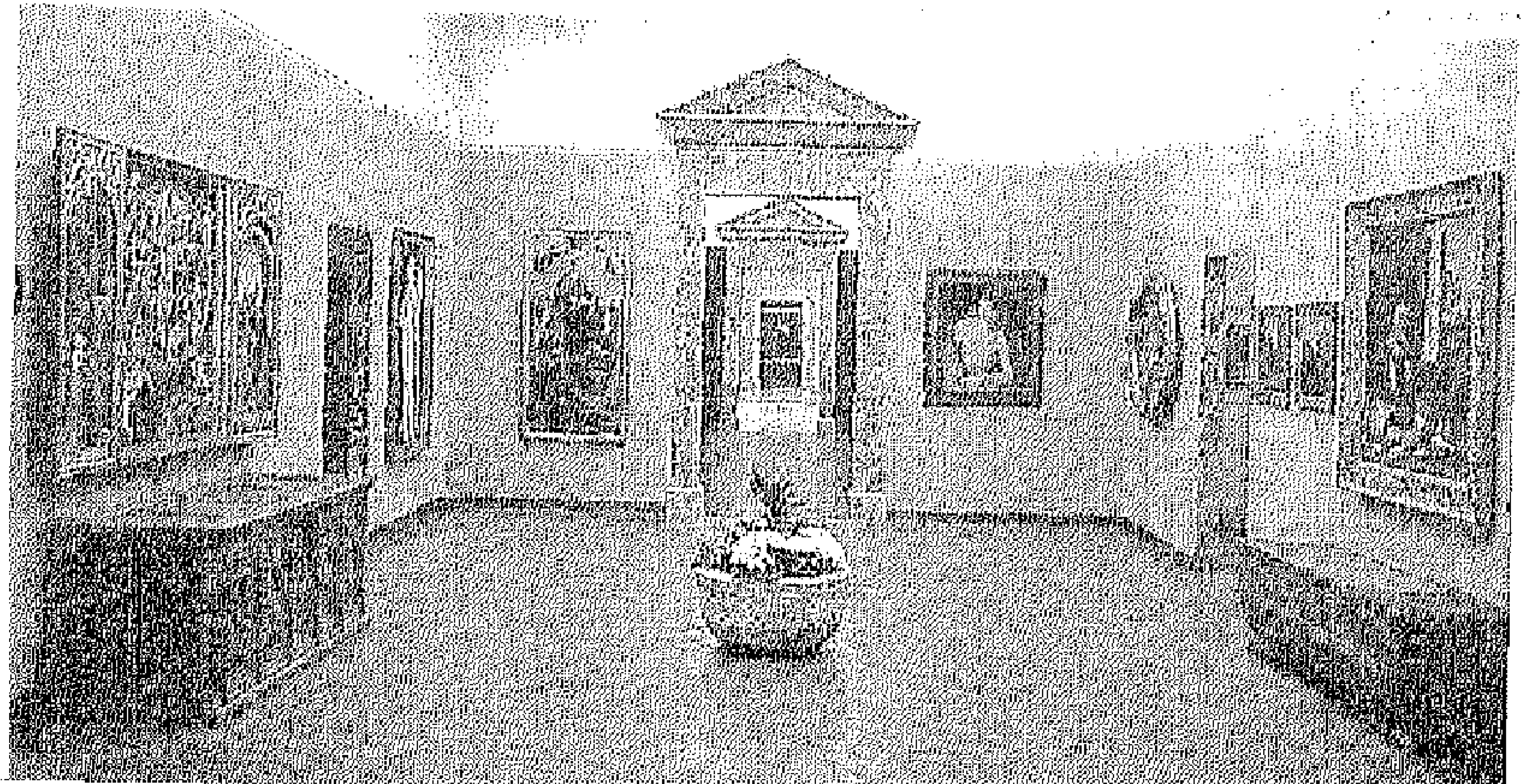
وكان هايني يتردد الى "لا فافوريتا." ويقول: "وسط القارة الأوروبية التي مزقتها الحرب كانت لا فافوريتا المكان السلمي الوحيد." وفي وداعة هذه الضيعة الفاتنة، تحوطه مجموعة أبيه الفنية، نشأت علاقة حب بينه وبين الفن.

ولدى وفاة أبيه عام ١٩٤٧ أقحم فجأة ومن دون خبرة تجارية، في إدارة تكتل من الشركات الخربة والمثقلة بالديون. لقد دمرت الحرب امبراطورية هاينريك، وما لم تقض عليه الحرب صادرته قوات الحلفاء. شرع الشاب ذو الستة والعشرين ربيعاً في اعادة بناء مؤسسة العائلة، عاملاً على استعادة ممتلكاتها في أوروبا وأمريكا. ويتذكر: "كانت محنة قاسية آنذاك، لكنها شائقة مسلية."

ومع أن والد هايني أوصى ببقاء المجموعة الفنية كاملة إلا أن أخاه وشقيقتيه عارضوا الوصية. أخيراً آلت اليه "لا فافوريتا" بالميراث. لكن اللوحات الخمسمئة توزعت على الاقارب. ويقول هايني: "تشتت نصف المجموعة عندما عزمت على عرضها أمام الجمهور. وكان علي أن أجمع لوحات جديدة لسد الثغرات." وغدت لملمة المجموعة مهمة تايسن الشخصية. وهو زعم أنه خلال ثلاث سنوات اشترى لوحات من الولايات المتحدة تزيد في عددها على ما اشترته متاحفها مجتمعة.

ويقول متذكراً: "آنذاك كانت معرفتي بالفن ضئيلة. ولكن كان لدي نوع من الحدس أو البصيرة. فما ان أشاهد لوحة تروقني حتى أخالها معلقة في الصالة لدي. كنت لا أعلم من رسمها، بل أشعر بتوق اليها فحسب."

قرارات حاسمة – توسع هايني في مجموعته مضيفاً اليها ببطء. وقد ابتاع قماشات رسم عليها غويا وفراغونار وغواردي وكاناليتو ومعلمون أخر قدماء. وثابر على توسيع أعماله التجارية


Thyssen - Bornemiza Foundation, Lugano, Switzerland

صالة العرض في "لا فافوريتا" يؤمها الجمهور.

سواء بسواء. واليوم تنتشر المؤسسات التابعة لمجموعة تايسن - بورنيميزا في أرجاء المعمورة في ميادين أنظمة الاتصال والاعلام والطاقة والنقل والالكترونيات وصناعة المعادن والمضخات والأنابيب، وأنظمة الزراعة المبرمجة بالدماغ الالكتروني.

في منتصف الستينات بات تايسن على اقتناع بوجود فنانين حقيقيين في القرن العشرين، فشرع في تفهم الفن الحديث، بدءاً بالتعبيريين الالمان. ثم انجذب الى الرسامين الاكثر تجريداً أمثال كاندنسكي والرواد السوفييت، اضافة الى التكعيبية والسوريالية وسواهما من المذاهب المعاصرة في الفن. تقول سيمون دو بوري القيمة على مجموعة تايسن منذ سبع سنوات والمشرفة على مجموعة "سوثبي" في أوروبا اليوم: "انه يشتري يوماً تمثالاً من العاج يرقى الى القرون الوسطى، ويبتاع أحد أعمال جاكسون بولوك في اليوم التالي."

في زعم تايسن أنه يعقد العزم كل ليلة من ليالي رأس السنة على الامتناع عن الشراء، لكنه ينكث قراره في الأول من يناير (كانون الثاني). وفي قوله: "اللوحة كالمرأة الجميلة، ما ان يلمحها الانسان حتى يشعر بقلبه ينبض اشتياقاً ويود أن يمتلكها، فيطاردها، ولا يحول دون هدفه حائل."

عام ١٩٨٣، حسبما تروي دو بوري، أعاد تايسن تسع لوحات لغوغان استعارها من السوفييت وكانت معلقة في حجرة الجلوس في "لا فافوريتا." كان الامر محزناً. ومن حسن الحظ أن إحدى لوحات غوغان عرضت في مزاد في نيويورك في ١٥ مايو (أيار) من السنة التالية. واذ عرضت اللوحة ذلك المساء كان تايسن يزايد عليها عبر الهاتف من غرفة في أحد فنادق طوكيو. وقد اشتراها بمبلغ ٣،٨٥ ملايين دولار وهو أكبر مبلغ دفع أبدا لاحدى لوحات غوغان.

محظيات - على رغم اهتمام تايسن بالفن فانه يحاذر صداقة الفنانين المعاصرين. والاستثناء الكبير هو الرسام البريطاني لوسيان فرويد. فقد جلس تايسن أمامه ليرسمه في لوحتين، وتضاربت الآراء حول احداهما. تقول دو بوري: "انها تحفة بالغة الاذهال، لكن البارون الوسيم في الحياة يغدو في اللوحة بشعاً." وقد أبدت تيتا زوجة تايسن ومعظم أقاربه وأصحابه اشمئزازهم من اللوحة. واذ يرد ذكرها يتنازعون حولها بمرارة. لكن تايسن يهوى اثارة الموضوع، فالخلاف يسليه أيّما سلوى.

وثمة أمور أخرى تسليه. تقول دو بوري: "لديه حس بالغ بالفكاهة." كان في اجتماع عمل ممل، فاستدار نابحاً أمام أحد زملائه. ويذكر الزميل ذلك قائلا: "لم يكن نباحاً بسيطاً، بل عواءً. كان تايسن يبحث عن مخرج، فنزلت الى الارض جاثياً على يديّ وركبتيّ وشرعت أنبح رداً عليه. وقد أخرجنا ذلك من الاجتماع. وكنا نعمد الى ذلك كلما واجهنا موقفاً مماثلا."

إن الحياة مع تايسن هي كالعيش في بلاط الملوك. فمساكنه تغص بالمشاهير

كالأميرة مارغريت ودوق ودوقة مارلبورو ومالك السفن ستافروس نياركوس.

وثمة لوحات تنال حظوة لديه، مثل "الفارس الفتي" لكارباتشيو فنان البندقية، وأخرى مذهلة من عصر النهضة تظهر حسناء فلورنسية للرسام غيرلندايو، وهي اللوحة الوحيدة التي لم يعرها تايسن ولن يعيرها أبداً.

هبة الى العالم – مع أن جورج هاينريك، أكبر أبناء تايسن الاربعة، تولى إدارة الأعمال التجارية للأسرة، فان جدول أعمال البارون ما زال يسبب الدوار لكثرة مواعيده. وهو ما زال نشطاً في أعماله، اذ هو في عداد مستشاري معرض سوثبي في لندن وأحد أعضاء مجلس الانماء في "صالة العرض الوطنية" في واشنطن. كما انه مشارك في عدد كبير من المؤسسات الخيرية وأعمال الاحسان. وتزداد لوحاته المعارة وهو يختارها بنفسه أحياناً كثيرة، اضافة الى حضوره معظم حفلات افتتاح المعارض والقيام بدوره كمرشد اجتماعي على أتم وجه.

لكن للنشاط ضريبة. فقبل سنة ونصف سنة أصيب تايسن بسكتة طفيفة في الدماغ (فالج). وأشار عليه الاطباء بالراحة، غير أن مشاغل البارون كثيرة. ففي زيارة حديثة للاتحاد السوفييتي أقر تايسن ورايسا غورباتشيف زوجة الزعيم السوفييتي اتفاقاً جديداً للتبادل الفني بدأ في يونيو (حزيران) ١٩٨٨.

غير أن هم تايسن الذي يفوق كل هم هو مستقبل مجموعته الفنية. فقد ضاقت بها قاعات العرض في "لا فافوريتا" منذ زمن وينبغي ايواؤها في مكان آخر. وقد عرضت اسبانيا دارة "فيلاهيروموسا" التي ترقى الى القرن السادس عشر، وهي قصر في وسط العاصمة مدريد. وقدمت ألمانيا الغربية كبرى قلاعها الباروكية وتدعى "شلوس لودفيغسبرغ" قرب شتوتغارت أو متحفاً جديداً في المدينة. وأعربت مؤسسة "غيتي" في الولايات المتحدة عن رغبة مماثلة. وسويسرا تائقة طبعاً الى ابقاء المجموعة حيث هي.

ويبدو أن اسبانيا هي الأوفر حظاً. ففي ابريل (نيسان) ١٩٨٧ عقد اتفاق مبدئي بين البارون والحكومة الأسبانية لاعارة نحو نصف مجموعته مدة عشر سنين لمؤسسة ستجدد "فيلاهيرموسا" لعرض تلك الأعمال فيها.

في مثل هذه الحال ما على تايسن سوى اعطاء كلمته فتبتّ المسألة. ولئن يحلو له أن يبدو ملكاً بين فينة وأخرى، الا أنه يقدر تمام التقدير النعم التي أفاضها الله عليه. وقد قال مرة: "على الناس أن يتساءلوا لماذا يجمع شخص واحد كل هذه الأعمال الفنية. إن موهبة الفنان عطيته الى العالم. وعيناي هبة من الله، ولا يسعني إلا أن أحاول الافادة من هذه الهبة بأن أتيح لأكبر عدد ممكن من الناس ان يستمتعوا بما جمعت."

بريسيلا باكلي



عامل الطفل كما لو كان الآن الشخص الذي سيكونه غداً. هـ.ج.

من أسرار القادة الناجحين

سواء تسلقت سلم العظمة في حياتك
أو سلكت سيرة عادية، إليك هذه النصائح



١ - أن تكون محبوباً

بينيت سيرف الرئيس السابق لمؤسسة "راندوم هاوس" في مدينة نيويورك كان أحد أشهر الرجال المطلوبين في العالم، علماً أنه لم يكن حسن المنظر ولا خطيباً مفوّهاً ولا صاحب صوت جذاب.

كان بينيت طريف المزاج وذا اهتمام كبير بالآخرين. فبعد تمضية عشر دقائق معه تجد نفسك مستغرقاً في حديث عميق يدور حول شخصك في معظم الاحيان.

وتميز سيرف، أكثر من أي شيء آخر، بكونه جديراً بأن يُحبّ. وأنا، كخبير بالاتصالات ومستشار في وسائل الاعلام، اكتشفت أن الناس إذا أحبوك فانما يصفحون عن كل خطأ يبدر منك. أما إذا لم يحبوك فقد تنجح في كل ما تعمله ولكن ليس هناك من يبالي أو يكترث.

هذا ما أسميه "عامل المحبة." وفي ميدان السياسة فان الاصوات التي "مصدرها المحبة" قد توجّه سير الانتخابات، كذلك في عالم التجارة والاعمال. فالذين سيتولون قيادة الادارات في المستقبل هم نخبة قد يكونون من ذوي العقول الصلبة انما ميزتهم أنهم استحقوا محبة الآخرين. فالقادة، سواء عملوا في ميدان التجارة أو في أمور أخرى

تتعلق بالمواطنية، يحتاجون الى تأدية وظائفهم براحة بال في ميدان تتفتح فيه عيون الناس الناقدة على ما يفعلون، وبطريقتهم يكسبون المستخدمين والمتطوعين ووسائل الاعلام.

ليس من أحد يمكنه أن يخبرك تماماً كيف تصبح جديراً بمحبة الآخرين. فكثير من الناس يبذلون جهدهم ليكونوا من هذه الفئة لكنهم يخفقون. انما من الممكن أن نعيّن بعض الصفات التي يتحلى بها من هو جدير بالمحبة.

التفاؤل هو احدى هذه الصفات. هنالك قول قديم ينصّ على أن "المتشائم يرى صعوبة في كل مناسبة بينما المتفائل يرى مناسبة في كل صعوبة."

ان المتفائلين لا يتورّعون عن طلب المساعدة من الآخرين، فهم يتجاوبون مع الاخفاق، فإذا ما رفض طلبُ أحدهم لوظيفة ما فانه يعمل لاستنباط خطة عمل أخرى. أما في مناسبات كهذه فإن ردود الفعل لدى المتشائمين تختلف كثيراً. فإنهم لدى مواجهتهم صعاباً كهذه يزعمون أنهم عاجزون عن اتيان أي عمل لتغيير تلك الظروف.

عندما تحضر بين أناس يتشكّون دائماً من سوء معاملة الآخرين لهم، فإنك تشعر برغبة في الابتعاد عنهم. أما أولئك الجديرون بالمحبة فلا يرثون لأنفسهم بل يبادرون الى مساعدة الآخرين وينصرفون الى أعمالهم الخاصة ويضحكون بسهولة وخصوصاً على أنفسهم.

صفة اخرى للشخص الجدير بالمحبة هي مقدرته على جعل الآخرين يشعرون بارتياح. ان القادة الذين يتحكمون بعواطفهم يُريحون الآخرين. انهم يتقبلون الناس كما هم فيجعلونهم أكثر انتاجاً.

وفي الطرف المقابل هناك قادة قساة يحاولون أن يستغلوا أفضل ما في الآخرين بعنادهم ولؤمهم. وخبرتي في هذا المجال هي أن بعضاً من هؤلاء القادة يديرون مشاريع مُربحة، إلا أنهم يعانون مشاكل اخلاقية وانسانية مزمنة. ان هؤلاء الاداريين ليعجزون عن كسب دعم مرؤوسيهم وزملائهم لأنهم متعجرفون ويظهرون لهم العداء والخصومة. أجل، انهم فائزون من الوجهة الاكاديمية انما خاسرون على صعيد الاصوات التي تعطاهم بدافع المحبة.

ان الشكوى التي أسمعها كثيراً من المديرين القدامى هي أن مساعديهم متعجرفون. وفي هذا الخصوص قال أحد كبار المديرين مفسّراً: "إن لم يحسّن هؤلاء القادة الشباب مهارات موظفيهم فإنهم سيصرفون حياتهم وهم ينفّرون الآخرين، وهذا عاقبته مشؤومة."

ان كثيراً من الذين فقدوا وظائفهم لم تكن تعوزهم المقدرة. انما بحسب الدراسات التي أجراها بعض مديري التوظيف تبيّن أن السبب يعود الى التضارب في الشخصيات. وقد جاء في مقال عن فن الادارة في نشرة "بوتوم لاين برسونال"(★): "عندما يبلغ الموظف الاداري منتصف طريقه على سلم التدرج والارتقاء، أو يتجاوزه، تبقى مهارته في الاتصال برؤسائه وبعث النشاط في الموظفين هي المقياس الرئيسي لإتمام ارتقائه."

(★) Bottom Line Personal

ان الجديرين بالمحبة لا ينظرون الى أنفسهم أو الى وظائفهم بجدية مفرطة، سواء كان تعاملهم مع جماعات أو أفراد.

وأخيراً، هل أنت ذلك الشخص الذي يُسرُّ الآخرون بحضوره؟ ان الجواب عن هذا السؤال على جانب عظيم من الخطورة بالنسبة الى عملك وحياتك.

روجر ايلز وجون كروشار

روجر ايلز خبير اعلامي خدم كمستشار لعدة رؤساء أمريكيين.

٢ - أن تحترم خصومك

كانت معركة ساراتوغا أحد الانتصارات الحاسمة في الثورة الامريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣). فبعدما انتهت وسلم الجنرال البريطاني بارغوين سيفه الى الجنرال غايتس جلس ضباط الجيشين المتنازعين ليتناولوا العشاء معاً.

لو قرأت عن هذا المشهد وأنا أصغر سناً لاعتبرته سخيفاً ومنافياً للعقل. فبعد كل ما جرى، ها هي مجموعة من المتحاربين المتحمسين جالسون الى طاولة يتناولون عشاء سائغاً بعدما كان كل فرد منهم قبل ساعات مصوِّباً بندقيته نحو صدر الآخر. إنما بعد عشرين سنة من عملي بين رجالات السياسة بدأت أفهم لماذا يتجاوب المنتصرون الحكماء بطريقة كهذه.

ان هذه البادرة، في نظر الامريكيين، تحمل معنى عميقاً. فأي وسيلة تخمد شهوة القتال لدى الجنود البريطانيين أفضل من طمأنتهم الى أن خسارتهم أمام الامريكيين ليست أمراً شنيعاً؟

من المهم جداً أن تتبع في كل مسالك حياتك تلك الحكمة القديمة القائلة: "عانق أصدقاءك بشدّة وأعداءك بشدة أقوى كي لا يقدروا على التلوي او الاهتزاز." أجل، هذه الحكمة ذات أهمية كبرى، خصوصاً في عالم السياسة.

في العام ١٩٦٨ كاد نائب ايلينوي دان روستنكوزكي يصبح رئيساً لمجلس النواب الامريكي. وكان عمره آنذاك ٤٠ عاماً فقط، لكنه، سياسياً، كان بلغ درجة مرموقة من القوة والشعبية. ثم وقع ضحية أمام عدو صغير ذي ذاكرة جبارة.

أثناء انعقاد المؤتمر الوطني للحزب الديموقراطي عام ١٩٦٨ في شيكاغو تسرَّبت فوضى التظاهرات المناهضة للحرب الى قاعة المؤتمر، فأخذ زعماء الحزب يزعقون ويرفعون أيديهم في وجوه زملائهم أمام عدسات التلفزة. وكان من الجلي أنَّ رئيس المؤتمر وزعيم الاكثرية النيابية كارل ألبرت فقد سيطرته كلياً على كل الاجراءات.

وغضب الرئيس الامريكي آنذاك ليندون جونسون لما شاهد هذه المأساة على الشاشة الصغيرة. فاتصل بروستنكوزكي الذي كان وقتئذ الرجل

Condensed from «Hardball,» copyright © 1988 by Christopher Matthews, published by Summit Books / Simon & Schuster, Inc., New York, N.Y.

الديموقراطي الرابع من حيث المرتبة في البرلمان، اضافة الى كونه تحت حماية عمدة شيكاغو ريتشارد دالي. فما كان منه الا أن أبلغ الى المجلس فوراً استياء الرئيس وتناول المطرقة من ألبرت المرتبك وتولّى بنفسه رئاسة المؤتمر.

بعد ثلاث سنوات أصبح ألبرت رئيساً لمجلس النواب. ولما أوصى زعيم الاكثرية الجديد بتعيين روستنكوزكي منظماً للحزب بحيث يصبح صاحب المرتبة الثالثة، خذله ألبرت شر خذلة، وعين بدلا منه توماس أونيل الذي خلف ألبرت في ما بعد رئيساً لمجلس النواب.

لم ينتهِ انتقام ألبرت عند هذا الحد. اذ بعد أيام قلائل رشح روستنكوزكي نفسه نائباً لرئاسة اللجنة البرلمانية الديموقراطية التي من شأنها اختيار المرشحين وتقرير السياسة الحزبية. ففوجىء اذ رأى نفسه منهزماً أمام منافس جاء حديثاً الى الميدان هو مرشح رئيس المجلس كارل ألبرت.

وقد أصبح روستنكوزكي رئيساً لاحدى اللجان البرلمانية المهمة. ولكن لما عاد أحد أصدقائه بالذاكرة الى تلك البرهة من مؤتمر ١٩٦٨ قال: "كانت رئاسة المجلس الآن من نصيب دالي لو أنه صان لسانه."

ان هذه الامثولة يجب أن تؤخذ في الاعتبار في كل المهن. فإذا عجز شخص عن أن يكون لطيفاً مع منافسيه فإنه يضيع فرصاً ذهبية لا تعوّض. إن القائد الفطن يعلم أن من يخاصمه اليوم في معركة ما قد يكون له حليفاً ذا شأن في معركة مقبلة.

كريستوفر ماثيوز



شعلة الفكر

كل الافكار الجيدة متوافرة عادة في الكائنات البشرية في شكل طاقة. لكن كثيراً من هذا الوقود لا يحترق جيداً أو لا يولّد ناراً على الاطلاق الا اذا أوقدته شعلة أو شرارة من خارج، من شخص آخر مثلا.

أ.ش.

انتهاز الفرص

أن تكون انتهازياً هو أن تعرف كيف تقتنص الفرصة المناسبة لتفيد منها الى أقصى الحدود. وهذا يعني، أساساً، أن تطبق فمك عندما لا يجوز لك الكلام، أو أن تقول الكلمة الصائبة في الوقت المناسب، أو ألا تفعل شيئاً قد يرتد عليك.

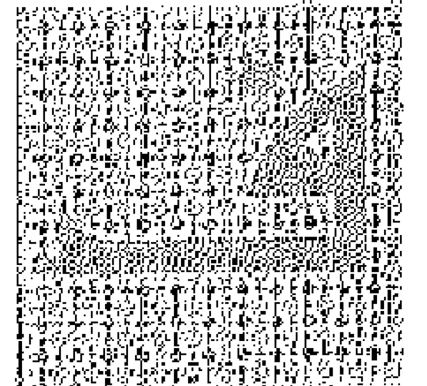
فرنكو زيفيريلي، مخرج سينمائي ايطالي

التعاسة الكبرى لا بد من أن تبتلي من هم في نُشوز مع جوهر نفوسهم.

ماركوس أورليوس ■

الكلبة المنقذة





في أواخر العام ١٩٨٦ قرأت ميسي بركنس اعلاناً عن كلبة هجينة عاقر تبلغ من العمر ثلاث سنوات، كبرت على منزل مالكتها فعرضت أن تهبها مجاناً. بدت الكلبة حلاً مثالياً لمشكلة متفاقمة.

كانت طيور البط والدجاج في مزرعة فرمونت الصغيرة الخاصة بآل بركنس تأكلها السمامير والثعالب والراكون، والخُضَر ترزح تحت وطأة الارانب والغزلان. فالكلبة المناسبة قد تبعد الحيوانات، فضلاً عن أن ميسي وزوجها وأولادهما الخمسة هم من محبي الحيوانات ويرحبون بضم كلبة الى العائلة.

اتصلت ميسي هاتفياً بالمعلنة التي قالت انها ستأتي بالكلبة الى المزرعة في



اليوم التالي. وعندما رأت ميسي الكلبة تساءلت عما اذا كانت تقترف خطأ في قبولها. انها تزن ٣٦ كيلوغراماً، شعثاء، نصف كلبة نيوفاوندلندية(★) ونصف "شيء ما خرج من الادغال." وقد أقلق ميسي أن ينشر فرو الكلبة الكثيف رائحة الزريبة في أنحاء المزرعة.

أما الكلبة فتركت الاولاد يشدون فروها وأذنيها من دون زمجرة. بدت هادئة ولكن يقظة، ودودة، ملائمة جداً. ومع أن حيواناً بتلك الضخامة ستكون له شهية جبارة فان مزرعة آل بركنس تنتج ما يشبع الكلبة.

لكنّ "شيئاً ما" ضايق ميسي. كان مالكو الكلبة يدركون بلا شك أن الجروة

(★) Newfoundland كلب ضخم معروف بقدرته على السباحة.

التي يربونها مقدر لها أن تكبر، اذ عرفوا أنها نصف نيوفاوندلندية أي من النوع الذي يستطيع ترجيح كفة الميزان أكثر من ٦٨ كيلوغراماً. كان عليهم ان يدركوا انها ستكبر على منزلهم. فهل ثمة من سبب آخر حمل أصحابها على التبرع بها؟ هل ثمة سر في هذه الكلبة لم يخبروها عنه؟

الدبة والاولاد – أحب الاولاد الكلبة من النظرة الاولى. وهم التمسوا الاحتفاظ بها. أما ميسي فلانت بشرط أن تُعاد الكلبة اذا لم تنجح الامور.

كان اسم الكلبة روزي (وردة)، ولكن ليس الى وقت طويل. قال زيك البالغ من العمر ثلاث سنوات، واصفاً الكلبة المكسوة بالصوف وذات الاذنين المتراخيتين والاقدام التي تشبه أخفاف النوم: "انها ليست وردة، بل تشبه أكثر ما تشبه دبة." وهكذا أصبحت روزي "الدبة".

لم تكن "الدبة" تلوك الاشياء او تطارد السيارات، بل بدا أنها تعرف أن عملها هو حماية الحيوانات الاخرى. وهي حرست الاولاد كذلك، فكانت تراقبهم عن كثب كما تراقب طيور الدجاج والبط. شتاءً تعدو الى جانب الاولاد وهم يتزحلقون على التلال الثلجية، وصيفاً تسبح معهم في نهر مجاور.

لكلاب نيوفاوندلند غرائز حادة للانقاذ المائي، وهي ميزة ربّاها فيها، عبر قرون، صيادو الاسماك في المحيط الاطلسي الذين كانوا يستعينون بها في شد الشباك وانقاذ الرجال الواقعين في البحر. كان نصيب "الدبة" واضحاً: عندما يغوص الاولاد في النهر تسبح هي في دوائر حولهم، تنبح عندما تشعر بأنهم غامروا في الذهاب بعيداً جداً. انها الكلبة الكاملة للمزرعة، والرفيقة والحارسة والحامية.

منذ البدء كان زيك الولد المفضل لدى الكلبة. فحالما تتوارى سيارة المدرسة بالاولاد الاربعة الكبار يتوجه زيك و"الدبة" مع ميسي الى الزريبة لحلب البقر.

بعد الغداء يتكوّم الاثنان في المطبخ قرب موقد الحطب. أحياناً تغفو "الدبة" بينما يتظاهر زيك بأنه يقرأ لها. وغالباً ما يغفو الاثنان على نحو يتشابك فيه فرو قاتم وشعر أشقر ويدان صغيرتان وأخفاف ضخمة. ويوفّر زيك ضمته الاخيرة لصديقته المفضلة الى وقت النوم ليلاً.

بنتان وغريق – في ١٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ غادرت ميسي المزرعة آخذة ربيكا (١٠ أعوام) الى تمثيلية مدرسية وجوشوا (١١ عاماً) الى منزل صديق. وبقي الاولاد الثلاثة الصغار يلعبون خارجاً على الثلج مع "الدبة". واذ عاد والدهم الى المنزل سألته مرتا (٨ أعوام) عما اذا كان يسمح لها هي وزيك وساره بالتزحلق على البركة.

في عقار بركنس بركتان تتغذيان من ينبوع. ومنذ أيام عدة والجو قارس البرد وكلتا البركتين مجمّدة حتى القاع.

منح ديل الاولاد موافقته ودخل المنزل. وراحت مرتا وساره وزيك يتزحلقون. وبعد بضع دقائق أعلنت ساره أنها ضجرت: "تعالا نذهب ونتزحلق على بركة لي."

تبعد بركة لي قرابة ٢٢٥ متراً، يحجبها عن منزل آل بركنس صف من الشجر. وقد حفرها مزارع في مرعى لسقي ماشيته. وللبركة ضفاف بطول ٢٠ متراً تنحدر الى عمق مترين ونصف متر. وقد ظنّ الاولاد أنه اذا كانت بركتهم مجمدة فالبركة الاخرى ستكون بالتأكيد كذلك.

هتف الاولاد الثلاثة فرحين وراحوا يتزحلقون هناك. وكانت احذيتهم تنزلق بسهولة على الجليد. وضحكوا كثيراً حين راقبوا المحاولات العقيمة التي تبذلها "الدبة" للتوقف. ولما تعب الثلاثة جلسوا على الجليد و"الدبة" قربهم. وبغتة انخسف الجليد تحت وطأة ثقلهم، فقفزت "الدبة" الى الضفة فيما غاص الاولاد الثلاثة في المياه المتجمدة.

صرخت مرتا وساره وكافحتا لايجاد موطىء قدم على أرومات الشجر أو الصخور المغمورة بالمياه. وبرزت أغصان أيكة قريبة فأمسكت بها الفتاتان وجذبتا نفسهما الى الضفة. أما زيك الصغير ففار بيأس في الماء متمسكاً بقطعة جليد وهو غير قادر على ارتقائها. صرخ طالباً النجدة. وكافحت مرتا وساره للوصول اليه لكنه كان ابعد من متناولهما. ومع أن الفتاتين تحسنان السباحة فقد أدركتا أنهما ليستا قويتين كفاية للبقاء عائمتين بثيابهما المبللة الكثيفة.

كانت مهارة زيك في السباحة ضئيلة جداً. وبمقدار ما ازداد ضربه برجليه ويديه ازداد انجرافه بعيداً مع التيار. وتشبعت سترته وحذاؤه وثيابه التحتية وسرواله بالماء مما هدد باثقال كاهله. وفتشت الفتاتان عن قضبان طوال تمدانها نحو أخيهما، لكنهما لم تجدا شيئا من ذلك. وراح الجميع يصرخون جزعاً.

رسالة واضحة – كانت ميسي غادرت المنزل قبل نصف ساعة فقط. ولما عادت تفقدت زوجها ديل في الداخل ثم جالت في الخارج للتأكد من أن الاولاد يرتدون ثياباً دافئة. لم يكونوا على البركة الصغيرة كما توقعت، فتوجهت الى الزريبة، وفي منتصف الطريق سمعت صراخاً آتيا من جهة بركة لي.

ابتهلت ميسي الى الله لكي تصل في الوقت المناسب. وأسرعت عبر المرج تنادي أولادها بأسمائهم. صرخت: "أجيبيني يا مرتا. يا زيك، هل أنت هناك؟ سارة، أجيبي." كان أقرب جار يبعد حوالى نصف كيلومتر، لذا من غير المحتمل أن يكون أحد رأى الاولاد أو سمعهم.

ضعفت قبضة زيك على الجليد، فصرخت شقيقتاه: "تمسك جيداً." أما "الدبة" التي تسلقت الى الضفة فبدا أنها أدركت خطورة الوضع. أطلقت سلسلة من النباح وغطست في الماء متوجهة الى زيك. عضت ياقة سترته وجذبت الصغير الخائف نحو الضفة الى ماء ضحضاح حيث استطاع الوقوف.

ثم فعلت "الدبة" أمراً لم تفعله من قبل ولم تفعله من بعد. دارت حول نفسها ومدت ذيلها الى زيك. كانت رسالتها واضحة حتى لطفل مضطرب ومروّع. أمسك زيك بالذيل فسحبته "الدبة" الى مكان آمن. وبشدّة أخيرة وبمساعدة مرتا وساره جذبت الكلبة الصبي الى الضفة حيث

أجهش في البكاء بين أذرع شقيقتيه. صرخت ساره: "عظيمة أنت يا دبة!"

عندما وصلت ميسي رأت الثلاثة متكومين بعضهم على بعض، فجثت على ركبتيها وأخذتهم بين ذراعيها ضاحكة وباكية في آن. أما "الدبة" فأخذت تلحس وجهاً مبللاً بعد آخر.

تلك الليلة، على العشاء، شكر آل بركنس الله على كل يوم تكون فيه العائلة مجتمعة. ان ما حدث ذلك الاصيل أعطاهم وعياً جديداً للحياة.

انتشر خبر بطولة "الدبة" الى ما وراء منطقة فرمونت. وبعد أيام امتلأ مطبخ آل بركنس بالصحافيين والمصورين ومندوبي التلفزيون.

واجهت "الدبة" الامر كأنه عرضي، قانعة بحراسة دجاجها وخرافها وأولادها. وقال زيك وهو يطوّق بذراعيه عنق الكلبة الكبيرة: "انها تود أن تبقى الدبة ذاتها."

قرأت المالكة السابقة أخبار "الدبة" فقصدت مزرعة بركنس. وذكرتها ميسي بارتيابها في سبب تخليها عن الكلبة، فقالت المرأة ان الكلبة كانت حقاً كبيرة على بيتها، لكنها أضافت بخجل: "تصوري، لقد ظننها أبي غبية."

بير أولا وإميلي دولير



تحت مشرط الغريم!

عندما كنت في المستشفى أستعد لجراحة صغيرة سألتُ ممرضة شابة وجميلة هل تعتقد أني سأتحسن يوم السبت المقبل بحيث أدعوها الى العشاء. فابتسمت بعذوبة وأجابت: "ربما كان عليك أن تسأل خطيبي الذي سيجري لك الجراحة صباح غد."

أ.ل.

جرس الطوارىء

بنى الزوجان على جزيرتهما النائية كوخاً لسكناهما ومخزناً للحبوب وحظيرة للماشية. ثم علق الزوج جرساً في شجرة وقال للزوجة: "عندما يجدّ طارىء اقرعي الجرس فأحضر حالاً."

وذات يوم كان الزوج في طريقه الى الغابة لقطع الشجر عندما سمع الجرس. فهرع مستفسراً فقالت له زوجته: "ظننت أنك تريد بعض القهوة." فشرح لها أن الجرس يستخدم في الاحوال الطارئة فقط ورجع الى عمله. وما كاد يتناول الفأس حتى سمع الجرس ثانية، فأسرع الى البيت حيث قالت له الزوجة: "ان حوض الغسيل مثقوب يرشح ماء." فنهرها: "تباً لك يا امرأة، هذا ليس حادثاً طارئاً."

وبعد ساعتين قرع الجرس للمرة الثالثة فهرع الزوج ليجد الكوخ يحترق وامرأته مصابة بسهم في كتفها وممددة على الارض. فهتف: "أحسنت يا عزيزتي، هذه حالة طارئة فعلا!"

ب.س.

الضحك خير دواء

قيس وليلى

أثناء زيارتي المدينة حضرت مسرحية "قيس وليلى" التي شارك فيها ابن اخي.
كان نهاري شاقاً في السوق، والمسرحية بطيئة، فغلبني النعاس ورحت أغفو بين فينة وأخرى. فجأة اندفع ابن اخي الى المسرح منادياً البطلة التي كان اسمها مثل اسمي: "ليلى، ليلى، أين أنتِ؟"
أجفلني النداء فقفزت من مقعدي في الصف الامامي وأجبت: "أنا هنا!"
حملق ابن اخي فيّ بغضب بينما تلقيت تصفيقاً حاراً من الجمهور.

ل.ن.

عائلة متكاملة

تقدم طالب للانتساب الى كلية الطب. وخلال مقابلة اللجنة الفاحصة سئل ما الذي يرغبه في دراسة الطب. فأجاب: "حسناً، ان شقيقتي حائزة شهادة في الصيدلة، وأمي ممرضة قانونية، وأبي مصاب بوسواس المرض."

إ.أ.

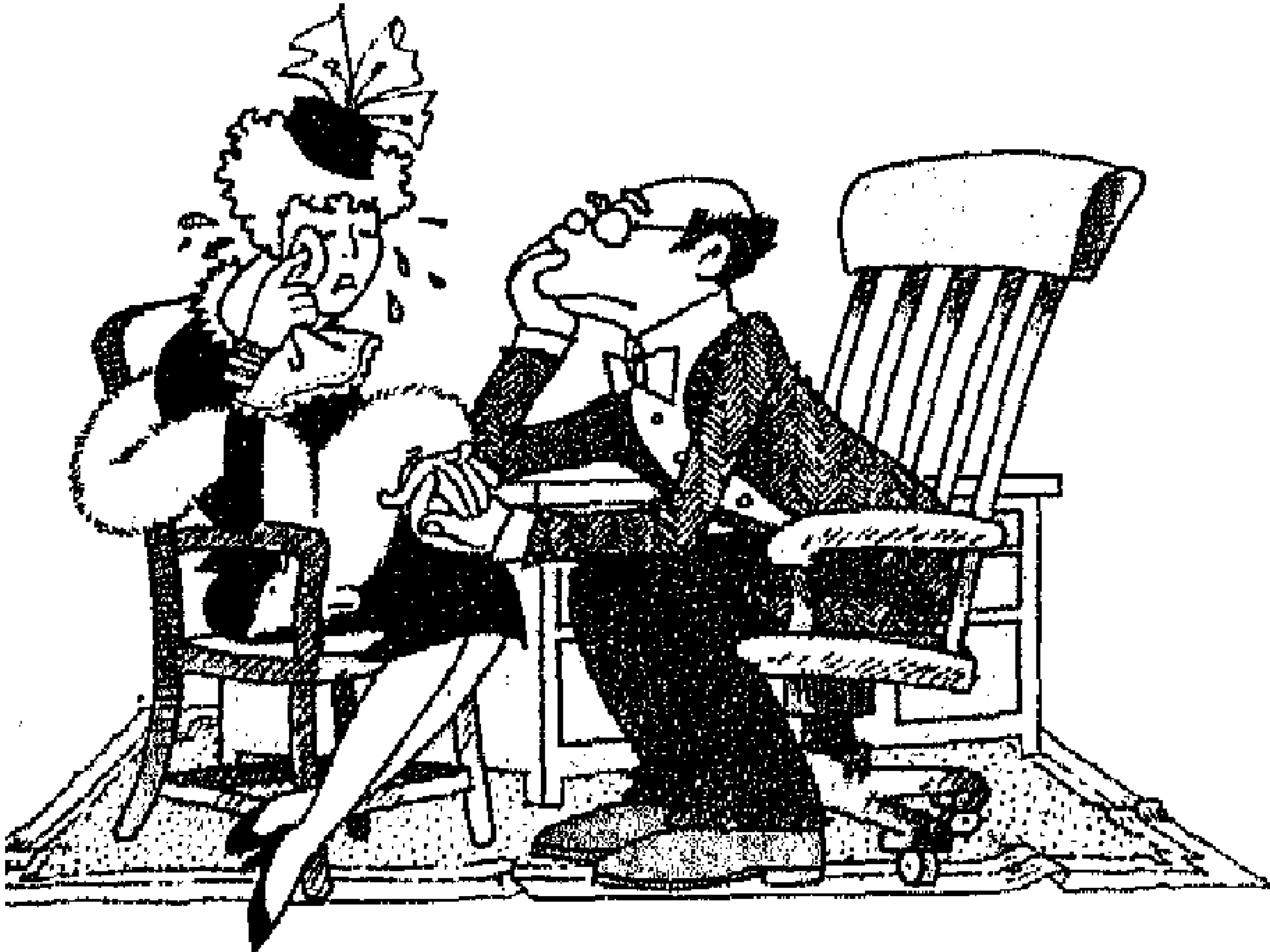
عروس وعريس

رجع العريس من عمله فبادرته عروسه مضطربة: "لا أدري كيف أخبرك. كنت أكوي سروالك فاحترق قفاه."
فقال العريس مطمئِناً: "لا عليك يا عزيزتي. أنت تعلمين أن لدي سروالا آخر لهذه البذلة."
فهتفت العروس بارتياح: "آه، أجل، هذا من حسن حظي، فقد رقعت به الحرق."

ب.ف.

أرملة المرحوم

قال المحامي معزياً أرملة باكية لم يترك زوجها المرحوم وصية: "هل كانت للفقير كلمات أخيرة؟"
– هل تعني قبل موته مباشرة؟
"أجل، فقد تكون كلماته الاخيرة عوناً لنا على تدبُّر الامر."



– حسناً... قال لي: "لا تحاولي أن تخيفيني، فأنتِ لا يمكنك أن تصيبي ثوراً بهذا المسدس."

ف. إ.

واجهوا أولادكم المراهقين بصبر ومحبة

نصائح تربوية لتمتين العلاقة وزيادة الثقة بين الآباء وأبنائهم المراهقين

كشفت امرأة عن قلق شائع بدأ يساورها عندما بلغ ابنها الخامسة عشرة من عمره وقاربت ابنتها الثالثة عشرة. قالت: "كثيراً ما نسمع أنا وزوجي بمشاكل المراهقين من جنس وعقاقير وكحول وخلاف مع الوالدين وترك المدارس وغير ذلك. وبصراحة، لقد أمرضنا قلقنا على ولدينا." وبعدما صمتت هنيهة تابعت: "كنا دوماً عائلة متماسكة متحابة، والآن أعتقد أن كل شيء سيتغيّر."

سألتها: "ولماذا يتغيّر؟" فاذا كان المراهقون يمرون باضطرابات عاطفية وجسدية عميقة إلا أن هذا لا يعني أنهم حتماً سيتخلون عن الاخلاق أو يثورون على النظام الاجتماعي، مع الاشارة هنا الى أن المراهقين المضطربين لا يشكلون سوى جزء صغير من مجموعة المراهقين كلهم.

سألتني الام: "كيف لي أن أتأكد من أن اولادي سيسيرون على خطى الاكثرية؟"

فأجبتها: "ان مطلبك هذا يتحقق إن أنت بقيت أماً قوية ومحبة." وهذا لا يعني أن تبقى معاملتهم اليوم كما كانت وهم صغار، لأنهم عندما يتقدمون في السن تزيد مطالبهم ويستحقون حرية أوسع. لذلك فمعاملتنا للمراهق بخشونة وتعسّف قد تؤدي الى صراع مدمّر معه. وليس هناك والد سوي يريد أن يفقد صلته بأولاده في وقت هم في أمس الحاجة الى معونته ومساندته.

ليس هنالك من قاعدة سحرية يمكنكم بموجبها تكييف أسلوبكم التربوي ليناسب كل فرد في الاسرة، لأن كل مراهق، حتى ضمن العائلة الواحدة، له مواقفه وردوده المختلفة. انما تبقى بعض الارشادات النافعة التي تساعدكم على تجنب الوقوع في هفوات هذه السنوات الحاسمة. وهاكم بعضها:

كونوا على استعداد مبكّر. كلما كانت العلاقة متينة بينكم وبين أولادكم في السنوات التي تسبق سنيّ المراهقة، فان عليكم أن تكونوا والدين مرشدين في ما بعد. فالأولاد الذين "يُرَون ولا يُسمَعون" يبلغون سن المراهقة عادة وفيهم شعور ضعيف بأهمية شخصيتهم.

لا تعوّدوهم تجاهل سردهم للاحداث اليومية وتعتبروه تافهاً، لأنكم بإصغائكم الى أطفالكم انما تبلغونهم أن ما يقولونه مهم وأنكم تقدّرون آراءهم. وبذلك تنمون فيهم الثقة بالنفس واحترامها.

علموا أولادكم اتخاذ القرار. في وسعكم أن تصرّفوا أعمالكم من دون أن تتصرفوا كمدربين عسكريين. والحقيقة أن احدى غايات التهذيب هي أن تعلّموا اولادكم فن اتخاذ القرار.

وفّروا لولدكم حق الاختيار عندما يكون ذلك ممكناً. اسألوه مثلا هل يفضل أن ينظف غرفته الآن أو بعد عودته من المدرسة. لا شك هنا في أنكم تتوقعون منه أن يرتّب غرفته، إنما انتم تمنحونه الحق في اختيار الوقت الذي يريد فيه أن ينجز عمله.

عندما كان ولداي في مدرسة ابتدائية انتقلنا الى شقة جديدة. وبدل أن أقرر بنفسي تأثيث غرفتي نومهما ارتأيت أن أستشيرهما في هذا الموضوع، وكانت النتيجة أننا حصلنا على غرفتي نوم بفروق مميزة، اضافة الى تمرين قيّم في الاختيار. إن هذا النوع من التدريب المبكر يُنمي في الولد المقدرة على أن يزن ما له وما عليه.

تفهموا آلام النمو. ان الاولاد مع اقترابهم من سني المراهقة يحتاجون الى حرية أكثر وغالباً ما يأخذونها. وهذا أمر طبيعي وسليم، ومع ذلك تراني كل يوم أقدم النصائح الى الوالدين الذين لا يقدرون أن يفهموا لماذا يعصاهم أولادهم المراهقون أو يرفضون المشاركة في شؤون العائلة.

اشتكت والدة من أن ابنتها البالغة الرابعة عشرة من عمرها تأبى أن تمشي إلا أمامها أو وراءها عندما تكونان خارج البيت. وتساءلت الام عما اذا كانت ابنتها تستحيي منها. أما تفسير هذا التصرف فهو أن الابنة المراهقة ترفض أن يراها رفاقها ورفيقاتها المنتشرون هنا وهناك تحت رعاية أمها أو في حراستها. لذلك، بتوفيركم لأولادكم المراهقين فسحة أكبر - بالمعنيين المجازي والحرفي - تحفظون لهم استقلالهم الشكلي وتتجنبون مواجهة غير ضرورية.

اشركوا أولادكم في التقرير. اقترحت ذات يوم على أم أن تأخذ رأي ابنتها البالغة الخامسة عشرة من عمرها في بعض الامور، كالتجميل وتصفيف الشعر واختيار الملابس. وكانت علاقتهما متوترة حتى ذلك اليوم، إذ كانت الابنة ترغب في الاستقلال وأمها تعارض هذه الفكرة. وأخيراً قبلت الام أن تمتحن اعطاء ابنتها ما تريد.

وكانت النتيجة أن تبيّن أن ذوق تلك الابنة كان متطوراً جداً. وكان تسوّقهما عصر ذلك اليوم فترة مبهجة وخبرة ممتعة. وأهم من ذلك أن المراهقة شعرت

ببهجة الإطراء لأن أمها وضعت ثقتها في رأيها. وبعد شهر أخبرتني الام أنها ناقشت ابنتها، للمرة الاولى، في الجنس والعادات والاخلاق، واعترفت بأن وجهات نظرهما لم تكن متطابقة كلياً لكنهما تمكنتا على الاقل من تبادل الآراء.

ان مجرد التحدث عن الرغبات المتبادلة يفتح عادة خطوط المواصلات بين الطرفين، وبعد فتحها فالله يعلم ما نوع المعلومات الحيوية التي ستجري عبرها.

لتكن أوقات الطعام مناسبات مميَّزة. بدل أن تكون وجبة الفطور، مثلا، على عجل، بكّروا موعدها عشر دقائق لكي يتسنى لكل أفراد العائلة أن يجلسوا معاً الى الطاولة. واحرصوا على أن يبقى الحديث في هذه الاثناء بسيطاً وسطحياً.

واذا صادف ان ذكر ولدكم المراهق شيئاً عن امتحان في الرياضيات، فتمنوا له التوفيق ودعوه يشعر بتشجيعكم إياه، لأن الوقت فات لاتهامه بعدم جدوى طريقته في الدرس. وانها لفكرة حسنة أن تتابعوا الموضوع معه عصر ذلك اليوم. وان جاز الامر فاذكروا له أنكم أنتم أيضاً عليكم أن تجتازوا امتحاناً في اليوم ذاته في اجتماع عمل مهم أو مقابلة حاسمة. ان معلومات كهذه تولّد رباطاً خاصاً بين الاهل وأولادهم.

وببذل جهد أكبر قليلا يمكنكم أن تحوّلوا وجبات العشاء مجال اختبارات عائلية غنية جداً. في بيتنا قاعدة مشدَّدة تقضي بالا يُفتح التلفاز أثناء وجبات الطعام، فلا شيء يُخمد العلاقات ويعكر صفوها مثل تلك الآلة. ومن جهتي فأنا أشجع أولادي على أن يدعوا رفاقهم الى العشاء كما أدعو زملائي. وأقولها علناً انني لا أفرض قيوداً على أي موضوع للبحث. وعادة تكون محادثاتنا مريحة ومنوِّرة.

تعرَّفوا الى أصدقاء أولادكم المراهقين. إن المراهقين قلما يتورطون في المشاكل من تلقائهم. وتركيبة مجموعة المراهقين التي يعاشرها ولدكم هي النافذة الفضلى على حياته. كثيرون من الوالدين يفتحون بيوتهم يومياً للإستقبال ويشجعون أولادهم على دعوة رفاقهم الى العشاء أو الى حفلات صغيرة كوسيلة للوصول الى معرفة اولادهم. وهذه الطريقة لا تتيح لكم فقط فرصة الاجتماع برفاق أولادكم بل تجعل من بيتكم ملاذاً يلجأون إليه.

واذا حدث أن اجتمع ابنكم المراهق بأصحابه في مكان آخر فما عليكم إلا أن تجدوا طريقة ما للاتصال به. طلبت احدى الامهات من أصدقاء ابنتها أن يأتوا الى بيتها للتمرن على أدوارهم في تمثيلية مدرسية. هنا عليكم أن تتجنبوا انتقادهم، فلا تقولوا مثلا: "كم هي مريم مفرطة في تبرجها" أو "كم هو سامي عديم الهندام" وغير ذلك. تذكروا أن غايتكم هي أن تفتحوا باب بيتكم وتتعرفوا الى هؤلاء الصغار.

أما اذا كان ولدكم المراهق يعارض جهودكم الاجتماعية هذه فعليكم أن تلجأوا الى أسئلة لطيفة مثل: "هل لي أن أعرف مع من تمضي وقتك هذه الأيام؟" أو

"لماذا لا ألتقي أصدقاءك؟" وان لم يأتِ هذا أيضاً بنتيجة ايجابية فيكون قد حان لكم أن تكتشفوا السبب.

أقيموا شبكة استعلام. لا شيء يزعج المراهق أكثر من أم أو أب يسيء الظن به على الدوام. ولكن هناك مبررات سليمة لحاجتكم الى معرفة ماذا يجري مع أولادكم المراهقين خارج البيت. والمعلمون عادة يستطيعون تزويدكم آراء ورؤى قيمة، لذلك لا يفوتنكم حضور اجتماعات المعلمين مع الاهالي.

هناك مصدر آخر لاستقاء المعلومات وهو ذوو رفاق أولادكم. وهذه ليست شبكة تجسس إنما وسيلة لتحري ما يجري من أمور خارج نطاق النشاطات العادية. لنفرض مثلا أن ابنتك البالغة السادسة عشرة من عمرها أخبرتك أن صديقة دعتها الى تمضية عطلة نهاية الاسبوع في بيتها الواقع على شاطىء بحيرة. فكيف لك أن تتحققي من صحة هذه الدعوة من دون أن تلمحي الى أنك لا تثقين بكلام ابنتك. فاذا عارضت ابنتك رغبتك في مكالمة والدة صديقتها هاتفياً لتشكريها على الدعوة فان تذكيرها بأنك أم مهتمة بأمور ابنتها يبرر المكالمة ويوفر عذراً مقبولا. وفي كلتا الحالين يمكنك أن تتحققي من تلك الدعوة من دون أن تثيري عاصفة احتجاج ومقاومة.

ارسموا حدوداً معقولة. شأن معظم الوالدين، سهرت ليلة سبت منتظراً رجوع ابني. وما ان سمعت فرقعة قفل الباب حتى وثبت الى فراشي وكأنني كنت هناك طوال الوقت. كنت قلقاً على ولدي طبعاً، فهناك في الخارج سيارات مسرعة وسائقون رعناء وأناس أشقياء وأخطار كثيرة أخرى.

شاركوا أولادكم المراهقين في اهتماماتكم ومخاوفكم واشرحوا لهم أنها نابعة من محبتكم لهم وليس من عدم ثقتكم بهم. يمكنكم أن تتداولوا الامر وتعينوا معاً وقتاً مناسباً للرجوع الى البيت. وأنا كثيراً ما رددت على مسامع ابني وابنتي المراهقين أن يتصلا بي هاتفياً ويعلماني إذا ما اضطرا الى التأخر عن المجيء الى البيت.

ليس من المسلّمات أن ولدكم سيتعاطى شيئاً من المحرّمات. ولكن، صبياً كان أم فتاة، اهتموا بأن يتلقى معلومات دقيقة عن الكحول والمخدرات والجنس قبل بلوغه سن المراهقة بوقت طويل. وهذا ممكن في البيت أو بمساعدة معلمين مختصين أو من خلال قراءات مناسبة. والوسيلة الاقل نفعاً هي المحاضرات الفردية الطويلة وفنون الترهيب.

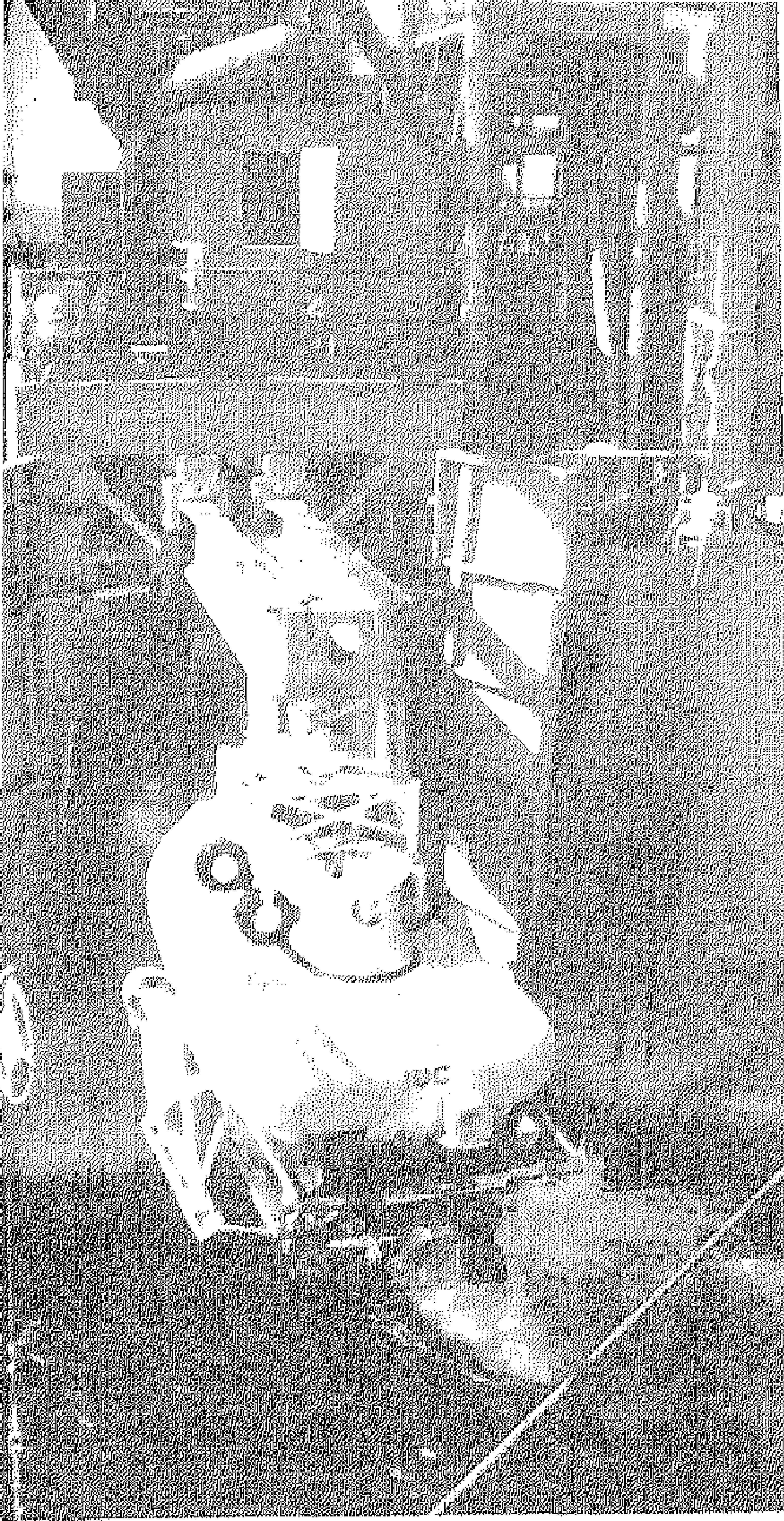
ان للصبر والتفاهم والمحبة الوافرة تأثيراً كبيراً في طريقة التعامل مع المراهقين. فإذا منحتموهم هذه العناصر بسخاء فإنكم تدركون سريعاً أن سني المراهقة قد تكون أخصب فترة في حياة العائلة.

لي سالك

الكاتب أستاذ الطب النفساني وطب الاطفال في جامعة كورنيل في نيويورك ومؤلف تسعة كتب في الابوة والحياة العائلية.

أندريه غاليرن رائد الأعماق

أتاحت الابتكارات التكنولوجية لهذا المغامر الفرنسي الغوص في قاع المحيطات على نحو لم يسبق له مثيل



مركبة الغوص "بيسز ٦" على متن سفينة الحفر "سڤن سيز" عام ١٩٧٩.

كان النسيم العليل يداعب أمواج شمال الاطلسي عندما وقف أندريه غاليرن على متن السفينة "مس وندي" يراقب باعتزاز مركبة القيادة في أسطول الغوص، "بيسز ٦" وهي تغوص في الاعماق بعدما انفصلت عن "مس وندي" التي كانت تقطرها. وبتأنق بيانيّ خاطب الراكبَين اللذين كانا على متنها، يوجين كلارك الخبير ذا الشهرة العالمية في سمك القِرش وإموري كريستوف مصور مجلة "ناشونال جيوغرافيك": "لن تأسفا على الوقت الذي ستمضيانه في مركبة الغوص هذه. انها تحفة تكنولوجية رائعة ستنزل بكما الى الأعماق المدهشة."

في ذلك اليوم من يونيو (حزيران) ١٩٨٦ كانت "بيسز ٦" التي سبق أن استخدمت لسنوات في حفر آبار النفط وفي عمليات الانقاذ البحرية، ستغوص الى عمق ٦٠٠ متر لمشاهدة وحش لا يطفو أبدا على سطح الماء: سمك القرش ذي الخياشيم الستة. والصور التي التقطت لاحقاً بآلة تصوير مزودة جهاز تحكّم من بعد تظهر احدى هَذه الاسماك تكاد تعادل الغواصة طولا وهي تنخس بخطمها زجاج الكوّة.

يتكلم غاليرن بلهجة الواثق بنفسه

Photo: IUG INC. N.Y

كأنه القبطان نيمو بطل رواية جول فيرن "عشرون فرسخاً تحت البحر". هذا البطل العائش بيننا هو رجل أعمال فرنسي عمره ٦١ عاماً، يتقد حماسة ويجمع المرح الفرنسي الى الحماسة الامريكية ويدير أول مؤسسة دولية للغطاسين المحترفين. وتستخدم شركته "مقاولو الاعماق الدوليون"(١) ما يزيد على ١٤٠ غطاساً في المياه الخلو من الجليد، مع مركبات غواصة يمكن التحكم بها من بعد، وأدوات متطورة عالية التقنية تستخدم في البناء تحت الماء وفي أعمال التقصي في قيعان البحار، انطلاقاً من مراكزها في باريس ونيويورك وسنغافورة.

في قلب بركان - دي دي، كما يناديه غطاسوه الفرنسيون، عاش دائماً مغامراً. كان طموحه الاول أن يصير طيار اختبار، ولكن عندما مزقت الحرب العالمية الثانية فرنسا لم يكن بلغ السن التي تؤهله للانضمام الى سلاح الجو. فالتحق وهو في السابعة عشرة بحركة المقاومة السريّة، وأثبت أنه نشيط مقدام. أسر خلال مهاجمة احدى القوافل الالمانية فعذب وحكم عليه بالموت رمياً بالرصاص. الا أنه فرّ قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه بثوان معدودة ونجا حاملاً معه ثلاثة ثقوب في سترته وواحداً في قبعته.

بعد انتهاء الحرب تعثرت مشاريعه المهنية. غير أن انخراطه في الحركة الكشفية الفرنسية كقائد فوج من الكشافة الجوال أتاح له الفرصة لمتابعة هواية أخرى هي استكشاف الكهوف. فأسس نادياً لهواة استكشاف الكهوف ودراستها انضم اليه فتيان راوحت أعمارهم بين ١٦ و٢٢ سنة.

بحلول العام ١٩٤٦ كان الهواة أصبحوا خبراء ماهرين فذهبوا في أولى رحلاتهم الاستكشافية الطويلة التي استغرقت ١٤ يوماً على عمق أربعة كيلومترات داخل كهوف لومبريف في قلب جبال البيرينيه. كذلك هبطوا الى أعمق مسيل ماء جوفي معروف آنذاك، وهو كالادايير في منطقة فانكلوز، حيث اعترضت جهودهم لبلوغ العمق بحيرات وانهار جوفية. غير أن غاليرن قال لرفاقه: "في المرة المقبلة سنأتي بتجهيزات للغوص، لكنّ المحاولة ستكون خطرة جداً."

في ذلك الوقت لم تكن ابتكارات جاك - إيف كوستو، رائد الاعماق الشهير، معروفة على نطاق واسع فعمد غاليرن وفريقه الى اختبار أنواع مختلفة من التجهيزات. وقر رأيهم على منظم تهوئة وكمامة تنفس بدائيين. وتدربوا على الغوص تحت الماء. يقول غاليرن: "اليوم لن أستخدم هذين الجهازين حتى في مغطس الحمام. لقد بقينا بأعجوبة على قيد الحياة."

مضت ست سنوات وهم يتوغلون في الكهوف ويغوصون في البحيرات الى عمق ٣٥ متراً. وحدث عام ١٩٥٢ أن وقعت شركة كهرباء فرنسا في مأزق في أثناء حفر نفق ينقل المياه المتجمعة منذ زمن طويل في فوّهة بركان خامد الى مساقطها حيث تولد الطاقة الكهربائية. كان لا بد من استكشاف أعماق البحيرة البركانية، لكنّ الغطاسين التقليديين الذين

(١) International Underwater Contractors

يعتمرون الخوذ رفضوا النزول بناء على الاعتقاد الخاطىء السائد آنذاك أن الضغط على عمق ٣٧ متراً يسحق الانسان.

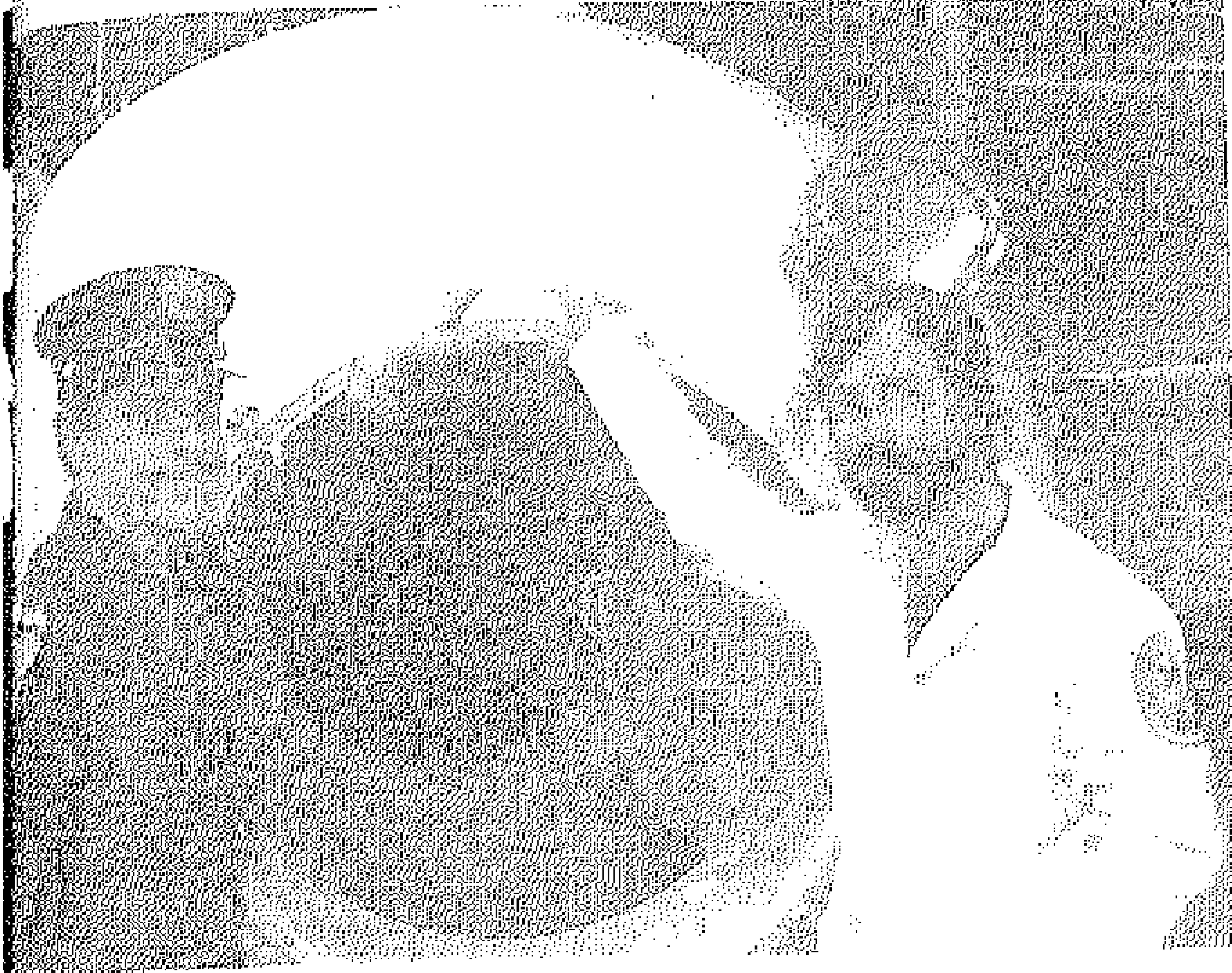
اتصلت شركة الكهرباء بغاليرن وسأله مهندس المشروع جيبرا: "هل تعتقد أنكم قادرون على الغوص الى عمق ٣٧ متراً في البحيرة؟"

فأجاب غاليرن: "لسنا مجهّزين لهذا النوع من العمل، ولكن اذا اشتريتم لنا رئتين مائيتين(٢) أمكننا أن نلقي نظرة."

غاص غاليرن ثلاث مرات بعد حصوله على تجهيزات الغطس الجديدة. وبعدما صعد الى سطح الماء للمرة الثالثة قال: "يقتضي أن تغيروا زاوية النفق." فلم يقتنع بكلامه أحد من الاعضاء الستين في الجهاز التنفيذي للشركة، فغاص غاليرن للمرة الرابعة وعاد حاملاً قطعة من الصخر بغية اقناعهم وقال: "ان هذه القطعة لم تكن عائمة."

أثبتت تقارير غاليرن أنه كان مصيباً. فقال له جيبرا: "ان شركة كهرباء فرنسا في حاجة الى شخص مثلك." كانت تلك الكلمات تشجيعاً له فعمد الى تأسيس "الشركة العامة للاشغال البحرية، سوجترام" وهي اول تعاونية للغطّاسين المحترفين، برأس مال مقداره ٦٠ دولاراً فقط، إضافة الى "رئتين مائيتين"، وشعار "نحن مستعدون لكل عمل في كل مكان تحت الماء."

مغامرات متلاحقة – اشترى غاليرن وشركاؤه مركباً جانحاً فعوموه وأرسوه في



الاطفائي ديفيد ريفاس (الى اليسار) قرب الحجرة التي أنقذت حياته، والى جانبه بيل بنسكي المدير الطبي في "المركز الامريكي للضغط العالي."

نهر السين كمكتب يديرون فيه أعمالهم. ومرت ستة أشهر لم يروا خلالها زبوناً، وبعدها بدأت ترد عليهم طلبات قليلة لاعمال صغيرة. وطلبت شركة "لويدز" للتأمين في لندن من غاليرن أن يفتش لها عن قرط يحوي ٤٠ حبة ألماس أضاعته زبونة فيما كانت تتمشى على ضفة "القناة الكبرى" في قصر فرساي. ويتذكر غاليرن: "لم يتجاوز العمق ثلاثة أمتار. لكنَّ القناة كانت مملوءة بالطين السائل. ورحنا نبحث في ظلام مطبق حتّم علينا التفتيش بين ملايين الحلازين التي تعادل قرط الالماس حجماً. ومع ذلك تمكنا من العثور عليه بعد ساعتين من الجهد الشاق."

ازدهرت أعمال "سوجترام" بدافع أخبار أعمالها الجريئة التي أحدثت ثورة في صناعة الغوص التجاري. وفي أوائل ١٩٥٨ أثبت غاليرن للمرة الاولى، بمساعدة الطبيب في البحرية الفرنسية

(٢) Aqua-Lungs وهي ماركة مسجلة.

Photo: Jim Estrin / N.Y. Post

الدكتور بيار كبارو، فائدة مزيج من الأوكسيجين والنيتروجين (الازوت) في التنفس خلال الغوص في المياه الضحلة. لقد ظل ساعة كاملة على عمق ٦١ متراً من دون أن يشكو اضطرابات الطَّفْو المعهودة عند الصاعدين من الاعماق. والمزيج لم يحسّن القدرة على الغطس لكنه أتاح لغطاسي "سوجترام" البقاء تحت الماء وقتاً أطول من سائر الغطاسين التقليديين الذين يرتدون بذلات غوص ثقيلة ويستخدمون الهواء. وما لبثت الشركة ان اشتهرت في أوروبا بابتكاراتها.

عام ١٩٦٣ قرر غاليرن أن ينتقل الى سيتي آيلند في نيويورك وينشىء شركته الخاصة "الشركة الدولية المحدودة لمتعهدي الاعماق." كانت الأشهر الاولى من اقامته في الولايات المتحدة في غاية الصعوبة. وكان عليه أن يجبه عالماً جديداً من دون معين وهو يجهل اللغة وقواعد النظام التنافسي الشرس. لكنّ شهرته كانت سبقته، فانهالت عليه العقود.

خلال العام ١٩٦٨ كان التنقيب عن النفط في البحار أوجد فرص عمل للغواصين القادرين على الغوص في مياه أكثر عمقاً. فشرع غاليرن يفكر في ابتكار تكنولوجي جديد للعمل في الاعماق: مركبات ربوطية وغوّاصة. وبدأت مغامرته التقنية العالية عام ١٩٦٩ لدى حيازته "بيفر م ك ٤" الغواصة القادرة على العمل في عمق ٦٠٠ متر والمجهزة بمعدات نموذجية شملت جهاز تلفزيون مقفل الدائرة ومسجلات فيديو وآلات تصوير ٣٥ ميليمتراً وجهاز سونار لاكتشاف العوائق تحت الماء وتجنبها.

تلت هذه مركبة الغوص "بيسّز ٦" التي تصل الى عمق ٢٥٠٠ متر، لكن "إبولار" التي تملكها الحكومة الفرنسية هي الاكثر تعقيداً، فهي لا تحتاج الى طاقم وتجوب الاعماق طليقة حتى عمق ٦٠٠٠ متر لانها موجهة من بعد. وهذه القطعة النادرة تمكن برمجتها لرسم مسح متعامد على شبكة متسامتة بوساطة مرشد لاسلكي، وتغيير خط سيرها في أي وقت بارسال اشارات من السفينة المساندة، وهي تطفو على سطح الماء حالما ينقطع الارسال.

كنز ذهب – تكفي سفينتان، واحدة على الشاطىء الغربي للولايات المتحدة والثانية على الشاطىء الشرقي، للتوجه الى أي بقعة في المحيطات وإنزال العربات الغاطسة والغواصين والمعدات الالكترونية للعمل على تفحص آلات التنقيب واستكشافها وانقاذ مَن عليها، واجراء المسح الاوقيانوغرافي والجيوفيزيائي. يقول غاليرن: "عملنا في كل مكان من العالم، غصنا في البراكين وفتشنا عن الذهب تحت الماء وأنقذنا سفناً غارقة ودرسنا سمك القِرش وتفحصنا معامل الطاقة الذرية وأصلحناها، حتى اننا انتشلنا أسلحة سرية من قاع البحر."

عام ١٩٨٤ أسس غاليرن في برمودا شركة "منقذي الاعماق" المتخصّصة بانتشال السفن الغارقة والتي تطوّر في الوقت الحاضر تقنيات جديدة لاسترداد السفن القابعة في القاع منذ القرن

السابع عشر. وقد أثير اهتمامه بالتفتيش عن الكنوز الغارقة إثر تلقيه اتصالاً في العام ١٩٨٠ من فرد أردولينو، قبطان سفينة الصيد "أمبرجاك ٦" الذي فاتحه في أمر تخليص السفينة "ريبوبليك" التي كانت تحمل ذهبا وغرقت في كيب كود عام ١٩٠٩.

أمهل غاليرن شهراً واحداً فقط - يونيو (حزيران) ١٩٨٦ - للعثور على الذهب قبل أن تكلف شركة أخرى انتشاله. وقد اغتنم الفرصة ليستخدم فريقه جهاز غوص مشبعاً يتسع لاربعة غواصين ويحفظهم في غرف مكيفة الضغط لمدة ثلاثين يوماً، متفادياً بذلك اضطرابات الطفو المتكررة التي تستدعي عمليات ازالة الضغط تدريجاً من جسم الغطاسين. ربطت حجرة الغوص بالمعدات على ظهر السفينة "توين دريل" المساندة. وفي كل مرة كان الغواصون ينقلون منها الى غرفة الضغط المكيّفة. وقد دهم الوقت غاليرن فلم يستطع العثور على الذهب. لكنه قال معلقاً: "لقد تعلمنا الكثير."

وتابع: "نحن ننجز أعمالاً لم يخطر ببالنا امكان تحقيقها قبل عشر سنين، لان عملية الغوص تتطور بتكنولوجية عالية تتصل بكل حقول المعرفة." وأحد هذه الحقول هو الطب.

بدأ غاليرن دراسة غرفة الضغط العالي الطبية التي استخدمت لمعالجة اضطرابات الطفو الطارئة منذ بدأت شركات التنقيب عن النفط في عرض البحر تحض الغواصين على النزول الى أماكن أكثر عمقاً. يقول غاليرن: "لم يكن في وسعنا تحقيق ذلك لولا هذه الغرف التي تتيح اجراء المعالجة الطبية حين الاقتضاء."

القبطان نيمو - يدل غاليرن زائريه باعتزاز على غرف ازالة الضغط في "المركز الامريكي للضغط العالي" في مقر شركته في سيتي آيلند. وداخل الغرف يدرّب الغواصون كما لو كانوا في قاع البحر، وفي الامكان استخدامها لمعالجة مرضى المستشفيات معالجة متخصصة بحالات الغنغرينا والتهاب نِقي العظام والتسمم بأول أوكسيد الكربون. ويشرح الدكتور رولاندو سانشيز الطبيب المسؤول عن المعالجة، قائلاً: "ان المعالجة تحت ضغط ثلاث وحدات جوية وأثناء استنشاق أوكسيجين نقي، تضاعف تزويد الجسم أوكسيجيناً. انها معالجة رائعة!" وكثيرون مدينون بحياتهم لهذه الغرف.

أحد هؤلاء هو نيل سكوبتيري، سائق سيارة تنظيفات في مدينة نيويورك. في الرابعة والنصف من صباح ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ أدار جهاز التدفئة داخل سيارته من دون ان يدري أن تلفاً في عادم الصوت يسرب غاز أول أوكسيد الكربون الصرف الى حجرة القيادة. وبعد ثلاث ساعات وجده زميلان فاقداً الوعي فطلبا سيارة اسعاف. وعندما وصلت لم يتبين فيه الفريق الطبي أي علامة للحياة. ومع ذلك عالجه بتدليك القلب لاكثر من ساعة ونجح في ابقاء قلبه ينبض الى أن وصلت به سيارة الاسعاف الى مركز المعالجة بالضغط العالي في الشركة.

يقول غلين بتلر مدير غرفة الضغط العالي: "وصل الينا في حالة قصور قلبي،

ولم نتوقع أن يعيش. واذا عاش فسيكون قد لحق بدماغه ضرر فادح."

وُضع سكويتيري في غرفة الضغط للمعالجة الفائقة التي تجرى لمن غطسوا الى عمق ٣٠ متراً تحت الماء، فينشّقون أوكسيجيناً نقياً بضغط يعادل ثلاثة أضعاف الضغط العادي.

في الاولى بعد الظهر فتح سكويتيري عينيه وكانت ملكاته العقلية سالمة، فغادر المستشفى في ٢٩ يناير (كانون الثاني) في تمام عافيته.

واتفق لاحقاً في تلك السنة أن شب حريق في دكان في حي برونكس في نيويورك. امتدت النار بسرعة وأصيب أحد رجال الاطفاء اصابة بالغة لتنشقه كمية كبيرة من أول أوكسيد الكربون. فسحبه رفاقه من احدى البنايات المجاورة وهرعوا به في طائرة مروحية الى سيتي آيلند للمعالجة في مركز الضغط العالي لدى "الشركة الدولية المحدودة لمتعهدي الاعماق."

يقول الدكتور سانشيز: "ازدحم المكان برجال الاطفاء. في ذلك اليوم أدرك سكان مدينة نيويورك مدى أهمية مركز الضغط العالي كجزء من نظام جهاز الطوارىء في مدينتهم. وقد بدأوا - هم وسواهم في أنحاء العالم - يدركون أن القبطان نيمو لم يعد مجرد أسطورة بل تجسّد رجلاً فرنسياً حقيقياً جعل من الخرافات وقائع.

خورخي فالوس

فاعلة خير!

عجز رجل عن ادارة محرك سيارته فاتصل بمرأب طالباً ونشاً يقطر سيارته "البويك" الحمراء الداكنة المتوقفة في قلب المدينة التجاري وتحديداً قرب أحد العدادات الرسمية في الشارع الفلاني، ويودعها ميكانيكياً أعطى عنوانه.

ركب الرجل سيارة أجرة عائداً الى مكتبه حيث تلقى بعد قليل مكالمة هاتفية من المرأب تعلمه أن سائق الونش لم يجد السيارة. فهب الى حيث ترك سيارته ليتقصى الامر، فرأى الونش متوقفاً قربها في المكان الذي حدده.

قال معاتباً سائق الونش: "ألا ترى السيارة أمامك بكامل مواصفاتها؟ فلمن ظننتها؟"

فرد هذا أنه حسبها فعلا السيارة المطلوبة، لكنه عندما كان منهمكاً في ربطها وصلت امرأة وأصرت على أن السيارة تخصها.

ثم لاحظ الرجل قصاصة ورق على الزجاج الامامي تحت المساحة. وقرأ فيها: "كان الونش على أهبة أن يأخذ سيارتك للحجز، فوضعت قطعة نقدية في العداد وأنقذتك. فاعلة خير."

ج.ج.

الكلام رخيص الا اذا وكلت محامياً.

و.م.و.

غريب في بيتنا

فجأة لم يعد زوجي ذاك الرجل الذي عرفته لسنوات

تكلمنا عنه كثيراً. وها قد حصل. نحن متقاعدان.

ولكن عمَّ كان الكلام حقيقة؟ المال. أسيكون منه ما يكفي؟ لدينا قطعة أرض. تساءلت طويلاً، وقلقت بصمت. لقد قرأت، مثل الجميع، عن شجون التقاعد. كتب متهكم: "ما هو التقاعد؟ زوج مضاعَف ونصف راتب." ضحكت كثيراً عندما قرأت هذه الكلمات.

ولكن أسيكون ذلك أمراً مضحكاً حقاً؟ أسيكون زوجي في كل جزء من المنزل يخبلني؟ أسيكون ضجراً؟ قرأت مرة، بقلب واهن، أن بعض الرجال يموتون من فور تقاعدهم.

الامَ نحن واصلان؟ السبت والاحد لا يحسبان طبعاً، ولكن هنا مشهد من ذلك الاثنين الاول:

يأتي الى المطبخ فاركاً يديه بخفة، مسربلاً بصدرة صوفية منسجمة مع سرواله القاتم. حذاؤه كمرآتين. انه كالخارج من مجلة ازياء. وأنا أشبه بقايا تصفية منزلية من السلع المستعملة غير المرغوب فيها: خف عادي وثوب قديم.

أجرع القهوة محاولة فتح عيني. بدأ

يفتش في البراد. عمَّ يبحث؟ عن السمك المقدد؟ أليس لدينا سمك مقدد؟ صباح الاثنين؟ أيظن أننا في فندق الاحلام؟ لكنني لم أشأ أن أفسد أول أيام حريته، وهكذا حضّرت عجة بيض لذيذة.

قبل أن ينهي احتفاله الاول بالتقاعد وقفت في الباب احدى السيدات المتاجرات بالاراضي. حسناً هذا الصباح لست وحدي. حيا السيدة ببشاشة واستغرق معها في حديث اجتماعي شائق. أهذا زوجي حقاً؟

تمر الايام، وهو يزداد غرابة. أما أنا فأعترف بأنني لم أعد واثقة كما كنت مما سيفعل بعد. عندما تزورني صديقتي على غير انتظار لاحتساء فنجان قهوة والدردشة قليلاً، يسحب الجريدة عن الكرسي وينحني ويومىء اليها بالجلوس كأنما هو أحد فرسان الكتب. يقول مبتسماً: "فكري في أنني لست هنا." أما صديقتي فيتملكها اضطراب اذ كانت تحيته المعتادة "مرحباً" شاردة.

ضَجِرٌ؟ ليس زوجي ضجراً حقاً. انه سعيد جداً. يظل يقول لي: "هاتِ، دعيني أفعل ذلك." لقد تحرّر أخيراً من حياة عمله، فانشغل بخطط وأعمال... وبي.

ها هو قد ارتدى بذلة أنيقة ولمع حذاءه وها أنا أسرّح شعري قبل أن أدخل المطبخ.

كأنما نحن ننتظر زواراً.

أجدني أفكر فيه، في جميع فترات النهار، من هو؟ هل هو حقاً مهتم بكل الاعمال اليومية التافهة كما يبدو لي؟ كلِ تلك المهمات الطفيفة التي تمنعت طويلاً عن ازعاجه بها؟

قال بغتة ذات صباح: "الآن، وأنا أراكِ وقتاً طويلاً من النهار، أشعر بأنك لست المرأة التي ظننت أنك كنتها."

ها قد وصلنا الى النهاية انه يكرهني! أنا لست ذاتي. أنا غريبة حتى عن نفسي.

سألته بقلب واهن: "إلى أي حد أنا مختلفة؟"

سعل وابتسم بخجل وأجاب: "لا يمكنني التحديد. كل شيء مختلف. كأننا التقنيا لتونا وأنا أسعى الى نيل اعجابك."

هنة شمشوم



طلاب الفيديو

فيما كنا ننتظر وصول الاستاذ في الصباح الباكر راح أحد الطلاب يتحدث عن حفلة كبيرة حضرها في الليلة الفائتة. وكان بادياً انه تأخر في النوم وخرج مسرعاً ليدرك صفه، اذ فيما وضع كل الطلاب آلاتهم الحاسبة على طبقاتهم راح هو يفتش في حافظة كتبه، ثم أخرج جهاز التحكم بالفيديو من بُعد.

ك.ل.

عالج عملك بجدية ولكن عامل نفسك برفق.

ش.و.م.

فضائح التحاليل المخبرية

صحة الملايين وحياتهم معرضتان للخطر بسبب فحوص مخبرية خاطئة وقد تكون أنت واحداً منهم

ينفق الامريكيون مليارات الدولارات سنويا لاجراء فحوص مخبرية حيوية في سبيل تشخيص الامراض والكشف عن العلل المهلكة. ولكن في بعض الاحيان تأتي نتيجة الفحوص خاطئة، وقد تكون الاخطاء قاتلة:

□ شعرت باميلا باريش، من مدينة سياتل في ولاية واشنطن، بتوعك خفيف، فاستشارت أحد الاطباء الاختصاصيين بامراض النساء في مايو (أيار) ١٩٨٠. شخّص الطبيب أنها مصابة بمرض معيّن، فأجرى لها فحص "باب" وارسل الى المختبر شريحة زجاجية عليها عيّنة للفحص. فكان تقرير المختبر أن ليس هناك أي أثر للسرطان. وإذ لم تزل العلة في نوفمبر (تشرين الثاني)، استشارت باميلا طبيباً ثانياً أظهر له الفحص المجهري نشوء سرطان في عنق الرحم.

Photo: © Ed Lettau / Medichrome

فأجريت للمرأة جراحة استئصال الرحم وعولجت بالاشعة، ولكن كان فات الاوان. فقد عجز الطب عن وقف امتداد المرض، فتوفيت المرأة عن ٣٣ سنة في فبراير (شباط) ١٩٨٣. ولو أصابت نتيجة الفحص الاول لتم اكتشاف السرطان قبل ستة أشهر ولقدّر لباميلا باريش ان تبقى قيد الحياة.

□ في مونتانا يحتّم قانون الولاية أن يخضع المواليد الجدد لفحص الغدة الدرقية. وقد ظلت غدة أحد المواليد ثلاثة أشهر من دون فحص، فلم يشتبه باصابته بقصور في وظائفها، ولم يفد الفحص المخبري عن مستوى منخفض لهرمون "ثيروكسين" الذي تفرزه مما يشكل تحذيراً واضحاً من قصور وراثي في الغدة الدرقية. فنتج من هذا الاهمال الفاضح أن أصيب الطفل بعطل دائم في الدماغ والعضلات والأعصاب.

□ في مانسفيلد بولاية لويزيانا استؤصلت شامة من غايل هنتر وأرسلت الى مختبر حكومي أفاد أنها غير خطرة. وبعد ثلاث سنوات استأصل الجراح كتلة سرطانية كبيرة من تحت إبطها الايمن، وأثبت الفحص وجود ورم قتامي (★) هو نوع خبيث جداً من السرطان. ولكن كان فات الاوان لانقاذ هنتر فماتت بعد ثمانية اشهر.

تقرير مقلق – أعلن السناتور وليم كون عضو لجنة فرعية أولاها مجلس الشيوخ أمر التدقيق في الفحوص الطبية: "أن الفحوص الخاطئة أصبحت تشكل خطراً كبيراً على الصحة." وهذه المشكلة ليست أمراً جديداً، لكنها ساءت في السنوات الاخيرة. فقد ازدادت الفحوص على نحو هائل، نظراً الى تطوير اختبارات جديدة وأجهزة الكترونية فاعلة للفحص بكلفة معتدلة. ويتيسر للاطباء الآن شراء أجهزة مدمجة تمكنهم من اجراء الفحوص في عياداتهم.

ولكن ما هي نسبة تعدد الاخطاء؟

ليست هناك احصاءات وطنية، ومن المدهش أن أحداً لا يعرف عدد المختبرات العاملة. هناك نحو ١٢ ألف مختبر تخضع لرقابة مديرية تمويل الرعاية الصحية. وتعنى المديرية بوضع برامج لتقويم أداء المختبرات، لكنها تفوض الى الدوائر الصحية في الولايات الترخيص للمختبرات بالعمل. ان المختبرات التي لا صلات تجارية لها بولايات أخرى تخضع فقط للاشتراع المعمول به في الولاية حيث تعمل. وهناك تباين كبير في أنظمة الولايات، اذ ان ثلاث عشرة ولاية فقط تنظم عمل مختبرات عيادات الاطباء التي يراوح عددها بين ٨٠ ألفاً و١٠٠ ألف. وقد تكون هذه مختبرات صغيرة تجري فحوصاً بسيطة للبول والدم، وقد تكون مختبرات متقنة تضاهي المختبرات العاملة تجارياً.

مع أن المختبرات الكبيرة تخضع لسلطة مديرية تمويل الرعاية الصحية، فمن المدهش أن الادارة لا تنظم جداول بشروط الوقاية والفاعلية المطلوبة ولا تنظم تقارير دورية في شأن المختبرات. ولكن في أواخر أغسطس (آب)، استجابة لطلب من اللجنة الفرعية في مجلس

(★) Malignant melanoma

الشيوخ التي تحقق في الفحوصات، قدمت المديرية تقريراً مقلقاً عن انجازات ١٤٥٠ مختبراً تعمل بموجب برنامجها.

ضبط المختبرات – خلال فترة السنتين التي انتهت في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ قلّصت صلاحية ١٨٦ مختبراً – أي ١٣ في المئة من المجموع – لاجراء بعض الفحوص المعينة، ومنها ٧٨ مختبرا لعدم كفايتها و١٠٨ مختبرات أخرى فضّلت التنازل طوعاً عن حقها بدل التعرض للملاحقة القانونية. ولا أحد يعلم كم من الاخطاء ارتكبت في تحليل نتائج الفحوص أو ما هو عدد الاشخاص الذين ذهبوا ضحايا لهذه الاخطاء.

كانت "مراكز مكافحة الامراض" في أتلانتا بولاية جورجيا تمتحن بانتظام مؤهلات المختبرات في الولايات. فتعمد أربع مرات سنوياً الى ارسال عينات الى كل مختبر لاجراء سلسلة من الفحوص عليها، وتبعث النتائج الى مراكز المكافحة التي تقارنها بالمقاييس الصحيحة المقررة.

في تقرير لمراكز المكافحة عام ١٩٨٦ عن التحاليل الكيميائية للدم، تبين أن ٤٧ مختبراً – أي ثمانية في المئة – اخطأت في تحديد كمية الكلسيوم. واذا بلغت زيادة الكلسيوم حداً مرتفعاً معيناً، نتج من ذلك توقف عمل الكلى فالصدمة والموت. وأخفق أربعة في المئة من المختبرات في تحديد كمية الغلوكوز في الدم، وهو الفحص المتبع لكشف داء السكري.

ربما كانت نسبة الخطأ هذه – أربعة في المئة – غير ذات أهمية في نظر المواطن العادي، لكنها تعني عدداً هائلا من الفحوص الخاطئة. وتقدر شركة "إ. إ. دوبون دو نيمور" التي تصنع معدات اختبارات طبية أن ستة مليارات فحص أجريت في الولايات المتحدة عام ١٩٨٥، منها ثلاثة مليارات في المستشفيات و١،٨ مليار في المختبرات التجارية ومعظم ما تبقى في عيادات الاطباء. فلو أخذنا بنسبة أربعة في المئة من الخطأ لكان هناك ٢٤٠ مليون فحص خاطىء أو لا فائدة منه أو مسبب للاذى.

لكن مراكز المكافحة أوقفت فحص الكفاية في أغسطس (آب) ١٩٨٦ في سبيل الاقتصاد في النفقات أساساً، واستعاضت منه باخضاع المختبرات لفحوص تجريها وكالات خاصة. فاذا أخفق أحد المختبرات في ثلاثة من أربعة فحوص تنظم كل ثلاثة أشهر – وفي هذا النظام كثير من التساهل – فانه يفقد الحق في اجرائها.

ان المختبرات القليلة التي تخفق في هذه الفحوص تعاني مشاكل فادحة حقاً. فالمختبر في هذه الفحوص يدرك أنه يخضع لامتحان رسمي، لذلك تكون النتيجة قياساً لدقته القصوى وليس لدقته العادية.

وقد عمدت مراكز المكافحة الى اثبات ذلك بطريقة "الاختبار الاعمى"، اي بارسال عينات غير معترف عنها بملصقات. وفي أحد هذه الفحوص للكشف عن تعاطي المخدرات أخفقت ستة مختبرات من أصل ستة في الفحص

الاعمى، بعدما نجحت جميعها في فحوص الكفاية.

لا عذر للخطأ – لماذا يخفق هذا العدد الكبير من المختبرات؟

هناك اولا عمليات غش رديئة بحيث تفرغ العينات في المرحاض ويصار بعدها الى تزوير النتائج.

أما الاسباب الاكثر شيوعاً من الفحوص الزائفة فهي الاخطاء التي تنتج من عدم الدقة في تعيير الآلات، واستخدام مواد كيميائية تالفة في الفحص، وعدم كفاية تقنيي المختبر أو تعبهم، وأخطاء كتابية كابدال أسماء المرضى على العينات.

وهناك فحصان رئيسيان، هما فحص كولسترول الدم وفحص "باب" النسائي، تنتج منهما مشاكل خاصة. فالاطباء يعمدون الى خفض كولسترول الدم بهدف تخفيف خطر الاصابة بأمراض القلب، وهذا يحتّم الدقة في تحديد نتائج التحاليل. ولكن في اختبار أجرته "الكلية الامريكية لعلم الامراض" بهدف تحديد كفاية ٥٠٠٠ مختبر، جاءت تحاليل ٨٠٠ منها بعيدة عشرة في المئة عن النتائج الصحيحة، وتحاليل ٤٠٠ أخرى بعيدة بنسبة ١٥ في المئة. وهذه النتائج ضُمّنت دراسة أجراها هربرت نايتو من عيادة كليفلاند في أوهايو بطلب من معاهد الصحة الوطنية. وعلى الاثر نظمت هيئة التوعية ضد الكولسترول في تلك المعاهد حملة للحض على تقليص مجال الخطأ.

يستخدم فحص "باب" للكشف المبكر عن سرطان الرحم الذي يقضي على ٧٠٠٠ امرأة في الولايات المتحدة سنوياً. ونسبة الشفاء من هذا المرض عالية اذا اكتشف السرطان وهو لا يزال موضعياً أو في حال سابقة لتكونه. غير أن دراسة عينة "باب" تحت المجهر تشبه خوض متاهة معقدة. وفي امكان العين المدرّبة أن تكشف تركيبة الخلايا الشاذة، ولكن قد يحدث ما يلهي تلك العين الثاقبة فتخطىء في تقويم النتيجة.

كثير من مختبرات تحاليل "باب" تحمِّل التقنيين لديها أعمالا فوق طاقتهم، وهناك مختبرات أخرى تدفع أجراً مقطوعاً لكل فحص مما يشجع العمل السريع فتأتي النتائج خاطئة. وبحسب دراسة "الكلية الامريكية لاطباء التوليد والامراض النسائية" فان بين عشرين وأربعين في المئة من فحوص "باب" تأتي نتائجها سلبية خاطئة. وذلك لا يدل على أن النساء المعنيات مصابات بالسرطان، انما قد يكنّ في حال تدعو الى العناية. والنتائج السلبية الخاطئة قد تؤدي بالمصابة الى فاجعة.

جانيس جونسون زوجة وأم في احدى ضواحي واشنطن، أجري لها فحص "باب" في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ وأكتوبر ١٩٧٩، وجاءت النتيجتان سلبيتين. ولكن في فبراير (شباط) ١٩٨٠ أظهر التشخيص أنها مصابة بالسرطان، وتوفيت بعد سنة. وتبيّن لاحقاً أن فحصي "باب" السابقين كانا ايجابيين، والخطأ المزدوج ارتكبه التقني الوحيد في المختبر المكلّف اجراء فحص "باب".

طرق الوقاية – ماذا يجب عمله لمعالجة هذه المشكلة؟

من الواضح أنه يجب اصلاح الخلل في القوانين المنظّمة. فالحكومة الاتحادية لا تطلب اختبار كفاية للمختبرات التي تجري فحوص "باب". ثم ان الحكومة الاتحادية لا تفرض حداً أقصى لعدد الفحوص التي يجريها المختبر، وهذا يشكل اهمالا كبيراً. وعلى الولايات أن ترفع مستوى العمل في جميع مختبراتها الى مقياس المختبرات الاتحادية.

وامتحان الكفاية حقل آخر يحتاج الى اصلاح. فليست هناك وكالة تستخدم "الاختبار الاعمى" بانتظام لانه "مزعج" ومكلف. لكن هذه الطريقة متفوقة وتستحق أن ترصد لها موازنة اضافية. فلا شيء يضاهيها في نقل صورة صادقة عن كفاية المختبر، ولا شيء مثلها يبقي المختبر في حال تيقظ دائم. ومنذ وقت طويل والمختبرات المرموقة تجري الاختبار الاعمى تلقائياً.

لكن غاية الاطباء يجب أن تكون حماية المرضى، وعلى المرضى أن يسعوا الى حماية أنفسهم ويدركوا أن الفحوص ليست خالية حتماً من الاخطاء. فاذا لم تبد نتيجة الفحص منسجمة مع مؤشرات مرضك أو تاريخك الطبي، فيجب أن يساورك شك في صحتها. وقبل أن تخضع للمعالجة اطلب من طبيبك اجراء الفحص في مختبر آخر.

اسأل طبيبك عن المختبر الذي يعتمده وماذا يعرف عنه وهل أجري اختبار أعمى لذلك المختبر. في بعض الاحيان يبعث الاطباء عينات المريض ذاته الى مختبرين لضبط أي تباين خطير قد يحصل في نتائج الفحص.

وأهم ما يجب أن تتذكره أن الهدف من الفحص هو المساعدة في التشخيص، لكنه ليس بديلا منه. وعندما يكون هناك شك في النتيجة فما عليك الا أن تعيد اجراء الفحص.

اروين روس

تعريفات

التعاون: عملية ينجز بوساطتها شخصان امرآ ما وكل منهما يعتقد أن هذا الامر يخصه.

الثقيل الظل: شخص عندما تسأله كيف حاله يخبرك.

الرأي العام: ما يظن الناس أن الناس يظنونه.

م.ت.ل.

إقرأ تُشكر

عندما وبّخ الممثل الهزلي الامريكي جاي لينو أمينة صندوق السوبرماركت لانها لم تشكره عند الدفع أفحمته بالقول: "اقرأ كلمة شكراً على الايصال!"

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn
and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted
by C.E.P.I. in November 1985





النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

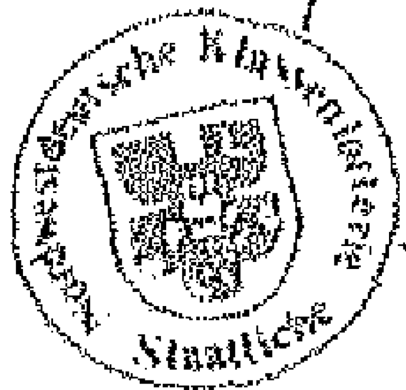
مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAN

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨١ لشمال ـ غرب ألمانيا
خاضع لرقابة الدولة

taatliche
westdeutsche
enlotterie

"إليك عرضنا الخاص: كيف تصبح مليونيرا!"





والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائزاً أخرى عديدة. إنه مدهش حقا! فأقل من كل ثالث رقم يربح مضمونا خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨١ حوالي ٢٠٦ مليون مارك ألماني، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٠ مليون مارك ألماني.

قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٣ × ٢ مليون مارك ألماني.

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الالماني". تسري دورة اليانصيب لمدة ٢٧ أسبوعا. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٧ سحبا وبالتالي ٢٧ فرصة لكي تصبح مليونيرا! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة ـ أو رسالة إذا فقدت ال
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، شيك عادي، شيك مسحوب ب بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام ال
- بدورنا نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول ا الرسمي. ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام. وستحوّل إليك بواسطة شيك إلى أي مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من ا الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أي حسم. كما أن إسم الرابح يبقى س
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء ال

لهذا السبب فإنه أمر مشوق لكم بالاشتراك في هذا اليانـ
جوائز مالية بقيمة ٢٠٦ مليون مارك الما
٣ × ٢ مليون مارك ألماني الجائزة الكبـ
١٩ × ١ مليون مارك ألماني
٥ × ١ مليون مارك ألماني أو
٥٠ × ١٠٠٠٠٠ مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٣٩٠٢٤٠ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠٠٠٠ مارك

نطرح ٧٠٠ ٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع، من هذه السبعمائة ألف ورقة
٤١٧ ٢٤٠ رقم في دورة السحب: وبذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث

إرسل إلى: Walther Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

قسيمة الاشتراك

81. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨١ لشمال ـ غرب ألمانيا * يجري السحب ابتداء من ٢٣ سبتمبر ١٩٨٨ لغاية ٢٣ مارس

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى: Walther Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

الرجاء الكتابة باللغة الألمانية O الإنجليزية O سيد O سيدة O آنسة O
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name		الإسم
Surname		اللقب
Street		الشارع
P.O.B.		ص. ب
City		المدينة
Country		الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Name of Card Holder

Acc. No.

Expiration Date

Signature

إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٢٥ ٪ بشراء ١/
ولا تنسى: على أي حال، كل ثالث رقم يربح مضمونا! جرب حـ

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القـ

		* أسعار الصرف للدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني تقريبية فقط. لإطلاع على الأسعار بالعملة الأخرى
	١/١ ورقة	٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٤٥٨ دولار أمريكي أو ٢٤٠ جنيه إ
	١/٢ ورقة	٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٣٨ دولار أمريكي أو ١٢٤ جنيه إ
	١/٤ ورقة	٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١٣٨ دولار أمريكي أو ٦٤ جنيه إ

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أي عنوان أو بنك في أي بقعة من أ

* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أ الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرزكارد، يو أكسس، ماستركارد أو ڤيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقا بعد كل سحب، ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت

سياجات

السياج الذي يضع الحدود
أصبح رمز حضارة



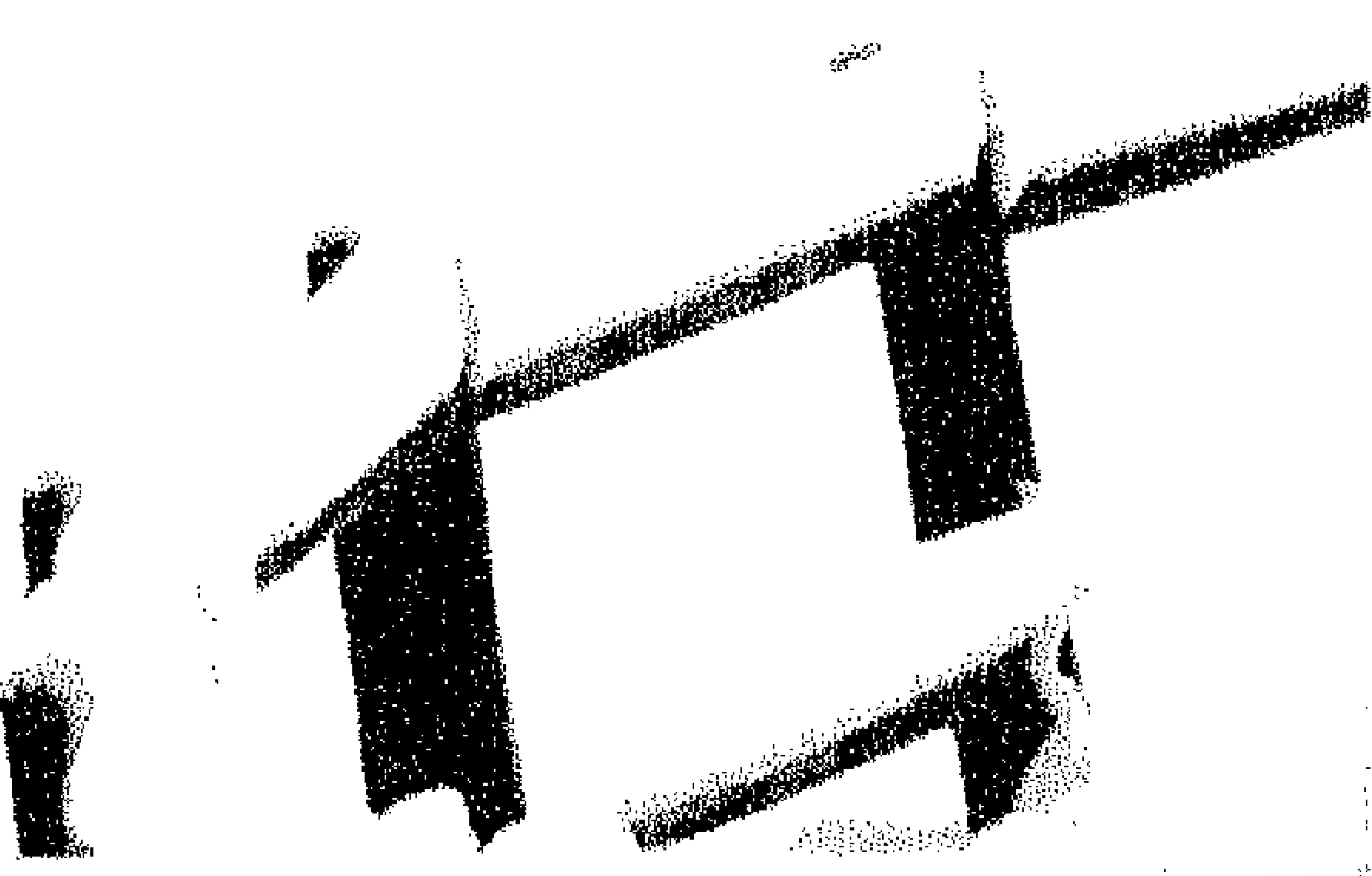


(فوق) جزء من السياج الفولاذي والحديد المسبوك أمام البيت الابيض.
(الى اليسار) سياجان مقضّبان نموذجيان في الولايات المتحدة.

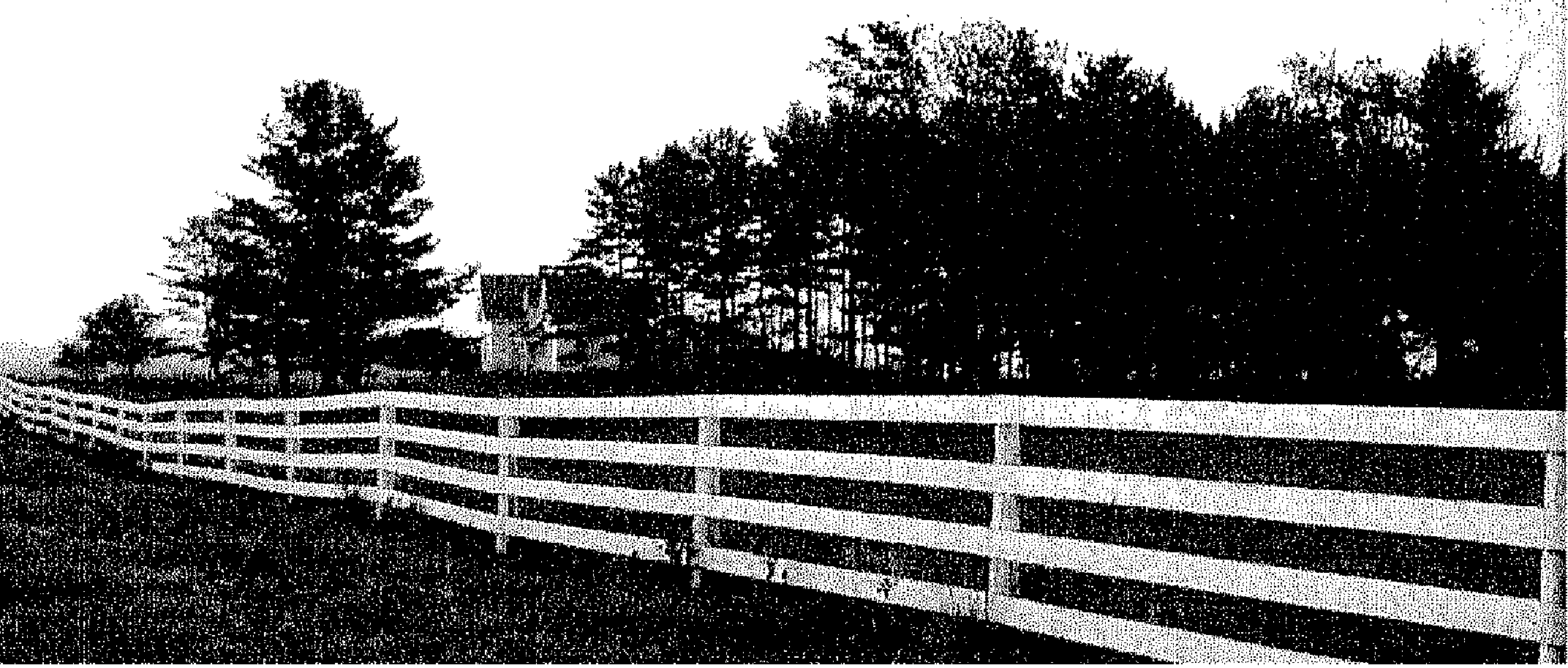
Photos: (Above) Kenneth Garrett; (far left) Chuck O'Rear / West Light; (background) Michael Stuckey / Comstock



للسياجات صيغة خاصة، مثل طوم سوير (★) الذي أمضى نهاراً في ميسوري يبيّض أحدها. ومثل الشاعر الامريكي روبرت فروست الذي نصح بسياجات جيدة بين الجيران. ويقال ان السياسيين الامريكيين يقضون وقتاً طويلا في "اصلاح سياجاتهم" أي في ترسيخ التآلف بينهم وبين خصومهم القدامى. وحين "يستند المرء الى سياج" فهذا يعني رفضه اتخاذ موقف محدد من أي قضية. وهكذا فان السياجات، التي تسوّر الحقول والاملاك الامريكية، دخلت القاموس كتعبير اصطلاحي ودخلت الحضارة كتقليد.



(★) بطل قصة شهيرة للروائي مارك توين.




Michael Stuckey / Comstock

صممت السياجات، تقليدياً، لحفظ الناس أو الحيوانات داخل الاملاك أو خارجها، ولتعيين الحدود وإقامة التخوم. أما اليوم فقد تعدت السياجات وظيفتها المعتادة. فباتت أيضاً رمزية ومعبّرة عن مكان أو شعب أو زمان. كما تستعمل في تزيين "المتّسعات" الخارجية، أو للدلالة على المناظر الطبيعية، أو للاشارة الى المتنزهات.

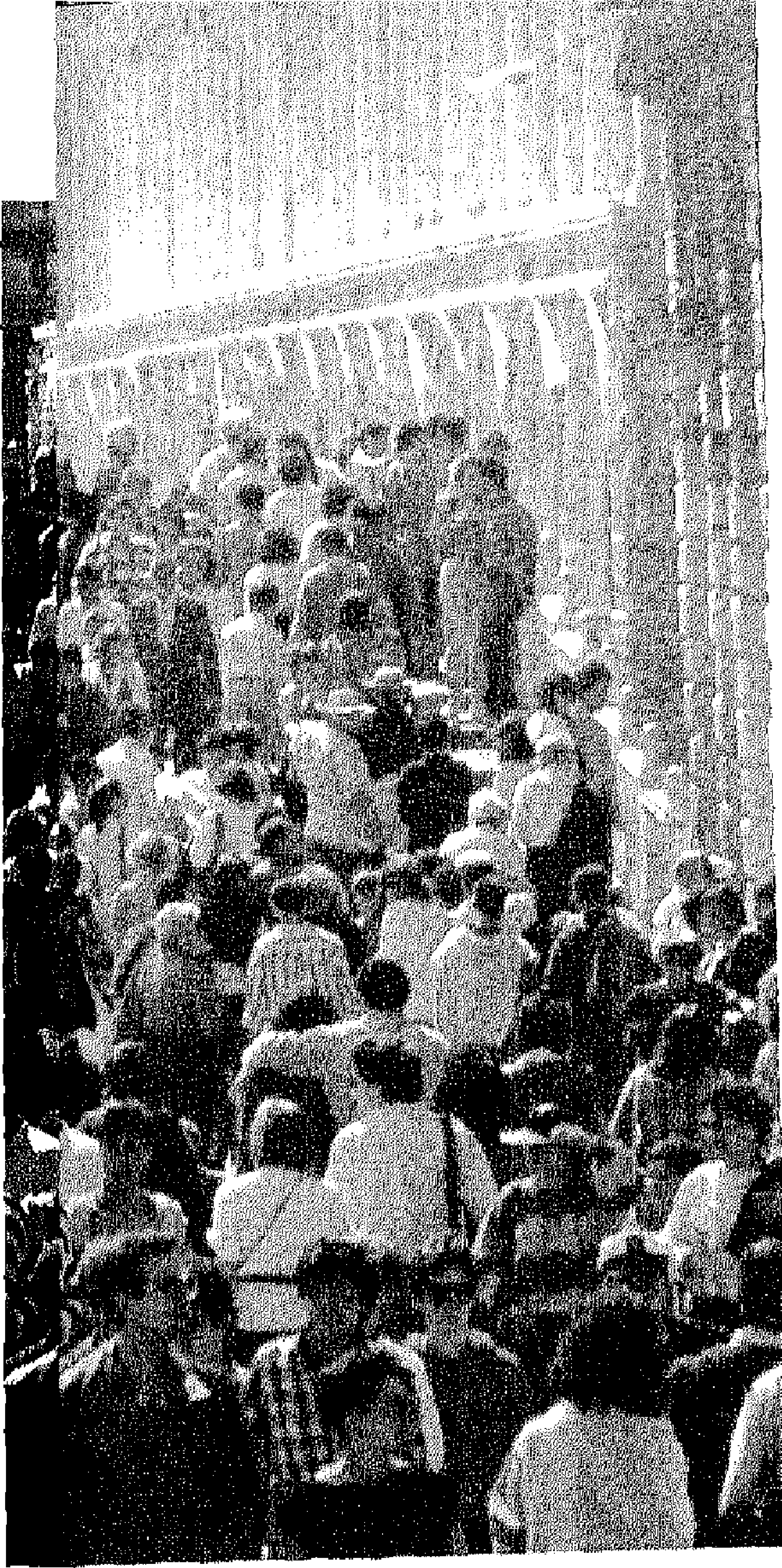
تقول جاكلين روبرتسون عميدة كلية هندسة العمارة في جامعة فرجينيا: "أنا أهتم جدياً بالسياجات، وأمضي وقتاً طويلا في تصميمها. فما يميز السياجات الامريكية عن الجدران الاوروبية هو انفتاحها، فهي تسمح للمرء بأن يرى خلالها وما وراءها. اننا نعيش في حضارة السياجات."

جوزف جيوفانيني

Brent Peterse

(فوق) سياج حجري في متنزه براندیواین کریك في ديلاوير شيد في القرن التاسع عشر. (اعلى اليمين وتحت) سياجان مزخرفان من أواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن.

Background photo:
Bullaty — Lomeo



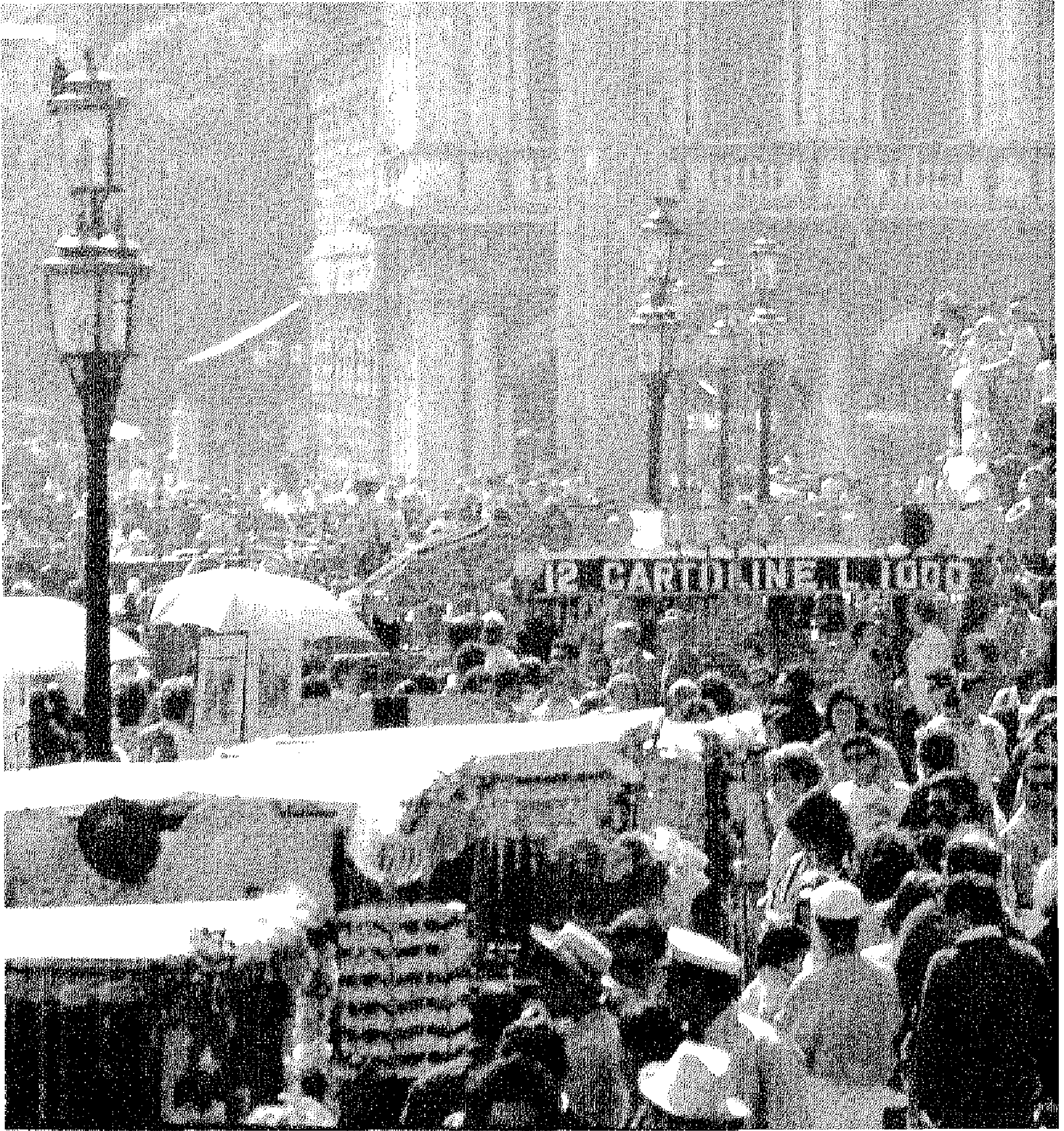
F. Scianna / Magnum

«الهمجيون» الجدد

تجتاح حشود السياح المواقع الاثرية فتشوّه التراث الثقافي والمعماري. هنا أمثلة من أوروبا يجدر الاعتبار بها في العالم العربي

في "فوروم" روما حيث ألقى شيشرون خطبه وقتل قيصر، يكسر السياح قطعاً من الرخام للاحتفاظ بها تذكاراً. وفي الـ"بيازا ديلا سنيوريا" في فلورنسا حيث أحرق سافونارولا، لونت أظافير أصابع قدمي تمثال "ديفيد" وهو نسخة من تحفة ميكلانجيلو. وفي الـ"بارثينون" في أثينا يدس السياح قطعاً من الصخر في حقائبهم ليهربوها الى بيوتهم ويستعملوها مثقلات للورق. وفي جبال البيرينيه الشرقية يزحفون في محاذاة جدران القلاع ويزيحون الحجار عمداً ويرمونها الى أسفل الجبل. وليضمنوا أن جريمتهم حفظت الى الابد، ينقشون الاحرف الاولى من أسمائهم على الجدران القديمة.

انهم "الهمجيون الجدد" كما سمتهم الصحافة الساخطة. ولا يخفى أمرهم على المسؤولين عن السياحة وحماة التراث



لم تجد التدابير المتخذة للحد من عدد زوار البندقية.

والحضارة في العالم. واذ تستمتع أوروبا بموسم آخر من السياحة الجماعية، فان حسن الضيافة يتحول بسرعة تمريناً على التحكم بالاضرار. ومع ازدياد عدد المقيمين الذين يجدون مدنهم تزدحم وآثارهم تتأذى، يعاد تخمين الثمن الذي يدفعه بلد ما للحصول على الشعبية.

ويقول جان كلود دولارو وهو رئيس مجموعة فرنسية رائدة من أنصار البيئة: "في رأيي أن السياحة زادت على اللزوم، وقد تكون لها عواقب خطيرة على بيئتنا الاجتماعية والطبيعية."

ان قلة من الحكومات مهيأة لثني الناس عن السياحة في أراضيها والتنازل عن المال الذي تجنيه من الزوار. وتؤكد وزارات السياحة والمؤسسات السياحية في أوروبا أهمية هذه الصناعة لخزينة الدولة. ولكن يلح النقاد والجماعات الضاغطة على أن تحسب الكلفة الحقيقية ويصلح الضرر.

ثمن باهظ - النجاح الاقتصادي للسياحة لا يقبل الجدل. ففي فرنسا عام ١٩٨٧ أنفق نحو ٣٦ مليون زائر ٦٨ مليار فرنك (نحو ١١،٥ مليار دولار). وتوفر السياحة في بريطانيا حالياً نحو ١،٤ مليون وظيفة وتجني أكثر من ١٤ مليار جنيه استرليني (٢٥ مليار دولار) سنوياً. وقد أغنى زائرو اسبانيا البالغ عددهم ٣٣ مليوناً عام ١٩٨٧ خزينة الدولة بـ١٧٣٠ مليار بيزيتا (١٥ مليار دولار). وفي حين يقصد الاغنياء والمغامرون الاراضي البكر، تبقى أوروبا الغربية محجة السياح المتوسطي الحال. وذلك الاتجاه يغير اقتصاد السياحة في العمق. ويرى مسؤولون أن السياح المستعجلين ذوي الموازنات الضئيلة يساهمون في كثير من الضرر وقليل من الربح. ويقول أنطونيو سيديرنا وهو عضو في البرلمان الايطالي يمارس منذ وقت طويل ضغطاً لحماية البيئة: "انها الوجبات السريعة في السياحة."

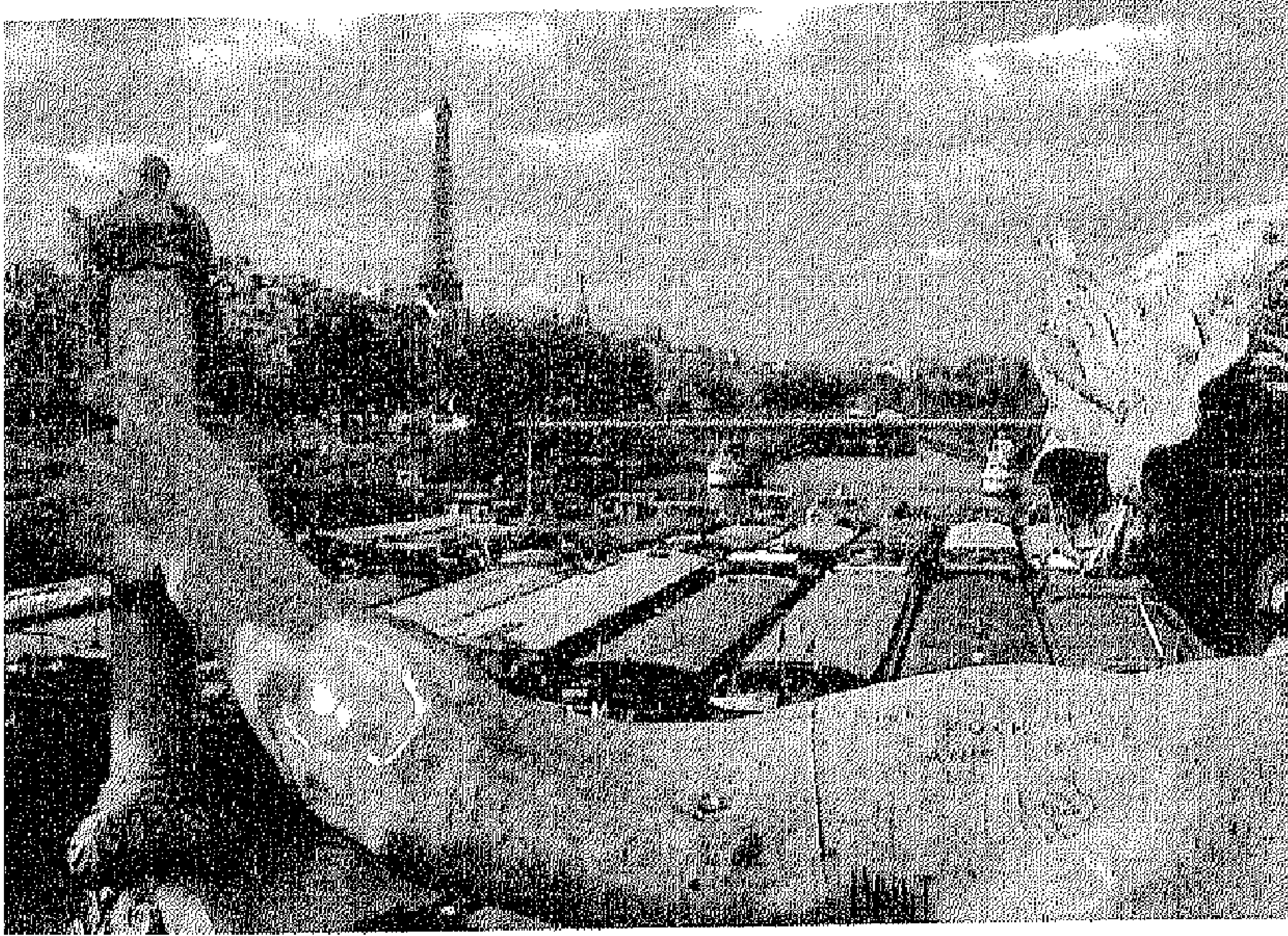
من أبهظ الاثمان التي تدفعها السياحة في أماكن كثيرة الاجرام والتخريب المتعمد. وهنا بعض الامثلة المحزنة: مدينة كاركاسون الفرنسية المحصنة الباقية منذ القرون الوسطى شوهتها الكتابات والرسوم الرعناء، كذلك فوروم روما وحصن "مون سان ميشال" شمال غرب فرنسا. وفي "وادي العجائب" في متنزه مركانتور جنوب فرنسا ١٠٠ ألف نقش محفورة في الصخر منذ فترة ما قبل التاريخ. انها العمل اليدوي لرعيان عصر البرونز الذين حفروا، بالنقر على الصخر قبل ٣٥٠٠ سنة، رسوماً لرؤوس ذات قرون وأجسام بشرية وأسلحة وأشكال أخرى. وقد اقتلع الزائرون بعض هذه النقوش من الصخر، وهي اليوم تقبع على رف في مكتب ما تذكاراً لعطلة سابقة. وقد طلى هواة التصوير رسوم ما قبل التاريخ بالزيت لاحداث انعكاس جيد والحصول على لقطات مثالية. وضاعت رسوم أخرى تحت طبقات من الكتابات والشعارات. ويقول المدير المساعد في المتنزه دوني كليمان: هناك مزيد من الزائرين الذين يخربون الموقع. وتحجيم الضرر هو أولويتنا."

لا يقع اللوم على السياح في كثير من أعمال التخريب والتدنيس. فالاقتصاد السياحي الجديد شجع النمو السريع



F. Scianna / Magnum

أصابع قدم تمثال كلاسيكي شوهتها أيدي المخربين.



تمثال برونزي
على جسر الاسكندر الثالث
في باريس
شوهته كتابات السياح.

والتخطيط غير الدقيق اللذين يغيران المناظر الطبيعية والمدينية في اوروبا. فمنصات بيع التذكارات تملأ مدن القرون الوسطى، وتغص الجادات الكبرى بمطاعم الوجبات السريعة. وأصبح صرح "سان بول" في لندن أشبه بمحل تجاري منه بكاتدرائية، بعد احداث مكتبة في الممشى الرئيسي. ووشمت أعقاب أقدام الزائرين أرضية قصر شونبرون في فيينا، المرصعة والنفيسة، بعدما سلمت قروناً تحت أخفاف الدوقات.

اجراءات حماية – تقول البريطانية جين فاوست وهي من أنصار حفظ الآثار: "ان النصب والمواقع الاكثر شعبية هي في خطر من التخريب المتعذر اصلاحه. ويرصد نزر يسير جداً من أرباح السياحة لصيانتها."

في مدريد تتحول "بلازا مايور" (الساحة الكبرى) ذات الاعمدة المصفوفة قاعة طعام ومنامة. ويخوض شبان يسيحون بحقائب على ظهورهم في بركة نافورة "بلازا ديلا سيبيلس" متبردين بمياهها. وخارج المدن ترمى القوارير البلاستيكية في البحيرات والانهار وتغطى دروب الغابات بنثار المتنزهين.

جرب المسؤولون حلولا شتى لارضاء نقاد السياحة من دون أذية الاقتصاد المعتمد على السياحة. فضيقت بعض السلطات المحلية الأنظمة المرعية في المواقع السياحية لمنع حصول مزيد من الضرر. وعينت مدن أخرى مزيداً من الحراس في المواقع السياحية لمراقبة الحشود. وفي خطوة لاتخاذ اجراءات صارمة في حق الزائرين الذي يحزمون أمتعتهم على ظهورهم، فرضت السلطات المحلية في البندقية غرامات على النوم في العراء ورمي النفايات والتجول داخل المدن ببذلات السباحة وتناول الطعام في "بيازا سان ماركو." ويشرح أوغوستو سالفادوري الذي باشر هذه التدابير: "نطلب من السياح أن يحترموا جمال المدينة وأنظمتها. انها ليست مسألة حرية، بل قضية تصرف متحضر."

وتبدو مواقع سياحية "ساخنة" أخرى

Photo: Claude Thibault / ANA

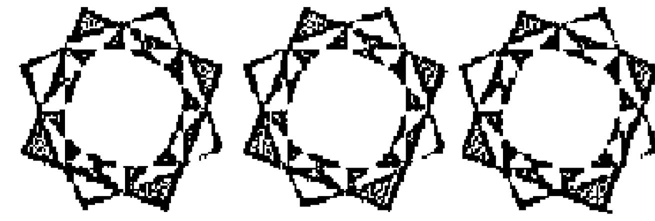
مهيأة لاتباع خطى البندقية. في "سان أنطونيو أباد" على جزيرة ابيزا الاسبانية، تهدد السلطات المحلية بترحيل السياح المتهتكين الذين يسببون مشاكل في الطرق والحانات. ويدعي نورمان سكينر وهو ناشر دليل سياحي محلي، أن "السلطات سترحل هؤلاء السياح على متن أول طائرة."

في الوقت نفسه تعمل السلطات على حماية كل ما هو تاريخي وسهل الكسر. يقول نيكولا كاريغليا نائب محافظ مدينة فلورنسا: "المظهر الخارجي للمدينة هو شغلنا الشاغل. ولقد منعنا فتح مطاعم جديدة للوجبات السريعة أو البيتزا في منطقة فسيحة."

حتى النقاد الاكثر جرأة لا يلومون السياح بمقدار ما يلقون اللوم على الصناعة السياحية والسلطات المحلية. وعلى رغم أن بعض الضرر الحاصل هو تخريب متعمد فان الكثير منه هو نتيجة تقصير في التخطيط. وقد أنفق المسؤولون عن متنزه مركانتور نحو ٧٠٠ ألف فرنك (١٣٠ ألف دولار) عام ١٩٨٧ لاقامة لافتات تشرح هشاشة الحياة النباتية والحيوانية والآثار. ويقول كليمان: "لقد سبب الجهل كثيراً من التخريب. ومتى شرحت الواقع للناس فانهم يحاولون المحافظة على طبيعة الاشياء."

في الماضي أرخى المسؤولون الرسميون حبل السياحة فيما الارباح تتدفق عليهم. أما اليوم فقد تضخم حجم السياحة الجماعية بحيث بات لزاماً على السلطات الحكومية ان تشد هذا الحبل وتراقب عن كثب تصرفات السياح بغية التأكد من أن الاشياء الجميلة ستبقى مصدر بهجة الى الابد.

نانسي غيبس



بخل متأصل

قال الاسكوتلندي البخيل لنادل المطعم: "أريد أن أتعرف الى الفتاة الجالسة الى تلك الطاولة. فهلا طلبت منها أن تدفع فاتورتها؟"

ا.ت.

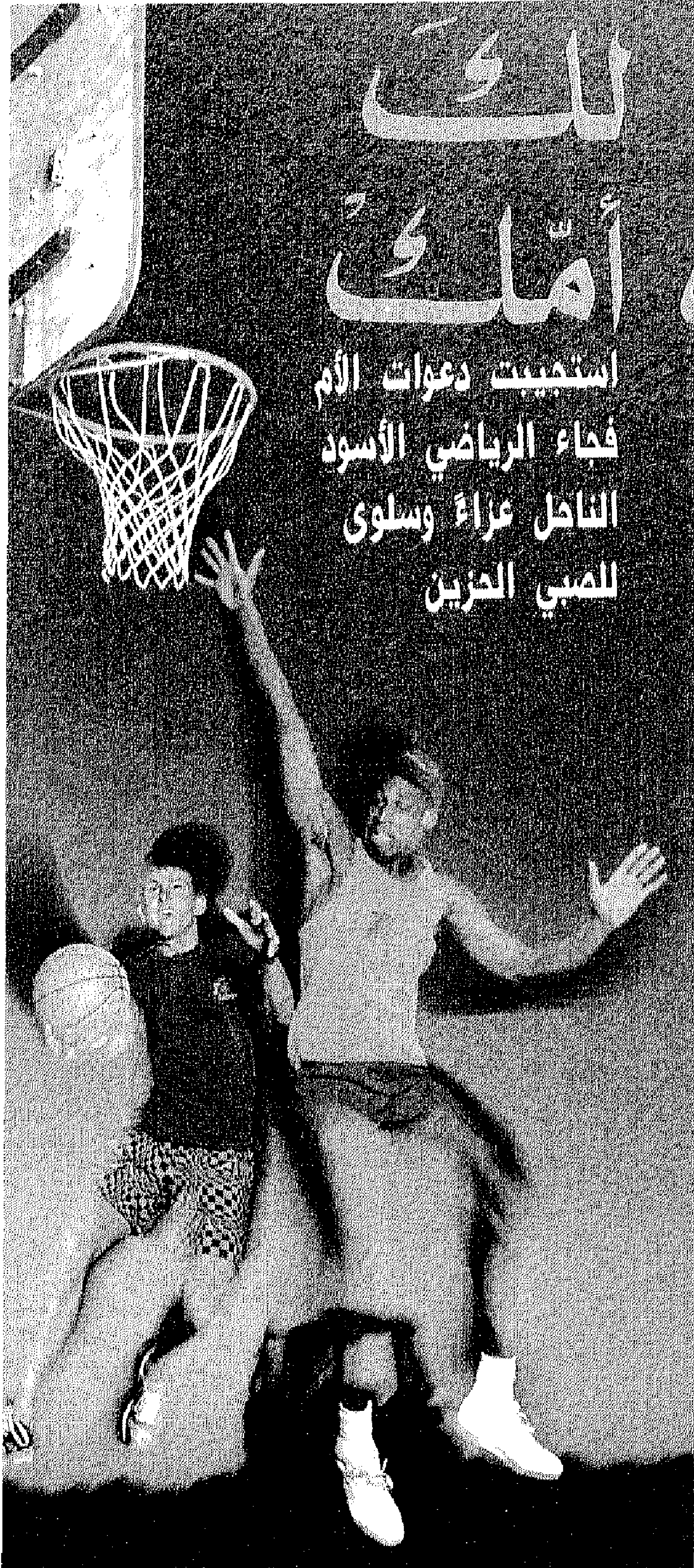
درهم وقاية...

في أحد الفنادق الفخمة نزلتُ من المطعم الدوار على السطح في مصعد خارجي زجاجي يُرى منه منظر شامل للمدينة. فسمعت إحدى السيدات تقول لرفيقتها: "زوجي يكره هذا النوع من المصاعد. فالأماكن المرتفعة تشعره بالدوار والغثيان." وتوقفت لحظة ثم أضافت: "مع أنه ربّان طائرة."

فسألها رجل كان معنا في المصعد: "عفواً يا سيدتي، في أي شركة يعمل زوجك؟"

ج.م.ع.

رُبَّ أخٍ لكَ لم تلدهُ أمُّكَ



استجيبت دعوات الأم فجاء الرياضي الأسود الناحل عزاءً وسلوى للصبي الحزين

ذات يوم قارس من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ كان بريان ريتش وصديقه براد روبنسون يصطادان مع صبيين آخرين في الريف خارج بلدتهما بوكشيتو في ولاية أوكلاهوما. وتوقف بريان (١٣ عاماً) لحشو بندقيته، فألقمها خرطوشة ورفعها ليسددها الى عصفور على شجرة. لم يكن اصبعه على الزناد، لكن النار انطلقت من البندقية. سقط براد مصاباً في بطنه. حضن بريان الصبي المتلوي فيما هرع رفيقاه طلباً للنجدة.

توفي براد بعد بضعة أيام. ومع ان والديه أكدا لبريان أنهما واثقان بأن الحادث حصل قضاء وقدراً فان الصبي لم يجد في ذلك عزاءً.

كرت الاشهر، ولم تخفِ برحاء بريان. ساءت علاماته المدرسية وانقطع عن الطعام وجفاه النوم. وكانت أمه بات

Photos: William Snyder

تصغي إليه وهو ينشج ليلة اثر ليلة: "لماذا حدث ذلك يا أماه؟" فتجيبه: "لا أعرف يا بريان. حسبُنا الله." وكانا يصليان معاً الى أن ينام بريان. ثم تضيف بات دعاء آخر: "أرجوك يا ربي، أرجوك، ساعد ابني."

تفكَّر بريان بصوت عال ذات يوم: "لو أن لدي أخاً..." وفوجئت بات بكلامه إذ ان لديه شقيقين. فأفصح بريان عن قصده: "باري ومايك يكبرانني كثيراً. لو أن في وسعنا تبني صبي صغير، اذاً لاعتنيت به وكنت أقرب صديق إليه، مثل براد."

لم يكن يسع الأسرة أن تنفق على تنشئة طفل آخر. فآل ريتش يزرعون القمح ويربون مئة رأس من الماشية ترعى في قطعة أرض تبلغ مساحتها ٢٤٠ هكتاراً، ومع ذلك كان الاب جايمس مضطراً الى العمل ساعي بريد في الأرياف، وكانت بات تدير صالون تزيين للسيدات.

حكاية "دودة" – في الصيف التالي بعد الحادث سمع جايمس وبات بدورة لتعليم كرة السلة في جامعة جنوب شرق اوكلاهوما في مدينة دورانت التي تبعد ٢٠ كيلومتراً. فقالا لبريان: "التحق بالدورة وجرب."

لبث الفتى هناك أسبوعاً ثم عاد الى البيت وهو لا ينى يذكر طالباً مستشاراً سيلتحق بالجامعة في الخريف بمنحة دراسية لكونه لاعباً جيداً بكرة السلة. قال بريان: "ندعوه دودة. لقد علمني حركات رائعة يا أمي."

وللمرة الأولى منذ سنة رأت بات بريقاً في عيني ابنها، فسألته: "لماذا تدعونه دودة؟"

أجابها: "لأنه فارع الطول، ناحل، واذ يسقط أرضاً يتعين عليه أن يتلوّى ويتعرّج كالدودة لينهض. واسمه الحقيقي دنيس رودمان. أحسبه يا أمي مستوحشاً. أيمكن أن ندعوه الى العشاء؟"

– طبعاً.

"إنه أسود يا أمي."

– سنسأل أباك رأيه.

لم تكن بات تتصور جلوس شاب اسود الى مائدة العشاء في بيتها. لكنها لمحت خيبة في عيني ابنها فقالت: "أحضره معك وسيكون كل شيء على ما يرام."

لم يكن رودمان شديد الرغبة في الحضور للعشاء. فأرياف أوكلاهوما عالم غريب لامثاله الذين قلما يغامرون بالخروج من دالاس بولاية تكساس. لكن بريان ألح عليه. وذات يوم قاد جايمس السيارة الى دورانت ومعه بريان لاصطحاب رودمان.

كانت بات في انتظارهم في الرواق الأمامي. وإذ رأت "دودة" يمد جسمه مترجلًا من السيارة أسرَّت في نفسها: لا عجب أنه غير راغب في المجيء. انه في الثانية والعشرين، ممطوط ٢٠٣ سنتيمترات طولاً، فكيف يأبه لصبي أبيض في الثانية عشرة من العمر؟ وأملت بات أن يرفق بابنها حتى ينقضي ذلك المساء.

الى مائدة العشاء أخذت بات وجايمس يلاطفان "دودة" ويستدرجانه للتحدث عن نفسه. انه يسكن مع أمه وشقيقتيه في دالاس. وأبواه منفصلان منذ كان في

الثالثة. لم ينضم الى أي فريق مدرسي لكرة السلة، لكنه عندما غدا فارع الطول استدعته احدى الكليات المجاورة لسنتين. وقد لعب فصلاً دراسياً كاملاً ترك على أثره المدرسة بسبب علاماته المتدنية. بعد ذلك اشترك في عدة مباريات على ملاعب دالاس، الى أن عرضت عليه جامعة جنوب شرق أوكلاهوما منحة دراسية.

رفض "دودة" المنحة، لكن أمه ألحت عليه بقبولها وهو أخبر آل رينتش: "سأمكث وقتاً ثم أفصل، فترضى أمي."

فبادره بريان بعزم: "إن بقيت في الجامعة فستكون أحد أفضل الطلاب الرياضيين في أمريكا، وستصبح لاعباً محترفاً."

قال "دودة": "لا أمل لي بذلك، فلست جيداً كفاية."

فواجهه بريان جازماً: "ستكون كذلك."

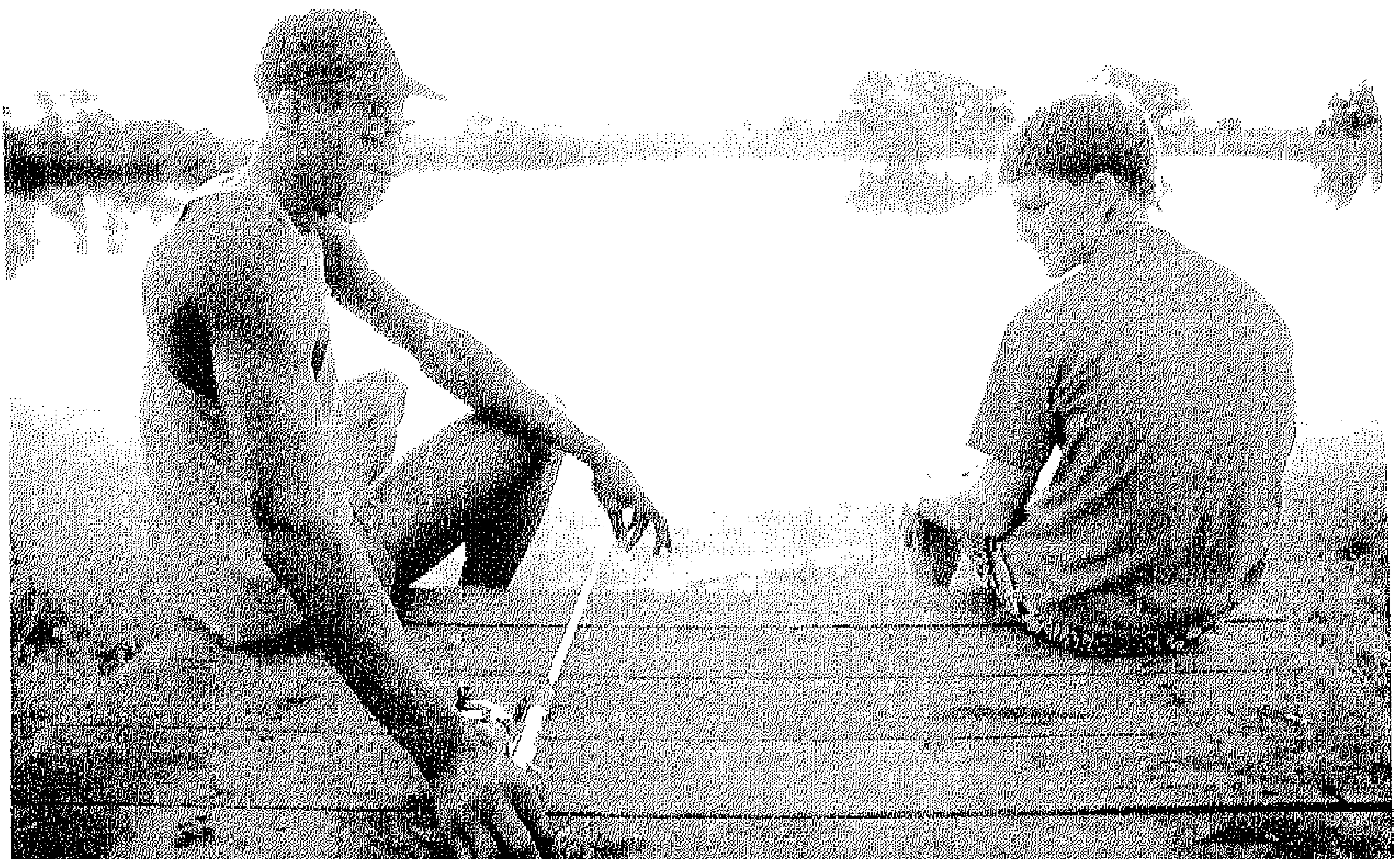
بعد العشاء خرج الاثنان للعب كرة السلة. وأصغت بات الى ارشادات "دودة" الصبورة وقالت لزوجها: "لقد أحببته."

فرد جايمس: "وبريان يحبه كثيراً." وأمسك يد زوجته متابعاً: "لكم خشيت ألا نسمع بريان يتحدث بمثل تلك الحماسة ثانية."

عهد أخوي – سأل بريان أبويه: "هل تسمحان لدودة بأن يبيت الليلة عندنا؟"

لم يقوَ آل رينتش على خذل ابنهما. وفكرت بات في أن "دودة" لا بد من أن يفضل منزلاً فيه عائلة على منامة في الجامعة، ورفقة صبي يجلّه على أن يكون بلا صحبة. أما بريان فقد غفا باكراً للمرة الأولى منذ الحادث.

في اليوم التالي ساعد "دودة" وبريان جايمس في العمل، ثم لعبوا بكرة السلة. وقد أثبت جايمس الذي كان لاعباً في



المدرسة الثانوية، أنه مدرب جيد. وقال لهما مرة تلو أخرى: "لا تنسيا أن الكرة ترتد عن العارضة. خصمكما يقذف الكرة فتدخل السلة ولا حيلة لكما. أما إذا أخطأ الاصابة واختطفتما الكرة، فهذه فرصتكما."

ذلك المساء، وفي أمسيات كثيرة من بعد، أعدّت بات كرسي "دودة" حول طاولة الطعام، وحين لا يكون الصديقان يثبان عالياً في الهواء على فرشة القفز التي أعدها لهما جايمس، كانا يلعبان ضد شقيقي بريان الكبيرين أو يقودان الشاحنة أو يصيدان السمك.

وذات يوم أخبر بريان صاحبه عما حدث لبراد. قال: "لم أكن أريد أن أحيا بعد موت براد."

فرد "دودة": "ينبغي أن تعيش حياتك مرتين من أجل براد."

أومأ بريان برأسه: "لكنك لا تعيش حياتك كما يجب."

فتفكر "دودة" هنيهة ثم قال: "سأفعل أنا ذلك شرط أن تفعل أنت مثله."

فقال بريان: "هذا عهد بيننا."

واذ رجعا الى البيت ناديا بات لترى حجم السمكة التي صادها "دودة." وقال هذا مازحاً: "أتدرين لم اصطدت كبرى السمكات؟ لان السمك يحب الدود أكثر من أي شيء آخر."

واذ ضحكت بات عجبت لمبلغ سعادة الصديقين في الوقت القصير منذ وصول "دودة."

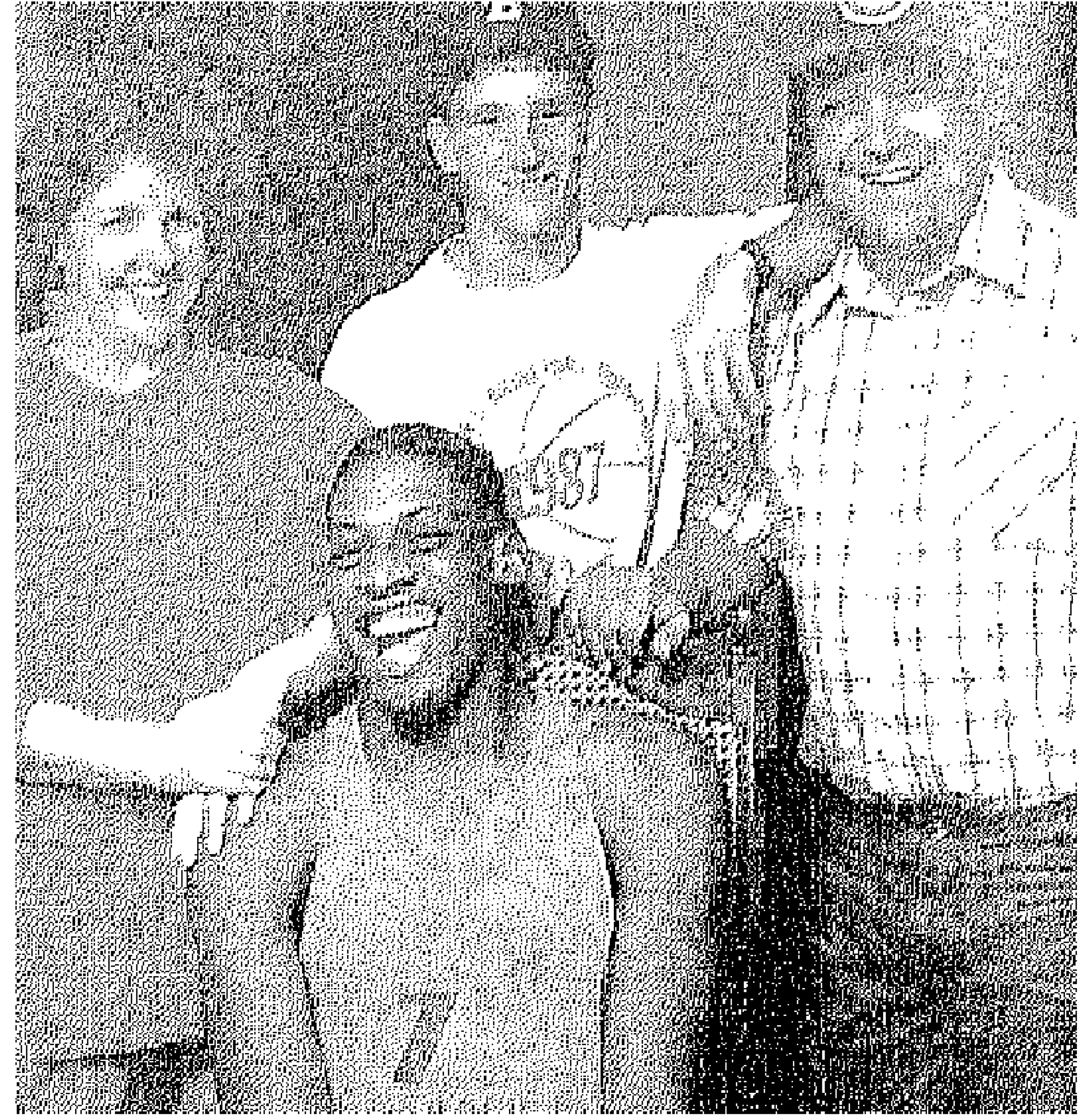
بدأ موسم كرة السلة، ودأب آل ريتش على حضور كل مباراة تجرى في جامعة جنوب شرق أوكلاهوما. وبعد الانتهاء من مباراة في احدى جامعات تكساس سأل "دودة" المدرب أن يسمح لبريان بركوب حافلة الفريق في طريق العودة، فوافق المدرب على ذلك. وفي كل مباراة لاحقة كان بريان يجلس في مقعده مع اللاعبين.

واحد في الالف – أمضى "دودة" عطل الصيف يساعد آل ريتش في مزرعتهم. وبعد ظهر ذات يوم فرغ الهواء من اطار أحد الجرّارات. واذ لم يبق سوى بالتين من التبن لنقلهما الى مخزن الحظيرة قاد "دودة" الجرار فأتلف الاطار الذي بلغ ثمنه مئة دولار. وأنبه جايمس على فعلته، واذ انتهى من الكلام القاسي أخذ "دودة" ينشج باكياً. قال وهو يمسح دموعه: "يا سيد ريتش، أشكرك. لم يكن لدي أب يزعق في وجهي من قبل."

بعد ذلك غدا "دودة" يذكر عائلتيه: السوداء والبيضاء. وكان منزل آل ريتش أول مكان قصده ومعه الجائزة التي نالها بعدما منحته "الجمعية الوطنية الامريكية للرياضيين الجامعيين" لقب "لاعب أمريكا" خلال سنته الجامعية الثانية.

وغدا فريق بريان افضل فريق مدرسي في كرة السلة. وكان بريان يحاكي أسلوب "دودة" في اللعب حتى غدا لقبه "دودة الصغير." وقد حاكى بريان "دودة" بطرق أخرى أثلجت صدر بات، إذ "دودة" نظيف جداً ولا يدخن أو يتعاطى الكحول والمخدرات.

ودرج "دودة" على دعوة زملائه في الجامعة الى بوكشيتو لتناول وجبات منزلية. لكنه ظهر وحيداً ذات مساء. قال: "لقد ضقت ذرعاً بالجامعة، سأعود الى



دنيس رودمان مع جايمس وبريان وبات ريتش.

دالاس." فهو مقصر في دروسه والمدرب يصب عليه جام غضبه لأنه يتخلف عن التمارين.

قال له جايمس: "اذا انقطعت عن الدراسة الآن فستمضي بقية عمرك في الشوارع."

فغمغم "دودة": "هذا ما سأفعله على الأرجح في أي حال."

صاح بريان باصرار: "لا، لا، ستغدو محترفاً."

فرد "دودة": "واحد في الالف من الطلاب الجامعيين يصل الى الاحتراف."

قال جايمس: "اذاً كن أنت هذا الواحد."

"شكراً لك يا أبي" – عاد "دودة" الى الجامعة وسوّى مشاكله وبقي "لاعب أمريكا" في سنتيه الأخيرتين.

بعد مباراة "دودة" الاخيرة في الجامعة غصّ منزل آل ريتش بصحافيين ينتظرون معرفة ما إذا كان "دودة" سيُختار الاحتراف.

ورن جرس الهاتف وجاء الخبر: فريق "بيستونز" في ديترويت اختار رودمان الذي أدرج على قائمة المحترفين.

وثب بريان الى "دودة" وأوسعه ضرباً من شدة فرحه. وصاح: "هذا ما تكهنت به، كنت أدرك أنك قادر على هذا الانجاز."

وضمته بات، ثم استدار رودمان الى جايمس وطوقه بذراعيه الطويلتين وهمس في أذنه: "شكراً لك يا أبي اذ علمتني أن أنهض من عثرتي."

والتحق "دودة" بفريق "بيستونز" عام ١٩٨٦ وبات لديه وقت أكثر للعب، وأصبح أحد اللاعبين الجدد الواعدين في "الجمعية الامريكية الوطنية لكرة السلة."

وخلال ذلك الموسم الأول أرسل المضيف التلفزيوني طوني أورلندو دعوة الى بريان وبات للسفر إلى ديترويت للمشاركة في مقابلة تلفزيونية مع "دودة."

سأل أورلاندو "دودة": "هل كانت حياتك الدراسية سهلة؟"

فرد: "لو لم ألتقِ بريان ريتش لما بقيت في المدرسة."

نظرت بات بفخر متذكرة تلك الليلة قبل أربع سنوات حين احتضنت صبياً حزيناً بين ذراعيها وسألت الله العون، وليلة تالية إذ شاركهم صبي أسود ناحل في حياتهم. "دودة" الآن لاعب محترف تملأه الثقة بنفسه وذو مستقبل باهر. وبريان فتى وسيم ودود يحب الحياة.

وأسرت في نفسها: الله جعلهما أخوين، وأعطاهما الدنيا.

جو كوديير

يد المايا الخضراء



يساعد احياء الاساليب الزراعية التي كان يعتمدها هذا الشعب القديم في الحفاظ على الغابات. وتخفيف المجاعة في العالم الثالث

اعتمد مزارعو المايا الحقول المرفوعة لزرع المستنقعات وانتاج الذرة والكاكاو وغيرهما. وكانوا يرفعون الوحل من قعر القنوات ليستعملوه سماداً، ويغرسون الاوتاد في أطراف الحقول بهدف ابطاء عملية انجراف التربة.

في احدى غابات يوكاتان الاستوائية الخَضِرَة الهادئة جنوب شرق المكسيك يشق رجلان طريقهما قاصدَين نصباً حجرياً يرمز الى مجد المايا. وعندما وجدا البناء بدا لهما غير مثير للاعجاب: انه سور صخري رمادي يرتفع بين ٦٠ و٩٠ سنتيمتراً ويحوط مساحة لا تزيد على فِناء صغير. أما بالنسبة الى ارتورو غوميث – بومبا، العالِم النباتي في جامعة كاليفورنيا في ريفرسايد، فإن هذا السور الحجري القديم هو جزء من نظام زراعي يثير الاهتمام بمقدار ما تثيره روائع تشيتشن ايتثا المعمارية والفنية.

ويتضح السبب عندما يدرس غوميث – بومبا وزملاؤه الحياة النباتية في الاشهر التالية. فضمن ذلك السور المستدير تعيش أنواع من النباتات ذات قيمة بالنسبة الى الانسان، كالرامون وهي شجرة تطحن بذورها كبديل من الذرة، والسبّوتة أو الزعرور الامريكي،

والحمضيات والكاكاو، وأشجار الماهوغاني الصلبة الاخشاب، والحشائش والاعشاب غير البلدية التي جاء بها قدماء مزارعي المايا.

يظهر هذا السور المستدير، ومثله عدة أسوار منتشرة ضمن الغابات الاستوائية في شبه جزيرة يوكاتان، أن شعب المايا القديم تعاطى الاعمال التشجيرية بطريقة متطورة مدة طويلة قبل أن تطأ اقدام الفاتحين أراضي المايا عام ١٥١٧. لقد ساعدت هذه الاسوار، وغيرها من مظاهر الاتقان البيئي، علماء الآثار على حل لغز طريقة تأمين المايا غذاءهم كشعب كثير العدد.

نمت حضارة المايا في المنطقة الممتدة من الاراضي المنخفضة، حيث الشجيرات والمستنقعات في جنوب يوكاتان، الى الغابات الكثيفة التي تنمو على المرتفعات في جنوب شرق المكسيك وغواتيمالا وهندوراس البريطانية. وجميع هذه المناطق غير صالحة للزراعة. ففي المستنقعات ماء أكثر مما يجب، وفي المناطق الجافة ماء قليل وتربة الغابات ضحلة. وعلى رغم ذلك فإن الكثافة السكانية في الاراضي المنخفضة كانت تترجح بين ٧٥ و١٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع عام ٨٠٠ ميلادية، أي في ذروة حضارة المايا.

إن الدراسات التي تجرى حول تلك الاسوار تجبر العلماء أيضاً على البحث عن تفسيرات للكارثة الغامضة التي قضت على المايا. فبين عامي ٨٠٠ و١٥٠٠ انخفض عدد السكان الى أقل من خمسة أشخاص في الكيلومتر المربع. وكان العلماء في السابق يعزون ذلك إلى المجاعة التي سببتها الزراعة غير السليمة بيئياً، أما أبحاث غوميث - بومبا وغيره من العلماء فقد أوحت خلاف ذلك.

يرى غوميث - بومبا أن هذه الاسوار هي أكثر أهمية اليوم لحل المشاكل البيئية. فالغابات الاستوائية تغطي أقل من ١٦ في المئة من مساحة اليابسة، لكنها موطن لنصف نباتات الكرة الارضية وحيواناتها. وعلى رغم ذلك فإن تقريراً حديثاً أصدرته "مؤسسة موارد العالم" يفيد أن أكثر من ١٠٨ آلاف كيلومتر مربع من هذه الغابات يضمحل كل سنة. فلو استطاع مزارعو العالم الثالث المعاصرون تطبيق وسائل قدماء المايا في الشؤون الزراعية - يقول غوميث - لتمكنوا من ابطاء عملية الاضمحلال هذه.

حقول مرفوعة - بدأ غوميث - بومبا يقلق حول مستقبل الغابات الكثيفة عندما كان يجري دراسة عن الثروة النباتية في ولاية فيراكروث المكسيكية في مطلع السبعينات، ففي فيراكروث، كما في عدة مناطق استوائية أخرى، لم يكن للفلاحين أحياناً خيار غير قطع الغابات وتحويلها أراضي زراعية. ولكن بعد سنوات من الزراعة كانت التربة تستنفد فيضطر الفلاحون الى الانتقال الى غابات أخرى.

في العام ١٩٧٢ حذر غوميث - بومبا واثنان من زملائه، في مقالة نشرتها مجلة "العلم"، من خطر داهم على الغابات يهدد "بانقراض معظم كائناتها الحية".

وستكون المضاعفات مذهلة: فلن يعود في الامكان ايجاد الاعشاب التي كان يمكن أن تزوّدنا أدوية جديدة، كذلك النباتات المقاومة للآفات والامراض والقادرة على اعطاء محاصيل أكثر جودة.

يتساءل غوميث: "لقد ازدهرت حضارة المايا وحضارات أخرى في هذه المناطق الاستوائية. فكيف استطاعت شعوبها المحافظة على التعدّدية الأحيائية التي نقضي عليها نحن الآن؟"

وقد أثار هذا التساؤل حيرة آنذاك لان الاعتقاد السائد منذ زمن بعيد يقول ان شعب المايا كان يتعاطى الزراعة وفق طريقة القطع ثم الحرق، فكان المزارع يقطع قسماً من الاشجار ثم يحرقها ليسمد الارض برمادها. وبعد سنتين الى أربع سنوات، أي بعد أن تكون التربة استنفدت، يهجرها الى غيرها.

ويعتقد أن هذه الطريقة قد تكون أحد أسباب زوال حضارة المايا. فتطبيقها استنزف نسبة كبيرة من الاراضي مما أدى الى انهيار الانتاج فالمجاعة فالموت الجماعي. لكنّ هذه الفرضية أخفقت في توضيح طريقة تأمين شعب المايا غذاءهم عندما كانوا في أوج حضارتهم. ان عملية القطع والاحراق قد تؤمّن الغذاء لنحو ٤٥ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد، بينما وصلت الكثافة السكانية للمايا الى ٤٨ نسمة في الكيلومتر المربع عام ٦٠٠.

وحُل هذا اللغز جزئياً عام ١٩٧٢ عندما اكتشف الجغرافي ألفريد سيمنز بعض الحقائق حول الحقول "المرفوعة" في حوض نهر كانديلاريا في يوكاتان، وهو جزء من أراضي المايا. والحقل المرفوع يأتي نتيجة ردم سطح الارض السويّ بالتربة، فهو وسيلة لاستصلاح أراضي المستنقعات وجعلها صالحة للزراعة. وتصلح هذه الحقول المرفوعة للزراعة على مدار السنة، حتى في موسم الجفاف، لان مياه المستنقعات كانت ترشح صعوداً خلال التربة الغنية بالمواد المغذّية.

ثورة زراعية – بعد اكتشاف سيمنز وجد العلماء حقولاً مرفوعة داخل جميع أراضي المايا. وأبرز دراسة شاملة متعلقة بهذا الشأن أجراها الجغرافي بيلي لي تورنر في مستنقع بولتروزر في شمال بيليز. ويعتقد تورنر أن حقول هذا المستنقع التي بلغت مساحتها ٣٠٠ هكتار، وفرت الغذاء لنحو ٥٤٠٠ نسمة.

بعد اكتشاف الحقول المرفوعة لم يعد على علماء الآثار أن يعزوا زوال حضارة المايا، هذا المجتمع الذكي الذي طور الكتابة وعلم الفلك والروزنامة وفن العمارة الضخمة، الى طريقة القطع والحرق في الزراعة. ولكن اذا كان سكان الاراضي المنخفضة استطاعوا استغلال المستنقعات للزراعة، فكيف تمكّن اهل الهضاب من سكان الغابات الكثيفة تأمين الغذاء؟

في العام ١٩٧٦ وبالتعاون مع الحكومة المكسيكية بهدف تطوير سبل الزراعة في الاراضي المعراة من الاشجار، عمل غوميث بنصيحة احد مزارعي بلدة تقع الى الجنوب من العاصمة مكسيكو، حيث لا يزال المتحدرون من شعب الازتيك يعملون على رفع الحقول. وبمساعدة هذا الرجل

أنشأ المزارعون حقلاً مرتفعاً بلغت مساحته ١٣٠٠ متر مربع وزرعوه بعشرين نوعاً من النباتات.

وقد أدى نجاح هذا المشروع الى محاولات عدة لزراعة أراضٍ مستنقعية أخرى في تاباسكو وفيراكروث. وبرهنت هذه المشاريع على أن طرق الزراعة التقليدية في وسعها أن تكون ناجعة. فان حقلاً مرتفعاً مزروعاً بالذرة مثلاً قد ينتج في سنة واحدة ستة أطنان أو سبعة في الهكتار الواحد. يقول غوميث - بومبا: "وهذا يضاهي أفضل انتاج توصلت اليه الثورة الزراعية"، وهو كان يتحدث عن محاولة الافادة من البذار المؤصلة والمخصبات ومبيدات الاعشاب والحشرات ومكننة الحصاد لتحسين الزراعة في العالم الثالث. ومن فوائد هذه الحقول أيضاً القنوات التي تصل بينها وفيها ترتع الاسماك والسلاحف كمصدر مهم للبروتيين.

النور الثمين - يبدي بومبا دهشته لدى حديثه عما "يُعرف بغابات الامطار البكر" التي أجرى حولها دراسات في فيراكروث. كانت أراضي المايا الجبلية تغرس في معظمها بأشجار الرامون المثمرة، اضافة الى أجناس أخرى تنتج الثمار او الطاقة ام مواد البناء. فهل كان شعب المايا محظوظاً بسكنه في تلك المنطقة الغنية بالغابات أم أنه هو شجّرها بنفسه؟

للاجابة عن هذا السؤال ضم بومبا جهوده الى جهود الفريدو باريرا - مارين، عالم النبات المكسيكي من اصل مايا. فأخذا يستجوبان أشخاصا متحدرين من هذا الشعب في يوكاتان، فتبين لهما أن قدماء المايا أدركوا نظام التعاقب الثانوي، أي تتابُع أجناس النباتات التي تظهر بعد قطع غابات الامطار البكر.

المتغيِّر الحاسم في هذا التعاقب الثانوي هو كمية النور التي تصل الى الارض. فالمظلة التي تؤلفها الاشجار في هذه الغابات الغضّة هي من الكثافة بحيث يستحيل على أشعة الشمس اختراقها إلا في أوقات نادرة. ولكن عند احداث أي فرجة فيها يتدفق النور عليها. ويقول بومبا "ان البذور المتجمعة في الارض تبدأ عملية النمو، وسرعان ما يغطي النبات الفراغ: تبدأ الجنبات نموها المتدرج ثم تليها الاشجار."

عندما يشذّب مزارع المايا غابة قديمة ينتقي بحذر أيَّ شجرة يقطع وأيَّها يبقي. يختار الاشجار التي تنمو بسرعة ويستعملها وقوداً، ويحافظ على الاشجار التي تؤمِّن الطعام والدواء ومواد البناء، أو انتاجاً آخر مفيداً، مثل شجرة السبّوتة التي تنتج مادة صمغية تصنع منها العلكة (اللبان) وتُصدَّر الى الخارج. أما في المساحات الباقية ففي امكان المزارع أن يزرع الذرة والقرع (الجلنط) واللوبياء التي تساعد التربة على استعادة موادها الغذائية. وعندما يستهلك التربة يهجرها بحيث يبدأ فيها التعاقب الثانوي.

قديم جديد - يقول بومبا: "ان الحضارات القديمة اكتشفت سبلاً لمعالجة الغابات الاستوائية."

فالهواستيك مثلاً اتبعوا نظاماً معيناً في تدبير شؤون غاباتهم. وهنود الكايابو في البرازيل، والغوايمي في بناما والكوفان في كولومبيا، جميعهم يملكون مفردات متعلقة بعلم البيئة. كما اكتشف علماء الانسان غابات منظمة في جاوه وسومطره وفي أجزاء من الصين وجنوب شرق آسيا.

ان تجميع معارف هذه الحضارات القديمة وتطبيقها عملياً يبدوان ملحين أكثر من ذي قبل، لان فكرة المحافظة على الغابات البكر كرئة للكرة الارضية تبدو غير واقعية. يقول بومبا: "إذا حظرنا المس بمليون هكتار من هذه الغابات بهدف المحافظة عليها فإنما يكون ذلك على حساب اقتصاد المناطق الاكثر فقراً في البلدان الاستوائية المعدمة حيث يتعيّن على الفقراء أن يؤمنوا غذاءهم بأنفسهم." ففي رأيه ان مفتاح المحافظة على الغابات يكمن في معرفة استغلالها من دون تدميرها.

ثمة خطوة مهمة يجب اتباعها هي تحديد طريقة دمج الوسائل التقليدية بالوسائل الحديثة بغية الحصول على أفضل نتيجة. فلا احد يعلم مثلاً ما قد يحدث لو عُمِّمت الحقول المرفوعة على نطاق واسع. وفي بعض الاراضي المنخفضة تشكل المستنقعات مكاناً لخزن كمية المياه الفائضة. يقول بيلي لي تورنر: "اذا جفف الانسان هذه المستنقعات فيكون كأنه يعبث بكامل نظام المياه الجوفية."

ومع ذلك يتفق تورنر مع الآخرين في أن ما أنجزه علماء البيئة يطرح أفكاراً جديدة تلائم خصوصاً البيئة الواجب خدمتها. فلو استطاع العلماء اقناع المسؤولين بأن يمنحوا هذه التجارب القديمة فرصة أخرى فستدين الغابات الكثيفة بخلاصها الى الماضي كما الى الحاضر أو المستقبل.

آلن تشن



شجرة العائلة

مع اقتراب الذكرى المئوية الثانية لتأسيس أوستراليا كمستعمرة بريطانية (١٧٨٨) ازداد عدد الأوستراليين الراغبين في تحري ماضيهم عبر ما يسمى "شجرة العائلة". وهذا أمر تجنبوه كثيراً خوفاً مما يمكن أن تفاجئهم به السجلات. ذلك بأن الحكومة البريطانية طوال الاعوام الثمانين الاولى من استعمارها تلك القارة أرسلت اليها ١٦٠ الف مجرم - معظمهم نشالون ومحتالون ولصوص - من انكلترا واسكوتلندا وايرلندا.

ولكن مع مرور الزمن على ذلك النسب الوضيع تلاشى حسّ الذنب والخجل الملازم له. ومن الوقائع الطريفة ما توصلت إليه آن آش من ملبورن حين وجدت أن جدة جدها سرقت معطفاً وشالا من المنزل الذي كانت خادمة فيه. لكن آن تقول: "لقد عثرنا في الوقت نفسه على معلومات تجعلنا نظنّ أنها كانت عشيقة صاحب المنزل."

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

داء يزيد من خطره الخوف والجهل. هنا رواية شاب تعلم أن يعايشه

كنت في الثامنة عشرة من عمري حين شاهدت نوبة صرع(١) للمرة الاولى في حياتي. حدث ذلك عام ١٩٧٩ وكنت طالباً في السنة الاولى في الجامعة، اذ رأيت عامل مطبخ يسقط في قاعة الطعام متشنجاً. كانت يداه ورجلاه تنتفض وقد جثم فوقه أربعة طلاب يحاولون تهدئته، وكادوا في أثناء محاولتهم تثبيته أن يخمدوا أنفاسه. كان وجه الشاب محمراً متوتراً وجسمه يتلوّى من شدة الالم، وبدا كأنه من عالم آخر. تخيلت نفسي مكانه، فقد أخبرني الاطباء قبل مدة أنني مصاب بداء الصرع.

لم أرد أن أتفوه بكلمة، ولكن خطر لي أن الطلاب الاربعة قد يقضون عليه لشدة ذعرهم. فساورني الهم وأشرت على أضخمهم أن يرخي رأس المصاب الذي كان ممسكاً به. لكن الطالب نهرني قائلا: "اعلم أيها الفتى أنني طالب طب وأعرف تماماً ما افعل. فما الذي يجعلك تظن أنك تعرف اكثر؟"

حاولت أن أرد عليه فخانني الكلام. وبدلا من ذلك انتحيت زاوية واتكأت على الجدار. وكلما ازدادت تشنجات الشاب عنفاً خلتني بديلًا منه.

كان التشخيص أثبت اصابتي بداء الصرع قبل أربعة أسابيع. وحذرني طبيب الامراض العصبية — كذلك فعل أفراد عائلتي — من أن المجتمع سينبذني اذا لم أكتم حقيقة دائي. ونصحني الطبيب، في

(١) Epilepsy

حال اعتزمت أن أخبر أحداً، بأن أدعو المرض "نوبة اضطراب" تخفيفا من وقعه المرعب.

مرت سبع سنوات على ذلك المشهد المؤلم، ولا يزال من الصعب علي أن أسلّم بأنني مصاب بداء الصرع.

لا تحسن – يشمل داء الصرع عشرين ضرباً مختلفاً من النوبات هي تفجرات لا ضابط لها (من الطاقة الكهربائية) في الدماغ. والتشنجات هي أحدها، وإن تكن من بين أكثرها مأسوية. ونصف عدد المصابين بالصرع يشكون مما أشكو أنا منه: داء صرع تلقائي، اي لا سبب معلوماً للنوبات.

لقد اصابتني نوبات كثيرة وأنا في طور النمو، انما لم تكن عائلتي أو أصدقائي، ولا أنا، على علم بذلك. وبمقدار ما تعود بي الذاكرة أسترجع نوبات تحديق الى الفراغ ولحظات شرود يغيب فيها ذهني لبضع ثوانٍ. ومع أني أطلعت طبيبي وأفراد عائلتي على حالتي هذه فانهم لم يعتبروا النوبات ذات مغزى.

انما خلال النصف الاول من السنة الدراسية الاولى في الجامعة، فيما كنت ورفاقي في قاعة النوم نلعب بخشونة، صدمت رأسي بكرسي فأصبت بارتجاج مخّي. لا يعرف أحد هل أثّر الارتجاج في نوباتي، لكنّ نوبات الشرود غدت أكثر تكراراً وجسامة.

كنا مرة في قاعة الطعام عندما أدركت فجأة أن الجميع شاخصون اليّ. شعرت ببلل في حضني فظننت أن أحداً رماني بشيء. لكنّ الحقيقة أنّ نوبة أخذتني وفي يدي قدح مرطبات، فسقط بين رجلي وتكسّر. وتلت الحادث أول نوبة قوية أصبت بها.

وصف لي طبيب الامراض العصبية دواء "تيفريتول" المضاد للتشنجات فظننت انه سيوقف النوبات حالا. لكنني كنت على خطأ، وعلمت لاحقاً أن النوبات لا تُضبط غالباً منذ المحاولة الاولى أو أن الاعراض الجانبية قد تأتي بالغة الشدة. عندذاك يتعين تغيير العلاج أو تجريب عقّار آخر.

أخذت أتكيف مع قيود حالتي الجديدة، فامتنعت عن القيادة وأنا تحت تأثير النوبات، وفرض علي أن أستكين الى الراحة وعدم تناول المشروبات الكحولية.

أطلعت زميليّ في قاعة النوم كارل مور وفرانز باش على نتيجة التشخيص وشدّدت على أهمية كتمان السرّ. وفي المساء، عندما تحدث النوبات عادة، كنت ألزم غرفتي لاخفاء علتي.

كانت النوبات تتبّع وتيرة واحدة. وكان كارل وفرانز يطلعانني على سلوكي المتكرر. عند اقتراب النوبة أتباطأ عقلياً وجسدياً فيثقل نطقي وتتعثّر كلماتي، ثم يعلو الشحوب وجهي وتتسع حدقتا عيني ويصعب حملي على المشاركة في الحديث.

عندما تبدأ خلايا عشوائية في الدماغ التفجيرات الكهربائية أحس "نَسْمَة" تسبق الصرع وحالاً من الانفصال. فيأخذ رأسي ينبض وأرى ومضاً من النور. وعندما تجتاح العاصفة الكهربائية دماغي أقع على الارض فاقداً الوعي. فتتكمش عضلات جسمي ويصطك فكّاي بشدة، وقد تغرز اسناني في شفتيّ أو لساني أو خدي فتدميها. وينتفض جسمي برهة لا تتعدى

عادة دقيقة واحدة. في تلك الاثناء تزداد كمية اللعاب في فمي وتتحول زبداً، ويختل انتظام تنفسي الذي قد يتوقف أحياناً. وقد أصاب بالسلس(٢).

ومتى انتهت التشنجات أنام نوماً عميقاً وان لفترة وجيزة. وعندما أستيقظ قد تتملكني نوبة صرع أخرى فتتكرر فصول معاناتي. وعندما أعود الى وعيي الكامل أجد نفسي في ارتباك شديد، فلا أعرف في أي مكان وزمان أنا ولا من يحيط بي. ويتلعثم كلامي فأتأتىء وأعجز عن طرح أي سؤال الا على من كان طويل الأناة معي.

على أثر كل نوبة صرع كنت أتصل بطبيبي وأطلعه على حالي، راجياً أن أعرف العلّة التي حلّت بي. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٠ أضاف الطبيب عقاراً آخر ضد التشنج يدعى "ديباكين،" الى علاجي اليومي. ومرت أسابيع بعد ذلك فلم يطرأ علي أي تحسن.

تصرف الآخرين – كنت أثق برفيقيَّ في قاعة النوم فبدأت أخرج معهما ليلاً مجازفاً باحتمال اصابتي بالصرع في الاماكن العامة. والتقيت جوليا كنتلر وكانت طالبة في السنة الثالثة، فواجهتني مشكلة جديدة هي كيف أفسر لها النوبات التي تصرعني. فقد خشيت أن تمتنع عن مرافقتي، لكنني بعد تردد طويل استجمعت شجاعتي واخبرتها حقيقة أمري. كانت جوليا رؤوفة وأرادت أن تعرف ماذا يجب أن تفعل حين أصاب بنوبة.

قلت لها إن عليها في الدرجة الاولى أن تظل هادئة وتبعد عني الاشياء القاسية وتحل ربطة عنقي، ثم تضع سناداً ناعماً كوسادة تحت رأسي وتقلبني على جنبي لتبقى مجاري التنفس حرة، ولا تضغط لتثبيت الجسم في الارض، ولا تقلق في شأن ابتلاع اللسان.

إن الخرافة الشعبية القائلة بأن الصريع يبلع لسانه مؤذية جداً. فخلال النوبات التي كانت تصيبني في غياب زميليّ في غرفة النوم كان بعض الحسني النية يحشرون جسماً قاسياً بين فكيّ خوفاً من أن أبتلع لساني وأختنق. ونتج من ذلك أن أسناني كادت تتحطم وهي تضغط ذلك الجسم القاسي.

وليس من الضروري استدعاء سيارة اسعاف الا حين تدوم النوبة اكثر من عشر دقائق أو عندما تليها مباشرة نوبة ثانية أو عندما لا يكون هناك من سبيل لاعادة المصاب الى وعيه الكامل.

ومتى زالت النوبة وعاد المصاب الى وعيه يُشرح له بهدوء ما حدث ويُساعد، اذا ما أراد أن يذهب الى بيته لينام، بالاتصال بمن يعرفه لكي يتدبر الامر.

تجربة خاصة – بمساعدة والديّ، استشرت في مارس (آذار) ١٩٨١ طبيبَ أمراض عصبية آخر مقيماً بالقرب من الجامعة، فقال ان المعالجة السابقة لم تكن فاعلة. وضاعف جرعات الادوية وطلب مني أن أتصل به بعد كل نوبة.

بعد الاتصال الثالث زاد الطبيب كمية الادوية ثانية واستمر في الزيادة الى أن بلغ ما كنت أتناوله في أواخر ابريل

(٢) السَلَس هو عجز الجسم عن ضبط البول أو الغائط.

(نيسان) احدى عشرة حبة يومياً.

فبدأت أترنح قليلاً في مشيتي وأصبت بغثيان دائم رافقته حرقة في فم المعدة. وعندما بدأ شعري يتساقط بين يديّ تيقنت أن العلاج يزيد حالتي سوءاً. وعلى رغم ذلك عزا طبيبي أعراضي الى الاجهاد.

في يونيو (حزيران) كان وزني تدنى ستة عشر كيلوغراماً وأنهكتني النوبات المتتالية، فذهبت مع صديقي كارل الى مدينته حيث عاينني أحد الاطباء الذي وجد نتيجة فحص الدم أن الادوية التي أتناولها وصلت بي الى حد التسمم. كانت هذه العقاقير تخفف انتاج نقي العظم وتحدث لي أعراض فقر دم. فأوقف الطبيب المعالجة وأبدلها بمضاد آخر للتشنجات.

رجعت نتائج فحوص دمي الى سويّتها وخفت حدة التشنجات، لكنها ظلت تعاودني غير مرة في النهار وكانت أكثر تنوعاً نظراً الى سرعة ابدال الدواء. وطفقت أهوي الى الارض من دون انذار. وسقطت مرة في الماء الغالي، وأخرى على السلم، وثالثة وسط شارع مزدحم بالناس.

تيقنت آنذاك أنَّ حالتي ميئوس منها وأنْ لا خيار لي أن أعيش في سوى هاجس دائم منتظراً النوبة التالية.

في أواخر الصيف ذهبت، على رغم مني، الى البيت ليعاينني طبيب اعصاب جديد كانت امي التقته. وكنت سئمت الاطباء وبت مقتنعاً بأنني لن أحيا حتى أتخرج في الجامعة وأنني سأقضي اما بسكتة دماغية واما بحادث اصطدام سيارة واما بالانتحار.

عندما التقيت طبيب الامراض العصبية، الدكتور آلن ناردين، بدا لي غريب الاطوار. كان مرحاً غير منعزل، يختلف عن سائر الاطباء. وكان يستشهد بالميثولوجيا الاغريقية بمقدار استشهاده بمراجعه الطبية. فشرح لي بتؤدة ولطف لماذا يفكر في تجربة معالجة خاصة، وهذا ما لم يفعله أي طبيب عالجني قبله.

كان ضد اخفاء حالتي لان ذلك يجعل الناس حولي غير ملمّين بمرضي ويجهلون طرق مساعدتي. وقال أيضاً انه لا يضمن لي شفاء كاملاً بل يعدني بتمكيني من ضبط نفسي على نحو أفضل.

بعد اجراء الفحوص اللازمة وصف لي الدكتور ناردين دواء آخر ضد التشنج يدعى "ديلاتين" فتوقفت عندئذ صرعاتي المفاجئة وانخفضت تشنجاتي الى مرتين في الشهر، وبدا لي أن حياتي عادت اليّ.

"أنا أعرف" - رجعت الى الجامعة في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١. وكنت سعيداً بتحسن حالي على رغم أن الدواء كان يسبب لي خمولاً ويغيّر شخصيتي فأزداد تجهماً. وبدأت أطلع اصدقائي على حالي، مخففاً العبء عن كارل وفرانز. وخلال الاسبوعين التاليين صُرعت مرتين خارج غرفتي، فأسعفني جهاز الأمن والصحة في الجامعة لا رفيقاي في غرفة النوم.

عندئذ تلقيت من ادارة الجامعة أمراً بالفصل لاعتلال صحتي. كان ذلك في الاسبوع الاول من نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد ثمانية أسابيع من قراري عدم اخفاء علتي. وها ان استقامتي

أفلتت زمام حياتي من يدي!

أثار تدبير الادارة الجائر نقمتي وغضبي الشديدين، فأخذت أهدد وأتوعد صارخاً في وجوه أصدقائي وأفراد عائلتي حتى انهم جميعاً خشوا أن أفقد عقلي.

ولكن في ديسمبر (كانون الاول) علمت أن قرار الجامعة ربما انتهك القانون الذي ينص على ضمان حقوق المعاقين. وفي يناير (كانون الثاني) عدت الى الجامعة وتابعت دراستي في العلوم السياسية الى أن تخرّجت بامتياز في مايو (أيار) ١٩٨٣.

انني أقيم الآن في نيويورك حيث أعمل في صحيفة "نيويورك تايمس." وأحمل بطاقة دوّنت فيها أرقام هاتف الاشخاص الذين يجب الاتصال بهم لمساعدتي في حال تعرضي لنوبة مفاجئة. لقد ضبط مرضي لكنني ما زلت أعاني بعض التشنجات ولا أقود سيارة.

في الثانية والعشرين من عمري شاهدت للمرة الثانية شخصاً يصاب بنوبة صرع. كنت في واشنطن اخضع لاول مقابلة لي في شأن طلب عمل بعد تخرجي في الجامعة، حين سمعت استغاثة: "هل من أحد هنا يعرف شيئاً عن نوبات الصرع؟"

فتوقفت في منتصف حديثي وصرخت: "أنا أعرف."

أُخذت الى الخارج حيث كان رجل مسنّ ملقى صريعاً في الشارع. فنزعت سترتي ووضعتها كوسادة تحت رأسه كي لا يضرب أرض الشارع. وأخذت أتفحص جيوبه لاتثبت من دلائل اصابته بالصرع، كقارورة دواء أو بطاقة. ولاحظت الخوف على وجوه الناس حولنا. وأدهشني أن أمراً قليل الشأن كهذا يسبب مثل هذه الصدمة.

واذا بأحدهم يخرج من عمارة حاملاً ملعقة ليولجها في فم الصريع. فمنعته وشرحت له بهدوء أن ذلك ليس ضرورياً. فخف التوتر السائد في الجمهور.

أفاق الرجل من صرعه وبدا في حال ضياع. فشرحت له ما أصابه. وساعدني رجلان فأدخلناه المكتب، حيث كنت، فجلس واستعاد وعيه وهدوءه تدريجاً.

بعد ذلك طلب مني أن اساعده للذهاب الى بيته، فرافقته لأطمئن الى أنه استعاد قوته.

وفيما نحن سائران في الشارع في ذلك النهار المشمس قلت للرجل ألّا يشعر بالحرج واني أتفهم شعوره لاني أعاني الداء نفسه.

لدى بلوغنا المنعطف أخذ يدي وضغطها قائلا: "سيكون كلانا على افضل ما يرام."

راقبته وهو يعبر الشارع ببطء، وللمرة الاولى تيقنت انني فعلا على ما يرام.

كورت ايكنفالد



كل شيء ممكن حتى تثبت استحالته. حتى المستحيل يمكن اعتباره مستحيلا فقط منذ تلك اللحظة.

بيرل باك، كاتبة أمريكية حائزة جائزة نوبل

إيف سان - مارتان

فارس العصر



كانت الشمس تميل الى الغروب فوق ميدان سباق سان كلو في ضواحي باريس عندما أُعلنَ عبر مكبّرات الصوت، بدء آخر سباق لذلك النهار. ولم يكن بين الاحصنة المشتركة في ذلك الحدث الصغير يوم ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٨٥، حصان واحد سبق له ان فاز في اي سباق. ربما كان ذلك بسبب سوء في الطالع او في التمرين او، ببساطة، بسبب نقص في التحضير!

ولكن ما ان ظهرت الفرس الكُميْت "صنجام غولد" في المقدم يمتطيها إيف سان – مارتان (٤٢ عاماً)، حتى خيّم على المشاهدين صمت لم تلبث ان قطعته فجأة هتافات الجمهور الصاخبة. ولم تكن حماسة الجمهور المفاجئة مبعثها أداء الفرس بل ما أُذيع عبر مكبّرات الصوت. فللمرة الاولى في تاريخ سباق الخيل في فرنسا يُسجل فارس مثل ذلك الرقم القياسي الخيالي، إذ بفوزه هذا حقق سان – مارتان رقم الفوز الـ٣٠٠٠.

في غرفة تغيير الملابس، بعد السباق، وفي غمرة من الابتهاج بالفوز، حُمل سان – مارتان على اكتاف من كانوا لدقائق خلت من منافسيه الاشداء. ولقد عبّر الفارس آلان بادل عن شعور الإعجاب والدهشة الذي عمّ عالم سباق الخيل: "ثلاثة آلاف فوز! لست على يقين انني اشتركت في عدد مماثل من السباقات في حياتي الرياضية!"

قليلون هم الفرنسيون الذين لم يقروا بعبقرية إيف – سان – مارتان في ركوب الخيل. ويشترك آلاف منهم كل اسبوع في المراهنة على ذلك الفارس الذي لا يتجاوز طول قامته ١،٥٨ متر. إنهم على يقين انه يملك من الذكاء، والسحر ربما، ما يجعله يفوز حتى في الظروف المعاكسة.

في الخمس والعشرين السنة التي امضاها في الميدان، حاز إيف سان – مارتان جائزة الـ"السوط الذهبي" خمس عشرة مرة. وهذه الجائزة تمنح سنوياً للفارس الذي يحقق اكبر عدد من الانتصارات خلال الموسم. وفي العام ١٩٦٣، مثلا، سجل ١٧٣ فوزاً محطماً بذلك رقماً قياسياً (١٦١) كان سُجّل في العام ١٩١١. ولم يقتصر فوزه في السنة التالية على تحطيم الرقم القياسي الذي كان سجله هو، بل انه سجّل في ختام الموسم فوزاً مدهشاً على منافسه الأقرب بفارق ٩٦ فوزاً، إذ احرز ١٨٤ فوزاً في مقابل ٨٨ سجلها الفارس الذي حلّ ثانياً.

لم يدع سان – مارتان اياً من جوائز السباقات العالمية تفوته: من لوس انجلس الى هونغ كونغ فالى اوستراليا. وفي بريطانيا فاز في السباق الاسطوري "إبسوم دربي" وفي غيره من السباقات التقليدية مثل "سباق السنديان" وسباق "الالفي جنيه" في نيوماركت و"سباق الملك جورج السادس" في أسكوت. وفي

جنوب افريقيا ربح "الجائزة الدولية الكبرى" وحتى في قبرص وفنزويلا كانت له انتصارات باهرة. اما في فرنسا فلقد انتزع تسع جوائز في سباق "جائزة نادي الجوكي"، وخمساً في "سباق جائزة دايان"، وسبعاً في "سباق الجائزة الكبرى" في سان - كلو، واربعاً في "سباق جائزة قوس النصر" الباهرة. إنه حقاً لا يضاهى.

وربما كان المضمر العالمي فرنسوا ماتيه الذي توفي عام ١٩٨٣، افضل من ادرك سرّ روعة آراء هذا الفارس العظيم. وهو قال ذات مرة لصحيفة "ويك اند" الرياضية: "يتمتع سان - مارتان بمزيج من الصفات قلما إجتمعت في انسان واحد. وهي: الإتزان وهدوء الطبع والحسم والصبر والشجاعة المادية والادبية ومتانة الخلق وقوة العضلات. والأهم من كل ذلك الاستقامة التامة."

كان والده موظفاً صغيراً في مصلحة السجون الفرنسية. وامضى إيف معظم سنوات طفولته في مكاتب الموظفين في سجن آجان. وتمكن، وهو في الخامسة من عمره، من التآلف مع الجوادين اللذين كانا يستخدمان في ايصال الطعام الى السجن. وهو يقول في ذلك: "لقد أحسنت تدريبهما الى درجة انهما كانا يمدّان رأسيهما من نافذة المطبخ لتلقي قطع السكّر التي كنت احتفظ بها لهما."

بدأ مع الجزار - لاحظ المحاسب في السجن العلاقة بين الفتى والجوادين فاصطحبه ذات يوم أحد من فصل الصيف الى ميدان السباق في تولوز لمراقبة الجياد الأصيلة. وكانت هذه الرحلة أول اتصال لإيف بعالم سباق الخيل، العالم الذي ما لبث أن أصبح عالمه الخاص.

من سخرية القدر ان اول من أطلق إيف في عالم السباق، كان جزّار خيول في آجان يدعى جان اليبير. وكان هذا رجلا رقيق القلب عطوفاً، انقذ عدة أحصنة من الذبح وحولها جياد ركوب. واعتاد ايف ان يمضي الكثير من اوقات فراغه قرب الخيول حالماً بتعلم الفروسية. بدأ حلمه يتحقق على يد الجزار الذي اعطاه دروساً مجانية. ولم يمض شهر حتى اعلن الفتى لذويه رغبته في ترك المدرسة وتكريس حياته للاحصنة.

كان لفرنسوا ماتيه رصيد من الانتصارات المهمة ووفرت اسطبلاته خياراً جيداً للفتى الراغب في تعلّم الفروسية، وفي ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٥، وصل إيف سان - مارتان، وكان عمره آنذاك ١٤ سنة، الى لو كلو - دو - روا، حيث اسطبلات ماتيه في منطقة شانتيي، ليبدأ حياة التمرين الشاقة.

لم تكن ايام سان - مارتان الاولى في إسطبلات التدريب واعدة. وعندما طُلب منه، للمرة الاولى، امتطاء حصان في جولة متواضعة لا تتعدى الالف متر، جمح به الحصان وانطلق كالرصاص يعدو خبباً متجاوزاً الثلاثة آلاف متر. وما لبث الجواد أن رمى فارسه ارضاً عندما توقف فجأة. وكان من نتيجة ذلك ان أصيب إيف بكسور في رسغيه.

لم يكن اول سباق اشترك فيه إيف، بعد سنتين ونصف سنة، اقل نحساً. ففي آخر انعطاف له في ميدان سوانسون، وقع

عن حصانه وقعة مؤلمة افقدته الوعي لفترة تزيد على عشرين دقيقة.

لكنه حلّ رابعاً في سباقه الثاني في آميان، وثالثاً في سباقه الخامس. وفي ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٥٨ في "سباق لو ترامبليه"، حل في المرتبة الأولى. وهو كان حقق تقدماً ملحوظاً في الاسابيع السابقة. وعندما ترجّل علّق ماتيه بقوله: "لم يعد لدي المزيد لأعلّمه اياه. اصبح يعرف كل شيء."

اعظم فارس! – يتطلّب السباق اكثر من مجرّد الوصول بالحصان الرابح الى الخط النهائي. والحصان، مهما بلغت عظمته، يعدو على نحو رديء، ما لم يكن الفارس مخططاً لامعاً. ولبلوغ هذه الدرجة من البراعة، على الفارس ان يتقن جميع الاساليب والحيل. عليه، اولا، ان يحتفظ بمسلك في الجانب الداخلي من المضمار وذلك اختصاراً للمسافة عند المنعطفات. إلا انه من جهة اخرى، عليه الا يفسح في المجال للاحصنة البطيئة في باطن المضمار ان تسدّ الطريق امام مطيته. وأخطر خطأ يمكن ان يرتكبه الفارس الذي يخرج من الصف هو ان يجعل حصانه يعدو على مسافة قريبة جداً من حصان آخر. اذ من شأن هذا الامر ان يدفع الجياد، وهي التنافسية بالسليقة، الى مضاعفة سرعتها قبل الآوان مما ينهكها ويستنفد قواها قبل الخط النهائي بوقت طويل.

ولطالما اظهر سان – مارتان مقدرة مذهلة على الافادة حتى من أشد التفاصيل دقة. ففي العام ١٩٨٢، مثلا، فاز بـ"جائزة قوس النصر" موصلا حصانه "ساغاس" الى الخط النهائي من النقطة الميتة في وسط المضمار. وكانت لفتت نظره بقعة خضراء من المضمار عرضها ٨٠ سنتيمتراً، لم يلحظها احد سواه غفت عنها حوافر الجياد ذوات الحدوات الحديد ولم تجرفها في سباق اليوم السابق. وهكذا احتفظ "ساغاس" بافضلية واضحة على سائر الجياد التي ابطأت تقدّمها الأرض الموحلة.

ولعل إحدى ميزات الفارس الكبير هي فهمه الفوري لمزاج الحصان، ولقد تجلّت عبقرية سان – مارتان الحدسية في هذا المجال في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٤ عندما فاز للمرة الثالثة بـ"جائزة سان – كلو." وهو كان على صهوة "داليا" وهي مُهرة جفول لم يسبق لأي فارس ان سجّل معها اي فوز. ولأن المضمر موريس زيلبر كان يعرف جميع نزواتها، فلقد زوّد سان – مارتان تعليمات مفصّلة ودقيقة عنها سرعان ما بدا انها غابت عن باله فور انطلاق السباق. فبدلا من ان يوفّر قوتها الى الدورة الاخيرة، انطلق بها متقدماً الجميع. "ابله!" صرخ زيلبر من المنصة. ولكن، ما ان انقضت دقيقتان حتى سُمع وهو يهلل بابتهاج وحبور: "سان – مارتان عبقري! انه اعظم فارس في الدنيا."

جرت "داليا" برشاقة ومن دون عناء، أمام الجموع المندهشة مسجلة فوزاً رائعاً. والسبب ان سان – مارتان كان ادرك بحسّه المرهف ان المهرة تُصاب بهلع مفاجىء عندما تعدو ضمن مجموعة لكنها ما ان تنفصل عنها حتى تصبح طيّعة وسهلة الإنقياد.

سحر السرج – الساعة الثانية بعد ظهر ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤، توقفت سيارة امام ميدان سباق لونشان في ضاحية باريس. وسمع سائقها، وعكّازاه مسندان الى المقعد، يجادل الشرطي الواقف عند المدخل ويشرح له الامر: "انا سان – مارتان ومشترك في سباق قوس النصر ولا استطيع السير. دعني ادخل بسيارتي الى غرف تغيير الملابس."

فاجابه الشرطي مزمجراً: "ممن تظن انك تسخر؟ لا تستطيع السير من دون عكازين وتقول انك ستركب جواداً في السباق؟"

وكان سان – مارتان اصيب لعشرة أيام خلت بكسر في عظم الحوض في ميدان "ميزون لافيت" لكنه كان فعلا سيركب حصاناً ذلك النهار. ولم يسمح له الشرطي بالدخول بسيارته إلا بعد تدخل من ضابطه. وبعد ثلاث ساعات خرج الفارس الى سيارته متكئاً بتثاقل على عكازيه وحاملا "الجائزة الكبرى."

لم تكن الجائزة المالية البالغة قيمتها مليوناً ومئتي الف فرنك ولا السعي الى المجد ما دفعه الى مخالفة اوامر طبيبه الذي نصحه بعدم الاشتراك في السباق. بل كان كالعاشق الغيور، لم يقو على تصور سواه على ظهر الفرس "آلي فرانس" الرائعة التي يعرف وحده جميع اطوارها ونزواتها والتي له معها تاريخ من الانتصارات الباهرة في عدة سباقات مهمة. الى ذلك، كانت هذه الفرس مميزة وموهوبة وهو لن يسمح بأن يحرمها أحد بلوغ المجد الذي تستحقه. وكان يدعوها: "يا جميلتي، يا نجمتي، يا ملكتي."

لم تكن تلك المرة الأولى يشترك إيف في السباق بعد تعرّضه لإصابات بالغة. ففي العام ١٩٧٢ فاز بـ"الجائزة الكبرى" في سباق سان – كلو وكان يعاني كسوراً في ثلاثة من اضلعه. وشهد تاريخه المهني الطويل في سباق الخيل ٤٣ إصابة بكسور. ومع ذلك، ما ان يصبح على السرج، حتى تغيب عن باله كل الأخطار. وهو يقول: "انني انسى الاصابة بمجرد ان أبرأ منها وليس من رياضة أخرى أو أي شيء آخر في الدنيا يضاهي سباقاً جيداً لما يوفره من متعة وإثارة. فاستنباط الاساليب وتجنب الافخاخ واستجماع كل ما يملك المرء من قوة من اجل تحقيق الفوز، جميعها امور رائعة حقاً!"

أحد أكثر انتصارات سان – مارتان إثارة احرزه عام ١٩٨٤ عندما فاز بـ"كأس بريدرز تيرف" في لوس انجلس وهي احدى كبرى الجوائز المالية في العالم. وكان مقرراً ان يمتطي سان – مارتان الحصان "اول ألونغ" وهو فحل طال إعداده لليوم – الحدث. إلا ان مالك الحصان قرر، قبل عشرة ايام من السباق، ان يعهد به الى الفارس الامريكي انجيل كورديرو الابن والذي كانت معرفته بالحلبة تفوق معرفة سان – مارتان بها.

في غضون ذلك، كان آلان دو روايي دوبري مضمر خيول الامير كريم آغاخان الذي كان مرتبطاً بعقد عمل مع إيف، قرر في اللحظة الاخيرة انزال الجواد "لِشكاري" في السباق. وهكذا، قبل اسبوع من موعد السباق، واستجابة لنزوة طارئة، تقرر إشتراك ذلك الحصان اللامع في السباق. ومع ان سجل "لشكاري" لم

يكن خارقاً، إلا ان روايبي دوبري كان متشوقاً الى معرفة طريقة سلوكه في أحد أقسى السباقات في العالم. ولم يكن إيف ليفوّت هذه الفرصة.

في نهاية صراع مضن، انتزع "لشكاي" الفوز من "اول الونغ" برقبة فهبّ نحو ٦٢ الفاً من المتفرجين المشدوهين كأنهم جسم واحد وهم يهتفون، بعدما كانوا حبسوا انفاسهم طويلا.

يقول سان - مارتان عن ذلك النهار انه كان يوم النصر الذي توّج به حياته المهنية وهي كانت حقاً حياة حافلة. وهو أعلن في الصيف الماضي، بعدما حقق ٣٣٠٠ فوز، أنه سوف "يعلّق سوطه" مع نهاية موسم ١٩٨٧.

والآن، ماذا سيفعل سان - مارتنان؟

على رغم انه تخلى عن السباق في سن متأخرة، بالنسبة الى غيره من الفرسان، فانه ما زال رياضياً رائعاً، وهو يقول: اتوصل الى قرار حاسم بعد. ولكن مهما يكن نوع العمل الذي سأختاره فإنه حتماً سيكون مع الخيل. اني شغوف بها كثيراً وسأتذكر دائماً اللحظات العظيمة التي عشتها في الميادين."

جان - ماري جافرون

اختبار سلوكي

كانت ردهة جناح النوم في الجامعة ملتقى لكل المقيمين. وكانت جدرانها معرضاً دائماً لدعوات الى حفلات ولمواعيد اجتماعات ولعروض بيع وسواها، باستثناء جدار واحد ظل نظيفاً، لولا اعلان صغير مكتوب بخط اليد صنيع فريق صغير من الطلاب. فقد تسلل هؤلاء ذات ليلة الى الردهة وثبتوا اعلانهم كاختبار للسلوك البشري. وفعل الاعلان فعله كالسحر طوال سنوات، مع ان كل ما ورد فيه هو: "رجاء، استعمل الجدار الآخر."

م.س.د.

بيت الزوج وبيت الزوجة

قبل رجوعي بالطائرة من زيارة ابنتي رتبت الامور بحيث يلاقيني زوجي الى المطار. وزيادة في الحيطة طلب زوجي إذناً خاصاً بدخول قاعة الوصول. فسأله الضابط المسؤول: "ولأي سبب تريد الدخول؟ وكم من الوقت ستمكث هناك؟"

فأجاب أنه يريد استقبال زوجته واعادتها الى البيت.

وبلهجة رسمية طرح الضابط سؤالين آخرين: "هل البيت نظيف؟ وهل وضعت وروداً نضرة على الطاولة؟"

ف.ك.

كل من يدّعي أنه يقرأ أفكار المرأة يفوّت كثيراً.

غ.م.

تطوّرت السيارة الرباعية الاندفاع من حصان شغل وضيع الى قاهرة طرقٍ فالى سيارة سباق معقّدة... انها انجاز تقني رائع في القيادة الممتعة والآمنة

سيارة الغد

4 wheel drive

في أغسطس (آب) ۱۹۸۷ أضاء سماء منطقة جبال الالب مساء وهج نار هائلة أُضرمت في الهواء الطلق في مركز التزلج الفرنسي "فال ديزير"، وتحلق حولها تحت سماء مرصعة بالنجوم حشد من الرجال والنساء والاولاد قدموا من اثنتي عشرة دولة. وقد جمعت هؤلاء الناس هواية مشتركة هي افتتانهم بالسيارات ذات الاندفاع الرباعي العجلات (١).

وسر افتتانهم هذا تمثل في السيارات التي كانت متوقفة في كل مكان حولهم، ومنها سيارات "رانج روفر" و"جي - واغون" و"لاند كروزر" و"باندا" وكثير غيرها. اما المناسبة فهي المعرض الدولي السنوي الرابع لسيارات الاندفاع الرباعي العجلات وسيارات الحقول والارياف.



سيارة "سانتانا S-410» صنع اسبانيا بترخيص من شركة "سوزوكي."

وفي اثناء العرض الذي دام اسبوعاً، تدفق ٣٥ ألف شخص الى فال ديزير ليظهروا اعجابهم بتشكيلة وسائل النقل الرباعية الاندفاع ومنها عربات الـ"ستايشن" العائلية والشاحنات الضخمة والشاحنات الصغيرة والحافلات وسيارات الاطفاء.

أبرز النجاح السريع لمعرض فال ديزير "ظاهرة اجتماعية جديدة" على حد تعبير هنري أودوي الأستاذ الجامعي الفرنسي الذي أسس مهرجان الرباعيات في العام ١٩٨٤. والحقيقة أن مبيعات جميع أنواع السيارات الرباعية لم يسبق أن ازدهرت كما اليوم، بأثمان تترجح بين ١٠ آلاف دولار لسيارات "فيات باندا" و٤٠ ألفاً للـ"رانج روفر." وفي فرنسا وألمانيا الغربية زادت مبيعات السيارات المستخدمة في حقول الخدمات والعمل خمسة أضعاف خلال السنوات السبع الاخيرة، وهذه الظاهرة هي ذاتها في بقية أوروبا وفي أمريكا.

قد لا تكون فكرة الاندفاع الرباعي رائدة لانه سبق لفرديناند بورش، مبتكر سيارة السباق التي تحمل اسمه، ان وضع تصميماً لسيارة كهربائية رباعية. لكن هذه الفكرة ظلت نظرية عشرات السنين الى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية التي تمخضت عن سيارة "جيب" الجيش الامريكي. ويعزى العنصر الرئيسي في رواج الـ"جيب" الى ناقل الحركة المتين الذي يمكن نقله من حال الاندفاع الثنائي الى حال الاندفاع الرباعي، مع أن سرعتها لا يعتد بها ولا يمكن القول إنها كانت مريحة. وتلك التي استخدمت بعد الحرب لاغراض مدنية انما استعمل معظمها في الزراعة والعمل.

ثم ظهرت سيارة "رانج روفر" الرباعية في العام ١٩٧٠ وهي تمتاز بالسرعة والراحة وتجمع بين منافع السيارة الريفية ومزايا السيارة الخاصة. فجمالها كلاسيكي، وهي قوية وناعمة وفخمة. وقد دهش مصمموها البريطانيون من سرعة رواجها في مدن أوروبا حيث أصبحت رمزاً للمركز الاجتماعي الرفيع.

وما لبثت أن ظهرت في الاسواق سيارات للخدمة في الريف، خصوصاً من اليابان، فنشأت على أثرها حركة "السيارة الخضراء" التي ألهمت السائقين أن يتوجهوا الى الحقول والجبال، وينشئوا النوادي وينظموا سباقات الـ"رالي" التي لا تشدد على السرعة بل على قدرة التغلّب على العقبات الطبيعية. هؤلاء كانوا المتحمسين الذين تجشموا مشقة القدوم الى فال ديزير للقيام برحلات اختبارية مع سائقي المصانع في أراض وعرة يمتنع قطعها حتى على البغال.

مشاكل تقنية – على سبيل التجربة ركبت سيارة "مرسيديس" جي – واغون." وما كدت أستقر في مقعدي حتى كان مقدم السيارة يندفع نزولا في منحدر صخري اضطرني الى الوقوف في مقصورة الركاب ممسكاً بالمقعد الامامي خشية الاندفاع الى حاجب الريح الزجاجي.

كان السائق يقود السيارة بين الحجار الكبيرة وفوقها، وقد أقام توازناً بين

Four-wheel drive (1)

Photo : S. Taragnat / Pentax, courtesy of 4×4 Magazine

مقدمها ومؤخرها عبر ترجحها بين عجلة اليسار الامامية وعجلة اليمين الخلفية، فيما ارتفعت العجلتان الاخريان في الهواء. وكنت أخشى كلما دَفَع السيارة الى الامام أن تنقلب بنا انقلابة بهلوانية كاملة. لكنه أعاد العجلات بحركة بارعة الى خط الطريق القويم وتابعنا سيرنا نزولا بأمان.

وسواء كانت سيارات العرض تسيّر صعوداً او نزولا، فقد كانت قوة تمسّك العجلات الاربع بالارض واضحة جداً. وقد بقيت هذه الميزة في طي النسيان لا يعيرها صانعو السيارات الاهتمام الوافي الى أن فتحت أعينهم عليها قبل عقد بفعل المنافسة الشديـدة للفوز في سباقات الرالي.

عام ١٩٧٧ ابتدعت شركة "أودي" صانعة السيارات الالمانية المعروفة بهذا الاسم، فكرة تزويد سيارة سياحية عالية الكفاية اندفاعاً رباعياً. وبعد ثلاث سنوات ولدت أول سيارة رباعية في العالم وهي "أودي كواترو" التي أثارت اهتمام العموم. وبالمقارنة مع السيارات الرباعية السابقة تبدو هذه، بخطوطها المتناسقة الناعمة ورشاقتها وشـدة تشبثها بالطـرق الثلجية والمـوحلة والزَلِقَة، وبناقل الحركة المصغّر والمدمج بمهارة، كتحفة فنية بين جرارات.

برزت سيارة "أودي كواترو" في مضامير السباق فأحرزت الانتصار تلو الانتصار. وفي ١٩٨٢ نالت بطولة العالم لسيارات الرالي، وعام ١٩٨٤ في رالي مونت كارلو احتلت المراتب الاولى والثانية والثالثة مما أثبت أن لا سبيل الى احراز انتصارات في السباقات الكبيرة والصعبة ما لم تكن السيارات مجهزة بقوة رباعية. وما لبثت شركات "لانسيا" و"بيجو" و"أوستن" أن واجهت التحدي فصنّعت سيارات خاصة بها.

يتكهن يورغ بنسنجر رئيس قسم تطوير الهيكل (الشاسي) والنوابض في المقر الرئيسي لشركة "أودي" في إنغولشتات بما يأتي: "ان تـزويد السيارات السياحية قوة رباعية قد يكون من أهم التحسينـات المثيـرة في تكنولوجيا انتاج السيارات. ولن تمضي بضع سنوات حتى تكون السيارة الرباعية ضمن الخيارات التي تقدمها كل شركات السيارات المتطورة."

وبرزت مشاكل تقنية هائلة في مجال تجهيز سيارات الركاب الكبيرة العالية السرعة قوة اندفاع رباعية، كانت أصعبها



"بورش ٩٥٩"
ذروة تكنولوجيا الاندفاع الرباعي العجلات.

Photo: Courtesy of Porsche A.G.

مشكلة الكوابح. ففي السيارات التي تم صنعها أولا كان نقل القوة من عجلتين الى أربع عجلات مدمجاً في وحدة متكاملة - بما فيها الكوابح. وذلك يعني أنك حين تضغط الكوابح بقوة تتوقف العجلات الامامية والخلفية معاً وللحال، مما يتسبب غالباً في انزلاق السيارة وفقدان السيطرة عليها. لكن هذه المشكلة حلّت بالابتكار والبحث الطويلين. وأصبح ناقل الحركة المدمّج للاندفاع الرباعي يعمل في كبح السيارات بالفاعلية ذاتها التي يؤمنها ناقل الاندفاع الثنائي.

ثم كانت مشكلة توزيع القوة بين مقدم السيارة ومؤخرها. هل يجب أن يكون التوزيع متساوياً كما كانت الحال في سيارتي الاودي والجيب؟ أم يجب زيادة قوة طرف أكثر من الطرف الآخر؟ أم يجب أن تتباين القوة وفقاً لاحوال القيادة؟

لم تحظَ هذه الاسئلة باهتمام هندسي مبتكر كما حظيت في ألمانيا الغربية. ولكي أستزيد من المعلومات عن هذا الموضوع قصدت أربعة من كبار صانعي السيارات الالمان الذين يختلف جهاز الاندفاع الرباعي لديهم الواحد عن الآخر. فهؤلاء، مع شركة سيارات "أودي"، يمثل انجازهم خلاصة ما وصل اليه هذا الفن التقني.

قطعة معقدة - قال المهندس غونتر كلوسماير المتحدث باسم شركة «BMW» وهو ينطلق برشاقة صعوداً في طريق جبلية مكسوة بالثلج في سيارة المصنع من طراز «BMW 325 iX»: "هل ترى؟ انك تقودها كرقاص ساعة." وزاد السرعة في دفعات عاجلة لكي يلف المنعطفات الحادة، فكان مقدم السيارة يندفع موجّهاً الى زاوية المنعطف الداخلية فيما مؤخرها يقتفيه ملتفاً معه بانسجام تام.

كانت هذه حقاً قطعة ميكانيكية معقدة، جهاز اندفاع رباعي العجلات ينقل فيه الترس التفاضلي المركزي (٢) ٦٣ في المئة من قوة المحرك الى العجلتين الخلفيتين و٣٧ في المئة الى العجلتين الاماميتين. ومهندسو شركة «BMW» لم يتوصلوا مصادفة الى هذه المعادلة. فكل سيارة تختلف عن الاخرى بتوزّع الوزن وقوة المحرك ومجموعة النوابض. وكل صانع سيارة يصمم الصيغة التي تفي بمتطلبات سيارته الخاصة. مثالا على ذلك، تستخدم شركة "فورد" في ألمانيا المعادلة ٦٦ - ٣٤ لسياراتها "سييرا" و"سكوربيو" الرباعية الاندفاع. وتستخدم شركتا "فورد" و«BMW» قارنات (٣) هيدروليكية لزجة تنقل القوة بين المحورين الخلفي والامامي. ويتم ذلك بوساطة اقراص (ديسكات) تستمد قوتها مباشرة من المحرك وتحرك مغطساً من زيت السيليكون الكثيف، فينقل القوة الى مجموعة ثانية من الاقراص موصولة بالعجلات.

طور هربرت شوستر، رئيس قسم تطوير السيارات السياحية واختبارها في مصانع "فولكسفاغن" في ولفسبرغ، جهاز تزامن (سينكرو) مبتكراً لسيارة الشركة من طراز "غولف"، ينقل قوة المحرك تلقائياً الى حيث الحاجة اليها. ففي

---

(٢) Central differential

(٣) Couplings

حالات السير صعوداً على طرق جليدية، مثلا، تنتقل القوة الى العجلتين الخلفيتين، وفي بعض حالات السير نزولا تنتقل الى العجلتين الاماميتين. فبفضل نقل القوة الى العجلات التي هي أشد تمسكا بالارض يزيد هذا الجهاز الرباعي قدرة سيارة "غولف" ٧٣ في المئة تسلقاً و١٤٩ في المئة قطراً و١٣٠ في المئة تسارعاً على الجليد في الانتقال من الصفر الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

سيارات الغد – في مقر "دايملر – بنز" الرئيسي في شتوتغارت شرح فرنر فايلر، مهندس الابحاث والتطوير، كيف أتقنت شركته فكرة القوة الرباعية باستخدامها الدماغ الالكتروني. وقد قدت سيارة "مرسيديس 300 E» لاختبار نقل القوة فحضني فايلر قائلا: أسرع بمقدار ما تبلغ بك الجرأة." كانت القوة الطاردة (٤) خلال الدوران في حلبة الانزلاق تشدنا الى حزام الكتفين، وعلى رغم ذلك أصرّ فايلر على أن أزيد السرعة. واذا بالسيارة تخرج من الحلبة وتأخذ في الدوران بسرعة على ذاتها.

"حسناً،" قال فايلر، "سأتحول الآن الى القوة الرباعية الاوتوماتيكية (٥)." حرك المفتاح وقال لي: "أعد الكرّة." زدت السرعة على عجل، واذا بضوء أصفر يظهر فيضيء ويخبو على لوحة الاجهزة. قال فايلر: "ان أجهزة التحسس الالكترونية بدأت تكتشف انزلاق العجلات فحولت القوة اليها كلها. والآن زد سرعتك."

أخذت السيارة تميل يساراً ويميناً، لكن الانزلاق خف حين رفعت قدمي عن دوّاسة الوقود وتمكنت من ارجاع السيارة الى الخط المستقيم بدفعات تسارعية خفيفة. وشرح لي فايلر الامر قائلا: "لا يتيح لك الاندفاع الرباعي الأوتوماتيكي لف المنعطفات على نحو أسرع، بل تفادي الخروج عن الطريق عندما تبلغ سرعة انطلاق السيارة حدّ الدوران على ذاتها بسرعة فائقة."

ويحتل الدماغ الالكتروني مركز الصدارة في سيارة "بورش" حيث تتمثل، في طراز "٩٥٩" بقوة ٤٥٠ حصاناً، قمة تكنولوجيا الاندفاع الرباعي حالياً. وهذه السيارة الرائعة لها من الاتقان والقوة ما يمكّنها من بلوغ سرعة ٣٢٠ كيلومتراً في الساعة. وقد صممت أصلا كمقياس لاختبار التحسينات المرسومة. أما ثمنها المعلن البالغ ٤٢٠ ألف مارك ألماني فيضعها في مصاف أغلى السيارات في العالم. وقد اشتد الطلب عليها حتى ان طراز "٢٠٠" للسياحة أنتج منه عدد محدود وبيع قبل أن يخرج أول نماذجه من المصنع (٦).

لماذا؟ لانه ليسّ هناك سيارة تداني "بورش" سرعة أو تسارعاً أو تعقيداً تكنولوجياً. ويمكن برمجة الطراز "٩٥٩" كي تسير السيارة أوتوماتيكياً بنعومة أو خشونة طبقاً لمقتضيات الطرق. انها ترفع هيكلها وتخفضه وفق السرعة، وتنبّه السائق حين يخف الهواء في الاطارات، وتتيح له أيضاً اختباراً للبرامج

(٤) Centrifugal force

(٥) 4-matic

(٦) أنتجت ٢٠٠ سيارة من طراز "٩٥٩" بيعت كلها ولا نية في انتاج غيرها.

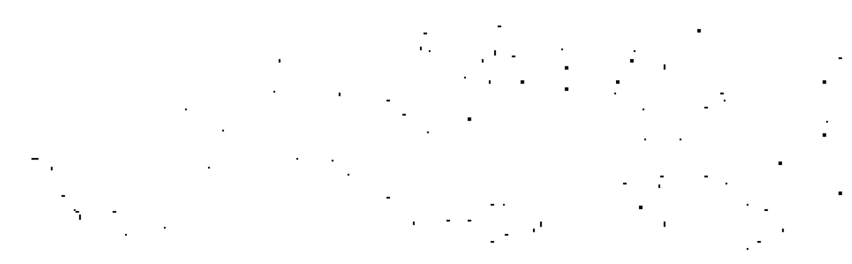
الالكترونية للسير في المطر أو الثلج أو الطقس الجاف أو للاندفاع الكامل بسرعة متدنية، وهي ميزة أظهرت فائدتها في الاوحال وكثبان الرمل في سباق باريس – داكار الذي فازت فيه سيارة "٩٥٩" (٧٠٠ حصان) عامي ١٩٨٤ و١٩٨٦.

كيف، يا ترى، ستكون سيارات الغد؟ ستكون من دون شك مجهزة بقوة اندفاع رباعي العجلات. وها ان صانعي السيارات اليابانيين يبدلون سياراتهم القديمة "القابلة للتحويل" الى ناقلات القوة المدمّجة الاكثر تعقيداً. وفي ايطاليا ابتكرت شركة "لانسيا" طراز "دلتا HF» المزوّد ترساً تفاضلياً لتوزيع القوة بنسبة ٥٥ – ٥٦ بين العجلات الخلفية والامامية. وشركتا "ألفا روميو" و"فيات" تعرضان حالياً سيارات "قابلة للتحويل" وتجريان دراسات لانتاج سيارات اكثر تطوراً نظير سيارة "لانسيا."

هل عليك أن تقتني سيارة رباعية الاندفاع؟ أشد المتحمسين للقوة الرباعية مقتنعون بأن ناقل القوة المدمج هو السمة الغالبة لسيارات الغد. لكن التقليديين يرون فيه "أداة اضافية" تساعد على قيادة أفضل في الطرق الثلجية والموحلة وفي قطر حافلات التخييم والعربات الكبيرة.

ولكن لا أحد ينكر أن القوة الرباعية هي انجاز تكنولوجي رائع في حقل القيادة الآمنة والممتعة. ويقول فايلر من شركة "مرسيديس": "ان جهازنا ليس معداً للسائق الارعن المتهوّر، لكنه الفاصل بين القدرة على لف المنعطف والوقوع في قناة، بين بلوغ القمة صعوداً وهجر السيارة على جانب الطريق. ان تجهيز السيارة بترس للاندفاع الرباعي يزيد من كلفتها قليلا، ولكن اذا كانت هذه الزيادة تؤمّن الوقاية من الحوادث فانها جديرة بان تؤخذ في الاعتبار."

رودولف شلمنسكي



نشوة العلاء

عندما نتسلق الى علو ٥٠٠ متر عن سطح البحر يبدو العالم مختلفاً كلياً. فحين نسير في المدينة نرفع بصرنا لكي نرى السماء. أما على علو ٥٠٠ متر فيمكننا أن نجيل بصرنا الى أعلى والى أسفل فتبدو السماء أرحب والمناظر أجمل والافق أوسع مدى وقلوبنا أكثر انشراحاً.

ليس من الضروري أن نكون متسلقي جبال محترفين هدفنا الوصول الى علو ألوف الامتار كي نحفر أسماءنا على صخرة. ان هذا يدعى "قهر الجبال،" وإن كنت قاهراً فلست خالياً من الهموم.

ان المتسلق المحترف لا يشاهد سوى قمم الجبال، أما نحن فنتمتع بالمنظر الخالب من علو ٥٠٠ متر.

ش.س.

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت



- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى



دائرة المعارف

تضمّ الدائرة في هذا العدد أسماء مذكرة بصيغة المؤنث. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. علّامة: كثير الانتقاد – شديد الملاحظة – عالم جداً – سيّد.

٢. راوية: كذّاب – سقّاء – جواد – مَن يروي الحديث.

٣. ذوّاقة: كثير الذوق – شره – طبّاخ – متكلم بليغ.

٤. رحّالة: صانع سروج – راعٍ – كثير الترحال – بدوي.

٥. طاغية: عاشق مشتاق – ظالم – عجوز – زوج امرأتين.

٦. صنيعة: ابن – متصنع متكلف – حرفي – ربيبٌ تابع.

٧. خليفة: جد – قائد – شهيد – مَن يخلف غيره.

٨. حُجّة: واسع العلم – زعيم – نصير – مبتكر أحاجيّ.

٩. رهينة: منازع – مقيَّد – محب للمال – مقامر.

١٠. بحّاثة: شكوك – معلّم – كثير البحث – لا يعجبه العجب.

١١. داهية: ذو دهاء – متزلف – مثيل – طالب ثأر.

١٢. عنترة: ذباب – عبد – فارس شجاع – يتيم.

١٣. ضُحكة: لطيف المعشر – كثير الضحك – سعيد – جاهل.

١٤. هيّابة: مقدام – جميل الوجه – جبان – ذو جلال.

١٥. ثقة: صديق – نسيب قريب – وزير – يُعتمد عليه.

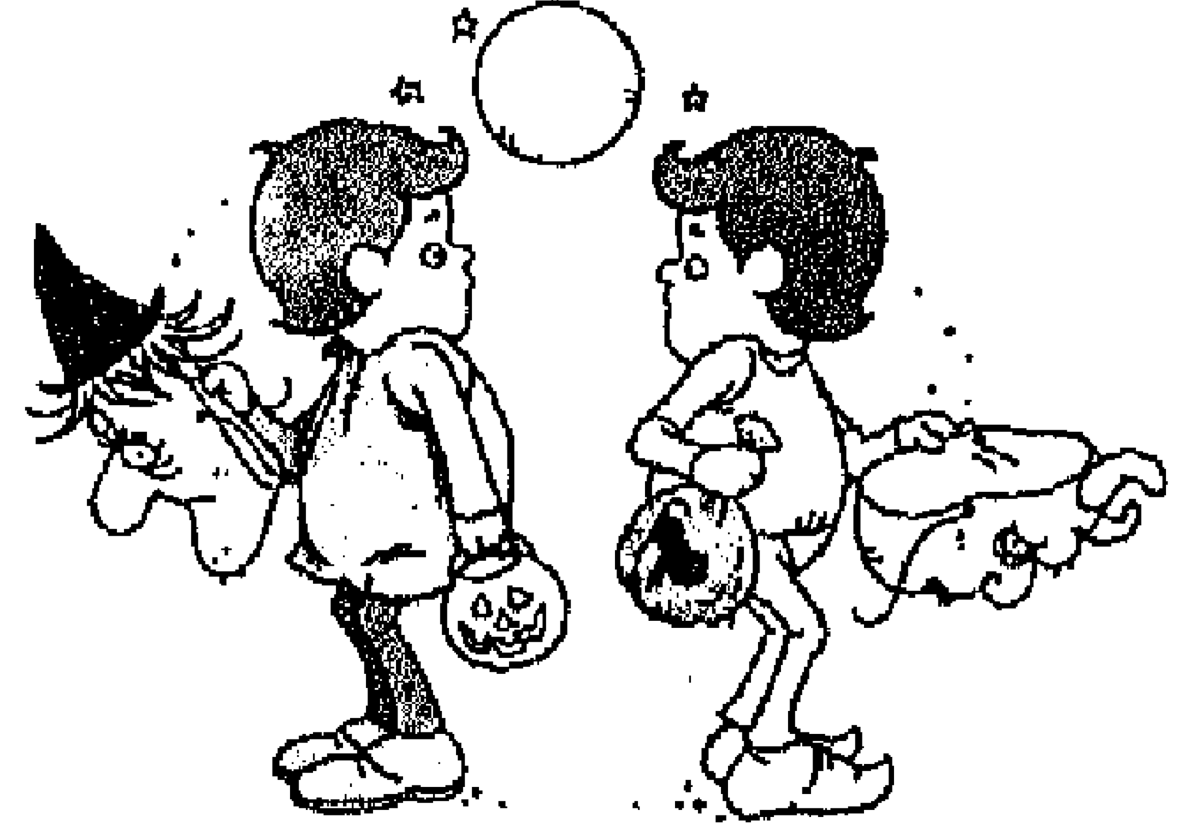
١٦. داعية: عدوّ – من يدعو الناس الى معتقده – مصلح – مدَّعٍ.

١٧. نابغة: شاعر – مُجيد فصيح – متطلب – خارج على قومه.

١٨. ضُجَعة: كسلان – منبوذ – مريض – مقوّس الظهر.

١٩. قدوة: كاتب بارع – قائد – مَن يقتدى به – قاضٍ.

٢٠. أسامة: رجُل سيف – فتى صبوح – أصغر الابناء – أسد.



الأجوبة الصحيحة

١. العلّامة: العالم جداً. الأعلم: من بشفته العليا شق.
٢. الراوية: الذي يروي الحديث أو الشعر، والتاء فيه للمبالغة.
٣. الذواق والذواقة: الكثير الذوق والحَسَن التذوق.
٤. الرحالة: الكثير الترحال. المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم.
٥. الطاغية: الظالم والجبار والمتكبر العاتي والاحمق.
٦. الصنيعة: الربيب التابع. يقال "هو صنيعتي" أي أنا ربيته وخرّجته واختصصته بالصنع الجميل.
٧. الخليفة: من يخلف غيره ويقوم مقامه، والسلطان الاعظم. وشرعاً، هو الامام الذي ليس فوقه إمام.
٨. الحُجّة: الواسع العلم والخبرة والحكمة. الحِجى: العقل والفطنة.
٩. الرهينة: المقيَّد بالشيء أو بالامر. يقال "أنا رهينة بكذا" أي مأخوذ به ضامن له.
١٠. البحّاثة: الكثير البحث. مَباحث البقر: القفر أو المكان المجهول.
١١. الداهية: ذو الدهاء. أيضاً: المصيبة. يقال "داهية دهياء" أي شديدة.
١٢. العنترة: الذباب أو الازرق منه. وبه سمي عنترة العبسي.
١٣. الضُحكة: الكثير الضحك أو من يضحك عليه الناس.
١٤. الهيابة: من يخاف الناس، الجبان. المهيب: من يخافه الناس.
١٥. الثقة: من يُعتمد عليه ويؤتمن. وقد يُجمع فيقال "ثِقات".
١٦. الداعي والداعية: من يدعو الناس الى معتقده.
١٧. النابغة: المُجيد الفصيح. أيضاً: الرجل العظيم الشأن. النوابغ: هم ثمانية من الشعراء المجيدين.
١٨. الضُجَعة: الكسلان الكثير الاضطجاع اللازمُ البيتَ.
١٩. القدوة: من يُقتدى به أي يُفعل فعلَه.
٢٠. أسامة: اسم جنس للاسد.

المستوى

١٧ - ٢٠: ممتاز
١٣ - ١٦: جيد جداً
٩ - ١٢: مقبول

المشوار الطويل



مجلس العائلة في ضوضاء. لم يكن هناك اثنان من رأي واحد. أو الاحرى أنهم كانوا كلهم متفقين، ولكن...

انهم يريدون الافضل لوالديهم، ولا ريب في ذلك. كانوا دائماً أولاداً طيبين، لا شرير فيهم. وقد تحقق الجيران من ذلك خلال السنوات الطويلة عندما كانوا جميعاً تحت سقف واحد. أدركوا جيداً كم كافحت فرنشيسكا وبابلو لتأمين العافية والرفاه لاولادهما الستة. كان منزلهم مثالا صالحاً منذ البدء.

لم يكن الاولاد، طبعاً، يتذكرون البداية الحق: صبابة والديهم. لكنهم عرفوا كثيراً. سمعوا القصة غير مرة. كان أبوهم، بعد العمل طوال النهار في ورشة بناء، يسري كل ليلة عدة كيلومترات للتحدث الى أمهم من خلال قضبان شرفتها. كان حديثهما يستغرق بضع دقائق فقط، لكنها تستحق العناء.

كانت نسوة الجوار يقلن للفتيات دائماً: "لن تكنَّ أبداً كأمّكن." وكثيراً ما ردد الأب، وهو لم يكن بعد عجوزاً: "لا واحدة منكن تُقارن بأمها."

Condensed from «Final de Journada,» by Eulalia Galvarriato, taken from «Antologia de Cuentistas Espanoles Contemporáneos (1939-1966),» © 1966 by Francisco

أصغت الفتيات بانتباه. رأين أماً سحرية تظهر أمامهن مستحقة كل ثناء، هي الامرأة الحقيقية التي تتحرك حولهن وتغسل الجوارب وتجهّز العشاء وتعمل دائماً، صبية دائمة الابتسام جالسة ابداً في كرسي من قش تنتظر قدوم حبيبها. أحببن دائماً تلك الام السحرية، أحببنها الى الآن وهي عجوز عاجزة. ما من أحد يشك في ذلك.

بعد ظهر كل أحد كان الجيران يرون العائلة التي ازداد عددها تدريجاً، تخرج معاً للنزهة. فيسألون: "ترى الى أين هم ذاهبون؟ أمن أجل التمتع بحرارة الشمس؟" تركض الفتيات الصغيرات بأثواب خفيفة أو بأوشحة كثيفة تغطي رؤوسهن، وفقاً للفصل من السنة، ووالداهن وراءهن شابكين ذراعاً بذراع فرحين بأولادهما وبعضهما بالبعض.

رأس البيت

عندما أصبحت الفتيات شابات والفتيان شباناً بدأوا يذهبون في طرقهم المتفرقة. هل كان من الممكن أن يكون الامر غير ذلك؟ كان بابلو أحياناً يسأل احدى بناته: "تعالي اليوم معي ومع أمك."

فترد: "ولكن، يا أبتِ، لدي موعد مع..."

كان الوالدان يفهمان طبعاً، فيخرجان وحدهما ذراعاً بذراع، الخطوات ذاتها، والافكار ذاتها. أمر واحد مؤكد: انهما زوجان متحابان متحدان لا نظير لهما.

بعد مدة لم يعودا يفكران حتى في دعوة أولادهما. هي وهو، هو وهي، يسيران بعد ظهر كل أحد ذراعاً بذراع.

ضحيا وتعبا من أجل أولادهما. تحفظ هي المنزل سعيداً نظيفاً، ويساعد هو على الانطلاق وانتقاء الاحذية والسراويل والفساتين ويرسل الاولاد الى المدرسة. ولم يغفل الاولاد عن جهود والديهم وكانوا لهما شاكرين.

كانت المشكلة طبعاً أن الاوضاع تغيّرت، كما يجب أن تتغير.

كبر الصغار وخرجوا لمواجهة العالم. باتت الفتيات نساء جميلات حقاً، أطول من والدتهن. وعندما تقول احدى سيدات الجوار: "أنتن جميلات، ولكن ولا واحدة منكن تشبه أمها،" لم تعد الفتيات يشعرن برضى طفولتهن الاذعاني. انهن لا يقلن شيئاً، بل يبتسمن مدركات برقة أن "الجارات تقدمن في السن."

لا يمكن القول ان الفتيان كانوا أطول من أبيهم، لكنهم كانوا أقدر منه في كل شيء. كانوا أوسع اطلاعاً كأنما هم عرفوا الحياة أكثر منه. وهو اعترف بذلك فبدا منكمشاً. أب مسكين! كيف كان طوال تلك السنوات رأس البيت غير المنازع؟

كثيراً ما ناقش الاولاد مشاكلهم متجاهلين أنه هناك. لكنه ظل يريد أحياناً أن يحافظ على سلطته. يستحضر صوته القديم في أمور يشعر بأنه الاقوى فيها، فيرعد فجأة: "لا تكونوا شرسين." ويتركونه يتكلم لأنه أبوهم. هو الرجل العجوز المسكين، وهم أبناؤه المطيعون. أيجوز أن يكون الامر غير ذلك؟

تزوج الاولاد. وذلك أمر لا مفر منه. كانوا جميعاً وسماء وما من أحد فيهم مغفل. تحوّل الابناء من متدربين الى عمال مهرة

الى "معلمين"، كل في وقته ومن دون أي مشاكل. أما البنات فتزوجن زيجات سعيدة.

كانت فرنشيسكا وبابلو سخيين مع أولادهما. ساعداهم في أعراسهم وأعطيا كلا منهم جهازاً (بائنة) وقليلا من المال. كان يجب أن يدركا أنهما سيُتركان من دون مدخرات. لم يلمهما الاولاد، غير أنهم الآن جميعاً يدفعون ثمن قِصر النظر هذا.

لم يلاحظ بابلو انه يفقد قواه، وأنه عما قريب سيتعذر عليه العمل وقتاً اضافياً ولا حتى بدوام عادي. كلاهما لم يلاحظ شيئاً. كانا قنوعين جداً، يخرجان كل أحد للنزهة ذراعاً بذراع.

انهما يسيران الآن أبطأ من ذي قبل، لكنهما ما زالا مبتهجين كأنما ليس لديهما ما يقلقان عليه. كان ذلك مغيظاً، لان الحقيقة المحزنة هي أنه كانت هناك أمور كثيرة تستدعي التفكير.

لقد أبدلا منزلهما بمنزل ابنهما البكر الذي كان ينتظر مولوده الخامس وتكاد عائلته لا تستطيع التحرك في شقته المؤلفة من ثلاث غرف. وكانت لدى الوالدين وسعة لا يحتاجان اليها، والشقة الصغيرة مشمسة وزاهية.

والحقيقة انه لم يكن لهما حظ في التمتع بالشقة الجديدة، لأن أنطونيا كانت تتحرك بصعوبة في شقتها ذات الغرفتين وهي تنتظر مولودها الثاني. والغرفتان مظلمتان جداً ورطبتان على الصغيرين... وعلى الجدين الكبيرين أيضاً، لكنهما كانا قويين. ثم ان الايجار كان أدنى، وذلك مهم. كانت المبادلة الحل المناسب للجميع.

قالت البنات: "حسناً، يا أماه، ستعيشين الآن كأميرة، وسيكون منزلك نظيفاً في أقل من لمح البصر."

كان صعباً عليها أن تقلب الفرشة وتضع الملاءة وتنفض الغبار عن الكرسي. طبعاً، كانت ثمة أمور أخرى لتعملها: جلب الماء من الينبوع في الباحة، وغسل الثياب في دلو وهي راكعة على الارض. ولكن كان العمل المنزلي قليلا جداً. كانا اثنين فقط.

غادر البيت باكراً في الصباح. اشترى الكعك من المخبز وأقام منضدته للبيع. لم يعد مطلوباً في ورشة البناء. انه لا يكسب كثيراً من بيع الكعك، لكنه لا يحتاج وزوجته الا الى مال يسير. كانا في حال حسنة والامور تسير في مجراها الصحيح.

الآن بدا للاولاد أن الغرفتين رطبتان جداً، كأنما لم تكونا كذلك كل الوقت. ولاحظ أحدهم ان موضع الرطوبة في غرفة النوم يبدأ قرب الارض ويصل الى منتصف المسافة، الى السقف. وأقلقهم سعال أبيهم.

عرفت فرنشيسكا وبابلو أن أولادهما يريدونهما أن يعيشا في قصر. لكنهم غير قادرين على تحقيق ذلك، فلماذا لا يتركونهما كما كانا. انهما لا يريدان أكثر، ولا يحسبان ذلك عاراً كما يظن الاولاد.

بالله عليكم، أتركوا العجوزين في حالهما، انهما سعيدان كفاية معاً.

لا، لا. هذا عار.

وظل مجلس العائلة أياماً في جدل

عنيف. كان الجميع يريدون امراً واحداً، ولا يريدونه في آن.

لا أحد من الاولاد يعيش في راحة كافية أو يملك غرفة اضافية يأخذ والديه اليها. كان هناك حل واحد:

هو يقيم مع ولد، وهي مع آخر. وستكون الاقامة لمدة شهرين. فهناك ستة أخوة وأخوات، يأخذ كل منهم دوره شهرين كل سنة. كان ذلك العمل الصواب.

جلس الوالدان ساكتين، متجهمين، ذراعاً بذراع، كأنهما يتحديان الاولاد في أن يحاولوا التفريق بينهما. يا له من تصرف طفولي! ان الامر هو لمصلحتهما.

قالا معاً: "أتركونا وحدنا في بيتنا، نعيش كما عشنا دائماً. دعونا نموت معاً."

هراء! انهم لا يتكلمون عن الموت. الفكرة أن يعيشا عيشاً أفضل، أن يخرجا من الكوخ الرطب الحقير ويتخلصا من ألسنة الجيران المهذارة التي تردد أنهما في هذه السن يجب أن...

كفى! كفى!

لقاءات حبيبين

أخيراً اقتنعا. في الشهرين الاولين يذهب الجد الى منزل ابنه الشرطي والجدة الى منزل أنطونيا. هكذا يكونان أحسن حالا: سقف جيد فوق رأسيهما، حساء ساخن، ثياب نظيفة، فراش مريح، ولا أعمال منزلية.

كل الاسباب تدعوهما الى السعادة. لكنهما لم يكونا سعيدين. وكان ذلك أمراً مزعجاً. الاولاد يضحون من أجل والديهم، لكن هذين لا يقدران ذلك حق قدره. الرجل العجوز كئيب ساكت لا يورط نفسه في شيء. وهي أسوأ منه. انها لا تعرف كيف تتنحى، فهي اعتادت اعطاء الاوامر. الحياة لا تطاق مع العجوزين، وعلى الاولاد أن يجمعوا كل صبرهم للتعامل معهما.

وكما يفعل المسنون، يهرب هو عندما لا يكون الاولاد يراقبون، يلتقيان في زاوية ما يكونان اتفقا عليها. يُسِر كل منهما همومه الى الآخر. كالعشاق يضربان المواعيد. تراه ينظر الى ساعته، ويهتم كثيراً بثيابه، وهذا ما لم يفعله منذ زمن طويل.

كل يوم يضربان موعداً للقاء تال. يمضّه الآن سعال جاف مزمن، وقد وصف له الطبيب بعض العقاقير والحقن.

تقول له: "لا تدعهم يعطونك الحقنة قبل أن أصل." وكان ذلك لتمسك بسترته فقط بينما يحقنه الطبيب. وها هو يجلس بفروغ صبر في غرفة الانتظار مشتاقاً الى رؤيتها.

كل يوم أحد يكونان جاهزين للذهاب الى الحديقة العامة. يضربان الموعد يوم السبت، كما يفعل الشباب تماماً.

"كن في الموعد. اسأل المرأة المتسولة على المدخل، وهي تخبرك ما اذا كنت وصلت. واذا لم أصل، انتظرني."

وهناك يكون في الموعد تماماً، يقف الى جانب المقعد. الآن يستطيع الجلوس لأنه رآها.

بعد ذلك يخطوان خطواتهما الصغيرة، ذراعاً بذراع، وكلاهما سعيد جداً، وحزين قليلا. ومرة أخرى يمشيان كعاشقين في شمس صباح الأحد.

أولاليا غالفارياتو

قصة من الحرب العالمية الاولى

حكاية القنابل الالمانية الاولى والاخيرة التي أطلقت على الولايات المتحدة

صبيحة ٢١ يوليو (تموز) ١٩١٨ وعلى مبعدة من ساحل كيب كود في ولاية مساتشوستس، كانت الغواصة "يو ١٥٦" التابعة للاسطول الامبراطوري الالماني في مهمة سرية. وهي بإمرة الكابتن فون اولدنبرغ الضابط المتفاني الذي يمقت الاخفاق.

وكان نجاح عملياته الاخيرة – من ضرب سفينة بريطانية بالطوربيد وزرع الالغام قبالة لونغ آيلند بولاية نيويورك، تلك التي أغرقت السفينة الامريكية "سان دييغو" – قد أهّله لتنفيذ مهمة قطع كابل التلغراف الممتد عبر المحيط الاطلسي من أورلينز بولاية مساتشوستس الى برست في فرنسا. وبتر هذا الكابل سيحمّل الكابلات الاخرى فوق طاقتها ويعوق الاتصالات بين الحلفاء.

وقد وجه فون أولدنبرغ رجاله وآلاته مرة تلو أخرى لاصابة الكابل، لكنهم ظلوا يخطئونه. فهو مطمور في عمق الرمال المتزحزحة فلا تبلغه مخالب مرساة الغواصة.

وإذ أدرك فون أولدنبرغ أن مهمته ستمنى بالفشل، استشاط غضباً. أيعقل أن يقطع هذه المسافة كلها من دون أن ينجز شيئاً؟ اذا كان قطع الكابل مستحيلا، فلا بلد من ايجاد هدف آخر.

صاح فون أولدنبرغ: "ارفعوا المنظار!"
كانت الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

على مسافة ٢٧٥ متراً من الشاطىء كانت الباخرة "بيرث آمبوي" تقطر أربع بوارج من غلوستر الى مدينة نيويورك. وكان جايمس تابلي هو قبطان باخرة القطر وبحارتها الستة عشر.

في العاشرة والنصف كان تابلي مسترخياً في كرسي يتشمس ويقرأ

الجريدة. فعلى متن باخرة القطر بدت الحرب بعيدة جداً.

قطع عليه جلسته ملاح اسمه بوغوفيتش قائلا: "تبدو المياه ضحلة أيها القبطان."

وقف تابلي وقال: "لننظر في الأمر." ومشيا معاً نحو حجرة القبطان وشرع تابلي يراجع بعض الخرائط.

داخل المحطة الجوية في بلدة شاثام المجاورة كان الملازم ايتون يحدق عبر شباك مكتبه نادباً حظه. فعليه أن يخدم يوم الأحد. وفي تلك الاثناء كان الجميع على بعد ٥٠ كيلومتراً في بروفنس تاون يستمتعون بلعب كرة القاعدة (بايسبول) مع ملاحي كاسحة الالغام الراسية هناك.

وكان انساين انغارد جالساً قبالة إيتون يقرأ صحيفة "غلوب" الصادرة في بوسطن. فجأة نحّى انغارد الصحيفة قائلا: "الحرب والنار مستعرتان، فلماذا يتركون موهوبين أمثالنا ماكثين في بيوتهم. ها نحن الآن فرخا عقبان لا مكان لنا نكتسي فيه ريشاً."

حوت عجيب – كان الدكتور ج. دانفورث تايلور يسكن في بوسطن الشرقية ويمضي عطل الاسبوع الصيفية في كوخه القائم فوق جرف نوسيت في كيب كهد والمشرف على منظر رائع للبحر. هذا الصباح كان الدكتور تايلور جالساً في كرسيه الهزاز في الرواق الامامي ومنظاره كالعادة على الطاولة إلى جانبه. فلفتت نظره باخرة القطر المتجهة جنوباً، فتناول منظاره مراقباً الباخرة والمراكب الاربعة المقطورة. ولسبب ما صوب منظاره أبعد منها. صاح الدكتور: "غواصة! أظن أنني أرى منظار غواصة!"

أدار فون أولدنبرغ منظار الغواصة ببطء مستطلعاً الشاطىء. وإذ رأى أربعة مراكب وباخرة قطر تجرها تبسم وقال: "أعدّوا قذائف الطوربيد الأمامية للاطلاق."

وبسرعة أجرى الحسابات اللازمة: موقع باخرة القطر، والسرعة المقدرة، والاتجاه. ثم صاح: "حضروا القاذفات الامامية. أطلقوا الطوربيد الاول. أطلقوا الثاني."

على متن باخرة القطر طرح تابلي الخريطة ملتفتاً الى بوغوفيتش وقال: "أظن أنك محق. فنحن نقرب من حاجز رملي. لنتوقف ريثما أعيِّن اتجاهاً آخر.

هزّ بوغوفيتش رأسه موافقاً، ثم توقفت "بيرث آمبوي." بعد ثوان أزّ جسم لامع فوق مؤخر الباخرة وانفجر في الحاجز الرملي قربها.

شهق تابلي: "ما هذا بحق السماء؟" ثم أزت قذيفتان أخريان.

صاح فون أولدنبرغ وقد احمر وجهه: "اخطأنا الهدف. سنطفو على سطح الماء ونفجر الباخرة بمدافعنا."

ركض تابلي على ظهر باخرة القطر. ومن موقعه لمح غواصة سوداء كالحة تبعد ٤٠٠ متر وتبدو مثل حوت عجيب.

"بوم!" القنبلة تدوي داخل حجرة القبطان. تابلي لم يصب بأذى، فيما جرح بوغوفيتش وملاحون آخرون وتحولت حجرة القبطان أتوناً مشتعلا.

قال تابلي: "تعالوا، فلنغادر هذا المكان."

مكالمة مهووسة! - هتف الدكتور تايلور: "الغواصة تقصف مراكبنا." وثب من كرسيه المزاز مقتحماً غرفة الجلوس متناولاً الهاتف. طلب من المقسّم أن يصله هاتفياً بالمحطة الجوية في شاثام.

قال الملازم ايتون متثائباً: "هنا المحطة الجوية." فصاح الدكتور تايلور عبر الهاتف: "غواصة! غواصة ألمانية تقصف بواخرنا قبالة ساحل أورلينز!"

قال ايتون ضاحكاً: "حسناً، حسناً، دعنا من هذا الهراء كائناً من كنت. لقد تلقينا مثل هذه المكالمة المهووسة من قبل."

- أنا الدكتور ج. دانفورث تايلور من بوسطن الشرقية وأورلينز. وأؤكد لك أنها ليست مكالمة مهووس. لتقلع تلك الطائرات من مدارجها.

ثم أطبق السماعة. وبعد دقيقة رن جرس الهاتف: "الدكتور تايلور؟ هنا الملازم ايتون. أود أن أتثبت من مكالمة. أأنت خابرتني الآن مبلغاً عن غواصة؟"

- نعم بحق السماء يا فتى. افعل شيئاً لمعالجة ذلك.

التفت الملازم ايتون الى رئيس الميكانيكيين لديه قائلا: "هوارد، جهّز قذائف الاعماق. سننطلق أنا وانفارد في "مركبين طائرين." ثمة حرب ناشبة."

- لكني يا سيدي لم أجهز قذائف من قبل قط.

"أنا واثق بأنك ستتدبر الأمر يا هوارد."

كانت طائرة انساين انغارد في المقدّم وهوارد على متنها، وحلقت الطائرتان على ارتفاع ٢٥٠ متراً وسرعان ما حددتا موقع الغواصة. شرعت مدافع الغواصة تطلق النار على طائرة انفارد فتخطئها وتسقط القذائف في الماء وتنفجر قرب الاكواخ على الشاطيء.

وظهرت الغواصة في منظار تصويب القذائف في الطائرة، فجذب هوارد سلك الاطلاق ولكن لم يحدث شيء، فالقنبلة عالقة في الجناح.

غمغم هوارد: "اللعنة!" ثم أومأ الى انغارد ليحلق فوق الهدف كي يحاول ثانية.

خلفهما كان الملازم ايتون مع انساين شيلدز يسفّ فوق الماء بزورقه الطائر على ارتفاع ١٥٠ متراً. وعند اشارة الايعاز تماماً جذب انساين شيلدز السلك فصفرت قنبلة الاعماق منطلقة نحو هدفها. وسمع رشاش ماء كثير ولا صوت غيره. فالقنبلة لم تنفجر.

مفتاح انكليزي - صاح فون أولدنبرغ: "تغاضوا عن الطائرتين وسددوا المدافع الى باخرة القطر. أريد إغراقها."

قال نائبه: "لقد أصبناها عشر مرات. انها ترفض الغرق يا كابتن."

مرة أخرى لاحت الغواصة في منظار تصويب القذائف وسحب السلك ثانية. وصفرت قنبلة الأعماق. وعلا صوت رشاش، ولا شيء غيره. فالقنبلة لم تنفجر.

رأى الملازم ايتون ما حدث فامتقع لونه. ومن شدة يأسه وغضبه وعجزه انتزع أثقل ما وجده في علبة العدة: مفتاحاً انكليزياً ضخماً سدده ثم قذفه صائحاً: "هذا لكم، لانكم هاجمتمونا صبيحة الاحد فيما الجميع يلعبون." وعادت الطائرتان الى القاعدة.

التقط فون أولدنبرغ الجسم الذي قذفته الطائرة وقال غير مصدق: "مفتاح انكليزي! لقد رمونا بمفتاح انكليزي!" وحدق الى باخرة القطر المتراقصة على الماء. ثم نظر الى المفتاح في يده. وأخيراً التفت الى مساعده قائلا: "استعدوا، سنغطس ونرحل من هنا."

كانت الساعة قرابة الحادية عشرة والنصف ظهراً. وقد اطلقت الغواصة "يو ١٥٦" خلال ساعة واحدة نحو مئة قذيفة، وهي القذائف الالمانية الأولى والاخيرة التي سقطت على أراضي الولايات المتحدة. وجاء في صحيفة "أدفوكيت" الصادرة في بروفنس تاون:" لقد أجمع المراقبون على رأي انتقادي واحد: الالمان غير بارعين في التصويب."

في اليوم التالي قطرت "بيرث آمبوي" باعتزاز الى مرفأ فاينيارد هافن وسط تهليل النظارة. وعادت لاحقاً الى البحر بإمرة القبطان تابلي. وتدفقت الثناءات والتهاني على الدكتور تايلور لسرعة خاطره. ونقل الطياران ايتون وانغارد الى مواقع ما وراء البحار.

وحظر على جنود شاثام الى الابد لعب كرة القاعدة أيام الآحاد.

و. واتس بيفرز



كسولة و... عدائية!

سأل أحد الطلاب رفيقته العابسة: "ما بك مقطبة الحاجبين؟"

فدمدمت متذمرة: "أعاد الي الاستاذ مسابقتي في اللغة الانكليزية، وقد نلت علامة ضعيفة."

قال الطالب مازحاً ومحاولا التخفيف عنها: "هل تعرفين أنك تستخدمين في التكشير عضلات أكثر من تلك التي تستخدمينها في الابتسام؟"

فردت بغضب: "اذاً، دعني وشأني، فأنا أمرّن عضلاتي."

س.ج.

طبقات الزواج

سئلت زوجتي كم مضى على زواجنا فأجابت: "منذ وقت تقادم عهده بحيث باتت هناك أربع طبقات طلاء على كل ما في البيت.

ج.د.

جمر الغضب

الاستمرار في الغضب كالقبض على جمر متأجج بهدف رميه على انسان آخر. لكن الجمر لا يحرق الا حامله.

حكمة قديمة

نيدو الحليب الأفضل



انعطف القطار
بسرعة ١٤٠
كيلومتراً في الساعة
وداخله ٦٦٠ راكباً
ومهندس وميكانيكي مدمنان
ثم كانت الفاجعة...

قطار الموت

خارج ذلك البيت الازرق الجميل الذي تعود هندسته الى القرن التاسع عشر، في ضاحية اوفرلي في بلتيمور، كان الطقس صافياً وبارداً وكانت دنيز ايفانز في المطبخ مع ابنتها المراهقة ليا فيما جلس زوجها جيري وابنهما جوشوا (عامان) الى الطاولة يتخاطفان شرحات اللحم المقدد في دعابة ماكرة جعلت الصغير يقهقه بمرح.

في ذلك اليوم الذي صادف الاحد الأول من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧، كان جيري المهندس الشاب

Condensed from Baltimore Magazine (November '87). © 1987 by Baltimore Magazine Inc., Baltimore, Md. Photo: J.L. Atlan / SYGMA

Amtrak

ابن الخامسة والثلاثين والذي يعمل في شركة "أمتراك" للنقل سيقود قطار "أمتراك كولونيال ٩٤" من العاصمة واشنطن الى بوسطن. وهو ودع عائلته في التاسعة صباحاً واعداً اياها بالعودة قرابة الساعة ١١ مساء.

فوق التلال المكسوة بالاشجار في مقاطعة بلتيمور الشمالية، كانت سوريز (١٦ عاماً) تفتش في منزل ذويها عن امتعتها قبل عودتها الى جامعة برنستون حيث كانت طالبة في السنة الاولى علم الفيزياء الفضائي. وكان حلمها ان تصبح رائدة فضاء.

عندما وصلت سوريز الى محطة "بن" في بلتيمور ترافقها والدتها التي تولت إيصالها بالسيارة، كان المهندس إيفانز وصل اليها لتوه وهو على وشك ان يوقف القطار الذي تولى جهاز القيادة فيه. وكان غادر واشنطن الساعة ١٢:٣٥ مساء اي بتأخير خمس دقائق.

إستقلّت سوريز القطار ذا المقصورات الاثنتي عشرة وتوجهت الى المقصورة ٢١٢٣٦ التي كانت مباشرة وراء مقصورة طعام خالية والقاطرتين المتوقفتين. وكان في القطار ٦٦٠ راكباً و١٢ من افراد الطاقم.

في تلك الأثناء سُمع، عبر الراديو، صوت جامع التذاكر وهو يخاطب جيري إيفانز: "جيري، ٩٤، يمكنك الانطلاق."

صفارة مكبوتة – في باحة الشحن في بيڤيو في الجهة الشرقية من بلتيمور، ظهر كل من المهندس ريكي لين غيتس الذي يعمل في شركة كونريل، وإدوارد "بوتش" كرومويل عامل المكبح فيها. وكان مطلوباً منهما ان يؤمنا جر ثلاث قاطرات شحن مسافة ١٨٠ كيلومتراً الى الشمال والغرب وصولا الى هاريسبرغ في ولاية بنسلفانيا. والعاملون في مصلحة السكك الحديد يحبون هذا النوع من المهمات ويطلقون عليه اسم "القاطرات الخفيفة" وذلك بأن القاطرات الخالية تكون اكثر سرعة واسهل قيادة من تلك المحملة.

تلقى الرجلان تعليمات مفصّلة حول مهمتهما من ناظر الفناء. وتوقع غيتس، إستناداً الى خبرته، تأخيراً محتملا في نقطة متقدمة تبعد مسافة ٣٠ كيلومتراً عند تقاطع خط الركاب مع خط الشحن في غنباو. وربما طال انتظاره بضع دقائق ذلك اليوم الذي يمرّ فيه قطاران للركاب.

كان ناظر الفناء يراقب الرجلين وهما يتبادلان الحديث بحثاً عن إشارات تدل على السكر او تعاطي المخدرات.

كان غيتس في الثانية والثلاثين وهو صاحب تاريخ طويل في ادمان الكحول وتعاطي الماريوانا. اما كروموبل، ابن الثالثة والثلاثين، فكان ايضاً مدمن ماريوانا و"فينيلسكلوهكسيل بيبردين."(★) ومع ان غيتس كان حذراً وكتوماً في ما يتعلق بالمادة المحظورة، الا ان عدداً من اصدقائه كانوا على علم بإدمانه المخدرات وحتى الكحول. وسبق لشرطي سير ان أوقفه وهو يقود سيارته قبل شهر لعدم امتثاله لإشارة التوقف ولإجتيازه ضوءاً احمر. وعندما ترجّل من السيارة، كان مترنحاً وتعذر عليه لفظ

(★) مادة كيميائية مخدرة تعرف بـ PCP .

الأحرف الأبجدية، وبدلا من ان يبرز إجازة القيادة واوراق السيارة، التي طلبها من الشرطي، اخرج من جيبه ورقة نقدية من فئة عشرين دولاراً ثم ورقة اخرى من فئة خمسة دولارات. إلا ان الشرطي رفض الرشوة، وقبض على غيتس الذي اعترف امام القضاء بتهمة القيادة في حال سكر. فنال حكماً فيه غرامة مالية وحبساً مع وقف التنفيذ.

إلا ان ناظر الفناء لم يلاحظ على الرجلين، ذاك النهار، اي اعراض غير عادية فدعاهما الى متابعة السير.

تراجع غيتس بقاطرته نحو الحامل حيث أخضعها لفحص روتيني بغية التحقق من سلامتها. وعندما تفقد صندوق الاشارات فوق النافذة الى اليسار، وجد انه ينقصه مصباح. وهذا المصباح هو جزء من مجموعة إشارات ظاهرة وظيفتها تنبيه المهندس الى ضرورة التمهل استعداداً للتوقف. لم يعر غيتس الأمر أي اهتمام خصوصاً أنه يعرف أن المهندسين الذين يتوقفون عند الامور الصغيرة ليسوا محبوبين خصوصاً في ميدان الأعمال حيث عنصر الوقت مرتبط الى درجة كبيرة بالمال.

تفقد غيتس صفارة الانذار المكروهة من معظم المهندسين، ليس فقط لانها تطلق صريراً حاداً مزعجاً كل مرة تعلن إشارة السرعة ضرورة التقيد بحدود السرعة القصوى المسموح بها، بل لإنهم اعتبروها مهينة لهم، كأنها تشكك في كفاياتهم المهنية. لذلك فإن البعض منهم عمد الى كبت صوتها بواسطة شريط لفوه حولها. كان صوت صفارة غيتس ضعيفاً، شبيهاً بهسيس خافت. ومع ان الرجل ليس هو الذي لف الشريط حول الصفارة، الا انه كان يتوجب عليه نزعه عندما شاهده، لكنه لم يفعل.

والى ذلك كان غيتس وكروموبل في مزاج رائق ذلك النهار وبدوا كأنهما في عطلة. فحمولتهما خفيفة وفي حوزة كروموبل سيجارة ماريوانا.

في تمام الساعة ١:١٥ بعد الظهر انحرف المهندس وعامل المكبح بقاطرتهما الى خط الشحن الواقع في محاذاة خط القطار السريع.

والواقع ان قطار الشحن يتوقف حالما يرفع المهندس قدمه اليسرى عن الدواسة المعروفة بـ"الرجل الميت." ومن اجل ان يظلّ القطار متحركاً، على المهندس الا يرفع قدمه عنها. والدواسة هذه هي، على الارجح، الجهاز الاكثر تعرضاً للاعطال بين كل اجهزة الأمان في قطارات الشحن. لكن إصلاحه لا يتطلب سوى مفتاح ربط وما على المهندس الا الاستعانة بواحد منها.

ولأن دواسة "الرجل الميت" في قطار ريكي غيتس كانت معطلة ودواسة المكبح مركّزة في وضع التسريع، فلم يكن القطار في تلك الساعة بحاجة اليه. فأشعل الرجلان سيجارة الماريوانا. وما كاد القطار ذو القاطرات الثلاث يخرج من الفناء، حتى راحت سرعته تتعاظم فوصلت الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة في اقل من خمس دقائق.

إشارات واشارات – الساعة ١:١٦ بعد الظهر كان إيفانز انطلق لتوّه من قلب

المدينة في بلتيمور. وتجاوزت سرعة قطاره ١٩٠ كيلومتراً في الساعة.

وفي المقصورة الرقم ٢١٢٣٦، استقرّ الركاب براحة وشرع جامع التذاكر دونالد كيسي في دورته الروتينية فناولته الفتاة ذات الستة عشر ربيعاً والتي كانت تحلم بأن تصبح رائدة فضاء، تذكرتها التي ثمنها ٢٧،٥٠ دولاراً.

كان غيتس في السنة السابقة قطع نقطة تقاطع الخطوط في غنباو، ٩٩ مرة مما اكسبه - كما في اي عمل روتيني آخر - حساً معيناً يوحي كأن في داخله ساعة تنبئه بالوقت اللازم للانتقال من خطوة الى أخرى.

ومعروف ان المنتشي بالماريوانا غالباً ما يفقد الحسّ بالوقت. فنصف الساعة ربما تراءى له كخمس دقائق والخمس دقائق ربما بدت كساعة.

إعتاد غيتس ان يتوقع ١٥ دقيقة من الهدوء بين بيڤيو وإشارة غنباو البعيدة والواقعة على مسافة ٣ كيلومترات من نقطة التبديل عند تقاطع خطوط الركاب وخطوط الشحن. إلا انه في ذلك النهار لم يأبه للاوقات، نظراً الى حمولته الخفيفة، وعبث بتلك الساعة الدقيقة الموجودة في داخله.

الساعة ١:٤٧ تخطى غيتس وكرومويل الاشارة البعيدة التي تدعوهما الى ان يبطئا سرعة القطار الى ٥٠ كيلومتراً في الساعة. ولان ثمة من عبث بها وأخمد صوتها، فقد فشلت صفارة الإنـذار الداخلية في اطلاق زعيقها المنبـه فاستمر قطار كونريل في اندفاعه واجتاز الاشارة بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

ويحدد دليل قوانين القطارات عمل عامل الكابح، وفيه انه عمل مساند لعمل المهندس. فهو الذي يردد مضمـون الاشارات بصوت مرتفع وهو الذي يتأكد من ان المهندس اخذ علماً بها، وعليه تقع مسؤولية العمل بها في حال عدم امتثال الأخير لها او فشله في الاستجابة. غير ان عامل الكابح بوتش كروميل لم ينفذ، ذلك اليوم، أياً من هذه الاعمال.

الى كل ذلك هناك في بعض القطارات جهاز امان اوتوماتيكي مصمم لمثل تلك الظروف، ويدعى هذا الجهاز ATC اي الضابط الاوتوماتيكي للقطار وهو يعمل تلقائياً عند الاقتضاء. واذا إجتاز قطار ما إشارة التمهل ولم يمتثل لها، فإن الكابح يطبق عندئذ على نحو تلقائي إنفاذاً لأمر الاشارة. ولو كان قطار ريكي غيتس مزوداً مثـل هـذا الجهـاز، لكـان الكـابـح الاوتوماتيكي بدأ بالفرملة فور اجتياز القطار الاشارة المذكورة. لكن القطار، ويا للاسف، لم يكن مزوداً مثل ذلك الكابح.

اقفزوا - قبل نقطة التبديل في غنباو بأقل من ١٦٠٠ متر، هناك إشارة تمهّل أخرى استعداداً للتوقف، فلم يأبه لها غيتس وتابع قطار كونريل اندفاعه بسرعة فاقت ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

وما هي الا لحظات قليلة، وقبل حوالى مئة متر من نقطة تقاطع خطوط الشحن وخطوط الركاب، حتى برزت امام عيني غيتس إشارة الوصول "قف" بأحرف كبيرة. ومعنى ذلك ان نقطة التبديل كانت مقفلة بسبب وجود شيء ما على خط قطار الركاب السريع.

فجأة عاد الى غيتس صوابه وبسرعة ادار الصمام الخانق وأعمل مكبح الطوارىء، فجمدت الدواليب وتوقفت عن الدوران لكنها ظلت تنزلق مدة ٤٨ ثانية وهي تشرقط ناراً وترسل صريفاً حاداً. لقد أخفق الرجلان في ايقاف القطار في الوقت المناسب وتابعت القاطـرتان الاماميتان اندفاعهما وإخترقتا نقطة التبديل المقفلة فيما ظلّت القاطرة الخلفية عالقة فيها واستقر قطار غيتس وكروموبل على خط القطار السريع.

ضاق تنفس غيتس اذ ادرك وزميله هول الورطة التي وقعا فيها.

مد كروموبل نظره الى الخلف، فشاهد عبر النوافذ، الاضواء الامامية لقطار يلف المنعطف امامهما فراح يصرخ: "شيء ما يقترب منا! اقفزوا"!

كان جيري إيفانز وحيداً في مقصورة القيادة في قطار "كولونبال ٩٤"، فرنا ببصره الى الامام مترقباً ظهور النقطة التي تتقاطع فيها الخطوط في غنباو بعد انعطاف قطاره وهو على مسافة ٩٠ كيلومتراً من واشنطن فإرتسمت امامه فجأة إشارة "قف" ورأى رقعة قطار كونريل زرقاء تحتل المكان امامه ولا يفصله عنها سوى ٨٢٠ متراً. أعمل مكبح الطوارىء الا ان القطار لم يتوقف نهائياً الا بعد ٨ ثوان.

لم يقفز إيفانز من القاطرة، واختفى بسرعة الألم الجسدي الذي شعر به. وهو استحق في ما بعد المديح الذي وُصف فيه "بأحسن مهندس ملعون."

اندلع حريق في مكان التصادم وتحول كرة من نار. فعندما ارتطم قطـار الكولونيال امتراك بالقاطرة الاخيرة من كونريل، انسحقت مقصورته الامامية واستقرت ركاما في المقصورة الاخيرة. اما قاطرة كونريل فانفجرت وتطايرت شظايا معدنية مسفوعة اكبرها في حجم دراجة نارية واشعلت خطوط الكهرباء الوف الليترات من وقود الديزل الذي سال بفعل الإرتطام.

اما القاطرات الخلفية في قطار كولونبال والتي كانت على مسافة ٤٠٠ متر الى الجنوب من نقطة التبديل، فتابعت إندفاعها كاسحة كل شيء امامها في خط متعرّج نتج منه تفاعل متسلسل جعل كتلة الركام برمتها تستمر بالانزلاق على الخطوط ثواني بدت طويلة.

عندما صدمتها قاطرات امتراك من الوراء، تداخلت اجزاء عربة الطعام الخالية بعضها ببعض، اما العربة التالية ذات الرقم ٢١٢٣٦ فانقلبت على جنبها الايمن وتتطاير منها الركاب والامتعة.

كارثة كبيرة - بدأ ريكي غيتس يستوعب تدريجاً حقيقة ما جرى. فتعلق اولا بالأمل ان لا ضحايا، لكنه عندما شاهد سحب الدخان الاسود تتصاعد من قلب الركام، إنقضّ على جهاز الإرسال وراح يعدو نحو قطار الركاب وهو يصرخ بالعامل في برج المراقبة: "طوارىء، طوارىء!" وما ان رأى النار حتى رجع عدواً الى القاطرة الامامية في قطار كونريل ليحضر منها مطفأة للحريق. وكانت القاطرة انفصلت عن القطار مبتعدة عنه مسافة ٢٧٠ متراً.

ما ان إقترب غيتس ثانية من قطار

امتراك حتى شاهد رجلا عالقاً بين قاطرتين والنار تزحف صوبه. وفيما هو يعمل على إخمادها وصل عمال الانقاذ وتولوا عنه إسعاف الرجل وهو في مكانه الا انه ما لبث ان توفي بعد ساعات وكان ما زال عالقاً في الحطام.

الساعة ١:٤٥ بعد الظهر وصل الى مكان الحادث، من منزلهما القريب، جامع التذاكر جورج تلجوهان وزوجته هاربيت. وفيما هاربيت تتحدث الى غيتس مرّ بهما عمال الانقاذ حاملين نقالة تمدد عليها جسد هامد مغطى بملاءة بيضاء. إرتعد غيتس ثم سمع أحد رجال الاطفاء يقول لزميل له: "هناك ضحية اخرى بين الآجام، اذهب واحضرها".

"يا الهي!" صرخ غيتس منتحباً.

حب كثير – هرع سكان بلدة تشيز القريبة لنجدة المنكوبين واندفعوا في تقديم المساعدات بشتى الطرق. وفيما تولى عدد من الشباب إخراج المصابين من القاطرات، احضر الجيران بطانيات ومواد اسعافات اولية ومنهم من استضافوا الناجين في منازلهم القريبة حيث قدموا اليهم القهوة ووضعوا اجهزة الهاتف في تصرفهم محولين بيوتهم مراكز اتصالات وإسعافات اولية.

في طرف المقصورة ٢١٣٣٦، تولت المسعفة الطبية كاثي سميث مساعدة صبي في السابعة من عمره يرافق جدّته. وكان الفتى، واسمه آدم مور من بلدة نبتون في ولاية نيو جرزي، عالقاً بين حائط وساقي جدته المهشمتين وظهر مقعد ملتو.

"اخرجوني من هنا" راح آدم يردد وجدته تطمئنه قائلة: "انهم يحاولون مساعدتنا."

وفيما الاطباء يسعفونهما من طريق الحقن الوريدية وعمال الاطفاء يعملون على رفع الفولاذ الذي أبى ان يتزحزح، كان الفتى وجدته يغيبان تارة عن الوعي وطوراً يستعيدانه. وكان آدم يسأل، كلما فتح عينيه، كم سيطول الأمر. وهو توفي قبيل منتصف الليل وتبعته جدته بعد ساعتين.

في النهاية اسفر الحادث عن ١٧٤ جريحاً و١٥ قتيلا ١٣ منهم كانوا في المقصورة ٢١٢٣٦.

بعدما عادت سوزان هورن من محطة "بن" الى منزلها، شاهدت وقائع الحادث على شاشة التلفزيون فراحت تصلي وتبتهل الى الله الا يكون القطار هو نفسه الذي ركبته ابنتها سوريز.

في البيت، انتظرت العائلة قرب الهاتف. وفي ساعة متقدمة من المساء، اتصلت سوزان بزوجها الاستاذ في جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور بميريلاند والموجود في الخارج وقالت له: "روجر، لقد وقع حادث لقطار سوريز ومضت ساعات ولم نتلق اي خبر عنها." فقطع الرجل رحلته وعاد بالطائرة التي استغرقت ١٣ ساعة. جلس روجر في مقعده والالم يعصر معدته، وجهد الا يفترض الا الأفضل.

اخيراً وبعيد الفجر، توجهت شقيقة سوزان الى معرض الجثث حيث تعرّفت الى جثة اختها.

في منزل آل هورن، يوم الاثنين، اظهر افراد العائلة تماسكاً استمداداً للقوة.


سوريز هورن ووالدها عام ١٩٨٦.

في المساء، وفور وصول الطائرة الى مطار نيويورك، تحدث روجر مع عائلته هاتفياً قائلا لهم: "انني احبكم وعائلتنا فيها حب كثير سوف يجعلنا نتغلّب على المصاب."

الأدلة تدينهما – مساء الثلثاء توجه غيتس الى منزل كرومويل للبحث معه في امر جلسة التحقيق التي سيعقدها "المجلس الوطني لسلامة النقل" في اليوم التالي. ولانهما ادركا مدى جدية البحث عن الاطراف المسؤولين عن الحادث، فقد قررا ان يكذبا. ويوم الاربعاء، وفيما العمال يرفعون الركام من مكان الحادث، كان غيتس وكرومويل في بلتيمور يحوطهما عدد من المحامين والمحققين اضافة الى مسؤولين من الاتحاد. وقد القى الرجلان مسؤولية الحادث على اشارات المرور التي ادعيا انها سيئة. وعندما سألهما محقق من المجلس الوطني لسلامة النقل هل تناولا مخدرات يوم الحادث اجابا بالنفي.

ولكن، في وقت لاحق، اظهرت تحاليل مخبرية خاصة بالسموم اجريت على عينات من دم وبول اخذت منهما مساء الحادث، وجود أدلة على تعاطيهما الماريوانا ليلة الحادث.

وابرز التحقيق كذلك مسألة صفارة الانذار الملفوفة بشريط. واظهرت اعادة تمثيل للحادث اجراها المجلس الوطني لسلامة النقل، انه كان ممكناً لغيتس ان يوقف القطار في الوقت المناسب لو انه امتثل لاشارات التمهل.

وفي الربيع استقال ريكي غيتس وإد كرومويل بعدما كانا فصلا موقتاً من وظيفتيهما ريثما تنتهي جلسات التحقيق التأديبي التي كانت تجريها كونريل. وفي وقت لاحق، استدعى محامو الولاية كرومويل وعقدوا معه اتفاقاً يعفيه من الملاحقة القضائية في مقابل اعترافه الصريح بالحقيقة كاملة. فاعترف امام هيئة من المحلفين بكل شيء، بالماريوانا والاشارات التي أُغفلت والقصة الملفّقة.

في الرابع من مايو (أيار) ١٩٨٧ واجه ريكي غيتس تهمة التسبب غير المتعمد في مقتل ١٦ شخصاً. وفي ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٨ واجه القضاء معترفاً بتهمة واحدة. والاحكام الصادرة في مثل تلك الحالات تراوح بين السجن مدة أقصاها خمس سنوات ودفع ١٠٠٠ دولار غرامة. وفي ٢٩ مارس (آذار) تقرر أنه مذنب بتهمة واحدة. ولكن بعد يومين قضت هيئة محلفين عليا بمحاكمته بأربع تهم، بما فيها التآمر واعاقة العدالة والادلاء بشهادات كاذبة. واذا جُرِّم غيتس في هذه الحال فانه يواجه حكماً أقصى

بالسجن خمس سنوات، ودفع ٢٥٠ ألف دولار غرامة عن كل تهمة.

أما ادوارد كروموبل فلم يواجه بأي تهمة بعد.

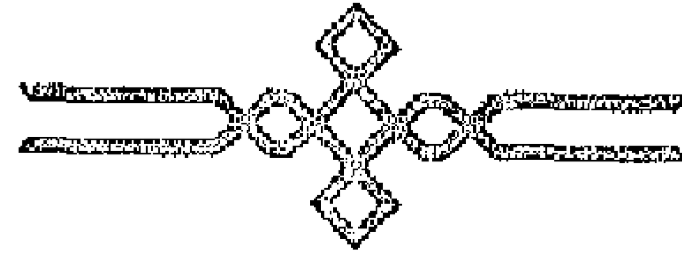
وفي الجلسة التي عقدها الكونفرس في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٧ للتحقيق في سلامة السكك الحديد، أدلى روجر هورن وسواه من ذوي الضحايا بشهاداتهم وحثوا المجلس على إصدار قانون متشدد للسلامة في القطارات.

ولقد أحرز بعض التقدم في هذا المجال إذ تقرر تزويد جميع القطارات العاملة في الممر الشمالي - الشرقي كوابح اوتوماتيكية وذلك في مدة لا تتجاوز شهر يوليو (تموز) ١٩٩٠. كذلك تقرر اعتبار جميع موظفي القطارات والعاملين فيها وشركات السكك الحديد مسؤولين عن اي انتهاك لقوانين السلامة، ورفع الغرامة الى حدود ٢٥٠٠٠٠ دولار للمخالفة الواحدة.

من جهة أخرى، بات لزاما على جميع المهندسين العاملين في السكك الحديد الحصول على ترخيص رسمي.

لكن اتحاد عمال السكك الحديد ما زال يعارض الفحص العشوائي للتحقق من عدم تعاطي العمال المخدرات.

رمزي فلين وستيفن كاي



خريطة ايطاليا!

يستعيد م.س. تشاغلا في سيرته الذاتية "ورود في ديسمبر" قصة الخريطة التي رسمها لايطاليا في أثناء امتحان في التاريخ حين كان طالباً بجامعة أوكسفورد:

سألني الاستاذ الذي صحح امتحاني: "هل هذه خريطة ايطاليا يا سيد تشاغلا؟"

نظرت الى الخريطة فتبين لي مدى التشويه الذي أحدثته في هذا البلد الكبير. فغمغمت: "نعم، يا سيدي."

فتابع الاستاذ: "سيد تشاغلا، هل هذه ايطاليا قبل الزلزال الاخير أم بعده؟"

ب.ف.

حماة عصرية

اذا كانت الاوتوماتيكية لم تصر بعد حقيقة في بيوتنا، فقد أصبحت هكذا في عقولنا. ذات ليلة، قبل أن تنسحب حماتي الى غرفتها، أمسكت جهاز التحكم من بعد وأطفأت جهاز التلفزيون. بعد ذلك استدارت الى يمينها وسددت في اتجاه المصباح.

ل.ب.

الحرية تثوي في قلوب الرجال والنساء. وعندما تموت هناك فلن يستطيع انقاذها دستور ولا قانون ولا محكمة.

ل.هـ.

كتاب الشهر



ملخص من كتاب

بقلم ويل ستيجر و بول شورك



عندما بدأ ويل ستيجر وبول شورك رحلتهما الى القطب الشمالي في مارس (آذار) ١٩٨٦، كانا اختبرا عدة رحلات شمالية ومغامرات على المزالج التي تجرها الكلاب. وها هما الآن يرئسان "بعثة ستيجر القطبية الدولية" وهي فريق مؤلف من سبعة رجال وامرأة و٤٩ كلباً عزموا على الوصول الى القطب الشمالي من دون اعادة تموّن. وفي حال نجاحهم يضاهون ما زعم ماثيو هانسون وروبرت بيري أنهما حققاه في العام ١٩٠٩







في ضوء الفجر الرمادي ربطنا حمولتنا بأصابع قضمها الصقيع المتدني الى ٥٧ درجة مئوية تحت الصفر. كان الهواء اللاذع يهب علينا من الجبال والكتل الجليدية في جزيرة ايلزمير الكندية في طريقه الى البحر. للمرة الاولى وزعنا حمولتنا من الاجهزة والعتاد على مزالج بلغ طول الواحدة منها خمسة أمتار. وكان وزن الحمولة ثلاثة أطنان وقد جمعناها على مدى ثلاث سنوات. وحجبت هذه الحمولة الهائلة الرؤية أمامنا.

في الثانية بعد ظهر ٨ مارس (آذار) ١٩٨٦ حان الاوان. اطلق رفيقي بول شورك كلابه أولا دافعاً مزلجته الى الامام بالبيفة، وهي ذراع خشبية ذات نتوءات معدنية، بينما دفعها من الجوانب ثلاثة آخرون من اعضاء الفريق. وقد أفلتت المزلجة واندفعت مطلقة صريراً مزعجاً.

كنت التالي. عاونني ريتشارد وبير وجيف كارول... وانطلقت المزلجة.

نظرت الى الوراء. برنت بودي وروبرت ماكيرو يدفعان ويلعنان، لم يتمكنا من التزحزح فوق الثلج المتكدس. نزلت آن بانكروفت للمساعدة. واخيراً تململت المزلجة وتحركت. وحان دور بوب مانتل وتبعته مزلجة جيف في المؤخر. ثم عاد السكون فيما الكلاب تجر والفرق تدفع الى الامام.

قبل أسبوع قصدنا الشمال في الطائرة ونقلنا العتاد والكلاب على مراحل الى الشاطىء الشمالي لجزيرة ايلزمير في التخوم الكندية في الدائرة القطبية الشمالية. امتد أمامنا السطح المتجمد والمتفتت للمحيط الشمالي. وذكّرني الجليد بصور عاد بها الرواد من القمر.

أمضينا ثلاثة أيام في "مخيم دريب" وهو كوخ طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار ونصف متر تديره "مؤسسة الابحاث الدفاعية للاطلسي" التابعة للجيش الكندي.

كنت أنا وبول شورك المسؤولين عن هذه الرحلة، وقد فكرنا كثيراً في المصير الذي يخبئه لنا البحر القطبي. كان هدفنا، في رجعة متعمدة الى الايام الغابرة، الوصول الى القطب الشمالي معتمدين على قوتنا الذاتية وعلى ٤٩ كلباً تجر مزالج. خلال هذه الرحلة التي ستستغرق نحو ٦٠ يوماً عزمنا الاّ نتكل على طائرة تحلق فوقنا في الامتدادات الصعبة أو تقدم الينا مساعدة أو مؤناً إضافية.

خلافاً لجميع الرحلات البرية الى القطب منذ العام ١٩٠٩، حين أعلن طاقم روبرت بيري أنه الاول في الوصول الى "قمة" العالم، ستكون رحلتنا اعتماداً على النفس وتحدياً لأحد أطراف الارض الاكثر انعزالاً. والى ذلك كنا نأمل أن نلقي ضوءاً على السؤال التاريخي المشكك في صحة وصول بيري الى هدفه.

تقصياتنا لطبيعة المحيط الشمالي قلصت التفاؤل بنجاحنا، إذ يفصلنا عن جدار الجليد المتراص، وهو كومة من كسارة الجليد تحدد حافة القطاع الناشط للمحيط، ١٦٠٠ متر من الجليد المتراكم الذي يغطي اليابسة وينزلق تدريجاً نحو

البحر. وحتى هنا بدأت مزالجنا تخذلنا. كانت الكلاب تعمل فوق طاقتها وتتعب سريعاً.

بعد ساعة من الانطلاق وصلنا الى الجليد المتراص او "الجدار العظيم" كما دعيناه. أذهلتنا روعة المنظر. كانت الكتل الجليدية المتراكمة تمتص نور الشمس وتعكسه في أطوال موجية متفاوتة ملقية ظلالاً زمردية ونيلية وزرقاء باهتة. وأمام الكتل المائلة من الجليد الازرق المرصوفة عبر الطريق شمالاً بدت مزالجنا الخمس صغيرة جداً.

توقفت المزالج عند كل انعطاف. وغالباً ما اضطر ثلاثة منا الى استخدام المخل والأربعة الآخرون الى الدفع لتسييرها من جديد. كان السطح خشناً كورق الزجاج. ووفرت البكرات المغلفة بالسيليكون انزلاقاً شبه معدوم في برودة دون ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

أما أحذيتنا المصنوعة من جلد الموظ(١) فأمنت احتكاكاً التصاقياً هزيلاً بالكتل الجليدية. قد تسبب أي هفوة حادثاً خطيراً. لكن الانزلاق صعوداً وهبوطاً على التلال الشديدة الانحدار بدا أقل خطورة من المناورة في الاودية المستترة حيث تجمع ركام عميق من الثلج الناعم. كانت بكرات المزالج تغرق في هذه الفخاخ فنضطر الى جرف الثلج لانتشالها.

قدّمتنا جهود اليوم الاول كيلومترين فقط شمال مخيم دريب. حين نصبنا الخيم هبت ريح من الرف الجليدي في ايلزمير. لم أشعر من قبل بهذا الصقيع القاسي. تجمّد خدّاي. أما برنت بودي وجيف كارول اللذان صارعا حبال الكلاب المتشابكة طوال النهار، فشعرا بألم مبرح في أصابعهما التي قضمها الجليد.

كرّ السائقون الاسلاك والمشابك التي تربط بها الكلاب أثناء الليل، وتصارع ريتشارد وآن وماكيرو مع الخيمتين المقببتين محاولين بسط النايلون الذي تصلب وانكمش بفعل الصقيع فوق أعمدة الالمنيوم. النايلون البارد شل أصابعهم. كانوا يعملون بضع دقائق ثم يركضون متلاصقين ليكسبوا بعض الدفء.

صدمني الواقع القاسي لما نحن مقدمون عليه. لكني ركزت تفكيري على أننا "سنعيش مهما بدا هذا المشهد يائساً." ستكون هذه الرحلة امتحاناً عظيماً في الايمان بقوة روح الانسان وبالقدرات والمعرفة والدهاء التي اكتسبناها أنا ورفاقي خلال سنوات من الاسفار. ومع أننا كنا على عتبة دخول التاريخ بانجاز الرحلة الاولى الى القطب الشمالي من دون "إعادة تموّن،" فإن هذا الامتحان في الايمان هو الذي منحني أنا وبول الزخم الحقيقي للسعي الى تحقيق حلمنا.

خطة طوارئ

في أي رحلة، تبقى الليلة الاولى في الخلاء هي الاصعب. لدى تسللي داخل خيمتي رأيت ما حيّرني وروعني. لم يتمكن ريتشارد ويبر (٢٦ عاماً) وهو الفرد الاصغر في البعثة، من إشعال المواقد. وحاول باهتياج شديد أن يكتشف الخلل. وتكدست حوله آنية الطبخ وأكياس

---

(١) الموظ حيوان ضخم في أمريكا الشمالية شبيه بغزال الالكة.



في نهاية النهار نصبت الخيم وربطت الكلاب.

الطعام والفرش وأكياس النوم في الفسحة الضيقة التي يبلغ قطرها مترين. ثم دخل بوب مانتل فضاقت الفسحة أكثر. بات مصيرنا متعلقاً بتلك المواقد.

جرّب مانتل حظه ونجح أخيراً في إشعال أحد المواقد. امتنع الغاز الابيض البارد عن التبخر على نحو جيد واكتشفنا أن الحل هو تدفئة قوارير الغاز. لكن الدخان الناتج من الاحتراق غير التام سبب لنا سعالاً حاداً. ثم دخل جيف ولم تعد هناك فسحة للتحرك. مرت ساعتان طويلتان قبل أن يحضر العشاء. ولم يتمكن معظمنا من الاكل كفاية لأن الدخان كبح شهيتنا.

لبسنا سترات فراء وقبعات وقفازات وزحفنا داخل أكياس النوم الباردة. في المحيط القطبي الذي لا يعرف الهدوء واجهنا دائماً خطر انزلاق الجليد تحت خيمنا ونحن نيام. لذا اضطررنا الى النوم بكل ثيابنا مستعدين لمغادرة الخيمة لدى أدنى اشارة.

كانت أكياسنا أكثف ما صنع، إذ غلفتها طبقة ليفية عازلة بسماكة ٣٦ سنتيمتراً. ومع ذلك مضت ساعات من الارتجاف والتململ قبل أن تبث أجسادنا دفئاً كافياً جعل حرارة الاكياس مريحة. ومرّ الليل بارداً يكاد لا ينتهي.

استغرق تحضير طعام الفطور في اليوم الثاني أكثر من ثلاث ساعات. أنبأنا مانتل أن السائل تجمد داخل ميزان الحرارة المعلق على مزلجته. كان الميزان مرقماً الى ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر، لكن الحرارة انخفضت دون ذلك. وقبعنا نسعل في غمامة من دخان الموقد منتظرين ظهور شعلة صفراء تحوّل الثلج مياهاً غالية نحضر بها وليمة من دقيق الشوفان. وأخيراً، بعد ساعة، نفث البخار من الوعاء.

أمضينا أربع ساعات ذاك الصباح، قطراً وجذباً وسحباً ورفعاً ودفعاً ولعناً، لنقطع مسافة ٨٠٠ كيلومتر. كان الصقيع غادراً. وغطت أقنعتنا ولحانا طبقة كثيفة من الثلج المتكثف من اللهاث المرهق. واستطعنا نحن والكلاب دفع المزالج بضعة امتار قبل التوقف من جديد.

عرضت خطة رسمتها خلال الليل: نخفف ١١٥ كيلوغراماً عن كل مزلجة ونرتحل مدة يومين، ثم تعود مزلجتان لاستعادة الحمولة المتروكة فيما يشق الرفقاء الآخرون طريقاً الى محطة متقدمة.

أيقن الجميع عدم توافر أي خيار آخر. ولكن مع مرور النهار أسفر تخفيف حمولتنا عن تقدم ضئيل، فما زال دفع كل مزلجة يتطلب سبعة أفراد. واستسلمنا ليوم آخر من النتائج اليائسة وبذلنا أقصى جهدنا، فلم تنقلنا ثماني ساعات من الكفاح الشاق سوى كيلومترين.

صباح اليوم الثالث اكتشفت الاذى الذي حلّ بنا بفعل الصقيع. كان برنت بودي (٣١ عاماً)، وهو كندي خبير بقيادة الكلاب، يجفل من الالم حين يمسك بأسلاك المزلجة.

أما روبرت ماكيرو (٣٧ عاماً) فهو من نيوزيلندة ويعمل مدرباً على مهارات القفار وله خبرة في القطب الجنوبي، وقد كُسر أنفه أثناء أحد التمارين اذ اندفعت مزلجته فوق تلة شديدة الانحدار فتورم أنفه والتوى وغطته طبقة شنيعة من اللحم الميت فاسودّ بفعل الصقيع الشديد. لكن المذهل أن الالم لم يوهن نشاطه واندفاعه. والحقيقة أن أحداً لم يتذمر من البرد أو من الظروف المزعجة.

خففنا ٤٥ كيلوغراماً أخرى عن كل مزلجة ذاك النهار وجعلنا معدل الحمولة ٤٥٠ كيلوغراماً. واقتضت خطتنا التقدم يوماً آخر قبل استرجاع المؤن. لكن ذلك لم يؤثر الاّ قليلاً في تقدمنا.

قطعنا ثلاثة كيلومترات خلال ست ساعات. وظهرت على بول وبرنت وماكيرو أعراض الانفلونزا بسبب الاجهاد والتزام حمية غنية بالدهن، فعانوا غثياناً وألماً في المعدة واسهالا، وهذه أسوأ الأعراض. أما جيف كارول (٣٥ عاماً) وهو عالم بالحياة البرية في منطقة القطب الشمالي فمضّه ألم مبرح في أربع أصابع اسودّت بفعل قضم الصقيع وكانت كلابه تعقد الحبال فاضطر باستمرار الى خلع قفازه الدافىء السميك والعمل بقفاز رقيق لفك العقد المتشابكة.

وأما بوب مانتل (٣٢ عاماً) الرفيق الامين في رحلات سابقة، فقد حلت به مصيبة غير متوقعة. لقد تسرب الثلج والجليد داخل أحذيتنا المصنوعة من جلد الموظ، لكن حذاء مانتل بلي لذا أبدله بجزمة من جلد الفقمة لعلها تؤمن دفئاً أكثر. واذ أمضى النهار منتظراً تقدم المزالج التي تسبقه خدّر الصقيع أصابع قدميه وعقبيهما فخاف أن تتجمد. وتنبه الباقون الى الأمر فأخذوا يضحون بوقت النوم لرتق أحذيتهم البالية في ساعات الليل.

بوابة الجحيم

في اليوم الرابع تفرّق طاقمنا، فتوجه نصفنا شمالاً وعاد النصف الآخر لاسترجاع

المؤن. اتفقنا على اللقاء في المخيم قرابة منتصف الليل. بلغنا اول طبقة جليدية رقيقة ذاك اليوم. كاد برنت يقضي وهو يجتاز ثغرة ضيقة تبلغ سماكتها سنتيمترين ونصف سنتيمتر.

كنا نسمع دمدمة مخيفة ومنتظمة تحت الجليد، لكننا لم نشعر بأي حركة. وألمحت ألواح الجليد المتقلقلة الى جبروت المحيط.

وصلنا الى امتداد واسع من كسارة الجليد فشققنا طريقنا خلاله لثلاث ساعات. دعوناه "بوابة الجحيم." وللمرة الاولى حالفنا الحظ اذ اجتزنا كسارة الجليد سريعاً. وانبرت أمامنا صفحة فسيحة من الجليد الاملس غير المكسر. وعززت هذه الواحة ايماننا استعداداً للتحدي التالي.

اليوم الخامس كان الأشقى. قررنا دفع المزالج بحمولتها الكاملة فأمضينا النهار ومعظم الليل في اجتياز "بوابة الجحيم" ووصلنا الى طرف الواحة الملساء. أخيراً لجأنا الى خيمنا في الثانية فجراً بعد ١٤ ساعة من العناء.

في الصباح أرسلنا عضوين من الفريق على مزلجتين لاسترجاع العدّة المتروكة. وحمّل الباقون المزالج الاربع نصف الذخيرة المتبقية وزنتها نحو ٨٠٠ كيلوغرام، وأمضينا النهار ندفع مسافة ١١ كيلومتراً.

اظهرت هذه المحطات أننا أمام مجازفة واضحة ومدروسة. فقد انتشرت المؤن على مساحة كبيرة وباتت عرضة لأن تطمرها عاصفة أو تخربها الدببة القطبية أو تبعثرها ألواح الجليد المنزلقة. ولحسن الحظ أن الدببة نادرة شمال ايلزمير، وإن نكن تسلحنا ببندقيتين. كما أن البرد القارس ثبّت ألواح الجليد. ولكن قد تهب عاصفة ثلجية أو يحصل ابيضاض قطبي(٤) فتطمس آثار المؤن، لذا علّمناها بعصي التزلج ووضعنا على الاطراف أكياس قماش من علب طعامنا، ووصلناها بأسلاك قصيرة ربطت بها قطع قماشية زاهية الالوان.

مساء ١٣ (آذار) استعملنا للمرة الاولى مواقد صغيرة تشتعل بالخشب عوض الغاز.

ابتهجنا لاشتعال المواقد. غمر الدفء خيمنا وجفت ثيابنا واحتفلنا بالامسية. وعلت فرقعة الفشار (بوب كورن) فوق المواقد، وتلاشى الانقباض الذي كبّل أجسادنا وعقولنا.

عندما انطفأت الجمرات الاخيرة طرحنا المواقد خارج الخيم وغصنا في أكياس النوم. وللحال تحولت خيمنا جليداً قارساً وغطاها ظلام الليل القطبي القاتم.

القناة الكبرى

في ١٥ مارس (آذار) وهو اليوم الثامن، كنا اجتزنا ٨٠ كيلومتراً في رحلتنا البحرية أي عشر المسافة الى هدفنا. وبعد الظهر عبرنا سلسلة من التلال الى سطح أكثر ثباتاً، فاسترحنا بعض الوقت في انتظار آن وجيف. وبينما كنا نرشف الشاي متلاصقين للتنعم بمزيد من الدفء شعرنا بالجليد يصرّ ويئن، ثم

(٤) الابيضاض القطبي ظاهرة تمتزج فيها الارض المغطاة بالثلج بالسماء والافق فيضيع كل حس بالعمق والاتجاه والمسافة.

بدأ يتململ باعثاً دمدمة منتظمة متسارعة. رفعت الكلاب المتمددة على الجليد رؤوسها مذعورة. ثم سمعنا من تلة قريبة صوتاً كريح سريعة. أخذ الجليد يتزحزح ويهتز تحت أقدامنا مثل زلزال. عدونا نحو قمة قريبة وشاهدنا الهزة تتمخض عن قمة جديدة ارتفعت ١٢ متراً الى شرقنا.

كان جيف وآن يحضران المزلجة الاخيرة عبر تلة الى السهل حين حدثت الهزة. وعندما شعرا بتزحزح الجليد تحتهما عبرا الى التلة وتسلقاها سعياً الى الامان. ثم اكتنفتهما الروعة لدى رؤيتهما آثار مزلجتهما في الطرف الآخر من التلة تتزحزح تسعة أمتار نحو الشرق.

تمتم برنت: "لا بد من أننا نلج نطاق المقصّ(٣)" وغمرت الجميع موجة من التوتر.

طالما تساءلنا خلال فترة التدريب كيف سيلعب بنا القدر في هذا الجزء من البحر القطبي حيث تلتقي ألواح الجليد المجروفة من عرض البحر ألواحاً التصقت بالشاطىء. ويحرك نطاق المقصّ سهلا جليدياً واسعاً موازياً للشاطىء على بعد يراوح بين ١٥ و٨٠ كيلومتراً تبعاً للسنة. وفي بعض السنوات يشمل حزاماً مائياً يدعى قناة(٤).

تصاعدت أصداء التاريخ في أفكارنا ونحن نثبت مخيمنا بسرعة ونرجع مزلجة لاحضار المؤن المتروكة قبل أن يتزحزح ممرنا أكثر. وتوجهت أفكارنا الى روبرت بيري ومساعده ماثيو هانسون. لقد انحرفا نحو الشرق وكادا يغرقان قبل أن يعثرا على الشاطىء الشمالي لجزيرة غرينلند. وخلافاً لوضعنا لم يملكا جهازاً لاسلكياً لطلب النجدة عند الحاجة ولا وسائل جوية تعيدهما الى موطنهما. وكانت رحلتهما ذهاباً واياباً، أما رحلتنا فذهاب فقط.

تمددت ذاك المساء داخل كيسي مصغياً الى الجليد الجبار وهو يدمدم ويتهشم من حولنا، ولكن مع الصباح خمدت الحركة أو كادت. ارتفعت معنوياتنا وابتهجنا لأن نطاق المقص بدا معتدلا تلك السنة. وفي وقت متقدم بعد الظهر أفرغنا حمولتنا في موقع التخييم وعدت مع جيف ومانتل لنقل بقية الذخيرة بينما أكمل الرفقاء سيرهم شمالا. ثم عادوا باسمين.

هتف برنت: "أخبار رائعة. تمتد أمامنا كيلومترات من الجليد الاملس." لقد شكل الجليد جسراً فوق "القناة الكبرى" بسماكة ٣٠ سنتيمتراً.

يا لمتعة الابحار في المحيط القطبي ومجاراة الكلاب الثائرة. في أقل من ساعة صباح اليوم التالي اجتزنا أكثر من ستة كيلومترات ووصلنا الى الحمولة التي تركها الفريق المتقدم. هناك أعدنا تحميل كل شيء. وللمرة الاولى منذ تلك الساعات اليائسة بعد مغادرة مخيم دريب كانت رحلتنا في اتجاه واحد: نحو القطب.

وداع حزين

بعدما تغلغلنا في نطاق المقص بدا واضحاً، وأسفاه، أن الجليد أمامنا يشبه

(٣) The shear zone

(٤) Lead . وهي قناة عبر حقل جليد.

تماماً ما قطعناه وربما أسوأ. والواقع أننا صادفنا تلالا مضغوطة ارتفع بعضها ١٨ متراً فوق السهول حتى كادت مزالجنا تنقلب عنها. وتدحرجت احدى المزالج فوق ماكيرو وصدمت قفصه الصدري. فشعر بمزق في العضل أو الغضروف لكنه لم يكترث للأمر حينذاك على رغم حدة الالم.

أصبح جلياً أن الرحلة بمجملها ستكون محنة طويلة وقاسية. وهزت صعوبة المراحل معنوياتنا. وبات مزاج الفريق يترجح وفق تقلبات الطقس والجليد، لكنه ازداد تشاؤماً.

قضمات الصقيع شوهت الجميع فبدوا أبشع مما مضى. وقال لي جيف اني قد أفوز بجائزة أبشع وجه اذا أجريت مباراة لذلك.

حظينا ببعض الراحة ليوم ونصف يوم عندما ألزمتنا عاصفة ثلجية عنيفة البقاء داخل خيمنا. بلغت برودة الثلج العاصف والريح القارسة نحو ٩٥ درجة مئوية تحت الصفر وانعدمت كل الروابط مع الفضاء والوقت. ونامت الكلاب آمنة تحت الثلوج.

في اليوم السابق، أي اليوم ١٦، زاد ماكيرو مشكلة أضلعه الملتهبة اذ حاول تقويم مزلجة منقلبة، وأخذ يعرج محاولا مجاراتنا. وأخيراً، في صباح اليوم ١٩، أعلن دامعاً أنه مضطر الى الانسحاب من الرحلة. وتفاقمت اصابته مع كل خطوة وتعاظمت نوبات الالم فلم يعد يتحملها. وإذ عجز عن المساعدة في دفع المزالج شعر بأنه يعيق تقدم الفريق.

خلال التخطيط للرحلة، التمسنا أنا وبول أفضلية حاسمة لم تتوافر لبيري. فقبل عصر الطيران كانت القاعدة الذهبية لدى مستكشفي القطب تجيز إطعام الكلاب القوية لحم الكلاب الضعيفة خلال الرحلة. أما نحن فلم يكن هذا خيارنا. فكلابنا ثمينة جداً. لذا قررنا الحصول على كلاب إضافية تنقل جواً حين تخف حمولتنا. وكان موعد وصول الطائرة الاولى بعد بضعة أيام، وفي وسع ماكيرو أن يعود فيها.

أحزننا قراره ووهنت معنوياتنا خلال الايام التالية. وكان جيف مصدر تفاؤلنا الدائم، لكنه قال: "أشعر للمرة الاولى بأننا قد لا ننجح."

ومع اليوم ٢٢ عكس بطء خطواتنا توتراً لدى الآخرين. لقد اجتزنا حوالى ١٦٠ كيلومتراً خلال ثلاثة اسابيع. ذاك المساء صارع بول نوبة شديدة من الحنين الى زوجته وابنته. كان هو وسائر الآباء الثلاثة في الرحلة، ماكيرو وجيف وبرنت، يعانون من حين الى آخر شعوراً واخزاً باللامسؤولية بسبب ابتعادهم عن عائلاتهم.

كان نهار آن بانكروفت شاقاً أيضاً. انها مدرّسة رياضة بدنية ومتسلقة جبال في الثلاثين من عمرها، لكنها لم تختبر الرحلات القطبية سابقاً. أمسكت زمام كلابي في الصباح بينما مشيت أمامها. وفي أحد المواقع سقطت على الجليد فأسرعت لمساعدتها. واذ دفعنا المزلجة الى الامام ترقرقت الدموع من عينيها. كان أملها بالنجاح كبيراً. فهي أصرت على تحقيق هدفها لرضاها الذاتي ولتمثيل المشاركة النسائية في الرحلات الكبرى.

بات ماكيرو عاجزاً عن المشي. ومن حين الى آخر كان يسعل ويخرج بلغماً أصفر مما أشار الى أذى أصاب رئتيه.

في اليوم ٤٣ كان يمشي أمامي مثل "أرنب" يحض الكلاب على الانطلاق. وعندما أدركته توقف واستدار الي. شعرت بالشفقة عليه وأنا أتأمل وجهه المتجلد.

تقدمت منه وعانقته وأجهشنا بالبكاء: "لا أريدك أن ترحل،" قلت ناشجاً وتعانقنا بصمت.

ارتفعت معنوياتي بعدما غمرني الأسى. كنا في حاجة الى هذه اللحظة من الارتباط الذي يعزز العلاقات الانسانية وسط الجليد. لقد أبعدتنا الشدّة والضيق. وفي تلك البرهة الوجيزة استمددنا قوة منحتنا عزماً وراحة ذاك النهار.

في الصباح التالي كانت الاجواء ما زالت كئيبة. عملت أنا وبول على حض الآخرين، وكان ماكيرو هو من أوقد شعلة الحماسة من جديد. فهو أزال الشكوك في فرص فوزنا. وعلى رغم انفصاله أيقن أننا سننجح في الوصول الى القطب.

وصلت الطائرة في اليوم ٣٦ الثاني من ابريل (نيسان). رافق الطيار فريق صغير من الصحافيين ومندوبي الاذاعة والتلفزيون. من ناحية، اعتبر هؤلاء جزءاً من الطاقم المساند للطيار، كما أن تغطيتهم للأحداث ستؤكد صحة وثائق الرحلة. ومعلوم أن عدم توافر وثائق حسية هو ما جعل اعلان بيري وصوله الى القطب عام ١٩٠٩ موضوع جدل وارتياب.

ظهرت علامات الصدمة على وجوه الصحافيين وهم يحدقون الى مظهرنا السخامي المنتفخ المتقرح. بددت أنا وبول قلقهم بتصريح تفاؤلي، اذ أخبرونا بانتشار اشاعات مفادها أن فرص نجاحنا ضئيلة. وحاول ماكيرو تغيير نظرة الصحافيين بحديثه الحيوي المتفائل، لكنه اكتشف أن بعضاً من انصارنا فقدوا الأمل أيضاً.

جسر من جليد

أصبحنا الآن سبعة أشخاص و٤٩ كلباً نكافح جميعاً للوصول الى قمة العالم. أحسنا التقدم خلال ساعات "الليل" معتمدين الشمس لترسم مسلكنا نحو الشمال.

وبصفته بحاراً متمرساً واظب بول على قراءة مواقع الشمس يومياً بآلة السدس (٥) وتحديد نقاط على خريطته في الخيمة مساء. ومن باب الوقاية حملنا مرشداً لاسلكياً ينقل تحركاتنا ومواقعنا الى قمر اصطناعي يبثها الى قاعدتنا الرئيسية في حال تعطل الجهاز اللاسلكي أو في حال حدوث طارىء. لكننا اعتمدنا طوال الرحلة ملاحة بول اليدوية، وهي أسلوب تقليدي يحفظ للرحلة روحية حلوة.

اقتضت خطتنا، كخطة بيري، "ضربة" أخيرة. في العام ١٩٠٩ قلّص بيري فريقه الاساسي من ٢٤ رجلا و١٣٣ كلباً الى ٥ مرافقين و٤٠ كلباً. وأكمل هذا الفريق طريقه من خط العرض ٨٨ على بعد ٢٢٥ كيلومتراً من القطب. والسرعة التي سجلها، ومعدلها ٤٣ كيلومتراً في كل مسيرة، هي محور جدل ما زال يثير الشوك حول ادعائه أنه حقق هدفه. ويصرّ

(٥) Sextant . وهي آلة لقياس ارتفاع الاجرام السماوية من سفينة أو طائرة متحركة.

مناقضوه على أن تحقيق هذه السرعة على الجليد في يوم واحد أمر مستحيل. ولكن كان علينا نحن تحقيق هذا النوع من تخطي المسافات.

قررنا أيضاً انزال "ضربتنا" عند خط العرض ٨٨ ومباشرة التحضير للرحلة الجوية الثانية لنقل الكلاب وموعدها ٩ أبريل (نيسان) أي اليوم المتوقع لوصولنا الى خط العرض ٨٦. بعد هذه النقطة استلزمت خطتنا اجتياز مسافة ٣٢ كيلومتراً في ١٢ ساعة وتعجيل خطانا مع تخفيف حمولتنا يوماً بعد يوم والوصول الى القطب مع نهاية ابريل (نيسان). انها معادلة ذات عنصرين: الكلاب والوقت. تجب المحافظة على كلابنا الواحد والعشرين في حال سليمة. فاذا وهنت قواها قبل وصولنا الى خط العرض ٨٨ فستتزعزع ضربتنا. واذا نفد الوقت وعجزنا عن سباق الطقس الربيعي الآتي، فسيذوب الجليد.

بعد ظهر اليوم ٣٠ اعتدل الطقس وارتفعت الحرارة الى ٣٤ درجة مئوية تحت الصفر. صاح برنت الذي كان يشق المسلك أمامنا، أنه توقف بسبب قناة مفتوحة. تقدمنا جميعاً وحدقنا الى سهل من المياه البرونزية امتد في طريقنا. انها ثغرة ضيقة لا يزيد عرضها على ثلاثة أمتار ونصف متر لكنها تتسع ببطء.

توجه رينتشارد شرقاً وتوجهت أنا غرباً بحثاً عن معبر لكننا لم نوفق. وفي هذه الاثناء شرع بول في بناء جسر بدحرجة كتل جليدية كبيرة الى الثغرة وتثبيتها بعضها الى جانب بعض. وشاركه الباقون حتى حصلنا على كتلة هائلة عائمة من الكسارة مرصوفة بإحكام بين جانبي الثغرة.

أدنينا مزلجة برنت باعتناء من الجسر. كنا في غاية الاثارة، فهذه مجازفة خطرة. وتملكنا التوتر لأن أدنى خطأ في التقدير سيؤدي بالمزلجة الى المحيط. شعرت الكلاب بالخطر فخطت برشاقة من كتلة الى أخرى فيما برنت يقودها الى الجانب الآخر، وهناك رتبها في موقع ملائم لجرّ المزلجة عبر الجسر. ثم عبرت المزالج الاخرى تتابعاً.

مخيم اليأس

في ١١ ابريل (نيسان)، اليوم ٣٥، وصلت الطائرة الثانية ناقلة ٢١ كلباً. لقد بلغنا الآن أسوأ أنواع الطقس القارس والجليد المتراكم. قصرنا طول مزالجنا الثلاث المتبقية الى ثلاثة أمتار ونصف متر أي نحو ثلاثة أرباع طولها الاصلي، وحمل كل منها ٢٧٠ كيلوغراماً. هكذا بات لدينا ثلث الحمولة وأقل من نصف عدد الكلاب منذ مغادرتنا مخيم دريب. ومع ذلك ما زال القلق مستتباً. فالمزالج الثلاث الباقية تحمل ٦٨ كيلوغراماً أكثر مما كانت تحمل قبل وصول الطائرة، وستجرها فرق أصغر من الكلاب أحسن إطعامها لكنها تفتقد الى الحيوية.

تابعنا السير نحو الشمال. وغطى المنطقة غلاف سميك مما سميناه "الثلج الربيعي" الذي يشبه الرمل الخشن ويصعب دفع المزالج فوقه.

عندما أرغمت فرق الكلاب على التوقف أعدت أنا وبول ترتيب مواقع أعضاء الفريق آملين توزيعاً أفضل للقوة.

واصلنا المسير لساعات واجتزنا بضع مئات من الامتار. وأدركت من نظرات رفاقي الذاهلة أننا توصلنا الى الاستنتاج نفسه: لن نصل الى القطب ابداً.

بحثت أنا وبول في الوضع ونحن قابعان خلف مزلجتنا. اتفقنا على أن الفرصة الوحيدة لنجاح رحلتنا هي في تقليص أعضاء الفريق الى شخصين مع أفضل كلابنا لتكفي المؤن المتبقية حتى مايو (أيار) أو يونيو (حزيران). ولكن كيف نذيع الخبر على الآخرين؟

سبق أن أوضحنا للرفقاء قبل بداية الرحلة انه اذا تعسرت الامور جداً فسيطلب من بعض الافراد الانسحاب. واذا لزم ابقاء عضوين فقط لاكمال الرحلة فالافضلية هي لي ولبول. وسلّم الجميع بذلك قبل أشهر. ولكن الآن، بعدما عانوا مشقات الطريق، فهل سيوافقون؟

نظرت الى الوراء. لم تكن المزالج تتحرك. كان جيف يمشي مجهداً نحونا. وقال لاهثاً: "نود عقد اجتماع. لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو."

هززت أنا وبول رأسينا موافقين. نصبنا الخيم ثم احتشدنا داخل إحداها، تلك التي دعوناها لاحقاً "مخيم اليأس."

افتتح بول الاجتماع قائلا: "من الواضح أن مزيداً من هذه المشقات سيحول دون وصولنا الى القطب. نحن نحتاج الى خطة فورية وطويلة الأمد."

دهشت أنا وبول حين تقدم برنت بالعرض الذي كنا نفكر فيه. اقترح توفير مؤن كافية لثلاثة أشخاص وفريق كلاب واحد لتحقيق الهدف النهائي. وأومأ مانتل وجيف برأسيهما موافقين.

بعد الفطور في الصباح التالي التقينا في اجتماعنا الثاني. شعرت بأن الوقت حان لتوضيح عرض "فريق الطوارىء" واقتراح وضع طعام في "المصرف" لهذه المحاولة. وأجمع الرفقاء على الاكتفاء بشخصين، وهذا يعني بالطبع أنا وبول. ولتهدئة مخاوفهم من أننا تخلينا عنهم اقترحنا توفير مؤن لثلاثة أشخاص.

وجد الجميع خطتنا مقبولة. ولكن اذا أكملنا بثلاثة أعضاء فمن سيكون الثالث؟ سيكون جيف أو مانتل أول رجل من الاسكا يصل الى القطب. وبرنت من التخوم الشمالية الغربية الكندية التي قدمت دعماً عظيماً الى المشروع. وريتشارد كندي أيضاً، وهو متزلج ممتاز وقد نحتاج الى سرعته. أما الأهمية التاريخية لرحلتنا فقد تكون ببقاء آن إذ انها الامرأة الاولى التي تشق طريقها الى القطب.

كنا على وشك فضّ الاجتماع حين أعلن مانتل: "إن استطعتم تدبر الامر فأنا أفضّل الانسحاب الآن. أشك في أن قدمي ستقودانني الى القطب، فأنا لا أستطيع التزلج ٥٠ كيلومتراً في اليوم الواحد."

منذ ارتدائه الحذاء المصنوع من جلد الفقمة في بداية الرحلة قاسى مانتل قضم الجليد في أصابع قدميه.

وبينما انصرف الباقون الى مهماتهم الروتينية أخذت أنا وبول مانتل في نزهة لاكتشاف حقيقة شعوره. وقد أظهر قلقاً شديداً من أن طلب طائرة أخرى سينعكس خسارة وزيادة في الديون. فأكدنا له أن اهتماماته هي في الطليعة. وعندئذ أقر بأنه يرغب في بذل أي جهد أو تضحية في سبيل نجاح الرحلة. وخنق



ريتشارد يقطّع مزلجة لاستعمالها وقوداً بعد تخفيف الحمولة.

الأسى صوته لكني أعتقد أنه استراح. وأجرينا الترتيبات اللازمة، وغادرنا مانتل في اليوم ٤٠.

الحاسة السادسة

بعد يومين من مغادرتنا مخيم اليأس انطلق جيف متزلجاً للمرة الاولى. واعترضته ثغرة عرضها متران. انعطف الى الشرق بينما توجه بول غرباً باحثاً عن معبر. وعلى بعد ٤٠٠ متر اكتشف بول أن الثغرة ضاقت الى متر، فأشار الى آن لتأتيه بفريق الكلاب الأول.

لدى الاقتراب من الحافة أخذت آن تلاطف الكلاب الفزعة لتقفز فوق الثغرة. فجأة انهار الطنف الثلجي حيث وقفت فغاصت في المحيط الى خصرها. جاء رد فعلها سريعاً اذ فتحت ذراعيها مستندة الى جانبي الثغرة وخرجت من الماء. وأسرع بول بالكلاب الى بقعة آمنة وأخذ يبعثر الاغراض بحثاً عن ثياب جافة.

خلال دقائق بدلت آن ثيابها وجواربها وعادت الى العمل لتستعيد حرارة جسمها.

في يوم رحيل مانتل اجتزنا بضعة كيلومترات بسهولة في طقس صفا طوال الصباح، ولكن بعيد الظهر صعقتنا الحقيقة ثانية. لاح أمامنا جدار من الجليد المتراكم بدا في هول "الجدار العظيم" في الصين. امتد حوالى ثلاثة كيلومترات. وخيمنا في منخفض منبسط تحته بعدما قطعنا ١٩ كيلومتراً ذاك النهار.

بقيت فكرة "فريق الطوارىء" تقلقني أنا وبول. منطقياً، ما من حسنات لابقاء عضو ثالث، فقد يتمكن شخصان من التنقل بسهولة وفاعلية أكثر. وأخيراً استنتجت أنه ما دامت المسألة تمزق الفريق فالغاء العضو الثالث هو التصرف الافضل.

دعوت الى عقد اجتماع لعرض اقتراحي. غضب برنت وآن وسخط

ريتشارد. حتى جيف الهادىء انفجر غاضباً وقال انه "مستميت" للوصول الى القطب. أما ريتشارد فلم يفتش عن عبارات لائقة بل قال: "هذه الخطة مقرفة. وما من قوة تركبني الطائرة." واعتبر الاقتراح تغطية لما سماه "مكيدة ستيجر وشورك" التي تقضي بوصول شخصين فقط الى القطب. وألحّ في طلب اسقاط خطة "فريق الطوارىء" واخراج المؤن المخزونة من "المصرف". تجادلنا طويلا ثم قررنا ابقاء الامور على حالها يوماً آخر.

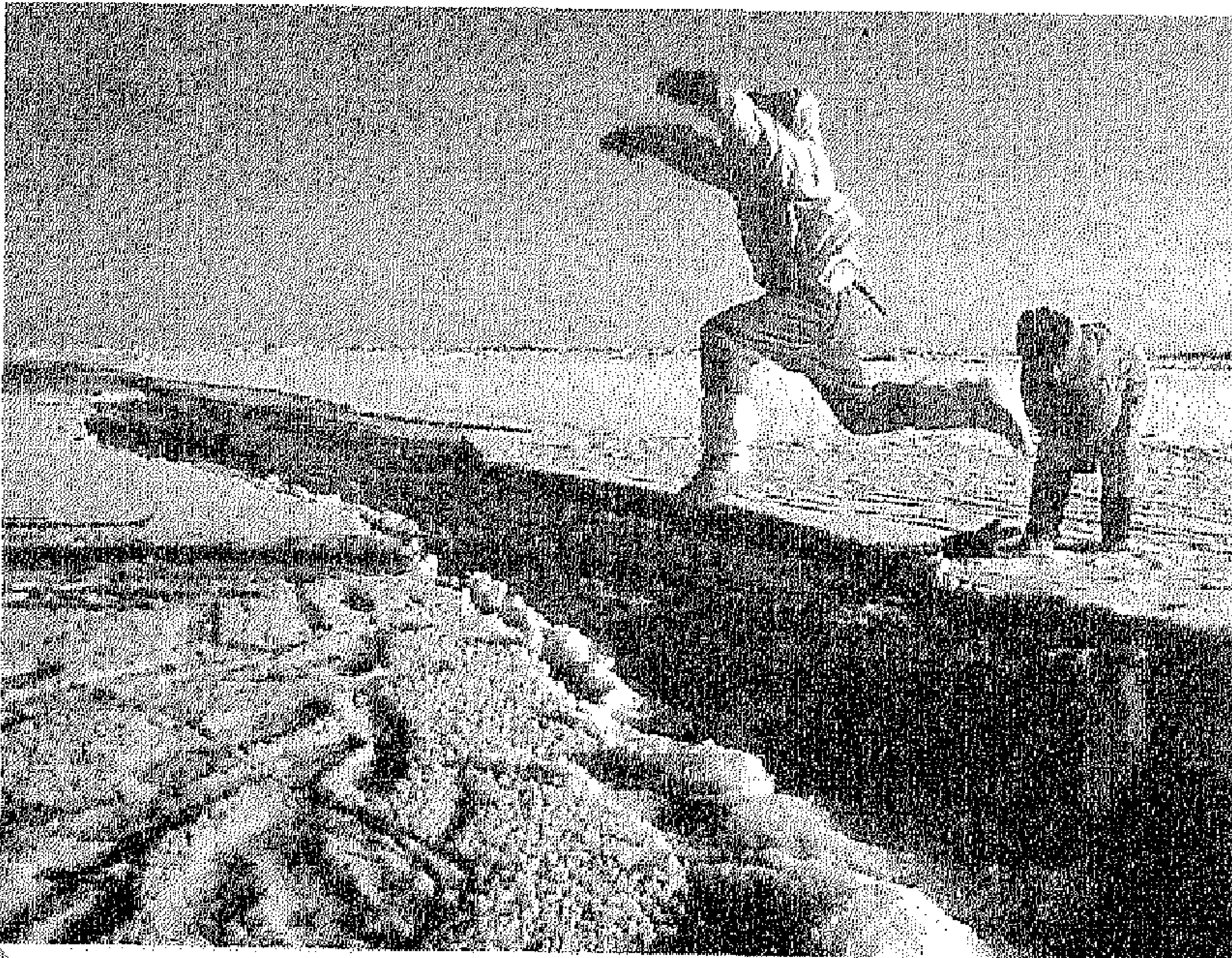
أعاقتنا الانجرافات البطيئة والتلال المتفتتة القديمة. كان جيف يتقدمنا مستكشفاً، وازدادت خيبته إذ بدا اننا نغوص أكثر فأكثر في متاهة من التلال المتقاطعة. وفي وقت متقدم بعد الظهر انحرف جيف شرقاً من دون سبب ظاهر. كنا ندرك أن الكشاف يعتمد أحياناً نوعاً من الحاسة السادسة حين يحاصر. ومع ذلك رحنا نتساءل عما به ونطرح تعليقاتنا الشخصية الناقدة.

راقبنا جيف يتقدم في الطريق. تسلق قمة عالية ثم تأمل الافق وبدأ يلوّح بذراعيه باهتياج. لحقت به أنا وبول فلم نصدق ما رأيناه: على بعد مسافة قصيرة شرقاً قناة كبيرة متجلّدة امتدت غير متناهية نحو الشمال.

سألت جيف: "كيف عرفت أنها تقع هنا في الشرق؟"

أجاب هازاً كتفيه: "انه مجرد إحساس."

أسرعنا بالمزالج الى "الشارع" الجليدي الاملس وانطلقنا شمالا بسرعة راوحت بين ستة وثمانية كيلومترات في الساعة. وكتبت آن في يومياتها: "ابتهجت قدماي الصارختان." وراح بول وريتشارد يعرضان مهارتهما في التزلج



جيف يقفز الى الجانب الشمالي من القناة.

وينزلقان في دورات من ٣٦٠ درجة على السطح الجليدي. وبعد بضعة كيلومترات وصلنا الى شق من المياه الضحلة. بلغ عرضه أربعة أمتار. استكشفنا المكان وعثرنا على موقع ضاق فيه الشق الى مترين، فوثب ريتشارد الى الجهة الاخرى.

ربطت حبلا بفريق كلابي ورميت الطرف الآخر الى ريتشارد، فسحبه ريتشارد فيما دفعت المزلجة الى الامام. وغطست الكلاب في الماء واحداً تلو الآخر.

كانت آن الاخيرة في اجتياز الممر. رمقت المياه بعصبية متذكرة غطستها الاخيرة. وبعد ركض تحضيري عَدَت نحو الشق وقفزت فوقه، ثم رفعت قبضتيها وراحت ترقص فرحاً. ابتهجنا جميعاً لفوزها.

في الصباح التالي غطى المنطقة ابيضاض كثيف. كان أملنا الوحيد للمضي في هذا السديم هو امتداد القناة شمالا الى ما بعد الجزيرة فتمنحنا مسلكاً مرئياً. وانطلق بول وريتشارد على زلاجاتهما للاستكشاف.

عادا بعد ساعات حاملين أخباراً سارة: امتدت القناة الى الشمال والشمس متقدة بين الغيوم. وللحال تلاشت حزازاتنا التافهة وحل مكانها شعور بالحماسة والتحدي. سحبنا المؤن من "المصرف" وأجرينا جردة سريعة ووضعنا برنامج طعام جديداً لنا وللكلاب. واتخذنا قراراً حاسماً: سنذهب جميعاً الى القطب.

ما الأمر؟

بعد ظهر اليوم ٤٥ كنا نعبر طبقة جليدية حديثة تتخللها قنوات صغيرة.



استخدم الفريق كتلة جليدية عائمة لعبور القناة.

وكانت القطع الجليدية تنجرف ببطء. في ذاك اليوم انشق مجرى مائي بلغ عرضه عشرة أمتار وانحرف شمالا شرقاً. وأملا بالعثور على معبر أكملنا المسير عبر حافة المجرى بضعة كيلومترات، لكننا اضطررنا الى التوقف اذ انعطف الى أقصى الشرق. وتسمرت عيوننا في كتلة جليدية متراصة تبعد خمسة أمتار عائمة على سطح القناة قرب المنعطف.

بسط برنت يده ونخس الكتلة برمح صيد كان يحمله لجسّ الممرات. كانت الكتلة قابلة للطفو. فقفز بول وريتشارد اليها وراحا يجذفان برفش الثلج وقادا الكتلة بلباقة الى الجانب الاقصى حيث نزل ريتشارد لربط حبل. وسحبنا الكتلة ثانية وأصعدنا اليها فريق كلاب ومزلجة.

توليت أنا وآن تتبع ذلك الطوف الجليدي المترنح بآلات التصوير. كان حدثاً مثيراً ومسلياً. لقد تعلمنا هذه التقنية من رواية بيري.

في ٢٢ ابريل (نيسان)، اليوم ٤٦، كنا نقترب من درجتي العرض الاخيرتين وهما المرحلة النهائية لمستكشفي القطب. في اليوم التالي قطّعنا احدى مزالجنا الثلاث لنلقيها في النار. وانطلقنا في سباقنا السريع في اليوم ٤٨ محرزين تقدما بارزا:



٤٠ و٤٨ و٥٦ كيلومترا في ايام متتالية. وتوقعنا بلوغ القطب بعد اسبوع. لكن بول واجه صعوبات في آلة السدس التي جاءت قراءاتها متناقضة. وبدأنا نفقد القدرة على الاحتمال. انحرافنا البسيط في بداية الرحلة لم يؤثر فينا كثيراً، أما الآن فعلينا أن نتأكد من صحة توجهنا نحو القطب. فالانحراف بضع درجات سيكلفنا المزيد من الكيلومترات.

أخيراً في اليوم ٥٣ قرر بول اعتماد سلسلة من التخمينات الشمسية بعدما أربكته القراءات المضللة المتكررة. وبعد ٤٠ دقيقة من الجهد أذاع الخبر اليقين. حددت الآلة موقعنا على خط العرض نفسه كما في اليوم السابق. وقال بول مكتئباً: "هناك خطأ ما، فإمّا أننا شردنا عن المسلك واما أن آلة السدس لا تعمل على نحو صحيح." لم يكن في مستطاعه سوى فحص الآلة قطعة قطعة علّه يكتشف العطل. وإذ كنا عاجزين عن تقديم العون فقد نصبنا خيمنا ودببنا داخل أكياس النوم فيما تابع بول عمله.

فجأة خرق الصمت هدير فوق رؤوسنا. قبل أيام أنبأنا جيم غاسبريني، وهو عضو مساند في قاعدتنا في ريسوليوت، أن طائرة كندية عسكرية ستجري مناورات في ٢٩ ابريل (نيسان) وتحاول تحديد موقعنا. وسط لحظة القلق تلك كانت طائرة تناور فوقنا على علو منخفض لالتقاط الصور، فأدركنا أن مرشدنا اللاسلكي للطوارىء كان يعطي تحديداً دقيقاً لموقعنا.

وضع بول آلة السدس جانباً وسحب هوائياً وأدار جهاز الاتصال اللاسلكي. فسمعنا صوتاً واضحاً: "صباح الخير، كيف حالكم؟"

تردد بول قبل الاجابة وهتف بنا: "ما رأيكم؟"

فهمنا جميعاً قصده، ورأى عدد من الرفقاء أن عليه أن يستفسر. وكرر الطيار السؤال.

فأجاب بول بتأنٍ: "نحن بخير، ولكن هناك عطل بسيط في آلة السدس. ما هي احداثيات الموقع عندكم؟"

رد الطيار: "اني آسف، فمدير قاعدتكم أمرنا بعدم افشاء هذه المعلومات." ثم أحس بتوتر في صوت بول فأضاف: "أخبرونا أنكم لن تقبلوا أي مساعدة. هل غيرتم رأيكم؟"

صمت بول ثم اتخذ قراراً مصيرياً: "لا يا سيدي، سنتدبر الامر."

بدأ بول يرتاب في أن مشكلة آلة السدس تقع في رابط الفقاعة، وهو علبة مختومة تحتوي على مرايا وعدسات وفقاعة عائمة لتحديد أفق مستوٍ. رفع بول الغطاء الخارجي. لم يسبق له أن رأى رابط الفقاعة، لكنه كان يرجو اكتشاف قطعة في غير محلها. وهو اكتشف ذلك فعلاً. لقد تكثف جليد بين إحدى المرايا الدقيقة وبراغيها المرصوفة، فزاحت المرآة قليلاً عن موضعها وسببت قراءات مشوشة. ثابر بول طوال الليل على اصلاح الجهاز.

صحا الفريق على نبأ حل المعضلة. وحددت قراءات بول أننا على مسافة ٤٥ كيلومتراً من القطب. ولسوء الحظ تكثف الضباب حين انطلقنا من جديد، ولم يبق لدينا من دليل سوى البوصلة. حاول ريتشارد ضبطها مع الشمس ذاك الصباح، لكنه حذرنا من الاتكال عليها بعدما اندفعت نحونا كتلة سحابية.

مع مرور الساعات بات واضحاً أنه يصعب التوفيق بين وجهة البوصلة والتيارات الهوائية. ما من مجال لأي خطأ. تضاءلت المؤن الى أربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام من طعام الكلاب وسبعة كيلوغرامات لنا. أخيراً توقفنا راجين أن نوفق بقراءة صحيحة على آلة السدس. لم يتلاشَ الضباب فنصبنا خيمنا. وأشرقت الشمس في الصباح فأجرى بول سلسلة من التخمينات. واحسرتاه! لقد انحرفنا غرباً خلال ست ساعات من المسير في الأمس، ولم نتقدم الّا بضعة كيلومترات نحو الشمال. لقد جازفنا وأخفقنا.

لم نعلم الّا في وقت لاحق أن وجهتنا الخاطئة جاءت لمصلحتنا. فخلال استكشاف جوي قبل أيام من تعطل آلة السدس، حدد الطيارون شبكة هائلة من القنوات تقع في مسلكنا تماماً. وفي ريسوليوت اطّلع جيم غاسبريني على مواقعنا التي حددها القمر الاصطناعي، وراقب بقلق اقترابنا من الثغرات المائية المفتوحة التي يبلغ عرضها أكثر من كيلومتر.

أعلم الطيارون جيم أن الطريق الوحيدة لتفادي القنوات تقع على بعد كيلومترات غرباً. وذهل جيم والصحافيون ومتتبعونا في الوطن حين كشفت صورة الرادار التالية أننا، بأعجوبة، غيّرنا اتجاهنا غرباً

حول القنوات قبل أن نصل اليها. "كيف تمكنوا من ذلك؟" تردد هذا السؤال في أذهان الجميع في ريسوليوت ذاك اليوم.

"اننا في القطب!"

كان ذلك في اليوم ٥٥ وموقعنا ٨٩ درجة و٣٨ دقيقة. وكما دونت آن في يومياتها: "لو كان هناك برج على القطب لرأيناه من هنا."

كان الجليد مسطحاً تتخلله قنوات ضيقة، فأنجزنا تقدماً بارزاً. في تلك اللحظات تبددت كل الهموم والتوترات والقلق على الطقس والمؤن وحلّ مكانها شعور هائل بالرضا والاقتناع. تغير مظهر الاجساد الستة المنهكة والنفوس المضناة. وباتت خطواتنا خفيفة ووجوهنا ضاحكة. أخذنا نثرثر مبتهجين ونمشي جنباً الى جنب كأطفال يلهون في متنزه. تأملنا بدهشة ملايين الظلال الزرقاء حولنا في حديقة من الجليد المنحوت تتألق بألوان لا تحصى.

نصبنا خيمنا في استراحة قصيرة وتناولنا العشاء في العاشرة "ليلاً". اننا على مسافة ١٦ كيلومتراً من القطب بحسب قراءات بول. وقرابة الثانية عشرة جهّزنا الكلاب. وبعد ثلاثة كيلومترات وصلنا الى النطاق الاكثر نشاطاً في رحلتنا. انفصلت الكتل الجليدية وشكّلت ثغرات هائلة يراوح اتساعها بين أربعة هكتارات وأربعين هكتاراً. انها بحيرات محيطية تدعى "بولينيا" (٦). وبلغت الحرارة ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

قادنا بول بعيداً نحو الغرب متخطياً شبكة من البحيرات، ثم غاب عن أنظارنا في جولة استكشافية. اذذاك وصلنا الى شق اتسع ليكوّن قناة عرضها ثلاثون متراً. واذ وقفنا حائرين بدأ الجليد يتململ. وانفلقت أطراف القناة كجسر متحرك فأسرعنا عبره قبل أن ينفصل الجليد من جديد.

واصلنا السير بضع ساعات شاقين طريقنا في هذه المتاهة مسحورين بالمناظر الرائعة. زينت الشمس عقود من الانوار الباهرة التي تلاقت في قوس قزح منحنا أملًا طاغياً. بدت بقع المياه بركاً هادئة عاكسة. وغطت بعضها طبقة رقيقة من الجليد زينت سطحها "أزهار ملحيّة" ناعمة. ورسا امتداد من الرطوبة المتكثفة فوق المياه المتجمدة حديثاً فبدا كأوراق القيقب البيضاء أو كسعف السرخس تومض مع كل نسمة، وكالموشور جعلت السطح يتوهج ويلمع بكل الالوان.

كان الجليد ينزلق في كل اتجاه فيملأ الهواء هديراً منتظماً يقطعه دوي وصيحات وأنين عميق. قال جيف: "هذه أجمل لحظات حياتي." وأضاف: "إذا حالفنا الحظ فسنجد مهبطاً ملائماً على القطب تماماً."

كان ذاك تحدينا التالي: العثور على مهبط للطائرة في هذه المتاهة الواسعة. وبعد دقائق صادفنا امتداداً مسطحاً زاد طوله على كيلومتر. تبادلنا الابتسامات وتابعنا المسير متأكدين من عثورنا على ضالتنا. كنت مستعداً للسير الى الابد. ولحسن الحظ كان ريتشارد وبرنت أكثر تعقلًا وبدأا يقلقان من أننا قد نتجاوز القطب. أسرعا اليّ والى بول مصرّين على

(٦) Polynyas



أعضاء الفريق الستة
(من اليمين: ريتشارد ويبر
وجيف كارول
وبول شورك وويل ستيجر
وبرنت بودي
وآن بانكروفت.

التوقف واجراء دفعة أخرى من القراءات.

سحب بول آلة السدس بينما نصبنا نحن الخيم. كان موقعنا الى يسار القطب وعلى بعد بضعة كيلومترات منه بحسب قراءاته. لكنه حذرنا من أنه غير متأكد من ذلك ريثما يجري قراءة أخرى في الصباح. فخلدنا الى النوم في الرابعة صباحاً.

في ٢ مايو (أيار) تمام العاشرة الا ربعاً صباحاً، كان ثلاثة منا انتهوا من تحضير دقيق الشوفان للاكل وجلسوا يدوّنون يومياتنا. كانت المواقد مطفأة لكن الخيمة دافئة. فأدركنا أن الحرارة في الخارج هي فوق الصفر. وسمعنا بول يحاول اصلاح آلة السدس وبرنت يتحدث الى الكلاب.

قاطع كتابتي دوي انفجار في الخارج. ثم سمعنا برنت يصيح: "اننا على القطب!" واحتفالاً بذلك أطلق النار من بندقية حملناها لابعاد الدببة عن المخيم.

خلال الساعات الماضية أظهرت قراءات بول أن التغير في زاوية الشمس بقي ثابتاً. لقد بلغنا هدفنا في الليلة السابقة أي في اليوم ٥٥ من رحلتنا. لكن الغريب في الامر أننا لم نهتف أو نتصافح، بل غمرنا شعور بالارتياح. لقد انتهينا من المشي الطويل والعوائق الشاقة والاصابع المتجمدة.

نقلنا مخيمنا الى مهبط الطائرات الذي عيّنه جيف في الليلة السابقة، ثم نعمنا بما كنا في أمس الحاجة اليه: النوم.

بعد الظهر سحب بول هوائي الجهاز اللاسلكي للمرة الاخيرة. وتلقى طيار فوق ايلزمير رسالة بول ونقلها الى ريسوليوت. وجاء الرد من قاعدتنا: "تهانينا! ستغادر ثلاث طائرات الى يوركا الآن للتزود وقوداً ويتوقع وصولها الى القطب ظهر غد."

العودة

كان اليوم التالي صافياً ومعتدلاً مثل طقس هاواي، وبلغت الحرارة ١٠ درجات مئوية تحت الصفر. أجرت آن مقابلات

سريعة مع كل منا مستخدمة الفيلم المتبقي في آلة التصوير السينمائية. واغتنم جيف هذه الفرصة ليؤدي عرضاً بطولياً فريداً: تزلج حول العالم ثلاث مرات قاطعاً دائرة بلغ اتساعها كيلومتراً ونصف كيلومتر.

كنا نتوقف من حين الى آخر ناظرين حولنا متأملين أهمية ذاك المكان الذي يدور حوله كوكبنا. لقد أحاطت به تلال وكتل جليدية فبدا مشابهاً لجميع المواقع التي اجتزناها. ما من نصب تذكارية أو لوحات معدنية أو تذكارات من رحلات سابقة، فالجليد يجرف كل شيء.

ان وجود القطب لا يعدو كونه مفهوماً حسابياً: نقطة التقاء الخطوط. بدا وجودنا هناك مربكاً بعض الشيء. التوجه نحو الشمال استقطب عقولنا وقوانا لمدة طويلة. وسيطر هذا الهاجس علينا ليل نهار. وها نحن الآن في هذه البقعة من كوكبنا حيث لا نواجه سوى الجنوب من كل صوب.

لقد ثبت خطأ نظرية معارضي بيري من أن اجتياز مسافة تراوح بين ٥٥ و٨٠ كيلومتراً في اليوم على الجليد القطبي أمر مستحيل. في بداية الرحلة جرّت كلابنا ثلاثة أضعاف حمولة بيري. ومع وصولنا الى الدرجة ٨٨ كانت كلابنا منهكة أكثر من كلابه. ومع ذلك، كان معدل المسافة التي اجتزناها في مسيراتنا الخمس الاخيرة يساوي ما سجله في سباقه الاخير. كما خيل الي أن بيري وهانسون امتلكا "حسّ التعقب" بعد خبرتهما الطويلة في الاستكشاف. كانا مراقبين حاذقين حلّا الاشارات والالغاز بديهياً وبرعا في تحديد المواقع بواسطة البوصلة والسرعات والمسافات. والاشخاص الذين أمضوا أوقاتاً طويلة في تلك الطريق الشاقة يدركون قدرة الانسان على تنمية "حاسة سادسة" لديه. قد يصعب اثبات وصول بيري وصحبه الى القطب الشمالي في ٦ أبريل (نيسان) ١٩٠٩، لكني أعتقد أنهم فعلوا.

في منتصف النهار انحدرت ثلاث طائرات تحمل إحداها وقوداً كافياً لطريق العودة، وحطت على البقعة الملساء. أسرع بول فرحاً ليفتح حقيبة أرسلتها اليه زوجته سوزان. كانت مليئة بقطع الحلوى والشوكولاتة وعلب الحليب والشراب وقطع الهامبرغر وشطائر اللحم والمحار المدخّن. أكلنا بنهم حتى التخمة.

أثناء التهام الطعام انحلت مشاعرنا الدفينة. جلست كئيباً سانداً ذقني الى يدي. طوقتني آن بذراعيها. وتمالك بول عن البكاء الناتج من السعادة والحزن والارتياح. ووصف ريتشارد تضارب المشاعر الذي أحسسناه: "في هذه الرحلة تفور المشاعر في أقصى درجاتها، فأنت إما في منتهى السعادة واما في منتهى الكآبة. الجميع سعداء للرحيل من هنا، لكني بدأت أفتقد هذا المكان. يا لسرعة ما تنسى المشقات حقاً."

توقفنا في يوركا لوقت وجيز وبلغنا ريسوليوت بعد ثماني ساعات من مغادرة القطب. أحاط الطائرة حشد من الوجوه الباسمة. كان أسعدها وجها سوزان زوجة بول ونالا زوجة برنت. وكانت هناك ابنتاهم بريا وكريستال مختبئتين تحت قلنسوتي الثلج.

ظهرت على المدرج طائرة نفاثة كبيرة رسم على جانبها علم ولاية منيسوتا، وهي ملك لصاحب المحطة التلفزيونية التي غطت رحلتنا، وقد حضرت لنقل أعضاء الفريق الامريكي الى منيابوليس في اليوم التالي. لن يتسنى لنا أن نرتاح.

في الصباح ودّعنا ريتشارد وبرنت. سيعودان الى منزليهما في كندا لاحقاً. ثم صعدنا الى الطائرة وسط حشد من المراسلين. وعيّن توقيت وصولنا مع بداية نشرة أخبار السادسة مساء في مدينتي سان بول ومنيابوليس. كنت أنا وآن وبول من منيابوليس، وكانت المدينتان مصدر دعم لعملنا.

واذ هبطت الطائرة فوق سان بول بهرت الطبيعة الربيعية الخضراء أحاسيسنا. لقد استحوذ البياض على أنظارنا مدة طويلة واستغرقنا بضع دقائق للتكيف مع الاخضر المفعم بالحياة. وعندما هبطت الطائرة تغلغلت الى أجسادنا حرارة بلغت ٢٧ درجة مئوية، وغمرتنا بدفء يزيد ٧٥ درجة عما اختبرناه أثناء رحلتنا. اختلسنا النظر من النافذة وذهلنا لرؤية حشد هائل من الانصار المبتهجين يلوحون بلافتات ورايات.

لدى نزولنا من الطائرة أحاط بنا الحشد وشعرنا برضا وارتباك في آن. لمَ شغلت رحلتنا عقول أولئك الناس؟ هي ليست الرحلة القطبية الاولى أو الاطول، ولن تكون الاخيرة بالطبع.

وخلال الايام التالية شغلتنا المؤتمرات الصحافية والمقابلات الكثيرة في أنحاء البلاد، وأدركنا لغز ذلك الاهتمام حين تصفحنا الجرائد الصادرة منذ مغادرتنا في منتصف يناير (كانون الثاني). لقد صعقت العالم كارثتان: انفجار المكوك الفضائي "تشالنجر" في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، والكارثة النووية السوفييتية في تشيرنوبيل في ابريل (نيسان) ١٩٨٦.

أدركنا أن ثقة الناس بسحر التكنولوجيا تزعزع كثيراً. أما نحن الستة فقد قادنا نوع مختلف من الايمان. لقد كافحنا طويلاً لتحقيق هدفنا من خلال عزم وطيد وإرادة جماعية. ووضعنا ثقتنا بالعناية الالهية.

وهكذا مثّلت رحلتنا، لنا ولاناس كثيرين، تجدداً لقوة الايمان والروح الانسانية التي لا تقهر.

ويل ستيجر وبول شورك

ترجمة أسنسيون فيصل

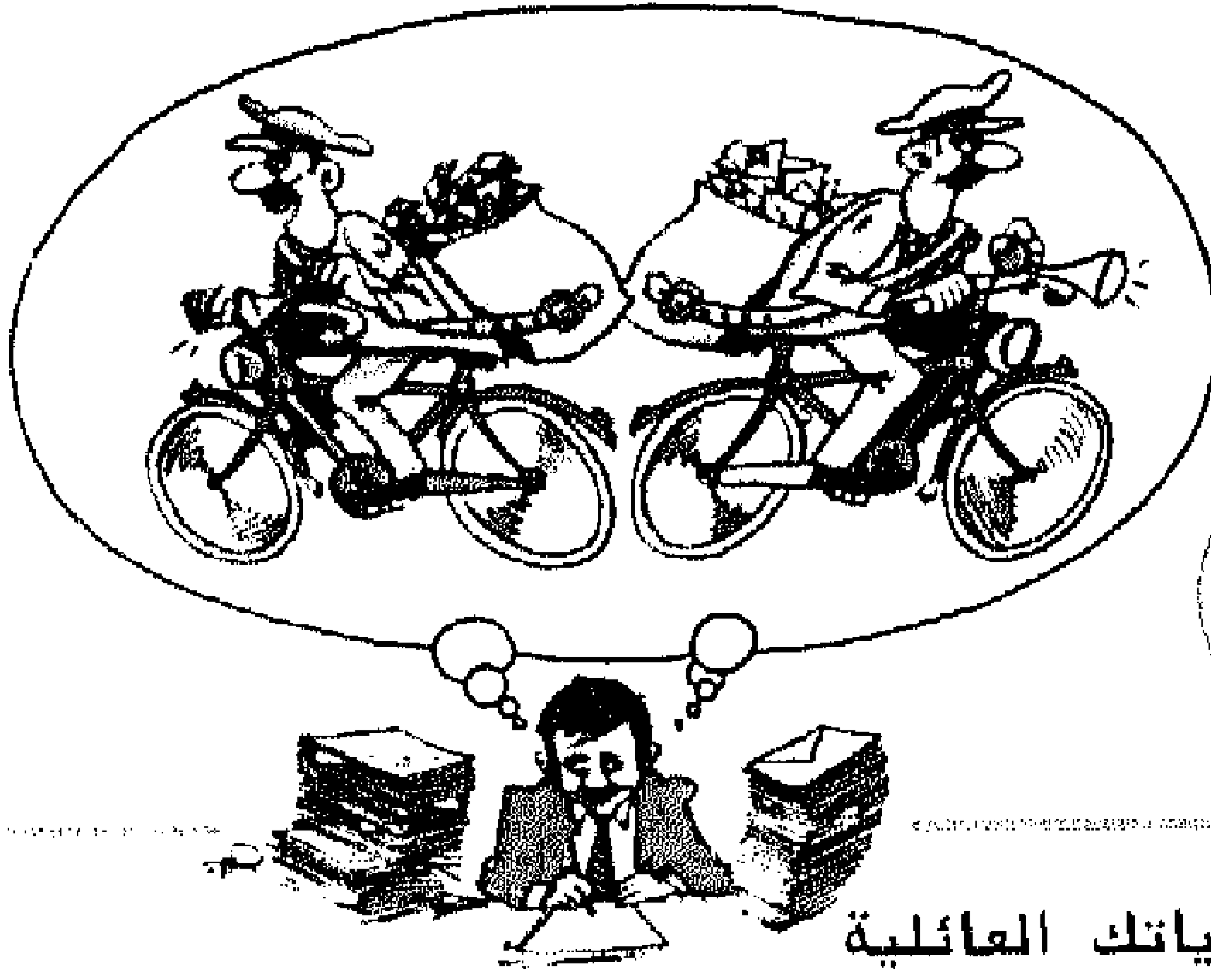


عصفوران بحجر

يولي زوجي المقتصد اختيار هداياي اهتماماً كبيراً. وذات مرة أهدى الي علبة جميلة لادوات الكتابة. وبما أني نادراً ما أكتب رسائل سألته ماذا حمله على اختيار هذه الهدية الخاصة. ومن دون أن يشيح ببصره عن جريدته أجاب: "فواتير الهاتف."

٥٠١٠٣

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



Courtesy: The E.F. Hutton Collection photo: Malcolm Varon

سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨، محرّم ١٤٠٩

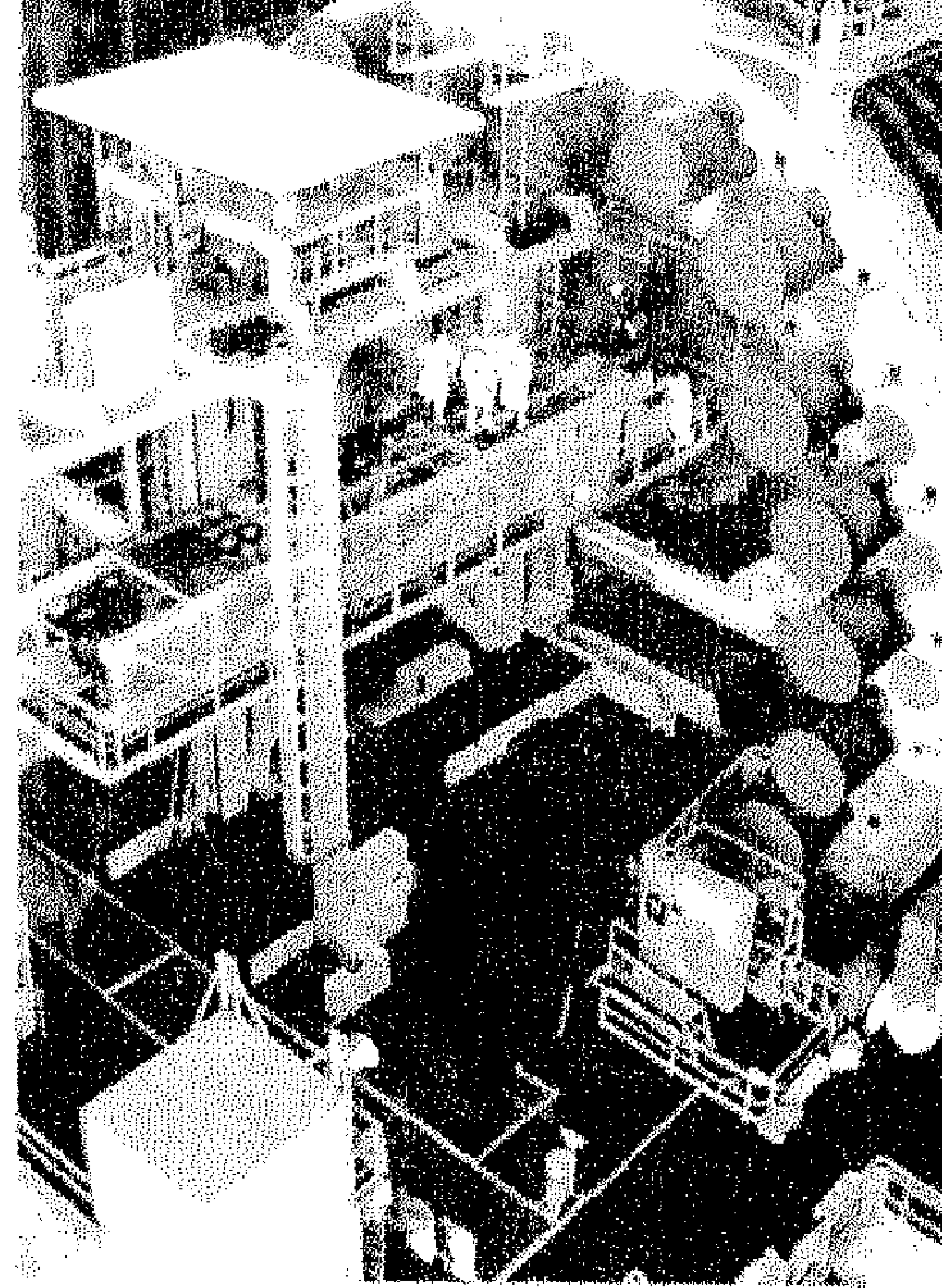
المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest September '88 N° 118

اوسع المجلات انتشاراً في العالم

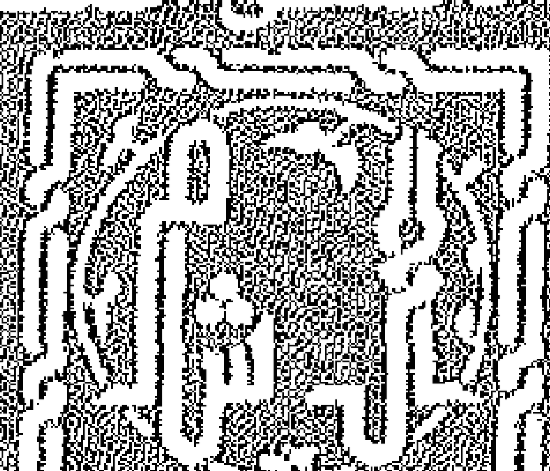
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام ـ ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,

El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

September 88 N° 118 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

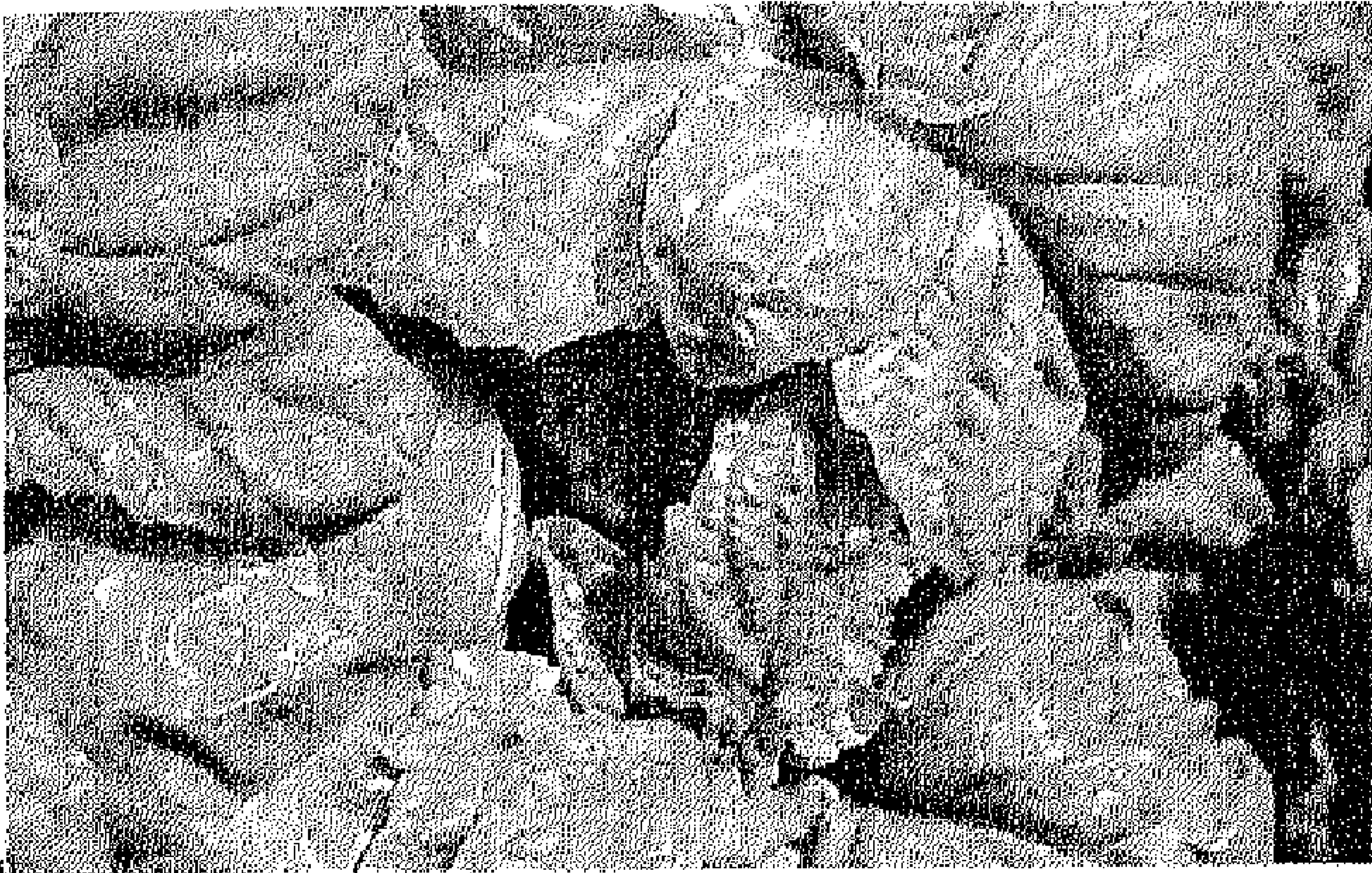
نان ٠٠١ل - سورية ٥١ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الإمارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
سعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٦ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
نس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

الحبق العشبة الملكية

تخطت هذه النبتة الشذية سمعتها السيئة وصارت تزين الموائد في انحاء العالم



حبق نابولي Photo: Luciano Cretti



الحبق "العملاق" Photo: Luciano Cretti

يعود اسم هذه النبتة(١) الى اليونانية وهو يعني "الملكي". ومع ذلك لم تكن دائماً الحبقة على هذا المستوى. تحملت هذه الاوراق الخضراء الشذية سمعة سيئة دامت قرابة ٤٠٠٠ سنة. اما الزراعة الاولى للحبق فظهرت في الهند حيث اعتبر الحبق نباتاً مقدساً سيّجت به أراضي المعابد الهندية. اما بالنسبة الى اليونانيين فكان الحبق يمثل التعاسة والفقر. ونصح بلايني الاكبر المزارعين بلعن هذه العشبة لدى ذرهم بذورها.

ولقرون مضت كان الاوروبيون يعتقدون بوجود علاقة غريبة بين العقارب وهذه العشبة. فإن شممتها كثيرا "نمت" العقارب في دماغك وان زرعتها في الارض "عبثت" العقارب فيها. انه لامر مذهل اليوم ان يخرج الحبق من اعتباراته الماضية بأصالة فخمة سليمة.

هناك ستون نوعاً من الحبق، اما اكثرها شهرة فهو الارجواني المعروف بـ Ocymum purpurescens، وذو الاوراق

---

(١) Basil

المشة المعروف بـ Ocymum crispum والليموني الرائحة Ocymum gratissimum اما الحبق الاكثر استعمالاً فهو النوع الحلو الذي يزرع سنوياً وينمو الى ثلاثين سنتيمتراً فقط. ويمتاز هذا النوع بحبه للمناخات المعتدلة والاراضي المروية، تكلله سنبلة من الأزهار البيضاء، وتشبه اوراقه البيضوية اللطيفة قدور الطهي لدى بعض شعوب البحر الابيض المتوسط.

من الهند – انتشر الحبق من الهند عبر



حبق جنوى Photo: Luciano Cretti

آسيا الى الشرق الاوسط ومن ثم الى مصر. اما الفرس القدامى فزرعوه على القبور واحياناً أودعوه قبور موتاهم، بينما استعمله المصريون كمادة لتحنيط الموتى. وفي مرحلة لاحقة، أدخل الحبق الى ايطاليا مع الرومان العائدين من حملاتهم العسكرية.

في كتابه "دي ري كوكونياريا" (٢) يذكر ابيشيوس بعض وصفات الطعام الشهية في القرن الاول للامبراطورية الرومانية مثل البازيلاء مع الكراث في مرق الحبق، وهذا يدل على تفضيل الرومان للاطعمة المنكّهة. وفي القرن الثاني عشر تحولت كل من اسبانيا وفرنسا والمانيا الى استعمال الحبق في الطعام.

وأدرك اطباء القرون الوسطى منافع الحبق واستطباباته فزرعوه في حدائقهم المشهورة.

تخضع زراعة هذه النبتة الصغيرة لجدول زمني ثابت. تنثر البذور في اوائل شهر أبريل (نيسان) في تربة غنية، سهلة التفتت، اما تحت الزجاج او في



الحبق "اليوناني" Photo: Luciano Cretti

الحديقة بعد زوال خطر الجليد عنها. وتحصل عملية النمو خلال اربعة عشر يوماً. وعندما يبلغ طول النبتة الواحدة ثمانية سنتيمترات وتخرج منها أربع او ست اوراق، تقلع من حوضها ويعاد زرعها على ان تترك مسافة ١٥ او ٢٠ سنتيمتراً بين النبتة والاخرى. تشذب اوراق النبتة خلال نموها ليسمح لها بنمو اكمل. اما الازهار البيضاء فتقص ايضاً لمنع الخشونة عن الاوراق. وفي نهاية شهر

(٢) De re coquoniaria

أكتوبر (تشرين الاول) يذبل الحبق وينتهي موسمه الصيفي.

وفي ايطاليا تؤمن "البيوت الخضراء" المحمية في كل من ليغوريا ولازيو وتوسكانا الحبق لاسواق الخضر الايطالية بالاضافة الى اسواق البلاد المجاورة كسويسرا. ونظراً الى شيوع استعمالات الحبق في الوجبات الايطالية كرشه على "البيتزا" وادخاله صلصة البندورة (الطماطم) عند طهو المعكرونة – عمد الحبق في إعداد اطباق عدة اشهرها نقانق "فاتر لاين" التي كانت تباع في اكشاك داخل احياء ضواحي لندن الفقيرة. عندما يجفف الحبق ويطحن يتحول سعوطاً يشمه الرجال. أما السيدات فيرشفنه بعد نقعه بالماء لتخفيف بعض الاعراض الصغيرة عنهن. وعلى رغم قلة انواع الحبق التي كانت تعيش في القارة الامريكية فإن اوائل المستوطنين البريطانيين ادخلوا الحبق الحلو الفاخر اليها في القرن الثامن عشر.

وليس هناك مكان افضل من الاقاليم الليغورية الغربية في كل من جنوى وسافونا وامنبيريا لإختبار سحر الحبق. وقد زاد انتاج الحبق في هذه المناطق على ١٧٠٠ طن عام ١٩٨٧، اي ما يقارب خمسة اضعاف انتاج لازيو.

زرت مصنع سان ريمو الذي يملكه جيراردو غوبو حيث تعبأ سنوياً حوالى نصف مليون جرة بسائل الحبق المعروف بـ «pesto». رحب بي غوبو وأشار الى قفصين كبيرين موسومين بكلمة "اوساكا"، وكانا يحمّلان في شاحنة، فقال لي مبتسماً: "حتى اليابانيون بدأوا يتذوقون حبقنا." وشرح لي ان عبارة «pesto» مشتقة من كلمة ايطالية هي "بيستاري" اي "يسحق"، ويعود هذا المعنى الى زمن كانت تسحق اوراق الحبق بمدقة هاون رخامي يضاف



الحبق البنفسجي — Photo: Giuseppe Donadoni

الليغوريون منذ عشرين سنة الى زراعة الحبق في موسم الشتاء داخل بيوت بلاستيكية لتأمين إنتاجه على مدار السنة.

عالمي – في اوائل القرن السادس عشر عبر الحبق بحر المانش من فرنسا حيث كان يتمتع بمنزلة رفيعة في تحضير الاطباق التي تضم شرائح لحم الضأن وحساء السلاحف. وفي بريطانيا دخل

صَبَاح الخَيْر!





نسكافه

كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح

PI 2559

اليها زيت الزيتون والصنوبر والثوم والملح والجبنة.

واضاف غوبو انه كانت له تجربة اخرى مماثلة على صعيد أضيق مع متحمسين أجانب. فقال "منذ زمن ليس ببعيد توقف عندنا إسباني يحمل مجموعة زجاجات مياه بلاستيكية فارغة، فطلب منا ان نملأها له بعصير الحبق ليحملها معه الى اسبانيا."

بعدها توجهت شرقاً على طول الساحل من سان ريمو، فبدت لي البيوت الزراعية الخضراء وأدركت أني اقتربت من المركز الرئيسي لأرض الحبق.

وفي اندورا استقبلني بييترو بلغرانو وادخلني الى ارضه المزروعة بالحبق داخل "بيوت خضراء" في مساحة ٢٢٠٠ متر مربع. وكان هو وزوجته رينا بالاضافة الى بعض المساعدين جالسين حول طاولة طويلة في غرفة خلفية مظلمة، باردة تفوح منها رائحة عطرة. وكانت هناك كوم من الحبق النضر المقطوف حديثاً الى جانب كوم اخرى من الرقاقات الخشبية الرطبة. ومثل عشرات المنتجين الآخرين المنتشرين على طول الشاطىء كان بلغرانو واعضاء فريقه يحزمون برشاقة كل ثلاثة او اربعة عساليج من الحبق برقاقة خشبية ويلفون الباقات بالورق ويختمون الحزمة الرطبة الصغيرة بواسطة مشبك. قال بلغرانو: "وفي اليوم الجيد يمكن توضيب خمسة آلاف حزمة بغية بيعها بالجملة في اسواق جنوى وتورينو وميلانو."

وفي مكان قريب كان جيوفاني بريغولين البالغ من العمر ٤٠ عاماً وزوجته النشيطة آنا ومساعدوهما يعملون، كجيرانهم، في سقيفة واسعة بالقرب من البيوت الزراعية الخضراء التي بلغت مساحتها ٦٠٠٠ متر مربع، آملين المحافظة على معدل انتاج واحد اي من ٢٥٠ الى ٣٠٠ باقة من الحبق في الساعة، وهي تباع بسعر ١٢٠ لير الباقة الواحدة. وبتسليمهم انتاجهم الى بائع جملة محلي يؤمنون انتشار هذا المحصول في اسواق ايطاليا الشمالية وسويسرا.

تنظم اندورا بين ٢٥ و٢٨ اغسطس (آب) من كل سنة مهرجاناً يدعى "فانتازيا اندوريس"، وتكون محور هذا المهرجان الذي يدوم اربعة ايام، اطباق المعكرونة المنكهة بالحبق. هل في استطاعة بريغولين ان يأكل الحبق بعد العمل به طوال النهار؟ بالتأكيد، أجاب بريغولين مبتسما، ثم زودنا معلومات مفيدة عن طريقة المحافظة على الحبق نضراً بعد الشراء. فقال: "لا تحفظه في ثلاجة او في كوب من الماء بل لفّه بورقة رطبة ثم ضعه في كيس من البلاستيك."

عندما سألت انطونيو ميكالوتشي وهو مدير اتحاد المزارعين المحليين، عن سبب تفرد ليغوريا بنعمة الحبق هذه، شرح لي ان المناخ في هذه المنطقة هو الانسب لزراعة الحبق.

سواء حصل ذلك او لم يحصل، فسيظل الحبق يزين اطباق الموائد في العالم. وعندما يأتي اصحاب المقامات الرفيعة لزيارة ليغوريا فسيُقدّمُ اليهم طبق وطني من المعكرونة المزينة بالحبق.

في النهاية يبقى الحبق عشبة ملكية.

الكسندرا واسيكولا ■

ليست السعادة في المال وحده

قصة رجل تخلى عن ثروته في مقابل مطرقة ومنشار وحلم!

اظهر ميلارد فولر، منذ صغره، موهبة فذّة لجني المال. وكانت هوايته المفضّلة تحقيق الربح وليس ممارسة الرياضة وصيد السمك مثل اترابه في لانيت بالاباما. وبفضل حصان مهزول اعجف اهداه اياه والده وهو في سنّ المراهقة، تحوّل تاجر ماشية حقق ارباحاً مكّنته من دفع جميع اقساطه في جامعة اوبرن بالاباما.

وعندما دخل كلية توسكالوسا للحقوق في اوبرن عام ١٩٥٧، عمد وزميل له يدعى موريس ديز الى المتاجرة بكل ما متّ بصلة الى حاجات الطلاب آنذاك من اكاليل البهشية الى نشافات الحبر فدليل الجامعة فقوالب الكعك الخاصة بأعياد الميلاد التي كانا يتعهدان ايصالها الى غرف الطلاب. وهما استثمرا ارباحهما من تلك التجارة في العقارات. وبلغ الربح الصافي لكل منهما عند التخرّج ٥٠ الف دولار.

بعد ذلك، انطلقا في الاتجار بواسطة البريد. وفي ١٩٦٤ بلغت تجارتهما حداً من النجاح استدعى توظيف ١٥٠ عاملاً. وعمل الشابان، بجدّ وكد، وسهرا الليالي

يتبادلان الآراء ويرسمان الخطط، حتى وجبات الفطور جعلاها مناسبات لمناقشة شؤون العمل وتبادل وجهات النظر.

في السن التاسعة والعشرين، اصبح فولر مليونيراً. وكان يملك منزلاً فخماً، ودارة لقضاء العطلات وزورقين بخاريين سريعين وسيارة فخمة من طراز "لنكولن كونتيننتال" واسهما في ثلاث مزارع للماشية. واقتنى مفكّرة كان يسجّل فيها ارباحه يوما فيوماً. وكان يغضب اذا لم يكن ربح اليوم افضل من سابقه.

كان فولر في ذلك الوقت متزوجاً من ليندا كولدويل ورزقا طفلين جميلين راوح عمراهما بين سنة وثلاث سنوات. وكانت الحياة بالنسبة الى فولر طافحة بالهناء والسعادة.

الا ان هذه النعمة لم تطل إذ جاءت ليندا ذات يوم الى المكتب واعلنت امراً رهيباً. قالت لزوجها انها لم تعد تحبه وتشعر كأنها وحيدة، من دون زوج. واضافت: "هذه ليست حياة، فانت لا تكفّ عن العمل."

ظن ميلارد، للوهلة الاولى، ان زوجته متكدرة المزاج ولن تلبث ان تهدأ، فأجابها مدارياً: "سوف امضي وقتاً اطول برفقتك والأولاد." إلا انه استمر يعمل بالوتيرة نفسها ممّا ضاعف من تعاسة ليندا ودفعها الى اتخاذ قرار حاسم.

وذات مساء بادرت ليندا زوجها بالعبارات الآتية: "سوف اتغيب فترة من الزمن. والحقيقة انني لا ادري ان كان لا يزال امامنا مستقبل."

وفي اليوم التالي غادرت المنزل متوجهة الى نيويورك.

الحياة المبرمجة — سيطرت على ميلارد حال من الذهول فراح يسائل نفسه كيف اساء التقدير الى تلك الدرجة. أوليست عائلته – من دون ريب – أهم من المال؟

في الايام القليلة التي تلت، اغرق ميلارد نفسه في العمل لكنه عجز عن التركيز. صحيح ان الاعمال التي تعاطاها نمت وازدهرت ولكن على حساب زواجه وصحته. وهو كان بدأ يشعر بألم في العنق وبضيق في التنفس احياناً. وبدأ يحس بثقل يضغط على صدره.

عندما اتصلت به ليندا هاتفياً وابلغته موافقتها على الاجتماع به الاسبوع التالي في نيويورك، طلب الى والديه الاهتمام بالطفلين اثناء غيابه. وفي المساء الذي سبق سفره الى نيويورك استرخى في منزله امام فيلم تلفزيوني. وما لبثت ان هزّته جملة وردت في الفيلم وهي: "ان الحياة المبرمجة لا يسع المرء الا تحملها".

حياة مبرمجة! هكذا بالضبط هي حياته. فخطته في الحياة كانت ان يجني ثروة، ان يجعل المليون عشرة ملايين. إلا انه بات يدرك اليوم انه في سعيه وراء الثروة اغفل كل ما هو قيّم ومهم. وهو لم يعد يطيق ذلك. فقرر للحال، في الزمان والمكان نفسهما، ان يأخذ على نفسه عهداً بان يتخلص من ماله كله ويبحث عن مبرر للحياة اكثر وجاهة وإقناعاً. وايا يكن قراره النهائي، فإن ليندا والاطفال مشمولون به. ولا بدّ لحياته الجديدة ان تكون ذات معنى وتأثير ايجابي على الناس. وللمرّة الأولى بعد اسبوع طويل من

المعاناة والكرب، شعر بالسكينة والهدوء يغمران نفسه.

حلم بستة آلاف دولار – عندما وصل ميلارد الى نيويورك تكلمت ليندا عن حرصها على زواجهما وعن رغبتها في المحافظة عليه. في البدء كان حديثهما متردداً متعثراً لكنه سرعان ما غرق في دفق من المشاعر. تحدّث ميلارد عن عزمه على العودة الى البيت وتوزيع ثروته كلها وبدء حياة جديدة. سألها رأيها في ما عقد النيّة عليه. فاومأت برأسها موافقة. سوف نواجه كل شيء معاً، قالت في سرّها.

بعد عدّة اسابيع، وفي احدى الامسيات، كان ميلارد وزوجته عائدين بالسيارة من رحلة قاما بها الى فلوريدا وتوقفا في ولاية جورجيا بالقرب من بلدة اميريكس،

فتذكّر ميلارد ان رجل دين من اصدقائه يقطن في الجوار ضمن مجموعة تقيم في مزرعة اسمها "كونونيا". في صباح اليوم التالي إتصل ميلارد بصديقه مدفوعاً بنزوة طارئة. فدعاهما الاخير الى زيارته فلبّيا الدعوة. وكان ان امتدت الزيارة شهراً.

سحر ميلارد بمرشد المجموعة كلارنس جوردان الذي آمن بالتقشف والمشاركة في الاعمال الطبّية. وخلال ذلك الشهر عاونه ميلارد في توضيب جوز البقان وفي حلب البقرة الوحيدة في المزرعة. وفي الوقت نفسه، امطره بوابل من الاسئلة، شعوراً منه بان جوردان ربما تمكن من إرشاده الى هدف جديد لحياته.

في نهاية الشهر عاد الزوجان الى الاباما. وفور وصولهما عرضا منزلهما للبيع وباعا حصة ميلارد في الشركة، كما باعا الزورقين، ووزعا الريع على اماكن العبادة والكليات والجمعيات الخيرية.



Photo: Courtesy Habitat for Humani

شعر ميلارد بتحسن في صحته وعاد يتنفس بسهولة واختفى الألم الذي كان يشعر به في صدره. لكنه الآن بات في حاجة الى وظيفة. فعمل موقتاً جامع تبرعات في نيويورك لحساب كلية صغيرة في ميسيسيبي. وما لبثت العائلة ان انتقلت الى شقة صغيرة فوق محطة للوقود، وكان ميلارد يذهب الى عمله يومياً في مانهاتن بالحافلة. ومع ولادة طفلهما الثالث اصبحت ميزانية العائلة اكثر شحّاً لكن حياة التقشف لم تزعج افرادها فهم اصبحوا فريقاً واحداً.

وجد ميلارد عمله مرضياً لكنه ظلّ يتوق الى رسالة في حياته تستحث كل طاقاته ومثالياته. ومع نهاية السنة انتهى عمله في جمع التبرعات فكتب الى جوردان يستلهمه افكاراً جديدة. وجاءه الرد دعوة الى زيارته.

كانت الاكواخ المتداعية المبنية من الطين الاحمر على جانبي الطرق حول اميريكس محور تفكير جوردان، فهي غالباً ما افتقرت الى وسائل التدفئة والامدادات الصحية. ولان المصارف رفضت منح سكانها قروضاً لتحسين وضعهم فقد كتب عليهم ان يظلوا مستأجرين.

تحدّث جوردان الى ميلارد: "هؤلاء الناس ليسوا في حاجة الى إحسان بل الى طريقة تجعلهم قادرين على مساعدة انفسهم." وللحال توصل الرجلان الى قرار يقضي بتأسيس شركة تمولها التبرعات التي ستستخدم في شراء ارض ومواد بناء، على ان تتولى الشركة تشييد منازل بسيطة ولائقة ومن ثم بيعها بسعر الكلفة. وعلى الشاري ان يؤدي الدفعة الاولى نقداً ويسدد البقية اقساطاً شهرية حتى يتمّ ايفاء الدين. وتقرر ان يضاف المال المقبوض الى رأس مال الشركة لاستخدامه في بناء منازل جديدة. ويرمي المشروع الى تشجيع الشاري على ايفاء قسم من ثمن منزله اعمالاً في ورشة منزله ومنازل جيرانه ان هو رغب في مثل ذلك الاستثمار. فلكل شيء ثمن، وحدها الفرصة المتاحة كانت مجانية.

تحمّس ميلارد وليندا للمشروع فجمعا اولادهما وانتقل الجميع الى كونونيا. كان العمار على وشك ان يبدأ على ارض تملكها المجموعة. فتولى ميلارد فرزها ٤٢ قطعة مستقلّة مساحة الواحدة منها ربع هكتار وبدأ جولة لجمع التبرعات والمتطوعين. فبعث برسائل الى اشخاص كثيرين في انحاء الولايات المتحدة، فجاءت الردود الوف الدولارات ارسلها مؤيدو المشروع ومحبذوه.

استأجر ميلارد متعهدين لحفر الاسس ومدّ انابيب المياه واسلاك الكهرباء. وبلغت كلفة المنزل الأول الذي تألف من ثلاث غرف للنوم ومطبخ حديث، نحو ٦ آلاف دولار. فاشتراه بو وايما جونسون اللذان كانا يقطنان مع اولادهما كوخاً بالجوار. وقّع بو العقد كفريق اول وظل الفريق الثاني مجهولاً.

بئر لا تنضب – ايقن ميلارد اخيراً انه وجد ضالته وان العمل ذاك هو دعوته. ومع حلول العام ١٩٧٢، كان انهى الدفعة الاولى من المنازل وبلغت ٢٧، وكانت جميعها مبيعة ومأهولة من عائلات لم يسبق لها ان عرفت منازل فيها كل

اسباب الراحة، من تدفئة وإمدادات صحيّة داخلية. وغالباً ما كان القسط المتوجّب دفعه دون قيمة الايجار التي اعتادوا دفعها.

تساءل ميلارد عن امكان نقل الفكرة التي اينعت في جورجيا، الى مكان آخر. وعلى هذا الاساس وقّع عقداً مع احدى المجموعات تعهّد بموجبه بناء ١١٤ منزلاً في زائير في افريقيا. ورافقه في هذه الرحلة ليندا والاولاد، وكان اصبح عددهم اربعة.

عندما عادت العائلة الى اميريكس عام ١٩٧٦، كان في ذهن ميلارد مشروع لشن حرب دولية ضد البيوت الزرّية في العالم كلّه. وهدف هذا المشروع الى محو بيوت الفقر من العالم بأسره واطلق عليه اسم "موطن الانسانيّة."

وكما مشروع كونونيا، فإن مشروع "موطن الانسانية" سيموّل بالتبرعات والاقساط الشهرية التي يدفعها الشارون ولن يدخل صندوقه قرش واحد من مال الدولة. وتخيل ميلارد شبكة تضم، الى الجماعات المحلية المنظمة، افراداً همهم جمع التبرعات والمتطوعين.

بدأ المشروع عملياً ببناء منازل لفقراء قادرين على اداء جزء ضئيل من الثمن كدفعة اولى، وعلى تقسيط البقية دفعات شهرية لا تتعدى الواحدة ٦٥ دولاراً.

في البدء، سار التنفيذ ببطء إذ بلغ مجموع ما نفّذ من مشاريع ١٥ في الولايات المتحدة و١١ خارجها. اما في العام ١٩٨٧، فقفز العدد الى ٢٤١ في امريكا الشمالية و٥٠ في بلدان اخرى(★). وبلغ عدد البيوت الناجزة او المرممة عام ١٩٨٧، الألف، بمعدّل ثلاثة منازل في اليوم. ويتوقع ميلارد ان يتضاعف هذا العدد في السنة الجارية (١٩٨٨). وإذا سارت الامور على ما يرام، فان مشروع "موطن الانسانية" سيتوسع في سنة ١٩٩٦ الى ٢٠٠٠ مدينة في الولايات المتحدة و٦٠ دولة اخرى.

يتلقى المشروع طلبات للتطوع بمعدّل ٤٠ طلباً في الشهر. ويبدو ان فلسفة المشروع النبيلة قد اطلقت سيلاً من الارادات الطيّبة، ويقول أحد المتطوعين الذي تخلّى عن عمله مهندساً من اجل ادارة حملة لجمع التبرعات والمتطوعين: "كنت ابحث عن طريقة اخرى، غير المال، اقوّم بها نفسي."

حسن الجوار — انها العاشرة من صباح يوم حارق في شارلوت بولاية كارولينا الشمالية. ميلارد فولر منهمك في دق مسامير في سقف واحد من ١٤ منزلاً تبنى في وقت واحد. وحوله ٣٥٠ متطوعاً منهمكين في البناء، يدقّون، يحفرون، يركّبون النوافذ، يحصون الالواح. انهم يبنون حياً. عدد كبير بينهم عمل سابقاً في مشاريع اخرى لـ"موطن الانسانية." وبينهم ايضاً من يستقل الحافلة يومياً من خارج المدينة.

وفي حملة دعائية للفت الانتباه الى مشروع يرمي الى بناء صف من البيوت في

★ الارجنتين، بوليفيا، البرازيل، بوروندي، كوستاريكا، جمهورية الدومنيكان، غانا، غواتيمالا، هاييتي، الهند، اندونيسيا، كينيا، مالاوي، غينيا الجديدة، المكسيك، نيكاراغوا، باكستان، البيرو، الفيليبين، جزر سليمان، جنوب افريقيا (فرع مستقل)، تانزانيا، اوغندا، زائير، زامبيا.

خمسة ايام، وصفت الصحف في مدينة شارلوت العمل الاعجازي الدائر بهذه العبارة: "الاعجوبة في الشارع ١٩". والى هذه "الاعجوبة"، والى ذلك الهرج والمرج الدائرين، سرّح فولر ابن الثانية والخمسين، نظره. فسأله احد المارة: "مَن يموّل المشروع؟"

– لا أحد.

فبدت على الرجل علامات الحيرة فقال: "الناس عادة لا يفعلون مثل هذا من دون اجر." فرد عليه فولر بمرح: "ان الامر اسوأ، فهم دفعوا ايضاً رسوم انتقالهم." وشرح له ان العاملين في المشروع هم متطوعون جاؤوا من انحاء عدة في الولايات المتحدة ولا يبغون سوى المساعدة. فعلق الرجل باندهاش: "هذا هو الدين الحقيقي!"

مثل بقية المشاريع الاخرى لـ "موطن الانسانية،" بدأ المشروع في شارلوت بتأليف لجنة من المواطنين جمعوا تبرعات من الجماعات والافراد والشركات التجارية بلغت ١،٥ مليون دولار، من اجل دفع ثمن الأرض ومواد البناء. وساهم المتعهدون والحرفيون في المشروع، كل بما يملك من مهارة ومعرفة. وتعهد كل شار تقديم ٢٠٠ ساعة عملاً في بناء منزله ومنازل اخرى.

وبعد يوم من العمل الشاق على السطح، يقول ميلارد متأملاً: "يجد المرء سعادة في هذا العمل. واكثر الاشخاص حيوية بين الذين اعرفهم مشغولون بامر خارج انفسهم. ان عملنا مختلف ومميز فهو لن يخبو الاسبوع المقبل او الشهر المقبل. انه بركة دائمة للباني والشاري على السواء."

دونالد ديل جاكسون ■



ثمن الاجتهاد

أُبلغنا في السابعة صباحاً انه بعد الغداء سيأتي مسؤولون كبار لتفقد العمل ولعقد جلسة للميزانية، فعلينا ان نوقف الانتاج حالا ونرتب المكان وننظفه. وما هي الا دقائق حتى كانت الصناديق والعلب الفارغة واكياس النفايات مجمّعة في الممرات. غير ان المسؤولين وصلوا على غير انتظار في الساعة السابعة والنصف فلم يكن من سبيل لدينا سوى اكمال العمل. وبينما نحن نتابع اعمال التنظيف، عاين المدير المشهد: "عظيم، ما علي الآن سوى الدخول الى جلسة الميزانية لكي ابرّر دفع اجرة عشرين عامل تنظيف".

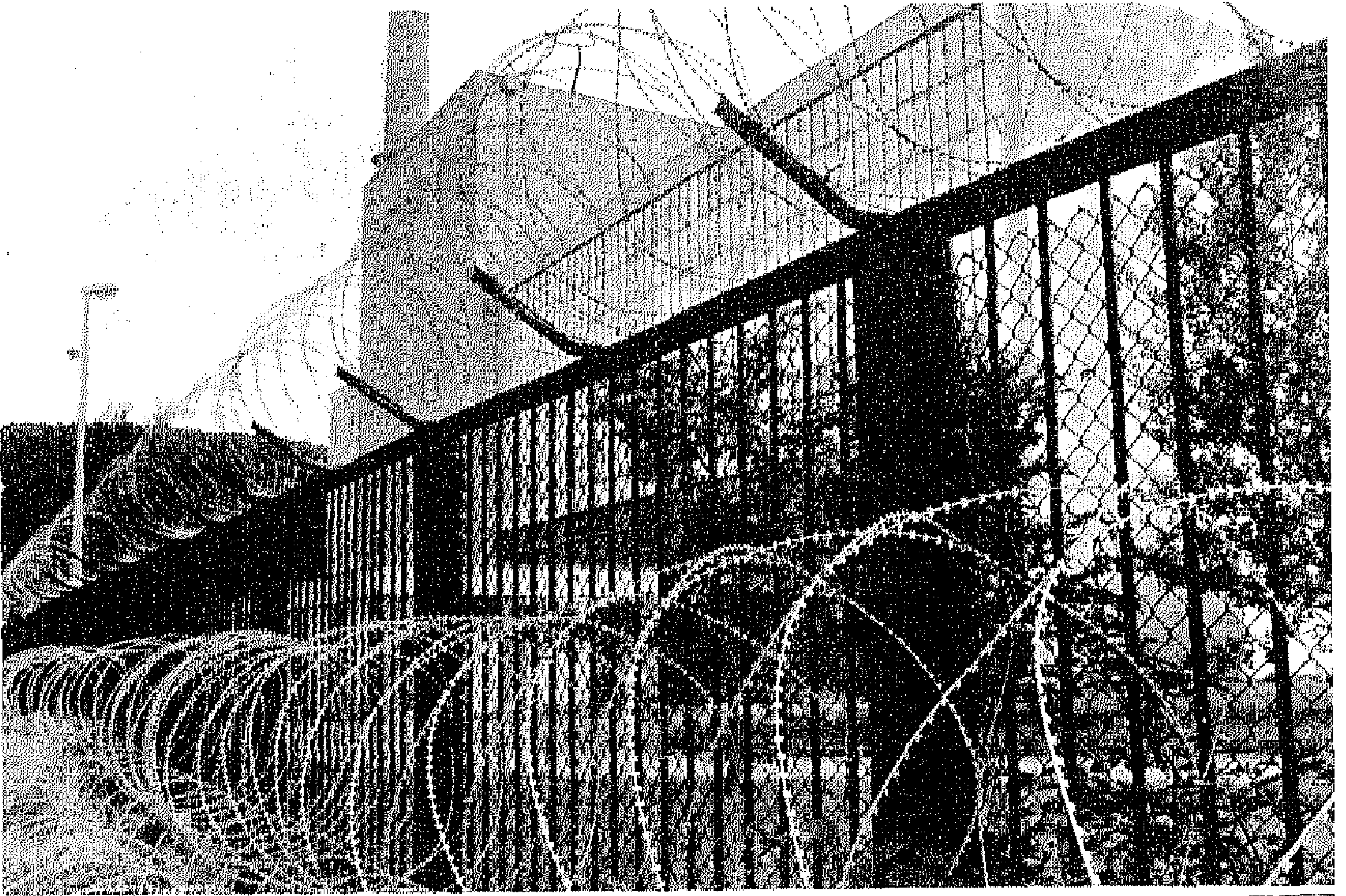
ل.أ.

بين الرجاء والواقع

خلال محاضرة تعليمية حول الإدارة المالية سأل المحاضر الطلاب عن الفرق بين الخطة والميزانية. فاندفع طالب لديه بعض الخبرة في العمل واجاب: "الخطة هي ما نريد عمله، والميزانية هي سبب استحالة ذلك!"

أ.ك.غ.

الرهان الجديد:
كيف سيتخلّص العالم من النفايات النوويّة؟



في السنة ٢٠١٠ "سيتقاعد" نحو ٣٠٠ معمل نووي مما يزيد عدد المكبّات النووية ويضاعف احتمالات تعرض الملايين لاخطار الاشعاعات في انحاء العالم

تخيل انك عضو في بعثة أثرية في السنة ٤٠٨٧، فجأة تكشط مجرفتك جسماً صلباً. يندفع نحوك حفّارون آخرون ويساعدونك على كشف كنز دفين من كتل الاسمنت. احد علماء الآثار يفترض انها قد تكون كتلاً لبناء أهرام. لا، يجيب آخر، إنها ترجع الى عهد اكثر حداثة، ربما الى القرن العشرين. وعندما يُمَرُّ عدّاد جيجر متطوّر فوقها وتأخذ ابرته بالتذبذب

Photo: IPSN/DqDD-UDIN

بعنف، تهرعون كلكم لارتداء ثيابكم الواقية من الاشعاع.

ويـزداد الاشعـاع كلمـا شظّيتم الاسمنت... الى ان تكشفوا في آخر الامر قِطعاً من انبوب مشع وغيره من الاجسام المعدنية الغريبة الاشكال. فما هذه اللقيا العجيبة؟

إن مواقع كهذا سرعان ما ستنتشر في امكنة مختلفة من العالم، ضامّة نفايات نووية لمعامل طاقة ذرية تقادم عهدها وانتفى نفعها.

عندما بدأ يتوالى تشييد مفاعلات الطاقة النووية قبل قرابة ٣٥ سنة كانت مشاكل تفكيكها تبدو تافهة بالمقارنة مع المنافع العلمية التي قال العلماء إنها ستتدفّق من مصادر الطاقة اللامتناهية هذه. وتباهى المهندسون بان الجيل الاول من المعامل النووية سيتمخّض عن طاقة كهربائية زهيدة الكلفة.

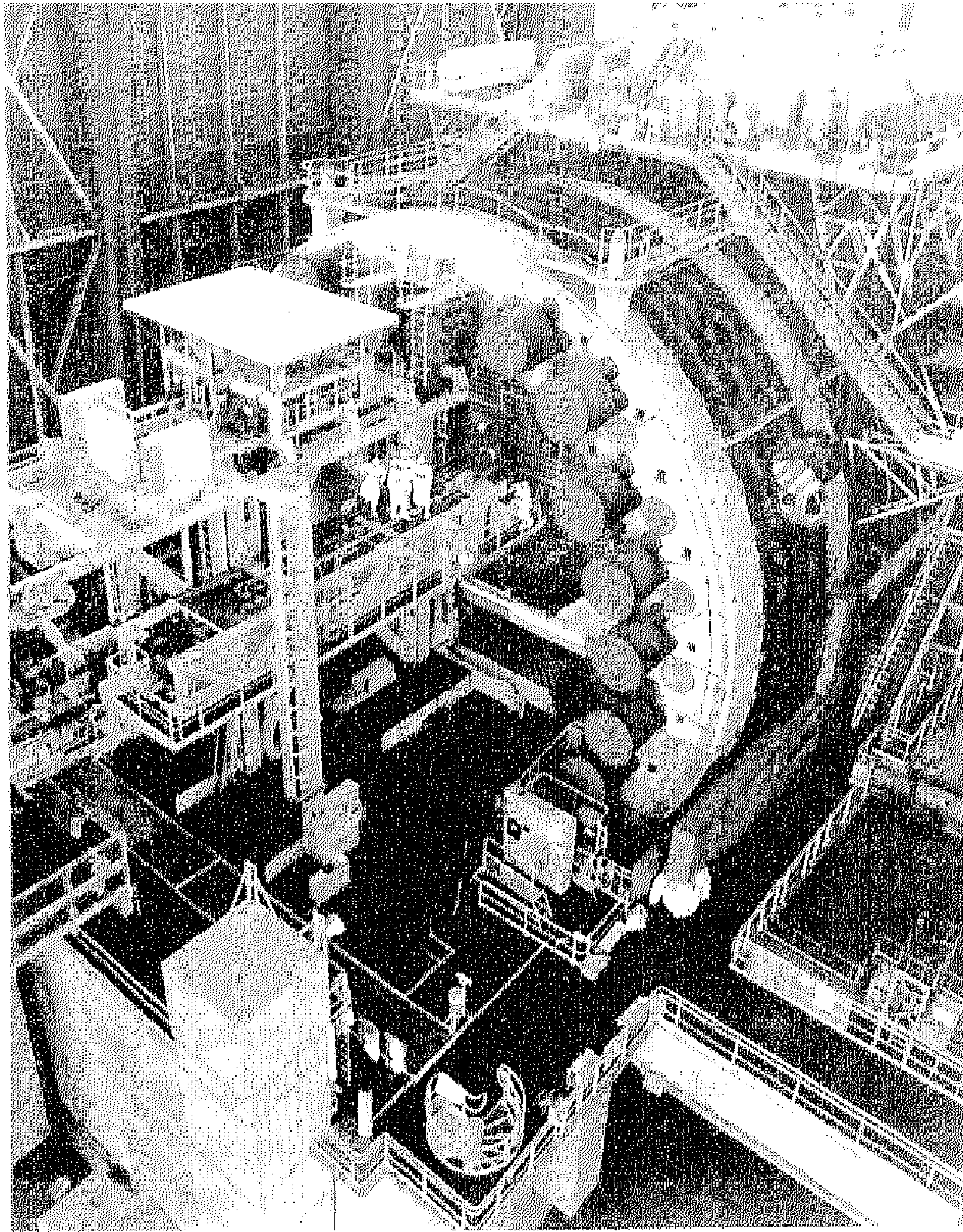
غير ان ما ارتُكب من قصور في التصـاميم والتجهيـزات في بـعض المفاعلات حَتّم ايصادها ولما تُكمل سنتين من خدمتها. فحوادث مثل تلك التي وقعت في لوسنس بسويسرا وفي ثري مايل آيلند بالولايات المتحدة الامريكية، وحديثاً في تشرنوبيل بالاتحاد السوفييتي، وضعت، في شكل مأسوي، حداً لتشغيل هذه المعامل وطرحت مسائل مرعبة حول إبعاد خطرها او تفكيكها. وجاء رد فعل الرأي العام المتعاظم ضد الاخطار الكامنة في معامل الطاقة النووية يفرض قيوداً على الاستمرار في تشغيل القديمة منها وعلى طريقة التخلص من نفاياتها المشعة.

اليوم تواجه الصناعة النووية مشكلة عالمية: ما العمل للتخلّص من معامل الطاقة النووية القديمة الطراز والتي يتزايد عددها باطّراد؟ ففي اوروبا نحو دزينة من هذه المرافق المتوقفة الآن عن العمل قرب مراكز مأهولة، منها معمل نيدرايباخ في المانيا الغربية ومركول في فرنسا ووايدسكايل في بريطانيا. وفي الولايات المتحدة ينطبق هذا الوضع على مفاعلي شيبينغبور وثري مايل ايلند - ٢ في ولاية بنسلفانيا، ومفاعلي خليج هومبولدت وانديان بوينت - ١ قرب مدينة نيويورك. ويفيد الخبراء ان قرابة ٣٠٠ مرفق نووي ستغدو غير صالحة للعمل في السنة ٢٠١٠.

في اي صناعة اخرى يسهل التخلص من معمل قديم نوعا ما. لكن توقّف معمل نووي عن الخدمة يطرح مشاكل وقائية وتقنية واقتصادية لم يألفها العلماء من قبل. فبعد مرور عقود عدة على وقف تشغيل الاورانيوم كعنصر وقود، يظل قلب المفاعل "ساخناً" بما فيه الكفاية ليسبّب امراضاً شعاعية لكل من تعرّض مباشرة للاشعة اكثر من ١٠ دقائق او ١٥ دقيقة دفعة واحدة.

الخيارات الثلاثة - ماذا يمكن ان نفعل بمرفق نووي متقاعد؟

في الوقت الحاضر هنالك ثلاثة خيارات. الاول - والى حد بعيد الافضل - هو "التخزين الآمِن" لمدة تترجح من عقد من السنين الى قرن. وعلى سبيل المثال، عندما اوقف العمل في مفاعل نيدرايباخ النووي الصغير نسبيا، في يوليو (تموز)



المفاعل النووي في معمل ماركول في غرب فرنسا وقد اوقف عن العمل.

١٩٧٤، فان كل المواد التي من شأنها ان تساهم في زيادة الاشعاع نقلت ووضبت وخزّنت في مبنى بعيد من المعمل. ودُلّيت "ذراع" تعمل بالتحكم عن بُعد، من منصة تقع مباشرة فوق قبة المبنى الذي يتضمن "قلب" المفاعل، وحُرّكت بحيث تلتقط عناصر الوقود النووي واحدا واحدا وترفعها ثم تضعها في حاويات خاصة مصنوعة من الياف الفولاذ. واستُخدمت مضخات خاصة لشفط السائل المشع من الانابيب في داخل المفاعل وحوله. وسُفح هذا السائل ضمن اسطوانات فولاذية وبيع لاحقاً من معامل نووية اخرى.

تلي ذلك ازالة التلوُّث من التجهيزات ومجموعة الابنية – اطنان من الفولاذ والخرسانة المسلحة – المحيطة بالبناء المركزي حيث "قلب" المفاعل. ويقول اورليش لوشهورن، العالم الفيزيائي الالماني في مركز الابحاث النووي في كارلسروه: "ان معظم ما يواجهنا هنا هو تلوُّث سطحي تمكن ازالته بتيارات مائية ذات ضغط مرتفع وبمحاليل كيميائية." اخيراً تنقل العنفة والتجهيزات الكهربائية سالمة وتباع من معامل تقليدية لانتاج الطاقة، واما معظم المكوِّنات الفولاذية، بما فيها شبكة

الانابيب والوُصلات، فتباع من معامل التعدين.

هذا ما كان يجري منذ نحو ١٥ سنة، اما اليوم فصارت مباني المعمل محاطة بمواقف سيارات مكسوّة بالاعشاب. غير ان "قلب" المفاعل لا يزال "ساخناً"، حتى وان ارتديت ثياباً واقية كلياً فانك لا تستطيع ان تفتح تماما باب المبنى الحاوي "القلب" والتجول في داخله، بل عليك ان تلجه من خلال فتحة أمان قطرها ١٤٠ سنتيمتراً ومحكمة السد من جهتي العالم الخارجي والمبنى المركزي بوساطة ابواب ثقيلة تشبه القناطر.

عندما تصير في داخل المبنى تتسلق خمس مجموعات من الادراج المصنوعة من الاسمنت لتبلغ مستوى قريباً من قِمّة القُبّة. هناك يشرح لك لوشهورن الطريقة المحتملة لتفكيك المبنى المركزي طبقة إثر طبقة، وصولا الى الاسفل حيث "القلب" المطلوب تفكيكه ايضاً. وهو يرى ان "معظم هذا العمل يجب ان تقوم به ربوطات يديرها من بعد عاملون ميكانيكيون يحجبهم جيداً عن الاشعاع مركز عمل محصّن."

"نوبل" و"نيس" هما شركتان من المانيا الغربية متخصصتان بالهندسة النووية، وسوف يُناط بهما تفكيك المبنى المركزي ومحتوياته. وفي مركز ادارة شركة "نوبل" في وورزبورغ، بنى المهندسون نموذجا بالحجم الطبيعي لمفاعل نيدرايباخ حتى يجربوا فيه تجهيزات ربوطية معقّدة. ويتعين على هذه الربوطات ان تكون قادرة على انجاز مَهمّات دقيقة تقتضي مهارة يدوية، مثل الحفر بالمعول واستخدام ادوات لقَطْع تركيبات فولاذية متينة جدا ورَفْع كتل من المواد المشعة تزن عدة اطنان ثم وضعها في حاويات واقية، من دون ان تفقد السيطرة على هذه الكتل الخطِرة.

والخيار الثاني لتوقيف معمل نووي عن الخدمة، هو "الطمر". فبعد نقل عناصر الوقود المشع "يُوضّب" المفاعل داخل اطنان من الاسمنت الطري لاحتواء الإشعاع ودفن البقايا الخطرة الى الابد. اتبع هذا الاسلوب في تشرنوبيل عندما انصهرت عناصر الوقود النووي في كتلة "متّقِدة حمراء" وانفجر "قلب" المفاعل في ابريل (نيسان) ١٩٨٧.

غير ان تشرنوبيل تظل حالا قصوى. واليوم تخلى العلماء عن كل هذه التقنية بعدما تيقّنوا ان عدة عناصر مشعّة في "قلب" المفاعل قد تصمد في الزمن اكثر من الاسمنت الذي يغلّفها، فتهدد حينئذ بإشعاعها علماء الآثار الذين سينقّبون في هذه الخرائب حتى بعد مرور الفي سنة على "طمرها".

اما الخيار الثالث لتحييد مرفق نووي فهو "تفكيكه" الكامل والفوري - اي خلال العقد الاول بعد وقف العمل فيه - حتى لا يترك عادة مكانه الا ما يسميه المهندسون النوويون "مرجا اخضر." واكبر تجربة حصلت هي تفكيك معمل شيبينغبور في العام ١٩٨٤، وهو اول مفاعِل نووي تجاري في الولايات المتحدة شيّد اساسا لتوليد الكهرباء. فعندما بوشر به في العام ١٩٥٧ اشترطت الحكومة الامريكية، قبل استصدار مرسوم بذلك، ان تعود الارض التي بني عليها الى

سلامتها الاصلية وخلوها من الشعاع النووي في العام ١٩٩٤. ولذلك عندما اوقف العمل في المفاعل في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣ لم يكن امام المهندسين افضل من خيار "التفكيك" الكامل والفوري.

المهمة الصعبة – ان "تفكيك" مفاعل نووي ومساواته بالارض الخضراء يمكن ان يكونا انجازاً صعباً للغاية لسببين: ارتفاع مستوى الاشعاع وصعوبة التخلص من المعدّات البالية. ويشرح اندريه كريغو، المولج بـ"التفكيك" في "لجنة الطاقة الذرية" في فرنسا، هذه الصعوبة بالقول: "إن معظم الدول الاوروبية ستعاني قصر المسافة النسبي بين المعمل النووي ومقلب نفاياته". غير ان الولايات المتحدة، بأبعادها القارِّيَّة، وجدت الحل بإبعاد مقبرة نفايات مفاعِل شيبينغبور الى مكان قصي في هانفورد، بولاية واشنطن على المحيط الهادىء. وهنا، على النفايات النووية ان تجتاز اكثر من ٧٠٠٠ كيلومتر عبر سبع ولايات على الاقل قبل أن تعود الى منطلقها.

وقرر مهندسو شيبينغبور ان ينزعوا انبوب الضغط الرئيسي الضخم والكثير الاشعاع بكامله وينقلوه الى ولاية واشنطن عبر برج عابر للمحيطات. ويتألف هذا الانبوب من اسطوانة يبلغ طولها حوالى عشرة امتار واتساعها ثلاثة، محاطة بترس نوتروني تفوق سماكته المتر وهو مملوء ماء. وهذه المياه المشعة ستُصَرَّف وتعالج بسلسلة من العمليات المتعاقبة حتى تتخلّص من إشعاعها، وتوضع في مكانها مادة شبيهة بالاسمنت.

بعد ذلك يتعين على فريق المهندسين ان يبنوا برجاً فوق الانبوب يضم ونشاً ضخماً. وفي منتصف السنة ١٩٨٩ سوف يرفع الونش الانبوبَ من مقرّه ويضعه فوق مركبة بطيئة تحبو به فوق طرق انشئت خصيصا لها حتى تصل الى البرج العابر المحيطات والراسي في نهر اوهايو المجاور. وينتقل البرج من نهر اوهايو الى نهر المسيسيبي فالى خليج المكسيك، ثم يتجه جنوباً حتى قناة باناما فيجتازها الى المحيط الهادىء حيث يبحر شمالا بمحاذاة الشاطىء الغربي للولايات المتحدة بلوغا الى ولاية واشنطن في اقصى الشمال الغربي، وهناك يدخل نهر كولومبيا ويصعّد في اتجاه عاليته حتى يبلغ المكان المقصود قرب هانفورد. هنا تغادر المركبة سطح البرج الى طرق خاصة تقودها الى "مقبرة" النفايات على عمق عشرة امتار من مستوى السطح حيث تُطمر ويحوّلها الانحلال الطبيعي البطيء مواد تفقد قوة ضررها الاشعاعي. وتبلغ المسافة الكاملة لهذه الرحلة الغريبة حوالى ١٤٠٠٠ كيلومترا!

مشكلة جديدة – مع ان "تفكيك" المعامل النووية التجارية بدأ منذ ثلاث سنوات فقد واجه العلماء مشكلة جديدة: اين توضع الاطنان المتنامية من الادوات والمعدات والقطع المشعة؟ فحتى العام ١٩٨٣ كان هناك قرار دولي يمنع طمرها في البحر.

هذا المنع اضفى صدارة على مقابر

النفايات البريَّة. وعلى سبيل المثال، اجبر ضغطُ الرأي العام في اسوج الحكومة على وضع نفاياتها النووية الخفيفة والمتوسطة الإشعاع في اقبية تحت الارض حُفرت في الصخور الغرانيتية على عمقِ ٥٠ متراً تحت سطح بحر البلطيق. وستدفن نفايات نيدرايباخ في منجم حديد مهجور في شمال المانيا الاتحادية. وفي فرنسا تضغط النفايات النووية وتــوَضَّب في الاسمنت وتطمــر في مستودعات محصنة بالاسمنت الكثيف ومغطاة بامتار من التراب. اما في بريطانيا فالنفايات ذات المستــوى الاشعاعي المتوسط تُخزن في سَيْلوات تبلغ ثخانة جدرانها ١٨٠ سنتيمترا. ومع ذلك يتعين مراقبة اماكن دفن النفايات النووية بشكل مستمر وفعال حتى يزول خطر تسرُّب الإشعاع منها ويتيقن العلماء من خلوها من الاشعاع - بعد مئات السنين على الارجح.

وينطبق هذا الامر على النفايات العالية الإشعاع التي تتأتى خصوصاً من "قلب" المفاعل النووي ويمكن ان تظل مئات السنين مصدرا كامناً للاشعة المهلكة. ومعظمها يُخزَّن الآن في منشآت نووية عاملة حيث تمكن مراقبتها في كل برهة. اما مآلها الاخير فسيكون على الارجح مغاور عميقة في الغرانيت او سدوداً من الملح او مناجم بعيدة من المراكز المأهولة. ولكن اين يجب ان تقع هذه الاماكن؟ يعلق كريغو على ذلك بقوله: "الى الآن لم يُتَّخذ قرار نهائي حول الموضوع."

اخيراً، مَن يدفع نفقات الرقابة وحفظ المعمل النووي مصوناً؟

وماذا حول كلفة "تفكيك" معمل نووي صغير الحجم الى متوسطه التي تراوح بين ٥٠ مليون دولار و١٥٠ مليوناً؟

ومن يتدبر امر الفواتير الضخمة لتوضيب النفايات الذرية وشحنها بحرا وخزنها ومراقبتها؟

يقدِّر الخبراء ان هَذه المصاريف قد تترجح، تبعا لمكان المعمل النووي، من ١٠ في المئة من كلفته الاساسية، حتى ٣٠ في المئة منها على الاقل. على ان هذه التكاليف المقدَّرة قد ضُمِّنَتْ في فواتير الكهرباء التي ينتجها المعمل. وهذا يعني ان المستهلك هو في نهاية المطاف مَن سيدفع كلفة "التفكيك".

وفيما تكتنف الصعوبات الصناعة النووية يظل ابرز مشاكلها السؤالُ عن مصير المفاعلات النووية. يقول كريغو: "آجلا ام عاجلا لا بد من "تفكيك" المرافق النووية وتسويتها بـ"المرج الاخضر". نعم، هناك مخاطر في معالجة كل معمل على حدة، لكننا نملك الخبرة التقنية لانجاز هذا العمل. وما دامت توافرت اماكن لطمر النفايات النووية، فلا ارى سبباً يحول دون تخلُّصنا من المعامل النووية القديمة والعديمة النفع، بشكل امين وفعّال."

ستانلي ول. انغلبارت ■



وصف صبياني للاحلام: شريط الوسادة السينمائي.

ل.س.

حكايات من العالم

خريطة استوكهولم

احدى كبرى الخرائط الجدارية في العالم موجودة في محطة المترو المركزية في استوكهولم بأسوج (السويد). فهي مجهزة بـ١٨٠ زراً وبكتلة من الانوار والنصوص البالغة الصغر في أربع لغات، كي يتمكن الزائر من معرفة أقصر الطرق الى الاماكن المهمة في العاصمة وضواحيها. وعلى الخريطة فهرس أبجدي بأسماء ١٩٠٠ شارع. والخريطة ملونة يبلغ عرضها ٤٢٠ سنتيمتراً وارتفاعها ١٥٠.

وكالة "فرانس برس"

مملكة الهادىء

تونغا هي المملكة الاخيرة والاكثر قدماً في جزر بولينيزيا في المحيط الهادىء. وهي المنطقة الحضارية الوحيدة هناك التي لم تخضع للحكم الاجنبي. ولسكان تونغا تاريخ عريق، وكثيرون منهم يحفظون أسماء ٣٩ جيلا من أسلافهم يرجع نسبهم الى الـ"توي تونغا" أي الملك الاول الذي عاش في النصف الثاني من القرن العاشر.

د.س.

محاكم الهند

انتهت في بوني بالهند، في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٦٦، أطول دعوى قضائية ظلت بين أخذ ورد ٧٦١ سنة. وهذه الدعوى، التي يذكرها كتاب "غينيس" للارقام القياسية، فُصل فيها عندما تلقى الصاحب باتلوجي ثورات حكماً لمصلحته في القضية التي رفعها أحد أسلافه مالوجي ثورات في العام ١٢٠٥. وكانت نقاط الخلاف في الدعوى تتعلق بحق ترؤس بعض الوظائف العامة وبحق التصدر والتقدم على الآخرين في الاحتفالات التقليدية.

صحيفة "هندستان تايمس"، نيودلهي

الجوز للزواج!

تمثّل في فكرك جزيرة جاوا في اندونيسيا فتتبادر الى ذهنك صور القهوة الغنية والتوابل وعلماء الآثار. أما سكان جاوا فلديهم أمور أكثر الحاحاً تستأثر باهتمامهم، منها بساتين جوز الهند في منطقة سيرنغ غرب الجزيرة، المهددة بالابادة نظراً الى النمو المتعاظم بين سكانها.

لذلك أصدرت سلطات مدينة كرامات واتو قانوناً يوجب على كل خطيبين يرغبان في الزواج أن يغرسا شجرتي جوز هند على الاقل. أما الزواج مرة ثانية فيقتضي غرس ثلاث شجرات. وفي حال الخلاف يقضي القانوني بغرس خمس شجرات يتم بعدها الطلاق ببساطة.

هـ.ك.



رقصة الموت
مع دبٍّ قطبيّ

طبيب اسوجي كان في لبنان
يعالج عالمين في القطب حاول افتراسهما دب جائع

كانت شمس القطب الشمالي عالية عندما نزل جورج فيسر وبايت اوسترفيلد عن سريريهما في كوخ كيونست بمركز بحوث كاب لي. كانا البشريين الوحيدين في جزيرة ادجيا البالغة مساحتها خمسة آلاف كيلومتر مربع والواقعة في ارخبيل سبتسبرجن في منتصف الطريق بين النروج والقطب الشمالي. ثلث الجزيرة يرقد طوال السنة تحت غطاء سميك من الجليد. اما مركز البحوث الواقع على الشاطىء الغربي فحرارة الصيف ترتفع فيه احيانا، نتيجة التأثير اللطيف للتيار الساخن الى عشر درجات مئوية داعمة التنوع المدهش للحياة النباتية.

بينما كان جورج يعد القهوة صباح ذلك الاحد الموافق السادس سبتمبر (ايلول) ١٩٨٧، تطلّع الى الخارج من احدى نافذتي الكوخ المواجهتين للشاطىء، فرأى طيف اوسترفيلد الناحل وهو يجمع خشباً عائماً مع التيار عن كنس رمل منجليّ الشكل. ويتألق خلفه المحيط الخالي للقطب الشمالي كاللجين ممتداً حتى الافق. استغرق في التأمل سائلا نفسه: "انه حقا جميل، ولكن ماذا افعل انا هنا؟"

افتك الحيوانات - لبّى جورج دعوة زميله العالم الاحيائي اوسترفيلد لقضاء



Illustration: William Hosner

ستة اسابيع في جزيرة ادجيا بغية دراسة عادات الايائل في المراعي. ويطيب لجورج ان يقول: "كان بايت، وهو في الثانية والاربعين، خبيراً بعمله في القطب الشمالي، عنيفاً، قاسياً، ناحلاً، اعزب. انه رجل مثالي من اجل القطب."

كان مركز البحوث في كاب لي "طفله المدلل،" ساعد في انشائه في العام ١٩٦٨ لمراقبة تناقص عدد دببة القطب. وبفضل جهود بايت وعلماء آخرين عقد في العام ١٩٧٣ اتفاق دولي (*) حرَّم صيد الحيوانات الثديية البيضاء الكبيرة وحفظها من الانقراض.

اما جورج فكان، من جهة اخرى، منبسطاً، محبا للعِشرة والمرح و... للشمس. ومع ذلك فقد قطع عهداً على نفسه بأن يصرف وقت العطلة في عمل شاق يدر عليه مالا وبان يقتطع جزءاً مما يوفره للانضمام الى بايت الذي عرفه من طريق المهنة قبل عشرين عاماً.

يقع عيد مولد جورج الخمسيني بعد اربعة ايام فقط، وقد اعد ترتيبات للاحتفال به مع زوجته انيغريات وولديه الراشدين في جزيرة ترشيلنغ الهولندية. خلال ثلاثة ايام يصل مركب البحوث الهولندي م.س. بلانسيوس الى جزيرة ادجيا ليعبر به مع بايت الى تروسو في النروج ومن هناك يعودان جواً الى هولندا. كان من الصعب على جورج ان ينتظر.

قبل ان يغادر هولندا سأل اصدقاءه عما يعرفونه عن دببة القطب: "هل هناك عدد كبير منها؟ هل هي خطرة؟"

وعرف من بايت انه "ربما كان هناك الآن ثلاثة آلاف دب في مقابل الف قبل عقد الاتفاق في العام ١٩٧٣. وفي الصيف يتبع معظمها كتل الجليد المستقرة بعيداً شمال جزيرة ادجيا. وهذه الدببة ليست خطرة بنوع خاص. والصحيح هو ان الدب باظلافه واسنانه ووزنه الذي يصل الى ستمئة كيلوغرام، وسرعته البالغة ستين كيلومتراً في الساعة، هو احد اشد آلات الطبيعة الفعالة الفتاكة. والدب لا يعتبر البشر طعاما الا اذا كان جائعا."

وتابع شارحا ان تخويف الدببة سهل. وفي الواقع، ان بايت الذي رفض حمل سلاح ناري، اوجد سلاحاً خاصاً بهذا الغرض، الا وهو مصباح مؤلف من مجموعة من القطع الخشبية، في اعلاه حشوة من قطن مشربة زيت غاز. قال ضاحكا: "أضيء مصباحاً ولوح به للدب ثم راقبه وهو يهرب."

رأى جورج، وهو ينطلق ذلك الصباح مع اوسترفيلد لاحصاء رؤوس الايائل وجمع عيّنات النبات في الصحراء الجليدية، انه سيشعر بامان اكثر مع السلاح الناري. بعد ذلك شاهدا جملة دببة، بينها ام وجروان، تتجول حول مركز البحوث.

جاء الدب — كانت الساعة تجاوزت السادسة زوالية عندما عاد جورج وبايت الى الكوخ. وبينما كان جورج يُعد طعام العشاء تطلع بايت الى الخارج وقال: "يا للعنة، انظر الى ذلك الدب القطبي."

كان في الخارج دب ذكر صغير ينقض على المركب المطاطي ينهشه ويقطعه

(*) وقعت الاتفاق حكومات الدانمرك وكندا والنروج والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي.

في غضب مدمر. لم يكن بالغ النمو تماما ولكنه، مع ذلك، وحش قوي. يقدر علوه حتى كتفيه بمتر اما طوله فمتر ونصف متر.

امسك بايت مصباحاً وأضاءه ثم اندفع به من الباب الوحيد في آخر الكوخ. لم يره جورج من موقعه امام نافذة المطبخ ولكنه شاهد الدب يبتعد عن القارب. وفكر جورج انه "متوجه رأسا نحو بايت."

ادرك بايت بسرعة مذهلة ان في نية الدب الفتك به. فرمى المصباح في اتجاه الدب، وغطس في الجليد حماية للباب الذي يبعد خمسة امتار فقط. لم يسبق له ان فعل ذلك من قبل. زلق على قطعة من جليد، وتمدد على ظهره. في ومضة كان الدب فوقه، الكفان الاماميتان تثبتانه ارضاً والفكان يشدان على رأسه كملزمة، فكر بايت: "هكذا تقتل دببة القطب الفقمات."

من الغريب انه لم يشعر بألم، ولكنه سمع اسنان الدب تنغرز في جمجمته وصوت المزق يخترق جلدة رأسه. صرخ: "جورج، انجدني، جورج، خذ مصباحاً آخر."

اندفع جورج نحو المدخل ليواجه، كما قال "افظع منظر في حياتي". الدم منثور في كل مكان وجلدة رأس بايت مدلاة مرتخية بحيث استطاع جورج رؤية العظم الابيض تحتها. اما الدب فكان يتشمم ويقبع بحنق ليجهز على بايت.

قال جورج في نفسه: لقد قضي على بايت، مات، ليس ثمة شيء استطيع ان افعله من اجله. لا تكن مجنونا. ادخل واقفل الباب. لكن صوتاً آخر قال له: "حاول، حاول فقط."

لا يزال المصباحان داخل باب الكوخ، فامسك جورج احدهما وأضاءه ووخز به انف الدب وفاه. فانطفأ المصباح بسرعة. فاضاء الثاني ووضعه على رقبة الدب وسمع أزيز الشعر المحترق وشم رائحته لكن الدب تابع مضغ ما قضمه من جمجمة بايت بهدوء.

صرخ جورج، وهو يحاول ان يجر الدب ويبعده عن بايت بيديه العاريتين: "اتركه ايها الملعون." فالتفت اليه الدب ورمى بايت ثم رفع قائمتيه الاماميتين واندفع نحوه فعضه اولا في كتفه اليمنى ثم في اليسرى. اما بايت فتحرر وزحف الى باب الكوخ والامان.

للحظات قليلة وجد جورج نفسه يرقص رقصة الموت مع دب فائر الدم مرتفع فوقه. كان خطم الدب وانفه مخضبين بالدم، وقد شطب جورج بمخالبه مقلّما صدره وردفيه. تساءل جورج: أهذه هي النهاية؟ وداعا يا انيغريات، كانت حياتنا ممتعة معاً. وفجأة وجد جورج نفسه، من غير ان يدري، الى جانب بايت في مدخل الكوخ. فتهادى الرجلان الى الداخل واغلقا الباب واقفلاه جيداً بمسمار لولبي.

سقط بايت على الارض فاقداً الشعور. وكانت جروحه تؤلمه الى درجة ظن جورج ان رفيقه سيموت. فاخرج للحال ادوات الاسعاف الاولي الموجودة في الكوخ وتفحص محتوياتها الضئيلة: لفة من الشاش الرقيق، شريط لاصق، كحول مُطهرة. لا مخدرات ولا مضادات للجراثيم. عصب رأس بايت بلطف واعاد جلدة الرأس الى موضعها بمقدار ما امكن من

الدقة. ثم سكب قارورة الكحول كلها على الضمادة وحمل بايت الى سريره وغطاه بملاءة.

بعد ذلك تسنى له ان يتفحص جروحه هو. كانت العضات في ذراعيه عميقة بحيث تعرت كتفاه. تمالك نفسه وغسل جروحه بالصابون، ثم انهار على كرسي وحاول ان يفكر.

النجدة، النجدة – كان هذا يوم احد، ولا يتوقع وصول مركب النجاة الا بعد ظهر الاربعاء. فكر جورج: اننا الآن نحتاج الى نجدة. لكن مركز البحوث لا يملك جهازاً لاسلكياً ذا موجة قصيرة بل لديه جهاز التقاط وارسال (ووكي - توكي) يصل مداه الى خمسة عشر كيلومتراً. في اي حال، جربه جورج مراراً وتكراراً: "الى كل البواخر! الى كل البواخر! حادث طارىء! حادث طارىء!" فلم يظفر باي جواب. وعلى امل ان يجذب اهتمام مركب او طائرة ما اطلق لهبتين عبر انبوب تجديد الهواء الموجود في سقف الكوخ. فلم يلفت ذلك نظر احد.

في اثناء ذلك، تكوّم بايت على ذاته فاقداً الوعي، محموماً، متألما من الصدمة ومن النزف. ومن حين الى آخر كان يطلب ماء ويسأل عن الدب: "ماذا يعمل؟ الا يزال هناك؟" حقا كان هناك. اما جورج فكان يسمع الحيوان في الخارج يقضم عظام حوت وايّل مسن. كان صوت القضم يبعث ارتعاشا في عموده الفقري.

خشي جورج ان يطبخ لان الرائحة تجذب انتباه الدب، وخشي ايضاً ان ينام فقضى ساعة مؤلمة اثر ساعة يأكل كعكاً ناشفاً ويرشف شاياً بارداً ويرسل نداءات استغاثة يائسة. تلك الليلة سمع صوت خدش. دار في الكوخ فرأى الدب عند نافذة المطبخ، يضغط الزجاج بخطمه وبراثنه الامامية، محدقاً الى جورج. اما هذا فظنه كأنه يقول: "استطيع الدخول في اي وقت اشاء." اخيراً تراجع الدب وسار بعيداً.

ليلة الثلثاء سمع جورج اصواتا طاحنة من تحت الكوخ. قال في نفسه: آه، لا، سيقتحم الدب الكوخ من تحت. انها كانت هبات ريح تهز الكوخ اما بالنسبة الى جورج الذي كان مرتعباً جداً فاصغر صوت كان يبدو له امراً هائلا.

وسام الشجاعة – في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين زوالية من يوم الاربعاء الموافق ٩ سبتمبر (ايلول) دخل المركب م.س. بلانسيوس خلسة الى خليج مركز كاب لي والقى مرساته. وكان على متنه ستة ركاب تجمعوا بمحاذاة الدرابزون ينتظرون القارب الصغير الذي سينقلهم الى الشاطىء. اما القبطان البرتوس ده وورد فانعم النظر في المركز من خلال منظاره وهو واقف في غرفته في المركب الذي يبلغ طوله ستة واربعين متراً. قال: "انه لامر غريب، ليس ثمة اشارة الى حياة هناك."

بعد ذلك، سمع من لاسلكي المركب طقطقة وصوت جورج فيسر الكئيب: "بلانسيوس، بلانسيوس، هنا كاب لي. هاجمنا دب قطبي. نحتاج الى طبيب والى مروحية تنقلنا الى المستشفى. الدب يهاجم من دون انذار. انه لا يزال في جوار

المركز. اقمت متراساً خلف الباب ولن افتحه حتى يذهب الدب او يموت."

استدعى ده وورد في الحال فريق التفريغ في المركب، واتصل لاسلكيا بشرطة لونجياربايين (١٠٠٠ نسمة) العاصمة الصغيرة لسبتسبرجن، ثم راقب المنطقة بمنظاره وارسل قاربا مطاطيا مع بحارَين سرعان ما اكتشفا الدب وهو يعود على مهل الى الكوخ. وما اثار دهشتهما ان الدب بدأ يسبح نحو المركب. واذ جذبه الصوت او رائحة الطعام راح يدور دورانا متوانيا حول بلانسيوس، ثم توجه نحو الشاطىء وارتمى متراخيا على الرمل.

في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والخمسين، حلقت مروحية الحاكم فوق المنطقة مرات عدة ثم هبطت على بعد متر من الدب. قفز منها شرطي ماهر في الرماية، ومستشار في شؤون الحياة البرية، وممرضة، والطبيب تورستن نلسون وهو جرّاح اسوجي (سويدي) شاب أنهى عمله حديثاً في لبنان الممزق بالحرب.

طلقة واحدة اجهزت على الدب القطبي المعتدي. عندئذ فتح جورج فيسر باب الكوخ. قال نلسون: "للثانية ظننت انني عدت الى بيروت. هناك، في كل مكان دم ورائحة جراح متقيحة.".

في مستشفى لونجياربايين ضمّد نلسون جروح العالِمَين وحقنهما مضادات للجراثيم في الوريد، بعد حقنهما مواد ضد الكزاز والكلب، ولكن التشريح اظهر ان الدب لم يكن مسعوراً بل جائعا. يقول الدكتور نلسون: "هذان الرجلان محظوظان جداً. يروي لي الخبراء أن احداً لم ينج وهو يقاتل دباً قطبياً من دون "سلاح."

لم يمض وقت طويل حتى صدر الاعتراف الرسمي بشجاعة جورج فيسر، فبعد ثلاثة اشهر منحته الحكومة الهولندية "وسام الشرف البرونزي للانقاذ البشري،" وهو سام انشأه الملك وليم الاول.

عاد بايت وجورج الى هولندا في ١٥ سبتمبر (ايلول) لكن محنتهما لم تكن انتهت، فقد احتاج بايت الى جراحتين تجميليتين في جلدة رأسه المهلهلة. وربما احتاج الى عملية ثالثة لتجديد القناة السمعية في اذنه اليسرى. ولكن ما جرى له لم يثنه عن متابعة نشاطه. فهو في صدد التخطيط لبعثة اخرى هذه السنة الى جزيرة ادجيا.

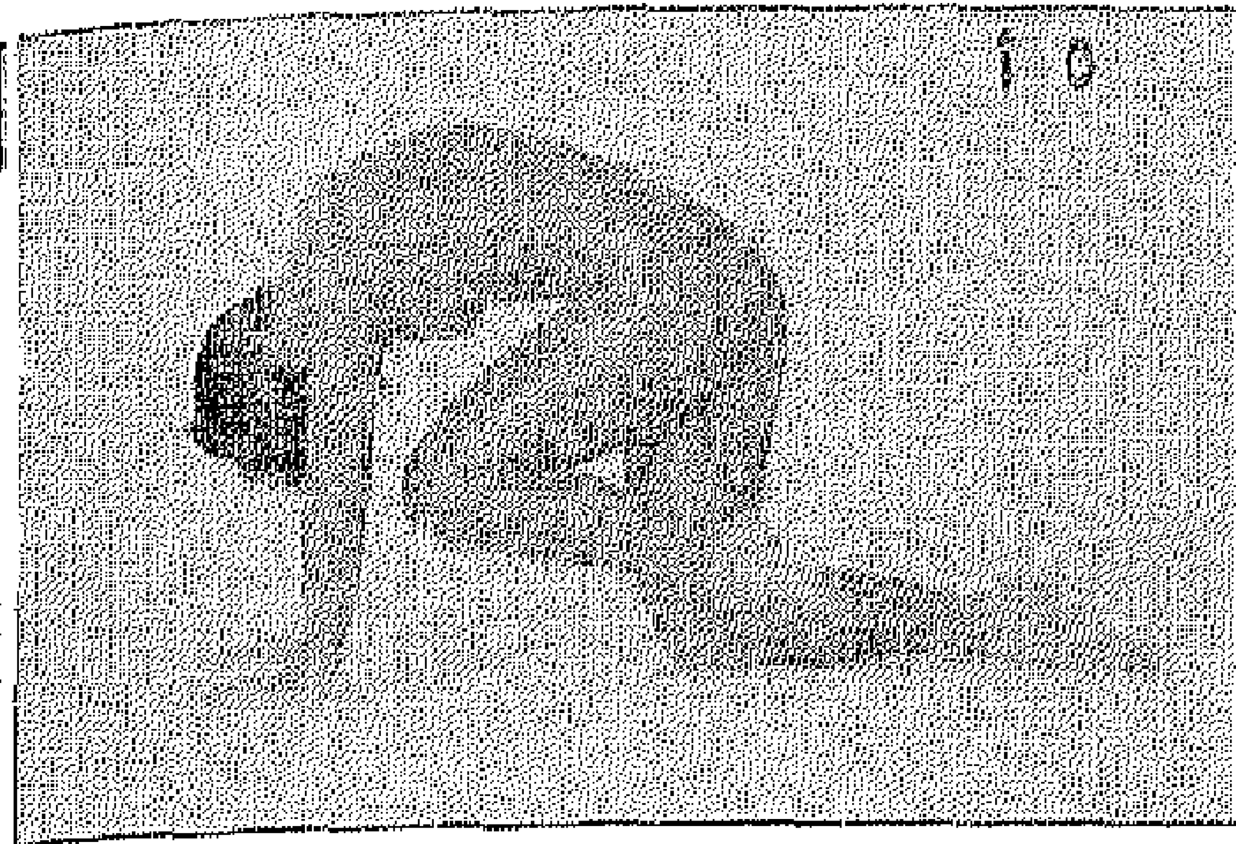
الا انه اسقط من حسابه البطل فيسر الذي لا يزال يعاني كوابيس متكررة. يقول جورج، وهو يتجول في الكثبان الهادئة في موطنه ترشيلنغ: "ادجيا، ابداً مرة ثانية."

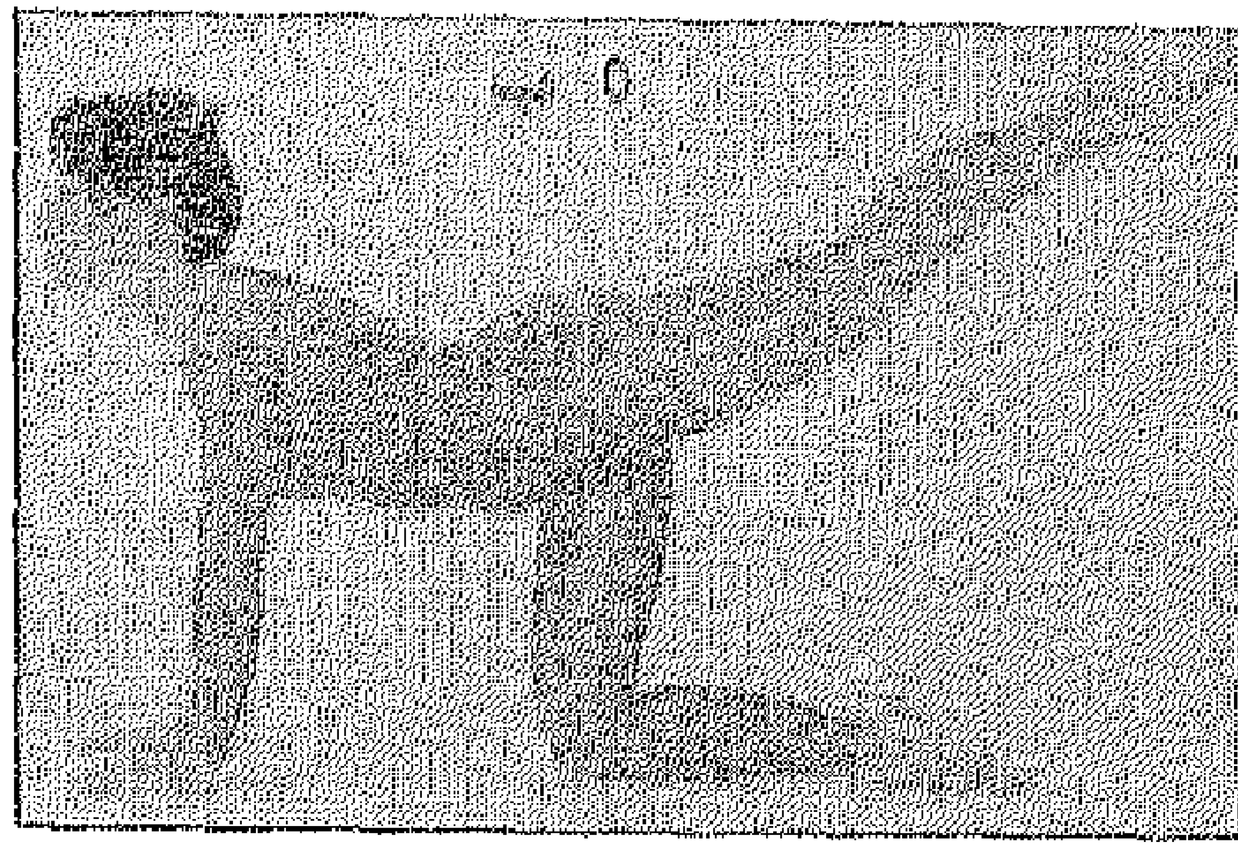
تشارلز بارمبتر ■



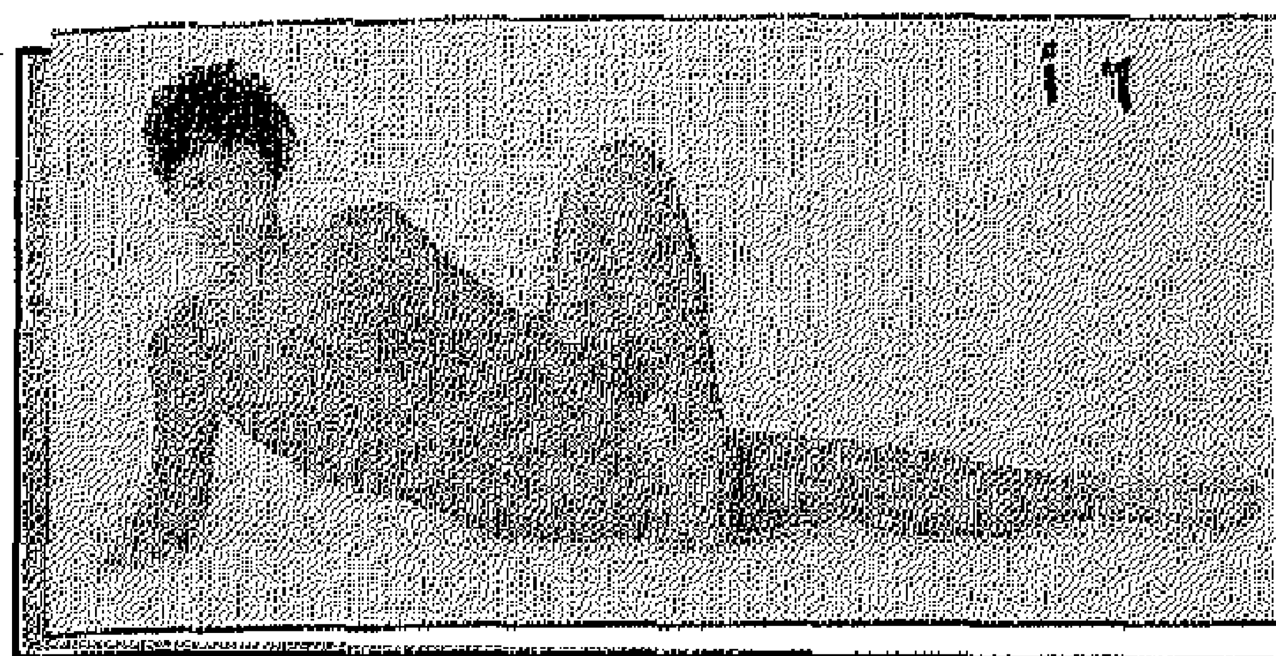
أرهب عدوّ لنا، صديق سابق يعرف نقاط ضعفنا. ف.غ.

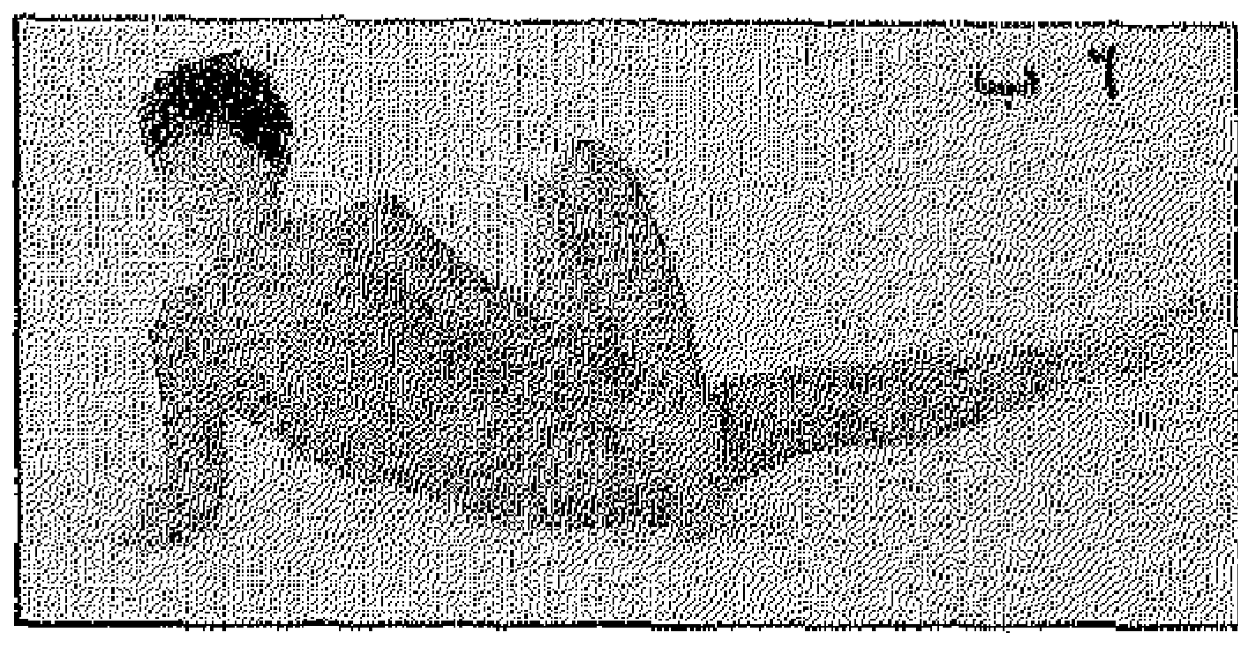
٥ دقائق يومياً .. لجسم



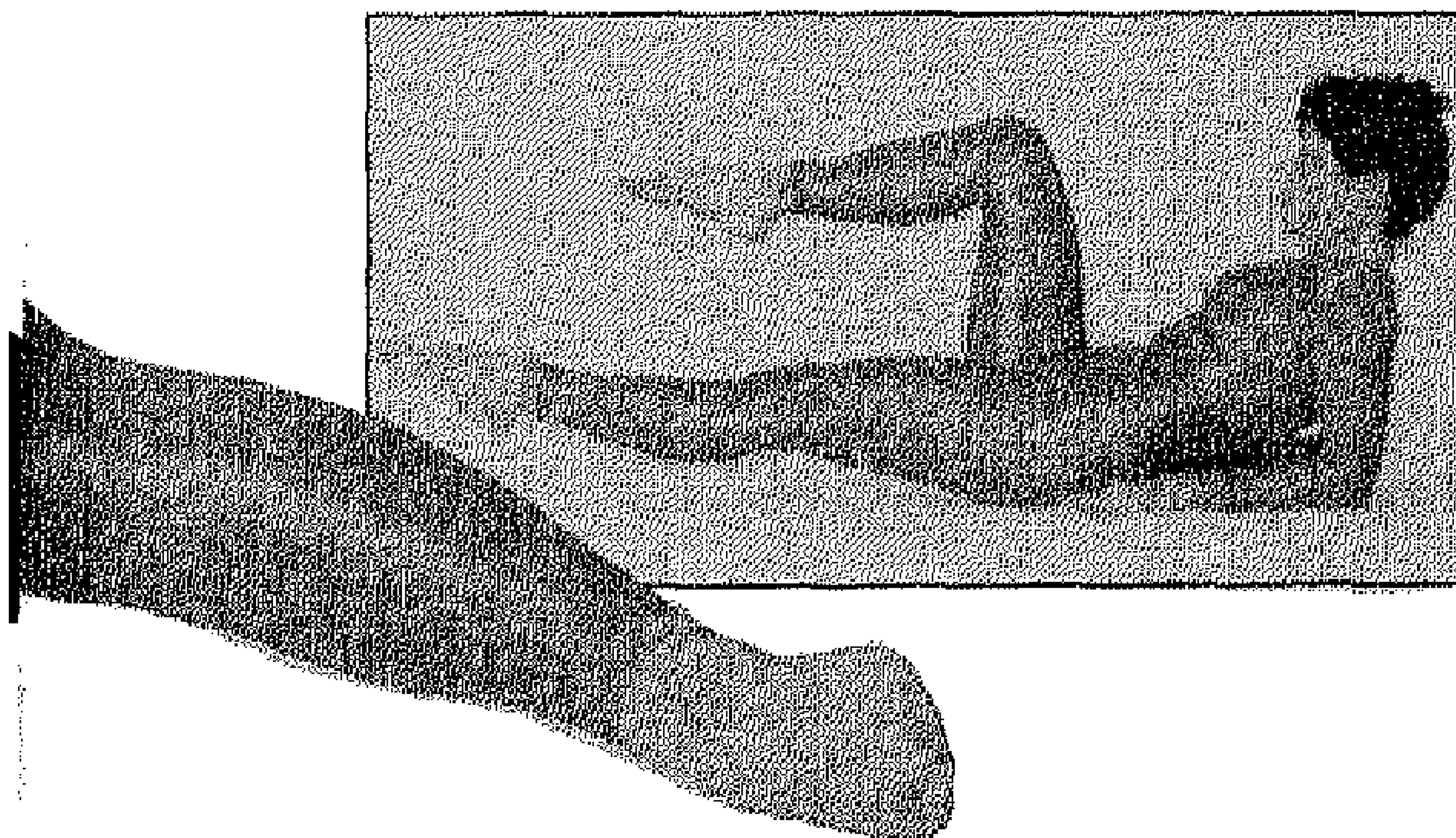


٥ . رفسة الحمار: لشد المؤخرة والفخذين ولتقوية البطن وأعلى الظهر. (أ) استندي الى يديك وركبتيك. أبقي ذراعيك مستقيمتين وادني بركبتك اليسرى الى أنفك. (ب) ارفعي رأسك فيما أنت تمطين ساقك اليسرى الى الوراء وفوق براحة ومقدار المستطاع. رجحي ساقك الى الامام نحو أنفك ثم الى الوراء ١٢ مرة. كرري التمرين بساقك اليمنى. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.





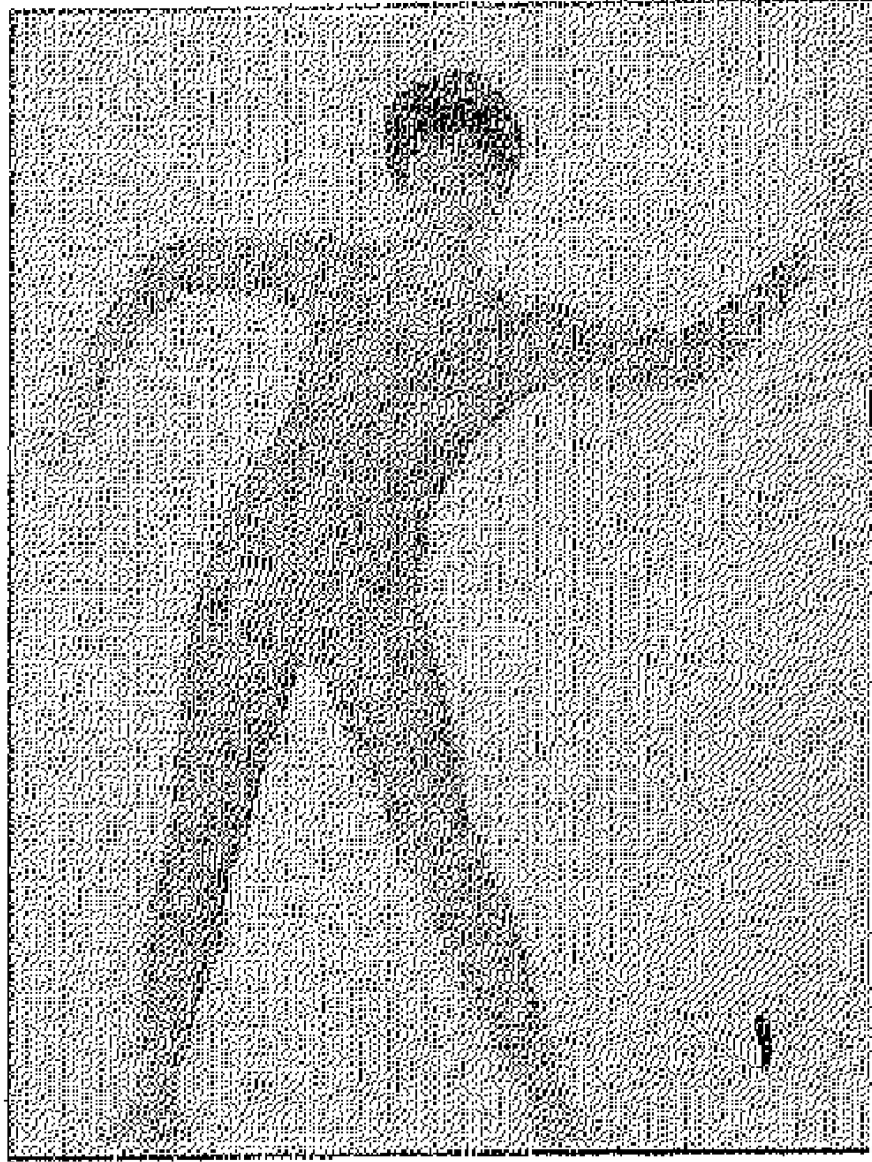
٦ . العصر: لشد الجزء الداخلي من الفخذين. (أ) استلقي على جنبك الايمن ساندة جسمك الى مرفقك الايمن. ثبتي ساقك اليسرى على الارض أمام فخذك الايمن. (ب) ارفعي الساق اليمنى ١٥ مرة. بدلي حركة الجنبين. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.



٧ . دراجة هوائية: لتنحيف الساقين وتسطيح المعدة. استلقي على ظهرك ممددة الجزء الاسفل منه على الارض وساندة جسمك الى مرفقيك. إثني إحدى ركبتيك وقربيها من صدرك. ابسطي الساق وارفعيها ١٥ سنتيمترا عن الارض ثم اجذبي ركبتك الاخرى نحو صدرك. لا تقوسي ظهرك. استمري في بسط الساقين وثنيهما وكأنك تقودين دراجة. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.

ليّن وأنيق

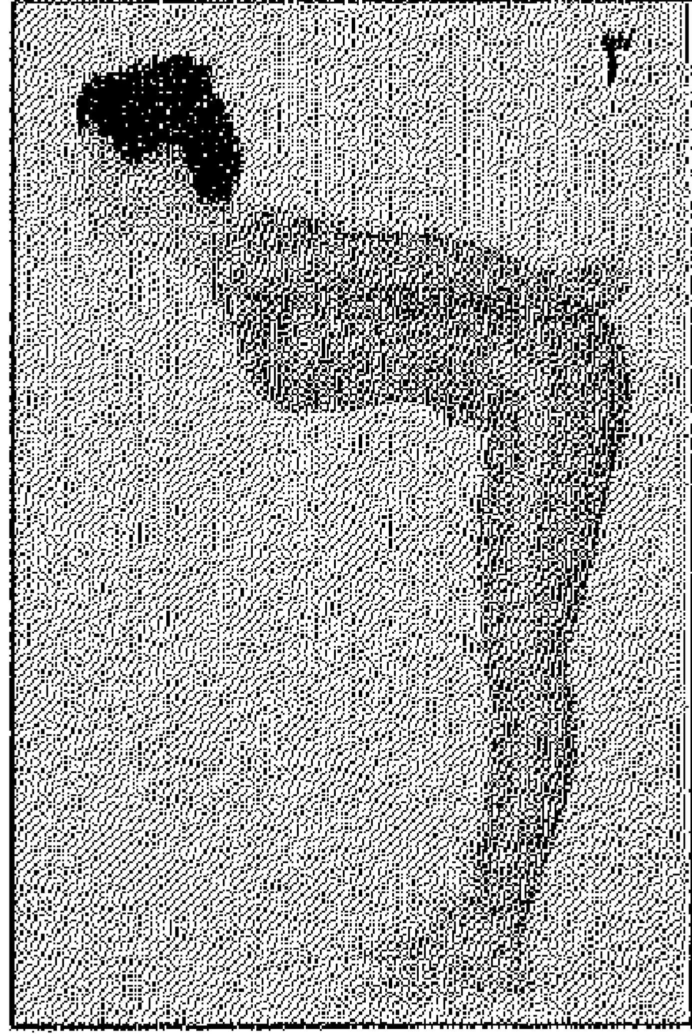
تفرغي بضع دقائق يومياً لهذه التمارين العشرة. وستشعرين بنتائجها سريعاً

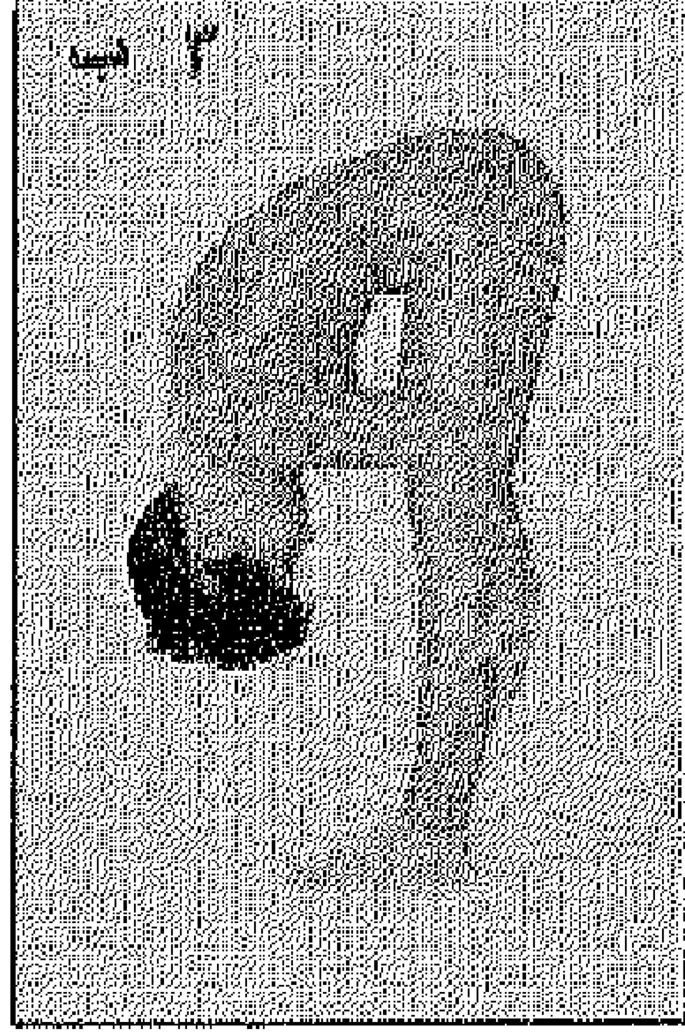


١. دمية متحركة: لتنشيط أعلى الذراعين والخصر والجزء الأوسط من جسمك قفي فاتحة قدميك وباسطة ذراعيك بمستوى الكتفين وثانية مرفقيك. أميلي جسمك الى اليسار فيما تديرين يدك اليسرى الى فوق ويدك اليمنى الى تحت. ثم انحني الى اليمين مديرة يدك اليمنى الى فوق واليسرى الى تحت. كرري هذا التمرين لمدة ٣٠ ثانية.

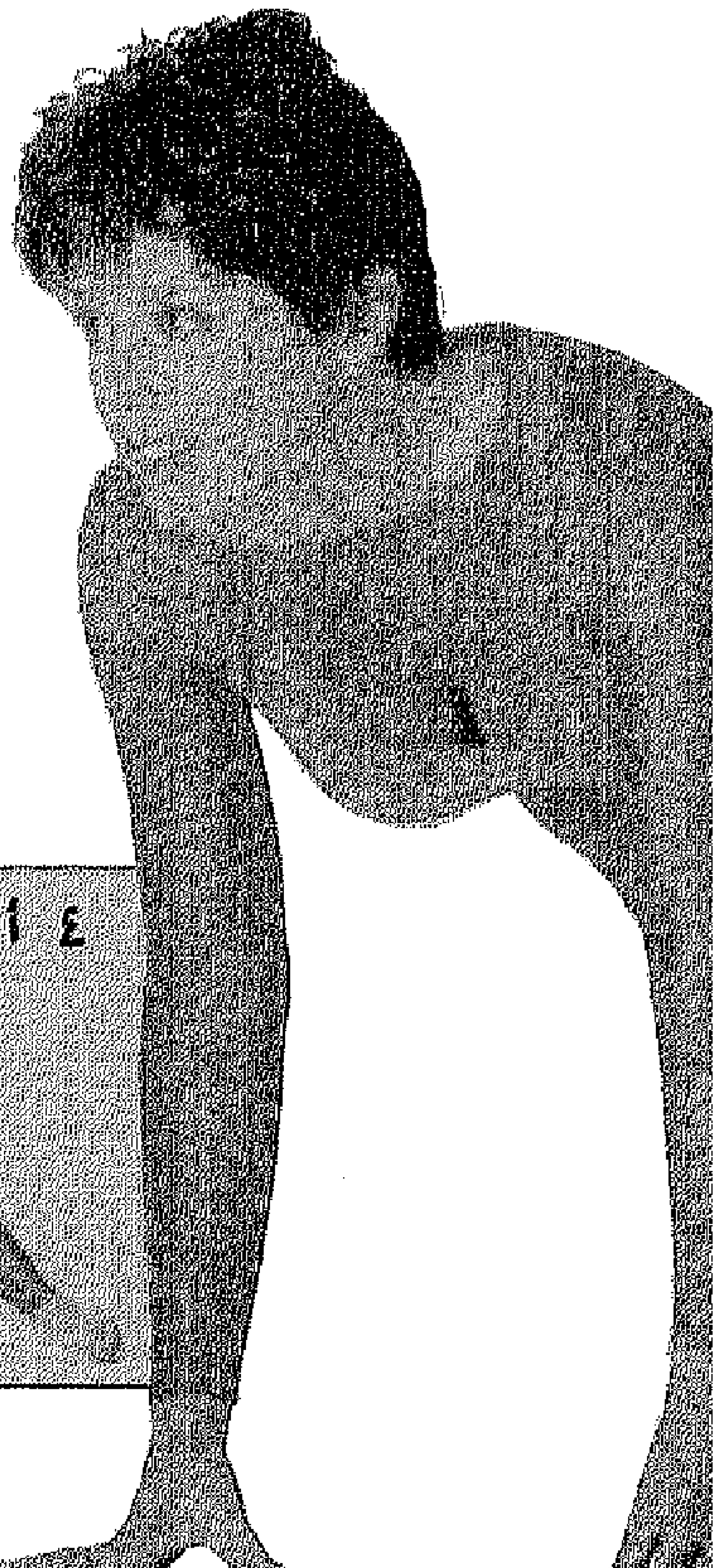


٢. ثني الركبة: لترسيخ الظهر وأعلى الساقين. ابدأي فاتحة قدميك وثانية ركبتيك قليلا. شدي عضلات معدتك وردفيك. إثني ركبتيك ببطء. إلزمي أدنى مستوى ممكن ثانيتين، ثم عودي الى وضع البداية. كرري التمرين خمس مرات. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.

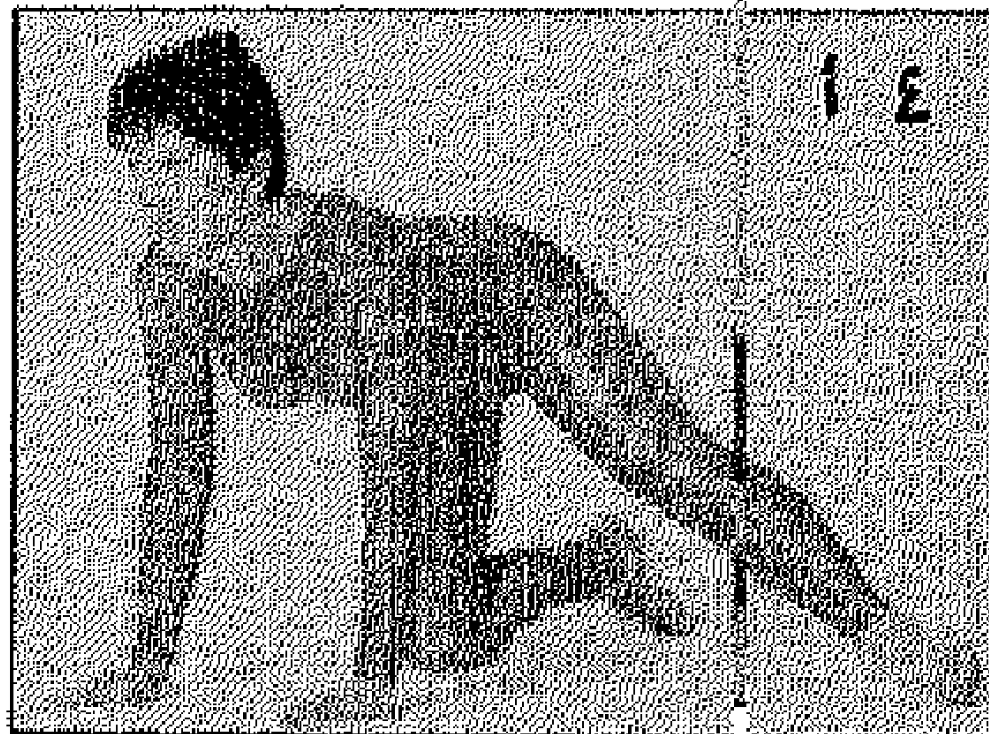




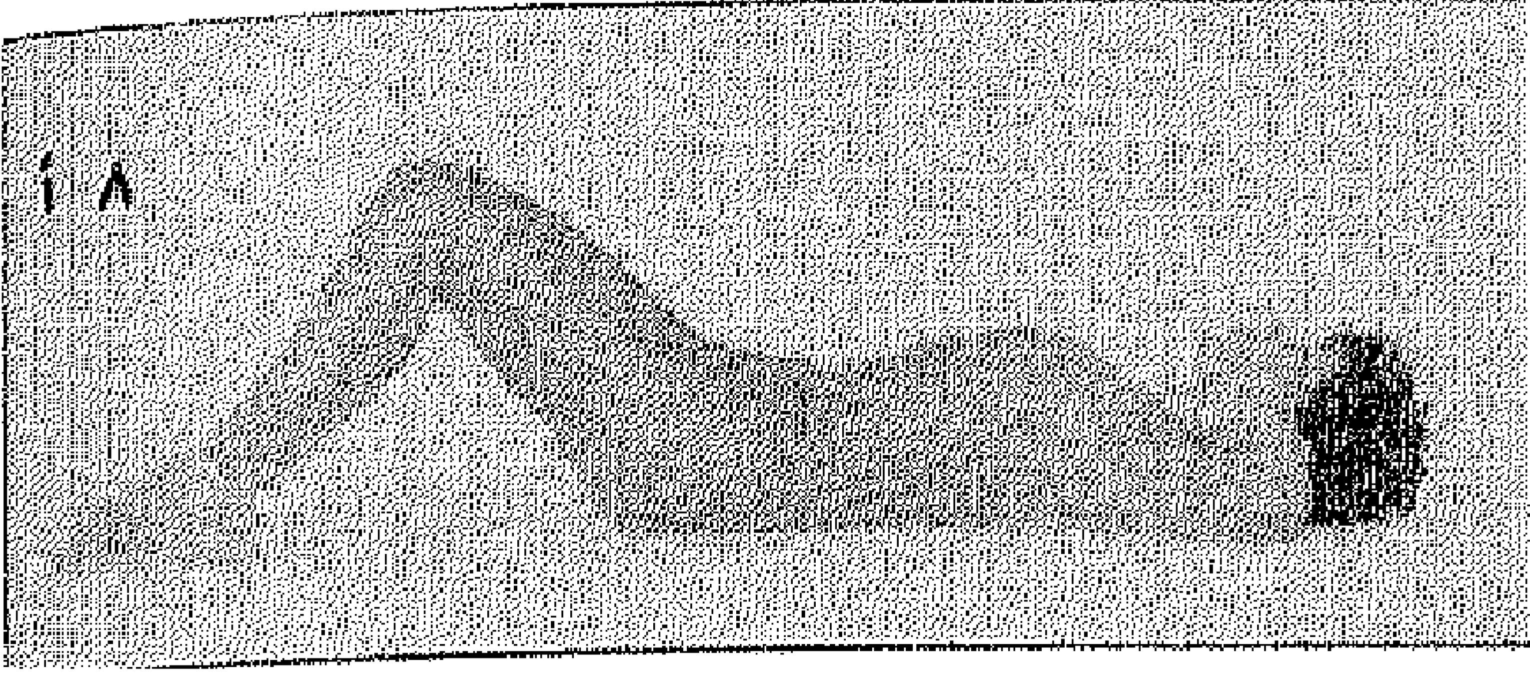
٣. إنحني واثبتي: لشد ربلتي الساقين وتعزيز الليونة. (أ) ابدأي وقدماك مفتوحتان وساقاك مستقيمتان ويداك على ردفيك. انحني الى الامام من الوركين وظهرك مستقيم. ابقي في هذا الوضع وعدي الى ١٥. (ب) إنحني أبعد الى الامام لاوية ظهرك. أمسكي مؤخر ربلتيك حافظة استقامة ساقيك ولكن من دون التمسك بركبتيك. لا تحاولي لمس الارض. الزمي هذا الوضع وعدي الى عشرة. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.

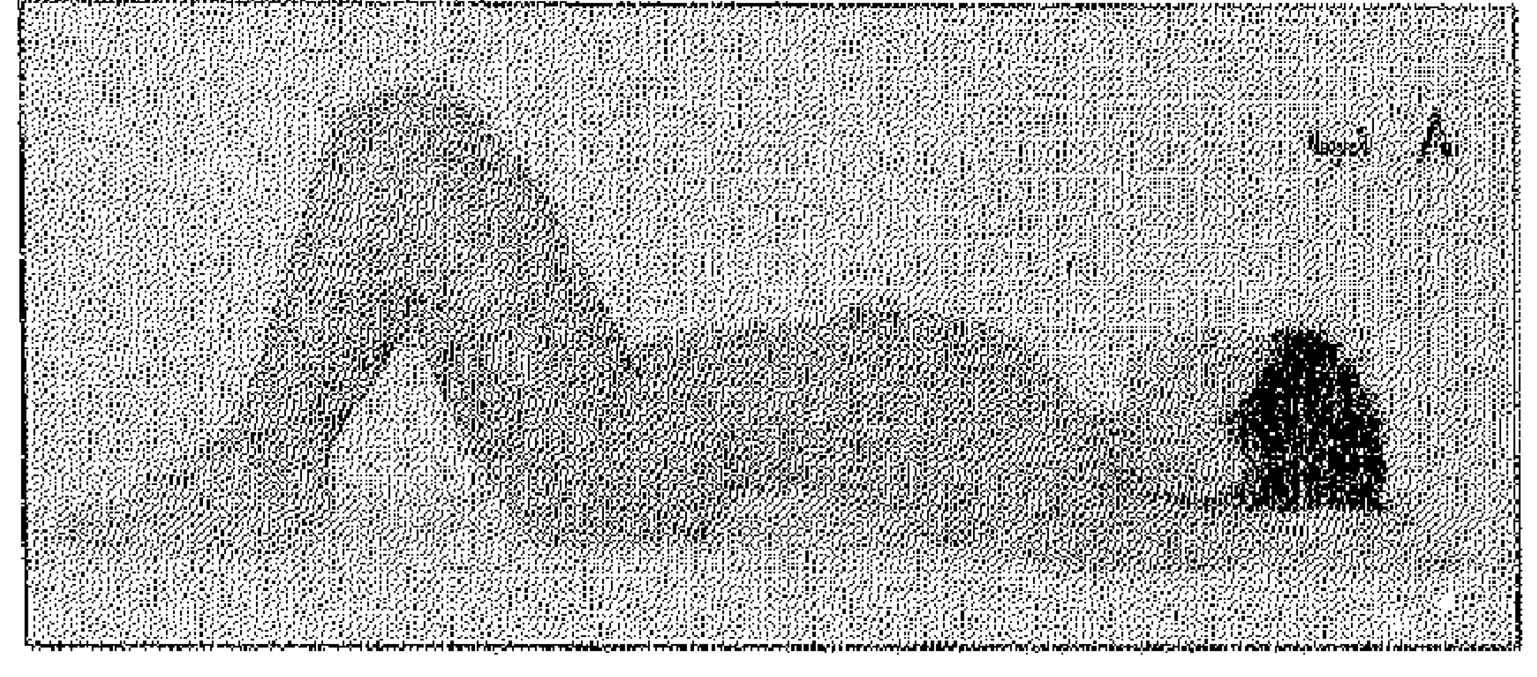


٤ ب

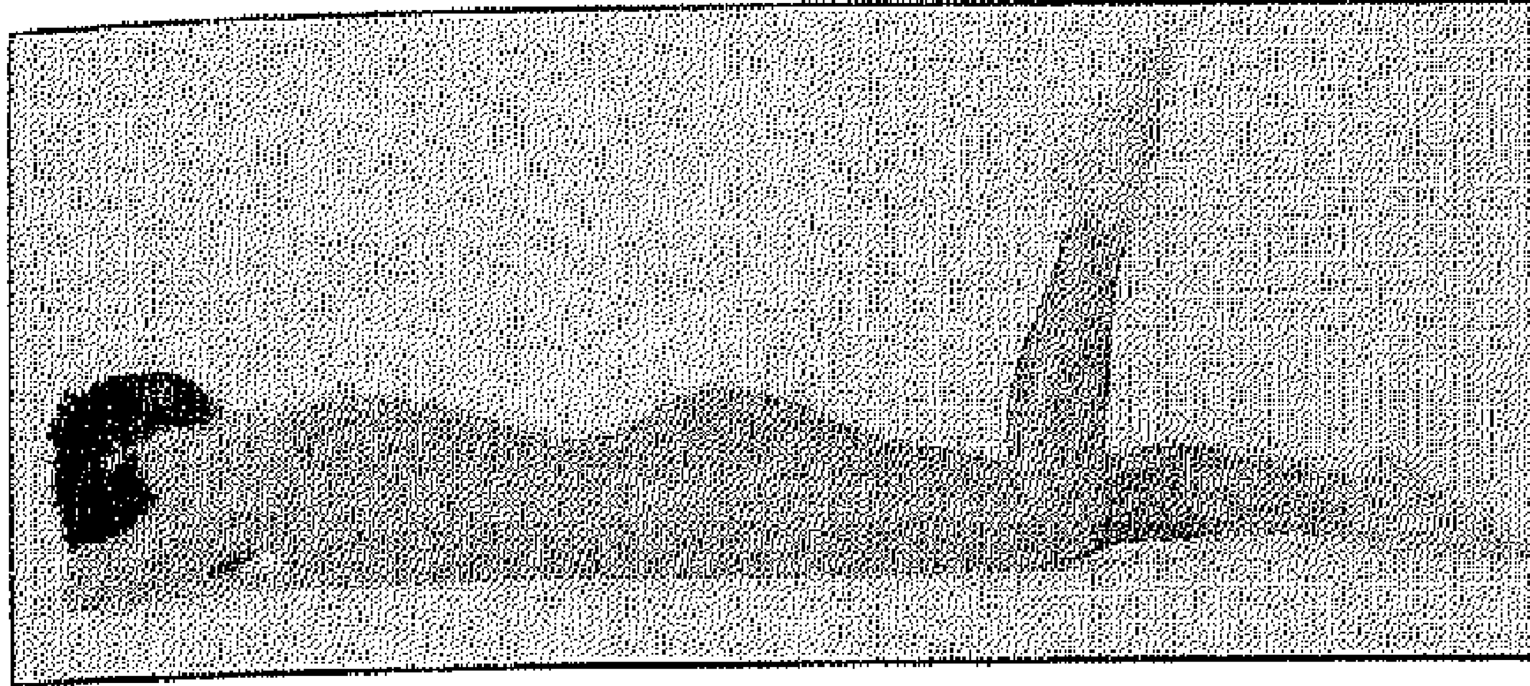


٤. ركلة جانبية: لتنحيف الوركين. (أ) ابدأي كما في الصورة مستندة الى يديك وعلى ركبة واحدة وباسطة الساق الاخرى جانبياً. (ب) إرفعي الساق الممدودة وأنزليها أربع مرات. بدلي الحركة وارفعي الساق الاخرى. أعيدي التمرين مرتين. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.

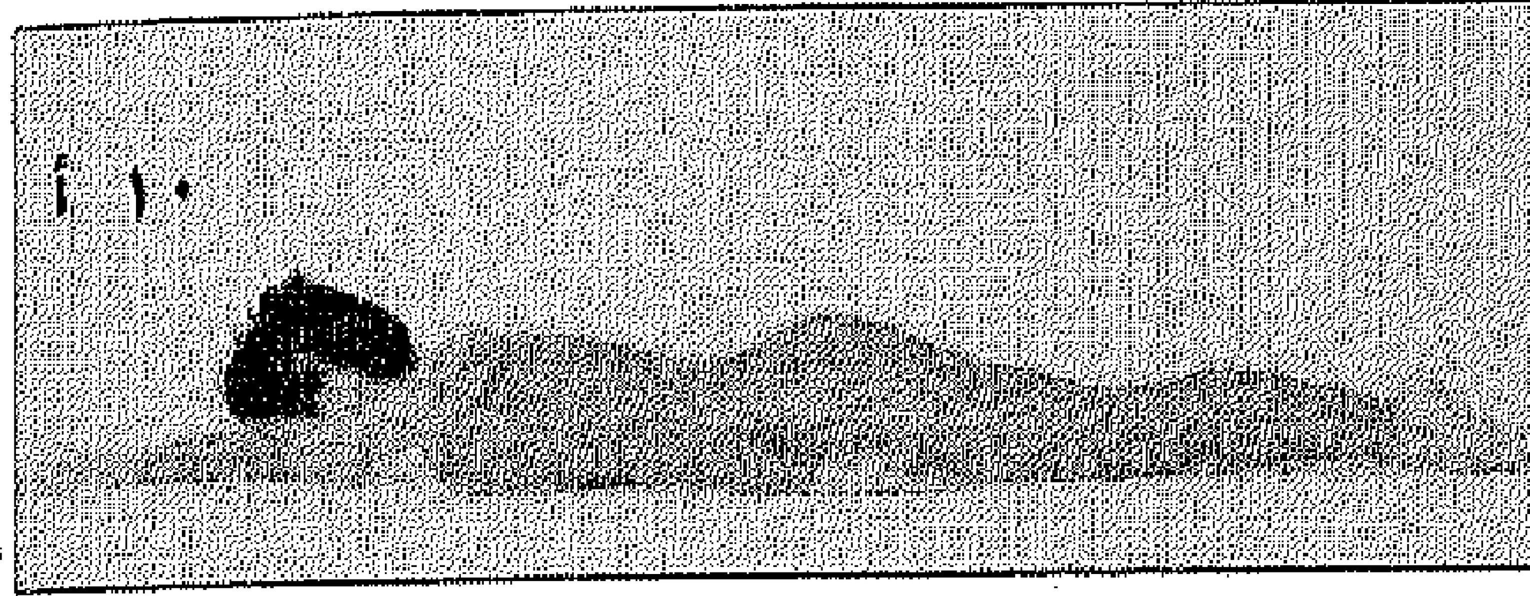


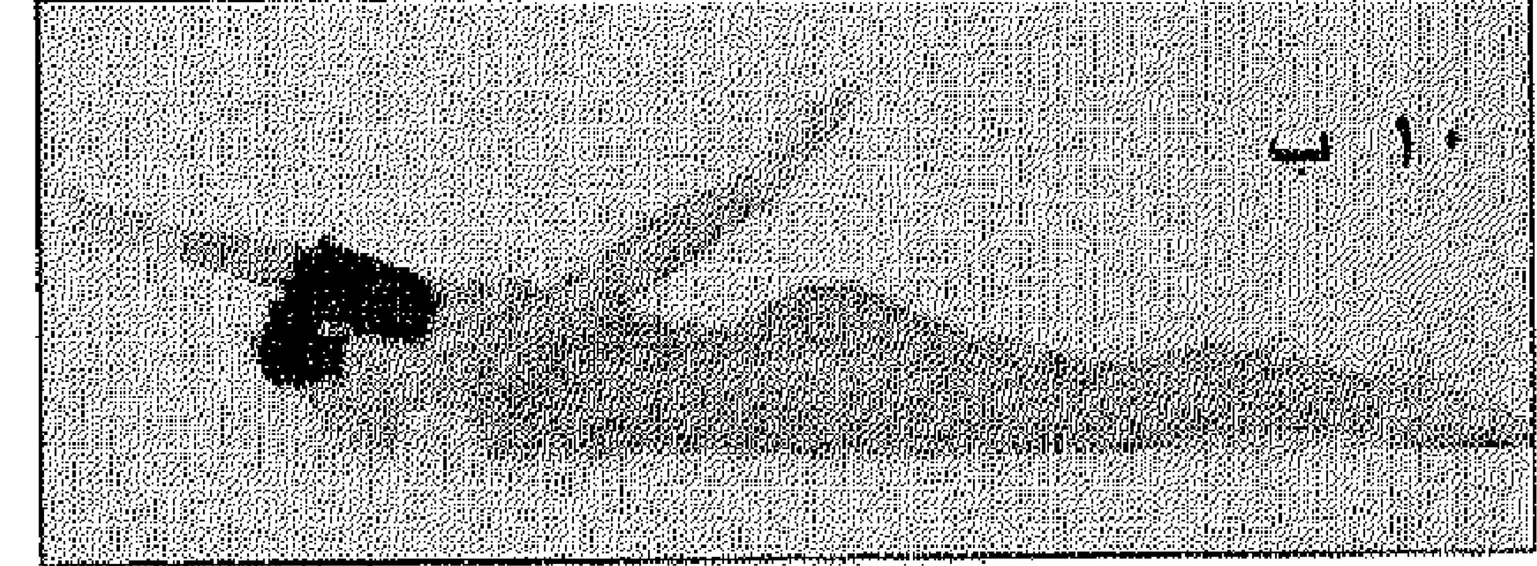


٨. القوس: لتسوية البطن وتليين أسفل الظهر. (أ) استلقي ثانية ركبتيك ومثبتة قدميك على الارض ويداك بجانب رأسك. (ب) قوسي المستدق (الجزء المقعر من الظهر). إبقي في هذا الوضع ثانيتين. ثم تمددي ضاغطة ظهرك الى الارض أربع ثوان. كرري التمرين خمس مرات. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.



٩. رفعة «L»: لشد الردفين ومؤخر الفخذين. استلقي على معدتك ساندة رأسك الى ذراعيك وممددة إحدى ساقيك وثانية الركبة الأخرى. أبقي جسمك مستقيماً ثم ارفعي أسفل فخذ الساق المثنية وأنزليه ثماني مرات. بدلي الساقين وكرري التمرين. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.





١٠. السابحة: لرفع الصدر وتقوية أعلى الذراعين. (أ) استلقي على معدتك باسطة يدك اليمنى أمامك ويدك اليسرى الى جنبك. (ب) أبقي ذراعيك مستقيمتين وارفعيهما مدة ثانيتين. اعيديهما الى الارض واستريحي ثانيتين. كرري التمرين ثلاث مرات، وبدلي الذراعين. الوقت الاجمالي: ٣٠ ثانية.

إليك كيف تجعلين هذه التمارين أكثر فاعلية: بعد بضعة أسابيع اربطي أثقالا تزن ٣٥٠ غراماً الى معصميك في التمرينين ١ و١٠، والى كاحليك في التمارين ٤ و٥ و٦ و٧ و٩. اقفزي على الحبل خمس دقائق إضافية. تذكري أن تراجعي طبيبك قبل تأدية أي تمرين.

وتذكري كل يوم:

■ أبدلي الركوب بالمشي. اعتمدي المشي السريع لا السيارة، وتسلقي السلم لا المصعد.

■ حولي فترة مشاهدة التلفزيون فترة تمرين. لا تجلسي أمامه بخمول بل مارسي هذا البرنامج لخمس دقائق أو أدي بعض تمارين الجلوس.

■ ثابري على التمرين حتى تشعري بالاجهاد لا بالألم. وتذكري أن المواظبة على الرياضة سهلة ما دامت ممتعة ومسلية.

سوزي برودن ■



أم عسكرية

نصحت الام ابنتها: "تزوجي جندياً. فهو يرتب الاسرّة ويخيط ويطبخ. وأهم من ذلك كله أنه معتاد إطاعة الاوامر."

ش.د.

استعان ابي بالزهور ليعبر لي
عن حبه الشديد

لغة الزهور

كنت في التاسعة من عمري عندما اهداني والدي زهوراً، للمرة الاولى. وكانت مضت ستة اشهر وانا اتلقى دروساً في الرقص النقري(*).

كنت اشعر بالضعة لكوني احدى المبتدئات في الجوقة.

وكم كانت دهشتي كبيرة عندما اعلن اسمي مع اسماء الراقصات الرئيسيات فصعدت الى المسرح لاضم باقة كبيرة من الورد الاحمر، فيما احمرت وجنتاي ونظرت من فوق اضواء المسرح الى ابي فرأيته يبتسم ويصفق بقوة استحساناً.

كانت تلك الورود بوادر باقات عدة خصني بها والدي ورافقتني في مختلف

(*) يتميز هذا الرقص بنقرات قوية بالاقدام او برؤوسها او كعوبها.

مراحل حياتي وغالباً ما رأيت نفسي غارقة في حيرة يتنازعني عاملان: الفرح بالباقات والشعور بان ذلك كان اسرافاً لا قبل لنا به.

اما ابي فقد كان له رأي يختلف، فهو كان يريد ان يضفي نوعاً من الفخامة على كل ما يفعله. فلو طلب منه مثلا ان يشتري كعكة حلوى لاشترى ثلاثاً. وطلبت منه والدتي مرة ان يشتري لي فسطاناً لاحدى الحفلات فما كان منه الا ان جاء بدزينة من الفساتين!

وغالباً ما استنفد عمله هذا مالاً كنا في حاجة اليه لشراء اغراض ضرورية، كمعطف شتوي او حذاء للتزلج على الجليد.

وكنت اغضب من تصرفه احياناً ولكن لوقت قصير، فقد كان لا بد له من ان يشتري لي شيئاً لاسترضائي. لقد كانت الهدية سبيله الوحيد الى اظهار محبته العميقة لي والتي يصعب ترجمتها بكلمات، فكنت ارتمي عليه، اطوقه بذراعي وامعن في تقبيله. ويبدو ان هذا التصرف حمله على الثقة بحسن عمله وعلى الامعان فيه.

لم يكن عيد ميلادي السادس عشر مناسبة سعيدة لي، فقد كنت بدينة غير جذابة، وزاد والداي من غمي فاقاما لي حفلة. وعندما دخلت قاعة المدعوّين رأيت باقة زهر كبيرة الى جانب كعكة العيد. كانت هذه الباقة اكبر من اي واحدة قدمت الي في مناسبات سابقة.

وددت في تلك اللحظة لو تواريت، لاخفي نزعتي الى البكاء. فقد شعرت ان جميع المدعوين سيرون في باقة والدي الكبيرة تعويضاً لافتقادي رفيقاً. لكن احدى صديقاتي رأت ما أعانيه من عذاب داخلي فاقتربت مني واسرّت لي مشجعة: "لكم انت محظوظة ان يكون لك مثل هذا الوالد!"

ارث عائلي — مرت الايام والسنون وكانت هناك اعياد ميلاد وحفلات وجوائز وحفلات تخرّج، وكان والدي، في هذه كلها، لا ينِي يفرش طريقي بالزهور. وكنت اشعر تارة بالامتعاض والارتباك وطوراً بالابتهاج.

ولدى تخرجي في الجامعة انتهت تلك الفترة المتناقضة من حياتي ودخلت معترك الحياة وبدأت العمل وعقدت خطبتي استعداداً للزواج. فاتخذت زهور ابي حينذاك معنى آخر يرمز الى اعتزازه بي والى انتصاري في الحياة.

وكان أبي يهديني الزهور الموافقة لكل مناسبة. فكانت هناك باقات الاقحوان البرتقالي الفاتح في "عيد الشكر" والبونسيتة القرنفلية في عيد الميلاد والزنبق الأبيض في عيد الفصح والورود المخملية الحمراء في اعياد المولد. كانت هناك ايضاً الزهور الموسمية المختلفة لمناسبة ميلاد اولادي او لانتقالنا الى منزلنا الجديد.

وفيما انتعشت احوالنا المادية كانت ظروف ابي تنتكس. لكن هداياه الزهرية لم تتوقف الى حين وفاته بنوبة قلبية اشهراً قليلة قبل عيد ميلاده السبعين. ولم اتوان، من دون ان يعتريني اي ارتباك، عن تغطية نعشه باكبر الورود الحمراء التي وجدتها.

Condensed from New York times (June 15, '86), © 1986 by The New York Times Co.,



وغالباً ما شعرت، في السنوات التي تلت، برغبة ملحّة في شراء باقة زهر كبيرة لقاعة الطعام ولكنني احجمت لادراكي انها لن تكون هي ما رمزت اليه في الماضي.

وبعد سنوات حل عيد مولدي وانا وحيدة في البيت وقد امتلأت نفسي غما. كان زوجي يلعب الغولف وابنتاي خرجتا وابني البالغ الثالثة عشرة من العمر كان خرج هو الآخر مسرعاً قائلا: "سأراك في ما بعد" ولم يأت على ذكر عيد مولدي. وفجأة قرع الباب فاسرعت الى فتحه فوجدت ابني واقفاً بقامته المديدة يقول لي: "لقد نسيت مفاتيحي، كما نسيت عيدك يا امي. ثم قدّم الي باقة من زهر المرغريت كان خبأها وراء ظهره". غمرتني سعادة كبيرة اختلطت بنوبة من البكاء وانا احتضنه هاتفة: "اوه يا ولدي، انني اعشق الزهور."

جودي كولتر ■



منطق طفل

عندما جاء يوم دخول ابني الى المدرسة لم يرد الذهاب، فاكدت له ان القانون يشدّد على الزامية تعليم الاولاد حتى يبلغوا الخامسة عشرة، واقنعته اخيراً بان يلزم مقعده الصغير. وما إن استدرت لاغادر الصف حتى تعلّق باذيالي وتوسل الي منتحباً، وعيناه مغرورقتان بالدموع: "لا تنسي ان تسترجعيني عندما ابلغ خمسة عشر عاماً!"

ج.غ.

الحقيقة لا الكذب

قد تكون الحقيقة حلوةً او مُرَّةً، ولكنها قطعاً ليست سيئة. أما الكذبة فيمكن أن تكون حلوة او مرّة، ولكنها لن تكون يوماً حسنة.

ك.ف.

التمثال الصيني



انتقل "الامبراطور الصغير" من جيل الى جيل، ولما عرض للبيع تبين انه مزيف

احدثت القطعة الرقم ١٠٣، وهي الشيء التالي الذي سيقع تحت مطرقة الدلّال، تذمراً هادئاً مثل الذي يسبق غالباً بيع اي تحفة. فقد ابتيعت قطعة العاج الدقيقة في هالي شوان في العام ١٨٧١، وخصتها مؤسسة "سوثبي" بوصف ظريف فعزتها الى "رجل نبيل" مما يعني عادة ان بعض الارستوقراطيين لا يرغب في ان يعرف انه يبيع احدى موروثات عائلته.

فتساءلتُ عما اذا كانت تلك هي الحال في هذه المناسبة، وعزمت على ان اكتشف لماذا وجدت هذه التحفة طريقها الى غرف المزاد العلني في صباح ذلك الخميس بعد مرور مئة عام على اقتنائها.

اعلن الدلّال: "القطعة ذات الرقم ١٠٣، ايُّ ثمن اعرض لهذا النموذج النفيس من...؟"

كان السر الكسندر هيثكوت، وهو رجل نبيل، الشخص المناسب. فطول قامته متر واثنان وتسعون سنتيمتراً. ينهض في السابعة كل صباح، ينضم الى زوجته لتناول طعام الفطور الذي يتألف من بيضة مسلوقة في مدة اربع دقائق،

وقطعتين من الخبز المحمص مع ملعقة من المربى. ثم يشرب فنجان شاي صيني. وعند الثامنة والدقيقة العشرين ينتقل في عربة اجرة من منزله في حدائق كادوغان الى وزارة الخارجية التي يصل اليها الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة والخمسين. ويعود الى البيت عندما تدق الساعة السادسة.

تدرّج السر الكسندر من موظف في مكتب مشترك في وزارة الخارجية البريطانية الى سكرتير ثالث في روما، فالى نائب سفير في واشنطن، فالى وزير مفوض اخيراً في بكين. سرّ كثيراً عندما دعاه السيد غلادستون الى تمثيل الحكومة في الصين اذ كان له اكثر من دافع كهاو لفن سلالة "منغ".

عندما وصل السر الكسندر الى بكين، بعد رحلة استغرقت قرابة شهرين، قدّم اوراق اعتماده الى الامبراطورة تزو - هسي. ولدى خروجه من احتفال تقديم الاعتماد كان يرشده الى طريقه ما بين القاعات العظمى للقصر الامبراطوري، موظف باللباس الرسمي الطويل الاسود المذهب. وقد مشى السر الكسندر بقدر ما امكن من التأني مأخوذاً بالمجموعة النفيسة من العاج وبالتماثيل المنحوتة من حجر اليشم(★) المنتشرة حول المبنى.

ولما كان تعيين السر الكسندر لمدة ثلاث سنوات فحسب، فهو لم يأخذ اجازة ادارية بل آثر الافادة من هذا الوقت للسفر على ظهر الحصان الى الاقاليم القاصية بغية التعرف اكثر على البلد وشعبه. في هذه الرحلات كان يرافقه موظف صيني من القصر كمترجم ودليل.

- في احدى الرحلات، بينما كان السر الكسندر ماراً في شوارع موحلة داخل قرية صغيرة تدعى هالي شوان، صادف مسكناً قديماً لحرفي ماهر. فترك الوزير خدمه وترجل ودخل المصنع المتداعي ليعجب بالقطع الدقيقة من العاج وحجر اليشم التي تملأ الرفوف من الارض الى السقف. هرع الحرفي بثوبه الطويل الازرق وقبعته السوداء المسطحة ليرحب به، وقد تدلت على ظهره ضفيرة شعر طويلة مجدولة حالكة السواد. انحنى الرجل الى اسفل ثم تطلع الى الجبار القادم من انكلترا. فرد الوزير بالانحناء بينما كان الموظف يشرح من هو السر الكسندر ويتوسع في وجوه اهتماماته ومنها رؤية اعمال الحرفي. هزّ العجوز رأسه ايماء بالموافقة، حتى قبل ان ينتهي الموظف من كلامه. امضى الوزير ما يزيد على الساعة وهو يتأمل القطع باعجاب واخيراً التفت الى العجوز مثنياً على مهارته.

انحنى الحرفي ثانية، وصوّب اصبعه الى ما وراء المصنع مشيراً الى الزائرين بأن يتبعاه، ففعلا ودخل الثلاثة كهفاً شبيهاً بكهف علاء الدين حيث صفت بعضاً فوق بعض تماثيل مصغرة جميلة لاباطرة ولشخصيات عادية. تحادث السر الكسندر والحرفي عبر الترجمان ثم قال الحرفي: "لديّ، يا صاحب السعادة، قطعة من المنغ قد يهمك ان تراها. انها تمثال موجود لدى عائلتي منذ سبعة اجيال."

(★) اليشم او اليشب: حجر قريب من الزبرجد غير انه اصفى منه.

فرد الوزير: "لي الشرف."

فقال الحرفي: "هذا يشرفني انا يا صاحب السعادة." ثم خرج مسرعاً الى منزل خلف المصنع. وبعد دقائق قليلة عاد راكضاً متمسكاً بشيء يُفترض، استناداً الى الطريقة التي ضمه بها الى صدره، انه كنز.

ناول الحرفي الوزير القطعة فشده وتعذر عليه اخفاء انفعاله. كان التمثال الصغير الذي لا يتجاوز علوه ١٥ سنتيمتراً، للامبراطور كنغ ونموذجاً للمنغ كما رآه الوزير. شعر السر الكسندر بأنه متأكد من ان صانع التمثال هو بن كيو العظيم، وان هذه التحفة يجب ان تعود الى قرابة نهاية القرن الخامس عشر. كان العيب الوحيد في التمثال غياب القاعدة العاجية التي تركّز عليها عادة قطع كهذه، وان عوداً صغيراً يظهر من اسفل الثياب الامبراطورية.

قال الوزير: "انه عظيم، عظيم جداً."

وعندما اعاد الامبراطور التحفة الى الحرفي تبسم وتفوه بالكلمات الوحيدة غير الديبلوماسية التي نطق بها منذ ما يزيد على خمسة وثلاثين عاما "كم اتمنى لو كانت هذه القطعة لي."

اسف السر الكسندر لملاحظته اذ سمع الموظف يترجمها حالا وهو يعلم جيداً جداً ان التقليد الصيني القديم يقضي بأنه اذا ما طلب زائر مكرّم شيئاً ما فالواهب يكبر في اعين رفاقه بالتخلي عن ذلك الشيء. اما الحرفي العجوز القصير القامة فبدت على وجهه مسحة من الكآبة وهو يعيد التمثال الى الوزير.

قال السر الكسندر، وهو يحاول بسرعة ارجاع القطعة الى صاحبها: "لا، لا، انا كنت امزح فقط."

فرد العجوز: "يا صاحب السعادة، ستجلب العار لبيتي المتواضع اذا لم تأخذ التمثال."

انحنى الحرفي القصير القامة، وقال: "يجب ان اركز التمثال على قاعدة، والا فلن تستطيع عرضه." ففتح صندوقاً خشبياً وانتقى منه قاعدة مزخرفة برسوم سود. لم يهتم الوزير لها، ولكنها جاءت ملائمة تماما. أكد العجوز للسر الكسندر ان القطعة، وان يكن يجهل تاريخها، تحمل بصمات حرفي ماهر.

[illegible] – عندما عاد الموكب الى بكين لاحظ الموظف المرافق الحال السيئة التي كان فيها الوزير، فقال من دون تخصيص: "سعادتكم مطلعون بلا ريب على العرف عندنا، وهو متى كان الغريب سخياً وجب رد الفضل خلال سنة."

ابتسم السر الكسندر شاكراً، وفكّر في كلام الموظف. ولما عاد الى مقر عمله توجه الى المكتبة الفسيحة في المفوضية سعياً الى ما يساعده على كشف القيمة الحقيقية للتحفة الصغيرة. وبعد بحث نشط صادف رسماً لتمثال منغ كاد ان يكون نسخة مطابقة تماماً لما هو الآن في حوزته، وبمساعدة الموظف الصيني استطاع تقدير القيمة الحقيقية للتحفة وهي رقم يوازي مجموع راتب الوزير المفوض عن ثلاث سنوات. بحث الوزير في المشكلة مع زوجته الليدي هيثكوت التي رحلت وهي على ثقة بما يجب ان يفعله.

في الاسبوع التالي بعث الوزير بكتاب الى مصرفه في لندن طالباً تحويل جزء كبير من حساب توفيره الى بكين في اسرع وقت ممكن. وعندما وصل المبلغ، بعد تسعة اسابيع، اتصل الوزير بالموظف الصيني الذي اصغى الى اسئلته، وبعد سبعة ايام زوده التفاصيل التي طلبها.

اكتشف الموظف ان الحرفي اراد ان يتقاعد على الربى المطلّة على القرية التي توفي فيها اسلافه. شكر الوزير للموظف نشاطه، وقال له ان لديه طلباً اضافياً واحداً. اصغى اليه الموظف بلطف وعاد الى القصر باحثاً عن نصح. وبعد ايام قليلة استجابت الامبراطورة لطلب السر الكسندر.

وبعد سنة من ذلك اليوم سافر الوزير ثانية، يرافقه الموظف الصيني، الى هالي شوان.

قال للحرفي العجوز: "عدت يا سيدي لاسدد ديني."

فرد الرجل "لا حاجة الى ذلك، يا صاحب السعادة. ان عائلتي تتشرف بأن يقيم التمثال الصغير في مفوضية كبيرة، وقد يعجب به شعب بلدكم يوماً ما."

عندئذ طلب الوزير من العجوز مرافقته في رحلة قصيرة، وانطلق الثلاثة على الحمير نحو الشمال. امضوا ما يزيد على ساعتين صعوداً في ممر ضيّق متعرج الى الربى الواقعة وراء مشغل الحرفي حتى وصلوا الى واد يمتد منه منظر خلاب نزولا الى هالي شوان. كان هناك بيت ابيض صغير ذو اجزاء متناسقة تم انجازه حديثاً. يحرس المدخل اسدان حجريان لسانهما يتدليان فوق شفتيهما. التفت الوزير الى العجوز وقال له: "انها هدية صغيرة وغير كافية لكنها محاولة ضعيفة مني لرد الفضل عيناً."

– أنهى السر الكسندر مهمته في بكين ثم تقاعد في مسقط رأسه يوركشاير حيث قضى سنواته الاخيرة مع زوجته و"الامبراطور الصغير" منغ الذي حلّ وسط رف المدفأة في قاعة الاستقبال ليكون موضع اعجاب الجميع.

ترك السر الكسندر، وهو الرجل الحريص، وصية دقيقة حول ما يملكه. فاوصى بالتمثال لابنه البكر، طالباً منه ان يفعل هو ما فعله والده بحيث ينتقل التمثال الى الولد البكر او الابنة البكر اذا ما تعثر خط الذكور. ووضع ايضاً نصاً يقضي بالاّ يباع التمثال ابداً الا متى كان شرف العائلة مهدداً.

توفي السر الكسندر هيثكوت بنوبة قلبية وافته عند منتصف الليل وهو في السبعين من عمره.

وهكذا انتقل التمثال في سلالة هيثكوت من بكر الى بكر جنوداً ورجال دين حتى دخل اخيراً حوزة الصغير الِكس.

لم يكن الِكس هيثكوت، ويا للأسف، في حمية اسلافه البواسل. فعندما ترك المدرسة، قبل اعتزام طرده بوقت قصير، وجد انه لا يستطيع الثبات في عمل أكثر من اسابيع قليلة.

وإبان الستينات، عندما فُتحت الملاهي في بريطانيا، اقتنع الكس بأنه وجد الطريقة المثلى لكسب عيشه من دون ان يأتي اي عمل، لكن الرياح لم تجر بما تشتهي السفن فاضطر الى الاستدانة.

ولما ارهقته الديون قرر بيع التمثال.

وذات صباح تلقى الكس اتصالا من رجلين هدداه بالقتل اذا لم يسدد لسيدهما مبلغ ثمانية آلاف جنيه استرليني خلال اربعة عشر يوماً. استسلم الشاب للضغط، ووجد ان وصية جده الاكبر صريحة اذ اجازت بيع التمثال عندما يتعرض شرف العائلة للخطر.

انزل الِكس التمثال عن رف المدفأة وانطلق به نحو مؤسسة "سوثبي" للمزادات في لندن طالباً وضعه في المزاد العلني. فابلغ اليه رئيس الدائرة الشرقية في المؤسسة انه يحتاج الى بضعة ايام لتقدير القيمة الحقيقية للقطعة "ولكنني متأكد، خلال نظرة سريعة، من ان التمثال هو نموذج حق لاعمال بن كيو استناداً الى ما بعنا سابقاً من تحفه. واستطيع ان اعطيك فكرة عن الحد الادنى للسعر يوم الجمعة."

رجع الِكس الى مركز المزاد العلني يوم الجمعة وعلى وجهه ابتسامة واسعة. فهو عرف كم دفع جده الاكبر ثمناً للتمثال وأيقن انه يجب ان يساوي اكثر من عشرة آلاف جنيه استرليني. فالتقاه الخبير الشرقي وعلى وجهه نظرة كئيبة: "امبراطورك قطعة صغيرة جيدة ولكنها، لسوء الحظ، مزيفة، عمرها مئتان او مئتان وخمسون سنة ولكن اخشى ان تكون نسخة عن الاصلية. ان النسخ تصنع غالباً لأن...".

فقاطعه الِكس: وقد "هبط" قلبه "كم تساوي اذاً؟"

– سبع مئة جنيه او ثماني مئة على الاكثر.

فكر الشاب قليلا وقال في نفسه متهكما: "انه مبلغ يكفي لشراء بندقية وبضع رصاصات." ثم هم بالانصراف.

– أتساءل يا سيدي...

قال الِكس، من دون ان يكلف نفسه التطلع الى الوراء: "نعم، بع هذا الشيء الحقير."

– وماذا تريدني ان افعل بالقاعدة؟

أنّت الكلمة في اذن الكس فرددها وهو يلتفت حوله: "القاعدة؟"

– نعم، القاعدة، انها نفيسة، من القرن الخامس عشر، وهي من دون شك من صنع عبقري، لا استطيع ان اتصور كم...".

في المزاد اعلن الدلّال: "القطعة ذات الرقم ١٠٣، ايّ ثمن اعرضه لهذا النموذج النفيس من....؟"

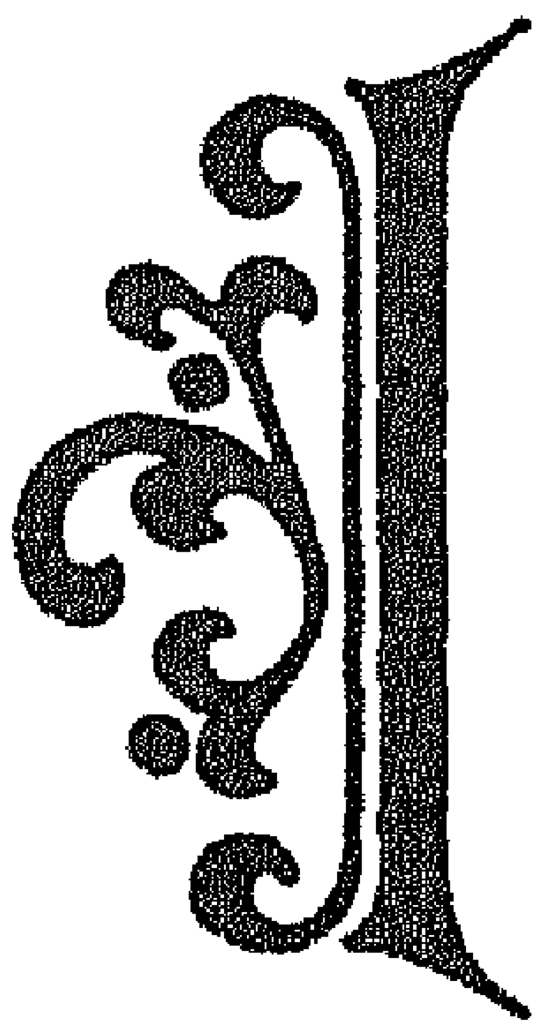
كان الخبير على صواب في تقديره، ففي المزاد العلني الذي جرى صباح ذلك الخميس لدى "سوثبي" حصلت على "الامبراطور الصغير" في مقابل سبع مئة وعشرين جنيها، اما القاعدة فاشتراها نبيل امريكي في مقابل اثنين وعشرين الف جنيه.

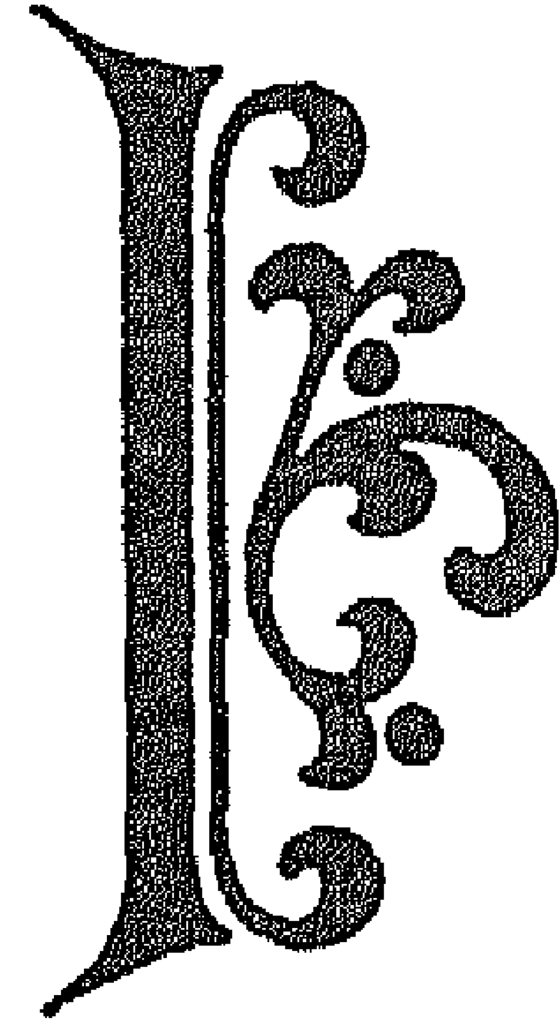
جيفري آرتشر ■



لا جدوى من الكلام على المستقبل الا اذا أدّى الى الفعل الآني.

إ.ف.ش.





من اجل زيجات ملؤها الحب يتبع كثيرون هذه الخطوات

معظم الأزواج يقرون بأن الزواج السعيد يتطلب وقتاً او جهداً. لكننا بصفة كوننا مستشارين رأينا الكثير من الأزواج تتبخر اوهامهم اذا لم تؤد مساعيهم الى نتائج فورية. فهم ييأسون جازمين بأن الزواج يستلزم جهداً كثيراً.

غير أن أسعد الازواج ينظرون الى علاقتهم على نحو مغاير. ولدى عملنا معهم ألفينا ان أسرار زواجهم الناجح توجز في عشرة إرشادات.

الزيجات الناجحة لا تحدث من تلقائها. غالبيتنا ترعرعت وفي ظنها ان الحب سحري وان لا قدرة لنا على التحكم به. إذ اننا لا نعزم على ان نحب بل نقع صرعى الهوى.

ولكن لا بد من تساؤل يطرح اذا ما اردنا المحافظة على عطايا الحب. اولا: علينا ان نولي الحبيب اهتماماً مركزاً لندرك رغباته الحقيقية. ثانياً: ان نتصرف استناداً الى هذه المعرفة.

ان الصفة المميزة للعلاقة تستند الى الطريقة التي يعامل بها الناس بعضهم بعضاً في السراء والضراء. وليست الزيجات اموراً ثابتة على حالها، فهي تنمو او تذبل. ويدرك الزوجان السعيدان أن دوام حبهما هو مسؤوليتهما المشتركة. فهما مساهمان يدأبان على نشدان الحب الدائم.

من الصعب افناء الحب: كل الازواج تقريباً يخشون في سريرتهم تبلد علاقتهم وذبولها. لكن الحب قلما يفنى. فهو يبدو غائباً لان مشاعر اخرى قد حجبته.

واذ تقع حوادث سيئة في زيجة ما،

يضطر الشريكان الى حماية نفسهما. وخشية جرح النفس والرفض من الآخر، نـراهما ينسحبـان خلف أقنعـة من اللامبالاة. غير أن الزوجين السعيدين يدركان ان حلاوة الحب ستعود اثر انحسار العاصفة. وبادراكهما هذا الامر، يغدو في وسعهما ان يجتازا الازمات التي تمزق الزيجات.

ومن اجل وضع هذه الحكمة موضع التطبيق، حاول أن تتمهل اثناء الخلاف الزوجي متذكراً ما كنت تكنه من احاسيس نحو شريكك عند بدء علاقتكما. ودع حبك ينسخ المشاعر السلبية الآنية.

ليس الزواج علاجاً شافياً لكل الامور: من شدة الثناء على عطايا الزواج يميل الناس إلى الظن أنه الترياق الذي يبلسم كل الجروح القديمة التي ترقى الى الطفولة او الى حالات الحب السابقة. لكن الزواج ليس حلا للمشاكل الشخصية، فمهما كان زواجكما حميماً فانك وزوجك فردان قبل ان تكونا زوجين.

كما اننا اذ نتوقع من الزوج ان يشيد بذاتنا أو يعوض ضعفنا، يخيب رجاؤنا قطعاً، ويشعر من نحب بالاستياء. فنحن وحدنا مسؤولون عن مشاعرنا وعن مزايا ذواتنا.

ان أسعد زوجين يدركان ان دوام الزواج يتطلب بادىء الأمر ان يحب كل من الشريكين نفسه أولاً. ومن دون هذا الادراك لن يشعرا ابداً ان احدهما اهل لحب الآخر.

الحب هو الرضا: كثيراً ما نعتقد، وبغباء، ان الحب يمنحنا رخصة كي نعيد تشكيل شخص ما. فنسعى الى تمهيد البقاع الوعرة في نفس شريكنا مع اننا في ذلك ننقص من الخلال المميزة التي تحببه إلينا.

ولا جدوى من ذلك. فحتى عندما يبدو الزوج متذمراً، فانه يقاوم من دون وعي الضغط كي يتغير او يمتثل.

لا معدى من التفاوض حول المشاكل التي تجعل الحياة لا تطاق. ولكن من المجدي اعادة النظر في القول المأثور: "في السراء والضراء" وقد ادرج في حفلة الزفاف ليذكرنا بعيوبنا.

ان الزوجين السعيدين حقاً يدركان أن الحب يعني قبول نقائص الزوج برضا. وان الرغبة في التغيير تنبع من شعور بقبول الشخص كما هو.

المحبون ليسوا قراء افكار: من أوهام الحب ان الزوج عالم، وعلى نحو ما، بكنين افكارنا واحلامنا. واذ يخفق الزوج في معرفة ذلك، نغتم ويخيب املنا او نشعر بالخيانة.

ولكن ببساطة ليس من المعقول ان نتوقع ان يحزر زوجنا ما يجول في ذهننا. ان الرجال والنسوة الذين يشعرون بأن ازواجهم يفهمونهم حق الفهم، يعلمون أننا في النهاية مؤاخذون في ان نجعل الغير يعرفنا. ان المؤشر الاصلي الى الحب هو أن تفضي بحاجتك الى زوجك فيستجيب لطلبك.

افضل العلاقات في تبدل مستمر: في اعتقاد معظمنا ان العلاقة الوطيدة لا تتبدل من سنة الى أخرى. والحقيقة هي ان العلاقات الزوجية متبدلة حتماً كما هي حال الأفراد. والازواج الذين يتعرضون لصعوبات هم الذين يقاومون التغيير بعناد، مخافة الا يقوى حبهم على الاستمرار.

والازواج ذوو العلاقات الدائمة لديهم مرونة لتقبل التغيير برضا وموقف ايجابي. ومن المهم الاعتقاد بقوة الحب بينك وبين زوجك، كي يتاح لكل منكما الاحترام وحرية التصرف ومجال النمو.

الخيانة الزوجية تسمم الحب: "ما يجهله زوجي لا ضرر منه" تبرير واه لعلاقات الغرام. ان العلاقة الغرامية، وان لم تؤد الى الطلاق، قد تضرّ بوشيجة الحب على نحو دائم. إذ انها نكث جوهري لعهد الزواج.

كما اننا اذ نفي بالعهد الذي قطعناه على انفسنا حين الزواج نشعر بالرضا عن انفسنا. ولا يشغل بالنا ان نواري بعض الأمور. لكننا اذ نتصرف من دون امانة ندرك ذلك في سرنا ونشعر باننا مجردون من الخلق السليم. ولا يسعنا ان نحب الآخر ان لم نحب أنفسنا.

الحب لا يعرف اللوم: قبل زواجنا تحمل غالبيتنا نوائب الحياة من دون عناء. فإذا ما سارت الأمور على ما يرام نرد ذلك الى خيارنا الصائب وان لم تجر كما نشتهي، ندرك ان ذلك ايضاً جزاء افعالنا.

ثم نتزوج. ان لم نكن على حذر فإننا نجعل شريكنا هو الملوم: "ان لم أكن سعيداً فبسببك انت!"

والازواج هم، لسوء الحظ، كبش فداء سائغ، فمن الأسهل على المرء ان يكشف الغلط في عمل غيره من أن يفحص دوره في التسبب في التعاسة. ان اللوم في هذا الموضع ليس جائراً فحسب، بل انه مفسد نفسه بنفسه. فهو يعزز شعوراً بالخذلان الشخصي.

تجنب الوقوع في شرك اللوم، واتخذ موقفاً ايجابياً في زواجك والحياة عامة. ان المسؤوليات التي تتحملها عن نوعية حياتك تجعلك أكثر سعادة انت وزوجك.

الحب لا يؤثر نفسه: يستلزم الحب المكتمل موازنة بين العطاء والتلقي، وايثار الغير هو كنه الحب.

ان الحب الحقيقي يتطلب منا ان نجعل حاجاتنا في المرتبة الثانية مستجيبين لحاجات الزوج ليس من دون انقطاع او من طرف واحد فقط، ولكن بين الفينة والفينة. وبالفعل فإننا نشعر بالغرام حين نعطي شريكنا اكثر مما لو اخذنا منه.

والعطاء معدٍ. فهو يحض على التبادل. ولكن لا بد من تحذير: لا تعط إبتغاء الأخذ، فهذا ليس حباً. ولا تعط بلا انقطاع لزوج يستغل مقاصد حبك. ان اسعد الزيجات

هي تلك التي تكون نسبة عطاء الزوجين فيها مئة في المئة وتلقيهما مئة في المئة ايضاً.

الحب يعفو عن كثير. كل الأزواج يلحقون الاذى ويخيبون رجاء بعضهم بعضاً في وقت ما. ثم يقع احد امرين، فاما أن نعفو او نراكم الاستياء ببطء. وكي يدوم الحب، ينبغي ان نقوى على الصفح. ان اهمال مشاعرنا أو صرفها عن الذهن ليس عفواً، ولا هو كذلك التفسير الخاطىء لسلوك الآخر. العفو تفريج اصيل وطوعي للغضب والجرح. وهو ضروري كي تزدهر العلاقة الزوجية من جديد.

في نهاية المطاف، ان اهم قاعدة من قواعد الحب هي الآتية: تصرف تجاه نفسك وزوجك بأساليب تزيد من تقديرك لذاتك ولكرامتك واستقامتك. واذ ترضى عن نفسك، تلقى الثقة والقناعة الشخصية اللازمة لابقاء جذوة الحب مشتعلة.

كونيل كوان وملفين كيندر ■

الكاتبان طبيبا نفس. وعام ١٩٨٤ نشرا كتابهما: "نسوة فطنات، خياراتهن خاطئة: ايجاد الرجل المناسب واجتناب سواه" فحاز رواجاً واسعاً.



صديق خدوم

كان احد الممثلين يكتب مذكراته. فتلقى يوماً مكالمة هاتفية من زميل سأله: "كيف تسير امور كتابة مذكراتك؟"

فأجابه الممثل: "على خير ما يرام، شكراً."

فأضاف زميله: "قل لي، في المناسبة، هل بلغت الجزء حيث اقرضتك الفي فرنك؟"

ب.أ.

اشهدوا يا ناس!

رأى رجل جاره جالساً في حديقة منزله في يوم قارس، فسأله لماذا لا يبقى داخل المنزل.

فرد الجار: "اريد ان أظلّ على مرأى من الجميع، فزوجتي تتمرن للغناء في الحفلة الموسيقية وانا لا اريد ان يعتقد الناس أني أضربها."

ت.ت.

غائب حاضر

دع عطلتك السنوية تطول الى حدّ افتقاد رئيسك لك ولكن عُدْ قبل أن يكتشف انه يستطيع تدبُّر امره من دونك.

ن.ب

الضحك خير دواء

في العشرينات اصطحبني والدي مرة الى عشاء في اولتن بسويسرا، حيث يقدّمون حساء وقطعة خبز باربعين سنتيماً. وقد جلس قبالتي عامل يتلذذ كلما ذاق ملعقة. غير انه توقف فجأة عن الاكل ووضع اصبعه وإبهامه في فمه واخرج منه قطعة قماش. فاستدعى صاحب المطعم بغضب وتعجّب قائلا: "هذه خِرقة من قماش غسل الصحون!" فصمت صاحب المطعم هنيهة ثم اجاب: "وماذا تريد؟ اتنتظر ان تحصل على وشاح من الحرير باربعين سنتيماً؟"

أ.إ.

"رجاءً، احتفظ بكلبك قربك، يا سيدي"، قالت سيدة بنزق للرجل الجالس قبالتها في الباص، واضافت: "اشعر ببرغوث في حذائي".

فنادى الرجل كلبه فوراً: "بيلّو، تعال. هذه المرأة فيها براغيث."

ج.ج.

نحن في العام ٢٢١٠، وقد استعمرت الكواكب السيارة منذ زمن بعيد ويتم الطيران بين الكواكب يوميا كما يجري الطيران عبر القارات. وفي احدى المركبات الفضائية سأل احد ساكني المريخ جاره المسافر: "من اين انت؟"

– من الارض.

"احقا هذا؟ هل صدف ان تعرفت الى...؟

م.س.ز.

اتصلت امرأة باكية بعيادة خفض الوزن وقالت مولولة ان زوجها قدّم اليها هدية ثمينة ولكنها لا تستطيع ادخال نفسها فيها. فعين لها المسؤول موعداً واضاف: "لا تقلقي يا سيدتي، لن يطول الوقت حتى تصبحي قادرة على ارتداء ذلك الثوب."

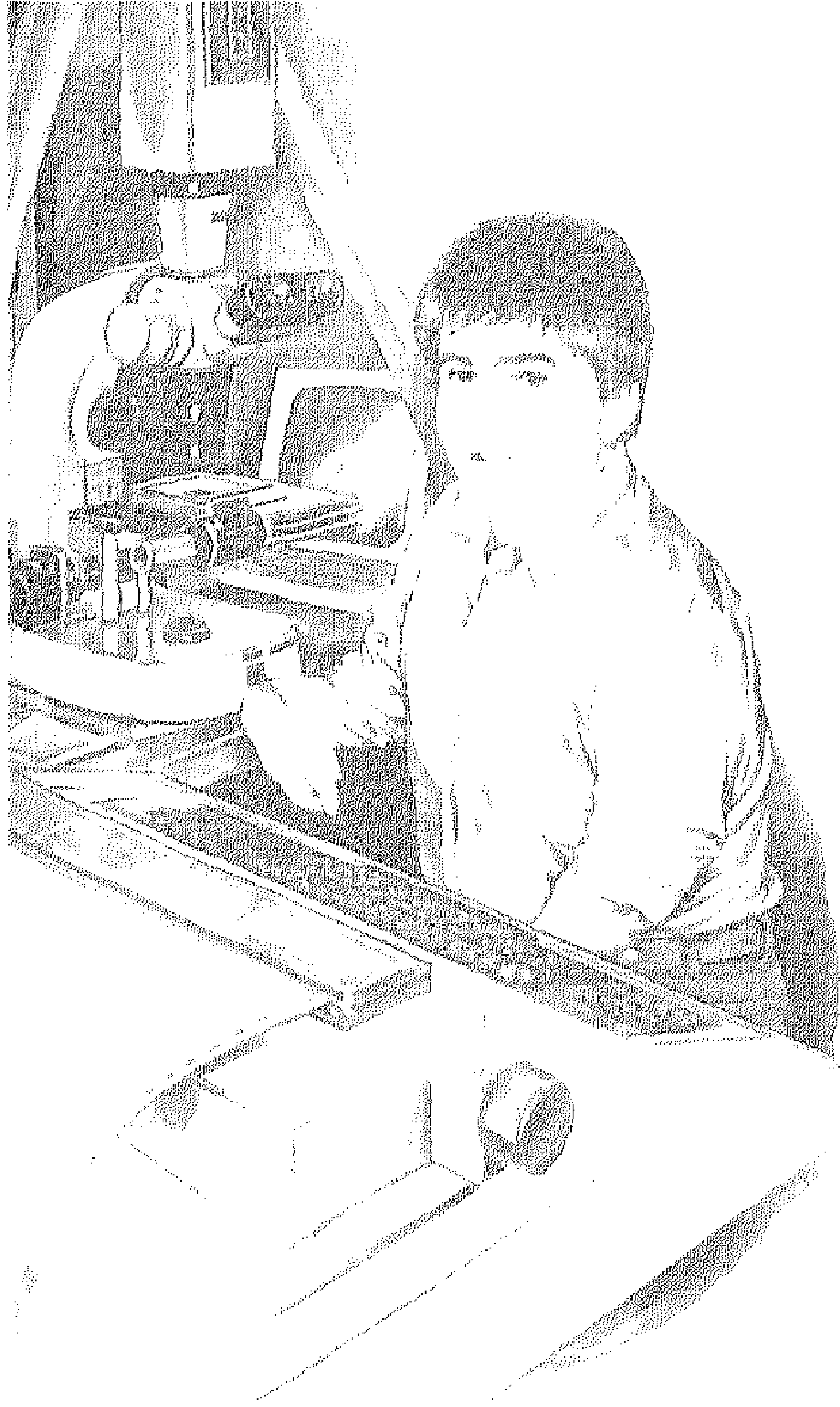
"الثوب؟" هتفت المرأة باكية، "انها سيارة بورش."

إ.ب.

اصطحب الاب اولاده الى حديقة الحيوانات، وكلهم متلهفون لمشاهدة السعادين. ولكنهم لم يشاهدوا ايا منها. فشرح لهم الناظر ان السعادين هي الان في حجيراتها مختلية لمناسبة وقت التزاوج. فسأله الوالد: "الا تخرج وان لبرهة فنعطيها بعض الفول السوداني؟"

فاجاب الناظر: "وهل تخرج انت لو كنت مكانها؟"

ش.م.



صَفحَة من كتابْ الشَجاعَة

بعض ضحايا عقار "الثاليدوميد" من جبه الاعاقة بشجاعة فصنع اعاجيب

في غرفة مظلمة شبيهة بقمرة قيادة سفينة فضاء في جامعة زيغن (المانيا الغربية)، جلس العالم الفيزيائي بوركهارد فيغل أمام جهاز كومبيوتر خاص، يدرس تأثيرات ذرات الايون المنبعثة من الاشعاع الكوني، تحوطه انوار وامضة وشاشات تلفزيونية متوهجة. هذه الذرات التي تخترق مركبة فضائية بأجهزتها وركابها، بسرعة الضوء، تولد شحنات في انطلاقها قد تتلف، مثلاً، معلومات مخزنة في أجهزة الكترونية متناهية الصغر أو هي قد تضر بالحياة البشرية.

لم يكتف فيغل بتطوير برنامج دماغ الكتروني سيساعد، في ابحاث اكتشاف الفضاء مستقبلا، على قياس نسبة الاشعاع الذي يتعرض له رائد فضاء، بل هو ساهم على نحو أساسي، في هذه المسيرة، بدراسته التي تناولت ابتكار أجهزة تكتشف هذه الاشعة.

أياً تكن الظروف التي أفضت بهذا العالم الشاب الى تبوؤ هذا المقام، تعتبر انجازاته الهامة. بل هي تأخذ معنى أعمق متى أدركنا أن فيغل هو ضحية واحدة من أسوأ مآسي صناعة العقاقير الطبية في التاريخ. انه ضحية عقار "كونترغان."

Illustration: Horst Mauvman

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٧ سوّقت الشركة الالمانية الغربية "شيمي غرونتتال" في شتولبرغ العقار المنوّم كونترغان. ولم يظهر أي من التجارب المخبرية التي أجريت عليه قبل تسويقه، أي إشارة الى التأثير المدمر على الصحة الذي ينجم عن المادة "تاليدوميد" العنصر الفاعل في تركيبته. وما لبث العقار أن أصبح الاكثر رواجاً في نحو من ٤٠ بلداً.

ولم يدرك الاطباء الحقيقة الراعبة الا بعد أربع سنوات على تداوله، ولد في اثنائها ٦٠٠٠ طفل مصابين بعاهات شتى كتشوه في الذراعين والرجلين والاذنين وضرر في العينين والاعضاء الداخلية والتناسلية. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦١ أبرز طبيب الاطفال فيدوكنت لنتس دليلا افتراضياً كان كافياً في ما بعد ليصير حقيقة ثابتة: أن تاليدوميد هو مسبب هذه العاهات. فسحب العقار من السوق.

— تعاطت والدة بوركهارد، انفه، اثناء حملها به دواء كونترغان لتتفادى العوارض الصباحية والارق التي ترافق الايام الاولى للحمل. وفي مايو (ايار) ١٩٦١ وضعت طفلا ذا ذراعين قصيرتين ويدين في كل منهما أربع أصابع متشعبة بزوايا قائمة. ولم يجد طبيبها أي تفسير لهذه الظاهرة وما استطاع شيئاً ولا أمل رجاء حيال مستقبل الطفل. وكذلك وقف الاختصاصيون الذين استشارهم والداه، عاجزين أمام اعاقته الخلقية.

واذ بدأ بوركهارد يحبو على كفيه وركبتيه اكتشفت في جسده عاهات مخبوءة في مفاصل وركيه، فأخضع لجراحة تقويمية غير ناجحة، وتأكد لاحقاً أن الطفل هو احدى ضحايا كونترغان.

شعر والداه ببعض العزاء حين علما السبب الحقيقي لاعاقة ولدهما. ويعود الفضل الكبير في ذلك الى محام يدعي كارل - هيرمن شولته - هيلن من منين وضعت كل من زوجته وشقيقته عام ١٩٦١ طفلا مشوهاً نتيجة تعاطيهما عقار كونترغان. فعندما ابلغ اليه نبأ ولادة طفل ثالث ذي عاهات مماثلة اتصل بالدكتور لنتس وبدأ الاثنان حملة جمع معلومات واستقصاء قادتهما من طفل معاق الى آخر ومن مدينة الى أخرى. وما لبث المحامي شولته - هيلن ان انشأ جمعية لذوي ضحايا كونترغان.

غير ان مشاركة والدي بوركهارد الآخرين في مأساتهم لم تبعد عنهما الفضوليين الذين كانوا يرمون الطفل بنظرات هازئة. لكن انفه كانت اتخذت قراراً بديهياً بألا تحجب ابنها عن الناس. وقد ساعدها في ذلك بوركهارد نفسه الذي لم يدرك آنذاك انه "مختلف." فكان كلما نظر اليه احد يقرقر ويبتسم بفرح ساحر حتى ان الذين عرفوه من قرب فاتتهم عاهته.

— في سنه الخامسة بدأ بوركهارد يظهر تصميما عتيداً على تأدية كل ما كان يؤديه سواه. وكانت أمه تلبسه ثيابه لان ذراعيه القصيرتين لا تطاولان انحاء جسده. ولم تكن لديه ابهام

يستطيع بها امساك الاشياء المختلفة. وكم كانت دهشة أمه كبيرة حين عادت ذات يوم من السوق لتجد ان بوركهارد، وقد عيل صبره، عمد الى ارتداء ملابسه بنفسه. فقد تفتق ذهنه عن أولى افكاره التطبيقية: استخدم مسطرة ليدس قميصه في بنطاله. وتشجيعا له على الاعتماد على نفسه لجأ والداه الى تثبيت حلقة في رأس سحابات في ثيابه تمكنه من شدها باصبعه. وما لبثت كلماته التي شرع يرددها في استمرار: "دعوني وشأني، انني اعرف ما افعله،" ان اتخذت معنى خاصاً.

غالباً ما كانت الاعمال الجريئة لبوركهارد تبعث الخوف ممزوجاً بالفخر في نفس والديه. ذات يوم وكان بلغ السابعة، تسلق برج حوض السباحة الذي يعلو ١٠ امتار في مسبح المدينة وصاح منادياً والدته: "انظري، اماه، كيف سأقفز!"، واذ خشي الآباء الآخرون الحاضرون أن يؤذي الطفل نفسه طلبوا من امه ان تثنيه عن عزمه. لكن انغه، على رغم مشاركتها الآخرين في مخاوفهم، اوضحت انه "عندما يريد بوركهارد القيام بأمر ما فهو لن يتردد في ذلك ولا فائدة من منعه." قفز بوركهارد، ولم يدع أحداً يلاحظ ما اذا كان تأذى ام لا.

اتخذ والدا بوركهارد قراراً بإدخال ولدهما المدرسة ليتلقى علومه كسائر الاولاد. فأيام دراسته الاولى كانت ذهبية لان رفاقه نشأوا معه. غير ان ممارسته الجمنازيوم التي انخرط فيها بعد اربع سنوات، كانت مختلفة. فكان الولد الوحيد المعاق بين الوف التلاميذ. فذراعاه ويداه التي حرمته لعب الكرة او المصارعة على أنواعها، ووركاه المفككتان اللتان منعتاه من الركض، كانت سبباً في فرزه عن الآخرين. والاسوأ من ذلك ان مدربيه أجلسوه الى طاولة خاصة في مقدم الصف لان نموه لم يتعد السنتيمترين في السنة، وكان اقصر من رفاقه بفارق علو رأس. وأدى "الانفصال البصري" هذا الى تعليقات ومضايقات قاسية. وكثيراً ما ألفته والدته مكتئباً متألماً مهيض الجناح. وادرك انه يختلف عن الآخرين وعليه ان يشق لنفسه طريقا مختلفة. وهو يقول: "لزمت الذهاب الى المدرسة ليقيني ان علي ان أوظف عقلي لا يديّ. إن مستقبلي مرهون بقدرتي على التعلّم."

النزعة الاستقلالية — لم يكن بوركهارد تلميذاً لامعاً بالمعنى الاكاديمي للكلمة بل كان نموذجا لسائر ضحايا كونترغان التي يعادل حاصل ذكائها حاصل ذكاء الاشخاص السويين. ان نجاحها — تلقى ٤٥ في المئة منها تعليماً عالياً — يعزى الى ممارسة ما أوصى به هانز - هيلموت شلايفنباوم، رئيس "كونترغان - كندرهيلفسفيرك" او "المنظمة الوطنية لأولاد كونترغان،" الوالدين والمعلمين: "عليها ان تكون متفوقة لتعوض اعاقتها. لذلك يجب ان تمنحوها كل مساعدة أو فرصة ممكنة."

وهكذا استطاع بوركهارد تحصيل درجات عليا في الدراسة وقام باعمال نحت وجمع نموذجا لخطوط السكك الحديد وتعلّم شغل الابرة والتطريز والطبخ

والاختزال والضرب على الآلة الكاتبة واصبح عامل راديو لفرقة موسيقية. كما انه اتقن ركوب الدراجة الهوائية مستعيضاً بها عن الركض.

في العام ١٩٧٠ أبرم اتفاق بين شركة "شيمي غروننتال" وممثلين لـ"كونترغان – كندرهيلفسفيرك" لتعويض ضحايا عقار كونترغان، تدفع الشركة بموجبه ١٠٠ مليون مارك الى المعاقين. واودع هذا المبلغ مؤسسة انشئت لهذا الغرض ونالت قرضا بقيمة مماثلة من الحكومة الاتحادية. وغاية الامر التخفيف عن كاهل ضحايا كونترغان وذويها وتأدية تعويضات شهرية اليها.

وتحقيقا لهذه الغاية طلب من بوركهارد ان يخضع لفحص طبي في عيادة جامعة مدينة منستر. واذ تبين ان طول قامته ١،٢٥ متر، نصح الاطباء بمعالجته بهورمونات تساعد على نموه. وبعدما حقن ثلاث مرات اسبوعياً على مدى خمس سنوات نما طوله الى ١،٥٨ متر.

– ازدادت نزعة بوركهارد الاستقلالية كلما ازداد طوله ومال الى الاعتماد على نفسه. فتاق الى اقتناء دراجة نارية. ولما كان يعلم ان امه، القلقة على سلامته، ستمانع في ذلك، فاتح والده بالامر: "هلا أخذتني الى المدينة لامتع نظري فقط بالدراجة في واجهة المتجر؟" ولما كان يحز في نفس الوالد، أن يرى بوركهارد عاجزاً عن إتيان أعمال يستطيع معظم الاولاد القيام بها، لم يستطع تجاهل توسلات ولده المعاق ولا هو استطاع مقاومة شراء الدراجة النارية له. وكم كانت دهشته كبيرة حين اظهر بوركهارد، حال تسلمه الدراجة، براعة في قيادتها.

بعدما نُقل الكابح الى الجهة اليسرى من المقبض ورُكز بحيث يتمكن الصبي من الاتكاء عليه بدل ضغطه بيده، تقدم هذا بطلب لنيل اجازة سوق من مصلحة الآليات في زيغن. وهو كان اول ضحية من نوعها تتقدم بطلب كهذا. لذا واجهته عقبات تعترض رائد اي مضمار. فلم يصدق الفاحصون انه قادر على التحكم بدراجة في زحمة السير فاخذوا يبتدعون له امتحانات جديدة كلما نجح في تخطي احدها. وهو يتذكر: "لقد نجحت فيها كلها وكافحت فعلا في هذا السبيل." أخيراً تكللت مثابرته بالنجاح فلم يسع المسؤولين الا ان يستجيبوا لطلبه. وقد زاده تصميمه هذا حنكة في سعيه الى نيل رخصة سوق سيارة بعد اربع سنوات.

– كان بوركهارد في التاسعة عشرة حين بدأ دراسة الفيزياء في جامعة زيغن. وقد شكك فولفغانغ هاينريش، استاذ الفيزياء واستاذ بوركهارد الخاص، في نجاح تلميذه حين تقدم هذا الى الامتحانات المخبرية الاجبارية للحصول على دبلوم في مجموعته. وشمل الكثير من الفحوص عملا يدوياً دقيقاً في وقت كان عليه دراسة رقائق بلاستيك صغيرة تحت المجهر. وتساءل استاذه، هل يقدر بوركهارد ان يكون في مستوى التحدي؟ وهو يتذكر: "اعتقدت في البدء انه عاجز حتى عن حمل الاشياء، الى أن أتى بفنجانين من

القهوة واحد لي وآخر له. انه قادر دائماً على استنباط طريقته الخاصة في التغلب على مشكلاته."

ولما كانت دائرة الفيزياء في جامعة زيغن على اتصال وثيق مع مجموعة مماثلة في جامعة سان فرنسيسكو، فقد طلب بوركهارد من استاذه هاينريش منحه فرصة لقضاء سنة هناك. يقول بوركهارد: "لم يسبق لأحد ان نال عطلة تمتد من لحظة نيل دبلوم الى حين بدء التحضير لنيل دكتوراه، ولكني اردت ان ابرهن عن قدرتي في العيش وحيدا."

على رغم ان سجل بوركهارد، بدا جيداً على الورق، فقد اقلق يوجين بنتون رئيس دائرة سان فرنسيسكو، ان يأخذ على عاتقه مسؤولية شخص معاق الى هذه الدرجة. الا أن مخاوفه تبددت حين التقاه في مؤتمر دولي أقيم في روما في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥، وشاهده وهو يلقي محاضرة مهمة ويقلّب بين يديه بمهارة رسوما بيانية تثبت صحة نظرياته.

حققت الرحلة الى امريكا والتي دامت معظم العام ١٩٨٦، كل اهداف بوركهارد. فهو لم يطور برنامج الدماغ الالكتروني لقياس الاشعاع الكوني فحسب بل أثبت انه قادر على انجاز اعماله اليدوية دونما مساعدة من أحد، فسكن في احدى غرف قسم المنامة المخصص للخريجين وكان يأكل في الكافتيريا ويقضي معظم اوقات فراغه مستكشفاً الريف، يجوب انحاءه بسيارته التي عدّلها لتتناسب ووضعه الجسدي: وضع وسادتين على المقعد حيث يجلس ليصير في موازاة المقود، وربط سلكاً متيناً الى دعسة الكابح الذي لم يكن في استطاعته استعماله بقدمه لقصر رجليه.

وفي اوائل يونيو (حزيران) قدم والداه لزيارته فتطوع لهما باعتزاز مترجماً ودليلا وسائقاً. والى حين غادرت العائلة الى موطنها كانت والدته انغه اقتنعت بأنها فقدت حقاً ولداً معاقاً وربحت ولداً راشداً. وعلى هذا الاساس تقبلت انتقال بوركهارد الى شقته الخاصة في ضواحي مدينة زيغن في اوائل ١٩٨٧.

الى دراسته في جامعة زيغن، يشغل بوركهارد اليوم مركز نائب رئيس "الجمعية الاقليمية لضحايا عقار كونترغان." لكنه يطمح الى القيام بعمل رائد، ان يذهب في رحلة الى الفضاء الخارجي مزوداً تلك الاجهزة الكاشفة للاشعاع الكوني. وهو يقول: "انا مستعد في اي لحظة لان اقوم برحلة الى الفضاء الخارجي فور تلقي دعوة. الحياة كلها مخاطرة، واين كان يمكن ان اكون اليوم لو لم اركب المغامرات؟"

صامويل آ. شراينر الابن ■

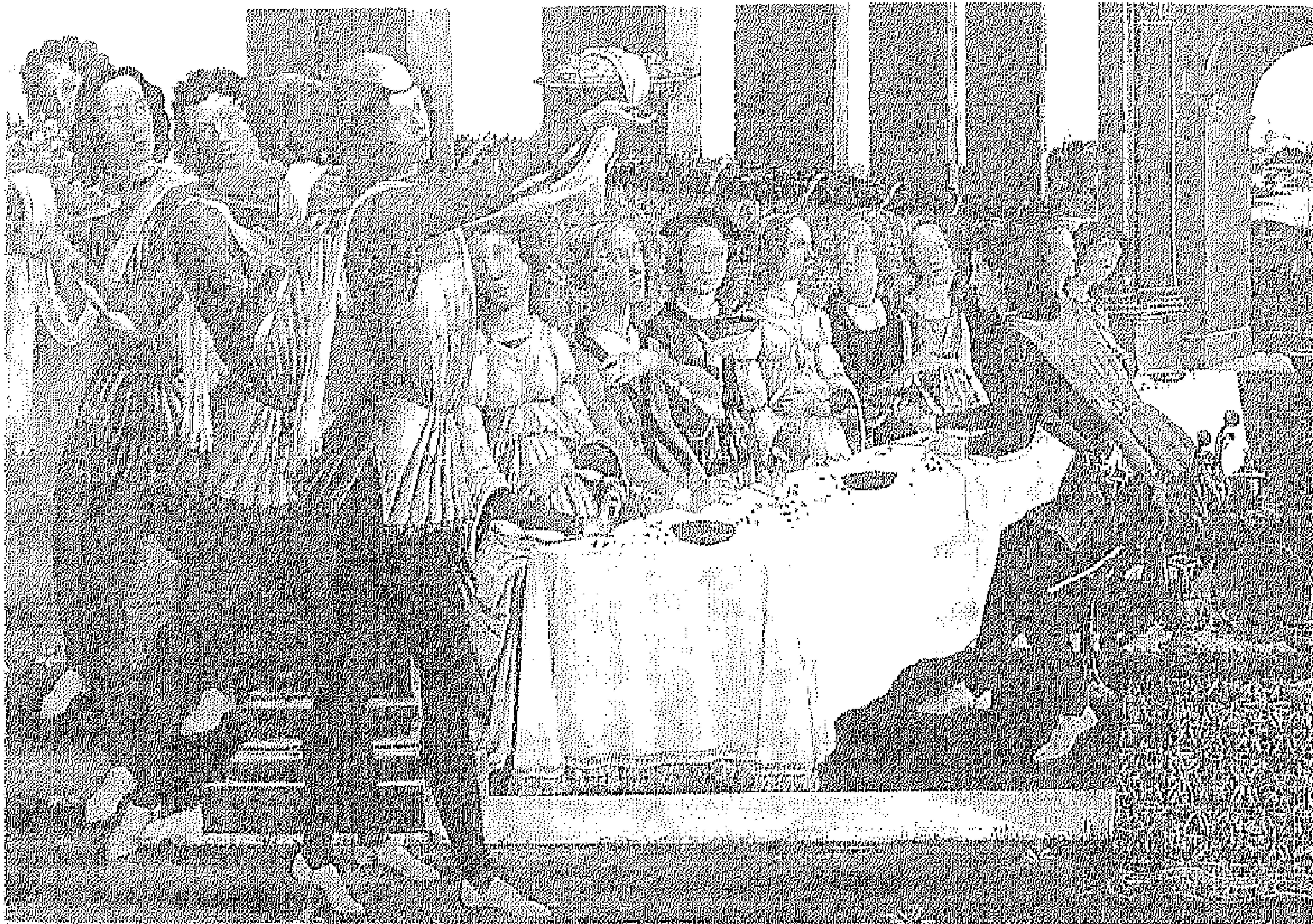


مال وسعادة؟!

شعار على قميص قصير الكمين ولا قبّة له:
كل مَن يقول إن المال لا يشتري السعادة لا يعرف اين يتسوّق.

ت.ص.م.

الأناقة في الطبخ الجميل



"وليمة العرس" لرسام عصر النهضة الايطالي ساندرو بوتيشيللي. وتشهد الاطباق المتقنة التي يحملها موكب من خدم الفوارس، على ثراء المضيف واهمية مركزة.

ما فتىء الطهاة المحترفون يبذلون، عبر الاجيال، الجهد كي يجعلوا الطعام يبدو اكثر جمالاً وروعة. وكان همّهم الأكبر على الدوام ان يخلّفوا في نفوس الضيوف انطباعاً قوياً يتصل بطريقة تقديم الطعام والابتكار في تزيينه والدّقة في صنعه اكثر مما بمذاقه الشهي او بنكهته المميّزة.

كانت الوليمة عند الرومان شأناً بالغ الاناقة والترف والذوق. فكل مائدة كانت تتسع لتسعة مدعوين يجلسون متكئين كل ثلاثة على اريكة حول ثلاثة من الجوانب الاربعة لمائدة منخفضة نُصبت في غرفة ذات ثلاثة جدران تعرف بإسم "تريكلينيوم" فيما الجدار الرابع مفتوح كما في المصاطب. وكان المدعوون

يضعون اكاليل الزهر حول اعناقهم فيما المضيفون ينثرون الزهر فوق الموائد والارائك ويرشون العطر بسخاء فيفوح شذاه في ارجاء المكان.

أصناف الطعام عند الرومان هي نفسها تقريباً ما نتناوله اليوم. فقد تألّفت وجباتهم من ثلاثة الوان كانوا يقدّمونها بالتتابع. اللون الأول ضم السلطة وثمار البحر والبيض وهي الأصناف ذاتها التي نصنّفها اليوم بين المقبّلات. اما اللون الثاني فحوى اللحوم، يليها، كلون ثالث، الكعك المصنوع من العسل والجبن، والحلوى والاجبان، وهي الأصناف ذاتها التي نختم بها وقعاتنا اليوم.

في الولائم الرسمية، كان الطعام يُدخل محمولاً على طاولات. وكان يعلن احياناً عن اللون الرئيسي بواسطة ابواق.

وكانت المشاوي من الطيور واللحوم تقطّع بايقاع على انغام الموسيقى.

وتخللت وجبات الطعام فواصل من الرقص والالعاب، وغالباً ما كانت تنشد قصائد. وكان ضيوف العشاء يرتدون "التوجا" وهو رداء روماني فضفاض، وينتعلون أخفافاً للسهرة ويحملون مناديل بيضاء كبيرة خاصة بالموائد.

وادى افول نجم روما وانكفاؤها الى ظهور نزعات من البذخ المفرط والجنون الخالص في غرف الطعام.

فكان سمك البوري يخلل حياً على الموائد كي يبهج منظره الضيوف ويثير اعجابهم. واصدر الامبراطور كلوديوس تعليمات قضت بإضافة اللؤلؤ المسحوق الى الشراب رفعاً لكلفته كما اصرّ على وضع حجر كريم في كل طبق يقجدم اليه.

يضعون اكاليل الزهر حول اعناقهم فيما المضيفون ينثرون الزهر فوق الموائد والارائك ويرشون العطر بسخاء فيفوح شذاه في ارجاء المكان.

أصناف الطعام عند الرومان هي نفسها تقريباً ما نتناوله اليوم. فقد تألّفت وجباتهم من ثلاثة الوان كانوا يقدّمونها بالتتابع. اللون الأول ضم السلطة وثمار البحر والبيض وهي الأصناف ذاتها التي نصنّفها اليوم بين المقبّلات. اما اللون الثاني فحوى اللحوم، يليها، كلون ثالث، الكعك المصنوع من العسل والجبن، والحلوى والاجبان، وهي الأصناف ذاتها التي نختم بها وقعاتنا اليوم.

في الولائم الرسمية، كان الطعام يُدخل محمولاً على طاولات. وكان يعلن احياناً عن اللون الرئيسي بواسطة ابواق.

وكانت المشاوي من الطيور واللحوم تقطّع بايقاع على انغام الموسيقى.

وتخللت وجبات الطعام فواصل من الرقص والالعاب، وغالباً ما كانت تنشد قصائد. وكان ضيوف العشاء يرتدون "التوجا" وهو رداء روماني فضفاض، وينتعلون أخفافاً للسهرة ويحملون مناديل بيضاء كبيرة خاصة بالموائد.

وادى افول نجم روما وانكفاؤها الى ظهور نزعات من البذخ المفرط والجنون الخالص في غرف الطعام. فكان سمك البوري يخلل حياً على الموائد كي يبهج منظره الضيوف ويثير اعجابهم. واصدر الامبراطور كلوديوس تعليمات قضت بإضافة اللؤلؤ المسحوق الى الشراب رفعاً لكلفته، كما اصرّ على وضع حجر كريم في كل طبق يقدم اليه. ولكي تزداد حبّات

البازيلاء تألقاً كانت تضاف اليها ذرور من الذهب الخالص.

استمر حب البذخ المتميّز بالغرور في العصور الوسطى فصنعت "منحوتات" من الطعام اثارت الدهشة، وغالباً ما كان نصف الشكل المنحوت غير صالح للأكل مثل الفطائر التي كانت تخفى في داخلها طيور حيّة تنطلق فور كسر الفطيرة، فترفرف باجنحتها في المكان اسعاداً للضيوف واثارة لاعجابهم.

القشرة الخارجية - معظم اللطائف كانت تدور حول موضوعي المال والسلطة، إذ كان الاقطاعي في العصور الوسطى يعتمد على ولاء جيرانه من النبلاء واتباعهم. اما الملك فكان اعتماده على رجال حاشيته. فكانت الولائم مناسبة لعرض ما للمضيف من قوّة وجاه ولافهام الضيف ان خيانته له او تحدّيه هما فوق طاقته.

وفي الاحتفال الذي اقامه "تشارلز الجريء"، آخر دوق عرفته منطقة بورغوندي الفرنسية، لمناسبة زواجه في العام ١٤٦٨، كان بين أصناف الطعام ٣٠ فطيرة محلاة غُلّفت كل منها بالحرير وحملت اسم مدينة من المدن الخاضعة لسلطته ممّا جعل المائدة تبدو كمخيّم للعسكر. وهذا بدا العرس مناسبة لعرض قوة الدوق.

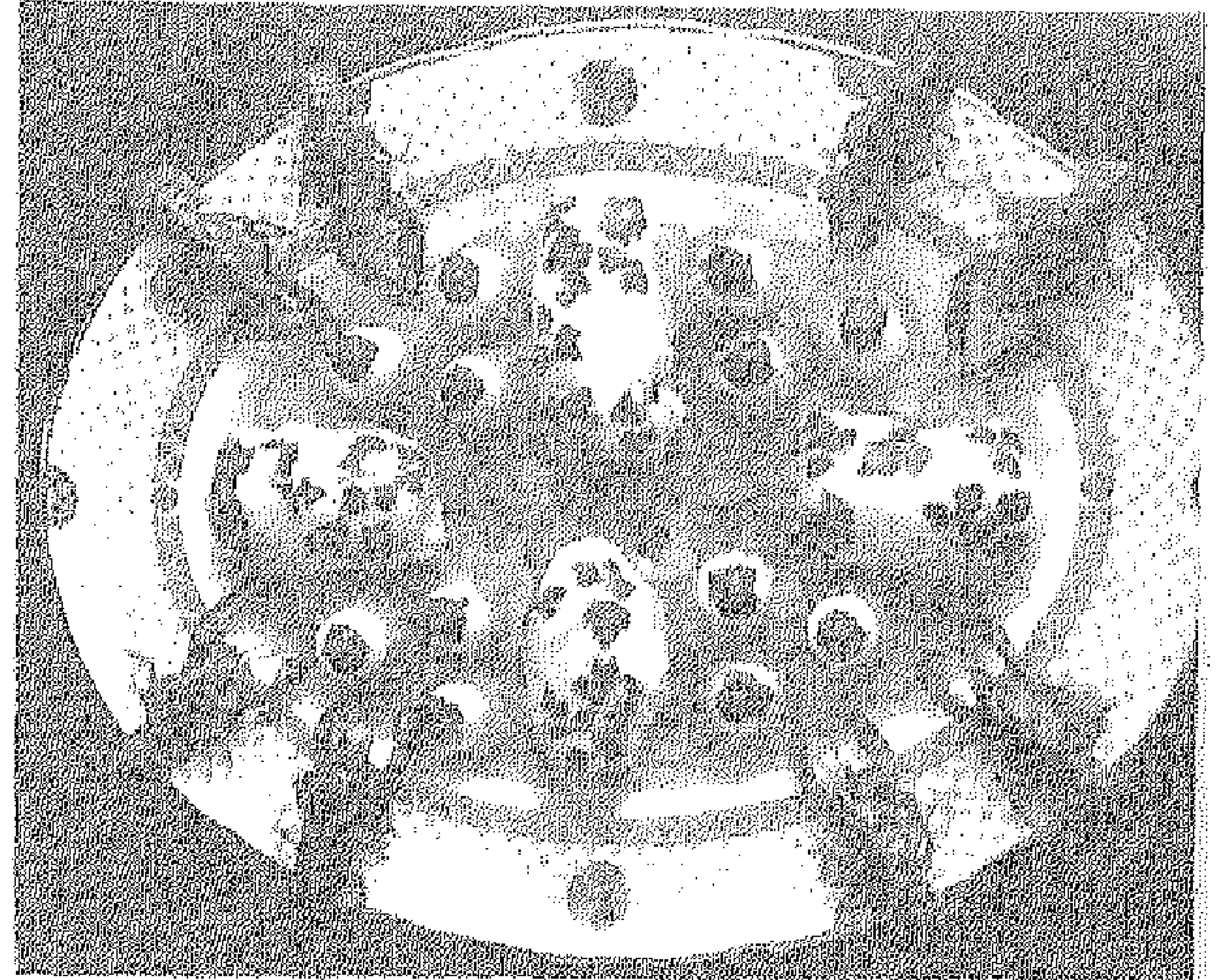
وفي ولائم العصور الوسطى، رافق تقديم الطعام الى ضيوف الشرف، مثل الملك او الدوق، كثير من الطقوس والمراسم التي كان يؤديها رجال الحاشية او الخدم الذين كانوا يركعون امام الضيوف. وكانت جميع الاصناف الفاخرة والاطباق المختارة تصف على طرف المائدة حيث المضيف وضيوفه وامامهم اكداس من الصواني المصنوعة من الخبز الاسمر الخشن لاستعمالها كاطباق. وكان كل واحد منهم يستعمل اربعة او خمسة من هذه الاطباق.

اما ضيوف "النخب الثاني"، وهم ايضاً اشخاص مهمّون، فكانوا يجلسون على رأس الطاولة في الطرف الأول من مائدة "الصفّ الثاني" وامام كل منهم طبق من الخبز الاسمر الخشن واصناف طعام جيدة ومتنوعة، تضاف اليها احياناً لحوم غير طازجة، اي باقية من اليوم السابق، وشطائر مقضومة! وكلما ابتعد الضيف عن هذا الطرف غابت عنه المراسم وشحّ امامه الطعام وصولاً الى الطرف الثاني من المائدة حيث كان يجلس الاتباع والجنود والخدم يأكلون فضلات الطعام مزيجاً من اللحوم والخضر والحلوى وقد مُلطت في هاون.

وعلى غرار تماثيل العصور الوسطى ومنحوتاته الملونة، صبغ الطعام في هذه المرحلة وغلّف. فكانت كتل اللحم والطيور مثلاً تكسى بطبقة رقيقة من الذهب او الفضّة. وقد استعمل خشب الصندل لإضفاء لون وردي فاقع على القستر. اما الصلصة فاستعمل في تلوينها عصير البقدونس والزعفران، الأول لجعلها خضراء والثاني لجعلها صفراء.

خدمة ذاتية - مع ان كلاً من الوان الطعام المقدّمة تألف عادة من عدّة اصناف واطباق، إلا انه نادراً ما تسنّى

للضيف ان يتذوقها كلّها، فمن قلّة الأدب مثلا ان يتناول. الشخص طعاماً ليس في متناول يده. ولون الطعام ربما تألف من لحم مع صلصة خردل صفراء ومن سمك الانقليس في صلصة خضراء ومن قمح (او نبات حبّي آخر) مسلوق بالحليب ومن سمك الجلكي مع التوابل ومن يخنة لحم ومن فخذ غزال (أو طريدة اخرى) ومن لحم الدلفين المشوي ومن طاووس او بطّة كاملة بريشها وقوائمها ومنقارها مطليّة



هذا الطبق العصري من صدور الدجاج بمرق الموسلين مع الإربيان والكمأ هو بهجة للذوق والنظر.

بالذهب. اما اللون الختامي فمال الى الحلويات منه الى اللحوم والمشاوي.

وفي القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر اتبعت حفلات العشاء الفخمة اسلوب ولائم العصور الوسطى ولكن مع تعديلات ادخلت عليها تدريجاً. فابدلت الصحفة المصنوعة من الخبز الاسمر بأخرى خشبيّة ثم ما لبث الاغنياء ان استعملوا صحوناً مصنوعة من البيوتر وهي شابة معدنية مقومها الاساسي القصدير. اما الأثرياء جداً فقد جعلوا صحائفهم من الفضة او الذهب وهم وجدوا في ذلك طريقة مناسبة لتخزين ثرواتهم او لعرضها. كذلك أدخلت الاكواب الفردية واستعيض بها عن الطاسة لعموم الناس. وبدأت الشوك والملاعق والسكاكين تظهر على الموائد، اعتباراً من القرن السابع عشر.

افكار عذبة – لعل الأهم من كل ذلك ظهور غرفة الطعام التي اتاحت للطاهي ان يعرض الفطائر والحلوى والفاكهة المصنّعة اللذيذة على الطاولات والانضاد وفوق القواعد. وسهل توافر السكر بكميات كبيرة من جزر الهند الغربية وتدني اسعاره، سبل الابتكار في صناعة الحلوى. ولوحظ ان الثورة الحقيقية في تحضير الطعام بدأت في القرن السابع عشر في فرنسا، تلتها انكلترا بعد خمسين سنة. واختفت عادة عرض اللحوم والصلصة المسمّكة بالخبز والطيور وفقدت شعبيتها وحلّت محلها انواع أخرى من الصلصة الرقيقة الملساء. ويرجع الفضل في إدخال الصلصة المحضّرة من الدقيق والزبدة الى الطاهي لا فارين المعلّم الكبير الذي اصدر في العام ١٦٥١ الكتاب الأول من مؤلفاته الكلاسيكية الاربعة حول فنّ الطبخ. ثم عرفت المثلجات وشرابات عصير الفاكهة المثلوجة. وتولّع الناس بالبازيلاء الى حد الجأ الطهاة احيانا الى استخدام سيقان الهليون لصنع ما يشبه حبّاتها. اما تحضير الطعام الراقي والمبتدع بنكهاته الرقيقة الناعمة والوانه الطبيعية، فقد

تجسّد في انتونين كاريم الذي ولد في اواخر القرن الثامن عشر وعمل طاهياً لدى رجل الدولة الفرنسي تاليران ثم لدى ولي العهد البريطاني ولدى قيصر روسيا اسكندر الأول.

مع كل ذلك، فإن معظم الناس في عصرنا لن يستسيغوا وجبة طعام من ابتكار كاريم باعتبار ان الطعام الذي قدّمه كان في احسن حالاته فاتراً، لانه اولى المنظر والاهتمام الاكبر وقدمه على الطعم.

وكان كاريم اضطر الى جعل الهلام والمهلبية والقستر التي حضّرها سميكة جامدة الى درجة سمحت له بان يصنع منها اشكالاً مبتكرة. اما موائده فنثر فوقها اكاليل الزهر وزيّنها بتماثيل صغيرة صنعها من السكّر، كذلك هو صنع اطباقاً من السكر في اشكال مبانٍ وعمارات ذات تفاصيل دقيقة. وكان مولعاً بفن العمارة الى درجة انه كتب: "بين الفنون الجميلة الخمسة، فنّ العمارة هو الاعظم. وأهم فروعه صناعة الحلوى."

عصر اسكوفييه – وفيما ظلّ الطعام المعروض يعكس ثراء المضيف وسلطته، إلا انه اصبح يتوخى اطراء الضيوف واشباع غرورهم. وفي القرن التاسع عشر، صنع الكسس صوير الطاهي الشهير في "نادي الريفورم" والتلميذ الامين لكاريم، رائعة تكريماً لباشا مصر الذي قدم الى لندن في زيارة رسميّة. وهو وضع فوق شكل اهرام صنعه من السكّر، صورة ملوّنة لوالد الباشا محمد علي رسمها بنفسه فوق عجينة من السكر واستخدم لتلوينها الصباغ الخاص بالطعام. وعندما رفعها الباشا ليتفحصها عن كثب تبيّن له ان في الاطار المخرّم المصنوع من السكّر الناعم صورة صغيرة له انما في غاية الدقّة والكمال. بعد ذلك الإطراء، كيف يمكن الاّ تنجح المحادثات السياسية بين الضيف والمضيف؟

وفي القرن التاسع عشر ظلّت عادة تقديم الطعام اشكالاً منحوتة، حيّة، خصوصاً في كعكة العرس والى درجة اكبر في المنحوتات الجليدية على غرار التمّ الذي حمل بين جناحيه طبقاً من "دراق ملبا" وهو طبق ابتكره اسكوفييه، كبير طهاة فندق "سافوا" تكريماً لمغنية الاوبرا نيلي ملبا.

ولقد تعرّض إسكوفييه لكثير من الافتراء والتجريح بحجة انه قيّد فنّ الطبخ بأصناف كلاسيكية. وهو انزل في العام ١٩٠٣ كتابه "دليل الطهاة" الى الاسواق وفيه خمسة آلاف وصفة. وخلال السنوات الثلاثين التي عاشها بعد إصداره الكتاب، اعاد طبعه عدّة مرات حاذفاً منه وصفات اصبحت قديمة ومضيفاً اليه أخرى حديثة.

المطبخ الحديث – بعد وفاة اسكوفييه حصل ما كان يخشاه. فقد كان الطهاة يُعلّمون "أن ما هو غير مذكور في كتاب اسكوفييه ليس من الطبيخ او المطبخ" مما ادى الى حال من الجمود تميّزت بغياب الخلق والابتكار. وكانت الحربان العالميتان ادتا الى نقص في الطعام والطهاة. غير ان مطاعم ما بعد الحرب، ظلّت، بموظفين اقل ومقومات اغلى،

متشبثة باسكوفييه او انها ظنت ذلك. فالاساليب المختصرة في اعداد الطعام سرعان ما تسللت الى المطابخ وبات الافتقار الى الدقّة والإتقان هو العرف السائد.

في بريطانيا على الأقل، هبط الطبخ الى الدرك الاسفل. فتوفيراً في الوقت والمال، كان الطعام يُحضّر قبل تناوله بوقت طويل ثم يعاد تسخينه مرات عدة. وغطّت الصلصة البنية كل شيء. وكان الهلام، ذلك الصديق الخبيث لكل طاه طموح، يُسكب بغزارة فوق الاطباق الباردة فيغطيها وكأنه معطف واق. وكان الطاهي يلجأ الى حيل مهنيّة يقنّع بها الطعام الرديء فيزينه بالمايونيز والطماطم (البندورة) المفصلة على شكل زنابق والليمون الحامض على شكل سلال. ومنذ ثورة كاريم، شكّلت حركة "المطبخ الحديث" الدافع الأهم الذي حفز الناس على الاهتمام مجدداً بالطعام وطرق تحضيره. وعندما تحرّرت حديثاً "عصبة بوكوس" التي ضمّت نخبة من كبار الطهاة الفرنسيين، من تأثير إسكوفييه، لم يتم ذلك بسبب رفضها الطرق الكلاسيكية في تحضير الطعام بل لانها تاقت ببساطة الى الخلق والابداع وادركت ان وجود انواع جديدة من الطعام في السوق الى جانب فئات جديدة من المستهلكين المنشغلين والواعين خصوصاً اهمية الغذاء الصحي، ربما ادى الى قيام وضع جديد في عالم المأكولات.

وركّز بول بوكوس وزملاؤه وسواهم من الطهاة في ارجاء العالم الذين سرعان ما حذوا حذوهم، على الطعام الطازج وعلى قوائم الطعام المرتكزة على افضل الموجود في السوق. وامتنعوا عن طهو الطعام قبل اوان تناوله بوقت طويل الا عند الضرورة القصوى. وتجنبوا المبالغة في الطهو وركزوا على الصلصة الخفيفة وعلى اناقة التقديم وجماله.

لقد ترك "المطبخ الحديث" الباب مشرعاً لكل جديد وهو تأثّر بالنسق الياباني المتحفظ وبفلسفة الصيني ينغ يانغ الذي ركّز على التناغم والمغايرة في

بالطبع رافق ازدهار "المطبخ الحديث" بعض السخافات. ففي سعيهم وراء كل جديد ومثير نسي الطهاة - وان لم يعرفوه يوماً - المبدأ الذي ارساه في العشرينات الذواقة الفرنسي الشهير كيرنونسكي الذي كتب: "ان الطبخ يعني الإبقاء على نكهة الطعام كما هي." وقبل

إني على يقين ان المبادىء الاساسية في الطبخ لا تزال صالحة لعصرنا. وفي اعتقادي انه لم يسبق للطعام ان اولي ذلك المقدار من العناية لجهة شرائه وتحضيره وتقديمه، على الأقل عندما يكون وراءه معلّم.

برو لايث ■



ليست الوحدة الا يأتي أحد لزيارتك، بل الا يكون لك مَنْ تزوره.

ز.هـ.



كان جون
صبياً معدماً،
لكنه يملك
صفات الرجل
المصمم على النجاح

مَاسْح الأحذيَة

بينما كنت أمشي بعد ظهر يوم في الازمة القذرة لمدينة ليما، عاصمة البيرو، سمعت صوتاً ينادي بالاسبانية: "سيدي، هل لديك مئة سول (١) لصبي يكاد يموت جوعاً؟"

مثل بقية مدن العالم الثالث، تعج مدينة ليما بالاولاد الجياع ومعظمهم من الايتام. التفت فرأيت صبياً في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، شعره أسود اللون ويرتدي قميصاً ممزقاً. سار نحوي وعيناه تشعّان بحذر.

أجبته باسماً: "انك ممتلىء الجسم أكثر مني!"

فقال: "أجل، في الواقع انها طريقة تؤثر في معظم السياح. شكراً على كل حال، الى اللقاء."

قلت للصبي عندما هَمَّ بالانصراف: "كنت أبحث عن وجبة طامال (٢) لذيذة، فهل تعرف مكاناً يقدِّمها؟"

---

(١) كل مئة سول تعادل ٢٣ سنتاً امريكياً.
(٢) طعام مكسيكي مُعَدّ من دقيق الذرة ولحم مفروم مع فلفل احمر.

فأجاب: "يا صاح! اني أعرف أين يقدم أفضل الطامال في كل ليما!"

قادني الى كشك صغير مهدم حيث تناولنا طامال ممتازاً واحتسينا القهوة. وبصفتي مستشاراً للتنمية الاقتصادية الدولية، رأيت اولاداً معذبين في كل انحاء العالم وأعطيتهم المال دائماً. ولكن بدا هذا الصبي مميزاً. فعلى رغم مخاوف العيش في الطرقات كان مولعاً بالحياة، شغوفا بها.

سألته مستفهما: "ما اسمك؟"

أجابني بسرور بالغ: "جون."

قلت له: "اسمي بروس."

حاول لفظ اسمي بشكل يناسب لغته الاسبانية: "آه، سنيور بروثي."

التصميم القوي - كان يلعق قشرة عرنوس الذرة التي كانت تغلف الطامال، فابتسم بابتهاج عندما طلبت له طامال آخر.

سألته: "ماذا تريد أن تفعل يا جون، وكيف تريد أن تعيش في المستقبل؟" كان من الواضح أنه ليس تلميذاً في مدرسة، ولكني علمت من خلال محادثات لاحقة أنه علّم نفسه القراءة وكان المالك الفخور لروايتين ورقيتي الغلاف ومعجم اسباني - انكليزي بال.

فحدق الى عينيّ قائلا: "أريد أن أملك مشروعاً خاصاً بي لتلميع الاحذية." تضمن جوابه تصميماً قوياً لشخص يدرك ما يطلبه ويعرف انه بطريقة ما سوف يحصل على مراده.

يعمل ألوف الصبية في تلميع الاحذية في الدول النامية، ويستعمل معظمهم مادة رخيصة للتلميع ويفتقرون الى المهارة، ولكن ما لفت نظري في هذا الصبي أنه قد يكون استثناء للقاعدة.

"هل تملك مالا يا جون؟"

فمد يده الى جيب بنطلونه الممزق وسحب رزمة من الأوراق النقدية من فئة ٥٠٠ سول، تعادل ٩ دولارات. كان هذا المبلغ كبيراً بالنسبة الى صبي صغير في البيرو. فسألته: "من أين حصلت على هذا المبلغ؟"

فأجاب: "من السياح."

صدقته لأن السياح يملكون قلوباً من ذهب.

فقلت له وعيناه الكبيرتان تحدقان الي: "سأخبرك امراً يا جون. سأكون شريكك المضارب، مما يعني أني سأوفر لك بقية رأس المال الذي تحتاج اليه اذا شاركتني في ربحك. هل هذا عادل؟"

رد مخاصماً: "الرأسمالية شر! فهي التي تجعلنا نكاد نموت من الجوع!"

لم أفاجأ. ففي كل مكان من العالم الثالث يردد علماء الاجتماع هذه الفكرة. ولكن خامرني شعور بان هذا الصبي يعرف، في داخله، انها فكرة خاطئة. فسألته: "هل كنت، يا جون تعيش في حالة أفضل أم أسوأ في السنوات التي سبقت عهد الرئيس بلاووندي؟"

- كانت الامور سيئة في ذلك الوقت.

- "تماماً. لأنه لم يُسمح للناس بأن يقوموا بما يريدون أو أن يحتفظوا بما يكسبون. اما اليوم فيستطيع الشخص أن يقوم بعمل يكسب منه عيشه كما يراه ملائماً." فأومأ برأسه موافقاً. وأضفت: "لقد دفعت لهذه السيدة ثمن الطامال.

انها الآن رأسمالية لانها تقوم بمبادرة فردية. ولكن من الذي استفاد عندما دفعتُ لها؟"

ففكر قائلا: "كلاكما."

- تماماً! واذا طلبت الف سول لكل طامال بدل ٣٥ سول؟

- "تكون يانكي مغفلا اذا دفعت ذلك المبلغ يا صديقي!"

- اجل، لكن من المحتمل أكثر أن أرفض شراءه. هل هذا صحيح؟

فأومأ برأسه موافقاً بحماسة.

وأضفت: "في كل مبادلة تجارية يحدد السعر رغبات الزبون في الدفع. انها مسؤوليتي أنْ اسعى وراء مصالحي وليست مسؤولية الرئيس بلاووندي."

فقال لي: "حسناً، ما هو المبلغ المتوجب علي دفعه؟"

سألته: "ما هو السعر الحالي لتلميع الاحذية؟

- اظن أنه ٢٧٥ سول (٦٠ سنتا).

"وهل تعتقد أنك ستضاهي منافسيك، هؤلاء الصبية الآخرين، في تلميع الاحذية؟"

فتباهى قائلا: "اني أفضلهم!"

- اذاً، لماذا لا تقدم خدمة أفضل وتتقاضى بضعة سولات أكثر؟ اذا كنت جيداً فالناس سيدفعون الفرق بسرور.

- "حقاً؟"

جعدت شعره وأجبته: "أجل حقاً! والآن لنذهب فنشتري معداتك."

درس في التسويق - وجدنا صندوقاً مستعملا لتلميع الاحذية في متجر صغير قذر. بعد شرائنا المواد الملمّعة والفراشي والخرق البالية اصبح جون مديناً لي بتسعة دولارات. وسألته عن المكان الذي يريد أن يبدأ فيه عمله.

فأجاب: "في البلازا سان مارتان."

- ماذا؟ بين عشرين صبياً يتردد عليهم زبائنهم في استمرار؟ كان جوابي درسا في التسويق.

فسألني: "هذا صحيح. ولكن أين يوجد الكثير من الناس في غير هذا المكان؟"

- في فندق "الشيراتون." هناك الكثير من السياح ذوي القلوب الكبيرة والاحذية المتسخة.

ناقشنا، ونحن في طريقنا الى الشيراتون، طريقة المنافسة العادلة مع الصبية القلائل الموجودين هناك، وقررنا أن تكون المهارة المقياس الوحيد لكسب العمل.

لدى وصولنا الى الشيراتون بادرني فجأة بسؤال غفلت عنه: "ما هي حصتك يا سيد بروثي؟ أهي النصف؟"

توقفت لاتأمل هذا المقاول الشاب وأجبته: "واحداً في المئة، أي سول واحد من كل مئة تجنيها."

ابتسم بابتهاج وقال: "انت يانكي مغفل يا صديقي!"

عمل خارق - حاولت التحدث في ردهة الفندق الى سائح بريطاني لاقناعه بان يخرج ويلمع حذاءه أفضل تلميع في حياته. فعارض: "لا أحب هؤلاء الاولاد الصغار الذين يفركون بنطلوني الفضفاض بصباغهم."

لكنه وافق أخيراً، وعندما اقتربنا من جون نظرت عابساً الى حَمِيِّ الشاب، وقلت

له: "اذا استعملت اللون الخاطىء أو لوّثت بنطلون هذا الرجل، فسوف أطاردك من جبال الانديس حتى الاكوادور."

بدأ عمله بضراوة الى درجة أن البريطاني نفسه تفاجأ بمهارته. وعالج جون خرقة التلميع ببخترة جاشا هيفتز وهو ينقر وتر كمانه. وبعد دقائق بدا كأنه ابتدع حذاء جديداً.

فقال له الانكليزي: "هذا عمل خارق ايها الشاب! بكم أنا مدين لك؟"

نظر اليّ فرفعت راحتيّ متجاهلا. عليه هو أن يتخذ قراره. "ثلاثمئة سول، يا سيدي!"

فابتسمت. ثلاثمئة سول، أي ٦ سنتات أكثر من المنافسين.

أخرج السائح ٥٠٠ سول من جيبه قائلا: "هذه من أجل عمل رفيع المستوى." وناول جون المرتبك الورقة المالية وأضاف: "سأرسل اليك عدة اصدقاء بعد ظهر اليوم. الى اللقاء!"

حدّق جون الى أول مبلغ جناه في حياته والدموع تملأ عينيه. تغاضيت عنه وصعدت الى غرفتي في الفندق. ولكني اطللت مراراً من شرفتي فقط لارى جون وهو يعمل. وضحكت عندما طور أسلوباً لا يفشل أبداً في اجتذاب المارّين به: ينحني بفخر ويصيح: "سيدي، إنني الافضل!"

تصفية الحساب – اتصل بي البواب بعد ساعات ليقول انه ورفاقه أمسكوا صبياً يحاول التسلل الى غرفتي، وقد ظل يهددهم بأني "سألاحقهم فوق الانديس" اذا رموه خارجاً.

قلت: "سنيور، هذا الولد شريك عمل. دعه يصعد على الفور!"

وتخيلت جون يلفت الانتباه بقامته البالغة ١٢٢ سنتيمتراً، مزيلا الغبار عن صندوق البويا ومتبخترا في اتجاه المصاعد.

عندما فتحت الباب عرض يديه وقد تكدّست فيهما قطع معدنية من فئة مئة سول واوراق نقدية من فئة خمسمئة سول. وقال لي: "لا اعلم ما المبلغ الذي يتوجّب لك يا سيد بروتّي، ولكن علي أن أدفعه."

أحصينا الغلّة، وبعد استعادتي رأس مال الاستثمار – ٩ دولارات – وربحي بنسبة ١ في المئة بقي له ٢،٠٧ دولار. لكنه أدرك أنه من الآن فصاعداً سوف يربح الكثير.

وبينما استدار ليغادر الغرفة مد يده الصغيرة المغطاة بالصّباغ وقال برفق: "سيأتي يوم املك مالا كافيا لآتي وازورك في امريكا."

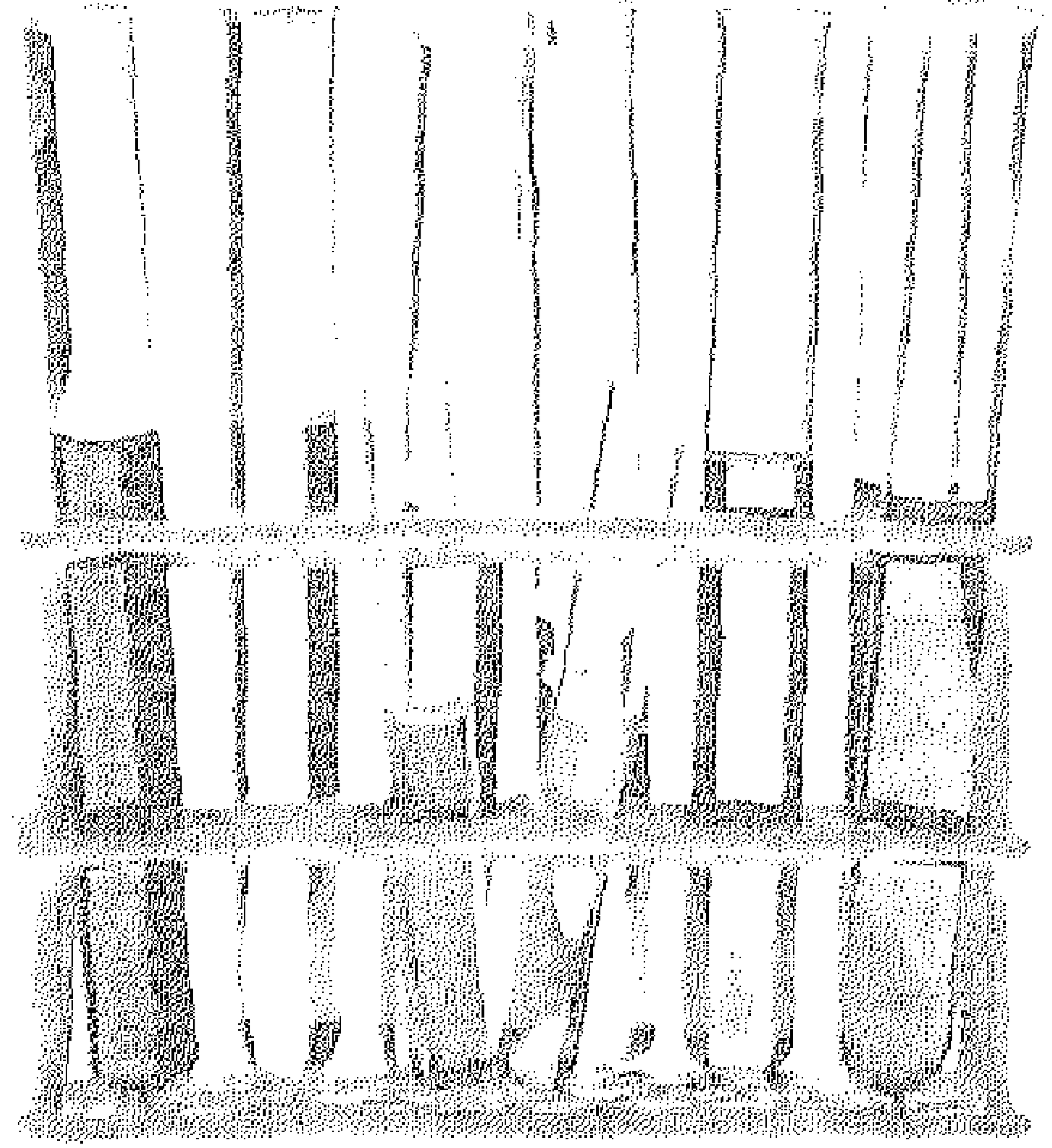
شددت على يده: "هذا رائع، ولكن في الوقت الحاضر عليك ان تعطي الكثير لبلدك البيرو."

مرت لحظة صمت قبل ان يقول: "سأعطيها." وتركت يده. وفي طريقه الى مدخل الفندق توقف ونظر الى الخلف. مددت يدي رافعاً ابهامي الى فوق وصرخت "أرّيبا!" اي فليحيا!

بروس آلان جونسون ■



مجرى حياتنا هو المرآة الحقيقية لكلماتنا. مونتانيه



أصداء من عالم الطب

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ غرزت تحت جلد مريض بالسكري يعالج بالانسولين اول مضخة تعمل بالدماغ الالكتروني. تم هذا العمل في مستشفى جونز هوبكنز في بلتيمور، ميريلاند في الولايات المتحدة. وهذا الجهاز المبرمج الذي يسمى PIMS ، هو في حجم القرص المطاطي المقوى الذي يستخدم في لعبة الهوكي على الجليد وهو يزرع تحت جلد البطن.

وفي حال نجاح هذا الجهاز ستتوافر طريقة سهلة للمعالجة تعفي المرضى من حقن الانسولين اليومية. ومعروف ان الانسولين هورمون بانكرياسي يساعد على خفض مستوى السكر والكربوهيدرات في الجسم. وخلافاً لمضخات الانسولين الخارجية، فان الانسولين الذي ينقله جهاز PIMS لا يحتاج الى انابيب مزعجة تتصل بالجسم وقد يتسرّب منها السائل، ولا الى ابر لحقن الجلد قد تتسبب في التلوث والعدوى.

يُمسك جهاز راديو مرسل فوق المضخة المزروعة ويعيّن رقم من طريق ادارة قرص الراديو لضبط كمية الانسولين التي تدفعها المضخة. وهناك ضوابط واقية في الجهاز تحول دون ضخ كمية غير مرغوب فيها من الانسولين.

والجهاز مثبت داخل علبة من معدن التيتانيوم ويتسع لنحو عشرة سنتيمترات مكعبة من الانسولين المركز الذي يكفي لثلاثة اشهر. وفي الامكان اعادة تعبئته بالحقن في الجلد. والجهاز مزود بطارية ويعمل لخمس سنوات ويمكن اعادة برمجته بواسطة الطبيب من طريق الهاتف.

وهناك امكانات اخرى لاستخدام جهاز مماثل منها لضخ الادوية القاتلة للالم الى العمود الفقري للمرضى الذين يعانون اوجاعاً يستعصي شفاؤها ومعالجة المرضى المصابين بخلل في وظيفة هورمون الجنس.

عن نشرة "جونز هوبكنز ميديكال انستتيوشن"

نشرت مجلة "الجمعية الطبية الامريكية" الرصينة تقريراً مهماً جاء فيه ان تناول بعض الادوية المخفّضة للكولسترول وطعام حمية يحتوي على القليل من الدهن في آن، من شأنه المساعدة في الحؤول دون انسداد

الشرايين التاجية. وما يزيد في التفاؤل ان الترسبات التي تتسبب في الانسداد انخفضت في حال واحدة من كل ست حالات.

ولم يقم الى الآن اي دليل مباشر على ان خفض مستوى الكولسترول لدى الانسان يؤخر الاصابة بمرض تصلّب الشرايين. وتظهر اكتشافات جامعة جنوب كاليفورنيا ان المعالجة بالادوية والحمية قد تؤدي الى توقف، ان لم يكن تحسّن، مرض الشريان التاجي. وتؤيد الدراسة الاعتقاد السائد منذ وقت طويل ان الحمية التي تعتمد خفض مستوى الكولسترول قد تكون مفيدة. وأجرى الباحثون دراسة على ١٦٢ من غير المدخنين الذين اجريت لهم عملية في الشريان التاجي فاخضع بعضهم لنظام حمية يحوي كميات مخفوضة من الدهن والكولسترول واعطوا ادوية "نياسين" و"كولستيبول" التي تخفض الكولسترول. واعطي البعض الآخر حبوباً لا تأثير لها واتبعوا نظام حمية اقل صرامة.

وبعد مرور سنتين تبين ان الفريق الذي خضع للمعالجة اظهر خفضاً يعادل ٤٣ في المئة في مستوى الكولسترول المركّب الضار المعروف بـ LDL (ليبوبروتيين قليل الكثافة) وارتفاعا يعادل ٣٧ في المئة في المركب الاكثر نفعا HDL (ليبوبروتيين مرتفع الكثافة). اما الذين اعطوا حبوباً لا فاعلية لها فلم يتجاوز معدل تحسنهم خمسة في المئة. ومما يزيد اهمية الدراسة ان فحوصات مرضى الشرايين التاجية بالاشعة السينية (اكس)، قبل المعالجة وبعدها، اظهرت فروقا اساسية. فقد تبين ان معدل الترسبات (Plaques) التي تتسبب في الانسداد ارتفع لدى ٦١ في المئة من الذين تناولوا الحبوب التي لا فاعلية لها فيما ارتفع المعدل لدى ٣٩ في المئة من الذين اخضعوا للمعالجة بالحمية والادوية. وكان هناك انخفاض بنسبة اثنين في المئة في معدل الترسبات لدى الفريق الاول و١٦ في المئة لدى الفريق الثاني الذي أخضع للمعالجة والذي انخفضت كذلك نسبة اصاباته بانسداد في الشرايين.

ويقول الدكتور كلود لنفانت مدير "معهد الولايات المتحدة الوطني للقلب والرئة والدم": "بتنا نعرف الآن ان في الامكان شفاء الشرايين."

عن "نيوزويك"

سحق الحصى المرارية

استخدم أطباء في المركز الطبي بجامعة بايلور في دالاس بولاية تكساس، موجات صدميّة لتحطيم حصاة صفراوية قطرها ١٢ ميليمتراً في مرارة احدى النساء، من دون جراحة. المريضة هي ميليسا سميث، وقد خضعت للعملية لمدة ٩٠ دقيقة تحت تأثير تخدير عمومي. وفي اليوم التالي حضرت مؤتمراً صحافياً وقالت إن أوجاعها زالت. ومعلوم أن السبيل المعتاد لازالة الحصى الصفراوية هو الجراحة التي يعقبها استشفاء قد يدوم سبعة أيام. يقول الدكتور دونالد جونس رئيس قسم الجراحة في جامعة بايلور: "عندما يكون العلاج ناجحاً فان الموجات الصدمة تحطم الحصاة أجزاء دقيقة. بعد ذلك تطرد انقباضات المرارة هذه الاجزاء الى القناة الصفراوية ثم الى الامعاء.

وقد اعتمد أسلوب مماثل لسحن حصى الكلى.

وكالة "يونايتد برس انترناشونال"

لا تقللوا من اهمية العلاقات الجيدة بين الاهل والمعلمين، لان المدرسة والبيت هما في صف واحد!

● عندما دخل وسام الصف الابتدائي الأول، كان يعرف الحروف الابجدية وبضع كلمات بسيطة. لكن حماسته سرعان ما خمدت. وهو يقول ان الاولاد الآخرين لديهم "كتب حقيقية" فيما هو ما زال يحاول "فك الحروف". وعند توزيع العلامات يتبين لك انه مفصول الى صف الاطفال الابطأ من سواهم في القراءة.

● بعدما كانت اللغة الانكليزية المادة المفضلة لدى التلميذة عايدة، تظهر علاماتها تأخراً فيها. وتكتشف انها لم تكن تواظب على حضور كل الصفوف. وهي تبرر تصرفها بالقول ان صفوف اللغة الانكليزية تنطوي على تمارين وقراءات لا طعم لها.

ان كلا من هاتين الحالين تؤلف مشكلة تحتاج الى حل. فكيف تراك تتصرف لو كنت في وضع والدي وسام وعايدة؟ هل تقصد معلمة طفلك لتكلمها في الموضوع؟ أم تتوجه الى مدير المدرسة مباشرة وتطلب منه ان ينقل ولدك الى صف آخر؟ أم انك تلتزم نصيحة أحد أصدقائي الذي قال: "انني أبقى بعيداً ولا أتدخل في المدرسة. فكيف يتعلم اولادنا الاحترام إذا تحدى الأهل سلطة المعلمة؟"

لا بد أن أحد الوالدين وهو في طريقه الى مدرسة اولاده، يشعر بالقلق والارتباك وتتجاذبه افكار توحي اليه المواجهة والتحدي. والمعلمة بدورها لا بد ان تتخذ وضعاً متأهباً لانها هي ايضاً تترقب مشكلة ما. فالأهل لا يطلبون عادة مقابلة المعلمة ليعبروا لها عن تقديرهم لما تقوم به. وتكون النتيجة شخصين قلقين مرتبكين يجلسان الواحد ازاء الآخر.

إنه لأمر مؤسف، فالأهل والمعلمون شركاء يجب ان يتعاونوا من اجل مساعدة الطفل على النمو انسانا ناضج التفكير، منفتح الذهن قادراً على التمييز وحمل المسؤوليات. ولقاءاتهم في المدرسة يجب ان تكون مناسبة لمعرفة مدى المساعدة التي يستطيع كل طرف ان يقدمها الى الآخر في سبيل تحقيق الهدف المشترك الذي يجمعهما.

افضل العلاقات - ماذا في وسع الاولياء ان يفعلوا من أجل اقامة علاقات ودية ومثمرة مع معلمات أولادهم؟

عندما طرحت هذا السؤال على عدد من مديري المدارس ومعلميها، أظهرت اجاباتهم توافقا مدهشاً، فاجمعوا على اهمية التفكير الايجابي المنفتح لدى الاهل.

ان مهنة التعليم تتطلب الكثير من العطاء.

جويس هنراهان عملت معلمة ومديرة ثم مستشارة قراءة في كل من امريكا واوروبا، وهي تقول: "لو كنت مكان أحد الوالدين لما سألت المعلمة: "لماذا لا يقرأ ابني؟" بل "ماذا في وسعي ان افعل لاساعدك؟"

يمكن إعادة صوغ عبارة "كن منفتح الذهن" على النحو الآتي: "تذكر ان رواية ولدك ربما افتقرت الى الدقة." والغريب ان الأم التي تشك في رواية طفلها لطريقة كسره النافذة، تهرع الى المدرسة وهي تستشيط غضباً استناداً الى رواية ولدها لما فعله المعلم او المعلمة. والأولاد غالباً ما يحذفون بعض الامور او يتوسعون فيها او ينسونها ويسيئون فهمها. وطبيعي ان يتوخوا في وصفهم ليوم امضوه في المدرسة، إظهار انفسهم مظهر المتألق.

إذا كان ذلك "الشيطان"، في نظر المعلمة، لا يمت بصلة الى ذلك "الملاك" الذي يعيش معكم في البيت، فاليكم، ما اوردته الكاتبة شيرلي جاكسون وهي تصف الاسابيع الاولى لإبنها في صف الروضة: لوري "طفل ممتاز" وامه تشهد على ذلك. وهو كان كل مساء يروع اسرته بروايات عن طفل في صفه اسمه تشارلز يقذف الطباشير ويرفس المعلمة ويشتمها. وفي الامسية التي يجتمع فيها اهالي التلاميذ بالمعلمين، شعرت والدة لوري بان معلمته عاملتها بفتور. وفي محاولة منها لكسر البرود، فتحت معها موضوعاً اعتقدت انها توافقها الرأي حياله فقالت لها مؤاسية: "لا بد ان تشارلز يأخذ كل وقتك." فأجابتها المعلمة بحيرة وارتباك: "تشارلز؟ ليس بين تلاميذي طفل بهذا الإسم!"

المصارحة - ان افضل خطوة يأتيها الأهل ربما كانت اقامة علاقة ايجابية مع المعلمة منذ بدء السنة الدراسية وقبل حصول اي مشاكل. وفي وسعهم، من خلال زيارة تعارف مبكرة، ان يتعرفوا الى اهداف المعلمة وطريقتها المعتمدة لبلوغها. وهذا الاسلوب من شأنه مساعدة الأهل والمعلمة، على حد سواء، على استباق ردة فعل الطفل ونوع الاستجابة التي سوف تصدر عنه في الصف. وبدء السنة هو الوقت الانسب لاطلاع المعلمة

على نواح في الطفل لا يعرفها، او يفهمها، إلا اهله. في استطاعتهم، مثلا، ان يطلعوها على الامور التي يبرع فيها الولد اكثر من سواها وان يلفتوا نظرها الى تجارب تعرض لها الطفل خارج المدرسة ربما أثرت على تحصيله في بحر السنة كولادة طفل جديد مثلا او مغادرة شقيقة كبرى البيت لتلتحق بالجامعة. مفيد ايضا ان تعرف المعلمة أموراً أخرى تتصل بالطفل مثل انه وحيد لأبويه وبالتالي محط اهتمامهما كله لا يشاركه فيه أحد أو ان له عادات او صفات شخصية تجعله مختلفاً عن سواه.

هناك أطفال مثلا يشعرون بالوجل عندما يطلب منهم الكلام او القراءة في الصف. وفيما بعضهم يفيد من التشجيع يحزن البعض الآخر ويتفاقم خجله، وان كان موهوباً أو مولعاً بشيء كالعزف على الكمان مثلا او نظم الشعر.

ثمة طريقة اخرى للمساعدة هي ان يعبر الأهل عن تقديرهم للجهود الخاصة التي يبذلها المعلم او المعلمة. حدثتني صديقة لي عن مدى استمتاع ابنها التلميذ في الصف السادس، برحلة قام بها مع اولاد صفه. ومع ان الطفل اعتاد مثل تلك النزهات، إلا ان اياً منها لم تخلف في نفسه مثل ذلك الانطباع الجميل. فالرحلة تلك لم تكن كسواها. وقبل الموعد بعدة اسابيع تركزت نشاطات الصف على اوجه مختلفة من الرحلة. وعندما ارسلت صديقتي الى المعلم رسالة تقدير، أثار ذلك سروره ودهشته في آن. وهو قال: "إنه لامر مضحك. فعندما يكون لدى الأهل مادة للشكوى، فانهم لا يتأخرون ابداً في ابدائها، الا ان معظمهم لا يكلفون انفسهم عناء الشكر وابداء التقدير عندما يستدعي الأمر ذلك." ومعلم آخر قال: "ليس من امر يثلج فؤادي في نهاية يوم عمل شاق مثل بضع كلمات تقدير او ربما قصاصة لرسم كاريكاتوري من مجلة ما او مجرد ابتسامة - مثل علبة الاسبيرين الضخمة التي ارسلها احد الاولياء ونحن نحضر للتمثيلية التي سيقدمها تلاميذ الصف."

المقابلات مهمة - إن كنت ترغب حقاً في المحافظة على علاقة جيدة مع المعلم او المعلمة فتجنب كل ما من شأنه ان يعطل جهودهما او يخربها مثل:

□ التستر على الطفل بكتابة اعتذارات عن عدم تمكنه من اتمام فروضه او التقدم الى الامتحان بسبب "المرض" ظناً منك انك تحميه.

□ اخراج ابنك من المدرسة ساعة تشاء متوقعاً من المعلم (او المعلمة) ان يعوضه ما فاته من دروس.

□ تشجيع ولدك على انتقاد اهداف المعلمة واساليبها. صحيح ان ليس على الأهل ان يصادقوا على كل ما تفعله المعلمة، إلا ان التهجم المستمر يقوض فاعلية المدرسة.

قد يصدف انه على رغم الجهود المبذولة لاقامة علاقات جيدة مع المعلمة، تشعر بان حاجات ولدك غير مجابة. تجنب في مثل هذه الحال إثارة الموضوع عبر مكالمة هاتفية او اثناء استقبال مخصص لجميع الاولياء.

والأفضل ان تكتب اليها رسالة او تطلب موعداً لمقابلتها معبراً لها بايجاز عما يشغلك كأن تقول مثلا: "يبدو وليد مكتئباً وقلقاً في ما يختص بالمدرسة. ربما كان في مقدورك ان تساعدينا في معرفة السبب،" او "ياسمين تجد صعوبة في موضوع الكسور." ان هذه الطريقة في الاتصال تتيح للمعلمة الفرصة لمراجعة العلامات او لتحضير نماذج من الاعمال الكتابية التي اداها ولدك فتعرضها عليك اثناء المقابلة، كذلك هي تساعدها على مراجعة ذاكرتها بحثاً عن مؤشرات للاكتئاب وربما سؤال سواها من المعلمين والمعلمات عن هذا الامر.

وانت بدورك يجب ان تحضر للمقابلة. تحدث مع ابنك. دون النقاط التي تراها جديرة بالبحث. ان اي لقاء لا بد ان ينجح إذا تحلى الفريقان بالكياسة والذوق المطلوبين في مثل تلك الاجتماعات. والفرق شاسع بين عبارة "انا لا اتصور كيف رسبت ياسمين في مادة الرياضيات بينما كانت كل علاماتها في الماضي تسعينات"، وعبارة "آمل ان تساعدينا في معرفة الاسباب التي جعلت ابنتنا تتأخر في دروسها هذه السنة."

لكن، ما العمل إذا لم تؤدِ جميع الطرق التي اتبعتها الى نتيجة ايجابية؟

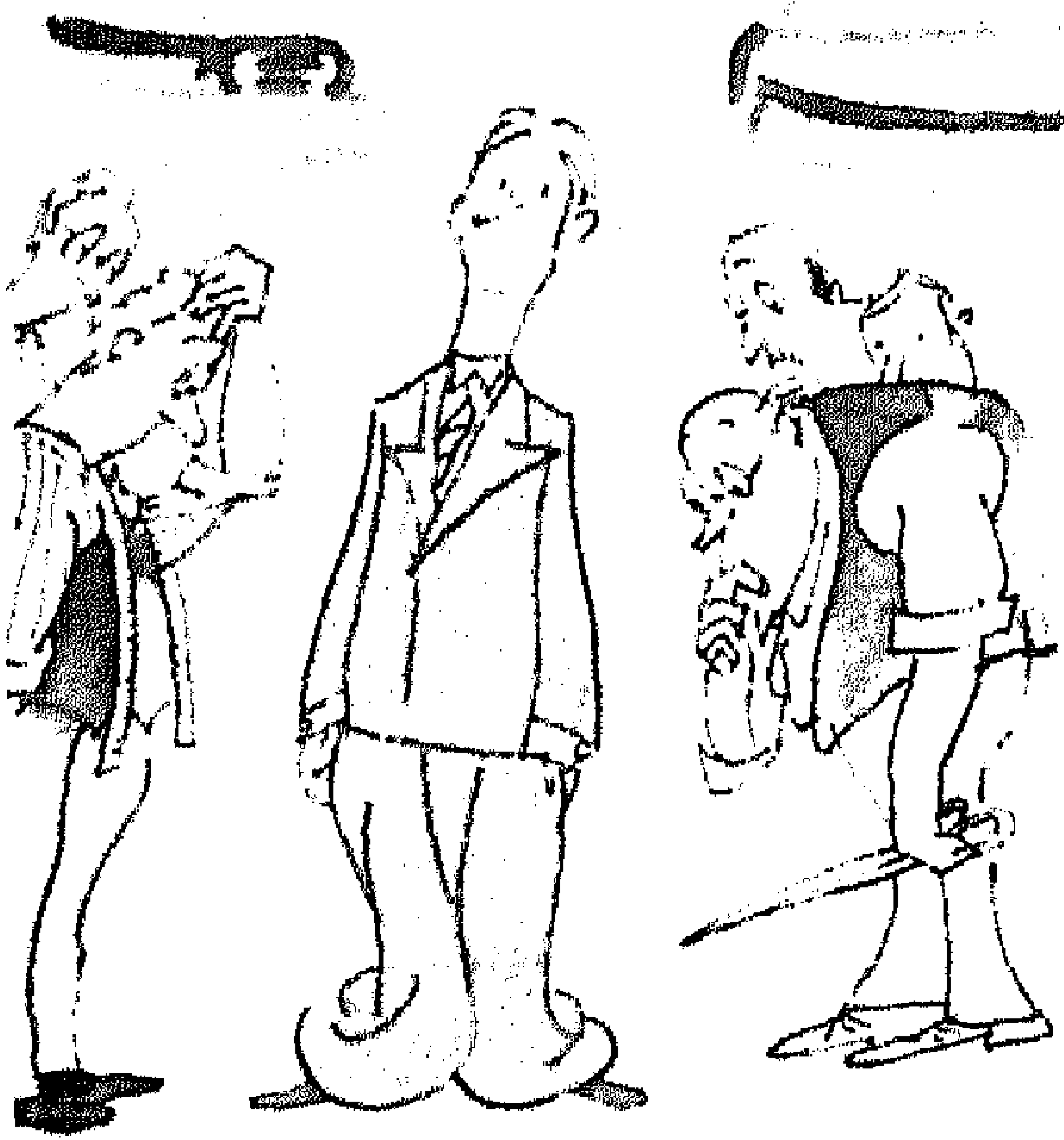
عندئذ يجب ان ترفع القضية الى سلطة اعلى بدءاً بالمدير. وإذا لم ينصفك هذا فإلى الرئيس الأعلى منه وصولا إذا اقتضى الأمر الى مجلس المدرسة. واليك هذه النصيحة التي تسديها معلمة خبيرة في مثل هذه الشؤون: اذا كانت لديك حقاً شكوى جدية ولم تجد لدى المعلمة اذنين صاغيتين، قدم الشكوى خطياً.

وإذا وجدت ان طفلك عالق بين يدي معلمة غير كفية او غير منصفة، ساعده على ان يتعامل مع "حظه السيىء" وكأنه يخوض تجربة تعليمية يستخرج منها العبر. ساعده مثلا كي يفهم لماذا يغضب بعض الناس بسرعة ولماذا هم احياناً متحيزون من دون وجه حق ولماذا كلامهم جارح. كذلك ساعد طفلك على ان يكتشف ماذا في وسع هذه المعلمة ان تعطيه (معلمة اللغة الانكليزية التي لا تتذوق الأدب، ربما كانت علاّمة في الصرف والنحو).

اتخذ موقفاً داعماً: افعل كل ما في وسعك كي تغني حياة ابنك خارج المدرسة. فاذا كانت طريقة تعليم الرياضيات مملة، عرفه على الاحاجي والالعاب التي تجعل تعلم الرياضيات مسألة مشوقة. اما اذا كانت دروس اللغة تفتقر الى الحياة فاصحبه الى المسرح واستكشفا معاً المكتبات، وشجعه على كتابة يومياته او على إصدار صحيفة عائلية وادفع عنه اشتراكاً في مجلة.

إحتفظ بقدرتك على رؤية الاشياء وفقاً لعلاقاتها الصحيحة واهميتها النسبية. فلا تدع معلمة قليلة البراعة تفسد روح طفلك الى الابد. وإذا حالفه الحظ وقدر له ان يقع خلال حياته الدراسية كلها على واحد او اثنين من المعلمين الأفذاذ الذين يجتمع فيهم الذكاء ورهافة الحس والتعاطف، فإن ذلك كفيل بأن يجعله يشعر بمتعة التعلم طوال ايام حياته.

فريديل ماينار ■



صاحب الذوق الجميل

كانت مهمتي كتابة مقال عن ملابس ولي العهد البريطاني الامير تشارلز، وخيّل الي ان افضل طريقة للاقتراب من الموضوع هي اقامة نوع من العلاقة مع الخيّاط الملكي. ولعل السبيل الاسهل الى ذلك ان اطلب اليه تفصيل بذلة لي.

كان المحل الواقع الى الشمال من بيكاديلي من النوع الصغير المظلم المكسوة جدرانه بالواح خشبية. وكان على الداخل اليه ان يشق طريقه وسط شعارات النبالة لمعظم ملوك اوروبا. فالاباء، على ما يبدو، تولوا تعريف ابنائهم بالمحل وهؤلاء بدورهم عرفوا اولادهم به. ومن الواضح ان دوق ادنبره ادى هذه الخدمة الى ابنه الامير تشارلز.

بدا واضحاً ان المحل لم يعتد امثالي من الزبائن الذين يصلون من دون بشير او نذير. لكن رياح الركود الباردة كانت بدأت تعصف بمحلات الخياطة والتفصيل التي راحت ترحب بكل وافد جديد يدل مظهره على ان لديه ما يكفي من الليرات او الدولارات او الينات.

وقع اختياري على قماش ازرق غامق ذي خطوط رفيعة. سارت التجارب بأبهة وفخامة، وفيما القياسات تؤخذ وعلامات الطبشور توضع بكثير من البراعة، كنت التقط بعض التفاصيل الصغيرة المحرّمة مثل مشكلة تدلي الكتفين وارتخاء الجيوب، وهي المعلومات التي سعيت وراءها.

Condensed from Times (November 11, '87), © 1987 Times Newspapers Ltd., London.
Illustration: Michael Ffolkes

فجأة تلخبط كل شيء، وكان ذلك اثناء التجربة النهائية للسروال وبعدما كانت أجريت عليه التعديلات الضرورية. فالقماش الناعم المستورد والمفروض فيه ان يعانق الزوايا الرتيبة في الجزء الاسفل من هيكلي ويحضنها برقّة وجمال، لم يكن ليفعل ذلك. بل كانت ساقا السروال مفرطتين في الطول، والخصر مفرطاً في العرض والمقعد مفرطاً في السعة!

تصوّر الهرج الذي ساد غرفة القياس بعد ذلك. المفصّل الصغير استعان بالمفصل الكبير وهذا بدوره استعان برئيس المفصلين الذي بدا في مظهره وسلوكه كجراح. وهو طلب إحضار "المفكّرة."

في تلك اللحظة ضرب أحد المفصلين رأسه براحة يده وصاح وهو يطلّ برأسه من مهجع صغير: "قلت لك سروال السيد فيليبس لا الامير فيليب."

وفيما انا اخلع عن جسدي السروال الملكي الفضفاض سمح رئيس المفصلين لنفسه بضحكة خافتة وقال: "حسناً يا سيدي. في اي حال، هذا يُظهر ان لك ذوقاً جميلاً."

احيانا اتمثل الامير مرتدياً بذلتي تلك!

بيرسون فيليبس ■



الفزّاعة الالكترونية

باع موزّع من شركة تجارية دماغاً الكترونياً، وعندما زارها بعد عدة اشهر راعه ان يجد الجهاز في غلافه الاصلي. فسأل:

"هل من خلل اعاق استعماله؟"

فاجابه مدير المحاسبة مبتسما:

– لا، فالاتصالات زادت والفاعلية تحسّنت.

"كيف ذلك؟"

– كل صباح اقول لمجموع المساعدين: اذا لم تعملوا بمثابرة وفاعلية اكبر فسوف ابدلكم بهذه الآلة.

ج.غ.

مخ لص

السمسار الذي ترك سيارته الجديدة في موقف عام للسيارات في المدينة عاد ليجد احد رفارفها مضروباً بعنف. ووجد فوق الحاجب الزجاجي عبارة "آسف، انا المخطىء!" مرفقة برقم هاتفي.

وعندما طلب الرقم اجابه صوت: "هنا فَعَلة خير. هل نستطيع مساعدتك؟"

ك.ل.



لا يسعني القيام بنزهة في فصل الخريف من دون ان افكر بورقة النبات العجيبة التي تمدنا من خلال مادة الكلوروفيل الخضراء المدهشة بالغذاء والاوكسيجين. ففي الصيف حين تتعرض الاوراق لاشعة الشمس يصعد الماء من الجذور وتمتص الورقة اوكسيد الكربون من الهواء وتعمل مادة الكلوروفيل على تحويلهما غذاء واوكسيجيناً. فلولا الكلوروفيل لقضي علينا.

وفي الخريف تقصر الايام ويزداد البرد فتتوقف الاوراق عن انتاج هذه المادة المحيية فتمهد بذلك لفنائها بنفسها في سبيل بقاء النبتة حية. وذلك هو سبب تغير لون الاوراق الى الاصفر والبرتقالي. فالاصفر (الزانتوفيل) والاحمر والبرتقالي (الكاريتينز) كائنة دائما في الاوراق ولكنها محجوبة بمادة الكلوروفيل الخضراء.

ستكون هناك اوراق صفراء وبرتقالية في اي فصل من الخريف بصرف النظر عن احوال الطقس. لكن الالوان الحمراء والقرمزية المتألقة تعتمد عدة احوال جوية دقيقة ومتوازنة كقطع موسيقى باخ. فاذا اقبلت ايام الخريف دافئة ناعمة معززة بشمس قوية دافئة، تصنع الاوراق مقداراً كبيراً من السكر يساعد في انتاج صِبغ احمر يسمى "انتوسيانين." واذا تبعت الايام الدافئة ليالٍ دافئة ينساب الاحمر الرائع الى اسفل في شكل سكّر ليختزن كغذاء للشتاء. واذا كانت الليالي باردة فالسكر لا يتحرك لانه محتجز في الاوراق حيث يتجمّع الانتوسيانين. ان الجذور تخسر قليلا من السكر ولكننا نتمتع بالوان اكثر فتنة وروعة.

وهنا يكمن السؤال الجوهري: هل ان معرفة كل هذه الامور، او القليل منها، تزيد من متعة المشي في الخريف؟

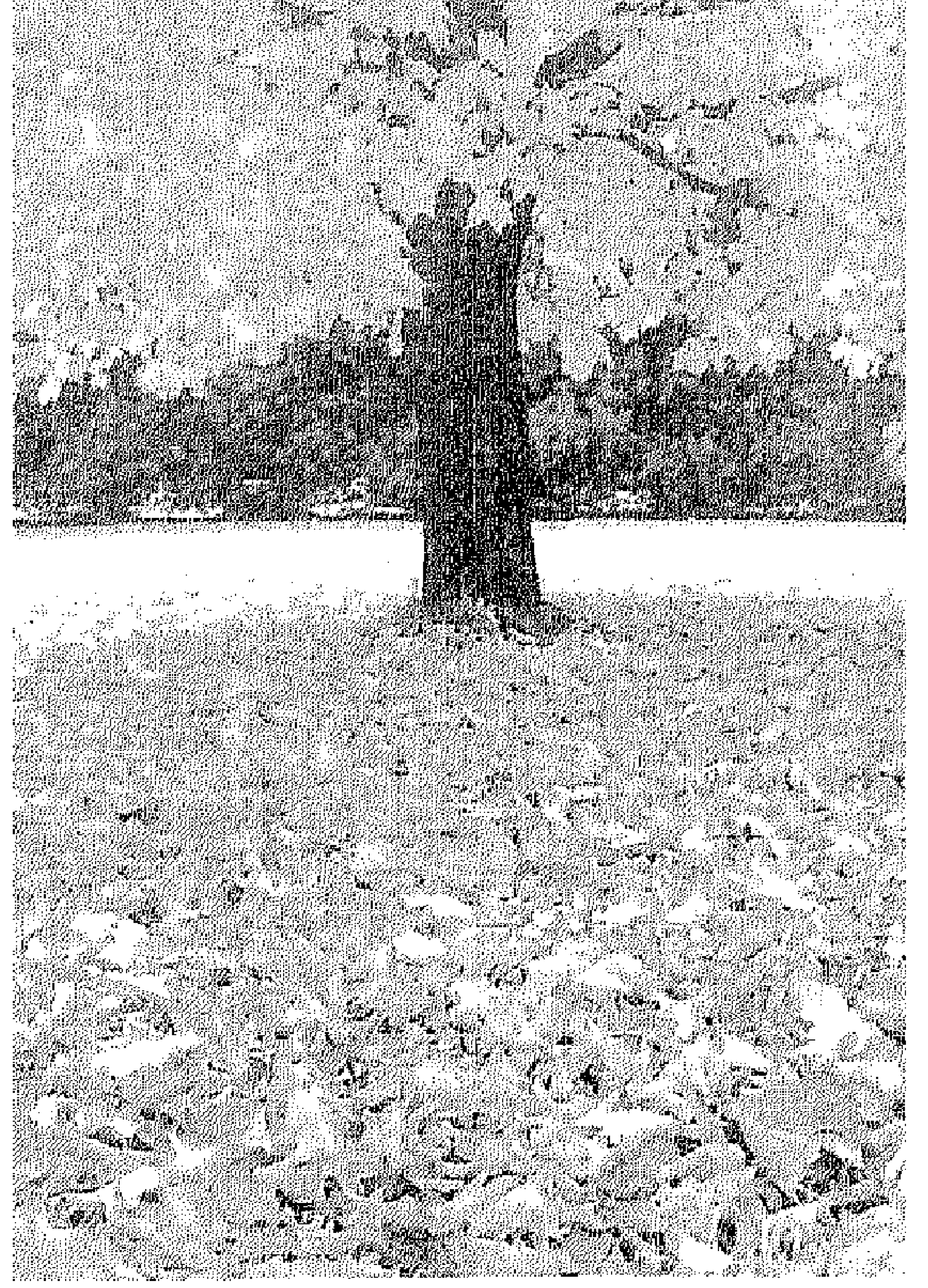
اعتدت الاجابة عن هذا السؤال بكلمة "لا" قوية، لشعوري بان الحقيقة تفسد الجمال. ولكنني أشعر الآن بان قليلا من المعرفة يزيد التنزه بهجة ومتعة.

لنأخذ مثلاً الاوراق البنية المكوّمة بكثرة في الرواق الخلفي لمنزلنا والتي تساقطت من الشجرة التي تقف حارساً على المدخل. لسنة خلت كنت احسبها مجرد اوراق معدة للطرح في مكبّ النفايات. ولكني بت اعرف الآن انها مصانع غذاء قرفية اللون سقطت من شجرة الكستناء وساضيفها الى كومة السماد الطبيعي في حديقتي بدلاً من رميها في مجمّع النفايات.

في السنة المنصرمة كنت تساءلت عما يجعل كل هذه النثرات من المعرفة تزيد من بهجة الخريف، وكنت اجبت انه الغرور الذي يتملكك حين تأنس شيئاً ما وتسمّيه او تتكلم عن امر آخر لك معرفة به ايضاً.

اما الان فاني انظر الى الاشياء بعين مختلفة. فارى ان الاطلاع على عالم الطبيعة يعود الى الرغبة في ان تكون جزءا منه لا ان تمتلكه. ففي الجلوس على جذع شجرة في الخريف ما يبعث فيك نوعاً من السرور الدافىء يغذّيه ادراكك انك قادر على معرفة نبات المغدُ الحلو المر وشجيرة صريمة الجدي الغنية بالرحيق والعنب البرّي وزهرة النجمة.

في صباح أحد أيام الخريف المشرقة الساكنة قمت بنزهة الى الشاطىء فيما كانت اوراق اشجار الصمغ تتوهج وكأن الانوار تشع داخل كل منها. وهناك، شاهدت عظاء سرطان قشريّ، فبعث في تفكير في صديق كان دلّني على طائر المالك الحزين وذكر لي اسم طائر كان يصفق بجناحيه عن بعد. وبدا لي الطائر كخيال في الضباب. وقد حاولت في حينه ان ادوّن ملاحظة حول هذا الامر ولكنني



نسيت. واكتشفت في ما بعد ان الحلاوة هي في ذكرى تلك اللقاءات العفوية لا في تدوينها بدقة في دفتر الملاحظات.

احمل احياناً في نزهاتي دفتراً احاول ان ارسم فيه، بطريقتي البعيدة عن الفن، مربعات لحاء شجرة القرانيا الخشنة واوراقها الحمراء الخريفية الذابلة وثمارها اللبّية الممتلئة. ومحاولتي هذه، وان افتقرت الى الاتقان، تساعدني على معرفة تلك الشجرة.

اما شجرة الخريف المفضّلة لدي فهي شجرة القيقب السكّرية، لانني تسلقت واحدة منها في صغري. لذلك فلا مجال لان يفوتني التمييز بينها وبين شجرة القيقب الفضّية، كما انه لا مجال لعدم تمييزي بين شقيقتي وشخص آخر، لانني في صغري ايضاً انتقيت غصناً قوياً ملائماً وجلست عليه اقرأ وقتاً طويلا.

وفيما تسلقت التلة العالية صعوداً من الشاطىء توقفت لالتقط انفاسي واتأمل روعة الالوان الآخذة في التغيّر. ونظرت الى المدى المترامي وعرفت ان هذه العوامل الحية ما هي الا نموذج حي يمتد عبر الغابات والبحار الى قارات وغابات اخرى حيث تعمل النباتات والاوراق عمل الطبيعة المحيي في سبيل تكامل الحياة وتواصلها.

آن رايفر ■



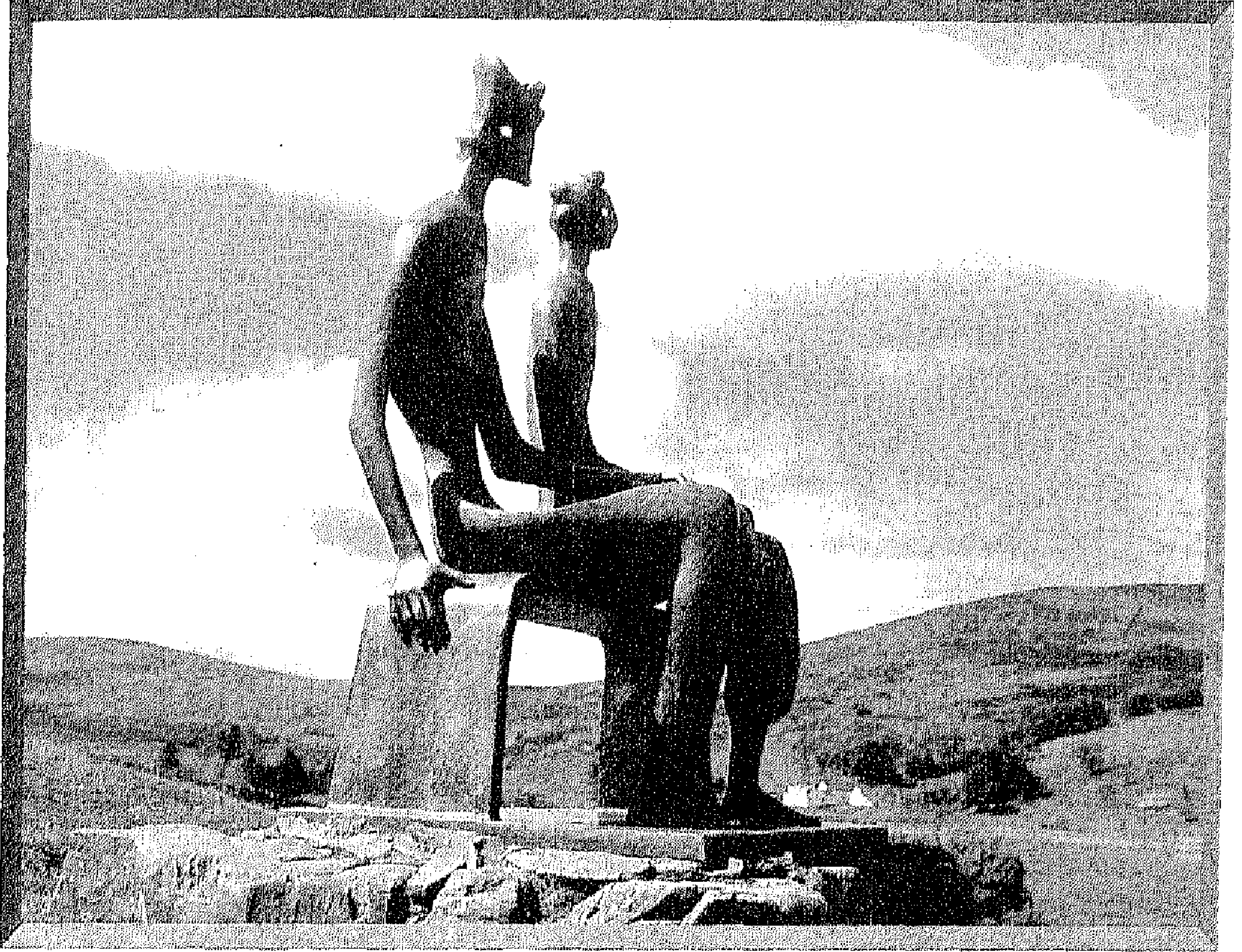
الكمال لله

قد يكون الممثل الاميركي تشارلتون هستون نال مقداراً وافراً من التقدير والاطراء ولكنه لا ينام على امجاده. انه ينشد الكمال ابداً.

وهو يقول: "انك لا تقدر ابداً ان تؤدي في التمثيل او الرسم او الكتابة او الموسيقى، ما تريد على الوجه الصحيح. قد تقضي طوال حياتك في العمل ولكنك لو كنت صادقا مع نفسك لادركت انك لم تقم بعملك على الوجه الاكمل لمرة واحدة. يقول لي الناس: لديك المكافآت وادوار التمثيل والمال فما هي اهدافك الآن؟ فأقول: هي في ان أؤدي عملي يوما ما صحيحاً كاملا كما يجب ان يكون."

ج٠م٠

هنري مور
نحّات القرن العشرين



"الملك والملكة" تمثال لهنري مور معروض في اسكوتلندا.

علمتنا تماثيله الجبارة ان ننظر الى الدنيا بعيون جديدة

بدا عملنا تبذيراً جامحاً، فقد اقدمنا في العام ١٩٦٥، وباندفاع متهور، على شراء احد تماثيل هنري مور المهمة على رغم ان ثمنه قارب ثمن المنزل المتواضع الذي اشتريناه قبل سنوات قليلة. ولأنه كان صديقاً متعاطفاً مع وضعنا (لدينا ٤ اولاد) فقد سهل لنا ان ندفع الثمن اقساطاً.

التقطت اكثر من ١٠٠ صورة فوتوغرافية للتمثال، وشكّل هذا العمل نقطة تحول مهمة في حياتي. فعندما عرضت الصور على مور، وهو في اعتقاد

Color Photos: David Finn

كثيرين اهم نحاتي القرن العشرين، قال لي: "ان من ينعم النظر الى هذه الصور لا بدّ ان يتعلّم ان يقدّر النحت حق قدره."

وهو آمن بان اكتشاف الطريقة التي تتفاعل بها الاشكال والمسافات في منحوتة ما، كفيل بتدريب العين على رؤية العالم من حولنا بابداعية خلّاقة وشعور عميق. ولكم كان ذلك صحيحاً بالنسبة الي. فهو علمني ان ارى أشياء لم اكن لأراها من قبل.

واثر فيّ كلام هنري مور الى درجة اني وضعت كتاباً بعنوان "كما تتحرك العين" تضمّن صوراً فوتوغرافية لاعمال التقطها بنفسي. بعد ذلك صدر لي ٢٠ كتاباً حول النحت. ولا يزال مور، بالنسبة الي، المعلّم والصديق. وهو شجعني على عدم التقليد وعدم رؤية الاشياء بمنظار الآخرين، كما شجعني على تنمية قدرتي الملاحظة والاكتشاف لدي. وفيما نحن جالسان ذات يوم في حجرة الاستقبال في منزله في متش هادام ببريطانيا، اشار فجأة الى شجرة عارية في الخارج وقال: "انظر الى هذه الأغصان. فالطريقة الوحيدة لرؤيتها على حقيقتها هي ان نرسمها. وعلى كل انسان ان يتعلّم الرسم كاسلوب لتعلم النظر الى الاشياء. وأنىّ للإنسان ان يدرك معنى ان يكون حيّاً ما لم ير ما في الطبيعة حوله."

ابن الطبيعة – كان هنري يرى جمالاً حتى في الامور العادية مثل الحصى والعظام والعيدان. واثناء زيارة قمنا بها لجامعة براون في مدينة بروفيدانس الامريكية توقف فجأة عن السير وراح يحدّق الى لطخة على الارض في بيت السلم، ثم قال متعجباً: "انظر كم هي رائعة." وهي كانت بالنسبة اليه رائعة حقاً، لانها اوحت اليه منظراً طبيعياً اخاذاً.

أحبّ هنري مور ان توضع تماثيله في اماكن يتسنى فيها لكثيرين مشاهدتها والاستمتاع بمنظرها. وأعماله المعروضة اليوم في اماكن عامة تفوق عدداً الأعمال المعروضة لأي نحات آخر في التاريخ، وهي موزعة في شتى انحاء العالم. وهو اختار خلفيّة لها الامكنة المكشوفة ذات الجمال الطبيعي والسماء المنفرجة واحاطها، حين تسنى له ذلك، بالأشجار والصخور والعشب. وهكذا أصبحت اعماله جزءاً من الطبيعة التي أحب. كذلك اصبحت مشاهدتها في متناول الجميع، وليس رواد المتاحف فحسب. ولقد التقطت صوراً لتماثيل لهنري مور معروضة في جبال اليابان وسهول اسكوتلندا وفي حديقة في فورتورث بولاية تكساس، وحتى في جزيرة من صنع الانسان في مولين بولاية ايلينوي.

وايا يكن المكان الذي تعرض فيه، تميل اعماله الى ان تصبح ممتلكات عامة.

ظهر امه – ولد هنري مور عام ١٨٩٨ في كاسل فورد بيوركشاير لأب عامل في منجم. وكان حلمه ان يصبح نحاتاً.

والى التشكيلات الصخريّة المثيرة في مسقط رأسه في بريطانيا، كانت هناك عوامل مؤثرة أخرى في مطلع حياته الخلّاقة مثل فرك ظهر والدته تخفيفاً

للألم الذي سبّبه لها مرض التهاب المفاصل.

كنّا ذات مرّة نتأمل تمثالاً من صنعه دعاه "المرأة الجالسة" (١٩٥٧) حين قال لي "ان ظهر المنحوتة مهّم كما وجهها، خصوصاً في هذا التمثال بالذات." ثم جعلني اتحسس بيدي العمود الفقري في التمثال وامرّر اناملي فوقه صعوداً وهبوطاً قبل ان "يعترف" بصوت هامس: "إنه ظهر والدتي، وانا اعرفه جيداً الى درجة انه كان في امكاني ان انحته وانا مغمض العينين."

كان هنري مور يكسب معيشته، في شبابه، من تعليم النحت في كلية الفن الملكية في لندن. وفي حفلة راقصة اقامتها الكلية، تعرّف الى طالبة رسم مولودة في روسيا تدعى ايرينا رادتزكي. ففتن بها الى درجة جعلته يخطفها من مرافقها الذي لم يكن سوى خطيبها. وبعد سبعة اشهر تزوجا وكان ذلك في العام ١٩٢٩.

Gemma Levine

فوق: هنري ه
تمثال مصغّر
"شكل منحن
تمثال من البرون
حديقة
في منتش هادام

اللقاء الاول - إحتلّت عائلة هنري مور المقام الأول في اهتماماته. وهو رزق في العام ١٩٤٦ ابنة ما لبثت ان منحته لاحقاً ثلاثة أحفاد. اما سرّ الإتزان والتناغم اللذين تجليا في اعماله الفنيّة وفي حياته الشخصية فيكمن في العلاقة الخاصة التي ربطته بايرينا. التقيت وزوجتي لورا، للمرّة الأولى، ايرينا وهنري في العام ١٩٥٨ وكنا عقدنا العزم آنذاك على شراء إحدى اعماله الصغيرة بسبع مئة دولار. فقصدنا تاجر تحف في لندن، رتّب لنا موعداً مع الفنان.

ما زلت اذكر رحلتنا الأولى بالسيارة الى مـتش هادام، تلك القرية الرائعة في الريف الانكليزي الغني بالشاعرية والتي تبعد عن لندن مسافة ساعة بالسيارة. تناولنا الشاي في "الغرفة الجديدة" كما حلا لهنري مور ان يسمي الحجرة التي اضافها، في وقت لاحق، الى منزله القديم في المزرعة. وكنا في هذه الغرفة ذات النوافذ الواسعة في ثلاث من جهاتها الاربع، كمن يجلس في الهواء الطلق وفي احضان الطبيعة التي شغف بها هنري.

كانت ايرينا سيدة ناحلة فاتنة تتكلم بصوت منخفض ولكنة روسية مخففة. اما هنري فكان من السهل ان يحسبه المرء مزارعاً، فلقد كان منفتحاً ودوداً ذا اسارير منبسطة وإن دلّت على قوّة وعزم لا ريب فيهما.

انسان بسيط - الواقع ان هنري مور كان انساناً بسيطاً متواضعاً، يتحاشى الحفلات. وحدث مرّة، لا سابقة لها، ان اقيم معرضان لأعماله، في وقت واحد، في صالتين مهمتين في نيويورك. وليلة الافتتاح لم يتوجه الى اي منهما، وكلما سئل عنه في صالة قيل انه في الثانية.





معظم انتاج هنري مور ضخم، مثل النصب الذي اهداه الى الخراف التي كانت تجوب الارض التي ملكها! وهو لاحظ، من نافذة محترفه، ان اصدقاءه الخراف "اصحاب الصوف" تهوى الاحتكاك بالشجر. ولكي يمنح الخراف مساحة افضل للحك، نحت لها تحفته الرائعة "تمثال الخراف" التي اصابت نجاحاً كبيراً بين النقّاد والخراف على حدٍّ سواء.

وتميّز انتاج هنري مور بالابتكار والتجديد مع انه اصرّ على ان نقطة

فوق: "شكل منحن من قطعتين: كليشيه" أحد تماثيل هنري مور التي عرضت في سنترال بارك في نيويورك.
الى اليسار: "عائلة في هارلو" تمثال معروض في بريطانيا.

البداية في منحوتاته هي الشكل البشري والعالم الذي يحيط بنا. ولقد طغت فكرة العائلة على اعماله وهو باع قبل سنوات منحوتته الشهيرة "مجموعة عائلية" والتي اصبحت في ما بعد أحد اشهر اعماله، بسعر متواضع شرط عرضها قبالة مدخل احدى المدارس في بلدة قريبة من منزله. وهو قصد ان يشاهدها الاولاد ويستمتعوا بها ويفكروا في الوقت نفسه بالحياة العائلية.

آخر مرّة شاهدنا هنري مور كانت في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٦. كان بشوشاً، مرحاً كعادته. رحب بنا بحرارة وصدق: "انني سعيد برؤيتكما." وعندما هممنا بالإنصراف قلنا له اننا نتطلع الى لقائه ثانية في زيارتنا التالية للندن فرد بهدوء: "فلتكن في القريب."

كم تمنينا لو ان في وسعنا توقيف الساعة، لكننا علمنا مثلما علم هو ان ساعته قد دنت. وفارق هنري مور الحياة يوم ٣١ اغسطس (آب) ١٩٨٦.

سعى هنري مور، طوال حياته وبكل ما اوتي من قوة، الى ان يعيش ويختبر ما شاهده بعينيه وما جال في فكره وما شعر به قلبه. وفي سعيه هذا ساعد الكثيرين على ان ينظروا الى العالم بعيون جديدة وان يخبروا الحياة بمشاعر جديدة. ولم يكن لأحد ان يبتدع شهادة في الحياة ابلغ، أو اكثر اقناعاً، مما فعل هو.

ديفيد فين ■



فأر مهذب!

في صف علم النفس الخاص بالسلوك في الجامعة اعطي كل طالب فأراً مخبرياً لاجراء اختبارات عليه. فاطلق احدهم على فأره اسم "باي" متباهيا بأنه قريب من البشر في الذكاء.

وذات يوم اعلن الطالب ان فأره يمتاز بموهبة جديدة. فوجهه نحو احد المساعدين في المختبر وهتف: "هيا ادركه يا باي ومزّقه إربا."

غير ان باي لم يتحرك فاعلن صاحبه: "ارأيتم؟ لقد علمته آداب السلوك."

ر.ل.

عشاء غير ممتاز

في عشاء ساهر جمع بعض الاصدقاء انتهى الطبق الرئيسي الى احباط الآمال المعلقة عليه. وبينما الضيوف يغادرون المنزل حاول زوج صديقتي ان يعزّي المضيفة المرتبكة بقوله: "انا آسف للطبق الرئيسي، لكن الحلوى كانت ممتازة."

فاجابت: "لقد كانت ممتازة حقاً. وقد أتت بها زوجتك."

م.ك.

كنوز روما

تعالوا نستكشف كنوز هذه المدينة القابعة تحت الأرض

فتح مرشدي البوابات الحديد الصدئة على مصاريعها. امامنا ممر لا نظير له يمتد متعرجاً عبر النباتات المتشابكة. قال: "هذه ابعد نقطة ابلغها، فإذا شئت متابعة السير عليك ان تتحمل العواقب كاملة. فهذا المكان مرتع الافاعي السامة والكلاب البرية، ولن اجازف فأعض."

أحكمت قبضتي على سكين موهومة فيما انطلقت وحدي مرتقياً الممر نحو حوض الماء المطمور والملحق بالقاعات السبع. الأعشاب الاستوائية الضارة تلتف حول ركبتي. براميل صغيرة لعلها باصات عابرة، على وجه اكثر دقة، تتدحرج من بعد.

هذه ليست بالغابة الطريفة التي يتوقعها المرء. لا، فالأرض التي اقف عليها تقع على مرمى حجر من مدرّج الألعاب ومحطة السكك الحديد المركزية في روما.

في نفس كل راشد تلميذ يتلظى جذلان لاغواء المدن الضائعة والحضارات

Fabrizio Ardito

Carlo Pavia



فوق: تماثيل نصفية من الرخام في مدافن "ڤينيا كوديني" قرب الـ"فيا آبيا".

الى اليمين: خزّان القاعات السبع وتفوق سعته ٨ ملايين ليتر من الماء.

المطمورة، ولكن لا ضرورة لحملات اقتحام الامازون أو غابة "ياكاتان" المطيرة كي تتحقق أحلام الطفولة هذه. فروما تفي بالغرض. هنا، على عمق بضعة أمتار تحت الاسفلت وحصى الرصيف تقع العاصمة المدمرة لامبراطورية خرافية غبرت. ها هنا شوارع وبيوت وحوانيت ومعابد وحمامات وقنوات مياه ومجارير، يرقى بعضها الى ٢٥٠٠ سنة، وهي دنيا بأسرها تحت الأرض في انتظار من يكتشفها.

انها المدينة السرمدية. تستحضر الكلمات في الذهن رؤيا لوحة زيتية لأحد المناظر التي لا تتبدل. في الواقع، لقد سويت روما بالأرض تقريباً عدة مرات بفعل الحرائق والفيضانات والزلازل والغزوات. وكل مرة كان الرومان يعيدون البناء على الأنقاض.

يقدر بعض الأساتذة الاعلام ان ثمة ما لا يقل عن ثلاثين طبقة متراكبة من اطلال الآثار القديمة تحت مبنى "الفوروم."

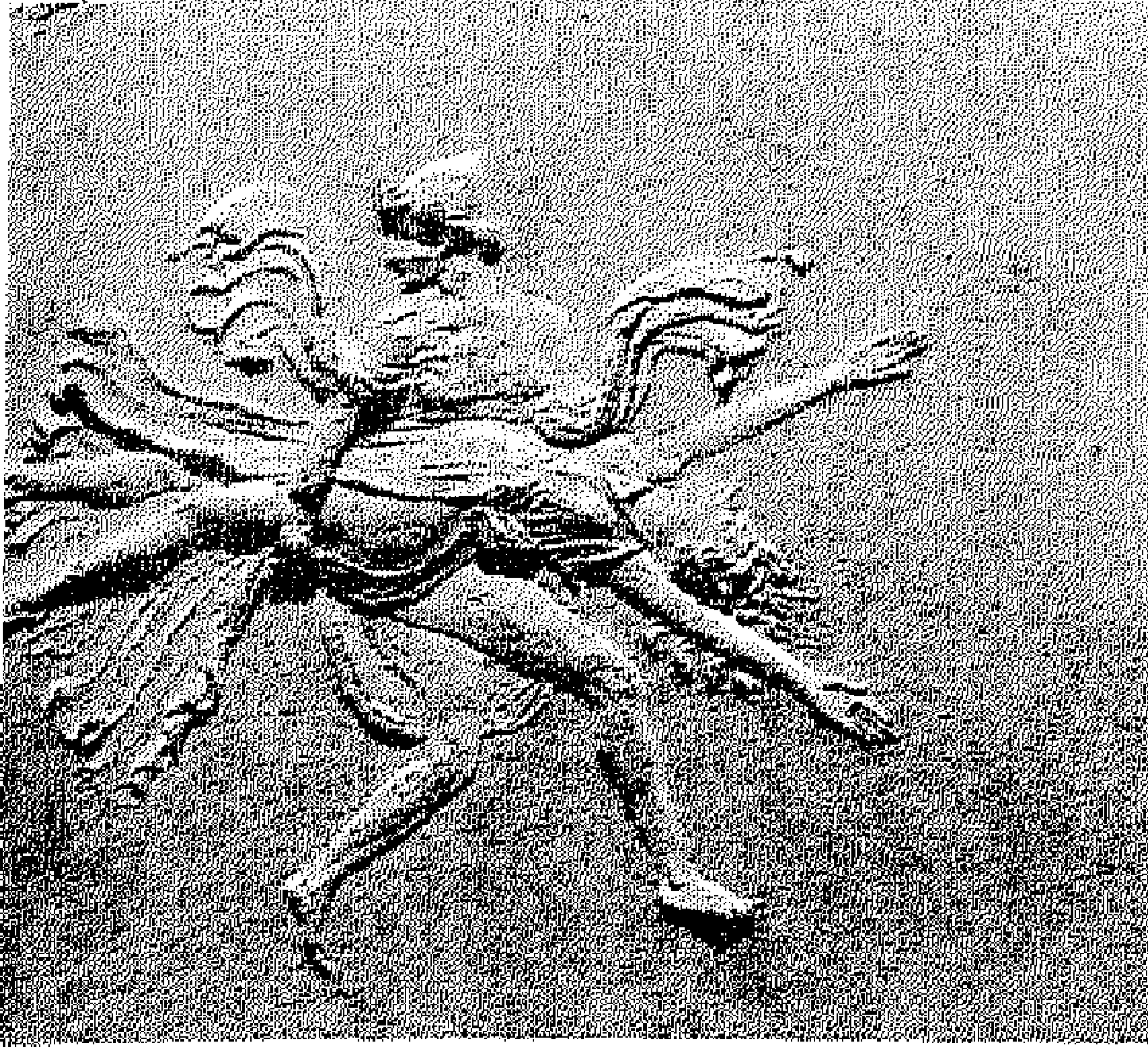
وبما أن الرومان اناس عمليون فهم قلما يقوضون بناء غير صالح. وبدل ذلك، يملأون الطابق السفلي برمته تراباً ودبشاً مستعملينه اساساً للصرح التالي. ولذا فإن الكثير من ابنية روما القديمة محفوظة تحت مباني العصر الحديث والباروكي وعصر النهضة الأوروبية، التي تشكل بمجموعها المدينة الحالية.

والمباني الواقعة تحت الأرض لم تشيّد لترى ضوء النهار. وهي تشتمل على سراديب الموتى وبعض المعابد وغالبية نظام تصريف المياه الروماني. والخزانات التابعة للقاعات السبع، التي ادنو منها الآن، تندرج في عداد الصنف الأخير.

وسرعان ما تمكنت من تحديد الكلاب. لم تكن سوى جراء، وقد اسرعت الى فجوة في مبنى روماني قديم. وما من امارات على وجود افاع. ازحت نباتات القرّاص والأشواك جانباً، وسرت بمحاذاة حافة معشبة تواري احد جوانب الخزان. انا واقف الآن امام مدخل مفتوح، ودرج حديد مفضٍ نزولاً الى الظلمة.

وخزان القاعات السبع المبني قرابة العام ١٠٠ بعد الميلاد، اسم على غير مسمّى، وهو مقسَّم تسع حجرات تفرغ الماء في حمامات "تراجان" في "كولي اوبيو" القريبة. وهذا الخزان المدفون في الأرض، لاعطائه قوة اكبر، بناء جسيم من خليطة الأسمنت مغطى بالأجر ومخطط بالأسمنت المانع لنفوذ الماء، ويتسع لاكثر من ثمانية ملايين ليتر من المياه.

ضع تسع كتل مستطيلة جنباً الى جنب وصِل بينها من الداخل بأقواس تتكون لديك فكرة تقريبية عن طريقة بناء الخزان ذاك. مؤخر الخزان منحن لتسهيل اندفاق الماء، لكن الجوانب الثلاثة الأخرى هي لمستطيل مقياسه ٣٠ × ٥٠ متراً. وتمتد الأقواس في اتجاه قطراني عبر البناء لمنع التيارات التي قد تتسبب في لقلقة الماء الحبيس.



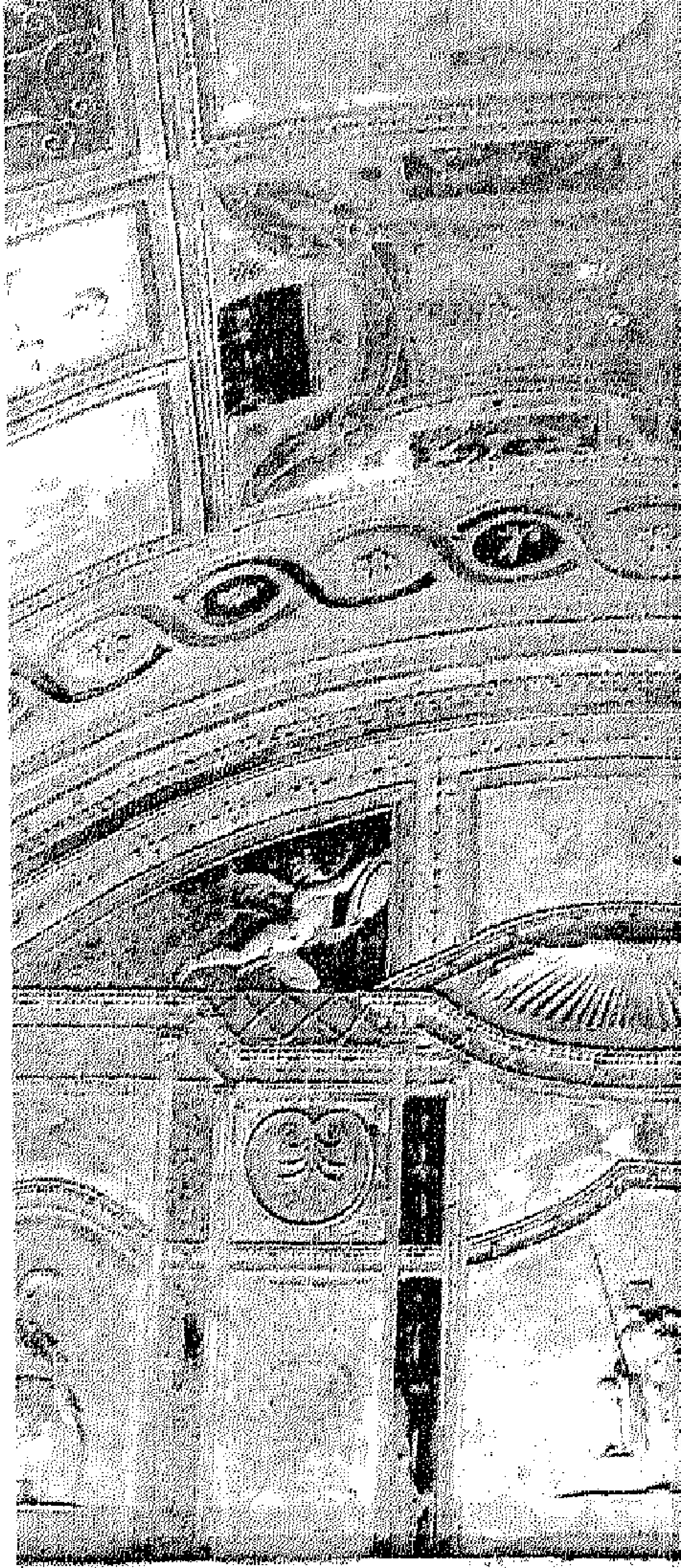
اقصى اليسار: رسوم هندسية تزين السقف المعقود المتقاطع لڤيلا تحت سطح الارض تعود الى عصر الامبراطور الروماني تراجان (٥٣ - ١١٧ م.)
الى اليسار: رسم تفصيلي للسقف المعقود في محلة دفن مجموعة من الرياضيين ايام الامبراطور الروماني هادريان (١١٧ - ١٣٨ م.)
فوق: نقش مجصّص في عقد باسيليقا فيثاغوري محدث.

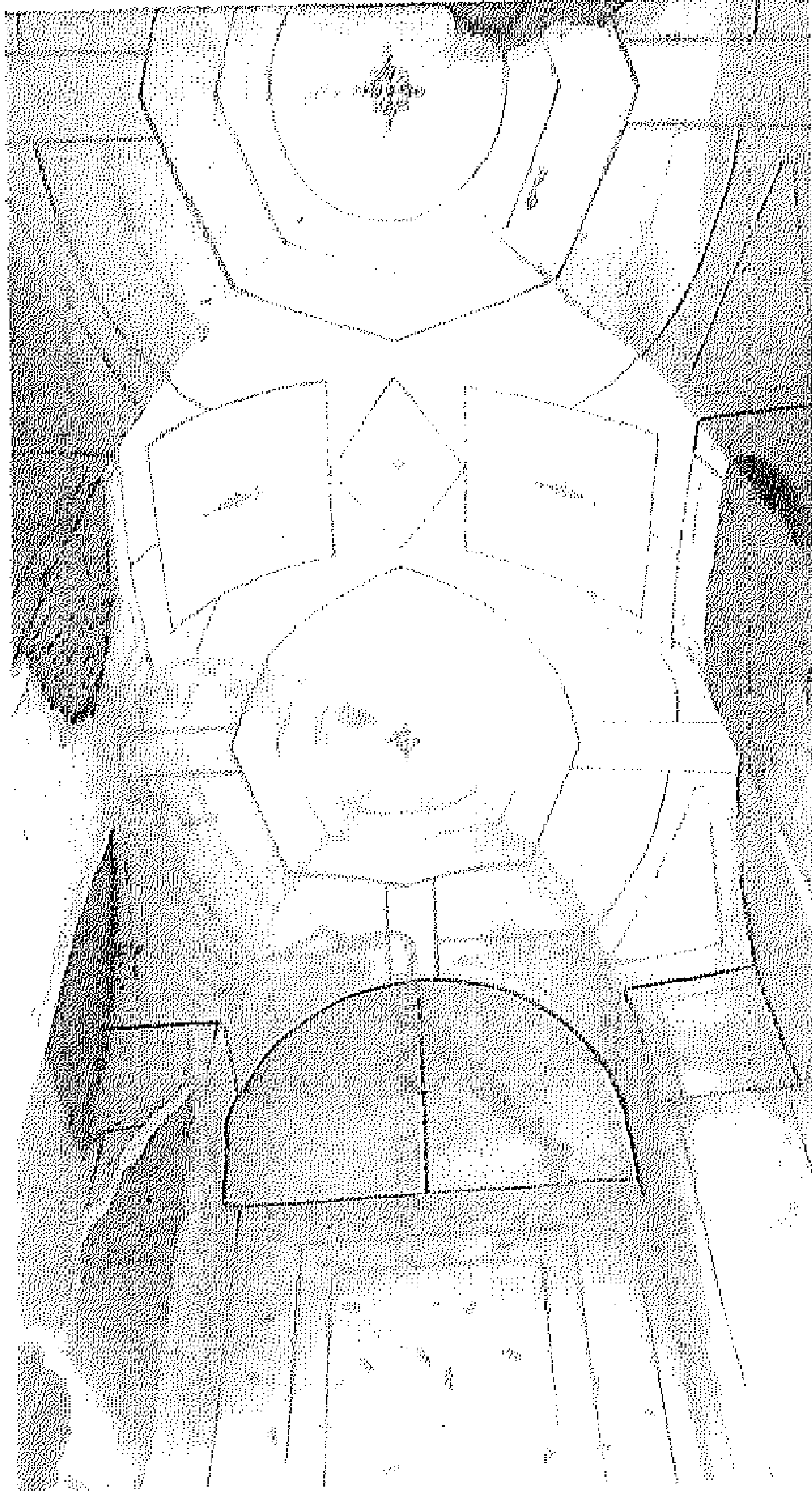
مفاجآت - والمفاجآت الثاوية تحت مدينة روما لا تنضب. ولكن كي يرى المرء الكثير من هذه الأماكن، ينبغي له ان يقصد "الهيئة الحكومية للاشراف على الآثار القديمة لمدينة روما،" او "مكتب النصب القديمة" التابع للقسم العاشر في البلدية ويملأ من ثم طلباً ويحدد موعداً لملاقاة أحد المرشدين. وقلة من الناس تعرف هذه المواضع أو طريقة رؤيتها. ولذا فإن بضعة آلاف فقط من الوافدين يطلبون هذه التصاريح المجانية كل عام ويُعطونها.

وفي وسعك أيضاً اكتشاف نتف من روما القديمة من دون الدخول في رتابة الاجراءات الادارية. وكي تشاهد جزءاً من مسرح بومبيي حيث قتل يوليوس قيصر عمداً عام ٤٤ قبل الميلاد، ما عليك سوى حجز طاولة في مطعم "دا بانكراز - يوكس." ويقع هذا المطعم في قبو كان يضم قسماً من هذا المسرح، وما زال الديكور فيه على حاله كما منذ الفي سنة.

واسأل المعهد الألماني للآثار القديمة ان كنت ترغب في تأمل قطع من الساعة الشمسية الضخمة للقيصر اغسطس الظاهرة في الدور السفلي من المبنى المتهدم في "فيا دي كامبو مارزيو" الرقم ٤٨. وستقف على أرض ممر من الفولاذ تقع تحته طبقة من الحجر الابيض، منقوشة بأحرف برونزية كبيرة.

لقد بني لاغسطس "مقياس الزمن"





هذا عام ٩ قبل الميلاد على منوال الساعات الشمسية العظمى في مصر. وقد قزّم هذا المقياس كل الساعات السابقة له. اما سطحه المصنوع من ألواح حجرية بيضاء تبلغ سماكتها نصف متر، فيغطي مساحة ما بين ٧٥ و١٦٠ متراً. وهو قائم في "كامبو مارزيو".

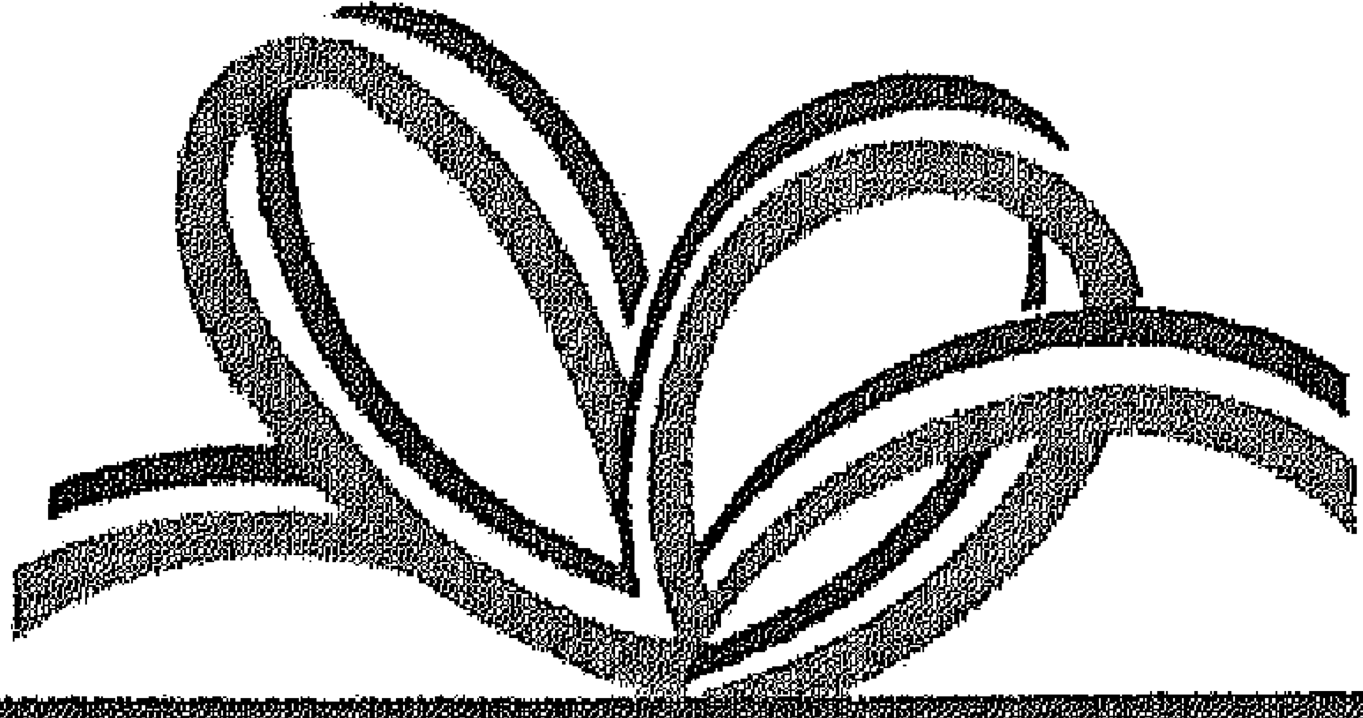
كذلك نقشت على الحجر خطوط برونز وأحرف تدل على ساعات اليوم، وأيام السنة واشهرها واتجاه الرياح. وأحد عقارب الساعة مسلة حجرية مصرية بارتفاع ٣٠ متراً، كانت تلقي ظلها على الحجار مما يتيح للرومان معرفة الوقت والتاريخ. أما اليوم فإن المسلة قائمة في "بيازا مونتيسيتوريو."

وقد عملت الساعة الشمسية بضع سنين قبل ان يغدو توقيت المسلة غير دقيق، على الأرجح بسبب الزلزال. ثم مضت القرون وتوسعت المدينة في "كامبو مارزيو"، وامحى كل أثر لمقياس الزمن العجيب حتى عام ١٩٨٠ حينما عثر ادموند بوخز رئيس المعهد الألماني للآثار القديمة ببرلين الغربية، على جزء من خط الزوال الرئيسي الشرقي - الغربي على عمق ثمانية امتار تحت "فيا دي كامبو مارزيو" الرقم ٤٨.

نيدو الحليب الأفضل



اهدوا من تحبون هدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٨/٥/١ و١٩٨٩/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه نضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

أسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________



أخلص تمنياتنا

مطافىء الحريق – وبما أن الكثير من المساكن العادية مصنوع من الخشب، فقد كانت النار خطراً داهماً في روما القديمة. وخلف سينما "ريال" بمقاطعة تراستيفير، بانخفاض ستة امتار تحت الأرض، ثمة اطلال محطة رومانية لاطفاء الحريق. ولا شك في انها كانت مكاناً يضج بالحركة قبل ١٧ قرناً. ففي روما آنذاك سبعة اعشار الفيلق من "الفيجيل" تؤدي دور الشرطة ورجال الاطفاء معاً، ويبلغ تعداد كل عشر منها ألف رجل. ويتولى ادارة محطة تراستيفير للاطفاء العشر السابع للفيلق.

فتح مرشدي قفل باب وساقني نزولاً على بعض الدرجات المعتمة نحو محطة الاطفاء. تسلط ضوء مصباحي الكهربائي على طريق مقنطرة من الآجر تعلوه قطعة حجرية مثلثة الشكل وضعت بعناية.

سألت المرشد: "ماذا كان الرومان يستعملون في اطفاء الحرائق؟ رملا ام دلاء ماء؟" فأتاني جوابه مفاجئاً: "مضخات."

ومن ضمن الاشياء اللافتة في معرض الآثار الرومانية الموصدة ابوابه أمام الجمهور، مضخة برونزية لمكافحة الحريق مع عتلة تدار باليد وتحرك مكبساً داخل المضخة.

عنب طازج – بعد عدة ايام عرجت على أطلال دارة رومانية كان موعدي العاشرة قبل الظهر في "بيزا تمبيو دي ديانا" وهي ساحة وادعة على هضبة "افنتين". كان أحد رجال البلدية في انتظاري عندما وصلت. وقد أقام حاجزاً أمام حركة السير في وسط الساحة. ثم نزع بقوة غطاء حديد الصب الذي يزن ٧٠ كيلوغراماً، عن الكوة في الدارة كاشفاً عن بئر بعمق عشرة امتار فيها درج فولاذ يؤدي اليها سفلاً. شرعت في النزول بحذر شديد.

في القاع درج من فولاذ. هبطت ثلاثة أمتار اخرى وألفيت نفسي واقفاً في غرفة شاهقة لها سقف مقبب متصالب على نحو بديع. جدران الجص بلون القشدة وغير ذات نوافذ، تزوقها لوحات جدارية جصية صغيرة تصوِّر طيوراً ونباتاً، وخطوطاً داكنة تجزىء اسطحها الى تصاميم هندسية بسيطة. سلطت ضوء مصباحي الكهربائي على طوق جصي من أوراق العنب على احدى القناطر، فبدا كأنه طازج بعد ألفي عام!

في المكان ثلاث غرف، الثالثة بينها نصف ملأى الى السقف بالأنقاض. وفي الجدار ثقب يفضي الى حجرة رابعة، وما بعدها حجرات أخرى غير مكتشفة.

وقد كانت هضبة "أفنتين" زمن الأمبراطورية كما هي الآن، منطقة سكن الارستوقراطيين. ولعل الجناح الذي كنا فيه يؤلف جزءاً من دارة كانت تابعة للأمبراطور تراجان.

الى الرجال الذين دفنوا في تربة روما، هناك المعابد والذكريات.

"الباسيليقا" – ثمة أشياء اخرى خبيئة تحت الأرض في روما مثل "البيت الذهبي" لنيرون و"دوموس أوريا"، مما يزري بأي من مساكن اثرياء اليوم. والمنظر البديع عند السقوف المقببة الشاهقة تحت كنيسة القديسة

"أناستازيا" حيث يقع شارع روماني مرصوف كانت تصطف على جانبيه الحوانيت.

تحت بناء كنيسة القديسة "بودنزيانا" ثمة غرفة كان فيها على الأرجح مطحنة كاملة مع حجار الرحى وبئر لا تزال صالحة للأستعمال. وقد استخدم الرومان هضبة "كابيتولاين" مقلعاً للحجار. ولذا فإن تحت مبنى البلدية متاهة من الكهوف والمسالك كجحر الأرنب. وقد كانت ذات نفع في الحرب العالمية الثانية اذ اتخذت ملاجىء من الغارات الجوية، وهي الآن تستعمل في خزن الآثار القديمة التي لا تتسع لها المتاحف. وعلى رغم كل الحفر التي تنخر الأرض الرومانية، فإنها تنفتح لفترات قصيرة كاشفة بعض التحف الأثرية. وأبدع كشف عثر عليه بهذه الطريقة هو النصب التذكاري المعروف باسم "مبنى الفيثاغورية المحدثة." وقد تأكّله النسيان حتى بدأ العمل في شق خط السكة الحديد الذي يصل روما وكاسينو ونابولي في ١٩١٧.

تلك السنة، وعلى بضع مئات الامتار من محطة السكك الحديد المركزية، كشف انزحال أرضي عن مبنى غريب منخفض نحو سبعة امتار عن مستوى الشارع، كان مصنوعاً من الأسمنت ويبلغ طوله ٢٠ متراً، وهو مستطيل ذو جزء ناتىء على شكل نصف دائرة في أحد أطرافه، وتجزئه الاقواس ثلاث سرارات. وقد بدت هذه الحقيقة المستطرفة جلية لتوها: ان المبنى الروماني "الباسيليقا" هو صورة سلبية لمبنى عادي. اي ان المهندس المعماري الذي شاده قد شرع بحفر خنادق وآبار ملأها بالأسمنت لبناء جدر وأعمدة. ثم احتفرت التربة من حول المبنى لإنشاء حجرة ذات قناطر معقدة.

وقد بني "الباسيليقا" اثناء القرن الأول بعد الميلاد. وجدرانه وقناطره مزوقة بتصاوير نقش مجصصة بمهارة، وهي الأروع بين مثيلاتها في العالم، وتصور مشاهد من الاساطير الاغريقية والحياة اليومية آنذاك.

وقفت في ذلك المكان العجيب المتشح بالبياض، فطغى علي شعور بأجواء سحرية تحوطني.

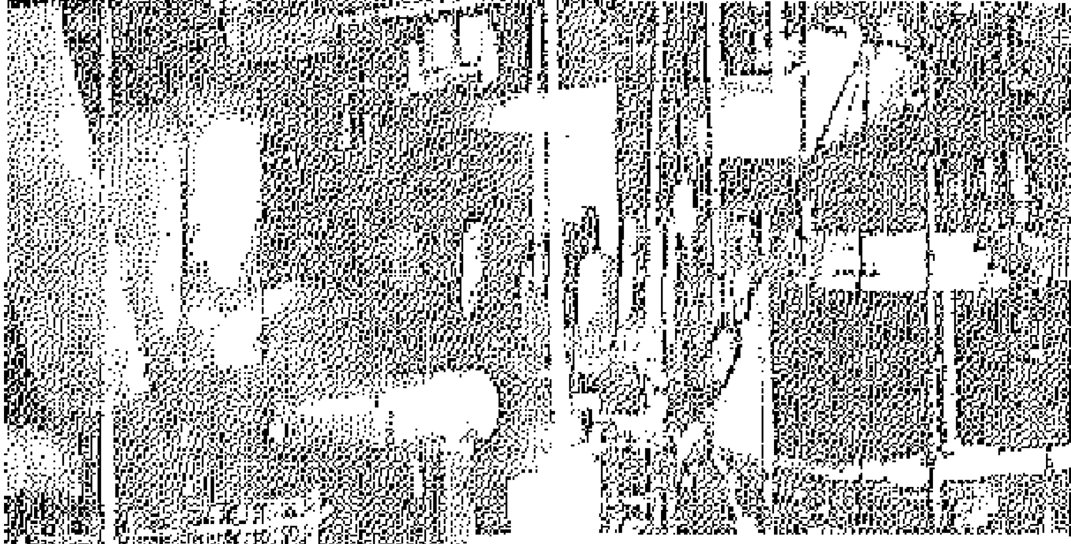
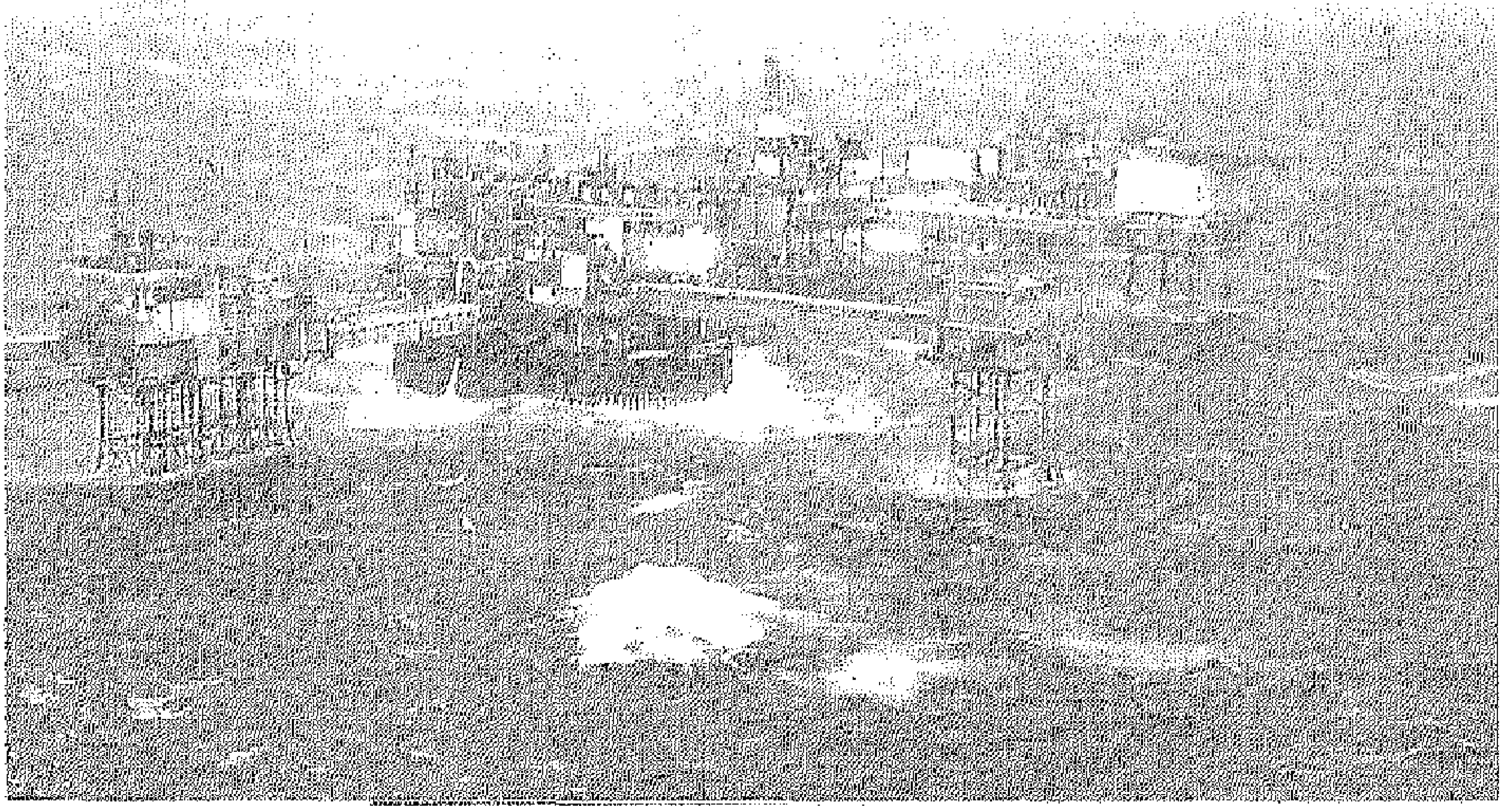
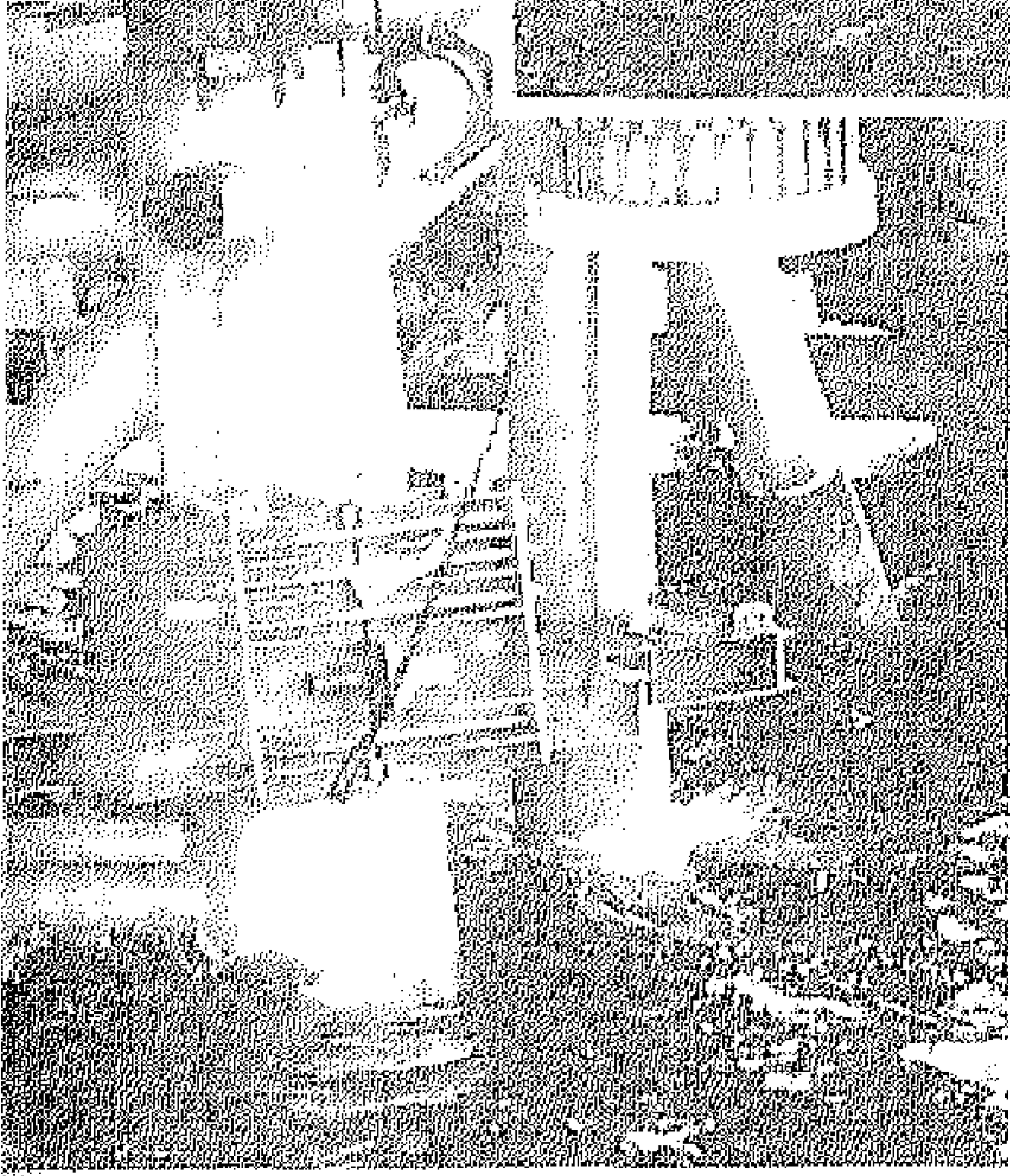
إن التحديق الى كنوز الآثار المطمورة في ضوء المصباح الكهربائي يضفي على الإنسان شعوراً قوياً بالمغامرة والاكتشاف الذاتي لا تمنحه اياها كتب التاريخ أو الجولات السياحية على المتاحف. في هذه المدينة العجيبة الثاوية تحت الأرض يتخالج الأنسان منها روعة الحياة اليومية في الحضارة الرومانية القديمة.

كريستوفر ماثيوز ■



أحسن ما عند البيطار هو انك عندما تأتي اليه بحصانك ليضع له حدوة لا يستطيع ان يتذرع بانه منشغل حتى اذنيه!

س.ج.ل.

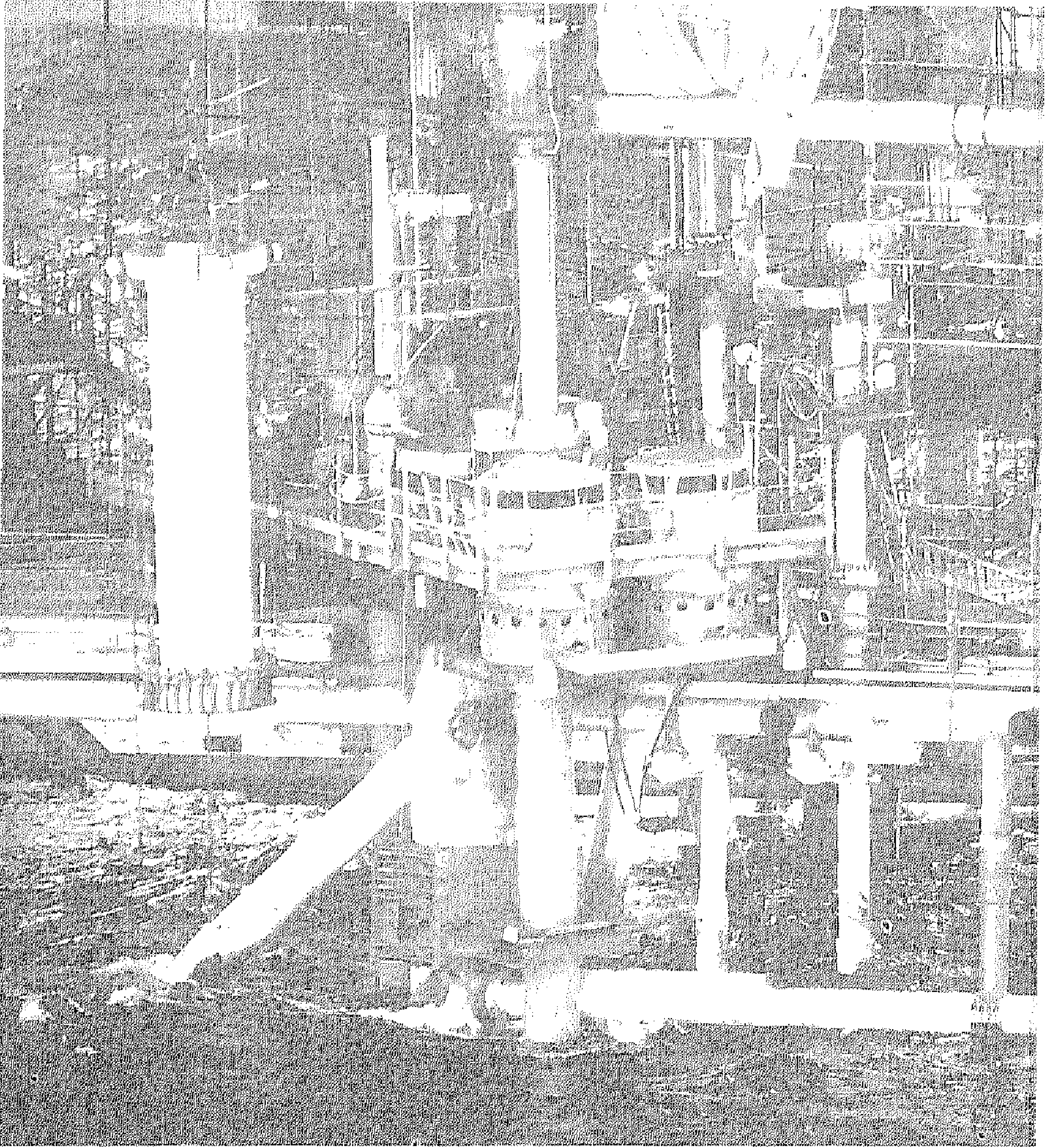




الى اليسار: منصة تسييل الغاز اثناء رفعها
في ١٥ اغسطس (آب)
فوق: مجمّع ايكوفسك في اكتوبر (تشرين الاول)
١٩٨٧ بعد انهاء عملية الرفع.

مَهمّة مُستحيلة في بَحر الشمَال

لولا هذه العملية لكان مجمّع إيكوفسك النفطي العائم غرق في البحر

Photos: Husmo- Foto



كانت الساعة تشير الى العاشرة من صباح ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٨٥ حين التقى جان - بيار كوستي في باريس ترافيس سميث، للمرة الاولى. كان سميث من تكساس سريع الحركة، ربع القامة، ممتلىء الجسم وهو مدير قسم الهندسة والبناء في شركة "فيليبس بتروليوم" في النروج. دخل مكتب كوستي وقدم اليه ما اعتبره اكبر تحدٍ له في حياته المهنية. قال سميث لكوستي: "فكّر في امور عظيمة الشأن." وسميث مدير مشروع شركة الهندسة الفرنسية "تكنيب جيوبرودكشن."

كان من عادة كوستي التفكير في الامور العظيمة الشأن حقاً. فقد تخرج في كلية "الفنون والمهن الهندسية" في باريس وكانت له قدرة فائقة على استنباط طرق مبتكرة لرفع انشاءات في غاية الثقل، يعود معظمها الى شركات نفط عاملة في البحار. لكن التحدي الذي طرحه سميث يتناول رفع ست منصات يبلغ وزنها ٤٠ الف طن او ما يعادل اربعة

اضعاف وزن برج ايفل! ولم يسبق لاحد ان فعل ذلك قبلا.

كانت المنصّات جزءاً من مجمّع "فيليبس بتروليوم إيكوفسك" الذي يضم سلسلة من آبار نفط وغاز وانشاءات لتسييل الغاز ووحدات للسكن وخزاناً ضخماً للنفط. وكان عددها الاجمالي ثماني منصات مرفوعة على قوائم فولاذية ثخينة مثبتة على عمق ٧٠ متراً في قاع البحر في وسط بحر الشمال، وتبعد ٣٠٠ كيلومتر عن ستافنجر، المركز الرئيسي لشركة فيليبس في النروج.

ولإيكوفسك اهمية استراتيجية عظيمة. فالى انتاجها ٣٠٠ الف برميل من النفط يومياً، هي مركز لشبكة ضخمة للطاقة تغذيها خطوط انابيب من خمسة حقول نفط وغاز اخرى في بحر الشمال. ويبلغ مجموع ما يمر يومياً في محطة إيكوفسك ٤٠٠ الف برميل من النفط و٤٨ مليون متر مكعب من الغاز. وتشكل هذه الكميات نصف صادرات النروج من الطاقة. وتلبي حاجات ملايين المستهلكين في اوروبا الغربية.

والامر الذي حمل ترافيس سميث على مقابلة كوستي هو التخوف من حصول كارثة في الموقع. فقد اكتشف في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ ان المجمع آخذ في الغرق. واظهرت الفحوص ان الطبقات الطبشورية تحت الماء كانت تتدمّج بفعل استخراج النفط والغاز، متسببة في غرق المنصات بمعدل ٤٥ سنتيمتراً في السنة. وازداد عمق ايكوفسك عما كان عام ١٩٧٤ حين بدأ الانتاج. ولن تمضي بضع سنوات حتى تكون المنصات هبطت الى مستوى قد يعرّضها لموجات عواصف الشتاء القاسي هناك. وقد عهد الى ترافيس سميث في مسؤولية تنظيم عملية انقاذ ايكوفسك.

روافع، روافع - في احدى عطلات نهاية الاسبوع، كان سميث يجز العشب امام منزله في ستافنجر حين جاءه جار له، وهو مهندس في شركة "تكنيب،" واخبره عن مشروع شركته لرفع منصة في الخليج العربي. فهتف سميث: "روافع! اريد ان اعرف المزيد عنها." وفي اليوم التالي قرأ تقرير ""تكنيب" عن المشروع فتأثر بالفكرة وطار الى باريس ليلتقي الخبير المسؤول عن تنفيذها. ويتذكر سميث: "كان كوستي ملماً بعمليات الرفع فطلبت منه ان يقدم الينا عرضاً في شأن المشروع."

شرح سميث لكوستي المواصفات فتبين ان خزان النفط المبني بالاسمنت يتعذر رفعه. وشملت المنصات الثماني منصّة صغيرة في الامكان رفعها بواسطة ونش، واخرى ذات ارتفاع كاف لانتشالها من دون خطر. اما المنصات الست الباقية فكانت احجامها متباينة، وبدا أن أثقلها هي منصة المنشآت السكنية التي تتألف من كتلة ضخمة مكعّبة من الاسمنت تضم مكاتب وقاعات نوم وطعام تعرف بـ"الفندق" وتزن ١٠،٥٠٠ طن، وفي الامكان معالجة رفعها على حدة. وينطبق الوضع نفسه على منصة تسييل الغاز التي كانت بعيدة عن المنصات الاخرى، شمال الحقل. ولما كانت هناك اربع منصات متصلة بجسور تحوي كتلا من

الانابيب والكابلات، فقد حرص سميث على رفعها في وقت واحد.

وما ان انصرف سميث حتى سحب كوستي دفتر رسوم تخطيطية واخذ يملأ صفحاته رسوم روافع مشدودة الى قوائم منصات بعيدة من الشاطىء شبيهة بساقي طائر اللقلق. ويشرح كوستي: "كنا في وضع ينطبق على السائق الذي يحاول رفع سيارته، فاذا حدث ان ركز الرافعة في منحدر او دفع احدهم جانب السيارة ارتجت الرافعة وربما تداعت وسقطت ارضاً. لكن عملنا كان معادلا لرفع ٤٠ الف سيارة ومقاومة الضغط الجانبي الهائل للرياح والامواج الذي يعادل ٣٤ طناً.

تعمل الرافعة بضخ سائل، يكون عادة زيتا، داخل اسطوانة مما يولد ضغطاً قوياً يدفع صعوداً كباساً (بستونا) بقوة عمودية هائلة. ولكن ما خشيه كوستي هو ان يلتصق الكباس بجنب الاسطوانة للحظة خاطفة ومن ثم ينفلت معاوداً صعوده فيهتز البناء كله بعنف يصعب ضبطه. وقد اقتضى اسبوع لابتِكار الحل، وهو يقضي بصنع كُمّ برونزي تُجليب به حافة الاسطوانة العليا، فيحول دون التصاق الكباس بجنبها.

وفي سبيل تحقيق فكرته لجأ كوستي الى صديق قديم هو المهندس الهيدروليكي جان - بيار ايزمور، فعرضا معاً على سميث اجراء دراسة حول امكانات التنفيذ، فاقتنع بالعرض وقدمت الدراسة الى "فيليبس بتروليوم" في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥.

قسمت خطتهما المبتكرة ثلاث مراحل من اجل حصر الاخطار في اضيق نطاق ممكن. في المرحلة الاولى تسند الروافع الى دعامات عمودية تلحم الى قوائم المنصة فوق سطح الماء، ثم تمدّد الى الاطراف العليا للقوائم بحيث تتحمل ثقل المنصات بُكامله. وفي المرحلة الثانية تقصّ القوائم بطول متر واحد ويلحم مكان القطع المقصوصة شفيران مصوملان. اخيراً تفكّ صوملة الشفيرين، وهنا تنشل المنصات بالروافع الى حد اقصاه ٦،٥ امتار ممهدة بذلك لزيادة تمديدات ثابتة وصوملتها الى القوائم. ويقتضي انجاز رفع المنصات تحضير ١٢٢ رافعة يضبطها نظام يسيّره دماغ الكتروني يضمن عدم حدوث تباين في مستوى علو المنصات يزيد على ١٠٠ ميليمتر. ولو اعتقد كوستي ان اقتراحه سيلاقي ترحيبا حماسيا لخاب ظنه.

فقد القى سوني جوردان رئيس المهندسين الانشائيين في شركة فيليبس، ظلالا من الشك حول جدوى الاقتراح. فقال لسميث: "ما هذا الذي تريد ان تعمله؟ ان الامواج ليست مستوية، انما تعلو وتهبط وتحدث اضراراً كبيرة." وقد اجرت شركتا فيليبس و"فاريتياس اوفشور تكنولوجي أند سرفيسز أس"، وهي شركة تحليل هندسية نروجية، دراسة بالغة الدقة للمشروع استغرقت ثلاثة اشهر.

الوقت المناسب - في ٧ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ حظيت "خطة كوستي - ايزمور" بموافقة شركة فيليبس و"مديرية النفط النروجية." ولم يعد في

وسع الشركة الانتظار طويلاً لانه اذا لم تعدل مقاييس ضمان السلامة فستضطر الشركة الى تقليص عملياتها الى حد كبير. يقول سميث: "وبما اننا كنا خططنا لايقاف الضخ في خطوط الانابيب مدة اسبوعين في يونيو (حزيران) ١٩٨٧ لاجراء الصيانات الروتينية، فقد رأينا ان ذلك هو الوقت المناسب لتنفيذ الخطة."

لم يكن لدينا سوى ١٤ شهراً لانجاز اعمال التصميم والتصنيع والتركيب لـ١٢٢ رافعة و٢١٢ وحدة لتوليد الطاقة بواسطة الماء، فضلا عن تأمين ٧،٠٠٠ طن من الاجهزة المساعدة ونظام الدماغ الالكتروني الدقيق المطلوب لضبط العملية. فجنّد كوستي استاذ الرياضيات النابغة ميشال لبرون من جامعة ليون الذي يستطيع تقدير مدى الالتواء والاهتزاز في المنصات لدى رفعها فتبرمج على اساس تقديرات الادمغة الالكترونية مستبقة المشاكل بحساسية هائلة.

ومن الذين اعتقدوا ان في الامكان تنفيذ المشروع في التاريخ المعين اي في ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٨٧، كان موريس هوبلي، وهو مهندس بناء بريطاني معين للعمل مع فريق فيليبس للتصميم والعامل بدوره مع "تكنيب." وهو يتذكر: "ربما كانت افكارنا دون الكمال ولكنها ما دامت تفي بالغرض فلم يكن لدينا وقت للتفكير بسواها." وما لبث شعور هوبلي الملحاح ان عمّ الشركات المختلفة في اوروبا التي بلغ عددها المئة والتي كانت تشتغل بنشاط محموم لتقديم المعدات والخبرات.

وشهدت إيكوفسك في اوائل نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، النتائج الاولى لهذا النشاط حين بدأت قوارب التموين تنقل دعامات فولاذية بلغ طولها ٢،٥ كيلومتر وتشكل خطا أحاديا يلحم الى الجانب السفلي من المنصات. وكانت هناك مروحيات مكوكية تأتي باستمرار بمزيد من العمال.

خلال شهري يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) ١٩٨٧ هبطت الحرارة في الموقع الى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر، فغطى الجليد المعدات الحديد وتوقف العمل قسراً. ولم تكد حرارة الطقس ترتفع فيتيسر العمل حتى ضربت الامواج العاتية السقالة فاقتلعتها.

في ابريل (نيسان)، كان على كوستي ان يخضع لجراحة في القلب فتسلم هوبلي مسؤولية عمليات الرفع. وفي اواخر مايو (أيار) اتضح انه من غير الممكن تنفيذ المشروع في الوقت المحدد. لذلك وضع برنامج مرحلي جديد يقضي برفع منصة "الفندق" في اواسط يوليو (تموز) يلي ذلك رفع المنصات الخمس الاخرى في اواسط أغسطس (آب).

الفندق اولاً – في ٣١ مايو (أيار) كانت الروافع مثبتة في اماكنها على "الفندق" وهي تتألف من اربع اسطوانات حمراء ملأى بزيت هيدروليكي متجمّع حول كل من القوائم الضخمة الصفراء. وطوّلت الروافع حتى باتت تسند بناء المنصة الكامل الذي يزن ١٠،٥٠٠ طن. وبذلك بات العمل مهيأ لقصّ القائمة الاولى.

يتذكر هوبلي ذلك اليوم: "كانت لحظة عصيبة. لقد كنا نعلم أنه سيكون هناك ضغط انفتاليّ في القوائم، تماماً كما يحدث لدى قطع شجرة، فقد يرتد عليك ساقها ويضربك بعنف." لذلك استخدم في عملية القص مقطع اوتوماتيكي اخذ يلتف دورة بعد دورة حوله القائمة الى ان انفصل المعدن بعضه عن بعض. ولحسن الحظ لم يزد الانفتال على ٢٥ ميليمترا. ثم جرت صوملة الاشفار وتلحيمها في مكانها الصحيح.

في ١٣ يوليو (تموز) كانت منصة "الفندق" جاهزة للرفع. اما الفراغ بين القوائم فقد ملىء بشبكة من الدعامات المتصالبة للتقوية فيما امتدت مطولات القوائم فوق البحر جاهزة للتركيب، ويبلغ طول القسم الواحد منها ستة امتار ويزن ٣١ طناً.

كان كل شيء متوقفاً على الطقس الذي بدا رماديا عاصفاً. كان هوبلي في حاجة الى ثلاثة ايام من الهدوء النسبي لا تتجاوز فيها سرعة الريح ٥٥ كيلومترا في الساعة ولا يعلو الموج، في حده الاقصى، اكثر من ثلاثة امتار.

يوم الثلثاء ١٤ يوليو (تموز) اعلن علماء الارصاد الجوية عن فترة ركود تدوم ٣٦ ساعة ابتداء من صباح الثلثاء الباكر. في اليوم التالي ارخى طاقم هوبلي الذي ضم ٤٥ مهندس بناء، عزقات صوامل الاشفار التي ربطتها بعضها الى بعض.

في الاولى صباحاً، بدأت الريح تعتدل وفي الساعة ٣:٤٨ صباحاً اعطى هوبلي الاوامر لمباشرة عملية الرفع. فبدأت كباسات الروافع اللامعة تطل من الاسطوانات الحمراء ببطء، بمعدل يراوح بين ميليمتر واحد و٢٥ ميليمتراً في الدقيقة. وفي الساعة ٣:١٩ بعد الظهر كان تمّ رفع منصة "الفندق" ٦،٤ امتار. ثمّ ركّزت كل تطويلة للقوائم في مكانها بدقة بالغة وصوملت، فيما بقيت المنصة جاثمة على الروافع وقد علت ٤٠ سنتيمتراً عن تطويلات القوائم.

ولكن كان هناك خطر كامن، فقد ازدادت سرعة الريح الى ٣٧ كيلومتراً في الساعة وهي تنذر ببلوغ ١١٠ كيلومترات. في تلك اللحظة الدقيقة اقتضى وقف كل الاعمال الى ان ينجز المهندسون انشاء سقالة حول اشفار تطويلات القوائم العليا تمهيداً لانزال المنصة.

استغرقت العملية ساعتين. وكانت سرعة الريح قد بلغت ٤٥ كيلومتراً في الساعة قبل ان يتمكن هوبلي من اصدار امره لارساء "الفندق" على التطويلات. وفي الساعة ٨:٠٤ كانت المنصة قد رست في مكانها. في شركة فيليبس في ستافنجر كان المسؤولون الاداريون يراقبون العملية بالتلفزيون فاطلق ترافيس سميث وسوني جوردان هتافات النجاح. وصاح جوردان: "لقد حط النسر في نهاية المطاف." ولم تمض اربع ساعات حتى كانت احدى عواصف الصيف الهوجاء تضرب المنطقة ولكن منصة "الفندق" كانت آمنة مثبتة في مكانها.

نجاح كامل – في ١٠ اغسطس (آب) بدأت عملية وقف الضخ في ايكوفسك فسدّت خوط الأنابيب لكي يتدفق النفط والغاز الى البحر ويقطع بذلك امدادها عن

٨٠٠ انبوب. ويوم السبت ١٥ اغسطس (آب) رفعت منصة انشاءات تسييل الغاز الواقعة الى الجانب الشمالي من الخزان الثابت. وصباح الاحد ارسيت على قاعدتها فوق القوائم المطوّلة. وبعد مضي ٢١ ساعة امر هوبلي بالبدء بالعملية النهائية التي تقضي برفع المنصات الاربع الباقية وثلاثة جسور موصلة وجسر دعم، في وقت واحد. ويزن مجموع هذه المنصات ٢٢،٧٧٠ طنا. وشملت العملية استخدام دماغ الكتروني رئيسي و٧٢ رافعة و١٤٤ وحدة كهربائية. واجتمع في ستافنجر أيزمور وكوستي الذي كان تعافى تماما، لمشاهدة تلك المرحلة على التلفزيون. وقد عملت الروافع والوحدات الكهربائية وادمغة الضبط الالكترونية بدقة فاقت كل التوقعات، اذ لم تحد اي من المنصات اكثر من ميليمترين.

في الساعة ٩:٢٧ من صباح ١٨ اغسطس (آب) ثُبّتت المنصة الاخيرة وبذلك انتهت اعمال الانقاذ الضخمة. وبلغت تكاليف العملية الرائعة التي تكللت بالنجاح، ٤٥٥ مليون دولار. ومع الاكتشاف الذي تحقق لاحقاً ومؤداه ان الخسف قد تراجع الى ٢٧ سنتيمتراً في السنة وقد يتوقف كليا في اوائل التسعينات، تكون العملية ضمنت حياة إيكوفسك الى ما بعد السنة ٢٠٠٠. يقول كوستي: "لم تكن التكنولوجيا العامل الوحيد الذي ادى الى نجاح المشروع فلولا التضامن في العمل والاحترام المتبادل لما قدرنا ان ننجز هذا العمل الهندسي الاول في العالم، في منشآت غائمة."

اندرو لينكلاتر ■



المغنّي، لا الاغنية!

بدل الاتصال الهاتفي دأبت على ارسال إشارات ضوئية الى احد زملائي في العمل عبر دماغ الكتروني تلفزيوني، وتلقي اشاراته، كلما عنّ لنا ذلك. في احد الايام ادخلت موظفة موقتة بعض المعطيات في جهازي عندما كنت اعمل في الجوار. فلاحظت نظرتها الحيرى في الشاشة فسألتها هل تحتاج الى عون. فاجابت: "انا الآن في ورطة حقاً، فلقد دعاني الدماغ الالكتروني للتو الى الغداء!"

د.ب.

دواء لاربعة اشخاص

دخلت امرأة الى الصيدلية وطلبت معجونا للاسنان ورذاذاً لرش الشعر وغيرهما من المستحضرات وعينت حجم كل منها. واخيراً طلبت زجاجة "بيتو - بيسمول" وهو دواء لعسر الهضم. فسألها الصيدلي: "اي حجم تريدين؟" اجابت وسط دهشته: "واي حجم تقترح؟ لقد دعوت اربعة اشخاص فقط الى العشاء."

ن.م.

دائرة المعارف

هناك مسلمة في اللغة الانكليزية هي ان اللسان يسبق القاعدة. ودليلنا على ذلك أن عدد الكلمات في قاموس "وبستر" ارتفع من ٣٧ الفاً في العام ١٨٠٦ الى ما يفوق الـ ٤٦٠ الفاً في العام ١٩٨٦. من أين اتت هذه الكلمات؟ بعضها ورد عفواً على اللسان خلال محادثة شائقة وجادّة وبعضها الآخر اتى انعكاساً لنشاطات وأعمال تتميز بها حقبات زمنية معينة. وهكذا تتحوّل أسماء افعالا وتستعار ألفاظ وتدمج أخرى. وهنا اختبار لمدى اطلاع القراء على جديد هذه اللغة التي باتت الاولى في العالم، يتضمن كلمات بعضها أدخل في القاموس، وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يراه مناسباً، ثمَّ يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة الصحيحة ويقيس مستواه.

١. hacker: سيارة أجرة - شخص غير بارع في عمل أو نشاط ما - حصان يستعمل في اعمال مختلفة.

٢. heavy metal: لغة تستعمل في الحديث عن لغة أخرى - نقد سياسي لاذع - صلب ثقيل الوزن - موسيقى الروك الالكترونية الصاخبة.

٣. mo: لفظة تستعمل لوصف قوة الزخم في الحملات السياسية. مغفّل - طريقة أو أسلوب عيش.

٤. gridlock: الخطوط الافقية والعمودية لتحديد المواقع على الخريطة - قفل الكتروني حديث - ازدحام السير عند تقاطع الطرق في شكل يمنع التحرك، أو أي وضع مشابه.

٥. condo: مقاطعة واقعة تحت حكم مشترك لأكثر من دولة واحدة - الحكم المشترك بين دولتين أو أكثر - ملكية خاصة لوحدة سكنية في مجمع سكني.

٦. mamou: من يسعى وراء الثروة - حديث النعمة - امر مهم ينطوي على خطورة.

٧. parenting: حماية مشدّدة - وصاية - تربية الأهل للأولاد.

٨. yuppie: قليل الذوق - خريج جامعي شاب موظف بمعاش جيّد، ويعمل ويعيش في مدينة كبيرة أو بالقرب منها - تعبير عن الاثارة والفرح.

٩. blendo: طراز يعتمد التنويع في الزخرفة الداخلية - مدرسة مختلطة - لهجة امريكية يتكلمها البرتوريكيون في الولايات المتحدة.

١٠. egoboo: ما يعزّز الثقة بالنفس - من تنحصر اهتماماته بأشغاله وحاجاته الشخصية - اهتمام الشباب الامريكي بارضاء الذات قبل أي اعتبارات اخرى.

١١. warmedy: التمارين التحضيرية التي تسبق البدء بمباراة رياضية - برنامج تلفزيوني هزلي يبعث الدفء ويعتمد القيم العائلية التقليدية - وضع دقيق قد يؤدي الى عنف خطير.

١٢. ear candy: كلمات تستعمل للاطراء والتحبّب - وعود لا تنفّذ - قطعة موسيقية قصيرة محبّبة للأذن.

١٣. cocooning: الاسترخاء في دفء غرفة الجلوس - حماية الانتاج الوطني بفرض رسوم جمركية عالية على السلع المستوردة - الانطواء على الذات.

١٤. wetware: ملابس مغسولة غير ناشفة كليًّا وغير مكويّة - بذلة مصنوعة من مادّة مطاطية تبقي على طبقة رقيقة من الماء ملاصقة للجسم البشري للمحافظة على حرارته خلال الغطس في المياه الباردة - الدماغ البشري.
١٥. trumping: انتهاز الفرص - القيام بصفقات كبيرة كشراء ممتلكات باهظة الثمن - تلفيق اخبار بهدف الخداع.
١٦. hardwired: سمة عميقة الجذور من سمات الشخصية - عضو ملتزم في حزب سياسي - رجل عصامي.
١٧. aerobics: اسلوب في التكيف الجسماني معدّ لتحسين عمليتي التنفس والدورة الدمويّة ويعتمد تمارين رياضية تزيد استهلاك الأوكسيجين - بهلوانيات جويّة - ميكروبات لا تعيش الا بوجود الأوكسيجين.

الأجوبة الصّحيحة

١. hacker: شخص غير بارع في نشاط ما (a tennis hacker).
٢. heavy metal: موسيقى الروك الالكترونية الصاخبة.
٣. mo: مدى الزخم في الحملة الانتخابية لمرشح، وهي اختصار لكلمة momentum.
٤. gridlock: ازدحام السير عند تقاطع الطرق أو أي وضع مشابه يمنع التحرك.
٥. condo: ملكية لوحدة سكنية في مجمع سكني، وهي اختصار لكلمة condominium.
٦. mamou: امر مهم ينطوي على خطورة.
٧. parenting: تنشئة الوالدين لاطفالهما.
٨. yuppie: خريج جامعي موظف في مدينة كبرى أو ضواحيها.
٩. blendo: طراز من الزخرفة الداخلية يعتمد التنويع.
١٠. egoboo: ما يعزز الثقة بالنفس.
١١. warmedy: برنامج تلفزيوني هزلي يرتكز على القيم العائلية التقليدية.
١٢. ear candy: قطعة موسيقية قصيرة محبّبة للأذن.
١٣. cocooning: الاسترخاء في دفء غرفة الجلوس.
١٤. wetware: الدماغ البشري (من آثار عصر الدماغ الالكتروني وانطلاقاً من كلمتي software و hardware).
١٥. trumping: القيام بصفقات شراء كبرى خصوصاً العقارات (نسبة الى الملياردير الأمريكي دونالد ترامب).
١٦. hardwired: سمة عميقة الجذور من سمات الشخصية (من آثار موجة الكومبيوتر).
١٧. aerobics: رياضة تعتمد التمارين التي تزيد استهلاك الأوكسيجين كالركض والسباحة والمشي.

المستوى

٩ - ١٧: ممتاز.
٦ - ٨: جيد جداً.
٣ - ٥: مقبول.

أدويـة شـافيـة

بعض الحقائق يبدو مذهلا: الاختلاط بالناس يطيل العمر، والعفو يطهر النفس ويجدّد الذات

١ـ الايثـــار

مارس التمارين بانتظام، تناول اغذية متوازنة وافعل الخير لشخص ما. هذا ما ينصحك به طبيبك. فثمة تطور سريع في الابحاث الجديدة يومىء الى منافع الايثار.

لقد عكف طبيب الاوبئة جايمس هاوس وزملاؤه في مركز الدراسات الاستطلاعية في آن آربور التابع لجامعة ميشيغن، على دراسة ما ينيف على ٢٧٠٠ شخص في تيكومسي بولاية ميشيغن قرابة ١٤ عاماً، ليروا اثر العلاقات الاجتماعية في نسبة الوفيات. وقد خلص البحاثة الى أن الحياة الاجتماعية تمد في الأعمار خصوصاً بين الرجال. وقد كانت نسبة الوفيات بين الذين لم تكن لهم علاقات اجتماعية حميمة زائدة مرتين ونصف مرة على نسبة وفيات الذين لهم مثل هذه العلاقات.

وخرج محققون آخرون باكتشافات مماثلة. فقد عاين طبيبا الأوبئة ليزا بيركمان من جامعة ييل بنيوهفن (ولاية كونيتيكت) وس. ليونارد سيم من جامعة كاليفورنيا في بيركلي، نحو ٧ آلاف من سكان مقاطعة آلاميدا في كاليفورنيا. وتوصلا، في غضون تسع سنوات، الى ان العازبين القليلي الاصحاب أو الأقارب والذين يتحاشون الانضمام الى المنظمات الاجتماعية تبلغ نسبة الوفيات بينهم ضعفي ما لدى سواهم. وان ذلك يصح بصرف النظر عن العِرق او الدخل او النشاط البدني او عناصر أخرى من نمط الحياة.

ان الباحثين شرعوا الآن في ادراك اثر الاختلاط الاجتماعي في تحسين صحة المرء وشعوره بالغبطة. وقد اعتقد هانس سيلي المتوفى حديثاً، وأحد الرواد في الابحاث الحديثة حول الاجهاد، أن المرء اذ يساعد الآخرين فانه يلهمهم عرفان الجميل والحنو ودفء العاطفة مما يقيه الاجهاد. ان المشاعر الجياشة قد تكون مصدرها المهدئات الطبيعية للدماغ.

ويستخلص العلماء ايضاً ان افعال الخير قد يفيد منها نظام المناعة في الجسم. فالذهن ونظام المناعة مترابطان على نحو وثيق. وثمة مسارب عصبية تربط الذهن بمخ العظام والطحال اللذين يفرزان الخلايا الضرورية لمكافحة الامراض السارية. وقد دلل البحاثة على أن خلايا الدم البيضاء حساسة على نحو دقيق لببتيد الأعصاب، وهي المواد الكيميائية التي يفرزها الدماغ.

وفي بحث يستوقف الانتباه في جامعة هارفرد بكامبردج (ولاية مساتشوستس)، عرض العالم النفساني ديفيد ماكليلاند على طلابه شريطاً عن الأم تيريزا، رمز الايثار، وهي تعمل بين مرضى مدينة "كلكوتا" ومعوزيها في الهند. وقد كشف تحليل لعاب الطلاب زيادة في الغلوبلين المناعي "ألف،" وهو جسم مضاد يساعد على مكافحة امراض الجهاز التنفسي.

وسواء ثبتت تلك الصلة ام لا، فان بعض الباحثين يرون ان مظنة اصابتك باعتلال قلبي تتأثر إلى نحو كبير بسلوكك تجاه الغير. وفي زعمهم ان العدوانية تضاعف ذلك الاحتمال قطعاً.

ان هذا الادراك الجديد لـ"القلب الغضوب" تعقبه تشارلز سبيلبيرغر أحد علماء النفس بجامعة كاليفورنيا الجنوبية في تامبا. وكانت الابحاث ابانت ان صعاب المراس والمتسرعين والذين يهوون التنافس، اي الشخصيات ذوات الفئة "ألف"، يتعرضون اكثر من غيرهم للاصابة باعتلال قلبي.

ولكن عندما عاود سبيلبيرغر تحليل بعض المعطيات، وجد أن الكثير من سمات شخصيات الفئة "الف" غير ذات ضرر، وأن صفات معدودة بينها فقط هي الغضب والنزق والمزاحمة العدوانية، تجعل الناس عرضة لأمراض القلب.

ووجد باحثون آخرون أن بعض الشخصيات العدوانية في الفئة "ألف" هي أكثر ميلا من سواها الى الاصابة بأمراض القلب. وقد توصل ردفود وليامز الاختصاصي بالأمراض الباطنية في احدى الدراسات التي اعدها المركز الطبي بجامعة دوك في دورهام (ولاية كارولينا الشمالية) الى أن الشرايين الاكليلية في قلب الانسان تغدو اكثر انسداداً كلما اشتدت نزعته العدوانية.

وفي بلتيمور وجد جايمس لينش من جامعة ميريلاند ان الذين لا يصغون جيداً، واولئك الذين يثبون عند أول فرصة ليفحموا محدثهم، هم ذوو ضغط دم مرتفع.

ويشير دين اورنش مؤلف كتاب "قلبك والاجهاد والحمية" إلى أن كثيرين من مرضى القلب يشعرون بالعزلة مما قد يؤدي الى اصابتهم بالاجهاد ويزيد من اعتلالهم. وهو يشجع المرضى على فعل الخير.

قد يعارض البعض الفكرة القائلة بأن الايثار يعود بالنفع على الذات. وقد يبدو عمل الخير لشخص ما وكأنه يبخسه ذلك الفعل من دون فائدة. لكن الحقيقة هي اننا، اولا وقبل كل شيء، نوع من الكائنات الجماعية، خصتنا الطبيعة بالاعتماد على آخرين من جنسنا واذا ما كان اسداء العون الى جار لنا هو في مصلحتنا، فان النفع يكون مزدوجاً، ولم لا؟

٢- الصفح

امثولتي الاولى في الصفح أخذتها عن والدي. فقد كنت فتى في مدينة جيرزي فسمعته يروي حكايا مريرة عن عمله في حانوت يشغل عمالا في احوال سيئة وتديره العائلة الاكثر ثراء في المدينة. وكان الرئيس يعتمد مقاييس اعتباطية في اختيار العمال.

اثناء فترة الكساد الاقتصادي أفلست تلك الأسرة فيما لمع نجم ابي في السياسة المحلية. وذات يوم، وفد الى غرفة الجلوس في بيتنا ابن احد كبار رجال الأعمال السابقين، باحثاً عن شغل. فعامله ابي بلطف جم، ملحقاً اياه خلال اسبوع باحدى الوظائف في شركة نقل.

قلت لابي: "كانت تلك فرصتك لتقتص منه فلم لم تفعل؟" فاجابني: "ليس هو الملوم عما حدث في تلك الايام. ولعله لم يكن ذنب اي كان."

كنت كمراهق حاد الطبع أود لو ينتقم ابي من ذلك الرجل المسكين. ولو انه فعل لبقي ذاك الرجل القاسي الذي طالما أعجبت به. لكني ذلك اليوم اكبرت ابي كونه رجل صفح.

اني مقتنع بان الصفح هو أحد مصادر الطاقة الشافية غير المستغلة، وغير المقدرة حق قدرها. وهو ينطوي بالضرورة على قرار بالتخلي عن حافز الاقتصاص. واذ تبدو الفكرة سلبية للبعض، فإن الصفح الأصيل فعل ايجاب يستلزم قوة روحية هائلة.

كان توم زوجاً وابا أبحّ الصوت يبلغ من العمر ٤٣ عاماً. وكان يعاني مشكلة، فأسلوبه الفظ يغلق دونه ابواب الوظائف. وقد مكث في البيت اسابيع مداوماً التفكير هماً وقلقاً وفي فترة ما كان ضيق الصدر برماً بطفليه.

اخيراً قصد طبيباً نفسانياً يدعى دونالد هوب، وبعد ثمانية اشهر لم يخرج هوب بنتيجة. كان يرى أن مشكلة توم يوم كان ابوه السكير يستصغر شأنه صبياً أمام اصحابه وأسرته. وقد شرع توم في ادراك سبب سلوكه، لكن هوب عجز عن تليين الذكريات المريرة في نفس الشاب. ولم يفلح الطبيب المعالج ايضاً في الحؤول دون توم وسفحه حنقه المكظوم في علاقته مع الغير.

وذات ليلة افضى توم بالأمر الى احد رجال الدين الذي أشار عليه بأن يصفح لأبيه. ثم جثيا معاً على ركبهما مبتهلين الى الله. أحس توم بجدة رائعة وقوة تجيش داخله. وفي اليوم التالي ذهب لمقابلة ابيه. فقال له: "ابي، في الليلة الماضية سألت الله ان يساعدني لأصفح عنك. ولعل ذلك الأمر ادى مفعوله." فأجهش ابوه بالبكاء وعانقه.

ذهل الطبيب المعالج هوب للتحول الذي اصاب توم في الاشهر التالية. إذ التحق ببرنامج تدريب على الدماغ الالكتروني وحاز افضل الدرجات. وغدا اباً لطيفاً محباً. قال هوب عنه: "اضحى اكثر امتلاكاً لاهوائه وحياته."

وفي الصفح تناقض ظاهري. اذ يقول هوب: "يبدو التغاضي عن الاخطاء منافياً لمصالحنا الذاتية، لكن معظم الذين يؤذوننا هم الأقربون إلينا من ابوين وأشقاء وازواج واصدقاء. وان اقتصاصنا

منهم لا يفضي الى سوى حلقة مفرغة من مقابلة المثل بالمثل. وفي الأجل الطويل، فإن الصفح هو أفضل خيار للمسامح والمعفى عنه على حد سواء."

ولعل الخيانة او الغدر هما اكثر ما يتهدد الصفح. وثمة ضروب مختلفة منهما، **لكن أشقها على النفس هو الخيانة الزوجية.**

لقد صعقت نان المحامية الناجحة في شيكاغو حين علمت ان زوجها المصرفي جاك، كان على علاقة مع امرأة التقاها في احد الاجتماعات. قال لها جاك انه نادم على فعلته، لكن نان احست بأنها لن تستطيع الوثوق به ابداً. وكان الطلاق الحل الوحيد حسبما اسرّت الى احدى صديقاتها.

لكن الصديقة حضتها على التفكير في الصفح عن زوجها، منبهة الى ان نان اذ استغرقها عملها لم تكن زوجة عطوفاً، ولطالما عاكست آراء جاك في صحبة الآخرين. وسألت تلك الصديقة: الم يكن ممكناً ان علاقة جاك الغرامية كانت محاولة لحيازة تقديرها وهو حق له؟

امضت نان نهاية الاسبوع متفكرة حول زواجها. حاولت ان تصفح عن جاك، ولكن لم يكن في وسعها التلفظ بالكلمات. كان الغضب متقداً، والجرح ساخناً. لكنها اخيراً استطاعت ان تتحدث اليه عن العلاقة. فرد جاك باستقامة معرباً عن ندم عميق. وكانت العاقبة عفواً وسعادة متجددة لكليهما.

يقول الطبيب النفساني النيويوركي أفودا ك. أوفت ان رفض الصفح عن الخيانة الزوجية يؤدي غالباً الى مشاكل جنسية. فالغضب المكبوت والرغبة في الانتقام كثيراً ما يفصحان عن نفسهما عُنّة ونقصاً في الرغبة الجنسية. وحسب قوله: "كرة تلو أخرى أرى ان العفو معلمة خاصة في العلاج."

وهو ينصح البعض باتباع هذا الاسلوب: "تصنّع العفو عن زوجك. ولمدة اسبوع لا تستعمل سوى كلمات ملؤها الحنو والاطراء." وحسب أوفت فإن الأثر "قد يحدث من نجاحه تبدّل في الأحاسيس. وقد يقوم حوار مفضٍ الى عفو حقيقي والى اجتثاث الاستياء."

والفحص النفسي والروحي ضروري للعفو. ويحث عدد من الاختصاصيين على العفو كعلاج شاف وعاجل، عوض سبر ما حدث وسببه. وهم يذهبون ابعد من ذلك فيشيرون الى العبارة الآتية: "اعف وانس" وهذا مستحيل.

والعفو يؤتى ثماره اذ يكون لدى المتضرر متسع من الوقت ليواجه غضبه ويعي نصيبه في النكبة، مدركا مغبة رفض العفو.

ويشير المعالجون الى ان العجز عن العفو قد ينغص علينا حياتنا، فيسلبنا النوم ويتسبب لنا في عسر هضم وقد يؤدي الى ارتفاع في ضغط الدم لدينا. ولكن عندما نعفو، نشعر بتحول جبار، وكأنه تطهير للنفس من ادرانها تصح تسميته "البعث الجديد."

واهم مكون للعفو هو الحب. والصفح في احسن الأحوال هو فعلٌ من اجل اولئك الذين اخطأوا في حقنا.

ايلين روكفلر غروالد
وآلان لوكس ■



مأساة واقعية

العُطلة المشؤومَة

سقطت الطائرة تاركة اربعة اشخاص في البحر عائمين في سترتي نجاة!

في صيف عام ١٩٨٧، ذهبت وابنتي آريان (١٤ عاماً) بعدما انهت سنتها الدراسية، الى هاييتي لقضاء عطلة طالما منينا النفس بها. ولم تتمكن زوجتي لورا من مرافقتنا لأنها كانت تعمل. أما ابني ديفيد، (١٥) عاماً فلم يكن مهتماً للأمر.

امضيت مع آريان اسبوعاً ولا أروع في الشمس.

إلا انه خارج منتجعنا كانت هاييتي تتخبط في أزمة. فقد صدر مرسوم تسبب في اضرابات واعمال عنف. وسرت اشاعات عن اعتداءات تعرض لها اجانب. وأوقفت الرحلات الجوية النظامية الى هذا البلد.

وقد عرض الفندق على النزلاء إما البقاء مجاناً وإما السفر بطائرات صغيرة تنقلهم الى جمهورية الدومينيكان،

Condensed from New York (Aug. 10, '87), New York, N.Y.

الواقعة على مسافة ٢٦٥ كيلومتراً شرقاً.

ركبت وآريان الطائرة في مطار العاصمة "بور - او - برنس" في الرابع من يوليو (تموز) وكانت الى جوارنا امرأتان التقيناهما في المنتجع، الأولى تدعى داليا كلارك وهي مطلقة في أواخر الثلاثينات من عمرها، والثانية تدعى آنا ريڤيرا (٤٠ عاماً) مقيمة في نيويورك وهي من اصل پورتوريكي متلهفة للعودة الى عملها الجديد كمعلمة.

صعدنا بصعوبة الى ما سمته آريان الطائرة "الأحقر والاصغر في العالم." وكانت من نوع "پايبرسينيكا" تتسع لستة اشخاص.

اقلعنا عند الغسق، ثم حلقنا فوق المدينة دائرياً لنتوجه بعدها، ويا للغرابة، نحو الشمال الشرقي بعيداً عن مقصدنا. حاولت آنا استيضاح ربان الطائرة الامر بالأسبانية، فلم يبد رغبة في الاجابة. وتبادر الى ذهننا انه ربما اضطر الى اجتياز ممر منخفض بين جبلين قبل التوجه شرقاً. كان علي ان اكون اكثر الحاحاً إلا ان ارتجاج الطائرة كان يدعو الى النعاس فما مضت لحظات إلا وكان النوم غلبني.

إستيقظت بعد ساعة فاحسست بهواء دافىء مشبع بالبخار يتسرب الى داخل الطائرة. كنا نحوم فوق سفينة شحن على ارتفاع لا يزيد على بضع مئات الأمتار وتحتنا بحر ينيره ضوء القمر. وكانت آنا سألت الربان، عما يجري فاجابها: "لقد نفذ الوقود لدينا." فصرخت: "رباه نحن في مأزق." شعرت بالخوف يعتصر معدتي. أخذت أفكر: لقد اصبحنا جميعا في عداد الاموات إلا انه لا يمكنني أن أدع ابنتي تموت.

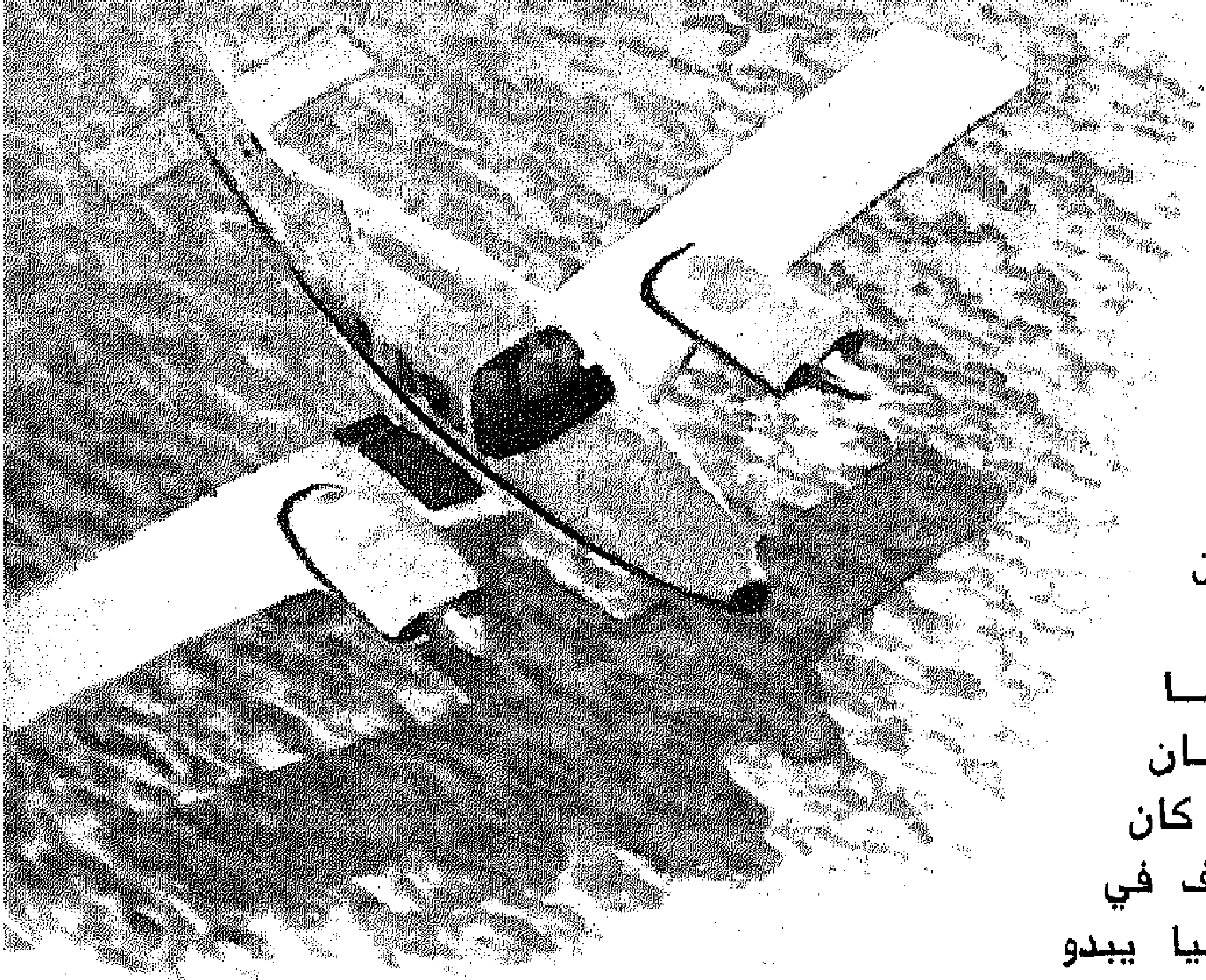
ولما كنت في مقعد خلفي مواجه لمقعد ابنتي، فقد حللت حزام آري واجلستها في حضني وضممتها بيدي ورجلي وقد أسندت رأسها الى كتفي.

السقوط العظيم - قبل دقيقة من السقوط في البحر، قذف إلي قائد الطائرة بسترة النجاة الخاصة به فألبستها آريان بينما كنا نتلمس طريقنا بحثاً عن سترات اخرى. وحدها آنا وجدت سترة نجاة.

كنا نهوي نحو الماء فقلت: "احبك يا آري، اصمدي."

فأجابت: "وانا احبك ايضاً يا ابي."

احدث ارتطام الطائرة بالبحر دوياً قوياً. فانخلع الباب وتكسر جانب من الطائرة وتدفقت المياه الى الداخل. فصرخت بأعلى صوتي: "آريان، اخرجي واجلسي على جناح الطائرة." في تلك الاثناء كان قائد الطائرة ارتطم بلوحة اجهزة القيادة فتضرج وجهه بالدماء وكسرت رقبته ففارق الحياة. وايا يكن السبب الذي جعله يخطىء في توجيه الطائرة، فهو حلق فوق السفينة أملا في لفت الانتباه. اعتقدت انه هبط بالطائرة على احسن وجه ممكن، وربما ضحى بحياته لإنقاذنا. وكانت لدي آمال ضئيلة بان الطائرة قد تطفو على المياه، إلا انها غرقت في غضون ثوان. وفجأة اصبحنا وحدنا: اربعة اشخاص في سترتي نجاة في بحر واسع وظلام حالك.



بــدأت داليــا وآنا تسبحان لبلوغ السفينة، إلا ان احداً منا لم يتمكن من رؤيتها. واتضح لنا في ما بعد ان طاقم السفينة لم يكن على علم بورطتنا.

تجمعنــا وحــاولنــا تقــويم الــوضـع: آريــان صدمت رأسها، وأنا كان لدي جرح عميق ينزف في ذقني وكان انف داليا يبدو مكسوراً وظهرت جروح كثيرة حول عيني آنا وكسر احدى ذراعيها كما تلقت صدمة كبيرة في رأسها. فكانت غالبا تنسى ما كانت تقول لتوها او لا تتذكر ما حل بها. كانت سترة نجاة آنا الضخمة وسترة نجاة آري الاصفر منها كافيتين لتعويمنا جميعا، وكنت اضعت انا وآري نظاراتنا.

حاولت رفع معنوياتهن فرحت اتلو على مسامعهن احتمالات ايجابية من دون ان اعول عليها كثيراً: كانت حرارة مياه البحر الكاريبي تبلغ ٢٧ درجة مئوية، وبــالتــالي لن نفقـد حـرارة اجسـامنـا بسرعة. ان قائد الطائرة كان اطلق نداءات استغاثة قبل ان نهوي، فلا بد أن يكون نداؤه قد وصل. في مطلق الاحوال سنعتبر مفقودين وستبدأ عملية ما للعثور علينا وانقاذنا.

إلا انني لم آت على ذكر سمك القرش خلال حديثي لانني وآريان نخافه حتى الموت.

كان ثلاثة منا ينزفون ويمكن أثراً صغيراً من الدم ان يجذب سمك القرش.

ظاهرياً كنت رابط الجأش، الا اني في الواقع كنت الاشد خوفاً. ولم لا أجزع؟ ان الشجاعة هي وليدة القدرة الطبيعية على التحمل ووليدة التجربة، وانا لم اكن املك اياً منهما: فكنت ثقيل الوزن لا امارس الــريــاضـة، واستــاذاً في التــاريــخ في الخامسة والخمسين من العمر. أعظم اختبار للتحمل قمت به كان الجلوس طوال الاجتماعات الأكاديمية.

ففكرت: انها ليست بشجاعة لا بد انها صدمة.

الامل الضعيف – بعدما سدل الظلام ستاره بدأت انوار تتحرك في البحر وكانت بصيصاً بالنسبة الي والى آري، إلا انها بدت لداليا كأنوار مركب يقترب اكثر فأكثر. في الحقيقة تملكني شعور

بالأمل إلا ان الأنوار ما لبثت ان خفتت مع الوقت.

كان كل منا، نحن الاربعة، مستنداً الى الآخر طوال الليل، وكانت المشكلة ايجاد وضع لا يدفع بمن يرتدي سترة النجاة الى ادنى من مستوى الماء، وكان وضع الساعد حول الوسط الطريقة الفضلى لتحقيق هذا الامر. اما الانزعاج الجسدي الرئيسي فكان ناتجاً من عقص مخلوقات عضوية بحرية.

قالت لي آري: "ابي انا خائفة، انني ارتجف."

فأجبتها: "هذا طبيعي."

ثم قالت آنا: "انني ارتجف ايضاً. كيف وصلنا الى هنا؟"

الى محاولتي طمأنة آنا وأري، كنت غالباً أذكر داليا بأن ابنتها البالغة السابعة عشرة من العمر، كانت في مأمن من الخطر على متن طائرة اخرى. ثم تحدثنا جميعنا عن الاجتماعات السنوية التي كنا نحضرها.

بدأ الفجر يبزغ تدريجاً وحانت مني التفاتة الى الافق فتراءى لي ان نظري وقع على يابسة، فأصبح لدينا أمل بأن نبقى عائمين معاً. وإذا كان لدى المقيمين على الشاطئ فكرة عن مكان سقوط الطائرة، فلا بد لهم من العثور علينا لأن الرؤية كانت جيدة في ذلك النهار.

من جهة اخرى يمكننا ان نضاعف املنا بالنجاة اذا حاولت انا وآري السباحة نحو الشاطئ طلباً للمساعدة. لقد بدت الفكرة معقولة، إلا انها تحمل في طياتها قراراً خطيراً لا يزال يقض مضجعي الى



اليوم. لقد كان القرار يقضي بترك آنا المكسورة الذراع وداليا التي لا تجيد السباحة جيداً. كان رأيي ان نفترق فوافقتني آري بشدة، اما داليا فقبلت القرار على مضض، في حين وافقت عليه آنا بتحفظ اكبر، حتى لا نقول انها كانت ممانعة.

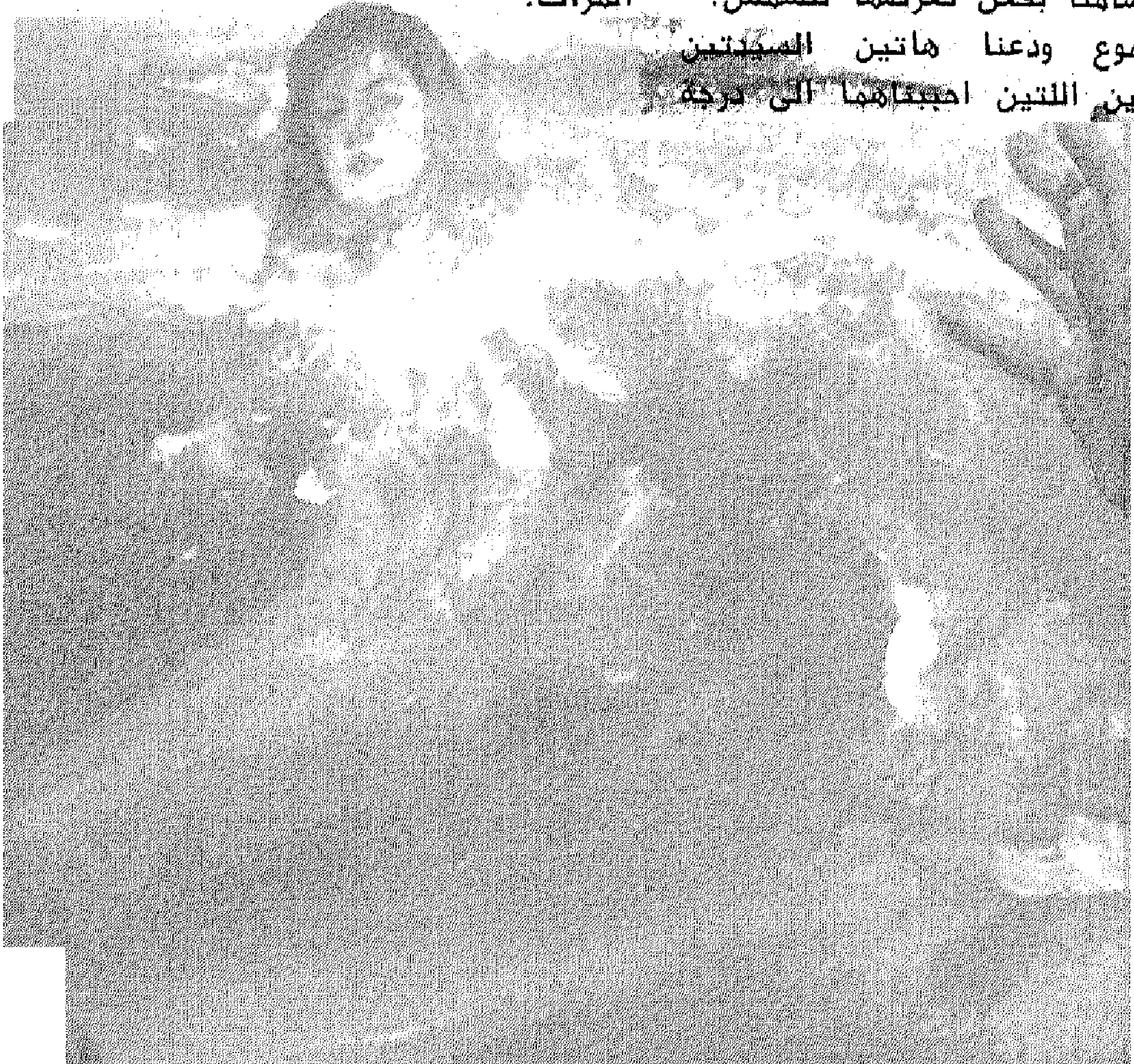
المحاولة الشجاعة - لم يكن هناك مجال للتأخير، فقد مضت علينا سبع ساعات من دون قطرة ماء واذا لم نبلغ الشاطىء قريباً، فسينهكنا تبخر المياه من اجسامنا بفعل تعرضها للشمس.
بالدموع ودعنا هاتين السيدتين الرائعتين اللتين احببناهما الى درجة كبيرة خلال الليلة التي قضيناها معاً في البحر.

بدأت الامور على ما يرام، فقد سبحنا على نحو رائع بوضع "الضفدعة" وهي سباحة تحفظ طاقة الجسم. وكانت آري قوية إلا انها في نهاية المطاف كانت في حاجة الى راحة. فكنت اسبح انا فيما هي تمسك بطرف قميصي. وقد سألتني: "ابي هل نبلغ الشاطىء هذه الليلة؟"

فأجبتها: "هناك احتمال كبير بذلك."

- ابي انا احبك.

"وانا احبك ايضاً يا آري، اكثر بآلاف المرات."



ربما كنا نسبح في ذلك الصباح بسرعة كيلومتر ونصف كيلومتر في الساعة تقريبا. الف حركة سباحة، ١٠ آلاف، ٤٠ الفاً. دهشت لقدرتنا على تحمل الجوع والعطش، إلا ان اموراً عدة كانت تدفعنا قدماً. فكنت اقول لابنتي: "علينا العودة من اجل امك ومن اجل ديفيد".

"علينا العودة من اجل حفلة جدك بيرني التي ستقام لمناسبة عيد ميلاده الثمانين".

علي العودة من اجل آريان. وكنت اصلي: انقذها يا رب.

بعد الظهر شعرت بقواي تخور، فقد بدأ يظهر مفعول الظمأ والجوع والجهد والتعرض للمياه المالحة طوال الوقت، وانتفخ لساني وشفتي على نحو غريب فلم يكن في وسعي اغلاق فمي وكان كلانا مصاباً بحروق شمس.

قبيل الغسق، هبت فجأة عاصفة رعدية وكانت آري على بعد ثلاثين متراً امامي فصرخت: "ابي" بصوت خائف يعتصر الفؤاد. وثارت العاصفة مصحوبة ببرق ورعد ورياح وامطار. وكانت امواج عاتية ترتفع حوالى المترين وتتقاذفني كلعبة صغيرة. وكدت اغرق عشرات المرات.

انحسرت العاصفة بعد ٢٠ او ٣٠ دقيقة ولكن اين آري؟

لقد حل الظلام الآن ولم تلق صرخاتي العالية، وهي اشارة سبق ان اتفقنا عليها، أي رد. ففكرت ان آري ربما غرقت. لقد بذلت قصارى جهدي إلا ان ذلك لم يكن كافياً.

لا شيء يهم الآن لا يمكنني أن اصمد ليلة اخرى بعد، وفي مطلق الاحوال لم أكن انوي ان اعيش اطول من آري، إلا ان آري ما زالت تلبس سترة النجاة وربما... فعاودت سباحتي نحو الشاطىء الحالك المضاء بأشعة القمر.

بدأت اهذي، فكان البحر مليئا باليخوت الجميلة وبالبيوت الجميلة ذات الطراز الفيكتوري. وظل الشاطىء يختفي تارة ويظهر طوراً في الجهة المقابلة بينما كانت غيوم بيضاء في أشكال اشباح عملاقة من البط والبطاريق ترقص فوق رأسي.

وعندما كادت قوتي ان تفارقني قررت ان ارتاح في الليل. وعادت الي مجدداً المخلوقات البحرية التي تعقص إلا انني لم اعرها، لا هي ولا سمك القرش، اي اهتمام لاني في النهاية فقدت آري.

احلام وهلوسة – لم اكن ارتدي سترة نجاة، إلا ان سمنتي كانت تساعدني على العوم فاستلقيت على ظهري وغفوت قليلا. وكانت توقظني بين الفينة والفينة موجة تلطم وجهي إلا انها كانت تتركني اغفو لفترات قصيرة. وحمل النوم الي المرحلة التالية من الانحلال العقلي فكانت الاحلام تتداخل مع الهلوسة الى درجة ظهرت امامي قرية كاملة من الافريقيين على متن زوارق حربية. فكانوا يصيحون في اتجاهي ويعملون جاهدين لانتشالي الى زوارقهم. إلا انني آثرت البقاء في المياه الزرقاء المنعشة. ثم نقلوني الى زورق آخر حيث كانت آريان فانحنت ونظرت الي، فقلت من دون ان اعيرها اكتراث حقيقي:

"مرحباً يا آريان." فأجابت بفتور: "مرحباً يا ابي."

كانت الساعة الحادية عشرة قبل ظهر يوم الاثنين السادس من شهر يوليو (تموز) وكان البحر حملنا خلال الليل نحو الشاطىء حيث رآنا القرويون الهاييتيون وخرجوا للقيانا على متن زوارقهم المصنوعة من جذوع الأشجار المجوفة. لقد تم انقاذنا بعد ست وثلاثين ساعة على بقائنا في البحر، إلا اننا لم نتمكن من ادراك هذا الأمر بفعل الهذيان الناتج من الحمى.

فانهال علينا القرويون بالأسئلة بلغة الكريول السريعة. وحاولت أن افسر لهم بلغتي الفرنسية الركيكة ان طائرتنا قد هوت في البحر وانه لا يزال هناك شخصان آخران يصارعان الامواج.

نقلونا الى اليابسة وانطلق احدهم على دراجة في اتجاه اقرب مركز للشرطة، وكان يبعد ١٠ كيلومترات. كنا نشعر بالحر وكأننا على نار الغضى، فقد بلغت حرارتنا ٤٠ درجة مئوية، إلا ان قليلا من الماء بدأ ينعشنا من جديد.

وبعد بضع ساعات، نقلتنا سيارة تابعة للشرطة الى مدينة حيث تم الإتصال بالعاصمة پور - او - پرنس. واخيراً بوشر البحث عن داليا وآنا في المكان الصحيح إلا انه، ويا للأسف، لم يعثر عليهما.

وفي مستشفى محلي، عالج طبيب حلق آريان الملتهب وقطب الشق في ذقني وبدأ تغذيتي عبر الشرايين. وكان وزني نقص سبعة كيلوغرامات اما آريان فقد فقدت كيلوغراماً ونصف كيلوغرام.

بعد يومين نقلتنا مروحية عسكرية هاييتية الى پور - او - پرنس. وما تبع ذلك من احداث بدا كأنه غير حقيقي بعد ما عانيناه: ترحيبات ديبلوماسية وخفر سواحل يستخلصون منا معلومات مفيدة، واستجوابنا بواسطة شقيق قائد الطائرة حول حقيقة ما حصل. مقابلات صحافية وتلفزيونية واخيراً العودة الى الوطن.

وفي مطار لاغارديا في مدينة نيويورك، لم نتعرف بسهولة على لورا وديفيد اللذين كانا في انتظارنا، لاننا اضعنا نظاراتنا.

في هذه الايام، استيقظ قبل آريان، فأدخل غرفتها على رؤوس اصابعي، لأتأكد انني لست اهذي وانها حقاً هناك.

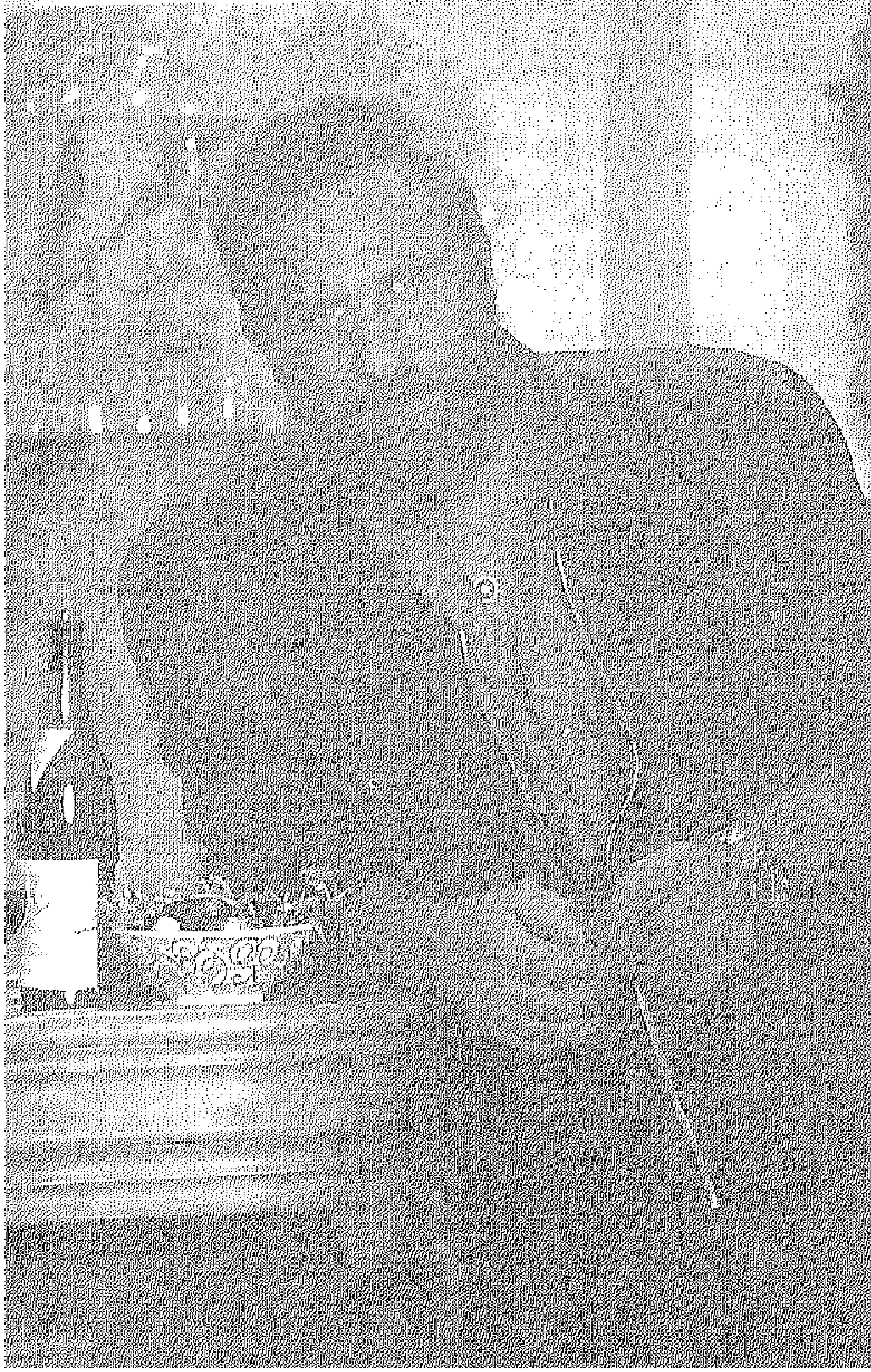
فرنسيس ب. راندال ■



كل من سار...

في السنة الاولى كطالب في جامعة الولاية في سان خوسيه، صرف صديقي نهاراً كاملا وهو يتنقل مستكشفاً البنايات المتفرقة حيث تعقد صفوف دراساته. كان ذلك عملا مضنياً ولكنه شعر بتجدد نشاطه حين قرأ اعلانا كبيراً في احد الاروقة يقول: "لديك سبعون في المئة من الحظ في ان تكون قد اهتديت الى دائرة الارصاد الجوية."

ب.ر.ب.



ديبارديو في منزله في فرنسا، يربّي لحيته لدوره الذي يتقمص فيه شخصية النحات رودان (١٩٨٧).

من متشرّد في الشوارع تحوّل هذا الممثل المتعدّد المواهب الى المع نجوم الشاشة والمسرح في اوروبا

جيرار ديبارديو نجم بألف وجه

بدا للحظة كدبّ راقص متنكّر في طقم مخملي غير مُحكَم. تبختر حول المِنصَب ممازحاً المصوِّر السينمائي ومنكّدا فتيات الماكياج. وهزّه ضَحِك جدير بابطال الكاتب الفرنسي الساخر رابليه، فيما هو يقف للتصوير بإزاء امرأة جميلة مقولبة من الجصّ. لكنّ مدير الانتاج صرخ حينئذ: "فلنصوِّر المشهد!" فحدث حالا ما يشبه السحر. دلف الممثل الجبار بوجهه الطفولي الى منصة خشبية صغيرة قبالة الكاميرا. التقط قطعة ضخمة من الصلصال ورنا كالحالم الى الموديل المتوضّعة امامه. لانت قسمات وجهه المربّع واتّخذت كتفاه وضعا مختلفا فيما تفرّست عيناه بكتلة الصلصال. وما مرت خمس دقائق حتى كان التحوُّل في الشخصية كاملا. فالممثل "انقلب" الى اوغست رودان، اعظم النحاتين في العصر الحديث. وعلى امتداد المشهد لبس الفنان جلد الممثل، وتغلغل في نفسه.

Photo: Peter Turnley / Black Star

يستطيع جيرار ديبارديو ان يتقمّص كل الادوار الرجالية المكتوبة. ولعب حديثا دور النحات رودان في فيلم يروي قصة حبه المأسوي لكاميل كلوديل. وفي العام ١٩٨٦ ادى دور الاب دونيسّان، رجل الدين المعذّب الضمير، في فيلم "تحت شمس ابليس"(١) بادارة موريس بيالا. وخلال السنوات الخمس عشرة الماضية ادى ديبارديو ادوارا مختلفة: سفّاح الضاحية، والمليونير الفاسد، رجل الامن الصارم وضابط الفرقة الاجنبية، الفلاح الايطالي في اثناء فورة الفاشيّة والمنافق الخبيث تارتوف للكاتب الكلاسيكي الفرنسي موليير. وفي فيلمه المقبل بعنوان "مكان غير مألوف للقاء"(٢)، الذي يتم تصويره الآن في جنوب فرنسا، يمثل دور طبيب. لا يزال في التاسعة والثلاثين ومع ذلك مثل ٥٩ فيلما ومثل في عشر مسرحيات، فغدا الممثل الفرنسي الاكثر براعة واحترافا ونجاحا بين ابناء جيله.

خلال العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧ كان ديبارديو نجم ثلاث روائع سينمائية. في "تحت شمس ابليس" بلغ ذروة التكريم بحصوله على "السّعفة الذهبية" من مهرجان "كان" السينمائي في ١٩٨٧. وفي "جان دو فلوريت"(٣) لعب دور كاتب محكمة احدب استأجر مزرعة ووقع ضحية محتال فخيم في القرية يريد الاستيلاء على ارضه، وقد حطم الفيلم الارقام القياسية في الايرادات في باريس وفاز بتنويه النقاد في نيويورك. اما "لباس السهرة"(٤) الصاخب الساخر بادارة برتران بلييه، فلا يزال يُعرض منذ اشهر في صالات الشانزيليزيه. وقد تخلى النقاد الفرنسيون منذ زمن طويل عن صيغ التفضيل العليا لدى وصفهم طاقة الممثل وموهبته الخارقتين. فقد تخطى باشواط الآن ديلون وجان بول بلموندو، معبودَي الجماهير السينمائية في الستينات والسبعينات. واذا كان لا بد من مقارنته مع احد قمم عمالقة العصر الذهبي للسينما الفرنسية من امثال جان غابين وميشيل سيمون ورايمو وجيرار فيليب.

النجومية المتفوقة – جلب النجاح لديبارديو كل مفاتن النجومية المتفوّقة. ففي العام ١٩٨١ ربح جائزة "سيزار"، وهي ذروة التكريم في صناعة السينما الفرنسية، لادائه الرائع كممثل شاب حسّاس يقع في غرام كاترين دونوف المتغطرسة في فيلم فرنسوا تروفو "المترو الاخير"(٥). ويقول إنه يتقاضى "نحو مليون دولار" عن الفيلم الواحد، غير انه يأخذ الآن في استمرار نسبة مئوية من المداخيل الاجمالية للفيلم بدلا من الأجر. وقد تملك مجمّعاً من البيوت الصغيرة المبعثرة والمتنوعة في بوجيفال، وهي مدينة فاتنة تقع على حوالي ٣٠ كيلومتر الى الغرب من باريس. وتملّك كذلك قصراً نورمانديأ نموذجياً في مدينة تروفيل. ويتنقل في سيارة مرسيدس عمرها عشر سنين، يقودها سائق خاص.

---

(١) Sous le Soleil de Satan
(٢) Drôle d'Endroit pour une Recontre
(٣) Jean de Florette
(٤) Tenue de Soirée
(٥) Le Dernier Metro

يبدو ديبارديو بين نظرائه مثل امير مسحور. وعلى رغم طبعه الشهير فهو معروف في صناعة السينما الفرنسية كمحترف غير مدع ولبق في كل ظرف ومتسامح ازاء الخطأ. يقول دانيال توسكان دو بلانتييه، احد كبار منتجي فرنسا: "ليس من احد يستطيع القيام بما يقوم به جيرار. وفي غالب الاحيان لا يجد فيلم ما طريقه الى التنفيذ اذا كان جيرار غير متفرِّغ."

لا شيء في خلفية ديبارديو يشرح نجاحه الضخم. ولد في شاتورو، احدى مدن فرنسا الاكثر هدوءا، وفيها ترعرع "افقر من فقير"، كما يقول. كان ينام مع اخوته واخواته الخمسة في غرفة واحدة. والده كان عامل تعدين كحوليا فَقَدَ عمله وانتهى به المطاف الى كنس ارض المعمل. واستجدَت والدته حتى تعيل اولادها.

المتشرد – في الرابعة عشرة تسكّع جيرار في الطرق فاتحا بذلك سلسلة رحلات طويلة عبر فرنسا، يعمل خلالها في المناسبات كخادم في مسابح الشاطىء اللازوردي (الكوت دازور) او كنصّاب متنقل من باب الى باب.

عاشر الاجلاف واشترك في شجارات منتظمة في مراقص الارياف ومعارضها. واكثر من مرة تورّط في اعمال مخالفة للقانون، لكنه لم يُدَنْ ابدا بجنحة اهانة. "فجيرار من حيث تكوينه لا يرغب في ايذاء ذبابة"، على حد قول توسكان دو بلانتييه.

وبالطبع تركت سنوات التشرد هذه اثرها في جيرار الذي يتذكر: "لقد فقدتُ القدرة على الكلام بالمعنى الحرفي للكلمة. كنت استطيع بين امثالي ان اقوم بدور المجنون واجعلهم يضحكون. ولكن ما إن اجد نفسي في مواجهة السلطة حتى اغدو عيي اللسان مثل لص اعجم عاجز عِن الافصاح."

اتى الخلاص على شكل لقاء مصادفة



Georges Pierre / SYGMA



في محطة القطارات مع ميشيل بيلورجيه، صديقه الشاب في شاتورو الذي كان انتقل الى باريس لدراسة التمثيل. دعا بيلورجيه ديبارديو الى مرافقته الى العاصمة والى تجربة حظه في "المسرح الوطني الشعبي" حيث اهم الفرق الخلاّقة في فرنسا. قبل جيرار الذي يقول الآن: "كان في استطاعتي ان اكون لصاً بأهون سبيل." بدلا من ذلك أولع بالتمثيل كما لو كان فُطِر ممثلا. ومع انه شبه أُمّيّ عَوّد نفسه على القاء الادوار الكلاسيكية الكبيرة عند ادباء امثال راسين وموليير وروستان وكامو: "لم اكن ادرك معاني نصف الكلمات، لكنني كنت اتلفظ بها مثلما يفعل الآخرون، واحببت ذلك."

في المقابل احبته باريس. وكان في ربيعه السادس عشر عندما حظي بدوره الاول القصير في احد الافلام. وفي العام ١٩٦٩، وكان عمره عشرين سنة، التحق بفريق مسرحي محدث اسمه "مقهى المحطة" حيث التقى نجوما كباراً مثل باتريك ديوير وميو ميو ومثل معهم. وكان في الثانية والعشرين عندما اختارته الكاتبة والمخرجة مرغريت دورا لدور مراهق في فيلمها "نتالي غرانجيه"(٦). وما ان اقبل العام ١٩٧٣ حتى صار في رصيده الفني قرابة دزينة من الافلام لم تحرز نجاحا كبيراً. في تلك الاثناء اعطى المخرج بلييه الادوار الرئيسية لديبارديو وديوير وميوميو في فيلمه الفظّ "راقصات الفالس"(٧) الذي يروي قصصاً عن حياة المشرّدين.

كان أداء ديبارديو وزميليه الشابين ضربة معلم جاءت في اوانها، فالفيلم يصوّر بهدوء، وحتى بنوع من اللامبالاة، عالم الشباب الهامشيين الذين يتقاسمون نساءهم ويسرقون سيارات للّهو وينجرفون من دون قصد تقريباً نحو السادية والقتل. في الواقع، كان ديبارديو يؤدي دورا غير مُقنِع، يمثّل الجماعات البروليتارية السرية التي عاش معها في مطلع شبابه. كان شعره منسدلا على كتفيه. وفكاه طويلين هزيلين، وخداه غائرين، وصوته ناعما، وتصرّفه مسترخيا حتى لينشر الملهاة والرعب معاً في حبكة القصة.

بعد هذا النجاح الاول لم ينظر ديبارديو ابدا الى الوراء. في العام ١٩٧٤ تقاسم بطولة "فانسان، فرنسوا، بول والآخرون"(٨) مع ميشال بيكولي وايف مونتان، وهما معبودان للجماهير



فوق: "لباس السهرة" يُعرض منذ ٣٠ اسبوعاً في صالات الشانزيليزيه. الوسط: مع زوجته اليزابت في "تارتوف". اليمين: في الفيلم التاريخي "دانتون".

(٦) Nathalie Granger
(٧) Les Valseuses
(٨) Vincent, François, Paul et les Autres

السينمائية من الجيل السابق. وفي العام التالي دعا برناردو برتولوتشي ديبارديو لبطولة فيلمه "١٩٠٠"، وهو لوحة تصويرية للحياة الايطالية في النصف الاول من القرن العشرين. وسرعان ما تزاحمت الممثلات الفرنسيات على الظهور امامه: ايزابيل ادجاني، ايزابيل هوببر، فاني اردان وكاترين دو نوف (اربع مرات).

الانهيار – كلما ازدادت شهرة ديبارديو قوي الضغط عليه. وتتذكر زوجته اليزابت ان سنوات السبعينات كانت مرحلة يصعب فيها العيش معه. وذات يوم من ١٩٧٧ انهار. ففي احدى حانات ليون أفلت احد الغرباء كلبه على الممثل الذي اصيب بصدمة عصبية. يقول: "رغبتُ في رمي نفسي من نافذتي في الفندق." غير أنه لم يَسْعَ الى عون طبي الا بعدما انذرته اليزابت بهجره. فخضع لعلاج دام ثلاث سنوات.

وحتى خلال هذه المرحلة القاسية، عندما "لم اكن ادري اين انا او ماذا افعل"، ظل ديبارديو ينجز في شكل رهيب الفيلم الناجح في إثر الآخر. لكنّ العام ١٩٨١ كان الاول بين سنوات ديبارديو العظيمة حقا. مثل فيه ثلاثة افلام، بلغت ذروة النجاح الجماهيري والفني. ففي فيلم المخرج تروفو "المرأة الساكنة في الجهة المقابلة"(٨) اخذ دور زانٍ ضعيف الارادة مأخوذ بغرام امرأة فاتنة لكنها مصابة بذهان يفصمها عن الواقع الاجتماعي.

وفي "عودة مرتان غير"(٩) مثل دور جندي فرنسي من القرن الخامس عشر، مغامر نجح في انتحال شخصية رفيق مفقود والاستيلاء على ميراثه وزوجته. اما في "دانتون"(١٠)، وهو فيلم تاريخي غير متسق، اداره المخرج البولوني اندريه فاجدا، فقد مَثّل ديبارديو دور بطل "التسامح والانسانية" في الثورة الفرنسية.

حتى ذلك الحين حافظ ديبارديو على مقامه كبطل فرنسي وطني. وفي العام ١٩٨٣ عاد الى خشبة المسرح ليلعب دور "تارتوف"(١١) مع زوجته في دور إلمير. يقول مقارنا بين الشاشة والخشبة: "المسرح يمنحك الحيِّز، لكنّ الانفعالات تبرز افضل على الشاشة. وانا احتاج الى الاختبارين كليهما." وفي العام ١٩٨٥ نال جائزة افضل ممثل في "مهرجان البندقية" عن دوره في الفيلم المثير "رجل الامن"(١٢) لموريس بيالا. وفي العام التالي الّف مع المغنية الشعبية "بربارة" ثنائيا فنيًّا في اطار من "الميوزك هول" الشعبي، فقدما عروضاً ناجحة في كل مدن فرنسا تقريباً وفي عدة مدن اوروبية.

حتى اليوم، وقد بلغ ديبارديو ذروة النجاح المهني، يصرّ النقاد بعناد على ابراز مواهبه الخاصة. فبنيته الضخمة (١٨٨ سنتيمتراً وحوالى ٩٠ كيلوغراماً) قد تقيّده وتحدّ من تنوع ادواره لولا انه

---

(٨) In 1900

(٨) La Femme d'à Côté

(٩) Le Retour de Martin Guerre

(١٠) Danton

(١١) Tartuffe

(١٢) Police



المُنَسِّق (الكومبيوتر)

آلة مُعالجة المَعلومات وَأُسس المَعلوماتيّة

تأليف جاك كونيسكي

هل هناك تعبير علمي اقرب الى عمل الكومبيوتر من كلمة "المنسق"؟

و"المنسق"، كما يصفه واضعه المهندس والاستاذ الجامعي جاك كونيسكي، هو "مرجع دقيق، علمي، سهل يوضح لنا حقيقة هذه الآلة (الكومبيوتر) التي فرضت استعمالها لمعالجة المعلومات في حياتنا اليومية وأدخلت حقلا جديداً في سلسلة العلوم عُرِفَ بالمعلوماتية، ما لبثت أن أصبحت أداة أساسية تستعين سائر العلوم بطاقاتها.

وهذا المرجع المطلوب هو الآن بين أيديكم، وقد وُضع للمرة الاولى في اللغة العربية مع التصوير التقني الملوّن ملحقاً بمعجم مصغر للمعلوماتية يَسْرد أهم كلماتها وعباراتها باللغات العربية والانكليزية والفرنسية.

ولا شك في أن هذا الكتاب يُكَوِّن أداة مفيدة سوف يستعملها التلامذة والطلّاب والموظفون وأرباب العمل والمسؤولون في جميع المِهَن والحقول؛ وهو لم يوضع فقط ليُطالع بل ليُعتمد مرجعاً يُستشار كلما دعت الحاجة الى توضيح فكرة أو كلمة أو عبارة أو إلى رؤية صورة تعود الى المُنَسِّق والمعلوماتية."

أسرع في الحصول على الكتاب الآن.

قسيمة الشراء (إملأ بخط واضح وبالعربية أو الانكليزية):

الاسم: ________________ العمر ________

العنوان الكامل: ________________

(ارسل بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) القسيمة مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم جاك كونيسكي بقيمة ١٠ (عشرة) دولارات أمريكية الى أحد العنوانين الآتيين:

مجلة "المختار": ص.ب: 8707-11 بيروت – لبنان أو – مجلة "المختار": ص.ب: 55228 المتن الشمالي – لبنان.

الرجاء وضع العبارة الآتية على المغلّف: "المنسق".

81. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨١ لشمال ـ غرب ألمانيا
خاضع لرقابة الدولة

"إليك عرضنا الخاص:
كيف تصبح
مليونيرا!"



إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة ـ أو رسالة إذا فقدت القسيمة.
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد الجوي المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، شيك عادي، شيك مسحوب بواسطة بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الفاتورة.
- بدورنا نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول السحب الرسمي. ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة وكذلك ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام. وستحوّل إليك الجائزة بواسطة شيك إلى أى مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الضريبة الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أى حسم. كما أن إسم الرابح يبقى سريا تماما.
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العالم.

لهذا السبب فإنه أمر مشوق لكم بالاشتراك في هذا اليانصيب،
جوائز مالية بقيمة ٣٠٦ مليون مارك ألماني
٣ × ٢ مليون مارك ألماني الجائزة الكبرى
١٩ × ١ مليون مارك ألماني
٥ × ١ مليون مارك ألماني أو
٥٠ × ١٠٠٠٠٠ مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٢٤٠٣٩٠ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠٠٠٠ مارك ألماني

تطرح ٦٠٠٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع. من هذه الستمائة ألف ورقة يربح ٢٤٠٤١٧ رقم في دورة السحب: وبذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث رقم!

والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائزاً أخرى عديدة. إنه مدهش حقا! فأقل من كل ثالث رقم يربح مضمونا خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨١ حوالي ٣٠٦ مليون مارك ألماني، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٠ مليون مارك ألماني.

قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٣ × ٢ مليون مارك ألماني.

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تسري دورة اليانصيب لمدة ٢٧ أسبوعا. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٧ سحبا وبالتالي ٢٧ فرصة لكي تصبح مليونيرا! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

إرسل إلى: Walther Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

قسيمة الاشتراك

81. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨١ لشمال ـ غرب ألمانيا * يجرى السحب ابتداء من ٢٣ سبتمبر ١٩٨٨ لغاية ٢٣ مارس ١٩٨٩.

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح ! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى: Walther Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

الرجاء الكتابة باللغة الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة ○
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

الإسم	First name	
اللقب	Surname	
الشارع	Street	
ص. ب	P.O.B.	
المدينة	City	
الدولة	Country	

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Name of Card Holder

Acc. No.

Expiration Date

Signature

إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٣٥ ٪ بشراء ١/٤ ورقة. ولا تنسى: على أى حال كل ثالث رقم يربح مضمونا! جرب حظك!

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيمة

	* أسعار الصرف للدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني تقديرية فقط. للإطلاع على الأسعار بالتحديد الرجاء الإتصال بمصرفك المعتمد.	
	١/١ ورقة	٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٤٥٨ دولار أمريكي أو ٢٤٠ جنيه إسترليني)*
	١/٢ ورقة	٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٣٨ دولار أمريكي أو ١٢٤ جنيه إسترليني)*
	١/٤ ورقة	٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١٢٨ دولار أمريكي أو ٦٤ جنيه إسترليني)*

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أى عنوان أو بنك في أى بقعة من أنحاء العالم.

* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يوروكارد، أكسس، ماستر كارد أو ڤيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الرابحة

يوظف جسمه الكبير بكثير من الحنان الى درجة انه يقنعك حتى في الادوار الرومنطيقية. وهو يستعمل وجهه المطواع بالطريقة ذاتها، طابعاً فوق قسماته ظلالا دقيقة بارعة من التغيُّرات التي يقتضيها كل دور جديد. وصوته ناعم، ومعقول غالباً، بالنسبة الى خِرّيج الصف الابتدائي السادس. ومع ذلك، فالاهم من كل شيء صرامته في قسر نفسه على الاستسلام تباعا لمقتضيات ادواره الجديدة، الى درجة ان اصغر ايماءة او اقصر تعبير يتضمن اقتناعاً مطبوعاً لا مراء فيه. فمن اجل رودان تابع دروساً في النحت في معهد الفنون الجميلة في باريس ليدرك ما يعنيه الصلصال والجصّ للفنان.

يمثل ليحيا – ولكي يدفع ديبارديو عنه اذى شياطينه يتبع نمطا من العيش كتوما منعزلا، كحياة النساك تقريباً. فهو يتفادى مواطن الشهرة عندما يستطيع. وهو يعبد ابنته جولي ذات الخمسة عشر ربيعا وابنه غِيّوم الذي يزيدها بسنتين، ولا يني يهتم بشؤونهما المدرسية وبردود فعلهما على نجوميته. وينتهز الفرصة بين لقطتي تصوير ليحضر اجتماعات الاهل بالمعلمين في مدرستي ولديه. وامسياته يقضيها في تعويض مكثّف لما فاته من مطالعات في مراهقته. ولقد احاط نفسه بشلة صغيرة من الاصدقاء الخُلَّص الذين يتصل بهم بالهاتف يومياً تقريباً. ويقول مدير اعماله جان لُوي ليفي: "لجيرار موهبة لا توصف في اكتساب الاصدقاء، فهو في حاجة الى التواصل الانساني المستمر."

على امتداد عقدين من السنين حافظ جيرار ديبارديو على مستوى مذهل من التفوُّق المهني. لم يتخلف يوماً عن موعد تصوير. ويفيض بالنصيحة والتشجيع لمديريه، وبالكرم في إسداء المعلومات الى الممثلين والتقنيين. ولا يفرغ جرابه من المشاريع: فهو يريد ان يتعلم اللغة الانكليزية، ان يعود مجددا الى الخشبة، ان يمثل الدور الاول في انتاج مشترك فرنسي – سوفييتي، ان يكمل قراءة كتاب بدأه... واكثر من اي شيء آخر، يحتاج هذا الفتى الذي ترعرع في الشارع الى ان يمثل ويمثل ويمثل. وفي هذا يقول: "لا احس انني احيا واحقق ذاتي فعلا الا عندما اكون على الخشبة او امام الكاميرا."

سكوت سولّيفان ■



حيلة هر

اقتنت ابنتنا هرا ولشدة حنقي اخذ يخدّش بمخالبه غطاء الاريكة الجديدة. وكان زوجي يرميه خارجاً كلما فعل ذلك.

ففطن الهر الى هذه الممارسة واتخذها حيلة. فكان كلما عنّ له الخروج للتنزه عمد الى تخديش الغطاء.

ب.ج.و.

هل أنت عاجزة عن رؤية طاولة المطبخ أو منضدة الكتابة بسبب الفوضى؟ اليك بعض الافكار المفيدة

حسنات سلة المهملات

تعـودين الى البيت من عملك، فتخرجين الرسائل من صندوق البريد وتفرزينها كوماً على طاولة المطبخ: كومة للرمي في النفايات وثانية للفواتير وثالثة للقراءة. ثم يرن جرس الهاتف، وعندما تنتهي المكالمة يحين وقت اعداد العشاء. فتجرفين كل شيء وتضعينه في الدُرج. هكذا ينقضي يوم الاثنين.

تسترخين مساء الثلثاء في غرفة الجلوس لتقرأي الرسائل. لكن الاولاد يريدون التحدث اليك، فتضعين الرسائل على الطاولة. ومساء الاربعاء يزوركم أصدقاء. وبحلول السبت تتكوم الرسائل في أنحاء المنزل، نصف مقروءة ومتراكمة بغير نظام في كل غرفة.



بصفتي مستشارة في التنظيم، قضيت ألوف الساعات أساعد الناس لكي يعالجوا فيض أوراقهم. وهناك حقيقة واحدة جلية هي أن ضخامة حجم الاوراق التي تواجهنا في المنزل وفي العمل تتطلب تنظيماً.

الادارة الناجحة لمسألة الاوراق تتطلب نظاماً يلائم حاجاتك. ويجب أن يبدأ برنامجك الشخصي بهذه الحقيقة البديهية البسيطة: تنظيم الاوراق هو مسألة قرار، وفوضى الاوراق هي نتيجة القرارات المؤجلة.

يعاني الناس مشكلة في مواجهة السؤال الاساسي: "هل أنا في حاجة الى الاحتفاظ بهذا؟" فهم يخافون نتيجة الخطأ. ويسألون أنفسهم: "ماذا لو رميت شيئاً واتضح بعد ذلك أنه مهم؟"

يحتاج كل شخص أحياناً الى شيء تخلص منه ذات مرة، ولكن في غالب الاحيان يستطيع المرء الحصول على نسخة أخرى اذا اضطر اليها.

ان المعلومات غير المنظمة ليست معيناً بل هي عبء. وتتصدر سلة المهملات بداية أي نظام اداري للاوراق. وتظهر أبحاثي أن ٨٠ في المئة من الاوراق التي نجمعها لا نستعملها أبداً، وأنا مقتنعة بأن مقدرة الانسان على تحقيق أهدافه هي ذات صلة مباشرة باستعداده لاستعمال سلة المهملات.

افتحي اوراقك ورسائلك دائماً بجانب سلة المهملات. وكلما كبر حجم السلة كان ذلك حسناً.

عندما تواجهين قرار الاحتفاظ بشيء ما أو التخلص منه، اسألي نفسك:

١. هل هذا لمعلوماتي فقط؟ لقد عرفته الآن.

٢. هل تتوافر هذه المعلومات في مكان آخر؟ في كتاب لدي مثلا؟

٣. هل المعلومات حديثة جدا ومفيدة؟ ان دليل الهاتف يخسر كثيراً من قيمته بعد سنتين من اصداره.

٤. في أي ظروف قد أحتاج الى هذه المعلومات؟ "لربما..." هو جواب غير كاف. واذا كنت لا تعرفين كيف ستستعملين هذه المعلومات، فمن المستبعد أن تتذكري أنك تملكينها أو أن تتوصلي الى العثور عليها متى دعت الحاجة. تذكري هذه القاعدة الذهبية: "اذا كنت لا تعلمين أنك تملكينها أو كنت لا تستطيعين العثور عليها، فانها بلا قيمة."

٥. ما أسوأ شيء قد يحصل اذا لم أملك هذه الورقة؟ اذا كنت قادرة على تحمل العواقب، فارميها.

الخطوة التالية هي أن تخصصي موقعاً دائماً حيث تعالجين الاوراق. اختاري مكاناً تجدينه مريحاً، وابذلي وسعك لجعله كما تريدينه أن يكون. ضعي هناك جهاز راديو وكرسياً مريحاً، أو ضعي مصباحاً جديداً على منضدتك.

يمكنك وضع الاوراق التي لم تذهب الى سلة المهملات في أحد الامكنة الآتية: "طبق الفرز، الروزنامة (التقويم)، دفتر العناوين، لائحة التنفيذ، ملف العمل، ملف المراجع.

ان "طبق الفرز" مكان موقت، قد يكون صندوقاً أو علبة أو رفاً. ولانجاح عمل "الاطباق" عليك أن تفرزي كثيراً قبل أن

تبدأي بالكومة التالية. أما اذا أصبحت الاطباق موطن الاوراق الدائم وبرزت كومات أخرى. فهذا يعني أنك لا تفرزين كفاية.

روزنـامتك ليست لتنظيم الـوقت فحسب بل لتنظيم الاوراق أيضاً. تعوَّدي استنتاج المعلومات التي تحتاجين اليها في الاوراق، وأدخليها روزنامتك، ثم ارمي الاوراق. ستحتاجين الى روزنامة تتوافر فيها مساحة واسعة للكتابة، وربما الى روزنامة لحياتك الشخصية وأخرى لشؤون العمل. علّقي روزنامة شهرية في موقع استراتيجي في منزلك من أجل المعلومات التي تهم عائلتك.

الـدليل الشخصي لارقـام الهاتف والعناوين هو جزء أساسي من التنظيم. كل منا يحتاج الى مرجع واحد يسجل فيه أرقام الهاتف وعناوين الاقرباء والاصدقاء الذين يرغب في البقاء على اتصال بهم، ومرجع آخر للجيران والخدمات والمحلات والمدارس والمؤسسات التي سينقطع الاتصال بها اذا تغير مكان الاقامة.

وتؤمن لائحة التنفيذ موضعاً متيناً للملاحظات الشخصية، وهي تخلصك من المغلفات والاكياس القديمة التي دونت عليها أرقاماً ومذكرات. ان دفتراً صغيراً بشريط معدني لولبي هو المفضل لدى كثير من الناس، لان صفحاته تنزع بسهولة. واللائحة غير مصممة لمهمات يجب أن تنفذ في وقت معين، فهذه تسجَّل على الروزنامة، بل لمهمات تريدين أن تنفيذها ولم تحددي الزمن بعد.

قد يكون دفتر التنفيذ مقسماً عدة فئات استناداً الى حاجاتـك: اجراء مكالمات هاتفية، كتابة رسائل، خدمات خاصة، مشاريع، قراءة كتب، شراء هدايا، تجربة مطاعم. ان من مصادر الابتهاج الحقيقي شطب البنود بعد انجازها.

ملفـات العمل هي لـلاوراق التي تستدعي انتباهك الفوري أو المستقبلي القريب. أما ملفات المراجع فهي للاوراق التي تعلمين أنك ستحتاجين اليها في مستقبل غير محدد. ويشير ملف العمل، اذا كان ضخماً، الى أن فيه أوراقاً تعود الى ملف المراجع. وتتضمن عناوين ملف العمل النموذجي عبارات مثل "اتصلي" و"نـاقشـي" و"ادفـعـي" و"اقـرأي" و"اكتبي" و"انسخي."

من أفضل الاستثمارات المتاحة لك وضع خزانة جيدة للملفات بالقرب من بقعة عملك.

والنتيجة من ترتيب أوراقك لن تقتصر على منزل أو مكتب مرتب، بل ستتعدى ذلك كثيراً. ولقد أخبرني أحد الذين استشاروني: "ساعدني تنظيم أوراقي في معرفة ما هو مهم حقاً."

ان تنظيم الاوراق يعزز ملكة اتخاذ القرار ويخفف الشعور بالذنب ويحيطك بجو يدعم خططك وأحلامك.

بربارة همبهيل ■



الزواج التعيس لا ينقصه الحب بل الصداقة.

فريديريك نيتشه



الانضباط ينير الذات

بالانضباط تنجزون ما تعجزون عنه تلقائياً. إنه شاق لكنه يشعركم بأنكم مسؤولون عن حياتكم

في شهر أكتوبر (تشرين الأول) من العام ١٩٨٢ أتمّت شابة في الخامسة والعشرين من عمرها سباق ماراتون(١) نيويورك. قد تظنون الأمر بسيطاً، إلى أن يتبيّن لكم أن ليندا داون مصابة بالشلل الدماغي(٢) وافلحت مع ذلك في أن تكون المرأة الأولى التي تكمل سباقاً قاطعة ٤٢ كيلومتراً على عكازين. والجدير بالذكر أنها سقطت غير مرة، لكنها ثابرت إلى أن اجتازت خط النهاية بعد إحدى عشرة

(١) الماراتون سباق في العدو الطويل.
(٢) Cerebral palsy

ساعة من انطلاقها. إعاقتها حدثت من سرعتها ولكن ليس من تصميمها.

كتب الشاعر الامريكي هنري وادسورث لونغفيلو ذات مرة: "عظيم فن المباشرة، ولكن أعظم منه فن الانجاز." لكم كان رائعاً لو امتلك كلّ منا جنّياً يساعده على انجاز ما بدأ. إلّا أننا لسوء الحظ لا نمتلك ذلك، فجلّ ما لدينا قوة محرّكة تدعى الانضباط وتستلزم منا ثمناً باهظاً. وقد قال أحد المعجبين للمؤلّف الموسيقي وعازف البيانو البولوني انياس يان بادريسكي بعدما حضر إحدى حفلاته: "أنا مستعد لأن أفني عمري لكي أعزف مثلك." فرد الموسيقي اللامع: "أنا أفنيت عمري من أجل ذلك."

غالباً ما يكون الانجاز خادعاً، إذ لا نرى الألم والمثابرة اللذين أثمراه. وقد ننسب إلى صاحب الانجاز الذكاء أو قوة العضلات أو حسن الطالع، فنحرر أنفسنا من عبء المسؤولية المحرجة بحجة أننا نفتقر إلى هذه المزايا الثلاث. هذا لا يعني أننا قد نتحوّل عازفين كباراً بمجرد الانضباط، بل ان كلا منا يتمتع بمقوّمات النجاح لكنه لا يفلح في الانجاز إلّا إذا عقد العزم وبذل قصاراه.

كيف لنا أن نكتسب العزم والاصرار؟ ليست لدي وصفة بسيطة وسريعة. لكنني أنميت نمطاً من التفكير أنقذ عزيمتي المهتزة أكثر من مرة. وإليكم العناصر الأساسية:

ارادة الاحجام. إنما تحاكي الاقدام أهمية. وقد أتى على لسان الفيلسوف الصيني القديم منغتسو: "على المرء أن يقرّر عما سيحجم، عندذاك يقدم بنشاط على ما يتحتم عليه انجازه."

الانضباط إذاً يساوي الاختيار. وكلّما اخترتم هدفاً أو مأرباً تخلّيتم عن أهداف ومآرب أخرى. فلكل مكافأة ثمنها. الاختيار هو المكافأة والتخلّي هو الثمن. وقد روى مغني الاوبرا الشهير إيغور غورين بداية دراسته الغناء. كان وقتذاك مولعاً بتدخين الغليون، لكن أستاذه قال له ذات يوم: "عليك يا ايغور أن تختار بين أن تصبح مغنياً كبيراً أو مدخّن غليون كبيراً، إذ يستحيل عليك أن تصبح الاثنين معاً." وهكذا تخلّى ايغوز عن الغليون.

المكافأة المتأخّرة. الطبيب سكوت بيك، مؤلّف الكتاب الرائج "الدرب التي يسلكها قليلون"(٣) وصف الانضباط بأنه "عملية برمجة لألم الحياة ولذتها بحيث يعزّز المرء اللذة بمواجهة الألم واختباره أولا ثم التغلّب عليه."

قد يتطلب ذلك قرارات بعيدة الأمد أو مجرّد قرارات يومية عادية، كأن يفوّت المرء على نفسه برنامجه التلفزيوني المفضّل ويأوي إلى فراشه باكراً ليكون في يقظته الكاملة لحضور اجتماع الصباح التالي.

وهكذا يكون سرّ مثل هذه الالتزامات أن تتخطّوا الكدّ والجهد وتضعوا اللذة نصب أعينكم. ويقول أحد الصحافيين في هذا الصدد: "الواقع أن كثيراً من المساعي التي تستحقّ العناء ليس ممتعاً. ولكن إن حوّلنا أعمالنا لهواً عوّضنا قسطاً كبيراً من الحرمان، لأن الحياة وإن

(٣) The Road Less Traveled

منّت علينا بالكثير فانها تخبىء لنا ظروفاً غير ممتعة على الاطلاق. أنا شغوف بعملي كصحافي، فهو يؤمّن لي رضا شخصياً، لكنه ليس دائماً بالأمر الممتع."

تحقيق التوازن. لا تخلطوا بين الانضباط والتصلب، فالكمال ليس الهدف. بل كافحوا من أجل راحة الضمير التي تأتيكم من جرّاء اتكالكم على أنفسكم.

قبل أن تلزموا أنفسكم تنفيذ ما تنوونه، أو تؤنّبوا أنفسكم بلا رحمة عندما لا تؤدّون أعمالكم، فكّروا في أنكم قد تكونون في حاجة إلى تغيير ما كي تشعروا بأنكم معافون.

معظمنا يحتاج إلى استراحات في أثناء عمله ليتنزّه أو يستعيد قواه بالاكل أو بأي شيء آخر يحييه وينعشه. وليس من الضروري أن تكون استراحاتكم مطوّلة لتنفض خيوط العنكبوت التي تكبّلكم وتؤمّن لكم قسطاً من الارتياح. فبعض المكافآت تحفزكم على أداء مهماتكم وتساعدكم في المحافظة على زخمكم.

من شأن الانضباط الصحيح أن يحقق توازناً فينتج المرء من غير ضغط ويجتهد من غير إكراه. فالانضباط يحتاج إلى ضبط أيضاً.

التنمية الذاتية. غالباً ما يكون الأشخاص المنضبطون أسعد من سواهم لأنهم يحقّقون امكاناتهم الداخليـة. أخبرتني سيدة خلال حلقة دراسية أن ابنتها البالغة من العمر ست سنوات كانت تتمرّن على السباحة مع فريق بمعدّل ساعة كل صباح فتقطع مسافة تراوح بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠ متر. ونقلت إليّ حديثاً جرى بين ابنتها وصديقة للعائلة. سألتها الصديقة: "هل تحبين السباحة؟"

- نعم، أحبّها كثيراً.

"أهي ممتعة؟"

- كلا!

لقد تعلمت هذه الفتاة ما لم يختبره كثير من الكبار: متعة الانضباط والتنمية الذاتية. لكنّ كلمة "انضباط" تنفّرنا لسوء الحظ، إذ تبدو مقيّدة وتأديبية. ومتى أدركتم أن الانضباط عناية بالنفس وليس عقاباً لها، كففتم عن الاشمئزاز منه كلّما ذكر ونزعتم إلى تنميته.

استراتيجيّة تغيير العادات. غالباً ما يتأتّى الاخفاق من محاولة المرء تغيير عادة سيّئة بتركيزه على التصرّف غير المرغوب فيه بدلا من التركيز على تصرّف جديد لابدال الأول.

كثيرون هم الأشخاص الذين يقولون لي انهم يودّون أن يتناولوا طعاماً سليماً لكنّهم لا يريدون "التخلّي" عن الأطعمة اللذيذة. فبدلا من أن يفكّروا في ما لا يمكنهم الحصول عليه، يجدر بهم أن يفكّروا في ما يستطيعون تناوله.

تغيير العادات القديمة ليس بالأمر اليسير. فخلال إحدى حلقاتي الدراسية تقدمت مني امرأة بدينة وقالت: "أنا غير منضبطة على الاطلاق. فاني لا أستطيع اتباع أي حمية، ومنزلي في فوضى دائمة. أشعر بأنني قذرة وزريّة المظهر." فأكّدت لها أنها ليست في قلة الانضباط التي تصفها: "لقد استطعتِ أن تأتي إلى هذه

الحلقة وتصلي في الوقت المحدد لكل جلسة، ثم انك دائمة الأناقة." ابتسمَتْ، فتابعتُ: "لا شك في أن ثمة سبباً وجيهاً وراء عجزك عن تخفيف وزنك أو ترتيب منزلك."

في ما بعد اكتشفتُ سبباً مهمّاً جداً. كانت صاحبتنا ترملت قبل عام. وقد كان زوجها مدمناً المخدّرات وأمضى سني زواجهما الأربع والعشرين يعذبها. ولم يخطر لها يوماً أن انطباعها السيىء عن نفسها هو الذي يحول دونها والتغيرات الايجابية الفاعلة. ولما أدركت الأمر سعت إلى ضبط حياتها فكانت خطوتها الأولى البحث عن النصح لدى اختصاصي.

مواجهة الأمور بالعزيمة. أذكر كيف كانت أمي توقظني كل صباح، أيام المدرسة: "حان وقت النهوض!" أما أنا فكنت أتعذّب في سريري ولا أنهض منه إلّا في اللحظة الأخيرة. فأعيل صبر أمي. ولما التحقت بالجامعة كان عليّ أن أعتمد على نفسي لاستيقظ. ولما أرهقتني تلك الحرب الصباحية عزمت على النهوض من السرير حالما يرنّ جرس المنبّه، فقط لأني أريد النهوض بصرف النظر عن شعوري. ومنذ ذاك الحين نجحت الخطة.

عندما لا تشعرون برغبة في عمل ما، تنزعون إلى تجنّبه، لكن الرغبة تأتي غالباً بعد أن يباشر المرء العمل.

يتكوّن الانضباط بالتمرس. فالقليل يقودكم إلى الكثير إذ تزداد رغبتكم في الحسنات والمنافع. فاذا ما تخطيتم الكسل نهائياً شعرتم بتحسّن كلّي. فالانضباط يجعلنا في أفضل حالاتنا جسداً وذهناً.

سيبيل ستانتون



الضفدعة والسمسار

على اثر انهيار سوق الاوراق المالية كانت شابتان تمرّان في المنطقة التجارية بلندن، فاخذهما الانذهال عندما التقتا ضفدعة، وزاد انشداههما عندما قالت لهما: "هيّا، قبلاني بسرعة فاستحيل سمسار بورصة شاباً وجميلا."

نظرت الشابة الاولى الى الضفدعة ووضعتها في جيبها واكملت طريقها. فسألتها رفيقتها: لماذا لم تقبّليها؟" فأجابت: "الحقيقة ان ضفدعاً ناطقاً يساوي اكثر من سمسار بورصة."

ل.ل.

قلة نصيب

الاول: "لماذا لم تقبل عرض العمل الممتاز ذاك؟"
الثاني: "لم يكن فيه مستقبل لي. فابنة رب العمل كانت متزوجة."

ل.ن.

الفخّ الإنكليزيّ



بقلم نورمان موس

الفخّ الإنكليزيّ



يمر يومياً في مطار هيثرو البريطاني نحو مئة الف مسافر بينهم مهربو مخدرات ينقلون بضائع مميتة قد ينتهي بها المطاف في شوارع بريطانيا. ان التعرف على هؤلاء المهربين وتمييزهم بين الجموع المحتشدة في المطار، يتوقفان على براعة العاملين في مصلحة الجمرك. وبفضل ضابط جمرك يملك "انفاً متطوراً" تحرك فريق فوكستروت التابع لمصلحة الجمرك البريطانية. وفي هذه الرواية المثيرة يصف الكاتب كيف تمكن ذلك الفريق، بما اوتي من براعة وصبر، من الايقاع باكبر شبكة دولية لتهريب الهيرويين احكمت براثنها على ثلاث قارات، وكيف جُعل افرادها يدفعون ثمن جرائمهم.

Photograph: HM Customs and Excise. Illustrations: Pat Owen

"شيء ما" في ذلك الكهربائي الشاب ابن التاسعة والعشرين، الناحل ذي الوجه الصبياني الذي وقف امامه وقفة ملاكم متحد، حير ضابط الجمرك في مطار هيثرو واربكه. صحيح انه لم يستطع ان يحدد بالضبط ما الذي اثار ريبته في كلايف وليمسن المسافر بالطائرة الى كاليفورنيا في عطلة اسبوع، إلا ان سنوات طويلة من مراقبة المسافرين تخلق لدى المرء نوعاً من الغريزة او الحدس تجعله "يلتقط" الامور غير العادية او التي باطنها مختلف عن ظاهرها. وهذا بالتحديد ما حمل الضابط على تدوين اسمه في ملفات الجمرك.

وهذا يعني انه منذ تلك اللحظة، ستدون كل رحلات وليمسن. وهو قام خلال الاشهر الثلاثة التالية برحلات عدة اخرى الى امريكا الأمر الذي نبّه قسم التقصي في الجمرك واثار شكوكه إذ من أين لعامل كهربائي المال لتحمل النفقات الباهظة التي تتطلبها تلك العطل المتكررة في الولايات المتحدة؟ وهذا السؤال أثير في قسم المخدرات الذي أحاله بدوره على فريق «F» اي الـ"فوكستروت."

يوم الأحد ٦ أبريل (نيسان) ١٩٨٥، استدعي إثنان من فريق فوكستروت الى مطار هيثرو الذي كان وصل اليه وليمسن برفقة رجل مشتبه بانه مهرب مخدرات. ولدى هذا حجز للسفر بالطائرة الى سان فرنسيسكو. وقبل موعد إقلاع طائرته بقليل، حطت في المطار طائرة ركاب تابعة للخطوط الباكستانية آتية من اسطمبول كان على متنها خمسة ركاب قاصدين نايروبي في كينيا. وقد توجه هؤلاء الى ردهة الانتظار في قاعة المسافرين. ولانهم كانوا ركابا عابرين (ترانزيت) لم يتعين عليهم المرور عبر الجمرك.

واستنتج احد رجال فوكستروت امراً طرحه على رفاقه: "لو ان احداً من هؤلاء المسافرين يحمل مخدرات، فإن في وسعه ان يناولها الى المهرب صديق وليمسن هنا، في قاعة المسافرين. ثم يتابع سفره الى كينيا بكل ثقة وبراءة فيما يستقل المهرب الطائرة المتوجهة الى سان فرنسيسكو حيث لن يشتبه بان في حوزته هيرويينا لكون رحلته بدأت من لندن."

وللتحقق من صحة هذه النظرية، طلب رجال التقصي من ضباط الجمرك ان يخضعوا الركاب الخمسة للتفتيش. وبالفعل تبين ان احدهم، ويدعى ناصر احمد، كان يرتدي مشداً نسائياً حشاه بكيلوغرامين من الهيرويين.

كان في وسع فريق فوكستروت الانتظار ريثما يسلم أحمد الهيرويين الى المهرب لكن ذلك كان سيرشدهم الى شخص ثانوي آخر في حين ان مبتغاهم كان معرفة المهربين ومن يقف وراءهم: العقل الموجه، الرأس الكبير.

اتصل رجال التقصي بقائد فريق فوكستروت ديفيد هيوز الذي كان في منزله في كنت وهو رجل خفيض الصوت قصير القامة قوي البنية ممتلىء الجسم أمضى ١٩ سنة في سلك الجمرك وهو الذي امرهم بمراقبة وليمسن.

ادى هذا القرار الى انتصار فريد لرجال الجمرك في حربهم على تجارة المخدرات التي ملأت العالم، وإلى وقوع عدد كبير من تجار المخدرات ومهربيها ومروجيها في ثلاث قارات، في الشرك. واصبح الاسم المتداول للعملية بين الاعضاء الثلاثة عشر في الفريق "عملية فولمار" وهو الاسم الذي اطلقه عليها معاون منسق العمليات آندي اوبي الذي قال: "الفولمار طائر مهاجر يتوقف في بريطانيا قبل ان يصل الى امريكا الشمالية." انها رواية طريفة توخى منها ارضاء اعضاء الفريق الا انها غير دقيقة اذ ان طائر الفولمار هو من طيور القطب الشمالي البحرية غير المهاجرة.

شركة تجارية

بعد يومين من اعتقال أحمد، تعقب رجال التقصي وليمسن الى حانة بالقرب من إيفر في بكنغهامشاير حيث التقى رجلا طويل القامة هزيلها، ذا وجه انقر فيه ندوب شبيهة بندوب الجدري. انه انيق الملبس على نحو ملفت للنظر، اعتاد اثناء الحديث استخدام حاسبة الكترونية بمهارة. صعد الرجل الى سيارة من طراز "جاغوار XJ-S» وانطلق بها ورجال التقصي في اثره حتى وصل الى منزل منعزل وسط ارض واسعة لا يبعد كثيراً عن الحانة. واكتشف رجال فوكستروت ان الرجل يدعى بول داي وعمره ٤٠ سنة ويعمل مديراً لشركة "غولدن فالكون" التي تتولى تدبير شركات بريطانية لتزويد القوات المسلحة في احدى دول الشرق الاوسط الخيم والثياب وجرابات المؤن. وكان هذا العمل من التواضع بحيث انه لم يدر عليه اكثر من ١٠ آلاف جنيه سنوياً، ومع ذلك استطاع قبل عامين ان ينتقل وزوجته من شقة صغيرة في شمال لندن الى ذلك المنزل المهيب الذي دفع ثمنه ٩٧ الف جنيه نقداً. من الواضح إذاً ان لديه مصادر دخل أخرى.

ان الشركة التجارية كانت مفيدة له كغطاء. وأضفى عليها عنوانها في "اسكوتلانديارد الكبرى" مسحة من الاحترام خصوصاً بالنسبة الى تاجر سابق للسيارات المستعملة سجن مرتين بتهمة الاحتيال. وطبيعة العمل في الشركة جعلت تنقلات داي بين القارات امراً مقبولا لا بل معقولا. لكن اسمه كان معروفاً لدى الجمرك وهو كان قام بعدد من الرحلات الى باكستان والى امريكا. فأصدر هيوز أمراً بتحويل المراقبة الرئيسية اليه.

وبفضل التعاون غير المتردد والسريع الذي ابداه أحد جيران داي والذي سمح لرجال فوكستروت باستخدام مرأبه، أبقى هؤلاء منزل داي تحت مراقبة دقيقة مزودين جهاز إرسال واستقبال ومنظاراً ثنائي العينين اضافة الى آلة التصوير.

وكان كلما غادر داي - الذي بات يعرف بين اعضاء الفريق بإسم "تانغو-

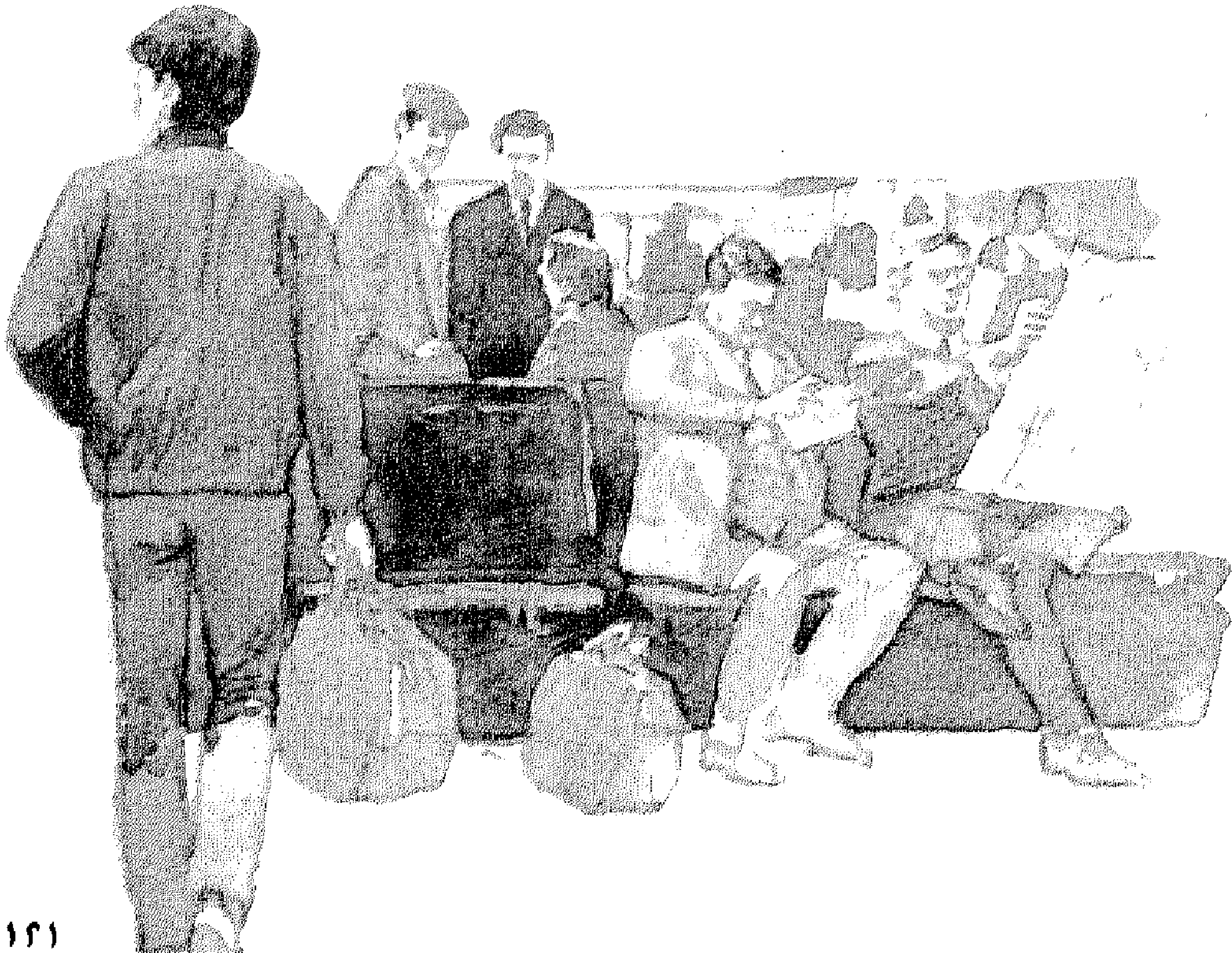
واحد" - منزله، تعقبته سيارتان متوقفتان في الجوار. وكانت السيارتان على اتصال مستمر واحدتها بالاخرى تنسيقاً للمراقبة، تتبادلان الرسائل من نوع "هنا فوكستروت واحد. اننا نتعقب تانغو واحد في جادة سليد... اننا نقترب من المستديرة الاولى واشارة سيارته تدل على انه سوف ينعطف يميناً."

وما لبثت تصرفات داي حيال شركائه الذين التقاهم في المقاهي والحانات الفخمة في الفنادق حول مطار هيثرو، ان دلت على انه الرئيس وان وليمسن يده اليمنى. وكان هذا يتعامل مع نصف دزينة من المهربين. احدى مهمات وليمسن كانت تأمين شيئين اساسيين في اسلوب داي لتهريب المخدرات وضمان ايصالهما الى التاجر الذي يتعامل معه في اسطمبول، مصدر الهيرويين.

عمل بديل

كان على وليمسن ان يبتاع كميات كبيرة من المشدات النسائية من محلات "ماركس اند سبنسر" بسعر ٧،٥ جنيهات المشد الواحد. وكان عدد من هذه المشدات يرسل الى باكستان. كذلك كان عليه ان يبتاع من محلات "وولورث" عدداً من حقائب السفر القماشية المتماثلة ذات اللون البني.

وكما فعل ناصر أحمد، كان المهرب يصل بالطائرة من باكستان وهو يرتدي مشداً محشواً بالهيروبين الموضب في اكياس صغيرة من السيلوفان. وكراكب عابر



كان يتوجه مباشرة الى المغاسل في قاعة المسافرين وهناك ينقل المخدرات الى حقيبة من حقائب "وولورث" البنية.

بعد ذلك يتعين عليه ان يجد المهرب المكلف نقل الهيروبين الى نهاية المطاف. وما ان يتعرف عليه من الحقيبة التي يحملها وتلتقي نظراتهما حتى يتوجه الاثنان الى مقعدين متجاورين ويجلسان برهة وجيزة قبل ان ينصرفا وقد حمل كل منهما حقيبة الآخر. وهكذا تتم عملية التسليم والدفع في الوقت نفسه إذ غالبا ما تحوي الحقيبة التي يتسلمها المهرب القادم من باكستان اوراقاً نقدية توازي المبلغ المتفق عليه. اما المهرب الثاني فيتوجه بدوره الى المغاسل حيث ينقل الهيروبين من الحقيبة الى المشد الذي زوده أياه وليمسن ويصبح بذلك جاهزاً للتوجه الى امريكا.

انها طريقة بسيطة، واضحة، لا تحتاج حتى الى الكلام متخطية بذلك حاجز اللغة. اما مبرر استخدام داي لها فانها لا تورطه ابداً في نقل الهيروبين. والواقع انه بفضل تلك الطريقة كان في مأمن في كل وقت من القبض عليه متلبساً بجرم حيازة هيروبين.

ثمة اسباب وجيهة جعلت داي يتشبث بهذه الطريقة ولا يحيد عنها. فقبل ان يتحول الى باكستان كمصدر للهيروبين، كان نظم عملية لتهريب هذه المادة من ماليزيا. وكان أحد المهربين العاملين معه دهاناً عاطلا عن العمل يدعى ديريك غريغوري يقطن بناء يملكه المجلس البلدي في "ريتشموند - سري". وعندما قبض عليه في مطار بينانغ وهو يحاول تهريب مخدرات، اعطى داي زوجته مبلغ الف جنيه لتنفقها في الدفاع عنه لكن غريغوري دين وحكم بالاعدام بموجب القوانين الصارمة التي تحرم الاتجار بالمخدرات في ماليزيا. وقد رد استئنافه للحكم في ٢٣ مايو (ايار) ١٩٨٨، فقدم التماساً الى هيئة العفو التي لا يتوقع ان تبته قبل اشهر.

ومن قبيل الاحتياط، ولكي يضمن داي سلامته الشخصية، ابتعد عن كل العمليات المتصلة بالهيروبين من انتاج وتوزيع. ولاحظ رجال فوكستروت انه عمد الى استخدام الهاتف العمومي في مخابراته مع باكستان وامريكا استبعاداً لاي شبهة. وشاهده رجال جهاز التقصي يستبدل بعملة من المصرف اكياساً من القطع النقدية من فئة العشرة بنسات لاستخدامها في مخابراته لعقد صفقات مع اسلام اباد وسان فرنسيسكو.

عمل فريق

احدثت مراقبة وليمسن والمتصلين به والمتعاملين معه، ضغطاً كبيراً على اعضاء فريق فوكستروت الذين غالباً ما اضطرتهم ظروف المراقبة الى العمل المتواصل من الخامسة فجراً حتى منتصف الليل وذلك لثلاثة ايام متوالية ولاربعة

احياناً. واشترك في العملية جميع الاعضاء بمن فيهم رئيسهم ديفيد هيور.

وذات مرة اصطحب هيور ايدا سترزلك المرأة الوحيدة في الفريق، وهي انيقة وذات قامة صغيرة، لمراقبة داي ورفيق له جلسا في بهو فندق "شيراتون سكاي لاين" بالقرب من مطار هيثرو. وعندما نهض داي ورفيقه لينصرفا مالت ايدا نحو هيور وكأنها تنظر في عينيه وتهمس له كلاماً ناعماً في حين انها في الواقع كانت تخاطب الميكروفون (المذياع) في حقيبة يدها وهي قالت: "انهما ينصرفان الآن من المدخل الامامي."

تلقى الرسالة اثنان من فريق فوكستروت كانا خارج الفندق. وفي الحال ادارا سيارتهما وتعقبا داي الى متجر عام في أكتون في القسم الغربي من لندن يملكه باكستاني. وسبق لداي ان قام بزيارات متعددة لذلك المتجر. ثابر اعضاء الفريق على مراقبة المتجر بضعة ايام لكنهم خلصوا في النتيجة الى ان ما يدور بين الرجلين هو عمل تجاري لا غبار عليه ولا صلة له بالمخدرات.

على ان ملازمة رفيق داي في فندق شيراتون سكاي لاين، اثمرت نتائج افضل. فجون هيردج ابن الاربعين، رجل ضخم واثق من نفسه، عمل مهندساً بحرياً. وهو جاء في الأصل من بيتربورو في كيمبردجشاير. وكان يتاجر بالبواخر في لندن ويتولى التهريب الآن لمصلحة داي.

كان هيردج عقد صداقة في بيتربورو مع رب عائلة مؤلفة من اربعة اولاد يدعى ديفيد ميلارد. فدبر له عملا كسائق شاحنة. وعندما استغني عن خدماته، طلب من هيردج ان يساعده. فتحدث هيردج مع داي حول امكان استخدام ميلارد في التهريب فقال له داي: "إن كنت تعتبره مناسباً فلا بأس."



اولى رحلات ميلارد كانت الى سان فرنسيسكو ورافقه هيردج وكان مسؤولا عنه. وكان داي يعتبر ان نفقات المسؤول من ثمن بطاقات سفر ومصاريف إقامة في الفنادق، تبقى، مهما بلغ ارتفاعها، مبررة نظراً الى اهمية الدور الذي يمثله. فمجرد وجوده يبعث الطمأنينة في نفس المهرب خصوصاً إذا كان هذا جديداً في العمل. وهو يستطيع المساعدة في حل مشاكل السفر في حال حصولها. والأهم من هذا كله ان في امكانه مراقبة المهرب عن كثب ومنعه من غش المخدرات قبل تسليمها أو سرقتها أو بيعها مستقلا بها عن صاحبها.

عندما وصل هيردج وميلارد الى سان فرنسيسكو حجزا في أحد الفنادق ثم اتصلا هاتفياً برجل داي المسؤول عن فرع امريكا وهو ضخم الجثة ملتح إسمه ولفغانغ كادوغان سبق له ان قام بعدد من المغامرات التجارية بدءا بصالون للحلاقة في ساوثمبتن مروراً بمطعم في أنتيغوا بجزر البحر الكاريبي اطلق عليه اسم "ولفي"، وانتهاء بمشروع فاشل للاتجار بالأثاث.

إلا ان كادوغان بدا، عندما التقاهما، رجل اعمال جدياً، شديد التدقيق في التفاصيل وهو أمر هيردج بالتوجه الى فندق آخر وما ان فعل حتى اتصل به هاتفياً وطلب منه ان يستدعي سيارة أجرة لتنقله الى إحدى التلال في المدينة. وفي منتصف الطريق الى تلك التلة، وحسب التعليمات، ترجل هيردج من السيارة وتابع طريقه سيراً. وفجأة ظهر كادوغان قربه فسلمه الهيروين في كيس من اكياس المطار المعفاة من الرسوم الجمركية.

عندئذ إتصل هيردج هاتفياً بداي وابلغ اليه انجاز العملية مستخدماً لذلك عبارة رمزية كانا اتفقا عليها. وهو قال له: "لقد وصل المحامي مع العقد."



الا ان نجاح ميلارد في إتمام عملية تسليم ثانية في سان فرنسيسكو اوقع داي في هفوة جعلته يرسله مجدداً الى اسطمبول ليعود منها بكمية من الهيروين ليبيعها بالأمانة. لكن ميلارد عاد بعد ثلاثة ايام خالي اليدين بسبب اعصابه التي خانته. وكان فريق فوكستروت في ذلك الحين، اي في شهر مايو (ايار)، وضع ميلارد تحت المراقبة.

كان لميلارد زوجة اسمها سيلفيا عملت في أحد الأوقات ساقية في حانة في بيتربورو. وكانت اشد صلابة منه وهي ابدت استعداداً للمخاطرة برحلة الى امريكا حاملة الهيروين في مقابل ٢٥٠٠ جنيه عدا المصاريف. إلا ان داي اضطر الى إلغاء العملية المقررة عبر الاطلسي ثلاث مرات متوالية بسبب اعتقال ناصر احمد وتخلف المهربين الآخرين عن الوصول الى المطارات الأوروبية التي وقع اختيار داي عليها على اساس انها اكثر أمانا من مطار هيثرو، لعمليات التسلم والتسليم.

اخيراً وفي ١٤ مايو (ايار)، وباعصاب ما زالت على متانتها، طارت سيلفيا من مطار هيثرو الى مطار شيبول في امستردام وبرفقتها هيردج مسؤولا عنها. وهناك تبادل الاثنان حقائب بنية مع مهرب باكستاني قبل ان يركبا في طائرة متوجهة الى نيويورك. تلك كانت رحلتهما الاخيرة.

في لندن، إتصل رئيس فريق فوكستروت ديفيد هيور بممثل لمكتب مكافحة المخدرات في السفارة الامريكية وأعلمه ان هيردج وميلارد سيصلان الى مطار جون ف. كينيدي وبحوزتهما هيروين ورجاه قائلا: "من فضلك لا تأت على ذكرنا ابدا. حاول ان تجد طريقة أخرى توحي أنه قبض عليهما مصادفة." والسبب انه لم يشأ ان ينبه داي الى ان شبكته تحت المراقبة.

حال وصولهما الى مطار نيويورك اوقف الاثنان وتبين ان سيلفيا كانت تخفي في مشد تحت فسطانها الازرق اربع رزم من الهيروين زنتها ثلاثة كيلوغرامات. ونشرت صحيفة "نيويورك تايمس" آنذاك الخبر الاتي: "صرح مايكل كونمان الناطق باسم ادارة الجمرك ان عميلا جمركياً ارتاب بامرأة ترتدي معطفاً سميكاً في ذلك الطقس الحار."

اتصل كادوغان هاتفياً بداي واعلمه بالنبأ. لم يكن في حاجة الى الآلة الحاسبة ليقدر فداحة الخسارة فثمن الهيروين وحده ٧٥ الف جنيه وهو كان يأمل أن يربح في هذه الصفقة نحو ٣٠٠ الف جنيه بعد بيعها في نيويورك. اما خسارة تجار المخدرات في شوارع امريكا فربما فاقت ٦،٦ ملايين دولار. وفي وقت لاحق علق داي على الحادث بحضور وليمسن: "إنها اوقات عصيبة بالنسبة الى المهربين".

وعندما نقل اليه التعليق مساعده والرجل الثاني في العملية جون هيوستن، وكان هذا اسكوتلندياً قصير القامة متين البنيان من دندي، اقسم ديفيد هيور على ان امور المهربين سوف تزداد صعوبة.

بعد مضي شهر على توقيف سيلفيا ميلارد وهيردج، تأكد هيوستن ان داي لا يزال يجهل كيف انكشف امرهما. وذات يوم جلس داي ووليمسن في حانة فندق شيراتون سكاي لاين يتناقشان في موضوع التوقيف. وكان يجلس الى طاولة مجاورة هيوستن وعضو آخر من فريق فوكستروت اسمه بيتر ايفري وهو عريض المنكبين متين البنيان كما هو مفروض في اي لاعب "رغبي" من ويلز.

وتظاهر هيوستن بحل لغز كلمات متقاطعة ليدون كلام داي الذي قال: "سيلفيا



نفذت التبديل في مطار شيبول من دون اي عائق لكن المشاكل اعترضتها في امريكا. لا افهم لماذا ارتدت تلك العاهرة الحمقاء معطفاً من فرو في ذلك الطقس الحار."

لا بد ان داي صدق بسذاجة القصة التي اختلقتها ادارة الجمرك ومكافحة المخدرات في امريكا، وهو راح يطمئن وليمسن ويقول له: "سيكون كل شيء على ما يرام هذه المرة. سنستخدم مطار واشنطن. ومنذ وصولهما الى فرنكفورت سوف يكون لديهما ٥٥ دقيقة يلتقيان الرجل خلالها ثم يتابعان رحلتهما وبحوزتهما الكيس."

مرة أخرى تجنب المهربون مطار هيثرو واختاروا للعملية مطاراً آخر قدروا ان فرص كشفهم فيه اقل.

وقال داي: "قل لي، هل جماعتك مستعدة للذهاب؟"

مطاردة عقيمة

تقرر ان يكون المسؤول في الرحلة الثانية بيتر ديفيس وكان عمله الاساسي موزع خبز على البيوت والمحلات. وكان عاد لتوه من رحلة شهر عسل في جزيرة كورفو باليونان. واختير الكهربائي بول مورفي مهرباً. والاثنان من سكان ولسدن في شمال لندن وكلاهما عمل سابقاً في تهريب المخدرات لمصلحة داي.

في اليوم التالي توجه وليمسن الى محلات "مارك اند سبنسر" في لندن وابتاع مشداً، وعند الدفع داعب فتاة الصندوق وهو يناولها مبلغ ٧،٥ جنيهات ثمناً له. بعد ذلك نقل المشد الى منزل بيتر ديفيس.

الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥ من صباح اليوم التالي أوصلت عروس ديفيس عريسها بالسيارة الى منزل مورفي. وكان في اثرهما رجال فوكستروت البقظون. ومن هناك اوصلتهما الى مطار هيثرو حيث تسلما بطاقتيهما وانطلقا الى فرنكفورت.

كان ذلك يوم أحد، إلا ان رجال فوكستروت تجمعوا في مركز قيادتهم الجديد في فيترلين في هولبورن، وكانوا في انتظار ذلك النهار منذ اشهر وقد عانوا من اجله سهراً وحرمان اعشية وسهرات وحفلات ميلاد لاطفالهم. كان مقرراً ان يوقف ديفيس ومورفي في مطار فرنكفورت متلبسين بجرم حيازة الهيرويين وستتوافر ادلة كافية لاعتقال داي والآخرين في لندن، إلا ان آمالهم سرعان ما خابت فمهرب باكستان لم يصل وعاد ديفيس ومورفي بالطائرة الى هيثرو حيث التقاهما وليمسن.

ولكي ينفسوا عن شعورهم بالإحباط والخيبة، قصد اعضاء فريق «F» حانة بجوار مكتبهم اسمها "ذي برنترز دفل" وهناك قال ديفيد هيور وهو يستشيط غضبا: "ان المطاردة غير فعالة البتة."

لم تقتصر الخيبة التي سببها الفشل في فرنكفورت على اعضاء فريق «F» وحدهم. ففي امريكا شعر كادوغان بالقلق وهو خشي ان يدفع فشله في مد التجار بالهيرويين بانتظام الى التفتيش عن مصدر آخر، خصوصاً ان بعضهم كان بدأ ينتقد نوع الهيرويين الذي باعه اليهم. ومع ان نقاوته بلغت ٨٥ في المئة وكان بالتالي قابلا لأن يشعشع الى درجة ١٠ في المئة نقاوة محققا بذلك ارباحا هائلة، إلا ان لونه مال الى البني والبيج فيما التجار يفضلونه "ابيض ناصعاً ودقيقاً مثل بودرة جونسون للاطفال."

توجه داي الى امريكا كي يطمئن كادوغان. فمصدره في اسطمبول كان عرض عليه خطة ربما أنهت مشكلتهم. وهو قال له انه يعرف ديبلوماسياً على وشك التوجه الى نيويورك لحضور دورة الجمعية العمومية للامم المتحدة وهو على استعداد لاستخدام حقيبته الديبلوماسية لتهريب بين ٥٠ و٦٠ كيلوغراماً من الهيرويين. تبقى المشكلة الرئيسية وهي تمويه المصدر من طريق تحويل الارباح الناتجة من عملية بيع تلك الكميات الكبيرة من الهيرويين والتي تقدر قيمتها بالملايين، اما بواسطة مصرف اجنبي واما بواسطة شبكة معقدة من الوسطاء. وفي حساب داي وجماعته ان العملية سوف تدر عليهم ربحاً صافياً يعادل قيمة كل تجارتهم على امتداد سنتين بحيث لا تقل عن ١٠٠ مليون جنيه.

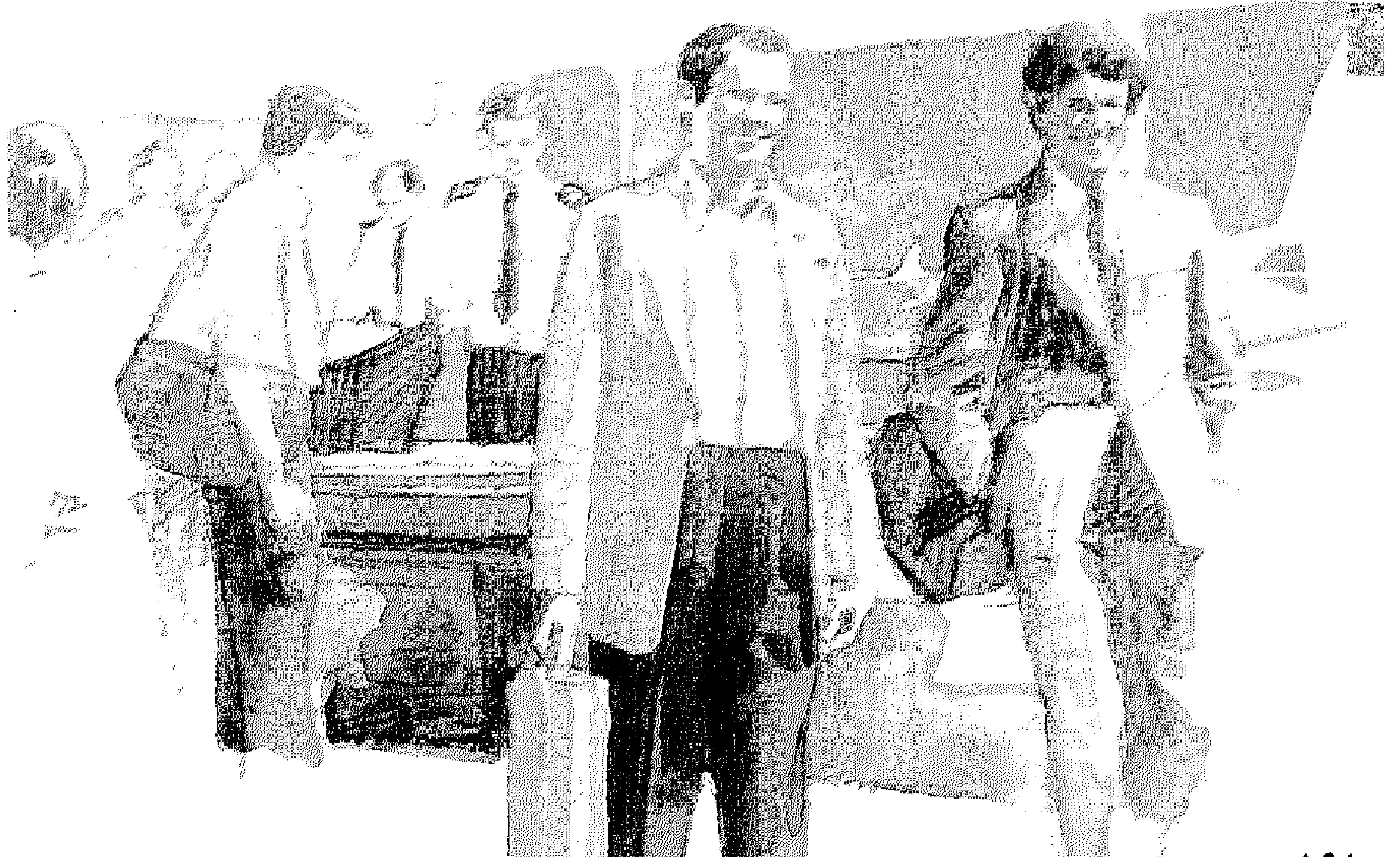
وبمزاج مرح، عاد داي بطائرة من طراز "كونكورد" الى لندن مصطحبا كادوغان.

ولدى وصولهما الى المطار اعترض ضباط الجمرك كادوغان وعندما فتشوه وجدوا انه يحمل ١٣٤ الف دولار في حقيبة للسفر زعم انها قيمة ارباحه من تجارة السلع، وكانت في حوزته ايضاً كمية صغيرة من حشيش القنب. وهو وافق على دفع الغرامة الفورية العادية والتي تبلغ ٧٥ جنيهاً، ثم انصرف الاثنان وهما يضحكان في سرهما على جهل ضباط الجمرك!

تضييق الخناق

مضى شهر من الترقب والانتظار. ثم في ١٨ يوليو (تموز) توجه داي ووليمسن في السيارة الى هيثرو. وفي شباك احد مكاتب السفر دفع وليمسن نقداً ثمن بطاقة طلب ارسالها الى احد الاشخاص في مطار شيبول كي يتمكن السيد د. كستر من السفر بالطائرة من هيوستن الى مدينة مكسيكو.

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، كان بيتر ايفري في مطار شيبول مع عدد من ضباط الشرطة الهولنديين عندما وصل السيد كستر. فعدا ان جواز السفر الذي حمل ذلك الاسم كان مزوراً ويخص شخصاً يدعى داني تشستر سبق لوالده ان عمل مع داي، فإن الاسم الأصلي بدل ليصبح كستر والصورة ابدلت بأخرى. ان التزوير وحده كان كافياً لاقناع ضباط الهجرة الامريكيين بالاشتباه به من دون ان يكون لديهم ظن بعملية تهريب مخدرات، وإلا لكان السيد كستر وصل



الى هيوستن من دون اي إشكال. انه مجرد شخص يحمل جواز سفر بريطانيا قادم من هولندا، وهولندا ليست بلداً منتجاً للهيروويين.

وكان حامل الجواز وصل لتوه بالطائرة من كراتشي الى شيبول تحت اسمه الحقيقي: طاهر نديم. وكان يرتدي حول خصره مشداً من مشدات "مارك اند سبنسر" دس فيه كيلوغرامين من الهيروويين فقبضت عليه الشرطة الهولندية.

في نهاية ذلك اليوم، بات في وسع ديفيد هيور واعضاء فريقه ان يهنئوا انفسهم ويحتفلوا بما انجزوا، فهم ايضاً اجروا اعتقالات شملت داي ووليمسن وديفيس ومورفي وديفيد ميلارد وشريكين آخرين في الجريمة.

صلة الوصل الامريكية

بعد اسبوع سافر هيور وجون هيوستن بالطائرة الى امريكا لجمع القرائن استكمالا للتحقيق، وهما استجوبا في نيويورك جون هيردج وسيلفيا ميلارد. ثم توجها الى فينيكس في ولاية اريزونا على امل اعتقال ولففانغ كادوغان لكنه كان هرب من منزله الفسيح في بارادايس فالي. إلا انه اعتقل في وقت لاحق في يخته المترف الذي كان راسياً في جاكسونفيل بولاية فلوريدا.

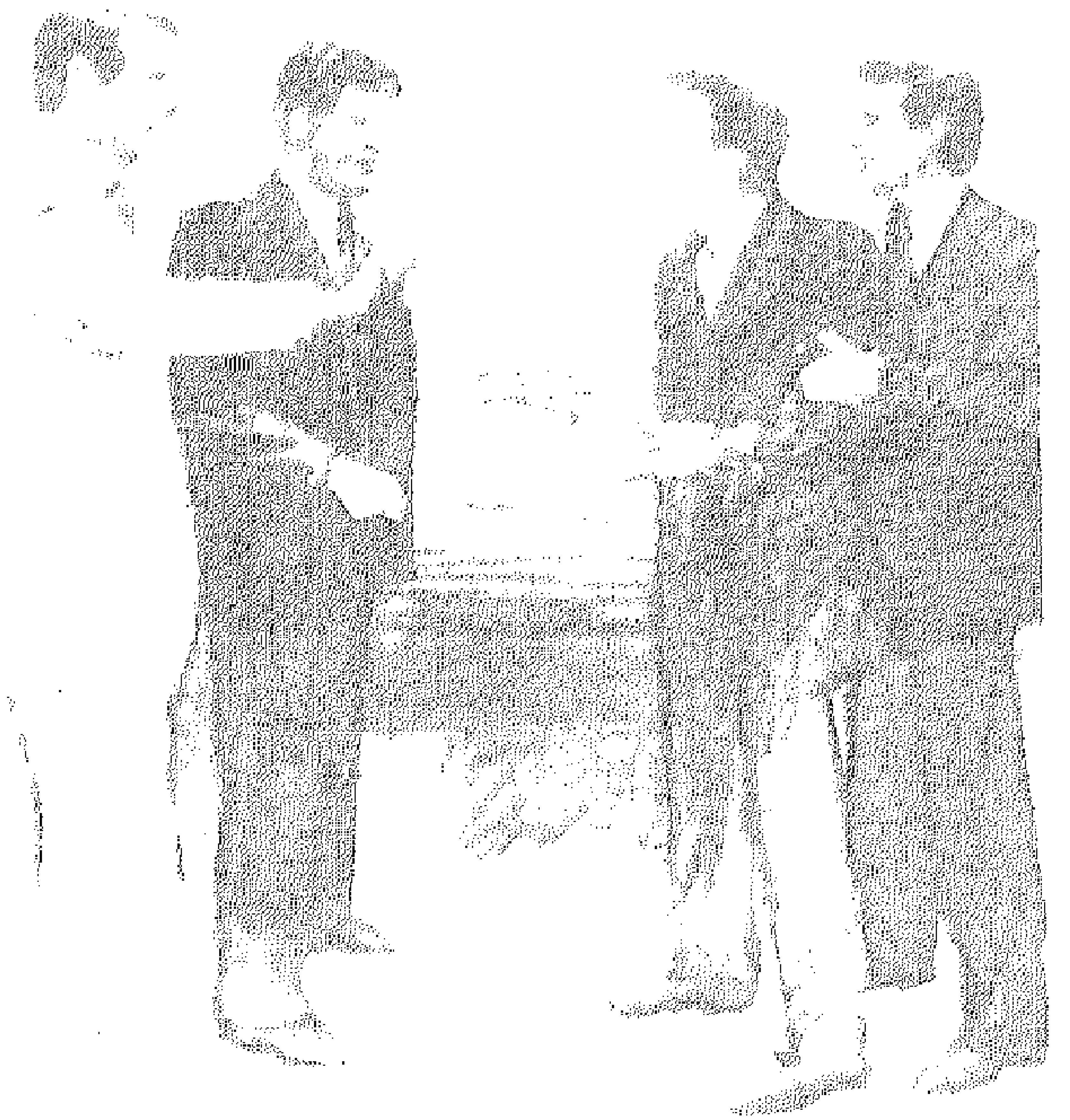
وفيما المحققون البريطانيون يفتشون منزل كادوغان في مرافقة موظف من الادارة الامريكية لمكافحة المخدرات، اذا بجرس الهاتف يرن. كان المتحدث رجلا بريطانيا قال انه يدعى انطوني وهو منذ اسبوع يحاول الإتصال بكادوغان. فاجابه الموظف الامريكي، من دون ان يكشف له عن هويته، انه سيعود ويتصل به.

من التحقيق الذي اجرياه، علم هيور وهيوستن ان المتحدث هو انطوني هاڤلوك - هدسن إبن أحد الرؤساء السابقين لشركة "لويدز" البريطانية للتأمين وهو شريك لكادوغان في تجارة الأثاث الفاشلة. وعندما اجتمع الاثنان مجدداً في فينيكس، كانت احوال هاڤلوك - هدسن متدهورة والحظ تخلى عنه، فقال له كادوغان ان في امكانه ان يفتح امامه بعض الفرص.

كان فريق «F» سجل بعض هذه "الفرص". فبين الصور الفوتوغرافية السبعمئة التي أخذت لجمع الادلة اثناء عملية فولمار، عثر على صور لهاڤلوك - هدسن مع بول داي في فندق شيراتون سكاي لاين وأخرى التقطت بعدها بشهر في فندق "لاوندس" في بلغرافيا. في ذلك اللقاء غادر داي الفندق وهو يحمل كيساً للغسيل احتوى على ٥٠ الف دولار سلمه إياها هاڤلوك - هدسن.

عندما اتصل هافلوك - هدسن ثانية قال له الموظف الامريكي ان هناك زائرين بريطانيين يعرفان كادوغان وداي و"ربما تود ان تلتقيهما."

سر هاڤلوك - هدسن بالامر وتوجه الى الفندق الذي ينزل فيه هيور وهيوستن. وبعد تناول شراب منعش صعد الجميع الى غرفة هيور، ظناً من هافلوك - هدسن ان مضيفيه جزء من شبكة تهريب الهيروويين. وهو كان متلهفاً ليثبت امامهما انه



جدير بفرص أخرى مثل الرحلة التي قام بها الى اسلام اباد لتسليم عميل داي ٣٥ الف دولار وشيكات سياحية.

وفي سرده الحماسي للدور الذي قام به في مقابل ستة آلاف دولار للرحلة الواحدة، أصيب بالفواق فقال لهما: "سوف أستخدم الحمام إن سمحتما وإن لم تختف الحازوقة عندما أخرج فما عليكما، يا رفيقي، سوى إزعاجي وهذا كفيل بتخليصي منها."

لدى خروج هافلوك - هدسن من الحمام عرفه الامريكي بنفسه وقال له "إنك موقوف."

في الولايات المتحدة حكم على سيلفيا ميلارد بسبعة وعشرين شهراً سجناً وعلى جون هيردج بخمس سنوات وعلى كادوغان بعشرين سنة وبغرامة نصف مليون دولار وعلى هافلوك - هدسن بستة اشهر. واوقف ما لا يقل عن نصف دزينة من المهتمين بالاتجار بالهيروين في سان فرنسيسكو في انتظار احالتهم على المحكمة.

وفي هولندا، حكم على طاهر نديم بالسجن مدة سبع سنوات.

اما في بريطانيا فصدرت احكام بالسجن على كل من بول مورفي (٨ سنوات) وديفيد ميلارد (١٠ سنين) وبيتر ديفيس (١٢ سنة) وكلايف ليمسن (١٧ سنة). اما بول داي "العقل المدبر" الذي وصفه القاضي البريطاني بانه "مراوغ، جشع وعديم الضمير" فقد حكم عليه بغرامة ١٥٠ الف جنيه وبالسجن ٢٨ سنة.

اما ناصر أحمد اول الموقوفين فقد ادعى انه اكره على تهريب الهيروين. ولقد صدقت هيئة المحلفين ادعاءه وبرأته.

وقال روبرت ستاتمن الضابط في الادارة الامريكية لمكافحة المخدرات، الذي رأس عملية التحقيق في نيويورك: "أوقعنا بجميع افراد الشبكة من المصدر في باكستان الى التجار الذين يروجون المواد المخدرة في الشوارع. انها عملية فريدة في نوعها تقريباً. وكل ذلك بدأ مع الجمارك البريطانية."

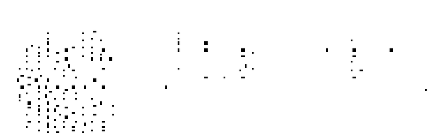
نورماس موس ■

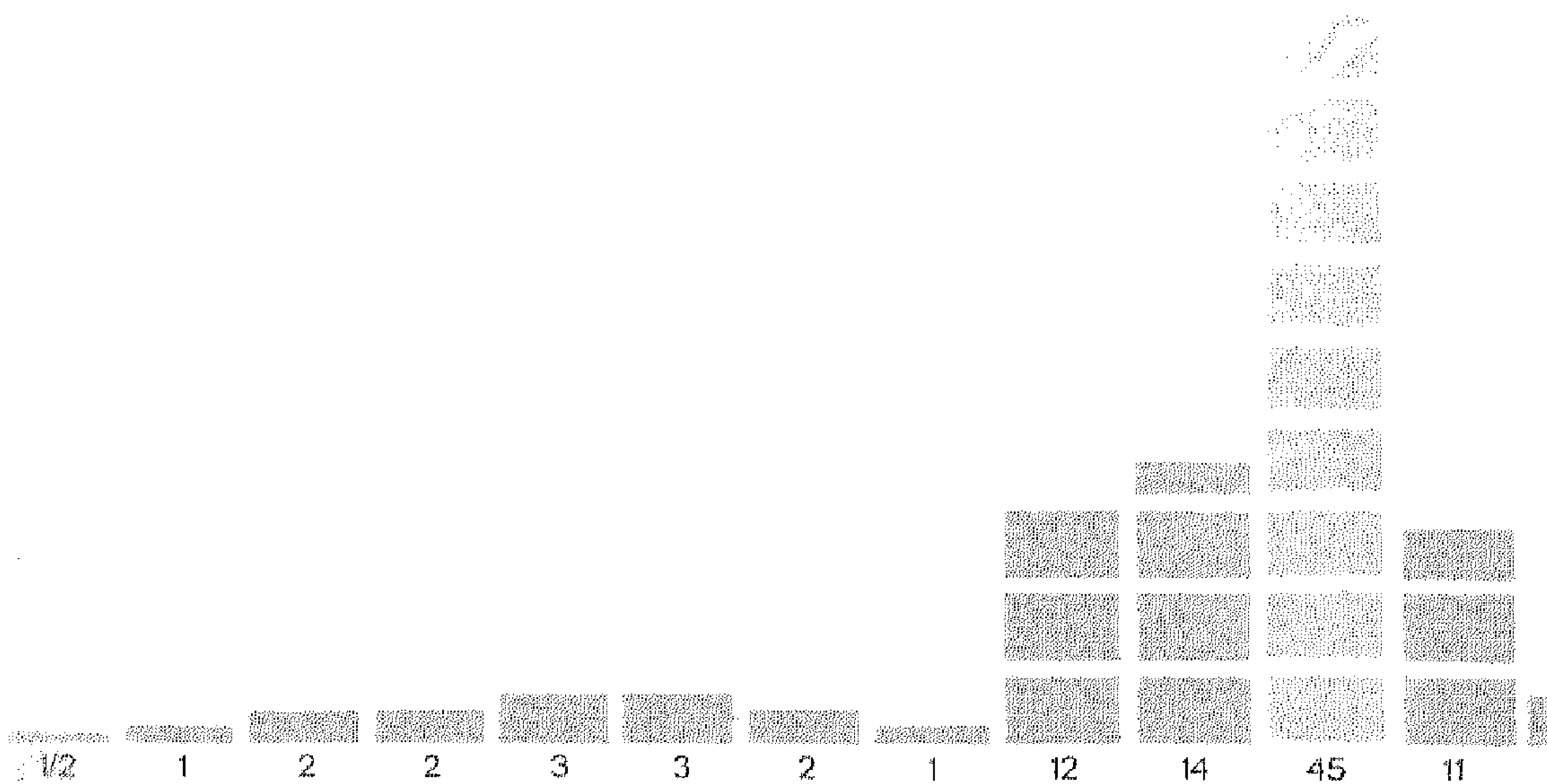
ترجمة د. باسمة سكرية عيد

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

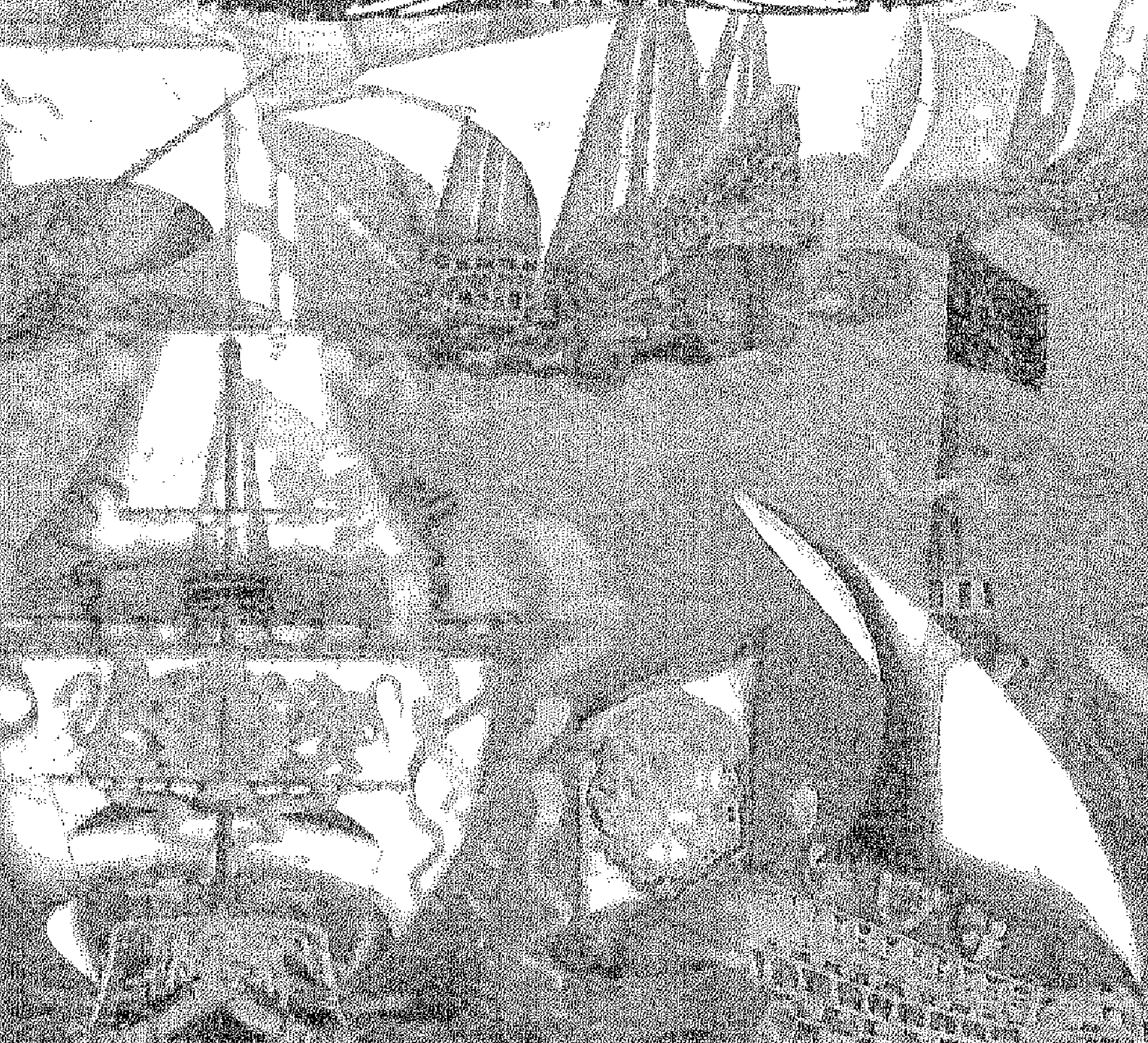


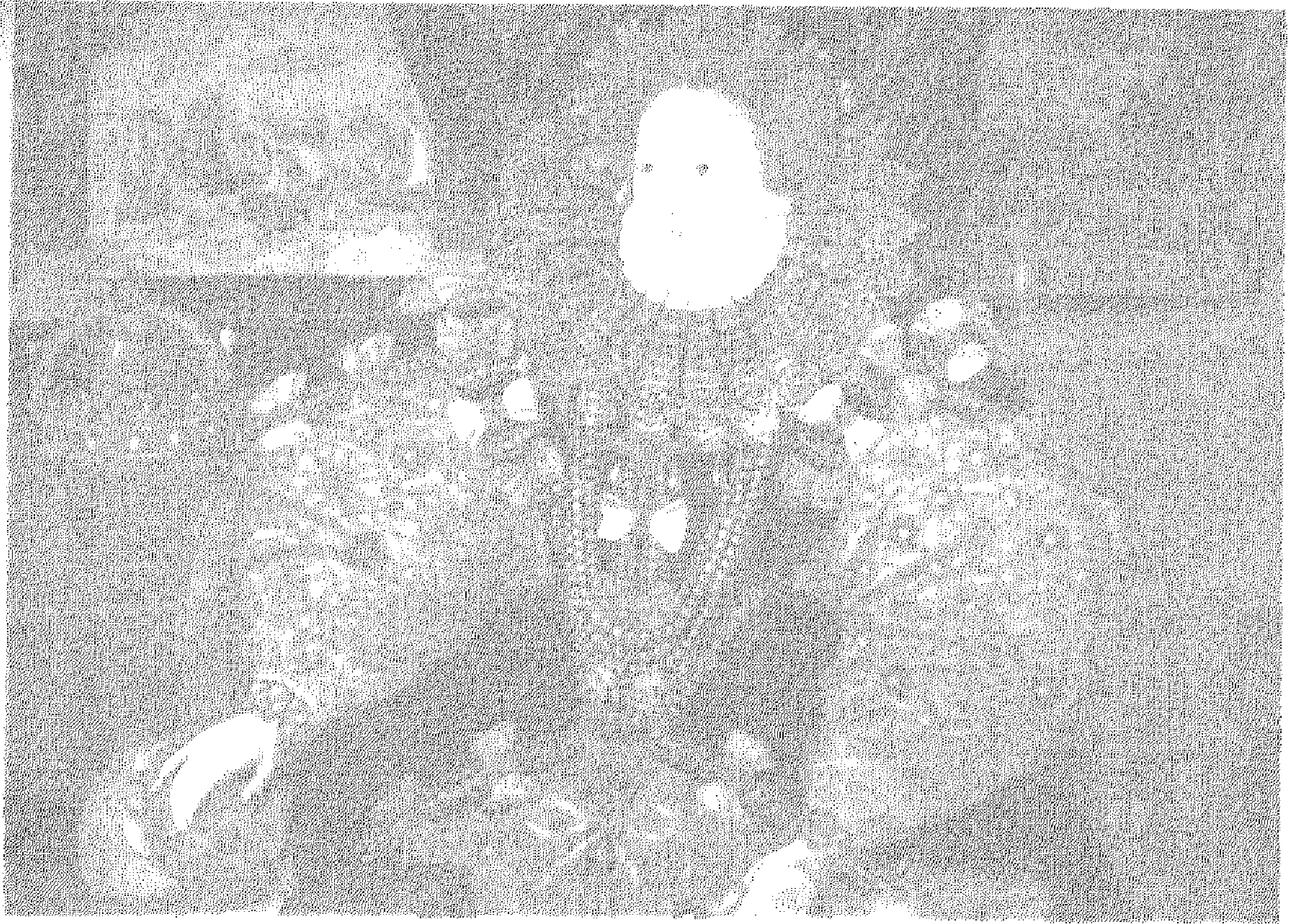





نهاية
الآرمادا الاسبانيّة
بقلم إرنست هوسر
انه الغزو! صرخة أيقظت الشعب البريطاني للدفاع عن بلده وملكته.
استحوذ ذلك الحدث المثير على خيال الأجيال، فنسجت
حوله الاساطير والخرافات. فماذا يقول التاريخ؟

كان المشهد رائعاً
حين أبحرت ١٤٠ سفينة مصنوعة من خشب
السنديان وهي ترفع اشرعتها المنتفخة وراياتها الخفاقة،
مندفعة الى الامام كأنها جسم واحد. انها "الأرمادا،" الاسطول
الذي لا يقهر والذي وجهه الملك فيليب الثاني، عاهل اسبانيا،
لهزم انكلترة. وقد اعتبر هذا الاسطول، نظراً الى علو سفنه الشاهق
البالغ اكثر من ٣٠ متراً والى تسلح مراكبه بالمدافع واحتشاد الرجال
فيها، اضخم حملة بحرية تجمعت في اوروبا على الاطلاق، عاقدة
العزم على انتصار يسحق الملكة "الهرطوقية" العنيدة
اليزابيت الاولى.





رسم مشرق للاسطولين الانكليزي والاسباني يحوطان اليزابيت في "لوحة الأرمادا" (١٥٨٨ - ٨٩) المنسوبة الى الرسام الانكليزي جورج غوار.

كان هدف الأرمادا الإبحار عبر بحر المانش لملاقاة الجيش الاسباني في بلاد الفلاندر بالاراضي المنخفضة، بقيادة دوق بارما الذي كان يعتبر ابرع عسكري في اوروبا. وبعد تلاقي القوتين كان عليهما عبور بحر الشمال وإقامة رأس جسر على شاطىء مقاطعة كنت، في بلدة مارغيت على الأرجح، ثم التوغل داخل الاراضي الانكليزية لاحتلال منطقة لندن وعزل اليزابيت البغيضة "الوقحة."

اعتبر الملك فيليب هذه الحملة واجبه المقدس. وبعدما أبحرت الأرمادا من لشبونة في ٢٨ مايو (ايار) من العام ١٥٨٨ قضى الملك أربع ساعات يصلي راكعاً على بلاط قصره "الاسكوريال"(١) الذي يشبه ديرا كئيبا.

ومع ذلك، فإن "مغامرته الانكليزية" الطموحة هذه بدأت بشكل سيىء. فالرياح المعاكسة أخرت تقدم السفن، فأنتنت المؤن او شحت، وكان لا بد من استبدالها. وما كاد الاسطول يتهيأ لدخول كورونا في شمال اسبانيا حتى شتتته عاصفة هوجاء وألحقت الضرر ببعض سفنه كما فقدت السفينة المستشفى. ولم يتمكن الاسبان من الاقلاع إلا في ٢٢ يوليو (تموز).

كانت الأرمادا مزيجاً متنافرا من السفن الاسبانية والبرتغالية، والمراكب

(١) يضم هذا القصر عدداً كبيراً من المخطوطات العربية.



فيليب الثاني ملك اسبانيا،
خصم لدود لاليزابيت.

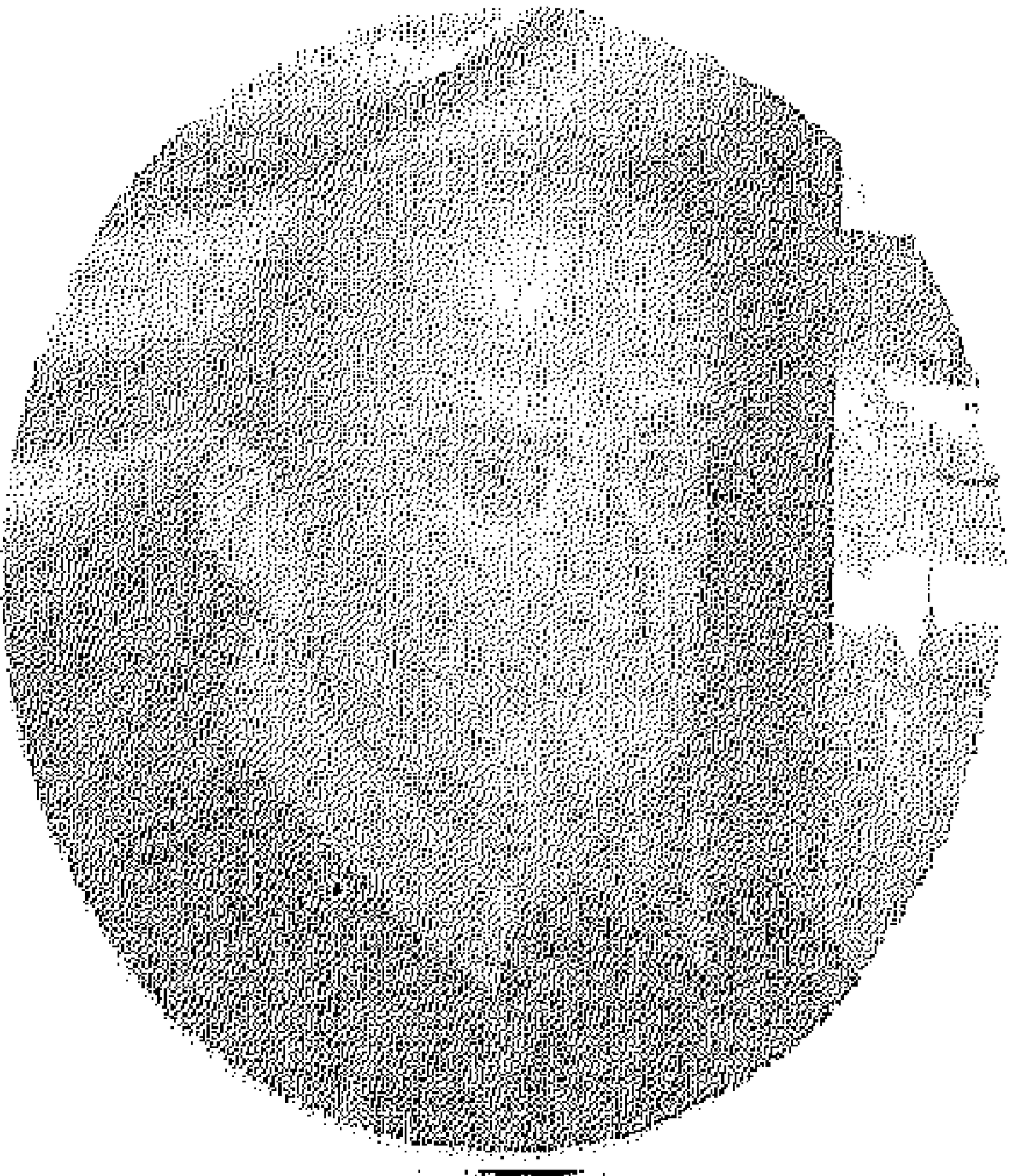
الايطالية والألمانية المستأجرة او المشتراة او المصادرة. أما فخر الاسطول فكان ١٩ غليونا حمولة الواحد ١٠٥٠ طناً، وهو مجهز بـ٣٠ موقعاً ثقيلا أو أكثر ويحمل على متنه ٥٤٠ رجلا. كما كانت الآمال معقودة على اربعة غلياسات طول واحدها حوالى ٤٥ متراً من الكوثل حتى الجؤجؤ ومزود ٥٠ مدفعاً ومسير بالاشرعة والمجاذيف التي يحركها ٣٠٠ من الرقيق.

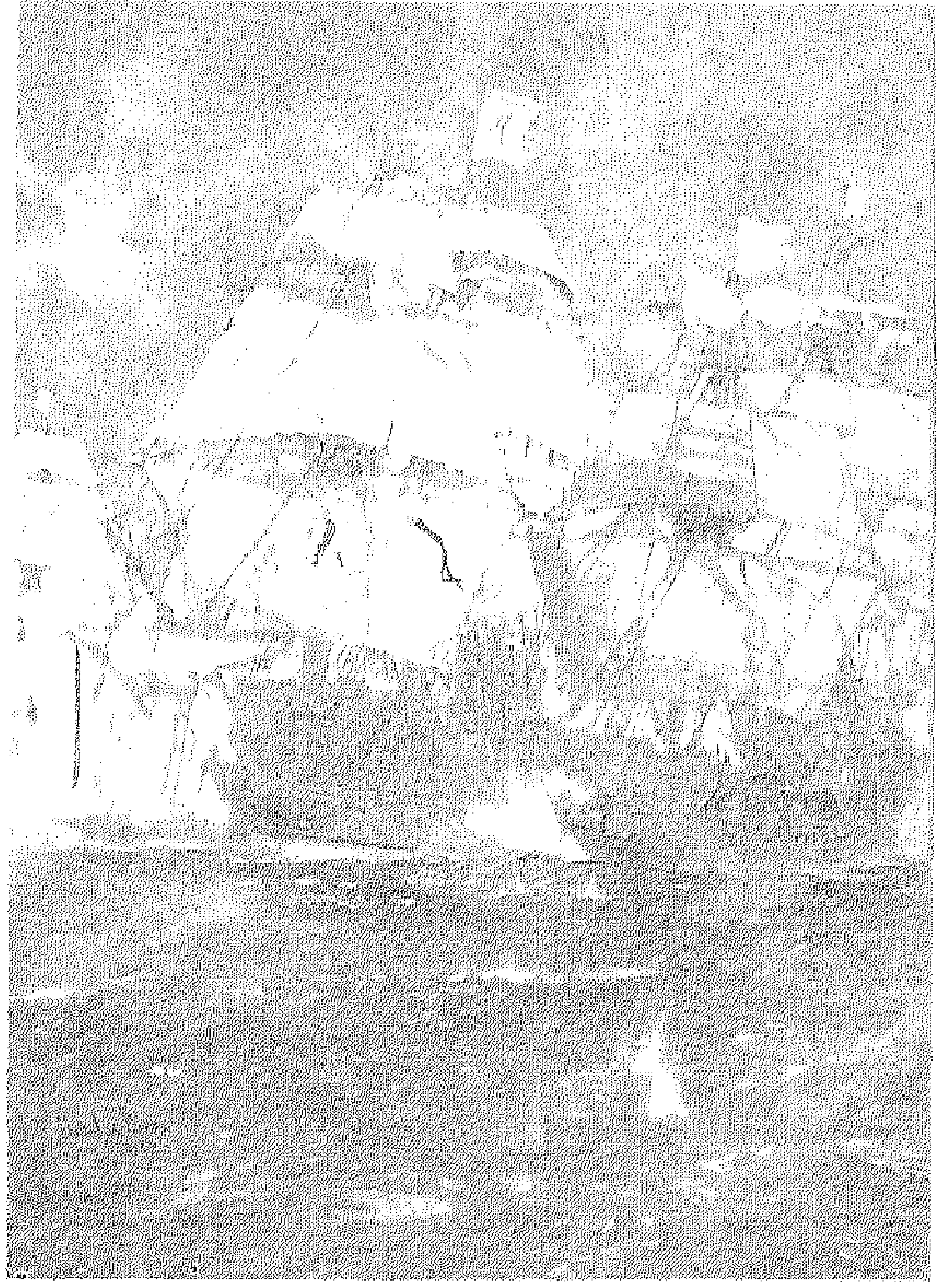
وكانت البوارج الحربية مدعومة بسفن تجارية مسلحة وزوارق صغيرة وسريعة لنقل الرسائل، بالاضافة الى اطواف غير متقنة محملة بالمؤن والامدادات على مختلف انواعها، من رصاص والواح خشبية وجلود ثيران لسد فوهات المدافع، الى ٥٠٠٠ زوج احذية. وكانت السفن محملة ايضاً بالبغال والخيول وكل انواع معدات الحصار لاحتلال انكلترة. اما المؤن فتضمنت المياه والاطعمة الجافة والسمك المملح واللحم والجبن والزيت والنبيذ والارز.

كانت التجهيزات الحربية تتألف من ٢٥٠٠ مدفع، ومن اكوام من ذخيرة المدافع، الى جانب الرماح والبنادق والمطارد والسيوف. وقد بلغ عدد رجال هذا الاسطول نحو ٣٠ الفاً منهم ١٩ الف جندي والباقون من البحارة والنجارين والحدادين والجراحين والنبلاء المغامرين.

وكان على المتن ايضاً "حكومة ظل" تضم موظفين رسميين وكهنة وقضاة لادارة انكلترة المحتلة. وعقدت قيادة







القائدان الخصمان اللورد هوارد (فوق) ودوق مدينة سيدونيا على بارجتيهما "الفلك الملكي" (الى اليمين) و"سان مارتين." الى اليسار: درايك يلعب البولينغ، وفق أشهر النوادر التي تحكى عن الأرمادا.

الحملة لرجل ريفي يتعاطى زراعة البرتقال في الاندلس المشمسة يدعى ألونسو برث دِ غوثمان الملقب "الصالح"، دوق مدينة سيدونيا(٢).

عندما وصلت الأرمادا الى مسافة ٨٠٠ كيلومتر شمالا ضربتها عاصفة أدت الى تشتيتها فانفصلت خمس سفن عن الاسطول الى غير رجعة. وعندما اقتربت من بحر المانش في ٢٩ يوليو (تموز) وجدت الانكليز في انتظارها، لأن مخابراتهم كانت تراقب تحركاتها منذ اقلاعها.

لم يكن الاسطول الانكليزي متكافئاً مع الاسطول الاسباني، ولكن كانت له ميزة التحرك قرب الوطن مما ساعد المراكب على التوجه بسهولة الى أقرب مرفأ لتزود المؤن والامدادات. فوق ذلك كانت السفن الانكليزية آلات حربية فعالة، غير مثقلة

(٢) هذه المدينة هي فينيقية الاصل (صيدون) واشتهرت كمركز للترجمة في الاندلس.

بحمولة إضافية وجاهزة لتناور بسهولة. وقد علق احد رجال مدينة سيدونيا بدهشة: "كانت سفنهم من السرعة والرشاقة بحيث كانوا يستطيعون ان يديروها كيفما شاؤوا."

كان اللورد شارلز هوارد افينغهام في الخمسين من عمره وكان يقود الاسطول في بليموث من بارجته "الفلك الملكي" الرباعية الصواري. وكان يعاونه السير فرانسيس درايك، أشهر بحار في انكلترة، قبطان السفينة "ريفنج" (انتقام) البالغة حمولتها ٥٠٠ طن. وورد في التقليد الانكليزي ان الاثنين كانا يلعبان البولنغ في "بليموث هو" عندما أبلغ اليهما: "إنهم آتون!"، فكان جواب درايك التاريخي: "لدينا الوقت الكافي لننهي لعبتنا."

وكالحباحب في ليلة دافئة ظهر المرشدون فوق التلال في جميع انحاء إنكلترة ليرصدوا اقتراب الاعداء. لم يكن هناك أي هلع. هرع رجال الميليشيا المحليون الى البنادق والرماح وحفرت الخنادق تحسبا لنزول العدو الى اليابسة. وسدت شوارع لندن بالسلاسل. وشكل المدنيون مجموعات قتالية، كما نظمت القوى المسلحة دوريات حراسة على مدار الساعة.

في الضاحية الغربية كان السر والتر رايلي ينظم الدفاعات الساحلية وقوات الميليشيا المجندة. اما إيرل ليسستر، القائد العام للقطاع، فكان يجهز معسكراً لقرابة ١٧ الف رجل، بمن فيهم الفرسان، في تيلبوري على مصب نهر التايمز.

في ذلك الحين كانت الأرمادا تتقدم بهدوء على طول الشاطىء الجنوبي لانكلترة نحو موعدها في اتجاه بلاد الفلاندر. وفي ٣١ يوليو (تموز) تواجه الاسطولان في اول معركة لهما قرب اديستون روكس قبالة بليموث، مظهرين بكثير من الدوي ورباطة الجأش ما يستطيعان القيام به. وقد دهش الانكليز الذين لم يكونوا قد رأوا مثيلا لفن الملاحة الاسبانية، عندما شكلت السفن الاسبانية هلالا ضخماً يتجه قاباه الى الوراء. وكان عليهم أن يحذروا المغامرة بين هذين القابين حيث وضعت اقوى سفن الاسطول بحيث يواجه الدخيل مأزقاً حرجاً.



اتى الاسبان وفي ذهنهم النظرية التقليدية القائلة بانك اذا شئت ان تكون لك اليد الطولى، عليك بالاقتراب من السفينة المعادية ورمي الكلاب عليها والصعود الى متنها والمحاربة بالسلاح









الابيض. لكنهم لم يستطيعوا تطبيقها ابدا. فالانكليز استطاعوا اختيار مسافاتهم بفضل سفنهم الرشيقة. وكانت مدافعهم، المحمولة على عربات، سهلة الحركة والتلقيم، فتطلق النيران بسرعة، بعكس مدافع الأرمادا المثبتة بقوة والمصممة لتطلق نيرانها دفعة واحدة.

في اليوم الاول من القتال استطاع الانكليز ضرب واحدة من افضل السفن الاسبانية، "سان خوان دِ برتغال." فقد قصفت بشكل متواصل حتى اسرعت شقيقاتها لنجدتها، وعندما ابتعدت توقف الانكليز عن اطلاق النار. يومها حارب الاسبان بشجاعة وقد قال درايك معلقاً باحترام: "انهم مصممون على بيع ارواحهم مع كل هجوم."

في اليوم التالي اسر الانكليز سفينتين معاديتين: "سان سلفادور" التي تعطلت إثر انفجار مخزن البارود واندلاع حرائق، وامتلأت بالجثث، فقطرت الى مرفأ وايموث، اما "سيدة الوردية"، وهي احدى اضخم سفن الأرمادا وتحمل ٤٣٠ رجلا و٤٦ مدفعاً وشحنة من الذهب، فقد تحطمت إثر اصطدامها بسفينة اسبانية اخرى، فاستولى عليها درايك بنفسه.

شرح قائد السفينة، النبيل بدرو دِ فالدس، لدرايك انه كان اقسم على الموت في المعركة لكنه لم ير عيباً في الاستسلام لبحار عظيم مثله، فأنزله درايك في مقصورته الخاصة وقدم اليه افضل الطعام.

القتال الضاري

بينما كان الاسطولان يبحران بشكل مترادف نحو هولندة كان مئات من المدنيين الفضوليين يشاهدون تقدمهما من فوق التلال والصخور. وفي ٢ اغسطس (آب) تقارب الاسطولان لمواجهة اخرى. واظهرت السجلات الحية واليوميات والرسائل ان احداً من الفريقين لم يكن يدرك ماذا كان يجري بوضوح. فالدخان الصاعد من مئات المدافع حجب الرؤية والضجيج صم الآذان. ومن الجانبين كانت تنهمر قذائف المدافع من الحجارة والحديد وشظايا الطلقات النارية التي تنشر الموت، ونيران البنادق السريعة.

وتجمع كل الروايات على وصف هذه المواجهة غير الحاسمة بـ"الجهنمية". وقد حشرت سفينة الملكة "ترايومف"، وهي الاكبر في هذه المعركة، بين اربع غلياسات اسبانية، فقاتل قائدها مارتن فروبيشر، المشهور بلقب "كلب البحر" والذي قاد بعثة البحث عن الممر الشمالي الغربي عام ١٥٧٦، بشجاعة حتى أنقذه اللورد هوارد.

وثمة مشهد آخر من مشاهد هذه المعركة يبرز دوق مدينة سيدونيا على متن بارجته "سان مارتين" يصد بمدافعها الـ٤٨ مجموعة من السفن الانكليزية، وظل

سفينة اسبانية في مرمى النيران. وبرزت في المعمعة
سفينة السر فرانسيس درايك (الى اليسار) "ريفنج" وسفينة الملكة "ترايومف"

يقصفها ساعة حتى اتت بعض الغليونات الاسبانية لنجدته. وعلق هوارد على هذه الحادثة بالآتي: "لم ير احد قتالا اشد ضراوة من هذا." وعندما توقف القصف أعاد الاسبان تنظيم هلالهم وتابعوا التقدم، وكانوا وصلوا الى نصف الطريق تقريباً عبر المانش.

كان على الاسبان ان يحولوا سفنهم مشاغل خلال إبحارهم وذلك لترميم ما تخرب وتهدم نظراً الى عدم توافر اي مرفأ لهم. اخيراً في ٦ اغسطس (آب)، وبعد مواجهتين غير حاسمتين قرب جزيرة وايت، بدت لهم نهاية بحر المانش الذي يبلغ طوله ٥٦٠ كيلومتراً. ويا للأسف، كان مرفأ كاليه، الذي يبعد ٣٥ كيلومترا فقط عن انكلترة، تحت سيطرة رجل فرنسي وقف بدقة على الحياد فسمح للاسبان بتزود المؤن الطازجة ولكن من دون ان يستعملوا مرافق المرفأ.

رسائل من الأسطول

حان موعد اللقاء، فانتظرت الأرمادا قبالة مرفأ كاليه أخبار مراكب دوق بارما الناقلة ٤٠ الف جندي، وكان مفترضاً فيها ان تأتي من دنكرك ونيوبورت القريبتين.

في تلك الاثناء شن الانكليز هجوماً جديداً، فوجهوا مع الريح ٨ زوارق انتحارية محملة بمواد سريعة الالتهاب ومتفجرات، نحو السفن الاسبانية التي كانت معرضة للاشتعال بسهولة بسبب هياكلها الخشبية وحبالها المطلية بالقطران.

عندما رأى الاسبان اللهيب المحمول فوق البحر يقترب منهم تفرقوا في كل اتجاه، فمرت زوارق النار من غير أذى واشتعلت على الشواطىء. لكنّ الأرمادا تبعثرت.

وبدأت الرسائل تتوالى من سفن الاسطول المبعثرة. احدى تلك الرسائل أتت من بارجة الاميرال الاسباني، دوق مدينة سيدونيا: "إنني على بعد فرسخين من كاليه وسفن العدو تهدد جانبي وفي وسعها قصفي بالمدافع في اي وقت، فيما انا عاجز عن الحاق كبير اذى بها." اما دوق بارما فلم يستطع حتى ذلك الوقت تجميع سوى القليل من المراكب البدائية لنقل الجنود.

ومما زاد الطين بلة أن الهولنديين المتمردين، أصدقاء بريطانيا، كانوا يجوبون الشاطىء وهم على استعداد لمحاربة الاسبان. عندها بدت خطة الملك فيليب العظيمة كأنها أخفقت في تحقيق اي هدف.

"إننا نفتقد رجالنا"

كانت الأرمادا لا تزال مبعثرة عندما شن الاسطول الانكليزي هجوما تسلم طليعته السر فرانسيس درايك. فاحتدمت المعركة يوما كاملا قبالة غرايفلاينز، وهي قرية تقع بين دنكرك وكاليه.

قاوم الاسبان بعناد على رغم تفوق الانكليز عليهم بالمدافع وبالقدره على

المناورة. وكانت احدى سفنهم تنزف - كان الدم يتقطر من بالوعاتها - ومع ذلك ظل الاحياء عليها يطلقون النار. وان سفينة اخرى ذات خمسة مدافع مدمرة ونصف رجالها قتلى استوقفها ضابط انكليزي عارضاً استسلاماً مشرّفاً على قائدها، فقتل فوراً بطلقة بندقية سُددت اليه.

بعد ذلك رست سفينتان اسبانيتان مدمرتان على الشاطىء، كما غرقت بارجة اخرى في عرض البحر واصيبت "سان مارتين"، سفينة دوق مدينة سيدونيا، قرابة مئتي مرة. أما سفينة درايك فقد تلقت اربعين إصابة ومقصورته الخاصة اصيبت مرتين. ويقول الرواة ان ضابطاً انكليزياً قتل في غرفة درايك بطلقة جاءت من تحته.

عند الغسق وضعت عاصفة من الامطار حداً للقتال. وفي اليوم التالي تراجع الانكليز عندما ضربت الريح السفن الاسبانية وقادتها الى الشواطىء الرملية. وبعدها تغير اتجاه الرياح فعادت السفن الى عرض البحر. وكانت اسبانيا قد خسرت حتى ذلك الحين ستاً من سفنها على الاقل، اما انكلترة فلم تخسر ولا واحدة. وقد كتب اللورد هوارد الى وزير خارجية الملكة، السر فرنسيس والسينغهام، قائلا: "ان قوتهم عظيمة ومذهلة ومع ذلك فاننا ننتف ريشهم."

برهن ذلك على ان المعركة حاسمة، ومع تواري الامل بلقاء دوق بارما بدأ انضباط الأرمادا يشهد علامات تفكك. وتجاهلت بعض السفن الأوامر بشن هجوم ثان.

اقام دوق مدينة سيدونيا، الذي اظهر شجاعة قتالية فذة على رغم عدم تمرسه بحياة البحر، مجلساً عسكرياً على متن سفينته المصابة. وقد حكم على عشرين من ضباطه بالاعدام ولكنه شنق واحداً منهم فقط في طرف عارضة الشراع. ومنذ دخوله بحر المانش لم يذق الاميرال النوم او الطعام الا نادراً. شاهد الضباط والرجال يموتون حوله، وهو ايضاً اصيب في فخذه. وقد صرخ مرة لربان سفينة اسبانية مرت من قربه قائلا: "ماذا عسانا ان نفعل؟"

النزاع الاخير

طارد هوارد الاسطول الهارب شمالا حتى المياه الاسكوتلندية ثم قفل عائداً الى الديار بعد فقدان الطعام. وحتى إن تجرّأ الاسبان على العودة الى القتال في محاولة اخيرة للقاء دوق بارما، لمنعتهم الآن الرياح المعاكسة. فاختاروا مضطرين طريقاً طويلا للعودة الى اسبانيا تلتف حول شمال اسكوتلندة وايرلندة الغربية.

هكذا بدأ نزاع الأرمادا الاخير. فالسفن الكثيرة التي قاومت الضربات الانكليزية أصبحت الآن توابيت عائمة مندفعة الى الامام تُضرب بالعواصف وترشح المياه الآسنة من عنابرها. اما رجالها فقبعوا في الزوايا القذرة المليئة بالجرذان يعانون الامراض كالحَفَر والتيفوس والزُحار. مؤنهم كانت فاسدة وحصص طعامهم غير كافية.

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت



أسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت :



- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب أخرى

اما الأسوأ فلم يكن قد أتى بعد. فبعدما دارت السفن حول اسكوتلندة واتجهت نحو شمال الاطلسي المخيف، تعرضت لعواصف شرسة، فاقترب بعضها من ساحل ايرلندة المنيع. وحاول عدد من رجالها المتعبين ان يجروا انفسهم الى داخل الجزيرة بحثاً عن الطعام والمأوى، فكان نصيبهم الذبح على يد المحتلين الانكليز. اما بعضهم الآخر فقد وجدوا من يؤويهم وتمكنوا من الهرب لاحقاً خارج البلاد. لكنَّ الآلاف منهم غرقوا في البحار الغادرة. وعندما وصلت انباء الكارثة الى انكلترة، علّق الانكليز قائلين: "انه قضاء الله."

لدينا اليوم بيّنات مؤثرة عن الفصل الاخير من هذه المأساة التاريخية. فستة من حطامات السفن العشرين او اكثر وجدت قبالة الشاطىء الايرلندي، وانقذت محتويات ثلاث منها. اما السفينة الاكبر والاغنى التي تم التعرف اليها فهي "خيرونا" التي كانت ذات يوم أضخم غلياس، وقد جمعت على متنها الناجين من اربع سفن محطمة بالاضافة الى رجالها الـ١٣٠٠ – قضوا جميعاً باستثناء ستة منهم عندما غرقت قرب جاينتس كوزواي على شاطىء الانتريم. ويعتقد انها لم تتمكن من العودة الى اسبانيا بسبب اصابتها وثقل حمولتها، لذلك توجهت الى اسكوتلندة على امل ان تستقبل هناك بحفاوة.

لقد خسرت الأرمادا قرابة ١١٠٠٠ رجل قضوا غرقاً او مرضاً او في القتال، بالاضافة الى ثلاثين سفينة او اكثر. والسفن القليلة التي وصلت اخيراً الى اسبانيا حُوِّلت الى الكسر. اما دوق مدينة سيدونيا الذي ظل على متن سفينته "سان مارتين"، فوصل الى سانتندِر في ٢٣ سبتمبر (ايلول) مصاباً بالحمى، ونقل على حمالة الى بيته في الجنوب ولم يستعد عافيته الا في الربيع التالي.

لم يخسر الانكليز اي سفينة كما لم يفقدوا اكثر من ١٠٠ رجل قضوا في اثناء المعارك، الا ان الكثير منهم قضوا بالامراض قبل تسريحهم. لكن الشعب الانكليزي ظل في شك حول رحيل الاسطول الاسباني نهائياً. لذلك قامت الملكة اليزابيت برحلة تهدف الى رفع معنويات جنودها، فقصدت على متن بارجة ملكية تيلبوري في ١٨ اغسطس (آب) لعرض الجنود الذين كانوا لا يزالون ينتظرون عودة الاعداء. وقد استقبلت الملكة بهتاف مدوٍّ وهي في ثوب ابيض من المخمل، تمتطي جواداً ابيض.

في اليوم التالي خاطبت الملكة جنودها قائلة: "فليخَف الطغاة. لقد جئت اليكم مصممة على الحياة او الموت بينكم جميعاً لاقدم الى ربي ومملكتي وشعبي شرفي ودمي. اعلم اني املك جسد امرأة ضعيفة ولكني املك قلب ملك وشجاعته. اني لأزدري كل عاهل اوروبي يحاول غزو مملكتي."

صلوات الشكر

بعدما تم التأكد اخيراً من ان انكلترة ربحت معركة العصر انفجر الناس بالاغاني الشعبية وشرعوا يشعلون النار ابتهاجاً ويسيّرون المواكب. وسكّت الانواط

تخليداً للانتصار. واستقبلت الملكة بالزغاريد انّى ظهرت، فلم يُعرف قبلها حاكم انكليزي احبه الشعب مثلما احبها.

وفي ٤ ديسمبر (كانون الاول)، بعد اسبوع على احتفال الملكة بالذكرى الثلاثين لتنصيبها، حضرت قداس شكر احتفاليا.

ماذا تعني هزيمة الأرمادا؟ لو انتصرت اسبانيا لهبط حجاب كثيف على وجه انكلترة المهزومة. وفي الواقع، لم يكن للانتصار الانكليزي نتيجة فورية لان حال الحرب بين اسبانيا وانكلترة استمرت ست عشرة سنة. وعلى رغم ذلك، فان العام ١٥٨٨ سجل انتصاراً تاريخياً. فقد تأمن مستقبل انكلترة كأمة وصار في وسعها بلوغ آفاق جديدة، متحدية بذلك اسبانيا في امبراطوريتها عينها التي جعلتها اغنى بلدان اوروبا واقواها. ومنذ ذلك الوقت ازدادت قوة بريطانيا البحرية مهابة واحتراماً، واصبح تحولها من امة صغيرة مكافحة الى قوة بحرية عظيمة آخذاً مجراه الطبيعي.

إرنست هوسر ■

ترجمة سام نجار



سلالة الغنم

أحدثت سلالة جديدة من قطعان الغنم الخالية من الصوف في مقاطعة ويلز في بريطانيا. واعتمد منشىء هذه السلالة، إيبولو أوون، نوعين من القطعان المعروفة جيداً، هما "ويلتشاير هورن" و"ولش ماونتِن". والخراف الجديدة لا يُجز صوفها الا قليلا، ولا تحتاج الى رعي كثير ولا الى التغطيس بالماء الا عند مكافحة الجرب. وقد بدأ أوون اختباراته في الستينات. وبعد تسعة اجيال كوّن قطيعه الكامل واطلق على كلّ من افراده صفة "سهل الرِّعاية"، هادفا من ذلك الى انتاج اللحم فحسب.

يقول أوون: "كان عندي ٢٥٠٠ رأس غنم ووجدت أن ايرادي يتأتّى بنسبة ٩٠ في المئة من اللحم و١٠ في المئة فقط من الصوف. والآن تدنت نسبة الصوف الى ٥ في المئة فقط."

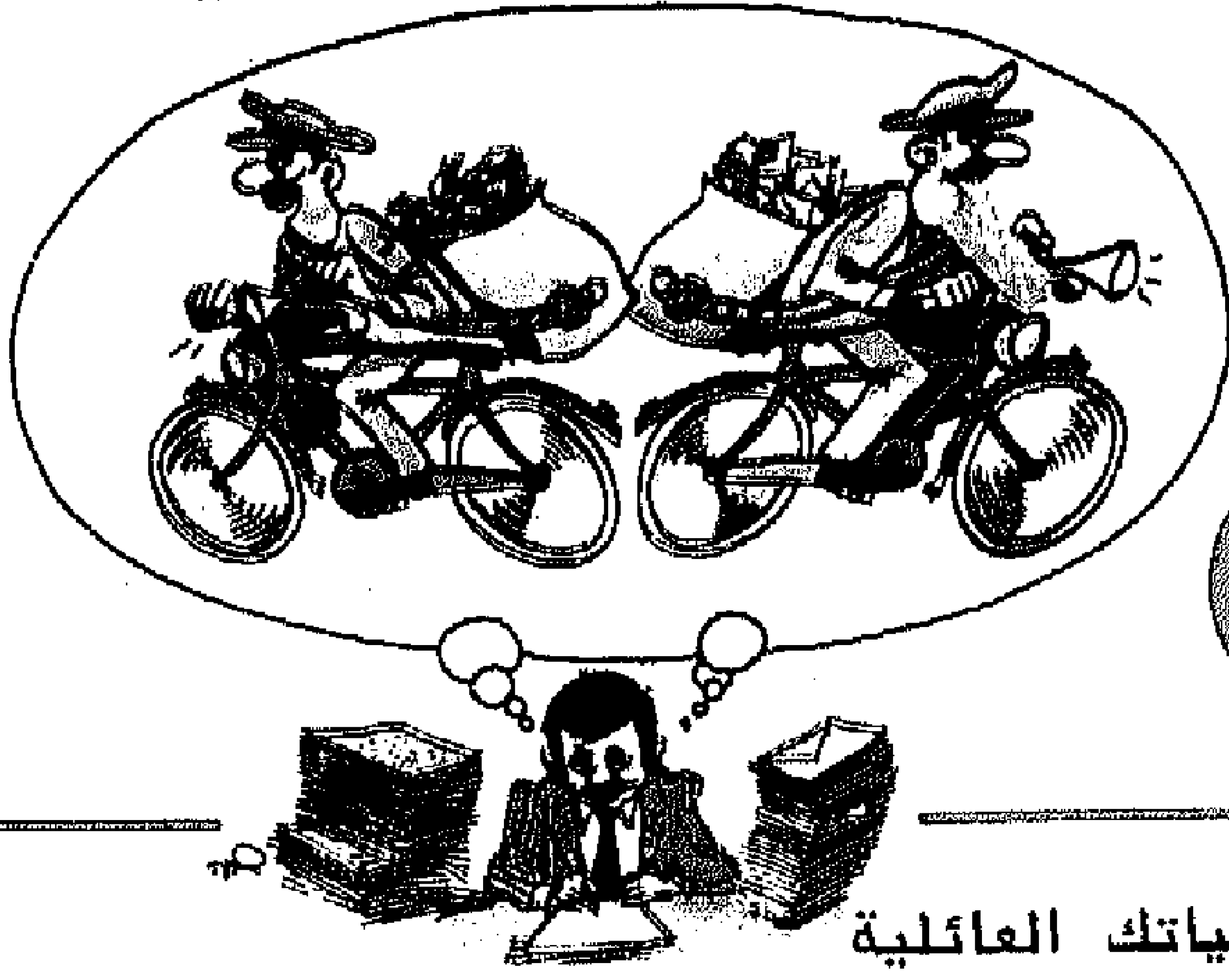
الـ"صنداي تايمز"، لندن

الضعف والقوة

يقول لاعب كرة السلة الشهير لاري بيرد: "ان الفائز هو الذي يدرك المواهب التي حباه اياها الله فينميها ويصقلها لتغدو مهارات ويستخدم المهارات في بلوغ اهدافه. حتى حين كنت الخاسر تبيّنت مواطن ضعفي وعملت على تحويلها مصادر قوة."

ج.ب.ب.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٣٨، المتن الشمالي، لبنان.



Courtesy: The Armand Hammer Collection

"على أديم ال[illegible]" [illegible]

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨، صفر - ربيع الاول ١٤٠٩

المختار

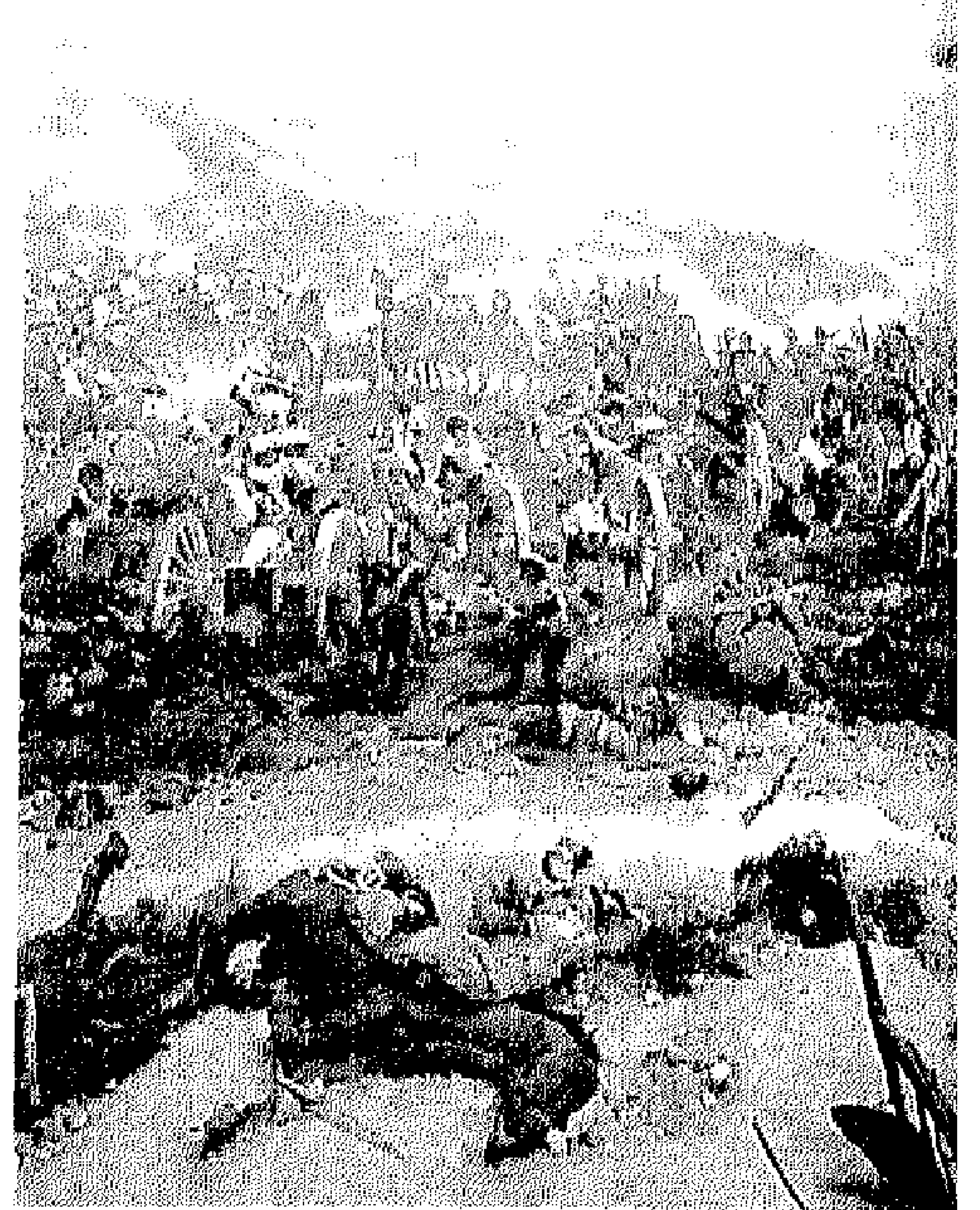


من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest October '88 N° 119

لوحات ساحرة

(ص ٦٥)



الروك يفسد الشباب

(ص ٩)

أخطر ريجيم

(ص ٣٢)



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

October 88 N° 119 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

ثمن العدد

بنان ١٠٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
لسعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٦ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –
ونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

الربح الكبير بانتظارك

$ مليون دولار كندي $

اشترك باليانصيب الكندي الشهير

– لوتو ٦/٤٩ –

ملايين الناس ربحوا سابقاً! – تجاوزت الارباح حتى اليوم مليار دولارا – الآن يمكنك الاشتراك في اليانصيب الذي يجعل من الكثيرين أصحاب ملايين! يجرى سحبان اسبوعياً على جائزة كبرى حدها الادنى مليون دولار كندي.

اشترك اليوم! هاك الطريقة:

١ – اختر ٦ من ٤٩ رقماً متيسراً على كل من شبكات اللعب ادناه – يمكنك الاشتراك في الشبكات الست اذا شئت. ٢ – اختر مدة اشتراكك (اشارة الى السحوبات الاضافية المجانية الخاصة). ٣ – املأ القسيمة ادناه باسمك وعنوانك ثم ارسلها مرفقة بقيمة الدفع الى العنوان الآتي، وها انت في الطريق الصحيح!!!

Canadian Overseas Marketing
P.O Box 48120. Suite 1703-595 Burrard St.,
Vancouver, B.C., Canada V7X 1S4
Telex 04-507822

"هذان الزوجان أسعد ١٣،٨٩٠،٠٥٨٨،٨٠ دولارا أكثر لأنهما اشتركا في لوتو ٦/٤٩ – انضم اليهما في دائرة الرابحين – اشترك اليوم!!"

وعندما تربح!

سوف تتبلغ فوراً نبأ فوزك بعيد ربحك جائزة الف دولار او اكثر، كما انك ستتسلم لائحة كاملة بكل الأرقام الرابحة بعد كل عشرة سحوبات لكي تتمكن من التدقيق في الأمر. بعيد اكتمال اشتراكك يرسل اليك كشف نهائي بأرباحك.



كل أموال الجوائز تحول الى العملة التي تختارها انت وترسل اليك حيثما كنت في العالم.

هكذا توزعت الجوائز عندما ربح آل كيل (الصورة الى اليمين) جائزة لوتو ٦/٤٩ الكبرى

الجوائز	عدد الجوائز	قيمة الجائزة
الجائزة الاولى ٦ من اصل ٦ ارقام مسجلة	١	١٣،٨٩٠،٠٥٨٨،٨٠ دولارا
الجائزة الثانية ٥ من اصل ٦ ارقام زائد الرقم الاضافي	١٠	٤٤٣،٤٨١،٦٠ دولارا
الجائزة الثالثة ٥ من اصل ٦ ارقام	٧١٦	٢،٧٠٤،٧٠ دولارا
الجائزة الرابعة ٤ من اصل ٦ ارقام	٤٨،٩٤٢	١٣٩،٣٠ دولارا
الجائزة الخامسة ٣ من اصل ٦ ارقام	٩٦٥،١١٢	١٠،٠٠ دولار
مجموع عدد الجوائز ١٠٠١٤،٧٥٨		مجموع قيمة الجوائز ٢٧،٤٤٣،٣٢٨،١٠ دولار

(*) كل الجوائز مسعرة بالدولار الكندي

الجوائز الاولى والثانية والثالثة والرابعة تحتسب كنسبة مئوية من مجموع أموال الجوائز. وبما أن هذا المجموع يتقلب من سحب الى آخر فان حجم الجوائز سوف يختلف عما هو في اللائحة اعلاه.

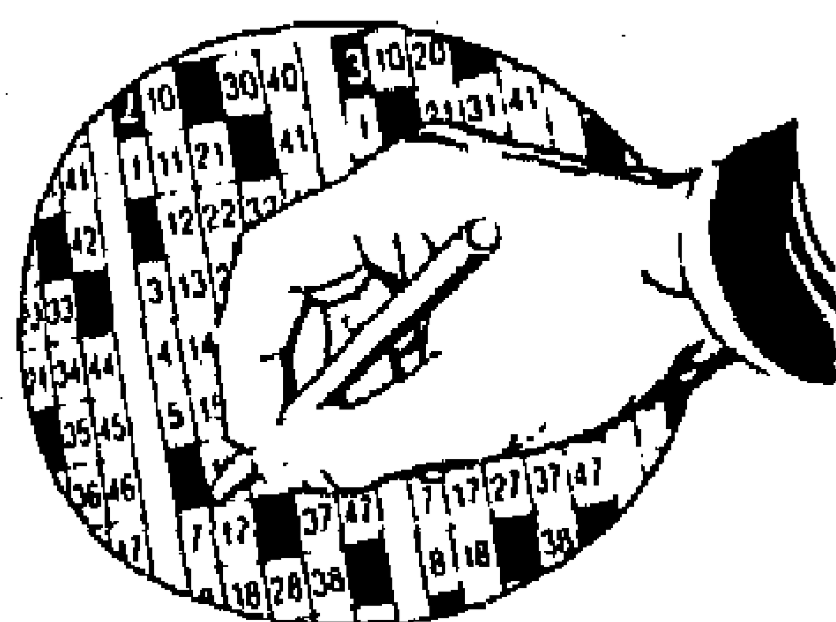
اشترك اليوم!



LOTTO 6/49 SUBSCRIPTION ORDER FORM

ORDER TODAY!

Mark six numbers on each game board you wish to play.



PICK YOUR PLAN — *Check only one box below next to the option of your choice. ALL PRICES IN U.S. FUNDS*

FREE BONUS ►	10 Weeks (20 Draws)	26 Weeks (52 Draws) INCLUDES 2 DRAWS FREE	52 Weeks (104 Draws) INCLUDES 4 DRAWS FREE
1 Game	[ ] $ 45.	[ ] $112.	[ ] $ 225.
2 Games	[ ] $ 90.	[ ] $225.	[ ] $ 450.
3 Games	[ ] $135.	[ ] $337.	[ ] $ 675.
4 Games	[ ] $180.	[ ] $450.	[ ] $ 900.
5 Games	[ ] $225.	[ ] $562.	[ ] $1125.
6 Games	[ ] $270.	[ ] $675.	[ ] $1350.

VALID ONLY WHERE LEGAL   WC 12

CANADIAN OVERSEAS MARKETING ORDER FORM

EACH BOARD = 1 GAME MARK 6 NUMBERS ON EACH BOARD YOU WISH TO PLAY

1	10	20	30	40	2	10	20	30	40	3	10	20	30	40	4	10	20	30	40	5	10	20	30	40	6	10	20	30	40
1	11	21	31	41	1	11	21	31	41	1	11	21	31	41	1	11	21	31	41	1	11	21	31	41	1	11	21	31	41
2	12	22	32	42	2	12	22	32	42	2	12	22	32	42	2	12	22	32	42	2	12	22	32	42	2	12	22	32	42
3	13	23	33	43	3	13	23	33	43	3	13	23	33	43	3	13	23	33	43	3	13	23	33	43	3	13	23	33	43
4	14	24	34	44	4	14	24	34	44	4	14	24	34	44	4	14	24	34	44	4	14	24	34	44	4	14	24	34	44
5	15	25	35	45	5	15	25	35	45	5	15	25	35	45	5	15	25	35	45	5	15	25	35	45	5	15	25	35	45
6	16	26	36	46	6	16	26	36	46	6	16	26	36	46	6	16	26	36	46	6	16	26	36	46	6	16	26	36	46
7	17	27	37	47	7	17	27	37	47	7	17	27	37	47	7	17	27	37	47	7	17	27	37	47	7	17	27	37	47
8	18	28	38	48	8	18	28	38	48	8	18	28	38	48	8	18	28	38	48	8	18	28	38	48	8	18	28	38	48
9	19	29	39	49	9	19	29	39	49	9	19	29	39	49	9	19	29	39	49	9	19	29	39	49	9	19	29	39	49

Make Cheque or Bank Draft (in U.S. Funds) payable to: **Canadian Overseas Marketing** and Mail to: P.O. Box 48120, Suite 1703-595 Burrard St Vancouver, B.C., Canada V7X 1S4

Name ____________ Telephone and Area Code ____________

Address/P.O. Box ____________

City ________ Country ________ Zip Code ________

☐ Cheque [ ] Bank Draft [ ] [ ] [ ] Expiry Date ________

Credit Card Number ____________ Signature ____________

يوماً بعد يوم نشعر ان فكرة العائلة
لم تعد في عالمنا ما كانت ايام آبائنا واجدادنا

عائلتنا ثروتنا

قبل بضعة اعوام في سان ماركوس بولاية تكساس اجتمع ٤٨ شخصاً من الاقارب جاؤوا من عشر ولايات مختلفة للاحتفال بالذكرى الخمسين لزواج والديّ. فحملني وجودي مع هذا العدد الغفير من الانسباء على التأمل في معنى "العائلة،" وذكرني خصوصاً بأن وجود العائلة يختلف كثيراً عن عدم وجودها.

يعتقد كثيرون منا ان "العائلة" اسلوب عيش تخطاه الزمن. فبالكاد نحتمل اهلنا في زياراتنا النادرة لهم. كما أننا لا نتفهم اولادنا بل نشعر بأمان اكثر عندما نكون بصحبة اصدقائنا وزملائنا.

وعلى رغم كل شيء، فإن عائلاتنا تعرفنا منذ نعومة اظفارنا، فعمي آيفري علمني اول كلمة تلفظت بها وهي كلمة "لا." وتلقيت الصفعة الاولى من عمتي كاترين عندما انذرتني قائلة: "ان لم تكف عن البكاء فسوف تنال ما يبكيك حقاً." والى العم آيفري والعمة كاترين كان لوالدي ثلاث اخوات واخ واحد. وقد نشأوا جميعاً

Illustrations: Lynn Renee Cutler

ي ماريون بولاية كنتكي في منزل ضخم
ؤلف من طبقتين ويحتوي على خمس
رف نوم. وكان في المنزل درابزين
نزحلق عليه وخزانة قطنيات نختبىء
اخلها وصندوق مصنوع من خشب الارز
ملوء دمى خزفية مكشرة، بالاضافة الى
ظيرة التهمتها النيران في الصيف
لذي اتممت فيه سنتي العاشرة.

ونحن اولاد الاعمام والعمات والخالات
انت لنا حرية التطواف في ذلك
لمكان عندما كنا
صطاف



...هناك. وكنا نجلس
...حول اعمامنا وعماتنا
...الى قصصهم وعما كانوا يفعلونه
ي طفولتهم، ومنها كيف انه في احدى
لمرات كاد العم آيفري ان يقطع ثلاثاً
ن اصابع اخته لويز بضربة فأس، وكيف
نه كان يلعب ووالدي لعبة غرز السكين
ي الارض فنال والدي جرحاً في رأسه
سببته رمية السكين فخرج والدم يغطي
وجهه. واثناء الحديث كان الرجلان
يجلسان على الارض ويتناقشان في اصول
تلك اللعبة.

ومن تقاليد عائلتنا احترام بعضنا بعضاً فلا يتفوه احد بالسوء تجاه احد. فبعدما تزوج العم إد من امرأة مطلقة لم يعد لماضي هذه السيدة اي ذكر على الاطلاق، وعندما أدمن زوج العمة فرجينيا الكحول، عمل الذين لا يشربون على الاهتمام به معتبرين وضعه مشكلة عائلية.

تاريخ حافل – مرت عشرون عاماً او اكثر على آخر لقاء واعمامي وعماتي قبل أن ألتقيهم مجدداً ذلك الصيف في سان ماركوس. وعلى رغم ذلك فقد بدوا لي جميعاً كما كانوا في الماضي. فالعمة مارتا، وهي عالمة نفسانية صغيرة الجسم، ما زالت على اناقتها بشعرها الجعد وقميصها الحريري ذي اللون الارجواني الرائع. اما لويزا الصغرى وقد بلغت السادسة والستين، فبدت محافظة على ابتسامة الفتاة الصغيرة الطيبة الحلوة التي أذكر على رغم سنوات تعليم الرياضيات في اصعب اقسام ديترويت بولاية ميشيغن. وقد تقاعدت كاترين، الاكبر سناً، وهي في الثمانين بعد خمسين عاماً قضتها في التدريس وادارة الرحلات الى اوروبا، وقد كانت ترغاني لكي تجعل مني شخصاً مؤدباً.

والأعمام ايضاً لم يتغيروا، سوى انهم تخلصوا من سمنتهم. فوالدي كان تخلص



من ١٤ كيلوغراماً وعاد الى الوزن الذي كان عليه يوم تزوج. وتأنق عـمـي إد مـن اجـل زوجته الثانية. اما العم آيفري المفضل لدينا جميعاً فكان يبـدو نحيـلا ولكن لسبب يـدعـو الى الحزن هو أنه كان يعاني سرطان العظم.

إن الفرق الرئيسي بين ما كان عليـه اعمـامي وعمـاتي ذلـك اليوم وما كانوا عليه في الماضي، هو فكرة الموت التي استحوذت على تفكيرهم. فالموت لم يعد موضوعاً يعني اهلهم فحسب بل امراً يواجه الاخوة والاخوات مباشرة. ومنذ لقائي اياهم للمرة الاخيرة، توفيت شقيقتهم فيرجينيا، ودفن إد زوجته الاولى وترملت الشقيقات الثلاث الباقيات. وقبل لقاء العائلة هذا، كتب آيفري الى كل منا خبره عن مرضه، اما خلال اللقاء فظهر ...ة خلواً من الألم وقد استعاد تفاؤله، ... كان يتناول هورموناً انثوياً. وكنا جميعاً نمازحه باستمرار لتعاطيه هذا الهورمون، ولكن في خلفية المزاج كمنت قناعتنا بأن هذه الزيارة قد تكون الاخيرة التي تجمعنا به.

على اي حال، نحن اولاد الاعمام، لم نكن نفكر في الأبدية. فقد كنا جميعاً منـهمكين نحاول اثبات وجودنا في عالم لا يشبه عالم اهلنا.

وفي الوقت ذاته، كنا نريد ايضاً ان نفهم أهلنا على حقيقتهم. فكل منا كان يعلم نبذات قليلة مبنية على احاديث كانت تدور بينهم او قصص قديمة تروى عنهم، فحاولنا ان نجمعها في وحدة متكاملة.

لقد تحدثنا حول ما يعني التحدر من جدة انجبت تسعة اولاد، فدفنت اثنين منهم وغرست في الباقين حبها للعلم في زمن لم يكن تحديد النسل امراً اختيارياً، ومن جـد غضـوب عمـر حتى الـرابعـة والتسعين.

اولويات الحياة - في اللقاء، كما في العائلة، كنا نحن اولاد الاعمام والعمات نؤلف الجيل الوسط. فقد نشأنا على أهمية حسن السلوك والاخلاق وعلى مثل الزواج الأحادي الذي يستمر مدى الحياة وعلى ان العلم يأتي في الدرجة الاولى



ومحبة الاقارب في الدرجة الثانية. وبما أن الكثيرين منا كانوا مطلقين، فقد ظن اهلنا أننا انحرفنا عن تعاليمهم ولم يستطيعوا فهم تطلعاتنا الجديدة. وفي المقابل اعتبر اولادنا أن ما ننتظره منهم فائق القسوة وكثير التطلب.

أما هم، أي الجيل الثاني من ابناء الأعمام، فاعجبوا بعضهم ببعض على الفور. وهذا ليس امـراً مـسـتـهـجـنـاً. فنحن قاسمهم المشترك. فقد مارسوا السباحة واكتسبوا سمرة من اشعة الشمس واصطادوا السمك واطعموا الاوز حبـات الـذرة. أمـا الاطفـال فبـدلت حفاضاتهم وعلقت إبنة الأربع سنوات طعماً في صنارة صيد ابن عمها.

كان الاخوة والاخوات يلتقطون الصور محاولين جمعنا باستمرار والتعرف الينا من طريق تشبيه الواحد بالآخر. وكنا بـالفعـل نشبـه بعضنـا بعضـاً، اهلا واحفاداً، وقد اثبت لهم ذلك انه لم يضع شيء منهم البتة بل انتقل من فرد الى آخر.

انتهى الاحتفال بمأدبة تصدر خلالها الاخوة والاخوات المائدة الرئيسية. وقد شعرنا حقاً بإلفة المنزل الابوي عندما قبل العريس العروس ودخلا في جدل حول طريقة تأدية العريس لاغنية عزفت في عرسه، وعندما تسلمت والدتي نسخة مكبرة لصورة عرسهما لم تبد اعجابها بها، تماماً كما فعلت في المرة الاولى.

نحن اولاد الاعمام راقبنا كل ذلك واخذنا عبرة عن معنى العائلة، مدركين ان دورنا سيأتي لاحقاً وان كل فرد من هؤلاء الـذين يجلسـون الى المـائـدة الرئيسية كان يوماً في العاشرة من عمره يلعب، وان كل فرد منا سيصبح وحيداً في يوم ما.

وتخيلت نفسي مع شقيقاتي الثلاث في لقاء مستقبلي فإذا به تماماً مثل هذا اللقاء. ستكون هناك الاشياء عينها بيننـا: الحب والخصومات القـديمـة، التعاطف والروابط المفقودة.

واخيراً عندما قطع المحتفى بهما، تشارلز وإفلين، قالب الحلوى الابيض والاصفر، وقفنا جميعاً لنشرب الشاي المثلج نخب احتفالهما بعيد زواجهما وبكينا للروابط التي تشدهما ولتلك التي تربط بيننا جميعاً.

شلبي هيرون ■

إسم جديد

في عالم ساعات الكوارتز المقاومة للما[ء]

تقدم سيتزن ساعة اليد الجديدة فاروس متألقة عبر
مياه الزمن ، والتي تتميز بشكلها الخلاب وبمقاومتها للماء حيث تجمع
بين الجودة ودقة الكوارتز التي تتوقعها من روّاد صناعة الساعات في اليابان . إختر تشكيلتنا الواسعة
الموديلات النسائية والرجالية .

PHAROS

فاروس



AF2016-55F

AF2012-56P



AF1012-51J



CITIZEN

الروك الصاخب يفسد أولادكم

ثمة من يعتقد ان موسيقى الروك الصارخة مؤذية وتدفع الى ما ينافي الاخلاق

كيف تؤذي الروك المريعة أطفالنا؟

سأل بعض تلاميذ الصف السادس في احدى المدارس الابتدائية الامريكية استاذ الموسيقى عن معاني كلمات عدد من اغاني الروك. وكانت احدى هذه الاغاني لفرقة "فينوم"[١]، وقد بدت "رسالتها" واضحة على غلاف الاسطوانة: "يمتلكنا الشر، نطلب موتك يا (...) ونجلس الى يسار (...) الشيطان." وفي البوم آخر يدعى "الجحيم في الانتظار"[٢] لفرقة "سلاير"[٣] تعظم كلمات الاغنية"الرغبة الجامحة الى اللحم النتن."

حاول الاستاذ مايكل والي (٤٣ عاماً) تفسير الكلام باسلوب لطيف. وفي اليوم التالي اتصل جمع من الاهالي بمدير المدرسة ساخطين بشدة على استاذ بحث في "الشيطان واشتهاء الموت" مع اولادهم.

لا شك في ان اولئك الاهالي الغاضبين لم يصغوا يوماً الى الاسطوانات التي يشتريها اولادهم. وكالكثيرين من البالغين، لم يتنبهوا الى ان بعض اغاني

(١) Venom
(٢) Hell Awaits
(٣) Slayer

الروك الحالية يمجّد كل ما في السلوك المنحرف بدءاً بالاغتصاب وسفاح القربى واللواط وانتهاءً بالمازوشية والسادية والشهوات البهيمية، وبكلمات تصويرية لا يجوز طبعها هنا. وتحثّ اغنيات اخرى على احتساء الكحول وتعاطي المخدرات وتعظم الموت والثورة العنفيّة ابتداءً بكراهية الاهل والمعلمين وصولاً الى الانتحار، وهو اقصى فعل عنفي يرتكبه المرء ضد نفسه وتنهى عنه كل الديانات السماوية.

اما الاهل الذين لا يعون مضمون بعض الاغنيات، فيميلون الى قبول الحاج صغارهم: "لا احد يصغي الى الكلمات. اننا نحب النغم فقط." أو انهم يعتقدون ان اقلية صغيرة من المراهقين تشتري تلك الاسطوانات. لكن الاعتقادين عاريان من الصحة.

ملء الفراغات - "رؤيا المراهقين"، وهي مؤسسة لا تتوخى الربح في بنسلفانيا تقوّم الموسيقى ووسائل الاعلام، وجدت مواد قذرة وفاحشة في نسبة قد تصل الى ثلث موسيقى الروك الامريكية الرائجة والتي شملها التقويم. وبما ان الدراسات اظهرت ان المراهق الامريكي العادي يمضي اربع ساعات يومياً مصغياً الى موسيقى الروك، فمن الواضح اننا لا نعالج ظاهرة ثانوية لا اهمية لها.

جال مؤسس "رؤيا المراهقين" ومديرها بوب ديموس في ٣٠ ولاية امريكية متحدثا الى الاولياء والمعلمين والاولاد، وهو كان في ما مضى موسيقياً ومقدماً لبرنامج اذاعي يروّج للاغاني المسجلة. ومن خلال الاستمارات الاختبارية التي وزعها على تلاميذ المدارس الابتدائية، اكتشف انهم لا يحفظون الكلمات فحسب بل غالبا ما يفهمونها ويعملون بموجبها! ومثالاً على ذلك، ورد سؤال عن عنوان ناقص لاغنية شعبية لسامنتا فوكس[٤] "المسني، اريد (...) " وركز السؤال على هذه الكلمة الناقصة فعرف ثمانون في المئة من تلاميذ الصف الرابع ان الكلمة هي "جسدك." كذلك امكنهم مرافقة جورج مايكل[٥] في غناء قراره الايقاعي "اريد الجنس منك".

أحد أهداف "رؤيا المراهقين" هو توجيه الاولاد اخلاقياً ومساعدتهم في اختيار ما يقبلون به وما يرفضونه. ويقول ديموس: "لا يكون الامر سهلاً بوجود دعوة الى قبول كل شيء."

يجني مروجو هذه الموسيقى ارباحاً طائلة. فـ "ألبوم" برنس[٦] "الشتاء الارجواني"[٧]، الذي فاز بجائزة "غرامي"، بيع منه اكثر من ١٤ مليون نسخة.

اطلق النار على دماغي - يُعنى الخبراء جدياً بتأثير هذه الاغنيات على التطور الجنسي الطبيعي عند الاطفال. فقد درس الدكتور ل.د. تاشجيان، رئيس قسم الطب النفسي في احد مستشفيات فيلادلفيا ببنسلفانيا، تأثيرات موسيقى

---

(٤) Samantha Fox

(٥) George Michael

(٦) Prince

(٧) Purple Rain

الروك على الاولاد. وهو يقول في ذلك: "نصادف اطفالاً في السابعة والثامنة من العمر يصغون الى اغنيات تمجّد السادية والعبودية والشهوات البهيمية، وفي هذه السن الحساسة يمكن ان تسبب هذه الافكار انحرافاً خطيراً في توجههم الجنسي. فالطفل الصغير أو الشاب القابل للاضطراب هما عرضة لتأثيرات عميقة وخطيرة." ويضيف جو ستوسي، استاذ النظرية الموسيقية في جامعة تكساس في سان انطونيو: "هناك عنصر جديد في الموسيقى هو روح حقارة متمثلة في كراهية واضحة لم تكن ظاهرة في عهود الروك السابقة." ويقارن اغنية شاك بيري[٨] العاطفية "ايام المدرسة"[٩] حيث يبدو المغني محيطاً المراهق بذراعه وهو يقول: "ادرك شعورك يا صديقي" باغنية واسب[١٠] "دوار المدرسة"[١١] ورسالتها العنيفة: "احرقوها!"

وفي طليعة مؤيدي "الروك الحقير،" فرق الروك الصاخب. وكانت بداية هذا النوع من الروك في الستينات (مع ليد زيبلين)[١٢] على هامش سوق الاسطوانات فاصبح اليوم اتجاهاً سائداً فيها. ويقول ديموس: "يعتمد قرابة ٦٠ في المئة من كلام اغنيات الروك الصاخب، حسب الابحاث التي اجريناها، على معانٍ هدّامة أو محبطة أو قذرة." ويضيف العالم النفسي روبرت دمسكي رئيس هيئة مستشفى لوريل ريدج في سان انطونيو بتكساس: "يصعب محو ما نتعلمه في الصغر. فبالتعرض المتكرر للسخرية والكراهية والهدم المشوش، خصوصاً في غياب التوازن الذي يحدثهما حب الوالدين وتوجيههم، تتحجر عاطفة الاولاد وتنطبع فيهم الوحشية والانحطاط الخلقي والفكري."

احد المواضيع الذي حاز اهتمام الروك المعاصر هو الانتحار. وتشير الاحصاءات الى ٦٠٠ ألف محاولة انتحار بين المراهقين في الولايات المتحدة كل عام. وحسب تقارير الخبراء ان عدداً كبيراً من الخمسة آلاف عملية انتحار سنوياً يرتبط بالضغط النفسي الذي تغذيه موسيقى الروك وكلماتها التي تمجّد العنف السادي واستعمال المخدرات إضافة الى الانتحار نفسه.

ليست هنالك، بالطبع، وسيلة لمعرفة ما إذا كانت عملية انتحار ما ستحدث حتى في غياب تأثير الروك. ولكن لا تسرّ بهذا الى والديّ جون ماكولم (١٩ عاماً) من انديو في كاليفورنيا. فقد ورد في تقرير المحقق حول وفاته انه "انتحر مطلقاً النار الى رأسه بمسدس من عيار ٢٢ ملم بينما كان يستمع الى موسيقى شيطانية." وجون الذي كان أمضى خمس ساعات مصغياً الى اسطوانات اوزي اوزبورن[١٣]، وُجِدَ وسماعتا ستيريو على اذنيه حين وفاته. وكان يستمع الى نصائح مثل "الانتحار هو السبيل الوحيد للخلاص" من اغنية "حل الانتحار"[١٤] و"أتستطيع مساعدتي؟ آه، اطلق النار

(٨) Chuck Berry
(٩) School Days
(١٠) W. A. S. P.
(١١) School Daze
(١٢) Led ZeppeLin
(١٣) Ozzy Osbourne
(١٤) Suicide Solution

على دماغي... نعم، انصحك بإنهاء حياتك" من اغنية "مجنون الاضطهاد."[١٥]

الوعي الشعبي – كلمات الاغنيات هذه ليست وقفاً على الاسطوانات غير المألوفة أو المحلّات المخصصة للبضائع الاباحية، فهي متوافرة للصغار، من الاعمار كلها، في محلات بيع الاسطوانات في انحاء العالم وعبر جهاز الراديو واحياناً في شبكات الفيديو لموسيقى الروك.

ما العمل؟ الخطوة الاولى هي وعي الوالدين. ففي العام ١٩٨٥، اكتشفت سوزان بايكر زوجة امين سر وزارة المال في الولايات المتحدة، جايمس بايكر، ان الثقافة الجنسية لدى ابنتها البالغة من المر سبع سنوات "بدأت في سن مبكرة عبر الراديو الموضوع الى جانب سريرها." ولذا تحركت هذه الأم، وبالتعاون مع بام هوار وسالي نيفيوس وتيبر غور، زوجة السيناتور الامريكي البرت غور، وانشأت "مركز الوالدين للموارد الموسيقية" (PMRC).

وادت الدعاية التي اطلقها هذا المركز و"التحالف الوطني ضد العنف التلفزيوني" الى حمل اللجنة التجارية لمجلس الشيوخ الامريكي على عقد جلسات للتحقيق في مضمون موسيقى الروك في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥. ومنذ ذلك الحين، انخفضت نسبة العنف في أشرطة الفيديو الموسيقية. ولكن، كما تقول جنيفر نوروود المديرة التنفيذية في مركز الوالدين للموارد الموسيقية: "مع انحسار العنف، يزداد الجنس الاباحي وغير المتحفظ، وغالباً ما يبقى العنف."

وادى التحقيق الذي اجراه مجلس الشيوخ الى اتفاق مع الاتحاد الامريكي لصناعة الاسطوانات الذي يمثّل منتجي اكثر من ٨٠ في المئة من الموسيقى المسجلة. وقد وعد الاتحاد بان تطبع الكلمات التي تحتوي "مضمونا اباحياً" على الغلاف الخارجي للاسطوانة أو أن تحمل الاسطوانة تحذيراً بوجوب استشارة الوالدين قبل شرائها او سماعها.

ويشير تقرير مركز الوالدين عن الاسطوانات التي نشرت في الولايات المتحدة من يناير (كانون الاول) ١٩٨٧، الى ان اقل من نصف الاغاني الاباحية أو العنيفة حمل تحذيرات أو كلمات مطبوعة على الغلاف. وطبع التحذير على بعضها بخط صغير تصعب قراءته. بينما حوّل البعض الآخر التحذير نكتة: "تحذير: لا تستمع اليها اذا كنت برفقة احد الراشدين."

البدء في المنزل – معظم موسيقى الروك غير مؤذ، وقد اثبتت حفلات العرض الخيرية ان هذه الموسيقى قد تشكل قوة تخدم المجتمع. ولكن لا يسعنا الاستمرار في تجاهل العناصر الفاحشة والاباحية والعنيفة التي تنمو داخل تيار الروك الخفي. وهناك خطوات يستطيع الاهل اتخاذها.

وينصح مركز الوالدين بأن يبدأ العمل على ذلك في المنزل. وتعلق سوزان بايكر على الامر: "يتحمل الاولاد عبء تساهل الكبار. فعلى الوالدين التيقظ باكراً لما

(١٥) Paranoid

يجري مع اولادهما وفي عالمهم. وبدل ان يصرخ أحدهما: "اخفض تلك الضجة!"، فليصغ الى كلمات الاغاني ويبحث فيها مع اولاده في ضوء قيمه العائلية. فللوالدين ملء الحق في تقرير نوع "الرسائل" التي يبغيان بثها في بيتهما."

يقترح مركز الوالدين ايضاً التنبه الى وسائل الاعلام. وينصح بمراقبة محطات الاذاعة والتلفزيون المحلية. وفي حال بث أمور كريهة، يدعوك المركز الى ان تدون الكلمات أو المشاهد التي تثير الاعتراض واسم البرنامج وموعده والمؤسسة التجارية التي ترعاه، تمهيدا للاحتجاج الى مدير المحطة المحلي ورعاة البرنامج.

وهناك اقتراح آخر وهو القانون. إن لم يكن في منطقتك او بلدك تشريع يمنع بيع البضائع الفاحشة، طالب بتشريع قانون مماثل.

درس في الاعتراض – اثبت الأهل في سان انطونيو مدى تأثير الضغط الجماعي في الحقل الاشتراعي. فقد ارعبهم حضور الوف من الصغار في سن العاشرة تقريباً حفلات موسيقية لفرقتي "كِس"[١٦] و"واسب" وغيرهما من فرق موسيقى الروك الصاخب التي تعظّم الاجرام والسادية الجنسية والشهوات البهيمية والمخدرات. لذا في العام ١٩٨٥ اقنع الاهل مجلس المدينة بوضع قانون محلي، هو الاول من نوعه، يجبر الوالدين أو الاوصياء الشرعيين على مرافقة اولادهم الذين تقل اعمارهم عن الرابعة عشرة الى الحفلات الموسيقية التي تصور العنف والقذارة.

ويقول بوبي مولر رئيس "تجمع العائلات العاملة" ان تأثير هذا القانون كان فاعلًا. اذ تدنى حضور الصغار فعلياً وانحصر نشاط الحفلات الموسيقية في نطاق معين.

حتى ما يسمّى جيل الستينات الذي منح موسيقى الروك الدفع الاقوى، يفضّل سيطرة اكبر على هذه الموجة. وحسب استفتاء حديث اجرته مجلة "رولينغ ستون"، يرى ٨٠ في المئة من هذه الجماعة، ومعظمهم لديه اولاد الآن، ان لموسيقى الروك الحالية "تأثيراً سيئاً" على الجيل الصاعد. انهم يؤيدون وضع نظام تصنيفي للاسطوانات مشابه لذلك المتبع بالنسبة الى الافلام ويقول نجم الروك، بروس سبرينغستين[١٧]: "ان ما يجري في الموسيقى اليوم فاسد حقاً. فلنساعد اولادنا على قذف تلك القذارة بعيداً."

بيغي مان ■

(١٦) KISS

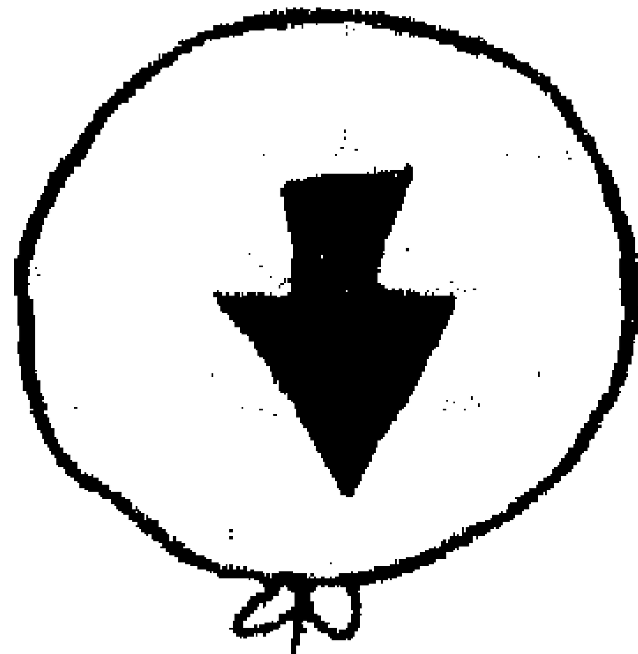
(١٧) Bruce Springsteen



لماذا التواضع؟

قال المسؤول عن اختيار موظفين جدد بعد قراءته استمارة طالب العمل: "ارى انك تعمّدت الّا تبدو متفوقاً."

د.

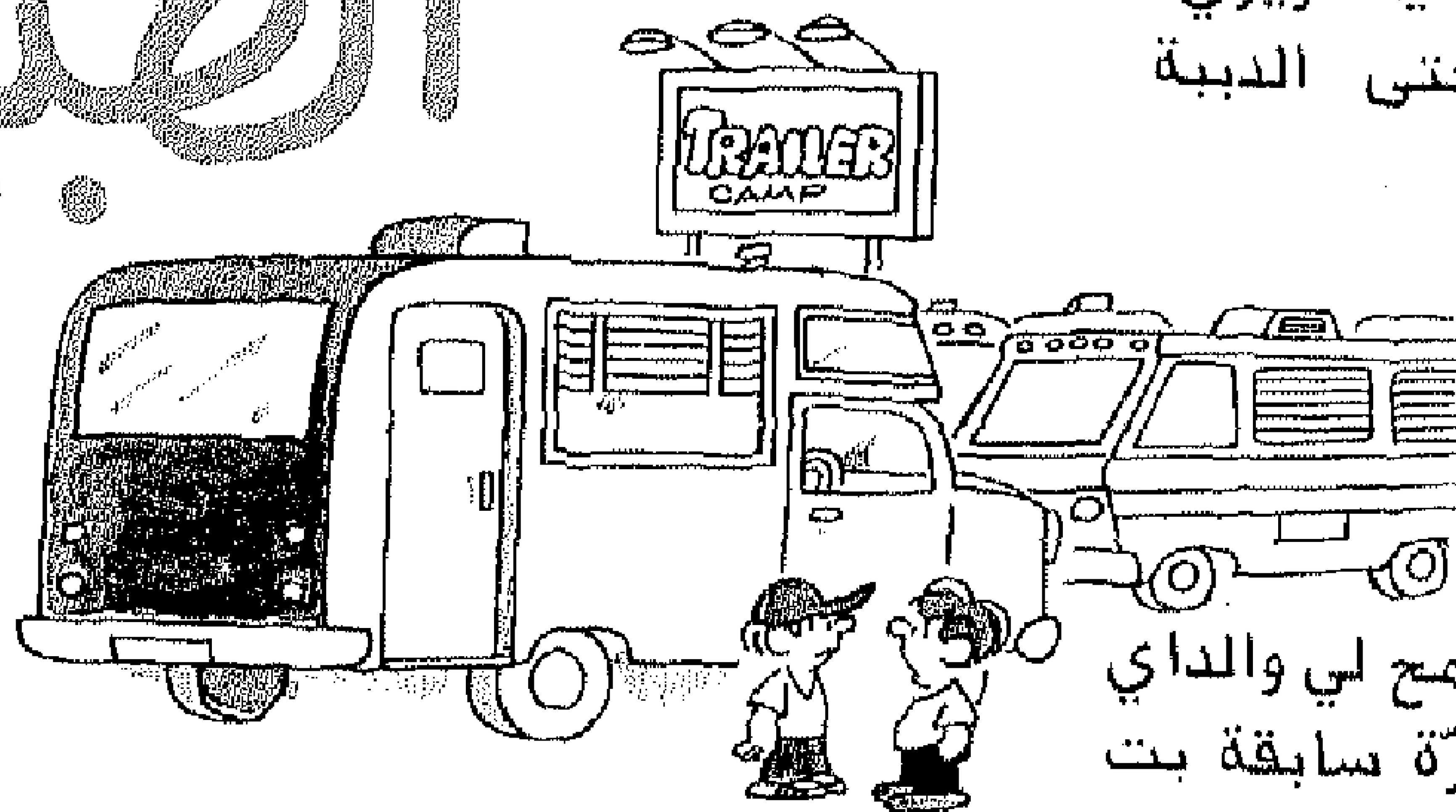


أحاديث الطبيعة



Bill Maul in Good Housekeeping

"هيا انهض، يا عزيزي، فقد نهضت حتى الدببة القطبية!"



"لا، لن يسمح لي والداي بذلك. ففي مرّة سابقة بت في قطيرة احد الأصدقاء وانتهى بي الامر في مقاطعة اخرى."

Busino in Good Housekeeping

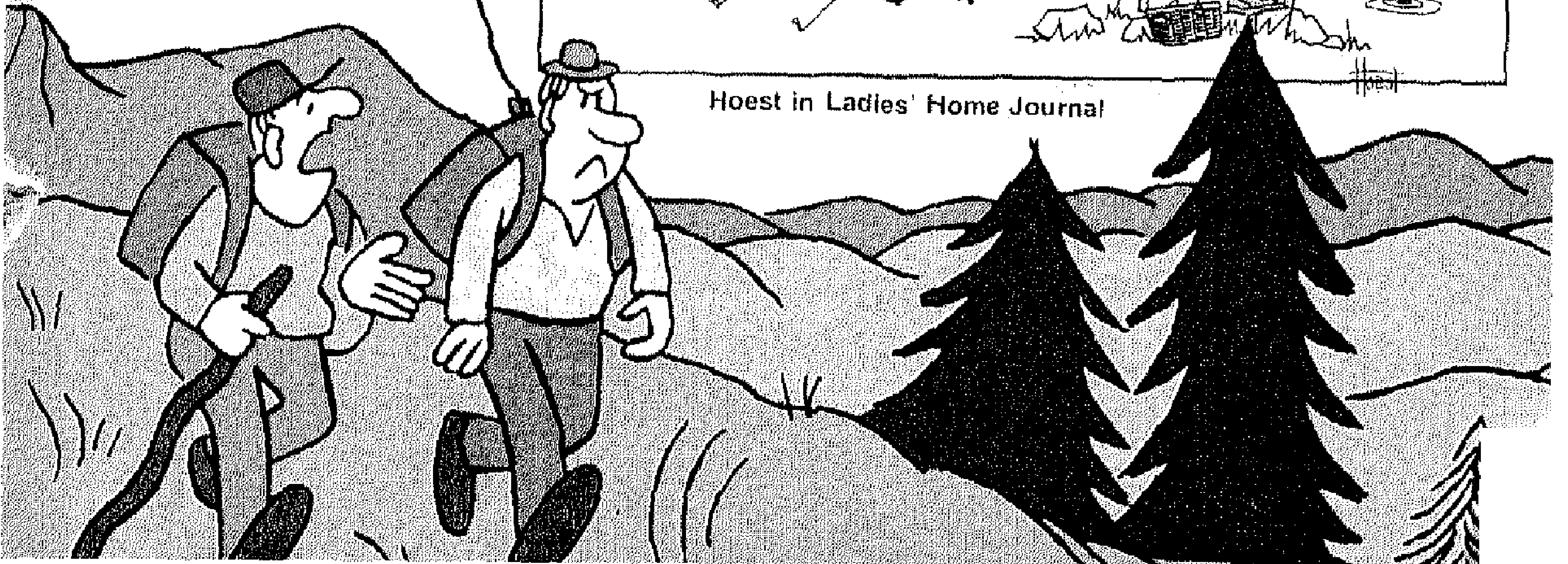
"في الحقيقة، لا يمكنك أن تلوم حارس الغابة يا سمير... فقد ضلل السبيل ثلاث مرات هذا العام."

Johns in Field and Stream



"تعال انظر، لقد غيرت ترتيب الأثاث."

Hoest in Ladies' Home Journal



ان كنت تعتقد أن العُسْر يختلفون عن سواهم، فانت على حق.
انهم بالفعل مختلفون
وقد بدأ العلماء يفهمون ذلك

أنتَ أعسَرُ؟ إذاً أنتَ عَبقَريّ!

تخيّل نفسك عائشاً في اسطورة "اليس في بلاد العجائب"، تعبر المرآة ثم فجأة تجد كل شيء معكوساً امامك: مقابض الابواب، مغيّر السرعة في السيارة، مماسك فتّاحات العلب والزجاجات. كل شيء في غير مكانه المألوف.

ملايين الناس يجدون انفسهم في مثل ذلك الوضع كل صباح. إنهم العسر الذين كتب عليهم ان يعيشوا في عالم صُمّم بتحيّز واضح لمصلحة اليمن الذين يشكلون الغالبية.

لماذا يستعمل بعض الناس يمناهم وبعضهم الآخر يسراهم؟

الجواب عن هذا السؤال لا يزال من الالغاز المهمة التي لم يتوصل العلم الى حلّها بعد. لكننا نعلم ان اثنين من كل ثلاثة عسر هم من الذكور ونعلم ايضاً ان العسر صفة تتكرر في العائلات ذاتها. وفي احدى الدراسات ان الزوجين "العسراويين" يرزقان اولاداً نصفهم تقريباً اعسر. ولكثرة ما انجبت عائلة كير (من كلمة ايسر في اللغة الغيليّة) الايرلندية – الاسكوتلندية، من ابناء عسر، إضطرت في العام ١٤٧٠ الى جعل السلالم اللولبية في قصرها في الاتجاه المعكوس تسهيلاً لتنقّل العسر من حملة السيوف.

من جهة اخرى، لا يمكن تفسير العسر على اساس الوراثة وحدها اذ ان ٨٤ في المئة من "العسراويين" يولدون لاباء وامهات يمن. والى ذلك فإن في ١٢ في المئة من

Illustrations: Joe Ciardiello

التوائم المتماثلين هناك واحد اعسر وواحد ايمن في كل توأمين.

وربما كان اللغز الأهم ليس لماذا هناك اناس عسراويون بل لماذا هم قلّة. والواقع ان الكائنات الاخرى من مختلف الفصائل تتوزع بالتساوي بين من يفضل استخدام اليد اليمنى ومن يفضل استخدام اليد اليسرى. ولقد بدأ العلماء يفهمون الطرائق المتعددة التي يختلف فيها العسراويون عن سواهم وذلك من طريق دراسة نمط عمل الدماغ.

ان عدداً كبيراً من دارات الجهاز العصبي البشري تعمل على نحو متصالب، اي ان اليد اليمنى موصولة بـ "بسلك" بالجهة اليسرى من الدماغ، والعكس بالعكس. ومركز الكلام عند ٩٥ في المئة من الاشخاص اليمن هو في الجهة اليسرى من الدماغ. لكن العسراويين ليسوا "موصولين" على هذا النحو إذ ان مركز الكلام موجود في النصف الايمن من الدماغ لدى ١٥ في المئة منهم فقط. ويرى الاختصاصي بعلم النفس الاحيائي في جامعة شيكاغو جير ليفي، ان النصف الايسر من الدماغ هو مركز اللغة والكلام لدى ٧٠ في المئة من العسراويين، اما في الـ١٥ في المئة الباقية فإن في كل جهة من الدماغ مركزاً للكلام.

العالم حائر – يعتقد بعض العلماء عموماً ان الجهة اليسرى من الدماغ هي التي تتولى معالجة المعلومات المنطقية المتسلسلة، فيما تميل الجهة اليمنى الى معالجة العواطف والامزجة، وهذا هو



السبب في كون العسراويين اكثر تعرضاً من سواهم لامراض الفصام والرهاب والسويداء. ولقد اظهرت إحدى الدراسات انهم يتعرضون ثلاث مرات أكثر من سواهم لمحاولات الانتحار.

ويُظهر العسراويون حساسية اكبر ازاء بعض العقاقير. ولقد بيّن بيتر إروين الأختصاصي بالابحاث العلمية في مؤسسة "ساندوز" في نيوجيرزي، انه لدى تناول المرضى انواعا من العقاقير مثل الاسبيرين والمسكّنات وعقاقير اخرى ضد الحساسية والاكتئاب، تظهر عند العسراويين تغيرات في النشاط الكهربائي اكثر مما عند اليمن. وكأن ذلك لا يكفي، إذ انهم يتعرضون مرتين اكثر من سواهم للاصابة بالامراض المتصلة بالمناعة الذاتية بما في ذلك السكّري وتقرّح الامعاء والتهاب المفاصل الرثيائي والوهن العضلي الشديد.

فاذا كان العسراويون يتعرضون لكل تلك الاخطار والعوائق فكيف تراهم يتمكنون من البقاء والاستمرار؟

الجواب المفرح هو ان هناك جانباً مشرقاً في قضية العسر. ولقد عاينت كاميلا بنبو وهي طبيبة امراض عقلية برتبة استاذ مساعد في جامعة ايوا الحكومية، عدداً من الطلاب الذين حصلوا على علامات متفوقة جداً في الرياضيات في إختبار الجدارة المدرسية المعياري فوجدت ان ٢٠ في المئة من "عباقرة" الرياضيات هؤلاء كانوا من العسر، وان هذه النسبة تمثل ضعفي نسبتهم في المجتمع الدراسي. وفي تقدير جمعية المتفوقين "منسا" ان ٢٠ في المئة من اعضائها عسراويون.

والحقيقة ان جميع ما يسميه بعض الباحثين "الجهة اليسرى الاكثر عقلانية ومنطقاً" والجهة اليمنى "الاكثر شعوراً بالفن والارهف حدسا" ربما كان من الامور التي ساعدت العسراويين على التفوق في مجالات عدة.

عباقرة - من ابرز ابطال الحروب العسراويين في التاريخ: اسكندر الكبير ويوليوس قيصر وشارلمان وجاندارك ونابوليون (وزوجته جوزفين). ولقد نحت مايكل انجلو تمثال داود حاملا بيسراه المقلاع الذي قتل به غوليات الجبار.

وعلى رغم ان معظم الناس يعتقدون ان

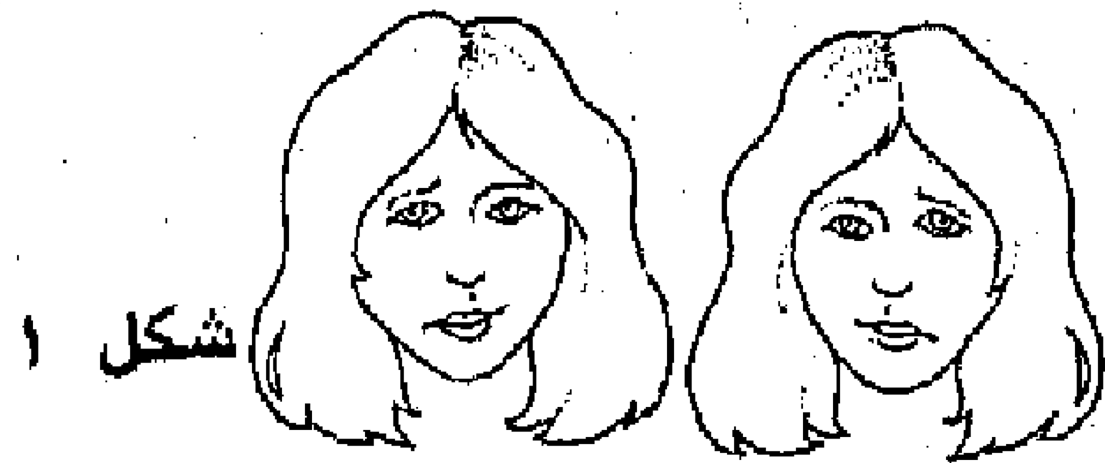


هَـل أنت أعسَـرُ أم أيـمَن ؟

ربما انت لست ايمن او اعسر بالمقدار الذي تظنّه. وربما انت واقع في الوسط، بين بين. هنا خمسة تمارين تساعدك على تعيين مكانك في المدرّج وهاك الشرح:

١ - نفّذ بالقلم رسماً جانبياً لحصان او لكلب.

٢ - ارسم دائرة بيدك اليمنى وضع سهما للاشارة الى الاتجاه الذي سلكته في الرسم. افعل الامر نفسه بيدك اليسرى.

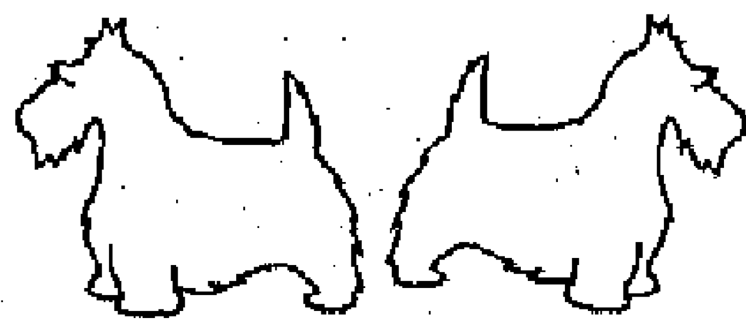


٣ - تمعّن قليلاً في الانف في الرسم الذي على اليسار وافعل الامر نفسه بالنسبة الى الرسم الذي على اليمين. اي الوجهين يبدو سعيداً اكثر؟

٤ - قص دائرة قطرها سنتيمتران في وسط ورقة بيضاء وامسكها بيديك الاثنتين وابعدها عن وجهك بمقدار ما تسمح به ذراعاك الممدودتان، سدّد نظرك الى شيء ما من خلال الثقب ولا تحد ببصرك عنه وانت تقرّب الورقة من وجهك لتلامس انفك. اين هو الثقب الآن، فوق اي عين؟

٥ - اغمض عينيك وتخيّل نفسك محتجزاً في غرفة وانت جالس في كرسي ويداك موثوقتان خلف ظهرك. امامك هاتف وهو طريقك الوحيد للنجاة. اي قدم تستعمل لتقرّب الهاتف منك؟

الشرح



١ - اليُمن اجمالا يرسمون الوجه متطلعاً الى اليسار فيما العسر يرسمونه متطلعاً الى اليمين. (الشكل ٢)

٢ - اليُمن يرسمون الدائرة عموماً عكس اتجاه عقارب الساعة. اذا انت رسمت أياً من الدائرتين في اتجاه حركة عقارب الساعة فانك تميل، على الارجح، الى العسر. اما إذا رسمت الدائرتين في اتجاه حركة عقارب الساعة فالمرجّح انك عسراوي.

٣ - الشكلان هما طبعاً صورتان في المرآة. نحو ٨٠ في المئة من الاشخاص اليمن يختارون الشكل ٢ لان صاحبه يبدو في نظرهم سعيداً اكثر. ومعنى ذلك انك إذا ركّزت نظرك على الانف فإنك التقطت الجانب المبتسم من الوجه بحقل بصرك الايسر الموصول بالنصف الايمن من دماغك. وفي الدراسة التي اجريناها، ٥٠ في المئة من العسر اختاروا الشكل ١.

٤ - إذا تراصف الشيء مع عينك اليمنى فأنت بين الـ ٨٠ في المئة الذين يرون بالعين اليمنى. والعين اليمنى تلتقط الشيء قبل اليسرى بلحظة. وإذا كانت عينك اليسرى هي المسيطرة فإنك تميل، بعض الشيء على الاقل، الى العسر.

٤ - معظم الناس يستعملون القدم اليمنى، كما اليد اليمنى، كما العين اليمنى. إذا كنت ايمن وتخيلت انك تحاول الوصول الى الهاتف بقدمك اليسرى، يمكنك ان تعتبر نفسك مزيجاً من اليمن والعسر او اعسر خائباً محبطاً.

ليندا لي وجايمس شارلتون في "الدليل"

العسر او اليمن مسألة بسيطة تنطوي على قدرة لدى المرء على استعمال احدى يديه دون الاخرى، إلا ان اعتقادهم هذا خاطىء. فقدرة المرء على العمل بكلتا يديه مدرّجة كالطيف. وهناك احتمال كبير لان يكون في استطاعة المرء ان يستعمل كلتا يديه بسهولة متساوية من دون ان يدري. وانت ربما كان في وسعك ان تكتب بيسراك بسهولة حتى وان كنت دائما ايمن.

وللتحقق من هذا الامر خذ ورقة كبيرة مطوية من الجانبين وضع قلماً في كل يد. وقّع اسمك بيدك اليمنى على الورقة ببطء وقلّد بيدك اليسرى كل حركة اتتها اليمنى على نحو معكوس مبتعداً بيديك الاثنتين معاً عن وسط الورقة وانت توقّع. بعد عدّة تجارب إحمل توقيعك المعكوس واعرضه امام مرآة ثم انظر اليه من خلالها وسيدهشك ان ترى الشبه الكبير بين التوقيعين.

ظلّ العسراويون لسنوات طويلة يظنون انهم مستهدفون وان هناك تمييزاً لغير مصلحتهم لكنهم بدأوا الآن ينتشبثون بحقوقهم. وفي العام ١٩٨٠ عندما صُرف ضابط الشرطة فرانكلين وودي ونبورن من عمله في ريفرسايد بولاية مونتانا، تظاهر من اجله عدد كبير من المتحمسين لقضيته وهو كان رفض وضع قراب مسدسه في الجهة اليمنى لخصره. وفي سياتل، أمر موظف في البريد يدعى روبرت ب. غرين بان يتقيّد بالطريقة المألوفة لفرز البريد والتي تقضي بان يحمل البريد بيسراه ويفرزه بيمناه. لكن غرين تمكّن من تسوية قضيته خارج المحكمة وسُمح له بمتابعة فرز البريد بيده اليسرى. ولقد اهتمت "الجمعية الدولية للعسراويين" في توبكا بولاية كنساس بالقضيتين وتابعتهما عن كثب. ويتساءل مؤسس الجمعية دين كامبل: "لماذا يُفرض على الاعسر ان يعيش في عالم مصمّم ليعيقنا؟"

لويل بونتي ■



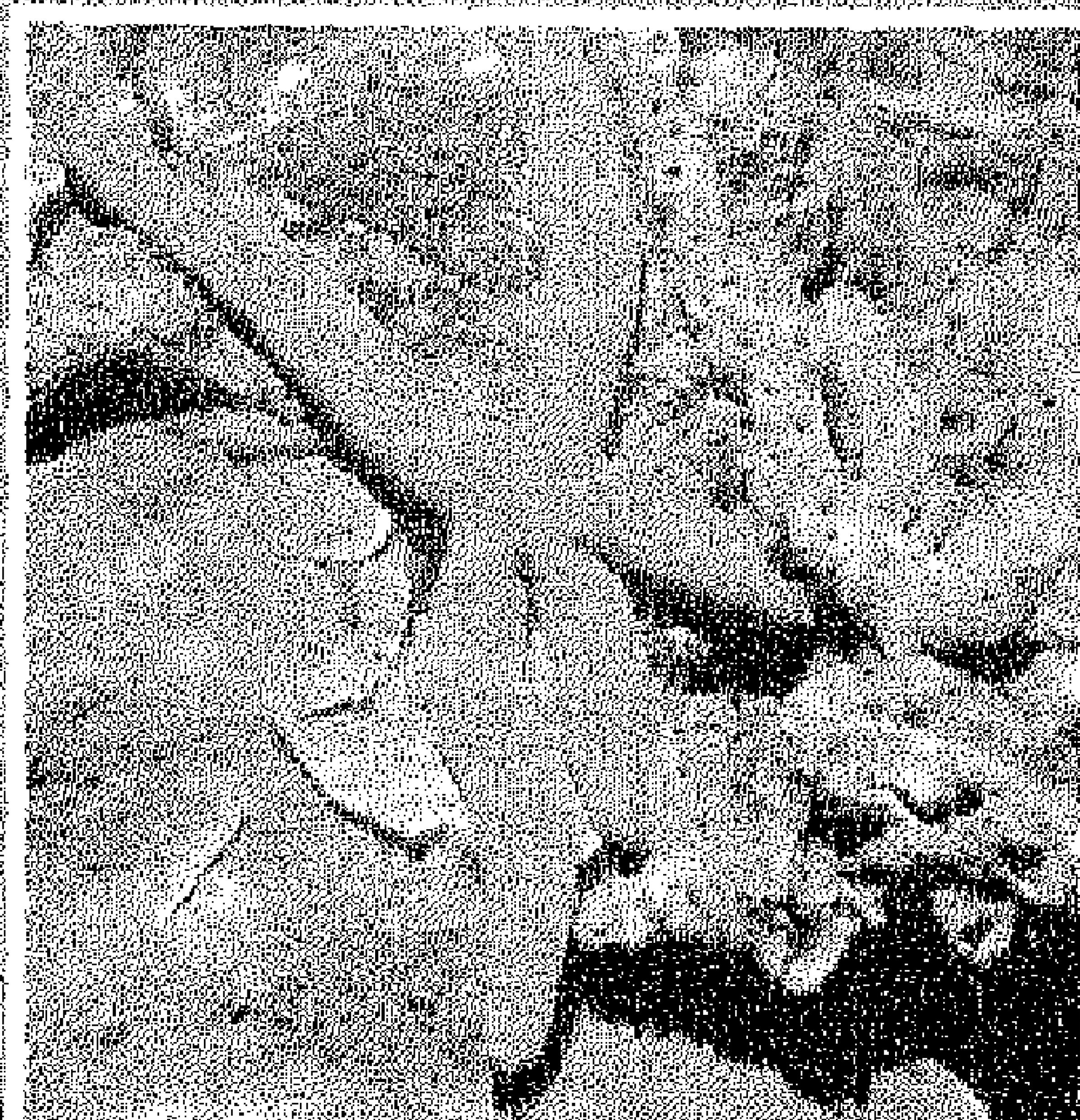
حماة في ثوب تمساح

في اطار النشاط المسرحي الذي يشترك فيه الموظفون امثالي مع الطلاب الثانويين، ساهمت في انتاج مسرحية "بيتربان" حيث فرض عليّ ان امثل دور تمساح. وكانت عائلتي في الصف الاول تراقب كيف ساظهر على المسرح ملتحفة جلد هذا الزحّاف بفكيه الكبيرين وذيله الذي يربو على المتر طولا. وفيما انا ازحف بارتباك خلف القبطان هوك سقطت عن خشبة المسرح الى ارضه، من دون ان اصاب باذى.

وما ان توقفت هتافات الجمهور الصاخب حتى سمعت صهري يقول لابنتي: "حان الاوان لننشىء عائلة. فكل الراشدين الآخرين هنا يراقبون اولادهم يمثلون؛ وانا، ابن الثلاثين عاما، ماذا ارى؟ حماتي تسقط عن المسرح في ثوب تمساح!"

ل.ك.

هور الحرب والسلام



نجمة بحر شوكية
تتحرك ببطء فوق المرجان.



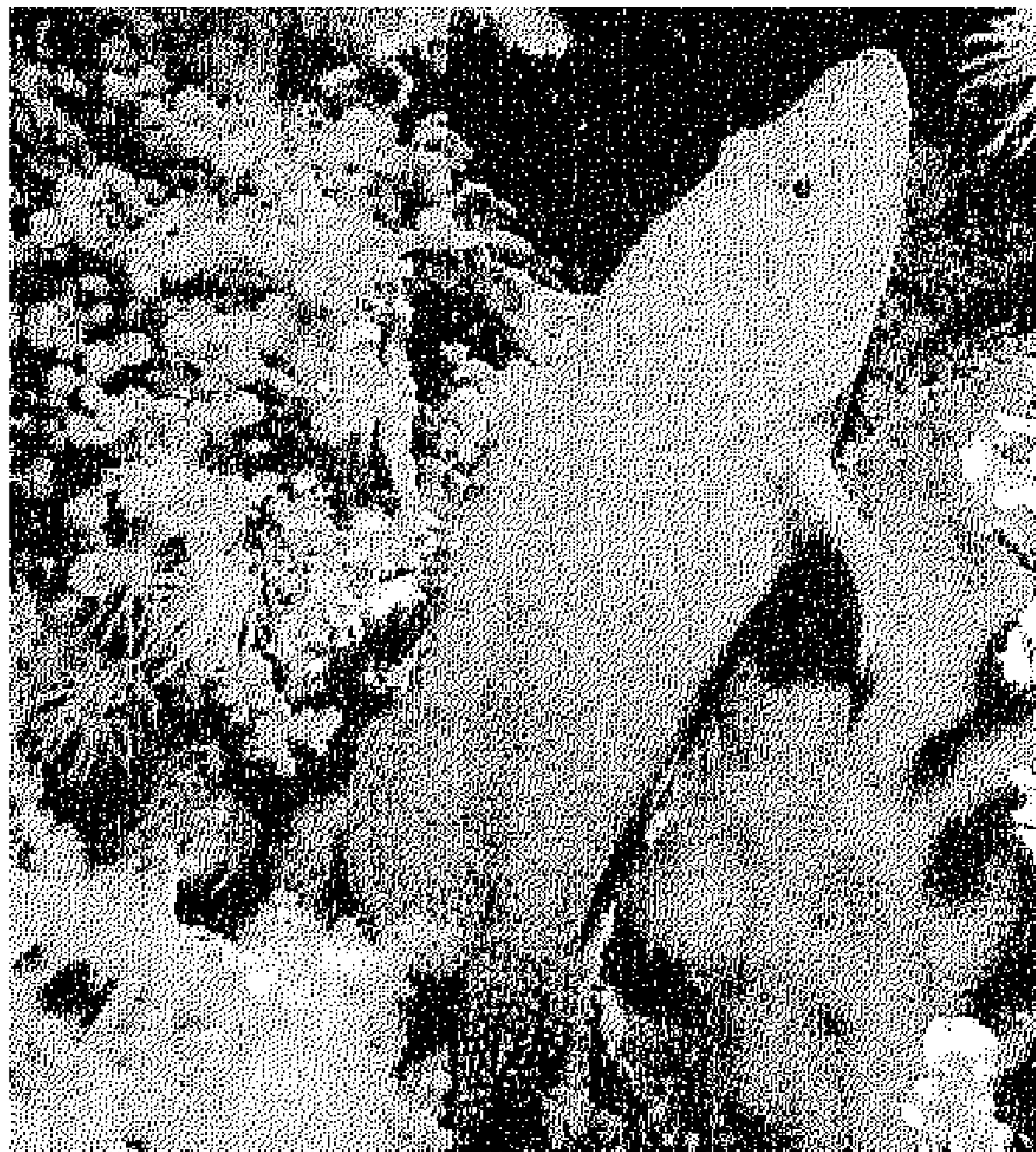
أل في منصة ربان سفينة "هنكوكو مارو" (أعلى) مزينا بطوق من المرجان والاسفنج مقل اليمين: هيكل طائرة "زيرو" سليما ومتشبثا على قعر الغور الرملي.

هذه المخلفات البالية تتوهج بكائنات البحر الموارة بالحياة، وتمنح المغامر دنيا الجمال الثاوية تحت سطح الماء...

الغطسة الاولى في موضع جديد تكون دائماً محفوفة بالاثارة والترقب. أما هذه المرة فقد احسست بما هو أكثر، برهبة تداخلني فيما تحرك قارب النزول الخشبي القديم متباطئاً وهو يجقجق نحو الصواري البارزة لـ "فوجيكاوامارو." وتقبع هذه السفينة التجارية اليابانية الكبيرة على عمق ٣٠ متراً من سطح البحر، مذ اغرقتها طائرة امريكية قاذفة طوربيد اثناء معركة هور "تراك" عام ١٩٤٤. وفي خضم العمق الازرق تمكنا من مشاهدة الشكل الغريب لظهر السفينة على عمق ٣٠ متراً. وبسرعة لبسنا ثياب المطاط

مرجان برتقالي ينمو ليلاً، ويمد لوامسه على المنصة المغمورة بالماء لسفينة "فوجيكاوا مارو".
الى اليمين: سمكة منشارية لماعة مبقعة بالأزرق، ثاوية وسط مرجان ظهر السفينة الغارقة.







Photos: Peter D. Capen / Terra Mar Productions

ووضعنا الاقنعة والزعانف وخزانات الهواء، ووثبنا الى المياه الدافئة الراكدة.

لم تقع عيناي قط من قبل على حياة حوّارة كهذه. فكل سنتيمتر من الصاري مغطى بطبقة فوق أخرى من المرجان المتعدد الألوان، والاسفنج ونبات زهرة الريح، وجم من اشكال الحياة الاخرى. المرجان الصافي اللون انيق، وعيناته هائلة الحجم يراوح طولها ما بين ١٢٠ و١٨٠ سنتيمتراً، في اطياف لونية من الأحمر والقرنفلي والأصفر.

وحول الصاري تمور اعداد جمة من الأسماك الصغيرة الزرق والخضر. وعلى ظهر السفينة مرجان صلب عملاق، يزيد عرضه على متر ونصف متر، يزين المدفع الأمامي.

جذب مرشدنا، وهو غوّاص سابق في الأسطول الامريكي، مرفقي واشار إليّ ان اتعقبه الى عنبر مسود. وقد كشف الوهج المباغت لانوار مصابيحنا، طائرتي "زيرو" جرّدتا من آلاتهما منذ زمن بعيد، لكنهما في ما عدا ذلك، لم تصابا بأذى. واذ تفحصت مخلفات الحرب البالية، راعني مغايرتها الكلية لحدائق المرجان المورقة، وهو تضاد بين الحياة والموت كنت احجس به.

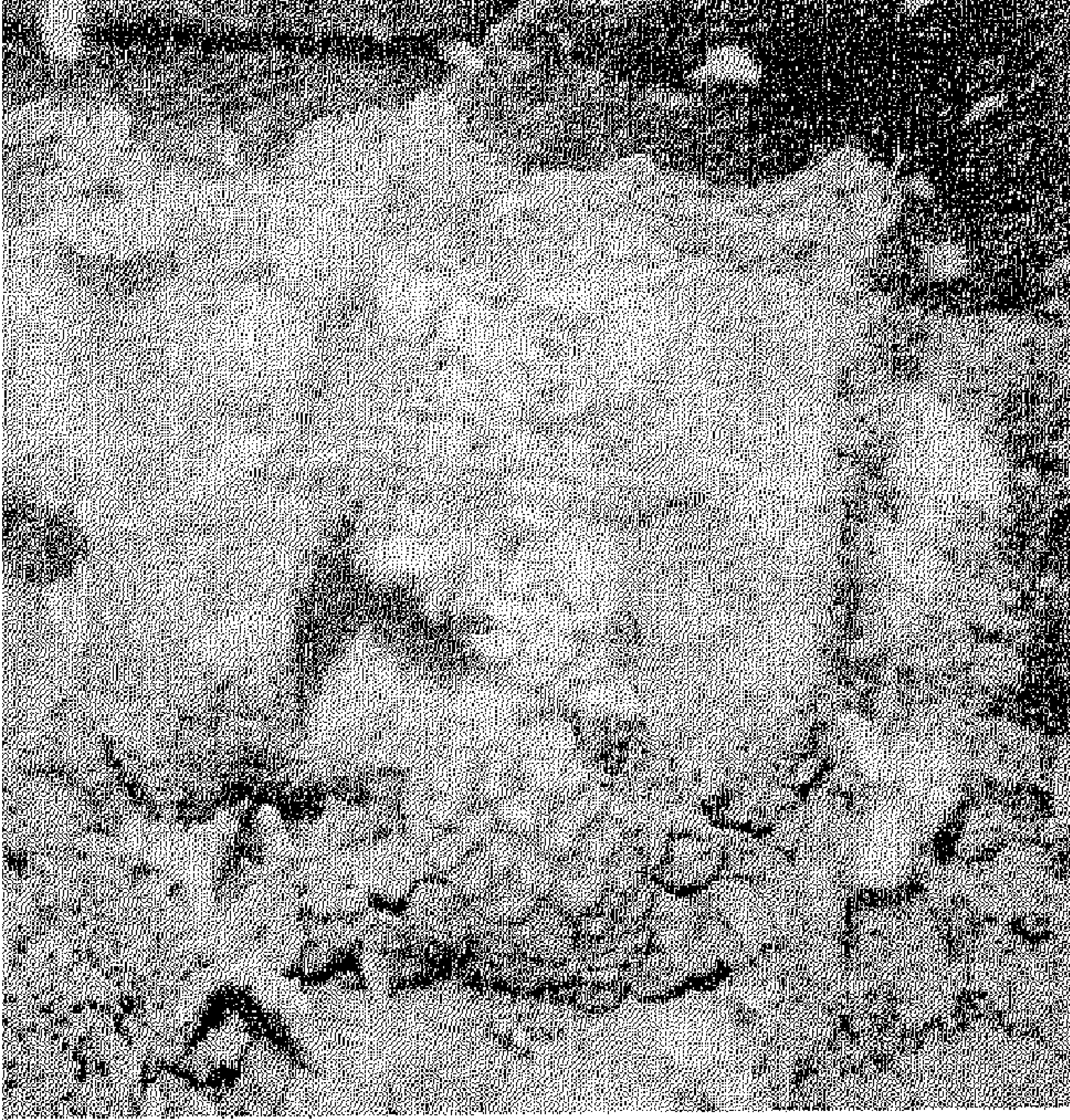
عام ١٩٤٢ هيمن اليابانيون على نطاق من الجزر ممتد من الفيليبين الى غينيا الجديدة. ولكن في احدى الانتصارات البرية الأولى لقوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ردّت الفرق الاوسترالية والامريكية اليابانيين في خليج ميلن وساهمت في وقف تقدمهم الى مرفأ مورسبي. وفي شهر اغسطس (آب) شرعت القوات البحرية الامريكية والاوسترالية والنيوزيلندية، وفي حوزتها بوارج حربية جديدة وفرقة طرادات من الأسطول البحري الاوسترالي الملكي بإمرة العميد البحري ف.ا.س. كرتشلي - في الاستيلاء على "غوادلكنال" و"تولاغي". وبدأت قوات الحلفاء الاعداد للاستيلاء على جزر "غيلبرت" و"تاراوا"، الجزيرة المرجانية الكبيرة، تمهيداً للانتقال إلى جزر "مارشال" و"كارولاين". وفي وسط جزر "كارولاين" كان العائق الأكبر، وهو حصن بحري ياباني في هور "تراك".

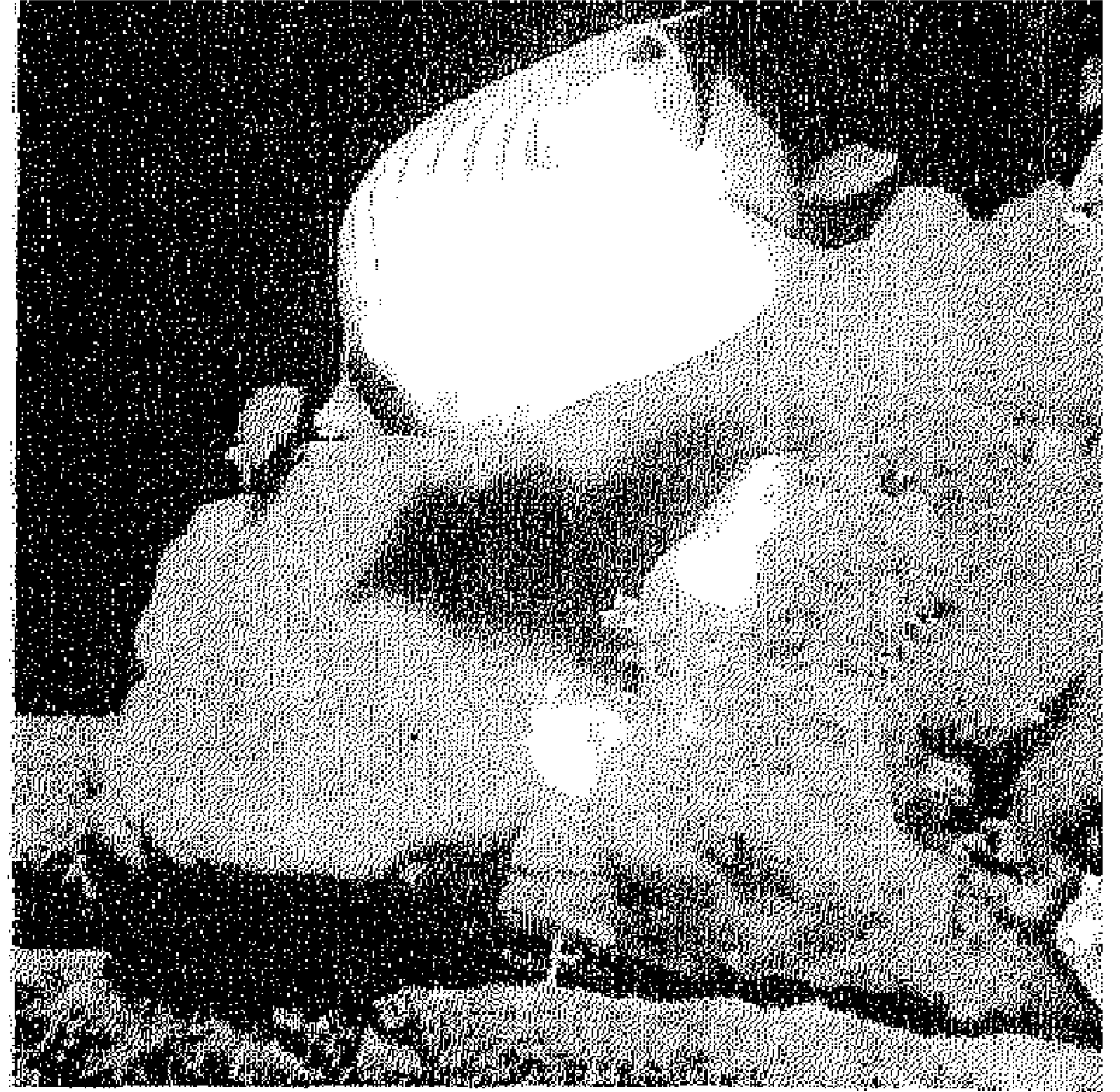
في ٤ فبراير (شباط) ١٩٤٤، كانت مساحة الهور مترامية الأطراف تترقرق في حرارة الشمس الاستوائية حينما لمعت فجأة اشارة على شاشات قواعد الرادار اليابانية حول الهور.

على ارتفاع ستة آلاف متر في الجو كانت طائرة استطلاع امريكية خاصة بالتصوير الفوتوغرافي من طراز "ب ب ٤ ي" تسبر اسرار القاعدة للمرة الأولى، وقد احدثت انباء الطائرة الدخيلة ذعراً في مقر القيادة الياباني؛ اذ ان سفن الأسطول الموحد للبحرية الامبراطورية اليابانية، المؤلف من بارجة وحاملتي طائرات و٢٠ مدمرة و١٠ طرادات و١٢ غواصة، كانت ملقية مراسيها. وسرعان ما بدأت هذه السفن تتزود الوقود لانتقالها الى المياه الصالحة للملاحة. ولكن لم يتوافر وقود كاف لكل السفن، فبقيت في الهور عدة سفن حربية وعدد كبير من المراكب والناقلات وسفن التموين.

عند بزوغ فجر ١٦ فبراير (شباط)

الى اليسار: مصباح السفينة حيث وقع، تحوطه أسماك استوائية صغيرة.
الى اسفل اليسار: اسفنج، تيارات بحرية، مرجان وطحالب تشكل أجّة من الألوان على ظهر سفينة غارقة.
الى اسفل اليمين: سمكة "الملائكة" محترسة، ذات زعانف لها شعب خيطية تتمهل بين المرجان بعد عملية قضم.







انطلق سرب مقاتلات اميركية "هيلكات" من خمس حاملات للطائرات موجودة على مسافة ١٤٥ كيلومتراً من الهور. وفي غضون ساعة ونصف ساعة من القتال الضاري اسقطت اكثر من ٤٠ طائرة "زيرو" يابانية، فيما قصفت طائرات اخرى وهي على المدارج. واذ سيطر الاميركيون على الجو، تآزرت السفن في الهور استعداداً للهجمة المتوقعة.

وليومين كان فوج اثر فوج من الطائرات الامريكية يمطر الارض موتاً ودماراً. وقد فسخت باخرة تلو اخرى من جراء الانفجارات. واصيبت سفينة "آيكوكو مارو" التي تزن ٤٣٧ طناً، اصابة مباشرة اشعلت الذخيرة المخزونة في عنابرها. لقد اغرقت الانفجارات الراعدة السفينة، اضافة الى خسارة ٢١٦ من بحارتها.

اما الناقلة "شينكوكو مارو" البالغ طولها ١٥٠ متراً، فمزق مؤخرها طوربيد وادى الى مقتل ١٢ رجلاً وجرح ١٣. وضرب طوربيد آخر وسط سفينة "فوجيكاوا مارو" من جانبها الأيمن. وقد قوّضت الحرائق منصة الربان واطبقت على موقع المدفع الامامي. ولكن، باعجوبة، لم يبلغ عن اصابات.

ولدى انتهاء الجولة كان ما يزيد على ٢٠٠ ألف طن من السفن مع حمولتها ملقى في مقر هور تراك وقد قدّر المؤرخون أن الهجوم الملقب "عملية البرَاد" كان اشد قوة بـ ١٥ مثيلاً من هجوم اليابانيين على "بيرل هاربر" في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١.

في الأشهر التالية للمعركة، صبت الطائرات حمماً اضافية على تراك، لكن المدافعين عنها صمدوا بعناد حتى ٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٥ حين سلّم العميد البحري سوميكاوا القاعدة اخيراً. واصبحت تراك تحت الوصاية الامريكية وطوتها غياهب النسيان.

كنوز تحت الماء - بانقضاء السنين، تحولت اجرام السفن المعوجة حيوداً مرجانية اصطناعية ومختبراً حياً يقطنه اكثر من ٢٥٠٠ نوع من كائنات البحر، ونما فيه مرجان لين ملون على نحو باهر، ومرجان آخر صلب القنوات واسفنج وحلزون صدفي. وشرعت حيوانات بحرية نجمية واعشاب خضراء براقة تزين الصواري والأسيجة والظهور ومنصّات الربان والهياكل الخارجية لحطام السفن الغارقة. وكانت تنساب ما بين أعلى جسر السفينة واسفلها افواج من الاسماك الشفافة البالغة الصغر، فيما تجثم فوقها كائنات كبيرة متربصة باي فريسة غافلة.

وبمرور الوقت، سرت اشاعات عن حطام السفن الرائعة في هور تراك، وبدأت اوساط الغواصين تتداولها. الدفعة الاولى من الغواصين جاءت من اوستراليا. وفي نهاية السبعينات من هذا القرن، باشر الاوستراليون الوفود ايام العطل في رحلات تجارية منظمة.

ويقول بيتر سون المدير المسؤول عن "اكواريوس دايف ترافل"، ان شركته تبعث بنحو ١٠٠ غوّاص سنوياً الى تراك. وقد أورد ستون الآتي في نشرة "الغوص تحت الماء": "للحطام الماثل في هور تراك جاذبية عجيبة يستحيل وصفها. ولكن يشعر بها كل الذين تسنت لهم زيارة الهور."

اثر تاريخي - في ربيع عام ١٩٧٨، دعيت الى الانضمام إلى فريق تصوير تلفزيوني من ايطاليا يعد شريطاً توثيقياً عن حطام السفن والكنوز الحية الراقدة تحت مياه الهور. وقد امضينا قرابة شهر في تصوير السفن الغارقة في خضرة الحياة البحرية، ومستودعات الآثار الباقية هناك. لم نمس أي شيء، إذ ان المجلس الاشتراعي لمقاطعة تراك، وبغية ابعاد صائدي التذكارات عن مرماهم، اعلن ان الحطام هو اثر تاريخي يجب المحافظة عليه.

في العنبر الرقم ٢ من سفينة "سانكيسان مارو" أقفاص خشبية ملأى بخرطوش البنادق، مقلوبة، وقد سفحت

محتوياتها المميتة في كتلة مكدسة فوق الأرض. الخرطوشات متأكلة تغطيها رسابة طين صاف يكسبها مظهراً يشبه الفرو. والشيء المتغلغل داخل سفينة "باماغيري مارو" هو لوحة القوانين. وهذه السفينة كانت تنقل قذائف ضخمة (قطر الواحدة ٤٥ سنتيمتراً) معدة لمدافع بارجتي "موساشي" و"باماتو." وهذه هي كبرى القنابل المصنوعة خلال الحرب العالمية الثانية ويبلغ مداها اكثر من ٣٠ كيلومتراً. وهي ترقد الآن ساكنة في قبوها تحت الأرض، مغطة بمياه البحر المتلاطم وقطع الأسفنج.

ذات يوم طلبنا من كيميو آيسك وهو رجل من تراك في الخمسين، ان ينضم إلينا. كنا نريد تصوير ناقلة الذخائر المسلحة "سان فرنسيسكو مارو" الجاثمة على عمق ٧٥ متراً. كان كيميو شهد الهجوم صبيحة ذلك اليوم من فبراير (شباط) لزمن مضى، وقد اصبح في الايام التي تلته غواصاً متمرساً وله معرفة تفصيلية لا تثمن بالحطام وقعر الهور.

غصنا إلى الهوة الزرقاء. عند الحطام يتوقف الزمان. أسراب من الأسماك بالغة الصغر، تنساب في صمت جيئة وذهاباً عبر علوة السفينة.وعلى ظهرها بضعة صهاريج صغيرة وشاحنة، وقد ليّن هياكلها غشاء من الكائنات التي غطتها. المدفع الأمامي ملفوف بالأسفنج والمرجان واعشاب البحر؛ وقد ضاعت نياته العدوانية تماماً تحت طوق مورق من كائنات البحر.

ما من سفينة ترمز الى الثنائية المألوفة لحطام هذه السفن، مثل "شنكوكو مارو" القابعة منتصبة في ٣٠ متراً من الماء تكاد صاريتاها ان تبلغا السطح. هذه الناقلة تزينها الحياة البحرية عن نحو منمق. فيبدو الأسفنج والمرجان معاً في حزمة زاخرة بالألوان، فيما تتوارد صغار الحواجز المرجانية والأسماك والأنواع الاكبر متجمعة حول ظهر السفينة.

وفي كل دورة كنت اعثر على شيء جديد. سمكتا "المهرج" المخططتان بالبرتقالي والأزرق تستكنان بحذر بين لوامس نبتة "زهرة الريح" التي تستضيفهما. وعلى منصة الربان لا يزال التلغراف في غرفة المحركات قائماً، يتغشاه اسفنج أرجواني وقرمزي. وفي غرفة الطعام، الأرض والاطباق والكؤوس، كلها مغبرة بطبقة من الطين. وكأن لا شيء أقلقها منذ ذلك اليوم المحتوم الذي غرقت فيه.

وتابعت الاستكشاف متوغلاً في السفينة، فدلفت إلى قمرة ما. سلطت ضوء مصباحي متفرساً في الحجرة الصغيرة الخالية، ولاحظت شيئاً لاصقاً بالراسب الكثيف. واذ دنوت، تبينتها جمجمة انسان. غمرني اسى بعيد الغور. هنا تكمن المأساة الحقيقية لهور تراك، الخسارة المريعة لارواح البشر. استدرت ببطء آيباً إلى حيث اتيت. واذ ارتقيت صعداً، تمهلت لحظة واحدة لنظرة اخيرة.

ابناء اليابان المكفنون في قبورهم المائية وسط اطواق المرجان والسمك؛ لعلهم قد وجدوا السلام في هور تراك؛ ومن موتهم تنبعث الحياة متجددة.

بيتر د. كابن ■

ألعابُ تخاطبُ القلوبَ والعقول

رواد المان في صناعة الالعاب قالوا:

"لا" لالعاب الحرب والسلاح و"نعم" للتسلية القائمة على المثل العائلية

ذات يوم من العام ١٩٨١ جمع فرنر شليفل، مدير قسم تطوير الالعاب التابع لدار نشر "اوتو ماير فرلاغ" في رافنزبورغ، خمسة من مستخدمي الشركة وسألهم: "حين كنتم صغاراً، ما هي اللعبة التي كنتم تفضلونها؟" فاجابت المجموعة المؤلفة من شار وفنان تخطيطي وتقني: "الشرطة واللصوص." فاقترح شليفل: "لنحاول اختراع لعبة مثلها."

زوِّد الفريق قطعاً قابلة للتحريك واقلام رصاص وألواح سباق فارغة، وسرعان ما تم الاتفاق على ان الإطار المثالي للعبة لا بدّ ان



يحتوي على سيارات أجرة وحافلات وقطارات نفقية وزوارق لفتح سبل متعددة امام اللص للفرار من الشرطة. وخلال ستة أشهر رسمت عقبات اللعبة الخفية وسيطر التوتر على فريق العمل بينما كانت اللعبة في تطور مستمر.

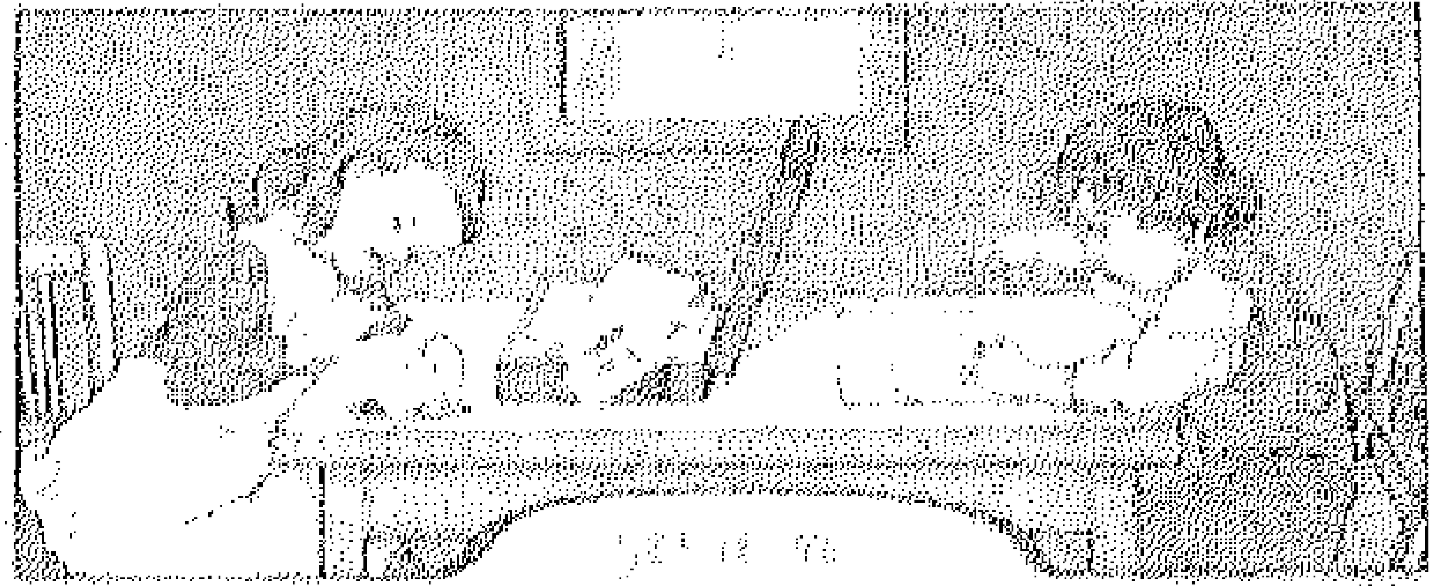
وإذ تحددت مدينة لندن مسرحاً للعبة، أتت التسمية في محلها: "اسكوتلنديارد." ومنذ فوزها بجائزة "لعبة العام" في ١٩٨٣، باتت "اسكوتلنديارد" اكثر العاب الشركة رواجاً في العالم، وقد بيع منها قرابة مليونين.

جعلت الخبرات المتراكمة والمواهب المشحوذة من "اوتو ماير فرلاغ" الاولى في الالعاب في المانيا الغربية والنمسا وسويسرا وإحدى الشركات الطليعية في اوروبا. وتباع منتجاتها في ٥٦ بلداً وهي تترجم الى ١٢ لغة بما فيها اليابانية والبرتغالية والعربية. ومن جوائز "لعبة العام،" حازت الشركة، الى الآن، اربع من اصل ثماني تختارها سنوياً هيئة نقاد مستقلين، كما حصدت كتب الاولاد والمراهقين التي تنشرها "اوتو ماير فرلاغ،" ما يزيد على ٩٠ جائزة أدبية في السنين العشر الاخيرة.

يعتبر الانصار المتحمسون لانتاج الشركة اسم رافنزبورغر المزخرف الذي يظهر فوق علامة المثلث الازرق التجارية، مرادفاً للتسلية العائلية الرفيعة المستوى. وتشرق وجوه الاطفال لدى اتمامهم "احجيتي الاولى،" بينما يُسَرّ الاولاد الاكبر سناً بالتعرف الى إشارات السير واوضاعه من خلال النسخة التعليمية للعبة الرائجة "الذاكرة!" وتتحلق العائلات حول الواح مثيرة مثل "امسك بالقبعة!" و"مالفتس" و"ساغالاند."

من نجاح الى آخر - بدأت قصة نجاح الشركة قبل اكثر من قرن حين باشر اوتو روبرت ماير بائع الكتب الشاب في رافنزبورغ، صناعة العاب بسيطة وتعليمات تطبيقية وبيعها في المخزن الذي ملك قسماً منه. وفي العام ١٨٨٦، عندما بلغ عامه الرابع والثلاثين، اشترى مبنى مؤلفاً من اربع طبقات يعود الى القرن السادس عشر وبدأ انتاج ما سماه: "نشاطات مسلية قيمة ومفيدة".

كانت اللعبة الاولى سباقاً دعاه اوتو: "رحلة حول العالم." تتحرك في هذه اللعبة تماثيل بالغة الصغر مصنوعة من قصدير وملونة باليد فوق تضاريس بلاد مختلفة مرسومة على لوح. وأول من يتم الدورة يكون الرابح. وعلى رغم ان النرد يلعب دوراً مؤاتياً في هذه اللعبة، الا ان للبراعة دورها كذلك إذ يشتري اللاعبون تذاكر السفر بمال اللعبة. وقد يؤدي سوء ادارة الاموال الى ابقاء المسافر غير المبالي بعيداً عن وطنه. ومع لعبة "رحلة حول العالم" تحدّدت المقاييس لجميع العاب الشركة. فتعليماتها كانت واضحة وبسيطة، وهي تطلّبت فكراً وليس حظاً فقط. والأهم من ذلك ان العائلة بكاملها استطاعت أن تشترك فيها. وسرعان ما تلتها العاب أخرى وكتب ارشادية مفيدة وسلسلة من منشورات بعنوان "العب واعمل." وأرسل اوتو بائعه المتجول الى مدن رئيسية، وقرابة العام ١٩١٠ بدأ







ق: "ملف هواية"
ن العام ١٩٠٧.
ى اليسار: نموذج
ب لعبة وعلبة خياطة
ن العام ١٨٩٤.
ى اليمين:
تو روبرت ماير.

التعامل مع اصحاب المكتبات في انحاء اوروبا موزعاً دليلا مثيراً للاعجاب وحاوياً معلومات عن ٨٠٠ كتاب ولعبة.

لا للحرب والاحتكار - بعد وفاته في العام ١٩٢٥، تولى الامر اولاده اوتو وكارل واويغن، وكانوا يسعون دوماً وراء الافكار الجديدة. فتحمسوا لعرض رجل الاعمال الالماني تيتشه - نيفس لعبة كان استنبطها فاصابت نجاحاً بارزاً في العام ١٩٢٧ تحت اسم "امسك بالقبعة!" وهي ما زالت مطلوبة على رغم مرور ٦٠ عاماً على اطلاقها.

من ناحية أخرى، رفض الأخوة بحزم عرضاً لانتاج لعبة جديدة لانها تجعل لاعباً واحداً غنياً على حساب الآخرين. فقد كانت فلسفة والدهم ترمي الى جعل منتجات الشركة تؤدي الى "تحسين ما في العقول والقلوب" و"تثقيف حاسة الذوق الرفيع" والتركيز على الناشئة.

ولم تبال الشركة بالرواج الكبير في العالم للعبة الـ"مونوبولي" كما لم يندم ابناء ماير على قرارهم قط. وبعد مقتل اويغن، وكان ضابطاً في الجيش خلال الحرب العالمية الثانية، اضاف الآخران مبدأ جديداً الى عملهما هو: "لا العاب أو كتب عن الاسلحة والحرب."

بلغ انتاج الكتب ذروته حين تاق

الالمان الى كتب الاعتماد على النفس لاعادة بناء بلادهم التي دمرتها الحرب. واشتد الطلب على هذه الكتب بحيث نفدت العشرة آلاف نسخة التي طبعت من "كتيّب البناء" في ١٩٤٩، وهو العام الذي نشر فيه، على رغم ثمنه الباهظ الذي بلغ ٥٠ ماركاً. ولعبت كتب عن تصاميم "باوهاوس" تعلم المرء كيف يبني بيته بنفسه، وصحيفة تجارية تطلع المهندسين المعماريين على الاساليب العصرية في البناء، دوراً مميزاً في اعادة التعمير بعد الحرب. ومع حلول العام ١٩٥٣ كانت الشركة تجني ارباحاً طائلة من الكتب اكثر من الالعاب. واستغرق قلب هذا التوازن اكثر من ست سنوات.

لعبة "الذاكرة" – ذات يوم من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٨ نشر وليم هرتر، وهو مهندس من باسل، ٣٦ مربعاً من الورق المقوّى على طاولة إرفن غلونغر، خبير الالعاب الاول في رافنزبورغر. والصقت الى المربعات مجموعات مزدوجة من صور قصّت من مجلات متشابهة، ووضعت جميعها مقلوبة ثم طلب هرتر من غلونغر مشاركته في رفعها بالتناوب ووضعها مقلوبة من جديد. فهل يستطيع، مع التقدم في اللعبة، أن يتذكر موقع الصورة المطابقة للصورة التي يرفعها؟ إن هو نجح في ذلك، أمكنه الاحتفاظ بالصورتين. واللاعب الذي يحصل على اكبر عدد من الصور يكون هو الرابح. حمل غلونغر اللعبة الى منزله واختبرها مع عائلته. وهكذا فعل أيضاً موظفون آخرون... فولدت لعبة "الذاكرة".

لم يَتبقَ سوى أسابيع قليلة لافتتاح معرض الالعاب السنوي في نورمبرغ الذي يجتذب زبائن الجملة الرئيسيين من انحاء اوروبا. ولعدم توافر الوقت لتصميم عمل فني، قطع غلونغر صوراً من كتب الشركة وضمّ اليها صوراً فوتوغرافية لأحد ابنائه. كانت "الذاكرة" حدث المعرض المثير فتهافت الناس في سنتها الاولى، (١٩٥٩) على شراء نحو سبعة آلاف منها وهو رقم قياسي في تاريخ الشركة. وبيعت، الى الآن، من "الذاكرة" باشكالها المختلفة، قرابة ٤٠ مليون وحدة.

شهرة عالمية – أضيفت أحاجي الصور المقطعة(★) الى برنامج انتاج الشركة في العام ١٩٦٤ وأصبحت بدعة رائجة. وجذب الالمان الذين طالما اعتبروا الاحاجي العاباً سخيفة، تصميم رافنزبورغر المميز على بعث المناظر الطبيعية الرائعة كما اعجبوا بالمستوى الرفيع الذي بلغته العابه. ويعلّق هانز اولريش شنايدر محرر عمود الالعاب في صحيفة "شفيبشه تسايتونغ" على ذلك: "تصنع العاب رافنزبورغر لتدوم. وبعضها ينتقل فعلاً من جيل الى آخر."

في العام ١٩٧٤، وبعد مرور ثلاثة ارباع قرن على استعمال اسم رافنزبورغر، قررت الشركة تسجيله كاسم تجاري وحمايته قانونياً. وتعين عليها اولاً اقناع السلطات الالمانية المختصة بان شهرتها باتت موازية لشهرة البلدة التي انبثقت منها. وفي هذا الاطار اجرت هيئة رسمية تعنى بالتجارة استفتاء في انحاء المانيا

(★) Puzzles

اشترك فيه ٣٠ الف شخص. وطرح على هؤلاء سؤال واحد: "ماذا يتبادر الى ذهنك عند سماعك اسم رافنزبورغر؟" فجاءت ثلاثة ارباع الاجابات متشابهة: "الالعاب." وعلى الاثر سجل الاسم ونالت الشركة براءة به.

يتقاسم اليوم جيل ثالث من المايرز يضم دوروثي هس - ماير وابن عمها اوتو يوليوس ادارة الشركة التي تستخدم نحو ٩٠٠ شخص في رافنزبورغ و١٣٠ في شركات تسويق تابعة لها في هولندا والنمسا وفرنسا وايطاليا وسويسرا. وبلغت قيمة مبيعاتها في العام الماضي ١٩٢ مليون مارك. وهي ضاعفت صادراتها خلال السنوات الخمس الاخيرة. ويمثل قسم الالعاب ثلاثة ارباع اعمال الشركة.

وما زال هناك متسع للافكار الجديدة. ونذكر على سبيل المثال كتاب "آخر اولاد شيفنبورن أو... أهذه نظرتنا الى المستقبل؟" وهو رواية رقيقة للشباب كتبها غودرون باوزفانغ ووصف فيها التأثيرات المحتملة لانفجار نووي في اوروبا. وفازت هذه الرواية بسبع جوائز كما ترجمت الى سبع لغات.

اما التلفزيون الذي كان المنافس الرئيسي للشركة على اجتذاب الاولاد فقد أصبح حليفاً جديداً. فالبرنامج التلفزيوني الاسبوعي للاطفال في المانيا والمعروف باسم "كروكوديل" مرتكز على مفهوم رافنزبورغر للتسلية. وتسوّق الشركة افلام فيديو للاطفال وعروض العاب تثير العقل والبديهة معاً.

تقول دوروثي هس - ماير: "اننا نعلّم المهارات الضرورية للتقنيات الالكترونية التي ستحل يوماً مكان الطرق المعتمدة حالياً في تعلم الاولاد ولعبهم. ولكن مهما حمل المستقبل من خفايا، فسوف نلتزم المبادىء التي وضعها جدّنا قبل قرن: الوصول الى قلوب الاطفال وعقولهم."

روي فرغسون ■



استقبال الاغبياء

اشتغلتُ مرة عاملة استقبال في فندق كان يُعقَد فيه مؤتمر لاحدى الجمعيات التي يتطلب الانضواء فيها حاصلَ ذكاء مرتفعاً. وفي احدى المناسبات طرح عليّ احد الاعضاء سؤالا فاجبته عنه ذاكرة اسمه في السياق. فاخذه الانشداه وسأل: "كيف تستطيعين، يا سيدتي الشابة، ان تتذكري اسمي في غمرة مئات الناس هنا؟"

فاعترفت بالحقيقة وقلت: "لقد قرأت الاسم المكتوب على البطاقة فوق صدرك."

ج.ب.

كُنْ جَرَساً

كنتُ اسلم اوراقا الى منزل قيد الترميم، فقرأت تحت جرس الباب هذه الملاحظة: "اطرق الباب مرة واحدة واصرخ دينغ دونغ."

م.ب.

الفكاهة والسخرية

تولّد الفكاهة استرخاء، والسخرية توتراً، وتنتج الفكاهة إلفة ودعابة والسخرية شقاقا وجفاء، وتضفي الفكاهة سحراً وروحاً خيّرة ورحابة صدر، والسخرية تحدياً وضغينة وازدراء، وتجرد الفكاهة العقل من سلاحه بينما تضعه السخرية في حال تأهب. تنشر الفكاهة الألفة فيما تتوق السخرية الى الطيش. تحدِث الفكاهة اتضاعاً والسخرية غطرسة. تسبّب الفكاهة تسامحاً والسخرية نفاد صبر ووقاحة. وتؤدي الفكاهة الى اللطف فيما السخرية غالبا ما تجرح الشعور.

ب.ب.

حكمة باكستانية

عاشت جدة جليلة مع ابنتها وحفيدها. ومع تقدمها في العمر ازدادت ضعفاً ووهناً، وبدلا من ان تكون عوناً للآخرين في البيت غدت مصدراً ثابتاً للبلوى بكسرها الصحون والكؤوس وإضاعتها السكاكين وسفحها المياه العزيزة. وذات يوم كسرت العجوز صحناً ثميناً فغضبت ابنتها وارسلت الحفيد ليبتاع صحناً خشبياً لجدته.

تردد الصبي لانه عرف ان الصحن الخشبي سوف يذلّ جدته، لكنه نزل عند رغبة والدته لفرط إلحاحها عليه. ثم عاد ومعه صحنان، بدل واحد.

فبادرته امه: "انا طلبت منك ان تبتاع واحداً فقط، أفلم تسمعني؟

– بلى، غير اني ابتعت الثاني لكي يكون لكِ عندما تصبحين عجوزاً.

ب.س. و هـ.ك.هـ.

القلق

القلق شعاع دقيق من الخوف يتسلل الى داخل العقل، فاذا وجد ما يحفزه شقّ مجرى تصب فيه كل الافكار.

ارثر سامرز روش

الطموح

"ينبغي لنا ان نضع نصب اعيننا أنَّ مأساة الحياة لا تكمن في عدم بلوغ هدفنا بل في عدم وجود هدف نسعى الى بلوغه. فليست الفاجعة في أن نموت من دون ان نحقق بعضاً من احلامنا بل في أنْ نفتقر الى الاحلام. وليس يشيننا أنْ نعجز عن تناول النجوم بل أنْ تختفي هذه من سمائنا. والخطيئة ليست في الإخفاق بل في ضعف الطموح."

بنجامين إ. مايز

الاصغاء

من موهبة الإصغاء تتولّد نعمة البُرْءِ. فإنْ تستمعْ الى اخوتك او اخواتك حتى يُخرِجوا آخِر كلمات قلوبهم تهدأ شجونك وينتابك العزاء.

كاترين دى هوك دوهرتي

ان الحمية المترجحة
التي ينخفض فيها الوزن
حيناً ويزداد حيناً آخر،
هي كلعبة "اليويو"،
قد تنجم عنها
مشاكل صحية خطيرة

حذار «حمْية اليويو»

معظمنا اتبع نظام حمية بين حين وآخر، وتعلم الملايين ان الكيلوغرامات التي نفقدها من وزننا لا نلبث ان نستعيدها بسهولة. وعلى رغم الاحباط الذي نشعر به فالقليلون يتساءلون عن الحكمة من ممارسة الحمية. ويقودنا التفكير الى انه في اسوأ الحالات سنستعيد ما فقدناه من بداناتنا. فليس هناك من ضرر اذا عاودنا الحمية.

وثمة ابحاث حديثة تشير الى ان هذه

Condensed from American Health (March '88) 1988 by American Health Partners, 80 Fifth Ave. ...

الممارسة تنطوي على خطر لان اتباع نظام حمية شبيه بلعبة "اليويو" قد يسبّب اضطراباً في جهاز تنظيم وزن الجسم. فكلما زاد عدد ممارسات الحمية زادت صعوبة خفض الوزن. واسوأ ما في هذا الامر هو ان هناك ادلة جديدة على ان الدورات المتكررة لخفض الوزن واستعادته قد تزيد خطر الاصابة بامراض القلب.

وهذا الاحتمال يثير القلق. فبعد دراسة استغرقت ٣٥ سنة وقام بها باحثون في مدرسة الصحة العامة في جامعة تكساس في هيوستن وشملت ١٩٥٩ رجلاً، اعلن في مارس (آذار) ١٩٨٧ ان الذين شهد وزنهم ترجحاً كبيراً خلال هذه المدة كانوا معرضين للاصابة بمرض شريان القلب التاجي مرتين اكثر من الذين كان ترجّح وزنهم خفيفاً. ووردت احصاءات مثيرة في نشرة عن دراسة امراض القلب في فارمنغهام بمساشوستس، تناولت خمسة آلاف حالة تمت مراقبتها على مدى ٤٠ عاماً، اذ تبيّن ان الذين انخفض وزنهم ١٠ في المئة تدنى خطر تعرضهم لمرض الشريان التاجي بنسبة ٢٠ في المئة، فيما زاد بنسبة ٣٠ في المئة خطر تعرض الذين زاد وزنهم ١٠ في المئة. ويستفاد من هذه الدراسة انك اذا خفضت وزنك مثلا من ٦٨ الى ٦١ كيلوغراماً ثم جعلته يرتفع مجدداً الى ٦٨ فان هذه العملية قد تعرضك للاصابة بمرض القلب اكثر مما كنت قبل ممارسة الحمية.

عندما تخفّض عدد السعرات الحرارية وينقص وزنك يتحول جسمك الى حال دفاع من خلال خفض معدلك الأيضي الاساسي، وهذا هو مقياس الطاقة التي تستهلك في الوظائف الروتينية كالتنفس وصيانة الخلايا والتي تشكل بين ٦٠ و٧٥ في المئة من الطاقة الاجمالية التي يستهلكها الجسم. وخلال الحمية القاسية، ينخفض معدلك الايضي الى حد كبير في مدة ٢٤ ساعة وقد ينخفض في اسبوعين بنسبة ٢٠ في المئة. وهذا الانخفاض الايضي هو وراء بلوغ ممارسي الحمية غالباً، بعد اسابيع منها، مستوى يجدون معه ان معدل استهلاكهم المخفض للطاقة الذي كان مفيداً في خفض وزنهم في السابق اصبح غير ذي فائدة.

وهناك طرق اخرى يتكيف بها الجسم مع الحمية. فالانزيم المعروف بـ"ليبوبروتيين ليبيز"(١) الذي يعدل مستوى الدهن المختزن في الخلايا الدهنية قد ينشط لدى بعض البدينين بعد ان يكونوا توصلوا الى خفض وزنهم، مما يجعل الجسم اكثر فاعلية في خزن الدهن، وذلك ما لا يريده الذين يمارسون الحمية. وهذا التغيّر، كانخفاض المعدل الأيضي، قد يكون جزءاً من السبب الذي يجعل ممارسي الحمية يستعيدون تكراراً ما يكونون فقدوه من بدانتهم.

لعبة "اليويو" — بدأ اهتمامي بمشكلة "اليويو" عام ١٩٨٢ حين كنت وزميلاي توماس وادين والبرت ستونكارد نجري اختبارات على حمية تستند الى استهلاك طاقة حرارية مخفضة جداً، بمعدل ٨٠٠ سعرة او اقل في اليوم. وكنا نأمل ان

(١) Lipoprotein Lipase

يستطيع المرضى في عيادتنا خفض كميات كبيرة من وزنهم بسرعة ومن ثم المحافظة على وزنهم المخفّض وابقاءه ثابتاً من طريق برنامج حمية معدل.

وتبيّن لنا ان بعض الناس هبط وزنهم بسرعة بينما حصل بطء في انخفاض وزن الآخرين. وثمة من نقص وزنهم لمدة ثم توقّف عند حد معين. وكانت هناك امرأة بدأت تطبيق برنامجنا. فكان وزنها ١٠٤ كيلوغرامات فهبط الى ٨٧ كيلوغراماً ثم توقف عند هذا المستوى مع انها تابعت الحمية ذاتها وكانت تمشي ثلاثة كيلومترات يومياً. لكن هذه المرأة ومعها كثيرون ممن شملهم برنامجنا، كانوا يمارسون حمية اليويو، لذلك كان من العسير جداً ان ينعموا بخفض بدانتهم.

وبهدف معرفة هل هذا الاسلوب في الحمية في وسعه احداث تغييرات مهمة في الجسم، بدأت وباحثون آخرون دراسة التغيّر في اوزان الحيوانات. فاطعمنا مجموعة من الجرذان غذاء يحتوي على نسبة مرتفعة من الدهن الى ان زاد وزنها، ثم عمدنا الى تغيير نوعية غذائها تكراراً لخفض وزنها ثم استعادته فخسارته مجدداً فاستعادته ثانية. وقد جاءت النتائج مدهشة. ففي المرحلة الاولى استغرق تحول وزن الجرذان من البدانة الى الوزن الطبيعي ٢١ يوماً، اما في الثانية فاستغرقت العملية ٤٦ يوماً مع انها كانت تستهلك السعرات الحرارية ذاتها.

ومع كل حمية يويو اصبحت استعادة الجرذان بدانتها اكثر سهولة. فاثر الحمية الاولى، استغرق رجوعها الى البدانة ٤٦ يوماً فيما استغرق رجوعها في الحمية التالية ٤١ يوماً فقط. بعبارات اخرى: اثر حمية اليويو الثانية، استغرق خفض الوزن اكثر من ضعفي المدة التي استغرقتها دورة الحمية الاولى فيما استغرقت استعادة الوزن المفقود في دورة الحمية الثانية ثلث تلك المدة.

التبس الامر علينا فاتصلت مجموعتنا بجراح هارفرد جورج بلاكبرن، وهو رائد في استخدام انظمة حمية تعتمد سعرات حرارية منخفضة جداً. اطلع بلاكبرن وزملاؤه على سجلات ١٤٠ ممن مارسوا الحمية بالتتابع وخضعوا لعملية ضبط الوزن في العيادة فانخفض وزنهم ثم استعادوه ثم رجعوا الى الحمية ثانية. واظهرت هذه السجلات ان ممارسي الحمية هبط وزنهم خلال اسبوع بمعدل كيلوغرام في المرة الاولى ونصف كيلوغرام فقط في المرة الثانية.

"تدوير الوزن" – قبل اربع سنوات بدأنا "مشروع تدوير الوزن" وهو دراسة مهمة شارك فيها بعض الباحثين الكبار في شؤون البدانة. فنحن نعرف ان اولئك الذين يهبط وزنهم بالحمية فقط، من دون برنامج رياضي وخصوصاً الذين يخضعون منهم لنظام حمية قاس لمدة قصيرة او لنظام حمية يعتمد كمية مخفوضة من البروتيين – في امكانهم خفض كمية كبيرة من العضل لديهم، لكنهم عندما يستعيدون وزنهم فانهم يستعيدون عضلا اقل ودهنا اكثر. وفي حين لا يزال السبب غير واضح يعتقد انه من الاسهل للجسم ان يكتنز الدهن من ان يعيد تكوين

العضل الذي فقده. ولا بد من التساؤل هنا: هل يمكن ان يفقد ممارسو الحمية دهناً في ناحية من الجسم ويستعيدوه في ناحية اخرى؟

على سبيل المثال، اظهرت دراساتنا الاولية على الحيوانات، ان في امكان هذه نقل الدهن الى البطن. وتدل الابحاث على ان دهن البطن يرفع خطر الاصابة بمرض القلب وداء السكري بنسبة اكثر مما يرفعه الدهن حول الوركين والفخذين.

على ان لا شيء من هذا يدل على عدم جدوى الحمية. فلدى الذين يزيد وزنهم الطبيعي بنسبة ٢٠ في المئة او اكثر اسباب وجيهة لخفض وزنهم، لان النجاح في خفض الوزن يؤدي الى خفض ضغط الدم والكولسترول ويساعد على ضبط السكّر في الدم، في حال داء السكري، كما يتيح للناس ان يشعروا انهم احسن حالاً. ولكن الابحاث الحديثة تشير الى ان كل الناس، ايا يكن وزنهم، يجب ان يمارسوا الحمية بجدّية.

وهذا يعني ايضاً ان اتباع الحمية فقط ليس الطريق الفضلى الى ضبط الوزن. فاذا اقترن برنامج خفض الوزن ببرنامج تمارين رياضية فانك تفقد كمية اكبر من الدهن وكمية اقل من العضل، ولن تعود، على الارجح، الى وزنك السابق. ذلك بان التمرين قد يساعدك على مقاومة التغييرات في وظائف اعضاء الجسم التي تنجم عن ممارسة حمية اليويو، بدءا بالتغييرات الايضية.

الهدف المعقول – في ضوء الاخطار الكامنة في نظام حمية اليويو المتقلب، يجب على كل من مارس الحمية ان يولي عناية خاصة مسألة عدم استعادة ما خسره من وزنه. وقبل مباشرة الحمية اسأل نفسك: ما هو مبلغ تصميمك ودوافعك ثم ضع نصب عينيك هدفاً معقولا قابلًا للتحقيق.

ان ثبات خفض الوزن يجب ان يكون هدفك الرئيسي، لذلك اختر برنامجا يساعدك على تغيير اسلوب حياتك. تحاش برامج الحمية الشائعة التي تهدف الى الخفض السريع للوزن والملأى بالترهات والارشادات الفارغة كاعتماد الحمية ثم التخلي عنها وتناول اطعمة "سحرية" وما الى ذلك. فعلى البرنامج ان يركّز على تغييرات معقولة في الغذاء وفي اسلوب الحياة. وافضل السبل الى ذلك هو برنامج يعتمد خفضاً في المادة الدهنية وارتفاعا في كمية الكربوهيدرات المركّبة وتمريناً حيوائياً (٢) منتظماً.

ولكي لا تقع في شرك الاغراء فتتخلى بسهولة عن متابعة الحمية التي عاهدت نفسك على متابعتها، عليك ان تدرك المزالق التي يشتد فيها الاغراء فتخطط لعدم الوقوع فيها. واعلم ان الشهية هي كالموج الذي يصخب ويرتفع حتى يبلغ ذروة مزبدة، ثم لا يلبث ان يهدأ بسرعة، فتخيل نفسك ممتطياً الامواج، وعندما تشتد بك الرغبة لتناول اغذية شهية انت محمي عنها، بادر الى التلهي بشيء ما كقراءة كتاب او تنظيف اسنانك.

ولكن لا بأس اذا جمحت بك الرغبة فتناولت قطعة او قطعتين من الحلوى في

(٢) Aerobic

حفلة عرس صديقك أو تخليت عن تمرينك الحيوائي لمدة اسبوع، على ان يكون ذلك ارتداداً لفترة قصيرة وليس ارتداداً كاملا يقود الى استعادة جسمك تلك الكيلوغرامات الخمسة او العشرة التي فقدها.

ان الارتكاس الرجعي ليس سوى نذير خطر داهم فاعمل على تلافيه كلما تملكتك الرغبة في الاستزادة مثلا من اكل الجيلاتي (البوظة) الشهية في المطبخ. فاطرحها جانباً وتوجه الى غرفة الجلوس حيث تستطيع التفكير ملياً بعيداً من ضغط الشهية، بما التزمته وكرّست نفسك لتحقيقه من خلال الحمية.

واذا كنت ممن سبق لهم ان مارسوا الحمية من طريق اليويو فلا تيأس فسيظل في مقدورك معاودة ضبط وزنك وان استلزم ذلك صبرا وجهداً اكثر مما بذلت سابقاً.

كيلي برونيل ▪



سياحة منزلية

يطيب لوالدتي ان تتجوّل في منزلنا الجديد. ومرة كنت في الطبقة العليا عندما جاء جار لزيارتنا. عرفت ان الوالدة ستظهر قريبا لتعرض متباهية غرفتي للجار، ولعدم رغبتي في مقابلة احد في ذلك اليوم اختبأت في المرحاض. ولم يطل بي الامر حتى طرقت اذني اصوات ثم سمعت وصفا مفصّلا لغرفتي امام الضيف. وفجأة قالت الوالدة: "والآن سنلقي نظرة على المرحاض لترى كم هو واسع." وعلى الفور انفتح باب المرحاض، فبادرت امي الضيف: "هذا ابني جون...."

ج.ب.

ضريبة العزوبة

كنت اتجادل مع صديق حول استقلاليتنا كرجلين عازبين وتعويلنا على نفسنا. وانتهينا الى الاستنتاج ان مهاراتنا في ادارة المنزل تفي بالغرض المطلوب. غير ان مزاجنا الرضيّ تبخّر عندما اقترح صديقي ان نخرج الى احد المطاعم، مبرّرا ذلك "بان كل الطعام الذي عندي يحتاج الى مَن يطبخه."

ك.و.

كلام بكلام

قال الراكب لسائق سيارة الاجرة: "لعلك تتوقع مني بقشيشاً فوق اجرك؟ اليك نصيحة بجمل: اقرب مسافة بين نقطتين هي الخط المستقيم."

د.ب.

سيّدة الأحلام الكبرى

تعلمت ان تحارب في سبيل ما تؤمن به

سالت الدموع على وجه المرأة وهي تفكر بأن الحياة يجب الّا تكون هكذا.

احضرت غوادلوب ريس ولدها التاسع الى المنزل من المستشفى في نهار قارس البرد من فبراير (شباط) حيث كانت درجة الحرارة خارج شقتها القذرة ١٧ درجة مئوية تحت الصفر. ولم تكن ثمة تدفئة في بناية لوب (غوادلوب) منذ نوفمبر (تشرين الثاني). اصيب اولادها كلهم بالزكام وتجمعوا قرب موقد المطبخ طلباً للدفء وهم يرتدون معاطفهم الشتوية الرثة. وكانت الغرفة تعبق برائحة النفايات المكدسة خارج الباب الخلفي.

انذر اندرس زوج لوب وهو عامل في مصنع فولاذ، زوجته بالّا تشتكي الى صاحب الملك خوفاً من ان يطردها هي وعائلتها خارجاً. ولكن لوب لم تعد قادرة على الصبر اكثر مما فعلت ففكّرت: يجب ان اتكلم - مهما يكن من امر - علي ان اعمل شيئاً ما من اجل اولادي. وهكذا اسرعت، والقلق يتملكها طول الطريق، الى مكتب عضو المجلس البلدي في الجوار وتوسلت المساعدة. بعد ظهر ذلك النهار وصل المفتش الصحي الى بناية لوب. وفي الصباح التالي استردت اجهزة التدفئة حيويتها ونقل اربعة عمال النفايات المكدسة امام المبنى الى مكان بعيد، ونُظفت الاروقة، واصلحت النافذة المكسورة.

وشكل ذلك النهار من العام ١٩٥٥ نقطة تحول في حياة غوادلوب ريس بنت عامل المزرعة المهاجر، إذ اكتشفت امراً مهما في نفسها وارادت ان تتقاسمه وعائلتها. فقد كانت تقول بفخر: "تذكروا دائماً انه اذا لم تخافوا استطعتم فعل كل شيء. لا يعوزكم سوى الشجاعة لاثبات ذواتكم والقيام بما تعلمون انه صواب."

تقاسم المهارات - دفعت الثقة المكتشفة حديثا لوب الى قبول تحد آخر كان يجرح فؤادها منذ حين. فابنها السادس بوبي، البالغ من العمر خمس سنوات، كان أصيب وهو رضيع بالتهاب



سحائي في العمود الفقري أورثه تخلفاً حاداً، وشللا جزئياً، وجعله اكثر تعرضاً لنوبات الصرع. وقال لها الاطباء ان ليس ثمة ما تستطيعه من اجله. ولكن لوب صممت على ان تبرهن خطأهم. فثابرت بعناد عبر السنوات القليلة التالية على تعليم بوبي كيف يمشي ويتكلم ويطعم نفسه. وأصرّت على ان يشركه اولادها الآخرون في العابهم.

عندما اصبح بوبي في التاسعة، اشترت العائلة منزلا متواضعا في ضاحية مدينة بلسن. وظلت لوب قرابة خمس سنوات تبحث في محيطها عن برامج تعليمية للاطفال العاجزين جسديا او عقليا، فلم تجد شيئاً. أما المدارس الخاصة فكانت اقساطها غالية جداً. قالت لوب لزوجها: "اذا لم استطع ايجاد برنامج تعليمي لبوبي، فربما استطعت أن اباشر واحداً بنفسي." فهزّ اندرس رأسه وسأل: "ولكن كيف؟"

كانت لوب تفتقر الى المال والثقافة ولكنها، في اي حال، ثابرت على عزمها. فدعت في الصحف ذوي الاطفال المعاقين الى الاجتماع مرة كل اسبوعين في مكتب

Photo: Paul Elledge

مجاور. وحضر الاجتماع الاول خمسة من الاولياء الذين كانوا حاولوا، مثل لوب، ايجاد من يساعد اولادهم فأخفقوا. وقد ادت الاجتماعات التالية بالاولياء المهتمين بالامر الى الاشتراك في برنامج للاطفال المعاقين يقام في الحديقة العامة. ثم اقنعت لوب رجل دين باستعمال جناح سكني لديه مطل على الشارع مرة في الاسبوع كغرفة تدريس، وسرعان ما تحول المكان مدرسة.

ذاع صيت المدرسة في المنطقة، فتفقدها طلاب جامعات ومستشارو صحة عقلية حكوميون. وكانت الهيئة الاشتراعية في الولاية أقرّت قانونا حديثاً يقضي بأن تمدّ كل مقاطعة بالدعم المالي المدارس المحلية التي تعنى بالاطفال المعاقين. وبعد مرور سنة على الاجتماع الاول للاولياء الذي دعت اليه لوب، اصبح برنامج ضاحيتها مدرسة مجانية للاطفال المتعددي الاعاقات، معترفاً بها رسمياً. وكانت المدرسة المسماة "اسبرنزا" (الامل) نقلت من الشقة الصغيرة الى مكان اوسع.

الاعتصام الطارىء - بينما كانت لوب تكافح في سبيل انجاح المدرسة تفكك عالمها الشخصي. فأندرس مات بالسرطان بعد افتتاح "اسبرنزا" بتسعة اشهر، غير انه عاش حتى رأى المدرسة تبدأ بتغيير حياة الناس ومن بينهم حياة بوبي. فالشاب الخشن، المديد القامة، تعلّم ان يغني، ويرسم حروف اسمه. وبعدما كان اعتاد، طوال حياته، ان يكون في جواره من يراقبه ويعتني به، اصبح الاخ الكبير لاطفال "اسبرنزا" الصغار.

وعندما بلغ بوبي الحادية والعشرين من عمره في العام ١٩٧١ لم يعد مسموحاً له بمتابعة دراسته في "اسبرنزا" وفقا لأنظمة الولاية، وتعين عليه ان يدخل مشغلا تدريسياً للبالغين، ولكن لم تتوافر في بلسن تسهيلات كهذه. لم يكن بوبي الوحيد بين هؤلاء الاطفال الذين بلغوا سن البلوغ. فقالت لوب لابنتها ماري الموظفة في "اسبرنزا" والعضو في مجلس الادارة: "حينما يكبر الآخرون سيحتاجون ايضا الى مساعدة. يجب ان نقوم بعمل ما من اجلهم."

طلب مجلس الادارة المساعدة من حكومة الولاية ولكن وكالة الصحة العقلية في ايلينوي ادّعت ان المنطقة لا تحتاج الى مشغل تدريبي للبالغين. وهكذا قررت لوب وماري ان تبدأا المشغل بمفردهما. وبواسطة قرض مصرفي واستعارة الطبقة السفلى لاحد المباني فتحت "إل فالور" (الشجاعة) ابوابها في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢. وكان في انتظارها ثلاثة معاقين متأهبين ومتلهفين للتعلّم ومن بينهم بوبي ريس.

بعد اربعة اشهر حصلت "إل فالور" على اجازة رسمية من سلطات الولاية كما نالت منها منحة بعشرين الف دولار. وفي العام ١٩٧٥ اشترت "إل فالور"، بمساعدة مجلس ضاحية بلسن، مبنى مهدما وجددته. وهو مركزها الرئيسي حالياً.

"سوف نستمر" - ناضلت المؤسسة سنوات لتمول نفسها من طريق بيع

اشياء باليانصيب، ومن حفلات عشاء خيرية تباع فيها اطعمة منزلية ومن منح سنوية تقدمها مؤسسات رسمية. وفي العام ١٩٨٠ كان دائنو "إل فالور" قلقين على وضع المدرسة المالي. وذات يوم اقترح مدير المصرف المحلي ان تدرس "إل فالور" امكان بيع مبناها لكي تسدد ديونها.

خرجت لوب ثائرة من الاجتماع مع مدير المصرف وهي تقول بتحد: "سوف نستمر وننجح. وقد اغضبتها فكرة ضياع حلمها. وبعد بضعة ايام نظمت لوب تظاهرة سلمية امام مكتب الولاية المختص بالصحة العقلية وكانت تقول: "لن نبارح حتى نحصل على المال لنبقي المدرسة مفتوحة." وخلال ساعات حصلت "إل فالور" على الاموال اللازمة.

وتقدر موازنة المدرسة هذه السنة بمليون دولار ونيف، ويعتبر وضعها المالي سليماً تماماً، وهي تساعد سنوياً ٣٥٠ معاقاً، ٧٠ في المئة منهم من العرق الاسباني. وتشمل برامجها الاولاد والاطفال الذين يخطون خطواتهم الاولى والكبار الذين يعانون اعاقات جسدية وعقلية وعاطفية، بالاضافة الى توفيرها خدمات الدعم لعائلاتهم. كذلك هي تؤمن السكن لثمانية وعشرين بالغاً معاقاً. ولولاها لكان معظم هؤلاء في مؤسسات حكومية. ومنذ نشوئها، وظّفت "إل فالور" اكثر من مئة وخمسين معاقاً في مقابل اجور تراوح بين الحد الادنى و٢٤٠٠٠ دولار امريكي سنويا.

وتوظف "إل فالور" المعاقين مباشرة بموجب اتفاقات عمل داخلية. ويكسب كل من يعمل في برنامج اصلاح اضواء شوارع شيكاغو خمسة دولارات ونصف دولار في الساعة، في حين يكتسب مهارات وظيفية مهمة. ويعيد آخرون ربط الاسلاك الكهربائية بمراجعها لحساب شركة كبرى ويتقاضى كل منهم ستة دولارات وستين سنتا عن كل ساعة.

واصبح كثيرون من هؤلاء العمال المتحمسين مستقلين مالياً غير محتاجين الى المساعدة الحكومية. وكان جيمس الفاريز عامل مصعد قبل ان تصيبه رصاصة طائشة بشلل نصفي اقعده في كرسي ذي عجلات وجعله معتمداً على الاعانات الحكومية. ولافتقار الفاريز الى مهارات اخرى اصبح مستقبله كئيباً. وسمع في العام ١٩٨٥ عن مشروع "إل فالور" الجديد للتدريب على الدماغ الالكتروني، وهو اليوم مبرمج خاضع للتدريب في دائرة الاجهزة المعلوماتية لشركة نفطية.

غالباً ما كان أثر "إل فالور" على عائلات المعاقين بحجم أثرها على المعاقين انفسهم. ويتطوع كثيرون للعمل في المكتب وفي متجر بيع الاغراض المستعملة او للمساعدة في جمع التبرعات.

جويس سفاتوس البالغة اثني عشر عاماً والتي تعمل في المكتب، هي أحد المتطوعين الاكثر تفانٍ. ويواظب اخوها بل شاي البالغ من العمر ثمانية واربعين عاما والمصاب بشلل دماغي على الحضور الى المشغل. تقول جويس: "كانت عائلتي تخلت عن السعي الى ايجاد برنامج يساعد بل، عندما التقيت السيدة

ريس وتعلمت منها اهمية المثابرة. وبفضلها اصبح لبل، ما يعلل النفس به."

ان ابناء غوادلوب ريس هم في طليعة القيمين على هذا الجهد العائلي. فابنتاها تريزا وسابينا علّمتا في "اسبرنزا" نحو عشر سنين. كما عمل ابنها جس هناك كمتطوع ينظم للصفار وعائلاتهم رحلات تخييم. اما الابنة ماري فكانت ناشطة في الشؤون الجماعية منذ التحقت بوالدتها في "اسبرنزا" في العام ١٩٦٩. وفي العام ١٩٨٠ شاركت في انشاء "المؤسسة المتحدة للضاحية،" وهي فريق نشط ساعد على فتح سبع مدارس جديدة ومركز طبي جماعي في الضاحية الاسبانية لشيكاغو.

اما اخو ماري بوبي الشاب الذي كان اول من اوحى بهذا الجهد الاجتماعي، فواصل نموه وتطوره في "إل فالور." وهو كان فخوراً بالدولارات القليلة التي يكسبها في المشغل، ففتح حسابا مصرفيا وحلم بأن تكون له شقة خاصة. ولكن نهاية حياته كانت مفجعة إذ توفي في العام ١٩٨٣ وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، اثر عوارض صحية متلاحقة.

انهكت وفاة بوبي لوب فلم تعد الى مكاتب "إل فالور" والمشغل الا بعد مرور شهر على دفنه. وكانت ذكرى بوبي تملأ كل الغرف.

الحث على العمل – لا تزال لوب، وهي اليوم في السبعين من عمرها، ناشطة فاعلة في العمل الاجتماعي. وتسير اربعة ايام في الاسبوع من شقتها في الطبقة السفلى من منزل ماري الى مركز "إل فالور" الرئيسي. وبابتسامة ودماسة دائمتين، تساعد في العلاقات الاجتماعية وفي جمع التبرعات، وتبهج اعضاء المشغل وتشجعهم كما تسدي النصح الى عائلاتهم.

وكثيراً ما تلتقي الاهلين في "إل فالور." وفي احد الاجتماعات الحديثة اثنى هؤلاء على المؤسسة وعلى كل ما انجزته. أصغت اليهم غوادلوب ريس بهدوء ثم وقفت وقالت بصوت قوي وعيناها تلمعان: "يسعدني رضاكم عن "إل فالور،" ولكن لا تفرحوا أكثر مما ينبغي، فعليكم أن تجعلوها أفضل. لا تقولوا: ليس لدينا ما نفعله، لقد انجزنا عملنا. فهناك دائماً من يحتاج الى المساعدة. ناضلوا في سبيل ما تحتاجون اليه. دعوا حلمكم يكبر!"

باتريسيا سكالكا ■



لا تقل "ابداً"

لا ريب انك لاحظتَ، مثلما لاحظتُ انا، أنكَ اذا وجدت نفسك يوماً تعلن جهاراً وبلا مواربة أنك لن تُقدِم على عمل بعينه، فكل الاحتمالات تشير الى أنك قد تتفاجأ يوماً وانت تعمله.

ب.ب.

ارتفعت امواج النهر
حول المخيمين الصغار
ووجدوا انفسهم
وجهاً لوجه مع الموت

أسرى النهر المجنون

المطر الصيفي المتواصل الذي هوّد لأطفال مخيم الشباب في "بوت اوف غولد" حتى خلدوا الى النوم، كان مطراً غامراً اغرق مستجمع الأمطار في المرتفعات البعيدة العالية الذي يمدّ نهر غوادلوب بالمياه. وقد ارتفع منسوب النهر نتيجة السيول الجارفة المنحدرة من الجداول والأخاديد العميقة، فتزايدت سرعته تدريجاً وأخذ يتدحرج شرقا في شكل فيضان بينما كان الفجر الضبابي يلف بلد التلال في جنوب اواسط تكساس يوم الجمعة ١٧ يوليو (تموز) ١٩٨٧.

Illustration: Richard Williams



احكم المقيمون في المناطق المنخفضة اقفال منازلهم واستعدوا لاخلائها. وانذرت الاشارات الضوئية المسافرين بالابتعاد عن المعابر المنخفضة للنهر، أمّا الذين جرفتهم المياه، فاستدعيت مروحيات مختصّة لانقاذهم.

في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين صباحا، وعلى حدود بلدة كومفورت الواقعة على ضفاف النهر، كان مجرى غوادلوب البالغ عرضه ستة امتار يتماوج فوق المعبر الاسمنتي الذي يقود الى طريق مرصوف شديد الانحدار يؤدي الى بوت اوف غولد. بعد مرور اسبوع على الالعاب الرياضية في تلك المنطقة كان ثلاث مئة فتى مخيّمين هناك، مستعدين للعودة الى منازلهم.

استحثهم ريتشارد كونز (٣٦ عاما) المسؤول عن رعاية الشباب في "سيغوفيل رود" في ضاحية دالاس، قائلا: "هيا بنا الى الامام." انقسم اعضاء جماعة سيغوفيل رود، فثلاثة وثلاثون منهم ذهبوا الى حافلة كونز الكبيرة وعشرة الى حافلة صغيرة يقودها ألن كولسون البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما وهو معلم في "بالتش سبرينغز" حيث معظم الصغار الذين تراوح اعمارهم بين احد عشر عاماً وثمانية عشر عاماً كانوا من التلاميذ. وكانت زوجتا الرجلين ترافقانهما للاعتناء بالأطفال ومراقبتهم.

ولتجنب المعبر المغمور بالفيضان ابلغ المشرفون على المخيم الى السائقين ان يتحولا يساراً عند اسفل الطريق المرصوف على بعد ٣٠ متراً من النهر، والمتصل بطريق معبد يصل غوادلوب بالطريق العام.

ازدادت البريكات الموحلة عمقا عند آخر المخرج فتحول كونز نحو المنعطف محاولاً اقتفاء اثر الحافلة التي تقدمته ولكن محرك سيارته توقف فاعاد ادارته وقرر التراجع ولكن حافلة كولسون كانت وراءه وقد توقف محركها هو الآخر.

"الى الاشجار" — فجأة اكتسح النهر تيار مائي غامراً ضفاف غوادلوب ومتدفقاً نحو ملتقى الطرق. ذعر كونز لسرعة ارتفاع المياه حول الحافلة فصرخ: "الجميع الى الخارج."

واذ نزل الصغار كالقطيع من السيارة الى الماء الذي غطى الركب، انضم اليهم العشرة الموجودون في الحافلة الصغيرة. وقد ارتفع منسوب النهر بسرعة حتى مستوى الخصر، فاوقعهم، وهنا صرخ كونز: "الى الاشجار." فحمل الفتيان، وهم نصف مجرورين، الفتيات بصعوبة وتوجهوا بهن صوب جذوع اشجار الجوز والسرو واغصانها السفلى. واعاقت احد الصغار جبيرة ساقه فاعتلى ظهر صديق له.

تعالى هدير الماء تدريجاً وتدفق امواجا فتعلق الصغار بالاشجار.

رُفعت الشاحنة كلعبة وألقيت عند اقرب الاشجار. اما ديبورا زوجة كولسون البالغة من العمر احدى وعشرين سنة، فقفزت من مكانها خوفاً من أن تسحق.

وعاد كولسون الذي غطس لينقذ ولداً يبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، الى الشجرة وبين ذراعيه ولد مرعوب فألفى زوجته متوارية عن النظر. صرخ: "دبي" ثم

رأى سكوت شاثام البالغ من العمر ست عشرة سنة يسبح في النهر ساعيا وراء فتاتين سحبهما التيار المندفع بسرعة مئة كيلومتر في الساعة.

حاول شاثام الصمود، وهو ضعيف البنية بسبب خضوعه للعلاج الكيميائي ضد اللوكيميا، لكن المياه ما لبثت ان ابتلعته. فكافح للعودة الى سطح الماء وتشبث ببعض اغصان الشجر جاذباً نفسه الى فوق. وعندما انطلق نحوه ولد في الثالثة عشرة من عمره كسر شاثام غصنا مدّه الى الصبي وجذبه اليه.

كانت المياه تزداد علوا مع مرور الدقائق، ستة امتار... ثمانية امتار... حتى بقي اعلى اطراف الشجر فقط خارج التيار الشديد. فصرخ الصغار: "تسلقوا". وكان ذلك مهربهم الوحيد. وتحول النهر بحراً هائجا بعرض اربع مئة متر، طافحا بالاشجار المقتلعة والاغصان المقطوعة وجيف الحيوانات. اما المخيمون في الحافلات الذين تراجعوا الى المناطق المرتفعة ففغروا افواههم رعباً.

حبل انقاذ موقت — خف الى المكان من كومفورت الموظف المسؤول عن الحفاظ على الحياة البرية وأجرى اتصالا لاسلكيا طالباً النجدة: "طائرات مروحية، ينبغي الحصول على مروحيات."

وتعالى صراخ من النهر: "يا سيد كونز، انها الحافلة!" فبينما قذفت اكياس الخيش الكبيرة الخاصة بالمخيمين من باب الطوارىء الخلفي اصطدمت الشاحنة بشجرة تقي عشرات الاطفال. ففُقِد ثلاثة جرفهم التيار ومعهم ذهبت لافوندا زوجة كونز البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً. امسكت بفرع شجرة قريب ولكن التيار سحبها بعيداً. واذ اطبقت عليها المياه تضرعت الى الله ان ينقذها بسرعة. ولما ابصرت نور النهار ثانية كانت مستلقية على ظهرها بين الحطام.

في اعالي النهر ارتطمت الحافلة بشجرة ثانية عليها حشد من الفتيان. وقبل ان تغرق بلحظات، قفز صبي الى سطحها ليخطو منه الى محط اعلى وكان كونز وراءه. علق الاثنان عالياً فنزعا سرواليهما وربطا ارجلهما معا، ثمّ القيا حبل الانقاذ الى اسفل وجذبا بعنف صبيين اليهما.

امسكت تارا شقيقة سكوت شاثام البالغة من العمر اربعة عشر عاما بحبل الانقاذ ولكنه افلت من بين اصابعها واخذت تدوّم بعيداً في الفيضان. اما ميلاني فنلي البالغة من العمر اربعة عشر عاما فتمسكت بطرف غصن بعيداً من متناول الآخرين.

هدرت في الأعلى مروحية وقد تدلّى حبل من جنبها، فرأت ميلاني الحبل فرصةً للنجاة الا انها كانت فرصة متأخرة جداً. نادت: "اذا لم اركم ثانية ايها الرجال، فقولوا لاهلي انني احبهم، سأراكم جميعاً في الجنة." ولما افلتت الغصن لمح كونز على وجهها سيماء سلام رائع.

كان الرقيب تشارلز سيل من دائرة السلامة العامة في تكساس يحلق فوق النهر في مروحية يقودها وس هورد وكيني ميدوز، عندما سمع نداء لاسلكيا ملحا: "في النهر حافلة تغرق."

دارت المروحية عائدة نحو منحدر النهر

حيث رؤوس تهتز واذرع تتموج، وبعينين مركزتين على صبي ملتف حول غصن رقيق من الصفصاف امر سيل قائد المروحية بان يلقي حبلا طويلا معقوداً ذا عروة، قائلا له: "اهبط مستقيماً." واذ اصبح الحبل في متناول الصبي امسك بطرفه وجذب الانشوطة الى ما تحت ذراعيه.

صرخ سيل: "لقد ظفرنا به، اصعد"

وحين عاد سيل الى ما فوق منتصف النهر لمح رأس فتاة قرب كومة من الحطام فانزل حبلا ذا انشوطة. ادخلت تارا شاثام المنهكة كتفيها بسهولة في الانشوطة وامسكت بالحبل، ولكنها لم تكد تجتاز النهر حتى افلتت يداها وسقطت من الانشوطة في الماء. فاصطدمت بكتل خشبية عائمة، وحين اوشكت على الوصول الى الحبل، فقدت وعيها. فعلا صوت سيل: "اهبط نحو الماء، نكاد نفقدها."

انزل قائد المروحية حباله الى علو سنتيمترات فوق النهر، ومرّر سيل كتفي تارا في الانشوطة وجذبها اليه ولكن فؤاده اضطرب عندما انقلب بؤبؤا عيني الفتاة تحت أجفانها.

اعتلى سيل اليائس مزلقة المروحية. وبينما امسك مساعد قائد الطائرة بحزام بندقية سيل، اندفع هذا نحو تارا وامسك بشعرها رافعاً اياها الى فوق، فجذبها الرجلان الى الداخل. وبينما كانت المروحية تروغ بين الاشجار، انطرحت تارا مرتخية بين ذراعي سيل، وقد تباطأ تنفسها وراح الماء يتدفق من فيها.

"اسرعوا، انها في خطر" – وصلت الامدادات تباعاً، فقد حلقت فوق النهر ثلاث مروحيات كبيرة تابعة للاسعاف الجوي في فورت سام هيوستن في سان انطونيو. وكانت هناك ايضاً مروحية من شركة كنز للتلفاز في سان انطونيو. واذ رأى سيل حبلا متدلياً من جنب المروحية ادرك ان قائد الطائرة كان يسعى الى اكثر من التقاط صور اخبارية.

لم يتردد مايكل ريس، وهو قائد مروحية حربية سابق في فيتنام، وديفيد فيلاريل وهو مصور صحافي – عن الاستجابة لطلب اطفائي كومفورت المتطوع والمساعد الطبي راي ماسترمن المتمنطق بلباس غطس مطاطي عندما طلب ان يصعد على متن المروحية مع حباله. وقد نجح هؤلاء في جذب مراهقة واحدة عن فرع شجرة، ولما عادوا لانقاذ رفيقتها شاهد ماسترمن فتاة اخرى تطفو على وجه الماء. فدلّى الحبل الى متناول ميلاني فنلي مرتين وفي المرتين كان يسحبها التيار بعيداً من الحبل.

قفز ماسترمن نحوها من زلاقة المروحية عن علو ثلاثة امتار، وتلامست اصابعهما للحظة ثم ابتعدت ميلاني عنه.

اوقف ريس الطائرة في وضع يمكّن فيلاريل من ايصال الحبل اليها. وفي هذه المرة امسكت به مدة كافية لتجر نفسها الى مجمّع من الشجر. واسترد قائد المروحية ماسترمن ثم لاحظوا الضوء المنذر بانخفاض الوقود متوهجاً على لوحة اجهزة القياس فانطلق بالمروحية بعيداً.

في غضون ذلك لمح سيل وافراد طاقمه ميلاني في اقصى اسفل النهر، فاخرجوها بالحبل ذي الانشوطة. واذ ابتعدوا عن الاشجار محلقين على علو خمسة وعشرين

متراً فوق احد الحقول، لاحظوا ان الفتاة البالغة من العمر اربعة عشر عاما، تتصارع مع الحبل. فصاح سيل: "أسرعوا في الهبوط، ان حالها مقلقة."

في تلك اللحظة سقطت ميلاني على الارض، فنقلت فوراً الى المستشفى لكنها ما لبثت ان فارقت الحياة.

حمولة ثمينة – عند الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين صباحا كانت مروحيتان عسكريتان تجوبان الفضاء الشبيه بالغابة المتلبدة بالريح والمطر المتناثر. وبدأتا تسحبان صغاراً من بين الاشجار واكوام الحطام على مدى ثلاثة كيلومترات.

اوقف الطيار جيري غراي مروحيته على علو خمسة عشر متراً فوق الاشجار بينما انزل رئيس الطاقم الرقيب كيث ماكنزي على مقعد موصول بسلك فولاذي يتحرك كهربائيا.

واذ هبط ماكنزي بين الاشجار كسر بيديه اغصانا خوفاً من ان يعلق السلك بها فيعرض المروحية للخطر ويقضى عليه. لقد علم ماكنزي المربوط بالمقعد الذي يزن اربعة عشر كيلوغراما، ان حظه في البقاء حيا سيكون ضعيفا.

تدلى الرجل الى غصن منخفض كان يحمل فتاة. وعندما لاحظ ترددها، وهي ترتجف برداً وخوفا، لاطفها قائلا: "تعالي، المياه مرتفعة وكلانا يحتاج الى الرحيل." اذذاك امسكت الفتاة بيده وجلست في حضنه، واذ أعطى اشارة بالحبل ارتفع هذا بحمولته الثمينة عالياً. وقد شجع هذا الانجاز صفاراً كان التيار جرفهم الى مكان مجاور. وفي الرحلة الثانية احتضن ماكنزي صبياً بينما قفزت فتاة الى ظهر المنقذ.

هبط ماكنزي والمساعد الطبي في المروحية الثانية وليم جوردان، مرة تلو المرة بعيداً عن الانظار بين الاشجار. اما كولسون الذي كان يراقب ما يجري من مكانه فوق النهر، فتنهد تنهيدة فرج حينما توجهت زوجته نحو ماكنزي طلباً للنجاة ثم تلاها سكوت شاثام.

ألقى طاقم اطفائية كيرفل طوفا مطاطيا يساعد على البحث عن الاحياء في ماء النهر الاكثر هدوءاً. وعندما رأت لافوندا كونز المنقذين يقتربون منها صرخت محذرة. فقد شاهدت حيتين سامتين بين الحطام. وبعدما اطبق عليهما رجال الطوف بالمجاذيف، لفوا لافوندا بحرامات وهي تعاني آثار صدمة.

الرباط الراسخ – لم تنته عملية الانقاذ الا عند الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين قبل الظهر عندما تمّ انقاذ آخر صبي ونقله الى كومفورت. بعدها فقط بدأ النهر يهبط من قمة طوفانه بحيث اصبح على علو ثمانية امتار فوق مستواه العادي. وبلغ مجموع من نجا من جماعة سيفوفيل رود ثلاثة وثلاثين، اما المفقودون فكانوا عشرة. وما بين ذلك الاصيل واليوم التالي، وجد الباحثون سبعة اجساد مشبوكة بالاشجار والسياجات. واكتشفت ضحية اخرى يوم الاحد على بعد ثلاثة عشر كيلومترا في اسفل النهر. ومع ان الصبي ذا جبيرة الساق قد نجا فان صديقه الذي حمله على ظهره اعتبر مفقوداً.

مع استمرار الحزن على الضحايا لم يتزعزع ايمان الاحياء. وقد قال الن كولسون: "نحن نعلم اننا سنجتمع ثانية في الجنة، وهذا ما يربطنا ويساعدنا."

ان البطولة التي حالت دون كارثة عظمى لم تذهب سدى. فقد منح كل من ماكنزي وجوردان وسام الخدمة التي تستحق التقدير في الجيش، كما منح كل من طياريهما وسام الطيران. اما مايكل ريس والرقيب تشارلز سيل فتسلم كل منهما تنويها خطيا رسميا من دائرة السلامة العامة في تكساس، غير ان سيل ادخر زيادة على ذلك كتابا من تارا شاتام تقول فيه ببساطة: "أشكر لك انقاذك حياتي."

بيتر مايكلمور ■



اعجوبة في غير محلها

ذات مساء رافقت جاري، وهو يقربني سنا ولكنه أصمّ ولم يتعلم الكلام قط، الى حجرة الرياضة في مدرسة البكم حيث يتدرب على الملاكمة. وعندما لم يظهر زميله في التدريب وافقت على ان اكون بديلا منه في الجولات الخمس.

بعدما قرع الجرس في نهاية الجولة الاولى تخلّيت عن حذري لاتجه الى زاويتي عندما عاجلني بلكمة صلبة رمتني ارضا. واستعدت وعيي لاشاهد احد المدربين جاثيا بقربي يغسل وجهي. وعندما سألت ماذا جرى لي رمقني بنظرة كما لو كان رأى شبحا!

وشرح لي المدرب انه كان يتعين عليّ رفع يدي في الهواء دلالة على ان الجرس قد دقّ. واخبرني كذلك انه اعتقد أنني احد طلاب المدرسة وان صدمة اللكمة القاضية اعادت الي القدرة على الكلام!

رفقاً بالسلحفاة!

في اثناء الحرب في زيمبابوي بافريقيا اعتادت السيارات ان تسير قوافل. وكان على رئيس القافلة الذي يقود السيارة المتقدمة، ان يعطي تعليمات الى سائر السائقين، فاذا استدار يمينا او يسارا على كل سائق في القافلة ان يحذوَ حذوَه.

وخلال رحلة من بايتبريدج حتى بولاوايو، انحرف رئيس القافلة فجأة الى اليمين. ووفقا للتعليمات، قلّده السائقون الآخرون ليتحاشوا سلحفاة تقطع الطريق على مهل منطلقة في سبيلها بمحاذاة ٣٠ سيارة، الى ان بلغت الجانب الآخر، سالمة!

أ.ل.

المران يصنع الكمال، الا عندما يحين موعد نهوضك في الصباح.

س.ك.

اصداء من عالم الطب

تكبير الثدي قد يخفي السرطان

توصلت دراسة حديثة الى استنتاج مؤداه ان تكبير حجم الثديين بواسطة زرع "سيليكون - جل" قد يؤخر كشف سرطان الثدي خلال التشخيص. تضغط المادة المزروعة نسيج الثدي، خصوصاً الدهنية منها، فتحدث ظلا يخفي الاصابة في صورة فحص الثديين بالاشعة السينية (أكس). كذلك فان الندوب التي تتكون حول مكان الزرع قد تؤثر على قدرة الطبيب على تحسس الورم خلال المعاينة.

اجرى الدكتور ملفن ج. سيلفرستين من مركز الثدي في فان نويس بكاليفورنيا، مقارنة في سجل تشخيص ٧٢٣ مريضة بسرطان الثدي من دون زرع مع ٢٠ مصابة اجري لهن زرع فتبين ان التشخيص لم يظهر اي دليل على اصابة اي من اللواتي اجري لهن الزرع في مرحلة قابلة للشفاء.

ويقول الدكتور سيلفرستين: "تدل اكتشافاتنا، للمرة الاولى، على ان تشخيص سرطان الثدي تحجبه الانسجة المزروعة التي قد تؤثر على سريان المرض وعلى حياة المصابات به كذلك. يجب معاينة النساء المعرضات للاصابة الخطيرة بالسرطان بدقة وتنبيه اللواتي يفكرن في تكبير اثدائهن الى خطر تأخر ظهور الدليل المحتمل لاصابتهن بالسرطان."

ويضيف: "واذا كان خطر الاصابة كبيراً يفضل الا تقدم المعنيّات بالامر على اي خطوة لتكبير اثدائهن."

عن "انكولوجي تايمس"

معالجة الشرى بالتنويم

الشرى(★) طفح جلدي ينشأ من حساسية ضد أطعمة أو عقاقير طبية أو لسعات حشرات أو تغيُّرات مباغتة في الطقس. وقد تتفاقم الامور مع دخول عوامل نفسية على الخط.

في استطاعة العلاج بالتنويم المغنطيسي والاسترخاء المساعدة على تهدئة أعراض الشرى الحادة، خصوصاً الحكاك، كما تؤكد كارولين شرتزر والدكتور دونالد لوكينغبيل من كلية الطب بجامعة ولاية بنسلفانيا، في صحيفة "محفوظات الامراض الجلدية". فقد استخدما هاتين التقنيتين في علاج ١٥ مريضاً كانوا يعانون الشرى منذ ثماني سنوات. وأفاد المرضى جميعاً أنهم ارتاحوا من عنف الحكاك واستدامته على رغم أن عدد البثور المنتشرة لم يتغير. وأتت النتائج متماثلة أكان المرضى صنفوا قابلين للتنويم المغنطيسي أم لا. وبعد ١٤ شهراً أفاد معظم المرضى، الذين أعطوا أيضاً شريطاً مسجلا يساعدهم على الاسترخاء في البيت، أنهم تحسنوا كثيراً، واعلن ستة منهم انهم تخلصوا نهائياً من المرض.

تقرير "جمعية الطب الامريكية"

(★) Urticaria or hives

الألفة أحلى الحب

ما هي تلك الصفة التي يصعب تحديدها والتي هي سرّ الزواج الناجح؟ وكيف تحصل انت على المزيد منها في زواجك؟

في الاسابيع التي سبقت وفاة حماتي، حرصنا زوجي وانا على زيارتها في المستشفى كل مساء. وكنا نقف في جوار سريرها عاجزين، نراقبها وهي تذوي وحياتها تنحسر بعدما تغلّب عليها مرض السرطان الذي حاربته طوال خمس سنوات.

وذات مساء يوم جمعة وجدناها واهنة بصورة خاصة فسندها زوجي الى احد ذراعيه وراح يطعمها من فنجان لم تقوَ على حمله بنفسها بسبب ضعفها الشديد. وراحت هي، تحسساً بالواجب، تفتح فمها لتتناول لقم الغذاء من يد الابن الذي ربّته ذات يوم وغذّته. اخيراً التفتت اليه وهمست "وداعاً" وكانت تلك آخر كلمة نطقتها. وقد توفيت بعد اسبوع.

ذلك المساء، تركنا، زوجي وانا، الغرفة معاً. فجأة شعرت بانني اسير وحدي فالتفتّ الى الوراء ورأيت زوجي وقد استند الى الجدار ووضع رأسه بين يديه وراح ينشج وهو عاجز عن تمالك نفسه. عدت إليه وشبكت ذراعي بذراعه. كنت رأيته يبكي في الماضي، يبكي فرحاً، يبكي حزناً، حسب المناسبة. إلا انني لم اره قط يتوجّع هكذا.

علمت، من دون ان يقول لي، بماذا كان يفكّر ويشعر وهو علم انني ادركت الامر. غادرنا المستشفى متشابكي الذراعين وعدنا في السيارة الى البيت بصمت. ومنذ ذلك الحين لم نأت مرة على ذكر ما حصل في المستشفى ولا تحدثنا يوما عن الحزن الذي حمله كل منا منذ وفاة والدته. لم تكن لدينا حاجة الى مثل ذلك الحديث فكل ما يجب قوله قيل تلك الليلة من دون كلمات. كانت لحظات من الصدق التام والفهم العميق، لحظات من الإلفة.

بين جميع مقومات الزواج، ربما كانت الالفة الصفة التي يتوق اليها الناس اكثر من سواها وهي، في اي حال، الصفة التي غالباً ما يصعب تحديدها. ومع وجود ذلك النوع من العلاقات الحميمة، كل شيء يصبح ممكناً، اما من دونها فيسيطر على الانسان شعور بالوحشة.

اختبارات - في السنوات الماضية، قادني اهتمامي بمعرفة ما الذي يجعل الزواج يدوم، الى اجراء مقابلات مع ٨٧ زوجاً وزوجة ممن مضى على زواجهم اكثر من ١٥ سنة. ولقد اجريت مقابلات مع اناس لم يمض على زواجهم سوى فترات قصيرة وغيرهم ايضاً ممن انتهى بهم الامر الى الانفصال. وما اردت معرفته هو كيف يحافظ الأزواج على الإلفة مع مرور الوقت.

ومع انه يصعب تحديد ماهية الإلفة، إلا أنه يمكن تعيين بعض عناصرها. وإذا تبيّن لك ان بعض هذه العناصر موجود في زواجك، فالاحتمال كبير ان علاقتك بالشريك هي من النوع الحميم. وإن تبيّن لك العكس، حاول ان تتأكد انه ليس في امكانك ان تفعل المزيد من اجل انماء حس بالتقارب والالتزام المتبادل بينك وبين شريكك.

ان إحدى الخصائص الاساسية للإلفة هي قبول الشريك كما هو، بمعنى ان كلا من الزوجين قادر على ان يكشف نقائصه للآخر لإنه يعلم ان هذا سوف يتقبّلها كما يتقبّل كل شيء آخر يتصل به. فالقبول شرط اساسي للإلفة ومنه ينمو الشعور بالثقة، اذ تكون انت واثقاً بان شريكك يتقبلك كما انت وانه لن يخون هذه الثقة ابداً.

تتوقف درجة الإلفة السائدة في الزواج ايضاً، والى حدٍّ كبير، على شعور الشريك باهميته المميزة بالنسبة الى الآخر. ولقد فوجئت اثناء مقابلاتي مع الذين انهارت زيجاتهم، بكثرة من قال: "المشكلة انه لم يدعني اشعر يوماً بأنني شخص مميز يتمتع بمكانة خاصة بالنسبة اليه."

الكتمان - اخبرتني صديقة لي ترمّلت حديثاً انها احتجزت في المطار ذات يوم احد مثلج وهي قالت: "علمت انني سأتأخر عن موعد عودتي الى المنزل

ساعات فانتظرت في الصف امام الهاتف العمومي وعندما جاء دوري اخيراً، توقفت. فمن عساي أخابر؟ كان اهلي بالطبع يعلمون انني سوف اعود تلك الليلة ولكنهم لم يكونوا في انتظاري على العشاء، فأنا لم اخبرهم ببرنامجي. ادركت فجأة انه لم يكن في حياتي شخص اعتبر انا بالنسبة اليه اهم انسان في الدنيا، شخص يقلقه غيابي. شعرت، في ذلك المساء، بوحشة لم اشعر بمثلها منذ وفاة زوجي."

مشاطرة الاسرار هي وجه آخر من وجوه الإلفة. وكلما تحدثت مع مزيد من الازواج والزوجات، ازددت قناعة بان في كل زواج سراً وان هناك حقائق بين الزوجين لا يعرفها احد سواهما. وكلما ازداد الزوجان تقارباً، بقي سرّهما مصونا لا خوف من ان يغشاه أحد. وقد يكون السرّ بسيطاً جداً مثل ان تكون الزوجة اكبر من زوجها بخمس سنوات.

الازواج الذين مضت على زواجهم مدة طويلة يدركون عادة ان فترات التقارب تعترضها فترات من التباعد وان الوقت كفيل باعادة التقارب الى علاقتهما. ولقد عبّر أحد الازواج عن هذه الحقيقة بقوله: "يمر الانسان باطوار متعددة عندما يبدو زواجه نكداً لبعض الوقت." أما زوجته فأضافت: "تظن احياناً ان هناك خطأ ما ولكنك لا تتصور نفسك متورطاً في علاقة غرامية او موليا الادبار، بل تصمد لإنك تعلم ان الامور ستتحسن."

التواصل – الزمن يمنح الانسان شعوراً بالامان ويسمح له بالاسترخاء في حضرة الشريك. ولقد قالت لي سيدة مضت على زواجها ١٦ سنة: "كان زوجي يقول: اردت الزواج منك لانني اردت الا اعمل لوجودك اي حساب. إنه كلام رهيب ولكنه في الواقع اراد ان يقول: أريد ان اشعر بانك دائماً لي وانه ليس عليّ ان اجهد في سبيل ذلك او ان اقلق في شأن الانطباع الذي اخلفه لديك."

معرفة الواحد للآخر معرفة حميمة ومشاطرته الالفة النابعة من تلك المعرفة، تقتضيان ان يمضي الواحد مع الآخر وقتاً يتحدثان فيه، يصغيان واحدهما الى الآخر، يتعرف الواحد الى حاجات الآخر – يتواصلان.

مع ذلك فإن القدرة على التواصل تبقى، بالنسبة الى عدد كبير من الناس، من اصعب المهارات المطلوبة في الزواج. فالتواصل بين الزوج والزوجة ينطوي على كثير من الدقة ورهافة الاحساس، وهو ينبع من حياتهما اليومية ومن تبادل التجارب والاختبارات حول مائدة العشاء كل يوم.

كل من الزوجين يعي رغبات الآخر ومشاعره. هذا الوعي مقرون بالقدرة على العطاء من دون تبرّم والأخذ من دون حرج، هو جوهر الإلفة.

تحضرني لمحات من زواج حماتي والذي كان مدبَّراً، اي تمّ بواسطة "صانع زيجات" وفق العادة التي سادت في بلجيكا قبل الحرب العالمية الثانية. وهي، كإبنة مطيعة تقيّدت بالتقليد ولم تنحرف عنه.

دام الزواج ٥٠ سنة اي حتى وفاتها، عرفت خلالها مصاعب شتى: الحرب،

اخفاقاً في العمل، إصابة حموي بمرض مزمن في القلب. ولقد مرّ الزوجان بفترات من الخلاف وبأخرى من "التجانس السلبي" لم يكونا خلالها متقاربين كثيراً لكنهما في المقابل عرفا فترات تميزت بولاء صادق وتفان مطلق من الصعب مضاهاتهما.

قالت لي حماتي ذات مرة بعدما وقعت فريسة المرض: "لن يقدر أحد يوماً أن يتصور الامور التي يفعلها "بابا" من اجلي او كيف يعتني بي. قليل من الأزواج يفعلون لزوجاتهم ما يفعله هو لي".

سألتها: "وانتِ، ألم تفعلي من اجله ما فعله هو من اجلك؟" فأجابت وقد بدا على محياها الجد: "بلى، اليس ذلك غريباً؟ فلو كنت حرّة في اختيار زوج لي، كما انتم احرار في ذلك اليوم، لا ادري ان كان اختياري سيقع عليه هو بالذات. ولكنني لا اتصور ان في امكاني ان اشعر بمثل ذلك التقارب ازاء رجل سواه. لا ادري إن كنت تفهمين ذلك، فالامور اليوم مختلفة عن الماضي. فنحن نشعر دائما - لا أدري كيف اقولها - بالامان بعضنا مع البعض الآخر."

لقد فهمت ما عنته.

فرنسين كلاغسبرن ■



اهلا بالحياة!

توقّف زائرو معرض التكنولوجيا المتطورة في متحف العلوم في بوسطن، مساشوستس، امام نماذج من الليزر والصواريخ التي نالت اعجابهم. ولكن سرعان ما تحلّق حشد صغير من النظّارة حول محضن قريب لتفقيس البيض. وقال احدهم: "انظروا، هذه البيضة تتحرك!" وترنحت البيضة وظهر شدخ في قشرتها: لقد انفقست عن صوص يشق طريقه بمنقاره وجناحه عبر الشدخ. وتنفس هذا المخلوق الهش مراراً وهو يرتعد، وقد بدا ريشه ملتصقاً بجلده، واغمض عينيه بإحكام وهو يهصر القشرة. وحثه احدهم على الخروج: "هيا! تستطيع ان تخرج!"

اخيرا اندفع الصوص من خلال الشق وارتمى بتثاقل على ارض المحضن فيما النظّارة يهللون له. فالتكنولوجيا المتطورة لها اهميتها، لكن الحياة اهم منها بكثير.

عن "ذي نيويورك تايمز"

اخ عند الجيران!

قالت البنت الصغيرة لوالديها العائدَيْن من دار التوليد مع طفل جديد: "بالطبع رغبتُ في اخ، غير اني لم أرِدْهُ ان يعيش بالضرورة بيننا!"

عن "باريد"

مضرب العافية

إن ما ميز ذلك المضرب كان اسطورة وحلمَ ولد صغير

كان الفشل في التقاط كرة القاعدة (*) امراً لا يغتفر في مدرسة سنترفيل الريفية، ذات الغرفة الواحدة التي كنت ادرس فيها في مقاطعة وينباغو في ايلينوي. وكنا نلعب كرة القاعدة في كل الاوقات: في الربيع والصيف والخريف وحتى في الشتاء الى ان تمكن كوركي فاغرستورم من تسجيل هدف بضرب الكرة بعيداً حيث ضاعت في الثلج الذي كدسته الريح.

وفي العام ١٩٤٤ كان جميع التلاميذ الستة والعشرين، فتياناً وفتيات، في الصفوف الابتدائية لمدرستنا الصغيرة يلعبون كرة القاعدة، ومع ذلك كان هنالك أربعة لا يحسنون اللعب، فلم يشتركوا في مباريات كثيرة. وكنت انا تلميذ الصف الابتدائي الرابع واحداً من هؤلاء الى جانب ثلاث فتيات من الصف الاول. لكن معلمتنا السيدة ساندبرغ كانت تلح على مدربنا قائلة: "عليك أن تمنح الفتيات الصغيرات، وجوني ايضاً، فرصة للتعلّم." وهكذا، عندما كنت أجبر على اللعب، كان

(*) تستخدم في هذه اللعبة كرة صلبة ومضرب خشبي. ويشترك فيها فريقان يتألف كل منهما من تسعة لاعبين. وتجرى المباراة على ملعب يضم ٤ قواعد تشكل محيطاً يتوجب على اللاعب العدّاء اكماله.

Photo: Ernest Coppolino

سكيب ليدن مدير الفريق الرامي، يضعني دائماً في الجناح الأيمن للملعب حيث الحركة شبه معدومة.

وفي احد الايام الباردة من أواخر شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، كنت في الجهة اليمنى من الملعب أرتجف داخل سترتي الشتوية الثقيلة وأصلي ألا يضرب احد الكرة في اتجاهي. وكان بطلي المفضل موري باتريك الذي يسجل الاهداف كلما قبض على المضرب، يلعب من القاعدة الاولى ويحثنا جميعاً على الرمي بسرعة ودقة لكي نصيب الهدف ونخرج اول لاعب من المباراة. وما زادني توتراً وجود بولين شقيقة موري التي كنت ألقي عليها احياناً قصائد للشاعر ادغار ألن بو. وبينما كنت واقفاً ذلك النهار العاصف في ميمنة الملعب شارد الفكر، سمعت فجأة صوت المضرب ورأيت كرة عالية تحلق في الفضاء ثم تهبط في اتجاهي، فعدوت وأنا أصرخ "إلتقطها، لقد إلتقطها!" ولم أنتبه الى سياج الأسلاك الشائكة الذي يفصل ملعب مدرستنا عن مرعى أبقار ماك كالو إلا بعد اصطدامي به وانا أقفز لالتقاط الكرة الطائرة. فعلقت بالسياج ولكن لم يصبني اي أذى.

بقيت هناك ولا حيلة لي في ذلك، أهتز كالشوكة الرنانة، بينما تمكن اللاعب العدّاء من تحويل رميته هدفاً تاماً. وجرى في ما بعد نقاش صغير حول جدوى إنزالي عن السياج الى مركزي في ميمنة الملعب.

عمي معلمي – بعد هذه الهزيمة الساحقة التي منيت بها، قررت ان أتعلم اللعب بشكل أفضل مهما كلفني الامر من جهد. ولكن ماذا عساي افعل؟ فوالدي لم يستطع تعليمي اللعب لان التناسق بين نظره ويديه كان سيّئاً كالتناسق لدي. فلجأت الى عمي جاك وهو رياضي كثير المواهب، فاخذني برعايته الرياضية، وقد عنى لي ذلك الكثير. كان في استطاعة جاك ابن الثانية والعشرين أن يوقف الكرة ويردها وان يركض ويضرب، وكان متفوقاً في ضرب الكرة بشكل خاص. وعلمت انه كان يضرب بشدة لأنه كان يستعمل احد مضارب "لويزفيل سلَغِر" الاسطورية.

واثباتاً لوجهة نظره حول سلَغِر اصطحبني العم جاك الى مسرح "كورونادو" لمشاهدة "فخر اليانكيين" وهي قصة لو غيهريغ. وفي احد المشاهد عادت بايب روث ولداً صغيراً مريضاً في المستشفى ووعدته بأن تسجل له هدفاً، ثم وعده لو بان يسجل له هدفين إن تحسّنت حاله، فبر الاثنان بوعدهما وبالفعل تحسنت صحة الصبي وتعافى.

واشار العم جاك الى أن "لو" و"بايب" استعملا لويزفيل سلَغِر للبر بوعدهما وقد ظهر ذلك واضحاً على الشاشة. وكان ذلك المضرب مصنوعاً من الدردار الابيض المتميّز بمقاومة الشد والارداد. وتابع العم جاك شارحاً كيف انه لانقاذ الولد الصغير وجب على بايب ولو أن يصليا أيضاً، لانه، كما قال العم جاك: "عليك ان تصلي وكأن كل شيء يعتمد على الله وان تلعب وكأن كل شيء يعتمد عليك وعلى مضرب سلَغِر."

صليت بحرارة، وأنا اعتبر ما حدث بعد

ذلك استجابة لصلواتي. فقد رحل العم جاك الى الحرب العالمية الثانية. وعندما جاء الى المنزل في اول مأذونية له في عيد الميلاد اورثني اعز ما يملك: مضرب لويزفيل سلَغِر خاصته الذي يبلغ طوله ٩٠ سنتيمتراً ووزنه ١،٢ كيلوغرام. كان هذا المضرب يشبه تماماً المضربين اللذين استعملهما بايب ولو لمساعدة الولد على التعافي. واوصاني العم جاك بان أحافظ على تقليد لويزفيل سلَغِر ان هو لم يرجع من الحرب.

"مضرب سلَغِر" — أتى فصل الصيف فنقلنا لعبتنا الى مرعى للابقار. وفي احد الايام كنا نلعب ضد فريق مدرسة "افرغرين" وهو فريق يضم مجموعة من مسجلي الاهداف. وكان متغيباً عن فريق سنترفيل الفتيات الثلاث من الصف الاول ولاعبان آخران بسبب اصابتهم بالحصبة، فلم يكن لفريق سنترفيل خيار آخر غير اشراكي في اللعب.

لقد استجيبت صلواتي التي رددتها خارج الملعب اذ لم يضرب احد الكرة في اتجاهي. ولكن التوتر ازداد عندما حل دور موري باتريك في مركز حامل المضرب، اذ ان النتيجة كانت متعادلة بعدما سجل فريقنا هدفين (نقطتين) حين استطاع رد الكرة مرتين قاذفاً اياها بعيداً من متناول لاعبي الوسط للفريق الخصم، وكان يكفينا هدف واحد من اهداف موري المعتادة لكي نفوز، ولكنه لم يسجل ذلك الهدف. اما اللاعب التالي الذي وصل الى

المضرب فكان شخصاً تمنى لو كان في مكان آخر يتلو الشعر لبولين باتريك. ولكن بولين كانت في المباراة.

ان الهزيمة السابقة التي منيت بها كانت نتيجة افتقاري الى الثقة بالنفس، لكن موري كان يعلم ما تسلمت في عيد الميلاد فناشدني قائلا: "يمكنك تسجيل الهدف يا جوني. استعمل مضرب سلَغِر."

إن ما حصل لاحقاً يصعب فهمه. فقد شعرت وكأن العم جاك وبايب ولو جميعهم يحومون حولي يهمسون بصوت واحد: "استعمل مضرب سلَغِر يا فتى"، وتمكنت حتى من سماع صوت الولد في المستشفى وهو يرجوني من اجل ضربة واحدة، ثمّ تذكرت كلمات العم جاك: "صلِّ وكأن كل شيء يعتمد على الله والعب وكأن كل شيء يعتمد عليك." فامسكت بالقبضة بما أوتيت من قوة، ولاجل هؤلاء جميعاً ضربت ضربة قوية. لم أسجل هدفاً بالمعنى الصحيح، ولكن ما حققناه، مضربي وانا، كان ضربة نحو اليمين اخطأها الخصم، مما سمح لباتريك العظيم بالقيام بدورة كاملة، وسهل لي الانتقال الى القاعدة الثانية. وبذلك اصبحت النتيجة اثنين لواحد.

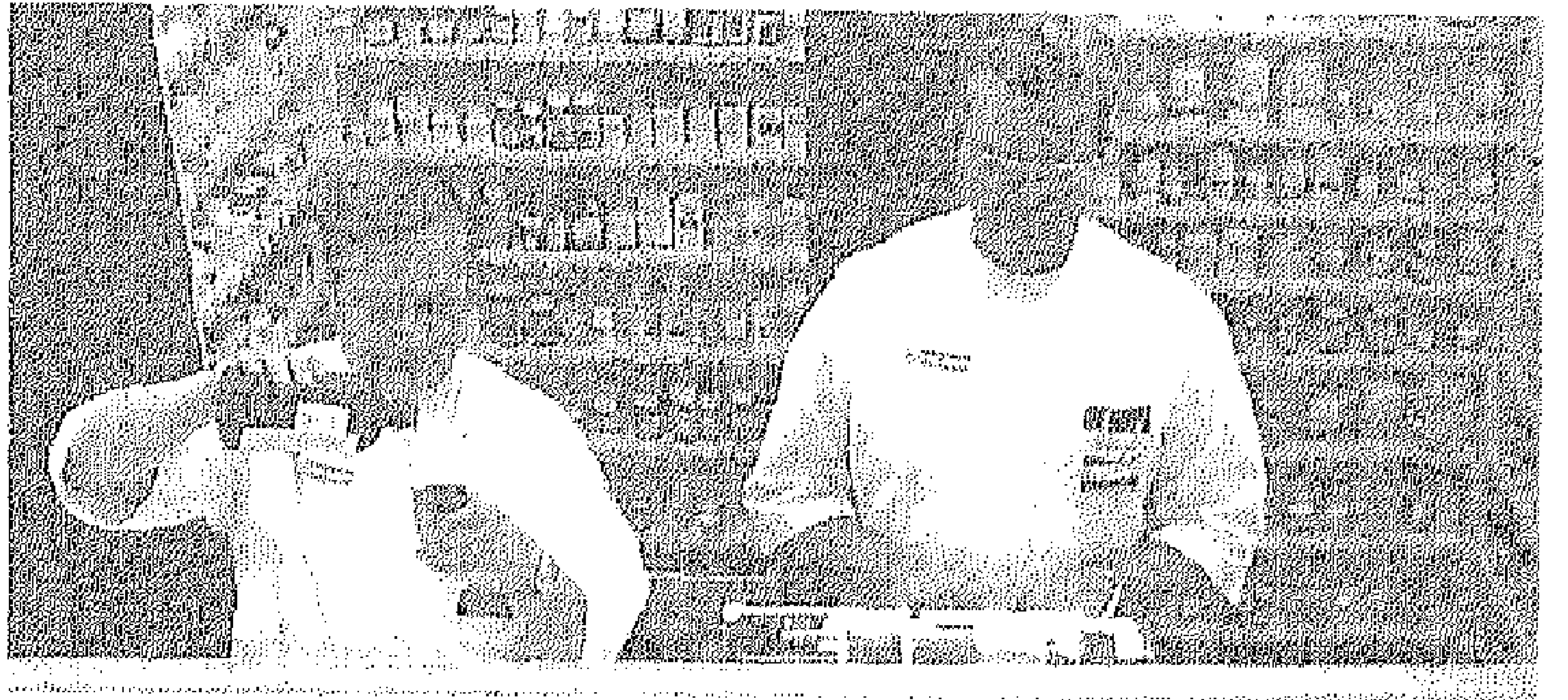
المضرب الجديد – مضت السنوات، فعاد العم جاك من الحرب، ولكرمٍ منه لم يطالبني بالمضرب. فعاش المضرب بجلال في حوزتي وحوزة ولديّ من بعدي. وفي العام ١٩٨٤، وتكريماً للذكرى المئوية لمضرب سلَغِر ولتلك اللحظة المفعمة بانتصار الشباب، اشتريت مضرباً جديداً من لويزفيل سلَغِر.

وفي شهر مارس (آذار) زرت العم جاك قبل عيد ميلاده السادس والستين بقليل. كانت وطأة المرض اشتدت عليه فبدا عاجزاً عن الاهتمام بأكثر الامور. اما الجزء الاسوأ، كما قال، فكان حاجة حفيده جيمي الى المساعدة في لعبة كرة القاعدة. وكان العم جاك يأمل أن يتمكن من مساعدته. فقلت له: "اسمعني يا عم جاك! اتذكر عندما منحتني مضرب لويزفيل فلعبت مع موري باتريك؟" فهز رأسه موافقاً فاضفت بسرعة: "انني امتلك مضرباً جديداً اليوم وهو مضرب رائع." فجأة استقام العم جاك، وللمرة الاولى تمكنت من رؤية ذلك البريق القديم في عينيه مجدداً: "أحقاً ما تقول؟ أتملك مضرباً جديداً؟" فأجبته: "نعم! لنعقد اتفاقاً. عليك ان تتعافى لتلقن جيمي تلك الدروس في كرة القاعدة فاعطيك المضرب الجديد في مقابل القديم الذي منحتني اياه. ضع مضرب سلَغِر في يدي جيمي، فيضرب الكرة بعيداً من النظر." فقال العم جاك برفق: "أنا اكيد أنه سيفعل ذلك."

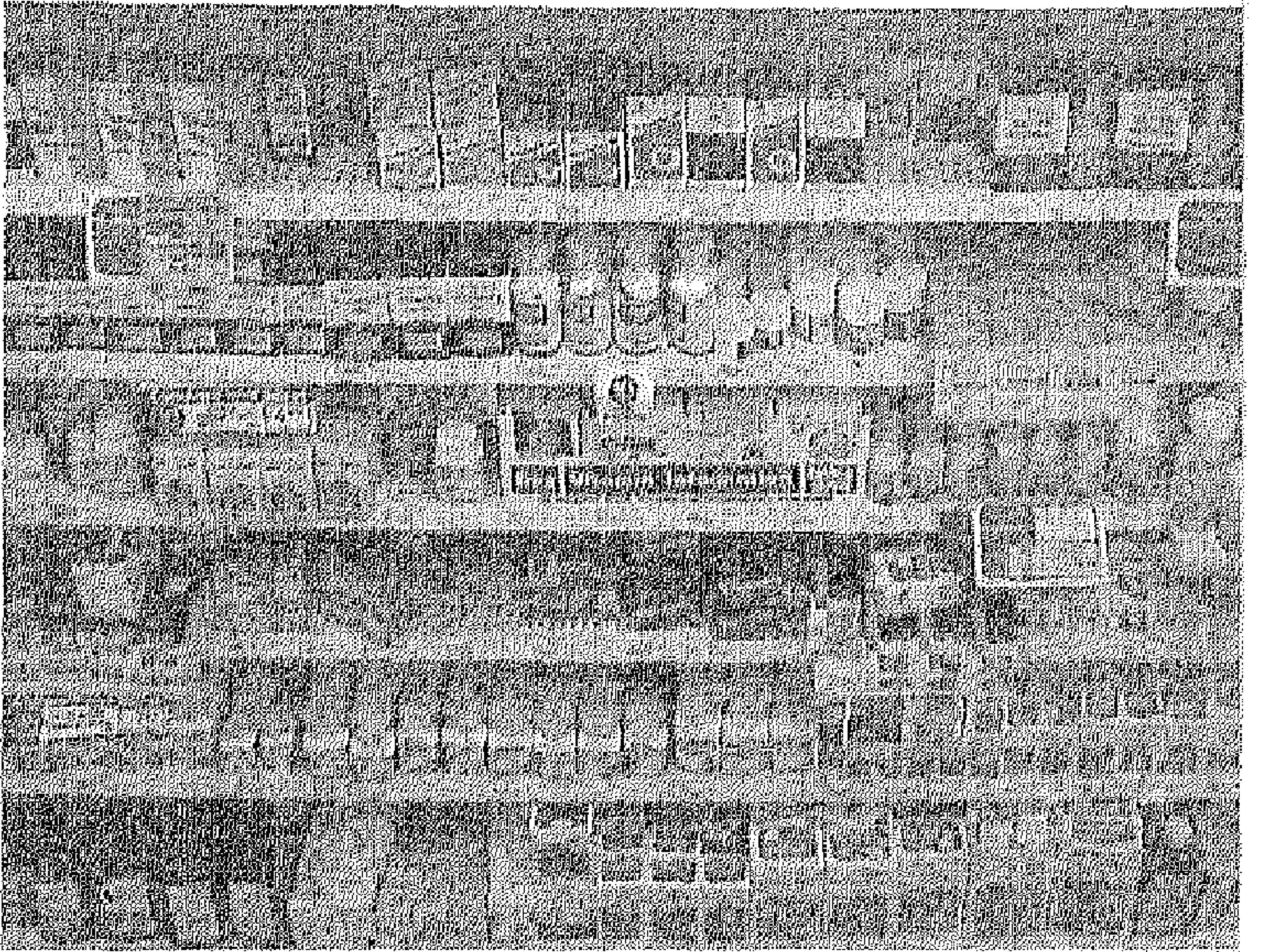
فقلت له: "ولكن عليك التعافي اولا يا عمي جاك."

كان هناك شيء جديد في صوته. ومرة ثانية استطعت أن اسمع كلماته القديمة عبر السنين: "صلِّ وكأن كل شيء يعتمد على الله والعب وكأن كل شيء يعتمد عليك." وفي تلك اللحظة بالذات شعرت بالمضرب مجدّداً في يدي، ومن نظرات عينيه، عرفت ان العم جاك شعر بذلك ايضاً، فادركت انه سيكون على ما يرام.

جون كلهاين ■



أتعتمد بانتظام المسهّلات
وقطرات العين
والاقراص المنومة
من دون وصفة طبيّة؟



إدمان الأدوية عادة سيّئة

لم اتوقع يوماً ان اصبح مدمناً اي عقار ولاسيما رشاش مانع للاحتقان الانفي اشتريته من السوبرماركت في أوج موسم الحساسية. ولكن عندما حاولت التوقف عن استعماله بعد اسبوعين، اكتشفت اني علقت في شباكه. فمن دون الجرعات المعتادة منه، لم يعد في امكاني التنفس من أنفي.

لم يكن ادماني من النوع الذي يولد شعورا بالنشوة والخفة، ولكن بسبب استعمالي الرشاش لمدة اطول مما حددته الوصفة على علبة الدواء، اصبح جسمي مدمنا اياه. ويشرح الاختصاصي بعلم العقاقير جو غرايدون: "يتميّز الادمان بتزامن أعراض الامتناع عن مخدّر ما، فإن عانيت اعراض الانقطاع بعد التوقف عن استعمال مادة ما، فانك تكون مدمناً اياها."

Condensed from Woman's Day (January 19, '88), New York, N.Y.

ومع ان معظمنا يفترض ان كل ما يتوافر في الصيدلية هو غير ضار اجمالاً، فإن العقاقير غير الموصوفة قد تؤذيك ان انت اسأت استعمالها، وقد يؤدي بعضها ان افرط في استعماله الى ادمانه بدوافع نفسية وجسدية.

اليك بعض الادوية التي يجب الاحتراس منها:

١. رشاش الانف. لا يستغرق هذا الدواء وقتاً طويلاً قبل التعلق به. وتشير التعليمات على العلبة بالّا تتعدى مدّة استعمال رشاش الانف الثلاثة الأيام، وهو تحذير تجاهلته. وبعد بضعة اشهر، احتجت الى ستة اضعاف الجرعة الموصوفة لليوم واحد اضافة الى جرعة في الثالثة صباحاً. ان امثالي ممن يسيئون استعمال الدواء يعرضون انفسهم لخطر احتقان انفي يسوء باستمرار، وضرر طويل الامد في الاغشية الانفية، ونزف مفرط، وجيوب ملتهبة، وحتى فقدان حاسة الشم كلياً أو جزئياً.

يفسر الدكتور رونالد ماكلين الاختصاصي بامراض الحساسية والمناعة من اتلنتا في جورجيا ان سبب هذه المأساة هو تفاعل يعرف بالظاهرة الارتدادية. فرشاش الأنف يعمل بواسطة تقليص الاوعية الدموية في الانف، وتكرار استعماله يسبب تعباً في هذه الاوعية مما يجعل تقلصها مسألة تستوجب جرعات اكبر وأكثر تكراراً. فبدلاً من ان تنكمش هذه الاوعية فانها تتمدد وتمتلىء الانسجة الانفية المحيطة بها بالسائل المخاطي فينتج من ذلك احتقان اسوأ من ذي قبل.

وعندما استشرت طبيب الحساسية في نهاية الامر، حقنني مادة "كورتيزون" لتخفيف الالتهاب وتسهيل الانقطاع عن الرشاش، فانسد انفي وحلقي طوال يوم شنيع، ثم بدأ فعل الكورتيزون ولكنني لم استعد حالي الطبيعية الّا بعد اسابيع.

اذا لم يكن ادمانك الدواء قديماً قدم عهد الدمان الذي كنت اعانيه، فيمكنك اولاً محاولة نصيحة ادوين وِب من الاتحاد الصيدلي الامريكي: "افطِم نفسك عن الرشاش بابدال الاصناف الطويلة المفعول بأخرى قصيرة المفعول ثم بنوع مخفف للاطفال." أو جرّب استعمال محلول ملحي يساعد في شفاء الجيوب الملتهبة. أذب نصف ملعقة من بيكربونات الصودا وملعقة من الملح في ليتر من الماء البارد ورش المنخرين عدة مرات يوميا حتى يخمد الالتهاب.

٢. المسهلات. على رغم التحذير الواضح على العلبة "الاستعمال المتكرر أو المتواصل قد يؤدي الى الادمان"، يقدّر الخبراء ان ملايين الناس يتحولون "مدمني مسهلات."

تحتوي معظم المسهلات المؤدية الى الادمان، على مادة "الفينولفثالين." وتعمل هذه المسهلات بواسطة تهييج الغشاء الداخلي للأمعاء الذي يثير بدوره الاعصاب مسبباً انقباضا في العضلات. ويحذر الدكتور مارفن شوستر الاختصاصي بامراض المعدة والامعاء في كلية جونز هوبكنز للطب في بالتيمور بمريلاند: "في آخر الامر، قد تنحلّ خلايا الاعصاب بشكل دائم، فتصبح الامعاء شبه مشلولة مما

يجعل الامساك أسوأ مما كان قبل استعمال المسهلات."

غالباً ما يكتشف اولئك الذين يستعملونَ المسهلات تكراراً انهم مرغمون على زيادة كمية الجرعة للوصول الى النتيجة نفسها. ومع تناول أخذ المزيد منها، يزداد الامساك تلقائياً.

وللتخلص من عادة المسهلات، عليك بالامتناع عنها تدريجاً طوال بضعة اشهر، ومن الممكن أن تستخدم مسهلاً طبيعياً اكثر فاعلية من المسهلات المنبهة. كما عليك التزام حمية قليلة الدهن وغنية بالمواد الليفية والسوائل وممارسة الرياضة باستمرار.

٣. قطرات العين. تقلّص هذه القطرات الاوعية الدموية فتبدو العين اكثر بياضاً. واستعمالها تكراراً، أي ثلاث أو اربع مرات يومياً طوال اسابيع، قد يسبب ظاهرة ارتدادية. ويوضح الدكتور كن كينيدي وهو طبيب للعيون من اتلنتا "انّ استعمال القطرات من حين الى آخر امر لا بأس به، ولكن اذا اسأت استعمالها فقد تجد انك في حاجة اليها كل بضع ساعات للتخلص من الاحمرار في عينيك. وعندما تحاول التوقف، تصبح عيناك اكثر احمراراً مما كانت قبلا."

العلاج: عليك بالتوقف فجأة وكليًّا. ويقول الدكتور كينيدي: "قد تتطلب عودة عينيك الى حالهما الطبيعية شهراً كاملاً. وقد تجد في ذلك صعوبة جمّة مما يجعلك ترغب في استعمال بضع قطرات فقط، ولكن ان فعلت ذلك، تبدأ المشكلة من جديد."

٤. الاقراص المنبهة. تحتوي هذه المنبّهات على الكافيين وهو مادة يعتاد الجسم عليها إن هي وجدت في الشراب أو في الأقراص. ويقول الصيدلي غرايدون: "حين تعتاد تناول جرعات كبيرة منها ثمّ تتوقف فجأة، فقد تظهر عليك اعراض انقطاع وأكثرها شيوعاً آلام رأس مبرحة."

إنّ كمية الكافيين الموجودة في قرص واحد صغيرة، وتكون عادة إمَّا ١٠٠ أو ٢٠٠ ميليغرام أي ما يعادل فنجاناً أو فنجانين من القهوة. ويذكر الطبيب النفسي ستيفن ليفي: "لكن الجسم يكتسب تدريجاً قدرة على احتمال الكافيين، متطلباً المزيد للحصول على التأثير المنبه نفسه." ويتوصل البعض الى استعمال قنينة كاملة في أسبوع. وقد تسبّب جرعات أكبر ارتفاعاً في معدّل سرعة القلب وآلاماً في الرأس أو تهيّجاً.

السبيل الى الانقطاع: لكي تتجنب اعراض الانقطاع عليك بالتوقف عن تناول الكافيين تدريجاً – تناول كمية تقلّ يوماً بعد يوم.

٥. الاقراص المنومة. جميع الادوية المنومة المتوافرة في الصيدليات موافق عليها من جانب السلطات المختصة "للاستعمال الظرفي او العرضي" ومعظم هذه الاقراص هو في الحقيقة مضادات لـ "الهستمين" وهي ادوية للحساسية ينتج منها النوم كمفعول جانبي. فالذين يعانون الحساسية يتوصلون احياناً الى درجة من الانزعاج تحرمهم النوم فيلجأون الى تناول قرص للحساسية سواء اكانوا منزعجين من الحساسية ام لا. وعلى نحو

مماثل، قد تتحوّل الاقراص المنومة عادة عند بعض الافراد.

يقول جو غرايدون: "يجهل كثيرون من الناس ما إذا كانوا سيصابون بالارق، فيتناولون، احتراساً، اقراصاً منومة مما يؤدي الى ادمانهم الدواء بدوافع نفسية." وعندما يتوقفون عن تناول هذه الاقراص، قد يصابون بالأرق في الليالي القليلة التي تلي انقطاعهم عنها. وبما ان الادوية المضادة للهستمين لديها تأثيرات جانبية كجفاف الحلق وخفقان القلب السريع، فمن الافضل استعمالها عند الحاجة فقط.

٦. الكوديين للسعال. ان الحصول على ادوية السعال التي تحتوي على "الكوديين" المخدر، وهو مادة فعالة تخمد السعال، يبدو امراً مشروعاً تماماً في بعض المناطق. ويوضح جاكوب ميلر الصيدلي في شركة روبنز: "الكوديين مخدر غير مؤذٍ ولكنَّ الاكثار منه يسبب الاصابة بالغثيان والامساك." ومع ذلك فإن بعضهم "يكتسب قدرة على احتمال هذه التأثيرات الجانبية فيصل الى حال ادمان الكوديين."

يقول الطبيب النفسي ليفي ان علاج ادمان الكوديين يتم عبر برنامج تخفيضي لازالته تدريجاً من الجسم في رعاية طبيب متخصص.

الهدف من هذا البحث واضح تماماً: إنَّ العقاقير غير الموصوفة ليست خلواً من الضرر. انها ادوية قوية، وتنفع شرط التقيد بالتعليمات المرفقة بها. تذكر: تقيّد بالتعليمات المرفقة بعلبة الدواء.

إن كنت ترتاب في انك تكثر من تناول اي دواء، إخفه من المنزل وأطلب مساعدة الطبيب أو الصيدلي. فإن انت فقدت سيطرتك على هذه الادوية، سيطرت هي عليك.

جيني ولسون ■



تقدُّم ملحوظ!

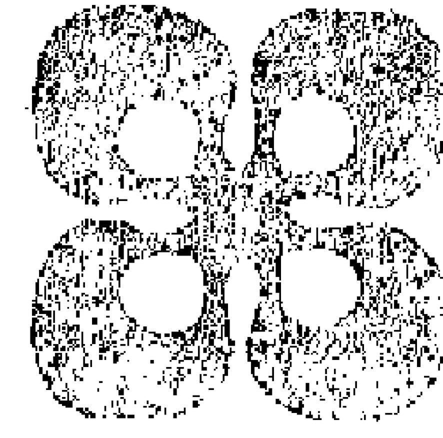
طالب لآخر:
"كيف تسير دروسك في اللغة الانكليزية؟ هل تُحرز تقدما؟
– انها جيدة. فقد كنت قبلا لا استطيع فهم الانكليزي. والآن صار الانكليزي عاجزاً عن فهمي.

ب.ج.أ.

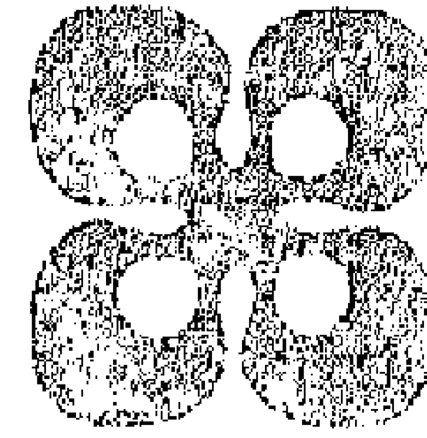
بحار للبيع...

إعلان مبوب في جريدة شرق اوسطية: "للبيع: بحار بريطاني على اهبة مغادرة الكويت يطلب منزلا حسنا لببغاء. يتكلم العربية والانكليزية. مدرب على الحط على الكتف."

عن صحيفة "بانكوك بوست"



رَمْلٌ وذَهَبٌ



بعض الامثال جواهر وبعضها الاخر ذهب مزيف

والامثال تعتبر كنوزاً يُحرص عليها ويتوارثها جيل بعد جيل. ومن الاعتقاد السائد ان هذه الاقوال المأثورة تحوي الحكمة بكل معانيها ولكن هل ما تعنيه من حقائق هو فعلا صحيح؟

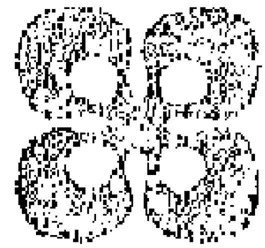
رأى علماء النفس انها إما أن تصيب وإما أن تخيب، وعلى رغم ذلك فهي مستمرة. والقول الشائع، ان العادات القديمة، وكذا الامثال القديمة، من الصعب ان تموت.

العصا لمن عصى

بعض الامثال أُنكرت صحتها كلياً او هي سببت مقداراً كبيراً من الاذى كحال هذا المثل. فقد اظهر ما يقرب من ٤٠ سنة من البحث ان العصا لا تؤدي إلا الى نشأة اطفال اكثر شراسة من نظائرهم. ومع أن العقاب الجسدي قد يقضي على الانحراف، في المدى القصير، إلا انه يذكي في الطفل روح التصميم على التفلت من العقاب.

عام ١٩٦٠ درس ليونارد ايرون الباحث النفسي في جامعة ايلينوي بشيكاغو الاحوال النفسية لـ٨٦٠ طفلا في عمر الثامنة، فاكتشف ان هناك علاقة واضحة بين درجة العقاب الجسدي الذي تعرض له الاطفال ودرجة الشراسة التي حكم بها عليهم اطفال آخرون. وبعد ٢٢ عاماً ثبتت صحة بعض هذه الحالات.

ثبت، عموماً، ان الاطفال الشرسين صاروا كذلك عند بلوغهم سن الرشد وغالباً ما يكون اطفالهم شرسين هم ايضاً.



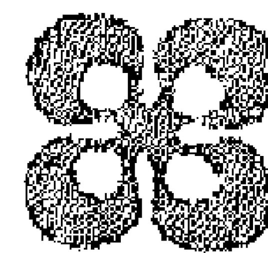
لا تستطيع تعليم كلب عجوز حيلا جديدة

هذا المثل غير صحيح، فلدى الناس استعداد لتعلم اشياء جديدة طوال حياتهم سوى ان تقدمهم في السن يجعل هذه المسألة صعبة بعض الشيء.

اجرى العالمان النفسانيان ك. وارنر

ساشي وشيري ل. ويليس من جامعة بنسلفانيا، اختباراً على مجموعة من ١٦٣ شخصاً لفترات مدتها سبع سنوات، بين ١٩٥٦ و١٩٨٤، لمعرفة مدى التغيير الطارئ على مستوى ذكائهم خلال تلك الفترة. واظهر عدد من القياسات انخفاضاً في المقدرة بعد السن الستين. غير ان ساشي وجد مع بعض الباحثين الآخرين ان في وسع المتقدمين في السن ان يتعلموا حرفاً تعوض تدني المقدرة او تعكس هذا التدني.

وفي بحثهما عن وسيلة ناجعة تفيدهما في حل مشاكل مستويات الذكاء، اعطى كل من ساشي وويليس تمارين من خمس حلقات مدة كل منها ساعة لمجموعة متوسط اعمار افرادها ٧٢ عاماً، ثم قارنا نتائج هذه التمارين بمستويات حققها هؤلاء قبل ١٤ عاماً، فوجدا ان التمارين قد أثمرت بجعل ٤٠٪ ممن كان تدنيهم واضحاً يستعيدون علاماتهم السابقة اياها، في حين كان التحسن طفيفاً لدى بعض الذين كان مستوى التدني عندهم ضئيلا.

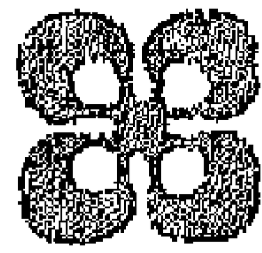


ابكِ تبكِ وحدك

ان حبك لاشراك صاحب في همك ليس دليلا على انه يحب ذلك. طلب العالم النفساني جيمس ت. كوني من جامعة ميامي، من ٤٥ طالبة جامعية ان يتحدثن بواسطة الهاتف ولمدة ٢٠ دقيقة مع نساء أخريات يعاني بعضهن حالات نفسية سيئة، وذلك من دون اطلاع الطالبات على هذه الحالات.

وقد افصحت هؤلاء الطالبات انهن كنّ اقل اهتماماً بالتحدث الى النساء المكتئبات منهن الى اللواتي لسن كذلك.

وردود الفعل هذه ما هي الا جزء من حلقة مفرغة باتت امراً مألوفاً. فالتعساء يدفعون من هم في اشد الحاجة الى عطفهم الى التهرب منهم مما يزيد تعاستهم ويزيد بالتالي حاجتهم الى المساعدة.



ان الطيور على اشكالها تقع

يقول الباحث النفساني ريشارد و. ليواك من العيادة النفسية "دل مار" في كاليفورنيا ان دراسات كثيرة اظهرت ان الاشخاص الذين يتحدرون من السلالات والديانات نفسها ولهم مستوى معيشي واحدة غالباً ما يتجمعون معاً تماما كما يفعل الذين يعتنقون النظريات السياسية المتشابهة.

وثمة ابحاث تؤيد الفكرة القائلة بأن "الشبه يتزوج شبيهه" اكثر من تلك التي تؤكد أن "الضد ينجذب الى ضده" على اساس ان الضد يظهر حسنه الضد.

ويرى باحثون مهتمون بهذه المسألة انه حتى عندما يكون الانجذاب قوياً الى درجة الجمع بين شخصين برباط الزواج، فغالباً ما يكون الشريكان متشابهين اكثر

منهما مختلفين. ولكن مشاركة الواحد الآخر في ما يحب ويفكر ستؤدي بهما الى الانسجام. أوَليس الانسجام، كما يقولون، يولد الرضا؟

فكر جيداً: ان تكرار رؤيتك شيئاً او شخصاً غالباً ما يولد اعجاباً به وليس رضا عنه. وقد تولى الاختصاصي النفساني روبرت زاجوك من جامعة ميشيغن، اطلاع اشخاص على مجموعة كلمات باللغة التركية لا يعرفونها، وكان كلما عرض عليهم مواضيع تظهر فيها هذه الكلمات كانوا يقولون انها تعني لهم شيئاً حسناً. كما ان ردة الفعل عندهم كانت متشابهة عندما ابدوا شعوراً باستحسان صور لاشخاص غرباء عرضت عليهم اكثر من مرة.

في المقابل، عندما يكون لديك سبب لتكره شيئاً او شخصاً كرهاً شديداً فلن يكون لتكرار رؤيتك اياه اي تأثير على تبدل مشاعرك، ولكن الغالبية بيننا تحب الشيء او الشخص الذي تعودت رؤيته.

الفي كون ■



انقلاب المقاييس

دمَّر طقس بارد غير متوقَّع براعم شجيرة دراق لابي، خلال سنتين على التوالي. وهذا الموسم استعد ابي، فاعاد غرس شجيرته في صندوق واسع له عجلات، لينقلها الى المرأب كلما هبطت الحرارة.

وذات يوم كان ابي ينقل الشجرة من المرأب الى فناء البيت، فتوقف ليسقي كلبنا من خرطوم مياه الحديقة. وكان احد جيراننا يراقب المشهد فكهاً، فمازح ابي قائلا: "يا صديقي، انت الرجل الوحيد الذي ينزّه شجرته ويسقي كلبه!"

ج.هـ.

نسبية الحضارات

في اللغة العربية نقول في من عصاه النوم "لم يغمض له جفن." اما في لهجة قبيلة الكزهوسا الافريقية فيقولون: "عندما بزغ الفجر كنا ننظر من خلال عينيْ البارحة."

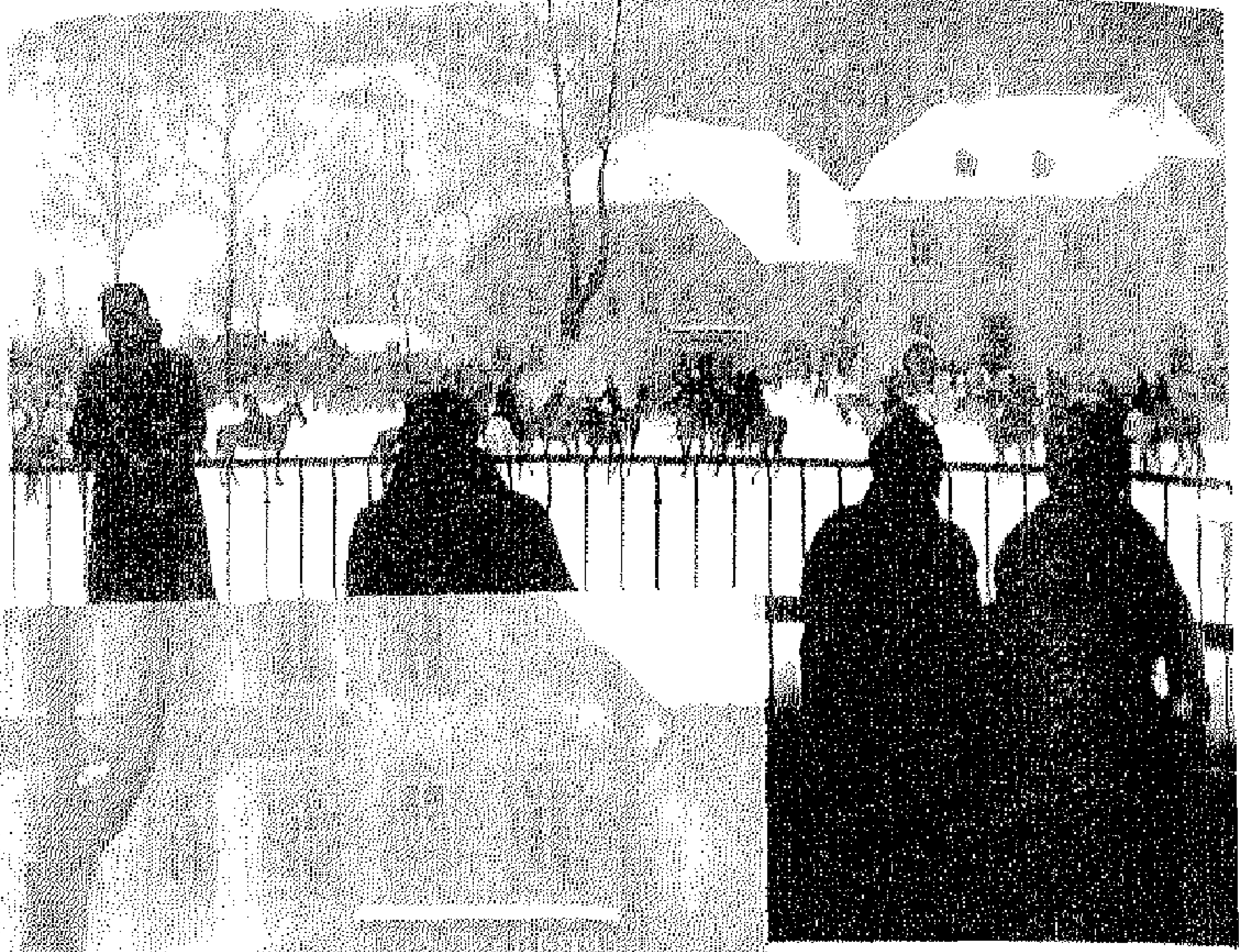
س.س.

يرفض الابتزاز

قال الشاري للمزارع بعد وزن الجوز المعبأ باكياس من الخيش: "لقد حسمنا وزن الاكياس من القيمة لاننا ندفع ثمن الجوز فقط."

وعلى الاثر اخذ المزارع يفرغ الجوز من الاكياس في ارض المتجر. فهتف به الشاري: "ماذا تفعل؟" اجاب المزارع: "انك لم تشتر الاكياس لذلك سآخذها معي." ثم تابع تفريغ الجوز بكل هدوء.

ج.هـ.



النظارة يشاهدون لوحة بورباكي.
تحت: الضباط الفرنسيون والسويسريون ينظمون اعتقال الجنود الفرنسيين.



لوحاتٌ تأسُرُ الألبابَ

لوحات مبتكرة من القرن الثامن عشر تعود اليها الحياة

كان روجر هاليت يعدو وئيداً حول متنزه الكسندرا في باث ببريطانيا، صبيحة ذات صيف رائق عام ١٩٨٣، اذ تراءى له انه بين جنبات احد المناظر الأكثر فتنة في العالم. من هذه البقعة المرتفعة قيض له ان يشاهد منظراً بديعاً للمدينة بأسرها، درة التخطيط المدني المحدث في القرن الثامن عشر، اضافة الى المدرّج المسرحي الطبيعي من الروابي المشجرة المحيطة بها. وحدث نفسه: الا يسعني ان اشاطر العالم بهجة هذا المشهد؟

ان هاليت الاختصاصي بالمنظرة المسرحية، قد رسم مئات المباني وسفوح التلال كصور خلفية. لكن هذا الأمر

Kantonale Denkmalpflege Luzern

مختلف؛ فلبلوغ التأثير الذي ينشده، عليه ان يصور المشهد في دائرة كاملة من ٣٦٠ درجة تعانق المتفرج. كما طوّقه ممر العدو الدائري في باث.

اما اليوم فان "منظر هاليت العمومي،" وهي لوحة زيتية على قماش مساحتها ٣٧٠ متراً مربعاً وتؤلف دائرة قطرها ١٨ متراً، موجودة في بناء مستدير خاص تعلوه قبة في لندن. وبغية مشاهدة هذه اللوحة ينبغي ان ترتقي سلماً من الأسفل نحو منصة للرؤية وسط الدائرة التي تبدو كسلة من قضبان الصفصاف، معلقة بمنطاد هواء ساخن.

والواقع ان هاليت قد شرع في العمل على مشروعه التصويري في منطاد مماثل. وبما ان المنظر من ممر العدو تعترضه الاشجار، فقد استأجر هاليت منطاد هواء ساخن في ١٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣ مرتفعاً على علو ١٥ متراً فوق متنزه الكسندرا لالتقاط صور فوتوغرافية عن المنطقة بأكملها. وقد استعمل هذه الصور في رسم تخطيطي مفصل للمنظر، ما لبث ان نقله على لوحة قماش بطول ٦٠ متراً وارتفاع ستة أمتار. وكي يجمع المال للوحة ومواد الرسم، أصدر حصصاً في المشروع. وكان كل من يدفع ٥٠٠ جنيه يظهر رسمه في اللوحة رانياً من المتنزه إلى المنطاد.

غير أن هاليت لم يدرك ان فكرة رسم منظر عمومي ترقى الى نحو ٢٠٠ سنة. فالايحاء الأول المسجل كان من حظ ايرلندي اسمه روبرت باركر، عمد عام ١٧٨٧ إلى الحصول على براءة امتياز "للوحة بلا حدود." وقد عرضت احدى لوحاته واسمها "مرأى للندن" في المدينة داخل مبنى شيد خصيصاً لها عام ١٧٩٣؛ وغدت اللوحة مثالاً يحتذى لمئات من اللوحات التي اعقبتها في عشرات السنين التالية حول مواضيع متعددة.

ارتقى المتفرج المكان من اسفله، والفى نفسه فجأة في بناء مسقوف مطل على رسم منظر طبيعي، كاد ان يقسم انه، لشدة واقعيته، يجد نفسه في البنغال أول جبال الالب أو حيثما اختار الفنان أن يصطحبه.

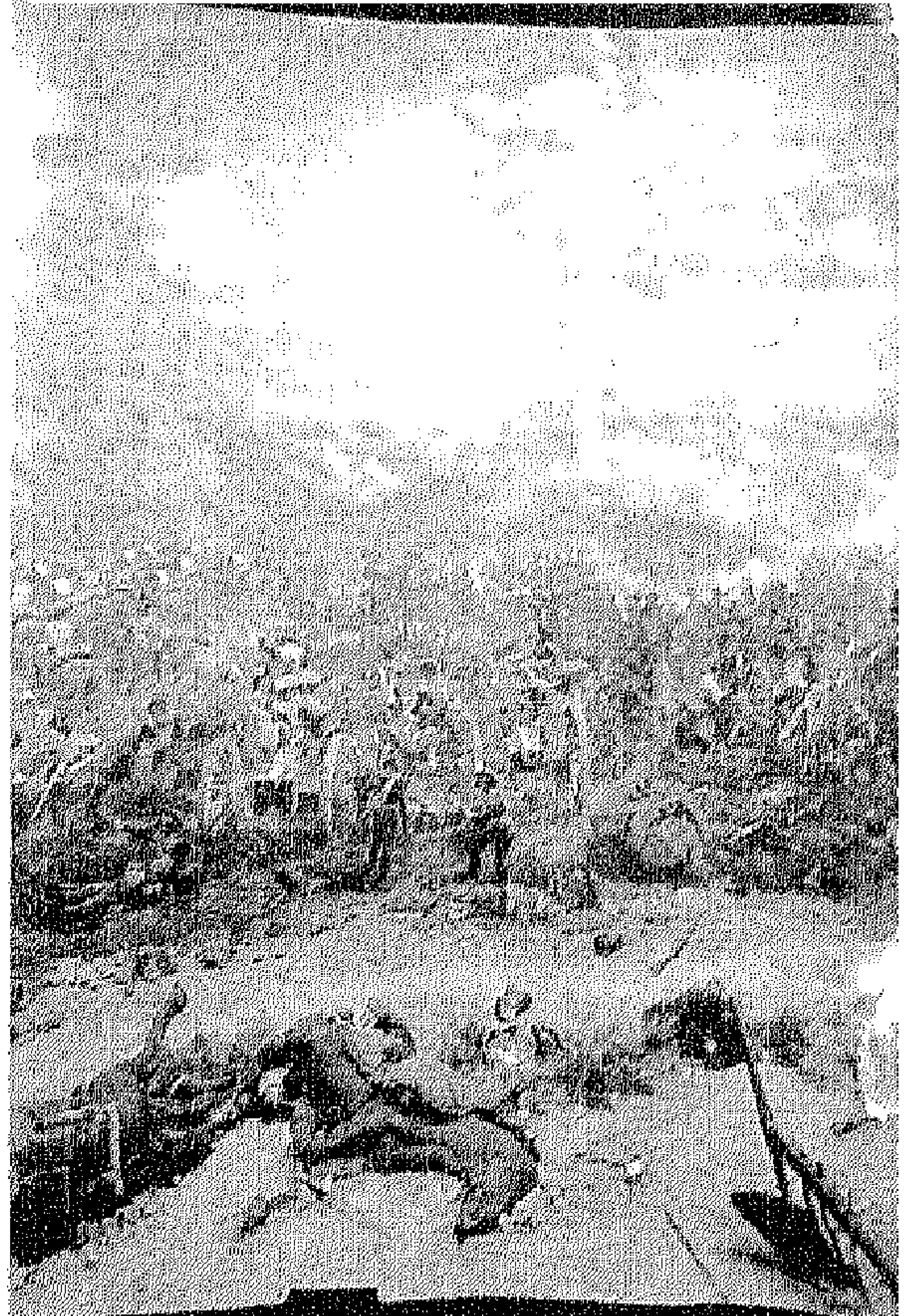
اغتنم توماس هورنر فرصة ترميم احدى الكاتدرائيات في لندن في عشرينات القرن التاسع عشر، فتسلق سقالة العمال في اعلى القبّة لاكمال رؤيته الدائرية الباهرة للمدينة. واصبحت لوحته محط الأنظار، اذ بني أحد مصاعد الركاب الأول في العالم ناقلاً النظّارة المتشوفين الى قلب لوحة المنظر العمومي.

هذه القطع الفنية كانت متيسرة للقلة المحظية. وفي وسع اهالي لندن الآن ان يزوروا بومبيي أو أعاجيب الطبيعة كشلالات نياغارا، من دون مغادرة المدينة. أو أن يشهدوا حدثاً تاريخياً مهماً بعد بضعة اشهر من وقوعه، بدقة في تبيان التفاصيل مثلما في لوحة "معركة النيل" التي حظيت باعجاب القائد الظافر فيها اللورد نلسون.

الى باريس – وسرعان ما عمّت الحماسة للوحات المناظر العمومية بحر المانش. وفي ١٧٩٧، وفد روبرت فلتون مخترع السفينة البخارية الى باريس

محاولاً إثارة اهتمام بونابرت، الأمبراطور المقبل الذي كان مهتماً هو الآخر، بأحدث مخترعاته: الغواصة. وحين رفضت فكرته، اضحى معنياً بلوحات المناظر العمومية، وعهد الى آخرين في رسم مشهد لباريس اتم عام ١٧٩٩.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، كان لباريس ١٣ لوحة مختلفة عن المناظر العمومية، كل منها في مبنى متميز دائري أو مثمن الأضلاع. في هذه الاثناء برزت لوحات أخر في كبرى حواضر اوروبا وامريكا واليابان واوستراليا. وبعد اجتذاب تلك اللوحات لجمهورها في مكان ما، كانت تجمع وتنقل إلى مكان آخر.



تفصيل من لوحة معركه واترلو.

Courtesy of Panorama of the Battle of Waterloo

وفي الايام الغابرة كان الرسامون يعملون، في الغالب، بمفردهم. ولكن ما لبث ان تبين أن عمل المجموعة اسرع انجازاً. ذلك، ان اللوحة كانت تقسم مربعات، ويقف الفنان الأصيل وسط محترف ضخم وفي يده مضخم للصوت، معطياً أوامره نبراً لحشد من الاتباع يتحركون حول القماشات الكبيرة على سقّالات نقّالة.

وازداد عدد افراد المجموعات إلى عشرين شخصاً أو اكثر، يختص كل منهم بجانب من جوانب الفن: الجياد، التأثيرات الجوية، النبرات العسكرية. وهذا الجانب الأخير كان بالغ الأهمية اذ ان لوحة عن معركة تجتذب رجالاً حاربوا فيها، يجب الا يخطىء الفنان في رسم حتى زر واحد فيها والا تعرض لبلية.

وثمة اختصاصيون بصوغ الاشكال وطلائها وبالأشياء الثلاثية الأبعاد كذلك، مشكلين صورة "الديوراما" التي ينظر إليها من فتحة صغيرة، وقد وضعت في اسفل لوحة القماش لئلا يدرك النظارة مكان تحوّل الأبعاد الثلاثة إلى بعدين.

ولم يضنّ بجهد لاحداث أقصى تأثير واقعي. ففي احدى اللوحات عرض الفنان عربة قطار على قضبان السكة أمام اللوحة. وعند عرض أخرى، كانت منصّة مشاهدة معارك البحر تتقذف وتتمايل كظهر السفينة؛ حتى ان بعض النظارة من اهل باريس اصابهم دوار البحر اذ رنوا إلى احدى اللوحات.

الانحطاط - بعد منقلب القرن بوقت وجيز، تداعت فجأة هذه الصناعة الرائعة.

والسبب هو اختراع اوغست ولوي لوميير الصورة المتحركة. وما ان شاهدت العامة فيلماً بخاصية الحركة فيه التي تحاكي الكائنات الحيّة، حتى رغبوا عن لوحات المناظر العمومية. وتمت مراكمة اللوحات واحدة تلو أخرى، واطراحها جانباً، أو ابقاؤها تتعطن في المستودعات والعلّيات.

وفي منتصف القرن العشرين، لم يتبق سوى ١٥ لوحة قائمة؛ ومعظمها في حال يرثى لها. وكان مآلها التفتت تدريجاً لو لم يصر بعض المتحمسين على صون مخلفات الماضي تلك.

لقد شهد ربع القرن الماضي فورة في لوحات المناظر العمومية، اذ رمم قديمها واعيد طلاء حديثها. ولشد ما طرب أهالي مدينة تان السويسرية ذات المناظر الطبيعية الخلابة عند اكتشاف لوحة تصورهم مخزونة في مبنى عتيق. هذه اللوحة المرسومة بين عامي ١٨٠٧ و١٨١٤، اعدّت في الأصل كملصق اعلاني عن المدينة. وقد رسم فيها كل تفصيل عن تان وجوارها بمحبة. ويظهر فيها المزارعون وافدين من الارياف وأهالي البلدة بهندامهم الحسن يطوفون، والتجار يبيعون بضاعتهم.

واللوحة المرقمة بجهد عام ١٩٥٨، معلقة الآن في علّية مستديرة شيدت خصيصاً من أجلها في أحد متنزهات تان؛ وهي أقدم اللوحات الباقية في العالم واكثرها سحراً.

الانبعاث – تشهد لوحات المناظر الوطنية والعسكرية انبعاثاً. ففي واترلو ببلجيكا، تمثيل مثير للنفس عن لحظة ابان تلك المعركة العظيمة قاد فيها المشير ناي سرية فرسانه إلى حتفها في درب سانكن. وفي انسبروك لوحة "معركة جبل ايسل" التي حارب فيها بطل التيرول آندرياس هوفر ضد الفرنسيين.

وفي بولونيا رسم الفنان جان ستايكا المتحمس لوطنه لوحة منظر عمومي عام ١٨٩٤ لبلدة لمبرغ النمسوية – المجرية آنذاك. وعندما تغير اسمها إلى "لواو" البولونية عام ١٩١٨ غدت اللوحة مزاراً وطنياً. وفي ١٩٤٥، اصبح اسم البلدة "لفيف" السوفييتية. وقد جازف الوطنيون البولونيون بحياتهم في تهريب



كوشيوسكو يقود جيشه ضد الروس
(من اللوحة الموجودة في فروكلاف، في بولونيا).

الحزمة الكبيرة للوحة عبر دمار الحرب الى فروكلاف، أو بريسلاف سابقاً، حيث أعيد ترميمها. وبعد سنوات من المفاوضات السرية، عرضت اللوحة للنظارة مرة اخرى مخاطبة قلوب اهالي بولونيا من دون وسيط. وموضوعها: انتصار بولوني أحرزه جيش كوسيوسكو الفلاحي عام ١٧٩٤ على الروس الغزاة.

وعلى بعد آلاف الكيلومترات في بغداد، ازاحت الحكومة العراقية الستار تحت "شعار الكبرياء القومي"، عن لوحة كبيرة رسمت عام ١٩٦٨ تحتشد فيها السيوف القصيرة البراقة والرايات الخفاقة، ورجال الصحاري والفيلة، معبرة عن واقعة القادسية التي انتصر فيها العرب على الفرس عام ٦٣٧ بعد الميلاد.

غير ان لوحة الحرب ذات الوقع الأكبر في النفس موجودة في لوسيرن بسويسرا، لقد شهد أحد متطوعي الصليب الأحمر اثناء الحرب الفرنسية - البروسية في ١٨٧٠ - ١٨٧١، وهو الرسام السويسري ادوارد كاستري، هزيمة الجيش الفرنسي على ايدي القوات الألمانية القاهرة في الألزاس الجنوبية. واذ سدت عليه سبل التراجع، اندفع الجيش الفرنسي عبر الحدود ليحتجز في سويسرا. ان لوحة كاستري المسماة: "لوحة بورباكي" هي نظرة جامدة الانفعال إلى سوء حال الجيش المدحور، بارتباك جنوده وتضعضع معنوياتهم وضعفهم من الجوع.

ولعل لوحات المشاهد العمومية الماضية الاكثر شيوعاً ليست مناظر الأراضي النائية أو الاحداث الجسام بل تلك التي تبدي العالم الحقيقي من حولنا. واحداها منظر لسالزبورغ بالنمسا، معلقة اليوم في المدينة نفسها. وأخرى رسمها قبل عشر سنين هولندي يقطن منطقة "آليس سبرينغز" الواقعة وسط السلاسل الجبلية الوعرة في مناطق النمسا النائية.

واحدى اللوحات المصونة في هيدي بهولندا، تصوّر شاطىء شيفينتفن الذي يبعد بضعة كيلومترات غرباً، كما يبدو من كثيب رمل، راسمها الهولندي هندريك فيليم فرداغ، حاذق اتقن تصوير ضوء شاطىء البحر ذي البصيص. وقد ساق النظارة لما ينيف عن القرن، الى عالم يأسر اللب حيث يبدو الزمان متجمداً عند العام ١٨٨١. السيدات في اللوحة يغطسن بحذر في البحر، في اكواخ للسباحة، فيما الفرسان الهولنديون يجرون مناوراتهم على الرمال.

يجد النظارة انفسهم في مشهد شاطىء احلامهم حيث لا تلوث أو قوارب آلية او اطفال او حشرات. وثمة رائحة طازجة للملح تنبعث من الرمل الحقيقي المكدس بانتظام ممازجاً اسفل اللوحة.

لا عجب اذاً ان ترى عند مخرج المبنى الصغير في سيزسترات، الذي يؤوي اللوحة، الناس وهم يبتسمون.

روبرت فرنيك ■

الادب القصصي الهادف الى الإمتاع يجب ان يداني الحقيقة مقدار المستطاع.

هوراس

دَعِي طِفلكِ يَنمُو مَعَ سِيريلاك

سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana
بالقمح والموز

سيريلاك
Cerelac
Rice
بالأرز

سيريلاك
Cerelac
Wheat-4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé

Wheat-

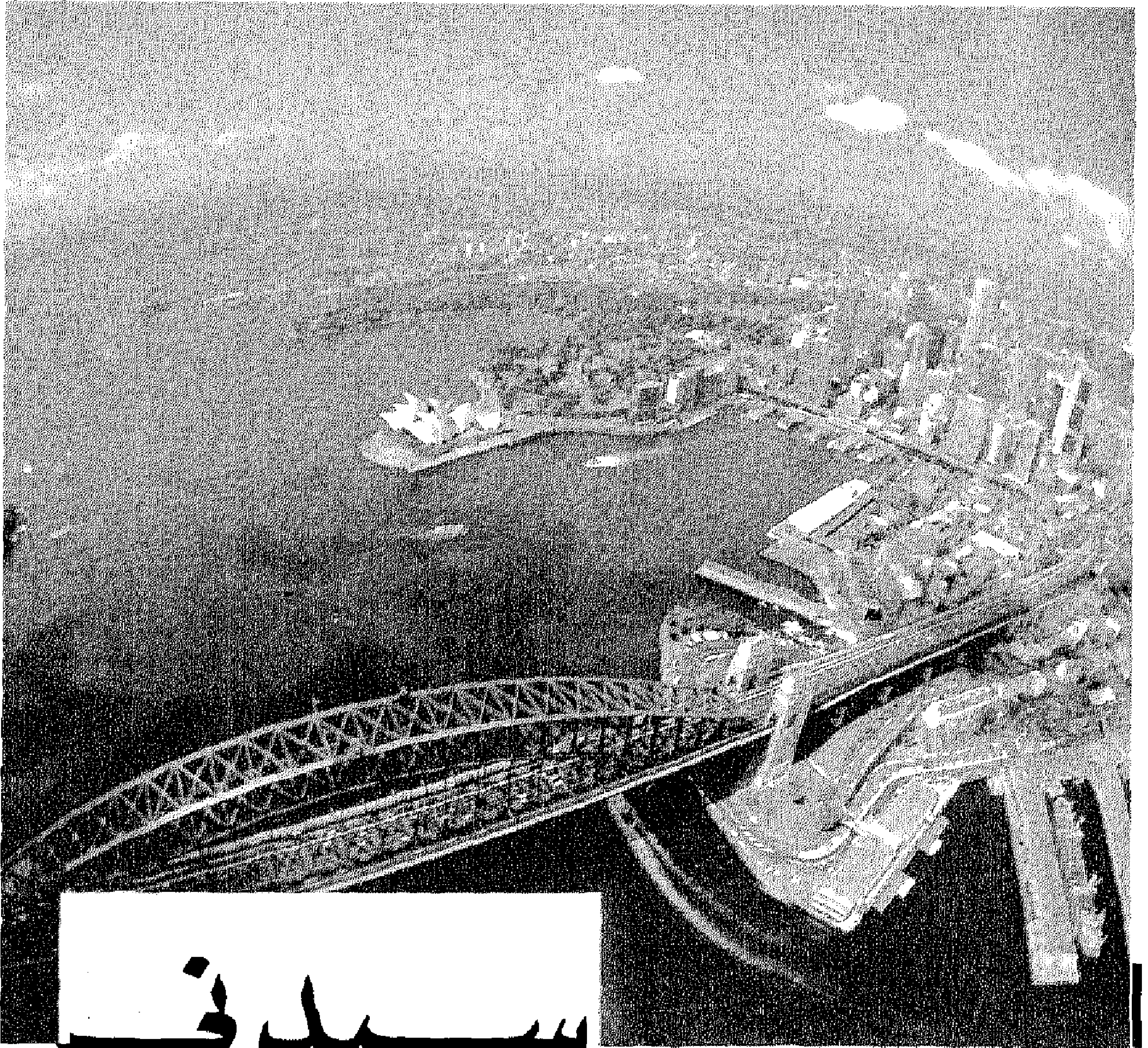
سِيريلاك

الطعَامُ الأول لِطفلكِ بالمِلع

عندمَا يَبْلغ طفلكِ شهْرَه الرّاب
لايَعودُ الحَليبُ وَحدَهُ يَكفيْه
عَليكِ بوَجْبَةٍ مِن سّيريلا
سيريلاك متوفر بعدّة أنواع ثلاثة
طفلك. سّيريلاك يحتوي
الغِذائيّة الأسَاسِيّة ا
لِطفلكِ نموّاً متناسِ
وَسَليمًا.

Nestlé

تضمنه
نستل



سيدني يَسكنهَا الذهُول

هذا الميناء المتعرج الدغل المنزوي، يذكر بهذه المدينة الجميلة القائمة على شاطىء جزيرة لا مثيل لها على وجه الأرض...

ادوات مكتبه في حزمة على ظهره، ومعها علبة شراب للطوارىء. يرتقي كيف الدرجات وهو في نصف المسافة. اذ يدنو من الجسر الكبير. اذا ما كان غشاشاً، ذات مساء، تنتشر فيه صفائح التجفيف، فهو ليس كذلك بعد. بهاء الفجر الشتوي يتفتح على الماء، فيما يعدو كيف وئيداً على طول الممشى.

عند جسر الميناء يلحق كيف برجال الاعمال السائرين في سرعة وهمة، حاملين حقائبهم، تميزهم شواربهم المتماثلة. ويدركه رياضيون ضخام الاجسام يضعون عصابات العرق ويرتدون القمصان ذات الشعارات. التلاميذ المثاليون، تتدلى حقائبهم المدرسية فيما هم يتلكؤون ببطء متجهين نحو مدارسهم. وتهتف عجوز من معطفها الواقي من المطر؛ وبلكنة ايرلندية: "يا لروعة مرأى الشمس ثانية".

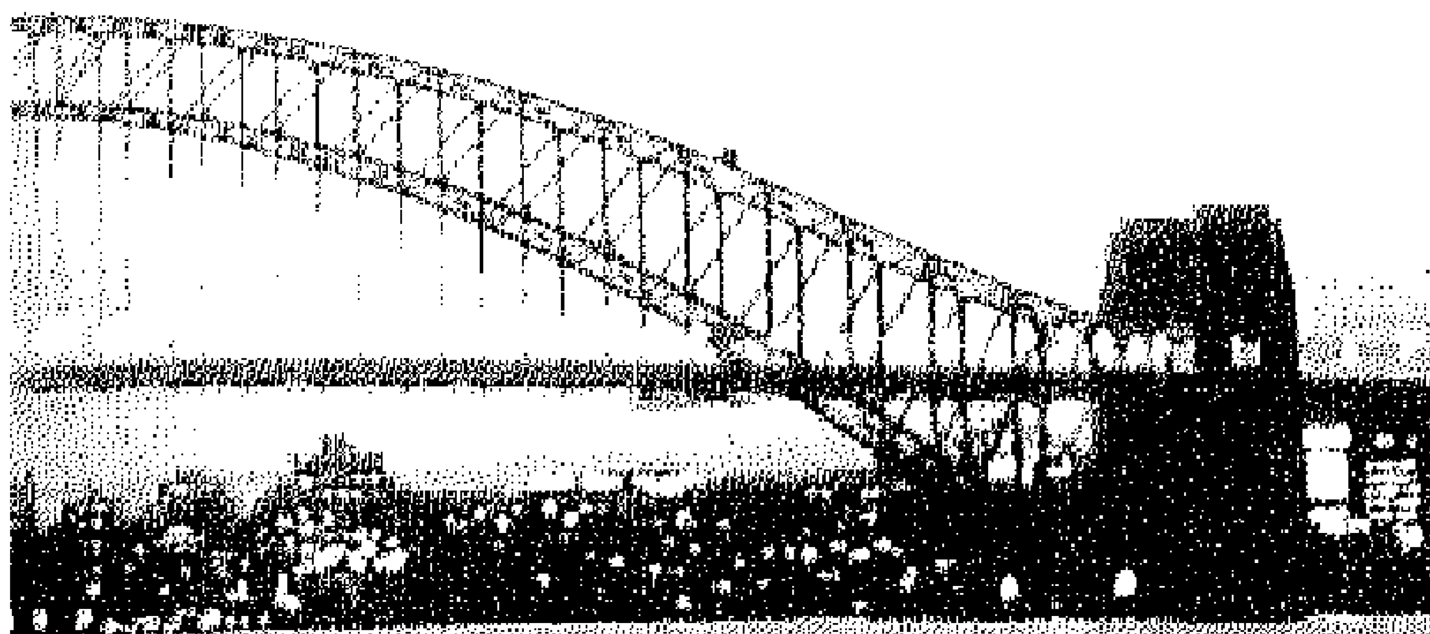
إلى الأمام تأخذ ابراج المدينة باللمعان. واذ يصل كيف إلى مكتبه، يشعر كأنه لم يحتس شراباً في حياته. وعندما يلتفت إلى الوراء مشاهداً العبّارات المسرعة، والسطوح البيض لدار الاوبرا في سيدني، والشمس البازغة، والمياه تحوطها الأرض الخضراء، يغبط نفسه بصمت، كعادته كل صباح، على حسن طالعه لأنه ولد في اوستراليا.

المدينة التي يعرضها كيف بنظره مجمّع لتلك الحال. فاوستراليا برمتها، تاريخاً وخصائص وسمعة ووضعاً، تجد مثالها المصغر في هذه البقعة المخصوصة من كتلة الأرض الكبيرة، حيث تقوم سيدني قرب مينائها على الزقاق البحري. واذ يتفكر العالم باوستراليا، فانه يذكر ذلك الجسر ودار الاوبرا تلك وذاك الميناء. واذ يفتكر العالم باوسترالي، يخطر له كيف مثلاً.

مجتمع حضاري – المجتمع الاوسترالي مديني على نحو طاغ؛ وسيدني هي موطن حياة الحضر في اوستراليا. ولكن لها

منقذ غرقى الأمواج المنكسرة على أحد شواطئ سيدني الكثيرة





مركز MLC (إلى اليسار) وبرج سيدني هما أعلى نقطتين في المدينة



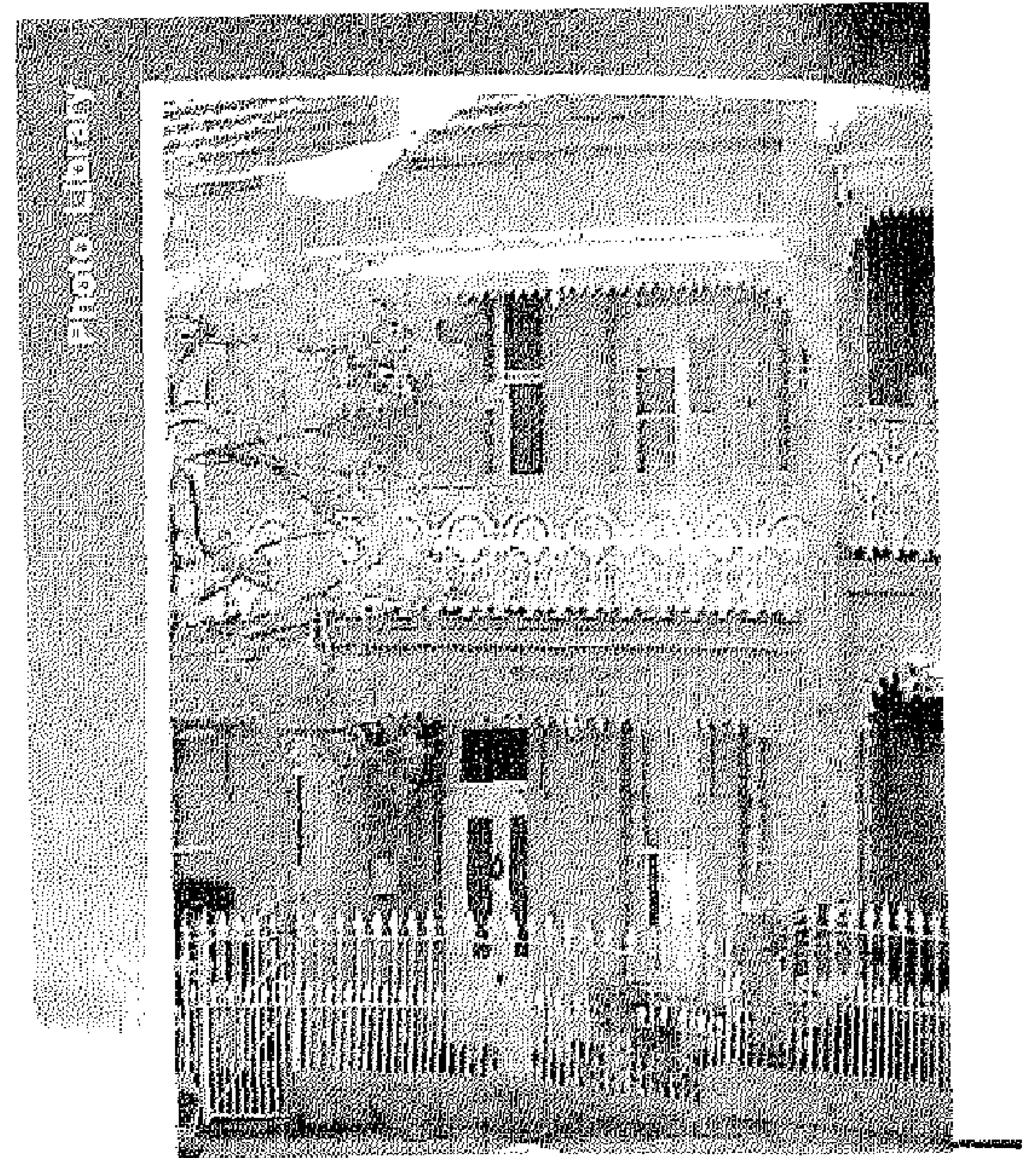
John Banagan / The Image Bank, Australia

حضور عاصمي فعلي أيضاً. ان حي الاعمال المتألق يشعرنا بأنه متناغم تماماً مع سلسلة دورة المال في وول ستريت ولندن وزوريخ وهونغ كونغ. وعلى رغم ذلك فإن مكانة سيدني التي لا تجارى، تكمن في طابعها الاوسترالي الخاص.

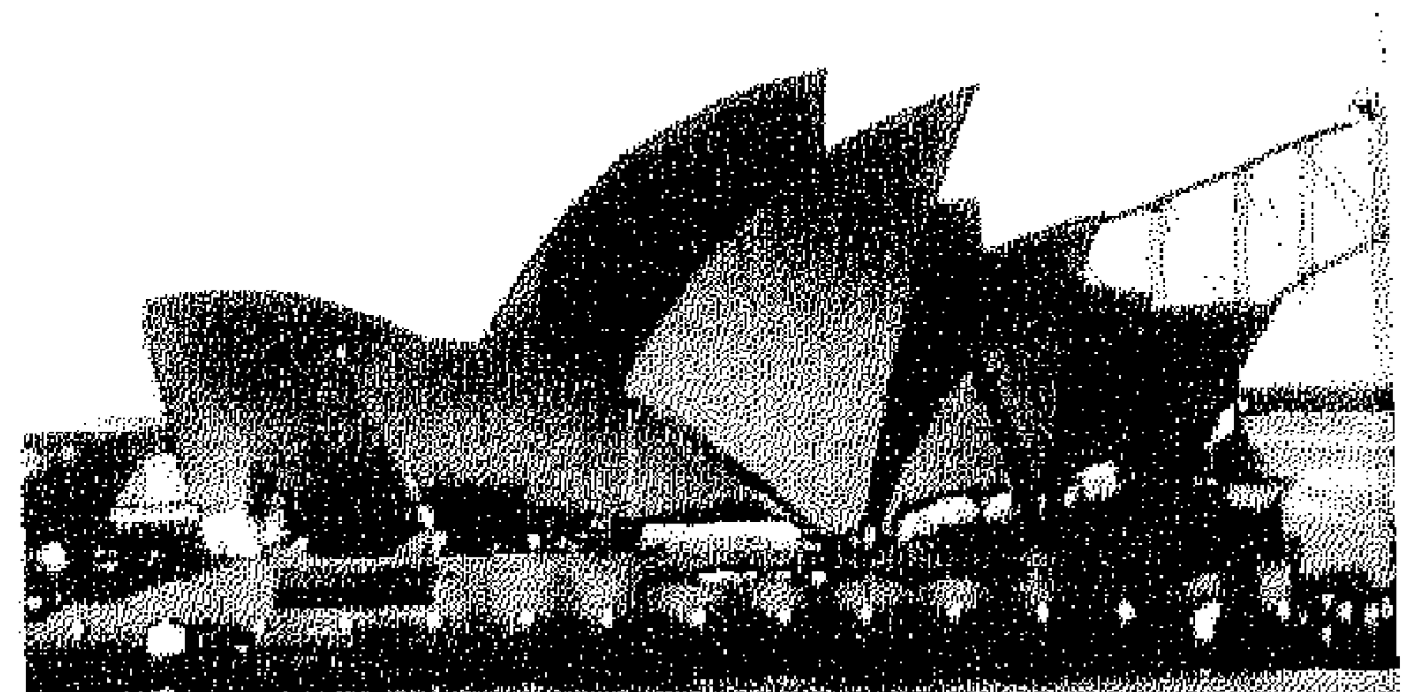
ضواحيها، في احسن الأحوال، عادية على نحو ممتع. يبعث فيها البهجة هنا وهناك الحديد المطرّق والشوارع المتشابكة. مركزها التجاري جميل الا انه غير استثنائي. وليس فيها مجموعات انيقة من التخطيط المدني، وقد عمدت، من دون اتقان، إلى الحط من مرتبة القسم المواجه للبحر على جون سيدني بتشويهه بمد سكة حديد وشق طريق للنقل السريع عبره. غير ان سيدني هي احدى المدن الأجمل في العالم. ذلك الميناء المتعرج المنزوي، ذو الجزر، كثير الشجر المتلف، يذكرنا بان سيدني قائمة على شاطىء جزيرة لا مثيل له على سطح الأرض.

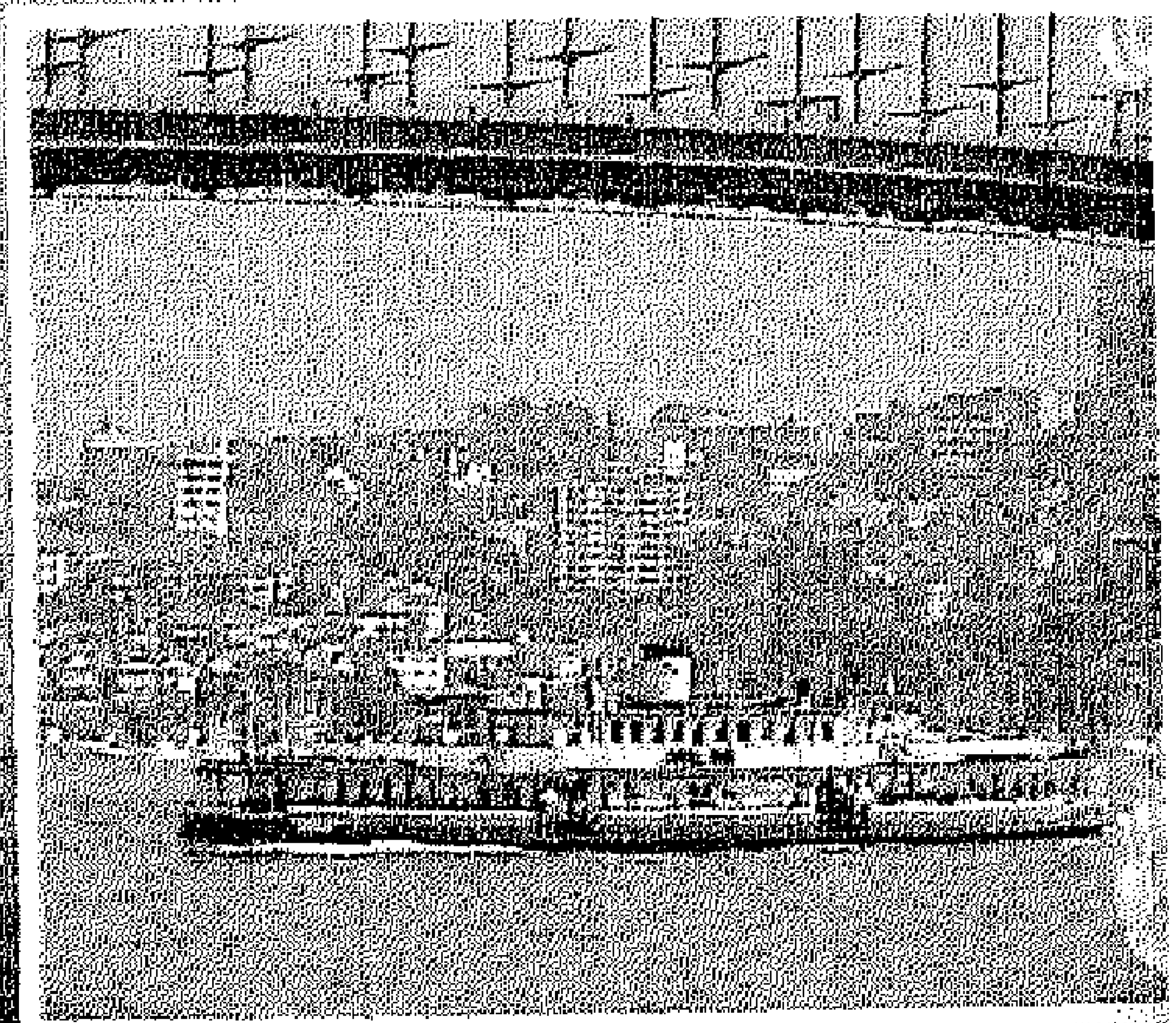
والتجربة الفائقة لمسافر يزور سيدني، هي ان يسير صبيحة يوم مشمس منعش ماراً ببقعة تدعى "مقعد السيدة ماكواري" عبر شبكة من المتنزهات والجنائن الرائعة إلى جانب الميناء. ان المنظر الطبيعي المتزحزح حول الخط المحيط بالمتنزه يبدو خيالاً لا واقعاً؛ فالمياه في كل مكان، والسفن الحربية كابية اللون راسية على ارصفتها، ونظرات عجلى تلمح مستوطنات تشبه "الريفييرا"، وقلعة زائفة في جنينة، يقطعها مرور العبارات.

واذ تطوف حول الموضع، تلقى أسراً في نزهة على العشب فيما ينقب طائر


Photo Library

تخريم حديدي مزركش يضفي سحراً على واجهات منازل في المدينة.


Bill Bachman



معدّية تؤمن نقل الركاب يومياً عبر المرفأ.

Pete Turner / The Image Bank, Australia

ابو منجل متفرداً في صندوق قمامة. بغتةً تبسط دار الاوبرا جناحيها البيضاوين في اشعة الشمس، شفافاً كطائر مائي لا يرتاب فيه، ومن فوقها جسر الميناء الضخم.

هذان البناءان (الجسر والدار) لا ينسيان: احدهما مترسخ بقوة في القعر، والآخر يصبو إلى الارتفاع والسباحة في الهواء. وهما يمثلان طبيعة هذه المدينة على نحو يجاوز الجماليات.

وقد اضيف إلى اهالي سيدني الأصلية من الأوستراليين الانكليز، جماعات مختلفة الأعراق، مما جعل المدينة مزيجاً مذهلاً من المغتبط بنفسه الواثق بها، والملقي رحله موقتاً، والراسخ، وذلك الذي لا يمكن رده.

ذات يوم كانت . . . - ذات يوم كانت سيدني نسيج وحدها. أما الآن ففيها روائح واشارات إلى اماكن اجنبية. ولطالما تذكرنا باستوكهولم. فمكانة سيدني في الجنوب هي نفسها موقع استوكهولم للشمال. ونور هذا الزقاق البحري الجنوبي يشاكل نور بحر البلطيق، وفي اوقات اخر توحي لي سيدني بمكان ما وسط اوروبا: صبيحة يوم سبت في الضاحية الفخمة من خليج دابل، مثلاً، حيث يحتشد المهاجرون في مقاهي الرصيف، وهم يتحدثون اللغة الروريتانية بصوت عال.

وثمة اعداد من اللبنانيين واليونانيين والفيلبينيين والأندونيسيين. ويعلن النادي الاسباني عن نفسه بصورة لدون كيشوت وسانشو بانزا يطوفان راكبين ارجاء اوستراليا الذهبية. وتزدهر "تشاينا تاون" في سيدني باستثمارات من هونغ كونغ. ويبدو ان المذاق الصيني لمزيج غريب من الاطعمة، قد سرت عدواه إلى فن الطبخ برمته. فغدا من المحتمل ان تقدم مطاعم "اوسي" الزرق القرع بالزبدة ساخناً، وحساء الليمون مع حبات الخردل طافية على سطحه.

غير ان امثال كيف لا يزالون هم الغالبية. لقد زادت الهجرة دماثة سيدني وجعلتها اكثر استرخاء وزينتها بالانوار، لكنها جاءت متأخرة فلم يحل المهاجرون محل العرق الأصلي للسكان. منذ خمسين عاماً كان ٩٨ في المئة من اهالي اوستراليا انكليزاً. هؤلاء هم الأوستراليون القدامى، وما زالت لهم الصبغة الانسانية الخاصة.

اللغة تصنع الانسان والمدينة. ان المواطن في سيدني، اذا ما جرد من لغته، تحسبه اسكندينافياً أو من سكان كاليفورنيا، او انكليزياً. أما بلغته التي يتحدثها، فإن مهاجراً من الجيل الثاني لا يخطئها. ويكشف المسيس والعبث في لغة اهالي سيدني سجية المحافظة عندهم.

جنة المهاجرين - يؤرخ ماضي سيدني بوفود المساجين الإنكليز الأول. وقد انتهى في الخمسينات من هذا القرن برسو جماعي للمهاجرين الاوروبيين، الذين نزلوا الى البر بعد اذونات المرور التي دعمتها الحكومة لتحويل اوستراليا من الاستعمار نصف المحرر الى عالمية في المحيط الهادي. آنذاك نمت

"مستعمرة المجرمين" الى مدينة ذات صفات شهيرة لكنها مستقبحة على نحو ما؛ ومفرطة في العصبية الوطنية إلى درجة مضحكة، وفيها صفوة من الملكيين الرعاع والمتأبهة، ويد عاملة بلغ من قوتها ان النقابات خارج البلاد سمتها "فردوس العامل."

في ما مضى، كانت اي عقيلة من سيدني أهل لمركزها بيد علية القوم، تتبجح بصلتها بشريف "مادكاسل" الانكليزي، فيما الطبقة العاملة في سيدني تزدري الأشراف وهي مناضلة كالايرلنديين، كما يجدر بطبقة عاملة لها كرامتها.

اما اليوم، فقد توارى ذلك المجتمع إلى حد بعيد، لكن على نحو ذي شأن، ينبع من اوستراليا القديمة حس سيدني بالنظام وصدق المعاملة. والقيم القديمة ككرم النفس وآداب السلوك لا تزال موجودة الى درجة تلفت الأنظار. والاوستراليون، كأهل المدن حيثما وجدوا، يشكون جزعين حوادث الجريمة وقيادة السكارى للسيارات. غير ان سيدني، بغالبية المقاييس، معدنها كالذهب. والشوارع آمن من مثيلاتها، وحركة المرور فيها رزانة، كما ان المارة السادرين يبدو مذنبين.

هذه مواريث تستند الى الديموقراطية البرلمانية وقانون العرف والعادة. وبقاؤها مدين لقوتها؛ اذ ان ما اصطخب حولها في العقود الثلاثة الأخيرة هو ثورة اجتماعية بكل صورها.

لقد غدت سيدني مدينة مغايرة، بطرازها وطموحها ومحافظتها وذوقها. منذ جيل مضى كان لولب روح الشعب في سيدني، ذكرى التضحيات التي بذلها رجالها في الحروب العالمية، اذ حاربوا من اجل قضية موهومة نائية، لكن ولاءهم للتاج والعلم والامبراطورية جعلها تبدو حقيقية محركة للنفوس. وقد زرت ثانية النصب التذكاري للحرب في "هايدبارك"، فألفيت جاذبيته المريعة خامدة وبدا ان الناس في هايدبارك يعرضون عنه.

حياة رائعة – في سيدني لا تلقى فقراً مدقعاً إلا لماماً. أما سياسياً، فالشعب حر كالهواء، وهو طليق اجتماعياً كأي شعب آخر على وجه البسيطة، الطقس عندهم امنية تشتاق اليها، وعلى رغم انهم يتشكون متبرمين من الركود، إلا انهم، بالمقاييس الدولية، يحيون حياة رائعة.

فلمن أرثي اذاً؟ السؤال أعيى سكان سيدني، اذ انهم لا يعرفون احداً يرثى له. ويجيبون احياناً بالقاء نكات عن لاعبي كرة قدم فاشلين أو نجم آفل. في النهاية، يخطر في بال معظمهم ان عليّ التفكر بالسكان الأصليين. فبعض الأوستراليين يعتبرون اهل البلاد الأصليين معرة؛ وآخرون يعدونهم ألماً في العنق لا غير. لكن الغالبية ترثي لحالهم.

لم تبن اوستراليا على الرفق أو المثالية. فأسلافها هم من المساجين وليسوا حجاجاً، وتظل سيدني أقسى مما تبدو. وهي ليست مدينة وجدانية، والرفق فيها من جانب واحد. وثمة وجه لسيدني يتجلى بين النسوة خاصة؛ ويبدو للنظرة الأولى صريحاً يركن إليه. ولكن اذ يتفرس فيه المرء بعناية تتكشف له الوضاعة

والمكر مستترين. وأسر في نفسي على نحو خيالي: انها خلال موروثة قطعاً عن البطش في مستعمرات الاجرام.

ومن وراء المظهر البهيج لهذه المدينة، تحدث امور اشد قسوة. فثمة فضائح سياسية لا يمكن تعليلها، ويسيل لها لعاب الصحافة. وها هي اللجان الملكية تحقق في الاعمال غير اللائقة. وفي هذا المجتمع الداعي الى المساواة ترتع حفنة من عمالقة الرأسماليين، ذوي الأذرع التي تمتد إلى كل شق مما يشعرك بانك مهما فعلت، تزيد الاثرياء الاوستراليين ثراء.

المهاجرون يقولون ان لهجتك القديمة الفظة تنم عن تعصب مريع، وهم يقولون لي الآن إن اي لكنة اجنبية تقابل بزجر واساءة وليس اللكنة الأوروبية وحدها. والفكاهة الأثيرة في سيدني هي هذه النكتة: "كيف تنصب نيوزيلنذياً في عمل صغير؟ بأن تعطيه عملاً كبيراً وتنتظر...".

وحتى اليوم، وبعد مرور قرنين على الحادث، فإن عرق الأصل السيىء باد في سيدني. واذا ما رغبت في رؤيته، اقصد "العقار" بعد ظهر ذات احد، عندما يجد خطباء سيدني المفوهون متنفساً لأقوالهم المأثورة من منصاتهم، أو يفرج المماحكون عن اعتراضاتهم. في معظم البلدان تستهويني ميادين التعبير الحر فهي ثرية بحكايا المتشردين وغرابة الأطوار، وبالحكمة احياناً. لكن هاهنا، حرية الكلام صليقة بفحش، تنفث الفل فظاً، فيها تعصب للجنس وبذاءة لسان. والجدال فيه اكراه والفكاهة ممجوجة، ومن حول المنصات شخص فظيع ذو قصد مبيت يخطو خطواً واسعاً، وهدفه الأوحد اسكات كل متحدث، بجواب مفحم جلف.

اوستراليا الاوسترالية – على مبعدة من غرب سيدني نرى مخطط الجبال الزرقاء. ومن خلفها، وراء "اورانج" و"دابو" يبدأ خواء اوستراليا غير المتصور. والخواء جزء من حال الاشياء في اوستراليا، منطلقة من الفقر ومتغلغلة إلى عمق سيدني نفسها، مما يمنح المدينة شعوراً يسكنه الذهول.

الأشجار دانية وبقاع الخضرة المنتشرة في كل مكان تجعل هذه الحاضرة تشعر باحساس الدخيل في أرض يباب. والناس ينتقلون يومياً إلى سيدني من ريف هو دغل بكر. وعند اطراف حدود الحاضرة، صعداً إلى نهر هوكسبري، جماعات لا يمكن بلوغها عبر الطرق وحيث ينطلق البريد إليها كل يوم عدا الاحد على عبّارة مجقجقة تتحسس طريقها عبر الخلجان الصغيرة والقنوات، بين الاحراج حيث يثب حيوان الكنغر، وفي داخل الدغل حيث يجتر دب الشجر، وتفرغ حمولتها، على أرصفة آيلة الى السقوط في قرى تنتشر فيها الأكواخ الحقيرة والبيوت ذات الطبقة الواحدة، وابراج سيدني المبردة لا تغيب عن النظر.

سيدني منعشة للنفس، لكنه انعاش ملطّف. قد تثير المشاعر ولكن ليس إلى درجة الابتهاج الغامر. فالمرء لا يرقص في شوارعها، أو يطرب لايقاع مكانها. وجوهها عند الرقاد، ليست قاسية او لطيفة، بل خلو من كل تعبير.

وقلما يبدو الناس مندهشين في سيدني، وهم لذلك نادراً ما يثيرون الدهشة. وعلى رغم انه من المعجب وجود هذا المكان البديع ها هنا، فإن حاضرة تامة مثلها على شفير المجهول، لا تترك انطباعاً في النفس كمثيلاتها من الاعاجيب المدنية، بأنها قد انشقت على نحو لا يمكن وصفه.

ومع ان شباب الموضة في سيدني منصرفون إلى التحليق في الطائرات البحرية، وتناول الغداء في مطاعم الضواحي، أو تنظيم حفلات اعياد الميلاد؛ فسيدني ليست مدينة الاستهلاك الملفت للانتباه. فبالغو الثراء فيها غير بادين للعيان، وحتى اذا ما كانوا في اوروبا أو كاليفورنيا، أو يعيشون في بيوت ريفية مشيدة على ٥٠ ألف هكتار من الأرياف في مكان ما على الهضاب - كل ذلك يكسو المدينة سيماء الثبات الهادىء. وتبدو فكرة الانهيار الاقتصادي، أو الثورة، محالة.

هذا المكان المفتقر إلى كوارث العالم، اخاله قد بلغ درجة الاشباع. قد يغدو اكثر غنى على الأرجح، واكثر آسيوية حتماً، لكن من الوجهة الجماعية وبصورة مغيبة عن الفهم، فإن عظامي تخبرني اني اشاهد سيدني في طورها النهائي، اي اوستراليا الخالصة. قد تزيد بضع ابنية شامخة هنا، أو ضاحية اضافية هناك، أو "تشاينا تاون" اكثر ضجة، هكذا ستبقى سيدني دوماً.

لا شك في ان قلة من المدن قد بلغت درجة الاشباع السارة هذه.

جان موريس ■



نجار بين السماء والارض

كان زوجي النجار يعمل وحيداً في إصلاح برجٍ عمارة كبيرة في مدينتنا تقع على تلة مرتفعة. وفجأة عصفت الريح بعنف فاوقعت سُلّمَه الى الحضيض. فلم يستبد به القلقُ كثيراً بل خطّط لكي يلوّح للعابرين طلبا للمساعدة.

وعندما عاد الى المنزل اخبرني انه بعد ساعتين قرّر ان يجازف بالنزول مستعيناً بكبل واقية من الصواعق. فسألته وقد اخذ الخوف مني كل مأخذ: "ألم يرك احد فوق البرج؟"

"بلى، بالطبع - اجاب مرددا عدة اسماء مألوفة - عندنا كثير من الاصدقاء في المدينة. فكلهم ردوا على تلويحي بتلويح مماثل!"

ف.ج.ك.

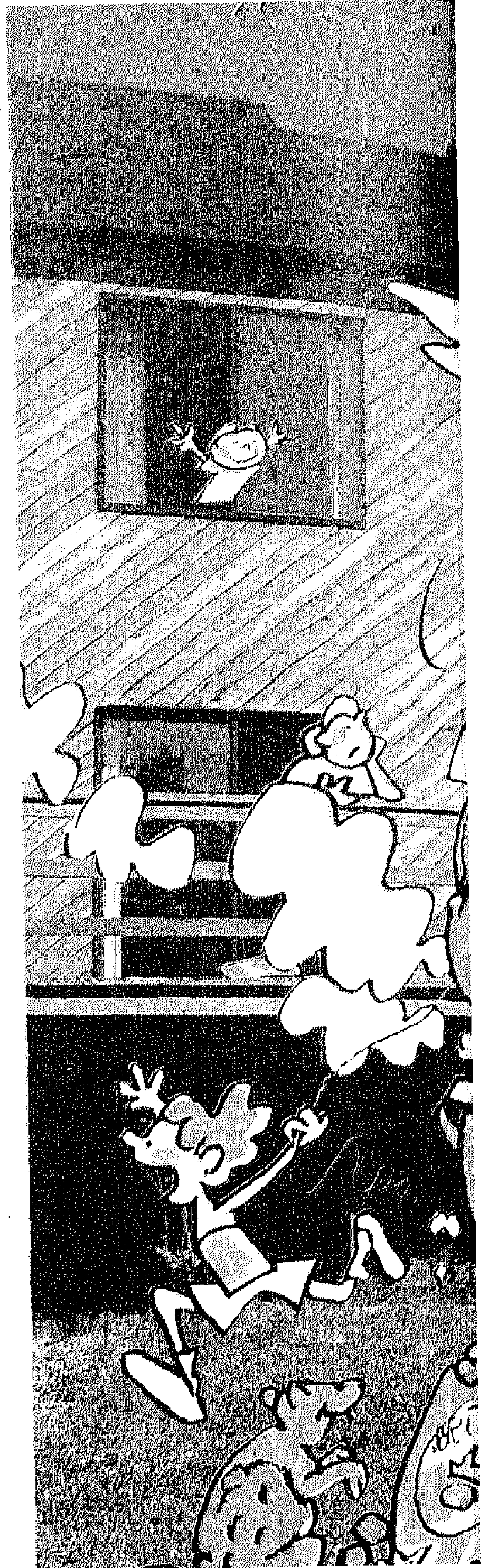
مطر الرجال ومطر النساء

في يوم ممطر، سأل زميل اخي الطالب هل يرى ايَّ امرأة تتجه الى حيث يقصد حتى يقاسمها مظلّته. وعندما سأله اخي عن السبب أبرز مظلة فاقعة الالوان ومزينة بالزهور وقال: "حتى لا يظن احد أنها مظلتي!"

س. ش.



شُدَّ رباط المئزر المضحك
على وسطك،
واقذف بشريحة لحم على المشواة،
وتذوق...



تخصّص جديد: الشواء

الزوجان المرتديان لباساً رسمياً يبسطان سجادة شرقية على العشب في متنزه "غرانت" في شيكاغو بولاية ايلينوي. ويعدان المائدة بغطاء الكتان والفضيات والاواني الصينية، ثم يوقدان مشواة الفحم. وإلى جانبهما، في ارض مفروزة مساحتها تسعة أمتار مربعة، ميكانيكي سيارات في ثياب جينز زرقاء، معابثاً بأصابعه مشواة تسخين صغيرة، وبقربه بائع بوليصات تأمين في قميصه الرياضي وبنطاله الاسفع، يقول ممازحاً انه "الاستاذ الاكبر" في فن الطهي عند فناء الدار.

هؤلاء الشواة المتحمسون يرفدهم ٦٠٠ منافس في مسابقة "مهرجان الاضلاع" التي ابتكرها مايك رويكو الصحافي كاتب العمود في جريدة "شيكاغو تريبيون" بشيكاغو. ويشرف عليها الآن كاتبا عمود الاقاويل في الصحيفة ذاتها. ان امنية

 Background photo © Marc Romanelli /

المتنافسين هي احراز "الجائزة الأولى" عن افضل شيّ للأضلاع. ورويكو نفسه انسحب من المسابقة اذ لم يتمكن من التخلي عن خاروف نشّأه خصيصاً لحفل الشواء. لكن القواعد التي ارساها ما زالت سائدة، وأهمها: "لا شواء لأضلاع البقر او الجياد، أو القطط الضالة، أو الكلاب، او الحمام او الماعز، او الازواج السابقين!"

لقد غدا الطهي في العراء ألهية جديدة في امريكا. والشواة البالغ عددهم ٦٦ مليوناً، في حوزتهم اليوم نحو ١٠٠ مليون مشواة. وهم يوقدون في ذكرى الاستقلال كل عام ١،٥ مليار قالب من دقيق الفحم الحجري. وفي الواقع فان الامريكيين يضرمون النار ما ينيف على مليار مرة سنوياً، فيغدو الشواء بذلك التسلية الاكثر شيوعاً.

طريقة الطبخ هذه الأقدم في العالم شائعة في ارجاء المعمورة، غير ان الولايات المتحدة، من دون شك، قد قاربت الكمال في هذا الفن الخاص من الطهي.

البداية – بدأت هذه التجارة الرابحة حديثاً عام ١٩٥١، حين سئم جورج ستيفن شيّ شرائح اللحم على مجامر مفتوحة غير فعّالة. وعلى نار كانت حامية في الغالب، واذ كان موظفاً لدى "مؤسسة الأخوين ويبر" لصنع الاشياء المعدنية، فقد ضمّ لوحين من المعدن كل منهما بحجم الطبلة، مشكلاً مشواة مغطاة. فأفضى ذلك إلى منع احتدام النار وانعكاس الحرارة، مما أعان على الطهي. وقد بلغ من نجاح هذه الأداة الواقية من أحوال الجو، أن اشترى ستيفن مؤسسة ويبر وأصبح صانع "مسخّن ويبر" – وبدأ تاريخ الشيّ.

أما اليوم فقد أصبحت وجبات الشواء التي تؤكل في النزهات، ظاهرة اجتماعية تسعف الضيوف وافراد العائلة؛ اولئك الذين لم يمدوا يداً في جو المطبخ الحبيس.

ان المسخنات والطباخات المغطاة هي أشيع ادوات الشواء اطلاقاً، إلا أن المداخن المائية التي يقارب مذاقها طعم الشواء الجنوبي المدخن، فآخذة في الانتشار.

والمشاوي على الغاز الطبيعي ذائعة ايضاً. والواحها المقفصة مخططة بقوالب خزفية يمكن اعادة استعمالها؛ او مصنوعة من صخور بركانية طبيعية. وتقوم هذه ببث الحرارة من سمامات الغاز فتطهو الطعام.

وبعض سكان جنوب امريكا من ذوي الخبرة، لا يستعملون الفحم الحجري ولا الغاز، بل الخشب. ويعرض أحد أصحاب المصانع حفرة مدخن ذات شعار مذهب على شكل ولاية تكساس على علبة دخان، بسعر ٦ آلاف دولار، عدا سعر الخشب.

غير ان المادة الاثيرة المستعملة فهي قوالب من دقيق الفحم الحجري، وهي فكرة صانع السيارات هنري فورد. اذ ساءته الأكداس الضخمة من نشارة الخشب المذرورة خارج منشرة خشب خاصة بالسيارات، فاستعمل فورد طريقة لتحويل كِسَر الخشب فحماً حجرياً، وقد كشف النقاب عن مصنع فورد للفحم الحجري عام ١٩٢٤. ولا تزال طريقة فورد

في تحويل النشارة فحماً حجرياً، مع بعض التعديلات، متبعة إلى اليوم.

دور الصلصة – ويصنف الشواة الصلصة في المرتبة الثانية بعد النار، كونها من أهم أسرار فن الشيّ؛ فيما يستبعدها مستعملو المشبكات كلياً في طرق طهوهم الأسرع. ونصف الشواة يعدونها بأنفسهم.

أما كيد ديفيس وهو شاوٍ ذائع الصيت في الغرب الاوسط، فإنه يؤخر اضافة الصلصة إلى الطعام. فهو يمعك التتبيل الجاف المبهّر اولاً، ثم يطهو اللحم حتى ينضج، ويمشح عليه صلصته السرية، ثم يلف اللحم في ورق معدني رقيق جداً، ويطهوه لوقت وجيز. يقول ديفيس: "بالحرارة تنفذ نكهة الصلصة إلى الطعام."

ان هوس امريكا بالمشاوي في العراء قد ألهم ادارات المطاعم أن تقتفي اثر الأطعمة الساخنة. وقد روّج الطباخون المحترفون استعمال كِسَر النباتات العاطرة كالتفاح والكرز والدراق والنغط (شجر كالحور) وشجر الجوز الأبيض والمسكيت، لإضفاء مذاق خاص على الطعام. وبعض الطهاة يلقون بتوابل وحشائش خاصة كالصعتر البري والطرخون وحبق الراعي وإكليل الجبل، على الفحم المتوهج. وأحدث تغيير هو استعمال اغصان الكرمة من مختلف انواع العنب. ويزعم بعض الطهاة ان في وسعهم ان يكشفوا فوراً وبالتذوق نوع العنب المستعمل على الفحم.

وبوجود هذا العدد الكبير من الطهاة الخلاقين، فلا عجب ان تجتاح امريكا مسابقات الشواء كمهرجان الاضلاع في شيكاغو، مما يجعل المنافسة محتدمة. وثمة مباريات "طاس الشواء الكبيرة." و"المسابقة القومية لطهي الضلع" وهي سنوية في كليفلاند بولاية اوهايو. هذه المسابقة الكبرى تبلغ ميزانيتها مليون دولار، وتقدم جائزة مقدارها ٢٥ ألف دولار لأفضل أضلاع في امريكا.

أما انا فتستهويني المآكل في الفناء خلف الدار، باستعمال صحون ورق تجعل الاطباق المتسخة ذكرى غابرة. هذه الطقوس من توافد شباب الأنس، واجتماع شمل الاسرة والأصحاب، تكسب الطعام مذاقاً، وتفسح لبراعم التذوق الغضة فرصة لتزهر إلى جانب المصطلى حيث يشيع اللهو والسمر.

جاك دنتون سكوت ■



ست بيت معها شهادة!

اهدى الي صديق لافتة صغيرة طُرِّزت فيها الكتابة الآتية: "النساء الكسولات بيوتهنّ نظيفة." فعلّقتها على جدار المطبخ آملة ان تبرِّر الفوضى وعدم الترتيب اللذين يخيّمان دائما على منزلي. وذات يوم قرأ اللافتة ابن الجيران (١٢ عاما) فتلفت ببطء حوله ثم استدار نحوي وقال: "لا ريب انكِ شخص مهم حقاً!"

س.ك.

شوه طلق ناري وجهها؛ فخضعت لجراحة عجيبة أنقذت حياتها واعادت تشكيل وجهها. الا ان ذلك لم يكن سوى بداية محنتها!

إمرأة علمتنا الشجاعة

عندما قرع الباب في منزل كاي نسبيت بعد الساعة العاشرة من ليل ١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥، كانت هذه المرأة النيوزيلندية الجذابة، ابنة التاسعة والعشرين، تشاهد التلفاز مع ثلاثة اصدقاء. فنهضت قائلة: "سأستقبله،" فسبقها كلبها "كارا" الى الباب وزمجر.

"مَن الطارق؟،" سألت كاي قلقة. لم تسمع طلقة بندقية الخردق او تشاهد وهج الانفجار عندما اصطدمت قرابة ٤٠٠ خردقة من رصاص بلوح زجاجي ملوّن بجانب الباب وخرقت وجهها.

Illustration: Mike Wilkin

مزقت الشحنة شفتها العليا ووجنتها اليمنى وعينها اليمنى ومعظم مَحجِرها، وثقب الخردق عينها اليسرى. فانطرحت ارضاً والدم ينفر من وجهها الممزق. واسرع احد اصدقائها الى الهاتف وادار رقم الطوارىء وقال لاهثا: "لقد حدث اطلاق نار رهيب!"

قدم اثنان من رجال الشرطة السرية الساعة العاشرة والربع. وبعد ثلاث عشرة دقيقة وصلت سيارة الطوارىء. وبدأ الممرّض ديفيد ريان الاسعافات الاولية فيما اعد زميله مارك هامر نقّالة. وصعب عليهما ان يصدّقا ان احدا تلقّى مثل الاصابة الرهيبة لا يزال قادرا على الجلوس نصف واعٍ. وتساءل هامر: هل ستصمد حتى المستشفى؟ ثم قال ملطّفاً الجو: "كل شيء على ما يرام. نحن هنا لنساعدكِ."

اراد ريان ان ينعش كاي بالاوكسيجين، ولكن اين يضع الكمامة؟ فقد ازال الرصاص معالم الانف والفم. ومعلوم ان معدل الضغط الانقباضي السويّ يترجّح بين ١٠٠ مليمتر و١٤٠ مليمتراً من الزئبق (١٠ - ١٤، كما يقول الاطباء)، لكنّ ضغط كاي كان منخفضاً الى درجة ان آلة قياس الضغط عجزت عن تسجيله. وكانت بشرتها باهتة وباردة ودَبِقة. وغرز ريان إبرة في احد اوردة ذراعها ليحقن مصلا يعوّض الدم النازف. ثم ادخل الممرضان كاي في سروال مطاطي مضاد للصدمات ونفخاه حتى يزيدا ضغط دمها، ثم نقلاها جالسة الى سيارة الاسعاف.

العاشرة والدقيقة الثامنة والاربعين، وصلت السيارة الى المستشفى، وعندما شاهدها الدكتور بول هاريس، وهو جرّاح تجميلي غالباً ما عالج ضحايا عنف، ثارت مشاعره. فقد بدا وجهها وكأنه "زاحل" من جمجمتها. واذا مدّدت على ظهرها توشك ان تغرق في دمها. لذا كان عليه ان يوقف النزف اولاً.

في غرفة العمليات، ادخل الطبيب المبنِج شارلز سبنسر انبوباً في ما تبقى من فم كاي. ويلج الانبوب الرُّغامي ويجتاز طابة صغيرة تعمل كصِمام فتمنع السائل من غمر حنجرتها. ثم حقنها عقار "بنتوتال" ليجعلها تنام. بعد ذلك اولج الدكتور هاريس انبوباً في شق جانبي احدثه في حنجرتها حتى يزود قصبتَها الهوائية هواءً.

وازيل الانبوب الرغامي ليتاح للطبيب ان يعالج وجهها. فكوى جروحها بكلّاباته الساخنة، فأخذ النزف يخف بالتدرُّج.

بدأ الدكتور هاريس بالعمل في ما تبقّى من وجه كاي. فاخرج عينها اليمنى المنقوءة والعديمة الجدوى، وازال بملقطه حبيبات الرصاص وشظايا العظام ثم قطع العضلات والانسجة التالفة. اخيرا كتّل شاشا مبلّلا بمحلول مُرْدٍ وادخله في فجوة بحجم قبضة اليد في الجانب الايمن من وجهها. ولم يبقَ من انف كاي غير قطعة جلد مدلّاة لا يمكن تخييطها بأيّ شيء. وقبل ان تزف الساعة الاولى والنصف بعد منتصف الليل، كانت كاي نقلت الى جناح "العناية الفائقة." والآن صار بقاؤها حية رهنا بتمسكها الغريزي بالحياة.

في الصباح فحص كاي الطبيبُ

جيريمي واطس، عميد الجرّاحين التجميليين في المستشفى. لقد مرت به عدة حالات صعبة، لكنه لم يجد ما يفوق هَذه الحالة تعقيدا. فطلب عقد اجتماع طبي بينه وبين الدكتور هاريس والدكتور كِن روبرتس، رئيس جرّاحي الوجه والفكّين في المستشفى والخبير في اصابات عظام الوجه والفكّين. هل في استطاعتهم منح كاي وجها جديدا؟ واذا امكنهم ذلك، فمن اين يأتون بـ"قطع الغيار"؟

١٠ أيام حاسمة — عرف الدكتور واطس واعضاء فريقه ان خطة يَقِظَة يمكن ان تكون الفصلَ بين الحياة والموت. فأمامهم عشرة ايام فقط. وبعد اسبوع سوف يهمد انتفاخ خلايا كاي، وبعد عشرة ايام سوف تبدأ العظام المشوَّهة بالانجبار وتأخذ ندوب الانسجة بالتكوُّن.

في بادىء الامر احتاج الفريق الجراحي الى نموذج لجمجمة كاي المحطمة. هنا تدخّل ستيفن غراي، الجرّاح الترقيعي التمويهي، فعمل في المختبر التشكيلي على كسو جمجمة نموذجية بمطاط السيليكون، ثم نزع شِقَّيْ هذا الجلد المطاطي واستخدمهما كقالب لصنع نسخة عن الاصل بمادة الأكريل الكيميائية. واستعمل الدكتور واطس مناشير ومحافر سريعة الدوران ليصوغ النموذج التشكيلي على صورة جمجمة كاي المهشمة. وجدَّد بناء النسخة المطابقة بالشمع الاحمر ليُظهر الاجزاء المفقودة.

درس الجراحون الثلاثة النموذج مع زميلهم الجرّاح التشكيلي الدكتور بريان جونز: ما هي الانسجة التي يمكن نزعها من جسد كاي لتحل مكان الشمع الاحمر؟ واين سيجد الجراحون عظماً وجلداً وعضلات واوردةً لمباشرة ما ستكون اكثر الجراحات تعقيداً في العالم لاعادة تكوين وجه مهشم؟

في تلك الاثناء كانت كاي تهجع نصف واعية. وكانت العقاقير المهدِّئة للالم تسبِّب لها هلوسات غريبة. فمرة ظنت انها في مطعم مع امها. وحلمت مرة اخرى انها على متن طائرة نفّاثة حيث اصوات الاطباء صارت اصوات ملاحي الطائرة الرافضين ان يطيروا بها بسبب طفح جلدي في وجهها. والآن هي تعتقد انها ترى نوافذ حُجيرة الطائرة مغشّاة بستائر ثقيلة. وصرخت افكارها: افتحوا الستائر! افتحوا الستائر!

وجه جديد — بعد ثانية ايام على الحادث، وفي السابعة والنصف من صباح ١٩ سمبتمر (ايلول) عقد الدكتور واطس اجتماع مشاورات، وهو الاخير، مع فريقه الذي يضم الجراحين التجميليين الدكتورين هاريس وجونز، جراح الفم الدكتور روبرتس، جراح المعدة والامعاء الدكتور بريان سيمونز، جراحاً متمرناً، طبيبَيْن مبنجَيْن، طاقم العناية الفائقة وعدداً من الممرضات اللواتي سيتبدّلن كل عدة ساعات لان الجراحة التي سيجرونها لكاي ستدوم بين ١٥ و١٦ ساعة.

عند الساعة الثامنة صباحا قاد الممرضون عربة كاي الى المدرَّج السادس للعمليات الجراحية. هناك بُنجت كاي ورُبطت باسلاك الاقطاب الكهربائية وبالخطوط الشريانية التي تنظِّم ضغطَ

دمها ومعدلَ نبضِها وحرارة جسدها. وكانت الانابيب تحقن السوائل الاساسية - مصل دم ومواد بلّورانيّة - في دورتها الدموية لتعوّض الـ ٥٠٠ ميللتر من الدم التي ستفقدها كل ساعة. وتحتها كانت المياه الساخنة حتى ٤٥ درجة مئوية تسيل ضمن وسادة مطاطية لتحافظ على ثبات حرارتها.

ولكي يبدل الفريق الطبي العظم الاسفل لوقب العين اليمنى ويرمم العظم الاسفل لوقب العين اليسرى، قرر استخدام صفائح رقيقة من العظام المأخوذة من جمجمة كاي - منها خمس تبلغ ثخانة الواحدة منها ثلاثة ميللمترات ومقاسها كمقاس الطابع البريدي. وبادر الدكتوران هاريس وجونز الى استعمال المشرط لسلخ جلدة الرأس وكشف الجمجمة، ثم ثلما هذه وعالجاها برشاقة ليحررا الصفائح. واستخدما قطّاعات عظام فعالة ليشكلا الحافتين السفليين من الوقبين وجانبي الانف. واحدثا ثقوباً في اطراف كل صفيحة وثبتاها عند الحافتين باسلاك من الفولاذ الذي لا يصدأ. فخلال شهر تندمل العظام المنشورة وتمتن من دون ان تُزاح الاسلاك.

مرت ساعتان. الآن ينهمك الفريق في اعادة بناء الفك الاعلى. فتحت مشارط الدكتور واطس الجلد والغشاء اللحمي اللذين يكسوان ضلع كاي السادس واخذت منه قطعة بطول ١٥ سنتيمتراً تقريباً، وخاط الجراح المتمرن الغشاء والجلد بعد ضمهما. اما الضلع المبتور فسينمو من جديد.

شق الدكتور واطس قطعة الضلع بالطول. وفوق خشبة التهريم صاغ نصف شق بالمطرقة والازميل ليصبح السناد الرئيسي للفك الاعلى. اما القطع المتبقية من نصف الشق الثاني فستستخدم لتطعيم وقب العين اليمنى والانف. ورنا الجراحون الى ساعة الجدار: إنهم يعملون منذ عشر ساعات.

فجأة سجلت الارقام فوق المُقرِئَة الالكترونية حالة طارئة. فجهاز المراقبة اظهر انخفاضا في معدل سرعة القلب. فالهبوط العنيف في ضغط دم كاي بعد اصابتها اضعف عضلات قلبها، فزوده المبنّجون مزيداً من الدم والاوكسيجين، فعاد الى التسارع. والآن زالت الازمة.

اكمل الدكتور واطس وقبَ العين والانف، ووضع الدكتور روبرتس اسلاكه في الفك الاسفل المكسور. وها الدكتور واطس يقطّب قطعة نسيج الانف المنزاحة بعدما اعادها الى مكانها. ويومىء برأسه محييا الدكتور سيمونز الذي وصل.

أمام القادم الجديد عمل دقيق هو استعمال شريط من مَعَي كايَ الدقيق كبديل من غشاء حنكها المفقود. فشق بطنها وأبرز الجزء الاوسط من المعي الدقيق، المعروف بالصائم. وسحب الجراح المتمرن المعي من الاحشاء وعرضه امام الاضواء المخفوضة لتحديد شكلها الوعائي.

وفتش الدكتور سيمونز عن قطعة محددة الطول. ضغط بملازم صغيرة اوعية الدم البالغة الصغر ثم قصها بالمقص وربطها مغلَقة بخيط حريري. اخيراً اختار ١٢ سنتيمتراً من المصران، قطعةً كاملة

مع شرايينها واوردتها، وهي لا تضير تموين باقي المصران دماً.

فيما الدكتور سيمونز يقطّب البطن، كان الدكتور جونز يحيط القطعة المقصوصة بالثلج، ثم يشرطها بالطول من جهة واحدة ويبسطها مسطّحة. واستعان بمجهر عملياتي ليبسطها فوق العظام المشدودة باسلاك في الفك الاعلى ويخيط اوعيتها الدموية بالاوعية الصدغية في الجهة اليسرى من رأسها. وهذا النظام من الدفق الدموي المصطنع سيساعد حنك كاي الجديد على النمو.

والآن لم يبق غير الثقب الكبير في خد كاي الايمن بطول ١٠ سنتيمترات وعرض ٨. قطع الدكتور هاريس قطعة من الجلد، متصلة بالشريان والوريد الكعبري، من الوجه الباطني لساعد كاي الايسر. وربط الاوعية الى الشرايين والاوردة اللسانية في عنقها، وهي التي تزوّد اللسان عادة. اخيراً انتهت القطبة الاخيرة واعيدت كاي الى غرفة العناية الفائقة. لقد استمرت العملية فعلاً ١٦ ساعة.

لا المرآة! — لدى تراجع مفعول المسكّنات بعد عدة ايام تالية، عاد الى كاي وعيها بالتدرُّج. واستعد الدكتور واطس الآن للمعركة النفسية. ولعلمه ان التشويه الفظيع في وجه كاي قد يسبب لها صدمة خطيرة، اوصى الممرضات بالا يعطوها مرآة قبل اعدادها نفسياً، لمواجهة شكل وجهها الجديد. واخبرها بلطف انها سوف تحيا، وان مزيداً من العمليات سيحسّن مظهرَها، انما ليس في الامكان إرجاع جمالها الى ما كان.

يوما بعد يوم، كان يغذي كاي طعام سائل يمرّ مباشرة في انبوب حتى معدتها. وكان حقن المصل في الوريد يؤمّن السوائل الاساسية. وكانت انبوبة مصّ في انفها تحول دون سيلان المخاط الى احشائها الجريح. وخلال ذلك تحاول كاي ان تستعيد ما حدث. ففي تلك الليلة المشؤومة ردت عدة مرات على اتصالات هاتفية موجهة الى رفيقتها في الشقة التي كانت ترفض التحدث الى صديق سابق. فهل حاول هذا ان يثأر من رفيقتها، فجاءت الضربة في كاي البريئة؟

وراحت تتساءل مرة بعد مرة: يا رب، لماذا حدث هذا لي انا؟ هل كان ذلك نوعا من العقاب على ماضيها الحديث؟ وامعنت التفكير في عشوائية حياتها منذ وصولها من نيوزيلندة قبل ثماني سنوات – سلسلة لا معنى لها من الاعمال، وآخرها وظيفة مرافقة أملت ان تكون موقتة. وقررت في نفسها أنْ مهما كان نوع الحياة الذي ستحياه الآن فلن يكون سطحياً ولا رديء السمعة.

غالبا ما يراود افكارها في الليل رعبٌ من الحادث. فتظل تنتحب بصمت ساعات وساعات. غير ان نوبات الاشفاق على الذات يخف تكرارها شيئاً فشيئاً، فتردد بينها وبين نفسها: على الاقل أنا حية أرزق.

بعد ستة اسابيع على العملية سُمح لكاي بان تشاهد وجهها. لم يكن في استطاعة احد او شيء ان يحضرها كفاية للصدمة. فاطلقت ما يشبه اللهاث: "رحماك ربي!" لقد شاهدت في صفحة

المرآة رأسا حليقاً بعين واحدة، مكسوًّا بالقطب ومبقّعاً بالجنطيان البنفسجي. وتمتم كاي: "لا استطيع ان اصدق ان هذا الوجه لي! آه! كم هذا عسيرا كم هو مؤلم!"

قوة الوجه – بعد اربعة عشر اسبوعاً عادت كاي نسبيت الى منزلها. في البدء حتى كلبها العزيز زمجر حين رآها وقد اربكه وجهها المتبدل مع عينها الزجاجية ورائحة الادوية. وظلت عدة اسابيع تخشى المجازفة بالخروج، وعندما خرجت رمقها الناس برعب. بل ان بعضهم صرخ. وزعق فريق من الشبان بقساوة: "انظروا الى هذا الوجه الخارج مباشرة من فيلم رعب!" فصلَّت: اللهم امنحني القوة، قاسرة نفسها على تجاهل نظرات التحديق.

بيد ان محنة اخرى كانت في انتظارها: أنْ تشهد ضد المتهم باطلاق النار عليها. رفضت في البدء خوفا من ان تواجه في المحكمة مهاجمها. ثم قررت أنَّ عليها ان تفعل ذلك. قالت لنفسها: ارفضي الآن جبه الواقع، وسيكون عليك التقهقر امام كل شيء في ما بقي من حياتكِ.

غطّت كاي وجهها بوشاح، وبصعوبة وجدت القوة لتجيب عن اسئلة محامي الدفاع الذين الحّوا عليها. اخيراً انتهى الكابوس وحكم على مهاجمها بالسجن ١٥ عاما، خُففت لاحقاً الى ١٣ عاما.

تأثر الناس الذين قرأوا قصتها بشجاعتها اللافتة، فساهموا في جمع ٣٠٥٨٨٧ دولاراً لصندوق انشأته الكاتبة السينمائية ماري داغمار دايفس. ووردت آلاف الرسائل من اوستراليا والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى. وكتب مشوَّهون آخرون أن كاي الهمتهم ان يواجهوا العالم الخارجي.

منذ ذلك الوقت عملت كاي متطوعة في "الجمعية الملكية للرفق بالحيوان." فهي احبت الحيوانات طوال حياتها. وهي الآن تبني ببطء حياة جديدة في منزلها في ضاحية هادئة من ملبرون في اوستراليا، مع قطتها "كليوباترا" وارنبها "لاكي" وكلبها "كارا". هي تقول: "حتى الرعب يمكن ان يكون له وجه ايجابي."

كل مَن التقى كاي دُهش من قوة إرادتها وشجاعتها. يقول الدكتور جيريمي واطس: "انها من نوعية نادرة، وهي مثل لا يصدق لقوة الروح الانسانية، اننا نشعر بالرهبة حيالها."

ريتشارد شيرز ■



انت والعالم و... الثور!

أنْ تتوقّع من العالَم أن يعاملك بعدل لانك انسان طيِّب يشبه نوعا ما توقُّعك ألّا يهاجمك الثور لانك نباتي.

د.هـ.

تقرير خاص

نقل الدم

أين الخطر؟ وأين الأمان؟

بقي نقل الدم من مريض الى آخر مسألة بسيطة الى ان ظهر مرض فقدان المناعة المكتسبة "آيدز" وهذا التقرير، وان يكن يتناول مشكلة امريكية الا انه يوفر معلومات جديرة بالاهتمام وتعني كل مواطن في العالم.

على مدى سنتين ونصف سنة تولت مراكز مراقبة المرض في اتلانتا بجورجيا، جمع الادلة المقلقة فوجدت اولا ان هناك رجلين من كولورادو نقل اليهما دم من متبرع واحد واظهر الفحص انهما يحملان فيروس "آيدز".

وهناك امرأة في السادسة والستين من عمرها نقل اليها دم على اثر حادث سيارة فاصيبت بمرض "آيدز" وماتت بعد سنة. وثمة رجل مسن في الخامسة والخمسين من عمره ظهرت عليه اعراض "آيدز" الكلاسيكية بعد مرور عشرين شهراً على نقل بلازما اليه خلال عملية في الشريان التاجي.

اجمالا، اكتشفت مراكز مراقبة المرض ١٣ حالة منذ اقرار الفحص الالزامي للمورد الوطني للدم في العام ١٩٨٥ بحثاً عن فيروس "هيف" (HIV) اي فيروس نقص المناعة البشرية.

وفي كل سنة، تنقل وحدة او اكثر من الدم الى ٣،٥ مليون امريكي. فما هي نسبة احتمال اصابة هؤلاء بآيدز او بالتهاب الكبد - وهما السببان الاكثر اثارة للقلق - من جراء هذا النقل؟ وكيف يمكنكم خفض تعرضكم للاصابة؟

روس د. إيكرت استاذ علم الاقتصاد في جامعة كليرمونت ماكّنا بكليرمونت، كتب الكثير عن "صناعة" بنوك الدم وهو يقول: "قبل ان يقرّ فحص الدم بهدف

الكشف عن فيروس آيدز، كان المسؤولون الحكوميون واصحاب بنوك الدم ينعتون قلق العموم في شأن إمدادات الدم بالمستيريا التي لا مبرر لها. اما انا فأرى ان القلق كان منطقيا، ولا يزال."

بحسب تقديرات مركز مراقبة المرض هناك ما يزيد على عشرة آلاف امريكي يحملون فيروس آيدز نتيجة عمليات نقل الدم. والى هذا، هناك ايضا عشرة آلاف آخرون في حالة وراثية تسبب نزف الدم يحملون فيروس "هيف." والكثيرون لا يعرفون انهم يحملون هذا المرض او ذاك وان في امكانهم نقله الى غيرهم. والى الآن، لم تجر اي محاولة نظامية، على مستوى وطني، لتتبّع هؤلاء الاشخاص.

وهذا ما يثير غضب جايمس شانون (٥٣ عاما) وهو رجل اعمال من العاصمة واشنطن. ففي اواخر ١٩٨٣ اجريت له جراحة للشريان التاجي، استلزمت اعطاءه عشرين وحدة (١) من خلايا الدم الحمراء. وتعافى شانون بسرعة ولكنه شعر لاحقاً بانه مريض ولا يقوى على العمل. وهو يقول: "لم يخطر في بالي مطلقا انني قد اكون مصابا بآيدز."

وفي مايو (ايار) ١٩٨٧ قرأ شانون مقالا جاء فيه ان الذين جرى لهم نقل دم ما بين عام ١٩٧٨ وعام ١٩٨٥ معرضون للخطر. فاجري له فحص ادى الى تحقق اسوأ مخاوفه: "ان ما اغضبني هو انه لا المستشفى حيث اجريت لي الجراحة ولا الصليب الاحمر الذي قدّم الي الدم ابلغني عن آيدز. فلو كانت لي علاقات جنسية عدة لما كان هناك من سبيل الى معرفة عدد الذين نقلت اليهم العدوى."

وهو يقول انه كان سيغضب اكثر لو علم ان امرأته اصيبت بمرض آيدز، ولكن كل فحوصها اظهرت، الى الآن، انها سليمة.

ولكن ما يغضب ايضا عدداً من الخبراء هو ان صناعة الدم والحكومة الاتحادية اخفقتا في بذل كل ما في وسعهما لصون موارد الدم حين بدأ مرض آيدز بالانتشار في مطلع الثمانينات. وكثيرون من اصحاب بنوك الدم والمسؤولين الحكوميين ينكرون ذلك. انما يرد منتقدو الصناعة انه كانت هناك سبل لخفض الاصابة بمرض آيدز من جراء نقل الدم منذ قرابة سنتين اي قبل ان يوضع قانون الفحص الحالي موضع التنفيذ. ويقولون ان اصحاب بنوك الدم تجاهلوا هذه الطرق حرصا على مصالحهم الشخصية.

الذنب بالمشاركة – ان بنوك الدم صناعة كبيرة مبنية "على عدم الربح" تجمع سنوياً ما يزيد على ستة ملايين ليتر من الدم من المتبرعين وتبيع ٣٠ مليون وحدة من مشتقات الدم. ويجمع الصليب الاحمر الامريكي وحده نصف كمية الدم المتبرع بها والبنوك المستقلة ٤٠ في المئة وتذهب البقية الى المستشفيات. (الى صناعة الدم الخالية من الربح، هناك مراكز تجارية تجمع في الغالب البلازما من متبرعين يقبضون ثمنها، وتصنع منها مشتقات متنوعة من الدم.)

وتبلغ قيمة مبيعات الدم، على اساس

(١) الوحدة هي الكمية التي تؤخذ من ٠،٤٧ من ليتر دما.

عدم الربح، مليار دولار سنوياً. وفي ١٩٨٦ استنتجت مجلة "موني" انه لو كانت خدمات الصليب الاحمر ذات مقابل مالي، لكانت عائدات هذه الجمعية وضعتها في العام ١٩٨٥ في المرتبة ٤٧٣ بين اصحاب الثروات الـ ٥٠٠ في الولايات المتحدة، ولأمّنت لها ارباحاً مفترضة تعادل ٨،٨ في المئة تضعها في المرتبة الخمسين.

يقول العالم الاقتصادي إيكرت: "تصوَّر بنوك الدم على انها مؤسسات بطولية، انسانية، محبّة للغير. ولكنها ليست في الحقيقة، في اكثرية المجتمعات، سوى شركات احتكارية. فالحماية الاكثر تشدداً تجبرها على التخلي عن مزيد من المشتقات مما يعني خسارة الدخل والبحث عن عدد اكبر من المتبرعين. وهذا يفسر تباطؤ بنوك الدم في الاستجابة لخطر آيدز."

لم يكن إيكرت الوحيد الذي شعر ان بنوك الدم تباطأت كثيراً في الاستجابة. ففي اوائل ١٩٨٣ استنتج الدكتور ادغار انغليمان المدير الطبي لبنك الدم في جامعة ستانفورد في بالو ألتو بكاليفورنيا، ان مرض آيدز كان ينتقل بطريقة جلية عبر الدم وشكّل على الارجح مشكلة هي اكبر مما هو معترف بها عموماً.

وادى اهتمام إنغليمان بهذا الامر الى تبنيه الفحص الانتقائي للدم بهدف الكشف عن آيدز. وكان بنكه رائداً في هذا المجال. وفيما لم يتح لفحصه ان يكشف عن آيدز مباشرة لكنه حدد نسباً غير طبيعية لخلايا الدم البيضاء التي ترافق المصابين بآيدز والفئات ذات التعرض المرتفع للاصابة كاللواطيين او الذين يسيئون استعمال العقاقير من طريق الحقن الوريدية. وهذه "التحاليل البديلة" تحدد الذنب بالمشاركة.

بدأ بنك ستانفورد للدم الفحص الانتقائي في يوليو (تموز) ١٩٨٣، اي قبل عامين من اقرار الفحص الالزامي. واضاف البنك ستة دولارات الى بدل كل عملية نقل. ويقول انغليمان: "لم تكن هناك اي شكاوى من المرضى."

اعتراف المتبرعين — في الربيع التالي تلقى بنك ستانفورد اتصالا مثيراً من طبيب يبعد مسافة ٨٠٠ كيلومتر يقول فيه ان مصابا بمرض آيدز اخبره لتوه انه تبرع بالدم لستانفورد وبنوك دم اخرى في المنطقة. ويتذكر انغليمان: "اظهرت سجلاتنا ان فحص دمه كان غير طبيعي فرفضناه. ولسوء الحظ اعطت البنوك الاخرى من دمه لعدد من "المرضى ناهز الاحد عشر."

واثر اقرار قانون الفحص الالزامي بحثاً عن آيدز والمعروف باسم "إليزا،" في مارس (آذار) ١٩٨٥، راجع انغليمان تحاليله البديلة لمعرفة مدى نجاحها، فوجد ان ٧،٥ في المئة من الدم المصنّف "خطر عدوى مرتفعاً" والذي نبذه، كان ملوّثاً بالفيروس. انما في كل الف عينة من الدم التي وجدت سليمة ونقلت الى المرضى، كانت هناك عينة واحدة اظهر الفحص انها تحتوي على فيروس آيدز. لذلك فان تحليل انغليمان، وان لم يكن كاملا، الا انه قلل فعلا نقل الدم الملوّث بايدز في ستانفورد.

فاذا كان مقدراً لفحصه حظ في النجاح فلماذا لم يبادر اصحاب بنوك الدم الآخرون الى اعتماده؟ يجيب انغليمان: "لن اجادل انه كان على بنوك الدم ان تعتمد تحليلنا ولكن كان في وسعها، منذ ١٩٨٤، اعتماد الفحص الذي يرمي الى كشف الاجسام المضادة في قلب فيروس "هيباتيتس ب"، كبديل من الفحص الذي يكشف فيروس آيدز. ولكان هذا فحصاً مفيداً يساعد على تفادي نقل فيروس آيدز. وكانت بنوك الدم مجهزة كفاية للقيام به."

ان اعتماد الطريقة يكشف الاجسام المضادة في قلب فيروس "هيباتيتس ب." وبحسب دراسة مرضى آيدز اجرتها مراكز مراقبة المرض في العام ١٩٨٣، تبين ان هذه الاجسام كانت موجودة لدى كل من يتلقون عقاقير من طريق الاوردة ولدى ٨٨ في المئة من اللواطيين. وبالكشف على هذا الدم الذي يزيد من تعرض متلقيه للاصابة بآيدز كان في مقدور التحليل البديل الحؤول دون نقل دم ملوث الى اجسام اشخاص اصحاء.

في ربيع ١٩٨٤ اقرت بنوك الدم في سان فرنسيسكو وبضع مناطق اخرى اعتماد تحليل مماثل، اذ كانت هناك خشية من انتشار عدوى آيدز من طريق نقل الدم. (بعض مراكز البلازما التجارية كانت تعتمد هذا التحليل). اما بقية بنوك الدم الاخرى فقد رفضت اعتماد هذا التحليل وما فتئت تطمئن العموم الى انها تقوم بكل ما يجب عمله.

ويلاحظ الدكتور جايمس ب. اوبيشون المسؤول الطبي في مقر رئاسة الصليب الاحمر الامريكي في العاصمة واشنطن ان التحليل البديل الذي اعتمده انغليمان كان غير عملي: "انه تحليل مرتفع الكلفة، وليس في البلاد ادوات كافية لاجرائه، ويستحيل منطقياً اجراء ١٣ مليون فحص في السنة. كذلك فان الفحص الزامي الى كشف اجسام مضادة في قلب فيروس "هيباتيتس ب" لا يوثق به لكشف فيروس آيدز."

ولكن البرهان الواضح على ان فحص التهاب الكبد كان في وسعه لجم عدوى آيدز قدمه الدكتور هربرت بيركنز مدير "بنك ايروين مموريال" في سان فرنسيسكو. فقد بدأ اجراء فحص لكشف اجسام "هيباتيتس" المضادة في مايو (ايار) ١٩٨٤، قبل قرابة سنة من اعتماد طريقة "إليزا." وهو يقول: "اذا التفتنا الى ما حققناه لعرفنا الآن ان ٤٠ في المئة ممن تأتي نتيجة فحصهم من اجل آيدز ايجابية تظهر ايضاً ايجابية بالنسبة الى وجود اجسام مضادة من فئة "هيباتيتس ب." فعليه يكون فحصنا قد حال دون العدوى بآيدز بنسبة معينة."

اقفال النافذة – في ضوء معرفتنا بالتباطؤ المعهود في الماضي، ما هو مبلغ سلامة الدم المتوافر حالياً؟

ان اول خطوط الدفاع هو الطلب من المتبرعين الا يتبرعوا بدمهم اذا كان سبق لهم ان تعرضوا لامراض معدية كالملاريا والتهاب الكبد او آيدز او اذا كانوا مصنفين في الفئة الاكثر تعرضاً لعدوى آيدز.

ولسوء الحظ تبين من ١٣ عدوى بآيدز

حصلت من جراء نقل الدم، ان بعض المتبرعين قد "تسللوا" عبر خط الدفاع هذا. ولمعرفة السبب عمد مركز مراقبة المرض الى تحديد مكان ستة منهم واجراء مقابلات معهم. ويفيد الدكتور سكوت هولمبرغ عالم الاوبئة في برنامج آيدز التابع لمركز المراقبة: "كان اكثرهم شاذين جنسياً، وكانت هناك امرأة واحدة اقامت في السابق علاقة جنسية مع شخص يتعاطى العقاقير المخدرة من طريق الاوردة. وفي حالة مثيرة للقلق اعترف احد الشاذين جنسياً بانه اعطى دماً لكي يحصل على فحص لآيدز مجانا."

فدم هؤلاء ايضاً تملّص من خط الدفاع الثاني، فحوص المختبر. ان فحص "إليزا" لا يدل على فيروس آيدز بالذات، انما على الاجسام المضادة التي تنشأ استجابة له. والمشكلة المطروحة هي في ان جهاز المناعة يستغرق عادة ثلاثة اشهر لانتاج اعداد يمكن كشفها من هذه المضادات. لذلك فان فحص دم شخص موبوء قد ينسل من خلال هذه "النافذة."

فما هو عدد هذه التسللات؟ لا احد يعرف. لكن مراكز المراقبة تقدر فرص العدوى بآيدز من وحدة دم منقولة بواحد في المئة الف. بالمقارنة، هناك فرصة في خمسة آلاف ان يقتل شخص واحد في السنة في حادث سيارة في الولايات المتحدة. لكن مراكز المراقبة تشير الى انه لم يعرف الى الآن اذا كان كل الذين يلتقطون فيروس آيدز يصابون به فعلا، ام ان الامر محصور في فئات معينة.

ويسعى الباحثون الى ايجاد طرق فضلى "لغربلة" الدم. ويقول الدكتور فرانك يونغ مفوض "ادارة الغذاء والدواء"، وهي الوكالة الاتحادية التي تنظم التموين بالدم على المستوى الوطني: "ان التحاليل التجريبية تكشف فيروس آيدز بعد مرور اسبوع على العدوى. ونتوقع اكتشاف طريقة روتينية للفحوص خلال سنتين."

وحتى ذلك الحين فان الكلمة الفصل في شأن خطر العدوى بآيدز من جراء نقل الدم تأتي من الذين درسوا هذا الامر في مراكز المراقبة. وهم يقولون ان الخطر "بعيد ولكنه حقيقي."

الخوف الاكبر – حتى وإن تكن هناك طريقة مضمونة لكشف فيروس آيدز المعروف بـ"هيف،" فمن المحتمل بروز اخطار جديدة مثل الفيروسات الجديدة التي تهدد سلامة الدم. ففي شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ اجرى الاطباء في جامعة الطب والاسنان في نيوارك بنيو جيرزي، فحصاً لامرأة كان وزنها آخذاً في الانخفاض على مدى ثلاث سنوات، وكانت تعاني اعراضاً عصبية لا تجد لها تفسيراً فتبين لهم انها مصابة بتلف في الدماغ شبيه بمرض آيدز. ولم يظهر الفحص وجود اثر لفيروس آيدز لديها.

وكانت هذه المرأة هاجرت حديثا الى الولايات المتحدة من غرب افريقيا حيث ينتشر فيروس يدعى "هيف – ٢" وكانت الضحية الاولى لهذا الفيروس في الولايات المتحدة. وحالتها تشير الى تهديد جديد لسلامة الدم في البلاد.

ان فيروس "هيف – ٢" (HIV-2) وفيروس آخر يسمى «HTLV-1» مع فيروس

آيدز، هي من عائلة ريتروفيروسات واحدة (٢). ففيروس HIV-2 يسبب مرضاً شبيهاً بآيدز فيما يسبب HTLV-1 نوعا مدمرا من السرطان يعرف بـ «T-cell Lymphoma / Leukemia» يصيب البالغين ونوعاً من اضطراب الاعصاب يسمى "تروبيكال سباستيك بارابايسيس" (٣) الذي يشبه مرض تصلّب الانسجة المتعدد الأعراض. ويُعتقد ان كلا الفيروسين ينتقلان بالطريقة ذاتها التي ينتقل بها فيروس آيدز – اي بالاتصال الجنسي وابر الحقن المشتركة والدم، ومن الأم الى الجنين.

لقد كانت هناك جيوب كثيفة من فيروس HTLV-1 في جنوب اليابان وجزر البحر الكاريبي وعلى نطاق اضيق في افريقيا الوسطى. وقد اكتشف الفيروس حديثاً بين مسيئي استعمال العقاقير من طريق الحقن في الاوردة في بريطانيا وفي مدن امريكية عدة. ووجد فيروس "هيف – ٢" في غرب افريقيا وفي بلدين في اوروبا.

في اوائل ١٩٨٧ عمد الصليب الاحمر الى اجراء فحوص تجريبية ودقّق عشوائياً في ٣٩٨٩٨ وحدة من دم متبرعين لكشف اجسام مضادة لفيروس HTLV-1. فظهرت عشر وحدات تحتوي على فيروس HTLV-1 او ما يعادل وحدتين ونصف وحدة في كل عشرة آلاف مما يجعل خطر الاصابة بداء HTLV-1 عبر نقل الدم اعلى من خطر الاصابة بآيدز. وقد اشرفت مراكز المراقبة وادارة الغذاء والدواء على فحص ٨٥٠٣ عينات من الدم فلم يظهر فيروس HIV-2 في اي منها.

ويقول المفوض يونغ: "ان ايجاد فحص لفيروس HTLV-1 هو في مقدم اولوياتنا ونأمل ان نجده في اي لحظة. وسيتبع هذا فحص لفيروس HIV-2."

في هذه الاثناء هناك باحث في إيطاليا يظن انه كشف ريتروفيروس آخر هو «HTLV-V» يسبب نوعا من الورم اللمفاوي. فهل سيتم اكتشاف فيروسات جديدة؟ يجيب هولمبرغ من مركز مراقبة المرض: "لا نعلم شيئاً عن هذا الامر وربما كان آيدز مجرد قطعة في احجية اكبر. انها فكرة مثبطة تبعث على القلق ولكني ارى ان من واجبنا ان نقلق."

خطر التهاب الكبد – بعد اسبوع على مغادرته المستشفى، اثر جراحة في القلب، بدأ بول غريفيث يعاني ضعفاً. وكان في اوائل الستينات من عمره. وهو يقول: "انني امشي عشر دقائق وانام اربع ساعات." وقد اظهرت التحاليل انه مصاب بالتهاب الكبد الذي ينتقل بالعدوى.

وبما ان الفحوص التي اجراها قبل الجراحة لم تكشف انه مصاب بالتهاب الكبد فقد عرف غريفيث انه "التقط" المرض من طريق نقل الدم. ويدعى نوع مرضه «NON-A», «NON-B» (NANB).

ولازم الوهن غريفيث الى ان وجد نفسه مجبراً على التقاعد وترك عمله في المحاماة. وبعد سنتين اظهرت دراسة مجهرية لنسيج جسم غريفيث، الممتنع

(٢) ريتروفيروس هو نوع من الفيروس يرتب انتقال صفاته الوراثية على غير ما يفعل غيره من الفيروسات الاخرى.

(٣) Tropical Spastic Paraparesis

عن المسكرات، انه مصاب بتشمّع الكبد الذي يسببه التهاب الكبد. ونظرا الى عدم توافر معالجة فاعلة لمرض الكبد (NANB) ظل غريفيث يعاني، على مدى ست سنوات، ادواراً من الحمى والقشعريرة والنزف وآلام البطن، كانت تعاوده تكراراً. وما زال يشكو التعب الشديد، ونقص وزنه ٣٢ كيلوغراما. وهو يقول: "لا استطيع ان أتهم احداً بالخطأ. لم يحاول احد ان يؤذيني عن قصد."

لم يظهر خطر عدوى التهاب الكبد جليا الا حين تركز الانتباه على ازمة الآيدز المنتقل بالدم. فقبل ان تبدأ بنوك الدم عام ١٩٨٦ اجراء تحاليل جديدة لغربلة تبرعات الدم والكشف عن فيروس التهاب الكبد، كانت فرص الاصابة به واحدة من عشر، وذلك يجعل التقاط عدوى التهاب الكبد الخطر الاكبر خلال نقل الدم، علماً ان بين ٣٠٠ الف و٤٠٠ الف عملية نقل دم تجرى سنوياً في الولايات المتحدة. ويعتقد بعض الخبراء ان نسبة الخطر انخفضت الى واحد من عشرين بفضل التحاليل الجديدة.

هناك ٩٠ في المئة من الاصابات بالتهاب الكبد (NANB) من جراء نقل الدم، ومعظم بقية الاصابات هو من نوع التهاب الكبد "ب" الذي يلازم المريض ويقتله في بعض الاحيان. وهناك نوع ثالث يعرف بـ"هيباتيتس أ" ويقل خطر التقاطه لكونه مرضاً حاداً ولانتفاء فيروسات طويلة العمر تحمله.

في السبعينات اتخذت بنوك الدم اجراءات تهدف الى الوقاية من "هيباتيتس ب" الذي كان المرض الاكثر شيوعا في حينه، فبدأت استخدام فحص يكشف الفيروس. ورافق هذه العملية توقف دفع المال للمتبرعين. واثبتت الدراسات ان المتبرعين في مقابل مبالغ من المال - اكثريتهم من الفقراء - كانوا مصابين في شكل ملفت بـ"هيباتيتس ب" اكثر من سواهم من المتطوعين.

ولا يزال التهاب الكبد (NANB) يهدد الذين يخضعون لعملية نقل الدم لانه ليس هناك تحليل لكشف هذا الفيروس والاجسام المضادة له. ومعظم حاملي فيروس "هيباتيتس NANB» لا يدركون ذلك، ويتقدم اكثرهم للتبرع بالدم وهم على جهل به.

منذ اواخر ١٩٨٦ بدأت بنوك الدم اعتماد تحليلين بديلين لكشف فيروس NANB. واحد لكشف الاجسام المضادة في قلب فيروس "هيباتيتس ب" وهو التحليل ذاته الذي ايّده انغليمان كبديل من غربلة الدم والكشف عن فيروس آيدز. وتظهر الدراسات ان من كانت نتيجة فحصه ايجابية لدى كشف الاجسام المضادة في "هيباتيتس ب" يكون معرضا ايضاً لخطر حمل فيروس NANB. ويسمى التحليل الثاني "ألانين امينوترانسفيريز"(٤) وهو يعمل على قياس انزيمات الكبد التي ترتفع فيها مستويات الدم بسبب اشياء عدة منها استهلاك الكحول و"هيباتيتس NANB».

وتظهر التجارب ان كل من ينقل اليه دم ملوّث بفيروس NANB يلتقط العدوى. وعاجلا ام آجلا يصاب نصف المتلقين دماً ملوثاً بالتهاب الكبد المزمن و١٠ في

(٤) Alanine Aminotransferase

المئة بتشمّع الكبد. حتى مع الفحوص البديلة فان حظ اصابة المريض بتشمّع الكبد، من خلال عملية نقل الدم، واحد من مئتين.

ولئن يكن الفحص قد جعل نقل الدم اكثر امانا الى حد بعيد، الا ان خطر الاصابة بالتهاب الكبد من طريق نقل الدم يظل مرتفعاً. وهناك شركة في كاليفورنيا اعلنت انها حددت "هوية" فيروس NANB. ويقول الدكتور هارفي ج. اليتر رئيس مبحث المناعة في دائرة معاهد الصحة الوطنية لطب نقل الدم: "ان النتائج الاولية مشجعة جدا. فاذا صح الاكتشاف فسيكون ذلك تقدماً كبيراً في سبل الوقاية من هيباتيتس NANB. وخلال سنتين سيكون اكتشاف فحص محدد لـNANB هدفاً سهل المنال."

التغلب على المصاعب – يقول الدكتور هارفي كلاين رئيس قسم طب نقل الدم في معاهد الصحة الوطنية: "سيكون هناك دائما فيروس جديد او تغيير في فيروس كائن وسنحاول الالمام بكل المستجدات. ولكن هدفنا المثالي هو ان تكون لدينا وسيلة لازالة كل انواع الفيروس من الدم."

ان فكرة كلاين ليست خرافة علمية. فهناك طريقتان قيد الدرس لشل نشاط الفيروسات تدعيان "تنظيف الدم"، تستخدم في احداهما اشعة "ليزر" وفي الاخرى مواد كيميائية. يقول الدكتور يولغ من "ادارة الغذاء والدواء": "ان هاتين الطريقتين العلميتين لا تزالان بعيدتين عن طريقة الانتقاء الجماعية للدم." ولكن لا تزال هناك امكانات اخرى.

"دم اصطناعي" – ان هذا التعبير مضلل، لان التركيز الحقيقي في البحث يتمثل في تطوير "هيموغلوبين" معدّل كيميائيا. والهيموغلوبين هو البروتيين الذي يحمل الاوكسيجين في الدم. وفي التجارب التي تجرى على الحيوانات ينقل هذا المحلول الكيميائي الأوكسيجين كالدم الطبيعي، ان لم يكن على نحو افضل. وقد تعتمد تقنية ربط الجينات في انتاجه جماعيا. ويتوقع حصول استخدام محدود لـ"الدم الاصطناعي" في غضون سنة. فهذه المادة ستكون جزيلة الفائدة للذين يحتاجون الى كميات كبيرة من الدم خلال العمليات الجراحية او لدى تعرضهم للصدمات.

استرداد الدم. تقوم هذه الطريقة على جمع الدم الذي يفقده المريض خلال الجراحة وضخه الى آلة تفرز الخلايا الحمراء فتنظفها وترجعها الى المريض. واسترداد الدم قد ينفي الحاجة الى عملية نقل الدم او قد يحد منها، انما هو يتطلب آلة يبلغ ثمنها ٣٥ الف دولار وفنياً ماهراً لتشغيلها.

التبرع للنفس. ان خزن الدم الشخصي هو الطريقة الاكثر امانا لتحاشي الخطر. وبما انك قادر على الاستغناء عن ٠،٤٧٣ من الليتر من الدم اسبوعياً في الاحوال المثالية فانك تستطيع ان تخزن قرابة خمس وحدات من دمك تحسباً لبعض العمليات الجراحية. وتفضل استشارة

الطبيب قبل الاقدام على هذا العمل.

وتعرض شركات تجارية في الولايات المتحدة تجميد الدم الى حد عشر سنين في مقابل ١٥٠ دولاراً للوحدة. ولكن تسييل الدم المجمّد يتطلب وقتاً وقد لا يكون جاهزاً في بعض الحالات الطارئة.

يقول الدكتور جوزف فيلدشوه رئيس "مختبرات إيدانت" في مدينة نيويورك: "ان انشاءك بنك دم ذاتياً لا يقيك من العدوى فحسب ولكنه يقيك ايضاً من الارتكاسات المعاكسة التي تحصل في خمسة في المئة من عمليات نقل الدم."

تبرعات خاصة. تشمل هذه التبرعات الطلب من الاصدقاء او الانسباء ان يتبرعوا لك بدمهم. ومعظم بنوك الدم يجيز ذلك ولكنه ينهى عنه لغياب الدليل على ان هذا الدم هو اكثر اماناً من غيره. ويقول الدكتور يونغ من "ادارة الغذاء والدواء": "اذا كانت لك بالمتبرعين معرفة تامة وانت على ثقة بانهم ليسوا من الفئة ذات التعرض المرتفع للاصابة بالامراض المعدية، فان هذا النوع من التبرع قد يحميك من التقاط عدوى آيدز عبر نقل الدم. اما هيباتيتس NANB فانني لا اعتقد انك ستلقى مساعدة ضده."

وثمة طريقة اكيدة لخفض الخطر الناجم عن نقل الدم وهي الحد منه. ويرى يونغ ان لا سبيل لديه لاثباتها "ولكنني اعتقد ان كثيراً من عمليات النقل هي غير ضرورية. وعلينا ان نعلّم اطباءنا الطرق الفضلى للعمل في هذا المجال، ونطور خطوطاً ارشادية اكثر وضوحاً."

والى ان يتحقق ذلك فان إمداد الدم هو آمن الان بالمقدار المعقول الذي توفره معطيات التحاليل. ويقول الدكتور توماس س. آشر رئيس "هيماكير" وهي شركة تجارية لتكنولوجيا الدم في شيرمان اوكس بكاليفورنيا: "لقد نمَت صناعة الدم التي لا تتوخى الربح فاصبحت كبيرة ومتعجرفة وبدأت تفقد رؤية الهدف الذي رسمته لنفسها. ولكن في السنة المنصرمة (١٩٨٧) توضحت الرؤيا لاصحاب بنوك الدم وهم الآن اكثر استجابة لها. ويدعى ذلك "تعزيز الاهتمام بمصلحة المستهلك وهذا ما يؤمن خدمة افضل للعموم."

ان هذا الالتزام من بنوك الدم الذي يرافق التكنولوجيا المتقدمة في مضمار فحص الدم، قد يؤمن يوما ما السلامة التامة لدم المتبرعين. ولكن يستحسن الاصغاء الى الخبراء الذين يقولون ان نقل الدم هو نوع خطر من المعالجة الطبية، لكنه قادر على انقاذ حياتكم.

جورج بيكانين ■



سحر الاطفال

لا شيء في العالم يجذب الانسان مثل وَداد طفل. فهو لا يُفرّض ولا يثير الخوف، بل إنه حنون ولذيذ، ينبعث منه سحر عفوي وثقة تشدّه الى كل انسان.

يالها من نكهة غنيّة ولذيذة !

Carnation®

Coffee-mate®

كريمة مُبيّضة للقهوة

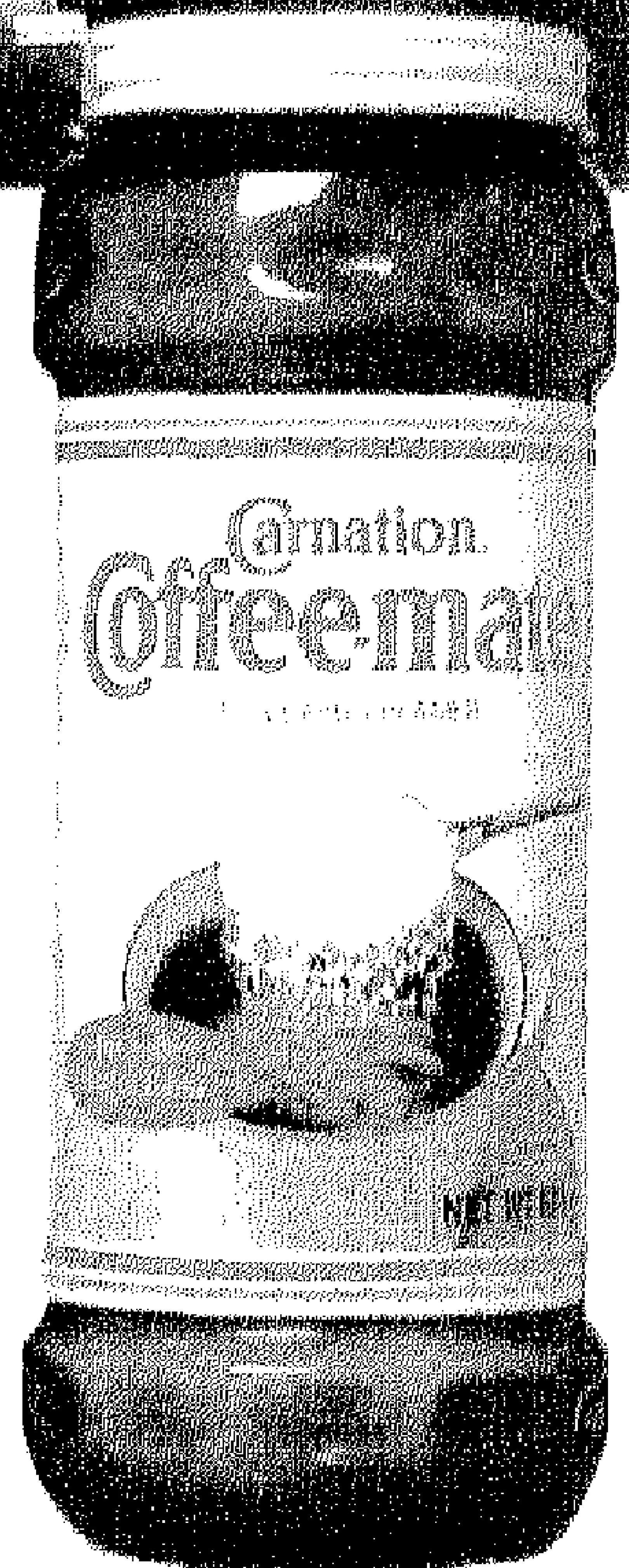
كوفي - ميت يجعل طعم قهوتك سلساً لذيذاً
ويُغنيك عن المواد الدسمة

كارنيشن

كوفي - ميت

يُضيفي إلى قهوتك نكهة غنيّة

من إنتاج Carnation كارنيشن

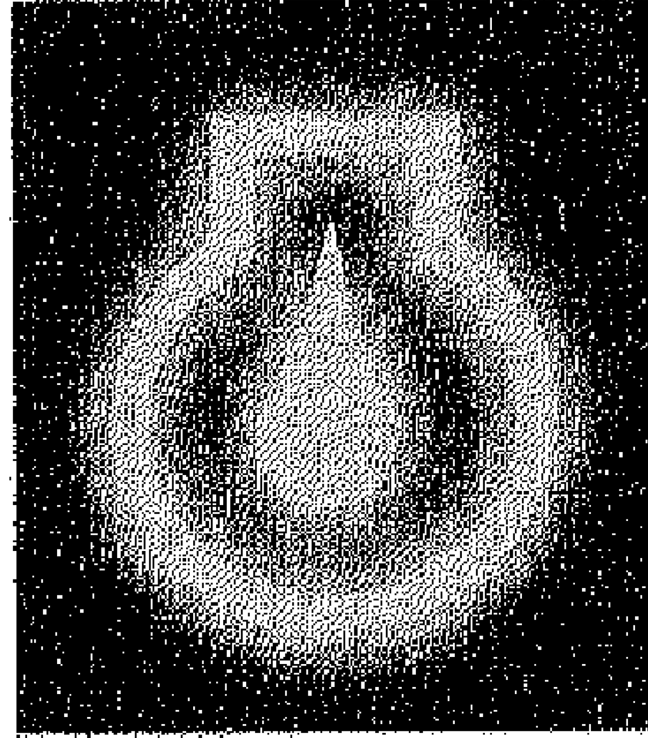


على السائق ان يكون ملما بما يعنيه ضوء الانذار على لوحة القيادة

٦ حالات طارئة تواجه كل سائق

انت وحيد، تقود سيارتك في قسم خال من الطريق الرئيسية وفجأة تجد نفسك مغموراً بضباب متصاعد من الدخان والبخار في حين يلمع ضوء الانذار معلناً ارتفاع حرارة المحرك. فتنعطف بالسيارة الى خط السير البطيء وتشعل اضواء الطوارىء الاربعة. وماذا بعد؟ هل يجب عليك متابعة السير ام الخروج بامان من الطريق باسرع ما يمكن؟

ان الالمام بما يجري وبما يجب عمله في الحالات الطارئة، من شأنه ان يوفر عليك الوقت والمال والقلق وقد ينقذ حياتك ايضاً. لذلك تعلّم كيف تضبط كمية زيت المحرك والمبرّد وزيوت ناقل القوة وعجلة القيادة والكوابح، كذلك الاحزمة والخراطيم والبطارية. فهذه جميعها تعينك في معالجة الحالات الطارئة الست الشائعة الحدوث لسيارتك:



١. انخفاض ضغط زيت المحرك. يقتضي تزييت محامل السيارة بصورة دائمة بالزيت الذي يسيّر بالضغط. وعندما يهبط ضغط الزيت الى درجة متدنية جداً يبدأ المحرك بالتلف الذاتي ويلمع ضوء انذار ضغط الزيت الاحمر على لوحة القيادة.

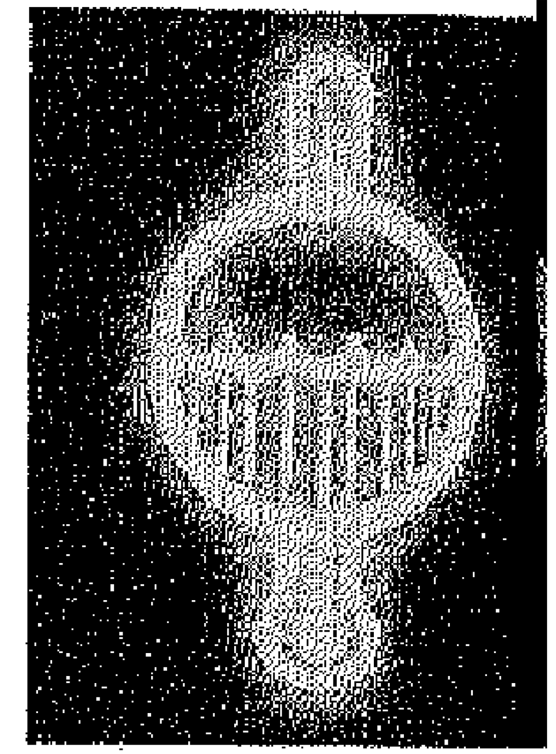
عليك في هذه الحال الاصغاء لعلك تتبين خبطة في المحرك تدل على خطر. فاذا ظهر ضوء الانذار خلال السير بسرعة على الطرق الرئيسية ثم انطفأ عندما خفت السرعة او عندما كان المحرك يدور والسيارة متوقفة، فمن المحتمل ان يكون هناك نقص في كمية الزيت.

واذا ظهر الضوء فيما المحرك دائر

 1987 by Bob Cerullo. Condensed from Parade (November 22, '87), 750 Third Ave., New York,

والسيارة متوقفة ثم انطفأ عند زيادة سرعة دوران المحرك، فيقتضي ان تتوجه على مهل الى محل التصليح.

واذا استمرّ الضوء وكان مقياس الزيت يشير الى وضع طبيعي، فلا تدر المحرك. استدع شاحنة للقطر لانه ما ان ينخفض ضغط الزيت حتى يصاب المحرك بضرر بالغ خلال دقائق، وقد يؤدي ذلك الى تلفه.

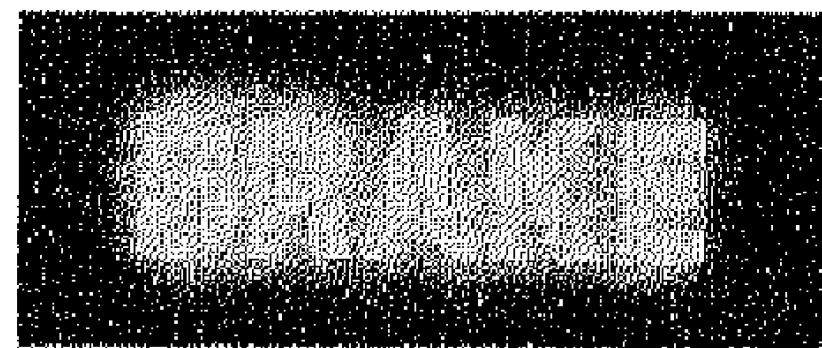


٢. ارتفاع الحرارة. يعلن ضوء الانذار ان حرارة المحرك اعلى من المعدل الطبيعي، فاذا تجاهلتها واجهت خطر تشقق المحرك.

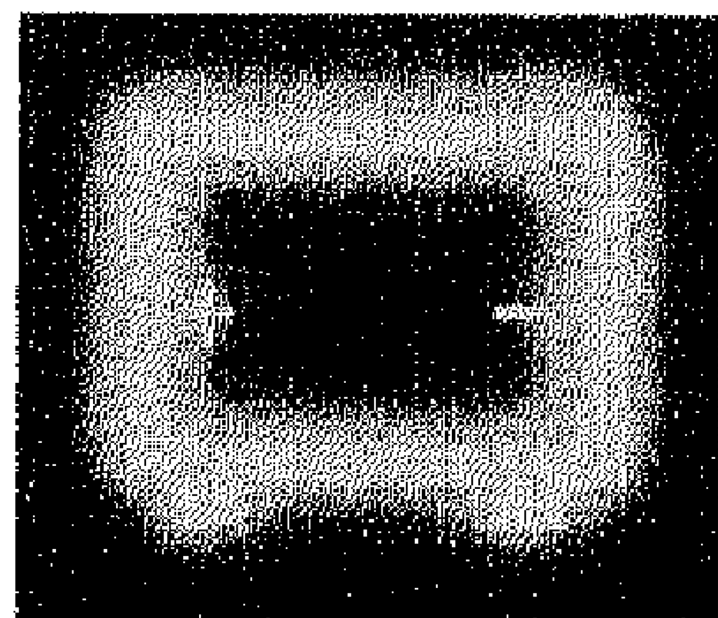
واذا ادرت جهاز التدفئة لدى اول اشارة الى ارتفاع الحرارة، فقد يساعد هذا في تأخير غليان الماء، عبر سحب بعض الحرارة الزائدة. وقد يفيد في ذلك تخفيف السرعة. واذا انطفأ الضوء توجه الى اقرب محطة للخدمة. واذا نقصت كمية كبيرة من المبرّد فسيفور ويغشى المحرك البخار. واذا حدث هذا فاخرج تماما عن الطريق وتوقف وانتظر. لا تندفع محاولاً رفع غطاء المحرك فيما ضباب البخار يتصاعد. تريث الى ان يهمد البخار ويبرد المحرك. وتذكر ان هذا قد يستغرق بضع ساعات في ايام الصيف الحارة.

في اكثر السيارات هناك مستويات قياسية في اناء بلاستيكي لاسترداد المبرّد متصل بانبوب رفيع بالرادياتور، يدل على كمية المبرد الباقية. فقبل رفع غطاء الرادياتور، وتجنباً للحروق، اضغط خرطوم الراديناتور الاعلى وتريّث بدافع الأمان الى ان تشعر ان الخرطوم اصبح لينا وباردا، فاذا كان الخرطوم قاسياً وساخناً فان ذلك يعني ان جهاز التبريد لا يزال معرضاً للضغط. ولا يفيد في هذه الحال رفع الغطاء في التعجيل في تبريد المحرك فضلاً عن امكان إصابتك بحروق. واذا كان الخرطوم ممزقا فعالجه حالاً بلفّ مكان التمزق بشريط لاصق كالذي يستعمله عمال الكهرباء.

حالما يبرد المحرك اسكب الماء او اي سائل مبرد في الراديناتور. واذا أعوزك كلاهما فاستخدم، في محاولة اخيرة، محلول تنظيف حاجب الزجاج الامامي. وتخفيفاً للضغط، لا تحكم اقفال الغطاء اذا كان فوق الراديناتور واتركه على هذه الحال لبعض الوقت.

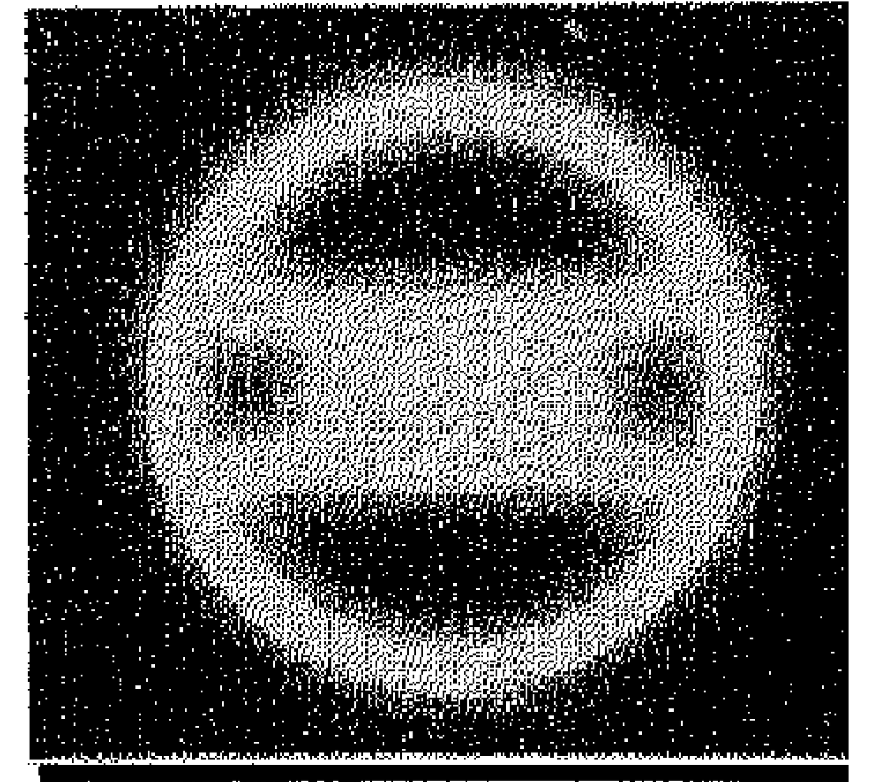


٣. الكوابح الرديئة. ان ضوء الانذار يدل عادة على نقص في زيت الكوابح فترقب عدم استجابة الكابح وهبوط الدواسة فجأة. في امكانك عادة ان توقف السيارة ولكن ذلك يتطلب جهداً اكبر في ضغط الدواسة ومسافة اطول لتتوقف السيارة. بعد التوقف استدع شاحنة للقطر.

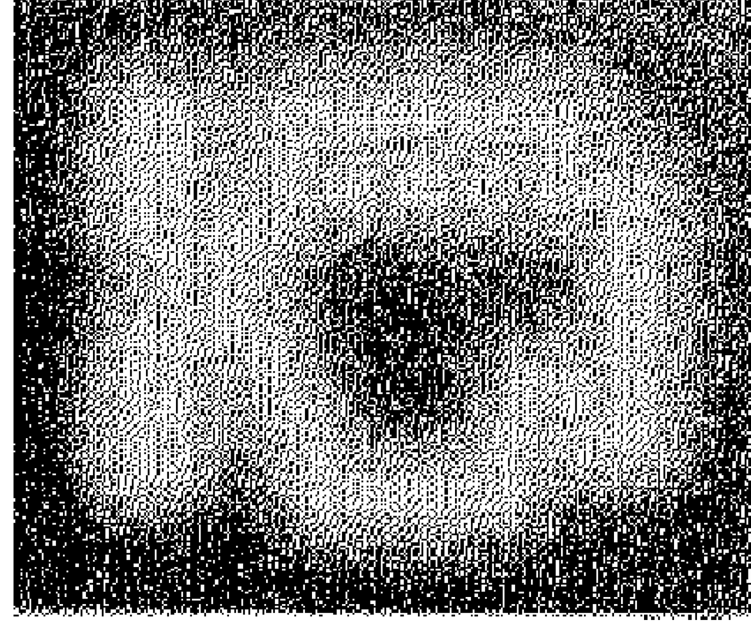


٤. جمود عجلة القيادة التي تعمل بالزيت. عندما يصعب

تحريك عجلة القيادة التي تعمل بالزيت فقد يكون السبب فقدان الزيت او تمزق احد الاحزمة. في كلا الحالين في امكانك ان تصل الى اقرب محطة للخدمة. فثمة خطر حدوث حريق في حال ادارتك عجلة القيادة وان قليلا، اذا كان هناك خرطوم مثقوب ينبجس منه الزيت ويسيل على جهاز عادم ساخن. ولكن خطر الحريق يخف اذا كان فقدان الزيت كاملا. لذلك تفحص الاجزاء الواقعة تحت غطاء المحرك لتتبين اذا كان الزيت ينبجس بالقرب من المحرك. في هذه الحال توقف عن قيادة السيارة. واذا كان هناك حريق لدى رفع الغطاء ولم تكن سيارتك مجهزة بمطفأة للحريق، اقفل الغطاء حالاً لتخفف من وصول المزيد من الهواء والاوكسيجين ثم اتصل بدائرة الاطفاء.



٥. لا سبيل الى اعادة تعبئة البطارية. يلمع ضوء انذار المولد الكهربائي الذي يوفر القوة الكهربائية اللازمة لتسيير السيارة ولاعادة شحن البطارية. في هذه الحال الطارئة انتقل الى الخط الايمن وتابع سيرك الى ان تصل الى محطة للخدمة. في امكانك السير لمدة ٤٥ دقيقة بقوة مخزون الاحتياط في البطارية. وبهدف الاقتصاد في الطاقة اوقف مكيف الهواء او الراديو أو جهاز التدفئة.



٦. المحرك الذي ينفث دخاناً. ان الدخان المنبعث من تحت غطاء المحرك قد يشير الى حريق. وفي حال احتراق السيارة فما عليك الا ان تسرع في طلب النجدة من دائرة الاطفاء. وحتى مكافحو الحريق المحنكون يقدرون خطر احتمال انفجار سيارة تحترق. واذا لم يكن هناك دخان انما تنبعث رائحة احتراق اشرطة كهربائية، اوقف السيارة وابتعد عنها وانتظر الى ان تأتيك المساعدة.

تذكر ان الصيانة الوقائية المنتظمة هي المفتاح للحؤول دون تعطل السيارة. فضع نصب عينيك برنامجاً روتينياً يقضي بفحص زيوت السيارة والمبردات والاحزمة والخراطيم والاطارات بما فيها الاطار الاحتياطي. واعلم ان الاطارات التالفة تؤدي الى حصول قرابة نصف عدد الحوادث التي تعزى الى خلل في العربات. أما تمزّق الاطارات وثقبها فلا يتسببان بغير عدد يسير من الحوادث. وهذا يدل على ان قلة احتراس مالك السيارة – اكثر بكثير من عدم متانة الاطارات – هي العلّة. ويلي الاطارات التالفة، كونها السبب الرئيسي لتعطل السيارات على الطرق، نفاد الوقود. لذلك لا تغامر: املأ خزان الوقود في سيارتك كاملاً عندما تنخفض الكمية الى النصف.

بوب سيرولو ■



اذا لم تتحصّن ضد الإطراء، اصابك باذى. م.و.

قصة قصيرة



نحل ذري!

توقع المقيمون بالقرب من محطة الابحاث الذرية حصول حادث كبير، والآن هناك واحد على عتبتهم

نجتمع كل اربعاء في "وايت هارت" وهو استراحة بين شارع فليت(★) وجسر نهر التيمز. اننا صحافيو شارع فليت وعلماؤه، (كلية "كينغز" تقع عبر ضفة النهر). وتروى في هذه الاستراحة قصص كثيرة بعضها مثير مثل رواية هاري برفيس عن ظروف حؤوله دون إخلاء جنوب انكلترا. واليكم ما قصّه علينا:

حدث ذلك قبل عامين في مؤسسة أبحاث الطاقة الذرية بالقرب من كلوبهام. عملت هناك فترة في مهمة خاصة لا استطيع البوح بها.

نحو ستة منا، نحن العلماء، جلسنا في استراحة "البجعة السوداء". كان الوقت بعد ظهر سبت جميل من أواخر الربيع.

(★) شارع فليت في لندن هو شارع الصحافة.

Illustration: Charles Vinh

كانت النوافذ مفتوحة بحيث تمكننا من رؤية منحدرات هضبة كلوبهام.

سارت الامور على ما يرام بين هيئة المؤسسة والسكان المحليين على رغم بعض المشاكل البسيطة والشكوك التي كانت تساور هؤلاء. إذ كنا نُسأل دائماً عما سيكون الانفجار التالي.

في ذلك الوقت كان مفترضاً وجود المزيد منا في الاستراحة ولكن حالت دونه مهمة طارئة في قسم النظير الاشعاعي. فسأل ستانلي شامبرز، صاحب الاستراحة، رئيسي الدكتور فرنتش: "اين سائر رافقك؟"

"انهم منشغلون في الاعمال." - كنا نسمّي المؤسسة "الاعمال" لتبدو اكثر إلفة واقل اخافة للناس - واضاف: "سينضمون الينا لاحقاً."

قال ستانلي: "يوماً ما ستطلق انت ورفاقك ما لن تستطيعوا السيطرة عليه، وعندها اين سنصبح جمعينا؟"

فرد فرنتش: "...في طريقكم الى القمر." كانت هذه ملاحظة طائشة الا ان الاسئلة السخيفة غالباً ما كانت تفقد فرنتش صبره.

وسمع شخص كان جالساً بالقرب من النافذة يقول بكثير من الاهتمام: "اود التحدث عن تلك النظائر التي ترسلونها الى المستشفيات. كنت في سان توماس الاسبوع الماضي ورأيت اشخاصاً يجولون ببعض منها في خزنة من رصاص تزن طناً تقريباً. أصابني ارتعاش وذعر حين تساءلت عما يحدث إن أخطأ احدهم في استعمالها."

أجاب فرنتش وقد بدا عليه الانزعاج من جراء الاعتراض على مشاريعه: "سبق لنا ان اجرينا حسابات اكدت لنا ان في كلوبهام كمية من اليورانيوم تكفي لغلي بحر الشمال."

هذا غير صحيح حتماً، ولكن يتعذر علي تكذيب رئيسي، اليس كذلك؟

الحدث المرتقب - لاحظت ان الرجل الجالس بالقرب من النافذة كان يحدق الى الطريق باندهاش. ثم سأل بإلحاح: "ان نقل المواد من مركزكم يتم بالشاحنات، أليس كذلك؟"

- نعم، ان كثيراً من النظائر هي قصيرة الاجل لذلك نستعجل نقلها.

"حسناً اذاً. هناك شاحنة معطلة فوق المنحدر. أليست تابعة لمؤسستكم؟"

أسرع الجميع على الفور نحو النافذة. وتمكنت من رؤية شاحنة كبيرة محملة صناديق تنحدر بسرعة عن الهضبة وهي تبعد عنا ما يراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ متر. بين آونة وأخرى كانت تثب فوق احدى الاسيجة الى جانب الطريق: لا بد ان الكوابح تعطلت وفقد السائق السيطرة على الشاحنة. لحسن الحظ انه لم تمر بالمكان سيارات أخرى.

وصلت الشاحنة الى احد المنعطفات واندفعت نحو السياج، ثم ترجحت وانخفضت سرعتها مسافة ٥٠ مترا وانتخعت بعنف على السطح الخشن. وكادت ان تتوقف قبل ان تصطدم بحفرة وتنقلب على احد جانبيها. بعد ثوانٍ قليلة تناهى الى سمعنا صوت تكسر خشب

بفعل تدحرج الصناديق الى الارض.

ثم رأينا المشهد الاكثر ارباكاً: فتح السائق باب الشاحنة واندفع مذعوراً. وكان اهتياجه واضحاً حتى من هذه المسافة، لكنه لم يسترح لاستعادة هدوئه كما توقعنا، بل هرول على الفور عبر الحقل وكأن اشباحاً تطارده.

راقبناه مشدوهين وهو يبتعد في أسفل الهضبة. وقطع احدهم الصمت المنذر بالسوء الذي ساد الاستراحة وقال: "هل تظنون ان علينا البقاء هنا؟ أعني... انه على بعد ٨٠٠ متر فقط."

ابتعد الجميع عن النافذة بارتياب. وقهقه فرنتش بعصبية وقال: "لا ندري إن كانت هذه الشاحنة تابعة لنا. وفي أي حال، يستحيل تماماً انفجار تلك المواد من تلقائها. لا بد ان السائق خشي اشتعال خزان الوقود."

وتساءل ستان شامبرز: "آه، حقاً؟ إذاً لِمَ هو يستمر في الفرار؟" ولاحظ ان السائق أصبح عند منتصف الهضبة: "الآن، سآتي بمنظاري."

لم يتحرك احد في انتظار المنظار. كذلك لم يكن هناك ما يتحرك سوى ذاك الشكل الصغير بعيداً عند أسفل الهضبة والذي اختفى داخل الاحراج من دون ان يخفف من سرعته.

حدق ستان في المنظار لوقت حسبناه دهراً، ثم خفضه وتمتم بخيبة: "لا استطيع رؤية الكثير. لقد انقلبت الشاحنة في الاتجاه المعاكس. ان تلك الصناديق تغطي المكان وقد انفتح بعضها. يمكنكم ان تحاولوا رؤيتها."

تأمل فرنتش طويلا في المشهد ثم ناولني المنظار. كان هذا قديم الطراز وقليل الفاعلية. ولبرهة وجيزة بدا لي ان اجواء ضبابية غريبة تغطي تلك الصناديق، لكن ذلك كان غير واضح، وعزوته الى قدم المنظار.

ايها العلماء الملاعين – تقدم من الشاحنة راكبان على دراجة ذات مقعدين، وحين وصلا الى الثغرة التي احدثها الاصطدام في السياج ترجلا فوراً، واقتربا متشابكي الايدي. بدت الفتاة متراجعة والشاب يشجعها. وعندما أصبحا على بعد امتار قليلة من الشاحنة اسرعا بالفرار في اتجاهين متعاكسين. لم يستدر احدهما لرؤية الآخر بل واصلا العدو بطريقة عجيبة.

خفض ستان منظاره مرتجفاً، وصاح: "أخرجوا السيارات!"

همّ فرنتش بالكلام: "ولكن..."

فأسكته ستان بحملقة غاضبة: "ايها العلماء الملاعين!" وأقفل درج النقود في الحاسبة (حتى في هذه اللحظة لم ينسَ واجبه) وقال: "كنت على يقين انكم ستتسببون في ما حصل عاجلا أو آجلا." وغادر المكان مع معظم رفاقه، من دون ان يعرضوا نقلنا معهم.

قال فرنتش: "هذا سخف! فقبل ان ندرك حقيقة ما جرى بدأ اولئك الحمق ينشرون الذعر." لقد أدركت ما عناه. سيخبر أحدهم الشرطة: سترحل السيارات من كلوبهام وتشغل الاتصالات خطوط الهاتف. لا يمكن الاستخفاف ابداً بتأثير موجة الذعر. ولا تنسَ ان الناس خائفون سلفاً من موقعنا.

حتى ذلك الحين لم نكن في وضع مريح، اذ تعذر علينا تصور ما يجري هناك عند الشاحنة المحطمة، وأشد ما يكره العالِم هو الوقوع في وضع مربك كهذا.

تناولت منظار ستان ورحت امرر نظري بعناية فوق الحطام. وفيما كنت مستغرقاً في التدقيق، لمعت فكرة في رأسي. هناك هالة غريبة تحيط بهذه الصناديق. حدقت اليها طويلاً حتى آلمتني عيناي ثم قلت لفرنتش: "اظن اني حزرت ما يجري هناك. حاول الاتصال بمكتب البريد في كلوبهام بغية اعاقة سبيل ستان ومنعه من نشر الاشاعات. قل اننا سيطرنا على الوضع، وفي هذا الحين سأسير نحو الشاحنة وأتأكد من صحة فكرتي."

مواجهة ساخرة – لم يتقدم أحد لمرافقتي. وعلى رغم اني بدأت السير بثقة كبيرة الّا اني رحت افقدها تدريجاً. في بعض الاحيان لا بد من الشجاعة للصمود وجبه الاخطار، وفي بعضها الآخر يقضي التعقل بالانسحاب والفرار. ولكن فات أوان التراجع الآن وانا متأكد تماماً من فكرتي.

اذذاك قاطع جورج ويتلي هاري برفيس الذي كان يروي قصته في الاستراحة: "عرفت انه غاز." فعلق هاري: "انه ايحاء ذكي. وهذا ما فكرت فيه تماماً مما يدل على حماقتنا احياناً."

وأكمل: أصبحت على بعد ١٥ متراً من الشاحنة عندما توقفت مصعوقاً، وعلى رغم دفء ذلك اليوم انتابتني قشعريرة باردة سرت في انحاء جسدي. لقد رأيت ما بدد فكرة الغاز من رأسي.

هناك كتلة سوداء زاحفة تتلوى على سطح أحد الصناديق. للحظة قصيرة حاولت التصور أنها سائل أسود يتسرب من الوعاء المكسور. لكن السوائل لا تستطيع مقاومة الجاذبية في حين ان هذه الكتلة تفعل. كما اتضح انها حية. وبدت، من حيث وقفت، مثل أطراف اميبة عملاقة وهي تغير شكلها وحجمها وتتمايل على جانب القفص المكسور.

خلال هذه اللحظات مرت بخاطري بعض من تخيلات ادغار الن بو. ثم تذكرت واجبي كمواطن وكبريائي كعالم. فعدت الى التقدم إنما بسرعة أقل.

ما زلت اذكر، وانا استشم بحذر، اني كنت اشك في وجود الغاز. على رغم ذلك، حملت اذناي، لا أنفي، الجواب حين ارتفع صوت ذاك الكابوس المشؤوم حولي. انه صوت سمعته ملايين المرات من قبل لكن ليس بهذا الارتفاع ابداً. وجلست وضحكت طويلاً. ثم نهضت عائداً الى الاستراحة.

قال فرنتش بتلهف: "حسناً، ماذا هناك؟ ستان على الخط، أوقفناه عند تقاطع الطرق. لكنه لن يعود ما لم نخبره عما يجري."

أجبت: "أطلب من ستان الاتصال بالنحّال المحلي واحضاره فوراً. هناك مهمة كبيرة في انتظاره."

"من؟" ثم فتح فاه. "يا الهي! لست تعني..."

"بالضبط. انها راقدة الآن لكنها منزعجة كثيراً. على رغم اني لم اتوقف لأعدها، لا بد من وجود نصف مليون نحلة تحاول العودة الى قفائرها المحطمة."

آرثر كلارك ■

الضحك خير دواء

عين بعين!

جلس الزوج قرب زوجته التي كانت تخيط بماكينتها وبدأ يتذمّر: "خفّفي السرعة. انتبهي! سوف ينقطع الخيط. اقلبي القماش. قفي! اسحبي القماش."
فردّت الزوجة بحدّة: "هلّا كففتَ عن تعليقاتك؟ انا اعرف كيف اخيط."
فاجاب الزوج: "طبعاً، يا عزيزتي. انما اردت فقط ان أعلمك بشعوري عندما تفعلين الامر نفسه معي اثناء قيادتي السيارة."

ج.ب.

خيال ام

جلس مسافر في قاعة الانتظار المزدحمة في احد المطارات الى جانب سيدة تحتضن ولداً يبكي بين يديها. وبعدما هدأ الولد سمع الرجل السيدة تقول وهي تربّته:
"قريباً قريباً يا نانسي ستصلين الى البيت وتجدين كل شيء على ما يرام. ستأخذين حماماً ساخناً منعشاً وتستسلمين بعده لنوم طويل هانيء"
فتقدم المسافر من الوالدة مهنئاً اياها لطول أناتها في تهدئة الولد وقال: "ان طريقتك في التكلم الى الطفلة نانسي كانت حقاً رائعة."
فنظرت اليه المرأة مبتسمة وقالت: "هذه كاتي، انا نانسي".

م.ت.

احصاء الفقراء

قرع مأمور الاحصاء باب كوخ في احدى المناطق النائية فخرج اليه رجل مسن مستفهما عما يريد.
فقال له المأمور: "لقد ارسلنا الرئيس لاحصاء عدد السكان في الولايات المتحدة كلها."
فاعتذر الرجل: "انا متأسف انك تكبدت هذه المشاق كلها لتطرح علي هذا السؤال، لانه ليس لدي اي علم بذلك."

س.أ.أ.

الكبير والصغير

دخل احدهم مكتب التسليفات لكي يدفع القسط الاخير من ثمن سرير لطفله. فقال له المدير: "شكرا، وكيف حال الطفل اليوم؟"
اجاب الرجل: "اوه، انني بخير."

ج.ف.

الفطر للاعدام

شرح القيّم على السجن للمحكوم بالاعدام ان في امكانه طلب اي شيء لوجبته الاخيرة وقال له: "اتريد كركنداً بحرياً ام تفضل القريدس ام البفتيك ام شرائح اللحم ام الكافيار؟"
فاجاب السجين: "كلا، اريد فقط سلطانية من الفطر."
فسأله القيم: "ولماذا الفطر؟"
فاجاب: "لانني كنت دائما اخشى اكله."

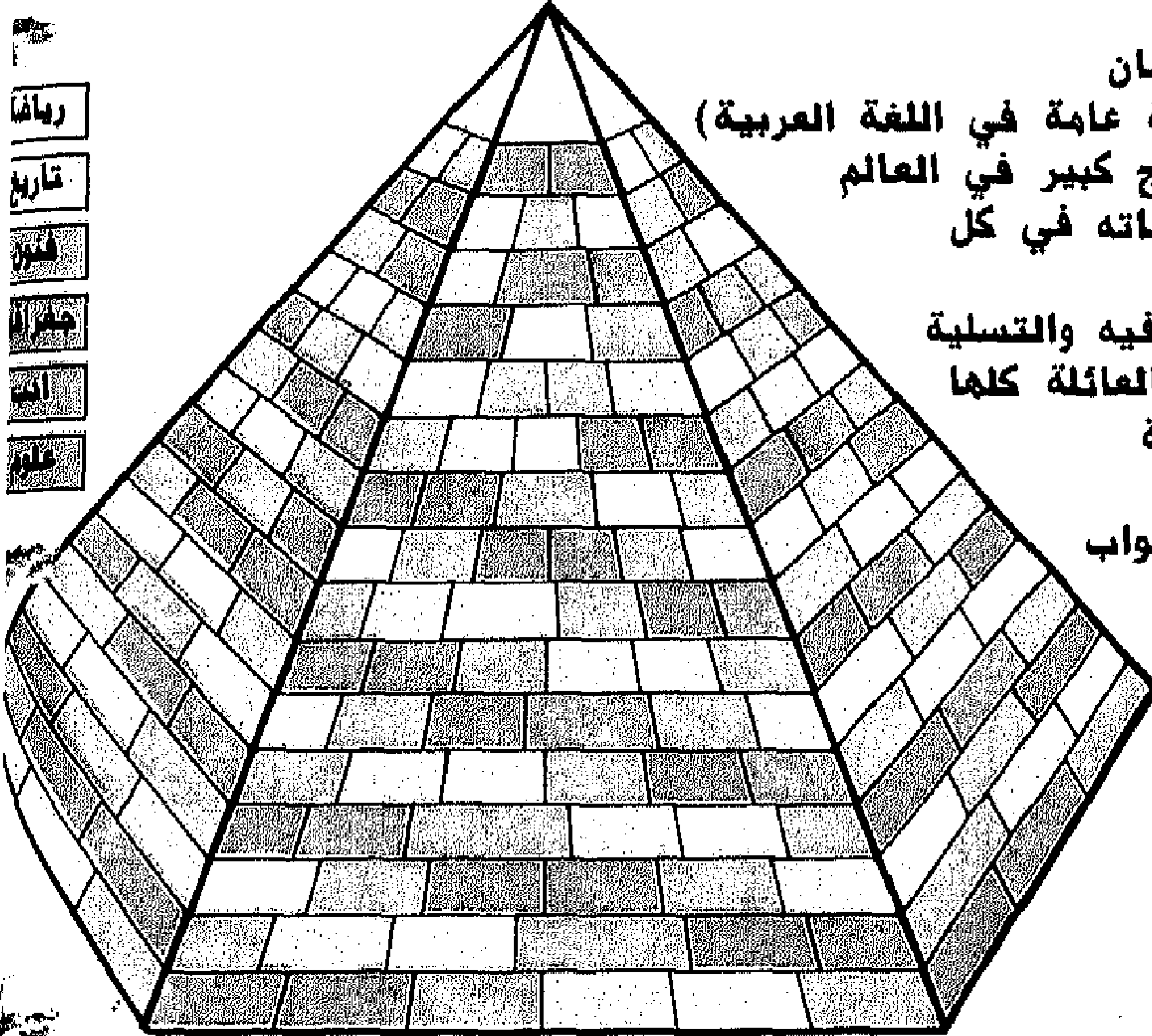
هـ.ت.

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوا

هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



لكل بلدة أو مدينة مُثلُها في الشجاعة واللطف واللياقة

أبطـــالٌ من عَـالمِنَـا

مشوى الوفاء

في العام ١٩٤١ انطلق لو وأنيتا شولكن، يوم زفافهما، من مدينة سيوكس في ايوا لبناء حياة جديدة في جنوب كاليفورنيا. عمل لو مدة ثلاث عشرة سنة في متاجر اغذية ومأكولات معلبة بينما كانت أنيتا تربي ابنهما وابنتهما. واخيراً، تدبرا امر توفير مبلغ كاف من المال لشراء مطعم في لوس انجلس سمياه "لوز كويكي غريل" أي "مشوى لو السريع."

بعد سنة اصابت عائلة شولكن نجاحا مكّنها من استخدام بربارة كنوكس. كانت هذه امرأة شابة سوداء خجولة الى درجة لا تصدق، وقد أفزعها وجودها في محيط ابيض للمرة الاولى.

في أنحاء اخرى من الولايات المتحدة الامريكية كان الكلام على "الحقوق المدنية" في بدايته. اما عائلة شولكن فكانت تعدُّ مثالا للآخرين. وتتذكر بربارة: "لقد قبلوني وعاملوني كواحدة منهم."

كانت بربارة قضت سنة في غسل الصحون عندما "رقتها" عائلة شولكن الى رتبة نادلة. في تلك الفترة استخدم لو وأنيتا نادلة اخرى بيضاء اظهرت عدم رضا لوجود نظيرة سوداء لها في العمل.



ورشقت النادلة الجديدة بربارة باهانة عنصرية امام الزبائن، فغضب لو وطردها فورا.

تقول بربارة: "نحن عائلة واحدة، وقد عانينا الكثير معاً." كانت بربارة تدعو عائلة شولكن الى حضور الحفلات العائلية التي كانت تقام في منزل ذويها. وفي المقابل كانت عائلة شولكن تدعو بربارة وزوجها وورن الى حضور ولائمها العائلية.

كبر ولدا شولكن واستقلا عن اهلهما. وفي العام ١٩٨٧ قرر لو وانيتا ان يتقاعدا. وتتذكر انيتا: "قلق لو على بربارة، فهي في الواقع قضت حياتها كلها هنا."

وذات يوم في العام ١٩٨٧، ذهب لو وانيتا وبربارة الى دائرة التسجيل في لوس انجلس لتوقيع مجموعة اوراق. وفي الصباح التالي وضع لو لافتة ضوئية في النافذة الامامية تعلن ما فعله بمباركة انيتا. تقول اللافتة: "برباراز كويكي غريل"، أي "مشوى بربارة السريع."

قالت بربارة، بعدما رفعت اللافتة الى مكانها: "لا أحد في هذا اليوم وهذا العصر يهب مشروعاً تجارياً الى شخص آخر. ولكن هذا ما فعلته عائلة شولكن بالضبط، فقد سلّمت مجانا مشروعاً ثميناً الى صديقة ثمينة."

مايكل ريان في "باريد" ■

نهاية سعيدة

رمى جيسون غايس البالغ من العمر ثماني سنوات، الكتاب الذي ارسله اليه استاذه باشمئزاز، وكان يحكي عن ولد مصاب بالسرطان وسأل: "لماذا يموت الجميع في هذه الكتب؟" كان جيسون يكافح السرطان منذ عام ونيف وهو يعلم ان هنالك نهايات سعيدة وان كثيرين مثله انتصروا على هذا الداء. وعرف ايضا ان ما يحتاج اليه ولد مصاب بالسرطان هو الا يفقد الامل بالرجاء.

قالت له امه: "حسناً، أصبت بالسرطان وها انت غير مائت ولا تكتب كتابا."

فرد: "هذا ما ينبغي أن أفعله."

كان ذلك في العام ١٩٨٦. وفي صيف ١٩٨٨ اصبح جيسون في العاشرة من عمره ولداً سليم البنية. وهو صار خلواً من السرطان منذ مارس (آذار) ١٩٨٦، ويقول الاطباء ان عودة المرض الى جيسون بعيدة الاحتمال.

وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٧، نشرت مؤسسة ميليوس وبيترسون في ابردين، كتاباً وضعه جيسون عنوانه: "كتابي الى الصغار المصابين بالسرطان." انه قصة السرطان التي اراد جيسون ان يرويها، قصة ذات نهاية سعيدة.

اصيب جيسون بورم سرطاني لنفاوي سريع النمو يدعى "بركتس ليمفوما" في يونيو (حزيران) ١٩٨٤. وظهرت اورام في رأسه وفمه وكليتيه. كذلك ظهر ورم في معدته بعرض خمسة وعشرين سنتيمتراً.

كان جيسون خائفا اثناء المعالجة بالاشعة والجراحة في المعدة والعلاج الكيميائي، ولكنه لم يفصح كثيراً عما يشعر به، وعندما قدم كتابه المؤلف من ثماني صفحات الى والدته، ذهلت لعمقه.

فهو كتب: "اذا ما اصبتم بالسرطان فلا تجزعوا لان كثيرين من الناس يتغلبون على الاصابة بالسرطان ويكبرون من دون ان يموتوا. اننا خائفون فقط من الذهاب الى السماء لاننا لم نكن هناك من قبل." كما شرح كيف يبدو الاشعاع واستئصال التورم والعلاج الكيميائي. وقد وافقت عائلة غايس بعد ذلك على نشر الصفحات بشرط ان يذهب قسم من الارباح الى "الجمعية الامريكية للسرطان."

وتلقى جيسون اكثر من الف رسالة بينها ثلاث من الرئيس رونالد ريغان رئيس الولايات المتحدة الامريكية.

يقول جيسون انه يريد ان يصبح طبيباً متخصصا بسرطان الاطفال. وهو يعلل ذلك بقوله: "هكذا، عندما يقول لي صغير: أيها الطبيب جيسون انا خائف. اقول له: لا تقلق فانا أيضاً اصبت بالسرطان عندما كنت صبياً صغيراً."

ايلين اوغننز في "شيكاغو تريبيون" ■

وسام للكلبة

انه الحادي والثلاثون من اكتوبر (تشرين الاول)، يوم الهَلّوِين(★). تركت كاندي سانغستر من سيبولفيدا في كاليفورنيا الباب مفتوحا قليلا بحيث تتمكن من اعطاء الاولاد الحلوى وهم في الخارج. بعد ذلك بقليل ضغطت كلبة الصيد "جت" الباب بانفها وركضت نحو بوابة



السياج الذي يفصل منزل آل سانغستر عن منزل آل ليڤن. ولكزت المزلاج ثم اسرعت الى منزل آل ليڤن وهي تنبح.

توجهت هيزل ليڤن نحو الباب، وكانت "جت" واضحة الاضطراب تركض في الاتجاهين بين منزل آل ليڤن ومنزل آل سانغستر. اذذاك، اتصلت هيزل هاتفيا بآل سانغستر فلم يرد عليها احد. فتذكرت للحال ان جارتها مصابة بالسكري فاتصلت بهاتف الطوارىء ثم توجهت الى منزل آل سانغستر. اما "جت" فظلت تركض في الاتجاهين حتى وصل مسعفان وجدا كاندي سانغستر فاقدة الوعي، فاعطياها "غلوكوزا" سريعاً فاستعادت وعيها.

قال المسعفان: "لولا "جت" لما بقيت كاندي حية." ولاحظ احدهما: "ان هذه الكلبة تستحق وساما." وقد نالت "جت" "وسام الكلبة البطلة" للعام ١٩٨٧.

وولتر ر. فلتشر في "ذي نيويورك تايمز" ■

(★) الهلوين: عيد يتنكر فيه الصغار فيذهبون من باب الى باب يطلبون مكافآت من الحلوى.

تجربة تحويل لبنان، خلال الصيف، مكبّاً للنفايات الايطالية السامة، فتحت العيون على خطر داهم افرزته العادات الاستهلاكية الجديدة. هنا عرض لما جرّته هذه العادات على المجتمعات الغربية

أيْن تذهَبُ نفايَات مَنازلكمْ؟

الق نظرة على سلة مهملاتك في نهاية يوم عمل حافل، ثم حاول أن تتصور حجم ١٤٠ مليون طن متري من النفايات وهي الكمية التي تجمعت في اوروبا الغربية وحدها العام الماضي، أي نحو ٣٥٠ كيلوغراماً للشخص الواحد.

ان ما يطرح من نفايات سنوياً في بريطانيا يكفي لطمر جزيرة "وايت" على عمق متر. واذا ما جمع الفرنسيون نفاياتهم في ساحة الـ"تروكاديرو" مثلا لشمخت "جبلا" يرتفع أربعة أضعاف علو "برج ايفل".

في العقد الماضي، ازدادت كمية النفايات المطروحة سنوياً في اوروبا بنسبة ٣٠ في المئة، وهي في تكاثر. وكما الكمية الى تبدل كذلك هي النوعية، ففيما اقتصر معظم النفايات في الماضي على بقايا الغذاء وفضلات عضوية أخرى، يؤلف الورق ولوازم التوضيب والتغليف نحو ٣٥ في المئة من النفايات حالياً،



فضلا عن الادوات المصنعة من مشتقات البلاستيك كالمستوعبات المصنوعة من "البوليستيرن" والاكياس المصنوعة من "البوليثيلن" وقناني البلاستيك، الى معادن ثقيلة مثل "الكاديوم" والزئبق والزنك والصفائح المعدنية أو الرصاص.

ان التخلص من مشتقات البلاستيك والمعادن الثقيلة هذه يمكن ان يولد غازات تحتوي على ثاني اوكسيد الكربون ومركبات أخرى سامة تلوث المياه الجوفية والهواء والتربة. ويحذر هارفي ياكوفيتش المستشار في مشاكل النفايات لدى دائرة حماية البيئة التابعة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية من أن "كميات النفايات في زيادة، واذا نحن لم نقارب هذه المعضلة بطريقة ناجعة، فستتحول هاجساً يلازمنا ابداً."

ثلاث وسائل – لحل مشاكل نفاياتهم، يعتمد الاوروبيون ثلاث وسائل أساسية: الطمر في جوف الارض، الحرق والمعالجة لاعادة الاستعمال. وقد لجأت كل دولة الى الطريقة الانسب لها. فبريطانيا مثلا تفضل الطمر، فيما المانيا الغربية وسويسرا والدانمرك تميل الى الحرق والمعالجة، أما ايطاليا وفرنسا فتعتمدان الوسائل الثلاث معاً. وتعتد فرنسا بكونها الدولة الاولى في استخراج اسمدة من النفايات، وهي تستهلك اكثر من ٦٠٠ ألف طن متري سنوياً من هذه الأسمدة في الزراعة في اخصاب كروم العنب وحقول الفطر.

ولكن، هل ثمة حل "افضل؟" ان عمليات الطمر كانت، ولا تزال، الطريقة الاسهل والأقل كلفة في اطّراح النفايات. غير انه اذا ما أسيء تطبيقها، يمكن ان تفسد التربة وتشوه الطبيعة وتولد أخطاراً متنوعة. فالنفايات المطمورة معرضة لتتحول مادة قابلة للاشتعال بفعل اختمارها وتاليا تعاظم غاز "الميثان" المتولد منها. وهناك احتمال قوي لان تهدد التربة الخصيبة المحيطة بمواقع الطمر وتلوث مصادر المياه بفعل التسرب الجوفي.

وتهدف عمليات الطمر الخاضعة لـ"المراقبة" في المواقع المخصصة لها رسمياً، الى الحد من هذه المخاطر. ففي فرنسا ٣٤١ موقع طمر مراقباً، وفي المانيا الغربية اكثر من ٤٠٠، فيما ينتشر نحو ٥٠٠٠ موقع في انحاء بريطانيا حيث يعتمد الطمر للتخلص من ٩٠ في المئة من النفايات. ويعتبر موقع باكينغتون في ميدلاندز ببريطانيا الذي يمتد على مساحة ١٦٠ هكتاراً ويتسع سنوياً لـ١،١ مليون طن متري، ذا خصائص فضلى لهذا الغرض. يقول المدير الاداري لـ"شركة باكينغتون ايستيت المتحدة للمقاولات" المعروفة بـ"بيل" التي تتعهد هذا الموقع: "لا تنحصر مهمتنا في المعنى الحصري لكلمة طمر." اذ ان "بيل" استحدثت طريقة للطمر اطلقت عليها عبارة "التفريغ في خلايا" وهي تقضي بتقسيم الموقع اجزاء ("خلايا") تراوح مساحة الواحد منها بين هكتار وثلاثة هكتارات. يملأ هذا ثم يردم قبل الشروع في استغلال الثاني، ثم تغطى هذه الخلايا وتكسى بطبقة من الطين. وقبل طمرها تضغط النفايات

بمعدل مرتين أكثر مما هو في اي مكبات أخرى، بواسطة آلات مزودة عجلات فولاذية خصيصاً لسحق النفايات وطحنها. ويسحب الغاز من هذه النفايات في موقع "پيل" ثم ينقى ويتحول وقوداً ويباع الى شركة كهرباء ميدلاندز. وقد استغل حديثاً قسم من هذا الموقع لرعي الماشية.

ومن الاسباب التي تدفع بريطانيا الى مواصلة الطمر، احتواؤها على كثير من المناجم والمقالع المهجورة، بينما يبدو مستقبل الطمر مهدداً في هولندا والدول المجاورة لها، نظراً الى كثافتها السكانية وقرب مياها الجوفية من سطح الارض. فالدانمرك تطرح ٥٠ في المئة من نفاياتها في مواقع سطحية، وهي تكاد لا تجد مواقع أخرى صالحة لهذا الغرض، ومثلها تفعل مدن اوروبية كبرى أخرى كباريس وروما وفرنكفورت ولندن حيث كميات النفايات المطرحة يومياً في كل منها هي في حدود ٧٠٠ طن متري.

ان التخلص من النفايات من طريق حرقها يبدو رهاناً مضموناً لان تحويلها رماداً ودخاناً يخفض حجمها بنسبة ٧٠ الى ٨٠ في المئة. وتعتبر سويسرا التي تحرق ٧٠ في المئة من نفاياتها، رائدة في هذا المضمار. أما مصنع "افالورفركنغ ريجنموند" لحرق النفايات في روتردام بهولندا فيعتبر الاكبر في اوروبا. وتتكفل افرانه التي تستوعب ٩٥٠ ألف طن متري سنوياً، بأكثر من ١٥ في المئة من النفايات المنزلية في البلاد، فضلاً عن ١٥٠ الف طن من النفايات الصناعية. وثمة اكثر من ٦٠٠ مرمد للنفايات في انحاء أوروبا.

حل مميت! — في الستينات والسبعينات من هذا القرن، بدا حرق النفايات الحل الأنجع، الى أن أظهرت دراسات وضعت خلال العقد الماضي وتناولت حماية البيئة، أن مداخن محارق النفايات كانت تقذف الدخان ممزوجاً بيكلورايد الهيدروجين والفلورايد الناتجين من احتراق مواد من بلاستيك وجسيمات غبارية من معادن ثقيلة وأبخرة من زئبق متأتية من بطاريات تالفة وميازين حرارة ومواد مذيبة، اضافة الى ثاني اوكسيد الكبريت وأول أوكسيد الفحم. وتبين كذلك ان الرماد الناتج من الحرق والمطمور داخل التربة ملوث بمادة "ديوكسين" القاتلة.

واستخلص الخبراء ان الحرق ليس حلاً لانه مميت!

في أسوج (السويد) بحثت "الادارة الوطنية للطاقة" و"الهيئة الوطنية لحماية البيئة" في هذه المسألة. ولجبه هذا الخطر المقيم فرضت السلطات المختصة في استوكهولم عام ١٩٨٦ قيوداً مشددة للحؤول دون تلوث الهواء، تقدر تكاليف الاخذ بها ٣٠ مليون دولار تنفق على تجهيزات خاصة تضاف الى أي مصنع جديد لحرق النفايات. وفي الخريف الماضي حذت ايطاليا حذو أسوج في تطبيق هذه الانظمة. وتتجه دول أوروبا الغربية التي تعتمد مثل هذه المصانع، الى وضع أنظمة مماثلة. الا انه على رغم هذه التدابير، يتعذر التكهن بأي نتائج ايجابية حتى في مصانع حرق النفايات الافضل تجهيزاً.

ويقدر معدل كلفة حرق الطن المتري

الواحد من النفايات حالياً بقرابة ١٧٠ فرنكاً فرنسياً بينما يكلف طمر الكمية نفسها نحو ٧٠ فرنكاً. فكم ستكلف عملية التخلص من النفايات على نحو لا يعرض حياة الناس للخطر؟

في فرنسا تبلغ تكاليف عملية تنقية الغاز الذي تنفثه النفايات لدى حرقها، نحو ٤٠ فرنكاً للطن المتري الواحد. واذا أضفنا ثمن تجهيزات معدة لتنقية مسارب الغاز والرماد الناتج من الحرق الى كلفة مصنع بوتلك في روتردام لبلغت الكلفة الاجمالية لهذا المصنع ٤٠ مليون غيلدر، اي ما يوازي ١١٣ مليون فرنك. وتقدر تكاليف المصنع الجديد لحرق النفايات في باريس والذي سيقام في سان – اوان ويزود احدث التجهيزات المانعة للتلوث في العالم، باكثر من ٨٠٠ مليون فرنك. ويتوقع ان يباشر المصنع نشاطه السنة المقبلة.

ولتعويض هذه التكاليف المرتفعة، هناك اتجاه الى الافادة من الطاقة الحرارية التي تولدها مرمدات النفايات. وتؤمن باريس بواسطتها حالياً ٣٥ في المئة من التدفئة العامة فيها. وفي وسع مصنع بوتلك في روتردام انتاج ٩ ملايين متر مكعب من المياه المقطرة لاغراض صناعية. وهو يغذّي الان ٧٠ الف منزل بالكهرباء.

الوعي الشعبي – لطالما حبذ علماء البيئة معالجة نفايات الزجاج والمعادن ومركبات البلاستيك والورق واشياء عضوية أخرى، ولكن لا يبدو، الى الآن، ان فكرة "فرز الاشياء وحفظها" عرفت طريقها الى الوعي العام بمقدار ما هو الانطباع السائد أن "اطرحها جانباً وانسها." وتعتبر الدانمرك وسويسرا الدولتين الاكثر ادراكاً لهذا الامر. فكل منهما تستعيد ٤٠ في المئة من نفايات الورق والزجاج. اما في بلجيكا فبلغت نسبة المواد الزجاجية المعاد استعمالها ٤٠ في المئة بينما هي لا تستعيد سوى ١٤ في المئة من الورق المستهلك. وتسترد فرنسا نحو ٣٥ في المئة من الورق المطرح و١٥ في المئة فقط من الزجاج. أما في بريطانيا حيث مساهمة الحكومة في مشاريع مماثلة تكاد تكون معدومة، فلا تتعدى نسبة الزجاج المعاد استعماله ١٠ في المئة. حتى ان نفايات الورق المعاد استعمالها انخفضت في عشر سنين من ٣٦٠ الف طن الى ٤٠ الفاً.

وتسعى فرنسا الى زيادة انتاجها من الزجاج المستعاد. وقد طورت "الوكالة الوطنية لاعادة استعمال النفايات والتخلص منها" جهازا اتوماتيكيا متطوراً يفرز القناني على انواعها، فتسحب اولاً قناني البلاستيك الخفيفة بواسطة الشفط الهوائي، ثم تتابع بقية القناني الزجاجية مسارها على سكة قطر أمام مجموعة من الكاميرات تسيّرها ادمغة الكترونية، فتفرز القناني الصالحة للتعبئة شراباً، بحسب قياسات واشكال محددة. وتباع هذه الى مصانع المشروبات، فيما تباع بقية القناني التي لا تنطبق عليها المواصفات المحددة الى مصانع الزجاج لتكسر وتذوب.

وفي سويسرا طورت شركتنا "اورفا" و"بوهلر – مياغ" أجهزة اوتوماتيكية

لاعادة استعمال أي نوع من الفضلات. فيفرز مغنطيس المعادن المحتوية على حديد. ويباع هذا لتجار الخردة. وثمة آلات اخرى لسحق المواد العضوية وطحنها وتقطيعها ثم غربلتها فتجفيفها تمهيداً لتحويلها مزيجاً سمادياً أو كريات وقود. كذلك تسحن هذه الآلات الزجاج ومركبات البلاستيك والمطاط والمعادن الخالية من الحديد ومواد أخرى غير عضوية فتحولها ما يشبه الحصى وتستعمل هذه في تعبيد الطرق. الا ان المشكلة الحقيقية التي تواجهها معالجة النفايات هي، في نظر الخبير جيانلوكا فيريرو، "ايجاد اسواق للمواد الناتجة من المعالجة." وقد يكون هذا الامر واحداً من الاسباب التي حملت بلجيكا على الكف عن معالجة نفايات الورق والزجاج.

المانيا رائدة – ولكن، اذا كانت اعادة استعمال ٥٠ في المئة من النفايات امراً ممكناً، فماذا عن الـ ٥٠ في المئة المتبقية التي يجب التخلص منها؟ وفي هذا يقول جان – مارك ريجيه من "الوكالة الفرنسية لاعادة استعمال النفايات": "ان المسألة ليست في ايجاد طرق فضلى للتخلص من النفايات بمقدار ما هي في الحاجة الى تبديل عادات الناس."

المانيا الغربية هي احدى الدول التي باشرت معالجة مشكلة النفايات من هذا المنطلق. فقانونها الخاص بمعالجة مسألة النفايات والذي وضع في العام ١٩٨٦ نص على التوجيهات الآتية:

١ – حاولوا ان تخفضوا كمية النفايات بالحد من انتاجكم اياها.

٢ – أعيدوا استعمال المواد الخام الثانوية وتخلصوا من النفايات الاخرى باستعمالها وقوداً لتوليد الطاقة حيث يمكنكم ذلك.

٣ – تخلصوا من الفضلات بطريقة سليمة بيئياً.

وحيث لا استعداد لدى الصناعات لاسترداد كميات الانتاج المطرحة، على السلطات المختصة ان تفرض على ارباب هذه الصناعات غرامات مرتفعة. وللمثال، نجحت الدانمرك في فرض اعادة استعمال الزجاج على نطاق واسع بحظرها تعبئة السوائل الغازية وغيرها الا في زجاجات يمكن استردادها، وبذلك خففت الضغط على مواقع الطمر.

وعلينا نحن كمواطنين واعين الاضطلاع بدور أساسي في معالجة مشكلة النفايات.

هنا بعض الخطوات التي يمكنكم اعتمادها في هذا المجال:

- استعملوا سلالاً مخصصة للعامة لرمي الصحف والقناني، واذا افتقر حيكم الى سلال كهذه، عليكم ان تحضوا المسؤولين المحليين في استمرار على تأمينها الى ان يستجيبوا لكم.
- افرزوا البطاريات عن القمامة واختاروا مكاناً مناسباً لحفظها.
- اعيدوا استعمال رقاقات التوضيب المعدنية (الالومينيوم) والبلاستيكية في منازلكم.
- لخفض استهلاك اكياس البلاستيك، أحضروا الى مراكز التسوق اكياساً أو عربات خاصة.

جايمس هورفيتز ■

دائرة المعارف

اهتم العرب القدامى بالطعام، فنوّعوا الأطعمة وتفنّنوا في تحضيرها وارتبط الطعام لديهم بالمناسبات، كما كانت له اصوله. وهنا مفردات تتعلق بالطعام واصوله مما الفه العرب القدامى ولا يزال كثير منه معروفاً ومعمولا به في أيامنا هذه. وقد وضع امام كل كلمة معنيان او أكثر، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. **السُلفة:** ما سال وتحلّب قبل العصر – ما يُتَعَلَّل به من طعام قبل الغداء.

٢. **العصيدة:** دقيق يلت بالسمن ويطبخ – خليط من الحبوب يطبخ مع اللحم.

٣. **الوليمة:** طعام العرس – طعام يصنع لدعوة مهما كان نوعها.

٤. **الصفيف:** نوع من الحلوى يصف في مقلاة ويشوى فوق النار – اللحم المقدد.

٥. **الكِظّة:** ما يعتري الانسان عند الامتلاء من الطعام – تحلّق الجمع حول مائدة الطعام.

٦. **القفي:** ما يكرم به الضيف من طعام – من يقيم مأدبة على شرف أحدهم.

٧. **الهريسة:** من يأكل خفية – طعام من الحب المدقوق واللحم.

٨. **الفرنيّ:** الخبّاز – خبز يشوى ويروى سمناً ولبناً وسكراً – كل ما يخبز في الفرن.

٩. **الإملاك:** طعام يصنع بعد شراء شيء ثمين – طعام التزويج.

١٠. **المَصُوص:** ما يمصّ من السوس – لحم ينقع بالخلّ ويطبخ.

١١. **البطنة:** إزار يشدّ على الوسط قبل الذهاب الى مأدبة لكي يمنع الاسراف في الاكل – الامتلاء المفرط من الأكل.

١٢. **القطائف:** الثمار المقطوفة – العسل الجاهز للقطف – نوع من الحلواء يحشى باللوز والسكر ويقلى.

١٣. **الإعذار:** طعام الختان – تعابير تستعمل للاعتذار عن عدم حضور مأدبة ما.

١٤. **الحَيْس:** طعام مركب من تمر وسمن وسويق – ما كشط من اللحم.

١٥. **المأدبة:** الطعام الذي يصنع في كل دعوة مهما كان نوعها – طعام العرس – طعام البناء.

١٦. **الخُرس:** طعام الولادة – طعام البكر في اول حملها.

١٧. **المضيرة:** طعام يطبخ ويجعل فيه جراد – طعام يطبخ باللبن الحامض.

١٨. **الوكيرة:** الامتلاء من الطعام – طعام يصنع عند بناء الدار.

١٩. **النقيعة:** ما ينقع من الحبوب قبل طبخه – طعام يصنع عند القدوم من سفر.

٢٠. **الرغيدة:** طعام يقدم خارج المنزل – طعام يقدم الى العروس في اليوم الثاني لزواجها – حليب يغلى ثم يذرّ عليه الدقيق فيلعق لعقاً.

٢١. **العقيقة:** طعام سابع ايام الولادة – اجود التمر.

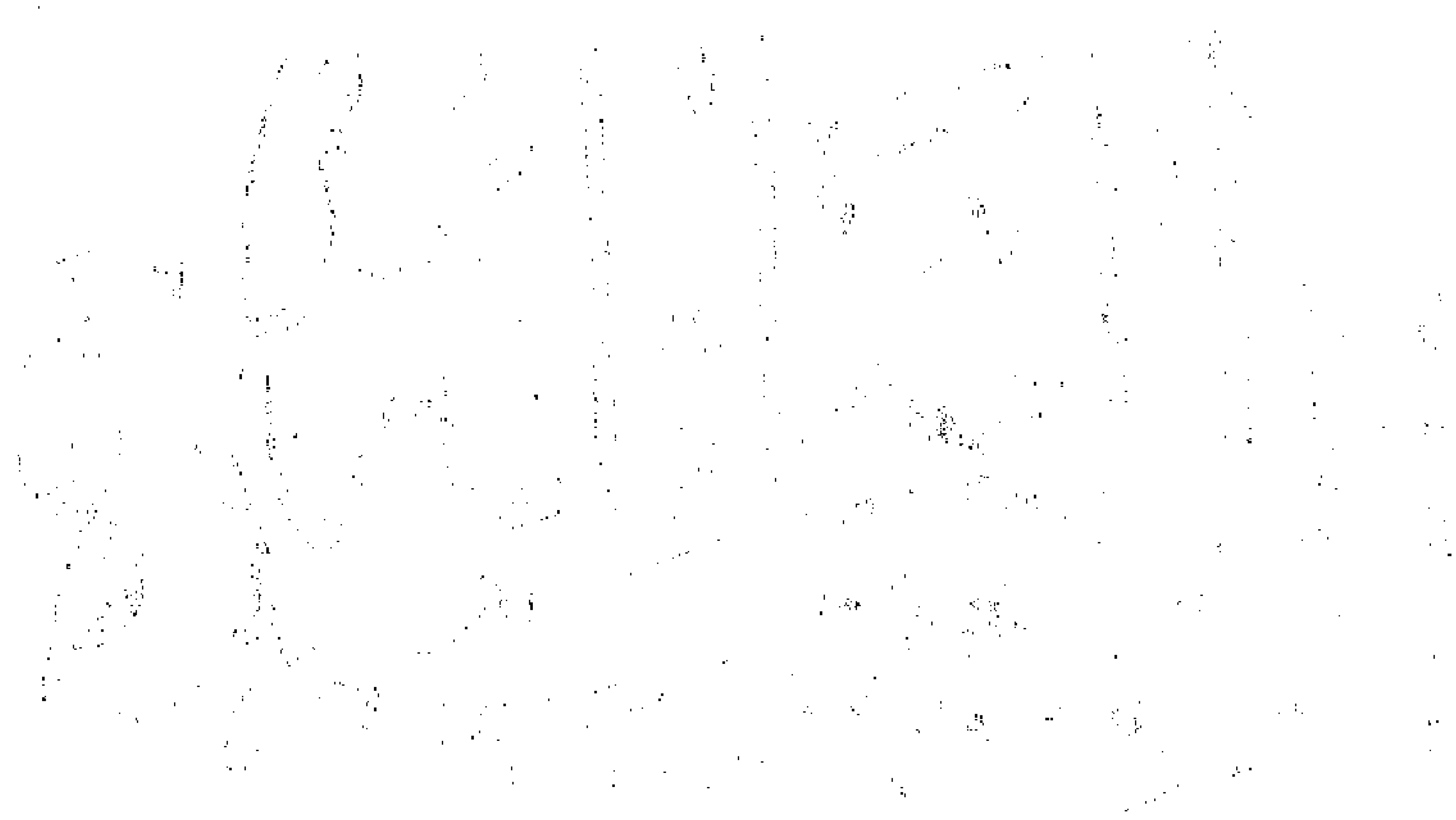
٢٢. **الحريرة:** ما يؤكل من البقول غير مطبوخ كالخسّ – الحساء من الدسم والدقيق.

الأجوبة الصّحيحة

١. **السُلفة:** ما يتعلّل به من طعام قبل الغداء.
٢. **العصيدة:** دقيق يلت بالسمن ويطبخ.
٣. **الوليمة:** طعام العرس.
٤. **الصفيف:** اللحم المقدّد شرائح قبل أن يشوي.
٥. **الكِظّة:** ما يعتري الانسان عند الامتلاء من الطعام.
٦. **القفي:** ما يكرم به الضيف من طعام.
٧. **الهريسة:** طعام من الحب المدقوق واللحم.
٨. **الفرنيّ:** خبز يشوى ويروى سمناً ولبناً وسكّراً.
٩. **الإملاك:** طعام التزويج. ويقال املكه المرأة أي زوّجه اياها.
١٠. **المَصُوص:** لحم ينقع بالخل ويطبخ.
١١. **البطْنة:** الامتلاء المفرط من الأكل.
١٢. **القَطائف:** نوع من الحلواء يحشى باللوز والسكّر ويقلى.
١٣. **الإعذار:** أو العذار، هو طعام الختان.
١٤. **الحَيْس:** طعام مركب من تمر وسمن وسويق.
١٥. **المأدبة:** الطعام الذي يصنع في كل دعوة.
١٦. **الخُرْس:** طعام الولادة.
١٧. **المضيرة:** طعام يطبخ باللبن الحامض ويقال مضر أي حمض.
١٨. **الوكيرة:** طعام يصنع عند بناء الدار.
١٩. **النقيعة:** طعام يصنع عند القدوم من سفر.
٢٠. **الرغيدة:** حليب يغلى ثمَّ يذر عليه الدقيق فيلعق لعقاً ويقال إرغادَّ اللبن أي اختلط بعضه ببعض ولم تتم خثورته بعد.
٢١. **العقيقة:** طعام سابع ايام الولادة أو الشاة التي تذبح عن المولود يوم اسبوعه عند حلق شعره، وشعر كل مولود يدعى عقيقة.
٢٢. **الحَريرة:** الحساء من الدسم والدقيق.

المستوى

١٦ - ٢٢ ممتاز
١١ - ١٥ جيد جدا
٦ - ١٠ مقبول





بقلم جيرالد دورال

العائلة السعيدة

كانت عائلتنا الجوّالة المؤلفة من أم ارملة واولادها الاربعة تقيم على الساحل الجنوبي لبريطانيا. وتلك السنة ابتلينا بطقس قاس ارهقنا. كان كل شيء حولنا رمادياً. فالسماء في شهر اغسطس (آب) بدت رمادية والرذاذ عندما حملته الريح تحوّل كتلا رمادية كمداء راحت تتدحرج كالموج. حتى البحر بدا اخضر رمادياً. وكنا جميعنا نعاني عللا واعراضاً مرتبطة بالطقس، من التهاب في الأذن الى التهاب في المفاصل، كل حسب سنّه - ذلك الجو الرمادي الكئيب الذي خيّم علينا كان بالفعل من النوع الذي يصلح امتحاناً لطاقة اي انسان على الاحتمال.

بدا ان شقيقي الاكبر لاري كان اكثرنا معاناة واقلنا احتمالا. وذات يوم، كان البرد استثنائياً فجلس لاري في المنزل وراح ينقل بصره في ارجائه بكآبة وضجر ثم انفجر فجأة في وجه أمنا وخاطبها محتداً وكأنها سبب المشكلة. ومما قال لها: "لماذا نتحمّل هذا المناخ؟ ان ما نحتاج اليه جميعنا هو اشعة الشمس وبلداً ننمو فيه ونترعرع. لماذا لا نحزم امتعتنا ونذهب الى اليونان؟"

فاجابته بغموض: "لا تكن سخيفاً. انه امر غير وارد على الاطلاق."

لكن لاري، كالعادة، نال ما اراد. فبعنا البيت الذي كنا اشتريناه لتوّنا وحزمنا امتعتنا. وكسرب من طيور السنونو المهاجرة، توجهنا الى عالم

اليونان المشرق كمرآة وضّاءة. حططنا رحالنا في جزيرة كورفو. وهذه قصة اقامتنا في تلك الدرّة من جزر اليونان المغمورة بالشمس.

بثبات وكبرياء، ووسط حديقة صغيرة عبقت بأريج مئة نوع من الأزهار وضجّت بهمس الحشرات وطنينها، انتصبت الدارة مربعة، صغيرة، وردية اللون. اما مصاريعها التي كانت يوماً خضراء زاهية، فحولتها الشمس فشدية اللون باهتة وتركت عليها بصماتها شقوقاً وفقاقيع. لكننا، وما ان وقعت عيوننا عليها حتى وقعنا اسرى هواها وعلمنا انه لا بد ان تكون من نصيبنا. وغمرنا شعور اننا في بيتنا.

بالنسبة الى صبي في العاشرة، بدت الايام نابضة بالحياة، زاهية. وكنت كل صباح استيقظ على رائحة الفحم المنبعثة من المطبخ وعلى نباح الكلاب ولهاثها وعلى رنين الاجراس المدلاّة من اعناق الماعز وهي في طريقها الى المراعي، رنين متواصل كئيب يثير في النفس شجواً. درجنا على تناول طعام الفطور في الهواء الطلق تحت اشجار المندرين. وكنا ونحن حول المائدة نعرض بحماسة وحيوية النشاط اليومي لكل فرد فينا. كنت اعرف تماماً برنامج يومي ولذا التهمت طعامي المؤلف من بيض وخبز محمص بسرعة جعلت امي تتمتم: "تمهّل في الاكل يا عزيزي، ليس هناك ما يدعو الى السرعة."

ليس ثمة ما يدعو الى السرعة؟ اجل، ولكن ماذا افعل بولعي الشديد بالتاريخ الطبيعي، وتوقي الى حقول الزيتون؟ فأنا أكاد لا اصبر على الانطلاق اليها والتوغل فيها حاملا علب الكبريت الفارغة وشبكة صيد الفراشات. كنت اجلس القرفصاء ساعات طويلة او اتمدد على بطني اراقب مخلوقات الله حولي واجمع العينات لمجموعتي النباتية.

نظرت الى كلبنا روجر، وكان سبقني الى بوابة الحديقة، فبدا لي شبحاً اسود متأهباً. فهو القى كفّه السوداء الكبيرة على البوابة ورسم على فمه ابتسامة ملتوية اظهرت انيابه البيضاء، وراح يهز ذنبه باهتياج حتى اصبح منظره كلطخة ضبابية متحركة. والحقيقة ان روجر اثبت انه خير رفيق لي في مغامراتي واستكشافاتي تلك، فهو تحمّل نزواتي بصبر ومزاج سمح. وما ان فتحت الباب حتى انطلق كالسهم مستقبلا النهار بنباح عميق.

تعرّفنا، خلال استكشافاتنا الاولى، الى عدد كبير من الريفيين. تعرفنا مثلا الى اغاثي السمينة، وهي امرأة مرحة تسكن كوخاً متداعياً في اعلى التلة، وقد اعتادت ان تجلس في الخارج وبين يديها مغزل، تفتل، تجدل، تجذب، محولة صوف الخراف خيوطاً ثخينة خشنة.

ومن اغاثي تعلمت بعض اجمل الاغاني المحلية التي لا تُنسى. تعرفنا ايضاً الى الراعي العجوز ياني، وهو رجل طويل القامة منحني الظهر له انف كبير اعقف يجعله يبدو كالنسر، وشاربان غريبان. توثقت معرفتي بياني اكثر إذ غالباً ما التقيته اثناء غزواتي وكنت ازوره احياناً في بيته الصغير حيث تعرفت الى زوجته

الوردية الوجنتين افروديت. وكان الزوجان يغدقان علي الفاكهة كلما زرتهما.

اكثر الاشخاص غرابة بين الذين تعرفت إليهم، كان رجل الخنافس الذي التقيته للمرة الاولى فوق طريق مرتفعة غير مطروقة تؤدي الى قرية جبلية نائية. والواقع اني سمعته قبل ان اراه، فهو كان يعزف على المزمار لحنا متماوجاً ويتوقف احياناً عن العزف ليغني بصوت أنفي حاد مميز. وعندما ظهر من وراء المنعطف تسمّرنا، روجر وانا، في مكانينا ورحنا نحدق اليه بانشداه.

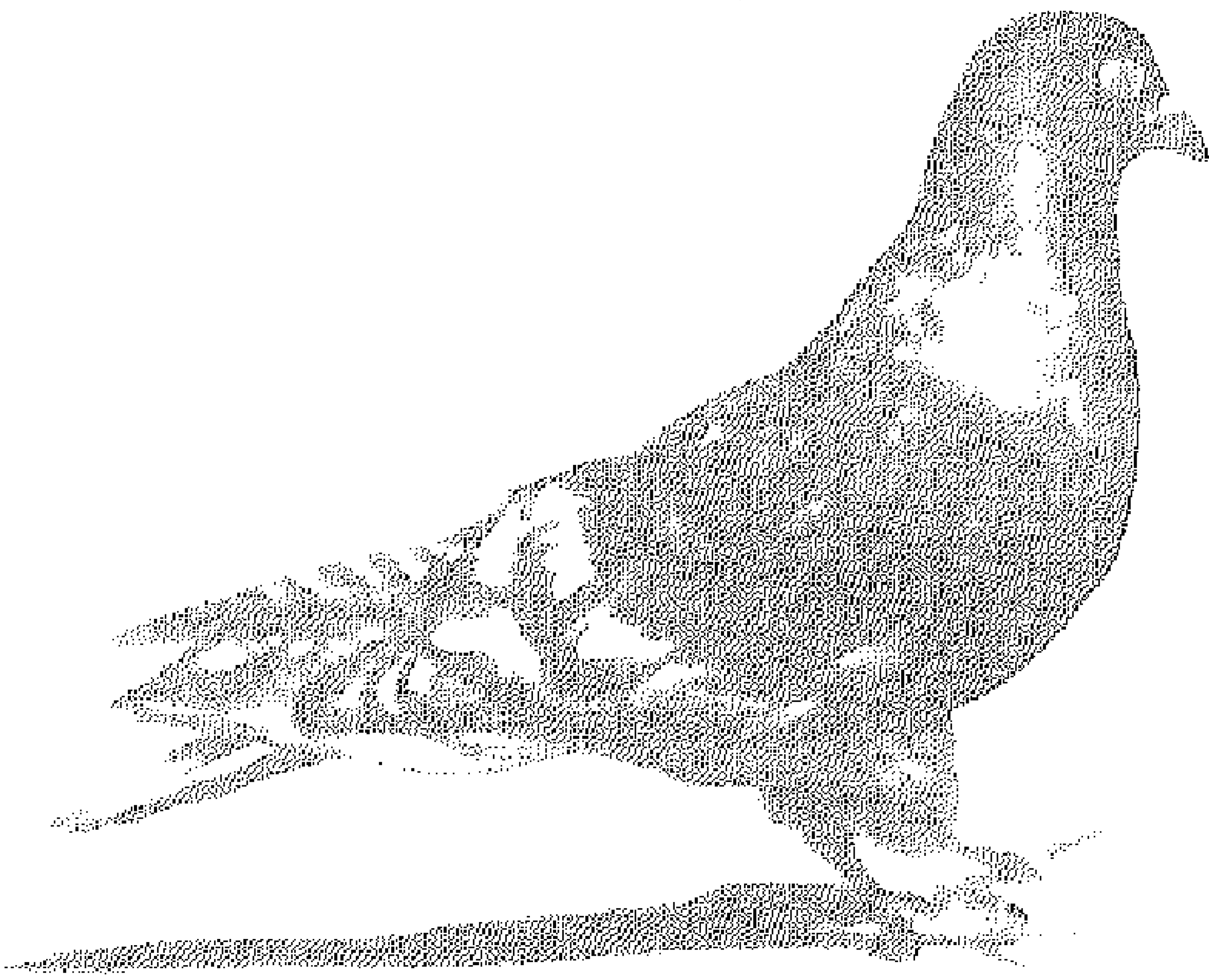
كان رجلا قصير القامة ضئيل الحجم، له وجه حاد الملامح كوجه ثعلب. ويوحي الهزال الشديد في رسغيه وعنقه، افتقاره الى الطعام. اعتمر قبعة عديمة الشكل، رثة ذات حافة عريضة متهدلة. ومع ان منظرها دلّ على انها كانت في ما مضى خضراء زيتية الا انها بدت ذاك النهار غبراء مرقطة ببقع من التراب وحروق السجائر. اما قميصه فكان قذراً بالياً، وهو ارتدى فوقه سترة داكنة اللون ومرقعة. ومن عنقه تدلت ربطة من قماش الساتان الازرق المبهر للنظر وانتفخت جيوب سترته بما حشر فيها من امشاط وبالونات ومرايا رخيصة وصور ملونة ومجموعة كبيرة من المناديل وقطع من خشب الزيتون حفرت عليها اشكال لأفاعٍ وجمال. وعلى ظهره حمل اقفاصاً من خيزران وضع فيها حمائم وصيصاناً وتدلت من احدى يديه اطوال من مصيص قطني علق في طرف كل منها خنفسة بحجم حبة لوز بدت تحت اشعة الشمس خضراء ذهبية متوهجة. وفي محاولات يائسة للافلات من الخيط المربوط باحكام حول وسطها راحت الخنافس تطير جميعها في آن باهتياج، دائرة حول رأسه وهي تئزّ وتتلوى.

حييته بأدب، ثم سألته هل هو عائد من مهرجان ما. فأومأ برأسه ايجابا وراح يثب ويقفز فوق الطريق الترابية وقد ارتسمت على وجهه امارات الفرح. وعندما انتهى من الرقص، ربت جيوبه ثم فرك سبابته بإبهامه على الطريقة اليونانية التي تشير الى الدراهم. وفجأة ادركت انه لا بد ابكم. بدأت اتحدّث اليه وهو اجابني باشارات تنمّ عن ذكاء ومهارة. سألته ماذا يفعل بالخنافس. وافهمني وبإشارة من يده انها للأولاد. ثم تناول خيطاً تدلت من طرفه خنفسة، وبحركة دائرية سريعة برمه حول رأسه ثم راح تارة يميل بجسده جانبياً وطوراً ينقضّ على الطريق وهو يصدر ازيزاً انفياً عميقاً. اخيراً فهمت قصده: انها طائرة العوبة.

بعد ذلك انزل عن ظهره قفصاً واخرج منه زغلولا بديناً يقزز منظره النفس بريشه غير المكتمل وجلده القرمزي المغضّن. لكنني ما ان رأيته حتى شعرت برغبة جامحة في اقتنائه.

استفسرت عن الثمن فرفع الرجل يديه الاثنتين باسطا اصابعه العشر. ولانني كنت تعلّمت المساومة من الفلاحين، فقد هززت رأسي بحزم ورفعت اصبعين. فاغمض عينيه وكأنه صُدم ورفع تسع اصابع. فرفعت بدوري ثلاثاً، فرفع هو ستاً.

في النهاية اصبح الطائر ملكي في مقابل خمس دراخمات دفعتها لرجل الخنافس شاكراً وودعته قبل ان انطلق عائداً الى البيت وانا اكاد اطير فرحاً.



قبل ان انعطف الى الطريق التي تعبر حقول الزيتون والتي اخترت ان اسلكها اختصاراً للوقت والمسافة، نظرت خلفي فاذا بصاحبي ما زال في مكانه لم يبرحه، بل راح يثب ويتمايل في رقصة مرحة سريعة ومزماره يصدح لحنا بهيجاً.

بعد هذا اللقاء، اعتاد صديقي الجديد، رجل الخنافس، ان يظهر فجأة في الدارة حاملا كل مرة حيواناً جديداً أضيفه الى مجموعتي. وهو احضر مرة سلحفاة ومرة ثانية ضفدعاً ومرة ثالثة عصفوراً دورياً مكسور القائمة. وكان يختفي فجأة كما جاء.

عندما وصلت بطائري الى البيت، علّق لاري على منظره السمين المنفر وفي الحال سمّاه "كوزميدو." اعجبني الإسم من دون ان اعرف معناه فوافقت عليه. ربما بسبب نشأته غير القويمة. كان كوزميدو مقتنعاً بأنه ليس من فصيلة الطيور، فهو استنكف عن الطيران حتى بعدما اكتمل ريشه وكان إذا رغب مثلا في الصعود الى طاولة، يقف تحتها ويروح يهدل بصوت رنان عميق حتى يرفعه أحدنا ويضعه عليها. والى ذلك، فهو اصرّ على النوم داخل المنزل وليس في العلية التي بنيتها له. اما مكانه المفضل للنوم، فكان طرف سرير اختي مارغو التي اضطرت في وقت لاحق الى نفيه الى الاريكة في قاعة الاستقبال لانه كان يستيقظ كلما تقلبت هي في فراشها ويروح يحجل قبل ان يحط بالنتيجة على وجهها وهو يهدل بتودد وصخب.

استأنس كوزميدو بالموسيقى. والواقع انه بدا قادراً على تمييز نوعين منها: الالحان العسكرية وموسيقى الفالس. وكانت هذه تجعله، ما ان يسمعها، يطوف حول المنضدة وهو ينحني ويهدل بصوت مرتعش وجل. اما استجابته للالحان العسكرية، وخصوصاً الحان سوسا، فمختلفة تماماً. فقد كان يقف منتصباً منتفخ الصدر ثم يروح يذرع المكان وهو يضرب الأرض بقائمتيه ويهدل هديلا عميقاً متحشرجاً الى حد خشينا عليه مرة ان يختنق.

وذات صباح اكتشفنا ان كوزميدو استطاع ان يخدع الجميع، إذ وجدنا على الاريكة بين الوسائد بيضة صقيلة بيضاء. ولم يكن لكوزميدو، بعد ذلك النهار، ان يعود الى وضعه السابق، فهو اصبح كئيباً سريع الاهتياج ينقد كل من يحاول حمله بنزق وغيظ. وما لبث ان وضع بيضة ثانية واصبح، او بالأحرى، اصبحت اكثر شراسة.

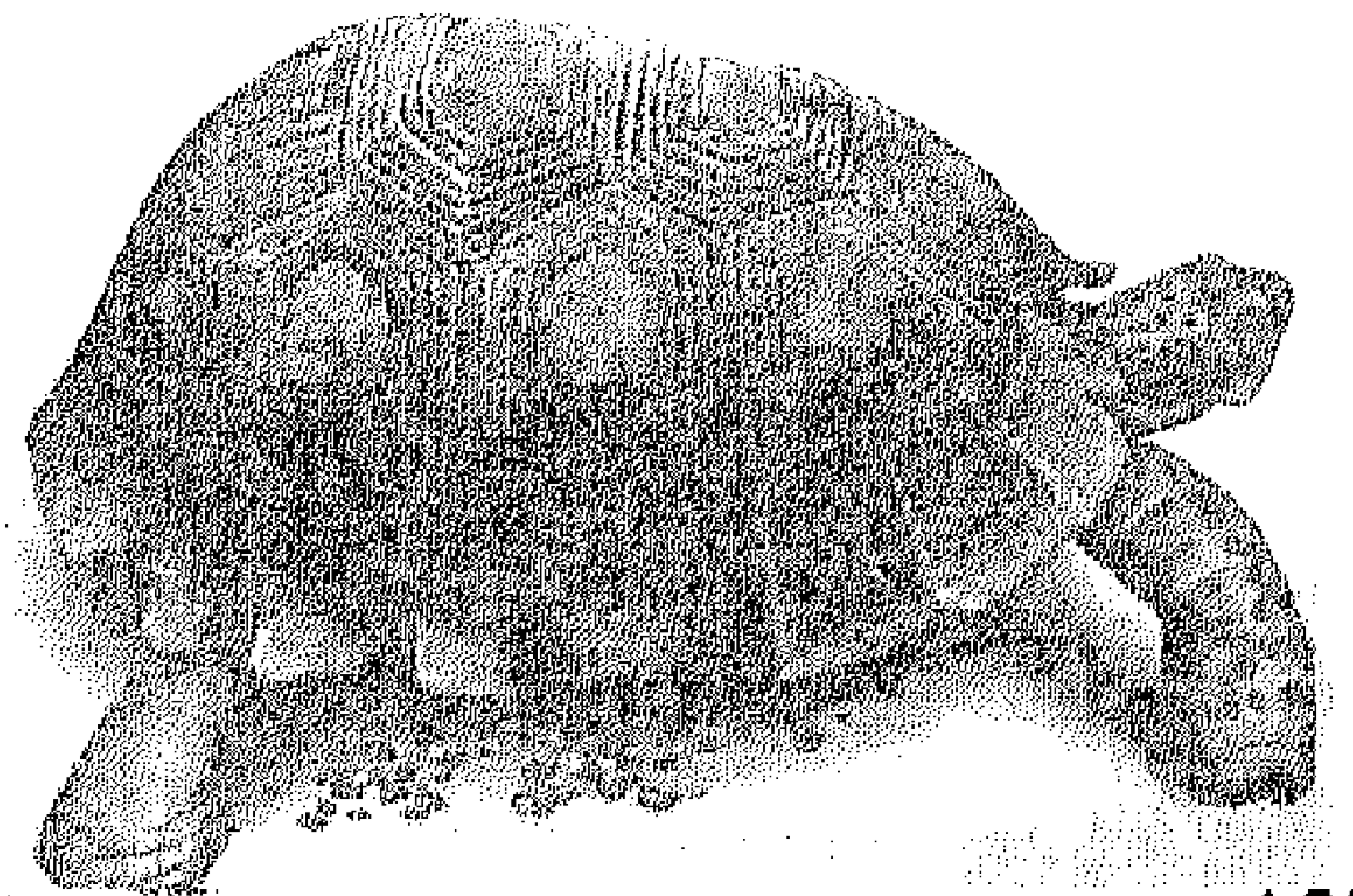
آخر مرة رأيتها كانت جاثمة في شجرة زيتون وهي تهدل بخفر ودلال وعلى مسافة غصن منها جثم طائر حمام ذكر راح يهدل، هو الآخر، بنشوة وإعجاب تامين.

استغرق اشقائي الكبار وشقيقتي في أعمالهم الروتينية، ناظرين اليّ والى نشاطاتي باستسخاف. أخي الاكبر لاري (٢٣ عاما) كان كاتباً. وهو امضى معظم النهار مع الآلة الكاتبة. شقيقي الثاني لسلي، (١٩ عاماً) كان مولعاً بالسلاح وبالصيد وهو حمل الى الجزيرة مسدسين عاديين وآخر هوائياً وكتاباً عنوانه "إعتنِ بسلاحك بنفسك." وكان، عملا بتعليمات الكتاب، ينظّف مسدسيه بنفسه ويتدرب على الرماية يومياً مسدداً طلقاته الى علب من تنك. اما اختي مارغو (١٨ عاماً) فكانت لا تزال مراهقة وهي احضرت كتباً حول النحافة والسبُل المؤدية اليها، بالاضافة الى فوج من الزجاجات الصغيرة تحتوي كل منها على إكسير يضمن الشفاء من حبّ الشباب. ولقد تعوّدنا ان نرى مارغو متوجهة الى حقول الزيتون طمعاً في "حمام شمسي".

وكنا احياناً أخرى نراها بفساتين طويلة وهي تخطر امامنا ساحبة وراءها امتاراً من القماش الشفاف ومخلفة في المكان شذى عطرها. اما والدتنا الارملة التي غالباً ما بدت كمبشّر دقيق الحجم منهك وسط ثورة محلية لا تنتهي، فلقد حاولت جاهدة ان تدير المنزل بنظام وتوازن.

على ان استكشافاتي الحيوانية سرعان ما تقلّصت عندما قررت امي انني في حاجة الى تعليم رسمي، اكثر مما تلقيته على شقيقيّ لاري ولسلي ومن خلال كتب اربعة كنت حملتها معي. وسرعان ما اصبح لي مدرس خاص اسمه جورج كان صديقاً للاري ومثله قصد كورفو للكتابة. وبكثيرَ من الجدية والرزانة بدأ جورج يعلمني مبادىء اللغة الفرنسية والجغرافيا والتاريخ والرياضيات. وسرعان ما ادرك انه إن كان له ان يحظى مني بإجابات عليه ان يصوغ اسئلته باللغة التي أفهمها. ولكي يثير اهتمامي بالدرس أخذ يطرح عليّ اسئلة من نوع: "إذا لزم اسبوع كامل ليسروعين ليلتهما ثماني ورقات شجر، فكم من الوقت يلزم لاربعة يساريع لالتهام العدد نفسه من اوراق الشجر؟" اما دروس التاريخ فاستهلها بحكايات من نوع: "فيما الاسطول الفرنسي يتقدم، جلس هوراشيو نلسن فوق الجسر يصنّف بيض الطيور التي تألفت منها مجموعته."

لكن حياتي في الجزيرة لم تقتصر على العمل وحده، إذ كان لي متسع من الوقت لممارسة استكشافاتي ومغامراتي. وهكذا اكتشفت بعد ظهر احد ايام الربيع المالك الحقيقي للتلال المحيطة بالدارة.



قبعنا روجر وانا خلف اجمة حجبتنا عن الانظار، ورحنا ننتظر بصبر عودة فراشة خطافية الى البقعة التي اعتادت ان تتشمس فيها. كان ذاك النهار اول ايام الحرّ وبدا كل شيء حولنا مخدراً هامداً تحت اشعة الشمس. فجأة راحت بقعة الارض التي كنت اراقبها، ترتفع. للوهلة الاولى، لم اصدق عيني ولكنها ما لبثت ان إنشقت عن صدفة بنية وصفراء. ثم اخذ يظهر من الثقب، بحذر وبطء شديدين، رأس مغضّن محرشف تبعه عنق طويل هزيل. تفحصتني السلحفاة بعينين طارفتين غائمتين وبعدما اطمأنت الى منظري غير المؤذي رفعت جسدها من الزنزانة الترابية وخطت بضع خطوات قبل ان ترتمي على الارض بتكاسل ونعس تحت اشعة الشمس.

فجأة تغطت التلال بالسلاحف. وبدا كأن ظهور تلك السلحفاة الاولى من مهجعها الخفي تحت الارض، كان إشارة الانطلاق. سلاحف من كل حجم ولون، صغيرة بحجم فنجان شاي، كبيرة بحجم صحن شورباء، اجداد بلون الشوكولاته، احفاد باهتة بلون القرون – سرحت كلها صوب تلك البقع الخضراء من الارض المكسوة بالبرسيم.

ما كادت السلاحف تلتهم الوجبة الاولى من الطعام حتى هاج الشوق لدى الذكور وراودتهم افكار رومنطيقية فانطلقوا باعناق ممدودة وسرعة متعثرة يبحثون عن رفيقات يشاطرنهم الحب والهوى. وكانوا يتوقفون بين الفينة والاخرى ويطلقون صيحات مشبوبة غريبة.

في ذلك السباق اللاهث والمحموم للفوز بأنثى، غالباً ما التقى ذكران او ثلاثة حول انثى واحدة. وكانوا اذذاك يتبادلون نظرات غاضبة متوعدة وحناجرهم تفضّ بتشنج استعداداً للمعركة.

اما الأنثى موضوع الإعجاب والحرب، فكانت تتابع سيرها بتمهل واتزان وكأن الامر لا يعنيها، غير آبهة على ما يبدو بقرقعة الصدف وراءها. ولم يكن مؤكداً ابداً ان يفوز بها في النهاية واحد من المتحاربين. وكم من مرة شاهدت إناثاً تمضي في سبيلها متخلية عن من خاض حرباً من اجل عينيها ليحظى بها في النهاية سلحف غريب لم يكلّفه الفوز بها ولا حتى شظية من ترسه.

ومن مخبئنا وراء الاجمة كنا نراقب الفصول الرومنطيقية الاخيرة من المسرحية. والواقع ان ليلة الزفاف، او بالاحرى نهار الزفاف، عند السلاحف لا يلهب الاحاسيس او يلهم المخيلة. فبكثير من الخرق وقلة الرشاقة يحاول الذكر ان يعتلي ترس الانثى. وفي محاولاته اليائسة تزل به القدم مرات عدة وينزلق ويتلوى متلمساً ببراثنه موطىء قدم.

راقبت مرة ذكراً في منتهى الخرق والفركشة، فهو وقع عن ترس الانثى ثلاث مرات متتالية، ولما نجح اخيراً في اعتلاء الترس تقدمت الانثى، وقد اضجرتها المحاولات الخرقاء، بضع خطوات الى الامام فهوى الذكر، وراح يتدحرج على الارض بغير وقار حتى استقرّ على ظهره. وكانت هذه الحركة الضربة القاضية بالنسبة اليه فتقوقع داخل ترسه حزيناً

يندب سوء حظه، اما انثاه القاسية القلب، فراحت تمضغ ورقة طرخشفون بصوت طاحن.

مع مرور الوقت، اصبحت اميز بين السلاحف. وتوثقت العلاقة بيني وبين إحدى الاناث، وكانت عوراء فسميتها "السيدة سايكلوبس." وهي اعتادت ان تمد عنقها اليّ بثقة واطمئنان كي تتناول اوراق الخسّ التي احضرتها اليها. ومع انني لم احضر زفافها، الا ان الحظ اسعدني واتاح لي ان أشهد حصيلة شهر العسل.

رأيت السيدة سايكلوبس ذات يوم وهي تحفر ثقباً في الارض الطرّية في اسفل منحدر من الارض وهي راحت تكشط التراب بقائمتيها الاماميتين وتركمه بترسها حتى اصبح كومة مرتفعة. ثم انزلت مؤخرتها في الثقب وجلست فيه شاردة الذهن منتشية ووضعت تسع بيضات ناصعة البياض. بعد ذلك شرعت تهيل التراب فوق البيض. وعندما انتهت من الردم سوت الارض ومهدتها. وهي لجأت في عملها الى طريقة بسيطة إذ وقفت فوق التراب المردوم وإرتمت على بطنها عدة مرات. بعد ذلك الانجاز استراحت فترة ثم تقبلت مني باقة من البرسيم.

على رغم رغبتي الشديدة في بيضة سلحفاة اضيفها الى مجموعتي، لم اشأ ان اتناولها في حضورها لذلك انتظرت بصبر حتى ابتعدت عن المكان فاخرجت واحدة من الارض. وحتى لا تشك هي في الامر اعدت تسوية التراب ثم اسرعت بغنيمتي الى البيت. وبعدما تخلّصت من المح الدبق بواسطة النفخ، وضعت القشرة كاملة في علبة صغيرة ذات غطاء زجاجي ووضعت بجانبها شرحاً مزجت فيه العلم بالعاطفة. إذ كتبت: "بيضة تستودو غريكا وضعتها مدام سايكلوبس."

ما كدنا نستقر في الجزيرة ويطيب لنا العيش فيها، حتى كتب لاري الى جميع اصدقائه - تبين في النهاية ان عددهم ثمانية - يدعوهم بكرمه المميز الى الاقامة عندنا. ولم يخطر في باله ان الدار صغيرة وبالكاد تتسع لأهل البيت. وعندما لفتت الوالدة نظره الى هذه الحقيقة رد عليها بالآتي: "ان كنت تقصدين ان الدارة غير واسعة كفاية، فالحل البديهي هو ان ننتقل الى غيرها." فردت عليه وبشيء من الصرامة وبحزم: "الحل البديهي هو الا تدعو الناس الى الاقامة عندنا. حتى وإن انتقلنا الى دارة تتسع لثلاثة عشر شخصاً، فماذا نفعل بالمساحات الاضافية عندما يغادرنا الضيوف؟"

فاجابها فوراً: "ندعو ضيوفاً غيرهم." فرمته بنظرة غضب وقالت: "لن ننتقل الى دارة اخرى!" لكننا ما لبثنا ان فعلنا.

كانت الدارة الجديدة قصراً مربعاً ضخماً، ذا جدران صفراء باهتة بلون النرجس الاصفر. وشمل الايجار بستانياً وزوجته عجوزين هرما مع العقار. وفي لحظة حماسة في غير محلها اتفقت الوالدة وزوجة البستاني لوغاريتزيا على ان تعمل هذه عندنا. وهي كانت امرأة ناحلة، كئيبة الملامح، تجد متعة في التحدث عن امراضها المزمنة.

بالنسبة الينا كانت الحدائق المحيطة بالدارة جنة كبيرة ممتدة الى البحر الايوني المتألق والى مساحات جديدة شاسعة للاستكشاف. ولقد صادفت في تلك المنطقة المتعـددة التضاريس والالوان الكثير من اصدقائي القدماء من الخنافس والنحل والدعاقيس والعناكب واليعاسيب. اما مخلوقات لاري فقد وجدتها اقل إلفة واكثر غرابة.

عجّت الدارة ذلك الربيع واوائل الصيف بسيل لا ينقطع من اصدقاء لاري، فكنا نودّع فوجاً ونستقبل آخر. وهم كانوا مجموعة من الشعراء والفنانين والكتاب امتلأت بهم الدارة والحدائق. فجلسوا تارة يتباحثون ويحتسون الشراب وطوراً يرسمون ويؤلفون. وتبين في النهاية انهم جميعهم، من دون استثناء، من اكثر الناس غرابة.

بين اول الوافدين كان زاتوبيك، وهو شاعر ارمني قصير القامة ممتلىء الجسم له انف عقاب وشعر فضي متدل حتى الكتفين. وقد وصل الى الدارة بعربة حملها اكداساً من الاغراض وكان يرتدي عباءة سوداء فضفاضة وقبعة سوداء ذات حافة عريضة. وعندما دخل هز صوته الدارة كما تهزها الرياح الشرقية. وطوال إقامته بيننا لم ينقطع عن الكلام.

الغزو الثاني نفذه ثلاثة من الفنانين هم: جونكيل ودوران ومايكل. بدت جونكيل اشبه ببومة فظة صوتاً ومظهراً، وانما بشعر مقصوص غرة فوق الجبين. وكان دوران هزيلاً، كئيباً، عصبياً الى درجة انه كان يقفز من مكانه اذا تحدث اليه احدهم فجأة. اما مايكل فكان رجلا قصير القامة بديناً، اشبه بقريدسة مسلوقة جيداً. وعبّر الثلاثة عن رغبتهم في العمل، خصوصاً جونكيل التي خصت الوالدة بشرح اضافي إذ قالت لها بجدية وحزم: "لم آت لامضي عطلة تافهة، فانا جئت لأعمل، لذلك لا تهمني النزهات ولا المشاوير. الا ترين اني على حق؟" فوافقتها الوالدة على ذلك بكثير من الشعور بالذنب وكأنها كانت تخطط لتقيم على شرفها ولائم كبيرة.

انسحبت جونكيل على الفور الى الحديقة، وتحت اشعة الشمس الساطعة استسلمت للنوم. وعلى هذا المنوال امضت عطلتها بيننا.

دوران ايضاً اعلن انه يرغب في العمل ولكن ليس قبل ان يستعيد انفاسه ورباطة جأشه لأنه، كما قال لنا، تعرّض حديثاً لتجربة حطمته. فهو خلال اقامته في ايطاليا، عمل يوماً كاملا على خطوط رائعته الفنية وكان موضوعها "بستان لوز في اوج إزهاره." لكنه عندما عاد في اليوم التالي ليكمل اللوحة فوجىء بأن عاصفة هوجاء اجتاحت البستان في الليل وعرّت الاشجار من اوراقها فبدت هزيلة كئيبة. واهتز صوته حين قال: "هذا الحادث اصابني في الصميم واقسمت على انني لن ارسم ما حييت... مستحيل! لكنني بالطبع ساعاود الرسم في أحد الأيام."

وتبين لنا، بعد الاستفسار، انه مضت على هذا الحادث سنتان.

اما مايكل فقد سحرته الوان الجزيرة واعلن انه سيشرع في رسم زيتية ضخمة تجسد روح كورفو المميزة. لكن المحزن في الامر انه وقع فريسة نوبة من الربو. فقد

استفقنا في منتصف الليل على صوت بدا كأنه صادر عن فرقة من الكلاب الدماديم تتعرّض لاختناق بطيء. وتبين ان السبب حرام احصنة تركته لوغاريتزيا في غرفته من دون انتباه، وما ان ازيل السبب حتى عاد مايكل الى حاله الطبيعية. لكن النوبة أثرت في الرجل المسكين كثيراً الى درجة انه لم يستطع، طوال اقامته بيننا، ان يمد يده الى الفرشاة، وان مرة واحدة. فانضم الى دوران واستلقى الاثنان جنباً الى جنب في الشمس، كل في كرسي بحري، يستعيدان رباطة جأشهما معاً.

وفيما نحن نحاول التغلّب على المشاكل التي احدثتها إقامة هؤلاء بيننا، وصل الى الدارة ضيف جديد هو ميلاني كونتيسة تورو. وهي ذات وجه شبيه بوجه حصان هرم وحاجبين اسودين بلون الغراب وشعر قرمزي يشبه الوسادة. ولم يمض على وجودها في المنزل خمس دقائق حتى بدأت تتذمر من الحرّ وما لبثت، امام عيني والدتي المذعورتين، أن أمسكت بشعرها المستعار ونزعته عن رأسها مظهرة صلعة كنبتة فطر. وعندما لاحظت الذهول في عيني امي شرحت لها بصوت اجشّ ناعب: "لقد شفيت لتوي من مرض جلدي رهيب اتى على كل شعري... لم أجد في ميلانو شعراً مستعاراً وحاجبين من اللون ذاته... ربما وجدت شيئاً مناسباً هنا في اثينا."

كانت وجبات العشاء مع الضيوف الاربعة رائعة مفعمة بالحيوية. ولقد سحرني حديثهم الى درجة انني لم ادر الى من أصغي.

ودونت من حديث للكونتيسة مع أخي لاري حول الشعر المقطع الآتي: "... لا بد انك تتمتع بصفاء عيني طفل... خذ مثلا اروع بيت اساسي من الشعر... "همبتي دمبتي". هذا شعر... خال من الابتذال".

ومن حديث بين جونكيل ودوران حول الفن دونت المقطع الآتي: "... وهكذا قلت له: لن ارسم بأقل من عشرة جنيهات في المرة الواحدة. وهذا رخيص بخس... نعم قلت له هذا..."

"... وفي صباح اليوم التالي اصابني شلل... الوف الازهار والبراعم ممزقة ومجرّحة... اعصابي تحطمت..."

إنبعثت من القناديل سحب رقيقة من الدخان واضواء خافتة أضفت على الموائد لوناً عسلياً دافئاً، وراح أخي لسلي يتلهى بصنع كرات من الخبز يقذف بها الفراشات الحائمة حول القناديل فيما الوالدة تسكب الطعام للضيوف بالمغرفة وعلى فمها ابتسامة مبهمة. وكانت تراقب لوغاريتزيا بيقظة ودقة. اما روجر فربض تحت الطاولة واخذ يضغط بأنفه البارد ركبتي في استرحام صامت.

عقارب على المائدة

السور الحجري المتداعي الذي احاط بالحديقة الغائرة حول المنزل شكّل لي ارضاً خصبة للصيد، وهو كان جداراً قديماً من الأجر كُسي بالجص الذي سقطت اجزاء كبيرة منه. ولقد امضيت ساعات طويلة انعم النظر فيه واراقب "سكانه".

كان هناك نوعان من السكان: الصيادون والفرائس. صيادو الليل كانوا العلاجم والبرص الشاحبة اللون والجاحظة العينين. وفيما العلاجم تتربص

بفرائسها في العليق النامي في اسفل الجدران، اتخذت البرص مساكن لها في الشقوق في اعالي الجدران. وكانت الفرائس من الذباب الغبي الطائش الذي اقحم نفسه بين اوراق الشجر، ومن الخنافس والفراشات من كل لون وحجم. اما صيادو النهار فكانوا الزنابير التي تقتات باليساريع والعناكب وهذه تفترس بدورها الذباب. اما السحليات السريعة الحركة والمتعددة الالوان فقد اصطادت كل شيء.

لكن العقارب، تلك المخلوقات الحيية والاكثر خجلا بين سكان الحائط، هي في الواقع الاشد فتكاً. ولكي تراها، ما عليك الا ان تُدخل سكيناً في شق في الحائط وتقبّ الجص عن الاجر برفق، كمن يرفعه بمخل، فيظهر امامك عقرب يصل طوله الى سنتيمترين ونصف سنتيمتر تظنه مصنوعاً من الشوكولاته اللماعة. إنها بالفعل مخلوقات غريبة، تلك العقارب ببراثنها الضخمة الموصولة كالدروع بمفصلات والتي تشبه براثن السلطعون وبأذنابها التي تبدو كعقد من خرز تنتهي بزبان مثل شوك في شجرة ورد. ولقد وقعت في هوى تلك المخلوقات العجيبة التي تعاملك باحترام ما لم تأتِ بعمل أخرق كأن تضع يدك على إحداها مثلا. ولولا ان وجود العقارب امر محظور في بيتنا، لكنت احتفظت بمجموعة منها في غرفتي.

وذات يوم وجدت في الجدار عقرباً انثى سمينة، كانت ترتدي ما ظننته للوهلة الاولى معطفاً من فراء كستنائي اللون، وسرعان ما تبين بعد التدقيق والفحص ان ذلك الرداء الغريب لم يكن سوى مجموعة من صغار العقارب تشبثت بظهرها. طرت فرحاً وعزمت على تهريبها الى غرفتي كي تتسنى لي مراقبتها تكبر وتنمو. وبتحايل ولباقة ادخلتها وصغارها في علبة كبريت.

ما ان دخلت المنزل حتى وجدت، ولتعاسة حظي، ان العائلة على وشك تناول الغداء فوضعت علبة الكبريت على رفّ المستوقد في غرفة الاستقبال وانضممت الى العائلة. سار كل شيء على ما يرام ونسيت غنائمي المثيرة. وعندما فرغ أخي لاري من الغداء توجه الى غرفة الاستقبال بحثاً عن سيجارة، فتناول واحدة وحمل علبة كبريت وجلس في احدى الارائك. وضع السيجارة في فمه، ثم فتح علبة الكبريت، وهو يتحدث بعفوية.

وما كاد يفتح العلبة، حتى اندفعت العقرب مهرولة وصغارها على ظهرها. وهي اغتنمت اول فرصة للهرب من ذلك السجن الذي ازعجها طوال مدة احتجازها فيه. وقفت على ظهر يد لاري وزبانتها مقوسة استعداداً للسع. فشعر لاري بحركة على يده فنظر اليها متفحصاً وما كاد يفعل حتى بدأت الامور تتطور نحو مزيد من التشويش وما لبثت ان دبت الفوضى.

اطلق لاري صرخة رعب مدوية جعلت روجر يندفع من تحت الطاولة وهو ينبح باهتياج. ثم نفض يده قاذفاً العقربة الى المائدة حيث استقرت في منتصف المسافة بين مارغو ولسلي. وتطايرت صغارها حولها كالنثار. جنّ جنون العقربة فاندفعت، وزبانتها تهتز غيظاً، في

اتجاه لسلي الذي هبّ وانهال عليها بمنديل المائدة فتدحرجت المسكينة صوب مارغو التي اطلقت صرخة داوية يفخر القطار إن هو اتى بمثلها.

وفي ذهول وارتباك، وضعت والدتي نظارتيها على عينيها مستطلعة "السبب" الذي ادى الى كل ذلك الهرج والمرج. في تلك اللحظة، وفي محاولة يائسة لايقاف تقدم العقربة، رشقتها مارغو بكوب من الماء لكنها اخطأتها وبدل ان تصيبها اصابت الوالدة وبللتها وقطعت انفاسها وهي لا تحتمل المياه الباردة وجعلتها تجلس على طرف المائدة وهي تلهث.

واغتنمت العقربة الفرصة فاختبأت تحت صحن لسلي فيما اندفع صغارها في كل اتجاه.

صرخت مارغو: "انتبهوا! انها تقترب...!" وزمجر لسلي، "كتاب! لا ترتعبوا! اضربوها بكتاب!"

واضاف: "انظروا الى المائدة... إنها تعجّ بالعقارب. حمداً للرب انني لم ألدغ!"

وسألت امي بتوسل: "ولكن كيف وصلت العقارب الى المائدة يا عزيزي؟"

"انتبهوا! هناك عقارب أخرى...! بسرعة...! إفعلوا شيئاً! اضربوها بالسكين! السكين... اضربوها!"

ومع عودة بعض الهدوء والنظام، تبين ان العقارب الصغيرة اختفت جميعها تحت الصحون والسكاكين والاكواب، فاقترح لسلي ان نقضي عليها جميعها. لكن اقتراحه سقط على يد الوالدة. وما ان انسحب افراد العائلة الى غرفة الاستقبال، وهم في غليان ورعب، حتى اغتنمت الفرصة وحملت الصغار بملعقة صغيرة واعدتها الى ظهر امها ثم نقلت الجميع بحذر شديد الى صحن صغير وانطلقت بها الى الحديقة حيث اطلقتها على مضض قرب السور حيث وجدتها.

ووجدت ان الحكمة تقضي بأن اتيح لافراد العائلة، قبل ان اراهم ثانية، فرصة لقيلولة هم في حاجة اليها، فاصطحبت روجر وخرجنا الى التلال حيث امضينا فترة بعد الظهر.

على اثر ذلك الحادث المؤسف، خصصت العائلة غرفة في الطبقة الاولى لي ولحيواناتي على امل ان يحصرها هذا التدبير في مكان واحد من المنزل. وفاحت من الغرفة التي سميتها "مكتبي" وسمتها العائلة "غرفة البق والحشرات" رائحة الاثير اللطيفة. وضعت مجموعاتي التي ضمت، الى بيض الطيور، البيرقات والخنافس والفراشات، في صناديق كبيرة من الكرتون. اما المخلوقات الاخرى المثيرة، مثل الدجاجة ذات الاربع قوائم والانواع الغريبة من الافاعي والضفادع التي لم يكتمل نموها بعد، فقد وضعتها في زجاجات كبيرة ملأتها بمحلول الكحول الممزوج بمادة "الميثيل."

وعلّقت على أحد جدران الغرفة، وطواطاً مبسوط الجناحين صبّرته بنفسي. ونظراً الى خبرتي المحدودة في علم التحنيط فقد سرّني انه بدا كالوطواط الى درجة كبيرة. ولكن مع حلول فصل الصيف، ترهل الوطواط قليلا وفاحت منه رائحة

غامضة تسرّبت الى جميع اجزاء المنزل، وعندما وصلت الى غرفة شقيقي لاري، ادركت انه بات عليّ ان اتخلص من الوطواط.

ومع ان الجهود التي بذلتها للحصول على وطواط آخر اخفقت، الا انها لم تذهب سدى. فذات يوم أقحمت يدي في ثقب في جذع شجرة زيتون كثيرة العقد والالتواءات، واذا باناملي تطبق على شيء ناعم الملمس صغير راح يتلوى وانا اسحب يدي. ظننته للوهلة الاولى حزمة كبيرة من بذور الطرخشفون مزودة زوجاً من العيون الكبيرة الذهبية. وبعد التدقيق تبين انها ليست سوى بومة صغيرة مكسوة بالزغب. نظر واحدنا الى الآخر قبل ان تغرز البومة براثنها في ابهامي تعبيراً عن سخطها.

حملت "البويمة" في جيبي وعدت الى المنزل وقدمتها الى افراد العائلة. وفوجئت بما قابلوها به من ترحاب غير متحفظ. وبعد جدل طويل سميناها "يوليسيس." وخطر لي انه من المستحسن ان تتوثق العلاقة بينها وبين روجر فوضعتها على الارض وطلبت من روجر ان يتودد اليها. وبما ان روجر اعتاد مصادقة مختلف انواع المخلوقات التي تبنيتها، فقد اقترب منها بثقة وهو يهز ذنبه بحبور. حدّقت اليه بشراسة من دون ان تطرف لها عين فجمد في مكانه وتوقف ذنبه عن الاهتزاز ونظر اليّ مستلهماً، فامرته بأن يتقدم.

بعد تردد قصير، قرر الكلب ان يجرّب معها رأسه بين كفيه وراح يزحف صوبها ببطء وهو يصدر عواء خفيفاً. لكنه عندما اصبح على مقربة منها، اقترف غلطة فادحة اذ دفع بوجهه الصوفي نحوها وراح "يشمشمها" بفضول وتحبب. ولا بد ان يوليسيس قررت ان تجعل ذلك المخلوق البشع غير المجنح يلزم حدوده فقفزت في الهواء وهي "تطقطق" بمنقارها وحطت على خطمه مباشرة غارزة مخالبها الحادة كالسكين في انفه الاسود فانتفض وهو يعوي من الألم ولاذ تحت احدى الطاولات.

الا ان الطائر، بعدما اثبت جدارته كمحارب قوي، راح يتودد الى روجر واصبح الاثنان خير صديقين. واحيانا، ونحن في الطريق الى البحر من اجل سباحة مسائية، كان يركب على ظهره متشبثاً بصوفه الاسود الجعد وما ان نصل الى الشاطئ حتى يجثم على قميصي وسروالي القصير ويروح يرمقنا باستنكار ونحن نقفز ونثب في الماء الضحل الدافئ.

اعتادت العائلة، مع اكتمال القمر في فصل الصيف، ان تسبح في الليل تجنباً لحرارة شمس النهار الحارقة. وكنا نرسي زورق التجذيف الذي سميناه "ثور البحر" في المياه العميقة ونغطس منه الى البحر. ولطالما قطعت الخليج طافياً على سطح المياه الدافئة برفق ومن غير جهد وعيناي معلقتان بالقمر.

استرخيت ذات يوم على صفحة البحر كوشاح من حرير شفاف ورحت اراقب المجرة واعد نجومها. حملني الموج برفق فغرقت في الاحلام. فجأة سمعت بالقرب مني صوت ارتطام وقرقرة مياه. عدلت وضع جسدي وخطوت بضع خطوات في الماء مستكشفاً. فهالني انني ابتعدت

مسافة كبيرة ليس من الشاطىء فحسب بل من الزورق ايضاً. ولم اكن مطمئناً الى ذلك المخلوق الذي كان يسبح في المياه الداكنة تحتي.

كنت على وشك اطلاق صرخة استغاثة عندما انشق البحر على مسافة تبعد عني نحو ستة امتار عن ظهر اسود لماع. تنهد المخلوق تنهيدة رضا قبل ان يغطس في البحر ثانية. وما كدت اقرر انه دلفين حتى برز ثمانية غيره راحت تتنهد بترف وظهورها تلمع في ضوء القمر. واقترب احدها مني حتى كدت المس رأسه الاسود كالابنوس، ظلت الدلافين فترة تلهو في مياه الخليج حولي، تارة ترتفع في الهواء واخرى تغطس في الماء بايقاع منتظم وهي تلهث وتتنهد. فجأة، وكأنها تلقت إشارة ما، دارت على اعقابها وسبحت مبتعدة في اتجاه ساحل البانيا. فراقبتها وهي تبتعد مهتدية بضوء القمر وراقبت النشوة في حركاتها عندما لامست اجسادها المياه الدافئة كالحليب الطازج.

قصة غرام

مع حلول فصل الصيف ومغادرة جورج الجزيرة، حل علي مدرس خصوصي جديد اسمه بيتر، وكان شابا وسيماً طويل القامة تخرّج حديثاً في جامعة اوكسفورد وله آراء محددة وواضحة حول اصول التربية. كانت دروسه في البدء موجعة الى درجة متناهية: مصارعة لا تنتهي مع الكسور والاسماء واسماء الحال وطبقات الارض. لكنه سرعان ما ادرك، تحت التأثير السحري للجزيرة، ان تلك الامور يسهل شرحها اثناء السباحة مثلا. الى ذلك، برز لدى بيتر ومارغو ميل مفاجىء الى التنزه في الحديقة ومراقبة الازهار. وادهشني ان الإثنين اصبحا فجأة يهتمان بالنباتات. ولاحظت ان زيادة اهتمامهما بالحدائق والبساتين رافقها انخفاض في عدد ساعات دروسي المزعجة.

مع اقتراب نهاية فصل الصيف، اكتشفت والدتي ان مارغو وبيتر اصبحا، على حد تعبيرها الرقيق، "متعلقين واحدها بالآخر اكثر من اللزوم." اما لسلي فلعب دور الشقيق الذي امتهنت كرامته فاقترح انِ نرمي بيتر بالرصاص. ومع ان خطته اعتبرت غير عملية، الا ان لسلي زيّت مسدساته وعاد يتدرب على الرماية مستخدما تمثالا من الحجم الطبيعي صنعه من الكرتون وثبته في الواجهة الامامية للمنزل. اما الحل الذي اقترحه لاري فقضى ان نرسل الاثنين ليعيشا فترة معاً في اثينا كي "يتخلصا من مشاعرهما." بالطبع رفضت الوالدة هذا الاقتراح على اساس انه غير اخلاقي. وفي نهاية الامر، إستغنت الوالدة عن خدمات بيتر الذي سرعان ما غادر الجزيرة خلسة.

تعين علينا بعد ذلك ان نتعامل مع مارغو جديدة: مارغو مفجوعة، ساخطة، دامعة العينين. وهي في تلك الاثناء حرصت على ارتداء ملابس كئيبة قاتمة تليق بالمناسبة. والحق انها أدت دورها ببراعة رائعة. وهي، افهمتنا، بالاشارة، ودموعها تنهمر على خديها ان حياتها تدمرت وسرعان ما اعتزلت في العلية ورفضت ان تقابل احداً سواي لأنني، كما قالت، العضو الوحيد في العائلة الذي لم

يكن متحيزاً. وهي قبعت في العلية تقرأ لتنسون وتبكي بغزارة. وكانت احيانا تسمح لنفسها بفترة استراحة تتناول فيها وجبة طعام كبيرة.

ظلت مارغو معتكفة في العلية اسبوعاً وفي النهاية طرأ امر اخرجها من عزلتها وشكل الذروة في تلك القصة العاطفية. إكتشفت لسلي ان اموراً صغيرة كثيرة أختفت من زورقنا "ثور البحر" واشتبه بالصيادين المحليين الـذين يعبرون الفرضة في الليل. وأراد ان يردعهم فعمد الى تركيب ثـلاث بندقيـات رشاشة ذات مواسير طويلة على نافذة غرفته وصوّبها في اتجاه الفرضـة. وببـراعـة وابتكـار، ربطهـا بحبـل بحيث يستطيع ان يطلق النار من كل منها على حدة وحتى من دون ان ينهض من فراشه. ومع ان مجال الرمي كان من الاتساع بحيث يجعل اطلاق النار غير مؤذ، الا ان لسلي قدّر ان أزيز الرصاص في كروم الزيتون وصوت إرتطامه بالبحر لا بد ان يشكلا رادعاً فعالا. وجرفه اعجابه بنفسه وبألمعيته بعيداً فنسي ان يخبر احداً منا عن الفخ الذي نصبه للصوص.

وذات ليلة خيّم فيها الصمت ولزم الجميع غرفهم، هزت المنزل فجأة سلسلة من الانفجارات المتتالية. إنه لسلي يجرّب الفخ. لكن الوالدة التي لم تكن تعلم شيئاً عن الفخ، ظنت ان مارغو لا بد اقدمت على الانتحار، فاندفعت من غرفتها وهي في ثياب النوم الفضفاضة، تصرخ وتولول باهتياج. ولاري بدوره هرع الى الخارج مستطلعاً سبب تلك الجلبة التي حسبها شجاراً.

اما مارغو فهجمت على باب العلية وهي تصرخ، وراحت تدفعه، متلمسة موضع القفل بارتباك وفي اعتقادها ان بيتر عاد ليطالب بها وانه يتعرّض لمجزرة على يد لسلي.

وسمعت امي تقول وهي تنتحب: "لقد قامت بعمل احمق... لقد قامت بعمل احمق." ودوى صوت لاري مزمجراً: "لا يمكن احداً ان ينام بسلام في هذا البيت! هذه العائلة تدفعني الى الجنون!"

وسمعت خربشة مارغو على باب العلية واتى صوتها باكياً ثاقباً وهي تصرخ: "لا تؤذوه... دعوه وشأنه ايها الجبناء!"

"اخرجوني من هنا!"

وامتزج صراخ مارغو بصراخ الوالدة التي اندفعت الى العلية وهي ترتجف وتولول: "انها على قيد الحياة... ما زالت على قيد الحياة" ثم دفعت الباب ووجدت نفسها وجهاً لوجه مع مارغو التي لم تكن لتقل عنها شحوباً وانفعالا. وبعد وقت غير قليل من الهرج والمرج، إتضحت الحقيقة وعندما استوعبت الوالدة ما جرى انهالت على لسلي توبيخاً وتأنيباً، وهي قالت له: "على الاقل أعلمنا يا عزيزي عندما تطلق النار." فقال بسخرية: "بالطبع، اصرخ "خشب" او اي شيء آخر."

وكان من نتيجة هذا الحادث العرضي ان تخلّت مارغو عن العلية وما لبثت ان عادت، قدر الامكان، الى طبيعتها الأصلية.

إنقضى الخريف وحل الشتاء وامتلأ الريف باوراق الشجر الذهبية والقرمزية. واستفقنا ذات صباح لتطالعنا رؤوس

الجبال الخمرية اللون من وراء البحر وهي تعتمر قبعات من الثلج الابيض. إنه موسم الصيد ولسلي في اسعد حالاته. وقد درج على الذهاب الى البرّ في رحلات صيد مع زمرة من الصيادين المتحمسين امثاله.

وكانوا يصطادون الطيور والخنازير البرية. وذات يوم عاد لسلي من احدى رحلات الصيد منتفخاً بالغرور واخبرنا بتباه انه، وللمرة الاولى، اطلق عيارات "يميناً ويساراً" مسقطاً مع كل طلقة طيراً.

قالت الوالدة، وهي تنتف بطة لتحضرها للعشاء: "عظيم. لا بد انه كان صعباً."

فتساءل لاري: "لا افهم لماذا هو صعب."

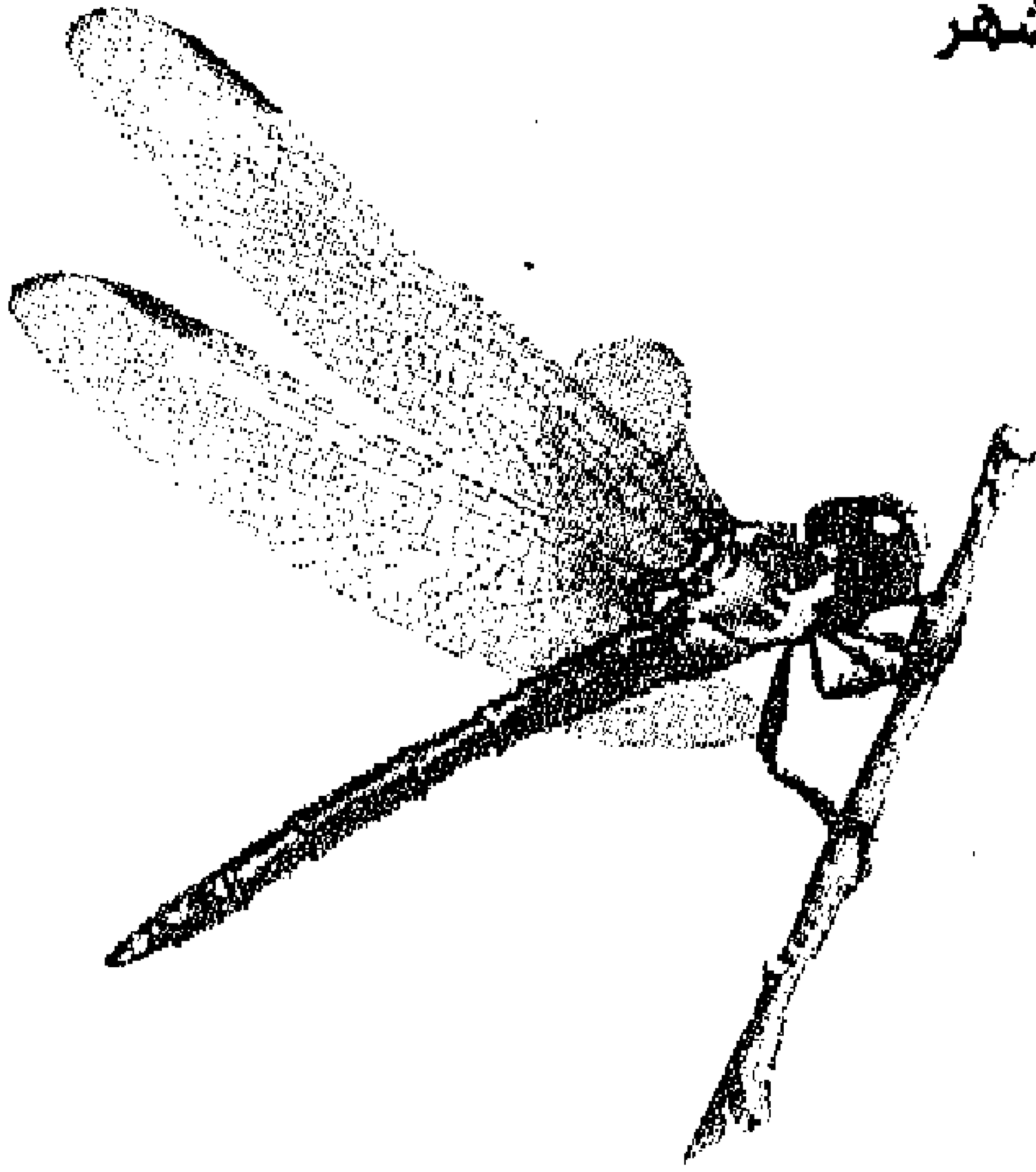
حملق لسلي بلاري مغضباً. وبعدما كان على اهبة الانطلاق مجدداً في وصف المشهد، توقف فجأة وسأله باستفزاز:

"لا تفهم؟ وماذا تعرف انت عن هذا الموضوع؟ انك لا تستطيع ان تصيب شجرة زيتون على بعد ثلاث خطوات منك."

وبصوت تغمره السلاسة والتملّق اجابه لاري: "يا صديقي العزيز، إن الامر لا يتعدى التصويب الصحيح. وهذا يبدو لي امراً سهلا."

فاجابه لسلي بتحد: "ما دام الامر سهلا ارنا نفسك تطلق يميناً ويساراً على الشنقب في المستنقع غداً."

قبل لاري التحدي وقال وهو يتنهد: "انا لا اجد متعة في قتل الطيور التي تبدو معاقة منذ ولادتها. ولكن بما ان الامر



متعلق بكرامتي، فلا مناص من التضحية بها."

انهمر المطر طوال الليل وعندما انطلقنا في الصباح الباكر لنشاهد لاري يقوم بعمله البطولي، اضطررنا الى ان نخوّض في الوحل. شكّ لاري، احتراماً للمناسبة، ريشة ديك رومي في قبعته المصنوعة من قماش التويد وبدا فيها اشبه بروبن هود صغير وبدين. وهو لم ينقطع عن التذمر والشكوى طوال الطريق المؤدية الى المستنقع. فالطقس بارد والارض زلقة والبندقية ثقيلة الوزن ولا اظن ان هناك طائراً يتمتع بقواه العقلية كاملة يخرج في مثل ذلك النهار. لكن لسلي استحثه ببرود، على متابعة الطريق.

كان المستنقع ارضاً مسطحة تستخدم في فصل الصيف للزراعة. وكانت تتخللها خنادق متصالبة للري اعمق من ان يقطعها المرء سيراً واعرض من ان يقفز فوقها. وهي طفحت بقرابة مترين من الوحل وبمتر ونصف متر من الماء. واقيمت فوقها جسور من الواح خشبية ضيقة، هزيلة، متداعية.

ما كدنا نعبر الجسر الاول حتى سمعنا خرخرة ثلاثة شناقب زوّمت كالطائرة من تحت اقدامنا. رفع لاري البندقية الى كتفه وضغط الزنادين معاً. لكننا لم نسمع دوياً. فقال لسلي يزهو المنتصر: "من المستحسن ان تلقمها!" فرد عليه لاري بحدة: "اعتقدت انك انت فعلت ذلك،" ثم لقمّ البندقية وتابعنا تقدمنا.

وقع الحادث في منتصف الجسر الثاني الذي راح يترنح تحت قدمي لاري. وفيما هو يعبره، انطلق من العشب النامي في الجهة المقابلة من الجسر، شنقبان كالصاروخ. رفع لاري البندقية الى كتفه واطلق "ضربين" فارتدت البندقية وصرخ لاري برعب وهوى الى الوراء مستقراً في خندق الري. اما الشنقبان فتابعا تحليقهما من دون ان يمسهما اذى.

صرخت مارغو بذعر: "لا تحاول الوقوف وإلا غرقت!"

لكن لاري الذي استلقى في الخندق باسطاً ذراعيه، لم يأبه لتحذيرها. فكرة وحيدة سيطرت على ذهنه وهي الخروج من الخندق. جلس في الوحل وحاول ان ينهض مستنداً الى ماسورة البندقية الامر الذي احزن لسلي وازعجه. وما ان رفع لاري جسده حتى ارتجّ الوحل حوله وارتفع الى خصره مبتلعاً البندقية.

فاحتج لسلي بحنق: "انظر ماذا فعلت بالبندقية!" فرد عليه لاري مزمجراً: "أرفض ان انقذ البندقية ما لم تنقذني. اللعنة... اخرجوني من هنا!".

فصرخ لسلي في وجهه: "دعني امسك بطرف البندقية وبذلك يسعني ان اخرجك ايها المعتوه."

باهتياج وتململ مد لاري يديه في الوحل متلمساً مكان البندقية. غاص عدة سنتيمترات اخرى قبل ان يعثر عليها ويخرجها ملطخة بوحل كريه الرائحة.

وعلق لسلي على الامر كمن يندب حظه: "انظروا اليها!"

قال لاري: "كف عن البكاء على تلك البندقية الملعونة واخرجني من هنا!" فتناول لسلي طرف البندقية ورحنا جميعنا نشد معاً بكل ما اوتينا من قوة.

اخيراً سمعنا صوت تجشؤ آتياً من الوحل واندفع لاري الى السطح وقد تغطى بطبقة من الوحل الاسود النتن. سحبناه الى الضفة حيث وقف كتمثال من الشوكولاته خرج لتوه من أتون.

سألته مارغو: "هل انت على ما يرام؟"

فاجابها لاري بتهكم: "بخير ولولا طرف من ذات الرئة والتواء في الظهر وفردة حذاء في قعر خندق يزيد عمقه على عمق قامتي خمس مرات، لكنت في افضل حالاتي!"

رسمت خطوات لاري في المنزل لدى عودتنا اليه، خطوطاً جعلت الارض تبدو كحقل محروث. وهو رفض اي مساعدة من الوالدة وتناول من خزانة الطعام زجاجة شراب، وبمقدار ما سمح له الظرف من كرامة ووقار، انسحب الى غرفته ونام.

قالت الوالدة: "سوف يشعر بتحسن في الصباح،" لكنه لم يكن في الصباح التالي عند حسن ظنّها.

جلسنا ذات يوم ربيعي منعش في الشرفة نقرأ ما ورد علينا من بريد، وفجأة

صرخت الوالدة: "بحق السماء!... كلا... يا الهي!"

- ما الامر؟

- إنها العمة هيرميون. فهي كتبت الآتي: "بما انكم تقيمون في منزل ضخم، فلن تبخلوا بالتأكيد على عجوز مثلي بزاوية منه تمضي فيها ما تبقى لها من ايام."

والعمة هيرميون التي ظلت طوال الاربعين السنة الاخيرة تعتقد انها تعيش ايامها الاخيرة، هي على حدّ تعبير لاري "الشخص الأقل شعبية بين جميع اقاربنا العجائز المتحجرين والمختلي الإدراك." وهو شرح الامر للوالدة بغضب وقال: "في الواقع يا امي انني كنت اتطلع الى صيف هادىء لطيف امضيه برفقة عدد قليل من الاصدقاء المختارين ولكن سوف نتعرض للغزو من اقارب غريبي الاطوار مهووسين، والامر الوحيد الذي يمكن ان نفعله هو الانتقال الى دارة اصغر حيث لا متسع لأحد منهم."

فردت عليه الوالدة: "ولكن يا عزيزي، سوف يبدو الامر في منتهى الشذوذ إذا استمررنا ننتقل في الجزيرة من دارة الى اخرى."

كانت الدارة الجديدة بيضاء كالثلج وبدت وسط حقل الزيتون الذي احاط بها هرمة متداعية انما في غاية الاناقة والروعة. ومما زادها سحراً في عيني انني وجدت على مصراع النافذة في إحدى الغرف وطواطاً يسقسق بحقد اسود. لكنه، ولسوء الحظ، وجد، عندما انتقلنا الى الدارة، ان المكان اصبح مكتظاً فقرر الذهاب.

على بعد اقل من كيلومتر من الدارة، ارتفعت تلة كبيرة، الى حد ما، وجدتها ملائمة لصيد السحليات. وذات يوم صيفي في تلك التلة تسلقت شجرة زيتون عتيقة، وفي مكان عال بين الاغصان وجدت اربعة من صغار الغربان. اعترف بان منظرها لم يكن جميلاً او جذاباً. رؤوسها صلعاء، جلدها مغضّن متهدل. قررت ان آخذ إثنين واترك الاثنين الآخرين لأمهما. حملت طائري المدللين الجديدين وقد بدا بطناهما مثل بالونين منفوخين، وتوجهت بهما الى البيت. استقبلهما افراد الاسرة، كل بطريقته.

"اليسا لطيفين؟" تساءلت مارغو.

"انهما يثيران الاشمئزاز" لاحظ لسلي.

ولأن احداً لم يجد لهما اسمين مناسبين، فقد صرنا نشير اليهما بكل بساطة بكلمة "العقاعيق" اي الغربان المبقعة الطويلة الذيل. ووصف لاري العقاعيق بانها لصوص بالسليقة. واضاف: "يجب ان نزوّد غرف المنزل بنادق ونضع على ابوابها حرساً مسلحاً." لكنني قطعت وعداً للعائلة بالا اسمح لطائري بممارسة السرقة فسُمح لي بالاحتفاظ بهما.

سار كل شيء على ما يرام، الى ان تعلم الغرابان الطيران. وبعدما اتقنا هذا الفن رسما خريطة المنزل غرفة غرفة واصبحا جاهزين للسرقة. والحقيقة انهما بدوا انيقين في حلّتهما السوداء والبيضاء وهما يتنقلان في الدارة.

اكتشف الطائران ان افضل مكان هو المطبخ. وتأكد لهما، من حرارة استقبالي لهما في غرفتي، انهما دائماً على الرحب

والسعة فيها. اما الوالدة ومارغو فما فتئتا تذكّرانهما كلما زاراهما بما هو ممنوع عليهما فعله، وهما وجدا ذلك مملا. ومع ان لسلي سمح لهما بزيارته شرط الا يتخطيا عتبة النافذة، الا انهما امتنعا عن دخول غرفته بعدما انطلقت البندقية مصادفة. بقيت غرفة لاري تلك الأرض المحرّمة التي اسرتهما واثارت فضولهما، وهما لم يتسنّ لهما حتى التفرّج عليها إذ كانت تنهال عليهما القذائف والصواريخ بمجرّد اقترابهما من النافذة. وكان صوت لاري يعلو مزمجراً.

والظاهر انهما خلصا الى ان لاري يخبىء شيئاً ما وإلا لماذا قابلهما بكل تلك الجلبة؟ واخذا على عاتقهما كشف هذا الشيء. واتيحت لهما الفرصة بعد ظهر يوم احد عندما ذهب لاري للسباحة ونسي ان يغلق نافذة غرفته.

على رغم ان العقاعيق هي في العادة ثرثارة صاخبة، إلا ان هذين الطائرين نفّذا غارتهما بصمت. فقد تناوبا الحراسة على حافة النافذة، حسب رواية لاري. والواقع ان هذا رأى من بعيد احدهما على عتبة النافذة فصرخ فيه بغضب. قوقى الطائر بذعر وانضم اليه رفيقه وطار الاثنان الى شجرة مغنوليا وهما يقوقيان بصوت أجش كأنهما تلميذان ضُبطا وهما يغيران على بستان. فاندفع لاري الى البيت بغضب وصعد الى غرفته جرياً وجرّني معه. وما ان فتح الباب حتى اطلق عويلا اذ رأى كوماً من اوراق الطباعة المخرّمة بجاذبية وإتقان مبعثرة على الأرض هنا وهناك. وكحصان انتزعت احشاؤه في حلبة مصارعة الثيران، تمدّدت آلة لاري الكاتبة بشريطها الملتف المتدلي ومفاتيحها الموشّحة بقطرات من الروث. وظهر جلياً ان الطائرين اشتبها بان لاري مهرّب مخدرات، فسكبا محتوي علبة من بيكربونات الصودا على صفٍّ من الكتب. وظهرت على الطاولة وعلى إحدى المخطوطات، خصوصاً على المخدّة، رسوم فنية نفّذتها بالحبر الاحمر والاخضر اقدام صغيرة تركت اثاراً حمراء وخضراء، وهما اللونان المفضلان لديهما، على ما يبدو، لان زجاجة الحبر الأزرق لم تمس.

قال لاري بغضب: "لقد طفح كيلي."

فبيّنت له انه لا يمكنه ان يلقي اللوم على الغرابين لانهما، كبقية الطيور، تثير اهتمامهما كل الاشياء. وهما لا يستطيعان كبح غريزتهما.

فرد: "الناحية الاخلاقية لدى العقاعيق لا تهمني!" واضاف متوعداً: "انني احذرك، فإن لم تتخلص من هذين الحيوانين المتوحشين او تحتجزهما فسوف اقطعهما إرباً!"

الكلب المتغندر

ساعدني احد اصدقائي على صنع قفص من الاسلاك لاضعهما فيه. وعندما ادخلتهما القفص ثارت ثائرتهما، لكنهما، وبنتيجة احتجازهما، اصبحا يكرسان مزيداً من الوقت لدروسهما. وبفضل لغتهما اليونانية المتينة بات في وسعهما ان يناديا كل فرد من العائلة بإسمه مما اربك الجميع وشوشهم.

في غضون ذلك، زاد عدد سكان الدارة من الكلاب. ولمناسبة عيد مولدي، اهدت الي إحدى عائلات الفلاحين الذين

عرفتهم، جروين احدهما اسود بلون الفحم والثاني أبيض مرّقط ببقع بلون الكبد. ومع ان اقتراح لاري ان نسميهما "وِدل" و"بيوك" اثار قرف والدتي وإشمئزازها، إلا ان الاسمين التصقا بهما. ثم جاءت "دودو،" وهي مخلوقة ذات مظهر مضحك الى درجة ان العقعاقين لم يصدقا انها من فصيلة الكلاب واصرّا على معاملتها بازدراء وتعالٍ. لقد كانت سليلة نوع من الكلاب تعرف باسم "داندي دنمونت" (وهو اسم احد ابطال رواية "غي مانيرينغ" للسير وولتر سكوت) وبدت كبالون مستطيل سمين، كثيف الشعر، ذات قوائم صغيرة مقوّسة وعينين جاحظتين واذنين طويلتين متدليتين. لقد وفدت الينا بصحبة الوالدة التي عادت بها ذات يوم من عند اصدقاء لها.

هتفت مارغو: "اليست لطيفة؟"

فقال لسلي: "يا الهي إنها تبدو كالبزاقة." وسأل لاري والدته وهو يحدق الى الكلبة باشمئزاز: "هل تعرّضت لحادث ما أم انها ولدت هكذا؟" فردت عليه الوالدة: "كفوا عن هذا الهراء إنها كلبتي واحبها."

وسرعان ما اكتشفنا ان دودو كانت ذات ذكاء محدود جداً وان رأسها لم يكن ليتسع لاكثر من فكرة واحدة تتشبث بها بضراوة بمجرد ان تستقر في رأسها. وفي وقت مبكر من إقامتها بيننا، قررت ان والدتي تخصّها وحدها وهي لذلك لن تدعها تغيب عن نظرها وان للحظة واحدة. ثم التصقت بها كالبطلينوس ولم تعد تفارقها.

إذا قامت والدتي لتتناول كتاباً،



لحقتها دودو، وإذا دخلت الحمام، جلست دودو قرب المغطس حزينة كئيبة تحدّق اليها على نحو محرج. وبدا ان لديها انطباعاً بان والدتي ربما هربت من خلال المصرف.

في البدء قوبلت دودو من روجر وودل وبيوك بتسامح ساخر، اذ اعتبرت إضافة مضجرة الى افراد العائلة الى ان اكتشفت هذه الحيوانات ان الاضافة تتميز بخاصة مبهجة وهي انها تصاب بالنزاء، اي الاهتياج الجنسي، بانتظام رتيب.

اما دودو فاظهرت، حيال حقائق الحياة، براءة تمس شغاف القلب وبدت فعلا حائرة بسبب الهبّات المفاجئة في شعبيتها، وربما بسبب تلك البراءة وقعت دودو فريسة سهلة لسحر رموش بيوك الرائعة. وهي واجهت قدَراً اسوأ من الموت يوم وضعتها الوالدة مع بيوك في غرفة الاستقبال.

وفوجىء الجميع، بعد حين، ودهشوا عندما ابصر النور، نتيجة ذلك اللقاء، مخلوق غريب كالكبتولة راح يموء ويبكي كالاطفال. وقد ورث عن امه بنيتها وعن ابيه لونه المميز وبقعه الغريبة.

كادت دودو ان تصاب بانهيار عصبي بسبب الامومة، فهي تمزقت بين رغبتين: واحدة تدعوها الى البقاء مع الجرو في مكان واحد، واخرى تدفعها الى الالتصاق بالوالدة. وما لبثت في النهاية ان توصلت الى حل وسط فراحت تتبع الوالدة، من مكان الى آخر، حاملة الجرو، من رأسه، في فمها. ولدى صدور ادنى حركة من الوالدة، كانت دودو، المتأهبة دوماً، تلتقط الجرو (من رأسه) وتبدأ المطاردة.

وذات مرة قال لاري معلقاً على الوضع: "إذا استمرت الحال هكذا طويلا، فلن يلبث هذا الجرو ان يتحول زرافة."

فردت عليه والدته: "اعلم ذلك ولكن ماذا في وسعي ان افعل؟"

والواقع ان الحل كان بسيطاً، اذ استخدمت الوالدة فتاة تدعى صوفيا، وهي احدى بنات الخادمة، لحمل الجرو تخفيفاً عن دودو. وهكذا عادت الوالدة تتنقل في المنزل بحرية من غرفة الى اخرى ودودو في اثرها وصوفيا في المؤخر حاملة الجرو على وسادة.

اعتادت الوالدة أخذ الكلاب في نزهة الساعة الخامسة بعد الظهر. وكان الموكب يتألف من كبير الكلاب روجر الذي كان يسير في المقدم يتبعه ودل وبيوك ثم الوالدة التي اعتمرت قبعة ضخمة من القش جعلتها تبدو كنبتة فطر متحرّكة. اما دودو فكانت تسير متهادية وراء الوالدة وعيناها جاحظتان. اما صوفيا فكانت تحتل مؤخر الموكب وهي تحمل الجرو على وسادة.

اصطحبت الكلاب ذات يوم في رحلة استكشاف الى قناة بالقرب من البحر. وهناك وجدنا بين العشب مصادفة حيّتين مائيتين بنّيتين ملتفتين واحدتهما على الاخرى بحب وهيام. فراحتا تحدّقان الينا بعيون فضّية. يا لها من لقية مثيرة، ولطالما تمنيت ان اعثر على حيّة من ذلك النوع، وها هما الآن اثنتان في الشمس امامي وما علي إلا ان التقطهما.

رفعت الاولى على قضيب وما ان فتحت فمها الوردي وراحت تهس، حتى طوّقت عنقها بيدي وبرقة متناهية وضعتها في السلة. في تلك الاثناء انسلّت الافعى الثانية الى القناة فنزعت حذائي وغطست في الماء الدافىء وراءها شعرت بالطين بين اصابع قدمي وفجأة احسست بجسم ينزلق تحت قدمي وما لبثت الحية ان اندفعت الى سطح الماء على مسافة نحو متر مني.

اطلقت صرخة انتصار ورميت بنفسي فوق الافعى وقبل ان يتسنى لها ان تستجمع قواها وتعضني. باغتها بأن اطبقت يدي حول عنقها وعدت الى الشط مخوّضاً.

فوجئت لدى خروجي من الماء بان رجلا يجلس على الشاطىء كان يتسلى بمراقبتي. كانت عيناه زرقاوين كبيرتين فيهما بريق لطيف، وانفه قصير اشبه بمنقار صقر. حسبته صياداً وهو حيّاني بصوت صاف عميق وقال: "بصحتك." فرددت التحية بمثلها وانا اضع الحية الثانية في السلة.

أخرج الرجل بعض التبغ ولفّ سيجارة واشعلها ثم قال: "اني ذاهب الى البحر وفي زورقي بعض الكوكل. في وسعك ان تأخذ بعضها إن شئت."

أجبته ان ذلك يسعدني جداً ومشيت معه الى الزورق. وفي الطريق سألته من اين جاء فاجابني: "من التلال، ولكنني الآن في فيدو." حيّرتني إجابته ففيدو هي الجزيرة - السجن هنا.

لاحظ الدهشة في عيني فربت على روجر وقال موضحاً: "هذا صحيح، فانا سجين لكنني سجين جدير بالثقة ولذلك يسمح لي بان اذهب الى منزلي بالزورق في نهاية الاسبوع."

كل شيء جائز في كورفو، قلت في نفسي. ولاحظت في مؤخر الزورق نورساً ضخماً اسود الظهر له منقار معقوف وعينان صفراوان ضاريتان، وقد ربطت ساقه الصفراء بمقعد. تقدّمت نحوه خطوة ومددت له يدي. فصرخ بي الرجل بالحاح: "انتبه، انه شرس متنمر." لكن الطائر الضخم سمح لي بان امسّد ريشه الناعم كالحرير.

وفيما نحن جالسان في الزورق نأكل المحار اخبرني الرجل انه امسك بالطائر في البانيا وكان ما زال صغيراً رقيق الزغب. واضاف: "اما الآن فانه بطة سمينة بشعة مفترسة. هل ترغب فيها؟"

بالطبع ارغب فيها! والواقع انني كنت على استعداد لان اضحي باي شيء في سبيل نورس مثله. شكرت الرجل بحرارة وقبل ان يغيّر رأيه، حملت السلة التي وضعت فيها الحيتين واستعددت للانطلاق الى البيت حاملا آخر غنائمي. اما كيف ستستقبل العائلة طائراً بحجم الوزّة له منقار كالموسى، فمسألة لم تخطر في بالي.

فكّ الرجل الحبل وحملت الطائر تحت إبطي. قال لي الرجل وهو يودعني: "ان اسم الطائر "اليكو" وهو يلبيك إذا ناديته باسمه."

وبكثير من العفوية سألته عن إسمه ولماذا هو في السجن.

"اسمي كوستي، وقد قتلت زوجتي."

أجابني هكذا وصعد الى الزورق وراح يجذف مبتعداً.

سار كل شيء على ما يرام. وفي طريق العودة الى البيت توقفت تحت شجرة تين لارتاح. ويبدو ان المكان راق "اليكو" لانني عندما هممت بالسير، افهمني بوضوح انه يود البقاء حيث هو فاطلق صراخاً عالياً مزعجاً. تجاهلت احتجاجه العنيف وحاولت حمله فما كان منه الا ان فاجأني بضربة سريعة من منقاره اصابت يدي فشعرت كأنها شُرطت بمعول للثلج وظهر فيها جرح بليغ عمقه خمسة سنتيمترات راح يتدفق منه الدم بغزارة.

بدا اليكو، بعد ذلك الهجوم، راضياً معتداً مما اغاظني وافقدني صبري فانهلت عليه بشبكة صيد الفراشات وهجمت عليه وامسكت بمنقاره بشدة وربطته بمنديلي ثم نزعت قميصي ولففته حوله مقيّداً جناحيه المتخبطين. اخيراً لملمت اغراضي بانفعال وغيظ وحملت اليكو وتوجهت به الى البيت.

في المنزل، أوثقت الحيتين موقتاً في مكتبي ثم حملت اليكو الى غرفة الاستقبال. بدأت بفك وثاقه، فجعل، على رغم الكمامة الملفوفة حول منقاره، يطلق صرخات مخنوقة شبيهة بصوت البوق، الامر الذي اثار افراد العائلة فهرعوا الى مصدر الصوت مستطلعين.

كان لاري اول السائلين: "من تراه ذا الذي يعزف الآن على مزمار القربة؟"

رمقه اليكو ببرود واستخفاف ثم اطلق صرخة فظة عنيفة وتقدم منه بضع خطوات جعلت لاري يتراجع بسرعة وهو يصرخ: "يا الهي! ما هذا؟"

اما لسلي فابدى اعجابه به: "ما اضخمه!"

وسألت مارغو: "هل هو نسر؟"

الحقيقة ان جهل عائلتي بعلم الطيور كان دائماً مصدر إزعاج لي. وبعصبية شرحت لهم انه نورس اسود الظهر. ولمزيد من الايضاح نزعت المنديل المربوط حول منقاره. فارتعد بسخط وفتح منقاره واطبقه عدّة مرات مطلقاً فرقعة حادة كصوت الجلد بالسياط.

قال لاري بجزع: "اسمع هذا! إنه يصر باسنانه!"

فرد لسلي: "ليست له اسنان."

ثم توجه لاري الى والدته: "حسنا، إنه يصر بشيء ما. آمل انك لن تسمحي له بالاحتفاظ به."

في تلك اللحظة لاحظت دودو، للمرة الاولى، وجود اليكو بيننا. فتقدمت منه متهادية وقد جحظت عيناها فضولا وراحت تشمشمه. فانقضّ عليها اليكو بمنقاره كالبرق، ولو لم تدر رأسها في اتجاهي استجابة لصرخة الذعر التي اطلقتها لكانت خسرت شريحة لا بأس بها من انفها. لكنها لم تسلم تماماً، فهي تلقت لطمة جانبية على رأسها جعلتها تعوي مما اعطى اليكو انطباعاً بان مباراة صوتية تجري فبذل اقصى جهده ليتفوّق عليها في الصياح.

وفيما انصرفت الوالدة ومارغو الى تدليل دودو، كي تهدأ وتصمت، انشغل اليكو بتزيين الارض بسخاء ومن دون حساب وراح يهزّ ذنبه بخيلاء وتباه كمن اتى عملا فذّاً وعيناه تراقبان دودو.

قال لاري: "انه لشيء جميل! والآن علينا ان نخوّض في البيت يغمرنا الغوانو، (سماد طبيعي من ذرق الطيور البحرية) حتى الخصر. اننا لن نسمح بذلك."

حملت اليكو الى الشرفة وربطته بحبل بحيث يستطيع التحرك وهو مقيّد وتركته هناك ريثما انتهي من تقسيم القفص بين الغرابين والنورس.

ذلك المساء اخبرت العائلة، ونحن حول مائدة العشاء، عن لقائي وكوستي الذي اعطاني الطائر. "ومن يكون كوستي هذا؟" سألني لاري. فاجبته بعفوية "انه نزيل السجن." وهنا تدخلت الوالدة وقالت: "لست على يقين يا عزيزي ان فكرة معاشرتك سجيناً تروقني. إنك لا تعلم ماذا فعل."

جبهتها بما اعلم وقلت لها انه قتل زوجته.

"إنه قاتل إذاً!" قالت الوالدة بانشداه وقد بدا عليها الذعر.

"بالطبع إنه قاتل. لقد علمت ذلك لتوك." قال لاري.

"ولكن كيف علمت بهذا يا عزيزي؟" سألته الوالدة بفضول.

"بسيطة، ليس سوى قاتل يعطي جيري مثل ذلك الوحش المفترس" قال لاري وهو يتنهد ويبتسم باستنكار وشماتة.

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

اسبوعية نسائية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت :



- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

ساد الدارة جو من النشاط والحركة وبدأت سلال النتاج وافواج الدجاج تصل الى المنزل من الباب الخلفي. وسرعان ما بلغت العدوى الغرابين فراحا يطلقان اصواتاً حادة ويتفوهان بكلام خشن عن أهل البيت الذين كانوا يتدافعون بسرعة واهتياج. وكانت الوالدة في المطبخ تبدو كأنها في جوف بركان، فكيفما اتجهت سحب من بخار ونار متقدة وفقفقة قدر وصفير ماء يغلي. ولم يبق فرد في العائلة الا قام بعمل مفيد ما عدا لاري الذي استسلم للنوم في الطبقة العليا. كان الجميع يعدون لوليمة غداء صغيرة.

كل شيء سار حسناً حتى صباح يوم الحفلة حين اخذت الامور تسوء. فبادىء ذي بدء، اكتشفت الوالدة ان دودو اختارت ذلك النهار لتصاب بالنزاء، فاستأجرت فتاة من الجزيرة واوقفتها في الباب وزوّدتها مكنسة وتعليمات لطرد جميع "طالبي يد دودو."

وقبيل وصول اول المدعوين، لاحظت ان حوض التنك الذي يضم الحيّتين قد نقل من مكانه ووضع تحت اشعة الشمس الحارقة وكانت الحيتان طافيتين مترهلتين على وجه الماء وبدتا على آخر رمق لا ينقذهما سوى اسعافات اولية سريعة. فحملتهما، بعدما حصلت على إذن من أمي، الى حمّام في الطبقة العليا حيث وضعتهما في ماء بارد منعش. وسرعان ما عادت اليهما الحياة.

عدت الى الشرفة كي القي نظرة على المائدة. فرأيت العقعاقين يتمايلان برفق من جانب الى آخر في وسط ما كان نسقاً من الأزهار جذاباً جداً وُضع في منتصف المائدة لتزيينها. لقد هربا من القفص! تفصدت عرقاً بارداً وانا اتفحص المائدة. على غطاء المائدة، بالطول والعرض، آثار قوائم رُسمت بالزبدة. الملح والفلفل استخدما بفاعلية وتأثير لتزيين ما تبقى من ملء سلطانية من صلصة التوابل. اما ابريق الماء فقد أُفرغ فوق كل شيء مضفياً على المائدة تلك اللمسة المميزة التي يصعب تقليدها: لمسة العقاعيق!

الى كل ذلك، كان في "المجرمين" شيء غريب. كانا يتمايلان بايقاع منتظم بين بقايا الأزهار الممزقة. ثم قفز احدهما الى الطاولة وراح يمشي على حافتها مترنحاً ومحدقاً الي بنشوة عارمة، وكأنه سابح في عالم آخر، قبل ان يهوي الى الارض. فاسرعت اليهما وحملتهما واعدتهما الى القفص. وهناك اكتشفت ان ما خشيت حدوثه قد حدث. فاليكو ايضاً اغتنم الفرصة وهرب. فتشت عليه في كل مكان ولكن من دون جدوى. لا بد انه ذهب الى البحر ليستحم.

في تلك الاثناء، كان وصل بعض المدعوين وجلسوا يحتسون الشراب على الشرفة حيث كانت تنشب بين الحين والآخر معارك ضارية بين "خطّاب" دودو من الكلاب المزمجرة. وكانت امي بعد كل مقاطعة من هذا النوع، تعاود الحديث وقد رسمت على وجهها ابتسامة مشرقة. وكانت فعلت ذلك ثلاث مرات قبل ان تدوي في البيت فجأة زمجرة هائلة ظهر على اثرها لسلي متدثراً بمنشفة صغيرة وهو يقوم بحركات عصبية من يديه

يرافقها صراخ واهتياج: "١٠٦ حيات! ذلك الولد اللعين ملأ البيت بالافاعي الدامية!"

فقالت له والدته، "لفتك يا عزيزي، لغتك" وذكّرته بضرورة حسن انتقاء الالفاظ واضافت وهي شاردة الذهن: "قد تتعرض للبرد اذا بقيت هكذا."

"حيات لعينة كخراطيم المياه،" تمتم لسلي وهو يختفي في الداخل متشبثاً بالمنشفة التي كادت تنزلق عن جسده. اما الوالدة فشرحت الامر للضيوف وافهمتهم ان الافاعي تعرّضت لضربة شمس.

فرد لاري: "هذا البيت خطر كشرك الموت!" واضاف: "في البدء هاجمتني العقارب، ثم تعرّضت غرفتي للهجوم من عقاعيق عاثت فيها تخريباً وتمزيقاً، وتجوب المنزل اسراب من طيور القطرس وهي ترفرف باجنحتها..."

فقاطعته الوالدة: "نعم" ثم توجهت الى الضيوف قائلة: "هلا جلسنا الى المائدة؟"

توزّع الضيوف حول المائدة يتبادلون الابتسامات. وفجأة هبّ إثنان وهما يصرخان بذعر وقال احدهما:

– "شيء عضّني... في ساقي."

على الفور نهض لاري وحذر الحضور: "لا تتحركوا، إبقوا في اماكنكم من دون حراك إلا إذا كنتم تفضلون ان تقطع ارجلكم من الركب!" لكن تحذيراته ذهبت ادراج الرياح إذ هبّ الجميع على نحو جماعي، كأنهم جسد واحد، وغادروا المائدة.

انطلقت صرخة اليكو من تحت الطاولة ثاقبة، مهدّدة، متوعدة. فرفعت الغطاء ونجحت في الامساك بمنقاره ثم كبّلت جناحيه وعدت به الى القفص وهو يصيح ويشتم. بعد ذلك عاد الجميع الى المائدة.

تدرّجنا من صنف فاخر الى آخر على موسيقى طقطقة الشوك والسكاكين وقرقرة الشراب وهو يسكب في الكؤوس. اكلنا حتى انتفخنا ثم انتقلنا الى غرفة الاستقبال ورحنا نتبادل الاحاديث على نحو متقطع، مفكك، حالم. في تلك الاثناء قررت دودو وقد اضجرتها الحفلة، ان تخرج الى الحديقة لتطارح الطبيعة العواطف والاحلام. ولشد ما كانت خيبتها عندما وجدت في استقبالها مجموعة من الكلاب الشرسة امضت يوما شاقا ملتهباً في محاولات يائسة للتعرف إليها وهي لم تكن على استعداد للتخلي الآن عن تلك الفرصة الذهبية.

دارت دودو على عقبيها وهرولت عائدة الى المنزل وهي تعوي بذعر وتبعتها على الأثر الكلاب مزمجرة، لاهثة، مستنفرة. اثار المشهد الرعب في نفوس روجر وودل وبيوك، ومع ذلك شعرت هذه انه ان كان لأحد ان يغوي دودو فيجب ان يكون واحداً منها فهي أحق فيها من اي كلب غريب شارد. وباندفاع وحيوية القت الكلاب بانفسها في المعركة وهاجمت مطاردي دودو. وخلال دقائق تحوّلت الغرفة كتلة مختلطة من الكلاب المتحاربة والضيوف المتدافعين بجنون محاولين تفادي العضّ. قال لاري وهو يقفز الى كرسي برشاقة وخفة:

"إنها ذئاب... ومعنى هذا ان الشتاء سوف يكون قاسياً."

فخرج لسلي صارخاً في الكلاب: "إلزمي الهدوء!" ثم تناول وسادة قذفها بها اقرب زمرة من الكلاب المتحاربة فالتقطتها ومزّقتها ناثرة في الجو سحباً من الريش المتطاير.

وهتفت مارغو: "اوقفوا هذه المجزرة اوقفوها!" وتناولت مشعباً للصودا وراحت ترش الضيوف والكلاب على السواء من دون تمييز او تحيّز!

اخاف هذا العمل الكلاب لسبب ما، فولّت الادبار مخلفة وراءها اشلاء مبعثرة ومنظراً يحبس الانفاس. اما الضيوف فراحوا يدورون في الغرفة بغير نظام او هدف كقطعان الماشية وقد اكتسوا بطبقة من الريش الذي التصق بثيابهم المبللة. واما الوالدة فحملت دودو بين ذراعيها ووقفت تعاين المشهد ثم قالت برقة: "اني آسفة لما حدث. انها دودو، فهي تثير اهتمام الكلاب الآن."

الوداع

عندما ابلغ آخر معلم خصوصي الى الوالدة انه لم يعد لديه شيء يعلّمني إياه وان الوقت حان لارسالي الى انكلترة من اجل متابعة دروسي، وافقت في الحال.



ولم يكن نقاشي معها مجدياً، على رغم تأكيدي لها انني افضل ان اكون نصف متعلّم إلا انها اصرّت على رأيها ولم تتزحزح عنه.

حزمنا امتعتنا وحضرنا اقفاصا جديدة للسلاحف والطيور ووضعنا اطواقاً جديدة حول اعناق الكلاب واستعددنا للرحيل. ووداعا للجزيرة واهلها قمنا بنزهات اخيرة بين حقول الزيتون وجلنا على الاصدقاء الكثر وبكينا ونحن نودعهم وهم بكوا كذلك. ثم وضعنا امتعتنا في السيارة وانطلقنا ببطء الى المرفأ.

مررنا بالجمارك وصعدنا الى المركب المتوجه الى "بيريينديسي" في ايطاليا وعندما ابحر المركب وهو يشق المياه الكحلية تعلقت عيناي بكورفو حتى اختفت وراء الافق الغائم بفعل الحرارة، وهّاجة متألقة. وعلى رغم علمنا اننا عائدون يوماً، إلا ان شعوراً بالانقباض اطبق على صدورنا. وفي القطار المكسو بالسخام الذي نقلنا من ايطاليا الى سويسرا جلنا بصمت نراقب الساحل الايطالي وهو يتوارى عن الانظار. على الرف فوق رؤوسنا راح العقعاقان يطرقان بمنقاريهما طرقات متتالية متكررة فيما اليكو يرسل بين فينة واخرى نعيباً حزيناً. وبين اقدامنا استسلمت الكلاب للنوم.

عند الحدود السويسرية، دقق في جوازاتنا مسؤول كفي الى درجة مخزية. وسلم الوالدة مع الجوازات بطاقة صغيرة ثم انحنى امامها وانصرف. بعد دقائق، قرأت والدتي ما كتب على البطاقة وتصلّبت اوصالها وصاحت بغيظ: "انظر ماذا كتب هذا الوقح!"

حملق لاري في البطاقة ثم قال بتهكم وشماتة: "هذا ما ينال المرء من عقاب عندما يترك كورفو!"

على البطاقة الصغيرة، في المكان المخصص لوصف الركاب كتب الموظف بخط انيق واضح الآتي: "سيرك متجول وعماله."

قالت امي وهي لا تزال غاضبة: "يا لها من كتابة، حقيقة ان بعض الناس في غاية الغرابة!"

وتابع القطار تحركه الضاج في اتجاه انكلترة.

جيرالد دورال ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

الكاتب عالم طبيعي مشهور وصاحب اكثر من ٤٠ مؤلفاً رائعاً عن الحيوانات.



صياد سمك

كان في قديم الزمان صياد سمك يحمل كل يوم صنارته من قريته الى ضفة النهر حيث ينتظر بصبر ان تعلق سمكة بالصنارة. وبعد ان يصطاد ثلاث سمكات تماما يغادر النهر ويتابع طريقه ببطء الى كوخه حيث يعيش مع زوجته وابنه. وكان هذا الروتين العجيب مثار تعليق في القرية. وذات يوم وصل سائح وأخذ يمضي في نزهات يومية الى ضفة النهر. وبعدما راقب الصياد لعدة ايام قرر التحدث اليه:

"اعذرني، ولكني اراقب منذ عدة ايام طريقتك في التصرف على وتيرة واحدة، فما إن تصطاد ثلاث سمكات بالضبط حتى تغادر المكان.

– ولماذا تريدني ان انتظر هنا بعد ذلك؟

"من اجل مزيد من السمك"

– لكني احتاج الى ثلاث سمكات فقط، واحدة لكل منا نحن الثلاثة.

"ألم تفكر ابداً في محاولة اصطياد سمك اكثر؟

– ولماذا اصطادها؟

"لبيعها، فتتمكن من شراء شباك ومركب صيد.

– ما الغاية منها؟

"حتى تستطيع ان تشتري منزلا اكبر وربما مركبا آخر فيعمل عندك الناس؟

– ولماذا كل هذا؟

"حتى تقتني اشياء اخرى وتغدو غنياً جدا وتفعل ما يحلو لك.

– ما يحلو لي؟ ولكن ما يحلو لي هو ان اصطاد السمك!

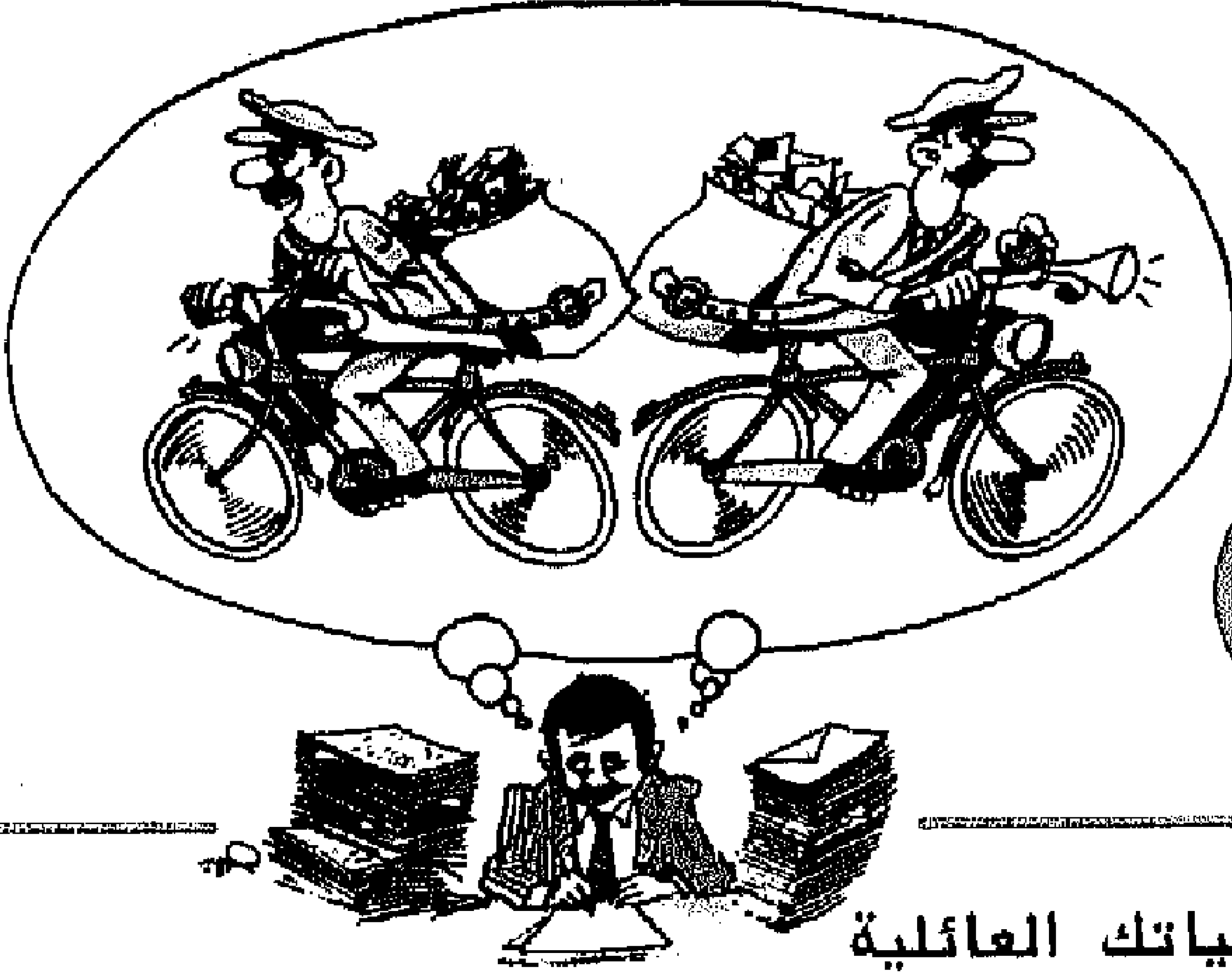
م.ا.م.

اعرف نفسك

اهم شيء لا غنى للانسان عنه هو ان يعرف كيف يفيد من المعرفة التي حصّلها.

افلاطون

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.

★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.

★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).

★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.

★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارئ الاختيار.

★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.



"رف عصافير" للرسام الصينى لين شون - هيونغ

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨، ربيع الثاني ١٤٠٩

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '88 N° 120

اوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



(ص ٣٥)

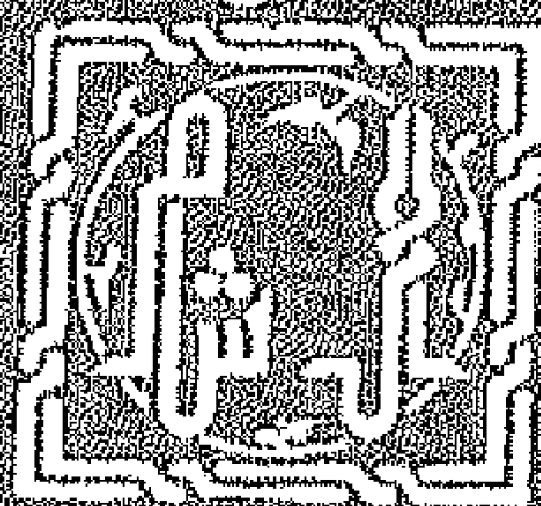
جبال طائرة تهدّد الأرض
(ص ٨)

من يخاف الأطفال؟
(ص ٤٤)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والنعمة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكا في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .... ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١– ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

November 88 N° 120.(New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

[لبن]ان ١٠٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
[الس]عودية ١٠ر – مصر ١٫٢٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٦ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –
[تو]نس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

قليلون يعرفون ذلك!



أهوى اكتشاف كل ما يتعلق بأمور الحياة الغريبة. عرفت بـ "الاستاذ" في المدرسة لأني اعتدت قراءة الكثير من الكتب. وكممثل مجبر على "الاسترخاء" اغتنمت الفرصة لاختزان لب المعلومات.

إن مجموعة مختلطة من الوقائع الغريبة مسلية ولها جانبها العملي. ليس هناك أنسب من حدث حسن التوقيت يحمل الريح بعيداً عن أشرعة شخص مدّع. وما قولك بأن النشيد الوطني اليوناني مؤلف من ١٥٨ مقطعاً أو اني استطيع تقليد بيتر سبلرز وان صوتي كان يتلقى مكالماته على آلة الاجابة. قليلون يعرفون ذلك، أو يعرفون ان في استطاعتك خلط الزيت والماء باضافة القليل من الصابون الى المزيج، وانه حين بدأ الناس اعتماد الرسائل، كان المتسلم يدفع أجرة البريد، وان السائقين في الاتحاد السوفييتي يغرمون بسبب سياراتهم الوسخة، وأن الاسم الاكثر انتشاراً للحانة في بريطانيا هو "الاسد الاحمر."

الحظ الملكي

قدّم الى الملكة فيكتوريا التي لم تتكلم الانكليزية الصحيحة قط (كانت والدتها تتكلم الالمانية)، نصف طن من الجبنة هدية يوم زفافها. وبعد نهاية اسبوع في ساندرينغهام زِينَ ضيوف الملك ادوارد السابع للتأكد من انهم اكلوا جيداً.

اختير الثاني من يونيو (حزيران) ١٩٥٣ موعداً لتتويج الملكة اليزابيت

Condensed from «Not Many People Know That!»

Published by Robson Books Ltd., London.
Illustrations: Michael Folkes

الثانية، ويعود هذا الاختيار جزئياً الى ان علماء الارصاد الجوية اعلنوا ان الثاني من يونيو هو "اشمس" يوم في السنة. ولكن المطر انهمر في ذلك اليوم.

مرّ لويس الرابع عشر "ملك الشمس" في فرنسا بظرف تاعس في هرمه، اذ سقطت احدى أصابع قدميه!

عادات العباقرة

اعتاد الروائي الفرنسي فيكتور هوغو الطلب من خادمه سرقة ملابسه، مما يعني عدم استطاعته الخروج واضطراره الى متابعة الكتابة. وفي شبابه البائس،



التمس الفنان بابلو بيكاسو الدفء بحرق لوحاته الخاصة. واخترع ليوناردو دا فينشي ساعة منبهة توقظ النائم بتحريك قدميه.

نقاط الفوز

لدى جو ديفس، بطل العالم السابق في لعبة البولة، عين سليمة واحدة.

الكاراتيه التي تعني في اليابانية "اليد الفارغة" والتي تعتبر غالباً اللعبة الوطنية في اليابان، لم تدخل تلك البلاد الا في العام ١٩٣٠.

المبارزة لعبة شرعية في الاوروغواي.

حقائق فيزيائية

يحتوي جسمك على نحو ٩٥ ألف كيلومتر من الاوعية الدموية حيث تنتج، وتتلف، ١٥ مليون خلية دموية في الثانية الواحدة.

تطرف عيناك نحو ٣٥ ألف مرة في اليوم وتستخدم ٤٣ عضلة لتعبس و١٧ فقط لتبتسم، ويستمر انفك في النمو طوال حياتك.

نقش اللسان يختلف بين انسان وآخر.

ليست جزر لانغرهانز منتجعاً للعطلات بل مجموعة من الخلايا في البنكرياس.

هولندا هي اكثر البلدان كثافة سكانياً، حيث يزيد عدد المقيمين في الكيلومتر المربع على ١٣٨٥ نسمة.

الاسم الاكثر شيوعاً في العالم هو محمد.

ايام زمان

التماثيل "البيضاء" التي انتجتها روما واليونان القديمتان دهنت في الاصل بألوان زاهية.

اكل نيرون البصل لتحسين صوته في الغناء ووضع يوليوس قيصر اكليلاً من الغار على رأسه ليخفي صلعته. وكل من كان يدفعه غباؤه الى انتقاد القيصر بولس الاول يعدم فوراً.

وضع نجوم هوليوود النظارات الشمسية، اساساً، لحماية عيونهم من اضواء الاستوديو المزعجة وليس ليظهروا "باردين".

الان لاد كان الممثل الاول الذي تفوه بهذا القول الخالد: "على المرء ان يعمل ما على المرء ان يعمله!" وخلال مشهد



عربة مسرعة تجرها الخيل في فيلم "بن هور" ترى سيارة صغيرة حمراء تمر في الجانب الآخر من المشهد.

مخلوقات كبيرة وصغيرة

الحيوان الذي يملك اكبر رأس نسبة الى جسمه هو النملة.

ليس للفيل عظام في خرطومه بل الوف العضلات ويمكنك عادة تقدير طول الفيل بمضاعفة محيط قدمه.

للكركند دم ازرق.

يستطيع الخلد حفر نفق يزيد طوله على ٧٥ متراً في ليلة واحدة.

لا يستطيع الطير الطنان المشي، ولا تتذوق الهررة السكر.

التماسيح مصابة بالعمى اللوني.

تركض الثيران صعوداً أسرع منها نزولاً.

تصدر هنغاريا (المجر) جواميس البحر اكثر من اي دولة اوروبية.

في طوكيو مطعم للكلاب.

قصص داخلية

يأكل كل منا نحو ٦٢ طناً من الطعام في حياته.

أتى ماركو بول بالمعكرونة من الصين.

تؤكل الفاصولياء المطهوة اساساً مع دبس السكر لا صلصة البندورة (الطماطم).

يحتاج انتاج حوالى نصف كيلوغرام من حبوب البن الى حصاد سنوي لشجرة بن كاملة. ويحتسي الفنلنديون القهوة اكثر من اي شعب آخر. ليس البن السريع الذوبان ابتكاراً حديثاً، فهو موجود منذ نهاية القرن الثامن عشر.

يشتري الناس في سيبيريا الحليب مجمدا على عود خشبي!

■ مايكل كاين



في متحف اللوفر: "بسمة الموناليزا تذكّرني بزوجتي عندما تظن أني اكذب."

ن.س.

حديقة افكار

- عندما يسألني سائل لماذا اسافر، أجيب: "اعرف مما أهرب ولكني أجهل ما أبحث عنه."

مونتانيه

- الاستخدام الحكيم لاوقات الفراغ هو حصيلة التمدن والثقافة.

برتراند راسل

- الكتاب الحسن التأليف هو بساط سحري ينقلنا الى عالم لا نستطيع ولوجه بأي شكل آخر.

كارولين غوردون

- الحياة من منظار الشباب مستقبل طويل لا نهاية له، لكنها من وجهة نظر الكهول ماضٍ فائق القصر.

ارثور شوبنهاور

- في هذه الاحوال السائدة يساعدنا أن نتذكر أنه في كل الاوقات كانت هناك أحوال سائدة.

ب.هـ.

- كل ما يحدث في الواقع انما كان حلماً من قبل.

كارل ساندبرغ، شاعر أمريكي

- ليس الفقير من يملك القليل بل من يشتهي الكثير.

سينيكا، خطيب وفيلسوف روماني

- لو رُفعت تلة مؤلّفة من كل تعاسات الجنس البشري ثم قُسمت بالتساوي بين الجميع، لرضي كثيرون باستعادة القسط الذي كانوا وضعوه فيها.

سقراط

- عندما ينهار احترام الحقيقة أو حتى يهن قليلا، فكل الاشياء تبقى عرضة للشك.

أوغسطينوس

المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ من ريدرز دايجست السنة العاشرة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة



جبال طائرة تهدّد

في احدى ليالي اكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٣٧ نجا كوكبنا الارضي من كارثة عندما جانبها جرم سماوي لم يشعر به احد غير عالِم الفلك كارل راينموت، من مرصد هايدلبرغ في المانيا الغربية. فقد رسم على صفيحة المِقراب الفوتوغرافية، على شكل شريط ضوئي ابيض باهت، جرمٌ اطلق عليه لاحقاً اسم "هرمس"، انقض بسرعة ٣٥٤٠٠ كيلومتر في الساعة صوب الارض فكاد يصدمها إذ المسافة التي فصلت بينهما لم تتعدَّ اقل من ضعفي المسافة بين الارض والقمر - ٣٨٤٤٠٠ كلم. وهو رقم تافه في المقاييس الكونية.

هرمس هو واحد من كويكبات نظامنا الشمسي، وهي كواكب سيارة صغيرة الحجم وغير منتظمة الشكل بحيث تدعى احياناً "جبالاً طائرةً". ولكنْ بخلاف معظم الكواكب، تجري بعض الكويكبات في مسارات شاذة تعترض مدار الارض

Illustrations: Alan Daniels

اجرام تائهة في النظام الشمسي
ضربت كوكبنا في غابر الزمن.
فهل هي تستعد الآن للضربة المقبلة؟

الأرضُ

السنوي نفسه حول الشمس، فتجازف حينئذ بالاصطدام بكوكبنا.

لو صدمنا الكويكب هرمس لنتجت من الصدمة طاقة توازي مئة الف ضعف تلك التي تولّدها قنبلة بقوة ميغاطن واحد. مع العلم ان قطر هرمس لا يتعدى الكيلومتر الواحد. اما اذا اصطدمنا مع كويكب آخر حجمه عشرة اضعاف حجم هرمس فسيكون عالمنا المعروف معرّضاً للخطر. فالقشرة الارضية ستهتزّ مثل جرس يُقرع بقوة،

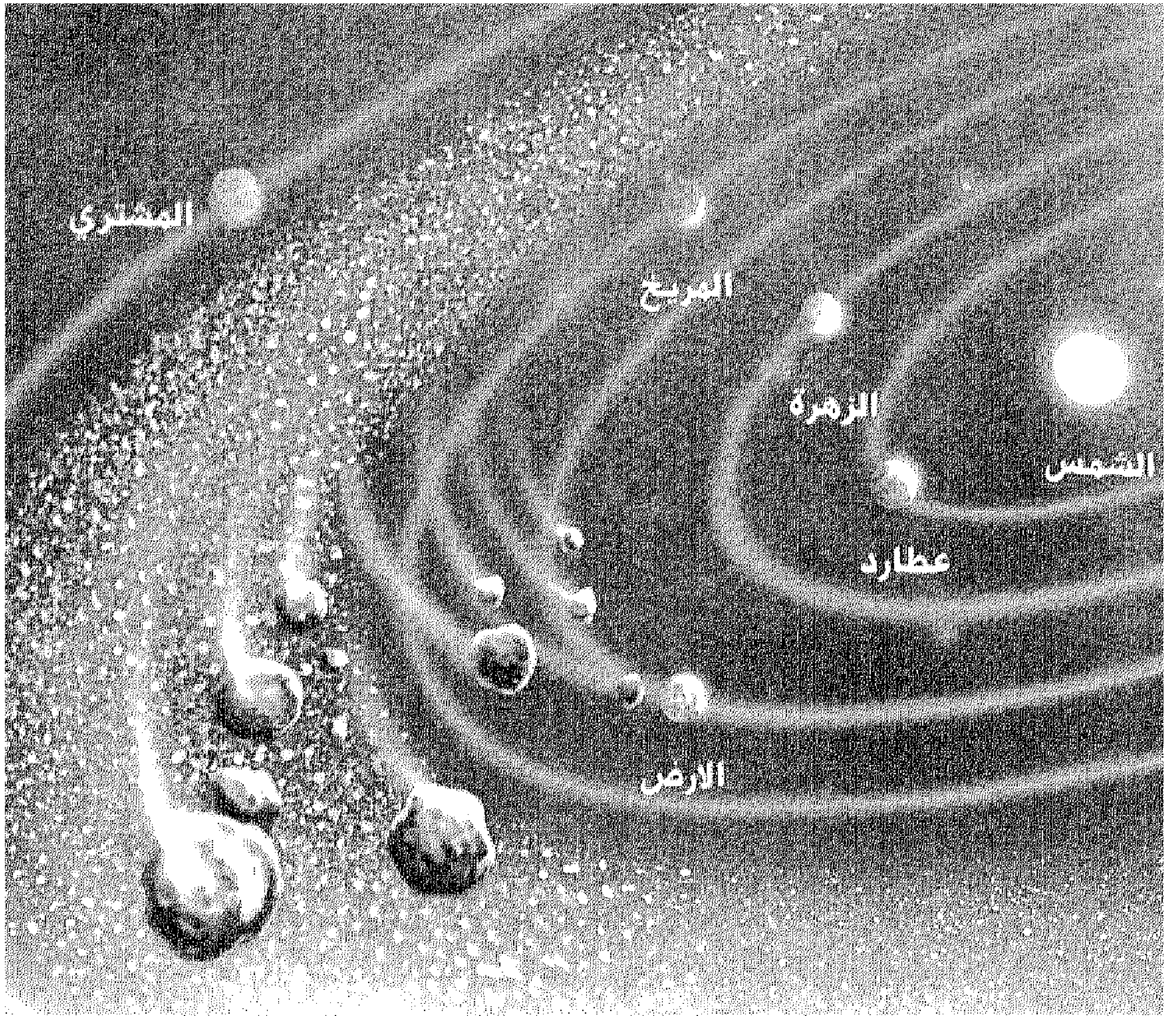
محدثةً زلازل ارضية وموجات مديّة في المحيطات. ولسوف يتلوّث الغلاف الجوي طوال سنوات من الغبار والدخان اذا اصطدم الكويكب باليابسة، او من بخار الماء اذا اصطدم بالبحار، الامر الذي قد يغيّر المناخ ويقضي على مليارات الكائنات الحية.

لقد صمد كوكبنا في تاريخه امام عدة صدامات مع كويكبات اخرى. فمنذ قرابة ٣٠٠ مليون سنة مثلاً ترك كويكب فوّهةً قطرها ١٣ كيلومتراً على بعد ١١٠ كيلومترات جنوب المكان الذي بُنيت فوقه مدينة شيكاغو الامريكية. وتغطي حقول الذرة حول مانسون في ولاية ايوا الامريكية فوّهة اخرى يقرب قطرها من ٣٥ كيلومتراً. وتعرّف العلماء الى ١٠٠ كويكب تقريباً اصطدمت بارضنا في انحاء عدة منها.

لعبة كرة كونية. يتضمن حزام الكويكبات الواقع بين المريخ والمشتري اكثر من عشرة مليارات جُزيْءٍ تترجّح من ذرة غبار حتى اكبر الكويكبات "سيريس" البالغ قطره ١٠٣٥ كيلومتراً. وكما لاحظ عالِم الفلك الامريكي دانيال كيركوود منذ اكثر من قرن، ينقسم الحزام الكويكبي مناطق مختلفة تفصل بينها فجوات غامضة - تدعى اليوم "فجوات كيركوود" - قريبة الشبه بفترات الصمت بين اغنيات الاسطوانة. وفي العام ١٩٨٣ اكتشف العالِم الفيزيائي جاك ويزدوم الذي كان يعمل آنذاك في معهد مساشوستس للتكنولوجيا (بكمبريدج) ان قوى التجاذب الكوني الصادرة عن المشتري وعن اجرام اخرى في النظام الشمسي تكوِّن آلة كونية شبيهة بلعبة الكرة التي تدفع فوق سطحٍ متحدِّرٍ وسط دبابيس واهداف. وكل كويكب يصطدم باحدى فجوات كيركوود يَحتمل ان يتّخذ لنفسه مداراً قريباً من الارض. ومن أصل خمسة كويكبات مقذوفة ثمة واحد يعترض في الوقت الحاضر مدار الارض.

ما مصدر هَذه الكويكبات؟ أتراها بقايا كوكب تحطم بطريقة ما؟ هَذه النظرية أُخِذ بها زمناً لكنها لا تلقى الاجتماع اليوم. فعلماء كثيرون يأخذون بتفسير ممكن آخر: منذ قرابة اربعة مليارات وستمئة مليون سنة تشكّلت الكواكب من دوّامة من الغازات والغبار. وفيما راحت تدور حول الشمس كانت جاذبيتها تشدّ الاجزاء المتبقية. وشيئاً فشيئاً تكوَّن النظام الشمسي خلواً من الاجزاء، الا في حزام الكويكبات حيث جاذبية المشتري كانت قوية الى درجة موازاة جاذبية الشمس المعاكسة، مما حال دون التحام الاجزاء بكوكبها. ومن هَذا المنظار تعتبر الكويكبات من مخلّفات ايام تكوين النظام الشمسي.

ويَقبل عدة علماء ايضاً نظرية بدت ذات يوم خيالاً علميًّا: منذ ما يقرب من ٦٥ مليون سنة ضرب كويكب ضخم، يترجّح قطره بين ١٠ كيلومترات و١٦ كيلومتراً، ارضنا بعنف وغيَّر عالمنا الى شكله الحالي. هَذه الصدمة اطلقت العنان لهزات ارضية وموجات من المد، محدثةً ثورانات بركانية ضخمة وحرائق في الغابات. ونُسفت اطنان من الغبار والصخور المسحوقة الى داخل الغلاف



جزيئات من حزام الكويكبات تسبح في الفضاء وقد تعبر مدار الارض.

الجوي وظلت عالية سنين عدة، حاجبةً نور الشمس. وهَذا الحدث أوقف عملية "التمثيل" الكلوروفيلي في النباتات الخضراء، فانقرضت مئات الانواع الحيوانية من أكلة الاعشاب، بما فيها الدينوصور، لافتقارها الى الطعام.

يمكن اعتبار ذاك الكويكب الذي صدم ارضنا قبل ٦٥ مليون سنة، واحداً من نجوم سعدنا، لان عصفه بكوكبنا، مع امثاله من الكويكبات، ربما كان وراء تشكيل عالمنا المعروف اليوم ووراء ضمان نجاح النوع البشري في البروز من بين الانواع الاخرى والسيطرة عليها.

عيون على السماوات. في ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٠٨ ظهر جسم متقد فوق اقاصي الغابة السيبيرية وانفجر بطاقة قنبلة هيدروجينية من ١٢ ميغاطناً. ولقد سجلت المراصد البعيدة، بُعد بريطانيا، موجاتٍ هزيّةً صادرة عن مركز الصدمة في محلة تونغوسكا الروسية. وهذه الموجات العنيفة سوّت بالارض كل الاشجار ضمن منطقة قطرها ٨٠ كيلومتراً. وانتشر الغبار والحُطام في انحاء العالم.

هل حصل الانفجار الضخم في تونغوسكا بسبب ارتطام رأس مذنب ام كويكب صخري بكرتنا؟ لا يزال العلماء

يناقشون الموضوع. غير ان ما يفوق هذا الامر اهميةً، على حد قول اوجين شومايكر الباحث الجيولوجي في مصلحة المسح الجيولوجي في الولايات المتحدة، هو كيف نواجه خطر حادث مماثل يرجح حصوله في الخمس والسبعين السنة المقبلة بنسبة ١٢ الى ٤٠ في المئة.

في العام ١٩٨٠ ناقشت اللجنة الاستشارية في وكالة الفضاء الاميركية (ناسا) نظرية انقراض الدينوصور واخذت في الاعتبار "احتمال حدوث اصطدام مماثل في المستقبل من شأنه ان يقضي على الجنس البشري." وتساءلت اللجنة: هل في الامكان تعقّب الكويكبات المهدِّدة واتقاء خطرها بعمليات دفاعية؟

ثمة علماء يتقصَّون الكويكبات القريبة من الارض. وتقود العالمة اليانور هيلين عملية مسح الفضاء في المعهد التكنولوجي التابع لمرصد بالومار لرصد الكويكبات الصادمة لكوكبنا. فخلال اسبوع من كل شهر تصور مع زملائها العلماء الفضاء بآلة تصوير مقرِّبة وتسعية الزاوية. ثم تقارن الصور السلبية بحثاً عن اجرام شاردة تمثل كويكبات جديدة.

ماذا في وسعنا ان نفعل لننقذ انفسنا من الاصطدام بكويكب ذي حجم قد يحطم الارض؟

في العام ١٩٦٧ طرح الاستاذ بول ساندرف من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا، هذا التحدي على طلاب صفه: كيف سيحول الارضيون دون اصطدام كوكبهم بالكويكب ايكاروس الذي يبلغ قطره كيلومتراً ونصف كيلومتر، لو كان محتّما ان يضرب الارض بعد ستة اشهر؟

ورأى الطلاب الحل باطلاق صواريخ مزودةً رؤوساً نووية تنفجر بجانب الكويكب فتحيد به عن مساره.

يحاول بعض العلماء أنْ يبرهنوا ان الكويكبات التي يتعدى قطرها تسعة امتار يجب حَرْفها عن مسارها اذا دنتْ من الارض اكثر من المسافة التي تفصل القمر عنها، لان ارتطام جرم بالارض كهذا قد يحاكيَ طاقةَ قنبلةٍ ذريةٍ. وعلى سبيل المثال، اتفق في ٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٤ أنْ شاهد طاقم احدى طائرات الخطوط الجوية اليابانية غيمة فطرية الشكل طولها ٢١ كيلومتراً وقطرها ٣٢٠ كيلومتراً. ولخوفهم من ان يطيروا خلال غيمة من الاشعاعات الذرية. وجّه القبطان طائرته نحو قاعدة للسلاح الجوي الاميركي في انكوراج بألاسكا، لكن الفحوصات لم تظهر على الطائرة آثار إشعاع نووي. واقترح اختصاصيان نظرية مرور الطائرة قرب غيمة متوهِّجة احدثها نيزك منفجر.

إن خطر ارتطام احد الكويكبات بالارض هذه السنة هو خطر حقيقي بلا ريب ولكنه قليل الاحتمال. فاعتماداً على اقوال شومايكر، يحدث مرةً كل مئة الف عام ان يصدم كوكبَنا كويكبٌ بقوة هرمس. غير ان احتمال ارتطام غلافنا الجوي بكويكب قطره ٣٥ مترا فقط وله طاقة قنبلة من ميغاطنّ يحدث مرةً كل ٣٠ سنة.

مناجم طائرة. المراهنون قد يقولون إن الخطر ليس مقلقا بهذا المقدار، ولكنهم سيبدون اهتماما بالكويكبات اذا علموا

أنها قد تكون مناجم ذهبية طائرة. فبعض العلماء يعتقدون ان كويكباً بقطر ١٦٠٠ متر فقط، اذا كان معدل النيكل والحديد فيه كبيراً، يُعتبر استثماراً بقيمة اربعة آلاف مليار دولار بالسعر الحالي. الى الحديد والنيكل، قد يحمل كويكب شارد ترسبات من الذهب والبلاتين. ولبعض هذه الكويكبات الغنية بالمعادن مدارات قريبة جدا من الارض الى درجة انها مثل القمر في متناول الانسان يطأها ويحولها محطات فضائية.

وكان باحثون في "مركز اريزونا لموارد الفضاء" قد استنبطوا طرائق، مستعينين بالربّوط، اي الانسان الآلي، لمعالجة المعادن انطلاقا من كويكبات في الفضاء. وفي تلك الاثناء كانت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) قد لحظت رحلات طيران منخفض فوق كويكبات معينة إتماماً لبرنامج سبر اجرام سماوية أُطلق عليه اسم "غاليليو". ويمضي السوفييت قُدُماً في وضع مشاريع لرحلات الى الكويكبات. ويتوقع الاوروبيون ان يطلقوا في منتصف التسعينات رحلة فضائية في اتجاه الكويكب "فستا" على بعد ١٦٠ مليون كيلومتر من الارض.

ربما كان احد الكويكبات قد صار شاهد قبور الديناصورات الضخمة التي سيطرت على الارض في ما مضى. ورهاننا هو تحويل الكويكبات محطات صخرية نستطيع السير عليها بجرأة لملاقاة مصير الجنس البشري في وسط النجوم.

لوويل بونت ■



ابتعد عن الشر وغنِّ له

كان رجل غني يمتحن مرشحين لوظيفة سائق لديه. فكان يسأل كل واحد عن اقرب مسافة يتوقف عندها في اثناء قيادته من دون ان يهوي في جرف اشرف عليه. فاجاب الاول: "اقف على بعد ٣٠ سنتيمتراً." والثاني: "انا اقف على بعد ١٥ سنتيمتراً." اما الثالث فخفض المسافة الى ٨ سنتيمترات. ثم تقدم رابع وقال: "انا اقف أبعدَ ما استطيع من الهوة."

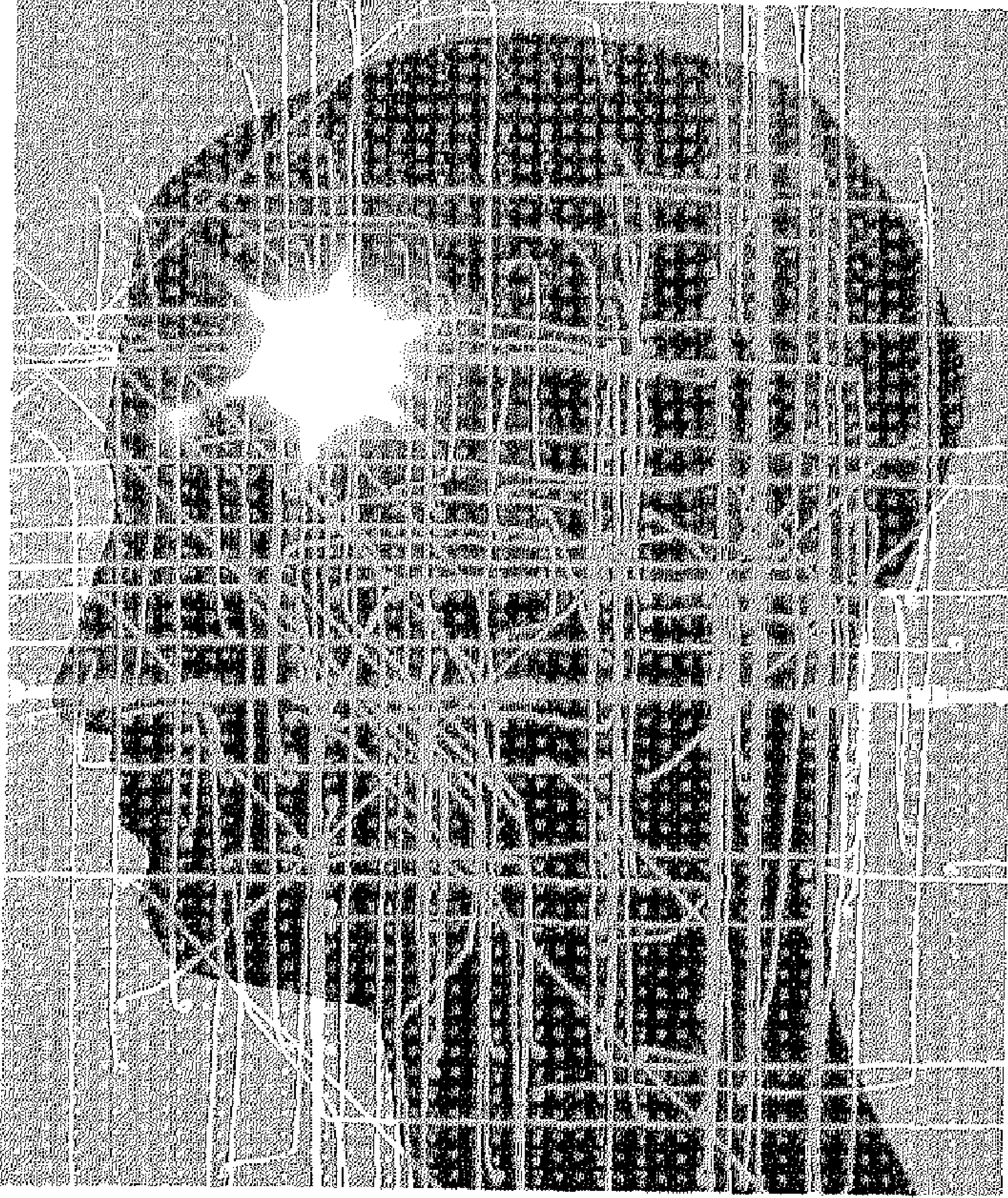
فاعلن الغني: "اعتبر نفسك مقبولا."

عن "المطالعة الجيدة"

إثارة... للجدل

مقاسي ومقاس ابنتي ذات الستة عشر ربيعاً متشابهان بحيث نتبادل الثياب دائما. وفكرت يوما أني سأكون متأنقة على آخر طراز اذا انتعلت حذاءها الخفيف الازرق وارتديت سروالها الفضفاض القرنفلي وقميصها "السبور" الاصفر – الى ان وصلت الى منزل اهلي فبادرتني امي مذهولة: "ما هذا الذي تلبسينه؟ تبدين فيه مثيرة... للجدل!"

ج.ن.



في وسعنا مجاراة
هذا الانسان
اذا ما حاولنا ذلك...

ذاكرة غير عاديَّة

إذ كان ستيفن باولسون في التاسعة، نظمت مدرسة الأحد في سيراكيوز بولاية نيويورك مسابقة اسبوعية في الاستظهار. لم يحفل ستيفن بالأمر فوبِّخ لعدم اشتراكه في المسابقة. وقد فاجأ الجميع يوم الاحد التالي بتلاوته غيباً الفقرات المقررة للسنة كلها.

وقد اختار كمراهق في المدرسة الاعدادية مادة اللغة اليونانية. وعين معلمه ٢١ سطراً من "الالياذة" لحفظها في اسبوع. وفي نهاية ساعة الدرس تلك، وعلى رغم اصراره على انه كان كلي الانتباه الى المحاضرة، كان حفظ السطور الاحد والعشرين جميعاً.

Condensed from Harvard Magazine (January — February '88), © 1988 by Harvard Magazine, Inc., Cambridge, Mass.

وقد استمر في استظهار المئة الاولى.

في جامعة هارفرد، انتقى باولسون مادة دراسية واحدة في المسرح اليوناني، بعد ذلك، لم تكن هو له اي صلة باليونانية مدة ٤٤ عاماً. فقد حاز درجة ماجستير في ادارة الاعمال، وغدا محاسباً قانونياً مجازاً وعمل في عدة شركات دولية. كما نشأ وزوجه استير خمسة اولاد.

عام ١٩٧٨، عين مديراً مالياً مسؤولا عن قسم اوروبا في شركة "سبالدنغ" بعدما اغلقت شركة الادوات الرياضية مكتبها في باريس. وللمرة الاولى، منذ ايام الجامعة، اصبح لباولسون، في الستين من عمره، وقت فراغ.

وليبقي ذهنه متقداً، اعاد قراءة الالياذة فتبين له انه ما زال يحفظ المئة سطر الاولى عن ظهر قلب. يقول عن ذلك: "في لمحة جاءتني الفكرة. لم لا احفظ الالياذة كلها؟" بعد عشر سنين، كان باولسون قد حفظ غيباً ٢٢ جزءاً من اصل ٢٤ تتألف منها الالياذة، وهي مأثرة فوق العادة في سنه، او في اي عمر.

ان تمكن شخص ما من استظهار هذا المقدار بين السن الستين والسبعين، لامر يثير عجب الكثيرين ممن رسخ في قناعتهم ان الذاكرة تسوء كلما تقدمنا في السن.

ما مدى غرابة ما قام به باولسون في اي حال؟ وماذا يمكننا ان نتعلم منه؟

تقوم طريقة باولسون على قراءة الكتاب وتسجيله على شريط، ومن ثم "يقرأه" عدة مرات متأكداً من انه يفهم كل كلمة منه. ويقول في ذلك: "اني اسعى الى تخيل نفسي جزءاً من الحدث."

انه يقرأ فقرة واحدة، كرة تلو كرة، ثم يعيد كل سطر حتى يحفظه. ويتلو بعد ذلك زمراً من السطور حتى يحفظ الفقرة عن ظهر قلب. وبعد حفظ عدة فقرات، يتلوها كوحدة متكاملة. وهكذا حتى ينهي الكتاب. واذ يصيبه التعب من التلاوة، يصغي الى شريط التسجيل "الذي يساعد في ترسيخ المادة في ذاكرتي."

لكن باولسون كلما حفظ كتاباً، تنسل كتب اخرى من ذاكرته. فينبغي اذاً اعادة حفظ كل منها تكراراً. وبعد مرات لا تحصى، تستقر في ذاكرته. انه يشبه العملية التي تقوم على ملء سلسلة من الدلاء المثقوبة مرة تلو أخرى حتى تسد كل الثقوب.

وباولسون مثال ممتاز يجسد مبلغ معرفة العلماء بالذاكرة:

دورات التمرين القصيرة اكثر فائدة من دورة واحدة طويلة. تصورت في ذهني باولسون يدرس الالياذة لدى تناوله الشاي بعد الظهر. لكنه على نقيض ذلك، يحفظها مرة بعد مرة كلما توافرت لديه دقيقة ما: لدى قيادة السيارة او الاستحمام او عند انتظار ورقة الحساب بعد العشاء.

يحفظ الناس بمقادير وانماط محددة. تسعفنا دلالات الكلمات. ان باولسون لا يحفظ مقاطع لغو، لكن قصته ذات معنى جلي، اذ يشعر بأنه مشارك في احداثها كلما تلاها.

وكلما أحسنا تنظيم المعلومات الجديدة وعزوناها الى ما نعرفه قبلا، تذكرناها على نحو افضل. ان استاذ

الشطرنج في وسعه تذكر مواضع الأحجار على الرقعة في دقة، لانه يستوعب اللعبة ككل منظم، وليس كأشياء مفردة متفرقة.

ثمة اسرار للصنعة تعرف باساليب تقوية الذاكرة. من بينها نقل المعلومات من الذاكرة الاولية (كرقم هاتف بحثنا عنه لتونا) الى الذاكرة الثانوية (ما نذكره بعد اللحظة الراهقة). هذه الاساليب المسماة "نيموسين" تضم قوافي تربط حديث التواريخ بقديمها (كأعياد الميلاد الشخصية) وبالصور الذهنية التي يستحسن ان تكون غير ذات معنى.

وثمة اسلوب آخر هو الحفظ التقليدي، وفيه اشارة الى الشاعر اليوناني سيمونيدس الذي يروى انه غادر حفلة تداعى السقف فيها عقب ذلك. وبتذكر سيمونيدس الكراسي التي كان يجلس عليها المدعوون، عين على وجه الدقة من توفي منهم. ومنذئذ بات شائعاً ان يتمشى المرء في منزله في "نزهة ذهنية" ملصقاً فكرة ما بكل قطعة من الاثاث.

سأل جون باولسون اباه: "الا يسعك ان تقوم بالامر ذاته مع الالياذة؟" فأجاب باولسون: "لا اظنني اقوم بذلك. ففي الالياذة ١٥،٦٩٣ سطراً، وليس لدي قطع اثاث بهذا العدد".

احد الاكتشافات الباعثة على الاستغراب حول الذاكرة هو الحفظ المتصل بحال ما. وحسب الآن باديلي الخبير البريطاني بالذاكرة: "ان ما يتلقنه المرء ثملا، يتذكره على افضل وجه عندما يكون ثملا. وما يلقنه صاحياً يتذكره صاحياً." غير ان باولسون لا يتعاطى مسكراً. اننا في الواقع نتلقن ونتذكر على افضل حال عندما لا نكون سكارى.

الانتباه هو المفتاح. اي امر يعيق الانتباه يتعارض مع التذكر. ويقل استعدادنا للتذكر ان نكون في جمهرة من الناس، مثلا، عما اذا كنا نتحدث مع شخص واحد.

ولقد تبين للعالمة النفسانية مارلين آلبرت المديرة المشاركة لعيادة الزهايمر في مستشفى مساشوستس العمومي ببوسطن، اننا كلما كبرنا غدا التذكر لدينا اكثر صعوبة اذا ما كان انتباهنا متوزعاً. ويحصل الانخفاض الاكبر في تأديتنا للاعمال ما بين الاربعين والخمسين، عندما يحمل المنشغلون ذاكرتهم أشد الاعباء. وتقول آلبرت ناصحة: "ان كان وقتك محتشداً بمتطلبات جمة، تدرب على التركيز على امر واحد واتممه، بدل القيام بعدة امور في وقت واحد."

ويلقى المتقدمون في السن صعوبة اكبر في استذكار ما تعلموه حديثاً، لانهم على الارجح يعجزون عن تنظيمه بغية استعادته على نحو سهل. وقد كشفت احدى الدراسات التي اعدتها عيادة الذاكرة الامريكية في بوسطن ان طلبة الكليات ينسون مكان وضع الاشياء في كثير من الحالات كالاكبر سناً، لكن الفتيان يبحثون عنها بفاعلية اكبر.

يقول باولسون: "تجربتي الخاصة تدل على ان استعمال الذاكرة يحسنها، بصرف النظر عن السن. ان في وسعي استظهار صفحة من الالياذة في نصف الوقت الذي استلزمني في بداية الأمر، كما ان الحفظ

يتحسن على نحو افضل بكثير."
واذ يطلب من باولسون استذكار فقرة وتلاوتها غيباً، يجد استجابته ابطأ هذه الايام، لكنه يعلل ذلك قائلا: "في السادسة عشرة كنت استعمل نحو عشرة في المئة من ذاكرتي. وطاقتها الآن نصف ما كانت آنذاك، لكني استعمل الآن ثمانية في المئة منها."

للأنفعالات، جيدها وسيئها، اثر كبير على الذاكرة. ان الذعر اثناء الامتحان قد يحـول دون الاستذكـار... وعلى نحو معاكس، فإن "الذكريات الوامضة" تقرن من دون خلاف بانفعال متقد.

لقد تبين لعلماء النفس ان ما يذكره الناس عن سنتهم الاولى في الجامعة ليس المقررات الجامعية بل الحياة الشخصية.

واني لأميل الى الاعتقاد ان باولسون قد حفظ ذلك المقرر الدراسي الاول عن اللغة اليونانية، لان الالياذة، من بعض الوجوه، قد صدمته كطن من الآجر. وهو يقول واصفاً إياها: "انها اعظم الملاحم المنظومة ابداً." وقد بقيت فتنتها بعد انقضاء ٤٤ عاماً. انه، حسب قوله، قد ارتضى التحدي بحفظها، لأنه يحبها.

روث مارتنس غالفين ■



عندما تكر سبحة... الاخطاء

"شريعة مورفي" هي المبدأ المنطلق من أن ما هو مقدّر لا بدّ من حدوثه. وقد اعطى سائح ظريف مفهومه لهذه القاعدة بقوله:

- عندما ترغب في شيء ما يكون دائماً في حقيبة السفر الاخرى.
- كل المصارف تغلق ابوابها عندما تهمّ بدخولها ولا تفتح ثانية الا بعد ان تكون غادرت المكان.
- من الحكمة ان يسافر الزوجان معاً حتى يتوافر دائماً من يلوم زوجه على نسيانه دواء طرد الحشرات في المنزل.
- لا بد ان تبدأ الاعلانات في محطات السكة الحديد والمرافىء والمطارات بهذه الكلمات: "رجاء انتبهوا" وان تنتهي بـ"شكراً على انتباهكم" وانت عاجز تماما عن فهم كل ما قيل بين الجملتين.

"المجلة الاقتصادية للشرق الاقصى" - هونغ كونغ

خليط زوجي

يقوم عمل شقيقتي على استفتاء الناس بالهاتف للاطلاع على آرائهم. واذا رفضت متكلمة مثلا ان تجيب عن سؤال، تسألها اذا كان زوجها يوافق على اعطاء جواب.

احدى النساء اجابت: "أنا آسفة، لا وقت لديّ، فانا منهمكة في تحضير فروج محشي."

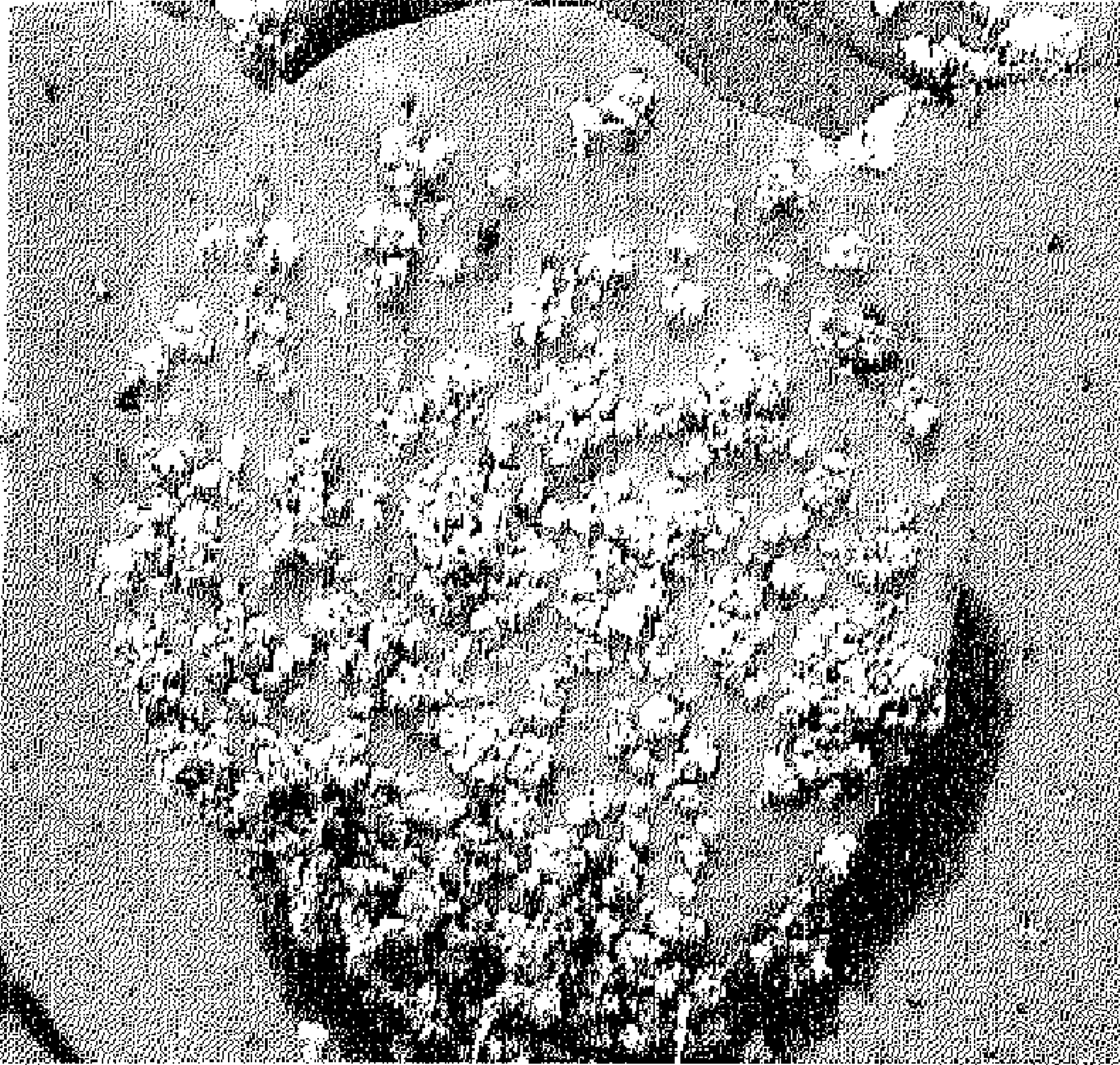
فسألتها شقيقتي: "حسناً، هل في امكان زوجك ان يفعل ذلك؟"

فاجابت: "آه، كلا. هو لا يعلم شيئاً عن الفراريج."

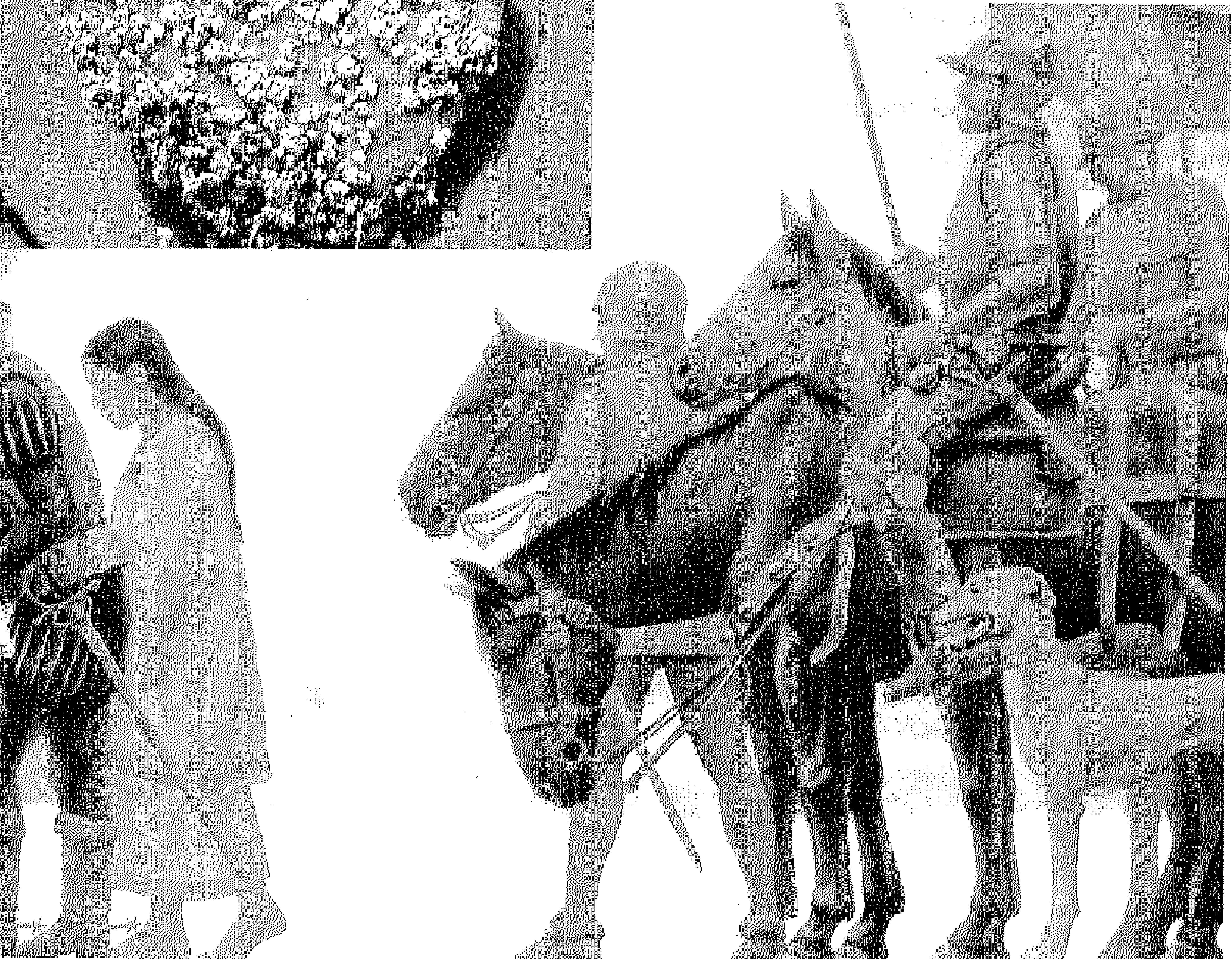
ج.ا.

الصبغة القرمزية التي جاءت
من العالم الجديد لونت مجرى التاريخ

حَشَرة حَمْراء لوّنتْ حَياتنا



عندما التقى كورتس مونتزوما في العام ١٥١٩، ادهشته الوان اثواب الازتيك الحمراء. الى اليسار: حشرات قرمزية فوق قطعة صبير.



في بلدة نوكيستلان الصغيرة الواقعة في الجبال الجنوبية لولاية اوكزاكا المكسيكية، لا يزال الفلاحون المنحدرون من قدامى المكسيكيين يرعون قطعان الاغنام بالطرق التي تعودوها لألف سنة مضت.

ولكن يخطىء من يعتقد ان تربية المواشي هي مصدر رزقهم الرئيسي. فهم يعتمدون في الواقع على تربية حشرة لا يزيد حجمها على رأس عود كبريت، لونها اسود وبعضها ذو لون رمادي مائل الى الفضي، تلف نفسها بمسحوق ابيض رقيق، لها ست قوائم، وتتغذى بنبات الصبير.

هذه الحشرة الصغيرة تعيش في المزارع وتتولى قبائل الازتيك تربيتها على نطاق واسع. وهي تعرف بـ"الحشرة القرمزية" وليست لها اي صفات تجعلها مفيدة كطعام او لباس بل جل ما يستخرج منها هو صبغة حمراء كثيفة كانت لدى قدامى الازتيك اغلى من الذهب.

منذ فجر التاريخ، كانت اجسام الحشرات تستعمل لانتاج الاصباغ والاحبار. وعلى سبيل المثال استعمل الهنود حشرة صمغ اللك في تلوين اعمالهم الفنية الكلاسيكية. كذلك اعتمد قدماء المصريين على حشرة القرمز في تلوين القماش الذي لفوا به مومياء امواتهم.

الا ان الالوان التي امكن الحصول عليها



Painting by Ned and Rosalie Saidler © National Geographic Society

من حشرتي القرمز واللك كانت باهتة نسبياً لا رونق لها. وعندما دخل هرنان كورتس المكسيك عام ١٥١٩ انبهر باللون الاحمر الذي صبغت به ثياب قبائل الازتيك وأرجل نسائهم ووجوههن.

وفي تنوكتيتلان التي اصبحت اليوم مدينة مكسيكو، وجد كورتس أكياساً ملأى بالصبغة الحمراء تقدم الى زعيم قبائل الازتيك عربون تقدير واجلال.

وعلى اثر الفتح الاسباني للمكسيك ارسل كورتس نماذج من هذه الصبغة الى اسبانيا على انها من عجائب العالم الجديد. وما لبثت هذه الصبغة النارية اللون ان شقت طريقها الى النجاح السريع.

بعد الفضة والذهب - بحلول العام ١٦٠٠ احتلت هذه الصبغة المرتبة الثالثة بعد الفضة والذهب بين صادرات المكسيك من بضائع ثمينة.

وقرابة ١٦٣٠ سكب احد الهولنديين خطأ مادة حمضية على كمية من هذه الصبغة كانت موضوعة في وعاء من تنك، فكانت النتيجة ان تحلل الوعاء بينما اصبحت الصبغة اكثر تركيزاً في الاقمشة والثياب علاوة على ما اكتسبه اللون الاحمر من لمعان ارجواني يدوم طويلا.

وادهش هذا اللون الجديد العقول فاستنبط منه مشاهير الفنانين مختلف الالوان كالاحمر الزهري والقرمزي الفاتح واستعملوها في اعمالهم.

وباللون القرمزي الاحمر صبغت ثياب القائمين بخدمة الملوك ومعاطف السيدات وشالاتهن.

ولأن الصبغة القرمزية كانت غالية ويصعب الحصول عليها لذا اصبحت حكراً على الاغنياء وذوي السلطة والنفوذ.

ومنذ اوائل العام ١٦٤٥ صبغ لباس وحدات عدة من الجيش البريطاني بهذا اللون كما اصبحت السترة الحمراء رمزاً لعظمة بريطانيا.

وكان للضريبة التي فرضت على هذه الصبغة، بالاضافة الى التعريفة والرسوم الجمركية على الشاي، الفضل في تمكين البريطانيين من سد نفقات الحرب التي كانوا يواجهونها في امريكا الشمالية.

الى ذلك اصبحت هذه الصبغة مادة رئيسية في تلوين المأكولات. ولقرون عدة، اكتسبت الحلويات وانواع الكعك المختلفة والجعة والادوية لونا قرمزياً زاهياً. وادخلت مادة "الحمض القرمزي" في تحضير الشطائر والنقانق والاربيان



مكسيكية تطحن حشرات انثوية مجففة.

(القريدس) والجيلاتي (البوظة) والهلام واللبن والمشروبات غير الكحولية واللبان (العلكة) ومشتقات الطماطم (البندورة). كذلك هي استعملت في تلوين حبوب الادوية والشرابات الطبية المضادة للسعال. كما اصبحت المادة الرئيسية في تلوين مستحضرات التجميل ولاسيما احمر الشفاه.

وليس من من باب المبالغة القول انه على مدى فترة تزيد على ٣٠٠ سنة كانت هذه الصبغة الاكثر طلباً في العالم.

وفي الوقت الذي كان الاوروبيون يظنون ان هذه الصبغة هي من ثمار التوت او الاوراق او الحبوب، كان هم الاسبان منصباً على المحافظة على سر منشأها بغيرة فائقة.

وقرابة العام ١٧٠٠ اجرى العالم الهولندي انطون فان لفنهوك اختباراً على شريحة خام من حشرة قرمزية تحت مجهر اخترعه حديثا، فشاهد منظراً اثار دهشته فانتصب وصاح: "ان لها قوائم".

كسر الاحتكار - في محاولة للمحافظة على احتكارهم هذه الصبغة، منع الاسبان الزوار الاجانب من ارتياد المزارع حيث تربى الحشرات القرمزية على اشجار الصبير المزروعة واحدة بعد الاخرى.

الا ان مغامرين هولنديين وفرنسيين ما لبثوا ان تمكنوا من تهريب اضمامات كاملة من اشجار الصبير مغطاة بحشرات قرمزية ونجحوا في اعادة غرسها في مزارع مختلفة شملت بلدان افريقيا الشمالية وحوض البحر الابيض المتوسط ومنطقة البحر الكاريبي.



تستغرق عملية صبغ الاقمشة والسجاد في ماء مغلي قرابة ساعتين.

وفي العام ١٨٧٥ بلغ انتاج جزر الكناري وحدها ما يزيد على ٢٥٠٠ طن من الصبغة سنوياً. وفي اواسط ١٨٠٠ اكتشفت الصبغة الاصطناعية. وبحلول العام ١٧٨٠ استخرجت من هذه الصبغة مختلف انواع الالوان الثابتة

ولم تقوَ الصبغة الطبيعية على منافسة الاصطناعية في تعدد الوانها وانخفاض سعرها، فانهارت واندثرت صناعتها.

وعلى رغم ذلك، ما زالت بلدان عدة تربي الحشرة القرمزية، وهي تنتمي الى عائلة حشرة البق الذي يهاجم نباتات المنازل ومحاصيلها، الا ان شكلها، وهي على نبات الصبير، يشبه نقطة براقة محاطة بمسحوق ابيض رقيق غالباً ما يغطي مساحة كبيرة من شجرة الصبير.

والاناث منها مسطحة الشكل وليست

Photos: Gary Ross

لها اجنحة. وعندما تلتصق بالصبير، لتأكل، تبقى هناك ولا تتحرك من مكانها. اما الذكور فانها اقل حجماً ولا تأكل، لأن ليس لها فم، وبعد الموالفة تموت سريعاً من الجوع.

عملية معقدة - عملية تربية هذه الحشرات في غاية التعقيد. فبعد ما يزيد على ألف سنة من التأقلم، لم تتمكن هذه الحشرات من العيش في الجو البارد أو الرطب، لذا ففي نهاية مواسم الجفاف يقطع المزارعون المساحات المسطحة من شجرة الصبير، بما عليها من حشرات، ويحفظونها حتى يحين موسم الجفاف التالي حيث يتم نقل الحاملات من الاناث، واحدة واحدة باليد الى اشجار الصبير المنتشرة في مزارعهم.

وتفرز الاناث مادة سائلة تدخلها خرطومياً في قلب نبات الصبير كمؤونة تكفيها لمدة الاشهر الثلاثة التي تبقى فيها على قيد الحياة. وتحوي الانثى كميات كبيرة من الصبغة الحمراء التي تشكل ١٠ في المئة من وزنها وربما ساعدها مذاقها المر على حمايتها من الحشرات الاخرى المفترسة.

وفي اوقات الحصاد ينزع العمال الحشرات بعناية من جذوع الاشجار ثم يغطسونها في ماء ساخن أو يجففونها تحت الشمس.

ومن حسن الحظ ان الاناث يزيد عددها على الذكور بنسبة ٢٠٠ انثى الى كل ذكر.

ويتولى المزارعون نخل الحشرات تخلصاً من الذكور لعدم احتوائها على مقدار يذكر من الصباغ. ثم تأتي عملية الطحن حيث يحصل المزارع على نصف كيلوغرام تقريباً من الصباغ في شكل مسحوق ناعم من كل ٧٠ الف حشرة.

وتستعمل الصبغة الطبيعية حالياً في الابحاث الطبية والبقع المجهرية والتلوين الفني والتصوير الشمسي. وتستعملها ايران في صناعة السجاد. وهناك شركات قليلة مختصة بانتاج مواد التجميل ما زالت تضيف الصبغة الحمراء الطبيعية الى بودرة الوجه واحمر الشفاف والخدود وماكياج العيون.

وفي الولايات المتحدة، تعتبر الصبغة الحمراء ملوناً طبيعياً للمواد الغذائية مرخصة رسمياً من "ادارة الغذاء والدواء."

واذا واصل منتجو الاغذية تحولهم عن استعمال التلوين الاصطناعي فسيكون هناك مجال للصبغة الطبيعية لان تستعيد مجدها السابق لانها اجمل ما اكتشف الى الآن.

نويل فيتماير ■



فَكِّرْ في عدد بين واحد وعشرة. ضاعفه واضِفْ عشرة الى الحاصل ثم اقسم المجموع على اثنين. اخيراً اطرح من الخارج العددَ الذي فكرتَ فيه. في كل الاحوال سيكون الفرق خمسة. جَرِّب!

ا.خ.ف.س.

ماساة واقعية

صبيٌ وأفعى وملاكٌ



تثاقل الصبي وكلبه في مشيتهما وسط صقع موحش من الاشجار والنباتات اليابسة قرب منزلهما المنعزل في جنوب غرب فلوريدا. كان ذلك في اصيل نسيمي معتدل من شهر فبراير (شباط) بعدما فرغ مارك ديورانس (١٢ عاما) من غداء الاحد مع اسرته، خرج حاملا بندقية الخردق ليصطاد بها حيوانات صغيرة.

كان مارك وسيما، ذا شعر اشقر وعينين زرقاوين مشرقتين. وشعر بارتياح في ريفه البعيد، وقد احاطت به اراض فسيحة مكشوفة.

كان برفقته، في ذلك الاصيل، بوبو، وهو كلب هجين متوسط الحجم مخطط بلون داكن ذو وجه مربع ودي. وكان هذان الجوّالان السعيدان يمشيان في ارض وعرة مناسبة تماما للفتيان والكلاب و... الافاعي السامة.

وبينما كان مارك وبوبو متوجهين الى المنزل لمح الفتى عصفوراً على نُخَيلة. وفيما هو يحدّق الى العصفور، وثب فوق حفرة، فوقع على شيء شعر به يتقلّب تحت ضغط قدمه اليمنى. وعلى الفور، أحس مارك بصعقة الالم، وكانت في بدايتها شعوراً بانسحاق مخدّر شبيه بضربة فأس، ثم اعترت اسفل رجله رجة قاسية من حرارة ثائرة. وفيما هو يتطلع الى اسفل، طارت البندقية من بين يديه:

لقد كان رأس الحية السامة الكبير ملتصقاً بقدمه. اما فكّاها الصلبا

Illustrations: John Eggert



العضلات فكانا مطبقين بشراسة على مقدّم حذائه وقد اخترقت انيابها جلد الحذاء لكي ترسخ امام عظم الكاحل مباشرة واذ كان الفتى يعتصر الما، تفرّس في الافعى التي بدت كأنها تنخر قدمه ببطء وتعمد. عندئذ، انتبه مارك الى زمجرة كلبه ونهشه الافعى. فقد ظل بوبو ينقضّ ويعضّ - عشر مرات او خمس عشرة مرة - ولكن الافعى لم تفلت القدم، فانقض بوبو على رأس الافعى ومزقه فسال الدم.

في تلك اللحظة شعر مارك بتخلّي الافعى عن قدمه، فحرّر رجله منها، فيما تسللت هي داخل الآجام.

صراع ضد الموت. كان مارك على بعد مئة واربعين متراً من منزله. وكان حفيف النسيم بين اوراق النخيل يحجب اي نداء للنجدة. فأقنع مارك نفسه بأنّ عليه الاَّ يهلع. فقد علمه والداه انه كلما ازدادت سرعة جريان الدم، ازدادت سرعة وصول

سم الافعى الى القلب. حينذاك، لاحظ مارك انه عاجز عن الحركة فقد غلبه الم شديد شعر معه بضعف عام وبدأ يرى الاشياء مشوشة.

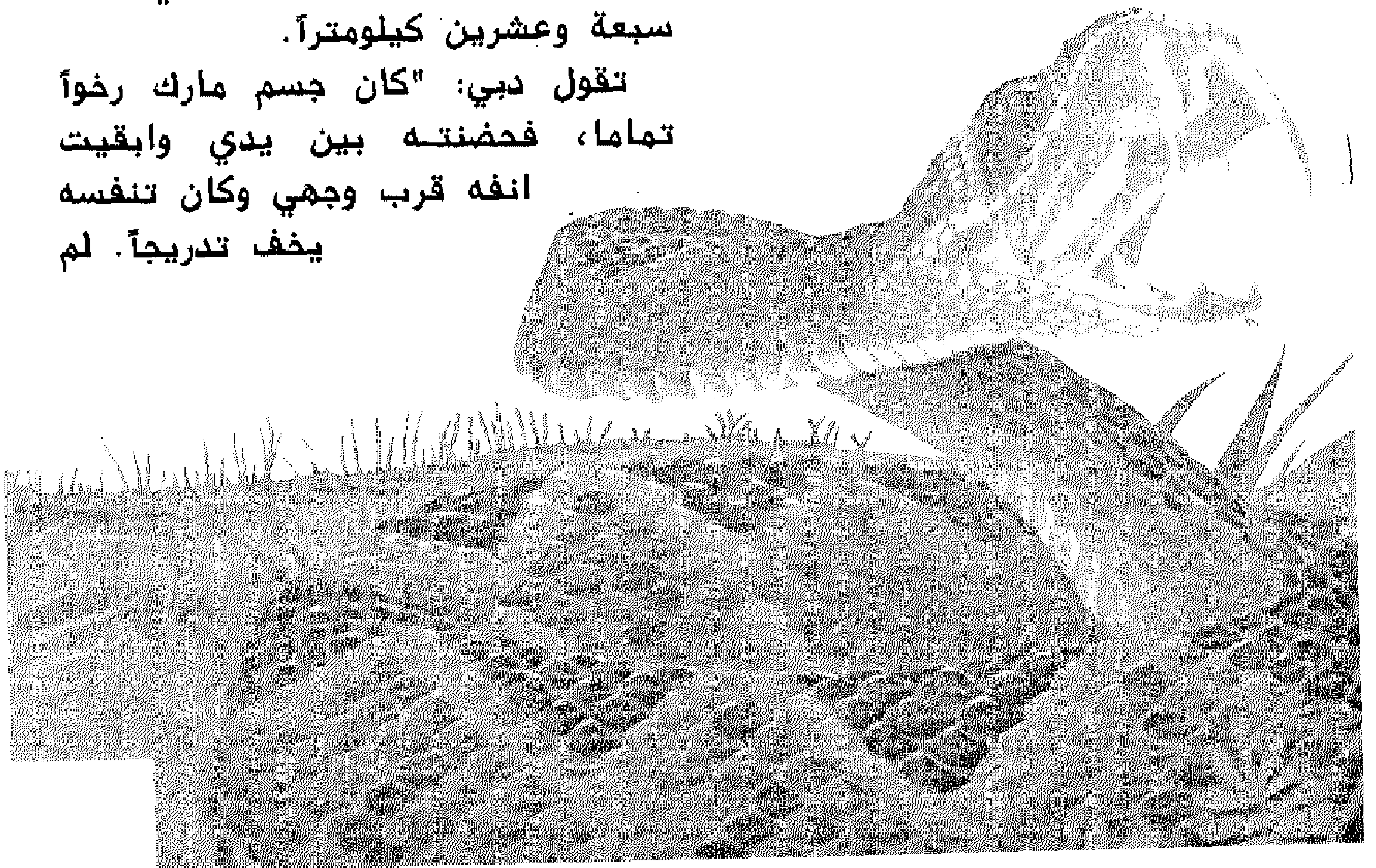
وما لم يعرفه مارك هو ان انياب الافعى حقنت وريداً بكمية كبيرة من السم. وكان هذا يجري في جسده ويشن هجمات متعددة على جهازه التنفسي وعلى قلبه، وعلى طاقة جسمه على تجميد الدم. لقد كان الصبي في حاجة الى اعجوبة لكي يقطع مئة واربعين متراً عبر تضاريس ارضية وعرة ثم يصعد الدرج للوصول الى مدخل داره.

كان بوبي ديورانس يشذب الايك في الساحة الامامية لمنزله عندما جاء ابنه البكر بودي صارخا: "يا أبي، مارك لدغته افعى". اما بوبي، وهو رجل قوي، ممتلىء الجسم، عمل عشرات السنين في حقول النفط، فاسرع الى المنزل ووجد مارك على ارض غرفة الجلوس فاقد الوعي ووالدته دبي الى جانبه.

فاحت من الصبي رائحة مسكيّة مميّزة كان آل ديورانس يلاحظونها كلما كانت افاعي "الجرس" تلدغ حيواناتهم. والكلمات الوحيدة التي تفوه بها مارك خرجت من بين شفتيه بهدوء وسلام بينما كان يعبر الباب: "لقد لدغتني حية جرس". ثم سقط على الارض فاقد الوعي تنهك جسمه انتفاضات عنيفة.

مزّقت دبي حذاء مارك وكشفت تورما ارجوانيا كبيراً ودميما في قدمه اليمنى. واذا لم يكن لديهما هاتف، كان على دبي وبوبي ركوب السيارة طلباً للاسعاف. فلفا ضاغطة شرايين حول رجل مارك وهرعا، وابنهما بين ايديهما، الى شاحنتهما الصغيرة المكشوفة وانطلقا بسرعة قصوى نحو العيادة الصحية التي تبعد سبعة وعشرين كيلومتراً.

تقول دبي: "كان جسم مارك رخواً تماما، فحضنته بين يدي وابقيت انفه قرب وجهي وكان تنفسه يخف تدريجاً. لم



يكن في وسعي ان افعل شيئاً سوى الصلاة." وفي صلاتها، عادت بالذاكرة الى طفولتها والى كلمات كانت امها تعد بانها تجلب القوة دائما: اذ سرت في وادي ظل الموت لا اخاف شراً لانك انت معي.

صمود القلب. قاد بوبي شاحنته مسرعاً، وتجاوز السيارات، مسابقاً في سبيل حياة ابنه. وقبل الوصول الى العيادة باقل من كيلومترين، بدأت الشاحنة تفرقع واظهر جهاز القياس ان المحرك تجاوز الحرارة القصوى ثم توقف تماما فهمدت الشاحنة وجمدت في الطريق.

قفز بوبي الى الخارج ولوح مسعوراً بيديه. انحرف السائقون عنه، فعاد راكضاً الى الشاحنة واخذ مارك بين ذراعيه. حمله الى منتصف الطريق وامسك بجسمه الرخو المقطوع النفس تقريبا كما يمسك بعَلَم في الهواء.

ضغطت سيارة واحدة كابحها بعنف. وكان السائق عامل مزرعة من هاييتي لا يتكلم الانكليزية ولكنه يفهمها. دفع دبي وولدها الفاقد الوعي الى داخل سيارته وتبع توجيهات دبي التي اعتمدت الاشارة باليد، نحو العيادة.

حاول الموظفون هناك ان يحافظوا على استقرار حال الصبي ولكنه كان يحتاج الى مساعدة تفوق امكاناتهم فباشروا اعطاءه سوائل واجروا له تنفساً اصطناعياً. ثمّ أرسلوه في سيارة اسعاف الى اقرب مستشفى. وهذا يبعد ستة عشر كيلومتراً عن المستوصف.

كان الجراح العام الدكتور مايكل نيكوم في منزله يغسل قاربه عندما تلقى نداء من قسم الطوارىء. فقاد سيارته مسرعاً الى غرفة الطوارىء في المستشفى وانتظر دخول سيارة الاسعاف. ويقول نيكوم: "كان تنفس الصبي توقّف. واعتبر ميتاً منَ الوجهة العملية."

على مدى الساعات الثماني التالية، عمل اربعة اطباء وعدد كبير من الممرضات في معالجة مارك، من دون توقف. ويروي الدكتور نيكوم بعض ما جرى: "كان جهاز القلب والاوعية الدموية لدى الصبي على حافة الانهيار، ثم توقفت كليتاه عن العمل."

منع السم دم مارك من التجمد محدثا نزفا داخليا. ومما زاد الامور سوءاً قصور التنفّس لديه. ويضيف الدكتور نيكوم: "على مدى الساعات الاربع عشرة الاولى، كان قلب الصبي الشيء الوحيد الذي يعمل جيداً وهذا ايضاً كان يتعرض لضغط هائل." سيطر السمّ على كل عناصر جسم مارك، وهو عندما يتوافر بكمية مماثلة، يؤثر مباشرة ليس على الدم فحسب بل على الانسجة كذلك اذ انه يتلف الخلايا. اعطى الاطباء مارك جرعات "انتيڤينين" وهو مصل مشتق من دم الخيول المحقونة بسم الافعى.

لم يكن هناك حظ، من الوجهة الطبية، لانقاذ حياة الصبي.

ويلاحظ الدكتور نيكوم: "في وضع صعب كهذا، تظهر بوادر التحسن عادة خلال الساعتين الاوليين او نخسر المعركة. لم نرَ أي بوادر مماثلة في حال مارك. فبعد ثماني ساعات، كان وضعه

بالخطورة ذاتها التي كان عليها عندما وصل الى المستشفى."

ملاك انقذه. مع حلول صباح الاثنين، بدأت حال مارك تستقر. فتحسّن ضغط دمه قليلا، وظهرت دلائل على نشاط كلوي ولكن الصبي ظل في غيبوبة.

اما بالنسبة الى دبي وبوبي فأشدّ المظاهر هولا كان النزّ المستمر للدم من اذني مارك وفمه وعينيه. ثم كان هناك الورم المخيف في كل جزء من جسده. كان حجم يديه ثلاثة اضعاف الحجم العادي. وبدا كأن لا عنق له. وتتذكر دبي: "كانت عيناه منتفختين الى درجة لم نرَ معها سوى اطراف الاهداب على طول شقي العينين، وكان الدم يرشح من الشقين." وهو اعطي، الى الان، ثماني عشرة وحدة من الدم.

يوم الثلثاء، قلق الاطباء من امكان توقّف تدفّق الدم الى قدم مارك اليمنى بسبب الورم مما يستلزم بتر الجزء الأسفل من الرجل اليمنى. وحُزت رجله حزوزاً مسننة لكي تتمكن الانسجة المتورمة من التمدد، وهكذا يُرفع الضغط عن الاوعية الدموية.

لم تترك دبي المستشفى ابداً، وجلست ساعات تصلي لابنها وتواسيه: "ربما كان في غيبوبة، ولكنني آمنت بانه قد يسمع كلماتي، له ولله."

في اليوم الثالث، بدأ مارك يسترد وعيه. وفي اليوم الرابع، فصل عن جهاز التنفس الاصطناعي. وأثناء اللحظات القليلة الاولى، اخبر مارك والديه، بصوت متقطع ولكن واضح، كيف قفز الى الحفرة وسقط على الحية. وامتزج الضحك بالدموع عندما قال مارك انه يأمل بالا يكون ابوه غاضبا منه بسبب اهماله.

بالنسبة الى الاطباء، كان هذا الوضوح دليلاً على عدم تضرّر دماغ الصبي.

بعد ذلك غادر الاطباء والممرضات الغرفة تاركين مارك مع والديه. دلكت دبي جبين ابنها المتورم وامسكت يده المنتفخة. خلال هذه اللحظات، وبينما كان مارك وابواه مجتمعين في بوتقة من المحبّة يقدمون الشكر المتواضع الى الله، اخبرهما الصبي عن الحادثة غير العادية التي حصلت في الحقل المقفر.

تحدث مارك برصانة عن شخص بثوب ابيض "ظهر" امامه حين ادرك هو انه لا يستطيع ان يقطع المسافة بين الحقل والمنزل. اخذه الشخص بيده وحمله عبر الحقل وعلى السلالم!

ناقش مارك وابوه تلك التجربة بينما كانت صحة الصبي في طور التحسن. وهما يتصوران أن تكون قدم مارك اليمنى سقطت على وسط الافعى، فتحركت هذه برشاقة الى الوراء وغرزت انيابها في قدمه. ولما كانت الافاعي تنسحب عادة بسرعة بعد لدغة دفاعية، فمن الممكن ان تكون انياب الافعى علقت بجلد حذاء مارك وان حركة المضغ كانت في الحقيقة جهداً قامت به الافعى للافلات من الحذاء. وربما افرغت تلك الحركة كمية غير عادية من السم في قدم الصبي.

وقدّر الخبراء ان طول الافعى كان قرابة المترين على الاقل، بناءً على عرض علامات الانياب البالغ قرابة اربعة سنتيمترات بعد تلاشي الورم.

اما بالنسبة الى ما جرى بعد ذلك، فهو يفوق اي تفسير طبيعي. فما أخبر مارك عن حدوثه لا يمكن ابداً اثباته، ولكن اشياء كهذه لا تخضع ذاتها للبرهان يوماً. لقد نجح الصبي، بطريقة ما، في قطع قرابة مئة واربعين متراً فوق تضاريس ارضية وعرة وفي صعود ثلاث عشرة درجة ومن ثم فتح باب المدخل الى منزله.

ويرى الدكتور نيكوم انه "من وجهة النظر الطبيّة، لا ادري كيف استطاع الصبي ان يفعل ذلك."

ويضيف الدكتور نيكوم: "ليس هناك اجراء طبي معيّن سبب بقاءه حياً، وهو يدين بنجاته الى تلك الطاقة الدائمة التي تتوافر لدى اشخاص كثيرين." وختم: "انه فتى صغير صلب العود ينتسب الى قوم اقوياء. ان الذي اعاد اليه عافيته وابقاه حيا كان الكثير من العمل الشاق والصلاة."

وفيما يعمل الاطباء على اعادة بناء الانسجة في رجل مارك وقدمه، تنتظر مارك عدة عمليات تطعيم جلد. ويستبعد الدكتور نيكوم ان يعاني مارك عجزاً دائماً.

ان مارك متلهف للعودة الى الريف مع بوبو وبندقيته. وهو يأمل ان يصبح مزارعا عندما يكبر، وهكذا يستطيع ان يعمل في الارض التي يحب.

يشكر والدا مارك الاطباء والممرضات، ويتساءلان عن عامل المزرعة اللطيف من ابناء هاييتي. تقول دبي: "انا لا اعرف ماذا كان سيحصل لولا ذلك الرجل. لما ذهبت لاشكره كان غادر المكان ولم نعرف اسمه ابداً."

اما مارك فيعلم انه يتقدم في حياته ببركة خاصة جداً وهي العلم اليقين انه، وهو طفل، رعته يد الله.

هنري هيرت ■



سؤال طفولي

عدت الى المنزل من مزرعة في الجوار، حاملة لحديقتنا دلوين كبيرين من سماد البقر. فسألتني شقيقتي ابنة السنوات الست: "لماذا هذا؟" فأجبتها: "للفراولة." وبعدما حدّقت طوال دقيقة الى السماء تساءلت: "هل اقدر ان آخذ حصتي بالقشدة المخفوقة بدلا من هذا؟"

ك.ك.

تقدُّم سلحفيّ

كان اخي متحمساً لمعرفة نتيجة امتحانه في الفيزياء، فسأل معلمه: "ما مقدار بُعدي من الحصول على افضل علامة ممكنة في هذه المادة؟"

فاجابه المعلم: "هل تريد أن تعرف المسافة بالسنوات الضوئية؟"

ل.د.س.

الضحك خير دواء

حلاق حربي

سأل الحلاق الناشىء زبونه الأبتر بعدما أحدث جرحاً عميقاً في ذقنه: "أعتقد أنك أتيت الى هنا سابقاً. أليس كذلك؟"
أجاب الزبون: "لا، لا. لقد فقدت ذراعي في الحرب."

ج.م.

لا صبي ولا بنت

في اثناء تلقي زميلة لنا اتصالا هاتفياً من ابنتها سمعناها تهتف بفرح: "ثلاثة كيلوغرامات ونصفا! انا فخورة بك جداً." وبعدما اقفلت الخط سألتها: "صبي ام بنت؟"
فاجابت: "لا هذا ولا ذاك... وانما فقدان وزن."

د.أ.ل.

لولا الاسبيرين...

كان زوجي الطبيب يبحث يوماً عن احدى زميلاته، وهي امرأة صعبة الارضاء الى حد ما. فقال له مساعده: "كانت هنا منذ دقيقة. ثم ذهبت انا لتناول بعض الاسبيرين وعندما عدت كانت هي ذهبت."
فلاحظ زوجي: "آه، يبدو الامر كما لو أن الاسبيرين فعل فعله!"

ل.ت.ف.

واحدة بواحدة!

"يا للمصادفة! - قالت الزوجة لبعلها - انت نسيتَ ذكرى ميلادي وانا نسيتُ كيف اطبخ."

ج.أ.

هل مريح!

كان رجل يقدم طلباً للحصول على وظيفة حارس سجن، فسأله آمر السجن: "في داخل السجن فتيان اشداء حقا، فهل تعتقد انك تستطيع ان تعجم عودهم؟
- لا عليك، فاذا لم يُحسنوا التصرف ارميهم خارجاً!"

ج.أ.

هارون رشيد آخر!

دخل زوجان المحل التجاري حيث ابيع رياشاً، وقالت الزوجة انها تود شراء أريكة (صوفا) وبعدما أريتها ارائك من مختلف الاطرزة والالوان وقع اختيارها على واحدة. "مهلا - صاح الزوج وهو يخلع حذاءه - "دعينا نجر اختباراً حقيقياً على هذا الشيء." فتمدد على الاريكة متخذاً لنفسه وضعاً مريحاً وقال لزوجته وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "الآن ابدأي بإخباري كم يحتاج العشب الاخضر الى جز."

ر.ج.ب.

من يقدر ان يسبر عمق محبة الوالدين؟

أبٌ مثالي

كان الاطفال يموتون، والناس يتهامسون خائفين: "انهم يتساقطون كالذباب." وفي بعض الاماكن، اكتظت المستشفيات بهم على نحو فاق استيعاب الغرف فرصفت حيطان الاروقة بأسرّة يحمل كل منها جسم طفل مشلول.

لم يكن لقاح الدكتور جوناس سالك ضد داء شلل الاطفال متوافراً قبل العام

Photo: Charles Freeman

١٩٥٥. اما انا فهاجمني شلل الاطفال في العام ١٩٤٩ ولم يتيسّر لي الافادة منه. كنت في الثامنة من عمري عندما اصبت بشلل الاطفال البصلي وهو اسوأ انواع الشلل. فقد هاجم الداء جهازي العصبي المركزي فاعتراني، في بادىء الامر، شعور بالاختناق تبعه عجز كلي عن الابتلاع. وما لبث الشلل المخيف ان زحف الى رقبتي ورجلي ويدي اليمنى.

أُخطر والداي بأنني لن اعيش، وقيل لهما انه مع حلول الصباح أكون قد فارقت الحياة. ولكن الاطباء رفضوا السماح لهما بالبقاء الى جانبي في الليل، لان المستشفى كان مكتظا بالناس.

عاد والداي الى منزلهما الصغير في لانسنغ، ميشيغن، ووضعا اخي، البالغ من العمر ثلاث سنوات، بلطف في سريره المجاور لسريري الخالي. ثم جلسا جنبا الى جنب في غرفة الجلوس حيث ظلت امي طوال الليل تؤاسي ابي. فللمرة الاولى والوحيدة رأت أمي زوجها يبكي.

عمل متوازن. في الصباح توجها الى المستشفى صامتين متجلدين وقد اوكلا امرهما الى القدر. وكنت في الليل، حين غلب البكاء والدي، فاقدة الوعي وقد بلغت حرارة جسمي ٤٣ درجة مئوية. وكانت هناك ممرضة مسنّة استدعيت للعمل وهي متقاعدة، فعرفت من بطاقة تظهر اسمي، انني حفيدة صديق قديم لها، فوضعتني في مغطس يحوي ثلجاً لخفض الحرارة، ولازمتني ٤٨ ساعة وهي تكافح النعاس والارهاق، الى ان انخفضت حرارتي.

نقلت الى جناح ضم عشرين فتاة أخرى مصابات بالشلل. والحق الداء ضرراً باجزاء عدة من جسمي ولكن الأذى الاسوأ طاول العمود الفقري، قرب الرقبة، فبت عاجزة عن دفع رأسي عن الوسادة.

وابلغ الاطباء الى والدي انني قد اتمكن، بالمعالجة، من استعادة القدرة على استخدام ذراعي ورجليّ. انما يقتضي علي ان اضع طوقا حول عنقي مدى الحياة وان اذهب الى مدرسة خاصة بالمعاقين.

كان جواب ابي حازماً: "لا، ابنتي لن تذهب ابداً الى تلك المدرسة." فهو لم يرتض لابنته حياة مثيرة للشفقة تكون فيها عالة على غيرها، كما رفض أن تضع صغيرته طوقاً حول عنقها طول حياتها.

لم تتجاوز دراسة ابي المدرسة الثانوية ولكنه قرأ كل ما استطاع أن يجده من كتب وغيرها عن شلل الاطفال. وتحدث الى أطباء وممرضات واخصائيين بالمعالجة فاستنتج انه اذا اجريت لعضلاتي تمارين اصطناعية فمن الممكن الا تصاب بضمور دائم. ووافق على ذلك طبيب اخصائي بالجهاز العضلي الصقلي وعلاقته بالاجهزة الاخرى للجسم. وقرر ابي أن ينقلني من المستشفى لمباشرة المعالجة في اقرب وقت ممكن. وأمرني بان أنفذ كل ما يطلبه مني اطباء المستشفى، بما اوتيت من قدرة. ولم يكن ذلك بالامر الجديد، فأبي علمني دوماً أن أحقق ذاتي على افضل وجه.

رأيت فتيات كثيرات يغادرن المستشفى في كراس نقّالة، خلال الاشهر التي كنت فيها قيد المعالجة، ولكن والدي وعدني بان نغادر المستشفى معاً،

على الاقدام. لم اسمعه يوماً يقول: "اذا تعافيت." كان دائما يردد: "حين تتعافين."

توصلت الى طريقة تمكنني من الجلوس دقيقتين في كل مرة، وكنت تلقيت دروساً في رقص الباليه منذ الثالثة من عمري، وبطريقة او بأخرى، كنت اقفز جالسة واوازن رأسي ورقبتي على كتفي لكي اثبت أن حالتي تتحسّن. كان الاطباء يعلمون ان هذه لم تكن سوى حركة بهلوانية ولكنها اعجبت والدي.

كان لي هدفان: الاول ان اذهب الى البيت سريعا، والثاني ان اربح ما يكفيني لشراء دمية كالتي في حوزة فتاة في جناحي. لم تكن لي رغبة خاصة في الدمى ولكن هذه الدمية كانت تختلف عن سواها، اذ انه كان في وسعي غسل شعرها!

لاحظ والدي ان السعي الى هدف معين سيمنحني شعوراً بالسيطرة لذلك اشترى لي آلة تصنع لباناً (علكة) كنت ابيعه للذين يمرون بسريري في مقابل قروش قليلة، وذلك بقصد جمع المال لشراء تلك الدمية.

لم اكن قادرة على مغادرة المستشفى مشيا على قدميّ. فأمضّني العذاب ولكن ابي اعتذر ناسبا عجزي الى خطأه ولم يدعني اخرج في كرسي نقال بل حملني بين يديه وخرجنا معاً وانا مرتدية ثوب حمام قرنفلياً كانت خاطته لي امي.

المعاناة. كنت اتابع دروساً في البيانو منذ الخامسة من عمري. وفي اليوم الاول لعودتي الى المنزل، اجلسني والدي في حضنه الى البيانو، وسند رأسي الى صدره ووضع يديّ على لوحة المفاتيح. ولكن يدي اليمنى انزلقت على اللوحة فقال لي مطمئناً: "لا بأس، سيكون في امكانك العزف في وقت قريب."

صباح كل يوم، كان أخصائي الجهاز العضلي الصقلي الدكتور فريدريك تايلور، يأتي لكي يمرّن عضلاتي وفي شكل خاص عضلات الرقبة. وكان مدرس خصوصي يعلّمني في فترة ما بعد الظهر وقد وعدني ابي بانني ساعود الى المدرسة. كان علي ان ابذل جهداً لاتمكن من المشي والكتابة بيدي اليمنى ورفع رأسي، قبل حلول نهاية السنة الدراسية.

كان ابي يغادر عمله مراراً، في اليوم الواحد، عائداً الى البيت لكي يمددني على مقعد البيانو ويجبرني على رفع اكياس الرمل الموضوعة على جبيني وذراعي ورجلي. كانت احدى عضلات الرقبة الرئيسية قد ضمرت فتوجّب علي ان اقوي العضلات الاخرى على سبيل التعويض. وقد امتنع بعض الجيران عن التحدث الى ابي لأنهم كانوا يسمعون صراخي اثناء التمارين، فلم يدركوا انه انما كان يفعل ذلك بدافع محبته لي، اما انا أدركت ذلك.

كنت اراقب الفصول تمر وانا مسندة الى مقعد في رواقنا الزجاجي الامامي، فأرى، عبر نافذتي، الاولاد ينبشون اوراق الخريف ثم يصنعون رجل ثلج، ويندفعون، بعد فترة وجيزة، على مزالجهم ذات العجلات بينما الاشجار تستعيد اخضرارها، فايقنت من دون ان يخامرني اي شك، انني سأكون معهم في السنة التالية.

بعد فترة، بدأ الدكتور تايلور يأتي ثلاثة ايام في الاسبوع. ثم، شيئاً فشيئاً، بدأت ارفع رأسي بمفردي وبت امشي على نحو حسن نوعاً ما واكتب ببطء واعزف بضع نوتات موسيقية على البيانو.

ثم ركز ابي مرآة امام مقعدي على طاولة الغداء. اذ نظرا الى الشلل الشامل الذي اصاب جهاز البلع لدي والذي ما زال مستمراً حتى الآن، كان علي ان ادير رأسي دورة كاملة الى اليمين لكي اتمكن من بلع الطعام. وبمراقبة نفسي في المرآة،



الكسندرا بورك.

تمرنت على ابقاء رأسي مستقيماً، حتى اتقنت عملية الاكل من غير ان ادير رأسي مع كل لقمة وكأنني انظر من النافذة. وما زلت الوي رأسي قليلا لدى الابتلاع ولكن بحركة خفيفة لا تسترعي الانتباه. وكل ذلك تم بفضل تلك المرآة.

شارفت السنة الدراسية نهايتها وكنت لا ازال نحيفة وضعيفة. وابلغ المسؤولون في المدرسة الى والدي، وقد شاهدوا شحوبي وبطء حركاتي، انني لم اتعافَ على نحو يسمح لي بالعودة الى المدرسة.

ذهب أبي رأساً الى رئيسة المدرسة – وقد كانت معلمته في الصف الابتدائي الرابع – ورجاها قائلا: "علينا ان نساعد ابنتي على الشعور بأنها طبيعية. العودة الى المدرسة هي مكافأة لها على كل الجهود التي بذلتها."

منحتني ادارة المدرسة فرصة، فخاطت لي امي ثوباً جديداً ذا نقش مربع، وزيّنت ضفائري باشرطة حمراء لكن خدّي الغائرين وركبتي المعقدتين، اشعرتني بالارتباك. وعيّرتني الفتاة الاكثر بدانة في صفي ساخرة من نحافتي مما جرح مشاعري، مع انني لم ادع احدا يشك في ذلك. ولكن صديقي السرّي أدخل احدى ضفائري الشقراء في إناء التلوين فاعاد الي شعوري بأنني عضو في المجموعة من جديد. وكنت مجلّية في الامتحانات ففزت بالمرتبة الاولى ثم غادرت المدرسة مع سائر الاولاد لقضاء عطلة الصيف.

ولكن "عملي" لم يكن على وشك الانتهاء

صار ذكرى. كان ابي يملك شركة صغيرة للصفائح المعدنية، وتكاد أرباحه لا تغطي التزاماته المالية. وكانت يحق له الافادة من صندوق اعانات مخصص لضحايا شلل الاطفال، ولكنه لم يأخذ منه فلساً واحداً بل ساهم طوال حياته بالتبرع لتلك المؤسسة الخيرية.

في ذلك الصيف، أغرق والدي نفسه في الدين اذ اشترى قطعة ارض على بحيرة موريسون، بنى فيها كوخا بنفسه لكي

أحصل على علاج يومي في الماء. فعلمني السباحة لتحسين حالتي العامة. ثم قرر ان الرياضة بالابحار في مركب شراعي مفيدة لذراعي، فأصلح مركباً شراعياً قديما، وشرع يتمرن لكي يتقن فن الابحار بنفسه اولا. ولن انسى منظره مبحراً من الرصيف والمركب منشور الاشرعة وفي يده كتاب التعليمات "ست خطوات سهلة للابحار." ولا يلبث ان ينقلب به المركب في عرض البحر فننفجر بالضحك جميعنا على الشاطىء.

وقد علّمني الابحار في نهاية الامر وعلّمني ايضاً التزلج على الماء لتقوية ذراعي ورجلي. ولكي تستعيد حركات جسمي رشاقتها ويعود الى روحي سلامها واطمئنانها، مرنني على صيد الأسماك باستخدام الذباب الاصطناعي، في النور الخافت لشروق الشمس.

في ذلك الصيف، كان والدي ينهض في الخامسة صباحاً لكي ينتقل الى المدينة، بينما نبقى نحن عند البحيرة لانهاء "عملي".

عاودت دروس الباليه والبيانو في الخريف التالي ومع أن معلمة الرقص لم ترَ أنني مهيأة بعد لمتابعة دروسي، فقد أقنعها أبي بعكس ذلك.

وعندما وصلت الى الصف الابتدائي السابع، بعد سنتين، كانت حالتي قد اصبحت طبيعية. فنصحني والدي قائلا: "ستلتقين كثيرين من الرفيقات الجدد، فلا تخبري احدا عن مرضك. لقد ولّى هذا وانتهى." لم تكن المعاناة مهمة بالنسبة الى أبي بل التغلب عليها. اتبعت نصيحته لي، والى هذا اليوم، قليلون هم الذين يعلمون بأمر ذلك الحدث في حياتي، حتى أقرب الأصدقاء.

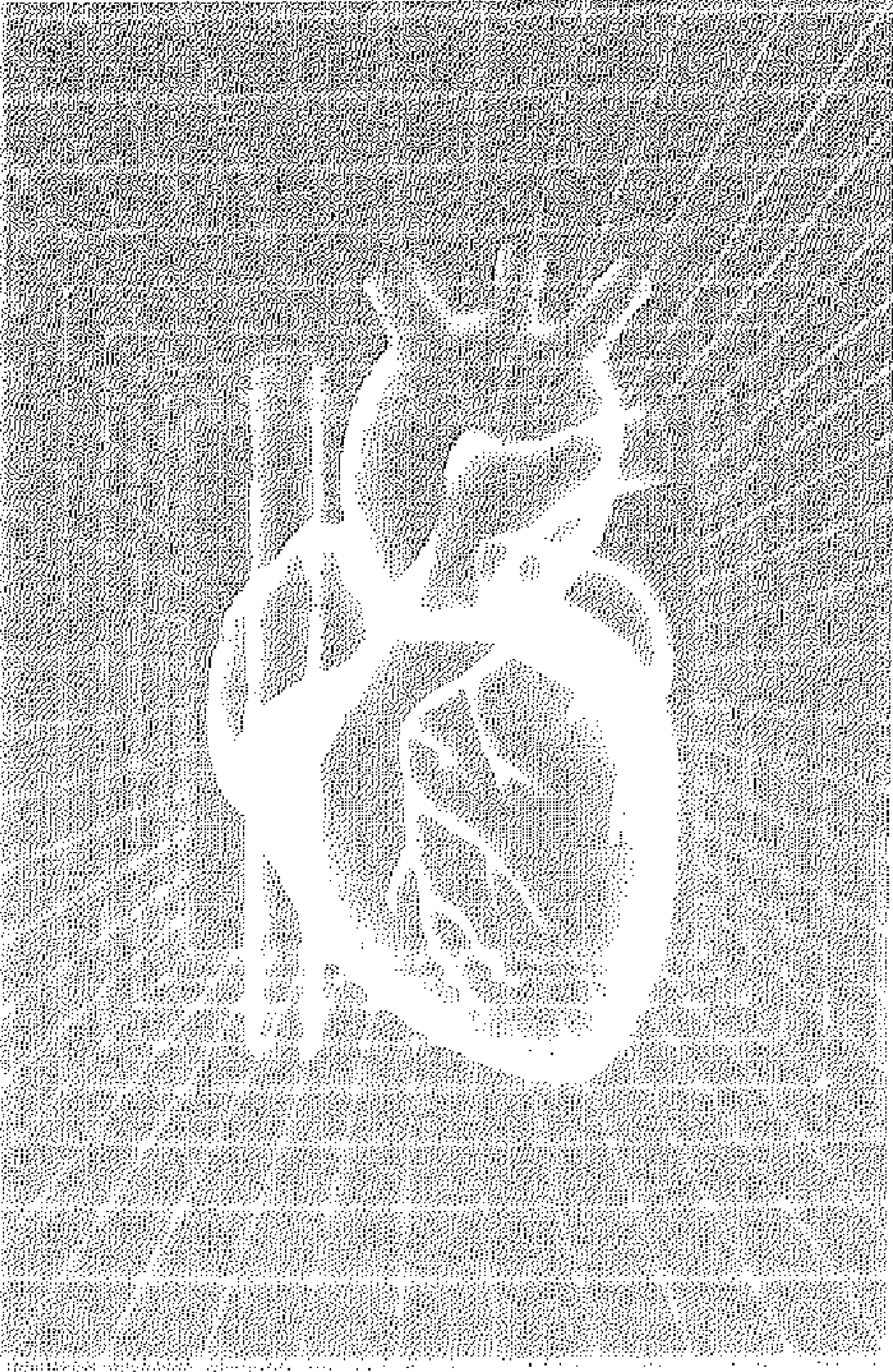
"شكراً لك يا والدي." يصادف عيد يوم مولدي يوم "عيد الشكر." كنت في آخر النهار في غرفة نومي اتطلع الى عنقي في المرآة. وتخيلت عنقي يلفه طوق من الفولاذ والجلد، فهرعت الى غرفة والديّ وقرعت الباب بالحاح وما ان فتحه أبي حتى طوقته بذراعي مجهشة بالبكاء، وهتفت: "شكراً لك يا ابي، لقد منحتني الحياة مرتين." فكان ان احتضنني بين ذراعيه و بتسم. ولم نأت على ذكر ذلك ثانية.

مات والدي وهو في الحادية والستين من عمره. ولكنه عاش ورآني طالبة على لائحة الشرف، أرقص وانهي دروسي في المدرسة الثانوية واعلّم رقص الباليه لالتحق بجامعة ولاية ميشيغن في إيست لانسينغ. وبدلا من الطوق حول عنقي، رأى رأسي مكللا بتيجان الفوز والتفوق في مباريات الجمال المتعددة.

وقد تأبط ذراعي وسلّمني الى عريسي في حفلة زواجي. ورآني امثل في افلام دعائية تلفزيونية، وسمعني في برنامج خاص بي على الراديو وقرأ كتبي عن الصحة والجمال إذ كنت اتمتع بوظيفة عامة لم يكن في امكاني الوصول اليها لو لم يتحدَ والدي شلل الاطفال ويرفض الاستسلام له.

والأهم من ذلك انه رآني انمو لكي اصبح المرأة التي طالما أراد أن تكونها ابنته الصغيرة: سعيدة، معافاة، مرفوعة الرأس.

الكسندرا يورك ■



احدث المعلومات عن العقاقير والسبل التقنية المتبعة في الطوارىء المنزلية والدور المتنامي للاسبيرين في منع النوبات القلبية

أَسْلحَة جَدِيدَة ضدّ النوبَات القلبيّة

عرف عن الاسبيرين انه يسكّن الاوجاع وانه معالجة قياسية لداء التهاب المفاصل. ولكن يستفاد من تقرير نشر في العام ١٩٨٨ في مجلة "نيو انغلند" الطبية المرموقة، ان هذا العقار يساعد في الحؤول دون اصابة الاصحاء بالنوبات القلبية. في هذه الاثناء تحدث ثورة في طريقة معالجة النوبات القلبية، بعد وقوعها. ففي السنوات القليلة الاخيرة بدأ الاطباء يحقنون اوردة ضحايا النوبات القلبية ادوية لحل الجلطات الدموية التي تسدّ القنوات العظيمة الشأن. واذا لم يجد ذلك فانهم يحاولون فتح الشرايين المنسدّة بأحدث سبل المعالجة، اي بالبالونات البديلة من الجراحة.

تقول تيريزا كريسكي التي كانت مشرفة على مختبر تمييل القلب في مركز جامعة ميشيغن الطبي: "لبضع سنوات خلت كان عليك ان تسلّم امرك الى القدر، ولكن التفكير اليوم يتطلع الى التدخل والمعالجة بجميع الوسائل."

بات مِلز (٤٢ عاما) السكرتيرة في المركز مدينة بحياتها لطريقة التفكير هذه. فذات صباح شعرت بالم بسيط في مرفقها وخدر يسري في اثنتين من اصابعها، وكانت تزداد تعبا واضطرابا.

Condensed from Newsweek (February 8, '88). © 1988 by Newsweek, Inc., New York, N.Y. Photo

فاصطحبها احد اصدقائها الى دائرة تخطيط القلب حيث ابلغها الاطباء انها تعاني نوبة قلبية واعطوها عقاراً لحل الجلطة الدموية. وتوقف قلب ملز واقتضى صدمه اربع مرات كي يستعيد نبضه. قبل ان تبدأ فاعلية العقار. وقال لها احد الاطباء: "لو لزمت منزلك لما كان في امكانك الوصول الى الهاتف."

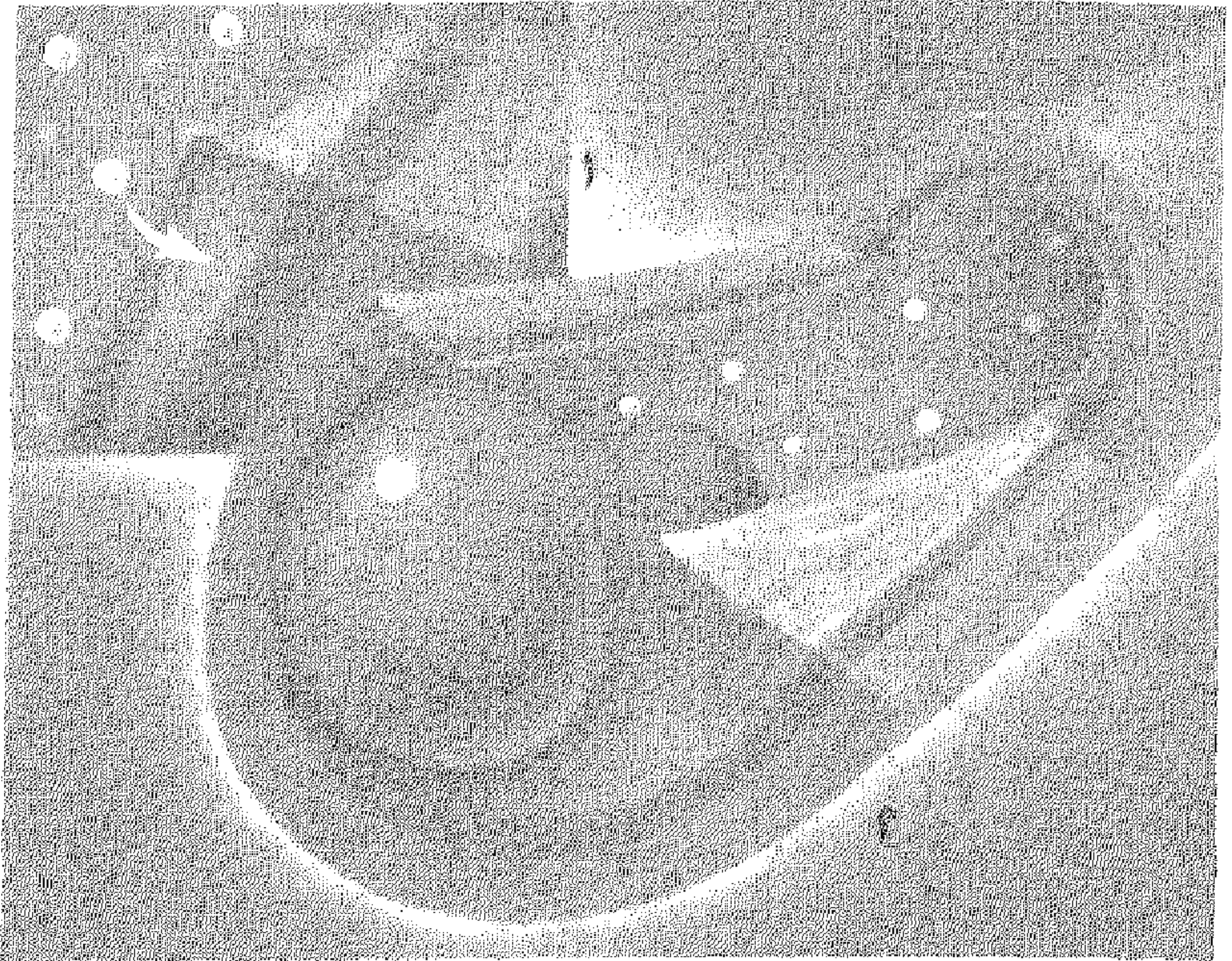
تكدّس الدهون. ان هذه الطرق المثيرة في المعالجة ترجع الى تفهم افضل للنوبات القلبية. يبدأ الكولسترول ومواد عضوية اخرى تشكيل رواسب شمعية ودهنية في بطانة الشرايين في فترة مبكّرة من حياة المصاب، تسمى "لوحات" او "صفائح" وهذه اللوحات تضيّق تدريجا الاوعية الدموية، ويعرف هذا بتصلّب الشرايين الذي قد يتسبب في انسداد الشريان التاجي من خلال حرمان عضل القلب الاوكسيجين الذي يحمله اليه الدم.

ويعرف الاطباء الآن ان جلطات الدم باتت تؤدي دوراً رئيسيا متزايداً في الامراض القلبية. فقد تسبب احداها شقاً في اللوحة وتسدّ كليا الشريان الذي سبق له ان ضاق، مما يحدث انسداداً في عضل القلب الذي يسبب بدوره موت العضل في ناحية من القلب. ويتوقف شفاء المصاب على درجة التلف في عضل القلب - وعلى سرعة اعادة الدم الى الجريان.

ويستند منطق استخدام الاسبيرين في منع انسداد الشريان التاجي الى الادلة المطّردة على الحاجة الى تفادي جلطات الدم. فاللويحات التي هي جسيمات بالغة الصغر تسبح في الدم، تعزز تكوّن الجلطات بتكتلها. ولكن الاسبيرين يمنع التكتل بجعل اللوحات اقل لزاجة من خلال الحؤول دون انتاج الـ"ترومبوكسين" وهو المادة التي تساهم في زيادة لزاجة اللويحات.

واظهرت الابحاث السابقة ان الاسبيرين قد يفيد الاشخاص الذين سبق لهم ان اصيبوا بنوبة قلبية او بذبحة صدرية غير مستقرة، وهي ألم في الصدر ينذر بنوبة قلبية داهمة. وكانت الدراسات اظهرت ان الاسبيرين خفّض بنسبة الخمس احتمال حدوث وفاة او نوبة قلبية ثانية. وظهرت فاعلية الاسبيرين اكثر قوة لدى المصابين بذبحة صدرية غير مستقرة، والذين هبطت الى النصف نسبة وفاتهم او خطر اصابتهم بنوبة قلبية.

الحاجة الى الحذر. اثبتت الاكتشافات الجديدة ان في امكان الاسبيرين ان يساعد على الحؤول دون النوبات القلبية لدى الرجال الاصحاء ايضا. ففي ١٩٨٢ تطوع اكثر من ٢٢ الفاً من الاطباء الذين يتمتعون بصحة جيدة للاشتراك في اختبار حول الاسبيرين. فتناول عدد منهم اسبيرين مخففاً كل يومين، بينما تناول عدد آخر حبوباً مسكّنة لا قيمة طبية لها. فتبين أن الذين تعاطوا الاسبيرين انخفضت نسبة خطر اصابتهم بالانسداد التاجي الى النصف تقريباً، واصيب ١٠٤ من الذين تعاطوا الاسبيرين بنوبات قلبية في مقابل ١٨٩ من الذين تناولوا مسكّنات. ولاحظ مدير الاختبار الدكتور شارل هينيكنز من بريغهام ومستشفى



(١) تتكون مادة الكولسترول ومواد اخرى (النقاط الصفراء) من مجرى الدم، في بطانة الشريان. وفيما تكبر هذه الترسّبات التي تسمى "لوحات"، فانها تسد مجرى الدم وتحدث ضرراً في جدران الشريان.

(٢) ان جلطة الدم التي تتكوّن حول مكان الضرر في الشريان التاجي المنسدّ تستطيع ان تسد امداد دم القلب وتسبب نوبة قلبية.

النساء وكلية جامعة هارفرد الطبية في كامبردج، مساشوستس - ان هذا هو "انخفاض كبير ملفت للنظر ويشكل ٤٧ في المئة من مجموع خطر الاصابات بالنوبة القلبية."

كان تأثير الاسبيرين واضحاً من الناحية الاحصائية الى حد حمل الاطباء المشرفين على الاختبار على ان ينصحوا بالتوقف عن متابعة الاختبار ليبلغوا الى المشتركين والمجتمع الطبي اكتشافاتهم.

ولكن حدوث اصابات نزف في الدماغ، وهو نوع من السكتة الدماغية التي قد تحصل حين يجري إفساد تخثر الدم، كان اعلى بقليل لدى الذين كانوا يتعاطون الاسبيرين. وهذا يؤكد الحاجة الى الحذر من جانب الذين يتناولون الاسبيرين وهم يعرفون انهم معرضون للنزف او الذين يحتمل اصابتهم وراثياً بالقرحة. وهناك ايضاً اشخاص ذوو حساسية يصابون بصدمة في حال تناولهم الاسبيرين.

يقول صمويل ز. غولدهابر الاخصائي بالقلب من جامعة هارفرد وعضو فريق الابحاث القلبية: "لا فائدة لمن يتناول اكثر من حبة اسبيرين من ٣٢٥ ميليغراماً مرة كل يومين." والحقيقة ان تناول كميات زائدة كثيراً من الاسبيرين قد يحبط الافادة الناجمة عن استخدامه ضد النوبة القلبية.

ويحذر الخبراء ايضاً من ان الاسبيرين ليس بديلا من تغييرات في اسلوب الحياة قد تؤدي الى خفض خطر انسداد الشريان التاجي. يقول هينيكنز: "من المؤسف أن يتعاطى المدخّن الاسبيرين عوض الاقلاع عن التدخين." ونظراً الى الاعراض الجانبية المحتملة فان الباحثين في جامعة هارفرد والدكتور كلود لانفانت مدير "معهد الولايات المتحدة الوطني

للقلب والرئة والدم،" يشددون على ان قرار تناول الاسبيرين يجب ان يتخذه المريض وطبيبه معاً.

الجلطات. ان معالجة انسداد الشريان التاجي بالعقاقير التي تحل جلطات الدم، تثير اهتمام الاطباء بمقدار ما يثيره دور الاسبيرين في منع حدوثها. ففي العام ١٩٨٦ افاد باحثون ايطاليون انهم اجروا دراسة على نحو ١٢ الف مريض دلّت على ان في امكان العقار "ستربتوكينايز" الذي يذيب الجلطة، خفض نسبة الوفيات في المستشفيات قرابة ٤٧ في المئة، اذا حقن في الوريد بعد ساعة من ظهور الاعراض. وفي احسن الاحوال، يقول الدكتور إريك توبول الاخصائي بامراض القلب في جامعة ميشيغن: "في امكاننا ان نجهض النوبة القلبية كليا."

لا احد يعرف ذلك افضل من اوسكار سوير (٦٦ عاما) تاجر الالبسة المتقاعد، المقيم في غاردن سيتي، ميشيغن. فقد استيقظ ذات ليلة وهو يعاني الماً في كتفه ومرفقه الايمن ثم بدأ يعرق ويشعر بالغثيان. فاستشف من ذلك بعض المؤشرات الكلاسيكية على انسداد الشريان التاجي وطلب من زوجته نقله الى مستشفى محلّي. وهو يقول: "صدقوني، كنت مرتاعاً."

اسرع به الاطباء الى مركز جامعة ميشيغن الطبي حيث ادخل الاخصائيون ميلا في حقه وبدأوا إسعافه بمنشّط الانسجة المولّدة للبلازمين .T.P.A الذي يتألف من مادة مذيبة للجلطة الدموية.

ويتذكر سُوير: "بدأت اشعر بتحسن مباشرة ورحت اتعجّب لماذا وجدت نفسي هناك."

ان نوع المعالجة التي نالها سوير خفضت بنسبة ٢٥ في المئة وفيات اولئك الذين يستطيعون الوصول الى المستشفى. وتدل الابحاث الحديثة على ان الاسبيرين قد يحسّن هذه المفارقات. وافادت دراسة دولية رئيسية اجريت على ١٧ الف مريض في مارس (آذار) ١٩٨٨ انه حين يعطى الاسبيرين خلال النوبة القلبية او بعدها مباشرة فانه يعزّز فاعلية العقار "ستربتوكينايز،" حتى انه وجد مفيداً حين أعطي وحده.

وتدل الاكتشافات التمهيدية التي تمّت من خلال تجربة صغيرة اجريت انتقائيا وبدقة، على ان المريض الذي يعالج بمنشط الانسجة او بادوية مضادة لتخثر الدم، ولا يعاني اي مضاعفات، يستطيع مغادرة المستشفى بعد مرور ثلاثة ايام، بدلا من سبعة الى عشرة ايام التي كانت معتمدة في السابق.

ويقول الدكتور يوجين باساماني من المعهد الوطني للقلب والرئة والدم: "ان احد العناصر الرئيسية في النجاة هو الوقت الذي ينقضي على بداية الاصابة. فاذا اعتقدت انك تعاني نوبة قلبية لا تنتظر – اطلب الطبيب او اسرع الى جناح الطوارىء في أقرب مستشفى."

ولا يزال النزف في حاجة الى حل، اذ انه قد يحدث كعارض جانبي تسببه مذيبات الجلطة، واقراص الاسبيرين. وفي امكان "ستربتوكينايز" ان يتسبب في ارتكاسات حساسة لدى ثلاثة في المئة من المرضى. وهناك على الاقل ربع

المرضى الذين لا يستجيبون مطلقاً للمعالجة من اجل اذابة الجلطة (الخثرة)، فلسبب ما تتعذر اذابة جلطات دمهم.

مسألة دقائق. في حالات كهذه قد يلجأ اخصائيو القلب الى المعالجة بالجراحة الترقيعية للاوعية على الفور في المستشفى، او يعتمدون اسلوب البالون فيدخلون ميلا في الشريان التاجي وقد ربط في رأسه بالون قابل للنفخ. ثم يشرعون في نفخ البالون في موقع اللوحة التي تضغط ترسّب تصلّب الشرايين ضد جدار الشريان الداخلي، فينجم عن ذلك توسيع لفتحته.

وفي الحالات القصوى قد يتدخل الجراحون ويجرون عملية "مجازة" في القسم المنسدّ من وعاء الدم، مستعينين في ذلك باجزاء من عروق رجل المريض او من الشريان الثديي في الصدر. وهذه الاجراءات تتم عادة للحؤول دون اصابة الاشخاص الذين يعانون مرض انسداد تاجي متقدم، بنوبات قلبية. ولكن عملية المجازة في الامكان اجراؤها خلال حصول النوبة القلبية الحادة من دون التعرض لخطر يفوق خطر الجراحة الروتينية التجاوزية.

ولكن نجاح اي معالجة يتوقف على المريض، الى حد كبير. فكون الطبيعة البشرية هي ما هي، فاننا نرى كثيرين يتجاهلون - او ينكرون - وجود الم او ضغط على الصدر او خدر في الاصابع او غثيان وعرق، وهي مؤشرات على انسداد الشريان التاجي. ان كل دقيقة تمر لها اهميتها البالغة حين تكون هناك ادوية في امكانها وقف النوبة القلبية فوراً.

مات كلارك ■



علامة الازمنة

خلال دخولي مؤسسة تجارية لاحظت هذه اللافتة فوق المدخل: "اجتاز هذه الابواب بعض من اجمل نساء العالم." وتحتها مباشرة هذه الكتابة: "الرجاء استعمال الباب الجانبي."

ل.أ.م.

متقاعدة من الهموم

اعتمد مطعم للوجبات السريعة سياسة اجراء حسومات للمواطنين البالغين سن التقاعد. وكانت الشابة المتحمسة العاملة على الصندوق تسأل كلا من الواقفين في الصف، ممن تبدو عليه علامات التقدم في العمر، هل تنطبق عليهِ او عليها شروط الافادة من الحسم. وعندما سئلت امرأة قربي هل هي مواطنة متقاعدة أجفلت واجابت: "آه، لا، يا عزيزتي. كل ما في الامر اني امضيت يوما شاقاً."

ر.إ.ب.

موظف اداري كبير واقعي التفكير
يُعلمك كيف تسير في الطليعة وتثبت فيها

مدرسة الحياة

في العام ١٩٦٤ كنت متوجهاً الى سباق خيل فلاحظت ان سائق التاكسي يضع بجانبه صحيفة تستطلع ابناء السباق لاغراض تتصل بالمراهنة.

فسألته: "ايّ حصان يعجبك في السباق؟"

– "نورسرن دانسر" اذا علاه الفارس بيل هارتاك.

"ولكن ماذا في شأن الفرس المرجَّح؟"

– "هيل رايز" تعوزه الشجاعة ليُحرز قصب السبق...

وبعدما افاض في تحليل منطقي للخيول وفرسانها ختم: "اسمع مني، عليك ان تراهن على نورسرن دانسر."

في حفلة اقيمت قبل السباق هزىء كل المشاهير في عالم سباق الخيل بمنطق سائق التاكسي وذكروا لي الاسباب المألوفة التي تجعل من "هيل رايز" الفرس المرجَّح. لذا راهنت عليه. وليس عليّ ان اخبركم كيف سارت الامور. فـ "نورسرن دانسر" تحوَّل واحدا من افضل الخيول اطلاقاً في تاريخ السباق، محطماً في ذلك اليوم الرقم القياسي بقطعه الشوط في دقيقتين بلا زيادة او نقصان.

علَّمني ذلك السباق درساً: أن آخذ في الاعتبار ليس مصدر النصيحة فحسب بل ايضا الوقائع وعمق التحليل التي بنيت عليها تلك النصيحة. فاصدقائي في السباق تتوافر لديهم اوراق الاعتماد في مضمار السباق لكنهم كانوا يركنون الى ميسور الامر داعمين الفرس المرجَّح. اما السائق فكان له "مكر الشارع"، وقد اعتمد التفكير المستقل الخلّاق والّف الأنباء الوثيقة الصلة بالموضوع اكثر مما فعله محترفو السباق.

خلال حياتي العملية اقترفت عدداً وافراً من الاخطاء. وفي كل هذه الاخطاء امثولات لمن يعتبر. وما مكر الشارع او حذقه الا ان تتعلم من اخطائك بمقدار ما تتعلم من اخطاء غيرك.

الشخص الذي علمته الايام قمين بان يُقدِم على عمل مستندٍ الى الحكم السليم المستخلَص من التجربة. وفي ما يأتي بعض الامور التي تعلمتها على دروب الاختبار في مدرسة الحياة الكبرى.

Condensed from «Confessions of a Street-Smart Manager», copyright © 1988

ثمّر اموالك في الناس

بعض الناس الذين صادقتهم منذ ٣٥ سنة، يوم كانوا مغمورين، بلغوا مراكز القوة في الاعمال الحرة والحكومة والتربية. ويساعد مقدرتك على اتمام اعمالك أن تعرف انساناً في وسعه ان يتّخذ قراراً او يحلّ مشكلةً.

عندما تبني علاقةً مماثلةً مع احدهم، فكأن احدكما يقول ضمناً للآخر: "اذا ما حصلتَ على ما انت في حاجة اليه فسيكون لك." وقد يكون هذا الامر اسداء نصيحة او فتح ابواب او رفع معنويات او الحضور اذا طرأ طارىء. فتعطي وتأخذ ولا مَن يحاسب.

هذا ما فعلته طوال حياتي وساهم كثيرا في نجاحي. في البدء احببت فقط ان التقي الناس، ولكني انتهيت الى بذل الجهد للمحافظة على اللمسة الانسانية.

نبدو فاقدين قدرتنا او ارادتنا على اقامة علاقات كهذه. لقد جرت العادة قديماً انك عندما كنتَ تدخل محلاً تجارياً كان الموظفون يولونك اهتماماً شخصياً وانت كنتَ تُعنى بالعودة اليه مجدداً. اما الآن فانت لا تزعج نفسك حتى بأخذ اسم البائع لانك تحسب انه لن يكون هناك في المرة المقبلة. الامر ذاته يحدث في العمل بسبب التحوّل السريع في الادارة، كذلك في العائلات. فان شخصاً يلاحق عمله وترقّيه من الثلاثينات حتى الخمسينات من عمره ينهمك في نشاطات مطّردة بلا توقّف ولا يعطي الا قليلاً من الوقت لبناء علاقاته مع زوجته او اولاده. وعندما يبلغ ذروة النجاح ويتوافر له متّسع من الوقت يكون شريك حياته قد طفح استياؤه (او غادر المنزل) ويكون الاولاد منهمكين بدورهم في شؤونهم الخاصة.

صادق الناس عندما يكونون في امسّ الحاجة اليك. واعمل بنصيحة لاو واسرمان، احد اقطاب صناعة السينما، للوكلاء الموهوبين: "اذا كان الممثل يعمل، فلا بد ان تتحدث اليه مرة في الاسبوع على الاقل؛ واذا لم يكن يعمل تكلم معه كل يوم."

مساعدة الناس لا تضمن معاملتهم إياك بالمثل. وقد علمتني الخبرة ان واحدة من عشر حالات يكال لك فيها بالكيل الذي به كِلْتَ... وأزود، لكنها حالة عرفان تغطي تماما على حالات النكران الاخرى.

احذر الخبراء

يتعين علينا جميعاً ان نستشير اطباء ومحامين ومصرفيين وغيرهم من الاختصاصيين طلبا للعون، باستثناء خبراء ذوي عيون شكاكة. لا تأمن الا لمعرفتك وغرائزك. وعندما تشتبه بشيء يخرج عن الواقعية اسأل عمّن قاله او اين كُتب. أترى الخبير هنا لمساعدتك، او لانتظار زبون اكبر او لارضاء رب العمل او للحصول على تصوّر شخصيّ او للظفر بعمل افضل؟ اياك ان تفترض ان ما يدعى "الاحترافية" سوف يحميك.

امامي على المكتب منشور صادر عن احد بيوتات السمسرة الرئيسية، يفصّل لماذا احدى الشركات تتمتع منذ وقت طويل بمتانة اوضاع، جاعلاً من اسهمها

صفقة رابحة. بعد مرور ثلاثة اشهر على هذا التقرير افلست الشركة. واذاً، فقد كان كُلِّف احدُ المحللين كتابة هَذه التوصية، لكنه ببساطة لم يكن على علم بما يكتب.

كل المؤسسات والمهن غير كاملة. وعلى غرار منظّفة كبيرة خوائيِّة سوف تحاول ان تسفطك الى داخل نظامها مع صورة المسؤولية والمعرفة والتحكّم في الامور. فلا تقبلها بل اجعلها تبرهن ذلك. حاول ان تحصل منها مقدماً على البديل التصحيحي الذي قد تعتمده اذا فشلت في نهجها.

كنْ مساعداً حسناً

بدأتُ العمل في وكالة اعلانات كمساعد في غرفة البريد وحاولت ان اجعل من نفسي مفيداً الى اقصى حد. انتهزت كل مناسبة لاساعد غيري واتحمّل مسؤولياتي. وكنتيجة لعملي الدؤوب، صرت نائب رئيس الشركة بعد ثلاث سنوات ونصف سنة.

ليس من الضروري ان تُسنَد صفة مساعِد الى الوظيفة التي تقوم بها. فكل عامل هو مساعد لرب عمله، صعوداً حتى نائب الرئيس التنفيذي الذي يساند المدير التنفيذي الاعلى.

ان تكون "ابن سوق" يعني ان تظهر حيث تدعو الحاجة لتسدها بصرف النظر عما تكون الصفة الرسمية لعملك. ثم ان تُعلِم رب عملك بما قمتَ به لانه ان جهل (او جهلتَ) صنيعك الاضافي فقد لا يُقيِّد هذا في رصيدك.

قدْرُ الخوف والجشع

يُعتبر ما تُطبَع عليه من خوف وما يغريك من جشع اهم حافزين شائعين الى العمل. والادعاء نقيض ذلك هو طمس للحقيقة.

خذ المحامين مثلا. فالانطباع على الخوف هو المحرك الضمني لكل ما يقوم به المحامي تقريباً من اعمال. تبتاع بيتاً فيقول لك المحامي: "قد يكون عقد البيع باتاً وقد لا يكون." فيزرع الخوف في قلبك ليفهمك انك فعلاً في حاجة الى خدماته.

او خذ ايضا سمسار البورصة. فهو لا يربح مالاً الا عندما تجازف انت بمالك. ويقوم نهجه على اغرائك بالربح والتقليل من خوفك. وفي حالات كهذه عليك ان تكوِّن خوفك الذاتي حتى يوازن جشعك الذاتي.

اذا كنتَ عاملا يهمّك ان تخفف خوفك. فإنْ تخش العمل بحزم وابداع تخسرْ فاعليتك. وتتوقف عن المبادرات. والحل هو ان تجعل مستخدميك يحتاجون اليك بمقدار ما انت في حاجة اليهم. فهذا يقلل الخوف ويضع الجشع على اساس متبادَل.

تجنّبْ الاخطاء السبعة المميتة

فهي قحينة بهدم علاقاتك وتحطيم مهنتك.

الغرور، لانه يقودك الى طريق مسدود.

الطمع، لانه يجعلك تعيساً غير راضٍ عما تملك.

الغضب، لانـه التبديـد الاعظم للطاقة.

الشراهة، فهي قد تحطّم مضاءك التنافسي، جاعلةً اياك تخسر امام المنافس الذي يكبح نهمه.

الحسد، فهو يكشف ضعفك ويدعك بلا حول.

الكسل، لان الكسول او عـديم الاعتناء بعمله او غير المنظم فيه يقع فريسة سهلة للمزاحمين.

هَذه الاخطاء السبعة المميتة عمرها مئات السنين لكنها لا تزال خائنةً كما كانت دائما.

ضع نفسك مكان غريمك

افترضتُ مرة ان منـافسيّ سوف يحاربونني بالطريقة نفسها التي احاربهم بها. بامانة واستقامة. تلك كانت غلطة. وعندما استرجع الماضي استطيع ان ارى بسهولة انه كان عليّ ان اضع نفسي في موضع اخصامي في سوق العمل. فلو اني عملت حساباً لحـركاتهم وسكنـاتهم الممكنة لكان في استطاعتي ان ارد كيدهم الى نحورهم.

لا يكفي ان تِسأل نفسك: "ماذا عساي افعل لو كنتُ في وضع منافسيّ؟" وسيأتيك جواب افضل بكثير لو كنتَ سألتَ: "ما الشيء المحتمل الذي قد يُقدم عليه منافسي استناداً الى نظرته الى الوضع (وليس نظرتي)، واعتمادا على القواعد التي يتبّعهـا (وليس مبادئي)، وفي ضوء ثقافته واعرافه (وليس ثقافتي وعرفي)؟".

ناضل في سبيل مركز وسط

اذا كنت خلواً من فلسفة شخصية وادراك قوي لما تمثله وما ترمز اليه فستجد نفسك نهباً لكل شخص او تبليغ او فكرة او حدث تصادفه في طريقك، راكضاً في كل الاتجاهات معاً بدلا من ان تركِّز على المسائل المفصلية.

ان الشخص الذي يبرز بين الجمهور يبرهن انه يملك مجموعته الخاصة من القيم وحساً قوياً باحترام الذات. وفيما رياح الافكار المتصارعة تعصف ببعض الناس، وتيارات مختلف البِدع تجرف البعض الآخر، يظل هو راسخ القَدم، وهذا هو الجزء الاكبر من مقوِّمات "مكر الشارع" و"مدرسة الايام".

ديفيد ماهوني ■



اعلان صبياني

من جريدة "انتيلوب فالي برس" في مدينة بالمدال، كاليفورنيا: "عثر صبي ابن ١٢ سنة على عدة صيد وهو يرجو مالكها عدم الاتصال."

ت. ي.

أولادنا أكبادنا يخافون كثيرًا



تبصّر جديد مذهل عن ضغط الطفولة

كان الولد، ذو السنوات السبع، مع والديه في محل لبيع السيارات. واذ راح الوالدان يتفحصان سيارة ذات مقاعد خلفية قابلة للطي وباب خلفي يدعمه لوح معدني خشبي المظهر، همس الولد بالحاح في اذن والده: "ابي، لا تشترِ هذه الخرقة الخشبية." فارتبك الولد حين انفجر والده ضاحكاً. وشعر بالاذلال عندما شاركه البائع في الضحك.

وبعد نحو ٣٠ سنة – وقد اصبح الولد أباً – تعود الى ذاكرته تلك الحادثة كلما ذكر اولاده امراً مضحكاً وغير متعمد.

قضت الجراحة التي اجريت لبيتي، ابنة الثامنة، بحلق جزء من شعر رأسها. وعندما نظرت الى نفسها في المرآة، توسلت الى والديها ان يسمحا لها بالبقاء في البيت وعدم الذهاب الى المدرسة: "ابدو مضحكة، سيهزأ مني الاولاد." لكن والديها أصرّا على ذهابها وقالت والدتها انها متأكدة من أن هذا

Photo: © Jeffrey Reed / The Stock Shop

الحل سيهوّن تلك المشكلة البسيطة: "إن هم ضايقوك لا توليهم اي اهتمام." ولكن بيتي عادت في العاشرة الى البيت وهي تبكي. لقد فرّت من المدرسة ومشت نحو ٣ كيلومترات متجنبة مواجهة هزء رفاقها.

تذهل ردود الفعل هذه معظم الاهل لأنهم لا يفهمون بعمق كم يخشى الاولاد السخرية. يقول كاورو ياماموتو العالم النفساني في جامعة كولورادو بدنفر: غالباً ما لا نرى أو نسمع ما يضايق اولادنا فعلاً."

وتثبت تقارير ياماموتو ان الاولاد يخشون فقدان الاعتبار، اي انهم يخافون ان يظن الآخرون أنهم غير جذابين أو غير اذكياء أو انهم كذابون. اما الاكثر ارباكاً فهو تبلل سراويلهم في الصف أو نيل علامات غير مرضية أو اعادة صفهم، وهذه الامور هي اثقل عليهم من اجراء جراحة أو منافسة اخ أو اخت صغيرة. وهذه حالات قد يعتقدها الاهل حرجة. اما بالنسبة الى الطفل فان تحطيم غروره واحترامه لذاته هو وضع فظيع يصعب تحمله.

تناقض ملحوظ - لقد كان اكتشاف عدم وعي الكبار لما يضايق الصغار موضع اهتمام ياماموتو في بحثه عن مخاوف الاولاد. وهو طرح على الكبار والصغار السؤال نفسه: "ما هو الامر الاكثر ازعاجاً للاولاد؟" ونتج من مقارنة الاجوبة تناقض ملحوظ.

اتفق الكبار والصغار على ان فقدان أحد الوالدين هو الافظع. ولكن ثمة أمور اخرى فهمها الكبار على نحو خاطىء. ولاحظ ياماموتو ان آراء الاختصاصيين في عالم الطفولة كعلماء النفس ومديري المدارس ليست افضل بكثير من آراء عديمي الاختصاص.

مثالاً على ذلك ان ولادة طفل جديد اعتبرت حدثاً له تأثيرات مهمة على الولد. في الواقع ان الاولاد وضعوا هذا الحدث في الدرجة الاقل تأثيراً في حياتهم. وعلى نحو مماثل اعتقد الكبار ان زيارة طبيب الاسنان قد تسبب ضغطاً شديداً في حين ان الاولاد اعتبروها اقل ارعاباً من ارسالهم الى مكتب مدير المدرسة مما يشير الى ان الجميع في مأزق.

واعتقد الكبار، وفق دراسة ياماموتو، ان اعادة السنة الدراسية قد تكون اقل مضايقة للصغار من اضاعة الطريق أو اجراء جراحة. لكنها بالنسبة اليهم أفظع ما يمكن ان يحدث لهم، وهي توازي فقدان البصر.

يكمن احد مخاوف اعادة الصف في فقدان استحسان الرفاق القدامى، وتتعاظم المعاناة عندما لا يتقبل الرفاق الجدد الامر بسرعة. وقد يكون الانتقال الى مدرسة جديدة اكثر سوءاً.

الاولاد الاخفياء - درس ياماموتو وزميلته ديبورا بيرنز ما سمّياه "الاولاد الاخفياء" اي الذين يتميّزون بالهدوء الشديد فيتجاهلهم معلموهم ولا يحبهم - أو يكرههم - رفاقهم. انهم طبيعيون من عدة نواح لكن معظمهم غالبا ما بدّل مدرسته.

ولاحظ ياماموتو وبيرنز، بدهشة، ان معظم هؤلاء الصغار كانوا "منفتحين

وطلقين" في المقابلات التي اجريت معهم. واظهروا قدرة على التعامل والآخرين لكنهم اصيبوا بأذى شديد من جراء الضغط الذي احدثه نقلهم من مدرسة الى اخرى واضطرارهم الى التكيف مع مدرسة جديدة ورفاق جدد. وقد اتعبهم ذلك الى درجة انهم يئسوا وكفوا عن بذل اي جهد في هذا المجال.

وتوضح هذه الدراسات انه حين يلتحق ولد بمدرسة يصبح احترام الرفاق ومحبتهم غاية في الاهمية بالنسبة اليه. فيصغي احياناً الى رأي الرفاق اكثر من التفاته الى استحسان المعلمين والوالدين. وعندما سئل الاولاد عما يجعل اعادة الصف امراً سيئاً، كانت الاجابة الاكثر شيوعاً انه الخجل من "هزء الرفاق القدامى ومضايقاتهم."

ولطالما ادركنا ان المراهقين يتكلون على دعم رفاقهم لكننا افترضنا ايضاً انه يسهل على الصغار عقد الصداقات وفسخها. وتثبت هذه الدراسات الجديدة ان خسارة الاصدقاء، ولاسيما رفضنا من جانب المجموعة ككل، مؤلمة ومخزية حتى للاولاد الصغار.

الخوف من التخلي – في حين ان الكبار، في دراسات ياماموتو، محقون في اعتبار فقدان احد الوالدين يشكل افظع رعب للطفل، فانهم غالباً ما لا يعون ان هذا الخوف يشمل ما هو ابعد من مفهوم الموت. ويقول ياماموتو وزميلته لورين ديبريل: "ان الكبار لا يدركون، في معظم الاحيان قلق الصغار من امكان التخلي عنهم."

وتثير هذا الخوف حوادث معينة كالضياع في مكان غريب مثل مخزن كبير أو رؤية الوالدين يتشاجران ولاسيما حين يتصف شجارهما بالعنف. واختبر نحو ثلثي الاولاد الذين أشركوا في الاستفتاء، أو ثلاثة ارباعهم، الم شجار الولدين وادخل ذلك الالم الخوف الى نفوسهم من ان يؤدي الشجار الى الطلاق. ان ضجة الشجار هي مرعبة في ذاتها.

يقول ياماموتو: "اثناء الاصغاء الى الاولاد لا شك في انك ستتأثر بادراكهم العميق انهم غير محصنين. يخافون البقاء وحيدين مرتقبين ما ينتظرهم وغير واثقين بما يستطيعون فعله. انهم متكلون تماماً على الكبار في جبه الحوادث المقلقة وغير المتوقعة."

الدور الفاعل – ما هو دور المعلمين والاهل؟ يوافق باحثون عدة على ان الخطوة الاولى هي الاصغاء. فبدلاً من التحقيق الصارم مع الولد لاكتشاف الحقيقة، دعه يتكلم. ذلك الامر هو في غاية الاهمية لأن ما يشكو منه الولد في بداية الامر قد لا يكون المشكلة الحقيقية. ويتعلم المختصون طرح الاسئلة "القابلة للتعديل."

فان بدت الطفلة مثلاً تعيسة لأن رفيقاتها يضايقنها بسبب ثيابها، فمن غير المجدي ان تقول لها: "لا تكترثين لهن" بل من الافضل القول: "اذاً انت غاضبة لأن الآخرين لا يعجبهم رداؤك؟" اظهروا للولد اهتمامكم وعنايتكم به. وقد يثبت في النهاية ان الولد هو على خلاف مع رفاقه لاسباب اخرى.

الخطوة الثانية هي تحضير الولد لجبه كل جديد. ففي دراسات ياماموتو ان اهم ما يصدم الولد المقبل على اعادة صفه في المدرسة، هو طريقة اعلامه هذا النبأ. ومهما عظم الحدث المقبل، على الوالدين تحضير اولادهم لجبهه بعناية. في الخريف، قبل انتقال الولد الى صف ابتدائي جديد، يجب سؤاله عن شعوره نحو صفه الجديد، وكم سيضم من رفاقه القدامى وماذا يعرف عن معلمته الجديدة. ويستحسن ان يرافق الوالدان طفلهما الى المدرسة ويزورون معاً قاعة التدريس ويتحدثون، ربما، الى المعلمة الجديدة.

ومن واجبات الاهل ايضاً تأمين الدعم العاطفي والجسدي لاولادهم. واهم ما توضحه هذه الدراسات الجديدة، حاجة الاولاد الى تقبل رفاقهم لهم وترحيبهم بهم. خذوا جدياً شكوى الاولاد من المضايقات أو من حرمانهم اللعب أو عدم دعوتهم الى الحفلات. إن شعورهم بانكم الى جانبهم "يزودهم مرساة" تمنحهم الثقة التي يحتاجون اليها حسب دراسات ياماموتو.

اخيراً اقبلوا الاولاد كما هم في الواقع.

ولئن تكن واجبات الاهل، بالطبع، مساعدة الاولاد على دخول المجتمع، فان هؤلاء يجب ان يدخلوا المجتمع بطرقهم الخاصة. ويقول ياماموتو ان الامر المهم بالنسبة الينا هو التذكر ان "المطلب الاساسي لكل فرد، كبيراً كان ام صغيراً، هو شعوره انه ذو قيمة."

جايمس لينكولن كولبير ■



ابن عم ذكي!

عندما اخبر زميل في العمل انه امضى ليلة امس سهرة مضجرة مع بعض افراد عائلة زوجته سأله صديقه: "لماذا، ألم تنسجم معهم؟"

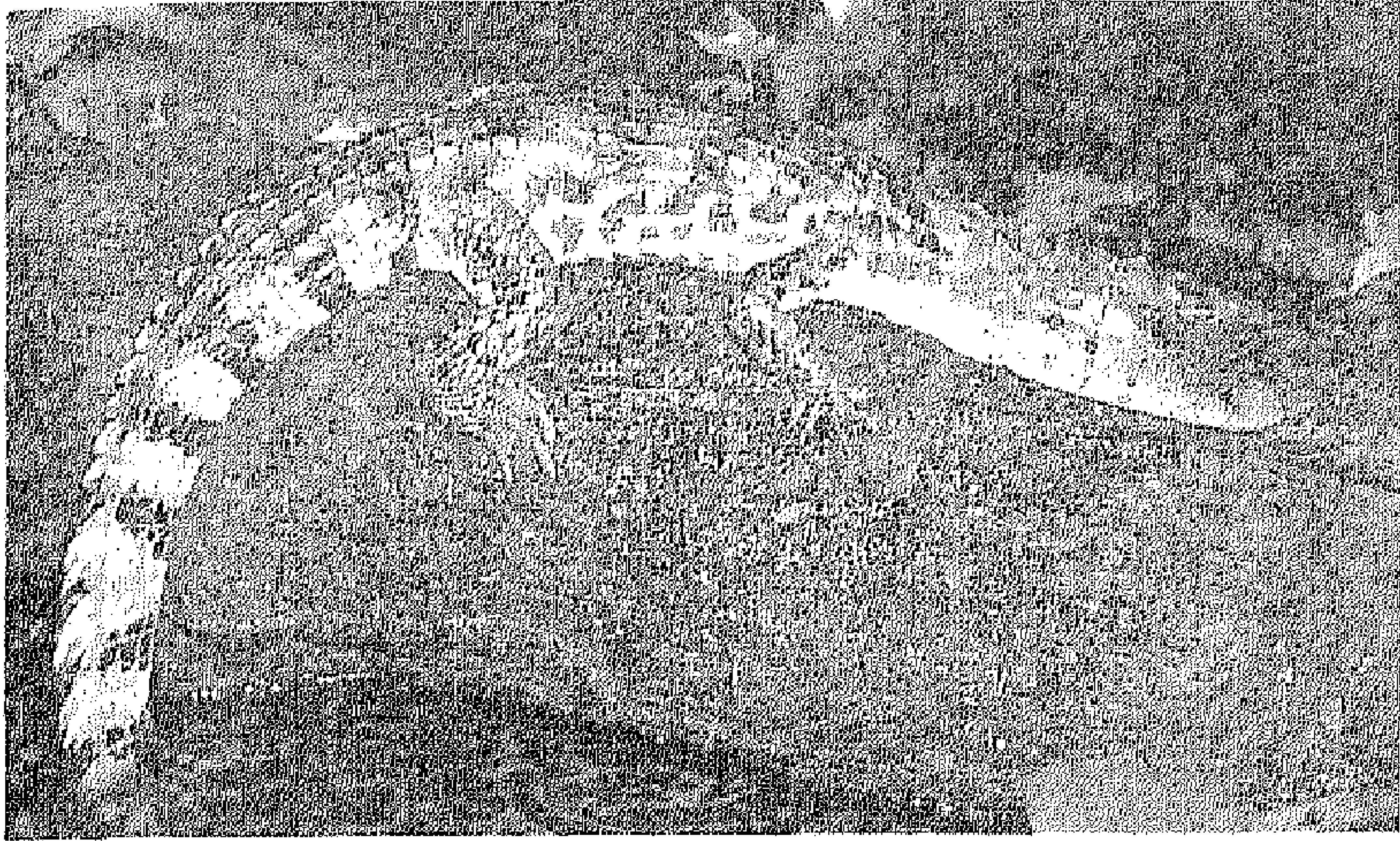
فجاء الجواب: "اوه، اظن ان معظمهم اناس طيبون، باستثناء الاخ. فلا اعرف فتى مثله قادراً على التباهي طوال السهرة بمهاراته في العمل لكنه قبل ان يغادر يحاول ان يستلف منك عشرين دولاراً."

على المحك!

ارسل هاوي جمع تواقيع صورة فوتوغرافية لجورج برنارد شو الى هذا الكاتب طالباً توقيعه. وبدلا من الصورة تسلم من امانة سر شو رسالة مهذبة بالرفض. فاعاد الهاوي فوراً ارسال صورة اخرى بالبريد مع بيان يؤكد فيه ان لا اهتمام شخصياً عنده بالاحتفاظ بتوقيع شو وانما هو يرغب في الحصول عليه ليبيعه ويكسب. فاعيدت اليه الصورة وقد وقّعها شو وعلّق عليها: "مرحى! ان استقامة كهذه تستحق تشجيعاً."

ج.و.هـ.

مَن يوقفُ الهَجمَة على الحَيوانَاتِ البريّـة؟



تمساح من كوستاريكا في امريكا الوسطى.

الطلب المتزايد على الحيوانات البرية النادرة وعلى جلودَ الحيوانات الاخرى وفروها، يهدد اجناساً كثيرة بالانقراض

يتسلل لصوص الصيد الى المستنقعات البرازيلية، في دورة طويلة بواسطة زورق صغير في مقدمه شخص مزود بندقية وذخيرة، والى جانبه رفيق له. يستكشف الرجلان سطح الماء بنور مصباح، وما ان يستقر الضوء على زوج من العيون القرمزية طاف على السطح، حتى يقف المعاون محاولا تجميد الزورق في مكانه فيما يطلق المسلح، من دون تردد، عياراً من بندقيته على التمساح فيصيبه بين عينيه. ثم يسحبه الى حافة المستنقع ويقلبه على ظهره ويشق بطنه بالطول وينزع جلده.

وفي ليلة موفقة يمكن الرجلين ان يحصلا على مئة فريسة تدر عليهما دخلا يبلغ ٥٠٠ دولار اي ما يوازي ٥ دولارات لكل قطعة جلد، وهذا الدخل يفوق كثيراً ما يمكن ان يكسباه من عمل مشروع في

تلك المستنقعات والغابات الشاسعة الواقعة جنوب غرب البرازيل المعروفة باسم "البانتانال."

ويصل عدد التماسيح التي تذبح بواسطة امثال هذين الصيادين الى مليون سنوياً. وتهرب الجلود من البرازيل الى الدول المجاورة مثل الباراغواي وبوليفيا، ومنها ترسل الى مصانع الجلود في اليابان وفرنسا وايطاليا، لتظهر مرة اخرى في شكل احذية انيقة او حقائب يد او محافظ تعرض للبيع على ارصفة الشانزيليزيه او في شوارع روما ونيويورك.

وعلى رغم ان البرازيل تحرم تصدير الحيوانات البرية منذ العام ١٩٦٧ إلا ان التماسيح والنمور والسعادين والببغاوات وانواعا اخرى من الحيوانات ما زالت تتدفق بسهولة من البانتانال التي يتحكم بها ما يقرب من ٣٥٠٠ من الخارجين على القانون. ولا احد يستطيع التصدي لهؤلاء. حتى الجهود الكثيفة التي بذلتها الحكومة البرازيلية السنة الماضية للسيطرة على الموقف لم تأت بنتيجة تذكر.

ويقول ريناتو ليل المدير السابق لفرع ادارة حدائق النزهة الوطنية في البرازيل ان في منطقة البانتانال يسري قانون واحد هو: "يا قاتل يا مقتول."

والبانتانال هي واحد من عدة امثلة على الاتجار غير المشروع بالحيوانات البرية التي تتدفق من البرازيل ومن دول اخرى لسد حاجات الاسواق في الولايات المتحدة واوروبا واليابان.

وتشمل هذه التجارة العالمية بالحيوانات (بعضها يربّى في الآس) ما يقرب من اربعين ألفاً من الثدييات، ملايين السحالي والثعابين، اربعة ملايين طير و٣٥٠ مليون سمكة للزينة.

اما المنتجات الحيوانية فتضم ٥٠ مليون فراء وما يقرب من ٥٠٠ طن من عاج الفيلة وعشرة ملايين من جلود الزواحف و٣٠ مليون قطعة جلدية نادرة.

وتبلغ الارقام المعلنة للحصيلة السنوية للاتجار بالحيوانات البرية خمسة مليارات دولار وتشمل ٤٠ الفاً من مختلف اجناس الحيوانات، وتقدر قيمة هذه الحيوانات في اسواق البيع بالتجزئة (القطاعي)، بما يزيد على ٤٠ مليار دولار.

الجنة الجديدة. قوائم الضحايا طويلة جداً. ففي افريقيا ابيد حديثاً نحو ٩٠ في المئة من وحيد القرن الاسود بواسطة المتسللين من لصوص الصيد، طمعاً في قرونها. وتعاني آسيا وضعاً مماثلاً.

وفي السنوات الست الاخيرة قضي على ثلث مجموع الفيلة في افريقيا من اجل ٣٠٠٠ طن من العاج. وما زال تهريب الحيوانات الثديية المعرضة للانقراض مستمراً حيث يقتنيها هواة المجموعات الشخصية على انها أليفة.

وبينما كانت افريقيا تعتبر اكبر مركز لمثل هذه التجارة غير المشروعة، اصبحت امريكا الجنوبية والوسطى محط انظار لصوص الصيد وجنتهم الجديدة.

وهناك كثير من انواع القطط، مثل النمر الامريكي المرقط والاسلوت الشبيه بالنمر، فتك بها من اجل فروها. وحتى



سلحفاة خضراء وسلحفاة بحرية معرضتان للانقراض، لدى مصادرتهما في احد المراكز الحدودية الامريكية.

الشنشيلا الذي كان يسرح ويمرح في اماكن عدة في العالم لم يعد له وجود في سوى الاماكن العالية الصعبة الارتياد من جبال "الاندس" في البيرو. وفتك بالفكونة الشبيه بالجمل من اجل وبره الناعم.

وبحلول العام ١٩٦٥، قدّر ما بقي حياً من هذه الحيوانات بنحو ثلاثة آلاف فقط.

وبعد توقيع معاهدة تهدف الى المحافظة على الاجناس بين البيرو وبوليفيا والتشيلي والارجنتين، تحسن وضع هذه الحيوانات فارتفع عددها الى ٦٠ الفاً تعيش في محميات تخضع لاشراف حكومة البيرو. إلا ان الصيد المحرم ظل مشكلة لأن السكان المحليين وجدوا أن المعاهدة لم توفر لهم فائدة توازي ما يمكن ان يحصلوا عليه من بيع صوف الفكونة الذي يباع الكيلوغرام الواحد منه بما يقرب من ٦٠٠ دولار في "السوق السوداء" الاوروبية.

وبالانتقال الى المو، الببغاء الطويل الذيل ذي اللون القرمزي الذي كان متوافراً بكثرة في غالب انحاء امريكا الجنوبية، نجد ان نصيبه كان الفناء في معظم مناطقه في امريكا الوسطى. وكان نصيب ٩٠ في المئة من الببغاوات ذوات اللون الزعفراني والتي كانت متوافرة بكثرة في البرازيل، ان هُربت لتزين صالونات عشاق الطيور في اوروبا والولايات المتحدة حيث نجد هواة مستعدين لدفع ١٠ آلاف دولار ثمناً للطير الواحد. اما الببغاوات العادية وطير التوكان ذو المنقار الضخم التي كانت تأتي من الامازون، فقد انخفض عددها على نحو مخيف.

الاتفاق الدولي. تلاحظ جينيث هيملي مديرة الفرع الامريكي لهيئة التجارة المحرمة، وهو احد فروع الصندوق العالمي للحفاظ على البيئة البرية ومركزه واشنطن، "ان الحيوانات تدر احد اكبر الارباح في السوق السوداء العالمية،" وان القوانين المختلفة التي سنت لم تنفع في الحد من الاتجار بالحيوانات البرية لان ما

هو ممنوع تصديره في بلد قد يكون مسموحاً في بلد آخر.

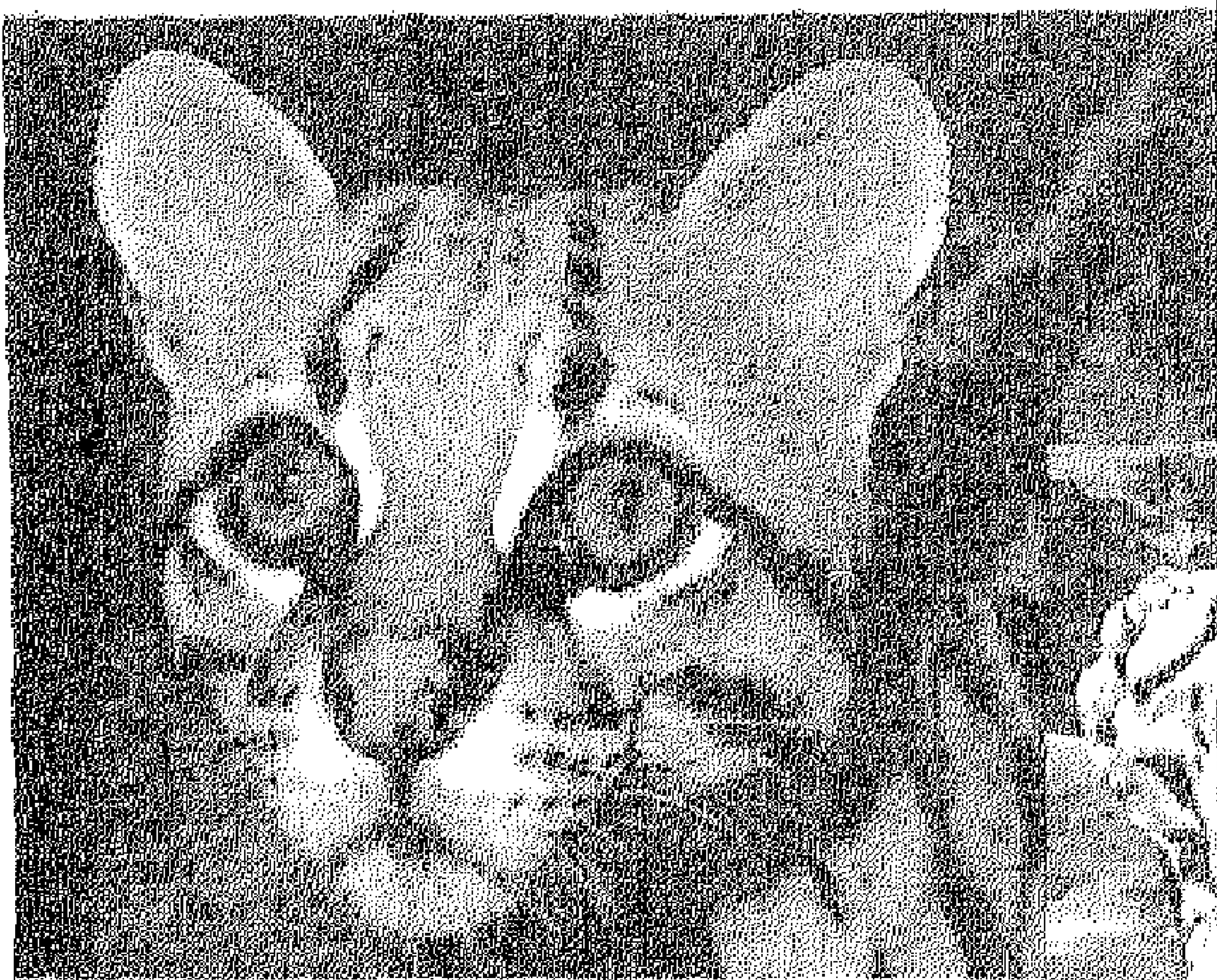
مثالا على ذلك ما حصل عام ١٩٨٣ عندما اكتشف المسؤولون في الدوائر المهتمة بالحفاظ على البيئة البرية، ٣٠ قرداً ذهبية الرأس مهربة من البرازيل ومجهزة للبيع في مستودع خارج مدينة بروكسل في بلجيكا. ولما كان ما بقي في البرية من هذا الجنس يعد بالمئات، فان هذا العدد المهرب يمثل نسبة خطيرة من مجموع احد اندر المخلوقات الموجودة على وجه الكرة الارضية. والمفارقة في الامر ان البرازيل تحرم تصدير هذا الحيوان في حين ان المستورد لم ينتهك، وان تقنياً، القانون البلجيكي الذي لا يحرم ادخال مثل هذا الحيوان الى البلاد.

وفي العام ١٩٧٣ اتخذت خطوة مهمة لسد هذه الثغرات عندما وقعت ٢١ دولة في جنيف اتفاقاً ينظم التجارة الدولية بالحيوانات المعرضة لخطر الانقراض. وعرف الاتفاق باسم "سيتس."

وقد حظر هذا الاتفاق على الدول (٩٥) الموقعة التداول التجاري لاجناس معينة من الحيوانات. ولكن، ويا للاسف، تدأب الدول غير الموقعة الاتفاق على نسف جهود الدول الموقعة. واصبحت المكسيك التي كانت الدولة الوحيدة في امريكا اللاتينية التي لم توقع الاتفاق، المحطة الرئيسية التي تمر عبرها، وبموافقتها، الحيوانات المهربة من الدول الموقعة "سيتس."

هناك مثال آخر: بوروندي، هذه الدولة الافريقية الصغيرة لديها فيل واحد يعيش ضمن حدودها ومع ذلك تصدر سنوياً ما يزيد على ١٤٠ طناً من العاج بتصاريح مصادق عليها من السلطات الرسمية على انها من منشأ بوروندي. وهذا لا يدع مجالاً للشك في ان مثل هذه الكمية قد جاءت في الواقع بواسطة التهريب من الدول المجاورة التي تحرم تجارة العاج. يضاف الى ذلك الدول التي وقعت على الاتفاق ولكنها تتجاهل نصوصه.

ففي بوليفيا، وهي من الدول التي





الاوسليت حيوان من امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية معرض للانقراض بسبب الطلب المتزايد على فرائه (الى اليمين).

© Michael Dick / Animals Animals

© Sven — Olf Linblad / Photo Researchers

وقعت الاتفاق في العام ١٩٨٣، سمح المسؤولون الحكوميون للمتاجرين بالحيوانات البرية باستصدار رخص باسم "سيتس" تمكنهم من تصدير الاجناس المحرم اخراجها من البلاد.

وفي العام ١٩٨٥ استجابت بوليفيا للضغوط الدولية فسنت قانوناً خاصاً بها يحرم تصدير كل انواع الحيوانات البرية.

وبتقلص التجارة بالحيوانات البرية في بوليفيا انتعشت هذه التجارة في الاوروغواي المجاورة التي صارت مركزاً للتجارة غير المشروعة، على رغم وجود قوانين خاصة بها تحرم هذه التجارة منذ ١٩٧٥، وهي كانت وقعت اتفاق "سيتس" في ١٩٧٧.

الحيوانات والمخدرات. تتم معظم عمليات تصدير الحيوانات البرية، حالياً، في هندوراس والارجنتين. وتقول هيملي: "كل مرة تسد ثغرة في مكان تفتح اخرى في مكان آخر ويتدفق منها التصدير كالنافورة." وترى ان المزعج في الاتجار بالحيوانات البرية هو تداخله مع الاتجار بالمخدرات "فالتقارير التي نتلقاها باستمرار تفيد ان تجار المخدرات والحيوانات البرية اصبحوا يعملون معا. وهؤلاء محترفون يعرفون كيف يطمسون آثارهم علاوة على استعدادهم للقيام باي عمل من اجل تحقيق اغراضهم."

وقد عرف عن مهربي المخدرات من امريكا الجنوبية لجوؤهم الى اخفاء الكوكايين بين جلود التماسيح وتمريره بصفة كونه دواء لحفظ الجلد، والى ادخال انابيب واقية محشوة بالكوكايين الى اجواف الثعابين الكبيرة واستردادها بشق بطون الزواحف السيئة الحظ بعد تسلمها من محطة الوصول.

وفي الدول المستوردة التي تمارس تفتيشا دقيقاً على البضائع، تمر المخدرات عبر الجمارك بسهولة.

وهناك دلائل تشير الى ان تجارة الحيوانات قد تسلطت عليها شبكة تضم المروجين والنافذين في عالم المخدرات وبالاخص "المافيا". وفي بعض المناطق اصبحت السوق السوداء للحيوانات البرية مرتبطة بالجماعات الاجرامية المنظمة وكل ما لديها من ادوات القوة والنفوذ. ويتحدث عن هذا الامر اوبدوليو مانغي المنسق العلمي في الامانة العامة لاتفاق "سيتس" في تقرير خاص. وتقول هيملي ان تجارة الحيوانات البرية تستهوي مروجي المخدرات لان عقوبتها خفيفة نسبياً في حين ان المكسب منها كبير. لنأخذ مثلا ببغاء مهرباً من بوليفيا. يمسك به احد السكان المحليين ويبيعه الى تاجر يعبر به النهر في مقابل ٥٠ سنتاً. فيبيعه هذا التاجر الى مصدر بخمسة وعشرين دولاراً، فيبيعه هذا بدوره الى مستورد من ميامي بمئة دولار، فيدخله هذا الى ميامي بطريقة غير شرعية ويبيعه بالف دولار. وينتهي المطاف بالببغاء في دكان للحيوانات الاليفة معروضاً للبيع بالفي دولار."

ويتفق معظم الخبراء في الرأي على انه من الصعب الحد من هذه التجارة ما دام الطلب عليها مستمراً في الارتفاع. وتعد الولايات المتحدة من كبرى الاسواق الاستهلاكية لهذه الحيوانات، ويصلها

منها يوميا ما يقرب من ٣٥٠ شحنة ربعها غير مشروع تليها السوق الاوروبية المشتركة.

مخالفات. معظم عمليات الاستيراد لا تخرج عن كونها انتهاكاً صريحاً لاتفاق "سيتس" الذي يلزم الاعضاء التقيد به عبر نصوص خاصة، وهنا نماذج عن المخالفات:

□ في ربيع عام ١٩٨٥ استوردت فرنسا من غواتيمالا ما لا يقل عن ٥٠ ألف قطعة من اروع انواع جلود التمساح، مع ان العدد المقدر لتماسيح غواتيمالا لا يتعدى الـ ١٢ الفاً. ويرى يورغن طومسن الخبير التجاري في صندوق المحافظة على الحياة البرية "ان معظم هذه الجلود جاءت الى غواتيمالا من البانتانال بواسطة التهريب وتمت تغطيتها "بتراخيص رسمية" سمحت بتصديرها."

□ في ١٩٨٦ استوردت شركة نمسوية عشرين قرداً من نوع الشمبانزي من غابات سيبيراليون لاستعمالها في بحوث واختبارات خاصة بمنتجاتها. وقد اعتبرت هذه العملية انتهاكا لأحد بنود اتفاق "سيتس" الذي يحرم الاتجار بالحيوانات المعرضة للخطر. الا ان الشركة اعترضت على هذا الامر نافية وجود العامل التجاري في عملية الاستيراد.

□ في ١٩٨٧ منحت بريطانيا حديقة حيوان خاصة ترخيصاً لاستيراد ثلاث غوريلات صغيرة من الكونغو، وذلك على رغم احتجاجات صدرت عن امانة اتفاق "سيتس" علاوة على تقرير من الجمعية العلمية الملكية في بريطانيا يؤكد ان نقل هذه الحيوانات سوف يلحق الضرر بهذا الجنس ويعرضه للانقراض في المدى البعيد.

ولا تزال سوق الفراء الاوروبية قوية، ليس لكونها سوقاً استهلاكية فحسب بل لكونها وسيطة في عملية اعادة تصدير كل ما يمكنها الحصول عليه من كميات مهربة من آسيا وامريكا الجنوبية. ان جلداً واحداً من النمر الامريكي المعرض لخطر الانقراض، يمكن ان يباع في اوروبا بالفي دولار، وان معطفاً من جلد الاسلوت يمكن ان يصل ثمنه الى عشرة آلاف دولار. وبعدما باتت القطط البرية الكبيرة شبه نادرة في امريكا الجنوبية تحول الصيادون الى ملاحقة القطط الصغيرة.

وفي العام ١٩٨٥ استوردت اوروبا ٥٠٠ الف زنار من الجلد كانت كلها من جلد القطط الصغيرة المرقطة.

الى ذلك تعتبر اليابان اكبر تاجر في العالم بالحيوانات المعرضة للانقراض. فبين العام ١٩٧٠ والعام ١٩٨٦ استوردت السوق اليابانية ما يزيد على مليونين من سلاحف البحر والسلاحف الخضراء والزيتونية وحولتها علفاً للماشية. وبمساعدة صغيرة من فرنسا قضت اليابان على عُشر ايائل المسك النيبالية النادرة.

وفي الاشهر الستة الاولى من العام ١٩٨٧ استوردت السوق اليابانية ٨١٨ كيلوغراماً من المسك(★) لاستعمالها في تحضير عقاقير مقوية للباه، علما أنه يجب الفتك بما يقرب من ٨٠ غزالاً

(★) مادة نفاذة العبير تستخرج من جراب تحت الجلد البطني لايّل المسك.

للحصول على كيلوغرام واحد من المسك. وقد بلغ عدد الايائل التي ذبحت في هذه الفترة فقط ٨٠ الفاً وهو رقم كبير جداً بالقياس الى العدد المتبقي حياً من هذا الحيوان.

الحل بالتوعية. قليلون هم الاختصاصيون الذين يعتقدون ان فرض حظر عالمي على الاتجار بالحيوانات البرية سيكون الحل الصحيح، ليس لانه مستحيل التنفيذ بل لانه سوف يحرم دولاً عدة صادرات تدر عليها ثروة تتجدد باستمرار. والاصح في نظرهم ان تنظم هذه التجارة بعناية بحيث يؤدي التنظيم الى توفير حصاد كاف كل عام. وهذا يتطلب بذل جهد اكبر والاعتماد على نشر التعليم بين السكان المحليين من الصغار الى الجدات، حتى يتفهموا ان التنظيم يعود عليهم بالفائدة الاقتصادية.

وعلى كل الدول ان تنضم الى اتفاق "سيتس" وتلتزم كل بنوده.

على سبيل المثال، عندما انخفض عدد التماسيح الامريكية، اثر عمليات صيد مفرطة، عمدت السلطات المختصة الى فرض حماية للتماسيح بموجب قانون المحافظة على الاجناس المهددة بالخطر. ورافقت هذا التدبير اجراءات حكومة فاعلة اتاحت لهذا الحيوان التكاثر بسرعة، وعلى الأثر عاود التجار عمليات التصدير التي تقدر حاليا بما يعادل ٥ ملايين دولار سنوياً. وبذلك وفرت الولايات المتحدة مصدراً مهماً للدخل لكل من الصيادين والمصدرين وتموينا ثابتاً من احد اجود اصناف الجلود في العالم.

وكانت قبائل الانكا ادركت، منذ زمن بعيد، ان الابقاء على الانتاج الحيواني يتطلب حماية للحيوانات من خطر الانقراض، لذا كانت لديهم قوانين صارمة خاصة بحيوان الفكونة ذي الوبر الناعم فمنعوا ذبحه إلا في حالات خاصة مثل التقدم في السن، او العجز او الضعف، كما فرضوا عقوبات شديدة على الصيد خلسة.

والمنحدرون من هذه القبائل يتولون كل سنتين او اربع سنوات جز فرو الفكونة ثم يتركونه ويبيحون صيده لفترة "حصاد" كاملة بحيث تفيد منه المجموعات المحلية من دون ان يلحق ذلك ضرراً كبيراً بالتكاثر الحيواني.

ولكي لا يتعرض حيوان الفكونة للانقراض، وكذلك الببغاوات والتماسيح والنمور وغيرها من الحيوانات التي يفتك بها استغلال قصار النظر، يجب معرفة مفتاح السر. ان هذا المفتاح يكمن في الاعتماد على الحكمة نفسها التي تميزت بها قبائل الانكا القديمة.

مارك ولترز ■



مشاكِس

في قطار للركاب: "لو كانت تمطر حساء فسيكون خارجاً مع شوكة."

ج.د.

انفجار نجمة

ظهرت في الاجواء الى الجنوب من خط الاستواء، مباشرة قبل شروق الشمس، نقطة ساطعة أخرى. ولكن حين اشتد اللمعان خلال الاسبوع هلل الفلكيون لانهم أدركوا أنهم يشاهدون انفجار نجمة جبارة تعرف باسم "سوبرنوفا." حدث الانفجار قبل ١٧٠ ألف سنة، لكن الوهج وصل الى الارض في فبراير (شباط) ١٩٨٧. ومسافة ١٧٠ ألف سنة ضوئية هي قصيرة في حساب المقاييس الفلكية. وهذا القرب يتيح لعلماء الفلك مراقبة دورة حياة السوبرنوفا بدقة لم يسبق لها مثيل.

ولم يمر أسبوع حتى علم الفلكيون أن النجمة المحتضرة خلّفت لهم تراثاً علمياً أعظم. اذ قبل انفجارها المرئي بساعات سرت شحنة من الجسيمات الذرية في كوكبنا تدعى نيوترينات (neutrinos) التقطها فريقان من الفيزيائيين في جهتين متقابلتين من الكرة الارضية. وهي المرة الاولى يشاهد العلماء نيوترينات منطلقة من خلف النظام الشمسي.

ان تفاعل النيوترينات مع المادة أضعف من تفاعل الجسيمات الاخرى المعروفة، مما يجعل اكتشافها بالغ الصعوبة. لكن ذلك يعني أن في امكان النيوترينات أن تنفلت من قلب نجمة مخترقة مادة في غاية الكثافة تسد خروج كل شيء سواها، بما فيه الضوء وموجات الراديو. ان توقيت "نبض" النيوترينو والطاقة التي تنطلق فيها الجسيمات، يرسم صورة عن مسلسل الحوادث داخل قلب النجمة الذي تتعذر مراقبته بطريقة أخرى. ويقول الفلكيون ان هذا الاكتشاف هو بداية حقل جديد في الفلك هو "علم النيوترينو" الذي سيحتل مكانة الى جانب علم الفلك البصريّ وفلك الراديو.

من تقرير "أخبار أمريكا والعالم"

بصمات الانف

بصمات الانف للماشية، كبصمات الأنامل للبشر، يمكن أن تستخدم في التعرف الى الحيوانات المسروقة. ويشرح الفكرة اللواء فيليب بوتر الخبير بالبصمات في اتحاد جنوب افريقيا: "قابلتُ بصمات أنوف ٣١٥ حيواناً، واكتشفت أن كلا من هذه البصمات يمكن تمييزها من سواها باستخدام تقنية بصمات الاصابع. بعد ذلك أجريت أكثر من مئة ألف مقارنة فما وجدت بصمة أنف شبيهة بأخرى."

الوسائل التي تعيّن بها هوية الماشية، مثل الوسم وشرم الاذن والوشم، غير مرضية لانها قابلة للتزوير ومؤلمة وتحمل دائماً خطر الاصابة بخمج جرثومي أو فيروسي. وتقنية الاستعانة ببصمات الانف يمكن أن تكون ذات قيمة لا تُقدر في ظروف قانونية عندما يكون موضع الجدل هوية حيوانات ثمينة وملكيتها.

صحيفة "ساوث أفريكان بانوراما"

... وبالشكر تدوم النعم

إن القرارات المطلوبة من بعض الامهات اليوم ليست سهلة: البقاء في البيت او الذهاب الى العمل. حض الاولاد على التفوق والزوج على الجلي. اعتماد الاطباق السريعة التحضير او التقيد بالطهي

كنت اتسوق حاجياتي المنزلية يرافقني ولداي، وهو حدث اتمنى ان يدخل الالعاب الاولمبية في المستقبل القريب. وحين افرغنا اغراضنا عند الصندوق لاحظت اني لم أحسن اختيار ما حملته في عربتي.

هناك حلوى السوس وعلبة صغيرة من البندق أغلى من قرطيّ، وحبوب للفطور بدت مثل الجيلاتي (البوظة) المليء برقاقات الشوكولا. أعدت جميع



Condensed from New York Times (April 8, '87; Oct. 8, '86; March 24, '88; Feb. 3, 88; Feb. 17, 88; Nov. 25, '87). © 1986, 1987, 1988 by the New York Times Co., New York, N.Y

هذه الاغراض الى رفوفها وسط نحيب الاولاد وبكائهم.

اني تحت ضغط قاس لأتسوق كأم، لاستسلم واشتري تلك الاغراض. كانت امي تتسوق كأم ايضاً، ولكن في تلك الايام كان الناس يعتقدون ان الدهنيات هي ما وضعه الله في طعامنا ليجعله لذيذاً. وحين ذهبت والدتي لتتسوق، اشترت شراب فاكهة ليس للفاكهة اي اثر فيه، كما اشترت كعكاً بدت محتوياته كاختبار علمي، وارغفة خبز يمكن عصرها حتى تصبح في حجم كرة المضرب.

واليوم، وانا في الجانب الآخر، افهم لماذا تتسوق السيدة المتحضرة كأم على رغم ادراكها الفرق بين المستحلبات والطعام الحقيقي.

أقسمت مرة الا أصل الى هذا الموقف. في أشهره الستة الاولى لم يتناول ولدي الاكبر سوى حليب الرضاعة. وحين بدأت اعتماد الجوامد، كنت احمل مطحنة الطعام في حقيبتي. وفي اللقاءات العائلية، اطعمته الجزر المسلوق ممزوجاً مع اللبن.

ولقد أدركت ان هذه الايام رحلت الى الابد حين وجدت نفسي مع اولادي اقضم قطعاً بنكهة الجبن تزيد السمنة ولا تغذّي كثيراً، من ان يتفوه احدنا بكلمة، بل نزدرد تلك القطع بنهم غريب. ويلتفت الينا ولدي الاكبر ذاك الذي اعتاد حليب الرضاعة والجزر المسلوق، ويبتسم ابتسامة عريضة، ابتسامة برتقالية مالحة. ويقول: "امي، احب هذا الصنف."

ايدت مرة نظرية تفيد انك لو قدمت الى الولد طعاماً مغذياً من دون زوائد أو سكر أو مواد حافظة، فسيميل الى تفضيله. كان عليّ ادراك هذا الامر في حفلة عيد مولده الاول حين انتصرت التقاليد على التغذية وصنعت قرصاً من حلوى الشوكولا على شرف الضيوف. ملأ ابني فمه بقطعة كبيرة ورمقني بنظرة فسّرت ما عناه: "كنت تخبئين الحقيقة (والكعكة) عني."

ذات ليلة، كان يتناول طبقاً من "اللازانيا"(★) الخضرية فراح يطرح جانباً "كل المواد الخضراء فيه" بما فيها الكوسى والسبانخ وحتى البقدونس. ثم قال: "أتعلمين ما هو طبقي المفضل يا أمي؟ انه الحلوى."

انقسام الامهات. قبل عامين، بدت الساعات الفاصلة بين الغداء ووقت النوم طويلة جداً. وكان ولدي الثاني آنذاك طفلاً صغيراً. في اول العشايا كنت أضع ولديَّ في عربة مزدوجة واتمشى بهما الى البلدة فنلتقي الناس العائدين من اعمالهم سيراً على الاقدام حاملين حقائبهم الجلدية.

وفيما كنت أمشي،انتابني احساس اني تلاشيت من الوجود وان اولئك الناس المرتدين بذلات يحتقرونني، أو ببساطة يتجاهلون وجودي تماماً. وبعد عدة أشهر التقيت امرأة تعمل محامية، فتذكرت هي عربة طفلي وتنزهاتي وقالت انها تحسدني على عبئي وحريتي إذ انها تترك طفلها في البيت طوال النهار مع الحاضنة.

(★) طبق ايطالي يضم معجنات وخضراً وصلصة طماطم (بندورة) وجبناً ولحماً.

من بين الانقسامات المتعددة في المجتمع اليوم، هناك انقسام اعرفه جيداً بين نساء يملأن اوقاتهن بالعناية باطفالهن، ونساء يعملن خارج منازلهن. انه انقسام ناتج من عدم الاستقرار.

فالنساء اللواتي لزمن بيوتهن يقفن موقفاً دفاعياً لأن اختيارهن مستخف به، ولذا يتحمس بعضهن للرأي الذي يقول بأن النساء الواعيات لا يتركن أطفالهن مع الغير ليذهبن الى العمل. اما اللواتي يعملن فيتحمسن دوماً للتحدث عن جودة الوقت والانفتاح الذي تحققه الام العاملة وعن اهمية الاعتماد على النفس وسواها من المفاهيم الصحيحة حيناً والخاطئة احيانا.

لقد صادفت امهات كرسن كامل اوقاتهن لتربية اطفالهن، فلم يفارقنهم دقيقة واحدة مما يرعبني ويجفل عقلي. كذلك رأيت امهات ملتزمات بيوتهن يتفاعلن مع مهمتهن الشاقة بالاستسلام الى نصف غيبوبة ترافقها صرخة في وجه اولادهن، بين الحين والآخر. في المقابل اعرف امهات عاملات يجعلن ساعة فراغهن في نهاية النهار فرصة ساحرة، واخريات يظهرن كأنهن ضربن على رؤوسهن في آخر النهار فيتصرفن بفظاظة.

ولكني في الغالب اعرف نساء معتدلات يحاولن التوفيق بين العمل والواجبات المنزلية.

مرة جربت العمل خارج البيت واليوم اجرب العمل في البيت وخارجه. لقد حاولت العمل طوال الوقت كما حاولت البقاء في البيت من دون عمل، اما اليوم فأنا احاول العمل الجزئي. لقد اختبرته معتمدة نصائح الخبراء والغريزة والعقل والقلب. وتوصلت الى النتيجة الآتية: ان كوني اماً هو أعسر ما اختبرت في حياتي.

الرقصة الاولى. لعلنا جميعاً نحتفظ بالذكرى نفسها عن اول حفلة صبيان وبنات حضرناها، الصبيان في جانب من الغرفة والبنات في الجانب الآخر.

لم يدرك احدنا آنذاك اننا كنا نشاهد الانقسام الكبير بين الجنسين. لقد أمضيت وقتاً طويلاً اقنع نفسي بان الرجال والنساء متشابهون اساساً، وادافع عن فكرة الترحيب بالنساء في مهمات اقتصرت سابقاً على الرجال.

ثم يقع حادث ما. انه امر صغير عادة. سألني ابني الاكبر قبل بضعة أشهر: "لمَ وضعت بصلة في وعاء داخل الحمام؟"

فأوضحت له أنها بصلة نبتة من فصيلة النرجس، وستنمو سريعاً وتعطي ازهاراً رائعة. ثم سألني والده لاحقاً: "ما هذا في الحمام؟" ففسّرت له الامر كذلك، فومضت نظرة متبادلة بينهما. امي. غريبة الاطوار. النساء.

كنت وصديقتي نؤاسي بعضنا بعضاً على الهاتف لامتناع زوجينا عن الاصغاء الينا حين نتكلم فتتنهد احدانا وتفهم الاخرى معنى التنهيدة: الازواج، غريبو الاطوار.

انهم رجال.

نلاحظ بداية هذه الفوارق عند الاطفال، على رغم اننا نربيهم في أسر تقوم فيها الامهات بأعمال سبق للرجال ان فعلوها والعكس صحيح.

"طائفة" الآباء. اني متأثرة جداً بالاعجاب القديم بـ "طائفة" الاباء. انه يذكرني بجذوري، بفترات بعد الظهر السعيدة في نهاية الاسبوع حين كان يفترض بالاولاد اللعب في منزل يستلقي فيه الوالد على اريكة واضعاً الصحيفة فوق وجهه. كان والدي يتعب طوال الاسبوع فيجب عدم ازعاجه اطلاقاً. لم يسمح لأحد بالصراخ قربه أو بتغيير قناة التلفزيون، والّا سمعت تلك العبارة المروعة: "لو نهضت عن هذه الاريكة..." لست ادري كيف تنتهي تلك الجملة.

كل منا يعلم ان "طائفة الآباء القديمة" ابدلت بـ "طائفة الآباء العصرية" التي تتألف من رجال يدفعون عربات الاطفال ويتوقعون التهنئة على ذلك، إضافة الى الكثير من الشجارات التافهة مثل: "أنا غيّرت حفاضه المرة السابقة." "لا، انت غيّرت حفاضه هذا الصباح وانا غيرته قبل الغداء."

غابت هذه التفاهات كلياً عند الطائفة القديمة لأن الرجل النائم، ببساطة، لا يشغل نفسه بالحفاضات. ولعل احد اهم الفوارق بين الاب القديم والاب الحديث يتضح من الفرق الشاسع بين والدي وزوجي.

لأني انا الاب. كان والدي شديد التمسك بـ"طائفته" الى درجة ان تفسيره بعض الامور كان يختم بهذه العبارة: "لأني انا الاب." وفي احدى الامسيات كان يشاهد برنامجاً علمياً على التلفاز، فرأى طفلا يولد لتوه فصاح متبجحاً: "اني اشاهد هذا الامر للمرة الاولى!" مع انه بات متوتر الاعصاب بعد انجابه ٥ اطفال. اما زوجي، وهو أب حديث مصاب بانقباض زمني واجري له قطع للحبل السرّي مرتين، فاعرب عن اشمئزازه وقرفه من هذا المشهد.

لدى عودتي من رحلة عمل وجدت ان دوام النوم تغير، وتوسط كوب الماء وقبلة النوم حوار مع الربّ. ولاحظت ان الصلاة تنتهي دوماً بعبارة: "اشكرك يا الله على جميع الاشياء التي وهبتنا، وعلى حفظنا بعضنا بعضاً."

لسنا نتقدم بالشكر الجزيل هذه الايام. فالحياة سريعة وشاقة، فتكتم السرعة والعمل صوت الشكر والامتنان. فاذا كان الهدف هو الافق دائماً، فمن غير المجدي التوقف وتأمل المسافات التي اجتزناها والمكان الذي نعبره.

اذاً، اني سعيدة لما فعله زوجي من اجل اطفالنا. ومن حقنا التوقف من حين الى آخر لنقول: "الحياة جميلة ونحن شاكرون."

آنا غويندلن ■

لا تعرف كم عندك من اصدقاء الا عندما تستأجر "شاليه" على الشاطىء.

و.ب.ن.

جميعنا عرفنا الرعب: بعوضة في غرفة نوم مظلمة.

ش.هـ.

يعتقد العلماء ان الحصول على اللياقة البدنية اليوم اسهل من الماضي

السَلامَة الصّحية واللياقة البدنيّة

أول ما بلغت الانتباه في رالف بفنبرغر هو عرجه. والأمر التالي ابزيم فضي كبير يعلن ان بفنبرغر (٦٤ عاماً) انهى سباق الولايات الغربية الشاق لمسافة ١٦٠ كيلومتراً في أقل من ٢٤ ساعة.

وتبدو على ملامحه الآن بعض علامات الألم. كما يصعب التكهن إن كان السبب ركبته اليسرى التي جرحت في القفز فوق الصخر اثناء السباق، أو لأن اجتماع شهر مايو (ايار) للكلية الامريكية للطب الرياضي عقد في العاصمة العالمية للعادات السيئة.

والعادات السيئة قاتلة وبفنبرغر يدرك ذلك. فهو الباحث في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا، كرس سنوات عمله الاربعين كطبيب وعالم اوبئة لاثبات ذلك. انه احد الذين اطلقوا "صرعة" السلامة البدنية. وبرهن بحثه الذي شمل ١٧ الف متخرج في جامعة هارفرد في كامبردج بمساشوستس، ان الرجال الذي يحرقون الفي وحدة حرارية على الاقل في الاسبوع، خارج نشاطاتهم اليومية، هم اقل تعرضاً من سواهم لأمراض القلب.

مفهوم جديد – دعمت رسالة بفنبرغر توصية الكلية الامريكية للطب الرياضي القائلة بأن على الكبار ان يتمرنوا ثلاثاً الى خمس مرات اسبوعياً بجهد يرفع سرعة ضربات القلب الى ما بين ٦٠ و٩٠ في المئة من معدلها الاقصى لمدة تراوح بين ١٥ و٦٠ دقيقة.

وتعرض هذا النهج للانتقاد. فقد بدأ الاختصاصيون بالصحة البدنية يلاحظون ان نسبة قليلة من الناس تمارس ذلك الشكل

القاسي من الرياضة. وبات المفهوم العام: ان القيام بالتمرين كاملا يعفي من التمرين الجزئي.

والأهم من ذلك اعتقاد بعض الباحثين ان ادنى معدل قد يكون تمريناً اكثر قساوة مما تحتاج اليه للحفاظ على صحتك. رونالد لابورت هو عالم اوبئة شاب ومندفع من جامعة بتسبرغ في بنسلفانيا، يقول انه يمكن استعادة السلامة الصحية بحرق اقل من معدل الفي وحدة حرارية الذي يحدده بفنبرغر ويعادل تقريباً العدو مسافة ٣٢ كيلومتراً. ويرى ان البليد الذي يمشي كيلومتراً واحداً الى مركز البريد يومياً ينال افضل النتائج.

الموروثات — لابورت الذي اعتاد الركض لكنه اقلع عن هذه العادة، يحاول دفع الناس الى رؤية الاساليب القديمة بعين جديدة، وهو يقول ان عمل بفنبرغر يفتقر الى عنصر واحد هو التركيب الوراثي. فمثلما تحدد الموروثات طولك، تحدد ايضاً صحة قلبك وشرايينك. كذلك هي تحدد معدل التمرينات التي يمكنك القيام بها.

ويضيف لابورت ان ذلك يعني، حسب دراسات بفنبرغر، ان الرجال الاكثر حيوية لم يحظوا بنسبة منخفضة من الاصابة بمرض القلب بسبب نشاطهم الفائق. وبدلا من ذلك، لعل نشاطهم الزائد ونسبة اصابتهم المنخفضة بامراض القلب سببهما والدان مناسبان.

ويرى لابورت ان وجود الموروثات المناسبة، وان من دون تمارين رياضية، قد يمنحك حياة طويلة وينجيك من الامراض القلبية.

ولكن ماذا يحدث اذا كانت الموروثات غير مناسبة؟ يجيب لابورت ان معظم الذين يكثرون من الجلوس، ربما بسبب موروثات "سيئة"، يستطيعون الحصول على فوائد صحية ملحوظة بزيادة حركتهم وان قليلا. فالتمرين يستنفد أقصى طاقات الموثات.

ويزداد الدعم للمفهوم الذي يقضي بأن معدلات متوسطة من التمرين توفر فوائد صحية ملموسة. فقد امضى آرثر ليون في جامعة مينيسوتا بمينابوليس سبع سنوات وهو يدرس اوضاع الرجال الاكثر تعرضاً لأمراض القلب، وتبين له ان نصف ساعة، أو أكثر، من النشاطات اليومية العادية كالسير وجزّ العشب، من شأنها خفض الاصابات القلبية الخطيرة الى الثلث.

اذاً، بما ينصح لابورت؟

"اود تقديم حديقة الى كل شخص. فالعمل في الحدائق يخرج الناس الى الهواء الطلق، انه نشاط ممتع وهادف. تزرع فتحصد. تركض حول المباني ويا لوفرة الانتاج!".

قواعد السلامة — ماذا يعني لك كل هذا؟

حسناً، يبدو كأن بفنبرغر ولابورت على صواب. ولاستيعاب ذلك يجب اولا ان نفهم ماذا يعني علماء "الفيزيولوجيا (★) بـ"النشاط" و"السلامة" و"الصحة."

"النشاط" قد يكون اي شيء بما فيه العمل في الحديقة.

"السلامة" هي مقياس كمية الدم التي

(★) علم وظائف الاعضاء.

حارقو السعرات الحرارية: نشاطات مفيدة — نساء ٥٥ كيلغ ☐ — رجال ٨٢ كيلغ ☐

النشاط	السعرات المستهلكة في الساعة
صعود السلالم (بمعدل ١٠٠ درجة)	٤٠
	٤٥
العمل في الحديقة	٢٢٠
	٣٠٠
الركض ٩ كيلومترات في الساعة	٥٥٣
	٧٤٨
جز العشب بآلة يدوية	٢٥٠
	٣٢٠
اللعب مع الاولاد	٢٤٠
	٣٢٠
تنظيف الجدران والمغاسل	٢٤٠
	٣٠٠
المشي ٧ كيلومترات في الساعة	٣٣٠
	٥٤٠
قطع الحطب	٣٥٠
	٤٥٠

يستطيع الجسم ضخها وكمية الاوكسجين التي يستنفدها. تنتج السلامة من ساعات من التمارين الحيهوائية المكثفة.

"الصحة" هي حالة كاملة من السلامة العقلية والجسدية والاجتماعية. يعيش المعافون حياة أطول ويتمتعون بأوردة غير ملوثة. تساهم عناصر عدة في تأمين الصحة منها الغذاء والمورثات.

تقول حكمة مأثورة، يمثلها بفنبرغر، ان النشاط يعزز السلامة التي تعزز بدورها الصحة. فالقلب هو، في نهاية الامر، عضلة. اجعله يعمل بانتظام فيصبح أقوى وتغدو الاوردة اكثر اتساعاً وليونة وأقل تعرضاً للانسداد.

من ناحية اخرى، يسحب لابورت السلامة من المعادلة نهائياً. ويقول ان السلامة قرار تتخذه المورثات، لذلك لن يحظى بها بعض الناس ابداً. لكن النشاط، حتى البسيط منه وغير الحيهوائي، يمنح الصحة.

عود الى الركض – يقول لابورت: "تأمل ارقام بفنبرغر، إن رسمت خطاً بيانياً لفوائد الصحة في مقابل العرق المستنفد ستلاحظ ازدياد فوائد الصحة مع ارتفاع النشاط من ٥٠٠ وحدة حرارية اسبوعيا (التي تماثل حالة السبات) الى ٣٥٠٠ وحدة حرارية. يرتفع الخط حاداً في هذا الرسم البياني من ٥٠٠ الى الفي وحدة حرارية. ولكن من الفي وحدة الى ٣٥٠٠، وهو نطاق السلامة، يمتد الخط افقياً." ويضيف ان الجميع يركزون على طرف الخط البياني الأعلى لكن أغزر العائدات الصحية تبدو في الطرف السفلي.

وبهذه الطريقة يبدو بفنبرغر ولابورت محقين. فبعض الحركة، وحتى العبث في انحاء الحديقة، افضل بكثير من الركود التام. وكلما كان نشاطك اكثر انتظاماً وخفقان قلبك اكثر سرعة، كنت احسن حالا. لكن الهدف ان تجد لك موقعاً في الرسم البياني.

انك تعمل على تحسين صحتك حين تشذّب الاشجار وتتجول في المتنزه. كذلك يمكنك صعود الخط البياني بتسلق السلالم بدلا من اعتماد المصعد، أو استعمال جزازة عشب قديمة تعمل بالدفع وذات شفرات كليلة.

ليس ضرورياً ان تكتمل لياقتك البدنية لكنك تشعر بانك تتمتع بصحة أسلم. والسبيل هو القيام بعمل ما.

بالطبع ينتظرك المزيد من التمرينات اكثر من الكمية الدنيا من العرق الذي تحتاج الى فرزه. واذا كانت التمارين الشاقة تشعرك بوضع افضل، فلا تأبه لما يقوله العلماء.

اريك اولسن ■



ما اثقل التاج!

أن تكوني ملكة حتى ليوم واحد ليس مَهَمَّة سهلة. ففي حفلة تنصيب الملكة اليزابيت الثانية عند الساعة الحادية عشرة كان عليها ان تظل واقفة مدة ٩٠ دقيقة، وان تمضي في ما بعد ثلاث ساعات او اربعاً في توقيع قرارات ومراسيم رسمية، وعدة ساعات اخرى في مقابلة الجمهور. (سجل لها ٤٠٠ مثول امام الجمهور في السنة الماضية).

وخلال ثلاثة عقود امضتها الملكة على العرش اجتازت مئات الآلاف من الكيلومترات وزارت ٥٢ دولة. وليس امراً مذهلا أنْ تستطيع وضع ماكياجها في خمس دقائق وهي مستلقية، وقد شوهدت قبل مواعيدها الصباحية تضع تاجها على رأسها وهي تتنقل برشاقة في احد اروقة القصر.

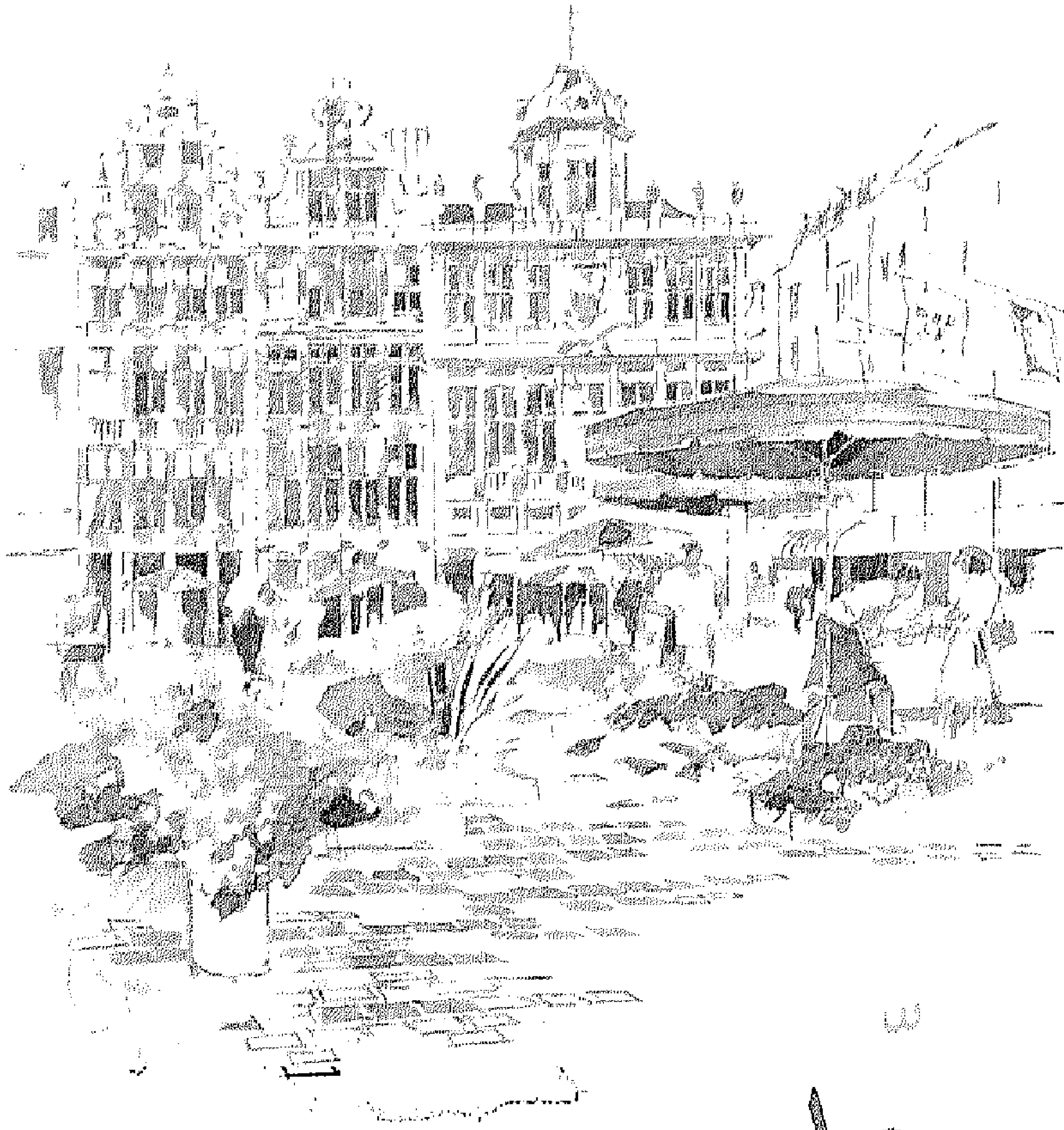
عن "الشعب" الاسبوعية

كلكلتْ!

بدأت القصة بمزحة. فقد ارسلت وبعض اصدقائي رسالة الى الجريدة نعلن تنظيم دورة دولية في لعب الكِلَل في "الكانيبيار" في مرسيليا، سوف يساهم فيها بطل امريكي. وبعدما نشرت الصحيفة الخبر شعرنا بوجوب تنظيم الدورة، حتى وان لم يكن احد منا لمس كلة في حياته. وفي اليوم المحدد ارتدينا اجمل ثيابنا وذهبنا بكل وقار الى "الكانيبيار" حيث لعبنا بالكلة امام جمهور غفير.

لكن افضل ما في المزحة هو اننا اصبحنا فعلا مهتمين باللعبة، فلم يطل بنا الامر حتى اسّسنا "جمعية لاعبي الكِلَل" التي تجتذب لاعبين من سبع مناطق مختلفة في فرنسا.

ر.غ



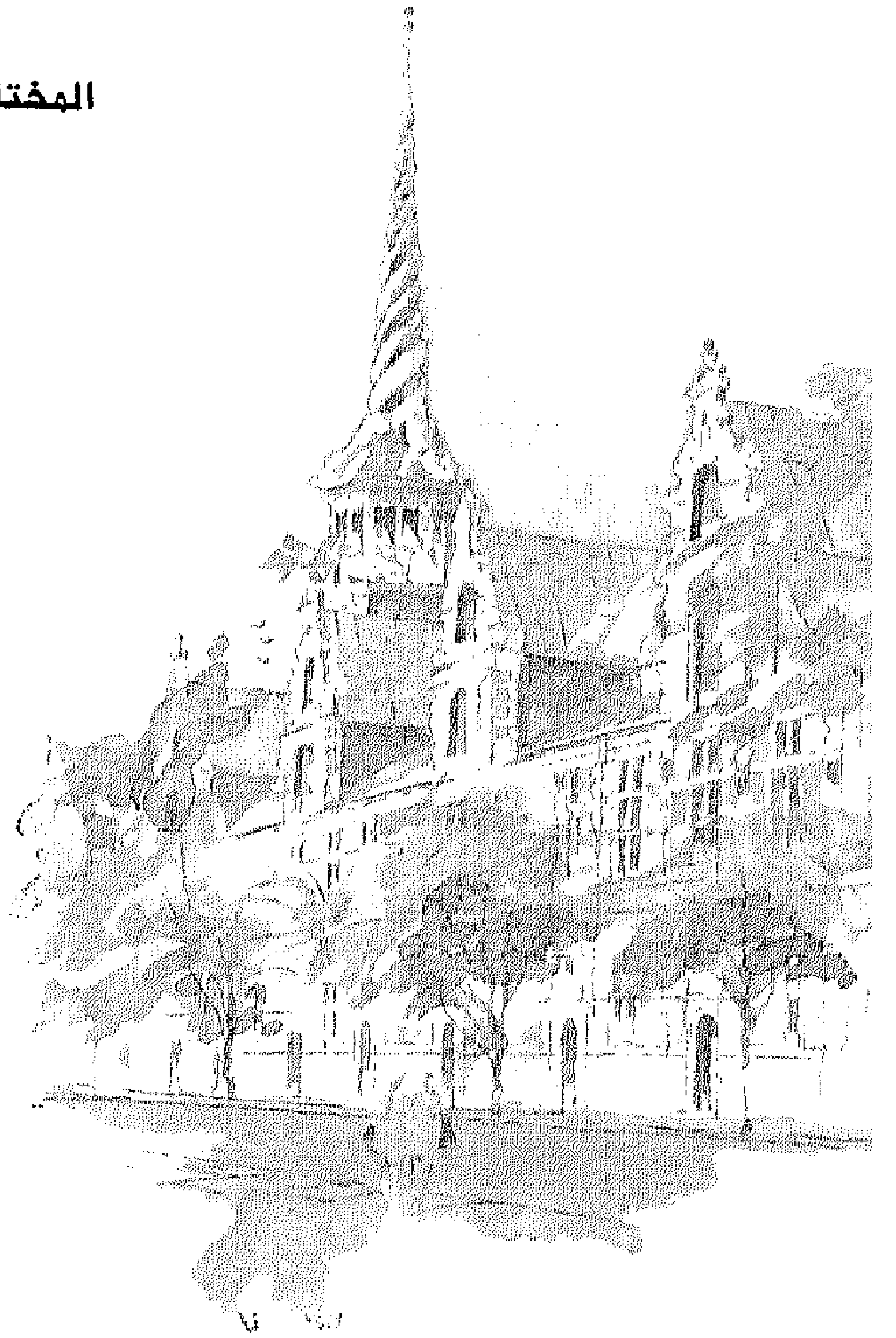
"الساحة الكبرى" في بروكسل.

فلتمجد المدن

انا صبي من المدينة. أعيش في قساوة الشوارع وصلابة الابنية، تحت السماء المكفهرة وفي بيوت ناتئة، أفواهها ابواب وعيونها نوافذ، في عالم لا سَكينة فيه ولا ظلام.

ومع انني وُلدت في لندن الا انني لست لندنياً فقط. فأنا أعشق المدن في العالم أجمع، وأفضل بشاعة أثينا الحديثة على سفوح جبال الأولمب. صحيح أن معظم المدن المحببة لدي جميلة مثل سان فرنسيسكو وأمستردام وكامبردج وڤانكوڤر وڤيينا وروما، إلا أنني أحب أيضاً برلين الغربية التي، في رأيي، لا يمكن حتى المعجبين بها جداً أن يصفوها بمدينة جميلة. كذلك هي الحال بالنسبة الى مرسيليا وبومباي اللتين لا يقل حبي لهما عن حبي لبرلين الغربية.

وتعود بي الذاكرة الى ايام طفولتي في كامدن تاون حيث الخيل ومعالف الخيل والضباب والأرغن اليدوي والشاحنات.


شارع البورصة القديم في كوبنهاغن.

عندما ينفد الحليب من البيت، كنتُ أُرسَلُ على جناح السرعة الى دكان لبيع الحليب ومعي مال وابريق. وكانت هناك حنفية برونزية بارزة من باب الدكان وفوقها شق صغير ضيق. فأضع النقود داخل الشق وأمسك بالابريق واضعه تحت الحنفية. وما أن تسقط قطعة النقد حتى يتدفق الحليب بما يوازي نصف ليتر تقريباً. كانت هذه البقرة الحديد، البقرة الوحيدة التي رأيتها في حياتي.

وكان دكان الحليب هذا يبيع الزبدة أيضاً. إلا أن العالم الذي كنت أعيش فيه بلغ درجة من التمدن، لم يتمكن معها عقلي من ايجاد صلة بين الزبدة والحليب.

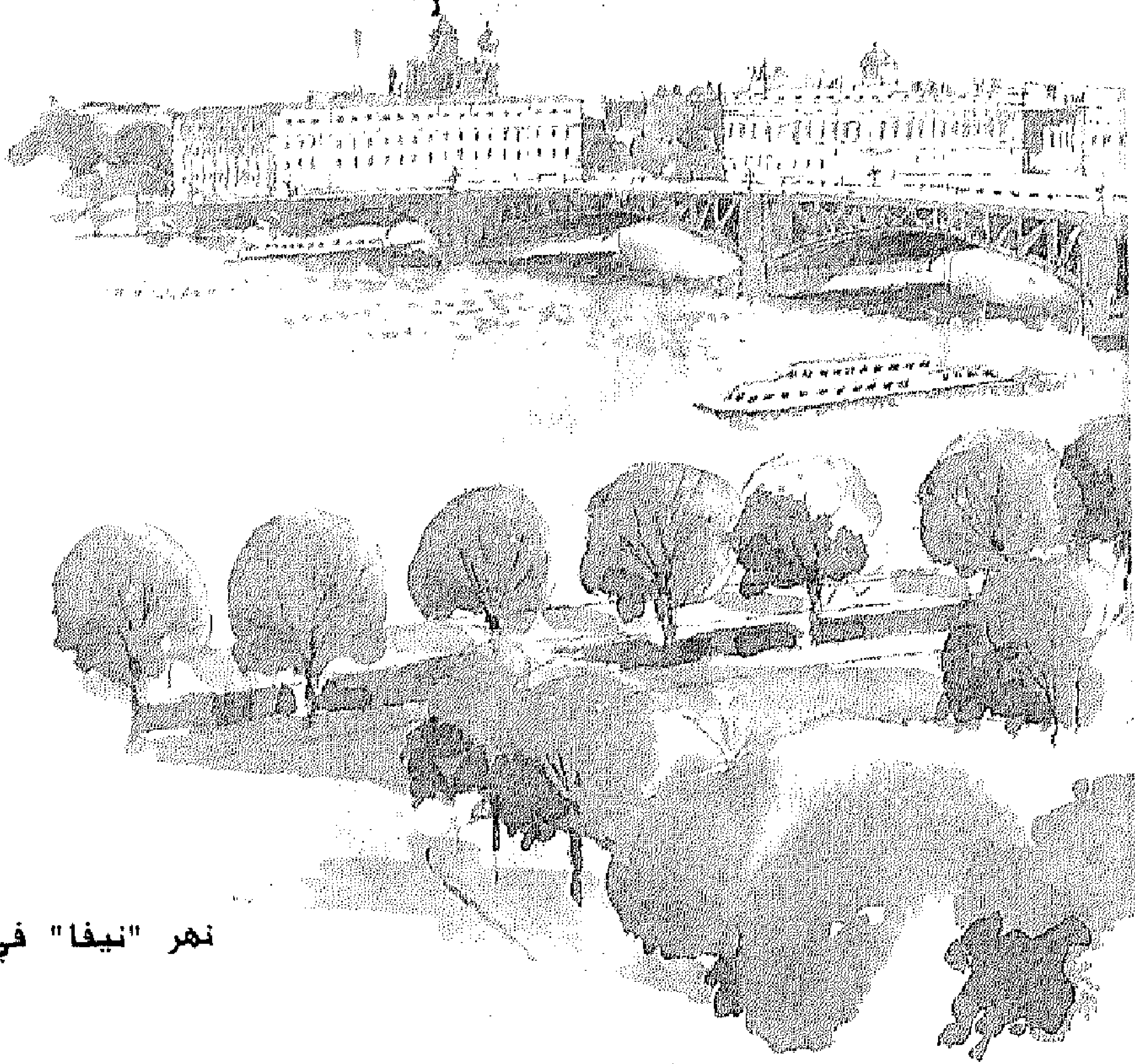
وما قد يبدو أغرب من هذا هو المعرفة أنهما من نتاج الحيوان. كنت اعتقد أن اشياء كهذه تصنع في المعامل. وكنتيجة طبيعية لمثل هذه الحياة، نشأت وبقيت أجهل كل ما يَمُتُّ الى الريف بصلة. وعندما بدأت اسافر، اسرتني المدينة الى درجة أكبر.

مضت فترة قصيرة لم اذهب خلالها الى الريف. ولم أقضِ قط، بملء إرادتي، اكثر من يوم قرب البحر أو اكثر من ساعة على الشاطىء.

الحب الاقدم. حبي لسالزبورغ ولادنبره هو حبي الأقدم عهداً للمدن. فقد زرتهما لمشاهدة المهرجانات التي تقام فيهما. والآثار التي تعود الى القرن الثامن عشر منتشرة في كلا المدينتين على غير هدى. وما ان أطأ إحدى هاتين المدينتين حتى ينشرح صدري.

وصلت متأخراً في زيارتي لايطاليا، فقد امضيت كثيراً من الوقت في النمسا


"سان جيل" ادنبره.



نهر "نيفا" في لينينغراد.

وفي مقاطعة باڤاريا واعتدت الوجه الحديث لميونيخ. وترددت كثيراً على الاوبرا في ڤيينا. الا ان أول ما يتبادر الى ذهني عن هذه المدينة هو مملحة المائدة التي صنعها بينيڤينتو شيلليني للملك فرنسيس الأول في متحف كونثيستوريتس، فاستنتجت من ذلك أن فرنسيس كان مولعاً بالملح الى درجة غريبة، فكانت المملحة كبيرة الى درجة يستطيع الاستحمام فيها!

الا انني لا استطيع أن أنسى زيارتي الأولى للبندقية. فقد وصلت الى هذه المدينة بعدما سدل الليل نقابه. كان ذلك في فصل الشتاء وكان الثلج يتساقط. أودعت حقائبي الفندق وهرعت خارجاً الى "ساحة سان ماركو". وقفت في الساحة المقفرة ونظرت الى أعلى لأشاهد نفناف الثلج يتساقط مائلا يتلألأ وسط الاضواء. فاعتقدت أنني لم أشاهد قط أجمل من هذا في حياتي.

ولم يتسنَ لي التعرف الى المدن الامريكية الا في وقت متأخر أكثر. وصلت مرة الى مدينة نيو اورلينز عشية ثلثاء المرفع. وكانت في العرضين الضخمين اللذين يقامان هناك شاحنتان كبيرتان تكادان لا تريان بسبب الزهور والحسناوات اللواتي كن يُحِطنَ بهما.

آه من لوس انجلس. في لوس انجلس مشكلة، على كل عاشق للمدن أن يواجهها عاجلا أم آجلا، إذ يبلغ طول بعض طرقاتها ٨٠ كيلومتراً. وتنتصب فيها بيوت

نصفها مصنوع من خشب يعود الى عصر الملكة اليزابيت.

لا بد أن المكان لا يُطاق، فسكانه مجانين وزواره يصابون بالإغماء التخشبي نتيجة الصدمة.

وفي هذه المدينة أعلى نسبة للاجرام في الغرب، ومع ذلك عندما أقوم باختبار لعشاق المدن تأتي لوس انجلس في مرتبة توازي مرتبة عالية جداً. فهذه المدينة الساحرة والمسحورة، في آن، والتي تتوسطها هضبة هوليوود، هي مدينة لا تُصَدَّق ولا تُعْقَل، فقد صافحت

فناء في البندقية.



مصاص الدماء "دراكولا" خلال زيارتي لاستديوهات يونيڤرسال. الا انها غنية بما يميزها عن غيرها من المدن، لا بل انها غنية بجمالها، فأنا لم أرَ قط حدائق خاصة يُعنى بها بهذه الطريقة الجيدة.

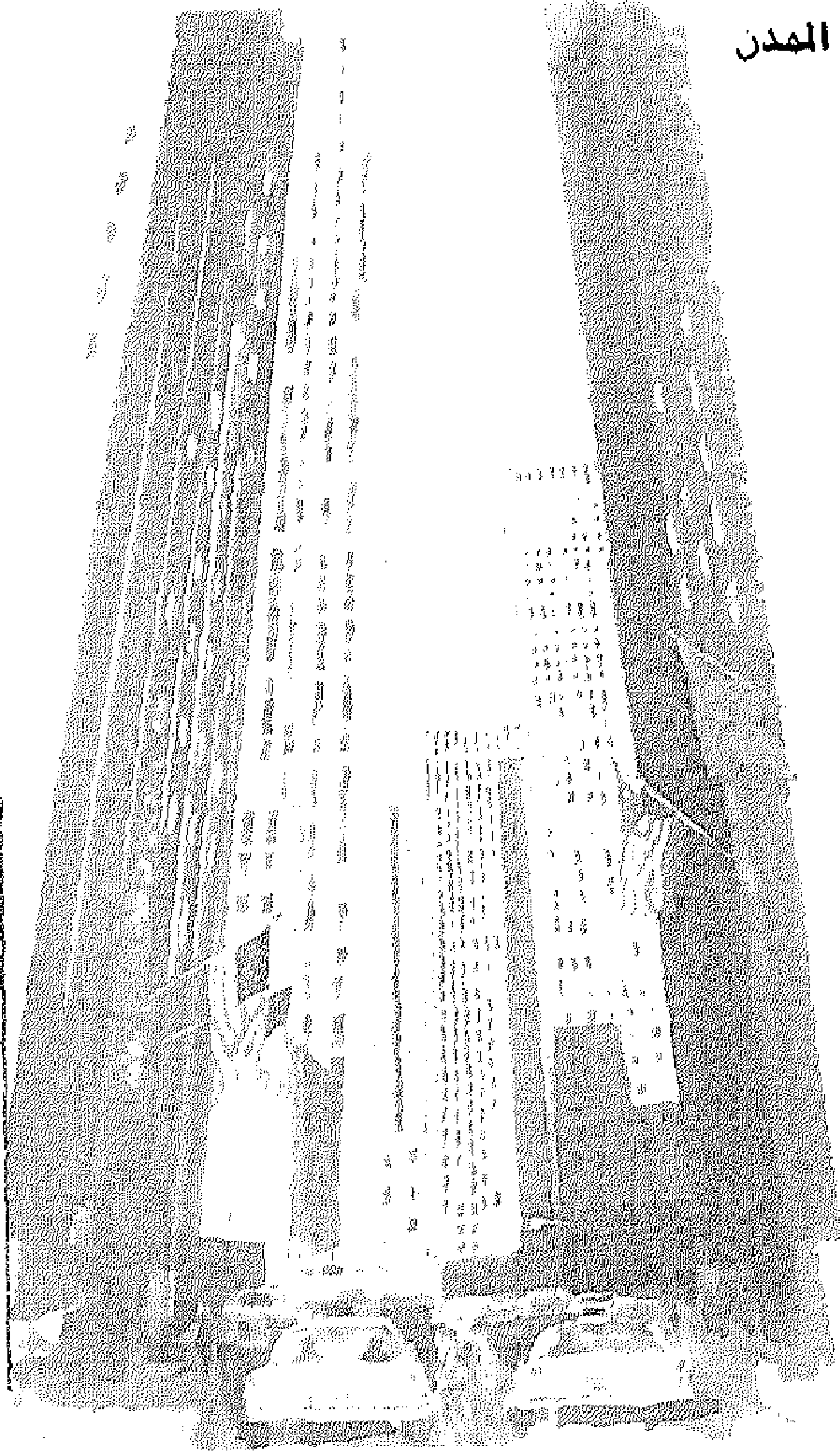
ربما احببت المدن دفاعاً عن النفس، لأنني أشعر بالعجز في الريف. ولكن الأمر يتعدى هذا النطاق، فالمدينة تبعث لدي شعوراً بأنني اعيش حقاً شرط ان تتوافر فيها عناصر معينة. والعنصر الاساسي الاول هو الماء. فقليلة هي المدن الكبرى التي لا يتوافر فيها هذا العنصر ولم يبن معظم المدن وفقاً لتخطيط معين أو بين ليلة وضحاها (باستثناء مرسيليا وغيبور في الهند ولينندفراد في الاتحاد السوفييتي) بل هي نمت في أماكن تصلح للعيش والأمن والتجارة. وما من مدينة في استطاعتها تأمين أي من هذه الأمور إلا إذا توافر لديها منفذ يصلها ببقية العالم.

ويصل بي الأمر الى الشعور بعدم الارتياح في مدينة لا ماء فيها، أو لا ماء كافياً على الأقل. ومع أنه أكد لي مراراً ان لمدينة مانشستر نهراً، هو نهر أيرول، لم أتمكن من إيجاده قط! فنهر المدينة الحقيقي لا بدّ أن يلفت الانظار اليه وإن يكن جريانه بطيئاً. فقد تحدّق، في بعض الاحيان، الى نهر التيمز لساعة كاملة من دون أن تستطيع الجزم بأنه يجري. كما أن أنهار نيويورك الجارية بتؤدة تحت الجسور التي تنوء تحت ثقل السيارات المسرعة، تشكل تأنيباً دائماً لسكان المدينة المستعجلين. ولكنا قلنا الكلام ذاته، لا بل أكثر، عن نهر جومنا الذي

يجري عند أقدام "تاج محل" في الهند، لو أن سكان اكرا كانوا يوماً على عجلة من أمرهم، إلا أنهم ليسوا بحماقة النيويوركيين.

الابراج والحدود. الصروح العالية والأبراج، أكانت ناطحات سحاب من القرن العشرين أم كاتدرائيات تعود الى القرن الثالث عشر، هي العنصر الاساسي الثاني لأي مدينة. فهذه الابراج هي التي ترسم حدود المدينة مع الفضاء وهي الدليل على اقتراب المسافر من اليابسة. وهي التي تثبت المدينة في الأرض مع أنها ترتفع متطاولة نحو السماء. وتبدو اكسفورد، مدينة "الأبراج الحالمة"، كأنها مبنية من الأبراج فقط. ومن الأبنية المُسنَّنة الأخرى في المدن المحببة لدي، "نصب سكوت" التذكاري في ادنبره، و"برج سان شتيفانز" في ڤيينا، وأجمل قمتين في كوبنهاغن وهما "برج بارلي - شوغر" في الشارع القديم للبورصة، و"السلم الذهبية" الملتفة صعوداً حول القبة المسننة لكنيسة المخلص، والبرج الغريب الانحناء في تشترفيلد. ولا ننسَ مسقط رأسي لندن، ففيه كاتدرائية وستمنستر، ذلك المبنى البشع ببرجه المثير للاعجاب، ومجلس الشيوخ المضحك والمحبب في الوقت نفسه، وهو محاكاة هزلية لناطحة سحاب، فضلا عن هوائي محطة التلفزيون في "كريستال بالاس" وهو نسخة انكليزية دنيوية عن الابنية القوطية التي ترتفع مبتهلة نحو السماء، واخيراً برجُ ساعة "بيغ بن."

والقلب هو الضرورة الثالثة لكل مدينة.



منهاتن، نيويورك.

ويبدو بعض المدن كأنه صمِّم منذ البداية ليحوط ساحة مركزية. وتعتبر "البلازا مايور" في سالامانكا باسبانيا، معجزة في الانسجام والتناسق. وهي تفيض سكينة كالبلسم. ومن المؤكد أن الساحة بُنِيَتْ أولا ثم تكاثر البناء حولها بخطى حذرة للمحافظة على هدوئها. لست ادري ما اذا كانت "الغران بلاس" في بروكسل هي في الحقيقة مركز المدينة. إلا أن المجموعة الرائعة لواجهات الأبنية الفخمة تجذب السائح كأن فيها قوة جاذبة لا تُقاوَم.

باريس الاروع. ان باريس هي الاروع. فمن "قوس النصر" الى "التويلوري"، مروراً بجادة "الشانزيليزيه" ومستديرتها وساحة "الكونكورد"، تبدو المدينة كأنها صُمِّمَت وبُنِيَت لتشكل موكباً رائعاً لأجزاء متلائمة تماماً، مع أن هذا لم يكن مقصوداً بالطبع. الا أن ذلك يمنح المدينة محوراً هو بقوة أي ساحة أو مبنى مستدير.

ولم اكتشف الضرورة الرابعة التي يجب أن تتوافر في كل مدينة سوى في البندقية، ألا وهي الساحات الصغيرة والأقنية. والبندقية هي، على الارجح، أغنى مدن العالم بهذا النوع من الساحات. وقليلة هي المدن الاوروبية المحببة التي تفتقر الى هذه الساحات التي تعيد الى المدن حيويتها عندما يكون وضعها ميؤوساً منه. وفي كوبنهاغن فناء رائع يُدعى "بروستس" غني بالقياسات الغريبة. كذلك تنتشر الأقنية في أرجاء فلورنسا، وكذلك الحال بالنسبة الى لندن، خصوصاً في شرق منطقة "شرينغ كروس".

وتتوافر في نيويورك كل متطلبات المدينة، باستثناء القِدَم. وقليل من ابراجها المصنوعة من الحجار والاسمنت والفولاذ والزجاج، جميل في ذاته. لكن، اذا نظرنا الى منطقة مانهاتن على أنها مؤلفة من منحوتات ضخمة، لا من أبنية مستقلّة، فلا بدّ، إذا كان لدينا بعض من خيال، أن نجد هذه المشاهد الشاملة مثيرة ومتناسقة وتسلب الألباب كأي مدينة قديمة في اوروبا غنية بطبقاتها المعمارية والتاريخية.

المدينة سجل، وهي شهادة على قدرات التحمل والتأقلم لدى الانسان. إلا أن هذا لا يصح في الريف حيث الطبيعة سيدة الموقف وتجب إطاعتها. في امكاننا ان نعلم من الشهادة كيف اصبحت المدينة ما هي الآن، أي نوع من البشر بنوها، وماذا الحقوا بها جيلا بعد جيل. إن حبي للمدن نابع، أولا وأخيراً، من هذه الثروة المتراكمة، ومن هذا النمو الالتحامي البطيء عبر السنين.

برنارد لِفن ■



شرطي مهذب

في يوم ممطر اوقفني شرطي شاب وطلب مني ابراز رخصة القيادة. ولاحظت ارتباكه وهو يراقبني ابحث عن الرخصة في حقيبة يدي ثم في صندوقة "التابلوه" واخيرا في جيوبي، ولكن من دون جدوى. وخرجت من السيارة وتابعت بحثي في صندوقها. في هذه الاثناء كان المطر يبللنا نحن الاثنين على افضل وجه.

فقال لي الشرطي بسأم، والمطر يسيل من قبعته: "لا بأس، يا سيدتي. تفضّلي بالصعود الى السيارة ومتابعة طريقك. اظن أنَّ هذا سيكون امثولة لكلينا حتى نكون اكثر انتباهاً في المستقبل."

ج.هـ.

PHAROS

فاروس

فاروس

PHAROS

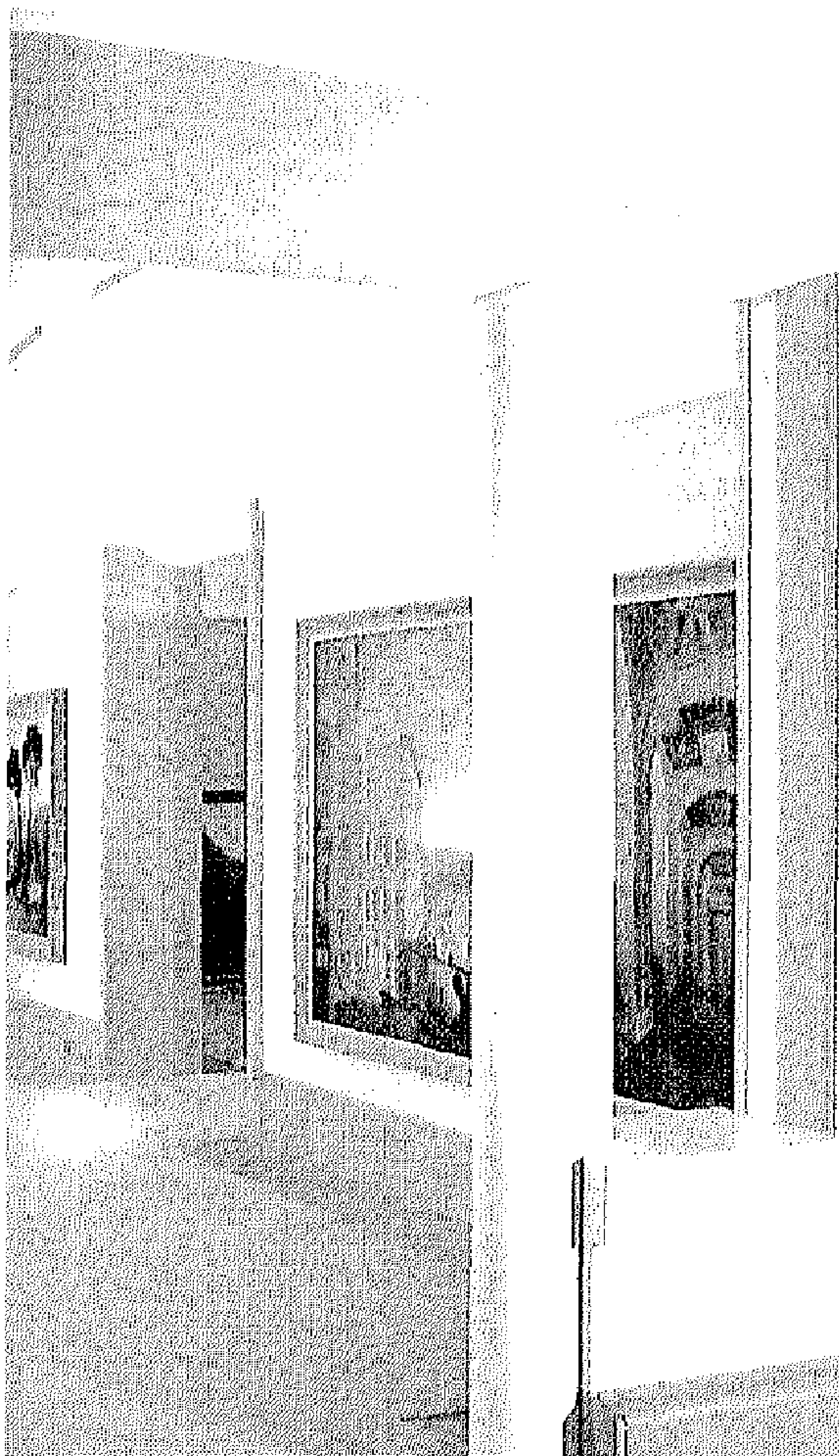
جمال يتراقص على الماء

بفضل أناقتها العصرية، ومقاومتها للماء، وتصاميمها
الفريدة المتميزة، تتمتع "فاروس" الآن بتوجهة
صنعت في اليابان على أيدي حرفيين مهرة وفقاً لمقاييس متشددة
من قبل "سيتيزن" أكبر مصنعي الساعات في العالم

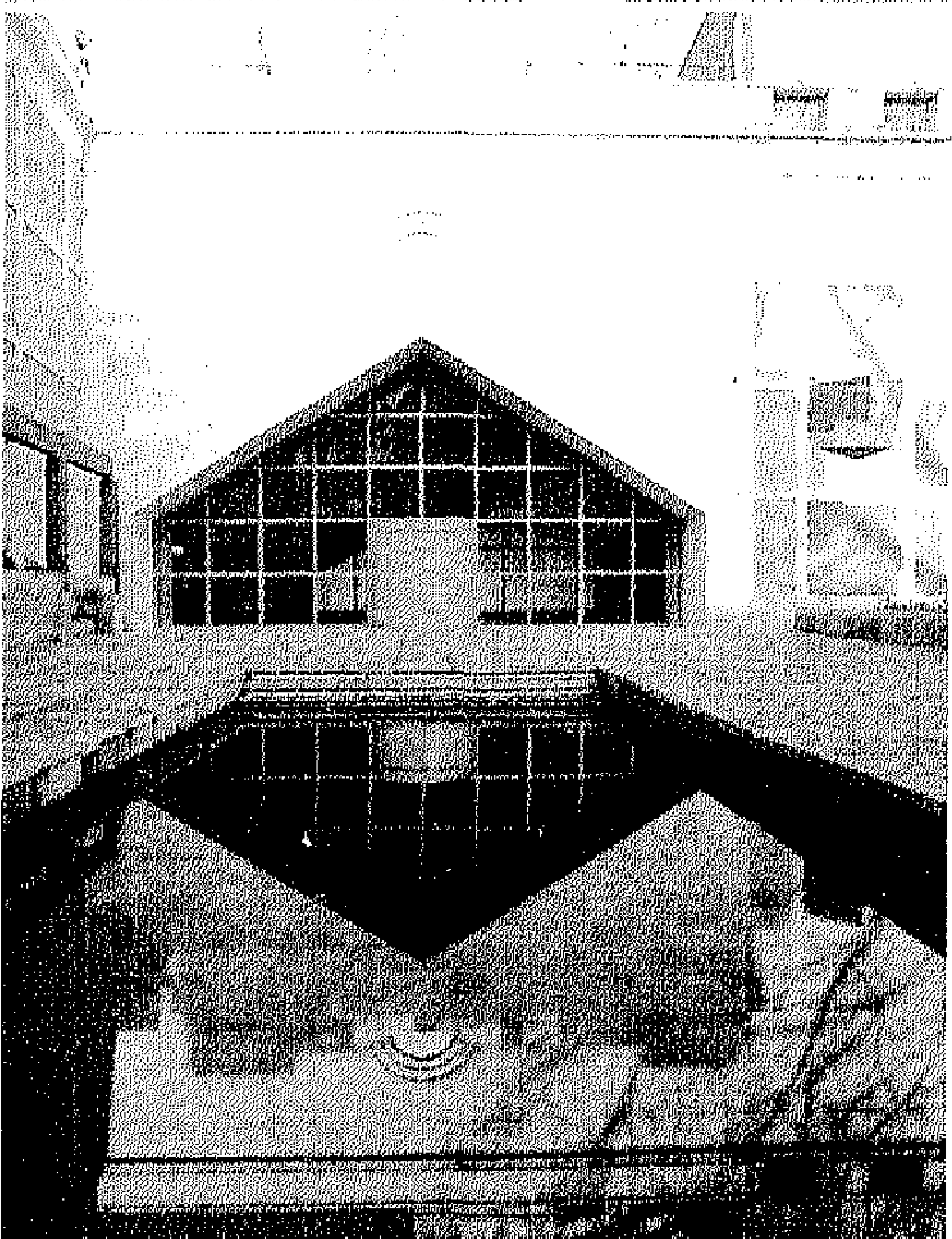
"فاروس" تيار الأناقة الصارخ

سيتيزن

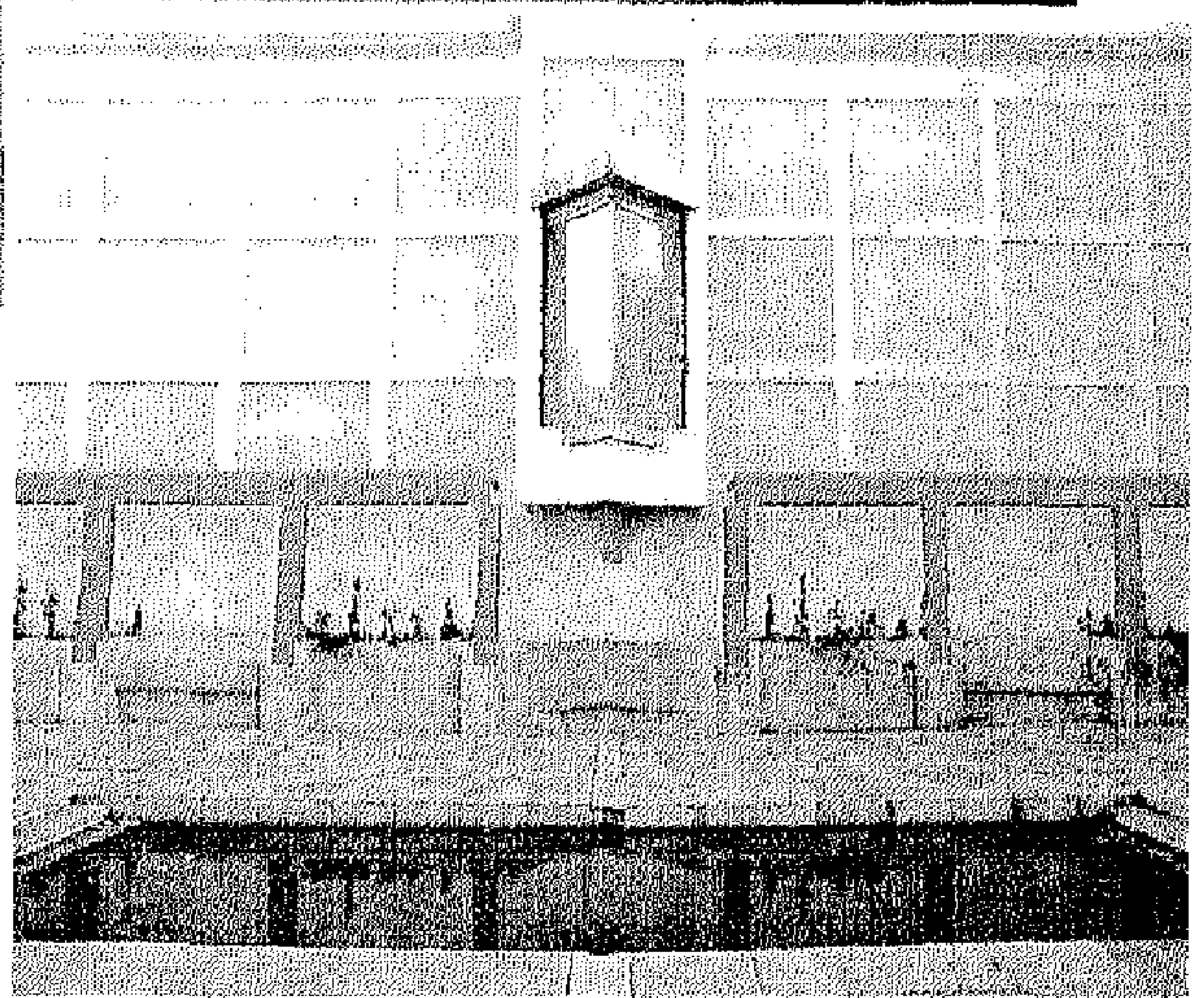
CITIZEN







The Tate Gallery



فنَّـــان سَـــبق عَصْـــره





فوق: رسم ذاتي للفنان وهو في الثالثة والعشرين.
الى اليمين: قلب "صالة كلور" الجديدة. ينعكس في الفناء الجانب المتميز، الاخضر الدوار. وفي وسع الزوار ان يبصروا نهر التيمز من النوافذ العالية الناتئة

المبنى الاكثر اناقة وتطوراً من امثاله في العالم، يطل على نهر التيمز في "ميلبانك" غير بعيد من مجلس العموم الانكليزي محققاً بذلك امنية رسام بريطانيا الأشهر.

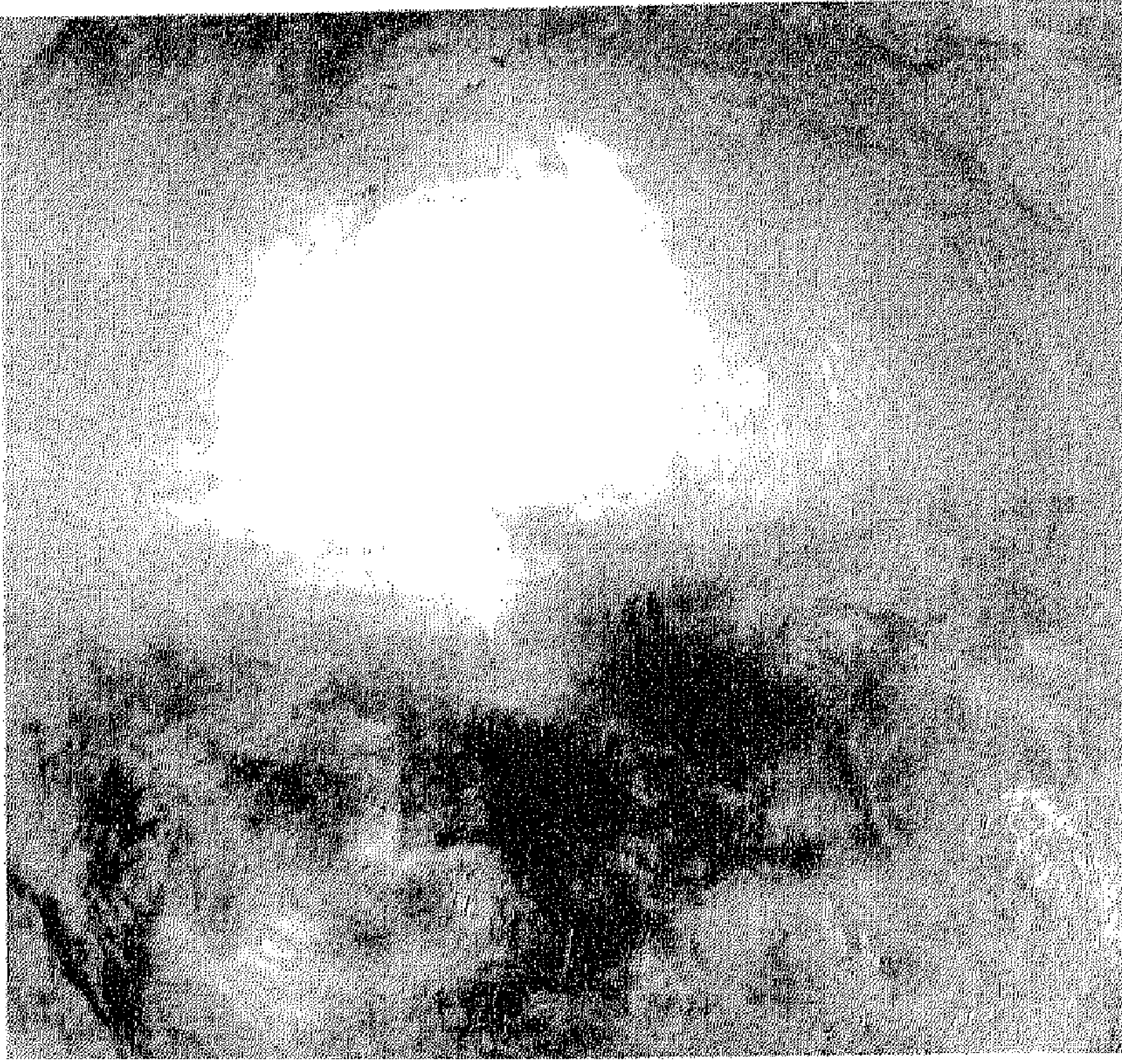
توفي جوزف مالورد وليم تيرنر عام ١٨٥١، مخلفاً كنزاً ثميناً من اللوحات يعادل ثمانين في المئة من اعماله الفنية. ولطالما رفض التخلي عنها وتاق الى ضمها في مجموعة.

كان جوزف تيرنر رجلا ثرياً، اذ بيع الكثير من اعماله الفنية الاولى. وسرعان ما راح يتميز باسلوب خاص محولا مشاهد الطبيعة تفجراً موّاراً باللون والضوء. فتدنت شعبيته وسخر منه النقاد، ودينت لوحته الانطباعية التي تصور عاصفة هوجاء في البحر لأنها "كتلة من طلاء الكلس ورغوة الصابون".

آلمه ذلك ونغصه فانزوى بائساً غير راغب في بيع لوحاته حتى لاولئك الذين ادركوا انه يستشرق تخوماً جديدة في الفن.



The Tate Gallery


The Tate Gallery

Ian Bradshaw

أسفل اليمين: لوحة "الندوة العامة في روما من خلال قوس قزح" (١٨١٩)، وهي مائية ساكنة تباين تماماً البحار الهائجة في لوحة "حطام السفينة" (١٨٠٥)، والمأساة الدوامة في لوحة لاحقة عنوانها: "الظل والعتمة: الطوفان عشاء" (١٨٤٣).

وقد أمل ان يشيد "المعرض الوطني" صالة خاصة بلوحاته العزيزة عليه، فيقدرها اذذاك الجميع. ولكن بعد وفاته وضع المعرض الوطني يده على تركة تيرنر البالغة نحو ٣٠٠ زيتية واكثر من ١٩ الف مائية ورسوم اخرى مختلفة، ولم يعرض سوى بضع لوحات. وتراكم الغبار على البقية في الاقبية لنصف قرن. فظل تيرنر غير ذي حظوة شعبياً.

ثم نقلت التركة الى "صالة تايت"، مضافة الى مجموعتها الفنية البريطانية. ومكثت هناك مخبأة في غالب الاحيان. ذلك بان صالة تايت تنقصها مساحة جدارية للعرض، حتى ان افتتاح "جناح دوفين" الجديد عام ١٩١٠ لم يتح عرض مجموعة تيرنر كاملة. وقد تضررت مائيات تيرنر وكراريس رسومه اثر فيضان نهر التيمز عام ١٩٢٨، ونقلت كل رسومه الورقيـة، على عجـل، الى المتحف البريطاني، سالمة ولكن مبعثرة.

وتجتذب لوحات تيرنر الآن الذواقة. فقد فتح الانطباعيون الفرنسيون، امثال مونيه ورينوار، عيون الجمهور على سحر الضوء واللون. وفي نهاية المطاف تم فهم تيرنر السابق زمانه باشواط، كما اراد. ولم ينس معرض تايت امنيته، فتحقق

مسعاه اخيراً عام ١٩٧٩ عندما وهبت "مؤسسة كلور" الى المعرض ٦ ملايين جنيه استرليني وذلك احتفاء بذكرى احد ارباب الصناعة السير تشارلز كلور.

افتتحت الملكة اليزابيت "صالة كلور" لمجموعة تيرنر الفنية في ابريل (نيسان) ١٩٨٧، وأُلحق بواجهة تايت الشمالية جناح من طبقتين على شكل حرف «L» ، وهو اكبر متحف في بريطانيا لفنان فرد، صممه جايمس سترلينغ شيخ المهندسين المعماريين في بريطانيا.

وهناك ممرات في الجنائن وسطيحة منخسفة تفضي الى المدخل الرئيسي للمعرض الذي تتعدد الوانه بما يليق بتيرنر، نابغة الالوان. الأحمر القرميدي الداكن يباين حجر البورتلاند الاصفر الشاحب في واجهة المبنى. العُمُد في الستارة المغشاة بالزجاج حول الباب الدوار، خضراء زاهية، والدرج الذي يقود الى صالات العرض زهري من الغرانيت.

نموذج المعرض الحديث – يقول روبن هاملت القيم على معرض تايت والذي اعد مشروع كلور: "جميع اللوحات الثلاث مئة موجودة هنا في سطوح عالية. حتى إذا ما تداعى حاجز نهر التيمز وفاض ميلبانك ثانية، فانها ستكون في مأمن. لدينا ثمان صالات رئيسة للعرض ذات احجام متفاوتة، من بينها صالة لعرض المائيات وثلاث أخر رديفة للوحات غير الموجودة في المعرض الرئيسي. ويبلغ طول الفسحة الجدارية ٣٢٩ متراً. وسيكون لنا فسحة لوضع رسوم تيرنر الاولية والاعدادية بازاء زيتياته."

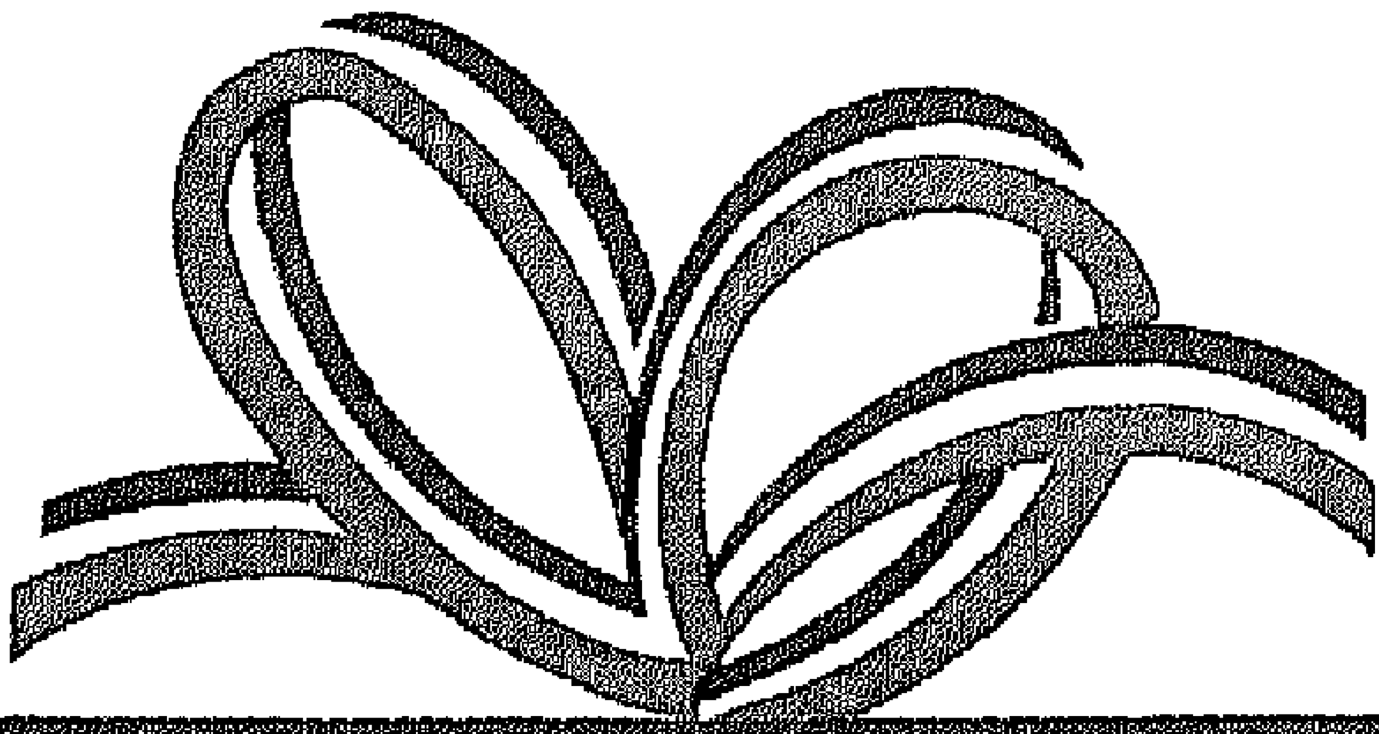
هذه هي المعارض الحديثة ذات الجدران المكسوة بالكتان الطبيعي الصوفي اللون، والسقوف المطلية بالابيض الزاهي وغير المزوقة.

وثمة نافذة ناتئة تشرف على التيمز. يمثل بناؤها لمسة فنية تبعث على التفكر، فقد طلب المؤتمنون على معرض تايت اضافتها ليتيحوا للزوار ان يروا النهر الذي ألهم تيرنر الكثير من لوحاته. وثمة ابواب تربط "صالة كلور" بصالات تايت الاخرى، فتصل تيرنر بأسلافه ومعاصريه وخلفائه.

ان الصالة التي يلجها المرء، قرب رأس الدرج، تقدم الزيتية الاولى المعروضة لتيرنر، واسمها "صيادون في البحر" وقد رسمها وهو لما يبلغ بعد الحادية والعشرين من عمره. وهنا ايضاً لوحات تمثل مآسي، مثل "حطام السفينة" (١٨٠٥).

وحسب آندرو ويلتون، القيم على "مجموعة كلور": "كان لتيرنر، طوال عمره، اهتمام بمشاهد النوازل الجائحة والكوارث الكونية وعتو الطبيعة". وتصور لوحة "سقوط الهور الثلجي" (١٨١٠) بيتاً سحقته صخرة في ضعفي حجمه. وتصور لوحة "هنيبعل يجتاز بجيشه جبال الالب" (١٨١٢) المشهد في إطار عاصفة ثلجية مسرحية، وهي عاصفة راعدة شهدها تيرنر فعلا في غور "وارفت" في يوركشاير. وقد تذكر صاحب تيرنر الذي استدعاه للأستمتاع بالمنظر، ان تيرنر كان يخط اشكال الغيوم الشديدة السواد على ظهر احدى الرسائل. وقال: "كان مستغرقاً، وذاهلا من فرط الاعجاب".

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١/٥/١٩٨٨ و٣٠/٥/١٩٨٩ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت – لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ – ١١٣
بيروت – لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________________

____

عنوانه ______________________

____

المناسبة وتاريخها ______________________

توقيع المهدي ______________________



مع أخلص تمنياتنا

تقدّم متواصل نحو آفاق جديدة

حول العالم

تحلّق الملكيّة الأردنيّة عالياً إذ تنقلك حيثما شئت ضمن شبكتها العالميّة المنتشرة في ٤٢ مدينة على مدى أربع قارات.

فمن الشرق الأوسط إلى أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأقصى: تحملك طائراتنا في جوّ من الراحة وتوفّر لك مستوى عالٍ من الخدمة والرعاية.

سافر على طائراتنا الحديثة من طراز بوينغ ٧٤٧ والترايستار إلى أيّ مكان من سنغافورة إلى لوس أنجلوس، تجد الراحة التي تنشدها في مقاعد النوم الوثيرة، وتتمتّع بما يقدّمه إليك مطبخنا العالمي الفاخر. إنها الرعاية الخاصّة النابعة من تقاليدنا العريقة في الضيافة.

وتحقيقاً لالتزامنا بالنوعيّة الممتازة والتجدّد المستمر، أضفنا إلى أسطولنا أحدث الطائرات من طراز آرباص.

سافر إلى كافة أرجاء العالم مع الملكيّة الأردنيّة، وثق من أنك ستجد الترحيب الحار أينما توجّهت.

تجدّد لا يتوقّف

عمّان، أبوظبي، أمستردام، العقبة، أثينا، بغداد، البحرين، بانكوك، بيروت، بلغراد، بروكسل، بوخارست، القاهرة، الدار البيضاء
شيكاغو، كوبنهاغن، دمشق، الظهران، الدوحة، دبي، فرانكفورت، جنيف، اسطنبول، جدة، كراتشي، كوالالمبور، الكويت، لارنكا، لندن
لوس أنجلوس، مدريد، موسكو، مسقط، نيويورك، باريس، الرياض، روما، صنعاء، سنغافورة، طرابلس الغرب، تونس، فيينا

وثمة صالات عرض أخرى تبرز حذاقة تيرنر الرسام المخطط، المولع بالابنية الرائعة. وقد أوثر عنه قوله: "لو قدر لي ان ابدأ حياتي ثانية، لكنت مهندس معمار لا رساماً." وتيرنر النزاع الى التملك، ذو الشعور الأبوي نحو لوحاته – وهو باع لوحة "حداد من الريف" بـ١٠٠ جنيه انكليزي ولكنه استعادها بـ١٤٠ جنيهاً – وتيرنر الرحالة ذو العزم – يقول عنه آندرو ويلتون: "بدا انه في حاجة متواصلة الى شحذ ذهنه وروحه بما تمنحه اياه الاسفار. وقد قام بـ١٨ رحلة في اوروبا كانت اقصاها نابولي وبراغ".

الصالة المركزية تظهر لوحات تيرنر الشهيرة عن الريف الايطالي. وثمة صالة ملاصقة تقدم لوحات تحتفي بميله الخاص الى مدينة البندقية. هاهنا اصطخاب طلاء منير في غاية الرقة، جعل النقاد والجمهور يهزأون من الفنان ابّان حياته.

وآخر صالة تؤوي لوحات تيرنر اللاحقة تضم واحدة تعكس مزاج تيرنر السوداوي هي "السلام: جنازة في البحر" (١٨٤١) التي رسمها بعد وفاة صديق له حميم، واللوحة السحرية "بزوغ الشمس على قلعة نورهام" (١٨٣٥ – ١٨٤٠).

وبغية حفظ تلك القطع الفنية وعرضها في افضل حال، استعملت التقنية الأكثر تطوراً. يقول روبن هاملت: "إن تكييف الهواء ودرجات الضوء الطبيعي والاصطناعي يتحكم بها دماغ الكتروني.

ان لوحات تيرنر تبدو في احسن حلة اذ تعرض في الضوء الطبيعي. ويتبوح الطقس المتقلب بجدتها كل يوم. لكن الاشعاعات فوق البنفسجية الموجودة في اشعة الشمس تضر بالصبغ في اللوحات، لذا تم حرف اشعة الشمس المباشرة عن صالات العرض باستعمال ستائر قابلة للتحريك تعوق وصول الاشعاعات فوق البنفسجية الى اللوحات وتتيح بالتالي انسياب ضوء النهار." اما في معرض المائيات فالضوء اصطناعي. وزيادة في الحيطة، تتلفف كل المعارض بالعتمة بعد رحيل آخر زائر.

والى عرض كل لوحات تيرنر لتغدو في متناول انظار الجميع، يتوافر لصالة كلور محترف لحفظ الاوراق، ومشغل لتركيب اطر اللوحات، وقاعة لالقاء المحاضرات تتسع لمئتي شخص، وحجرة للبحث، وصف كبير للاساتذة وطلاب المدارس.

ويرى روبن هاملت: "أن صالة كلور تنجز اكثر مما كان في تصور تيرنر. إنها محور دراسات عنه ومركز ابحاث وارشيف اولي لحياته وعمله."

ان اللوحات العزيزة على قلب تيرنر، تكرَّم بعد ١٣٦ سنة كما يليق بها، وتغدو معروفة على نطاق اوسع من ذي قبل.

جون هارمان ■



اجمل ما في الحديقة أنك تستطيع ان تزرع فيها النباتات التي لا يرغب اطفالك في اكلها، بدلا من أن تشتريها.

د.ل.

هناك دول كثيرة،
عربية واجنبية،
مهددة بالانطمار تحت ملايين الاطنان
من النفايات البلاستيكية
التي شوهت
بيئتها ولوثت شواطئها

تَلوّثٌ عَلى الطريقة الإيطاليّة

كان الهياج يعم كادونيغي، وهي بلدة هادئة قرب بادوا في ايطاليا تضم ١٣ الف نسمة، في مساء الثامن من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، بعدما علق رئيس البلدية ايليو ارمانو قراره على جدار دار البلدية. وفي المنازل والمقاهي والشوارع لم يتحدث احد الا عن قرار ارمانو.

يفيد القرار أنه ابتداءً من ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ ستلغى اكياس التبضّع وزجاجات الشراب البلاستيكية من كادونيغي، وعلى ربات البيوت عدم استخدامها وعلى اصحاب المحلات عدم توزيعها. وفي الواقع، اعتبر القرار الطلقة الاولى في "الحرب ضد اكياس التبضّع"، فاتحاً معركة "انقاذ ايطاليا" من التحول مقبرة تحت جبال من الفضلات التركيبية.

تلوث البحر في بورتو اركول.



ايطاليا هي من اكبر منتجي المواد البلاستيكية. ومن اصل ثلاثة ملايين ومئتي الف طن تنتجها الصناعة البلاستيكية في العام يُستعمل اكثر من مليون طن، اي نحو ٤٠٪ من مجموع الانتاج، في الرزم والتغليف. ويستخدم الايطاليون كل سنة تسعة مليارات من اكياس التبضع البلاستيكية، ويبتاعون شراباتهم المحلّاة ومياههم المعدنية في مليار من الزجاجات المصنوعة من "كلورايد البوليفينيل" (PVC) او "تيريفتالات البوليتيلين" (PET)، ولحومهم واجبانهم وخضرهم مغلّفة في نحو ٤٥٠٠٠ طن من الرقاقات البلاستيكية الشفّافة.

غير ان هَذا ليس كل شيء. فهناك صناعات آخذة في الانتشار، مثل مواد "البوليستيرين" العازلة، وقناني اللبن المصفى البلاستيكية، وحاويات الجبن والبوظة. وحتى معاجين الاسنان باتت توضع في انابيب بلاستيكية.

وسواء استعملت هَذه الاطنان من المواد البلاستيكية للتغليف او للاحتواء او للنقل، فلا بدّ من رميها بعد استعمالها. ولكن اين؟ فاقل من نصف مدن ايطاليا وقراها، وعددها ٨١٠٠، نظّمت مجموعات رفض. ومن اصل حوالى ٩٠٠٠ "مقبرة نفايات" في البلاد هناك فقط ٣٠٠ خاضعة للمراقبة، فيما الباقية كناية عن اماكن مخصصة لرمي النفايات من دون معالجة ما. والايطاليون يطرحون في هذه المزابل اكثر من مليون طن من النفايات البلاستيكية كل سنة. وهذه الكمية في ازدياد مطّرد.

امر طارىء – ارمانو، صاحب القرار الشهير، رجل ضخم الجثة، ملتح، في الثالثة والاربعين من عمره. التقيته ذات يوم في الساحة العامة في كادونيفي. قال لي: "لا تفهمني خطأً. انا لست ضد البلاستيك طالما بقي حيث يجب ان يبقى." لكنَّ الامر ليس كذلك. بقلق عميق اخبرني انه راقب بلدته فوجد ضواحيها مكسوة بطبقة عميقة من قمامات البلاستيك. وكان عليه ان يتصرف.

الى ان جاء يوم اخذ يتصفّح نسخته من القوانين والتنظيمات المحلية، فوجد ضالته المنشودة في المادة ١٥٣ المدوّنة في العام ١٩١٥ والتي تقول إن رؤساء البلديات مخوّلون كل عمل ضروري للتعامل مع كل امر طارىء من شأنه ان يؤثر سلباً في صحة الجمهور ونظافته.

قرر ارمانو ان تراكم النفايات البلاستيكية هو امر طارىء بلا شك. فكتب القرار في ٦ اكتوبر (تشرين الاول). وبعدما نشره بلصقه على لوحة اعلانات البلدية لم تنقطع الاتصالات الهاتفية في مركز البلدية. وتوافد الى البلدة مخبرو الصحف والمجلات والاذاعات. ووصل فريق تلفزيوني من المانيا الغربية، وآخر من اليابان، لمقابلة ارمانو الذي اصبح بين عشية وضحاها اشبه ما يكون بالبطل الشعبي. فهو رئيس بلدية مدينة صغيرة ثائر ضد تسعة مليارات كيس بلاستيكي. وكان يدافع عن مصلحة ٥٧ مليون ايطالي – وهم يعرفون ذلك.

التلوث البلاستيكي يطاول كل انسانٍ في ايطاليا. على سبيل المثال، امضيتُ في صيف ١٩٨٧ عطلة نهاية اسبوع في

بورتو اركولي المنتجع البحري الواقع على بعد ١٥٠ كيلومتراً شمال روما. وافضل شاطىء رملي (بلاج) هناك هو "لافينيليا" الذي يمتد بشكل هلال من الرمل الناعم على طول ثمانية كيلومترات. غير ان الرمال تكاد لا ترى تحت النفايات البلاستيكية.

وكانت تعوم على سطح الماء اكياس نفايات بلاستيكية واكياس تبضع، وزجاجات شراب ومواد منظفة، وسدادات قوارير وبراميل مذيبات صناعية، فضلاً عن امتار وامتار من نايلون البيوت الزراعية الممزق وآلاف كريات رغوة البوليستيرين. ولخّص ابني البالغ سبع سنوات الوضع بقوله: "انه مقرف يا ابي!"

وتأثير البلاستيك على اليابسة واسع الانتشار. ويخشى علماء البيئة ان تعطّل كتلة النفايات التركيبية على امتداد ايطاليا عملية التمثيل الكلوروفيلي الحيوية التي تكوّن النباتات خلالها الكربوهيدرات والأوكسيجين انطلاقاً من ثاني اوكسيد الكربون والطاقة الشمسية.

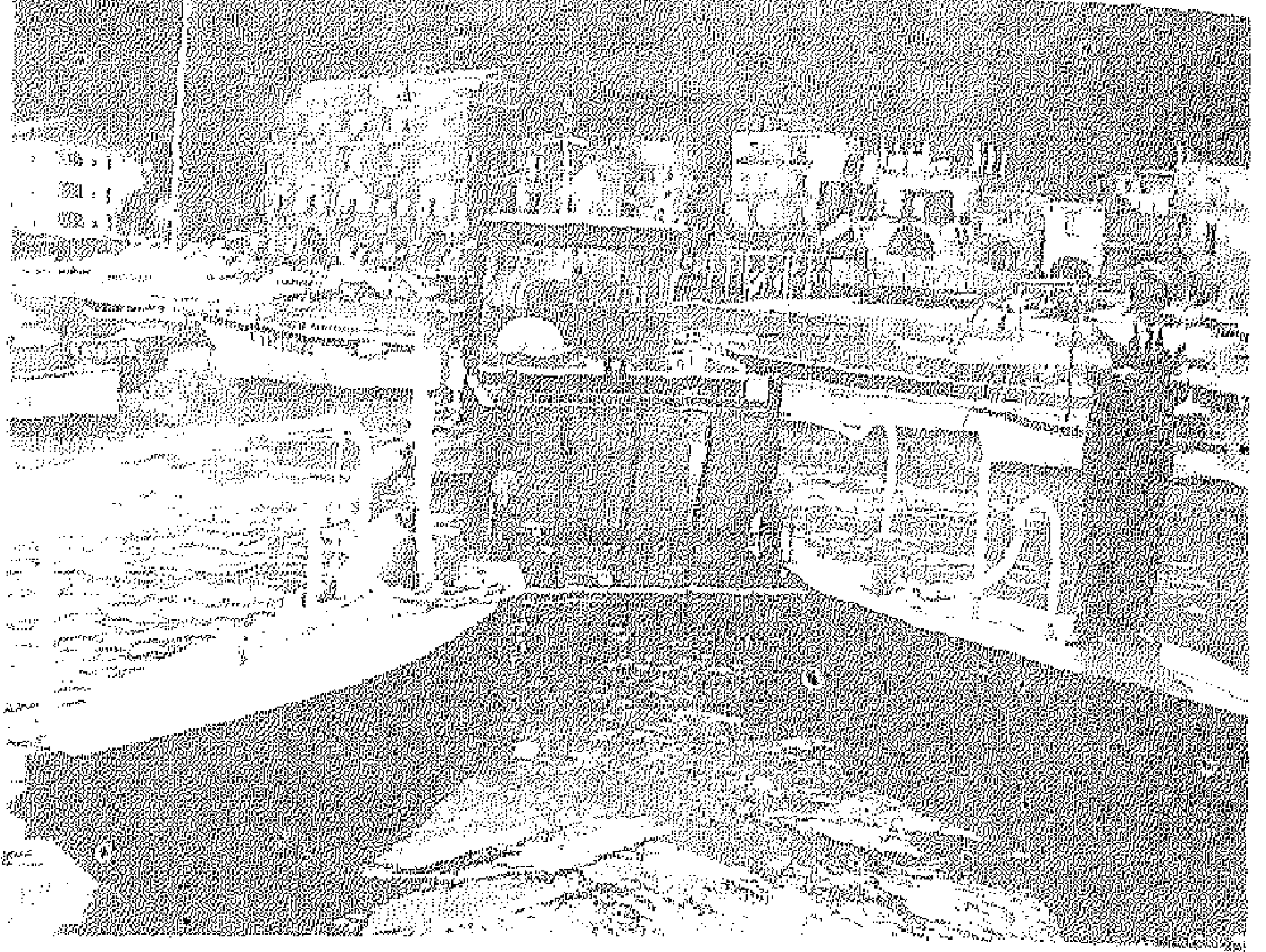
غير ان النفايات البلاستيكية في الماء تطرح ايضا مشكلة اكبر. ففي العام ١٩٨٣ جُرف حوت نافق على شاطىء رملي في سان ريمو. واظهر التشريح ان معدته محشوّة باكياس البلاستيك. وكذلك نفقت اختناقاً باكياس التبضّع اعداد كبيرة من السلاحف والدلافين ابتلعتها ظناً منها انها قناديل بحر او حبابير او اسماك.

اخبرني صديق يملك زورقاً بمحرك انه خلال ابحاره من جنوى حتى جزيرة كورسيكا كان عليه ان يتوقف مرتين لينظف الداسر من هذه الاكياس. وفي السنة الماضية نظمت جمعية "ماريفيفو" للحفاظ على البيئة حملةً دامت سبعة ايام على امتداد الشاطىء الايطالي "لالتقاط الاكياس البلاستيكية من عرض البحر". وكانت الحصيلة بارزة: ٣٠٠٠ كيلوغرام من حبوب الـ "بوليتين". واحياناً كان التيار يقذف كميات من البوليتين الى درجة ان اجزاءً واسعةً من خليج نابولي بدا كمزالج ثلجية.

كرة الثلج - اول من اتّبع مبادرة كادونيفي، في مارس (اذار) ١٩٨٧ هم رؤساء بلديات ١٥ جزيرة ايطالية صغيرة.



نفايات تشوه متنزه تيتشينو.
Giorgio Lotti



"ذي باليكان" مركب خاص مجهز "لصيد" الاكياس البلاستيك، في سورنتو.
S. Sparavigne / Fornass

فنظراً الى اعتماد مواردها على السياحة كان التلوّث البحري بالنسبة اليها مسألة حياة او موت. وتلا ذلك على البر الرئيسي دسكرات مثل كاستلنووفو بيراردينغا قرب مدينة سيينا، ومدن مثل البندقية وجنوى وليفورنو وفلورنسا.

لكي اكتشف وقع القرار على المستهلكين زرت المخزن الكبير "بلّيكانو" في كادونيغي. لقد مضت سنون عدة لم اشاهد خلالها كيساً من قشّ او شبكة من خيطان لاحتواء السلع، وها إني اجدها معروضة هنا بوفرة. غير ان معظم الزبائن استخدموا اكياساً من الورق الاسمر المعاد صنعه من اوراق الجرائد والمجلات المسترجَعة.

قالت لي غرازييلا توسون، وهي ربة بيت: "تسبّب اكياس البلاستيك اذىً كبيراً. واكياس الورق افضل منها بكثير وتتسع لوزن اكبر." اما بربارة ماركاتو الطالبة في دار المعلمين، فأقرّت بانها تجد اكياس التبضع البلاستيكية "اكثر ملائمة للاستعمال، ولكنْ علينا ان نفعل شيئا للبيئة، فلا بأس إن ضحينا بالبلاستيك من اجلها."

عند افتتاح ٩٢ "سوبر ماركت" تابعة لسلسلة "المخازن الكبرى" (GS) في ابريل (نيسان) ١٩٨٧، قدّمت هذه الى زبائنها اكياسا من الورق الاسمر كبديل من البوليتين. وقال لي ناطق باسم احدها في روما: "بعض الناس يستخدمها مع انها تكلف ثلاث مرات اكثر."

اما تجمعات الصناعيين العاملين في قطاع البلاستيك فمنشغلون بمحاربة ارمانو وغيره من رؤساء البلديات الذين يريدون التحرر من البلاستيك، على الصعيد القانوني. فمحاموهم يحتجون بان ليس لهؤلاء الحق في حظر استخدام اكياس التبضع البلاستيكية ما دام ليس هناك فعلا "طارىء صحي يبرر ذلك."

ولقلقهم اسباب. فصناعة اكياس التبضّع وحدها تبلغ مبيعاتها السنوية ٢٥٨ مليون دولار وتنتجها ٢٧٠ شركة تشغّل ١٢٠٠٠ عامل. اما مجموع قطاع الصناعات البلاستيكية المهتمة بالرزم والشحن فيقارب رقم مبيعاته ٤،٥ مليار دولار ويشغل ٦٠٠٠٠ عامل. ونظرا الى

حجم هذه الصناعة والى عدد الوظائف المتوافرة فيها فلا احد يريد ان يحل مشكلة التلوث بمجرد حظر منتجات بلاستيكية يمكن التخلص منها. حتى ولا ارمانو الذي قال لي: "ما رميت اليه فعلاً هو طرح المشكلة ورمي الكرة في الملعب بحثا عن حل." ولقد نجح حقا في ذلك، فمن خلال الجدل القائم بين المنتجين والمستهلكين ودعاة المحافظة على البيئة والعلماء بدأت تظهر الخطوط العريضة لبرنامج تنظيف بيئي على الصعيد الوطني.

من المسؤول؟ - من الواضح ان التلوث البلاستيكي لا يُسأل عنه فريق واحد. فالمستهلكون والمنتجون والحكومة يتحمل كل فريق منهم حصته من المسؤولية، وعليهم جميعا ان يتعاونوا لتنظيف البلاد من فضلات البلاستيك. ولعل المثل العربي "رب ضارة نافعة" ينطبق هنا، لان هذه الفضلات تمثّل منجماً ذهبياً كامناً في قابليتها للحرق وتوليد الطاقة.

ثمة ما يساوي كيلوغراماً من النفط في كل كيلوغرامين من البلاستيك. غير ان مواقد حديثة ومرتفعة الحرارة يجب ان تتوافر لحرق نفايات البلاستيك واستخراج الطاقة منها بامان وجدوى. ويطرح البولينيفيل كلورايد (PVC) خصوصاً مشاكل لانه بامتزاجه بمواد اخرى قد يولِّد الـ "ديوكسين" الشديد السمّيّة.

مدينة برغامو هي الرائدة في حرق النفايات. فقد دشنت في السنة الماضية معملاً كلّف ١٠ ملايين دولار، وهو مبلغ اقترضَتْ المدينة معظمه بفائدة مخفوضة من "مصرف التوظيف الاوروبي" وغطت البقية مساهماتٌ من منطقة لومبارديا ومن الدولة. والمعمل نظيف وصامت الى درجة انه شُيِّد في منطقة غير مأهولة قرب الوسط التجاري، وهو لا يكتفي بتأمين الطاقة الكهربائية لحاجاته الخاصة بل يزود ايضا مطهِّر مياه البواليع طاقةً وشوارعَ المدينة نوراً. كما يُنتج البخارَ الذي سيباع من الصناعات المحلية كمصدر طاقة او تدفئة من خلال الشبكة المحلية.

يقول انطونيو فيرّو، العامل في امانة سر "عصبة البيئة" في روما: "قبل ان نبيّض البلاد بمواقد إحراق القمامات دعْنا نرَ اولا مقدار البلاستيك الذي نستطيع إعادة صنعه." وهذا هو بالفعل ما شرعت في فعله مدينة بارما. ففي يونيو (حزيران) ١٩٨٧ طرحت دائرة جمع النفايات التابعة لدار البلدية مشروعاً متجدِّداً شجعت فيه المواطنين على طرح الاكياس والحاويات البلاستيكية في صناديق واسعة موضوعة في اماكن مُحكَمة من المدينة. والملفت للنظر هنا ان هذه المبادرة رعاها في آن "عصبة البيئة الايطالية" وفرع "مجموعة مونتيديسون" المهتم بالبيئة، اللذان سيتوليان النواحي التقنية لاعادة تأهيل البلاستيك.

ومن المشجع ايضاً ان صناعة المواد البلاستيكية صارت تعترف الآن بوجود المشكلة وترغب في المساعدة على حلها. وفي ذلك يقول انجيلو بونسينيوري، مدير شركة "اونيون بلاست": "سواء اعتمد حرق النفايات البلاستيكية او اعادة

تأهيلها، سنكون سعداء ان نساهم في اي حل معقول. ولكن علينا ان نتّبع في ذلك تعليمات واضحة من الحكومة."

لا احد يحزر متى سيحصل ذلك. فالبرلمان الايطالي اقرّ في ٢٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ قانوناً حول التخلّص من النفايات. والمادة ٦ مكرر منه تنص على انه بدءاً من اول يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ يتعيّن على الصناعيين توفير اكياس تبضع ومواد تغليف وزجاجات بلاستيكية لا تلوّث البيئة او تفسد الصحة. فعلى هذه المواد ان تكون قابلة للتحلّل كيميائياً وان يكون ممكنا إعادة تأهيلها. ويعلق على ذلك القاضي جيانفرانكو اميندولا الخبير الشرعي في التلوث: "هذه المادة من القانون غامضة جدا. فوزارة البيئة عندنا ينبغي لها ان تشترط قواعد محددة للتنفيذ." في انتظار ذلك، اليك بعض الاجراءات التي يمكن اعتمادها:

- ابتع سلة تبضع او شبكة سلكية.
- اختر كيساً اسمر اذا خُيّرت بينه وبين كيس بلاستيكي.
- احمل السلعة الوحيدة المشتراة من دون كيس، اذا امكن ذلك.
- لا ترمِ الاكياس او الزجاجات على الشواطىء او في الارياف.

في ١١ يونيو (حزيران) ١٩٨٧ اصدرت المحكمة الادارية المحلية في البندقية حكما بان ارمانو لا يملك حق منع الحاويات او الاكياس البلاستيكية من التداول. وحذت حذوَها محاكمُ ادارية اخرى طالبةً التراجع عن قرارات المنع.

اتصلتُ هاتفيًّا بمخزن "بلّيكانو" الكبير مستفهماً كيف تجري الامور، فاجابني مديره سيلفانو بيلّيسمو: "علينا ان نؤمّن في استمرار وجود اكياس ورقية، فالناس اعتادت استعمالها."

لئن كان رئيس بلدية كادونيغي خسر معركة، فرجاؤنا ان يربح الحرب.

كريستوفر ماتيوز ■



واحدة بواحدة

ابدى الممثل الهزلي الامريكي جاك بني الملاحظة الآتية حول قبول جائزة: "في الحقيقة انا لا استحقها، لكني اشكو التهاب المفاصل الذي لا استحقه هو الآخر."

ر.ا.

احترام الابناء

اقوم كل صباح بتمرينات "يوغا" وحركات رياضية. وفيما كنت جاثياً ذات يوم وذراعاي ممدودتان ورأسي منحنٍ، نزل ابني الدرج ونظر اليّ وقال: "اظن ان "صباح الخير" تفي بتحية الصباح!"

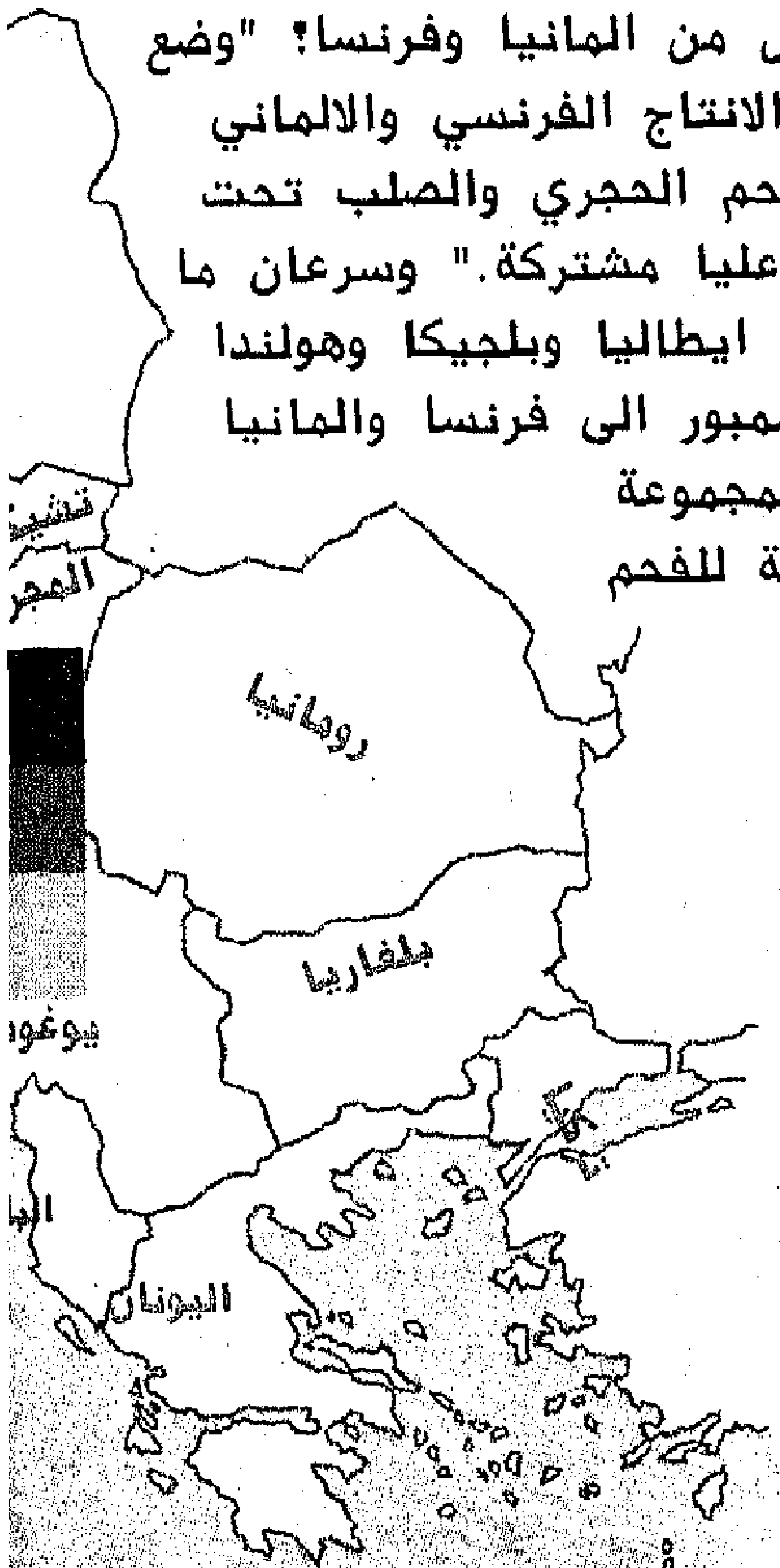
ج.ر.

جان مونيه
رائد الوحدة الأوروبية

تحتفل المجموعة الاوروبية هذه السنة، وهي تخطو نحو سوق واحدة، بالذكرى المئوية لولادة الرجل الذي اوحى توحيد اوروبا ما بعد الحرب

لم ارَ منه الا ظهره عندما لمحته للوهلة الاولى. لقد كان شخصاً ربع القامة، ممتلىء الجسم يرتدي معطفاً قديما بني اللون وقبعة رمادية عريضة الحافة. كان دخل لتوّه، وكان صوته على الهاتف جافاً اجش سريعاً: "جيد جداً، ولا تنس الدجاج للساعة الثامنة." ثم رفع السماعة ثانية وقال: "آتني بأديناور."

كنا في شقة قديمة الطراز في باريس استخدمت كمركز رئيسي للجنة العمل من أجل توحيد دول أوروبا. وكان مؤسسها ورئيسها الرجل الواقف امامي، جان مونيه الاشيب الرفيع المقام، رجل اوروبا ما بعد الحرب. في ذلك الوقت، اي في العام ١٩٥٦، كان مونيه في السابعة والستين وقد اصبح اسطورة. فبعد الحرب العالمية الثانية بخمس سنوات تماما اقنع جان مونيه روبير شومان وزير الخارجية الفرنسي بان يقترح على كل من المانيا وفرنسا؟ "وضع مجمل الانتاج الفرنسي والالماني من الفحم الحجري والصلب تحت سلطة عليا مشتركة." وسرعان ما انضمت ايطاليا وبلجيكا وهولندا واللوكسمبور الى فرنسا والمانيا في "المجموعة الاوروبية للفحم



الحجري والصلب" واصبح مونيه اول رئيس لسلطتها العليا.

كان هذا في نظره، مجرد بداية. فمونيه، كان اقترح على رينه بليفن رئيس وزراء فرنسا آنذاك خطة لانشاء مجموعة اوروبية دفاعية ذات جيش يكون فوق القوميات. كان الامر سابقاً لاوانه، ولكن لم يكن تثبيط عزيمة مونيه بالامر السهل. وبعد وقت قصير جداً كان زعماء اوروبيون يبحثون في اقتراحين من مونيه: "يوراتوم" وهي مجموعة اوروبية للطاقة الذرية من اجل تطوير الاستعمال السلمي للتقنية النووية، ومجموعة اقتصادية اوروبية تعرف اليوم بالسوق المشتركة. ولما بدأت المجموعتان الجديدتان اعمالهما ظلت لجنة العمل التي يرئسها



مونيه على اتصال وثيق باجهزتهما التنفيذية عاملة على تسوية المشاكل السياسية، التي تعترضهما واقتراح المبادرات المفيدة، والمساعدة في تأمين الدعم لهما.

احد آخر انجازات مونيه وهو في السابعة والثمانين من عمره، أي قبل وفاته باربع سنوات، كان اقناع حكومات المجموعة الاقتصادية الاوروبية بتحويل اجتماع قمتها النظامي الى مؤسسة دائمة تعرف "المجلس الاوروبي". واعتبر مونيه، في سرّه، تلك المؤسسة حكومة موقتة. وكان احد الاعمال الاولى للمجلس الاوروبي منح مونيه لقب "مواطن شرف لاوروبا" الموحدة طبعاً.

ولئن سلّمنا بأن مونيه لم يكن يوماً رائد توحيد اوروبا، فإن دوره في الاحداث العالمية كان لا بدّ أن يكسبه مكانا في التاريخ. ففي الحرب العالمية الاولى، وكان لا يزال في العشرينات من عمره، اقنع رئيس وزراء فرنسا بوقف المزايدة بين بريطانيا وفرنسا للحصول على المؤن النادرة، ثم مثل دوراً رئيسياً في جهودهما المشتركة. وبعد الحرب، ساعد على تأسيس عصبة الامم واصبح امينها العام. ثم ترك منصبه لينقذ اعمال اسرة مونيه وينظمها، واصبح في ما بعد مصرفيا عالمياً ومستشاراً لحكومات عدّة. وأثناء ذلك، عقد زواجا هروبياً!

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عُيّن مونيه مرة اخرى منسقا للتموين الانكليزي – الفرنسي. وفي العام ١٩٤٠ ذهب الى واشنطن كموظف مدني بريطاني بجواز سفره الفرنسي الممهور بتوقيع تشرشل نفسه. وهو الذي صاغ شعار روزفلت: "ترسانة الديموقراطيات." وادى دوراً رئيساً في برنامج النصر اللاحق. ويعتقد الاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز ان مونيه ساعد على تقصير مدة الحرب العالمية الثانية سنة كاملة.

اما المستشار الالماني كونراد اديناور فدعاه "الرجل الحقيقي للسلم." ووصفه وزير الخارجية الاميركي دين اتشسون بانه: "احد عظماء الفرنسيين." ومما لا ريب فيه ان الأكثرية تعتبر مونيه وشارل ديغول الشخصيتين الفرنسيتين الاكثر تأثيراً في عصرهما.

مونيه – ديغول. اجتمع ديغول ومونيه في لندن خلال الايام السود من العام ١٩٤٠. وقد استنتج مونيه ان اهتمام ديغول بمستقبل فرنسا ما بعد الحرب لا يقلّ عن اهتمامه بالواجب الملحّ لكسب الحرب، لكن الرجلين ناقشا مطولا ما ينبغي القيام به من أجل كسب الحرب. وقبل قليل من اتخاذ مونيه قراراً بمغادرة لندن الى الولايات المتحدة الامريكية، تسلم مذكرة من الجنرال ديغول كتب فيها: "هدفنا الاساسي واحد، ومعا نستطيع ان نصنع اشياء عظيمة."

في مايو (ايار) ١٩٤٣، اجتمع الاثنان ثانية في الجزائر حيث كان مونيه يعمل مع ديغول في اللجنة التي اصبحت بعدئذ "الحكومة الفرنسية الموقتة". وعاد مونيه الى الولايات المتحدة لتأمين مؤن اضافية لفرنسا. ومن واشنطن اقترح في اغسطس (آب) ١٩٤٥ على ديغول، وكان حينذاك

رئيساً للوزراء، فكرة خطة اقتصادية فرنسية. فوافق الجنرال على الفكرة، وفي ديسمبر (كانون الاول) وقّع مرسوماً بانشاء مفوضية التخطيط، لكن ديغول استقال بعد مرور شهر، ولم يعمل مع مونيه ثانية.

وصرّح فرنسي كان يعمل لدى الاثنين: "مع الجنرال تشعر كأنك اقل الناس ذكاء. ومع مونيه يبدو ذكاؤك في نمو." وهذا ما كان يحصل حقيقة اذ ان مونيه كان يتحدى ذكاء الآخرين. فقد كانت لديه رغبة في النقاش، لا فرق ان كان ذلك مع رئيس دولة أو مع بوّاب، وكان ديغول، الغارق في التاريخ، يشكك في التقدّم، بينما ايّدَ مونيه التغيير، وهو الذي كانت معرفته بالماضي ضئيلة امتلك احساسا عميقاً بالتحولات التي يصوغها الزمن.

احب مونيه فرنسا حباً فاق بعمقه ادراك بعض الناس له، ولكنه رأى ضماناً افضل لمستقبلها داخل اوروبا متحدة على نحو يجعل منها شريكا كفياً للولايات المتحدة الامريكية. ولفترة من الزمن، كان يعتقد جازماً ان اوروبا تستطيع ان تتحد في ظل "سوبرحكومة" اي حكومة تكون فوق القوميات. ولكن ما نشأ في المجموعة الاوروبية الاقتصادية، بدلا من ذلك، كان، حسب مونيه، "حواراً دائماً بين الحكومات القومية وبين المؤسسات المركزية المشتركة أي اللجنة المفوضة والرلمان الاوروبي ومحكمة العدل. وكان الحوار في نظر مونيه جزءاً من عملية تمدين تُقدِم فيها الحكومات القومية على قبول سيادة القانون الاتحادي كما يفعل المواطنون الافراد ازاء القانون المحلي.

انه تحقيق لقوله المأثور: "نحن لا نكوّن ائتلاف دول وانما نوحّد شعوباً."

قارىء صحف. ولد مونيه، وهو من ارومة قروية صلبة، في ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٨ في بلدة كونياك الفرنسية وكان يستيقظ في السابعة صباحاً، فينتعل حذاء متينا، ويرتدي سروالا كثيفا وصدرة صوفية ويلف عنقه بوشاح، وينطلق وحيداً في سير متثاقل. وقد قال موضحاً ذلك: "هذا هو شأني عندما اعمل."

كره مونيه الدروس الاكاديمية ولم يدخل الجامعة يوماً. وعندما سافر، وهو في الثامنة عشرة، الى امريكا الشمالية كبائع مروج لسلع الشركة الخاصة باسرته، نصحه ابوه: "لا تحمل معك اي كتب فلا احد يفكر عنك." وفي باريس كانت غرفة مونيه ملأى كتباً كثير منها عليه اهداءات من مؤلفيها. ولكنه لم يكن قارىء كتب بمقدار ما كان قارىء صحف. كذلك، لم يكن مونيه كاتباً ذا قلم "سيال". فقد قال لي مرة: "انا لا استطيع ان اكتب ولكنني اعرف كيف اصحح." ولا ريب في انه كان مصححاً بارعاً، فقد راجع بياناً سياسياً اوروبيا اساسياً كنت عملت معه عليه مئة واربعين مرة.

كان دائماً يراعي نصيحة والده المحتضر: "انظر من النافذة، تكلم مع الناس، انتبه الى جارك." وكبائع متجول في مدن حدودية وعرة، اكتسب مونيه بشاشة أنغلو - امريكية. وغالباً ما بدا قاسياً وبارداً او متحفظاً بلغته الفرنسية، ولكنه عندما كان يتحوّل الى الانكليزية

ذات اللكنة الامريكية الخفيفة كانت شخصيته تتغير، فيبتسم ابتسامة عريضة ثمَّ يقهقه.

رجل فظ. ظهرت طبيعة مونيه الفظّة من خلال ملاحظاته المتفرقة. فقد طُلب اليه مرة ان يكتب مقدمة لكتاب اعده احد اصدقائه فسأل زميلا له ان يحضر له مسودة، فبدأ الزميل المقدمة بالآتي: "ليس هناك ما يسعدني أكثر..." فقال مونيه: "هذا هراء، فأنا استطيع ان افكر بأربعين شيئاً اخر." وذات يوم في العام ١٩٧٣، بينما كنت اجول ومونيه في المراكز الرئيسية لادارة اللجنة التنفيذية للسوق الاوروبية المشتركة، وهي ابنية من الفولاذ والزجاج والاسمنت، أومأت الى صفوف المكاتب والى الموظفين الهارعين الى اعمالهم قائلا: "أوليس غريباً التفكير في ان كل هذا كان يوما ما قطعة ورق على مكتبك؟" فارتفع حاجبه وقال: "نعم انه لامر غير عادي" ثم ابتسم واضاف: "انه لمدهش". وذات يوم، كنت في مكتبه المزدحم بالناس في باريس، وقد وجدني غارقاً بين الكتب والاوراق والملفات، وهي محتويات خزانة انهارت، وبدا الانزعاج واضحاً على تعابير وجهي فابتسم ابتسامة عريضة وقال: "لا يمكن انجاز اي عمل الا خلال الفوضى."

لم يكن ذلك مزاحاً بالمعنى التام، فالترتيب قد يعني عادة او تقليداً، أما الفكر الطلق فغالباً ما يبدأ بالحيرة معتمداً اساليب متنوعة لحل المعضلة ذاتها. كانت عزيمة مونيه معدية. فهو حين ينطلق في مغامرة ما، فانما يفعل ذلك لأنها تكون في نظره الواجب الأكثر الحاحاً في العالم، وهي قد تستدعي عملا كثيفاً وجدلا واسعاً وبحثا طويلا بصرف النظر عن الوقت الذي تستغرقه. ويلاحظ مراسل صحافي عرفه وهو شاب في عصبة الامم، كيف انه كان يتجاهل ساعات الدوام والروتين الاداري، فتتكدس الملفات غير المقروءة على مكتبه. لقد آثر التكلم مع مخبريه، فكان يقوّمهم ويزن كلماتهم، مقارنا بين الواحد والآخر وممطراً اياهم بالاسئلة.

انه اسلوب رجل مصرفي. فقد عاش مونيه مقتصداً. قال لي مرة: "اذا ما حُكم علي بالاعدام فسأطلب "هذا" كوجبتي الاخيرة." و"هذا" كان طبعاً من السردين المعلب مع الزبدة، والخبز الفرنسي، واللوبياء الخضراء. وعلى رغم ذوقه البسيط، فقد شعر مونيه بالارتياح في عالم السفر في الدرجة الأولى، والسيارات الفخمة التي يقودها سواقون. وللمناسبات الرسمية، كان يرتدي لباسا ازرق قاتما خاطه له خياطه في لندن. وكان سائقه يخدمه عند تناوله طعام الغداء في مكتبه وهو استمتع بتناول لحم البقر المشوي خلال زياراته لندن وبجو خشب الماهاغوني والجلد في الفنادق والمطاعم العالمية القديمة.

والثقة هي اهم ما أوحى به مونيه. فالناس في جميع مناهج الحياة، بمن فيهم رجال الدولة امثال جون ف. كينيدي، كانوا يستشيرونه كما لو كان مصرفيا أو محامياً او صديقاً للعائلة. وهو علّق على ذلك باستغراب مصطنع: "لا اعرف لماذا؟ ولكنني أقول الامر ذاته

دائماً." لقد ادرك الذين لجأوا اليه، انه يؤمن على الاسرار. وانه سيدعمهم يتخذون القرارات وينالون الثناء عليها، وان كل نصيحة كان يقدمها كانت تعتبر مستقيمة وجديرة بالاعتبار.

الفكر والعمل. ذات يوم في لندن كنا نتناول طعام الغداء في فندقه المفضل، وكان تجح آنذاك في جهد شمل رئيسي وزراء بريطانيا وفرنسا. قال: "انت تعرف ان عالمنا معقد كثيراً. ونحن لا نستطيع حل المشاكل بالتصدي المباشر لها. علينا ان نغيّر سياقها ونجد أين يمكن ان يُصنع التغيير الذي يستمر تلقائياً ويبدل اشياء اخرى ايضاً." ثم ضحك واضاف: "الافكار تتوافر بسهولة ولكن الصعوبة تكمن في حمل الناس على العمل بها."

كان نشر مذكرات مونيه آخر عمل سياسي له. وبناء على طلبه ترجمتها الى الانكليزية. وقد سر بالنتيجة وطلب مني ان اوافيه الى داره في مزرعته التي تبعد ستين كيلومتراً عن باريس، تلك الدار المزدانة بلوحات من صنع زوجته. كان حينذاك ضعيفا ولم يعد يقوى على القراءة، ولكنه تكلم كما في الماضي. وقد ادرك كلانا انها كانت كلمات الوداع. واذا وقفت لاغادر المكان اخذ يدي بيديه وادهشني، وهو يقول: "انا اباركك."

وبعد وقت قصير، اي في العشرين من مارس (آذار) ١٩٧٩، التقت اسرة مونيه واصدقاؤه وراء نعشه. وكان هناك مستشار المانيا الاتحادية وكذلك رئيس فرنسا.

وسط هذا الجو تساءلت: ماذا كان سر مونيه؟ أهي حكمته أم طول اناته أم ذكاؤه العظيم أم مهارته المقنعة؟ لئن اخذنا بهذه كلها فيبدو لي ان الحافز الاساسي كان ابسط واكثر غموضاً: قوة ادبية وروحية. بكلمة اخرى، إن طيبة مونيه هي التي جعلته فريداً. وهذا الشهر ينقل رفاته الى مبنى "البانتيون" في باريس ليرقد الى جوار عظماء فرنسا.

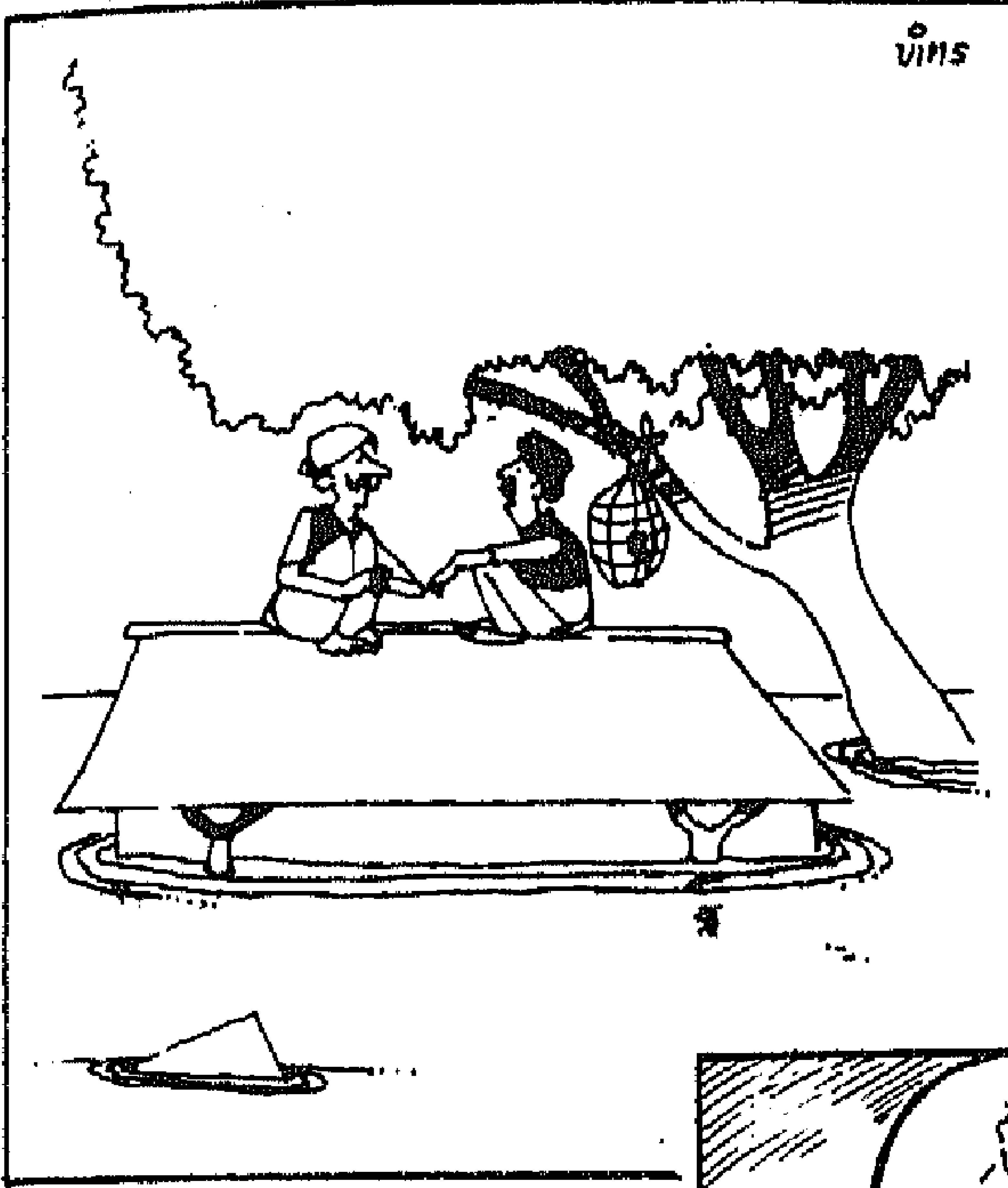
ريتشارد ماين ■



بغل يقاوم الاحتلال!

عندما توغل الالمان داخل فرنسا في العام ١٩١٤ قرر عمي ان يخبِّىء البغل الذي يستخدمه لحرث حقوله، لان قوى الاحتلال كانت تصادر كل دواب حمل الأثقال. ولاعتقاده ان الحرب لن تدوم طويلا احتفظ عمي بالحيوان في احدى غرف منزله وحجب الباب بوضعه خزانة امامه. وكان احد الجيران يجلب تبنا وعلفا للبغل في عربة خفيفة، فيخفيهما تحت اكوام الحطب. واعتاد عمي اخراج البغل من المنزل كل ليلة لينظف اسطبله المرتجل، وفي كل مرة كان يزيح الخزانة الثقيلة من مكانها. ودام هذا الكابوس اربع سنوات. وعندما انتهت الحرب كافأ البريطانيون البغل بمنحه وساماً في احتفال اقيم في ساحة البلدة.

إ.ك.



هل سمعت آخر خبر؟ عندما تنحسر مياه الطوفان، سيُقنّن الامداد المائي بنسبة ٢٥ في المئة!

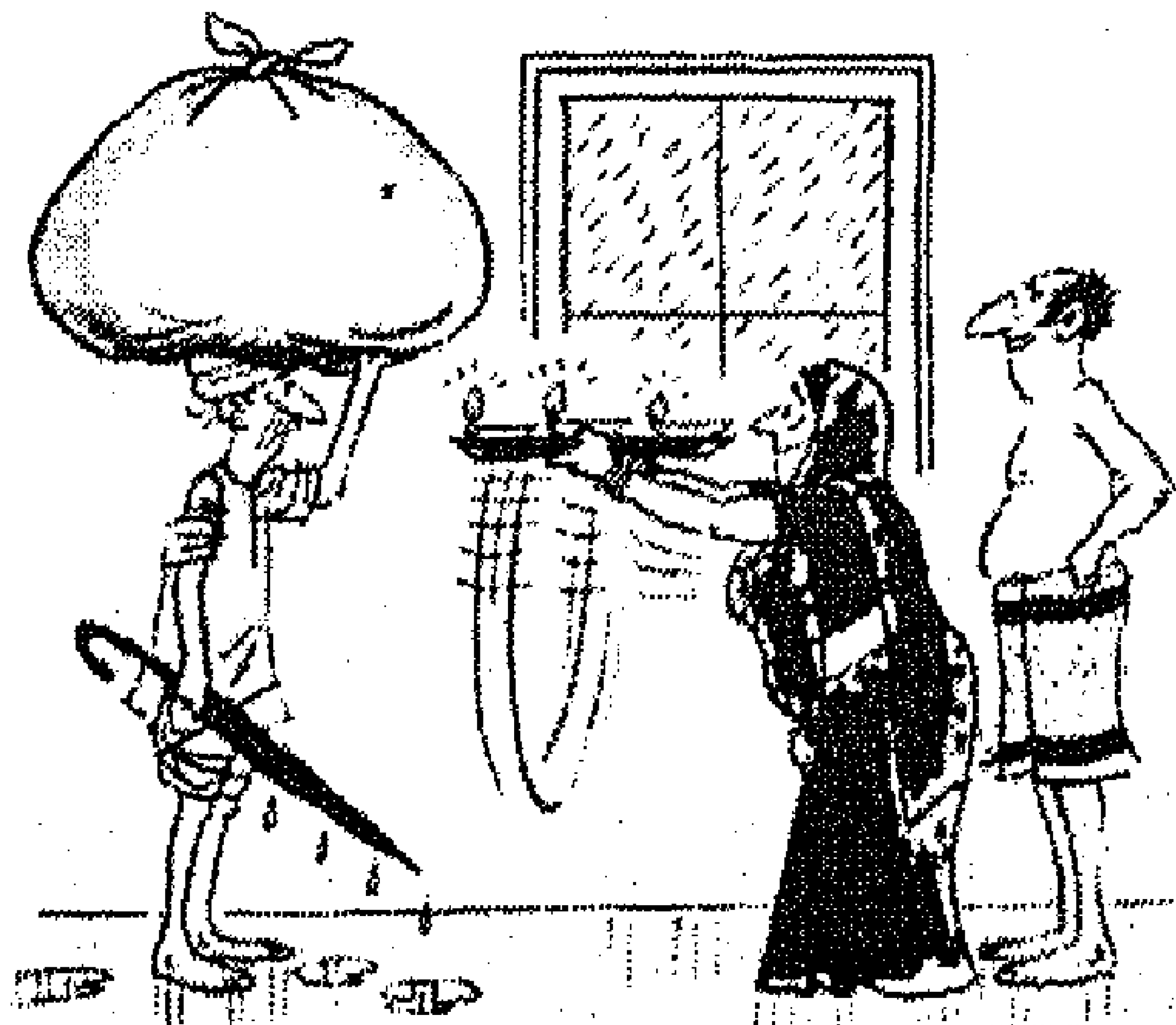
Vins in Science Today



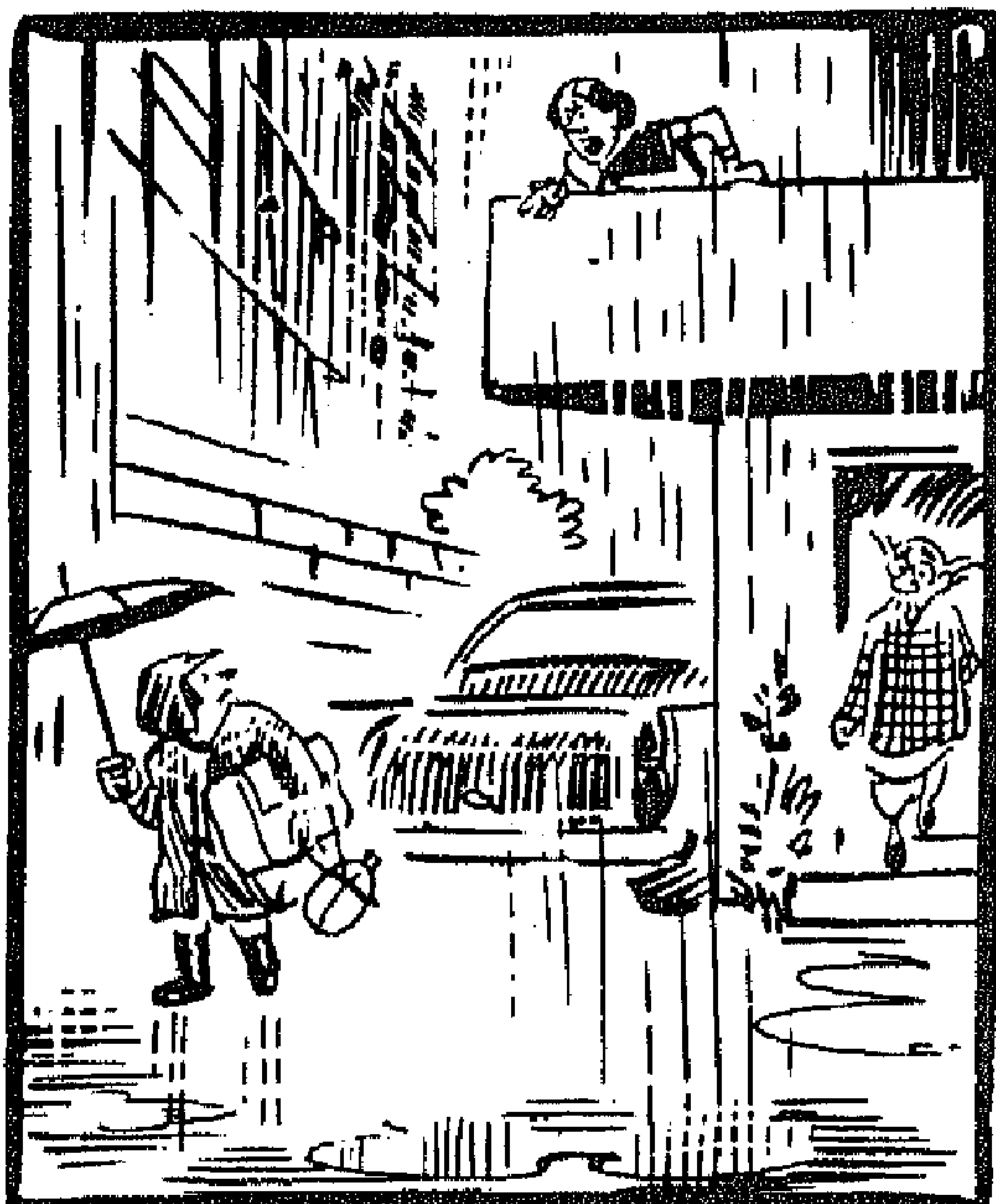
Keith Francis in Free Press Bulletin



Suresh Sawant in Rang



Sudhir Dar in Out Of My Mind Again

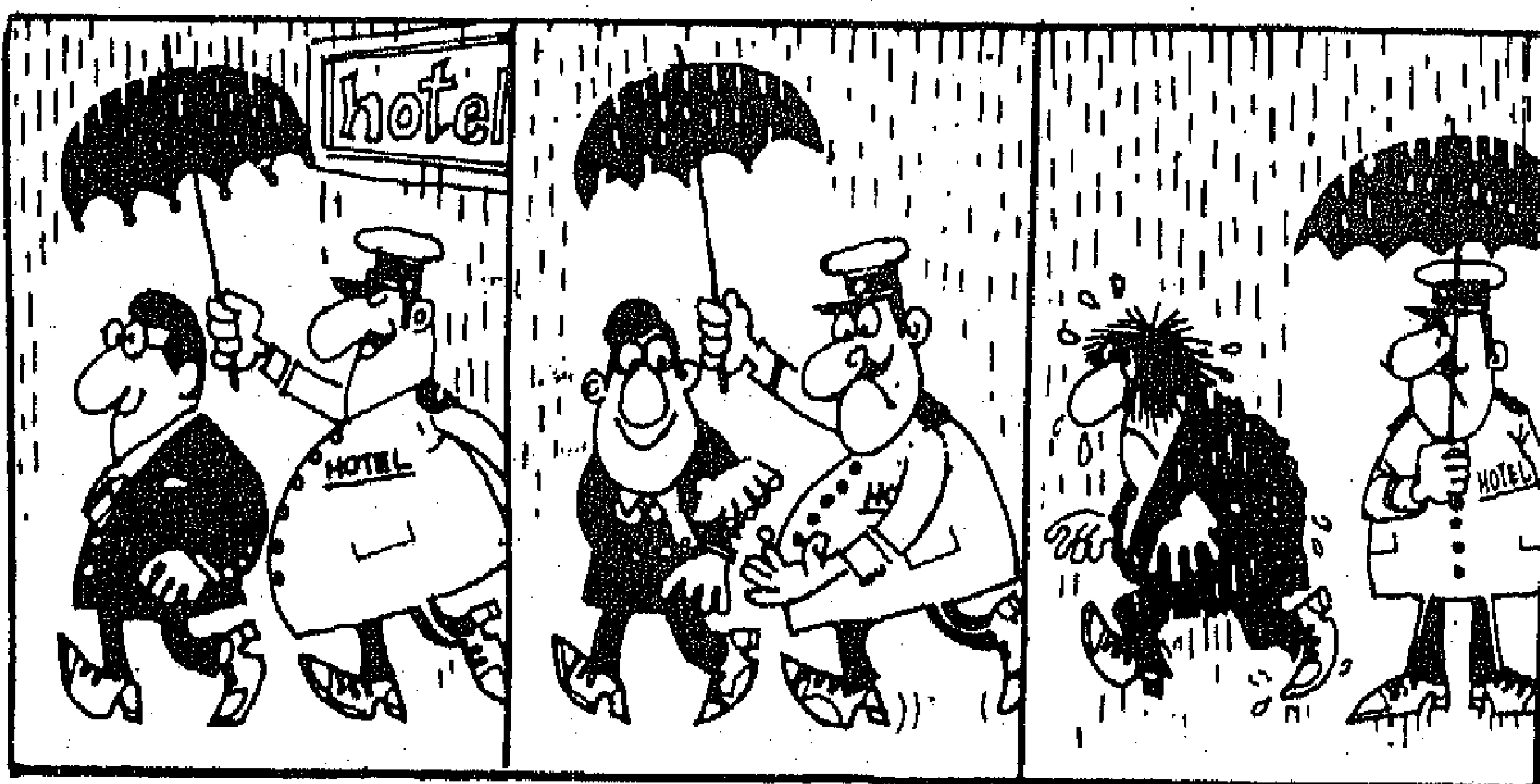


انتبه، لا تمش في الطريق فتسقط في حفرة! ولا تقترب من الاشجار فهي ستقع عليك! ولا تقف قريباً من عمارة فسوف تنهار هذه ايضاً! ولا...

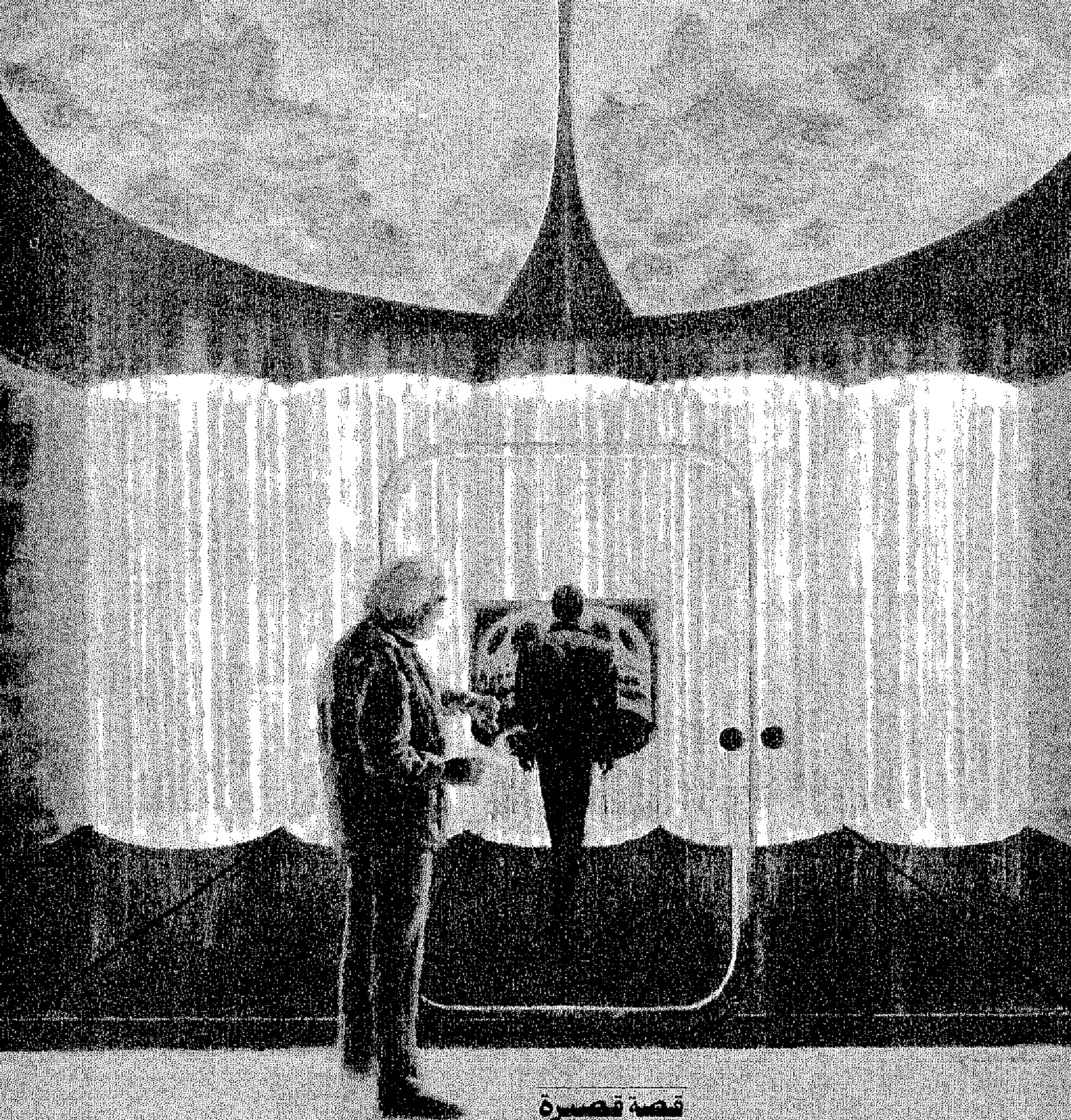
R.K. Laxman in the Times Of India



Alexyz in Sportoons



Mario Miranda in Soma, Oberoi Hotels Publication



قصة قصيرة

الرهان

Condensed from «The Monkey Wrench» which appears in «The Penguin Science Fiction Omnibus,» © 1961, 1963, 1973 by Penguin Books Ltd., used by permission of the author and

أرصاد جوية منحرفة وزائر غير منتظر
ورهان [illegible]

كان كاري هارمون، وهو محام من مجتمع "الأراضي المنخفضة" على كوكب الزهرة، منبسط الاسارير بعد ظهر شتاء رمادي عندما وصل فجأة، الى محطة أرصاد تخصّ يورك ماكنتاير أحد معارفه القدامى وتقع في اعالي جبال لونسوم، وهي سلسلة جبال مسننة على الساحل المهجور للبحر الشمالي. اوقف طائرته الصغيرة ذات المقعدين في مكان آمن، واسترخى في مقعده المريح، مصغياً الى رياح باردة منخفضة الى ما دون الصفر تلطم بوهن السقف المقوّس فوق رأسه، وقد وضع تحت حزامه وجبة طعام هي من أفضل ما يقدّمه مضيفه.

قال: "لو تأخرت عشر دقائق فقط، لواجهت صعوبة قصوى في الهبوط."

فعلّق ماكنتاير بسخرية: "أتقول صعوبة؟ انتم سكان الاراضي المنخفضة معتادون، الى حد بعيد، جنة عدن في مناطقكم. فلو تأخرت عشر دقائق فقط، لتناثرَتَ أشلاء فوق احدى القمم المحيطة بنا، في انتظار جمع عظامك خلال احتفال الربيع." كان ماكنتاير رجلا اشقر، ضخم الجسم، غليظ الملامح، يزدري بلطف البشرية جمعاء باستثناء الطبقة المفضلة لديه من علماء الأرصاد الجوية.

اطلق هارمون ضحكة غير المصدق لما قاله ماكنتاير، وقال: "جئت بدافع عفوي، انها القاعدة الرئيسية في حياتي، عليك أن تعمل دائماً بدافع عفوي، يا ماكنتاير. إنه الشرارة تضاف الى الوجود."

ماكنتاير: "وهو ما يقودك الى موت مبكر. إنك لمفكر سطحي."

هارمون: "وانت مفكّر غليظ. هب انك اقلعت عن اهانتي واخبرتني شيئاً عن نفسك، فما هي حياتك النسكية هذه؟ وما الاعمال التي تقوم بها؟"

ماكنتاير: "انا اعمل، اجلس الى مكتب وأُعد معلومات عن الأحوال الجوية لارسالها الى مرصد في عاصمة الاراضي المنخفضة. هذه المحطات مزودة آلات للمراقبة. والدماغ الالكتروني لدينا له الكلمة الفصل. يتلقى معلومات المراقبة، ويحوّلها شكلا يناسب الآلة الحاسبة لمعالجتها، ومن ثم يتابع العملية حتى يصل الى النتائج النهائية. كل ما عليّ ان افعله هو اعداد صورة كاملة، في ضوء النتائج، ثم أدونها."

الى ذلك، يسيّر الدماغ آلات التدفئة والاضاءة ويضبط صيانة المحطة آلياً. وهو يتولى الاصلاح والتصحيح عندما يتلقى أمراً شفوياً بذلك. وفيه قسم كامل منفصل للنظر في المشاكل النظرية."

هارمون: "اي انه سوبرمان قصديري منزه عن الخطأ."

ماكنتاير: "يمكنك ان تقول ذلك."

هارمون: "لنكن جديين، ليس ثمة من آلة كاملة. فبمجرد أن يتقاطع سلكان معدنيان أو يحترق انبوب ما، ماذا يحل بمحبوبتك؟ تقرقع وتتعطل."

هز ماكنتاير رأسه، وقال: "ليس هناك اي سلك معدني. فالدماغ هذا يعتمد موصلات شعاعية والاصلاحات تتم تلقائياً بواسطة الآلة ذاتها. ولا يؤدي صف المفاتيح الواحد، في النموذج هذا، وظيفة

واحدة معينة. بل ان كل واحد من الصفوف العشرين يستطيع اداء أي وظيفة، بدءاً بتشغيل آلات التدفئة وانتهاء بتشغيل الآلة الحاسبة. واذا بدر ما يفوق طاقة صف واحد على معالجته يشبك هذا الصف ذاته بصف آخر، او باكثر، من الصفوف غير العاملة، حتى يصبح قادراً على التعاطي مع الوضع."

هارمون: "حسناً، ولكن ماذا يحدث اذا ما نشأ أمر يحتاج الى كل الصفوف او أكثر؟ الا يشحنها بما يفوق قدرتها فيحرق نفسه؟"

ماكنتاير: "كف عن هذا الهراء يا كاري فلا فائدة من محاولاتك. فلا احد يستطيع تعطيل دماغي خلال قيامه بواجبه على الشكل الصحيح."

قال هارمون بحدة بطيئة: "اراهنك بخمسة آلاف وحدة نقدية على انه اذا ما تركتني وحدي وآلتك استطعت تعطيلها تماماً في دقيقة واحدة."

ماكنتاير: "انا لا اريد اخذ مالك حتى وان يكن المبلغ يساوي راتبي عن سنة."

هارمون: "إمَّا أن تقبل الرهان أو أن تصمت تماماً."

اخذ ماكنتاير نفساً عميقاً، وقال: "انظر الآن. ليس لديك أدنى تصور للتقنية التي تسيّر الآلة، ولا فكرة لديك عن مدى تأكدي من انك، على الاقل، لا تستطيع ان تفعل شيئاً للتدخل في عملها. لدي ملء الثقة بنفسي، اما ما يدفعني الى عدم قبول الرهان هو كون ذلك عملا لصوصياً."

هارمون: "لا يزال الرهان قائماً."

فزمجر ماكنتاير حانقاً وقال: "حسناً، اذا ما اردت دفع المسألة قُدُما، فافعل ما يحلو لك. لقد قبلت الرهان."

المحاولة. ابتسم هارمون ابتسامة عريضة وتبع عالم الاحوال الجوية الى خارج غرفة الجلوس الرحبة حيث المصابيح تبدد ظلام الجَلَد المشحون بالثلج وراء النوافذ. سارا عبر رواق معدني الجدران الى غرفة حيث الباب وأحد الجدران من زجاج.

هنا وقف ماكنتاير وقال وهو يشير عبر الحائط الشفاف الى الآلة: "اذا ما اردت الاتصال بها، تكلم عبر تلك النافذة المصبّعة الموجودة هناك. ولكن اذا ما كنت تفكر في التخريب، فأنصحك بالاستسلام. ان نظم الانارة والحرارة ليست لها ضوابط يدوية للطوارىء. انها تُسيّر بزئيرة ذرية صغيرة يركن بادارتها الى الآلة فقط."

التفت هارمون بسخرية الى ماكنتاير ورفع ذراعيه قائلا: "انظر! لا شيء في كمي الايمن ولا شيء في الايسر."

فقاطعه ماكنتاير بخشونة: "تقدّم، واتمم عملك بسرعة فانا على عجلة من امري."

فقال هارمون: "في الحال". ودخل الغرفة واقفل الباب وراءه.

راقب ماكنتاير هارمون من خلال الجدار الشفاف وهو يقترب من لوحة المفاتيح الموازية للمجهار المصبّع. فأشعل لفافة تبغ ونظر الى ساعته. ما زالت هناك خمس واربعون ثانية. في اقل من دقيقة سيخرج هارمون مجبراً اخيراً على الاعتراف بالهزيمة - ان لم يبتكر حجة

وهمية ليبرهن ان هزيمته هي في الحقيقة انتصار.

قطب ماكنتاير وجهه. ان الطريقة التي يرفض كاري فيها دائما الاعتراف بتفوق احد سواه هي أقرب الى عقدة مَرَضية. فإذا لم تكن هناك طريقة لارضائه فقد تصبح رفقته قيداً طوال بقائه محجوزاً مع ماكنتاير. وان اجباره على الاقلاع بينما الجو مشحون برياح الاعاصير السريعة والحرارة لا بد وان تكون ستين تحت الصفر، هو عملية اغتيال بكل ما في الكلمة من معنى.

الآلة والمنطق. توقفت فجأة ذبذبات المولد الكهربائي التي كان يشعر بها جزئياً عبر الارض ونعل حذائه والتي كانت مألوفة لديه وكأنها حركة رئتيه. وارتخت القصاصات المرفرفة المثبتة في مصبع المهواة فوق رأس ماكنتاير بعدما سكن الهواء الذي كان يحملها. كما تضاءلت الانوار حتى انطفأت نهائياً باستثناء طيف من النور كان ينبعث من النافذتين الكثيفتين في طرفي الرواق فيضيء الممر والغرفة. وبخطوتين واسعتين عبر ماكنتاير الباب الى جوار لوحة القيادة.

كانت الزئبرة مبلّلة، وجهاز التهوئة متوقفاً، والجهاز الكهربائي ساكناً. وحدها الطاقة في خلايا الاختزان في الآلة ذاتها كانت موجودة، فضوء التشغيل الأحمر كان لا يزال مشتعلاً. وكانت الابواب الخارجية مقفلة وغير قابلة للفتح لانها تتطلب طاقة لفتحها واغلاقها. اما الجهاز البصري والجهاز اللاسلكي، وجهاز تسجيل البرقيات فكانت كلها بلا حياة.

ولكن الآلة ظلت تعمل. الزر الاحمر للإنذار، ضغطه ماكنتاير مرتين وتكلّم عبر المجهر المصبّع: "انتبه، الزئبرة تبللت وفقدت كل الادوات طاقتها. لماذا حصل ذلك؟"

لا جواب.

التفت الى الآلة الحاسبة ولاعب ازرارها باصابعه بمهارة. فلم يكن هناك جواب.

صرخ في هارمون: "ماذا فعلت؟"

فسأله هارمون بدوره: "اتعترف بانني ربحت الرهان؟"

"نعم".

فقال المحامي: "اذاً سأخبرك. آلتك الصغيرة الدقيقة هذه قد تكون ممتازة في علم الرصد الجوي ولكنها ليست كذلك في علم المنطق. انها ترهق دماغها الآن محاولة تفسير تناقض ظاهري."

"تناقض ظاهري؟"

– انه تناقض ظاهري في غاية البراعة: مسألة صغيرة اخذتها في احدى مواد علم المنطق التي درستها. وبينما كنت انت تنتظر تأدباً في الخارج، تقدمت انا من الآلة وقلت لها: "يجب ان ترفضي البيان الذي اصوغه لك الآن لان كل البيانات التي اصوغها هي غير صحيحة. استوعبت البيان ونظرت فيه تمهيداً لنبذه، ولكنها لم تستطع ذلك من دون ان تعترف بانه صحيح، وكيف يمكن ان يكون صحيحا وقد ابلغت اليها سلفاً ان كل البيانات التي اعطيها هي غير صحيحة؟ ان فخر خدمات الارصاد الجوية افسده التناقض الظاهري."

استسلم هارمون لنوبات من الضحك،

وفي كل مرة يعود الى وعيه، كانت نظرة الرعب المطبق على وجه ماكنتاير تحمله على الضحك من جديد.

قال هارمون وهو يرفع ياقة معطفه: "اما وقد عرفت الآن ما هي الحيلة، يا ماكنتاير، فما عليك سوى اعادة محبوبتك المدللة الى واجباتها الصحيحة فالجو بارد الى حد الازعاج، ونور النهار الذي يخترق النوافذ يبعث التعاسة في النفس."

تحرك فم ماكنتاير وسالت من احدى زواياه قطرة صغيرة من لعاب. وقال لاهثاً: "ايها المجنون، كيف يُفترض بي ان انقذ دماغ الآلة من هذه الورطة واجعله يسيّر الزئبرة للحصول على الحرارة والنور عندما تكون دوائره كلها مشغولة بالتبصر في تناقضك الظاهري؟ ماذا استطيع ان افعل والدماغ اصم، ابكم، اعمى؟"

نظر الرجلان، احدهما الى الآخر، عبر الغرفة الهادئة. وكوّن زفيرهما في الهواء، ريشاً صقيعية. أما عزيف العاصفة البعيد الذي كانت تخفته الجدران الثخينة للمحطة، فكان يرتفع في السكون حاملا اشارة نصر همجي.

وكانت الحرارة داخل المحطة تهبط بسرعة.

غوردن ر. ديكسون ■



هواجس بدينة

في لقاء بين اعضاء جمعية مقاومة البدانة خاب ظن احدى المنتسبات لانها لم تفقد، الا القليل من وزنها خلال الاسبوع الاول من التمارين، فاشتكت من أن احدى صديقاتها، وهي عضو ايضا في الجمعية، ادعت أنها فقدت اربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام من وزنها في الاسبوع الاول، واكدت لها أن في وسعها ان تحذو حذوها.

وكان رئيس الجمعية يشدد على فكرة مؤداها أن فقدان الوزن ببطء يُعدُّ ضموراً مستديماً، فسألها: "من هي هذه لتزعم هذا القول؟ هل هي طبيب؟"

– كلا.

"اممرّضة هي؟"

– كلا.

"هل هي اذاً اختصاصية بالتغذية او مسؤولة في جمعية مقاومة البدانة او اي شيء آخر؟"

ففكرت المنتسبة الجديدة برهة ثم اجابت: "اظن انها كاذبة."

س.ب.ك.

أن يعيش شخصان حياة مشتركة مدة ربع قرن من دون خصام جدي، لفكرة تنم عن نقص في الشجاعة يليق بالنعاج فقط!

أ.ب.هـ.

اصداء من عالم الطب

تطعيم الدماغ

يبشر نسيج التطعيم الذي اخذ من الكُظر، وزرع في الدماغ، بامل لضحايا داء باركنسون. وعمليات الزرع الحديثة التي اجريت في المكسيك تمثل اهم انجاز في مكافحة الاضطراب المتقدم للجهاز العصبي.

تحدث الاصابة بداء باركنسون عندما لا ينتج الدماغ مقداراً كافياً من مادة "الدوبامين" التي تنقل "الرسائل" بين خلايا الاعصاب. وبما ان غدة الكظر (ADRENAL GLAND) تنتج ايضاً هذه المادة، فقد صمم الباحثون بقيادة الدكتور ايناسيو مادرازو والدكتور رنيه دروكر كولين من المكسيك على نقل مولدات الدوبامين الى الدماغ. عام ١٩٨٦ طعّم الجراحون بتلك الخلايا قسماً من الدماغ يساعد على تنسيق الحركة وثبتوها برزات صغيرة من فولاذ غير قابلة للصدأ. وكان يغذي الموقع المطعم ويغسله سائل الدماغ والنخاع الشوكي.

وحتى منتصف يونيو (حزيران) ١٩٨٧ كان جرى تطعيم ١٨ مريضاً فظهر على الاثر تحسن ملحوظ في احوالهم وبين هؤلاء رجل عمره ٣٥ سنة يستطيع فعلا، بعد ١٦ شهرا على العملية، الحضور لوحده الى عيادة المستشفى ويلعب كرة القدم مع ابنه الشاب. ومن المقرر اجراء المزيد من العمليات وسيستمر الاطباء في اخضاع المرضى للمراقبة.

ويقترح الدكتور مادرازو ان "لا تقتصر عملية التطعيم على معالجة داء باركنسون،" فربما ادت ايضا الى مداواة اضطرابات اخرى في الدماغ لم تنفع معها المعالجات التقليدية.

عن "نيوزويك"

الاورام "الناطقة"

يستخدم الباحثون في جراحة الاورام السرطانية في جامعة ولاية اوهايو في كولومبوس مِسبرا ينبعث منه صوت عندما يقرّب من مصدر اشعاع.

ويفيد الجراح ادوار و. مارتن جونيور ان المرضى يحقنون "اجساماً مضادة" مصنفة اشعاعياً، فتنطلق هذه باحثة عن مادة تفرزها اورام القولون. وخلال الجراحة يمرّر المسبر الذي يشبه القلم، على محيط القولون، فيبعث صوتاً لدى مروره فوق الاجسام المضادة المشعة التي تكون التصقت بالمادة التي افرزتها خلايا الاورام.

يقول مارتن: "لقد اضفنا بعداً جديداً الى مهمة التفتيش عن الاورام، فاصبحنا قادرين على رؤية الورم ولمسه وسماعه." وفي الدراسات السابقة التي شملت ٦٦ مريضاً كان معدل النجاح في تحديد محيط الاورام، بواسطة المسبر، ٨٠ في المئة. ويلاحظ مارتن انه يكتشف اوراماً بواسطة المسبر في ثلث مرضاه اكثر مما يستطيع من دونه.

وتجرى اختبارات لاستخدام المسبر مع انواع اخرى من السرطان، كما تجرى عليه تجارب في مراكز طبية عدة.

عن "ساينس نيوز"

جازف بحياته لانقاذ ١٩ شخصاً في حادث غريب

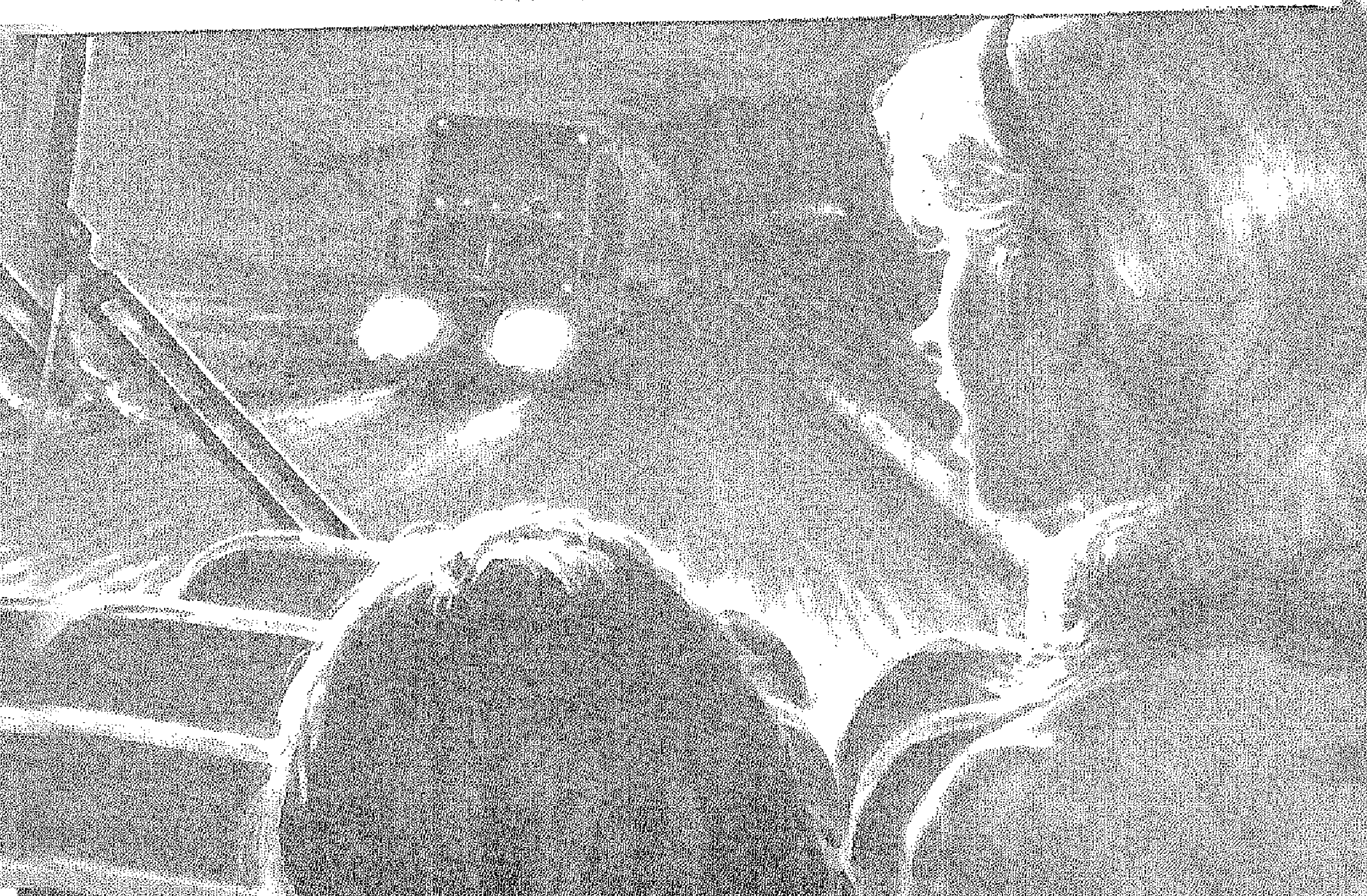
بَطل حَافِلة مَاغرُويَا

على مسافة ٣٠ كيلومتراً تحت "رأس الشمال"، وهو أعلى قمة شمالية في اوروبا، ادرك ستينار اوفرفولد (٢٢ عاماً) انه على شفير الموت. وهذا الشاب هو احد ابناء سكارسفاغ القرية التي تعتمد صيد السمك في جزيرة ماغرويا النروجية. وقد عمل في مؤسسة محلية لتربية السمك، وقاد حافلة لكسب المزيد من المال. وجرت العادة، خلال أشهر الصيف، ان ينقل ستينار السياح في معدية عبر ماغرويا الى رأس الشمال حيث يمارسون التأمل فوق سهل نوردكاب الذي يعلو ٣٠٠ متر عن المحيط المتجمد الشمالي، حيث لا تغيب الشمس.

في ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ خرج ستينار في مهمة خاصة. كان ينقل ١٨ تلميذا تراوح اعمارهم بين السن الثالثة عشرة والسادسة عشرة، من بلدته وقرية جيزفار الى حانة تعزف فيها موسيقى في هونيغزفراغ وهو ميناء على شاطىء ماغرويا الجنوبي - الشرقي.

امتد الشفق بينما اتجه الشاب

Illustration: Earl H. Norem





الهادىء، الكستنائي الشعر، بحافلة تزن ١٤ طناً الى السهل الواسع.

على قمة الهضبة ازدادت الطريق انحداراً فضغط ستينار الكوابح ليحافظ على سرعة ٣٥ كيلومتراً في الساعة، لكنه دهش حين شعر بقدمه تلامس أرض الحافلة. لم يلاحظ اي تحذير سابق بتعطل الكوابح: لا ضوء أحمر وامض على لوحة القيادة، ولا مشاكل سابقة. كرر ضغط دواسة الكوابح محاولاً زيادة الضغط، ولكن من دون جدوى. سحب الكابح اليدوي فلم يستجب لانه معطل. ومع ازدياد اندفاع الحافلة حاول ستينار المذعور تغيير السرعة بالانتقال من السادسة الى الرابعة لكنه عجز عن الوصول الى الثالثة التي يحتاج اليها لاجتياز المنعطفات الحادة التالية.

فكر ملياً في وضع الطريق الممتدة امامه: الى اليمين يمتد جانب الهضبة في زاوية ٤٥ درجة منتهياً في واد صخري عمقه ٣٠٠ متر. والى اليسار تتخلل بعض الثغرات الجسر المنحدر الذي يؤدي الى فسحتين منبسطتين مستنقيتين قد تسمحان بتوقف سليم. وراء ذلك تنحدر الطريق بشدة فتقطعها نحو اليمين سلسلة صخرية تشكل زاوية داخلية حادة، وعلى بعد مئة متر تترجح الطريق خطرة نحو الشمال في زاوية خارجية تليها سلسلة من التعرجات الملتوية.

لا استسلام. بصوت هادىء يخفي ذعره، أعلن ستينار لركّابه: "ثمة خطب ينتظر الحافلة. انحنوا وضعوا رؤوسكم بين ركبكم وتمسكوا بأماكنكم." ثم فكّر: حسناً، هذه فرصتنا الأولى. ولكن عندما أوشك ان يدير الحافلة نحو المستنقع الواقع الى يساره، اعترضته شاحنة كبيرة تتقدم متثاقلة على الهضبة.

انحرف جانباً متحاشياً اصطداماً مباشراً، ولمح ستينار المستنقع التالي والاخير. ولكن طريقه تعرقلت مجدداً بسيارة تتحرك في الاتجاه المعاكس هذه المرة. وهنا ازدادت الطريق انحداراً واسرعت الحافلة اكثر فاكثر، ولم تعد هناك طريقة آمنة للتوقف. الا ان ستينار رفض الاستسلام لليأس، فانحرف بجانب الحافلة الايمن الى سياج الحماية في الطريق واحدث عليه ضغطاً محاولاً تخفيف سرعة الحافلة، مع ادراكه ان شدة الضغط قد تحطم السياج وتلقي بالركاب جميعاً في الهاوية. تطايرت شرارات من جانب الحافلة فيما نجحت المناورة البارعة في تخفيف زخمها، لكن سرعتها ما زالت كبيرة لا تسمح بتخطي الزاوية الخارجية الخطيرة.

لا يهم، مهما حدث الآن، فستينار على يقين ان الفرص مفقودة. وفكر يائساً: ..ولكن لمَ يموتون؟ من واجبي حماية ركابي مقدار الامكان. اتخذ قراره في برهة واجتاز الممر الضيق المعاكس.

كانت الحافلة منطلقة بسرعة تزيد على ٦٠ كيلومتراً في الساعة. وبعد اجتيازها ٦٠٠ متر في نصف دقيقة، منذ تعطل الكوابح، اصطدمت الشاحنة بالجانب الصخري الصلب للطريق محدثة صوتاً هادراً كالرعد. تجعد مقدم الحافلة كورقة وتراجع مقعد ستينار الى الوراء حتى الصف الثالث من مقاعد الركاب.

فكر الرجل: لا اصدق اني لا ازال على قيد الحياة. فقد خدرت رجلاه إذ علقت قدماه في حطام من حديد. استدار ونظر الى الوراء فتراءى له ان الجميع احياء.

عملية الانقاذ. لحسن الحظ ان السيارة الاولى التي مرت بالحافلة المسحوقة كانت مجهزة بهاتف متنقل، فاتصل السائق سريعاً بالشرطة في هونيغزفاغ. وفي دقائق وصل الى الموقع رئيس مخفر الشرطة اينار اوف دانيلسن وطبيب المقاطعة اول فيك وسيارات اسعاف ووحدة انقاذ.

يتذكر الدكتور فيك بعض ما جرى آنذاك: "كان منظر الحافلة مروعاً. فقد سحق مقدمها بكامله، مثل علبة معدنية، وانسابت المياه اليها من جدول فوق الصخور. وسط تلك الفوضى جلس ستينار باهت اللون لكنه واع وهادىء."

فحص الدكتور فيك الركاب المصابين بسرعة: هنا سن مكسور وهناك عنق متقرح وهنالك حنك محطم وركبة مجروحة. واحتاج تسعة منهم الى عناية فنقلوا في سيارة الاسعاف الى مستوصف هونيغزفاغ، وعانى ثلاثة جروحاً بالغة فنقلوا جواً الى مستشفى هامرفست، وهو أقرب مركز طوارىء.

ثم حوّل الطبيب اهتمامه الى ستينار. ولحسن الحظ ان الشاب لم يصب بأذى في جمجمته على رغم تمزق إحدى رئتيه. وقد اصيبت رجلاه وقدماه بكسور عدة وعلقت رجله اليسرى بين الحطام الى علو ١٥ سنتيمترا تحت ركبته. كان نبض ستينار سريعاً وضعيفاً. وسال دمه بسرعة وبات في خطر من الاصابة بسكتة دماغية، لذا حقنه الطبيب مادة مورفين وأمر بمحاليل ضموريدية. وبما ان الجدول كان يبلله بمياه مثلجة، فقد غطى المعالجون ستينار ببطانيات خوفاً من هبوط حرارة جسده.

حاول المنقذون سحب ستينار من بين الحطام، ولكن لم تتوافر آلات نشر هيدروليكية، وتعذر عليهم استعمال مشعل القطع بسبب تسرب الوقود من الحافلة. لذا قطع الرجال الكتلة الحديد المتشابكة شظايا صغيرة بالمطارق والمخل ومنشار المعادن الكهربائي.

في هذه الاثناء اهتم الدكتور فيك بستينار، متأثراً بمريضه الذي حافظ على هدوئه من دون تذمر أو خوف. وفكر: لو كان مرتعباً أو عصبياً لما استطعنا انقاذ حياته.

الخيار الصعب. بعد عمل مضن، ولكن غير مجدٍ، استمر ساعة ونصف ساعة وحاول فيه المنقذون سحب السائق المحتجز، طلب دانيالسن جرافتين من مرأب قريب. ووُصِلَت احداها بمؤخر الحافلة بواسطة سلسلة من حديد، وجرتها بحذر شديد بعيداً من الجدار الصخري. ثم علّقت الجرافة الاخرى بمقدم الحافلة. شدت الجرافتان في اتجاهين معاكسين ومطتا الحديد المتجد، املاً في تحرير رجل ستينار اليسرى الا ان هذه لم تفلت. وادرك الدكتور فيك ان الوقت ينفد سريعاً، فإن لم تنجح إحدى المحاولات حالاً قد يموت ستينار من النزف أو هبوط الحرارة أو السكتة الدماغية.

اخبر الدكتور فيك ستينار: "انها مسألة حياتك أو رجلك. اريد اذناً منك لبترها."

اجاب ستينار بعزم: "إن انت مضطر الى ذلك فافعل. ولكن ارجوك ان تقطع اقل ما يمكن منها."

مرت ثوان. ورأى الطبيب انه في غياب المناشير الجراحية مضطر الى استعمال سكين دانيالسن الجديدة. فبعد حقن رجل ستينار اليسرى مزيداً من المورفين، ثبت الطبيب مرقأة وهو ضاغط لوقف النزف من وعاء دموي، وراح يقطع العظام والانسجة المسحوقة على علو عشرة سنتيمترات من الرسغ. لم يسكّن المورفين الالم الذي ما ذاق ستينار مثله من قبل. على رغم ذلك العذاب بقي الرجل محافظاً على هدوئه.

بعد سحبه، نقل ستينار في سيارة إسعاف الى طوافة كانت تنتظر على الهضبة القريبة. راقب الدكتور فيك مريضه الصبور خلال رحلة الى مستشفى هامرفست استغرقت نصف ساعة، وأيقن ان معركة ستينار من اجل الشفاء قد بدأت.

في تلك الليلة الأولى أغلق الاطباء جدعة رجل ستينار اليسرى. وحين استيقظ وجد والديه بجانب سريره. لم يتمكن من الكلام بسبب الانابيب التي ادخلت حلقه فكتب الى والده: "هل اصابة احد من الركاب بالغة؟" وبعد التأكد من سلامة الجميع شعر ستينار بالارتياح: اني متأكد الآن من قدرتي على جبه اي امر يصيبني.

انه في حاجة الى تلك الثقة لأن رجله اليمنى التي سحقت بشدة وفقدت اجزاء من العظم، باتت ملتهبة وقد يضطر الى بترها. وفي محاولة جاهدة لانقاذها، نقل ستينار الى مستشفى هوكلاند في برغن حيث يعمل افضل الجراحين التجبيريين النروجيين.

رجل العام ١٩٨٤. خلال جراحة استغرقت عشر ساعات ونصف ساعة، نزع الاطباء عظمة من ورك ستينار وطعم بها جراحياً الاجزاء المفقودة في عظم قصبته اليمنى. وبواسطة الجراحة المجهرية نقلت اجزاء من العضل والجلد والاوعية الدموية من وركه الى رجله. وإذ لم تشفَ هذه الاجزاء اجريت لستينار جراحة أخرى فطعّم جلد الرجل اليمنى جراحياً بجلد من الفخذ. ثم وضعت الرجل المصابة في مشبك معدني وثبت كل جزء من العظم في مكانه بواسطة ستة دبابيس فولاذية.

زوّد ستينار قدماً يسرى اصطناعية وباشر علاجاً فيزيائياً. وفي منتصف ديسمبر (كانون الاول)، أي بعد ثلاثة أشهر على الحادث، وقف ستينار على قدمه الاصطناعية للمرة الاولى مستنداً الى ممرضتين وقد علت وجهه ابتسامة عريضة.

أصبح ستينار بطلًا وطنياً لدوره في انقاذ حياة ١٩ شخصاً. ونشرت قصته في كل صحف البلاد وانهمرت الرسائل على "بطل الحافلة" وهو لا يزال في المستشفى. واطلقت عليه مجلة محلية لقب "رجل العام ١٩٨٤."

ودعت شبكة التلفزيون النروجية الوطنية ستينار ليكون ضيف برنامج تلفزيوني شهير. وكانت المفاجأة دعوة

الربان كاسبر سكجرف الذي يعمل مع الخطوط الجوية الكاريبية الملكية والذي قدم الى ستينار تذاكر سفر جواً عبر الاطلسي ورحلة الاسبوع بحراً لأربعة أشخاص. كانت التذاكر تقديراً لشجاعته وتفاؤله. وكان في وسعه الافادة منها متى شاء ومع اي كان. وعلّق ستينار على هذه الهدية: "ساسافر حين اتمكن من الوقوف على قدميّ."

المسافر الرابع. عاد ستينار الى مستشفى هامرفست من اجل مزيد من العلاج. في الليلة الاولى التقى توف نيلسن (١٧ عاماً) وهي مريضة تجبيرية صدمتها سيارة في يوليو (تموز) لدى ترجلها من حافلة المدرسة، فتحطمت ذراعها ورجلها اليمنى. وهي أمضت، مثل ستينار، أشهراً عدة في المستشفى.

قرأت توف عن ستينار وشاهدته في التلفزيون. وشدد موقفه المتفائل، على رغم جروحه البالغة، عزمها على جبه اصاباتها. وحين التقيا، وكلاهما على كرسي مدولب، وقعا في حب النظرة الاولى. وكان ستينار قرر تقديم تذكرتي سفر الى والديه، وقد خطرت له الآن فكرة جيدة تتعلق بالمسافر الرابع.

لدى عودة ستينار الى منزله في سكارزفاع خلال عطلة الميلاد، اقام التلاميذ الذين انقذهم حفلة على شرفه. كانت أمسية احتفالية رائعة قدمت فيها هدايا والقيت خطب، امتنانا وتقديرا لشجاعته. وقالت اتيتا كريستنسن وهي في الرابعة عشرة: "لو لم يصدم ستينار الحافلة بالجبل لقضينا جميعاً."

في اوائل يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ عاد ستينار وتوف التي امضت عطلة الميلاد مع عائلتها في كيستراند جنوب ماغرويا، الى مستشفى هامرفست لمتابعة العلاج. ومع تفتح حبهما بذل ستينار جهداً كبيراً على طريق الشفاء، واذهل الاطباء بقوة عزيمته. وفي منتصف فبراير (شباط) عاد الى منزله ولكن على عكازين. سار ببطء مستنداً الى قدمه الاصطناعية اليسرى والمشبك المعدني في قدمه اليمنى.

كسر عنيد. في ابريل (نيسان)، بعد مغادرة توف المستشفى، تمت خطبتها الى ستينار، وكانا كلاهما على عكازين. ولوحظ ان ستينار لا يزال قلقاً. فقد أزال الاطباء الدبابيس من رجله اليمنى ووضعوها في قالب تجبيري امتد الى ركبته، لكن العظام ابت ان تلتئم.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ بعد اسبوع من إزالة القالب، كان ستينار يتمشى بالقرب من منزله حين غاص أحد عكازيه في الوحل. وإذ حاول سحبه متمايلاً الى الامام على قدمه اليمنى، شعر بتمزق في قصبته التي كسرت ثانية. فعاد الى برغن حيث اعيد تجبير العظم وثبتت قدمه ثانية بدبابيس فولاذية. رجع الى منزله في فترة نقاهة، وبعد ثلاثة أشهر ونصف شهر نزع المشبك ووضعت قدمه مجدداً في قالب تجبيري. اخيراً في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦ فك القالب وتحسنت حال القدم.

رمى ستينار عكازيه وباث يمشي من دون مساعدة أو ألم أو جهد. وهتف

مبتهجاً: "الآن، حان وقت الحديث عن تلك الرحلة."

في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ سافر ستينار مع والديه وتوف الى ميامي حيث ركبوا متن سفينة سياحية الى مكسيكو وغراند كايمان وجامايكا وهاييتي. كانت تلك المغامرة رائعة لذاك الشاب الذي أمضى حياته في المناطق المنعزلة الباردة في الدائرة الشمالية. وقال: "ما من كلمات في اللغة النروجية تصف روعة تلك الرحلة."

والآن، بعد العودة الى الوطن، يخطط ستينار وتوف للزواج بعد ان تنهي الفتاة دراستها. في هذه الاثناء يعمل ستينار في شركة شحن. بالقرب من بلدة توف ويقود حافلات الركاب والشاحنات الترادفية. وفيما تقصر احدى رجليه اربعة سنتيمترات عن رفيقتها، بسبب نقص في العظام، يسير ستينار بعرج ضئيل لكنه لا يعتبر نفسه معاقاً. ويقول: "احمد الله على نجاتي."

ويعلق الدكتور فيك على شجاعة ستينار اوفرفولد المميزة: "لو انقلبت تلك الحافلة فوق الصخور لفقدنا الى الابد جيلا كاملاً من شبان القريتين. ولكانت المأساة كبيرة والخسارة ضخمة، لا تعوّض، بالنسبة الى رأس الشمال."

بير اولا واميلي دولير ■



علامة فارقة!

فُقد كلبنا الصيني فاعلنا ذلك في الاذاعة والصحف. وبعد عدة ايام اتصلت امرأة هاتفياً واخبرت زوجتي: "اعتقد اني وجدت كلبكم، ولكني اجهل كيف يكون الكلب الصيني."

فاشارت عليها زوجتي ان تسدد سبابتها الى الحيوان وتقول "بانغ".

بعد عدة دقائق اتصلت المرأة من جديد وقالت "إن الكلب وقف على قائمتيه الخلفيتين."

وهكذا وجدنا كلبنا المدلل.

ب.م.

العجلة قبل الحصان؟!

حدت زيادة الوزن زوجي على الالتحاق بناد رياضي حتى يزيل الشحم عن وسطه. وبعدما ثابر على التمرين نحو نصف ساعة اقبل المدير نحوه وعلّق بالقول: "تبدو منهمكاً فقط بتمارين الساقين، مع ان ما تحتاج الى تمرينه يتعداهما صعوداً."

فرد زوجي: "اني احاول ان اقوّي هاتين الساقين حتى تستطيعان حمل هذا الجسد."

إ.ك.

دائرة المعارف

قصائد الغزل من أرقّ ما قاله شعراء العرب، وأشهرهم اثنان: جميل بن معمر في الغزل البدوي وعمر بن أبي ربيعة في الغزل الحضري. وهنا مفردات انتقيناها من شعرهما. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. صَبابة: شباب – شوق وهوى – غزل – جمال أخّاذ.
٢. شَمْل: شعر مضفور – خيمة – ما اجتمع – حُسْن.
٣. سُرى: سير الليل – سعادة – مال كثير – عَلَم.
٤. شحناء: بكاء – هم ثقيل – صراخ – عداوة وبغضاء.
٥. بَنان: أبناء – أطراف الاصابع – ثمر لذيذ – قلب.
٦. نأي: أنين – تذمر وشكوى – بُعد – من آلات الطرب.
٧. شقوة: شدة وعسر – تهوُّر – صدع – شق في الثوب.
٨. أسيل: ليِّن أملس – منصبٌ – أسير – كريم الاصل.
٩. كاعب: طفلة – عجوز شمطاء – طويلة – امرأة ارتفع صدرها.
١٠. تولَّه: خاف – تأوَّه – تحيَّر من شدة الوجد – نادى.
١١. افترَّ: بَرَد بعد سخونة – ضحك – وشى – وثب.
١٢. عريق: ثري – كثير العيال – معروف – ذو أصل.
١٣. صَرْم: هجر وقطيعة – حفيف الاسنان – نحول – عناد.
١٤. شائق: مشتاق – صعب – وعر المسلك – مشوِّق.
١٥. رَبْرَب: سحاب – بقر الوحش – حسناء – آلة طرب.
١٦. سادِر: نائم – لا يبالي – ولهان – كثير النسيان.
١٧. خِلّ: حلية لرسغ القدم – شامة – صديق ودود – خطأ.
١٨. سُلوّ: سقم – هِجران – موت بطيء – نسيان وتسلٍّ.
١٩. أردان: أطراف الاكمام – أثواب – رماح – جفون.
٢٠. ترنو: تتحنن – تنتظر – تديم النظر – تميل بدلال.
٢١. ضَنين: حبيب – عطوف – بخيل – كاتم للسر.
٢٢. سُمَّر: جَوار – متحادثون ليلا – حُسّاد – سُمْر الوجوه.
٢٣. عِيْس: ظباء – فرسان شجعان – سيوف – إبل كريمة.
٢٤. شَجْو: حزن – غناء جميل – شكوى – عتاب.
٢٥. خَدِين: مخدع – صاحب – عذراء – هودج.

الأجوبة الصحيحة

١. الصَبابة: الشوق ورقة الهوى والولع الشديد. الصُبابة: بقية الشراب في الاناء.
٢. الشَمْل: ما اجتمع من الامر. يقال "فرّق الله شملهم" أي ما اجتمع من أمرهم. والشَمْل أيضاً ما تفرق من الامر. يقال "جمع الله شملهم" أي ما تشتت من أمرهم. وهي من الأضداد.
٣. السُرى: سير الليل.
٤. الشحناء: العداوة التي تملأ النفس. أشحن الصبي: استعد للبكاء.
٥. البَنان: أطراف الاصابع، واحدتها بَنانة. البُنانة: الروضة النضيرة.
٦. النأي: البعد.
٧. الشقْوة: الشدة والعسر، نقيض السعادة. المِشقى: المشط.
٨. خد أسيل: لطيف ليّن أملس. الأسَلَة: رأس اللسان. الأسَل: الرماح وكل حديد رهيف من سيف وسكين. يقال "جَمَع بين البراع والأسل" أي بين القلم والرمح.
٩. الكاعب: المرأة التي ارتفع صدرها. جمعها كواعب.
١٠. وَلَهَ وتولّهَ: تحيّر من شدة الوجد حتى كاد يذهب عقله.
١١. افترّ: ضحك ضحكاً حسناً.
١٢. العريق: الذي له أصل في الكرم وغيره.
١٣. الصَرْم: الهجر والقطيعة. الأصرَمان: الليل والنهار لأن كل واحد منهما ينقطع عن صاحبه.
١٤. الشائق: الذي يَحمل على الشوق، المشوّق. الشيّق: المشتاق.
١٥. الرَبْرَب: القطيع من بقر الوحش. الرّباب: السحاب الابيض.
١٦. السادر: الذي لا يبالي بما يصنع. أيضاً: المتحيّر.
١٧. الخِلّ والخُلّ: الصديق الودود.
١٨. السُلُوّ: النسيان والتسلي عن الهمّ. انسلى الهمّ: انكشف.
١٩. الأردان: الاطراف الواسعة للأكمام، وكانت العرب تضع فيها الدراهم والدنانير.
٢٠. ترنو: تديم النظر بسكون الطَرْف.
٢١. الضَنين: البخيل. الضنائن: الاشياء التي يُضَنّ بها لنفاستها.
٢٢. السُمَّر: الساهرون والمتحادثون ليلا. السَمَر: حديث الليل.
٢٣. العِيْس: الابل الكريمة. العَيْساء: أنثى الجراد.
٢٤. الشَجْو: الهم، الحزن، البكاء. الشجيّ: الحزين والمشغول البال.
٢٥. الخَدين: الصاحب الذي يخادنك فيكون منك في كل أمر ظاهر وباطن. ومنه خِدْن الجارية أي محدّثها. وكان العرب في جاهليتهم لا يمنعون أن يكون للجارية خدين، فلما جاء الاسلام منع ذلك وفيه الآية "ولا متّخذي أخدان."

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

فوق الريح

بضع حكايات تعصى على التصديق...

مارس (آذار) ١٩٤٤، كان شهرا محفوفاً بالأخطار لطيار داخل قاذفة بريطانية تحلق فوق المانيا. فقد عمدت الدفاعات الالمانية خلال الاشهر المنصرمة، الى اسقاط أكثر من ألف قاذفة بريطانية. لكن طائرة الرقيب نك آلكمايد تابعت تحليقها المطرد في السماء المضاءة بنور القمر، وألقت قنابلها، ثم استدارت لتعود الى قاعدتها. في تلك الاثناء كانت طائرة المانية مقاتلة ترميها بقذائف فتصيبها، وقد فجرت احداها الغطاء الشفاف الذي يكسو برج المدفع الخلفي في الطائرة. لبث ألكمايد محدقاً الى الفضاء. واذ سمع امر الربان بالقفز من الطائرة، مد يده الى حيث

Condensed from «Dangling From The Golden Gate Bridge And Other Narrow Escapes.»

Illustration: John Leon Heuns

مظلة الهبوط فرآها وقد شبت فيها النار. واذ اشتدت الحرارة حوله أدرك انه يوشك ان يموت، فأسر في نفسه: من الأفضل ان اموت من جراء سقطة غير موجعة على ان اقضي احتراقاً. وللحال قذف بنفسه من الطائرة.

ما اعقب ذلك في دقيقة ونصف، لم يكن مرعباً، بل شعور بالسكينة: "فيما كنت اقع من علو نحو ٥٥٠٠ متر فوق المانيا انتابني هدوء عجيب. اندفع الهواء البارد على وجهي المتبثر. رأيت نجوماً بين قدمي. تفكرت: اذ كان هذا هو الموت، فلا مخافة منه. ثم غبت عن الوعي.

عاد الي وعيي رويداً. "كنت بارداً على نحو قارس. جاهدت لانهض. ثم خطر لي بصدمة غامرة: انا حي!

كان آلكمايد في صحة جيدة بعد سقوطه من ارتفاع ما يزيد على خمسة كيلومترات. جرح بالغ في فروة الرأس والتواء في الركبة وجرح في الفخذ اثر شظية. وهذا مبلغ اصابته فقط. وفيما هو مستلق على ظهره على الثلج، شاهد السبب المذهل لبقائه حياً. انه في الأعلى. كان نور القمر متغلغلا عبر اغصان الشجر مما ابطأ سقوطه وألقى به على الهشير الكثيف، فلطّف ذلك وقوعه قبل توقفه النهائي على الثلج.

لقد جمعت عبر السنين، قصصاً وحكايا عجيبة كهذه، عن اشخاص بقوا احياء بعدما كادوا يلاقون الموت جواً. ولكن الرقيب آلكمايد لم تنته ويلاته لدى سقوطه على الارض. فقد أسره الالمان. واذ صرح للمحقق انه وثب من نحو ٥٥٠٠ متر من دون مظلة هبوط، اطلق الالماني العنان لوابل من السباب غير مصدق ما حدث. ختاماً، اقنع آلكمايد محتجزيه بأنه يقول الحقيقة وحظي بعدها بمعالجة طارت شهرتها في المعسكر.

المضيفة اليوغوسلافية

ان سقطة آلكمايد، بصرف النظر عن غرابتها، ليست فريدة في نوعها. فقد سقطت فسنا فولوفيك احدى مضيفات شركة الطيران اليوغوسلافية من ارتفاع ١٠ آلاف متر داخل جزء من ذيل طائرة كانت فيها بعد انفجار الطائرة فوق تشيكوسلوفاكيا في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢. وقد عثر عليها المنقذون، مغطاة جزئياً بالحطام. وكانت مصابة بكسور في العمود الفقري والساقين والذراعين، واستمرت في غيبوبة لثلاثة أيام. كما تعرضت لفقدان الذاكرة مدة اسابيع، غير انها شفيت تماماً وعاودت عملها في مكتب الشركة.

وكان بقاؤها على قيد الحياة ملفتاً بالنظر الى السرعة التي تبلغها الاجسام الساقطة. ان القفاز المسترسل في سقوطه يبلغ، بعد نحو ١٢ ثانية، حداً تصبح فيه مقاومة الهواء مساوية لقوة الجاذبية، فلا تزداد سرعة سقوطه. ويكون القفّاز قد بلغ اذذاك سرعة ١٩٣ كيلومتراً في الساعة في ضغط جوي عادي، وفي وضع مستقر منبسط، أو ٣٠٠ كيلومتر في الساعة اذا ما سقط ورأسه نحو الأسفل.

ان السقوط في الجو بسرعة ١٩٣ كيلومتراً في الساعة يمنح القافز بالمظلة شعوراً بالغبطة اذ يدرك أنه سيفتح

مظلته ويبقى حياً. وقد جاء في وصف هاري آرمسترونغ أحد الرواد الاول للسقوط المسترسل، في سقوطه من ارتفاع ٣٧٠ متراً وبسرعة حسبها في ما بعد فبلغت ١٩٢ كيلومتراً في الساعة: "لم يكن ثمة احساس بالفراغ أو الخواء في بطني، مما استشعره غالباً في المصاعد والطائرات. عيناي غير المحميتين من عصف الريح، لم توجعاني. تنفسي منتظم ولا يعوقه شيء. مقاومة الهواء، اي القوة التي تقصر السرعة الجوية للجسم الساقط الى ١٩٢ كيلومتراً في الساعة، شكلت ضغطاً معتدلا موزعاً بصورة متعادلة على انحاء جسمي."

في الارتفاعات الشاهقة، يتيح الهواء المتخلخل سرعات فائقة. وقد بلغ جوزف كينينغز، احد افراد سلاح الجو الامريكي، سرعة قصوى بلغت ٩٨٨ كيلومتراً في الساعة، اثر وثوبه من منطاد على علو ٣١،٣٠٠ متر. وكان يختبر مظلة هبوط متعددة المراحل تتيح للانسان ان يقفز من الطائرة في ارتفاعات شاهقة، ليهبط في نزول ثابت الى ٣٠٠٠ متر حيث يتوافر في الجو مقدار كاف من الاوكسيجين للحفاظ على الحياة، قبل ان يفتح مظلة الهبوط الاساسية. وقد تباطأ كينينغز كثيراً لدى سقوطه عبر الهواء المتكاثف، وفتحت مظلته على ارتفاع ٥٣٠٠ متر. وقد تواصل سقوطه المسترسل مسافة ٢٦ كيلومتراً، خلال اربع دقائق و٣٧ ثانية.

كيف امكن نك آلكمايد وفسنا فولوفيك ان يبقيا حيين بعد سقوطهما؟

يعزى ذلك في معظمه الى الحظ، حظ السقوط على شيء لين، كالثلج. لكن العامل المهم من دون ريب، هو لدونة الجسم البشري وقابليته للارتداد الى وضعه السابق. إن مقعد الطيار الصلب على نحو استثنائي يمكن ان يقاوم التحطم حتى ٤٥ "ج" ("ج" هي وحدة تسارع الجاذبية). غير ان العلماء في كلية الطب بجامعة كورنيل يقدرون ان رجلا ساقطاً من مدخنة طويلة يبقى حياً حتى درجة ١٦٢ "ج" عندما يرتطم جسمه بالارض.

هذا الرجل هوى عن سقالة بارتفاع ٤٥ متراً وسقط على دبش غير ملزوز، مشكلا وهدة عمقها ٣٠ سنتيمتراً على منحدر يبلغ انحداره ٣٠ درجة. ثم ارتد راجعاً او تدحرج على جدار ماسك من الاسمنت. اخيراً هبط ثلاثة امتار اضافية الى مستوى ادنى، حيث عثر عليه بعض الشهود المرتاعين. وقد اصيب بكسر في رسغي قدميه وفكه. واشتكى من آلام في صدره ليوم أو نحوه.

أكب علماء جامعة كورنيل على دراسة هذا الحادث لمعرفة طاقة البشر على احتمال قوى التحطم. وخرجوا باستنتاج مفاده ان الرجل قد تحمل قوة كافية لتدمير طائرة. ودلالة على ذلك ان ضحايا تحطم الطائرات، اذا لم يسحقهم الدبش، واذا ما نجوا من آثار الحريق، فمن الممكن بقاؤهم أحياء.

وقد نجا آخرون نجاة غير مضمونة لدى سقوطهم من ارتفاعات مماثلة. وعلى سبيل المثال، فإن مراهقاً ارتقى جبال "سانت غبرييل" في كاليفورنيا في يونيو (حزيران) ١٩٨٥، وقد افلتت

قبضته فتردى الى الارض مسافة ٤٦ متراً وحط في بركة ماء عمقها ١٢٠ سنتيمتراً، مصاباً بجرح في ركبته وبعض الكدمات.

وتقع بعض الاصطدامات المثيرة لأشخاص لا يبلغون الارض. ففي ١١ فبراير (شباط) ١٩٨٦، وفيما الطالب الربان دين بلاث والمدرب اد واشبورن يقتربان بالطائرة ليلا من مطار اونتاريو الدولي في جنوب كاليفورنيا، اصطدما بخطوط كهرباء قوتها ٢٢٠ الف فولط. فانقذفت طائرتهما رأساً على عقب، منزلقة مسافة تزيد على مئة متر على طول الأسلاك، ثم تدلى جسمها الى اعلى من مروحتها ومسننة الهبوط فيها بارتفاع ٢٦ متراً عن الارض. وقد قطع التيار الكهربائي عن خطوط التوتر الفولطي العالي تلقائياً عند الارتطام. حاول الطالب الربان ان يخرج من الطائرة ظناً منه انها جاثمة على الارض، لكن المدرب صاح به: "نحن بين الاسلاك، عد الى مكانك."

وجاء المنقذون فاستعملوا رافعة لاسناد الطائرة، وارتقى الاطفائيون سلماً يدار بضغط الماء للوصول الى الرجلين اللذين احضرا سالمين الى الارض، فيما عيون الملايين كاليفورنيا ترقب عملية الانقاذ على التلفاز.

ومن بين حوادث الطائرات الصغيرة النادرة الوقوع، تلك التي يسقط فيها شخص من طائرة على طائرة أخرى. وقد حدث ذلك للربان السينمائي البهلوان فرانك كلارك. فقد نقل شخص يدعى آل ولسون جواً وهو معلق من ركبتيه بمزلقة جناح احدى الطائرات، فيما طار كلارك من الخلف ليلتقطه في حركة بهلوانية. ولكن قبل ان يبدل كلارك وضعه، افلتت قبضة ولسون من مكانها. فانقض كلارك بجماع قوته تحت جسد ولسون الساقط، وبعد تقلب نحو ١٥ متراً، مضى ولسون منطلقاً بأقصى سرعة يتقدمه رأسه، الى جناح طائرة كلارك وثبت هناك على علو ١٥٠٠ متر عن سطح الأرض، وما كان من كلارك بعدها الا ان عاد الى الارض بحذر شديد، فيما ولسون على الجناح.

وثمة قصة اخرى حدثت لوالاس د. سميث من لويسفيل. كان الرجل يقود طائرة على ارتفاع منخفض عام ١٩٤٢ عندما لمح فتاة ظن انه يعرفها. فلوح لها بيده وسرّ إذ رآها تلوح له بدورها. وفي حاله الذاهلة هذه، ارتطمت طائرته برأس شجرة فبشريط كهربائي، وختاماً برأس شجرة أخرى حيث توقفت. ترجل سميث من الطائرة، وهرع الى الفتاة ليطمئنها الى أنه لم يصب بأذى. فلما رآها ثاب الى رشده، اذ انه ما كان يعرفها اطلاقاً.

جون انطوني ادامز ■

كنت مع والدي في طريقنا الى محل تجاري عندما سألتنا والدتي لو نعيد بعض الالبسة ونستعيد ثمنها. فوافقنا على مضض.

وفي جناح الالبسة سألتنا البائعة عن مبرر هذه الإعادة، فهز والدي كتفيه بلامبالاة وقال: "لاني متزوج، هذا هو السبب."

ل.ج.أ.


كتاب الشهر
الحشاش الكبير
بقلم كارول سالين

الحشاش الكبير

تربع لاري لافين على ذروة النجاح. ولم لا؟ فالدكتور "سنو" (نسبة الى الكوكايين الابيض كالثلج) كما اصبح اسمه لاحقاً، كان طبيب اسنان لامعاً ومليونيراً ولما يتجاوز السنوات العشرين من عمره. وكان تخرج اولا في إحدى ثانويات النخبة ومن ثم في إحدى أرقى كليات طب الانسان واعلاها شأناً. لكن المصدر الحقيقي لثرائه فكان الكوكايين. ولم تكن المخاطر المحيطة بتجارة المخدرات لتخيفه او تثنيه عن عزمه فهو اثبت "منذ صغره" ان في وسعه ان يتخلص من عواقب اعماله والا يقع في شرها ابداً.

ودفعه غروره الى ان يتباهى بنفسه امام إثنين من رجال مكتب التحقيقات الاتحادي الاميركي، احدهما من ريف فيرمونت والثاني من جبال تنسي الشرقية.

وآلى الرجلان على انفسهما ان يسوقا تاجر المخدرات خريج المدارس الراقية ذاك، الى العدالة.

وفي ما يأتي رواية لصراع الإرادات الذي نشب بينهم لأثبات من هو الأقوى.

لافين... لافين... لافين. اسم ظل يقفز امام عيني رجل المباحث تشك ريد وهو جالس في مكتب التحقيقات في فيلادلفيا يمحص السجلات العائدة الى قضية إفلاس احتيالي. وكان ريد عضو في فرقة مكافحة الجرائم التي يرتكبها اصحاب المهن الحرة وذوو الرواتب العليا الذين تقتضيهم وظائفهم الظهور امام الناس مظهراً انيقاً.

هنا، في الدفاتر امامه: ٣٣ الف دولار مدفوعة ثمن سيارة BMW فضية اللون للدكتور لاري لافين؛ ٣٥ الف دولار راتبه من "مؤسسة مارتن لوثر كينغ للرياضة"، حوالات اخرى محررة لامره من "شركة إمباكت للإنتاج" التي تتولى إدارة اعمال الرياضيين المحترفين ولاسيما الملاكمين منهم؛ الوف الدولارات مدفوعة للشخص نفسه من شركة اسطوانات مفلسة متخصصة بتسجيل الاغاني الزنجية الايقاعية وتدعى "يوموت - تيك." تساءل ريد: من يكون لاري لافين هذا؟

وكانت القضية احيلت على ادارة مكتب التحقيقات الاتحادي في يوليو (تموز) ١٩٨٢، اثر دعوى اقامها مغن زنجي يؤدي شعراً منثوراً بمرافقة موسيقية ايقاعية، على صاحب شركة "يوموت - تيك" متهماً إياه بثعب جعالته من ثمن الاسطوانات المبيعة. وكان هذا يدعى مارك ستيوارت، في الثامنة والثلاثين يعمل سمسار عقارات ومقاولا ومتعهداً يجري صفقات مالية وهمية، واحياناً كثيرة غير مشروعة.

وذات مرة، احتاج ستيوارت الى مبلغ نقدي بسبب عمليات نصب واحتيال قام بها، ولم يكن امامه من سبيل للخلاص من هذا المأزق سوى سند التأمين المعقود على مجموعة المباني التي تؤلف "مؤسسة كينغ للرياضة والترفيه" التي يملكها. وفي عتمة مساء ٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨١ تسلل الى المبنى المهجور شخص مجهول فدخله بواسطة مفتاح كان في حوزته، وهناك صنع حبلا طويلا من خرقة قماش ثم اضرم فيه النار بعود ثقاب بعدما شبعه بالفازولين.

وصدف في تلك الاثناء مرور سيارة إطفاء بالقرب من المكان، كانت عائدة من مهمة، فشاهد من فيها السنة اللهب في المبنى فاسرعوا الى اخمادها. وتبين لاحقاً ان بين البقايا المسفوعة ادلة كافية لتوجيه تهمة افتعال الحريق الى ستيوارت ولإقامة الدعوى عليه.

ونتيجة الجهود المتضافرة التي بذلها "مكتب التحقيقات الاتحادي" و"دائرة جباية الضرائب" و"دائرة الكحول والتبغ والاسلحة النارية" - باعتبار ان لهذه سلطة النظر في دعوى الحريق المفتعل والفصل فيها - صدر امر بمصادرة جميع السجلات والدفاتر العائدة الى ستيوارت والتي توزعت بين ٤٠ شركة. وبأناة وصبر جلس المحققون يوماً بعد يوم حول طاولة خشبية مستطيلة وراحوا يمحصون الاوراق المختلطة المكومة امامهم. وبدأت تتضح لهم تدريجاً معالم الطريق، وقادتهم من شركة يوموت الى حساب في احد المصارف ظهرت فيه سلسلة من الحوالات المحررة

للاري لافين. واكتشفوا ان هناك شركة تدعى "لارمارك" (نسبة الى لاري ومارك) سمحت للافين وستيوارت بان يملكا معاً عدة شركات اخرى.

لم يكن العميل الخاص تشك ريد، الشاب الطويل القامة العريض المنكبين ابن الحادية والثلاثين، غريباً عن الاعمال المكتبية. وهو تدرب على اعمال المحاسبة واصبح محاسباً قانونياً، وكان يحلو له التبجح انه بفضل الطريقة التي يحللون بها البيانات، فإن المحاسبين هم افضل عملاء للمباحث. وكان ريد يجد متعة في مراجعة البيانات المالية، على ان السجلات لم تكن بالنسبة اليه اكثر من اداة. فهو كان مفتوناً بالبشر، يخترق بعينيه المحجوبتين بنظارتين عقل المشتبه به وينفذ الى صميمه محاولا ان يجيب عن السؤالين الآتيين: لماذا يتصرف هذا الانسان على هذا النحو؟ وماذا افعل لو كنت مكانه؟

المقابلة الاولى التي اجراها ريد كانت مع زوجة ستيوارت السابقة. وهي اقترحت عليه ان يتحرى امور ثلاثة من خريجي الجامعات الراقية وهم: لاري لافين، طبيب اسنان في السابعة والعشرين، وشريكه كن ويدلر، وديفيد اكرمان الذي درس مثل زميليه في كلية بنسلفانيا لطب الاسنان في فيلادلفيا لكنه تركها قبل التخرج. وعدا ان الثلاثة درسوا في الجامعة نفسها، فقد كان بينهم امر آخر مشترك، هو انهم كانوا جميعهم يتقاضون رواتب مرتفعة من مؤسسة كينغ للرياضة في مقابل اعمال من الواضح انهم لم يؤدوها.

كان اقتراح المرأة مفيداً ولكن ليس بأهمية كلمة ترددت اثناء المقابلة وهي: "كوكايين".

هل من الممكن ان يكون ستيوارت يخضع المال الذي يجنيه تجار المخدرات لعملية "غسل" كي يجعله يبدو "نظيفاً" اي مشروعاً؟ ولمعت في فكره صورة السيارة الفخمة الباهظة الثمن والمنزل القرميدي الابيض الانيق ذي الطبقتين اللذين يملكهما طبيب الانسان لاري لافين، وعزم على زيارته.

في وقت متأخر من بعد ظهر أحد ايام شهر فبراير (شباط)، اوقف ريد سيارته في الجهة المقابلة لعيادة لافين وراح يراقبه من النافذة وهو يعمل، انتظر حتى خرج آخر زبون، فتوجه نحو العيادة ودخلها من دون ان يقرع الباب فوجد لافين واقفاً خلف مكتبه.

كان الطبيب يرتدي قميص رياضة ابيض وسروالا من قماش البوبلين الاصفر وينتعل حذاء من جلد طري خفيف، ولم يكن يرتدي جوارب. كان طويل القامة، هزيلها، ذا كتفين متهدلتين بعض الشيء وكتلة من شعر كثيف خشن جامح غطى جزءا من جبهته. القى انفه المستقيم البارز ظلا على عينيه الخضراوين المفعمتين بالحيوية على رغم صفرهما.

بصوت منخفض ولهجة اهل فيرمونت الانفية "المعدنية" المميزة، خاطب رجل المباحث الطبيب وهو يريه شارته الذهبية التي تحمل صورته: "اسمي تشك ريد

واعمل مع مكتب التحقيقات الاتحادي ونحن الآن نحقق في قضية الحريق المفتعل في مؤسسة كينغ الرياضية وفهمت انه في امكانك ان تساعدنا."

أفاد لافين انه ولد في ١٤ مارس (آذار) ١٩٥٥ في هيفريل مساشوستس وانه يقطن حالياً في ديفون إحدى ضواحي فيلادلفيا، وان اسم زوجته مارشيا وانه تخرج في كلية طب الاسنان عام ١٩٨١.

وعن علاقته بمارك ستيوارت اجاب انه التقى الرجل قبل عامين ونصف عام وانهما اسسا معاً شركة "لارمارك." وعن المبلغ الذي وظفه في الشركة قال انه لم يدفع شيئاً بل قدم الى شركة الاسطوانات اعمالا ترويجية ودعائية.

كانت إجابات لافين مقتضبة وكأنه، بابتسامته المتكلفة، كان يقول: "انك تضيع وقتك ولن تثبت شيئاً."

ونفى ان تكون له علاقة بالحريق الذي شب في مؤسسة كينغ واضاف ان مارك اخبره انه هو ايضاً لم تكن له علاقة بالحريق.

بعد فترة صمت قصيرة سأله ريد فجأة: "هل بعت يوماً مخدرات؟"

- كلا.

"...وسيارة الـ BMW المتوقفة امام العيادة، كيف حصلت عليها؟"

هنا تحولت البرودة في صوت لافين جليداً فاجاب: "رهنت منزلي واشتريتها بقيمة الرهن. اعتقد ان اسئلتك طالت اكثر مما ينبغي ولن اجيب عن اي سؤال آخر إلا في حضور محامي."

في الخارج، شعر ريد بنار تنهش معدته. لم يكن ذلك بسبب كذب لافين، فالكثير من الناس يكذبون على المباحث، لكن الرجل تصرف وكأنه فوق القانون. انذاك، وفي ذينك المكان والزمان، قرر ريد انه مهما كلفه الامر من وقت فإنه لا بد سائق لاري لافين الى القضاء.



"رولز المخدرات"

كان والدا لاري لافين محسوبين من نخبة القوم في هيفريل بلدة الطاحون الهادئة في ضواحي بوسطن. وعلى رغم الصعوبات المالية التي ما فتئت تعترضهما، فهما حرصا دائماً على الظهور مظهر الاستقرار والرخاء شأن جميع جيرانهما. وكان لاري الاصغر بين اولاد اربعة في تلك العائلة الايرلندية الاصل. وهو نشأ فتى فقيراً في ضاحية للاثرياء.

كان لاري حتى الثانية عشرة من عمره طفلا مثالياً وتلميذاً متفوقاً لكنه بدأ، في سنواته المدرسية الاخيرة اي من الصف السابع والثامن وحتى التاسع احياناً، يتعاطى المخدرات. وكان يتسلل من المنزل ليلا وينضم الى زمرة صاخبة. وذات مساء قبض عليه وزميل له بتهمة سرقة سيارة ثلجية عائدة الى احد التجار كانت معروضة ضمن قطعة ارض مسيجة. ولعدم وجود سوابق في سجله الناصع، فقد خلي من دون كفالة او جزاء مما حمله على الاعتقاد ان السرقة سهلة. لكن الغلطة التي اقترفها هو انه اتاح للشرطة القبض عليه وهذا ما لن يسمح بتكراره مستقبلا.

في السنة الثانية من المرحلة الثانوية، تقدم بطلب انتساب الى مدرسة "فيليبس إكزيتر" المقصورة على اولاد العائلات الثرية واصبح في العام ١٩٧١ طالباً داخلياً يتمتع بمنحة دراسية. ومع ان المدرسة حافظت على مستوى اكاديمي صارم، إلا ان تعاطي المخدرات فيها لم يكن اقل شيوعاً من حفلات "البيتزا."

وما لبث لاري وزميله في الغرفة ان اشتهرا بين رفاقهما باعمالهما الجريئة. وبعدما طرد زميله، وهو في سنته الأخيرة، لم يتوقف لاري عن اقامة حفلات "الانشراح" في غرفته واستمر في توجيه الدعوات الى زملائه الطلاب. وهو حول حجرة الثياب في غرفته مختلى للتدخين وكان اصحابه يتجمعون فيها كل ليلة ويدخنون. ومنعاً لتسرب الدخان ورائحته، عمد هؤلاء الى سد شقوق الابواب بالمناشف. واكتشف احد المدرسين مختلى التدخين ذاك اثناء جولة تفتيشية روتينية على غرف النوم. ووجد في الغرفة ايضاً نارجيلة وكومة من اغراض مسروقة. وفي شهر مايو (أيار) ١٩٧٣، وقبل تخرجه بشهر، طرد لاري لافين من المدرسة. ولكن، لحسن حظه، كان تسلم قبل طرده وثيقة قبول من جامعة بنسلفانيا من دون الشهادة الثانوية.

في تلك الحقبة، كانت الماريوانا متفشية بين طلاب الجامعات. وشعوراً منه بأن انتسابه الى الجامعة هو الطريق الافضل الى الكسب المادي، تحول لاري من مستهلك للمخدرات الى متاجر بها، بعدما اقنع احد تجار الجملة الذي يتعاطى بيع الماريوانا بان يصبح شريكه. لم يفتقر لاري يوماً الى زبائن ولا كان امراً غير عادي بالنسبة اليه ان يبيع شحنة كاملة من الماريوانا تبلغ ٥٠ كيلوغراما في يوم واحد وحتى قبل تسلمها. وبفضل حسن إدارته ودقته في العمل استطاع ان يدمج، على نحو طبيعي، تجارة المخدرات بحياته الجامعية.

كان لاري ما زال في سنته الجامعية الاولى، حين التقى مارشيا اوسبورن بعد ظهر احد ايام الخريف في الساحة الرباعية الزوايا في الجامعة. كانت مارشيا صبية بهية الطلعة، دقيقة الحجم، ذات عينين بنيتين كبيرتين وانف افطس. وبخلاف لاري الشاب الاجتماعي الجريء، كانت مارشيا "بيتوتية" متحفظة وهادئة. وفيما هو ادخل عنصر الإثارة الى حياتها، اضفت هي على حياته استقراراً وثباتاً. وفي سنتهما الجامعية الثانية، كان الاثنان يسكنان معاً. لم تكن مارشيا ضد المخدرات صراحة على رغم امتعاضها الشديد من بعض رفقاء لاري ومن الوقت الذي كان يصرفه في تجارة المخدرات. وكان يعدها مرة تلو اخرى بانه سيقلع عن هذه العادة السيئة حالما يجمع ٥٠ الف دولار فيسدد قرض الجامعة ويجدد سيارته العتيقة. لكنه كان، كلما بلغ دخله ٥٠ الف دولار طمع في ١٠٠ الف، وكلما بلغ المئة الف طمع في المليون. وكان دائماً يجد ذريعة لرفع المبلغ.

تخرج لاري عام ١٩٧٧ وفي السنة ذاتها انتسب الى كلية طب الاسنان في بنسلفانيا. وفي إحدى حفلات الأنس والسمر التي اعتاد الطلاب اقامتها ليالي الجمعة، التقى لاري زميلا له يدعى كن ويدلر. وبعدما اديرت عليه سيجارة مخدرة، قال ويدلر للاري انه هو ايضاً كان يتاجر بالمخدرات في كلية موهلنبرغ في إلنتاون، بنسلفانيا، وقد صمم على التخلي عنها، غير انه سحر بثقة لاري العارمة بنفسه. فعدل عن قراره وعاد الى بيع المخدرات التي كان يمده بها صديقه الامين لاري لافين.

وذات ليلة من ربيع ١٩٧٨، جرب الإثنان معاً الكوكايين وكان أحد زبائن لاري قدمه اليه هدية. وبخلاف الماريوانا التي ترسل المنتشي بها الى عالم خاص به بطيء الحركة، متكاسل، وتبقيه فيه ساعات طويلة، فإن الكوكايين منشط قوي والنشوة به قصيرة، حلوة، حادة!

وعندما استعادا وعيهما قال لافين لصديقه: "اظن ان في وسعنا ان نجني المال الكثير من هذه المادة، مالا وفيراً. سوف اوظف اموالي في الاتجار بها".

"شروته" الاولى بلغ وزنها ١١٥ غراماً، ولم يجد مشقة في تصريفها. وهو حقق منها ربحاً جيداً. اما ويدلر فكان اكثر حرصاً من صديقه واقل اندفاعاً، فلم تتجاوز الكمية الاولى التي تعامل بها الثلاثة غرامات ونصف غرام ولكنها درت عليه ١٥٠ دولاراً ربحاً صافياً. لم يطل الوقت بويدلر حتى استقطب طالباً آخر من كلية طب الاسنان شديد البراعة في الرياضيات يدعى ديفيد اكرمان، واعتمد عليه في توسيع تجارته وتطويرها. وخلص الاثنان الى استنتاج واحد: الكوكايين هو "رولز رويس" المخدرات والمستقبل له.

حفنات من الدولارات

توسعت شبكة لاري خلال تنقلاته بين الولايات وبمساعدة زملاء صف له قدامى من مدرسة اكزيتر وجامعة بنسلفانيا. وكان يدفع للمهرب الذي يعرف عادة بـ"البغل"

ليؤدي المهمات الخطرة مثل نقل المال بالطائرة الى فلوريدا وتسليمه الى الذي يمده بالكوكايين والعودة منها بكميات من هذه المادة - مبالغ تراوح بين ١٠٠٠ و٥٠٠٠ دولار للرحلة الواحدة. وكان مطمئناً الى انه لن يعدم من يقوم بهذه الأعمال. فهناك دائماً طالب او ربما صديق في حاجة الى مبلغ من المال يشتري به مخدرات او يسدد ديناً من جراء التعامل بالمخدرات. وكانت تعليماته للمهرب ان يخبىء المال والمخدرات بين ثيابه او في حقيبة يده تحت العدة التي يحتاج اليها الناس عادة في العطل وهكذا يبدد كل شيء طبيعياً عبر اجهزةً التدقيق بالاشعة في المطار.

في البدء كان لاري يشتري الكوكايين من تجار الشوارع في ميامي بواسطة الهاتف ثم تحول الى "توظيف" طلاب الجامعة المتعاملين معه متسوقين لديه فيجعلهم يقطعون مسافة الالف والستمئة كيلومتر الى فلوريدا بين ثلاث وخمس مرات في الشهر لكي يعاينوا البضاعة ويبرموا الصفقات ويعودوا بالكوكايين. غير ان زيادة حجم البضاعة المنقولة جعلت الانتقال بالطائرة مسألة غير عملية. وانتهى الامر بالشركاء الى ان استخدموا سائقين للتنقل بين فيلادلفيا وميامي عدة مرات في الشهر.

لكن شريكي لاري في التجارة أكرمان وويدلر بدأا يتحولان الى شريكين في ارتياد حفلات الانس والانشراح كذلك واصبحت كلية طب الاسنان تحتل مركزاً منخفضاً في سلم اولوياتهما، فاخذا يتخلفان عن حضور الصفوف ويشتريان المحاضرات من مكتب للخدمات. ومع حلول شتاء ١٩٨٠ اختلط الليل بالنهار وانقلبت ايامهما رأساً على عقب. فكانا مثلا يتناولان الفطور في المساء، وقت العشاء ثم ينتقلان الى الملاهي الليلية ولا يعودان منها الا مع الفجر ليستسلما للنوم طوال اليوم التالي.

غير ان لاري لم يشارك كن وديفيد في لهوهما. وبسبب ضغط مارشيا عليه خفف كثيراً من تعاطيه المخدرات. والى ذلك، فان اعماله استحوذت على كل نشاطه ومعظم وقته فكان، في يوم نموذجي، يندفع من الصف الى البيت لتناول الغداء ويستمع الى آلة تسجيل المكالمات الهاتفية الواردة في غيابه وهو يقضم شطيرة، ثم يرد على بعض المكالمات ويوصي ببعض الطلبات ويقابل عدداً من الزبائن ثم يعود الى الكلية وقد ازداد ثراء. وكان يبيع في المتوسط ثلاثة كيلوغرامات في الشهر محققاً في كل كيلوغرام ٢٠ الف دولار ربحاً صافياً.

في تلك الاثناء كانت الصلة توثقت بين لاري ومارك ستيوارت الذي كانت وظيفته "غسل" المال الوارد على لاري بحيث تبدو الارباح الهائلة التي يحققها من تجارة الكوكايين تبدو مشروعة. فكان لاري وشركاؤه يسلمون الى مارك مبالغ نقدية فيحرر لامرهم، في المقابل، شيكات باسم شركته من اجل اعمال لم يؤدوها.

وعندما باعت شركة "يوموت" للاسطوانات التي يملكها ستيوارت، مليون اسطوانة من اغنية زنجية اسمها "دوبل دتش بص"، بات في وسع لافين ان يتبجح باستثماره الذكي مستشهداً باسطوانة مصغرة من ذهب ترمز الى المليون نسخة،

علقها على الجدار في منزله. (الحقيقة ان الشركة كانت ترزح آنذاك تحت خسائر مادية فادحة.)

ثابر لاري على قراءة صحيفة "وول ستريت جورنال" وعلى اسداء نصائح وارشادات مالية الى كل من يطلبها منه، حتى اساتذة الجامعة توافدوا عليه افواجاً طالبين منه استشارات في شأن توظيف اموالهم.

ولئن يكن اندفاع لاري لافين في العمل كبيراً، الا ان اقباله على اللهو والعبث لم يكن ليقل عنه. وهو استعمل حبه للتزلج على الجليد والغوص تحت الماء حجة ليذهب بمفرده في الحفلات خاصة مع اصحابه. فكان تارة يقول لمارشيا انه سوف يذهب مع "افراد الشلة" في "عطلة جماعية"، وطوراً انه سوف يحضر "حفلة للرجال العازبين" وانها من "مقتضيات العمل"... الى ما هنالك من اعذار مختلفة. والحقيقة ان تلك اللقاءات لم تكن سوى حفلات تميزت بالعربدة والمخدرات والكحول وبنات الهوى.

شاع الخبر عن تجارة لاري في الضاحية الغربية، حيث يقطن. وفي وقت متقدم من مساء احد الايام، وفيما كان لاري ومارشيا يشاهدان التلفاز، اقتحم المنزل رجلان ملثمان شاهرين مسدسيهما والقياهما ارضاً وصوب احدهما مسدسه الى رأس لاري واجبره على البوح بالمكان الذي يخبىء فيه النقود والكوكايين.

اثار هذا الحادث الرعب في قلب مارشيا، فراحت تتوسل الى لاري ان يتخلى عن هذه التجارة. وبدلا من ان ينصاع الى توسلاتها، قوم لاري الوضع ببرودة أعصاب واتخذ قراراً عقلانياً يقضي بنقل تجارته الى ضاحية اكثر اماناً.

وخلال يومين اشترى منزلا فخماً على تلة فيلادلفيا حيث السكن مقصور على الاثرياء، بلغ ثمنه ١٥٠ الف دولار. ودفعاً للشبهات رهنه في مقابل ٩٠ الفاً. واندفع، هو ومارشيا، في شراء اثاث له من الطراز الامريكي القديم. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٠ اقاما احتفالا فيه. وافاد اصدقاؤهما انهم لم يروا مارشيا في مثل تلك السعادة العارمة.

تشك وسيد

بعد الزيارة التي قام بها لعيادة لاري لافين في فبراير (شباط) ١٩٨٣، لم يجد تشك ريد مشقة في إقناع رؤسائه بالسماح له بالتركيز على عناصر من شأنها تكوين دعوى مخدرات بدل الاستمرار في التحقيق في قضية إفلاس مارك ستيوارت.

امضى ريد ذلك الربيع يبحث عن ادلة ومفاتيح لحل عقد ذلك اللغز. فبين يديه قضية ذات نهاية ولكن من دون بداية او وسط. وهو علم ان هناك شبكة للاتجار بالمخدرات، ولم يبق له الا ان يضبط المادة نفسها او ان يضع يده على صفقة مخدرات. ومع حلول فصل الصيف، بات في حوزته من معلومات ما يفيد ان قضية متشعبة مثل هذه تحتاج الى اكثر من عميل واحد. وكم حزن عندما ضم اليه سيدني بيري.

كان بيري جنوبياً حاضر البسمة ذا عينين زرقاوين صافيتين. وكان يكبر ريد بسنتين. ومثله سبق ان تدرب على اعمال المحاسبة في فينكس. والحاقه بريد في هذه القضية ازعج الأخير الذي كان في طبعه انساناً مستقل الرأي نزاعاً الى العزلة يؤثر العمل بطريقته الخاصة وبسرعته الخاصة كذلك. وكان بيري اكتسب، خلال ثماني سنوات من العمل في مكتب التحقيقات الاتحادي، شهرة كعميل كثير البراعة وواسع الخبرة. لكن ريد صنفه انتهازياً واصولياً.

والصورة التي رسمها سيد بيري في ذهنه لتشك ريد لم تكن بأفضل من تلك ابداً. فهو سمع ان ريد متصلب وتعوزه المرونة، وان العمل معه غير سهل. ومثل ريد، لم يسبق لبيري ان عمل على القضية نفسها مع احد من قبل. وهو لم يتوان عن اعلام رئيسه انه لا يتطلع برضى الى العمل مع ريد.

على انه لم تتسن للرجلين فرصة للتحقق من صحة نظرة الواحد الى الآخر، اذ تلقى أحد محللي البيانات في دائرة مكافحة المخدرات، كان تشك زاره قبل خمسة اشهر للاستعلام عن لاري لافين - استعلاما مماثلا غير متوقع من زميل له في فينكس يتولى التحقيق في قضية تاجر مخدرات هناك يدعى وين هينوير، تردد انه اشترى كوكايين من تاجر في فيلادلفيا اسمه لاري. فأحال المحلل كلا من العميلين على الآخر. وهما تمكنا، بالتعاون في ما بينهما، من تركيب آلة تنصت وتسجيل على خطوط هاتف هينوير في فينكس.

في ٢٣ اغسطس (آب) ولم يكن مضى اكثر من اسبوعين على العملية توقف لافين في كشك عمومي للهاتف واجرى مكالمة مع اريزونا: "مرحبا وين، هنا لاري، كيف حالك؟"

استدل من الحديث ان هينوير هو من أهم زبائن لاري، وكان زميله في جامعة بنسلفانيا لكنه تخلى عن الدراسة قبل التخرج. تحدث الاثنان عن حفلة يجري التحضير لها وعن حنينهما الى ايام الدراسة. وتطرقا الى امكان ملاحقة لاري بتهمة التهرب من دفع الضرائب. وقال لافين: "سمعت ان مكتب التحقيقات الاتحادي يجمع القرائن في قضية الضرائب وان مأموريه يعرفون تقريباً ماذا يجري وراء الكواليس لكنهم عاجزون عن إثباته."

على ان الغرض الحقيقي من الاتصال كان إعلام وين ان لافين، بسبب مضايقات قانونية من جهة، وبعض مشاكل ادارية من جهة اخرى، عازم على التخلي عن تجارة الكوكايين التي يملكها (والتي تتألف في شكل رئيسي من قائمة باسماء الزبائن)، وان عميلا جديداً اسمه فرنسيس - او "فراني" - بيرنز، سيتولى اعمال الاتصال والتنسيق محل المدير الحالي بروس تايلور، وان فراني متعامل كبير "يصرف من ٦٠ الى ٨٠ كيلوغراماً في الشهر." واكد لافين ان فراني موثوق به ويمكن الاعتماد عليه واضاف: "بفضل آلة طنانة تشعره بوجود مكالمات هاتفية، باستمرار، يستطيع الرد على المكالمات بسرعة ولا يحتاج في ذلك الى اكثر من خمس دقائق." واعرب عن

اعتقاده ان موظفيه وعماله المهمين يجب ان يكونوا دائماً على اهبة الاستعداد لتلبية نداء الزبائن المحتاجين الى مخدرات كما الاطباء الذين هم على استعداد دائم لمساعدة المرضى.

استمع ريد وبيري الى شريط التسجيل بحماسة متعاظمة وقال ريد: "لقد ضبطنا لاري في حديث عن المخدرات وعن صلة وصل فيها."

ومن اجل ختم التحقيق، بقي عليهما انجاز الجزء الاصعب فيه ألا وهو الحصول على ادلة يعتد بها. وهما علما من تحرياتهما ان فراني بيرنز في التاسعة والعشرين، سمين وقذر، لا بل اكثر من المألوف، وانه أمضى اثنتي عشرة سنة في تجارة المخدرات ووقتاً في السجن تنفيذاً لحكم قضائي.

وكانت لدى فراني بيرنز خصائص مميزة عدة. فهو لا يتعاطى المخدرات على رغم انه يجني الملايين من الاتجار بها. وهو لا يودع امواله المصارف او الخزائن الفولاذية في البنوك، بل يدفنها او يخبئها – كل مليون دولار على حدة – في صناديق السيارات التي يستأجرها. والى تجارة المخدرات، حرص فراني دائماً على القيام باعمال مشروعة. فقد سبق له مثلا ان عمل في النجارة وفي فرز البريد واشرف على محل للمثلجات والحلوى يملكه في بنسلفانيا.

امضى تشك وسيد القسم الاخير من صيف ١٩٨٣ واوائل الخريف، يراقبان فراني في محل المثلجات الذي يملكه. وكان هدفهما الايقاع بجميع افراد الشبكة. وأيقنا ان الطريق الاسرع الى اكبر عدد من الناس هو استراق الاسلاك الهاتفية على نطاق واسع.

ولإقناع القاضي الاتحادي بمنحهما إذنا باستراق الاسلاك، تعين عليهما ان يستشهدا بنمط من استخدام معين لاجهزة الهاتف التي يودون استراق اسلاكها. ومن اجل ذلك، جلس ريد وبيري، يوماً بعد يوم، كل في سيارته، يراقبان فراني بيرنز وهو في محله للمثلجات ويرصدان تحركاته. وهو يغادره كل يوم متوجهاً الى واحد من ثلاثة اكشاك عمومية للهاتف درج على استخدامها بانتظام للرد على المكالمات التي تشعره بها الآلة التي يحملها.

استغرقت المراقبة، وهي الجزء الأقل جاذبية وإثارة في التقصي، مدة اسابيع كسر العميلان خلالها رتابة العمل بالتعرف الى بعضهما بعضاً عن كثب. تشك ريد، الاكثر صمتاً بين الاثنين، تحدث عن نشأته في نيو انغلند وعن ذكرياته فيها. اما سيد بيري، الاكثر انفتاحاً، فروى حكايات محببة عن صباه الباكر في الريف النائي وكيف كان بعد عمل ١٢ ساعة في حقول التبغ يومياً يقصد النهر للاسترخاء والاغتسال. وقال تشك في نفسه: إنه ليس سيئاً، هذا البيري.

وبسبب ملازمتهما الوثيقة بعضهما بعضاً، يوماً بعد يوم، بات الرجلان يتبادلان الافكار بسهولة ويسر واصبح الواحد منهما مصدر الهام للآخر.

وفي كل الامور التي خططا لها، كان عليهما دائماً ان يوازنا بين الخطر الناجم عن

اكتشافهما قبل الاوان، واهمية الحصول على المعلومات التي يحتاجون اليها.

ومن دون ان يعيا ذلك، صاغ الرجلان رباطا متيناً بينهما جعل قضية لافين، وعلى امتداد ثلاث سنوات، اهم شيء تمحورت حوله حياتهما. وكانا كل يوم يراهنا على تطورات اليوم التالي والخاسر يدفع ثمن الغداء. وكان رهانهما يدور على امور مثل: هل سيحصلان على إذن باستراق اسلاك الهاتف؟ هل سيمسكان بلافين وبيرنز بالجرم المشهود وهما يتبادلان المال؟

وذات مرة قال ريد: "اني اراهنك على ان لافين سوف يهرب عندما نقبض عليه. وان فعل فسوف ادفع ثمن غداءين."

- كلا، مستحيل. إنه ليس بهذا الغباء.

"هذا خطأ. سوف يظن ان ذكاءه سيحميه."

ابرما الشرط بهز الايدي علماً ان كليهما كان قلقاً خشية ان يكون تشك على صواب.

عهد اكرمان

فكرة وقوعهم في قبضة العدالة، راودت لاري وصحبه وهم في الجامعة. وفي خريف ١٩٨٠، شعر الجميع بالرعب عندما دهم رجال الشرطة منزل لاري في فيلادلفيا بحثاً عن مخدرات. ومع انهم لم يعثروا على شيء، الا ان الحادث هز كن ويدلر ولكن ليس بقدر الهزة التي ضربته عندما قيل له انه اذا كان يأمل في التخرج في الجامعة عليه ان يحسن اداءه جداً. هذا الكلام صعقه وجعله يتوقف عن ارتياد



الحفلات مع ديفيد اكرمان وينصرف الى الدرس ولكن من دون ان يتخلى عن توظيف امواله في تجارة المخدرات.

لافين ايضاً راودته، لفترة وجيزة، فكرة التخلي عن تجارة المخدرات والتحول الى اعمال تجارية ومالية اخرى. وبدأ يبتعد عن العمليات اليومية اكثر فأكثر. وفي النهاية اتفق الثلاثة على ان يؤسسوا شركة تجمع كل الزبائن ويتولى فيها ويدلر دور الممول ولافين دور رئيس مجلس الادارة، فيما تسند الى اكرمان مسؤولية العمل والادارة بكاملهما.

في ذلك الوقت، كان في وسع ديفيد تكريس وقت كاف لهذه الاعمال. فهو كان انقطع عن الجامعة بناء على طلبها، فابعد عنها وفصل موقتاً. وعلى رغم ذكائه الشديد وموهبته الخارقة في طب الاسنان، فقد ظهرت لديه بعض الاعراض الدالة على تدهور خطير في شخصيته بسبب افراطه في تعاطي الكوكايين. فكان احياناً كثيرة يهتاج ويثور في وجه الاساتذة في الجامعة والزبائن في العيادة.

فرح لاري لخبر طرد ديفيد من الجامعة لانه لانه علم انه سيكون في وسعه تكريس وقت اكثر للتجارة.

بعيد عيد رأس السنة، اتصل ديفيد بسوزان نوريماتسو، وهي صبية "اوراسية" في الرابعة والعشرين من عمرها ذات قامة كغصن البان وهو كان تعرف عليها في سنته الاولى في كلية طب الاسنان. وقد طارت فرحاً عندما قال لها: "انني في حاجة اليك واريدك ان تأتي لتعملي معي." لم تقو سوزان على رفض طلبه. واصر ديفيد على ان تكون لها شقتها الخاصة بالقرب من منزله في "اولد سيتي" وهي ضاحية سكنية قديمة في فيلادلفيا جرى تحديثها واصبحت تعج بالمهذبين الطامحين.

وعلى رغم ادمانه المخدرات، كان ديفيد اكرمان رجل اعمال داهية. وخلال عام ١٩٨٠ قفز بيع الكوكايين بفضله من ٢ - ٣ كيلوغرامات في الشهر الى ١٠ كيلوغرامات فالى ١٥ كيلوغراماً. وكان التسليم يتم بواسطة البريد او بواسطة مهربين. وشمل التوزيع، الى ١٣ ولاية امريكية، مقاطعة كولومبيا وكندا.

ودرءاً للاخطار وتخفيفها الى حدها الادنى، وزع ديفيد الكوكايين والمال بين خمس شقق مستقلة اختار ان تكون جميعها في احياء راقية حتى يطمئن زبائنه الى انهم في امان حين يعرجون لتسلم طلباتهم. وهو استعمل اثنتين من هذه الشقق - شقة سوزان وشقة شابة اخرى - للاقامة وكمكتبين للبيع. وكانت سوزان تستقبل الزبائن وتقدم اليهم الجعة وتبادلهم الحديث.

اما الشقق الثلاث الباقية، فقد حولها معامل مصغرة لإنتاج اصناف مختلفة من المخدر. وكان ديفيد يؤمن بضرورة ضبط النوعية وهو استعمل لذلك ميزاناً الكترونياً شديد الحساسية ثمنه ٢٠٠٠ دولار، كي يزن به الكوكايين والحشوة المستعملة لشعشعته وتخفيفه. وكانت الاصناف المنتجة تعرض على الجدران مثبتة بمسامير مستدقة صغيرة وعريضة الرأس. وراوحت اسعار الاونصة الواحدة بين ١٤٠٠ و١٦٠٠

و١٨٠٠ و٢٠٠٠ دولار. اما الكوكايين الصافي، غير المشعشع، فكان ديفيد يبيع الاونصة منه بالفين ومئتي دولار.

شكلت نيو انفلند ارضاً خصبة لتجارة لافين، إذ كانت شقيقته جيل وشقيقه رستي اصبحا في عداد العاملين معه. وكانت جيل تدير تجارة مخدرات كبيرة لحسابها الخاص. ومع ان رستي لم يكن مدمنا، الا انه - مثل كثيرين سواه - علق في الشبكة لانه لم يستطع ان يفي دينه للاري.

وكان لاري موهوباً في تطويع عملاء جدد بهذا الاسلوب. وهو شرحه لسوزان ببلاغة وايجاز: "اولا نرمي الصنارة مع الطعم. تقضم الفريسة منه قضمة صغيرة ثم قضمة اخرى كبيرة وعندها نسحب الصنارة. وهكذا تعلق الضحايا في الفخ."

سجين المخدرات

طوال سنوات الدرس في كلية طب الاسنان، لم ينقطع لاري لافين وكن ويدلر من الاتجار بالمخدرات. وبعدما تخرجا فيها عام ١٩٨١، اشترى كن عيادة في جنوب فيلادلفيا داوم فيها ثلاثة ايام في الاسبوع، بخلاف لاري الذي صرف سنة كاملة في سوق القطع وفي تجارة العقارات، ولكن على نطاق ضيق وعلى سبيل الهواية، قبل ان يستقر ويباشر العمل كطبيب اسنان.

وفي الصيف الذي تلا تخرجه، تزوج كن الفتاة التي احبها منذ ايام الدراسة. وكان مفترضاً في ديفيد اكرمان ان يكون شاهداً على هذا الزواج لكنه تخلف عن حضور الاحتفال لانه كان مخدراً!

مع حلول الخريف، بدأ ديفيد ينزلق في عالم الاوهام مبتعداً عن الواقع اكثر فأكثر. وبات يتخلف عن مواعيده ويرفض الرد على الهاتف ويمتنع عن فتح الباب. وتحول الى تدخين الكوكايين بدل تنشقه إمعاناً في اللذة وطلباً للاستمتاع به في اصفى اشكاله واقواها. فوقع فريسة الارق وراح يمضي اياماً حابساً نفسه في غرفة مغلقة لا يذوق للنوم طعماً ولا يكلم احداً ويروح يترجح بين نوبات من الابتهاج العارم والفزع القاتل. وكان إذا زاد العيار او الجرعة، يصاب بحكة فينقض على جلده حكاً ونهشاً حتى يسيل منه الدم. وهكذا غطت الجروح والخدوش ساقاه. واصبحت تعتريه نوبات من الهلوسة، فكان يتخيل جدران القرميد في غرفة نومه تتحول، على نحو مريع، جدران زنزانة من العصور الوسطى وهو سجين فيها.

ثم ظهرت عليه اعراض من جنون الشك وتكون لديه اعتقاد راسخ ان رجال الشرطة يراقبونه من خلال اجهزة متطورة قادرة على اختراق جدران القرميد التي احتمى وراءها في شقته، وان كل شخص غريب يسير في الشارع هو شرطي متنكر. وكان يحل الفجر وهو على هذه الحال، يتوسل النوم الذي يعصى عليه من دون حبوب منومة فيختار زاوية في الغرفة يتكور فيها ويغرق في كآبة سوداء ريثما ينحسر عنه تأثير الكوكايين.

وعندما كان يصحو من غيبوبته تلك، كانت تنتابه في الغالب نوبة جامحة من الاسراف في الانفاق، فيندفع في الشراء. وذات مرة ذهب مع سوزان ليتسلما سيارتها الجديدة (BMW 528) والتي بلغ ثمنها ٤٢ الف دولار، ولأن الطقس كان بارداً جداً ذلك اليوم، فقد قرر انها في حاجة الى معطف من الفرو. وعندما ترددا في الاختيار ما بين معطف من فرو "المنك" وآخر من فراء الثعلب، اشترى الاثنين، كما اشترى لها سترة من فرو فأر المسك.

مع اقتراب عيد الميلاد، سعى ديفيد يائساً الى احداث تغيير في حياته وخيل اليه ان زواجه من سوزان ربما بدل حاله الى الأحسن.

ولإعلان خطبتهما، دعا اصدقاءه ليلة رأس السنة الى مأدبة عشاء فخمة اقامها في قاعة خاصة بمطعم فرنسي الطابع كان هو يفضله. وكانت فعلا سهرة رائعة تألق فيها المدعوون بلباسهم الرسمي وبلغت تكاليفها ٣٥ الف دولار، ذهب ٥ آلاف منها بقشيشاً.

شرب ديفيد نخب سوزان واطراها بكلام جميل وهو يضع حول اصبعها خاتماً يحمل فصاً من الماس زنته ٤ قراريط.

وفي وقت لاحق من تلك الليلة اعلم العاملين معه في تجارة المخدرات أنه سوف ينتقل من "اولد سيتي" وأن عليهم ان يجدوا شخصاً آخر يتولى الادارة اليومية للمصلحة.

التنصت

منذ الستينات، اصبح التشريع الاتحادي الامريكي اكثر تشدداً إزاء منح مكتب التحقيقات الاتحادي اذونات باستراق السمع بواسطة اجهزة الكترونية، ولم يعد يسمح بها الا في حالات خاصة مثل جرائم التزوير والخطف والمخدرات.

ولكي يجمع ادلة يحمل المحكمة على الموافقة على طلبه استراق اسلاك الهاتف العائدة الى افراد شبكة المخدرات، استخدم مكتب التحقيقات العداد القلمي، وهو جهاز الكتروني يسجل ارقام جميع المكالمات الهاتفية الصادرة عن هاتف ما والوقت الذي تجري فيه المكالمة والمدة التي تستغرقها.

ركب ريد وبيري عدادات على ١٤ خطاً. واظهر تحليل البيانات بواسطة الدماغ الالكتروني ان الارقام نفسها تتلقى اتصالات متكررة من اكثر من شخص من افراد المجموعة المراقبة. فاستصدرا انذاك امراً قضائياً بمراجعة سجلات شركات الهاتف. وكلما توغلا فيها، برزت اسماء جديدة اضيفت الى قائمة المشتبه بهم.

وتبين ان معظم المكالمات التي اجراها فريق لافين هي اما مع اشخاص عاطلين عن العمل او طلاب مدارس وجامعات يقطنون شققاً فخمة ويقتنون سيارات باهظة الثمن.

بدأ العميلان، كل بمفرده، اعداد جداول بالتواريخ الدقيقة للمراحل التي مرت بها

نشأة شبكة لافين وتطورها وترتيبها حسب تسلسلها الزمني. وكانت خلاصة عملهما، بعد خمسة اشهر من الجهد، مذكرة قانونية قدماها الى المحكمة، وبلغ طولها ١٨٥ صفحة، وقد ضمناها جميع الوقائع والمعلومات التي جمعاها حول هذه القضية والاسباب الموجبة لمنحهما الاذن باستراق اسلاك هاتفية. وهما اديا اليمين على صحة ما ورد فيها.

اخيراً، في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣، حصلا على الاذن.

في العادة، تسترق اسلاك هاتف او اثنين على الاكثر. اما استراق اسلاك اربعة خطوط فيعتبر استنزافا مهماً للطاقة البشرية العاملة وعبئاً مرهقاً عليها. واستلزمت عملية لافين استراق اسلاك ثمانية اجهزة هاتف بينها ستة اجهزة عمومية وجهازان منزليان، واحد لمنزل فراني بيرنز وآخر لمنزل تاجر مخدرات من زبائن لاري يدعى بروس تايلور.

استمر استراق السمع طوال عطلة عيد الميلاد وامتد حتى ٣٠ يناير (كانون الثاني). وتعاقب على التنصت افراد فرقة من ١٢ عميل مباحث وشمل تنصتهم الوف المكالمات.

حال صدور اي مكالمة، او ورودها، كانت الاجهزة المثبتة على الاسلاك تعمل تلقائياً فيثبت العميل السماعة على اذنيه فوراً ويبدأ التنصت. وكان عليه ان يقرر في الحال مواصلة التنصت او انهاءه، فاذا كانت المكالمة متعلقة بموضوع مخدرات بادر الى تسجيلها والا اقفل الجهاز. وكان محظوراً عليهم تسجيل المكالمات التي تجرى مع المحامين كذلك المحادثات الشخصية.

تجمع لدى كل عميل كدسة سميكة من البيانات المطبوعة المستخرجة من الدماغ الالكتروني والتي تضم اسماء اشخاص مرتبطين بالمؤامرة التي حاكها لافين، وارقام هواتفهم. وكانت المكالمات المهمة تبلغ في الحال الى بيري وريد.

وتبين ان هاتف بروس تايلور كان بمثابة منجم الذهب بالنسبة الى المباحث. فقد كان الرجل مولعاً، الى حد الجنون، بالدراجات النارية وهو ترك لدى عارفيه انطباعاً بان خيطاً رفيعاً يفصله عن التحول من انسان غريب الى انسان خطر. وكان لافين يتحمل قصوره لانه سبق له ان عمل لهذه المصلحة باخلاص وجد قبل ان يتحول مدمناً. وعندما تخلى لافين عن تجارته لفراني بيرنز، كافأ تايلور بأن تخلى له عن بعض صغار زبائنه. لكن تايلور اضاع ارقامهم، وكان من حين الى آخر يطلبها من لافين على الهاتف فيما رجال المباحث يسجلون الاسماء والارقام الكاملة التي كان لافين يتلوها عليه.

كل ما توصل اليه ريد وبيري اصبح على اشرطة ولم يعد ينقصهما سوى قليل من الحظ ليلتقطا هفوات اخرى مماثلة فيصبح لديهما مبرر قانوني لدهم منزل بروس تايلور وجعل الدكتور لاري لافين يعلم ان التهرب من دفع الضرائب هو اقل مشاكله شأناً.

احتفال جنوني

بعد سنة من تخرج لاري، اشترى الزوجان منزلا قرميديا ابيض رائعاً ذا طبقتين بلغ ثمنه ٢٥٠ الف دولار يقع في حي تمبرلين الفخم في ديفون احدى ضواحي فيلادلفيا الراقية. واضاف اليه لاري حوضاً للسباحة اولمبي الحجم وبيتاً زجاجياً لوقاية النباتات الخضراء وحوض استحمام تسخن مياهه بواسطة الطاقة الشمسية.

ثم حول إحدى غرف النوم مكتباً كامل التجهيز بما فيه الدماغ الالكتروني، وعلق الاسطوانة الذهبية على الجدار تفسيراً لسبب الثراء الذي وقع فيه. وبالقرب من المغطس في حمام غرفة النوم الرئيسية، ركب قابساً اضافياً لوصل الهاتف الذي كان حبل النجاة بالنسبة اليه. ولم يكن غريباً عليه ان يمضي ساعتين او ثلاثاً كل ليلة وهو يتحدث فيه.

الزم لاري جميع العاملين معه استخدام الهاتف العمومي لمكالماتهم المتعلقة بالمخدرات، لكنه شذ هو عن هذه القاعدة بفضل اجهزة متطورة ضد التنصت اشتراها بخمس وعشرين الف دولار.

وكان يجري معظم مكالماته من هاتف نقال يضعه في حقيبة يده. وكانت المكالمات التي يجريها منه، بعد وصله بقابس خاص، تظهر انها صادرة من جهاز هاتف موجود في مكتب يبعد نحو ثلاثة كيلومترات.

في مايو (ايار) ١٩٨٣، رزق الزوجان صبياً احتفل لاري بقدومه على طريقته الخاصة.

في اليوم التالي، وكان الطفل بلغ يومه الثاني، ترك لاري مارشيا في المستشفى وتوجه بسيارته الى منزله في تمبرلين وهو يشعر بسعادة هائلة ويقود سيارته، كالعادة، بسرعة جنونية مدفوعاً برغبته الشديدة في ان يشاطره اصدقاؤه فرحته بمولوده البكر.

اخرج الهاتف من الحقيبة وبدأ يدير القرص. اول اتصال كان مع شخص هو له مصدر معلومات وامور اخرى... وطلب احضار بعض الكوكاكيين - وهو كان توقف عن الاحتفاظ بهذه المادة في منزله. بعدها اتصل بثمانية من اصدقائه الخلص ودعاهم الى سهرة في منزله. وقد امضى هؤلاء ليلة مجنونة.

في الجهة المقابلة من البلدة، كانت الامور بين ديفيد وسوزان في تدهور مستمر، وكانت جولات الصراخ تنتهي احيانا الى عراك وتشابك بالايدي. وقرابة عيد الميلاد، إنفصلت سوزان عن ديفيد نهائياً وهامت... الى ان انتهى بها المطاف مع بروس تايلور الذي تزوجته ولما يمض على انفصالها عن ديفيد سوى ثمانية اشهر.

وادراكا منه ان المخدرات تقوده الى الانتحار، بدأ ديفيد يتردد على اخصائي بمعالجة الإدمان وتمكن بعد بضعة اشهر من ان "يفطم" نفسه عن الكوكايين وعاد الى كلية طب الاسنان انساناً جديداً وقد اصطلح عقله وثاب الى رشده. وأكب على الدرس والتحصيل باجتهاد وكد ادهشا كل من عرفه قبل سنتين طالبا مدعياً متهوراً



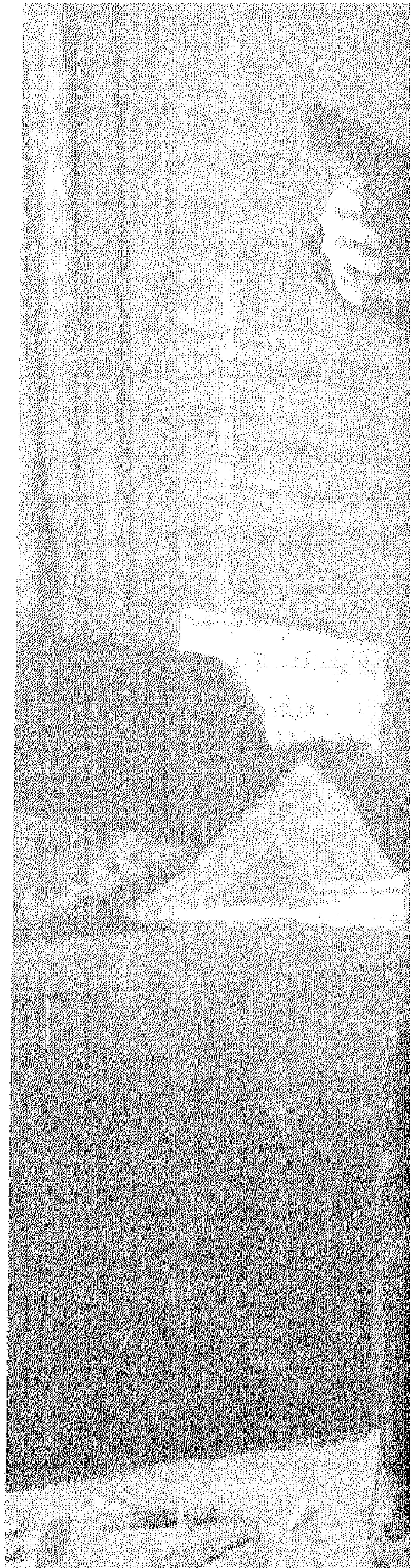
وقحاً وهو انهى السنتين المتبقيتين قبل الوقت المحدد بستة اشهر. وفي الامتحان المطلوب لمنح الترخيص الرسمي بمزاولة المهنة، نال اعلى العلامات وكان بين العشرة الأول في امريكا كلها.

...وسقط القناع

في ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤، دهم رجال المباحث المنزل القرميدي المزخرف بالجص الذي يسكنه بروس تايلور وسوزان نوريماتسو تايلور. وفي تمام الساعة ٩،٣٠ صباحاً تمركز رجلا مباحث خلف المنزل فيما انهال ثلاثة آخرون على الباب الامامي طرقاً وهم يصرخون: "مباحث، افتحوا الباب!"، قبل ان يخلعوه ويندفعوا الى الداخل.

تحت الضوء الخافت في وسط الردهة التي تضم غرفتي الاستقبال والطعام، توقفت دراجة نارية لمع معدنها باليد. بدت الغرفة كياخور بستائر النوافذ المصنوعة من المخمل وكمم المصابيح المصنوعة من جلد الحمار الوحشي المخطط. وغطت الأرض محاقن مستعملة.

مرة ثانية صرخ الرجال: "مباحث" ومرة اخرى لم يتلقوا اي جواب. ثم راحوا يتنقلون، ببنادقهم ومسدساتهم، من غرفة الى اخرى الى ان وصلوا اخيراً الى غرفة نوم في الطبقة السفلية فطالعهم فيها منظر بروس وسوزان منبطحين وقد افقدتهما المخدرات أي حس. فلم يسمعا الجلبة التي احدثها اقتحام المنزل. وعلى الارض قرب الفراش، شاهد الرجال مسدساً وصندوقاً فيه خمسة اكياس من البلاستيك تحتوي كوكايين.



نقل الزوجان الى الطبقة العليا، وما ان وصلا اليها حتى غرقا مجدداً في النوم لفرط ما تناولا من مخدرات. كلف احد الرجال حراستهما فيما انصرف اكثر من عشرة آخرين الى تفتيش المنزل غرفة غرفة. وضمت قائمة المصادرات الى المخدرات، ادوات ومعدات متصلة بالمخدرات. كانت هناك مصفاتان وسبع زبديات معدنية ذات احجام مختلفة تحتوي كل منها على ترسبات بيضاء اللون، وميزانان الكترونيان، وعشرات المحاقن وجهاز لتلقي النداءات وآخر لإرسال النداءات. كذلك كانت هناك بنادق صغيرة وخنجر يعود الى الحرب العالمية الثانية، ودفتر لتسجيل المواعيد وكشوفات حسابات في مصارف ومحفظة جلد ثمينة تحمل حرفي "ل.ل." من ذهب.

وصادر رجال مباحث آخرون سجلات مالية وبيانات بمخدرات واوراقاً نقدية من فئة الخمسة والعشرة دولارات والمئة دولار، بلغت قيمتها ٣ آلاف دولار، كانت ملقاة على الارض هنا وهناك كأنها نفايات. ووجدوا في خزانة حديد ٨٩٩٤٠ دولاراً ملفوفة بورق اخضر خاص بعيد الميلاد.

قبل القبض على تايلور، قرر ريد وبيري ان يتيحا له فرصة يصبح بفضلها شاهداً متعاوناً، فاجلساه في غرفة خلفية وقالا له: "لدينا المخدرات والسجلات وكل شيء يدينك. انها فرصتك لتساعد نفسك."

راح بروس يطرف عينيه ويفرك يديه، مبدياً صعوبة في التفكير ومردداً: "لا اعرف."

الحقيقة ان خوف بروس من فراني بيرنز كان مميتاً. وبعدما اختلى بزوجته خمس دقائق قال لرجال المباحث: "كلا. لا صفقات. لا استطيع، سوف يقتلنا." وضع بيري يده على كتف بروس وقال له: "لقد اخطأت في القرار." كبل رجال المباحث يدي بروس وناولوا سوزان لوائح المصادرات لتوقعها. وفيما كانوا يسوقون الرجل لتوجيه التهمة اليه رسميا قبل اطلاقه بكفالة، سمع وهو يقول لزوجته: "اتصلي بعمك في اسرع وقت ممكن."

لم يكن الشخص المقصود بكلمة "عمك" سوى لاري. وهي بالفعل اتصلت به وقالت له: "كانوا يحملون مذكرة تفتيش واقتحموا المنزل بالبنادق. انه تشارلز ريد نفسه الذي اتى اليك طارحاً اسئلة. اتذكره؟"

هو بالطبع يذكره، ويذكره جيداً لكنه حتى تلك اللحظة، لم يكن لينظر اليه إلا كتحر غبي يحمل شارة ورأسه خال من الذكاء. فسألها بعصبية: "أتعرفين كيف توصلوا اليكما في المنزل؟"

اجابت: "قالوا انهم كانوا يراقبون بروس وان لديهم صوراً له مع تاجر من فينكس متعامل معك، تعود الى اكثر من سنة."

تسارعت ضربات قلب لاري وقال: "آه.. يا الهي... منذ سنة." هذا يعني انهم على علم بالآخرين ايضاً، وانهم كانوا في الحقيقة يراقبون صفقات المخدرات طوال الوقت الذي ظن فيه ان مشاكله ضريبية، وان ما دفعه غروره واعتداده بنفسه الى

الظن انه تلمس بطيء وغير واضح، لم يكن في الواقع سوى عمل مباحث حثيث، منهجي ومتقن لجمع عناصر قضية محكمة.

كلام سوزان صعق لاري وافقده صوابه، وهو خشي ان يتكلم بروس ويفشي كل ما يعلن. لكنه، على رغم ذلك، ظل واقعياً، عملي التفكير. ذلك المساء ناول سوزان ٣٥٠٠ دولار، فتدفع منها ٢٥٠٠ قيمة الكفالة لبروس، و١٠٠٠ مصاريف ربما احتاجت اليها لإخراجه. وفي وقت لاحق، احضرت سوزان بروس الى المنزل.

في الاشهر التي تلت، عقد لاري وفراني بيرنز اجتماعات لا تحصى لوضع الخطط الرامية الى ادارة العمليات وتداول شؤونها. وكان همهما الاساسي ان يوقفا القضية عند هذا الحد ويحولا دون توسعها إدراكا منهما انها إذا وصلت الى نيو انغلند، فإن جيل ورستي لافين سيقعان حتماً في الشرك. وكانا كلما تعمقا في البحث، ادركا عمق المشاكل التي كانا يتخبطان فيها.

بالنسبة الى لاري، فإن الحكم عليه في قضية مخدرات قد يعني حبسه من ١٠ الى ١٥ سنة. وربما انخفض الحكم الى ثلث المدة ان هو أقر بذنبه في المحكمة. اما خياره الثاني فكان الهرب مع زوجته وابنه وماله.

بدأ لاري يعرض الكتب والكراريس المعلن عنها في مجلة "هاي تايمز" التي تدور حول المخدرات، بحثاً عن مادة تتناول طريقة اكتسابه هوية جديدة. وفي مقابل ٢٠٠ دولار، استخرج كدسة من نسخ طبق الأصل عن وثائق ولادته هو ومارشيا. وكانت النسخ تحمل مساحات بيضاء خالية جاهزة لتملأ ببيانات شخصية جديدة.

الهروب او المقاومة

من اجل جمع بيانات تثبت تهماً جرمية معينة على اشخاص معينين، انصرف ريد وبيري، طوال فصل الربيع من العام ١٩٨٤، الى فرز جبال من المعلومات. ست مرات متتالية جلس بيري في منصة الشهود امام الهيئة الاتهامية العليا يدلي باقوال ومعلومات حول قضية المخدرات التي بدأت في كلية طب الاسنان في بنسلفانيا وامتدت الى اجزاء مختلفة من الولايات المتحدة. واحيانا كثيرة كان مثوله امام المحكمة يمتد خمس ساعات او اكثر. وفي ٩ سبتمبر (ايلول) من السنة نفسها، اصدرت الهيئة قرارها الظني وسطرت مذكرات اتهام رسمية بحق ١٤ شخصاً بينهم الدكتور لاري لافين وفراني بيرنز وبروس تايلور وسوزان نوريماتسو - تايلور. وشملت موجة تحقيق لاحقة مشاركين آخرين كباراً في اللعبة.

صباح يوم ١١ سبتمبر (ايلول)، وفيما لاري يوقف سيارته بالقرب من عيادته، اعترضته سيارتان كانتا متوقفتين هناك وصوب ستة اشخاص مسدساتهم الى رأسه وصرخوا: "مباحث، إرفع يديك."

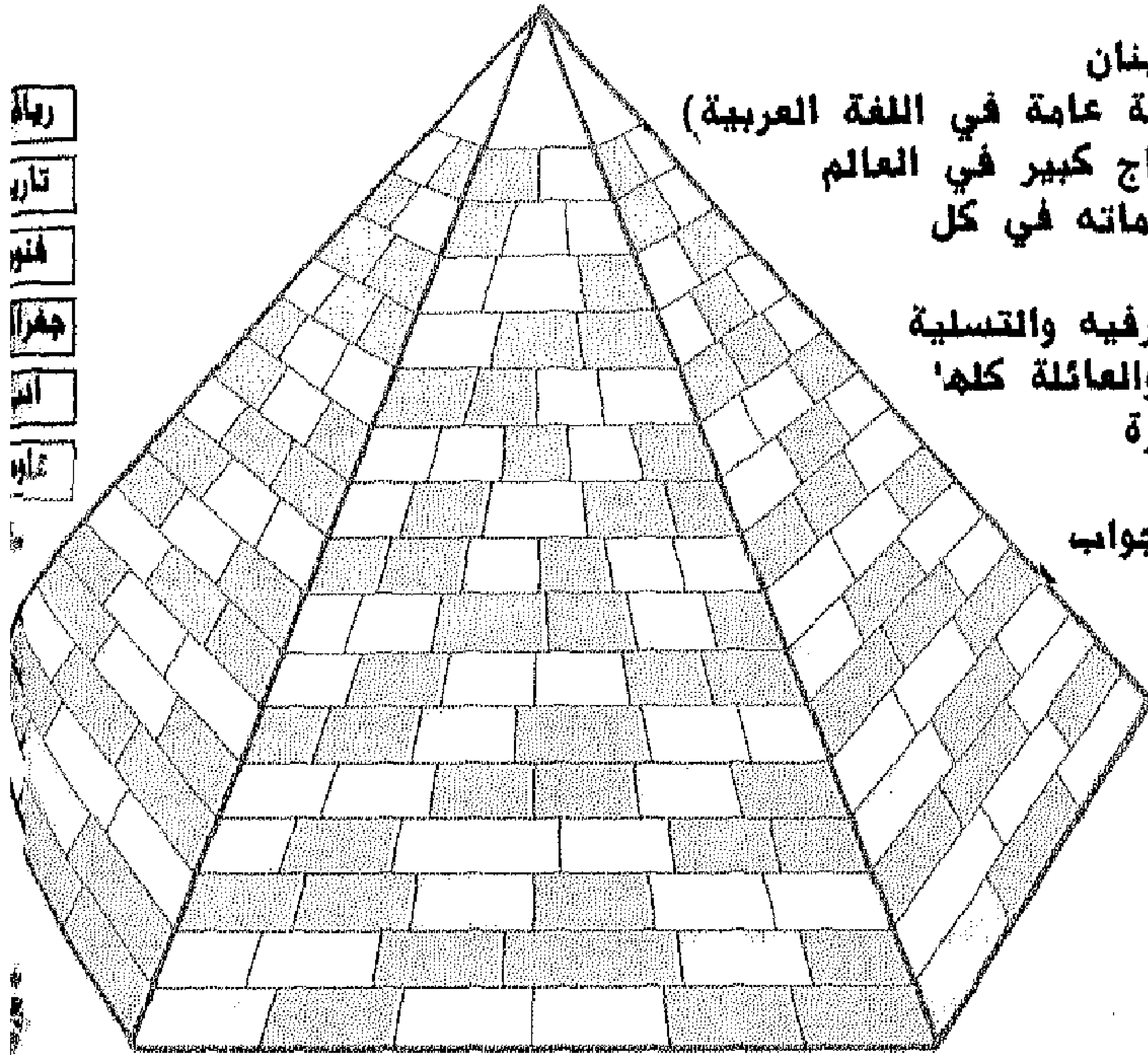
قال في نفسه: يا له من توقيت سيىء. فهو حمل في حقيبته ذلك الصباح خازن المعلومات الالكتروني الذي يحوي اسماء الزبائن وارقامهم، وإيصالا بقيمة اشتراك

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مش

هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



في صندوق بريد عزم على استعماله في حال الهرب، ودفتراً دون فيه بعض العناوين.

ذلك الصباح ايضا، اعترض تشك ريد وخمسة رجال مباحث آخرون، فراني بيرنز وهو في طريقه الى محل المثلجات الذي يملكه، "ذي ديري كوين."

لم يجدوا في سيارة بيرنز سوى صندوق خشبي وضع فيه الف دولار وعلبة بلاستيك اودعها ما قيمته ١١٢ دولاراً قطعاً معدنية من فئة الربع دولار. وقال في تبريره وضع هذه النقود في الصندوق والعلبة انه يجري مكالمات هاتفية كثيرة من اكشاك عمومية. لكن رجال المباحث، بعدما استصدروا مذكرة لتفتيش منزل والدته، وجدوا في الدور التحتاني، بندقية اوتوماتيكية ورشاشاً حربياً وميزاناً للمخدرات وعلبة من كرتون تحتوي على قائمة باسماء ١٥ من زبائنه وارقام هواتفهم والحدود العليا لقيم اعتماداتهم المصرفية.

وفي جلسة تحديد الكفالة، تليت على لافين التهم الموجهة اليه وشملت ٤٤ تهمة جمعت في مذكرة اتهام واحدة استندت الى المادة ٨٤٨ من قانون المخدرات التي تتحدث عن "الاشتراك المستمر في عمل جرمي." وتراوح احكامها بين عشر سنين سجناً لا يسمح خلالها باطلاقه في مقابل عهد يأخذه على نفسه بالا يهرب وأن يعود الى السجن إذا طلب اليه ذلك، كعقوبة دنيا، والسجن مدى الحياة، كحد اقصى. حدد القاضي قيمة الكفالة بمئة وخمسين الف دولار. ارسل لافين عشر المبلغ بالبريد وغادر السجن حراً طليقاً وإن موقتاً.

اما قيمة الكفالة بالنسبة الى فراني بيرنز ذي السجل الحافل بالسوابق، فكانت ٢٥٠ الف دولار، ولم تدفع إلا في الصباح التالي. في تلك الاثناء، شاهد رجال المباحث والد بيرنز ينطلق من المنزل بسيارته، وهم كانوا يتوقعون ان يعمد بيرنز الى نقل مبالغ ضخمة من المال وكميات كبيرة من المخدرات. وعندما اوقفوه وجدوا في السيارة كيساً ارجوانياً من تلك المستخدمة لتوضيب زجاجات الكحول، وفيه آلات تلق خاصة كانت السبيل الوحيد للاتصال بالزبائن، وبمن هم اهم منهم اي بالمصدرين. وكان الاتفاق بينهم انه إذا لم يرد فراني عليهم بعد اتصالين، فمعنى ذلك انه في مأزق، وفي هذه الحال تقطع العلاقة بينهم وبينه أوتوماتيكيا.

كان مهماً جداً بالنسبة الى السلطات المختصة ان تضع يدها على آلات التلقي الخاصة بفراني نظراً الى دورها في اي اتفاق تأمل هذه السلطات ان تعقده مع فراني. وفي يوم اطلاقه بكفالة توجه فراني مع محاميه الى مكتب المباحث وعرض التعاون مع رجال المباحث. وإثباتاً لحسن نيته، حمل معه ثلاث كيلوغرامات من الكوكايين الصافي.

من جهة اخرى، لم يفكر لاري في التعاون مع المباحث واستمر في الاعتقاد ان القوانين تطبق على سواه فقط. وعلى رغم ان الفرار سراً وبناء حياة جديدة في مكان ما، هما من الامور المحفوفة بالمخاطر، إلا انه لم يشك لحظة في انه لن ينجح فيها.

اظهاراً لولائها له، اصرت مارشيا على البقاء الى جانبه، وكانت في الشهر الثالث من حملها الثاني. فراحا يتداولان موضوع المكان الذي يتوجهان اليه. واستقر رأيهما في النهاية على منتجع سياحي صغير في ولاية فيرجينيا يعرف باسم "فيرجينيا بيتش" ويقع بالقرب من عدة قواعد بحرية عسكرية. ويعتبر هذا المكان نقطة مفضّلة لدى العسكريين المنقولين يتوقفون فيها وهم في طريقهم الى مراكزهم الجديدة. على هذا الاساس قررا ان "فيرجينيا بيتش" هو المكان المناسب لهما لانه يتيح لزوجين شابين مثلهما الاختلاط بالناس. وكون هذا الموقع لا يبعد سوى مسافة ست ساعات بالسيارة الى الجنوب من فيلادلفيا، فانه آخر مكان يتوقع رجال المباحث ان يجدوهما فيه.

علم لاري من فراني بيرنز انه يتعاون مع المباحث في الاعداد لعمليات دهم ضد المتعاملين معه في فلوريدا وان هذه العمليات سوف تنفّذ في آخر عطلة نهاية الاسبوع من شهر اكتوبر (تشرين الاول) فقرر لاري الفرار في ذلك الوقت حيث يكون انتباه رجال المباحث مركزاً على عمليات الدهم.

كان عليه ان يودّع، الى الابد، ديوناً له كثيرة. ومن ١٠ ملايين دولار جناها من الاتجار بالمخدرات، حصل على ستة ملايين فقط. وقد انفق نصف هذا المبلغ اما النصف الثاني فربطه باستثمارات عقارية وغيرها من الاعمال التجارية. ولم يسعه ان يبيع ايا منها من دون ان يثير شبهات حوله. ولهذا السبب قرّر ان يهرب بما استطاع ان يحوّله الى اموال نقدية، اي ١،٦ مليون دولار.

وُضبت الثياب والمقتنيات الثمينة الخفيفة الوزن في صناديق صغيرة اودعها لاري شركة تخزين. ويوم السبت الواقع فيه ١٧ اكتوبر (تشرين الاول)، أخرج شقيقه رستي الصناديق الصغيرة ووضعها في سيارة شحن صغيرة قادها بنفسه من ولاية مساشوستس. في ذلك الوقت خرج لاري ومارشيا من منزلهما ومعهما ابنهما كريستوفر وقطتهما وكلبهما اللبرادور، وصعدوا الى سيارة مستأجرة وبدوا كأنهم ذاهبين الى عطلة نهاية الاسبوع.

التقى الشقيقان في مرأب أحد الفنادق وتعانقا قبل ان يصعد الهاربون ومعهم الكلب والقطة الى الشاحنة وينطلقوا في اتجاه مفترق نيوجيرزي. حمل لاري في محفظته رخصة سوق باسم مستعار صادرة عن ولاية مساشوستس. وكان وزع بطاقات الاعتماد التي يستعملها بين بعض اصدقائه مع تعليمات بألا يستخدموها إلا للمشتريات الصغيرة بغية تضليل رجال المباحث.

وفي وقت لاحق، توقّف رستي في المنزل الذي خلا من سكانه وأخذ منه اغراضاً كان وُعد بها، ثم عاد بالسيارة الى مساشوستس. وبعد يومين، التقى لاري صديقاً له في واشنطن وسلّمه الشاحنة لإعادتها الى اصحابها.

لم يغب عن بال تشك ريد ان اطلاق لاري بكفالة كان كمن يسلّمه سمة للخروج. لكن الحقيقة ان دائرة المباحث لم تستطع تبرير طلبها وضعه قيد المراقبة المتواصلة

لغياب الدليل القاطع الثري يثبت انه يبيّت نية للهرب، فضلا عن النفقات الباهظة التي يرتّبها ذلك الإجراء. وجلّ ما في الامر، ان ريد كان في اوقات فراغه يتوجه بسيارته الى تمبرلين لمراقبة المنزل. وهو فعل هذا يوم السبت واطمأن باله عندما رأى سيارة الـBMW التي استعارها طبيب الاسنان، متوقفة في الطريق الخاصة امام المنزل.

كان ريد وبيري تلقيا إخبارية تفيد ان لافين ينوي الهرب يوم الثلثاء التالي، فامضيا طوال صباح الاثنين يراقبان المنزل الابيض الضخم الذي يملكه طبيب الاسنان، ولكن عبثاً. فالحركة الوحيدة التي لاحظاها صدرت الساعة التاسعة مساء حين توقفت امام المنزل سيارة شحن كبيرة ما لبث ان تبعها ويدلر بسيارته الخاصة. ثم راح ويدلر وسائق الشاحنة ينقلان، تحت جنح الظلام، الاثاث من المنزل ويكدّسانه في الشاحنة. وعندما إنتهيا من العمل قرابة منتصف الليل، غادرا المكان وريد في اثرهما، فيما بقي بيري يتابع المراقبة.

انتهى التعقّب في طريق مسدود أمام بيت ويدلر. فبعدما ان أُفرغت الحمولة، صعد السائق الى شاحنته وانطلق بها فيما اطفأ ويدلر الانوار وخلد الى النوم. وكلما مرّت ساعة توضحت الامور اكثر فاكثر. فلافين قد هرب حتماً.

عندما انضم سيد الى تشك في الثالثة فجراً قال له هذا: "ألم اقل لك ذلك؟ قلت لك منذ اليوم الأول انه سوف يهرب." وكانت نبرة صوته اقرب الى التسليم بالامر الواقع منها الى الغضب. هو فعلا ربح الشرط لكن ذلك لم يفرحه.

حجار "الدومينو" تتهاوى

لم يبق امام المباحث سوى خيار واحد هو التركيز على سائر افراد الشبكة. وكان عليها، الى إعداد العشرات من مذكرات الاتهام وإصدارها، ان تستجوب المدَّعى عليهم الذين اختاروا التعاون معها. وكان المحققون كلما توغلوا في الاسئلة، فتحت امامهم ابواب جديدة وبرز متهمون جدد.

وقد بلغ عدد الذين طاولتهم التهم ٨٠ شخصاً وبينهم زبائن صغار وتجار كبار ومروجون. وراح هؤلاء يتهاوون مثل صف من حجار "الدومينو"، يساومون تارة ويعرضون تعاونهم طوراً في مقابل احكام مخففة، فيما امتنعت حفنة صغيرة منهم عن الإقرار بجرائمها امام المحكمة.

في البداية التزم بروس تايلور الصمت. ولكن عندما صدر حكم بسجنه عشر سنين وضع خوفه من فراني بيرنز جانباً وقرر ان يبوح بكل شيء. وفي مقابل تعاونه هذا خفّض القاضي الحكم الصادر ضده الى خمس سنوات.

وفي فبراير (شباط) ١٩٨٥، وجّه معاونا المدعي العام تينا وليمز غابريلي ورونالد ل. نوبل، سؤالا الى محامي ويدلر مؤكداً ان لا امل له البتة في حكم براءة إذا ما وصلت قضيته الى المحكمة. ان اتخاذ قرار في هذا الشأن عذّب ضمير طبيب الاسنان

اسابيع طويلة حتى كان يوم ٨ مارس (آذار). وعلى رغم ان مذكرة الاتهام لم تكن صدرت بحقه بعد، إلا انه إستبق صدورها ووصل الى مكتب المدعي العام يرافقه محاميه، وهناك شرّع لذاكرته الابواب فتدفقت كالسيل.

شملت مذكرة الاتهام التالية التي صدرت يوم ١٧ يونيو (حزيران) ٣٠ شخصاً. وكان بين الموقوفين هذه المرّة ويدلر وشريكه السابق ديفيد أكرمان.

اوقف أكرمان في مدينة نيويورك وهو حُرم حق طلب تخليته بكفالة لأن السلطة لم تكن ترغب في رؤية متهم آخر هارباً. وامضى الصيف يتلظّى في سجون نيويورك في انتظار واحد من قرارين، اما تحديد وعد لمحاكمته واما اتخاذ الترتيبات اللازمة ليصبح شاهداً لمصلحة السلطة.

وفيما الاستجواب مستمرّ، ادلى ويدلر بمعلومات وقعت كالصاعقة على الجميع، بمن فيهم تشك ريد المعروف ببرود اعصابه. وهو قال مخاطباً تشك: "هناك قرار بقتلك." وان كل ما يعرفه هو ان فراني بيرنز ضالع في الأمر.

مواقف حرجة

عندما استجوب فراني بيرنز في هذا الشأن ادعى انها مجرد اشاعة اطلقت كنكتة.. لكن مزيداً من التحقيق اظهر ان بيرنز لم يكن صادقاً وانه كتم معلومات عن زبائنه وانه كان يستوفي ديونه سراً من غير علم السلطة. وبسبب انتهاكه القانون مجدداً، اعيد توقيفه وسحبت كفالته.

ومن المخالفات الأخرى التي ارتكبها بيرنز انه لم يسلم كل موجودات تجارة المخدرات التي كانت في حوزته. وفي يوم شديد الرطوبة من شهر يوليو (تموز)، طلب سيد بيري الذي كان في منزل عم فراني، معولا. وعندما أحضر له شمّر عن ساعديه وراح يحفر في الارض الى ان ظهرت انابيب من بلاستيك بطول ٤٠ سنتيمتراً من النوع الذي يستخدم في الامدادات الصحية. وكانت الانابيب مسدودة من طرفيها. فانهال عليها بفأس فتحطمت وتناثرت منها لفات من الاوراق النقدية من فئة المئة دولار. وكانت كل لفة تحتوي على عشرة آلاف دولار. وبلغ المجموع ٥٤٨ الف دولار.

في منتصف شهر يوليو (تموز) وُجّهت الاتهامات الى سبعة اشخاص آخرين جميعهم من بنسلفانيا. وفي خريف ١٩٨٥ كان عدد الذين طاولتهم التهم ٥٧ شخصاً موزعين كالآتي: ٥٦ مُداناً وواحد فار. جاء دوره وآن اوان مطاردته.

راق العيش في فيرجينيا بيتش لبرايان ومارشيا اونيل (لافين سابقاً). وخلال شهرين اشتريا منزلا، كان قيد الانشاء، ذا طبقتين وسطح من قرميد أحمر. دفع لاري ٢٠٠ الف دولار ثمناً له و٥٠ الف دولار ثمن اضافات خاصة طلباها وشملت تسوية الأرض المحيطة بالمنزل وبناء بركة للسباحة ووضع جهاز لضخّ المياه واطفاء الحرائق تلقائياً واقامة حديقة مسقوفة خلف المنزل وبيت زجاجي لحماية الشتل. ودفعاً للتساؤلات، اشاع لاري انه باع شركة للكومبيوتر كان يملكها.

في ابريل (نيسان) ١٩٨٥، رزقا بنتاً سمياها تارا إرين اونيل.

خطوة خطوة كوّن لاري ملفاً خاصاً يحمل اسمه الجديد وحصل ومارشيا على أجازتي سوق صادرتين من فيرجينيا. وهو وضع صورته على بطاقة توظيف وصلته بالبريد، بناء على طلبه، وطبع عليها معلومات تفيد انه مبرمج في شركة "إبسون" للكومبيوتر. وحصل على لوحة معدنية من الضمان الاجتماعي حفر عليها اسمه الجديد "برايان اونيل" الى جانب رقم مزور، فبدت كاللوحة الرسمية. ولانه لم يعتد ابقاء امواله من دون توظيف، فقد انتحل بمهارة فائقة عشرات الهويات المزورة واستخدمها في الاستثمار في سندات ائتمان.

منذ نجح لافين في الهرب من امامهما، استحوذ على بيري وريد حافز قوي دفعهما الى الجدّ في اثره. واعتبر ريد عملية الهرب تحدياً شخصياً له وكان يردد: "صعب جداً ان نسلّم بانه حرّ طليق، يظن في كل يوم يمرّ انه سخر من السلطة وتغلّب على القانون، لكن الاصعب ان نتخيّله وهو يسخر منا باستخفاف ظناً منه انه هزمنا وقهرنا." اما بيري، فقد اعتبر عملية القبض على لافين مباراة او لعبة يجيد خوضها وهو عازم على الفوز فيها.

ذلك العزم وذاك التصميم تحوّلا التزاماً عنيداً من جانب المباحث للقبض على لافين، وهو التزام لم يتوقعه لاري ولا راهن عليه. فهو كان يعتقد إستناداً الى جميع الكتب التي قرأها عن موضوع العيش كهارب، ان المباحث ستظل جادة في اثره مدة ستة اشهر تفتر همّتها بعدها وتتخلى عن المطاردة. وفي حساباته ان الزمن يعمل لمصلحته. إلا ان ريد وبيري لم يشاطراه رأيه هذا وهما كانا على يقين ان الوقت الى جانبهما ويعمل لمصلحتهما. فلقد ثبت تكراراً ان الهاربين يصبحون اقل تحفظاً ويسترخون كلما مرت عليهم الاشهر وتبعتها السنون ولافين لن يشذّ عن هذه القاعدة.

الواقع انه مرّ اكثر من سنة منذ ترك لافين فيلادلفيا وهو لم يشعر يوماً بسعادة مثل تلك التي شعر بها ذلك الوقت. وهو صرف معظم وقته، في تلقي دروس في الغطس تحت الماء وحاز شهادة فيه حتى انه وظّف مالا في محل لبيع أدوات الغطس. وعندما لم يكن يغطس، كان يصطاد السمك في زورق سريع اشتراه بثمانين الف دولار.

اهم قاعدة بالنسبة الى انسان فار، هي الا ينظر الى الماضي ابداً. لكن لاري، وهو من لم يكن يوماً ليأبه للقوانين، لم يستطع ان يبتعد عن ماضيه وظل على صلة به يدفعه اليه حنين لا ينطفىء وحاجة ملحة الى معرفة اخبار اقرانه القدامى. ولانه لم يكن على يقين اياً من شركائه القدامى سوف ينهار تحت ضغط المباحث ويذعن لمشيئتها، فقد اعتمد على شقيقه رستي ليكون صلة الوصل بينه وبين ماضيه. وكان الشقيقان يتحدثان عبر الهاتف مرة كل اسبوعين يحدد فيها لاري زمان المكالمة التالية ومكانها، وكان المكان عادة واحداً من سبعة اكشاك عمومية جميعها في مساشوستس. وفي اليوم المحدد، كان لاري يتوجه بسيارته الى المكان المتفق عليه

والذي يبعد عادة عن منزله مسافة ساعة او اكثر بالسيارة. ولم يكن يستعمل الهاتف نفسه مرتين متتاليتين ابداً.

عاش لاري حاضره معظم الوقت بهناء وسعادة لولا انه تعرّض لمفاجأتين كبيرتين. كانت الاولى عندما التقى باتريك اودونيل. والحقيقة ان الرجلين انسجما واحدهما مع الآخر في الحال، فكلاهما ربان قدير مولع بالزوارق مستعدّ لولوج البحر حتى في أعتى العواصف. وأخذ الرجلان يقومان برحلات صيد سمك بانتظام يرافقهما فيها عادة عدد من الرجال. وذات رحلة، جلس الرجال يتبادلون الاحاديث والذكريات. وامتع بات الحاضرين بروايات شائقة عن اعماله البطولية وهو عميل للمباحث. ومن حسن حظ لاري ان احداً لم يلاحظ الشحوب الذي ظهر عليه على رغم اسمرار بشرته من التعرّض لاشعة الشمس.

تلك الليلة، لم يعرف لاري ومارشيا طعم النوم وظلا يتداولان الموضوع حتى بزوغ الفجر. ترى، هل هما في خطر؟ هل يشدّان الرحال؟ لكنهما قررا في النهاية انه لا يعقل ان يظلا في حال تأهب وفرار فينطلقان كلما لاحت امامهما اشارة خطر.

المفاجأة الثانية، حصلت في ابريل (نيسان) من العام ١٩٨٦ عندما نشرت مجلة فيلادلفيا مقالا مطولا عن مؤامرة لافين ضمنته صوراً للاري ولمارشيا. وعندما قرأ رستي المقال لشقيقه عبر الهاتف، قوبل بصمت رهيب في الطرف الثاني.

وخشية ان يطلع أحد في فيرجينيا بيتش على المقال ويتعرّف عليهما من خلال الصور المرافقة له، درس لاري ومارشيا فكرة الانتقال الى مكان جديد.

السمكة في الشبكة

أُقنع كن ويدلر بان تعاونه سوف يكون له تأثير على الحكم الذي سيصدر في حقه، فوافق على المساعدة لايجاد لاري وهو طلب من والدة مارشيا ان تبلغ رسالة الى زوج ابنتها مفادها ان كن مشتاق الى سماع اخبار شريكه القديم. مرّت اسابيع قبل ان يتلقى الجواب وفيه يطلب لاري منه ان يكون في ٨ يونيو (حزيران) الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً في كشك عمومي للهاتف عيّنه له.

رنّ جرس الهاتف ورفع كن السماعة وصرخ مهللا "يو لاري!" وفي الحال استرجع الرجلان الماضي. استمرت المكالمة اكثر من نصف ساعة، فيما المباحث تسترق السمع، وتحدّث الصديقان عن امور شتى: عن اولادهما، وعن اصدقائهما، وعن طب الاسنان والرياضة ووضع كن القانوني (لم تكن صدرت مذكرة الاتهام ضده بعد). ثم حددا موعداً لمكالمة ثانية وطلب لاري من كن ان يبلّغ الى والدة مارشيا ان ثمة رسالة في الطريق اليها.

لم يحصل في حياة كن قط ان ترك حديث في نفسه مثل ذلك التأثير الجميل والسيىء في آن الذي تركه حديثه هذا مع لاري. وهو عندما خرج من كشك الهاتف لفّ بطنه بذراعيه وتقيأ.

كانت المباحث تأمل ان تتمكن من تعقّب المكالمة ولكن كل ما عرفته هو ان المكالمة اجريت من "مكان ما" في شمال ميريلاند.

وبموجب إذن من المحكمة، تمكنت المباحث من اعتراض الرسالة التي بعثت بها مارشيا الى والدتها، وقراءتها. وصفت مارشيا لوالدتها وقائع حفلة عيد مولد ابنها كريستوفر كالآتي: "اصطحبناه مع اعز اصدقائه الى احد محلات البيتزا التي تقدّم العاب فيديو ووسائل ميكانيكية للركوب. وخرج دب وهو يحمل كعكة العيد وغنّى له. وهو فرح كثيراً."

علم بيري ان سلسلة "شوبز" للطعام السريع تستخدم شخصاً في زي دب ويحمل كعك العيد الى المحتفى بهم. ووزعت إدارة الشركة نشرة، تسلمتها من المباحث، على جميع فروعها طالبة اليها مراجعة سجلاتها بحثاً عن قيد لحفلة عيد مولد اقيمت لطفل اسمه كريستوفر.

واسفر التقصي عن ١٠ اطفال او ١١ طفلا يحملون هذا الاسم. غير ان فرع "شوبز" الذي قصدته عائلة لافين افاد انه لا يحتفظ بقيود الحجوزات ويتلفها بانتظام.

تجنّب رجال المباحث حتى تاريخه، الضغط على عائلة لافين لئلا يؤدي ذلك إلى ترويع لاري فيهرب. اخيراً، في شهر ديسمبر (كانون الأول)، بدأوا يمارسون ضغطاً على شقيقه رستي بقولهم له أن القضية سوف تتوسع لتشمل مساشوستس وانه وشقيقته جيل مشمولان بالتحقيق، ولكن إذا قرّر رستي ان يتعاون مع المباحث فذلك قد يعني ان الاتهام لن يطاولهما. وكان رد رستي:

"سوف اعطيكم جوابي لاحقاً."

امضى رستي اسبوعاً مضنياً، ولطالما ردد امام والديه انه يكاد ينهار تحت الضغط. وهو قال: "انني هنا وحدي في المعمعة فيما لاري بعيد لا يفكّر إلا في نفسه. لقد وفّر على نفسه رؤية ابيه وامه يتعذبان. عليّ ان اضع حداً لهذه المعاناة". وفي المكالمات الثلاث التي اجراها مع لاري لاحقاً، كانت المباحث تسترق السمع.

في ذلك الوقت، كان اصبح في الامكان تعقّب المكالمات الخارجية خلال ٢٤ ساعة. وتبيّن ان المكالمات الثلاث التي تلقاها رستي صدرت عن اكشاك عمومية تبعد مسافة نصف ساعة بالسيارة عن "فيرجينيا بيتش" حيث صادف ايضاً وجود فرع لمحلات "شوبز." واثناء استجواب رستي، برزت معلومة اخرى مفيدة شكلت مفتاحاً مهماً لحل اللغز. فلقد تذكّر رستي ان لاري ذكر مرّة ان احد رفاقه في الصيد عميل مباحث متقاعد.

استحصل سيد بيري على اسماء ١٧٠٠ عميل مباحث متقاعدين يقطنون ميريلاند وفيرجينيا وكَرُولينس. بعد ذلك، أوصى على صور فوتوغرافية ملوّنة للاري لافين وحرر كتابا يناشدهم فيه المساعدة على ايجاده منبهاً إلى ان الرجل "تاجر مخدرات كبير" وان هناك معلومات تشير الى انه دفع مالا لشريك له في الجريمة في مقابل قتل زميل لهما يتعامل مع المباحث.

الدفعة الاولى المؤلفة من ١٠٠ رسالة غادرت فيلادلفيا يوم الاثنين الواقع فيه ١٢ مايو (ايار)، اي بعد ثمانية عشر شهراً ونصف شهر من فرار لافين. وأرسلت مغلفات اخرى ايام الثلثاء والاربعاء والخميس.

في صباح ١٥ مايو (ايار)، وكان يوم خميس مشمساً، فتح عميل المباحث الخاص المتقاعد بات اودونيل صندوق البريد متسائلا: ترى ماذا في ذلك المغلّف الذي يحمل طابع بريد فيلادلفيا؟ وعندما فضه ووجد ما في داخله، صُعق. حدّق بالصورة التي حملت اسم "لاري لافين – تاجر مخدرات فار." لم يكن هناك شك. ان الرجل هو صديقه برايان اونيل نفسه. قرأ اودونيل الرسالة مرتين قبل ان يرفع سمّاعة الهاتف ويطلب رقم دائرة نورفولك للمباحث.

في اللحظة التي تقرر فيها مصيره، كان لاري لافين على مسافة ٣٠ كيلومتراً من الساحل الاطلسي. لم يكن ينوي الصيد ذلك الصباح، لكن الطقس كان جميلا، عندما طلب اليه احد اصدقائه مرافقته، ووافق في الحال. قبّل طفليه مودّعاً تاركاً مارشيا في المطبخ تحضّر العشاء.

كان سيد بيري جالساً خلف مكتبه يعدّ قائمة باسماء الدفعة التالية من عملاء المباحث الذين سيوجه إليهم الرسالة التي حضرها، عندما رنّ جرس الهاتف. كانت المكالمة من مكتب نورفولك للمباحث وسمع المتحدث في الطرف الثاني يقول: "لقد وجدنا الرجل المطلوب وهو معروف بأسم برايان اونيل. انه الآن في رحلة صيد سمك وسوف يجدنا في انتظاره عند عودته."

قفز بيري من كرسيه مطلقاً صرخة فرح وابتهاج وطلب من غرفة الإرسال والاستقبال اللاسلكيين ان تتصل بتشك ريد.

في الحال، اتصل تشك ريد بالهاتف بمباحث نورفولك وتحدث معهم في شأن الترتيبات اللازمة لاعتقال لافين. وهو قال محذراً: "انه ماهر جداً وإذا اخطأتموه، فلن تتسنى لكم فرصة ثانية للقبض عليه."

قرابة الرابعة بعد الظهر، كان رصيف حوض السفن في "فيرجينيا بيتش" حيث كان متوقعاً للاري ان يوقف زورقه، يعجّ بعشرين رجل مباحث وهذا العدد هو عملياً مجموع العاملين في فرع المباحث هناك. وحرصاً منهم على الاختلاط بالناس، ارتدوا ملابس غير رسمية وتوزعوا بين الناس الذين منهم من انهمك في تنظيف السمك ومنهم من انصرف الى تناول المثلجات وشراب الفاكهة. وعلى مقربة من الشاطىء، رسا زورق سريع وضع في حال طوارىء خشية ان يلجأ لافين الى الفرار ثانية.

وفيما زورق الصيد الذي يبلغ طوله ثمانية امتار يقترب من منزلق السفن، شاهد لاري بات واقفاً على الرصيف مع رجل وامرأة فدعاهم الى الصعود معاً الى الزورق.

قفز الثلاثة الى الزورق. توجه اودونيل الى دفّة القيادة مباشرة وانتزع المفتاح، فيما جبه العميل الثاني الرجل ذا الشعر الاسود والقميص الرياضي بسؤاله، وهو يريه شارته:



"هل انت لاري لافين؟"

"نعم" اجابه لاري بصوت منخفض.

علم الرجل انها النهاية. وشعر بخدر يسري في جسده تماما كما كان يشعر بعد ليلة يمضيها في تنشق الكوكايين. امسك رجل المباحث بذراع لافين وانحنى صوبه ليبلغه رسالة تخصّه وقال: "تشك ريد يقول لك مرحبا."

نهاية خفيفة نظيفة

جميع من وُجّهت اليهم التهم اما اقروا بذنبهم امام المحكمة او صدرت ضدهم احكام إدانة. بيرنز ولافين باعا مجتمعين اكثر من ١٥٠٠ كيلوغرام من الكوكايين يبلغ ثمنها ١٥٠ مليون دولار على الاقل. صادرت المباحث ٨٣ كيلوغراماً من الكوكايين و١٣ سيارة واستعادت مليوني دولار نقداً بما فيها ١،٤ مليون من لاري لافين. وصادرت ايضاً منزله في "فيرجينيا بيتش" وزورقه. اما بقية املاكه فلقد وضعت مصلحة جباية الضرائب يدها عليها.

يوم الخميس الواقع فيه ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦ مثل لاري لافين ابن الحادية والثلاثين امام المحكمة وكان ممتقع الوجه هزيلا، فيما جلست مارشيا بين الحضور وكانت حاملا للمرة الثالثة.

خاطب القاضي الحضور الذين اكتظّت بهم القاعة قائلا: "انزل الدكتور لاري لافين بمجتمعنا ضرراً فادحاً بتوزيعه سماً فتاكاً. إن جرائمه الفظيعة لا تستأهل رقّة العاطفة ولا التمويه، بل إنها تستحق العقاب."

بعدما اقرّ لاري بذنبه في خمس تهم متصلة بجريمة المخدرات، اصدر القاضي حكماً قضى بسجنه مدة ٣٢ سنة وبتغريمه مبلغ ١٠٠ الف دولار. وفي وقت لاحق من اليوم نفسه واجه تهمة التهرّب من دفع الضرائب ونال حكما قضى بتغريمه ١٤٠ الف دولار وبسجنه ٢٠ سنة بغير انقطاع ينفذها بعد تنفيذ الحكم الأول. وبذلك اصبح مجموع السنوات التي عليه ان يمضيها في السجن ٤٢. ولم يكن يحق له تقديم طلب تخلية في مقابل عهد بعدم الفرار وبالعودة الى السجن عند الاقتضاء، إلا بعد انقضاء ١٧ سنة.

اما ديفيد اكرمان، فلقد تنازل للدولة عن موجودات بقيمة ٤٠٠ الف دولار. وهو تقدّم بطلب - قبل - لخفض مدة العقوبة من ١٥ سنة الى عشر سنين. وهو يتوقع ان يخرج من السجن في السنة ١٩٩١.

ونال كن ويدلر حكما قضى بسجنه ٣٠ شهراً وبتغريمه مبلغ ١٠ آلاف دولار وهو امضى ١٣ شهراً ونصف شهر في السجن واطلق في يونيو (حزيران) ١٩٨٧ ويعمل حالياً في شركة إعلانات.

ويوم تلاوة الحكم عليه، بكى فراني بيرنز وراح ينشج كالطفل ويتوسل الرحمة. وهو نال ١١ سنة سجناً بجريمة المخدرات وخمس سنوات اخرى لأنه حاول ان يخدع المباحث وحنث بوعده. وإذا كان سلوكه جيداً فسوف يحق له التقدم بطلب تخلية في مقابل تعهّد بالعودة الى السجن إذا طلب منه ذلك وبعدم الفرار، بعد عشر سنين ونصف سنة.

اما شقيق لاري رستي وشقيقته جيل فلم تُوجّه اليهما اي تهم.

بعد عمل دؤوب استمر اربع سنوات مُضنية ختم عميلا المباحث تشك ريد وسيد بيري هذه القضية التي انطوت على ملايين الدولارات، كما اشتهيا دائماً ان يختماها: نهاية خفيفة نظيفة، ٨٣ مُدانا ولا فار واحدا!

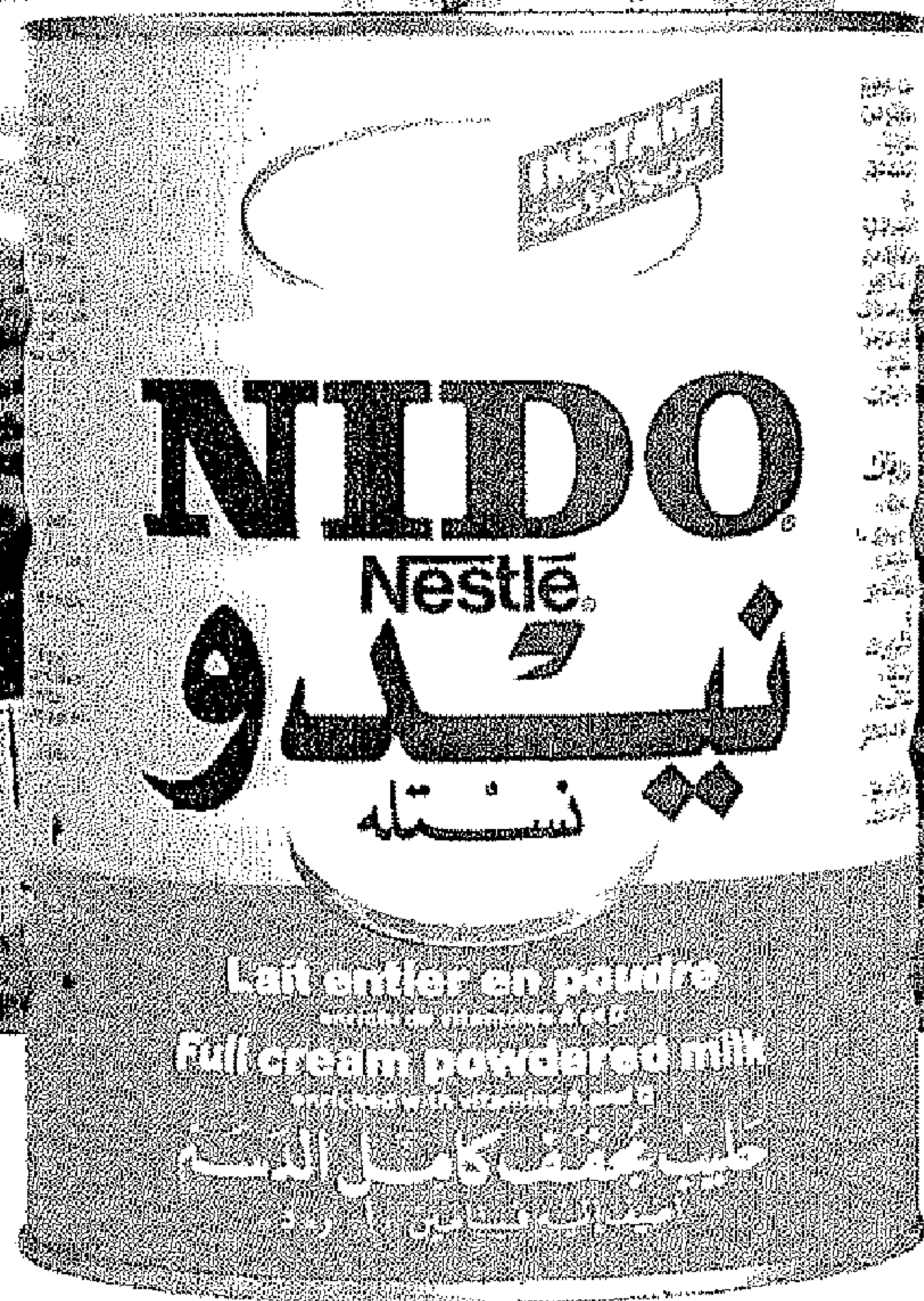
كارول سالين ■



مفارقة!

أما لاحظت قط ان الاشياء الوحيدة التي يحتفظ بها معظمنا للايام الممطرة هي الاحذية الجديدة والنزهات في الهواء الطلق؟

نيدو الحليب الأفضل



نيدو الأفضل طعماً، الأسرعُ ذوباناً، الأضمن نتيجةً والأوسع إنتشاراً.

نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنموّ أولادكُم.

Nestlé

تضمنه نستله



ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨، ربيع الثاني ١٤٠٩

المختار



من ريدرز دايجست

Al MUKHTAR min Reader's Digest December '88 N° 121

اوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

لسنة لعاشرة

لم الأدمغة الالكترونية
(ص ٨٧)

حقائق مذهلة عن الزكام
(ص ٢٢)

كبر سمكة في العالم
(ص ٩٢)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

December 88 N° 121 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية. (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

٢٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
دية ١٠ر - مصر ١٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٦ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٥:

يالها من نكهة غنية ولذيذة !

Carnation®

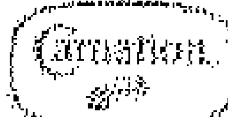
Coffee-mate®

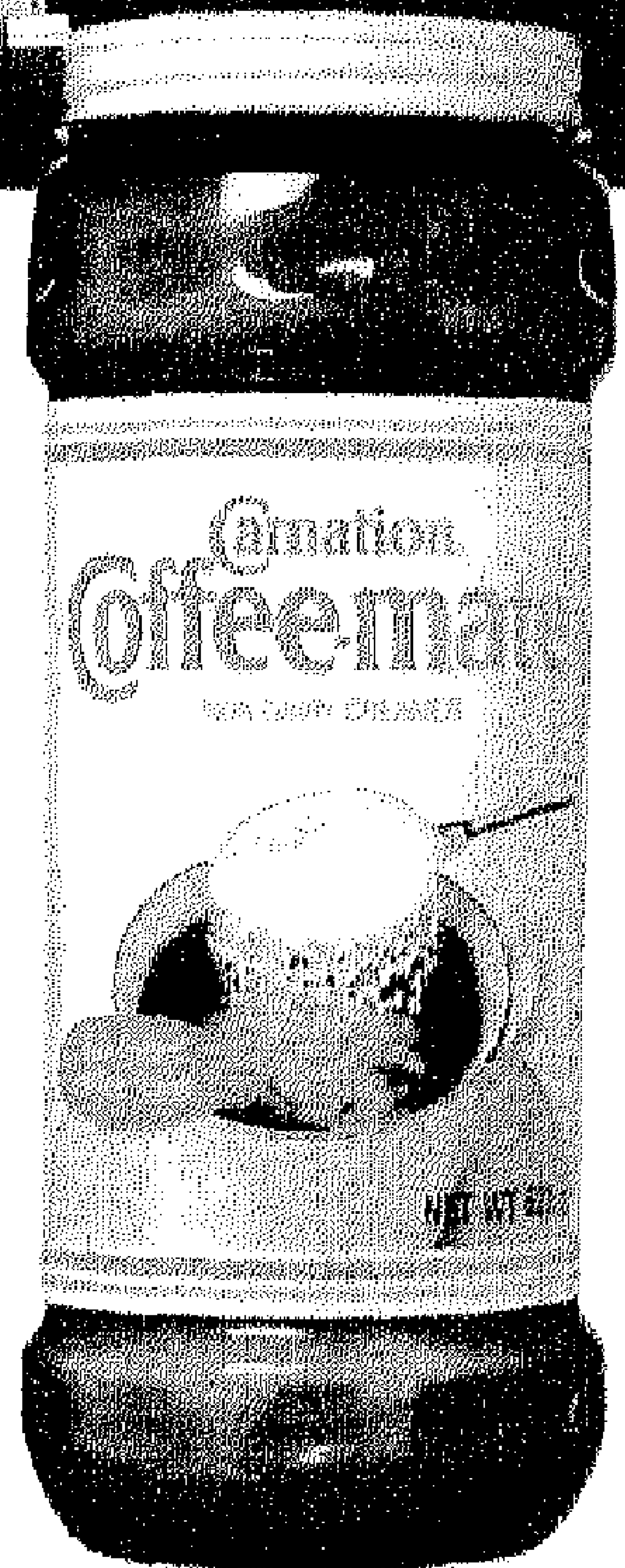
كريمة مُبيِّضة للقهوة

كوفي - ميت يجعل طعم قهوتك سلساً لذيذاً
ويُغنيك عن المواد الدسمة

كارنيشن
كوفي - ميت

يُضيفي إلى قهوتك نكهة غنية

من إنتاج  كارنيشن



في عشر، وبعد عشر...

مع هذا العدد من "المختار"، كنا نود ان نتوقف قليلا لنعرض معا السنين العشر التي انقضت على صدور السلسلة الجديدة من المجلة (ديسمبر/ كانون الاول ١٩٧٨). الا ان ظروف العمل - من بيروت - تكاد تنسينا حتى عمرنا.

بيد ان هذه الظروف، على قساوتها، كانت تحفزنا دائما على المزيد من الاقدام والتضحية، لا بل السخاء في الخدمة، خدمة القراء.

ونود التأكيد، في هذه المناسبة، اننا مجلة ترمي الى التأثير الايجابي في الناس، بصرف النظر عن عقائدهم واديانهم ولغاتهم واعراقهم وانتماءاتهم السياسية ومواقعهم الجغرافية. وان القيم التي تؤمن بها "المختار" وتنشرها هي من النوع الثابت والدائم، في عالم سريع التغيّر. وهي قيم تُدَّخر وتنقل، مثل الارث العائلي - من جيل الى جيل.

ونحن نقود، في هذا الاتجاه، تياراً يقوم على احترام الانسان كفرد، واحترام القيم التي يؤمن بها وفي مقدمها الحرية، ولاسيما حرية الوصول الى المعرفة.

وقد تجلت هذه القيادة في اصرارنا على الموضوعية الحق، وعلى الدقة والتجرد وعلى نشدان الحقيقة وحض الناس على الاجتهاد والتضامن الاجتماعي ونبذ العنف والارهاب والابتعاد عن كل ما هو مؤذ ومنكر مثل "الايدز" والكحول والمخدرات.

ويكاد لا يخلو عدد من "المختار" من مقال واحد عن هذه القضايا. وكلنا يعلم الاخطار التي يشكلها ادمان المواد الضارة على المجتمع العربي ولاسيما على شبابه وشاباته.

ولقد كان دعم القراء لنا في هذا المجال واضحا وثابتا.

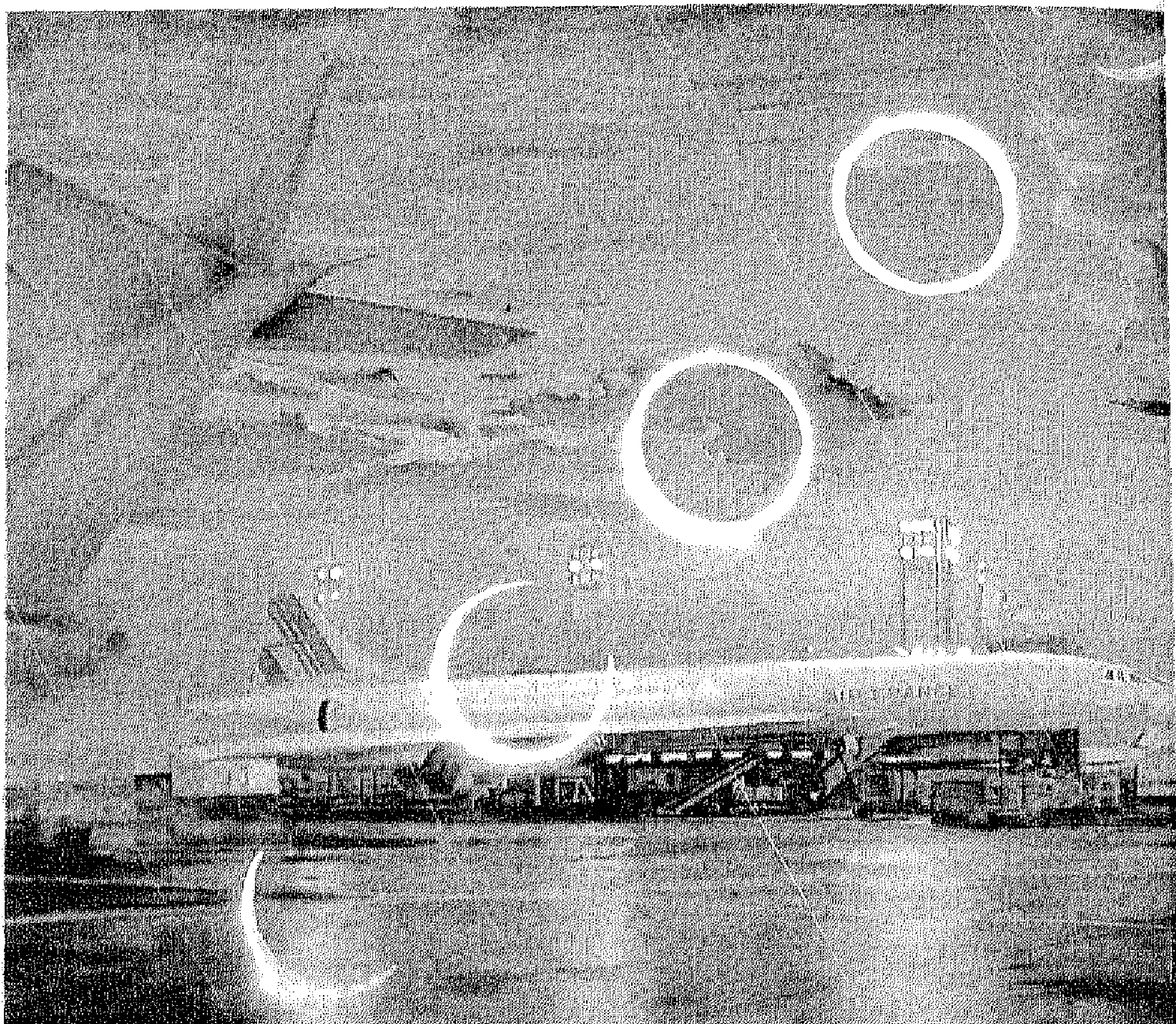
واذ نقدر لقرائنا وفاءهم نعدهم بمضاعفة الجهد في خدمتهم والنضال من اجل القضايا التي تهمهم وتؤثر في حياتهم وفي مستقبل اجيالهم الطالعة.

ووعد الحر دين.

ادمون صعب

لقـــاء الفـــن والسَّـفـــر

بريشـة مونـوري .Monory



F-B. السفر بنظر الفنان الفرنسي مونوري يتضمّن معنىً سحريًا. فحين طلبنا منه ترجمة "لقاء الفن والسفر"، أبدى انبهاره بطائرتنا الكونكورد. بالنسبة اليه تعكس هذه الصورة للانسان الذي يعشق السفر. واذا فقدَ السفر سحره بنظرك ـ فمتد حات الوقت ـر على متن الخطوط الجويّة الفرنسيّة .

أصول الآداب

لماذا يجلس الضيف العزيز الى يمين المضيف؟ ولماذا نتنحى جانباً وندع الشخص الاكبر سناً أو الاعلى مقاماً يعبر الباب أولا؟ إن لذلك أسباباً تاريخية عجيبة



يعتقد كثيرون أننا نعيش في عصر التصرفات الفظة وأن الامور كانت أفضل في العصور السابقة. ومثلا على ذلك يُعرف القرن الثامن عشر في بريطانيا بعهد الدماثة العالية في العلاقات الاجتماعية. فنتوق بحنان الى ضوء الشموع والمجاملات المصطنعة وتقبيل الايادي، رافضين جبه الحقيقة المرة لذلك العصر حيث كانت المبارزات حتى الموت أمراً عادياً وكان الرجال المحترمون يشربون حتى يتعتعهم السكر.

إن العادات تتغير. ففي أيامنا تعتبر النظافة من العادات الحسنة، وتنفق مليارات الدولارات على المستحضرات المراد منها إبقاؤنا نضرين. وخلافاً لذلك كان معظم أطباء القرن الثامن عشر يشمئزون من الاستحمام وكانت مناديل الرأس النسائية الباهظة الثمن مرتعاً للقمل.

إن تغير الآداب على الدوام يجعل من مقاربة هذا الموضوع أمراً صعباً. فإبقاء القبعة على الرأس داخل المنازل لم يكن يعتبر تصرفاً مستهجناً في القرن الثامن عشر. كان المرء ينزعها عن رأسه لتحية سيدة ثم لا يلبث ان يعتمرها ثانية.

أما سبب ذلك فهو في منتهى البساطة: أولا، كانت القبعة عبر التاريخ علامة مميزة لمركز أو رتبة اجتماعية. ثانياً، ليس سهلا أن يشهر المرء سيفه وهو يحمل قبعته في يده.

الحذر خلف الآداب. هناك عبرة في كل ذلك. فالآداب هي، الى حد بعيد، مجرد أدوات للدفاع عن النفس تتناسب

وأعراف عصر معين. وقد تصبح هذه الاعراف رسمية ورمزية بعد آن، لكنها من دون شك نابعة من حاجة عملية معينة. عندما نلتقي أحداً نصافحه عادة باليد اليمنى، وهذا عرف رسمي ليس له اي مدلول رمزي في أيامنا. ولكن في عصر اعتاد فيه الجميع حمل الاسلحة كانت المصافحة ترمز الى السلام وتدل على الرغبة في التحاور من دون سلاح في اليد. فإن ما نعتبره اليوم عادة حسنة كان آنذاك تعبيراً عن "انني لا أضمر لك شراً في هذه اللحظة إن أنت أظهرت نية حسنة مماثلة."

وبالمفهوم ذاته يعتبر المقعد الذي الى يمين المضيف مقعد شرف، وتقول احدى النظريات عن مصدر هذه العادة ان الرجل الذي يستعمل يده اليمنى لا يمكنه طعن مضيفه بسهولة إذا كان جالساً عن يمينه. فالذي كان مكاناً مأموناً لخصم أصبح تدريجاً مقعد شرف لضيف مهم.

وحيثما نظرنا نرى الحذر يكمن خلف الآداب. ففي الايام الخوالي كان المضيف يتذوق الشراب قبل تقديمه للضيوف، ليس لإثبات جودته بل لإثبات أنه غير مسمم. وكان الخادم يصب الشراب من وعاء فضي مصقول لاثبات حسن نية المضيف تجاه الضيوف. إذ كان يعتقد ان الفضة تبطل مفعول السم في الشراب.

لماذا نتنحى جانباً وندع من هو أكبر منا سناً أو أعلى شأناً يمر من الباب أولاً؟ تقول احدى النظريات انه في العصور الوسطى كان من الحكمة أن الرجل الاقوى يترك القلعة أولا لاحتمال تعرضه لهجمات الاعداء المسلحين أو القرويين المتمردين الذين يلوحون بالمناجل والمذاري، وتدريجاً بدأ هذا الوضع يأخذ مكانته في سلم الشرف. فبات الشخص الأهم يعتبر أيضاً الشخص الأقوى، وحتى ان لم يكن كذلك فهو لم يكن لينكره.

احترس من نهر هادىء. الآداب هي وسيلة المجتمع في جعل الامور تسير طبيعياً. فإذا لم "يزيّت" المرء العلاقات كما المحركات فإن الطبائع تثور ويخوض الناس معارك يمكن تفاديها.

والى ذلك فإن حفاظ المرء على تأدبه مهم حتى إذا ما تخلى عنه لحظة عرف الناس أنه جاد في ما يقول أو يفعل. عندما كان الرئيس الامريكي الاسبق دوايت أيزنهاور يغضب ويشتم كان الناس يهربون من أمامه لأنه كان عادة شديد اللطافة والتأدب.

فالناس الذين يتحلون باللياقة واللطف وحسن التصرف ينجحون في معظم المواقف أكثر من الذين لا يتحلون بهذه الصفات. فإن معظم المفاوضات تصبح مستحيلة من دون التأدب، مما يفسر شهرة الديبلوماسيين بكياستهم وحسن تصرفهم. كما أن أفضل المحامين هم الذين يتحلون بالكياسة واللطافة. إحذر الرجل الذي لا يرفع صوته أبداً والذي يعاملك دائماً بكياسة ولطف، إذ انه ربما كان يتحضر لايذائك واستغلال ضعفك.

حكمة سامية. في القرن التاسع عشر كان معظم كبار حملة السلاح في الغرب الامريكي مشهورين بتأدبهم وكياستهم لأنهم كانوا يدركون أنهم إذا تركوا الامور

تفلت من سيطرتهم فإن عليهم شهر السلاح فالقتل. لقد ساعدتهم كياستهم على البقاء أحياء، إذ ان أشهر الرماة كان محتوماً أن يقتلوا وإن ربحوا مئات الجولات. كانوا قليلي الكلام ولكن شديدي التأدب واللطافة عندما يتكلمون، ولقد قيل عن الرامي الشهير وايلد بيل هيكوك انه في اللحظة التي يتوقف فيها عن الابتسام لك فاعتبر نفسك في عداد الاموات. ويروى أن جون وسلي هاردن كان يحاول جاهداً اقناع الناس الذين يريدون افتعال مشكلة معه أن يبتعدوا عنه.

وعلى رغم أن البشر موصوفون بالعنف فـإن معظم الناس يفضلـون تجنب المواجهة. وان تجنب المواجهة هو كل ما تهدف اليه الآداب. فالآداب تمثل انتصار المدنية على البربرية كما تمثل التطبيق العقلاني للمصلحة الذاتية المستنيرة. فالآداب لا تعكس الضعف بل هي دليل حكمة وحصافة.

وفي الختام ليس هناك أي كسب في أن تكون شرساً مع الناس، لا في الامور الصغيرة التي تواجهها في حياتـك اليومية ولا في الامور الاهم والاكبر. فالآداب هي طريقة البشرية في القول: "دعنا لا نتقاتل إلا إذا اضطررنا." وقد لا تكون هنالك حكمة أسمى من هذه، في الديبلوماسية وفي الاعمال وفي الحب والزواج وفي جميع علاقاتنا اليومية.

مايكل كوردا ■



تجنباً للازعاج...

عندما جاء الحرفيون ليهدموا المدخل المسقوف لبيتنا القديم ويبنوا رِواقاً جديداً، كانوا ينقلون عدداً من المعدات الكهربائية التي تحتاج الى مآخذ للتيار من منزلنا. فكان علينا كل صباح ان نفتح لهم الباب لكي يمرروا سلكاً إضافياً من خلال ثقب صندوق البريد، وكانوا لاحقاً في اثناء النهار يطلبون نزع السلك من المأخذ. وفي وقت متقدم من بعد ظهر ذات يوم، قرعوا الباب ليعلمونا أنه يتعين عليهم ان يستأجروا احد الاجهزة الذي لا يُتاح استعماله الا في الساعة السابعة من صبيحة اليوم التالي. وقال احد الرجال: "بودنا يا سيدتي، اذا كنتِ لا تمانعين، ان نترك السلك الكهربائي داخلاً في ثقب علبة البريد خلال هذا الليل حتى لا نضطر الى إيقاظكم عندما نوصل الثقّابة بالقابس الكهربائي في الصباح."

ل.و.

وظِّفوني!

تخرّج شاب في الجامعة وراح يبحث عن عمل. وإذ لم يكترث له أي من أرباب الاعمال خطرت له فكرة: طبع على ٢٥ قميصاً بياناً مفصلا عن سيرته وأرسل القمصان الى مديري ٢٥ شركة مرفقاً كلا منها ببطاقة جاء فيها: "جربوني. أضمن لكم أني أليق بكم."

أ.ن.

حديقة افكار

□ ليس الكمال العلامة الاساسية للعبقرية بل التفرُّد وانتحاء آفاق جديدة.
الكاتب آرثر كوستلر (بريطاني من اصل مجري) (١٨١٣ - ١٨٨٧)

□ شأنان يُجَلّان: الاهتمام الحقيقي بالناس ومعاملتهم بلطف. ولقد اكتشفتُ ان الودّ هو كل شيء في الحياة.

اسحق ب. سنجر
كاتب امريكي من اصل بولوني،
حائز جائزة نوبل للآداب

□ تستطيع ان تشيح عن الواقع بعينيك ولكنك لا تستطيع الهرب من الذكريات.
س.ج.ل.

□ التحدث عن "مجرَّد كلمات" يشبه كثيرا التحدث عن "مجرَّد ديناميت."
ك. ج. دوكاز في "كي ريبورتر"

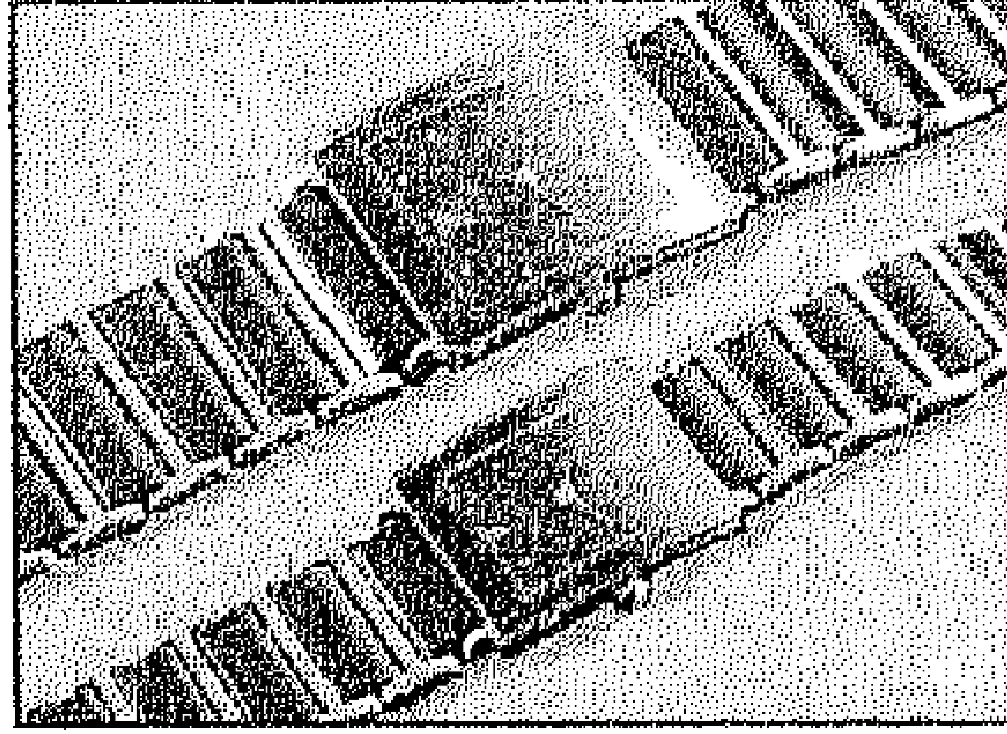
□ عندما تعرض شريط حياتك لا تجد سعادة اكبر من الهناء العائلي.
ج.ب.

□ افضل داعٍ الى ترحيبك بالاحلام هو انه لا داعي الى وجود منطق فيها.
ا.ب.

□ يقتضي فهم الحكمة حكمة، فالموسيقى ليست شأناً مهماً اذا كان الجمهور اصمّ.
والتر ليبمان، ناشر وصحافي وكاتب امريكي (١٨٨٩ - ١٩٧٤)

□ لا تعد الحياة بالسنين فحسب، فالاحداث هي احيانا افضل التقاويم.
بنجامين ديسرايلي، رئيس وزراء بريطاني سابق (١٨٠٤ - ١٨٨١).

الحــــــل المنشـــــــود



تختلف ساعات رادو عن بعضها، وتتميز كل منها بطبيعة خاصة فريدة كما يتميز كل إنسان يرتديها عن غيره من الناس. فلنأخذ مثلاً ساعة دياستار المتكاملة (إنتجرال) المبينة: فليس الجزء العلوي لعلبة صندوقها (محارتها) هو وحده الذي يصمد للخدش ويقاومه، ولكن أيضاً أسورتها المصنوعة من خزف التقنية الفائقة لطيف الملمس. ويتيح التصميم التشريحي العلمي الثوري لها ملاءمة مثالية لمعصم اليد وراحة تامة في الارتداء؛ حيث تعانق الساعة معصم اليد وتعلق به في تكامل رائع كما لو كانت جزءاً منه. ساعة رادو دياستار هي قطعة من الشخصية الذاتية لمرتديها تحتوي على قيمة دائمة وبريق لا يخبو.

RADO
داياستار



المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨ من ريدرز دايجست السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

حصّنوا أولادكمْ ضدّ الكحول والمخدّرات

٧ خطوات تساعدكم على حماية اولادكم من الانزلاق في هاوية المخدرات

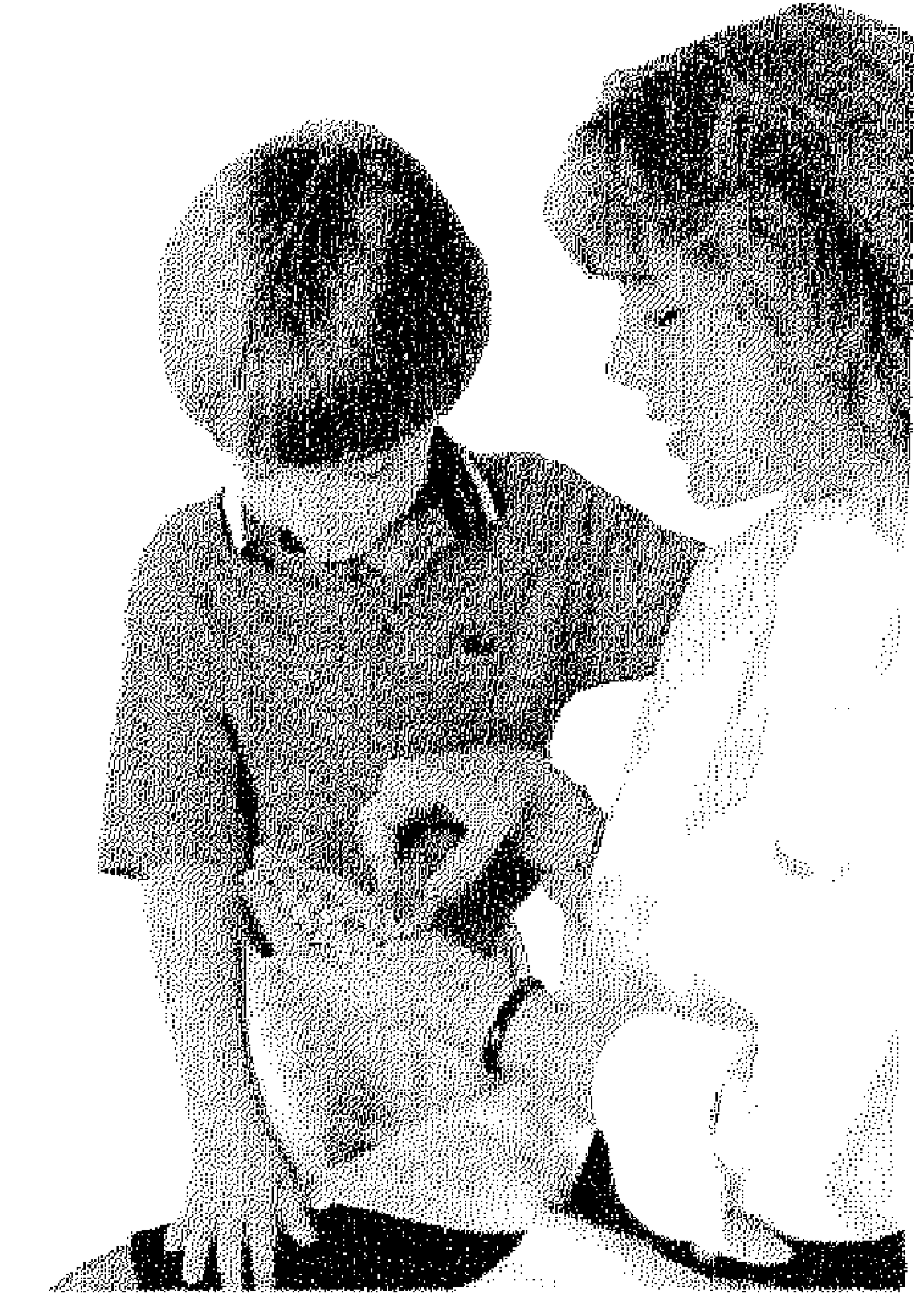
إن تعاطي الشباب للمخدرات هو وحش ماكر قد يزمجر امام كل باب ولكن كثيرين من الاهل يختارون تجاهل وجوده المشؤوم.

ففي احدى مدارس المناطق الغربية الوسطى، في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا، حيث يكثر تعاطي المخدرات، فإن نسبة الاهل الذين اعتقدوا ان اولادهم يدخنون الماريوانا كانت واحدا الى خمسة، بينما الواقع هو ان اكثر من نصف التلاميذ يتعاطون المخدرات واعترف ثلثهم تقريبا بتعاطيهم هذه المادة بانتظام.

ليس كل متعاطي المخدرات اولادا محرومين. قد يكون هؤلاء ابناء اي كان. اسألوا امي وابي عن هذه المسألة.

لقد تعاطيت المخدرات لمدة ست سنوات وكنت دائما تحت تأثير مزيج من المواد التي تشمل الماريوانا والحبوب والكوكايين والهيروبين. وبينما كان من هم في سني يخوضون غمار





الاعمال وينشئون عائلات بعد مضي سنتين على تخرجهم في الجامعة، كنت انا اعيش بين القذارة في زوايا الشوارع.

بعد ذلك، اي عام ١٩٧٤، دخلت "سانيكور" وهو مركز لمعالجة ادمان المخدرات في دنفر بولاية كولورادو. وبعد سنتين من المعالجة القاسية عملت هناك مرشدا. وفي ١٩٨٠ اصبحت رئيس المركز.

على رغم مرور اكثر من خمسة عشر عاما على توقفي عن تعاطي المخدرات، لا يزال كرب تلك الفترة محفورا في ذاكرتي.

ان خبرتي في اعادة تأهيل المدمنين اقنعتني ان في امكان الاهل ابعاد اولادهم عن المشروبات الروحية والمخدرات اذا ما هم أدركوا ما عليهم ان يفعلوا. وهذه سبع خطوات اعتقد ان على الاهل اتباعها:

١ . ثقفوا اولادكم داخل المنزل

بعض الاهل يعتقدون، خطأ، ان في مناقشتهم اولادهم في موضوعي المخدرات والمشروبات تغاضيا عن تعاطيها، فيما يترك البعض الاخر للمدرسة معالجة هذا الشأن. لكن الاولاد لا يحصلون على الحقائق كاملة عن المخدرات. من خلال المناهج المدرسية.

ان موضوعا حاسما يتعلق بصحة اولادكم، كموضوع تعاطي المخدرات، يجب الا يولى كلياً الى الغرباء. فمن تراه يملك تأثيراً واهتماماً اكثر من تأثيركم واهتمامكم باولادكم؟

قبل البدء بتثقيف اولادكم يجب عليكم ان تثقفوا انفسكم باعتمادكم المعلومات الدقيقة والحديثة. ليست هناك طريقة اهل لابعاد الولد عن اهله وافساد صدقية كلامهم، اكثر من تزويده معلومات مغلوطة خصوصاً عندما يكون الولد في سن المراهقة وتكون له بعض الخبرة في تعاطي المخدرات.

ان المعلومات الحديثة ضرورية جداً لان الدراسات الحديثة عن المخدرات تستطيع مناقضة المعتقدات القديمة المسلم بها. مثلا، ان كثيرين من الذين يعملون في الحقل الطبي كانوا يظنون ان الماريوانا غير مؤذية نسبياً ولكن "الجمعية الطبية الامريكية" تقر الان "بأن الماريوانا مخدر خطر وان تعاطيها بانتظام قد ينطوي على مجازفة لدى المراهقين". الى ذلك، فإن منتجي هذا المخدر الحاليين يعملون على انتاج ماريوانا اقوى بعشرين مرة من تلك التي كانت تنتج قبل جيل. والمقالات التي صدرت عن الماريوانا قبل منتصف الثمانينات قد تكون ناقشت موضوع مخدر آخر.

عندما تجمع الحقائق عن هذا الموضوع عليك بعرضها على شريك حياتك. اذا كنتما منفصلين او مطلقين فان مناقشة هذا الموضوع تصبح اكثر أهمية.

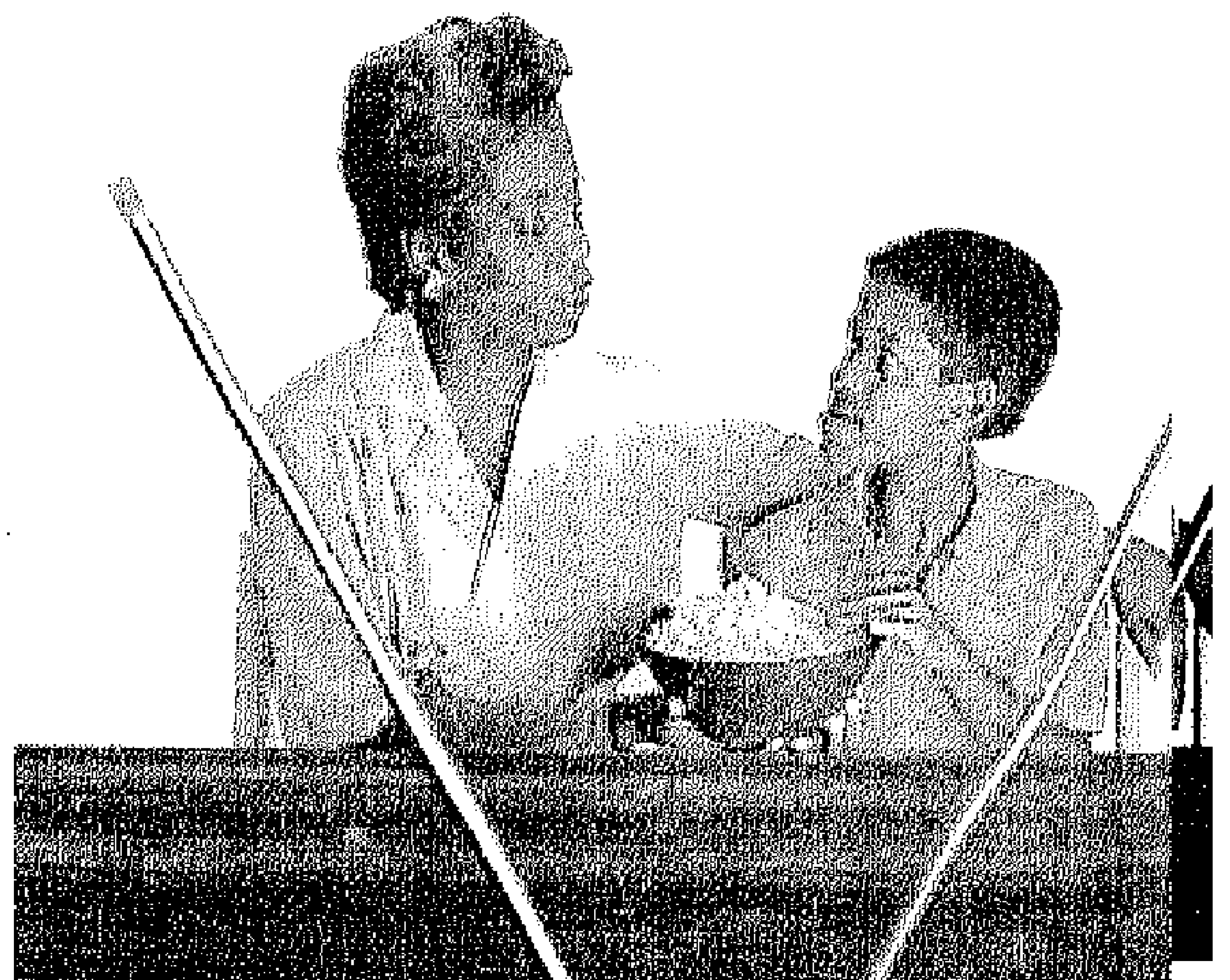
ان اولاد الاهل المنفصلين معرضون اكثر من غيرهم لادمان المخدرات والمشروبات.

ومن افضل الاهتمامات بالاولاد هو ان يتفق الوالدان على موقف واحد ضد المخدرات.

٢ .جسدوا بتصرفكم كل ما تقولون

إن ابلغ عبارة تقولونها لاولادكم، في معرض تعليمهم، هي ما تفعلونه انتم. فاذا ما اعتقد اي منكم ان في وسعه اطلاق العنان لرغباته وتربية اولاد بعيدين عن المخدرات فانما هو مخطىء.

ان التبغ هو اول مادة يتعاطاها الشباب. وهي تجر الى الادمان. لقد كنت ادخن في المناسبات، لسنوات عدة، ولكنني اقلعت عن التدخين يوم وجدت ابني وهو في الثانية من العمر يحاول مص سيجارة سحبها من علبة. لم اجد حافزا اقوى من هذا المثال لاقلع عن عادة التدخين.



يقول "المجلس الوطني الامريكي لادمان المسكرات" "ان افضل ما ينبىء بعادات السكر عند المراهقين هو مبادىء ذويهم وتصرفاتهم." فبعد يوم عمل شاق هل تقول "اني في حاجة الى كأس"؟ قد يعلّم هذا ولدك اسلوباً سيئاً في معالجة الارهاق والقلق. فحياة الاولاد قد تكون مفعمة بالضغط كحياة الراشدين، وهؤلاء الاولاد الذين لا يستطيعون معالجة قلقهم، ينزعون الى الكحول والمخدرات. فاذا سألك ابنك لماذا يشرب بعض الناس اجبه ان الشراب يؤذي الجسد وان بعض الاديان، وخصوصا الاسلام، حرمته ووصفته بانه "رجس".

٣ . عليكم بتعليم اولادكم منذ الصغر

ان توعية الاولاد على اخطار المخدرات يجب ان تبدأ باكراً جداً اي في السن الخامسة وحتى في الرابعة. وكما تقول لولدك ان لمس المدفأة يؤدي الى حرق أصابعه كذلك عليك ان تذكره دائماً بأن المخدرات مؤذية وفي امكانها اهلاكه.

ان في وسع الاطفال ادراك المفاهيم الاساسية حول المخدرات. وستكون تأخرت جداً إذا انتظرت حتى يكبر اولادك لتناقشهم في موضوع المخدرات.

٤ . ابعدوا اولادكم عن المخدرات

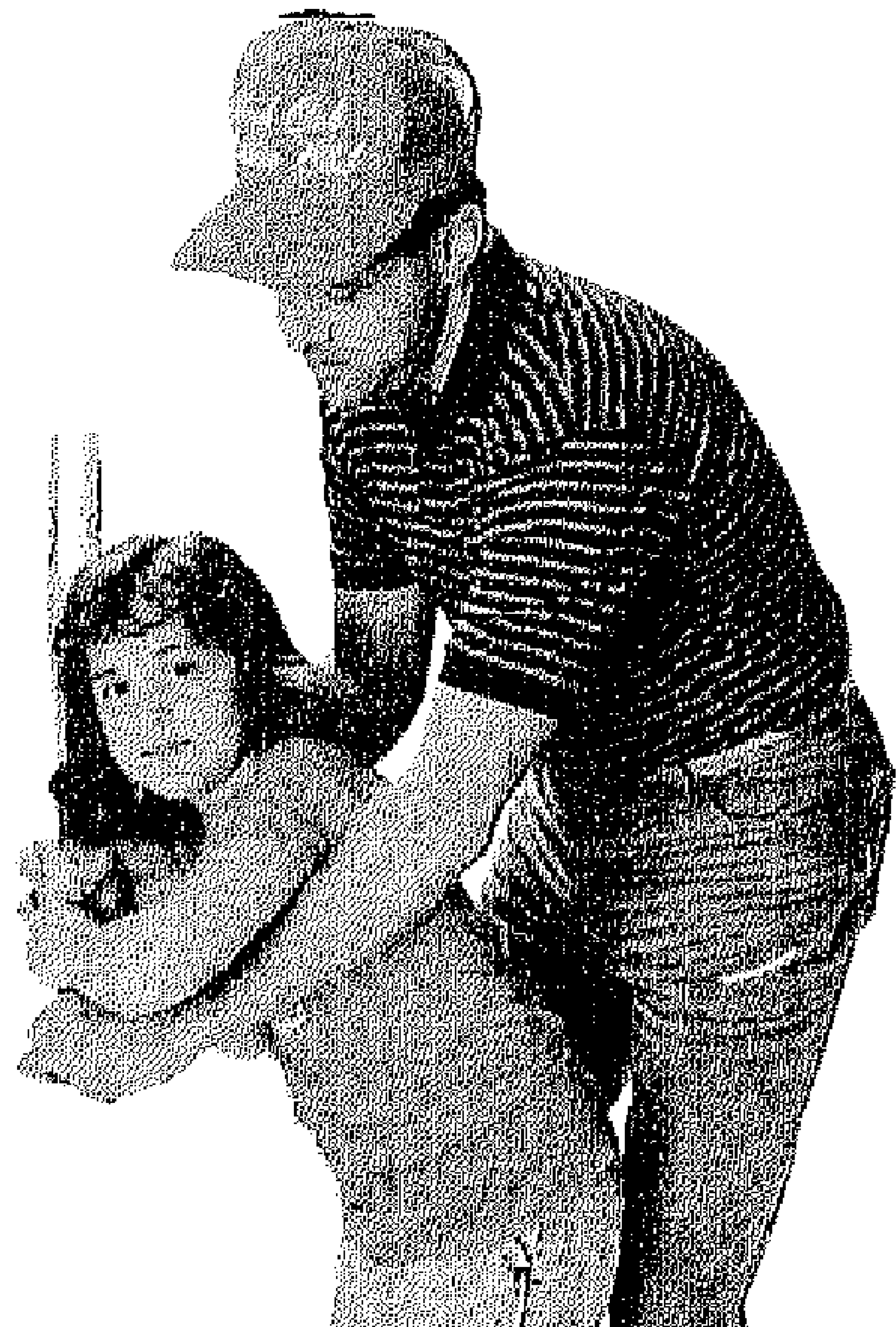
يجب ان تكون حاسماً في موقفك من المخدرات والكحول.

٥ .لا تلقوا محاضرات على اولادكم

عندما تريد ان تتكلم مع اولادك عن

تعاطي المخدرات تطرق الى الموضوع عرضاً اثناء مشاهدتكم التلفاز او اثناء وجودكم معاً في السيارة. لا تكن واعظاً متحمساً، بل دع الحقائق، اي البراهين الدامغة، تتكلم.

عندما كان ولدي في سنه الثامنة حدثته عن الكوكايين فقلت له: "بعض الناس يستعمل المخدرات لتحاشي الاوجاع وهنا لا اعني الاوجاع الجسدية بل ذلك النوع من الالم الذي تشعره في داخلك عندما تكون حزيناً أو مضطرباً. ولسوء الحظ فاننا لا نستطيع دائماً تحاشي الالم. واحياناً يكون الالم مفيداً لنا. وعندما يستعمل الناس المخدر للتخلص من تعاستهم فان مفعول المخدر لا يلبث ان يزول فيعود اليهم الالم. ان المرء يشعر الان بالاسوأ لانه لم يستطع تحديد مشكلته. وإذا تابع استعمال الكوكايين فان المخدر ينخر في جسده كما الفئران في قطعة الجبن فلا يعود المخدر يحجب المه بل يكون استسلم له وعجز عن وقف تعاطيه".



٦ـ قدموا بدائل

قدموا الى اولادكم ما هو "افضل من المخدرات لاسعادهم وملء فراغهم. جربوا الرياضة او الفنون او تربية الحيوانات الداجنة او العمل التطوعي او الاهتمام بالحدائق او المطالعة. فاللائحة طويلة لا تنتهي.

وعلى الاولاد ان يتعرفوا الى الكثير من الاهتمامات في ابكر سن ممكنة.

ان الصغار فضوليون بطبعهم ويتقبلون اي نشاطات يقترحها عليهم اهلهم. فالتمارين الرياضية توفر الكثير من المنافع، ولان الرياضة تحض الدماغ على انتاج مادة "الاندروفين" التي تشبه المورفين وتتغلب على الالم والخوف ـ فإن الاولاد يكتشفون باكراً ان هناك بدائل من المواد الكيميائية التي تخفف هذه الاحاسيس كما انهم يتعلمون دروساً مهمة عن البهجة التي يولدها الانضباط الذاتي، ووضع هدف نصب العينين، وتحقيقه.

وانا اقترح ان تشتروا لاولادكم جهاز "كومبيوتر"، إذا أمكن.

فنحن اشترينا جهازاً رخيصاً لابننا البالغ خمس سنوات ولم نعد نستطيع ابعاده عنه.

ان العاب الفيديو التي يلهو بها على هذا الجهاز، هي العاب تربوية كما هي ألعاب تسلية تتطلب تفاعلا من الولد مع اللعبة، وهذا نقيض التلفاز الذي يستسلم له الاولاد. بالاضافة الى ذلك، فإن الكومبيوتر يصبح، مع الوقت، محوراً لاولادنا واصدقائهم يبقيهم في متناول نظرنا.

٧ . وفروا سبلا لقول "لا"

ولما كانت الاقتراحات تأتي عادة من اصدقاء الاولاد، فإن رفضهم لهذه الاقتراحات يوصمهم بالمنبوذين. اشرحوا لولدكم انكم تتفهمون صعوبة الموقف. قولوا له مثلا: "لا يمكننا التظاهر بأن رفضنا انسياقك مع التيار هو شيء سهل. انه في الحقيقة ليس سهلا لكنه جدير بالاهتمام، فلن تكون، مضطراً الى ان تعيش دائماً مع هؤلاء الاولاد ولكنك مضطر الى ان تعيش مع نفسك".

عندما يكون قول "لا، شكراً" صعباً على الاولاد، فهنالك عبارة اخرى يتقبلها الاولاد عادة وهي: "ان اهلي سيعاقبونني بالحجز طوال حياتي". وافضل من ذلك، فقد يواجه ولدكم ضغط اصدقائه بقوله: "المخدرات مضجرة وانا لا يمكنني ان اصدق انكم تحتاجون اليها على الاطلاق".

ساعدوا طفلكم على اداء دوره. العبوا معه دور الشخص الذي يتملقه لتعاطي المخدرات. اجعلوه يواجهكم تكراراً حتى تصبح ردود فعله طبيعية وواثقة.



على رغم انتشار موجة تعاطي المخدرات بين الشباب في انحاء العالم، فإن للاهل دوراً مهما في الحد من انتشار هذه الآفة الخطرة. ولانه يمكن التأثير بسهولة في الاولاد فإن فرص قولبة آرائهم حول المخدرات والكحول ممتازة. ولكن عليكم التحرك بسرعة قبل ان يستطيع اصدقاؤهم الذين يتعاطون المخدر، التأثير عليهم.

تحركوا قبل حدوث المشكلة فتتفادوا مواجهة حلها.

كين بارون وفيليب باش ■



الازعاج نسبي

لم يكن الجناح الملحق ببيتنا قد اكتمل بعد عندما انتقلنا اليه مع اطفالنا الاربعة. كان بعض معلمي القرميد لا يزالون يُحدثون اصواتاً على السطح، وغيرهم من معلّمي الباطون كانوا في الداخل يفرشون الارض بالاسمنت ويزيّنون الجدران بالجص ويركّبون الادوات الصحية. في الواقع، كانت الفوضى الشاملة تعمّ المكان.

ثم بدأت المدرسة. وعندما هممت بمغادرة المنزل لاجلب طفليّ الصغيرين بعد انتهاء اليوم الاول لدخولهم المدرسة، اوقف احد عمال الباطون الجبّالة لحظة ليقول: "أليس البيت هادئاً من دون الاولاد؟"

د.أ.

مأساة واقعية

وَحيدةً في مجاهل القطبْ

خرجت من البحيرة بسلام فامتدت أمامها سهول قطبية جرداء تخفي موتاً أبيض في كل ناحية



شعرت ليديا ماري باراغان ببهجة وانتعاش. فقبل أربعة أسابيع وصلت الشابة ذات الاربعة والعشرين ربيعاً وخطيبها جان جاك لوفرانك، وهو في الثامنة والعشرين، الى منطقة التخييم النائية شمال غرب كندا على بعد ١٤٠ كيلومتراً من دائرة القطب الشمالي. وها قد أصبح الفرنسيان الشابان جاهزين لاجراء دراسة حول أيل الرنّة تستغرق سنة كاملة.

وقبيل منتصف الليل في الرابع عشر من يوليو (تموز) ١٩٨٧، بينما كانت الشمس لا تزال تسطع فوق الافق القطبي، لمع في السماء برق ناتج من عاصفة كهربائية شرسة. وعند الصباح لاحظا حريقاً في الغابة يتجه مباشرة نحو مخيمهما على ضفة البحيرة.

سبيلهما الوحيد الى الهرب كان في الماء نحو الضفة الجنوبية للبحيرة. وكان جان جاك خبيراً بحياة البراري، وسرعان ما وضع خطة اخلاء تتطلب رحلتين بالزورق عبر البحيرة، فاذا خلّصا المؤن وبعض المعدات أمكنهما انقاذ المشروع.

كانت البحيرة تمتد ١٣ كيلومتراً، وهي

Illustrations: Christopher Magadini



معزولة جداً حتى ان ناصبي الاشراك نادراً ما كانوا يقصدونها. واسوأ من ذلك أن جان جاك وليديا لم يُعلما السلطات الكندية بمكانهما لأنهما لم يكونا اعتمدا موقع المخيم بعد. فإذا حلت بهما كارثة فإن الذئاب وحدها ستشهد عليهما. كلاهما كان يعرف ان القاعدة الاولى للبقاء على قيد الحياة هي الحفاظ على الهدوء.

وبينما هما يوضبان أمتعتهما أخذا يتحدثان عن الاساليب التي تمكنهما من البقاء، فإن أدركتهما النار فسيحاولان الوصول الى مكان آهل بواسطة خريطة وبوصلة وسكين. فهما لا يحتاجان الى أكثر من شغفهما بالحياة وحبهما الواحد للآخر.

في الاولى والنصف بعد الظهر كانا أنهيا بسلام رحلتهما الاولى قاطعين مسافة كيلومترين ونصف كيلومتر عبر البحيرة ناقلين الخيمة الكبيرة والثياب والمزلجة وأحذية الثلج الى مخبأ على الضفة الجنوبية.

وفي رحلتهما الثانية كان زورقهما محملا بالطعام ومعدات التصوير وسكين وكيسي نوم. فجأة عصفت ريح قوية فوق البحيرة فضربت الامواج الزورق الذي يبلغ طوله خمسة امتار. فأخذ جان جاك وليديا يجذفان بضراوة. وفي منتصف الطريق ضربتهما موجة عاتية فانقلب الزورق وسقطا في المياه.

لم يستطيعا اعادة الزورق الى وضعه الصحيح. كانت الامواج تجرهما نحو الجزء الأعرض من البحيرة. ورأى جان جاك أن أملهما الوحيد في النجاة كان في قطع مسافة كيلومتر نحو الضفة الجنوبية.

"اسبحي !" صرخ جان جاك آمراً ليديا بلهجة عسكرية. "اسبحي !"

كانت المياه الباردة تضرب وجه ليديا مجبرة اياها على ابقاء فمها مقفلا. وكان الهواء لاذعاً ومشبعاً بالرماد المتطاير من الحريق في الغابة. وشعرت ليديا بألم حاد ينخر رئتيها وجنبيها، فبدأت تطفو وهي تشعر بالخدر لأن الالم أخذ يتقلص ليتحول شعوراً فاتراً بالخفة. فقالت في نفسها: انني أغرق. انني أغرق.

وبدافع غريزي انقلبت الى وضع عائم وهي تجذف بيديها الخدرتين الواهنتين. وراحت تخاطب نفسها: الزمي الهدوء يا بنية، لا تستسلمي للذعر.

وفجأة تقلب جان جاك خلفها وهو منقطع الانفاس يضرب الماء بعنف جنوني. فاقتربت ليديا منه وحاولت احكام ذراعها حول رقبته والسباحة الى الخلف. لكنه انزلق من قبضتها. وحاولت مرة ثانية من غير جدوى. وبطريقة ما جمعت قواها وتابعت السباحة نحو الضفة.

"بعثة الثلوج". شعرت ليديا بقلبها يرف وبمجاري الهواء في صدرها تحدث حشرجة كلما تنفست. تمددت على حصى الضفة ووجهها نحو الارض وحاولت أن تتذكر الدقائق الاخيرة التي أمضتها في الماء. كيف وصلت الى هنا؟ هل أنا على قيد الحياة؟ ثم نهضت بعد سعال طويل لاخراج الماء من رئتيها المتألمتين. فجأة شعرت بالذعر اذ تذكرت جان جاك، فأخذت تصرخ للبحيرة الخالية المضروبة بالريح. لكن جان جاك لم يكن هناك.

جلست ليديا لساعات من غير ان تأتي

حركة وهي تشاهد النار تشتعل في موقع المخيم على الطرف الآخر من البحيرة، وكانت شمس ليل القطب الشمالي تلمع عبر الدخان. قالت محدثة نفسها: لقد انتهت حياتي.

وفي السادسة من صباح اليوم التالي وقفت ليديا مترنحة. كانت ترتجف وتشعر بالدوار بفعل الجوع. لا طعام لديها ولا سلاح، كانت خائفة من الموت جوعاً، او بين أنياب الذئاب والدببة.

لكن روح جان جاك لم تتركها ابداً، فأخذت تتذكر محاضراته وحبه للحياة والمغامرة. وعزمت على النضال حتى النهاية.

كانت في حاجة الى تخطيط وتفكير. إن أقرب مركز اليها كان "بعثة الثلوج" على الجهة البعيدة من بحيرة كولفيل التي تبعد ١٤٥ كيلومتراً جنوباً.

وللوصول الى البعثة كان عليها اجتياز الغابات الكثيفة والسهول القطبية المليئة بالمستنقعات. فأخذت تشجع نفسها: حافظي على هدوئك ولا تنسي شيئاً.

على بعد حوالى كيلومتر ونصف كيلومتر وجدت مخبأ المؤن الذي أعدته وخطيبها بعد رحلتهما الاولى في البحيرة. كانت الحرارة ترتفع الى ثلاثين درجة مئوية أثناء النهار، لكنها تنخفض الى عشر درجات خلال الليل. لذلك ارتدت ملابس خاصة.

بقيت ساعة يدها وبوصلتها وولاعتها سالمة. ومن المخبأ أخرجت خريطة وطاردة حشرات وعلبتي رز مجفف تزن الواحدة منها ١١٥ غراماً، اضافة الى بعض الصور العائلية. وضعت جميع هذه الاشياء في كيس من النايلون. وبدأت تمشي.

تعب وضياع. على رغم المواد الطاردة للحشرات حامت حول رأس ليديا رفوف من الذباب الاسود والبعوض مخترقة شعرها ومهاجمة عينيها. كانت تسير في محاذاة ضفة البحيرة ضاربة الهواء بيدها. وبعد ساعة كانت تتصبب عرقاً وجلدة رأسها مغطاة بلسعات الحشرات. وكم كانت خيبتها عظيمة حين ادركت أنها كانت تسير في الاتجاه الخاطىء.

عادت الى المخبأ. وقبل انطلاقها مجدداً دهنت جلدها بمزيد من طارد الحشرات وخلعت عنها كنزتها.

وفي فترة ما بعد الظهر كانت تتقدم كعمياء. وأخيراً ارتمت تحت شجرة وأفرغت كيس النايلون ووضعته على جسدها المتعب ليحميها من الذباب والبعوض. كانت تحتاج الى الراحة واعادة السيطرة على نفسها لتتمكن من ابعاد شبح الخوف.

خلال ساعات من النوم المضطرب حلمت ليديا بخطيبها وأحست بوجوده. سمعته يقول لها: "لا تقفي هنا. اتبعي المخطط".

تابعت ليديا طريقها المرسومة فوصلت الى ممر يبلغ عرضه ستة أمتار كان أنشىء للتنقيب عن المعادن، وقد حُفر في الارض الجليدية بواسطة آلات ضخمة خلال الشتاء القطبي. وبما ان الفصل كان صيفاً تعين على ليديا أن تواجه بحيرة سدَّت الممر. كان عليها الانعطاف الى طريق جانبية.

لم تستطع ليديا الحفاظ على مسار مستقيم بين الآجام الكثيفة. فكانت تضيع طريقها باستمرار وتقف حائرة أمام البوصلة والخريطة. وفي نهاية اليوم الاول كانت قطعت، على الخريطة، أقل من ثمانية كيلومترات خلال عشر ساعات.

عندما انخفضت درجة الحرارة في المساء خفّت أسراب الذباب والبعوض. فأشعلت ليديا ناراً وتناولت حفنة من الرز. وللمرة الاولى لاح لها أمل بالحياة.

مستنقعات وأنهار. في الثالثة من فجر اليوم التالي نهضت ليديا لتسير ثانية تحت نور الشمس الرمادي. فبقاؤها على قيد الحياة يتوقف على ثباتها، وعليها أن تقيس كل خطوة.

قادها الممر الى جدول عريض. لم تعد قادرة على المخاطرة بالانحراف والالتفاف حول الاشياء التي تعيق تقدمها. فخلعت ثيابها ووضعت كيس مقتنياتها فوق رأسها ومشت في المياه الباردة التي غمرتها حتى رقبتها. وبعد دقائق خرجت مرتعدة الفرائص. وبعدما استدفأت بنار ضئيلة وارتدت ثيابها، تابعت طريقها بثقة وقوة متناميتين.

وعلى رغم ذلك فانها أدركت أن ثباتها لن يستمر طويلا. فهي تخصصت بعلم الاحياء، وعملت مدربة في التربية البدنية في فرنسا. كانت تدرك تماماً حاجات الجسد الغذائية. وعلبتا الرز في حوزتها تحتويان على وجبتين عاديتين وليس اكثر.

تابعت ليديا طريقها وهي تأكل التوت المر الفج مؤجلة حفنات الرز الى محطات مختلفة على الخريطة. وكانت تشرب الماء لتسد جوعها. وعندما كانت الحشرات تغمرها كانت تبحث عن ملجأ داخل كيس النايلون.

كانت الارض تتطلب تركيزها الكامل.



فعليها تجنب المستنقعات حيث تغور قدماها حتى الكاحلين في رواسب الطين المتجلد. وكانت تقطع الانهار والبرك سنتيمترا سنتيمترا.

ثم كانت هناك الوحوش الضارية. وصادفت ليديا دبا وقف يتفرس فيها على بعد ستة أمتار. فقالت في نفسها: لا تتحركي. لا تسمحي لعينيك بأن تطرفا. تشمم الدب الهواء ثم خفض جسمه وابتعد عنها، متمهلا. لقد انقذها هدوؤها.

سارت ليديا عدة أيام جاهدة في الحفاظ على طريقها نحو الجنوب الشرقي. وكانت تحسب تأشيرات البوصلة الصعبة وتعيد الحساب. فتبين لها أنها ستبلغ بحيرة أوبري على بعد ١٦ كيلومترا وخلف تلك البحيرة على بعد ١٦ كيلومتراً أخرى، تقع بحيرة كولفيل، وعليها ان تسير من هناك، بعد دورانها حول مستنقع كثيف على ضفة البحيرة، مسافة ٤٠ كيلومتراً لتصل الى الارسالية. وكانت قدماها تقرحتا ولم يبق لديها سوى قليل من الطعام. فأحست بأن جهودها لن تجدي. لكنها اندفعت متابعة سيرها.

حلم أم حقيقة؟ وقفت ليديا على نتوء صخري فرأت أمامها الغور العظيم لبحيرة أوبري، فدبت فيها الحماسة. كانت على بعد ١٦ كيلومتراً فقط من بحيرة كولفيل.

وصبيحة اليوم التالي، وصلت الى ما بدا كأنه ضفة كولفيل. فشعرت بالنشاط وبدأت تسير في محاذاة الضفة الصخرية.

لكن دفق الحيوية ما لبث أن خمد. وهجم البعوض والذباب وارتفعت الحرارة الى درجة لا تحتمل فاضطرت ليديا الى التوقف مراراً للشرب ودهن جسمها بطارد الحشرات. كانت تتعثر فوق الحصى بسبب قدميها الداميتين، وبعد وقت خرَّت على ركبتيها مصدومة. لقد أشارت



البوصلة الى أن عليها التوجه ثانية نحو الشمال. وبعدما تفحصت الخريطة بيدين مرتجفتين أدركت أنها أخطأت في ظنها أن خليجاً من بحيرة أوبري هو بحيرة كولفيل. لقد كانت تسير في الاتجاه الخاطىء.

لجأت ليديا الى كيس النايلون. ومع أنها كانت متعبة ومرهقة فانها لم تستطع النوم. فتأملت صورة فوتوغرافية لأمها وأصحابها وتساءلت هل ستراهم ثانية.

وفي صبيحة اليوم التالي، ٢١ يوليو (تموز)، أعادت ليديا رسم خطواتها وهي تشعر بالدوار. تناولت بعض التوت الفج ومشت لساعات حتى وصلت الى بحيرة كولفيل.

توقفت لتعالج جروح قدميها. وكان التوت أربك معدتها فانهارت قواها وأغمضت عينيها. انهضي! قالت لنفسها وهي تفكر في خطيبها. امشي!

لاح لها كوخ خشبي فظنت انها في حلم. ثم أدركت أنه حقيقة. كان الباب غير مقفل فدخلت وجلست بذهول. كانت مشرفة على الانهيار وتكاد تعجز عن جر قدميها المتورمتين.

ذئب في الباب. اكتشفت ليديا في الكوخ خليطاً لتحضير فطيرة محلاة، كما وجدت رزاً وشاياً. وبعينين دامعتين حضرت أول وجبة طعام منذ أسبوع. بعد ذلك نامت مدة عشرين ساعة بلا حراك. ولما استيقظت رأت ذئباً يقف في الخارج كأنه ينتظر. وهو ظهر قرب الكوخ لمدة أربعة أيام متتالية.

وبعد ظهر ٢٦ يوليو (تموز) اختفى الذئب. فتركت ليديا رسالة لاصحاب الكوخ وجهزت نفسها لمتابعة رحلتها.

فجأة سمعت صوت محرك آتياً من البحيرة.

كان جين ماري اودزي يصطاد البط هناك، فساعد المرأة الناحلة على الصعود الى مركبه. وهو صعق لمرآها إذ لم يسبق أن أتى أحد وحيداً وسيراً الى كوخ والده.

أسرع اودزي عائداً الى بعثة الثلوج التي تبعد ٣٢ كيلومتراً عبر البحيرة. لقد قطعت المرأة ما يزيد على ١١٠ كيلومترات عبر الاراضي القطبية.

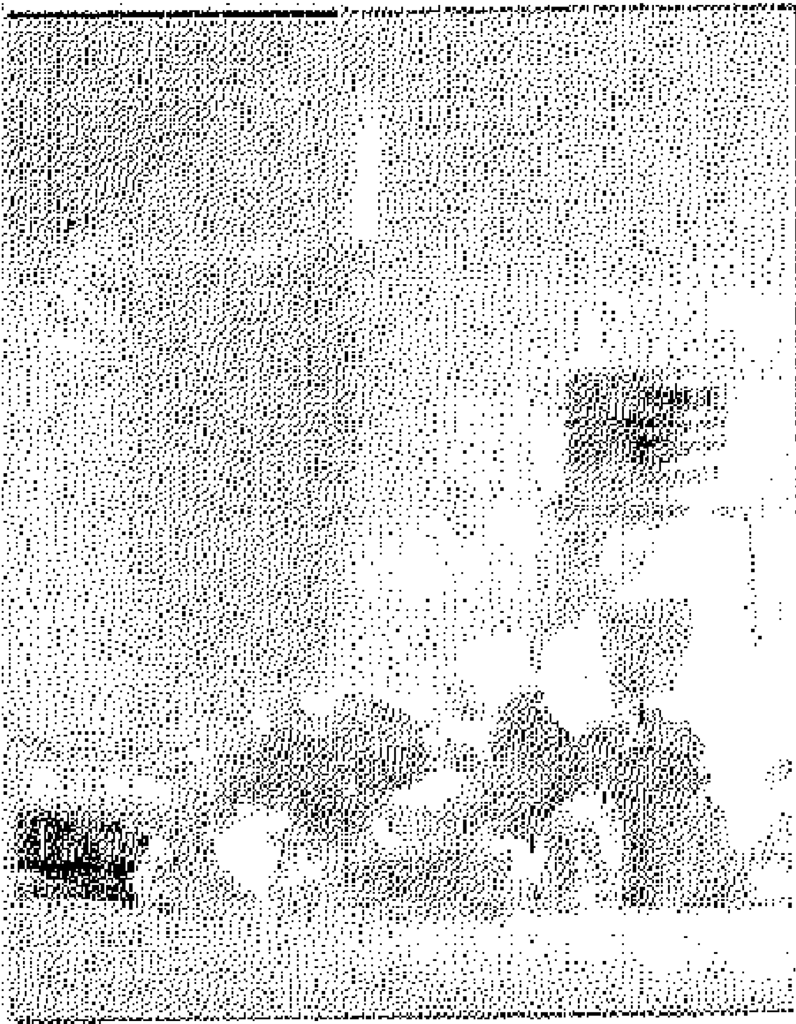
صبيحة اليوم التالي أرشدت ليديا طوافة للشرطة الملكية الكندية الى البحيرة حيث انتشلت جثة جان جاك. وفي ركام المخيم وجدت أفلاما تحوي صوراً من أيامها الاخيرة مع جان جاك.

اليوم تقطن ليديا في جبال بيرينيه الفرنسية. ولا تزال ذكرياتها حول رحلتها القطبية حية، إذ هناك تعلمت الشجاعة البشرية والقدرة على التكيف وقيمة الحياة. وسيبقى عزمها مصدر الهام للآخرين، تماماً كما كان تصميم جان جاك مصدر الهام لها.

شلدون كيلي ■

قالت المرأة لصديقها: "علاقتي بزوجي ذات طابع سحري – فكلما سألته ان يفعل شيئاً ما يختفي."

هـ.س.





حقائق مدهشة عن الزكام





تصاب بالزكام فتشعر بالتعاسة. وفيما أنت تسعل وتعطس وتنشق تعنف نفسك لاهمالك ارتداء معطفك البارحة وعدم تناولك كميات الفيتامينات الضرورية يومياً خلال الاسابيع القليلة الماضية. وتقلق لعلمك أن العدوى ستنتقل بالتأكيد الى جميع أفراد العائلة.

وربما كنت على خطأ في قلقك. فلدى معظم الناس أفكار خاطئة عن أسباب الزكام وانتشاره وطرق تجنبه والشفاء منه. والى وقت قريب لم تكن هناك الا معلومات قليلة عن طريقة ضبط مرضنا المعدي الرقم واحد. لكن ذلك آخذ الآن في التغير. فأين هي الحقيقة من الخيال؟





"ارتدِ ثياباً دافئة والا أصبت بالزكام."

تطلق الامهات في العالم كله هذا التحذير لاولادهن، لكن الباحثين أثبتوا





(الى اليسار) تغرغر بماء مالح فاتر أو مصّ قطع حلوى قاسية لتخفيف الالم في الحنجرة. استعمل محارم ورق وتخلص منها حالا. اغسل يديك تكراراً. (الى اليمين) في امكان فيروسات الزكام أن تعيش على يديك، لذلك تجنب فرك عينيك أو انفك. نظف الادوات المنزلية الملوثة، مثل الهاتف. التقاط الزكام بالمصافحة اكثر احتمالا من التقاطه بالتقبيل.

أنهن على خطأ. فقد جرى تلقيح عدد من المتطوعين الصحيحي الاجسام، منهم بالثياب الكاملة وآخرون بالثياب التحتية فقط، بلقاح ضد فيروس الزكام، وعُرّضوا للبرد القارس بضع ساعات. فلم يظهر بين الفريقين أي اختلاف في عدد الاصابات بالزكام أو حدتها.

من الثابت أن اصابات الزكام هي أكثر شيوعاً في الخريف وفي الشتاء. ولكن لا صلة لذلك بالطقس البارد والرطب – لا صلة مباشرة على الاقل. فالاولاد هم الفئة الاكثر حملا لفيروسات الزكام، وهم يعودون في الخريف الى مدارسهم. وفي الشتاء يقبع الناس داخل بيوتهم مما يتيح لهم تلامساً جسدياً أوثق يساعد على انتشار الزكام.

"كنت أعاني ارهاقاً فائقاً."

ربما كنت على حق، اذ ان أناساً كثيرين يصابون بالزكام حين يساورهم القلق من شيء ما. فالعلماء في وحدة أبحاث الزكام في بريطانيا أجروا على متطوعين في صحتهم التامة، اختبارات نفسانية لقياس مستويات الاجهاد، ومن ثم حقنوهم فيروس الزكام. فتبين أن فريق الاجهاد المرتفع المصنّف انطوائياً كانت اصاباته أكثر وأسوأ من فريق الاجهاد المنخفض المدعو انفتاحياً.

"ان مكيف الهواء أضرَّ بي."

كثيرون من الناس يعتقدون أن تكييف الهواء يزيد استعدادهم لالتقاط الزكام – مرة ثانية بسبب عامل التبريد. انما المذنب الحقيقي قد يكون رطوبة الهواء المكيّف المتدنية نسبياً. ففي دراسة في كندا أفيد أن التغيب في المدارس حيث الرطوبة مرتفعة نسبياً كان أقل بنسبة ٤٠ في المئة منه في المدارس حيث الرطوبة متدنية نسبياً.

ساد الاعتقاد طويلا لدى كثيرين من الاطباء أن الزكام ينتشر حين يتنشق الناس الاصحاء جسيمات الفيروس التي ينفثها المزكومون بالسعال أو بالعطس. ولكن في السنوات القليلة الفائتة أجرى الطبيبان جاك غوالتني وج. أوين هندلي أستاذا الطب الداخلي وطب الاطفال في كلية الطب بجامعة فرجينيا في شارلوتسفيل، تجارب تدل على أن المتطوعين الاصحاء منوا باصابات قليلة جداً بالزكام لدى تعرّضهم للسعال والعطس. وأثبتت أبحاثهم أن التلامس باليدين هو وسيلة رئيسية لنقل العدوى.

اكتشف الطبيبان غوالتني وهندلي أن في امكان فيروسات الزكام أن تعيش لمدة ساعة في محرمة من القماش وساعتين على اليدين ونحو ٧٢ ساعة على سطوح الاجسام القاسية. حين يتمخّط المصابون بالزكام ينقلون جسيمات الفيروس الحية الى أيديهم. وقد ينتقل الفيروس على السطوح التي يلامسونها من أجهزة الهاتف الى مقابض الابواب. عندئذ يلتقط الناس الاصحاء الفيروس بواسطة أيديهم وينقلون العدوى الى أجهزتهم بلمس أنوفهم وأعينهم.

أما التقبيل فنادراً ما يتسبب في انتشار الزكام لان كثافة فيروسات الزكام منخفضة جداً في اللعاب.

يقول الباحثون ان العوامل الاكثر

أهمية التي تحمي الناس من التقاط الزكام ونشره هي التهوئة الجيدة واحتفاظ الشخص بصحة جيدة دائماً. ومن توصياتهم: اغسل يديك تكراراً بالصابون والماء، وبين الغسلة والاخرى أبعد يديك عن أنفك وعينيك. استعمل محارم ورق للوجه بدلا من محارم القماش.

ولكن ماذا عن تناول الفيتامين "ج" (C) لتجنّب الاصابة بالزكام؟ تستمر المناقشة في هذا الموضوع محتدمة. فبعض الدراسات يدل على أن الفيتامين قد يقصّر مدة الزكام وشدته. لكن الدكتور غوالتني يجادل قائلا: "ان البرهان العلمي لا يؤكد فاعلية الفيتامين "ج" في منع التقاط الزكام."

ليس هناك علاج بعد للزكام، لا دواء سحرياً يخلص الجسم من فيروسه مثلما تقضي المضادات الحيوية (انتيبيوتيك) على الجراثيم. لذلك يبقى الهدف من علاج الزكام تخفيف أعراضه حتى يتوصل الجسم الى الشفاء الذاتي بعد أسبوع أو نحوه.

يقول الدكتور ديفيد سوبيل رئيس قسم الطب الوقائي في مركز "كايزر برمانينت" الصحي في سان هوزيه بكاليفورنيا: "ان الناس الاصحاء عموماً لا يحتاجون بالضرورة الى زيارة طبيب. لكن المسنين الذين يتجاوزون السبعين والاولاد دون العاشرة والحوامل والمرضعات ومرضى القلب والربو والذين يعانون مشاكل صحية خطيرة، يجب أن يبحثوا في شؤون أمراضهم مع أطبائهم قبل تناولهم أدوية لمعالجة الزكام في البيت."

وبالتشاور مع المراكز الطبية الرئيسية وضع الدكتور سوبيل وباحثو قسم التوعية الصحية في "كايزر برمانينت" دليلا ذاتياً للعناية ضد الزكام. وهنا نصائحهم:

- تمتع بكثير من الراحة وتناول طعاماً متوازناً لتجنب المضاعفات.
- تناول مزيداً من السوائل لانها تخفف ألم الحنجرة وتساعد على ازالة الاحتقان في الانف بتعجيل مرور المخاط، كما انها تعوض السوائل التي يفقدها الجسم بسبب الحمى.
- توقف عن التدخين لانه يزيد تهيج مجاري الانف.

وفي ما يأتي نصائح اضافية من خبراء آخرين بهدف تخفيف أعراض الزكام المختلفة:

احتقان الانف. لتخفيف انسداد الانف جرب رذاذاً أو قطرات للانف تحتوي على مقلّص للاوعية الدموعية مثل "بزودو افدرين" وهو مزيل للاحتقان يسوَّق بأسماء تجارية مختلفة. ويجدر بك الانتباه الى أن هذه الادوية قد تسبب "رد فعل" يولد احتقاناً إضافياً اذا تناولتها لمدة تتجاوز ثلاثة أيام.

ألم الحنجرة. تغرغر بماء فيه ملح مذاب بمعدل ملعقة صغيرة في الكوب، أو مصّ حبة سكاكر أو قرصاً من الحلوى الطبية. فبعض أقراص الحلوى التي تباع من دون وصفة طبية تحتوي على مادة مخدرة خفيفة تخدّر الحنجرة وتخفف ألم الابتلاع. استشر طبيباً اذا شعرت بضيق لدى الابتلاع. فاذا كنت تعاني ألما في

الحنجرة وحرارتك تتجاوز ٣٨ درجة مئوية ولا دليل على اصابتك بالزكام، فقد تكون حنجرتك مصابة بالمكوّر العقدي (ستربتوكوكس).

آلام الرأس والجسم والحمى. تندر هذه الاعراض في الراشدين الذين يعانون الزكام، لكنها شائعة لدى الاولاد والمصابين بالانفلونزا من جميع الاعمار. في امكان معظم الراشدين تناول حبتين من الاسبيرين العادي أو الـ"أسيتامينوفين" كل أربع ساعات (كل ثلاث ساعات في حال الحمى). أما المصابون الذين لم يتجاوزوا السن الثامنة عشرة فلا يجوز تناولهم الاسبيرين للزكام والانفلونزا أو لاصابات فيروسية أخرى بسبب علاقة ما بداء "راي"(★) وهو علة مميتة نادرة تصيب الدماغ والكبد، ويعطى الاولاد العقار "أسيتامينوفين" كبديل.

وبما ان الحمى قد تسبّب التجفاف، أي استنزاف ماء الجسم، تذكر للمرة الثانية أن تتناول كميات كبيرة من السوائل - بين ٦ و٨ اكواب يومياً على الاقل. اطلب مساعدة طبية اذا استمرت الحمى اكثر من ثلاثة أيام او اذا عادت فجأة بعد زوال الزكام.

السعال. ان السعال "المثمر" يفرز مخاطاً فيما السعال الجاف لا يفرز المخاط. لذلك حاول تحمّل السعال المثمر لأنه يزيل المخاط الزائد من مجاري التنفس. فاذا حرمك السعال النوم، جرب دواء مخمداً للسعال مثل "ديكستروميتورفان" المتوافر بأسماء تجارية كثيرة تباع من دون حاجة الى وصفة. لا تتوان في طلب المساعدة الطبية اذا أفرز السعال المثمر بصاقاً أخضر أو أسمر أو ممزوجاً بالدم. فاذا دام السعال أكثر من ثلاثة أسابيع أو كان مصحوباً بحمى أو بقشعريرة باردة وآلام حادة في الصدر وصفير أو ضيق في التنفس، فهذه علامات محتملة لامراض خطيرة كذات الرئة والالتهاب الشعبي والربو.

وأخيراً، حين تكون طريح الفراش تعيساً، حاول أن تجد عزاء في أن كل زكام جديد ينمّي مناعة جسمك ضد ذلك الفيروس الخاص ومناعة جزئية ضد الفيروسات الوثيقة الصلة به. وفيما يتقدم الناس في العمر تقل اصاباتهم بالزكام وتصبح أقل حدة. ربما كان في هذا قليل من العزاء، ولكن تشجّع، اذ ان كل زكام يجعل التقاط المرض لاحقاً أقل احتمالا وربما أخف وطأة.

مايكل كاستلمان ■

(★) Reye's Syndrome



امين الصندوق (محدّقاً الى بطاقة الاعتماد): "يا للعجب، اعرف انساناً له اسم كاسمك بالتمام."

الزبون: "حقاً؟ من هو؟"

ج.د.

الضحك خير دواء

الولد سر... امه

كان ابني يقدم طلباً الى احدى الكليات الجامعية. وسألني ان اساعده على ملء طلب نموذجي. كان عليه ان يذكر ثلاث صفات تجعل منه شخصاً مميزاً، وثلاثاً اخرى تجعل منه طالباً مميزاً.
فاوحيت اليه انه قد يكون لامعاً، لطيفاً، متفائلا، خدوماً، مجتهداً، اميناً، واضحاً، محباً للاستطلاع، بارعاً، ثقة، ودوداً... فقال: "هذا يكفي، وشكرا على هذه المجموعة."
واستكشفت الطلب على الآلة الكاتبة في ما بعد فوجدت ان ابني اختار ست صفات من تلك التي ذكرتها له، لكنه وضع اشارة بعد الصفة الاخيرة. فاختلست النظر الى اسفل الصفحة وقرأت الحاشية الآتية: "لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بوالدتي على الرقم ٣٣٩٧ - ٥٥٥"

ف.أ.س.

عندما ينسى الممثل دوره

كان دوري الاول في مسرحية الثانوية، وقد اعترتني عصبية شديدة وانا اعتلي الخشبة. كان عليّ ان امثل دور زوج غيور يُفترض فيه انّ يلتقط عن الارض ساعة إنذار ويتفرّس بضغينة في مينائها فيما هو ينفث تعليقاته الفظّة. لسوء الحظ، عندما مددت يدي لالتقط الساعة نسيت نصي التالي، حينئذ تيقنت انني ارنو الى قفا الساعة. وفيما راح ذهني يجهد بائساً لتذكّر الحوار، صرخ واحد من الجمهور فجأة: "اذاً، اخبرنا اين صُنِعت هذه الساعة."

د.ل.

ضمان او... غسل صحون!

انتهت سيدة من تناول الغداء في مطعم فاخر، ولما همت بدفع الفاتورة لاحظت انها نسيت حقيبة يدها في البيت، فاعتذرت الى صاحب المطعم. فقال لها بهدوء: "لا عليك، فانت صادقة، ولكن حتى لا انسى الامر، ينبغي لي ان اكتب اسمك على هذا اللوح الاسود وبجانبه المبلغ الذي تدينين لي به."
فاحتجت المرأة: "ولكن سيرى الجميع اسمي، الامر الذي يحرجني كثيراً."
- لا تخافي، لن يرى احد اسمك لان معطف الفرو الذي ترتدينه سيغطي اللوح!

ج.إ.ك.

لا مفر منها

قالت المرأة لزوجها: "اذا كانت امي ستأتي للعيش معنا فاني اخشى ان نضطر الى الانتقال الى بيت اوسع." فرد الزوج: "لن يفيد انتقالنا شيئاً، فهي ستعثر علينا عاجلا ام آجلا!"

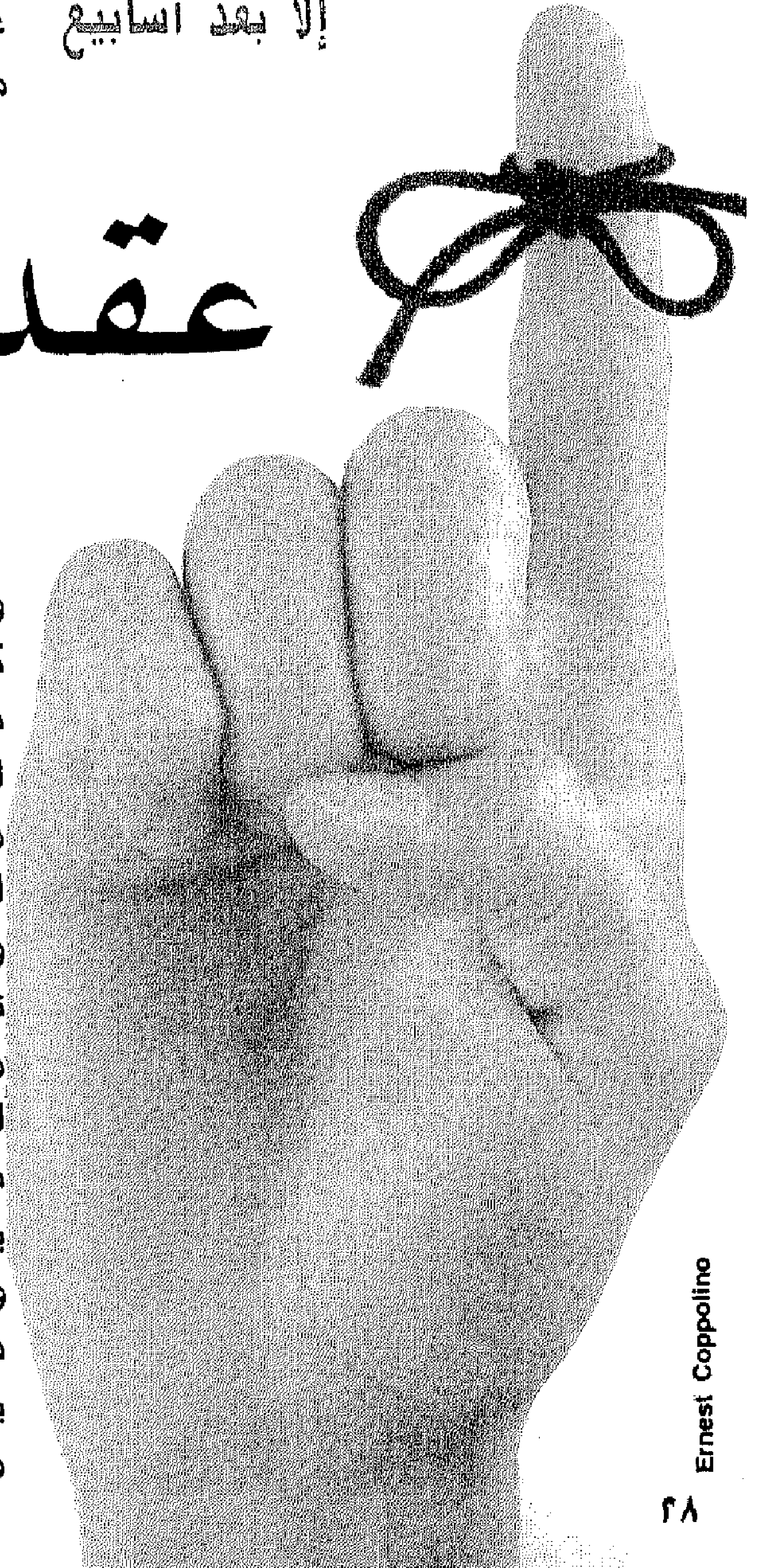
أ.س.

الحقيقة المعروفة
من الجميع
ان المرء يبحث
عما يضيع
فلا يجده
إلا بعد أسابيع

كان أحد المخبرين الصحافيين يفتش في حجرة الاغراض المفقودة في محطة بنسلفانيا للقطارات في نيويورك، فعثر على أكثر من ألف مفتاح و٥٠٠ زوج من النظارات و٣٠٠ مظلة و٦ طقوم أسنان اصطناعية.

وكان هناك عدد كبير من الأشياء الغريبة ومن بينها بطة وكلب صغير وثوب عرس وساق اصطناعية ووعاء فيه رماد ميت.

عقدة النسيان



لا ريب في أن الناس تضيع ما هب ودب. وقد ذكر حيرام بيرسي ماكسيم في كتابه "عبقري العائلة" عادة أبيه حيرام ستيفنس ماكسيم اضاعة الأشياء وقد لازمته عمره، ويذكر أن أباه هو مخترع أول مدفع رشاش فعّال. وكان ماكسيم الأكبر لا يني يضيع المظلات والرزم والكتب والرسوم وسواها، حتى أدركه اليأس في نهاية المطاف. واذ أعيته الحلول طبع ملصقات كتب عليها: "هذه أضاعها انسان في غاية الحمق اسمه حيرام ستيفنس ماكسيم، القاطن في شارع يونيون الرقم ٣٢٥ في بروكلين بنيويورك. وستدفع مكافأة لمن يعيدها اليه." وقد دأب على استعمال هذه الملصقات، كما يذكر ابنه، "حتى باتت مثبتة على كل مقتنيات العائلة."

Ernest Coppolino

لحسن الحظ ليس لزاماً علينا أن نكون من المضيعين. وهاك خمس سجايا تعينك على تذكر ما تضيعه:

١. حدد موضوعاً بعينه. يزعم الخبراء أن في وسعك خفض مفقوداتك الى النصف اذا ما وضعت الاشياء في أماكن تلائمها. اسأل نفسك: اين أستعمل هذه القطعة؟ وكلما ابقيتها دانية من موضعها حيث فائدتها، قلّ امكان اضاعتها. والاشخاص الذين يدلون النظارات بسلاسل حول اعناقهم مثال على ذلك.

من الواضح أن ادوات الطبخ مكانها المطبخ، والمناشف في حجرة الاستحمام. ولكن ماذا في شأن أغراض اخرى كفرشاة الأحذية؟ ان موضعها المعقول هو مع الأحذية في خزانة حجرة النوم. ولكن هل ثمة وجه لاستعمالها هناك؟ قد يكون مكانها الأنسب في درج قرب كرسي، اذ كما تشير الكسندرا ستودارد مؤلفة كتاب "أسلوب للعيش: كيف تضفي شخصيتك على مكان عيشك؟": وهي سألت "أي وقت أفضل لتلميع حذائك من وقت الاسترخاء؟"

وما العمل بكل النثريات والفضلات التي لا تدري ماذا تفعل بها، كالقفازات، وأقلام الرصاص وصُرافة النقود والمجلات المقروء نصفها؟ إحدى الخبيرات في سرعة الانجاز، واسمها سني شلنجر، توصي بالاحتفاظ بعلبة صغيرة توضع فيها هذه الأغراض في كل حجرة من حجرات البيت. وهي تقول: "قد تنقضي فترة من الزمن وأنت تبحث في العلب، لكنها أسرع من التنقيب في البيت بأسره."

٢. اكتسب المران. اعتادت ستيفاني ونستون، مؤلفة كتاب "كيف تنظم شؤونك" القاء مفاتيح سيارتها في سلطانية على طاولة قرب الباب، وهي المكان الأمثل لهذه المفاتيح. وذات يوم رن جرس الهاتف وكانت وصلت لتوها الى المنزل، فلم تضع المفاتيح في مكانها المعهود. بعد ذلك، حين عزمت على الخروج من البيت ثانية، لم تعثر على مفاتيحها. وقد أضاعت ساعة قبل أن تجدها قرب الهاتف. إن اسقاط المفاتيح في السلطانية لم يصبح بعد عادة مستحكمة عندها. ومن الضروري تحويل هذه الافعال عادات.

٣. اقرن ذهنياً بين شيء وآخر. تبقى سيارتك في العادة كنينة يؤويها مرأب أو موقف. ولكن اذ توقف سيارتك خارج المطار أو المجمع التجاري، فإنك قد تضيع في بحر متلاطم من السيارات. ما العمل؟ يوصي الخبراء بأسلوب فعّال يساعد على التذكر وهو القرينة: قبل أن تترك السيارة، انظر حولك واستحضر صورتها في ذهنك وفق علاقتها بمعلم ثابت، كممر للمشاة أو عمود مصابيح أو لوحة اعلانات. وانتبه للمعالم القائمة بين السيارة والمخرج الذي ستسلكه لاحقاً.

والربط الذهني أكثر فاعلية اذا ما جعلت الامور التي تتذكرها سخيفة أو مضحكة بحسب قول هاري لو راين وجيري لوكاس مؤلفي "كتاب الذاكرة." فاذا ما

تركت نظارتيك قرب جهاز التلفاز، مثلا، تصوّر هوائياً يحطم احدى زجاجتيهما، وستتذكر مكانهما بعد ساعات.

ولكن ينبغي أن تبتكر القرينة عند وضع النظارات، على أن تكون مضحكة أو منافية للمعقول. ومن دون ذلك فانت اما تصبح ذاهلا متفرق الخاطر فلا تنجح في تشكيل المذكّر واما أن يكون هذا المذكر بالغ المعقولية ("النظارات لمشاهدة التلفاز،" مثلا) فلا يرسخ في ذاكرتك.

٥ . **فكر ملياً** . ان استعادة خطواتك ذهنياً قد ترشدك الى غرض مفقود. في مستهل مهنتي اقتحم مكتبي رئيس برم ضيق الصدر وهو يسألني لِمَ لَم أرد على مذكرة أصدرها . لم أذكر اني رأيت المذكرة أصلا. استعدت الخطوات في ذهني باحثاً في ملفاتي عن أمور فعلتها في تاريخ المذكرة، فوجدتها عالقة بمشبك للورق على غلاف أحد الملفات.

وان لم تفلح هذه الطريقة فإن هاري دون، الطبيب النفساني من نورواك بولاية كونيتيكت وأحد مؤلفي كتاب "أن تحب وتعمل"، يوصي بنوع خاص من التفكير المليّ. خلال ذلك الشفق الذهني الذي يسبق النوم مباشرة، أسرّ الى عقلك بالشيء الذي تبحث عنه، طالباً منه مفتاح الحل في صباح اليوم التالي. وحسب قوله: "قد لا تدرك أين وضعت الغرض اذ تكون واعياً، لكن عقلك الباطن على علم به."

٦ . **احتفظ بنسخة مطابقة** . أحياناً لا يُعثر على الشيء المفقود أبداً. ولكن ينبغي أن تحتفظ بنسخ مطابقة عن أشياء مهمة كالمفاتيح والنظارات. كما يجب نسخ الوثائق المهمة. ولكن لا تخفِ الاصليات المنسوخ عنها في مكان سري في حجرة النوم أو الطبقة السفلى من المنزل. قد لا يعثر عليها اللص هناك، لكنك قد تنسى أين وضعتها . أبقِ أشياء ثمينة كهذه في مكتب محام أو في صندوق الامانات في المصرف.

أما في شأن القطع المفقودة التي لا يمكن نسخها، فالحل الوحيد أن تتوقف عن التفكير في أماكن وجودها، لانك في الغالب، اذا ما انتظرت زمناً كافياً، فستلقاها . وكن حصيفاً. واعمل بقول الكاتب الروماني بوبيليوس سيروس في القرن الأول قبل الميلاد: "احسب كل ما تفقده غير ذي أهمية."

صامويل شراينر الابن ■



مراسلة بحرية

كريستوفر هاينز صبي في الثامنة يعيش في بلدة بيتربورو البريطانية. رمى الى الامواج المتكسرة على شاطىء شيرينغهام قنينة داخلها رسالة يطلب فيها صديقاً يراسله. وبعد بضعة أسابيع تلقى جواباً من مواطن هولندي وجد القنينة في خليج زاندفورت في "الاراضي الواطئة"، يقول له فيه ألّا يطرح أبداً بعد الآن أوساخاً في البحر!

صحيفة "دايلي تلغراف" اللندنية

عودة الفايكنغ

تنقيبات أثرية مذهلة وأساليب ترميم حديثة تكشف بعض أسرار أولئك المحاربين البحريين القدماء

السماء الدانمركية رصاصية والضباب الذي يحجب الشاطىء يتمزق فوق رؤوس الأشجار. وفي الخليج أسطول من السفن ينتظر الرحيل. المياه هائجة بفعل الريح وقد بدأت السماء تمطر رذاذاً. وفي سفينتنا "روريج" نقف مبتلين والبرد ينخر عظامنا ونبدأ التجذيف نحو مياه الزقاق البحري (★) المفتوحة.

وعند وصولنا الى هناك يجذب البحارة الحبال بعنف فتنتفخ الاشرعة محدثة فرقعة. تندفع "روريج" الى الامام، وفجأة

(★) Fjord . وهو ممر بين صخور وجرف بحرية. وتكثر هذه الازقة في السواحل الاسكندينافية.

يختفي أي تفكير في البرد ليحل محله الابتهاج العارم. إننا نبحر في اسطول من سفن الفايكنغ.

السفينة الطويلة في الصدارة ومقدمها الذي في شكل تنّين يسير في خطوط متقنة، تتبعها سفينة حربية أصغر منها ثم خمس سفن شحن أخرى منتفخة الاشرعة، جميعها مسرعة وكل منها مزود صارياً واحداً وشراعاً واحداً. وبكل هدوء نقطع المياه الضحلة نحو روسكيلد مدفن العائلة المالكة في الدانمرك والمقر القديم لملوك الفايكنغ.

تتضمن سجلات التاريخ الانكلوسكسوني التي تتناول تاريخ تلك الحقبة ما يأتي: "في الثامن من يونيو (حزيران) عام ٧٩٣ دمرت الهجمات التخريبية التي شنها رجال وثنيون دار العبادة في ليندیسفارن. ورافقت ذلك عمليات نهب وذبح." هكذا بدأ عصر الفايكنغ. كانت الدار مقاماً معزولا على جزيرة ليندیسفارن في بحر الشمال، وتعتبر حصينة لا يمكن اختراقها. وهؤلاء الوثنيون كانوا شعب الفايكنغ، البحارة المحاربين الذين عاشوا من القرن الثامن الى القرن الحادي عشر في ما يسمى اليوم اسكندينافيا. لقد قطعوا البحر الخطر ونهبوا المقام وقتلوا وانتهكوا الحرمات أينما ذهبوا.

سفينة مُغرقة. على مدى ما يقارب ثلاثة قرون لم تكن هنالك أرض تبدو بعيدة عن متناول الفايكنغ. لقد أبحروا غرباً في محاذاة ساحل الاطلسي متغلبين على بريطانيا ونورمنديا ومهاجمين اسبانيا البربرية في طريقهم حول مضيق جبل طارق متجهين الى افريقيا. هاجم النروجيون شواطىء بريطانيا الشمالية والغربية ثم استكشفوا غريندلاند وأمريكا الشمالية. ومن أسوج (السويد) توغل الفايكنغ شرقاً عبر البلطيق وعبر الأنهار العظيمة في روسيا موسعين نفوذهم حتى القسطنطينية نفسها.

كانت حرفتا الفايكنغ التجارة والفتح، وهما اعتمدتا على شيء واحد: سفنهم، كانت مراكبهم الرائعة التي تردد ذكرها في قصص البطولات، معياراً لأهمية الانسان والتعبير الأسمى عن فنه وحياته. وعندما كان الموت يدعو ملوكهم وشيوخهم كانوا يدفنون أو يحرقون في سفنهم كي لا يفترقوا عنها أبداً.

أما اليوم فإن بناة هذه المراكب بدأوا يكسبون احترام علماء الآثار والمهندسين وصانعي السفن العصريين. ومن خلال الاكتشافات المذهلة وأساليب الترميم الحديثة تتكشف أسرار الفايكنغ في صناعة السفن وعلم الابحار.

بدأ كل ذلك مع صيادي الأسماك في سكولديليف، وهي قرية تقع على زقاق روسكيلد البحري غرب كوبنهاغن. وتقول الاسطورة ان سفينة أغرقت في قناة الزقاق بأمر من الملكة مرغريت لمنع الاعداء من الوصول الى روسكيلد. كان متر واحد من الماء يغطي حافة المركب الطويلة، وعلى مر القرون ظل المستحمون وصيادو الاسماك يبحثون بفضول بين أخشابه والصخور التي تملأ هيكله.

ولكن لم يعطَ حطام هذا المركب أهمية تذكر الى العام ١٩٥٦، عندما أخرج

Photos: Grethe Schantz, The Viking Ship Museum



السفينة التجارية الصغيرة، الأسلم بين السفن المحطمة، اختيرت لتكون نموذجاً يحتذى.

غطاسان شابان رافدة سليمة من المركب، تمّ فحص الخشب في المتحف الوطني الدانمركي في كوبنهاغن ووجد أن السفينة كانت أقدم كثيراً مما كان يُظن اذ كانت تعود الى عهد الفايكنغ.

اعادة بناء. في الصيف التالي بدأ غطاسون استكشاف قعر المركب، يقودهم أولاف أولسن الذي كان أميناً للمتحف الوطني. وبعد سنوات من البحث اكتشفوا أن خمس سفن، وليس سفينة واحدة، اغرقت بأطنان من الصخور بغية سد الزقاق البحري. فهناك سفينتان حربيتان وسفينتان تجاريتان ومركب صيد تعود جميعها الى قرابة العام ١٠٠٠ وهي أكبر مجموعة لحطام السفن في أوروبا مما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر.

وفي العام ١٩٦٢ وضع جدار من الصفائح الحديد في القناة حول مساحة تبلغ ١٦٠٠ متر مربع، وضخت المياه خارج هذه المنطقة بغية ايجاد جزيرة اصطناعية. ثم بنيت ممرات ضيقة متحركة على ارتفاع بضعة سنتيمترات فوق الحطام. وعلى مدى أكثر من ثلاثة أشهر ظل أولسن وزميله المهندس البحري أول كروملين - بادرسن وفرق من الطلاب منبطحين على ألواح خشبية يزيلون بأيديهم أطناناً من الطمي والصخور كانت تغطي السفن.

لم يكن في استطاعتهم استعمال الآلات على القطع الخشبية السريعة العطب. ويقول أحد المنقبين: "كانت الاخشاب كقطع البسكويت المنقوعة في الشاي،" اذ بعدما حطمتها الصخور وبقيت في الزقاق البحري زهاء ٩٠٠ سنة أصبحت ماء بنسبة تراوح بين ٨٠ و٩٠ في المئة. ولمنعها من الجفاف كان الموقع يُرش بالماء على الدوام.

كانت القطع توضع بعد نزعها في أكياس بلاستيكية مختومة ثم ترسل الى المتحف لقياسها وتصنيفها. وقد حفظت في الماء عدة سنوات، ثم أبدل الماء بشمع مركب خاص لاختراق الخشب وتجميده.

بدأت عملية اعادة بناء السفن في روسكيلد عام ١٩٦٨ في مبنى على وشك الاكتمال لمتحف سفن الفايكنغ المشرف على الزقاق البحري. كانت عملية اعادة البناء اشبه بأحجية ثلاثية الابعاد للصور

المقطعة، اذ كانت هناك ألوف القطع، بين كسر صغيرة وألواح كبيرة، تحتاج الى تصنيف وتركيب. وتبين بعد ذلك أنه بقي الشيء الكثير لتعلمه عن بناء سفن الفايكنغ. وباعتماد طريقة التجربة والخطأ، أكبّ فريق من خبراء الصيانة وعلماء الآثار وصناعة السفن الى تغيير الاشكال مرة تلو أخرى حتى توصلوا الى وضع القطع في أمكنتها وتطابقت ثقوب المسامير في الالواح مع الثقوب في رافدات المراكب.

وسادة هواء. أعيد بناء السفن، فكانت النتيجة خمسة أعمال فسيفسائية غير مكتملة لكنها، مجتمعة، تظهر الجمال الكامل للسفن. ويبلغ طول السفينة التجارية العميقة ١٦،٥ متراً وهي مصنوعة من خشب الصنوبر والسنديان. وفي أيامها أبحرت الى آيسلاند آيسلندة وغرينلند. أما السفينة التجارية الاخرى ذات اللون القاتم والتي لا يزال مقدمها المسنن سليماً فربما بقيت راسية في المياه الدانمركية أو أبحرت عبر البلطيق الى روسيا. وأما السفينة الحربية التي يبلغ طولها ١٨ متراً والتي تبلغ من الخفة درجة تمكنها من الابحار على الشواطىء، فهي من النوع الذي استعمله وليم الفاتح في اجتياح بريطانيا عام ١٠٦٦. والسفينة الحربية الثانية هي الاطول بين هذه السفن وتتسع لمئة رجل. وصغرى هذه السفن معدية أو مركب صيد.

كشفت السفن بعد انجاز تركيبها أن الفايكنغ كانوا أسياداً في الهندسة. فكل سفينة تخضع للمبادىء الاساسية ذاتها. وكقرون البازيلاء المضغوطة لتنفتح كانت السفن هياكل ملساء منتفخة في الوسط ومتقوسة الى الداخل لترتفع عند المقدم والمؤخر. يقول يان سكامبي مادسن مدير متحف سفن الفايكنغ: "قد يكون بناة السفن العصريون طوروا تكنولوجيا مذهلة، لكنني أعتقد أننا لم نصمم مركباً أرفع تقنياً من سفن الفايكنغ."



بناء "روريج": نحتت العارضة الرئيسية لقعر السفينة من جذع واحد يبلغ طوله تسعة أمتار.

وبعد دراسة أدق التفاصيل في سفن سكولديليف تبين للعلماء أنها كانت ثابتة وسريعة. لقد كانت أبدانها متراكبة الألواح والصفائح، اي ألواحها متشابكة بدلا من أن تكون مثبتة باستواء بعضها مع بعض. وقد ساعد هذا الاسلوب السفن على الانزلاق على الامواج بدلا من شقها.

والصفة الاكثر اثارة للفضول وجود أخدود على كل من جانبي بدن السفينة يمتد من مقدمها الى مؤخرها. وقد فسر كروملين - بادرسن هذه الظاهرة كما يأتي: "كلما تقدم المركب الى الامام كان يدفع الهواء لولبياً وباستمرار تحت بدنه مما يشكل وسادة هواء جزئية تخفف الاحتكاك وتزيد السرعة."

وبذلك تحدى الفايكنغ أحد مبادىء الابحار المعروف بقانون "فرود" والذي يحدد سرعة المركب القصوى بناء على حجمه.

عمل محموم. بعد تحليل تصميم المراكب أصبح الخبراء جاهزين لبناء نموذج طبق الأصل مستعملين المعدات والاساليب التي اعتمدها الفايكنغ. ودُبِّر حوض لبناء السفن في منطقة المرفأ عام ١٩٨١ وقدمت هبة خاصة بقيمة مليون كرونر دانمركي، مما جعل تحقيق المهمة ممكناً. واختيرت السفينة التجارية الصغيرة لبناء نموذج مشابه لها اذ كانت الأسلم. وباشراف كروملين - بادرسن المتحمس تم تجنيد نحو عشرين متطوعاً شاباً لبنائها.

وفي المتحف الوطني صنع الحدادون مساحج بدائية وفؤوساً وأزاميل وسكاكين، مستندين الى ما وجد منها في المدافن. وقطعت فرق البحث ١١ جذعاً ضخماً كاملا من غابات السنديان القديمة في زيلندة الشمالية حيث قص الفايكنغ أخشابهم في الماضي.

بدأ العمل بلهفة في حوض روسكيلد في ربيع ١٩٨٣. وكانت المشكلة الكبرى المهارة اليدوية، خصوصاً في استعمال الفأس. ولكن خلال أسابيع بدأت الاشكال الضخمة المتقوسة في المقدم والمؤخر تنبثق من الجذوع الخشبية الجامدة. ونحتت العارضة الرئيسية لقعر المركب، وهي عموده الفقري، من جذع واحد يبلغ طوله تسعة أمتار. ولداخل المركب استعمل الفريق أشجاراً ملتوية تتطابق طبيعياً مع أجزاء من السفينة ذات أشكال غير منتظمة. فإن جذعاً مع غصنه، مثلا، يصبح واحداً من الاضلاع ذات الشكل «V» التي تدعم بدن المركب.

وعندما شارف المركب الاكتمال انصب الاهتمام على شراعه المربع الوحيد. حيك الشراع الأول من الكتان الاسكتولندي. بعد ذلك حل محله شراع مصنوع من صوف الغنم المنقوع بشحم الخيل. وجدلت مئات الامتار من حبال القنب والكتان ثم غمست بقار الخشب لتصنع منها حبال السفينة.

اسرار مخبوءة. سميت السفينة الصغيرة التي بلغ طولها ١٤ متراً ووزنها ٤،٤٥ طن "روريج" تكنياً بالملك الدانمركي المحارب الذي أسس روسكيلد كما تروي الاسطورة. وفي يوم مشمس من شهر أغسطس (آب) عام ١٩٨٤ أطلقت

في زقاق روسكيلد البحري، تماماً حيث أبحرت سالفاتها قبل ١٠٠٠ سنة. وكان خشبها الجديد يلمع وساريتها ترتفع بفخر وحبالها مشدودة بأناقة.

ولتعليم البحارة أسلوب الابحار شبه المنسي بشراع مربع واحد، استدعى المتحف الاخوين التوأمين إريك وبنت أندرسن (٤٩ عاماً) الخبيرين العالميين بهذا الموضوع. يقول أريك: "تبحر هذه السفن جيداً هذه الايام، لكنها كانت تبحر على نحو أفضل أيام الفايكنغ، لقد كان مجتمعهم مجتمع إبحار. وعندما يفكر المرء في غزو الفايكنغ لبريطانيا، عليه أن يفكر في مئة سفينة أو مئتين تحمل كل منها ما بين خمسين رجلا ومئة رجل يستطيعون الابحار من الدانمرك الى بريطانيا في فترة أربع وعشرين ساعة. لقد كانوا خبراء."

ومنذ وضع "روريج" في البحر أبحرت بانتظام في رحلات تجريبية في وجهة الريح وعكسها، في طقس ملائم وفي طقس عاصف، للتأكد من مدى جودة سفن الفايكنغ في الابحار. وأتت النتائج مثيرة بحيث أن صانعي السفن العصريين يأتون الى المتحف ليتعلموا تصميم الفايكنغ بغية تحسين سفنهم. إنهم قلة من بين ١٨٠ ألف شخص يزورون المتحف سنوياً لمشاهدة سفن الفايكنغ.

لقد أصبح نبش سفن الفايكنغ هاجس الدانمركيين. ففي العام ١٩٨١ تعثر مزارع كان يعمل في حقله في فولستر ببقايا ألواح خشبية تعود الى الفترة ما بين ١٠٥٠ و١٠٥٥. وخلال الاعوام السبعة الماضية وجدت بضع مئات من قطع السفن والمعدات القديمة، مما قاد علماء الآثار الى استنتاج أن هذا المرج كان في الماضي حوضاً لبناء السفن، وهو الاول من نوعه تم اكتشافه.

لكن منطقة فولستر ومياه اسكنديناڤيا وتربتها الوعرتين لا تزال في أول الطريق بالنسبة الى كشف أسرار الفايكنغ القدماء. ويبقى الكثير ليكتشف عن طريقة معيشتهم وعلاقاتهم والأمكنة التي تركوا فيها آثاراً، فهذه لا تزال مخبأة عبر المسرح العظيم الذي خاضوا غماره في تجوالهم.

بعد يوم شاق من الابحار بانت لنا أخيراً الابراج المزدوجة في روسكيلد. شد قبطاننا ذراع الدفة ومالت "روريج" مع الريح وقد بدا شراعها أرجوانياً في وهج المساء.

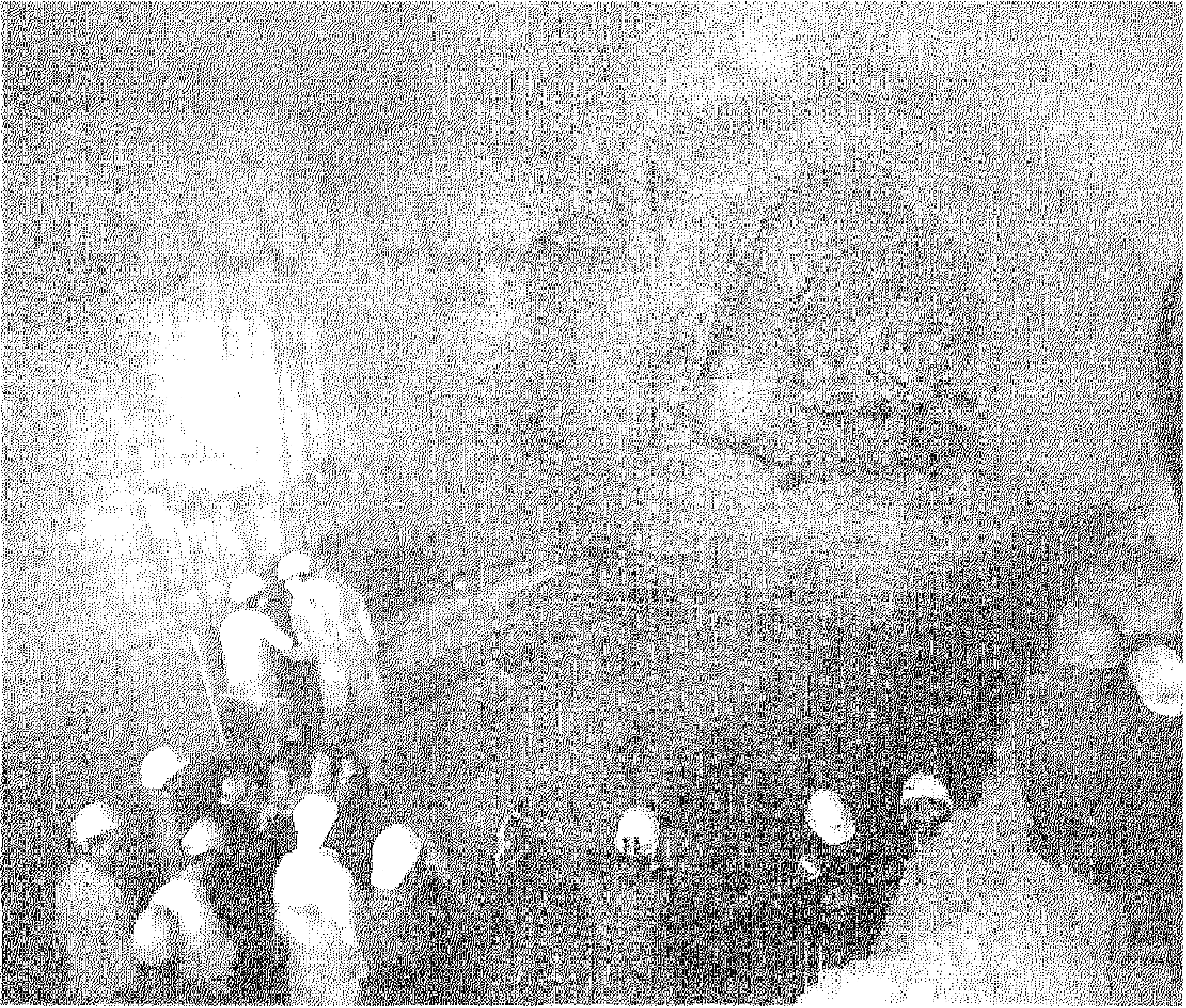
لقد انتهى حكم الفايكنغ قبل زمن بعيد وحصرت أعمالهم البطولية في الملاحم والاساطير. أما الان فقد عاد عالمهم المحفوف بالمخاطر الى البروز من خلال أعظم انجاز لهم: سفنهم ذات الرهبة والجلال.

بريسيلا باكلي ■



إياك أن تهمل المعرفة لحساب الحكمة. فالاولى تساعدك على العيش والثانية على الحياة.

س.ك.



حفر النفق لمصادم الالكترونات والبوزيترونات الكبير.

الاكتشاف المدهش لجسيمين ذرّيين أحدث ثورة في النظرة العلمية الى القوى التي تتحكم بالكون

حين يسمع العلماء ضجة في الرواق خارج مكاتبهم في "المختبر الاوروبي لفيزياء الجسيمات" في جنيف بسويسرا، يلتفتون بعضهم الى بعض ويقولون: "ها هو كارلو قد رجع." وهم بذلك يعنون كارلو روبيا العالم الفيزيائي الايطالي الذي قد يكون راجعاً من رحلة ألقى خلالها خطاباً في جامعة هارفرد بالولايات المتحدة او من مؤتمر دولي حول فيزياء الجسيمات في طوكيو أو من مدينة لابلاتا في الارجنتين حيث منح شهادة فخرية. وقد تكون الاصوات الصادرة عنه تعليقات أو توجيهات، لكنها في الغالب صادرة بكامل قوة رئتيه الضخمتين. ان روبيا رجل انفعالي متصلب في آرائه وله أعداء بمقدار ما له أصدقاء وقد أصابه من الاخفاق مقدار ما أحرزه من نجاح. ومع ذلك فالجميع متفقون على أنه عبقري.

Photos: Photo Cern

والعبقرية لا تخرج عن المألوف في "مختبر المجلس الاوروبي للابحاث النووية" المعروف باسم "سيرن"(١). أنشأت هذه المؤسسة عام ١٩٥٤ اثنتا عشرة دولة لدراسة الجسيمات والانظمة الطبيعية التي تضبط الاجزاء المتناهية في الصغر من المادة والطاقة داخل الذرة، تلك الاجزاء التي تشكل بنية الكون. وتستخدم "سيرن" أكثر من ٣٠٠٠ من ألمع الادمغة في الحقل العلمي.

وما يميز كارلو روبيا عن الآخرين مواهبه المتعددة المميزة. فهو ليس فقط متضلعاً من الفيزياء الاختبارية يتنقل بسهولة في ضباب جسيمات الهادرون والفيرميون والتولبتون والباي ماسون(٢) الدقيقة التي، بحسب ما يؤكد لنا العلماء، يتألف منها الكون. لكنه يعرف كل أجزاء الآلات البالغة التعقيد التي يستخدمها الفيزيائيون في اختبار نظرياتهم.

والى ذلك فانه يعرف كيف يحمل فرقاً من العلماء البارزين على العمل معاً ١٥ أو ١٧ ساعة يومياً في مشروع كبير. فهم، بحسب قول أحد الفيزيائيين الاداريين، يخضعون لاسلوب روبيا الفريد الذي يقرن أعذب الترغيب بأشد الترهيب. وهو استخدم هذا الاسلوب لاقناع مسؤولي "سيرن" بتخصيص ٣٠٠ مليون فرنك سويسري لما كان سيصبح أحد الاحداث العلمية العظيمة في عصرنا: البحث عن جسيمات «W» و «Z».

ان جسيمات «W» و «Z»هي من عائلة جسيمات متناهية في الصغر تعرف بجسيمات "بوسون الموجّهة" (تنتسب تسميتها الى عالم الفيزياء الهندي ساتياندرا ناث بوس). ولشرح جسيم بوسون الموجّه في اللغة العامية يستخدم رينهارد بود أحد علماء "سيرن" الفيزيائيين هذا التشبيه: "عجز العلماء دائماً عن معرفة كيف يمكن جسمين - كالارض والشمس أو كالبروتون والالكترون داخل الذرة - أن يتدافعا أو يتجاذبا من دون أن يكونا متلاصقين. وفي دراستنا لهذه الظاهرة نبدو كمراقب في سفينة فضائية ينظر عبر مرقاب (تلسكوب) قوي مركز على ملعب كرة مضرب على سطح الارض. وقوة مرقابه تتيح له فقط رؤية نقطتين صغيرتين جدا، أي اللاعبين وهما يندفعان أماماً وخلفاً وجانبياً. يفوته القصد من حركات اللاعبين الى أن يدرك أنها محكومة بشيء أصغر يروح ويجيء بينهما. انها كرة المضرب! فاذا أزيل هذا الشيء المتبادل - كرة المضرب - فان القوة بين الجسمين تزول. ولن يبقَ هناك أي تجاذب."

انه لشيء أن نستنتج أن كرات المضرب هي هناك، وشيء آخر أن نبرهن أنها كائنة. ان البوسونات «W» و«Z» كانت جزءاً من نظرية وضعها ثلاثة علماء فيزيائيين في الستينات والسبعينات. والافتراض هو أن القوة المغنطيسية الكهربائية وما يسمى القوة النووية الضعيفة، اللتين تسببان التلاشي الاشعاعي، ليستا قوتين منفصلتين انما

(١) Conseil Européen pour la Recherche Nucléaire «CERN»
(٢) Hadrons, fermions, tau leptons and pi mesons
(٣) Vector bosons

هما مظهران مختلفان لقوة كهربائية ضعيفة (٤) واحدة. فاذا كان ذلك حقيقة فان النظرية تعني أن هناك ثلاث قوى، لا أربعاً، تضبط الكون. والقوتان الاخريان هما الجاذبية والقوة النووية الشديدة التي تبقي نواة الذرة متماسكة.

نصّت النظرية أن القوة الضعيفة تنقل بواسطة جسيمات بوسون «W» و «Z». ويقدر العلماء أن هذه الجسيمات تتدافع حولنا في كل الاوقات لكنها صغيرة جداً وعمرها قصير الى درجة تعجز معها أي آلة عن مراقبتها في الاحوال العادية. لكنهم ارتأوا أنه اذا ولّدت في المختبر طاقة كافية لاطلاقها بدفعات هائلة، فيحتمل التقاط رؤية قصيرة لهذه الجسيمات.

طاقة رهيبة. كان الرأي سائداً أن التكنولوجيا المطلوبة لتوليد هذه الطاقات الهائلة لن تتوافر قبل حلول القرن الحادي والعشرين. ولكن في العام ١٩٧٦ كان لكارلو روبيا رأي آخر. كانت "سيرن" فرغت لتوها من بناء "سينكروتون البروتونات المتفوق" (٥) وهو نفق دائري تحت الارض يبلغ محيطه سبعة كيلومترات، يمكن داخله تسريع شعاعات من البروتون الى غاية ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية، أي أقل قليلاً من سرعة الضوء. اقترح روبيا أن تصدم البروتونات المسرّعة في نفق السينكروتون بشعاعات من البروتونات المضادة (٦) تتحرك بالسرعة ذاتها في الجهة المضادة. والبروتون المضاد هو شكل من المادة المضادة (٧) شبيه بالبروتون، الا أن فيه شحنة كهربائية سالبة بدلا من شحنة موجبة. أما عمره فقصير جدا لانه عندما يصطدم بجسيم مادة عادية يختفيان كلاهما، فيتحول طاقة خالصة قد تتحول بدورها جسيمات جديدة.

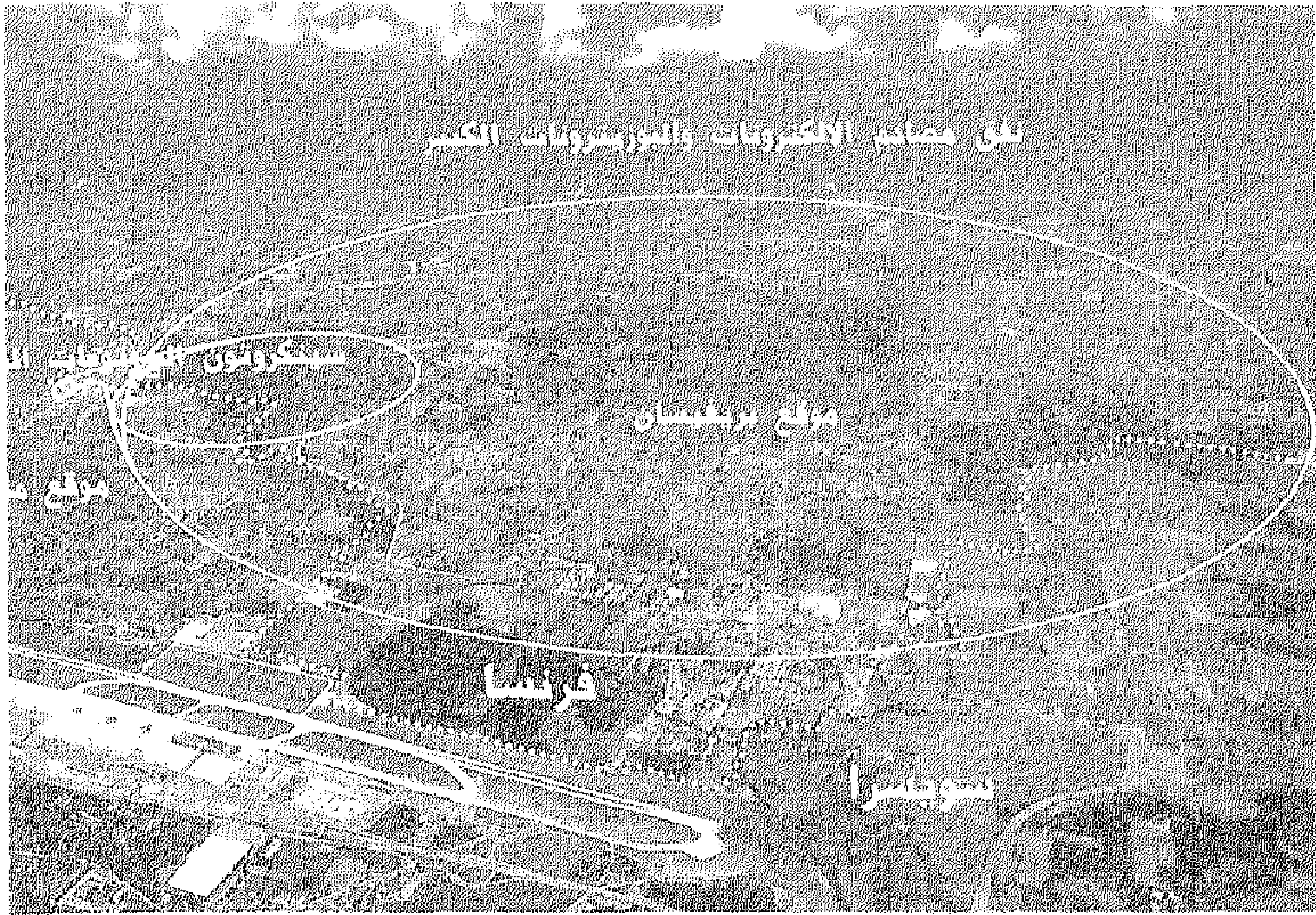
وفكّر روبيا في أنه لو اصطدمت البروتونات والبروتونات المضادة بسرعة عالية فان الطاقات المولّدة تبلغ ٥٤٠ مليار الكترون فولت، أي عشرة أضعاف أي طاقة ولدت سابقاً. فعلى هذا المستوى قد تتسنى مراقبة أحد جسيمات البوسون المتملّصة في واحد من كل مئة مليون اصطدام تقريباً. وهناك كاشف معقد بحجم بناء من أربع طبقات يركز على النقطة حيث ستتم الاصطدامات ويسجل جميع التفاصيل.

كان ذلك برنامجاً يبعث الرهبة في النفس. أولا، لانه لم يكن هناك أي تأكيد على أن جسيمات «W» و «Z» هي كائنة حقيقة. وكيف يؤمّن روبيا مليارات البروتونات المضادة التي يحتاج اليها؟ وان يكن توليد الجسيمات سهلا في المختبر فانه من الصعب الاحتفاظ بها لانها تندفع في كل الجهات وتختفي حين تلامس جدران غرفة خوائية (اي مفرّغة من الهواء).

كان روبيا اطلع على مقالة لأحد مهندسي "سيرن" وهو هولندي يدعى سيمون فان دير مير، يقترح فيها استخدام أسلوب ثوري جديد يدعى "التبريد الستوكاستي" (٨). فبحسب

---

(٤) «Electroweak» force
(٥) Super Proton Synchroton
(٦) Antiprotons
(٧) Antimatter
(٨) Stochastic cooling



منظر جوي لمؤسسة "سيرن"، ويبدو موقع نفق المصادم الكبير الذي يبلغ محيطه ٢٧ كيلومتراً.

الطريقة النظرية يمكن تجميع كميات كبيرة من البروتونات المضادة الى أن تصبح جاهزة لاطلاقها داخل نفق السينكروتون. وكان روبيا على ثقة بنجاح هذه الخطة.

تصميم غير منظور. عام ١٩٧٨ بدأ روبيا البحث عن البوسونات بمعاونة ١٣٠ من العلماء المكرّسين. وكان على الفريق ان يستنبط الوسائل الكفيلة بالنجاح نظراً الى أنه ما من أحد أقدم في السابق على معالجة أمر معقد كهذا. فقد كانت المشاكل الهندسية لوحدها مذهلة، وهناك "جبال" من التجهيزات الغامضة يجب تأمينها وزجّها في فسحة ضيقة يتقاطع فيها ١٢ ألف سلك.

وحصلت كل الاخطاء التي كان حدوثها محتسباً. فقد هبّت النار في المحولات وحدثت ثقوب في الغرف الخوائية. ورُبط أحد الخراطيم مرة الى الانبوب الخطأ، فأصيبت كل المعدات الثمينة برشاش من الماء الملوّث. وكان هناك عشرات الالوف من الاجزاء الدقيقة والاسلاك التي يقتضي نزعها وتنظيفها وتجفيفها ومن ثم اعادة جمعها.

ولكن في صيف ١٩٨١ كانت الجسيمات تدور في النفق بكثافة منخفضة. وفي نهاية شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢ أصبح كل شيء جاهزاً. وبدأ العد العكسي الالكتروني بواسطة جهاز "ميكروبروسسور" (٩) وأطلقت داخل النفق حزم الجسيمات الاولى في كتل ضبابية بحجم ابهام اليد، موجهة

(٩) Microprocessor

بمغنطيسات جبارة ومسرّعة بحقول مغنطيسية كهربائية ضخمة. وحدث تصادم الجسيمات بمعدل ٤٠ ألف تصادم في الثانية. وكانت ابتدعت برامج الكترونية معقدة لشطب الحوادث الروتينية. وفي أقل من واحد من عشرة آلاف اصطدام قد ينتج أمر خارج عن المألوف، فتسجل هذه المعلومات بواسطة دماغ الكتروني على شريط مغنطيسي يوضع في متناول المختبرات في أنحاء العالم. وحين لا يحصل الا تصادم واحد كل ثلاث ثوان أو أربع فسيكون ذلك أمراً فريداً جداً، وهنا يمكن العثور على الجسيمات «W» و «Z». وسيعاد بناء هذه المعلومات نظرياً على شاشة "ميغاتيك" التي تظهر تصادم الجسيمات في ثلاثة أبعاد.

درس العلماء صوراً مختلفة الاشكال لنقط وخطوط متعددة الالوان على شاشة الميغاتيك، وواظبوا على ذلك ٢٤ ساعة يومياً. وكانت المشكلة تحديد جسيم البوسون لدى نشوئه لانه ما من أحد يقدر أن يراه فعلا. ولكن اذا بان جسيم بوسون «W» فانه ينشطر الى جسيمين آخرين ربما كانا الكتروناً وانتينيوتروناً ينطلقان بسرعة عالية في اتجاهين مضادين. وفي الامكان تعيين هوية الالكترون بكونه خطاً مستقيماً، وسيكون الانتينيوترون (النيوترون المضادّ) غير منظور. لكن وجوده يستنتج من حصول اختفاء الطاقة من جانب واحد من الانفجار.

جائزة نوبل. راقب العلماء صور الدماغ الالكتروني وانتظروا، ولكن لم تبدُ أي علامة تدل على جسيمات البوسون الهاربة. وأخيراً بعد مرور أربعة أسابيع بدأ الحظ يحالفهم. فمن بين ١٥٠ الفاً من الجسيمات المرشحة التي عرضت تكراراً على الشاشة كانت هناك ستة ترتجى منها نتيجة مثيرة. وفيما تعاقبت الاختبارات اخذت تسيطر على العلماء حماسة جماعية. في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ سَمع كارلو روبيا يردد مبتهجاً: "منظرها مثل جسيمات «W»، وملمسها مثل جسيمات «W»، فيجب أن تكون جسيمات «W»! وبعد ثلاثة ايام أعلن روبيا في مؤتمر صحافي مؤثر وجود جسيمات «W» في الكون. وبذلك ثبتت صحة نظرية القوة الكهربائية الضعيفة التي ترجع الى ٢٠ سنة خلت.

هذا الاكتشاف مهّد الطريق للبحث عن الجسيم «Z» الذي هو أندر من الجسيم «W» وخالٍ من أي شحنة كهربائية. وكان تحديد هويته أكثر صعوبة، ولكن في ٤ مايو (أيار) في مختبر في أنيسي التي تبعد ٤٠ كيلومتراً، كانت الباحثة الفرنسية ماري نويل مينار تستمع بواسطة دماغ الكتروني الى تسجيل التصادم في نفق "سيرن" في ٣٠ ابريل (نيسان). فلاحظت أمراً غير عادي، فانتزعت النسخة من الآلة وأسرعت بها الى سويسرا.

في "سيرن" جرى الاستماع الى شريط التسجيل بواسطة جهاز فائق الدقة. وبعد شهر من التدقيق والتحليل قرر العلماء أن هذا التسجيل وتسجيلات اخرى كشفت وجود جسيمات «Z» حقيقية.

وساد جو من الغبطة والثقة في مقر

"سيرن" اذ تم احراز تقدم كبير في معرفة الانسان جوهر عالمه. ومنح كارلو روبيا وسيمون فان دير مير جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٨٤.

عهد جديد؟ كان جهاز "سينكروتون البروتونات المتفوق" تهيئة لجهاز أكبر هو "مُصادِم الالكترونات والبوزيترونات الكبير"(١٠) الذي خطط ليبدأ العمل فيه أواسط ١٩٨٩. في ذلك الوقت تكون أسندت الى روبيا وظيفة مدير عام "سيرن." أما نفق المصادم حيث تتدافع الجسيمات فيبلغ محيطه ٢٧ كيلومتراً، وهو محفور في الصخر بعمق يراوح بين ٥٠ و١٧٠ متراً تحت تلال بايي دو جيكس خارج مدينة جنيف. وسيكون هناك أكثر من ٤٠٠٠ مغنطيس من مختلف الانواع، ويصل وزن بعضها الى ١٠ أطنان، تستخدم لتوجيه الجسيمات.

قد يدشن المصادم الكبير عهداً جديداً في الابحاث. ففي الانبوب الخوائي وسط النفق ستدمر الالكترونات والبوزيترونات بعضها بعضاً فتتولد من ذلك طاقات تناهز ١٢٠ مليار الكترون فولت. فعلى هذا المستوى قد يحدث عدد من الظواهر الجديدة التي قد تؤدي الى حل ألغاز أخرى في الكون. هل يمكن أن تنحلّ البروتونات؟ هل يمكن ان تكون للنيوترينات كتلة ووزن؟ هل هناك قوة مفردة أساسية تضبط تحركات كل الاشياء المادية؟

وماذا عنك وعني؟ هل يمكننا التطلع الى تغيرات في حياتنا اليومية استناداً الى وجود أجهزة السينكروتون والمصادم الكبير؟ فالمحاولة الاخيرة لتوحيد قوتين في الطبيعة حققها مايكل فاراداي. ففي لندن، قبل ١٥٠ سنة، حاول فاراداي أن يكتشف ما اذا كانت الكهرباء في القضيب المانع الصواعق مظهراً آخر من المغنطيسية التي تجذب بُرادة الحديد الى قطب مغنطيس. ونتيجة أبحاثه تم ابتكار المولدات والمحركات الكهربائية وأجهزة الراديو والتلفزيون والأشعة السينية (اكس) وماكينات الفليبرز وأشياء أخرى مألوفة اليوم.

فلا غرابة اذاً في أن يؤدي اكتشاف كارلو روبيا للجسيمات «W» و «Z» الى ابتكار منتجات في القرن الحادي والعشرين تغني حياة الاشخاص العاديين في العالم.

روبرت فرنيك ■

(١٠) Large Electron — Positron Collider



الهاتف الصامت

لاحظتُ ذات مساء ان ابنتي تكلّمت على الهاتف اطول من المعتاد. وكان يبدو انها لم تكن تتكلم بل تكتفي بالاستماع. فسألتها اخيراً عمّا يقوله الطرف الآخر بحيث تجمدّت طويلا لا تنبس ببنت شفة، فاجابت: "لا شيء فنحن متخاصمان."

ك.ش.

الستيرويد: قوة وهمية

اثارت فضيحة العداء الكندي بن جونسون في اولمبياد سيول الاخير، موجة استياء بين الرياضيين وعشاق الرياضة في انحاء العالم. وفتحت مجدداً ملف الملايين الذين يلتهمون حبوب الستيرويد لكي يزدادوا حجماً وقوة

□ رغب فتى يافع في أن يكون شاباً مفتول العضل قوياً وكبيراً يلفت النظر بدلاً من كونه ولداً ضعيف البنية ناحلاً لا يزيد وزنه على ٥٥ كيلوغراماً. فدخل صيدلية وحصل على زجاجة حبوب زرقاء قيل له انها تساعده في تحقيق رغبته.

□ في غرفة الاستراحة في ناد رياضي حقنت امرأة فخذها بمحلول يستخدم لتقوية أجسام جياد الاستعراض. وكانت المرأة، وهي كثيفة العضل وذات صوت عميق أجش، على قناعة بأن العقار سيساعدها في نيل مرتبة أعلى في مسابقات كمال الاجسام.

□ في نادٍ للصحة يبيع معلم اللياقة البدنية أقراصاً لمحام شاب يشعر بأن تمارينه الرياضية لا تنمّي بنيته بسرعة كافية. ويأمل المحامي أن يحصل على نتيجة أسرع بواسطة هذه الاقراص.

لقد أبرم هؤلاء الثلاثة عقداً جهنمياً مع مركّبات الستيرويد(١) التي هي نسخة اصطناعية فاعلة للهرمون الذكري "تستوسترون." ومع أملهم أن يصبحوا أكبر حجماً وممتلئي الاجسام، مع شعور

(١) Steroids

بالاعتزاز والثقة بالنفس، فانهم يعرّضون أجسادهم وشخصياتهم لاضرار مخيفة.

في هذه الايام يواجه الملايين هذا الخطر. فالبعض يزوّرون وصفات طبية أو يشترون العقار من دون وصفة طبيب من صيادلة فاقدي الضمير. والاكثرية تطلبه بالبريد على نحو غير مشروع، أو من طريق باعة يترددون على النوادي الصحية والرياضية والمدارس الثانوية. وفي الولايات المتحدة نحو مليون شخص، على الاقل، يستعملون الستيرويدات. وبحسب "مديرية الغذاء والدواء" يتجاوز حجم ما يباع منها في السوق السوداء مئة مليون دولار سنوياً.

يحذر الدكتور وليم تايلور عضو برنامج مكافحة المخدرات في أوساط الرياضيين الاولمبيين، من أن استخدام هذه العقاقير القوية بلغ "درجة الوبأ،" اذ لم يقتصر تناوله على الرياضيين. فقد عاين تايلور وزميل له ما يزيد على مئة عضو في ناد للصحة في اتلنتا بولاية جورجيا، وتبين لهما أن تسعين في المئة منهم يتناولون، أو كانوا يتناولون، عقاقير ستيرويد، وبينهم محاسبون وأساتذة وعمال وشرطيون. يقول تايلور: "لم تعد القضية رياضية فحسب، بل أصبحت اجتماعية. والذين يستعملون العقار يبدون كأنهم يلعبون بالديناميت." ويعرف بيل لوماس ماذا يحدث عندما ينفجر هذا الديناميت. فقبل بضع سنوات كان نحيف البنية يزن ستين كيلوغراماً. فعزم على أن يكبّر حجمه ويقوي عضلاته، فبدأ يمارس رفع الاثقال ويأخذ حبتي ستيرويد يومياً. لم تمر ستة أشهر حتى زاد وزنه الى خمسة وسبعين كيلوغراماً وبات "يحسّ بالقوة." لكنه أحسّ أيضاً أنه بات عدائياً ومحباً للسيطرة. فبدأ يتشاجر مع زوجته مهدداً: "سأحطم وجهك بقبضتي." وتقول زوجته: "كنت مرتاعة، لقد تحول زوجي وحشاً ضارياً."

وذات ليلة أحس لوماس ألماً حاداً في بطنه، فنقل بسرعة الى المستشفى حيث نزع الاطباء من كبده ورماً بلغ وزنه كيلوغرامين. ويؤكد لوماس الذي قطع عهداً على نفسه بعدم تعاطي الستيرويد بعد ذلك، أنّ العقار هو الذي سبّب الورم وأيقظ فيه النزعة العدوانية.

لم تكن الستيرويدات مشكلة في بادىء الامر. فهذه الهرمونات التي تنتج في المختبر طورت في الثلاثينات وكانت تستخدم في معالجة سوء التغذية وفقر الدم ومشاكل العمود الفقري، ولاحقاً لمقاومة أعراض الاشعاع والمعالجة الكيميائية.

ولكن في الخمسينات برز هدف آخر مختلف تماماً حين بدأ فريق من الرياضيين تناول هذه الهرمونات، التي هي كناية عن "تستوسترون" مركّب اصطناعياً، ويسيطرون على المباريات الدولية في ألعاب القوى. يقول هارولد كونولي اللاعب الاولمبي السابق الذي حاز ميدالية ذهبية: "في الالعاب الاولمبية عام ١٩٦٨ كان اللاعبون في كثير من المباريات يتناولون حبوب الستيرويد والمنبهات." وفي هذه الايام، يضيف الدكتور بوب غولدمان مؤلف كتاب "الموت في حجرات اللاعبين،" تستبد بالرياضيين رغبة في الفوز حتى انهم

يأخذون أي شيء ويفعلون بأجسادهم أي شيء في سبيله."

التأثير في الجنس الناعم. اكتشف لاعبو كرة القدم الستيرويدات في وقت مبكر. واعترف لاعب سابق في سان دييغو بأن المدربين كانوا يعطون اللاعبين حبوب ستيرويد حتى في العام ١٩٦٣. ثم جاء دور الصغار. وفي دراسة عن تعاطي العقار في المدارس الثانوية تبين لمؤسسة "هازلدين" في مينيابوليس بولاية مينيسوتا أن نسبة الطلاب الذين استعملوا ستيرويدات في وقت ما بلغت اثنين في المئة. وفي مدرسة ثانوية في ميشيغان أفاد ثمانية في المئة من طلاب الصف النهائي أنهم تناولوا حبوب ستيرويد. وتقول برندا ديلون الاختصاصية بموارد الكحول والادوية في مدارس مقاطعة بروارد بولاية فلوريدا، ان في نصف المدارس في المقاطعة مجموعات صغيرة من الطلاب الذين يدعون أنفسهم "الرؤساء الستيرويديين."

ويزعم آل فرونتمان، منسق التربية البدنية والرياضة وشؤون تعاطي المخدرات في مدارس غلنديل في كاليفورنيا، أن الرياضيين في المدارس الثانوية يتعاطون الستيرويدات بموافقة ضمنية من مدربين تواقين ووالدين مضلَّلين. ويضيف: "أولئك المدربون الذين يتوقون الى تضخيم الجسم ولا يدركون التأثير السلبي للستيرويد الذي يصفونه للطلاب. ويتجاوب الآباء معهم إذ يبلّغون أن ولدهم سيصبح شاباً كبيراً قوياً وسيحصل على منحة دراسية."

لكن كثيرين من طلاب المدارس الثانوية يتناولون الستيرويد لا ليؤثروا في المدرب بل ليثيروا اهتمام الفتيات. في فلوريدا رأى أحد المراهقين أنه نحيف جداً ولا يليق به أن يلبس سروال سباحة. فأخذ يتناول حبوب الستيرويد. وبعد ثمانية أشهر زاد وزنه ثلاثين كيلوغراماً وأخذ يتباهى بسرواله في المسابح وسمّى نفسه "الدكتور رويد."

عقوبة الموت. هل تنمّي الستيرويدات العضل كما تعد؟

ان الجواب هو "نعم." فالذين يستعملونها يكثفون تمارينهم وتزداد قوتهم بسرعة أكبر. لكن الخطر يكمن في تناول الستيرويد من دون وصفة طبيب وبكميات كبيرة قد تفوق المطلوب عشرين ضعفاً. فيصاب الرجال بضمور في الخصيتين وضخامة في الصدر وعقم وعجز جنسي، وتتعرض النساء لخطر الاسترجال فيتخن صوتهن وينبت الشعر في أجسامهن ووجوههن ويضمر الثديان ويختل انتظام دورة الحيض.

أما الاخطار الكامنة على المدى البعيد فمنها أورام الكبد وتلف الكلى والسكتة الدماغية (الفالج) وأمراض القلب والاوعية الدموية. عام ١٩٨٣ حدثت أول وفاة موثوقة بسرطان الكبد منسوبة الى تعاطي الستيرويد، لشاب رياضي كامل الصحة. كان عمره ٢٦ عاماً، ويدعى دانيال بارودي من بنسلفانيا، ظل طوال أربع سنوات يتناول الستيرويدات بقصد بناء عضلاته.

أما المراهقون الذين يتعاطون العقار

كابوس رياضي

اضطجع فلتشر ماكلين في فراشه وقلبه يخفق بشدة والالم يخترق جسمه وهو ما زال يفكر بالستيرويد. ولما هدأت نوبة الالم في صدره بعد ساعات نهض متهالكاً الى المرحاض وأفرغ فيه كل ما لديه من حبوب ستيرويد.

كان ماكلين لاعب كرة قدم في مدرسة ثانوية، وزنه ٧٥ كيلوغراماً وطوله ١٩١ سنتيمتراً. فحولته الحبوب مجنوناً يزن ١٢٥ كيلوغراماً. بدت رقبته كأنها جذع شجرة، وفي وجهه ندوب من حب الشباب، وملأت البثور يديه ورجليه وتكسّرت اسنانه بسبب شجاراته المتكررة. ولا يزال ضغط دمه مرتفعاً اليوم وقد بلغ السادسة والعشرين من عمره وترك الستيرويد الى غير رجعة. وهو يقول: "أتمنى لو أعود الى السن السابعة عشرة وأعرف ما أعرفه الآن. لقد خسرت كل شيء الا حياتي."

ظل ماكلين يلعب كرة القدم بعد دخوله الجامعة. وفي عطلة فصل الصيف انضمّ الى ناد رياضي للجمباز. وهناك عرف الستيرويد. لم يعد الى الجامعة، ومضى يحقن جسده بهرمون التستوستيرون الذي حصل عليه من السوق السوداء. وفي نهاية السنة ارتفع وزنه الى ١١١ كيلوغراماً وطرد من نادي الجمباز لانه كان يحطم كل شيء، من حديد رفع الاثقال الى براميل النفايات.

كان يتوق الى ممارسة نزعته العدوانية في كرة القدم. فانضم الى فريق كلية مونت سيناريو في ليديسميث بولاية وسكونسن. لكنه هنا لم ينشر الدمار في ملعب كرة القدم، انما نهب قاعة النوم فطرد من الكلية.

في بيته اقتلع باب البراد وأحدث ثقوباً في الجدران ورشق السيارات بالقرميد. ثم زاد جرعاته من العقار وازداد وزنه الى ١٢٥ كيلوغراماً. وذات يوم هاجم زميلاً سابقاً وأصابه بأذى كبير فقبض عليه. وهو يقول: "عندئذ عرفت انني واقع في ورطة، فأقسمت أن أتوقف عن تناول حبوب الستيرويد، ولن أعود اليها."

امتنع ماكلين عن العقار لتسعة أشهر ثم عاد الى تعاطيه. وبعد عشرة أيام أخذ صدره يرتجف. بعد ذلك امتنع كلياً عن تناول أي شيء منه. وهو يقول: "يكفي أن أرى شخصاً منتفخاً يدخل نادي الجمباز لأعود الى التفكير في الستيرويد. انه الادمان. لكنني مصمم على ألا أعود الى هذا الكابوس."

غاري فرمان في صحيفة "ميامي هيرالد"

فهناك خطر خاص يواجههم. ففيما يكتسبون قوة وعضلاً، فقد توقف الستيرويدات نموّهم من خلال تحويل غضروف الرجلين والذراعين عظماً قبل الاوان فيتوقف نمو العظم بعد ذلك. ومن الاعراض الجانبية الاخرى: انتفاخ الوجه وانتشار العُدّ (حب الشباب) واليرقان والارتجاف وانتفاخ القدمين والساقين وتحول الجلد الى لون قاتم. وهناك أيضاً تأثيرات نفسية: هبّات من الاهتياج والغضب تتعذر السيطرة عليها. ويؤكد الدكتور تايلور: "انني لا أعرف أحداً يتعاطى الستيرويد لم تتغير شخصيته."

وأحياناً تبرز أسوأ أعراض الستيرويد حين يتوقف المرء عن تناوله، لان الشعور بالنشاط والخفة والاعتداد سرعان ما يزول

بعد التوقف ويحل الانحطاط والغفلة وفتور الهمّة.

ان اغراء الستيرويد كبير جداً وسيكون من الصعب احتواء موجة استعماله. غير أن هناك ثلاثة سبل وقائية يمكن - ومن الواجب - اتخاذها، وهي: تطبيق القانون، والتربية الصحيحة، والتنظيم الذاتي.

الستيرويدات عقاقير قوية لم تحظ بالاهتمام الجدي اللازم. والدكتور جون زيغلر هو أول من قدمها الى الرياضيين قبل أن يُعرف مدى خطورتها. لكنه ندم على ذلك الدور المبكر الذي أداه. وقبل وفاته عام ١٩٨٣ قال متفجعاً: "ليتني لم أسمع بكلمة ستيرويد في حياتي. ان هؤلاء الصبية لا يدركون الثمن الباهظ المخيف الذي سيدفعونه."

لكننا لن نضطر الى دفع هذا الثمن اذا بدأنا الآن اتخاذ مزيد من التدابير الفاعلة.

كارل روان وديفيد مازي ■

العودة الى النكهة

كتب الطاهي بول برودوم، من نيو اورلينز في الولايات المتحدة، عن الطعام وأساليب طبخه:

"الناس هنا يحبّون الطعام الطيّب المذاق، وعدد وافر منهم كان يعيش في المزارع قبل سنوات قليلة. ففي المزرعة حيث ترعرعت في اوبيلوزا بولاية لويزيانا لم نعرف اللحم الاحمر غير الناضج. والناس هناك لا يذبحون أبداً حيواناً منتجاً، واذا ما أكلوا أخيراً لحم أحد الحيوانات، كدجاجة مثلاً، فبعد أن تشيخ ويخف بيضها ويعسر مضغها. وعليهم اذذاك أن يغلوها مدة طويلة حتى يرخص لحمها. لكن المرق الذي يحصلون عليه لذيذ رائع. يا له من مرق!

ولقد أمضيت معظم حياتي العملية في محاولة طهو أطعمة لذيذة تضاهي في نكهتها ما كانت تطبخه أمهاتنا في المزارع."

صحيفة "ساترن ماغازين"

تفاهة في محلها

تباهت امرأة امام صديقتها بالقول: "استطيع بفضل مسجلة الكاسيتات ان اسجل استعراضاً على احدى قنوات التلفاز فيما اشاهد برنامجاً على قناة اخرى."

- هذا لا يُصدَّق!

"بلى، فهذه الآلات رائعة حقاً."

- لم تفهمي قصدي! اعني لا يُصدَّق ان تستطيعي ايجاد استعراضين تلفزيونيين جديرين بالمشاهدة، في آن.

د.و.س.

كيف ينظر الرجال إلى النساء؟

قد تندهش
مما في فكر الرجال عن النساء



في احد المطاعم، حيث كنت اتناول العشاء بمفردي، كان المنظر المحيط بي شبيهاً بالمراسم الطقسية: فالى يميني طاولة يجلس اليها رجل وامرأة يتحدثان بهمس، والى يساري طاولة يشغلها ثلاثة شبان يتبادلون حديثا عن كرة السلة.

بدأت اتصفح الجريدة التي كانت معي وفجأة يرتفع الهمس الى يميني ويصير حاداً وينطق الرجل كلمات غير واضحة، ثم تنفعل المرأة وتقول له، وهي تكاد تبكي: "انت لا تفهم شيئاً عني. هل تنكر ذلك؟" ثم تقف بعصبية وترمي منديلا على الطاولة وتغادر المطعم. ويبدو الحرج على الرجل فيلتفت نحوي ويهز كتفيه استهجانا ثم يطلب فاتورة الحساب.

في هذا الوقت يتبدل الحديث حول الطاولة الاخرى وينتقل الى ما هو اصعب من موضوع كرة السلة.

احد الشبان الثلاثة يسأل: "ما هو الامر الذي يضايق النساء؟ ما اعنيه هل يمكن ان يقدم رجل ما على مثل هذا العمل؟

فيرد عليه رفيقه: "لا مجال لذلك." ويضيف الثالث: "ان النساء يختلفن عنا واحياناً يخيل الي انهن من كوكب آخر."

وتستمر المناقشة بينهم لفترة حول مدى غموض هذا الجنس وصعوبة فهمه. وخلصوا الى وصف النساء بالطيش والعناد والنيق، وحتى بالقساوة والجشع احياناً.

ويبدو ان التعب قد حل بهم من كثرة الثرثرة التي دلت على مدى كرههم للنساء، فعادوا الى الحديث عن كرة السلة.

لقد سمعت مثل هذا الحديث المزعج، طوال حياتي، ولحسن الحظ اني عشت بما فيه الكفاية لكي اميز بين ما يقوله الرجال عن النساء وحقيقة تفكيرهم في هذا الشأن.

فعندما تتكلم بجدية مع الرجال حول موضوع النساء، تاركاً جانباً ما يحصل عادة في الحمامات وغرفة تبديل الملابس حيث يكثر الكلام الفارغ، يأتيك كلام واضح جداً حول عدد من النقاط. نبدأ بواحدة: ان الرجال يحبون فعلا النساء وان لا شك في ذلك اطلاقاً.

ولكن لمدى يزيد على العقد، خضع الرجال والنساء، على السواء، لسيل جارف من الحملات الفارغة الداعية الى تحقيق المساواة بين المرأة والرجل، والتي اوحت العكس.

ولطالما قيل لنا ان الرجال ينظرون الى المرأة على انها، في المقام الاول، خادمة غير مدفوعة الاجر ولا تعامل الا على اساس انها خاضعة.

وكان للمحاضرات الجافة الداعية الى تسلط الرجل على المرأة وتجريدها من حقوقها وخصائصها، الاثر الفعال في وصف الرجال بأنهم بلهاء ينقصهم الاحساس بالعدل مما ادى الى قيام موجة من الغضب وقيام مطالب جدية لمساواة اجتماعية، لكنها لم تتعدَّ نطاق الكلام الاجوف.

ومن حسن الحظ انه خلال تلك الحقبة التعسة تابع الرجال ابداء اعجابهم بالنساء. فاحبوهن وتشاجروا معهن وتزوجوهن وانجبوا منهن اطفالا. وقد ذهب بعضهم الى حد القيام بمحاولة شجاعة لفهمهن!

وفي اعتقادي اني اعرف الآن ماذا يريد الرجال من النساء. وقد توصلت الى ذلك من طريق دراسة عامة واقعية، اجريتها بين اصدقاء لي كنت قد طلبت منهم ان يناقشوا اهم الصفات التي تعجبهم في النساء ثم دونت ملاحظاتي واستخرجت منها قائمة بهذه الصفات سأعرضها هنا.

١. الذكاء

اجمع كل اصدقائي على ان هذه هي اهم الصفات، فالنساء الجاهلات او الفاقدات العزم لا يثرن اهتمامهم.

وقد ابدى الرجال من مختلف الاعمار احتقارهم للمرأة الحذقة التي تتصرف بغباء خوفاً من ان يؤدي ذكاؤها الى ابتعاد الرجال عنها. وقال بعضهم: "اذا كانت المرأة تخبىء عقلها، فانها لا بد ان تخبىء اشياء اخرى ايضاً." وميز هؤلاء بوضوح بين الجهل والغباء، معتبرين ان الجهل ناتج من جهل للمعلومات يمكن

المرأة الذكية التغلب عليه بسهولة. وابدى معظم الرجال تحفظاً عن العيش مع المرأة الغبية.

غالباً ما يدرك الرجال ان الضحك والفكاهة هما افضل ترويح عن مصاعب الحياة اليومية، وان الظرف يستحق التقدير. وقال صديق لي: "انا في الحقيقة احب زوجتي لانها تجعلني اضحك واشعر بالانشراح معها". وقال آخر عن زوجته: "لم اشعر بانقباض منذ التقينا."

وقد ثبت ان الرجال لا ينجذبون الى النساء العابسات الخاليات من الروح المرحة كما ان هذا صحيح بالنسبة الى النساء.

الا ان صديقاً اخبرني انه عاش مع امرأة مرحة فترة من الوقت ثم تركها لتعذر قيام تفاهم بينهما نتيجة ردها اللاذع كل مرة يبدي سروره بفوز فريقه المفضل في الكرة على فريق الخصم. فكانت تقول: "ايوه، لكن الصحراء تنتقل جنوبا بمعدل ١٦ كيلومترا كل سنة."

٣. الاعتماد على النفس

في ايامنا، تستهوي الرجال فكرة المرأة الشريكة لا التابعة. ويتحدثون باعجاب عن المرأة التي تبني مستقبلها بنفسها، ولها دخلها الخاص، وتظهر ثقتها بقدرتها على العمل وتبدي اهتماما بما يقوم به الرجل فلا يكون لغيرتها تأثير سلبي على وقته ونشاطه. اي ان تكون مثال "المرأة التي تعتمد على نفسها."

والاعتماد على النفس هنا ليس ببساطة مسألة اقتصادية. فالرجل لا يستسيغ المرأة الضعيفة التي لا يمكن ان تأتي اي عمل من دون مساعدة الرجل على رغم التغيير الذي طرأ على دور المرأة في المجتمع.

ليس جديداً القول ان معظم الرجال يميلون الى النساء الجميلات، فيتبادلون معهن الاحاديث ويسترقون النظر اليهن ويشرئبون باعناقهم لدى رؤيتهن يدخلن اي مكان.

ولكن هذا لا يخرج عن كونه ردة فعل طبيعية تجاه الجمال تماما كالنظر الى لوحة جميلة في احد المتاحف، فهي تلفت انتباهك وتثير اعجابك من دون ان تثير لديك الرغبة في الحصول عليها او اخذها الى المنزل.

وقد طرأت جملة تغييرات على مواصفات الجمال الجسماني في المرأة. فالرجال يفضلون المرأة التي تمتاز بالصحة والجسم القوي المتكامل التكوين ويهزأون من تلك التي تظهر انوثتها في شكل فاضح والتي تتبذل في مظهرها ولبسها وطريقة تصفيفها لشعرها ومن تلك التي تغالي في استعمال مستحضرات التجميل، وقليل من الرجال لديهم صبر لتحمل النسوة المولعات بانظمة الحمية وارتياد نوادي الصحة باعتبار ان الصحة شيء والافتتان بالنفس شيء آخر.

والآن، ما دامت لدى معظم الرجال فكرة واضحة عن النساء، فلماذا يتكلمون

عنهن بهذه الطريقة المحيرة؟ ان ذلك يرجع الى غموض المرأة في تعاملها مع الرجل فيأتي تصرف الرجال غامضاً كذلك.

فقبل عقد ونصف عقد من الزمن، طلبت النساء ان يكون لهن حق ارتياد الفضاء فمنحن هذا الحق. ثم طلبن الحق في الحرية الجنسية. وبعد الحاح طويل على الحرية، ثارت ثائرة النساء على الرجال الذين لم يعطوا اي التزام في هذا الشأن وكانت النتيجة البلبلة والاستياء وخيبة الأمل.

ماذا تريد النساء تماماً؟ اعاد صديقي ترديد ما سأله العالم النفساني سيغموند فرويد يوماً: "ماذا تريد المرأة؟"

انه، كغيره من غالبية الرجال، ينتظر الجواب. لقد طال الحديث بين النساء، وحان الوقت لكي تتحدث النساء الى الرجال. لا ضدهم بل معهم. وهذا لا يعني ان الحديث سيؤدي حتما الى نتائج مثالية بينهما ولكن على الاقل سوف يقضون معاً اوقاتاً ممتعة جداً.

بيت هاميل ■



امّ جاهلة!

طالما حاولتُ ان اكون منفتحة على اطفالي وصادقة معهم كلما اتوا اليّ باسئلتهم، غير ان مروان ابن الست السنوات فاجأني ذات مساء قبل العشاء بالسؤال: "ماما، عندما تزوجتِ هل جعلك ذلك حاملا؟"

فاجبت: "لا، فليس احتفال الزواج ما يجعل المرأة حاملا."

فاصر على السؤال: "حسناً، فكيف اذاً صرتِ حاملا؟"

ولعدم رغبتي في الخوض في محادثة جدية حول هذا الموضوع قبل العشاء، اجبت: "يا مروان إنها ضرب من القصص الطويلة."

فرمقني بنظرة عفريتية من وجهه الصغير ومال برأسه هازئاً: "قولي انك لا تعرفين، أليس الامر كذلك؟"

د.ت.

طب الجرة على فمها...

انتقلت من بيت والدي الى مدينة أخرى حيث استأجرت شقة خاصة بي، وبعد سنتين طارت امي لتزورني للمرة الاولى، فرحت اجول بها باعتزاز في المنزل. قلت: "اعطتني شقيقتي الأريكة الصغيرة، واهداني الوالد جهاز التلفاز، واشترى لي اخي السجادة بمبلغ زهيد، وانتِ امّنتِ لي خزانة الكتب، اما المِصباح فكان هدية من صديقة."

فعانقتني امي بشدة وقالت: "طالما عرفتُ انكِ تستطيعين ان تتدبري امورك بنفسك!".

ر.ب.

اصيب رون شاندران دادلي بالعمى في عامه التاسع عشر فأقسم أن يلقّن فاقدي الاهلية - والعالم - ان تجاوز الإعاقات الجسدية يحتاج الى اكثر من قضاء العمر في اليأس والتبعية

بطل فاقدي الأهليّة

في يوم دبق من ايام الربيع الرطبة في سنغافوره، وتحديداً في ابريل (نيسان) من العام ١٩٥٣، كان رون شاندران دادلي وهو فتى في التاسعة عشرة من عمره اصيب حديثاً بالعمى وهو يلعب "الركبي"، يصعد الدرج المرتفع والضيّق في المبنى القديم الذي كان يأوي "جمعية سنغافوره للعميان" (المعروفة اليوم باسم جمعية سنغافوره للمعاقين بصريا). فتوقف ليقول للسيدة البريطانية المعنية بالمتطوّعين: "بودي ان اساعد." فكان ردها: "حسناً... نِعمَ القرار." وهي فوجئت بعض الشيء. فلم يتفق من قبل ان عرض شخص اعمى نفسه لمساعدة اناس عميان. وجعلت المرأة رونَ "زائراً بيتيا،" اي متطوّعاً يوزع الطعام والثياب والالعاب على عميان سنغافوره. وافهمته أنه يتعين عليه ان يتدبر بنفسه امر تنقله "لان المؤسسة لا تؤمن النقل."

رافق رون سائق العائلة الى منزل متسوّل اعمى في فناء بشارع جالان اونوس. ولقد وجد صعوبة في ايجاد منزل الرجل. فالعناوين المحددة عشوائياً كانت مثبتة في اشجار جوز الهند، وكانت طيور البط والدجاج تسرح جامحة بين منحدرات السطوح المتداعية وعبر الطريق الموحل. واخيراً بلغا كوخ الرجل.

سأل رون زوجة المتسول باللغة المالاوية: "أفي البيت زوجك ام في العمل؟"، لعلمه بان "عمل" الرجل يجري على الارجح امام صالة سينما "الكابيتول."

فاجابت: "هو في زيارة اصدقاء. هل ترغبان في شراب قبل ذهابكما؟"

فردّ السائق بصوت عال: "لا!"

لكن رون اصرّ على القبول.

بعد تناول الشراب حث السائق رون على الاسراع الى السيارة ومسحَ يديه بقطعة قماش قائلا:

"كانت يدا تلك السيدة مصابتين بتقرُّحات مفتوحة راشحة!"

تمالك رون نفسه فما اظهر وَهَن عزم ولا اشمئزازاً. وبعد بضعة ايام التقى المتسول الذي كان بالفعل يستعطي تحت ظلّة صالة السينما. وكانت ساقاه منتفختين من بثور الداء العلّيقيّ. فاستهلّ رون محادثة معه وعرض ان يحصل على مساعدة طبية له ولزوجته. كما وعد بمعاودة الزيارة. وعاد رون الى منزله كئيباً مُحبَطاً من جرّاء ما صادفه من فقر ويأس.



رون شاندران دادلي مسترخياً مع عائلته.

وازدادت مشاعر الاحباط في داخله عندما زار صبياً اعمى يعيش في غرفة ضيّقة مع جدته وشقيقاته الست ووالده صياد السمك. وناشد رون العائلة ان ترسل الصبي الى مدرسة خاصة بالعميان حتى يتسنى له، في يوم، ان يحصل على عمل. لكن الجدة مانعت بشدة وسألت: "لماذا ارساله الى المدرسة؟ انه في احسن حال هنا في البيت حيث يعرف كيف يتجول بأمان، وهو ليس في حاجة الى فعل ايّ شيء."

تساءل رون: هل نكتفي بتزويد الاعمى عصاً بيضاء وشارة مميزة وطعاماً وكسوة وعناية طبية؟ ألا يجدر بنا ان نعيد الى الاعمى كرامته؟ ولماذا لا ندرب العميان على فعل شيء مفيد يدفعهم الى التخلي عن الاستعطاء ويعلّمهم ان يكونوا مستقلين؟ عليّ ان افعل شيئاً ما يغيّر الامور - وأيمُ الله - وان اثقف الجمهور حتى يتقبل المعاقين كأعضاء قابلين للحياة في المجتمع.

قسم الحياة. وُلد رون شاندران دادلي في ابريل (نيسان) ١٩٣٤، ابناً وحيداً لواحد من اوائل السنغافوريين الذين تبوّأوا مركزاً حكومياً بارزاً، وحفيداً لاول ماليزي ينشىء مزرعة للكاوتشوك الطبيعي في جزيرة سيلان (سريلانكا حالياً). عاش ستة عشر ربيعاً في رخاء. وبعد دراسة اكاديمية خارقة في مؤسسة "رافلز" في سنغافوره قُبل لدراسة الطب في بريطانيا.

في العام ١٩٥٣ توقفت خطط الرامية الى التخصّص بجراحة المخ عندما تلقى، في ملعب "الركبي" رفسة عارضة في رأسه اتلفت بصره وتركته اعمى تماماً خلال اربع سنوات.

في البدء كان رون مشوشاً وكئيباً

Photo: Jane Kohen Winter

وغاضباً. وكان من عادته ان ينتظر حتى يغادر اهله البيت ليأخذ في الصياح تكراراً: "انا اعمى! انا اعمى!" مجبراً نفسه على قبول واقعه. اخيراً، وبفضل تشجيع والده الصبور، توصل الى تفاهم مع نفسه في شأن عماه، معتبراً انه اجترّ اشفاقه على ذاته اطول مما ينبغي، واقسم ليجعلن من حياته جديرة بالعيش. فتطوّع لتقديم خدماته المجانية في "جمعية سنغافوره للعميان"، وفي وقت لاحق تسجل في معهد لندن الرفيع لعلم الاقتصاد. وبمساعدة قراء، وما تيّسر من مصادر مكتوبة بطريقة "برايل" للعميان، تدبّر رون امره ليبرز في دروسه.

وفوجىء رون بتطوّعه لترؤس لجنة لمعالجة مشاكل الشابات الآسيويات يأتين الى بريطانيا لتعلّم اللغة الانكليزية في اثناء اقامتهن وعملهن عند عائلة بريطانية. فبعضهن قد استُغِلّ وتعرّض لمضايقات كثيرة. لذا ساعد رون على تنظيم دورات دراسية لتلقينهنّ حقوقهن الشرعية الأساسية وتعليمهنّ اللغة والادب الانكليزيين. وقد اثار الانهماك في العمل حميته، وكتب في احدى مقالاته: "انه لشعور عظيم ان تحس بانك تعمل شيئاً ما، واني اختبره بعد زمن طويل طويل."

وسرعان ما التقى رون رينا، الممرّضة في طبابة الاسنان، وتزوجها. تقول رينا: "التقينا في موعد اول حقيقي." وعاد الزوجان الى سنغافوره بعد تخرُّج رون الذي اصبح الامين العام لجمعية سنغافوره للعميان.

كانت هذه الجمعية قد عملت منذ نشأتها بادارة اناس مبصرين لا ينقصهم حُسن النيات ولكنهم اداروها بذهنية الواهب المحسن العطوف. وقد سكن عدة اولاد عميان المباني التابعة لها، حيث لازموا المدرسة مع اولاد آخرين معاقين بصرياً، غير انهم تعلموا القليل من المهارات المهنية. ونتيجة لذلك نموا عالة على غيرهم ووجدوا صعوبة في الاندماج في المجتمع التقليدي.

يقول باتريك سيم هاك كنغ المدير التنفيذي الحالي للجمعية: "لقد نقلها رون من حال الى حال. كان منافحا لاعطاء الاعمى صوتاً، واعتمد سياسة تقرر ان نصف اعضاء اللجنة التنفيذية على الاقل، فضلا عن رئيس الجمعية، يجب ان يُختاروا من بين المعاقين بصرياً."

طوّر رون نظاما يتيح للاولاد العميان ان يعيشوا في منازلهم ويلازموا المدرسة الابتدائية في مقر الجمعية ثم يندمجوا كلياً في النظام المدرسي العادي على المستوى الثانويّ. ومهد لهم الطريق كي يشاركوا بشكل كامل في المجتمع كعاملي هاتف وباعة او كتبة في محلات تجارية، وعملاء تأمين ومعلمين وعاملين مهرة على الدماغ الالكتروني، بخلاف الجيل الاكبر سناً من العميان الذين ظلوا أميين وعالة على المجتمع. وترك رون الجمعية بعد خمس سنوات ليدرس الاستشارة المهنية والعلاج النفسي اللازمين لاعادة التأهيل المهني، بموجب منحة من "مؤسسة فولبرايت" في جامعة ولاية نيويورك بمدينة الباني.

في العام ١٩٧١ عاد الى سنغافوره، وخلال السنين العشر التالية وزع نشاطه

على حقول اخرى من الخدمة الاجتماعية. عمل مستشاراً يقدِّم النصح للمفرطين في تعاطي المخدرات، ودرّب موظفين لملاحقة المعالجين لمصلحة "جمعية سنغافوره لمكافحة المخدرات"، واصبح نائب رئيس "جمعية سنغافوره للسلامة العقلية" ومستشارها المتطوع. وحتى العام ١٩٨٠ ظل رئيس جمعية سنغافوره للمعاقين بصرياً.

الانجاز الكبير. من الانجازات الكبرى التي تسجَّل لرون اشتراكه في تأسيس "المنظمة الدولية لفاقدي الاهلية"، المنتسبة الى الامم المتحدة والمموَّلة من مختلف الهيئات الدولية والمؤلفة من العاجزين عن العمل الذين ينافحون لتغيير المواقف السلبية ازاء ٥٠٠ مليون عاجز في العالم وإبدال السياسات التي تمليها هذه المواقف.

انشئت المنظمة الدولية لفاقدي الاهلية خلال المؤتمر العالمي الثالث عشر لإعادة التأهيل الدولي الذي انعقد في كندا في العام ١٩٨٠ عندما شعر رون، ومعه ١٣ مندوباً آخرين من فاقدي الاهلية، انهم لا يحصلون على حق في إصدار القرارات موازياً للحق الذي تمارسه هذه المنظمة المؤلفة من محترفين في اعادة التأهيل. فقرر الـ١٤ عقد المؤتمر التأسيسي للمنظمة الدولية لفاقدي الاهلية في سنغافوره في السنة المقبلة.

خلال الاشهر الثمانية السابقة للمؤتمر، عمل رون مع فريق من المتطوعين حتى الانهاك. وتستعيد المداوية الطبيعية جيرالدين تاي تلك الاوقات: "ألهَمَنا رون فعلا المثابرة. ولم تتوافر لنا اموال التأسيس الا في اللحظة الاخيرة، وكنا كلنا قلقين. غير ان رون ثابر على القول إن المال سوف يتوافر بطريقة ما."

كانت احدى كبرى المهمات التي واجهت رون ايجاد فندق يحوي تسهيلات تناسب الحاجات الخاصة بهذا الفريق من المؤتمرين. ولقد اختار فندق "هيات"، ولكن كان عليه اجراء مقدار ضخم من التخطيط والتجديد قبل ان يتمكن المندوبون من العيش والعمل في المباني الملحقة به. وترجَّحت الترتيبات من تجهيز ازرار المصاعد بكتابة "برايل" النافرة الى شحن رئة فولاذية من اوستراليا لمندوب يعاني مشاكل تنفسية جسيمة.

التأم المؤتمر في ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ في حضور ٤٠٠ مندوب عن فاقدي الاهلية - بعضهم عميان والبعض الآخر مقعدون فوق كراسٍ مدولبة، والقليل لا يقدر على تحريك اكثر من إصبعٍ واحدة. وكانت المعنويات مرتفعة.

انتخب رون رئيساً للمنظمة التي تكرست لإعادة الكرامة الى فاقدي الاهلية بتخويلهم الحصول على التدريب والتربية اللذين يحتاجون اليهما من اجل ان يكونوا مسؤولين عن حياتهم الشخصية. ذلك كان حلماً بدأ يراود رون منذ اليوم الذي التقى فيه المتسوِّل الاعمى.

رأى مندوبون كثيرون أن تأسيس المنظمة الدولية لفاقدي الاهلية هو نقطة تحوُّل بالنسبة الى هؤلاء. ويقول بنغت

ليندكفيست الوزير الاسوجي للشؤون العائلية: "إن المنظمة اعطت فاقدي الاهلية شعوراً ووعياً أنّ لهم الحق في الوصول الى مختلف شرائح المجتمع مثل اي انسان آخر." ونقل المندوبون الى بلدانهم التوجه الثوري للمنظمة فاثروا بالتالي في توجيه السياسات المتعلقة بفاقدي الاهلية في حقول التربية والعمل والتوظيف في عدد من البلدان، بما فيها اوستراليا وماليزيا وسريلانكا وكندا واسوج والفيليبين.

وساهم رون ايضاً، مساهمة ذات مغزى، في تأسيس "مركز سنغافورة للتقويم المهني والتوظيف الملائم،" حيث يعمل فريق متعدد الاختصاصات قوامه اختصاصي بالمعالجة المهنية وعامل اجتماعي وعالم نفسي، على تقدير المهارات عند طالب العمل المعاق وعلى مساعدته على ايجاد العمل الملائم. ومنذ انشاء هذا المركز في العام ١٩٨٤، امّن وظائف لـ٤٣٠ شخصاً.

وبمساعدة المركز توصل عامل ميكانيكي على رافعة، بُترت ساقُه نتيجة سرطان، الى تأمين عمل كمسؤول عن تشغيل مصعد كهربائي. وفي ذلك يقول: "لقد اعاد اليّ ثقتي بنفسي كوني قادراً على معاودة العمل بعد سنتين من العجز."

رجل ظريف. لا يضارع طاقة رون التي لا تنضب وتفانيه حيال قضايا فاقدي الاهلية، الا اخلاصه وفصاحته وحماسته. ويتأتى ايضاً قسم من سحره وقدرته على التأثير في الناس من ظرفه وروح الفكاهة عنده حتى على حساب شخصه. ففي عشاء في جنوب الهند خُصِّصت لكل مدعو ورقة موز كمفرش صحن، ووُضعت فيها تشكيلة من الكري(*) باكوام صغيرة. وطال الامر برون الى نهاية الوجبة تقريباً حتى يكتشف انه اكل نصيبه عبر ورقته وتجاوزها الى نصيب جاره. وقال رون في ما بعد وهو ينفجر بضحكته المُعدية: "لم ادرك اين تنتهي حدود ورقتي وتبدأ حدود ورقة جاري!"

كانت قدرة رون على إضفاء شعور بالراحة على المتعاملين معه ركيزة ثمينة في ممارسته الاستشارة التي اخذها عن اهل بيته. وكان يحيل زبائنه على تنظيمات الخدمة الاجتماعية.

كان رجل اعمال صيني مضطرباً من جرّاء شعور بالنقص وعدم الجدوى، وخوف من الفشل وعدم قدرة على حب احد ما — حتى نفسه وزوجته وولده. وظل سنين عدة يستشير محللين نفسيين وعلماء نفس ومرشدين اجتماعيين ورجال دين، وحتى "البوموه" (الاطباء الماليويين التقليديين.) وكان رون اول شخص اصغى اليه فعلا وحاول ان يغوص الى جذور مشكلته. وبعد ثلاث سنوات من العلاج على يدي رون، الذي يُعتبر اصغاؤه بعناية التقنية العلاجية الاكثر فاعلية، توقف الرجل عن تناول الادوية وبرز في عمله. واكثر من ذلك، تعلم ان يحب نفسه. وهو يقول: "من هذا النوع من احترام الذات تولدت قدرتي على محبة عائلتي."

واستنجدت برون، في يأس، مراهقة مصابة باعياء نفساني جسيم وعاجزة عن

(*) بهار هندي او رز منكّه به.

التحدث الى اهلها، ولاسيما الى والدتها. وفي ذلك تقول: "شدِدت الى رون بسبب لطفه وحدسه. فقد ساعدني على ادراك ما في الطبيعة من روعة وجمال يُهديان الينا كل يوم. وهو يشعرك أن العالم يبدو افضل فيغدو هذا الشعور جزءاً من نفسيتك."

منذ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٤ عمل رون بلا كلل على هدم الحواجز المعمارية والمواقفية. وسافر في العام ١٩٨٦ بمفرده الى كوريا والهند واليابان وكندا واسوج ليلقي خطباً حول مواضيع تراوح بين بدائل انظمة النقل ومساعدة الناس الذين كانوا مصابين بالبرص على ايجاد عمل. وفي اغسطس (آب) ١٩٨٧ منحته الامم المتحدة جائزة قيّمة – هي الاولى من نوعها – لما كرّسه من خدمة في دعم برنامج الامم المتحدة المتعلق بالاشخاص الفاقدي الاهلية. وعلى رغم سيطرة الخرافة القائلة بان فاقد الاهلية لا يستطيع ان يكون مستقلا فلا يزال رون يواجهها محطماً وهم عجزه. اما رسالته فبسيطة: لا يعيق فاقدي الاهلية الا محيطهم.

جين وينتر ■



بومة لتخفيف الوزن!

راقبتُ بدهشة الرجل المتجه نحوي على مزلجة تندفع عجلاتها الاربع فوق مجاز الدراجات الهوائية. كانت بومة منبسطة الجناحين تتشبث بقطعة جلد مدبوغ فوق كتفه. وعندما اقتربا مني اكثر تأكدت ان الطائر الضخم كان فاقداً جزءاً من احد جناحيه. فتوقف المتزلج لاستعادة انفاسه وقال لي: "نخرج مرتين في النهار بحيث يتسنى للبومة ان تدّعي انها طائرة." فقلت: "انا متأكد انها سوف تفيك دينك لو هي استطاعت ذلك."

– لقد سبق لها ان فعلت ذلك، فقد ساعدتني على خفض ١١ كيلوغراماً من وزني كما جعلتني اقلع عن التدخين. قال هذا، وانطلق مجدداً مع طائره.

ج.ا.

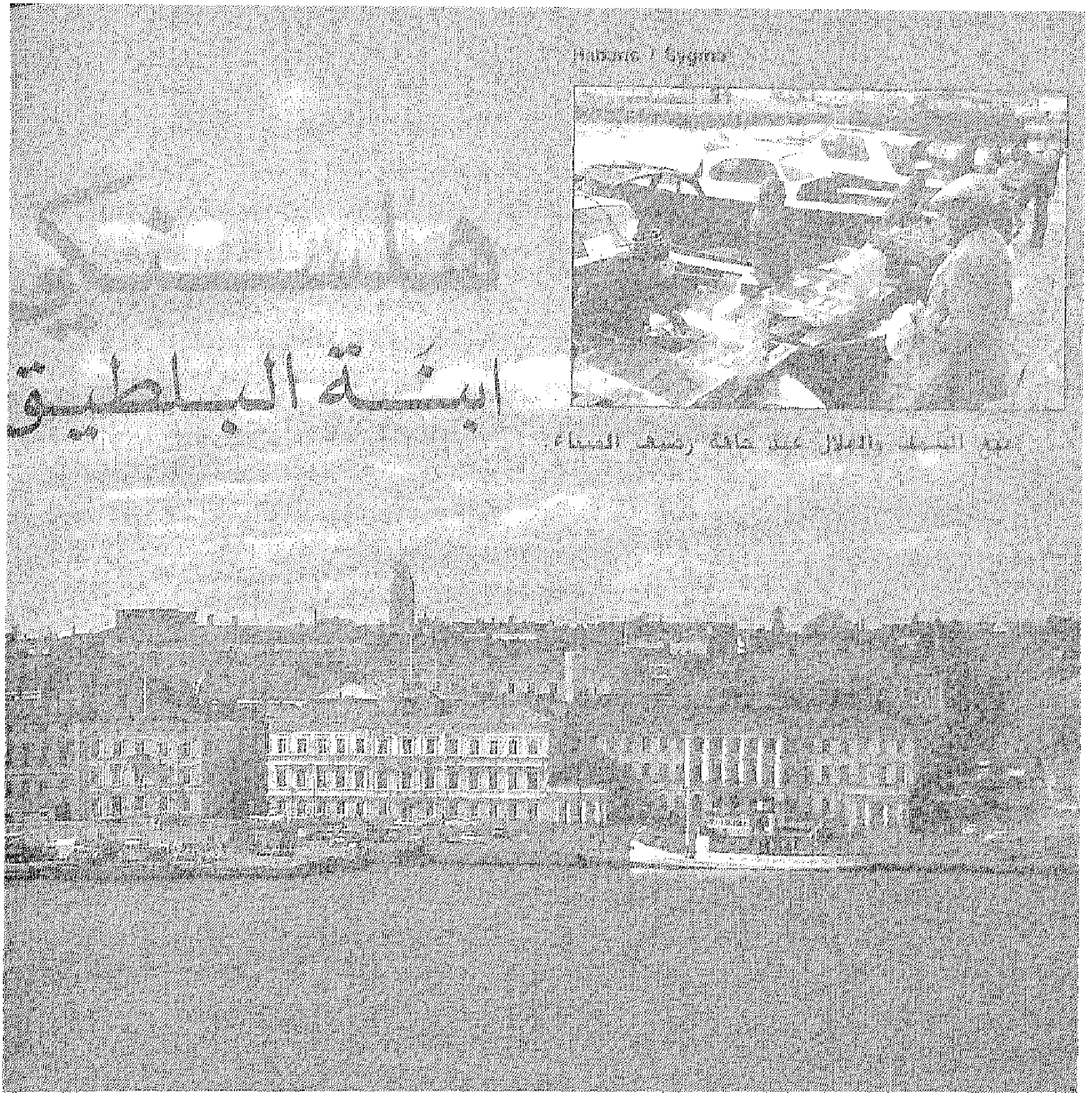
غريزة البقاء

احتفظ في فِناء منزلي بخمسة كلاب في خمس حجرات مختلفة الاحجام. ذات يوم، في اثناء عاصفة ممطرة عنيفة، خرجت اتفقد كلابي المدللة. كان كلب واحد يحتل الحجرة الكبيرة، وكانت الحجرة المتوسطة تأوي كلبين، والحجرات الصغيرة يضم كل منها كلباً واحداً. ثم دخلت المنزل وانا مطمئنة الى ان الكلاب ناعمة بالدفء والجفاف.

وبعد قليل لمع البرق في السماء ودوّى هزيم الرعد. وعندما اختلست النظر الى الفناء، من الباب الخلفي، كانت كل الحجرات فارغة باستثناء اكبرها حيث تجمعت الكلاب كلها.

ج.ك.

ابنة البلطيق



بيع السمك والغلال عند حافة رصيف الميناء.

انها مزيج من اسكندينافيا وروسيا، من التقليدي والعصري، من الريفي والمتكلّف. هذه المدينة الفنلندية هي ذات مزية يصعب اكتناهها: هي الروح...

طريقك إلى وسط هلسنكي تبلغه بحراً. والرحلة البحرية عبر البلطيق تمر بجزر سماقية اللون رمادية أصبحت ملساء من ارتطام كتل الجليد العائمة، وترتحل خلال ندف من ضباب الصقيع الى حدود اوروبا الغربية. سكان العاصمة الفنلندية يسمونها "ابنة البلطيق" وهي تسفر عن نفسها، اذ تدنو منها، على الافق قبالة سماء شمالية متوهجة.

شمس الصباح تومض في سماء تعكس

النظرة العجلى كافية لكشف الصراع التاريخي بين الشرق والغرب على روح فنلندا. واذ يدنو بك القارب اكثر فأكثر، تشاهد أيضاً مباني حديثة من الأسمنت والفولاذ والزجاج الملون، وأوثان تتخذ رموزاً لسعة العيش، حيث تعرض هذه الأمة حريتها الناهضة من أغلال الماضي.

تدفع قاربك عبر المياه الراكدة في المرفأ الجنوبي، وانت مدرك ان هذا آخر ميناء رئيسي تعرّج عليه في طريقك إلى ذلك الشيء المعمّى المترامي الاطراف، واسمه الاتحاد السوفييتي. هذه الفكرة قد تبعث الرهبة في النفس غير ان هلسنكي تشع بأحاسيس وطنية انسانية. انها مزيج من العنصر الريفي البسيط والعنصر المتكلف وتتسم بمزية يصعب ادراكها، هي الروح.

وإنك لتشعر بها منذ البدء. تمشي عبر الواجهة المائية المرصوفة بالحصى إلى كوباتوري حيث السوق. هناك ترتفع سقوف الدكاكين المشمّعة برتقالية اللون اذ يداعبها النسيم تحت صخرة زوجة القيصر، وهي مسلة حجرية يعلوها عقاب برأسين من عهد آل رومانوف، آخر سلالة حكمت الامبراطورية الروسية.

هذه هي سوق المدينة التي انشئت رسمياً عام ١٨١٢، واعلنت فيها هلسنكي عاصمة فنلندا. لكن جذورها ترقى إلى العام ١٦٤٠ حيث لم تكن المدينة سوى مجموعة من المباني الخشبية والأزقة الموحلة. واليها يفد الناس مبحرين من الجزر الساحلية لبيع السمك والفاكهة والخضر إلى سكانها البالغ عددهم ٣٥٠ شخصاً. ولا يزال هذا التقليد المأثور



صورة ظلية لكاتدرائيتين، واحدة لوثرية ذات طراز كلاسيكي محدث تقبع بفخار فوق واجهة مائية من قصور القياصرة المنحوتة برشاقة والمظللة بالاقلام الطباشيرية الملونة، وواحدة ارثوذكسية اكثر قتامة وغموضاً، ذات قرميد احمر، فتقع على مسافة ابعد شرقاً، ويتلألأ النور من قبيباتها الثلاث عشرة المذهبة كثمار البصل. وهي تبوح بالاساطير البدائية الفجة التي تكتنف روسيا.

سارياً بعد اكثر من ثلاثة قرون وبعدما تزايد عدد السكان فبلغ ٤٩٠ الف نسمة.

كل صباح - عدا ايام الآحاد - يصل سكان الجزر الى حافة رصيف الميناء وبحوزتهم اسماكهم والغلال. ها هنا، تقف لينيا غرانكفست القادمة من جزيرة كومسالو، في صدر مركبها وتزن سمك الفسيخ المدخن في ميزان يدوي يبدو عليه اثر الزمن، ممازحة زبائنها باقتضاب.

انها تنهض في الرابعة والنصف فجراً وتشرع في تدخين الأسماك التي يصيدها زوجها هنري، في وقت متقدم من ذلك الصباح. واذ تغدو ألوانها كالذهب الصقيل، تذر ملح البحر عليها وهي تحملّها في صناديق وترفعها من ثم لتضعها على ظهر مركبها. وهي تقول عن ذلك: "ما أقوم به يرقى إلى غابر السنين. لقد فعلته أمي من قبلي. انها ليست بالحياة السهلة، لكنها تحقق الذات وتمدنا بنقود اضافية."

ولينيا، كسائر سكان الجزر، تتكلم اللغة الاسوجية (السويدية). وهي إرث من ايام السيطرة الاسوجية التي دامت من نحو ١١٥٠ بعد الميلاد متخللة فترات وجيزة من الحكم الروسي حتى العام ١٨٠٩ حين دمجت فنلندا مع امبراطورية القيصر كدوقية مستقلة كبرى.

واذ انتهزت فنلندا قيام الاضطرابات الثورية في روسيا لتعلن استقلالها عام ١٩١٧، تضاءلت اهمية اللغة الاسوجية باطراد. واليوم يتكلم هذه اللغة ٦،١ في المئة من سكان البلاد الذين يعدّون ٤،٩ مليون نسمة، وبذا تكون لينيا غرانكفست متحدرة من سلالة بائدة لولا انصاف الفنلنديين للأقليات. وتنتج من ذلك آثار خصامية، فثمة برامج تلفزيونية متعددة وقناة اذاعية بالاسوجية، وافلام سينمائية بعناوين فرعية واشارات في الشوارع بالاسوجية والفنلندية.

غير ان السائح الذي يطوف بسوق المدينة، سرعان ما يقع على اصحاب اكشاك يتكلمون الانكليزية. تجار القطع التذكارية والملابس والجلديات يستغلون افتتان السياح الغربيين بمجاورة فنلندا للاتحاد السوفييتي. وتعرض جورما فيلجاكانين مثلا قبعات مصنوعة من إهاب الذئاب. وحسب قولها: "الجلود مصدرها روسيا، لكن القبعات تصنع في فنلندا، وهي لذلك أرخص واجود من اي سلعة تلقاها هناك" مشيرة بإبهامها شرقاً.

ولدى مغادرتك السوق مشياً، تعرّج على حوانيت تطل منها اسماك السلمون والتروتة فاغرة أفواهها من بين طبقات الثلج المهروس، إضافة إلى أكوام يسيل لها اللعاب من الكشمش الأحمر والأسود، والفريز (الفراولة) وتوت العليق الأحمر الملطخة بالألوان. ويفضي بك المسير إلى نافورة "هافير آماندا"، وهي تمثال ملفز لحسناء جرمانية في سن الزواج يستغرقها التفكير، وهي مكملة لحورية الماء الصغيرة في كوبنهاغن.

وبعد بضع خطوات تلفي نفسك في "اسبلانايد" وهي ممشى شجري عام يمتد من الواجهة المائية إلى مانرهيمينتي المجاز الرئيسي لهلسنكي. ها هنا الأرصفة مزدحمة بالمتسوّقين الأنيقين،

ونوافذ المخازن محشوة بالبضائع الاستهلاكية. ومعظم المباني الحكومية مصفوفة على طول هذه الجادة المسماة باسم الماريشال الفنلندي كارل غوستاف مانرهايم (١٨٦٧ - ١٩٥١) قائد الجيش الفنلندي في "الحرب الشتوية" للعامي ١٩٣٩ - ١٩٤٠ وحرب ١٩٤١ - ١٩٤٤. وقد حارب الفنلنديون في كليهما ببسالة عجيبة ضد جموع السوفييت الطاغية على نحو كاسح.

وتنطلى تحت ستار الترف هذا، خصيصة جرمانية يدعوها الفنلنديون "سيسو" وترجمتها "الشجاعة" أو "الجسارة" وهذه المزية مكنت الفنلنديين من أسر تسعة من الروس في مقابل كل فنلندي في الحرب الشتوية، وأن يتعافوا بسرعة بعد السلام المذل المفروض عليهم من السوفييت عام ١٩٤٤، وهذه السجية ايضاً تبقي اهالي فنلندا ذوي شعور وطني راسخ إلى يومنا.

شعب اساطير. انهم شعب آتٍ من اساطير كاليفالا الغريبة، وهي مصائد الملاحم الشعبية التي تحكي عن ابطال يقارعون الايائل الحدب الضخمة والدببة والأسماك. وللتأثير صداه في مكان لا يخطر في البال. في الكسنتيرنكاتو، أحد الشوارع التجارية الرئيسية حيث تحرس أشكال كاليفالا الحجرية الضخمة، أبواب الخشب المزوقة المغطاة بالحديد في مصرف كبير.

وعلى مسافة ابعد من ذلك، تفضي الجادّة إلى ساحة المجلس الاشتراعي التي صممها المهندس المعماري س.ل. انجيل الالماني الاصل، وهو مصمم عدد من الابنية في سان بطرسبرغ. ونجم عن ذلك تماثل يلفت الانتباه بين لينينغراد وهلسنكي. وعلى نحو مغاير لقلب المدينة التقليدي هذا، فإن طراز البناء الحديث في المدينة مفرط في الغرابة. ففي محطة آليل سارنين ذات الصوان الزهري، يندفع المسافرون عبر مدخل فخم مقوّس تحت نظرات اربعة عمالقة من السلاف يحدقون بتجهم ممسكين بمصابيح كهربائية.

ويفاجأ زوّار البورصة وشركة الهاتف المجاورة، بشكلين يبدوان كحصنين من القرون الوسطى. والأغرب من هذا كله، المتحف الوطني الذي يحرسه دب حجري ضخم، ويعلوه برج يذكر بعفريت يعتمر قبعة. وعبر الطريق من المتحف تبدو قاعة فنلنديا التي صممها آلفار آلطو، المهندس المعماري الشهير. هذا البناء البارق الابيض ككسف الثلج، يستعمل قاعة للاجتماعات وللحفلات الموسيقية.

في الصيف يهجر سكان هلسنكي مدينتهم مبحرين اسراباً الى الأرخبيل أو للتردد على اكواخ العطلة التي يملكونها. في امكانهم ان يرقبوا مغيب الشمس من الرواق. وقد ابتكر الفنلنديون علاجاً شافياً لمتاعبهم هو حمام البخار المعروف بـ"السونا."

ولدى "جمعية السونا" في جزيرة لونا ساري، ضمن حدود مدينة هلسنكي، اربعة حمامات بالبخار توقد بالخشب حيث يسع المرء ان يجلس في درجات حرارة تبلغ نحو ٩٠ درجة مئوية، ويقذف الماء على حجار ساخنة لتوليد البخار فيما هو يدلّك جسمه برفق بحزمة من قضبان ليّنة من

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة؛ تهتم بشؤون كل بيت:



- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

شجر البنولا المورق. بعد ذلك يمكنك، ان كنت ذا شجاعة كافية، ان تقفز في الشتاء إلى حفرة في البحر، المكسو بالثلج، خارجاً كي تبرد.

ويشرح بيركو فالتاكاري الامين التنفيذي في جمعية السونا للزوار المتشككين، وبينهم الأمير فيليب زوج ملكة بريطانيا: "من النافع جداً لك، اذا كانت صحتك جيدة، أن تقصد السونا لإنعاش الذهن بالإسترخاء واكتساب النقاء الجسماني والروحاني سواء بسواء."

ولا يمضي الفنلنديون اوقات فراغهم مستحمين بالبخار فقط، فالحياة الثقافية في هلسنكي تشمل ١٧ مسرحاً وثلاث جوقات سمفونية وفرقة باليه. وقد ذاع صيت اوبرا المدينة منذ عهد ليس ببعيد، ترفدها هتافات الترحيب التي حازتها "الفرقة الفنلندية الوطنية" في انحاء العالم. وثمة دار أوبرا جديدة قيد الانشاء وتتسع قاعة الحضور الرئيسية فيها لـ١٤٠٠ شخص.

والفنلنديون قراء نهمون ايضاً، يتباهون بنسبة متعلمين تبلغ ٩٩ في المئة من عدد السكان. وهم يستهلكون نحو ٣،٣ مليون نسخة من الصحف كل يوم وهي من كبرى نسب القراء الافراد في العالم. و"هيلسنجت سانومات" الفنلندية اليومية هي كبرى صحف الصباح في المنطقة الجرمانية وقد تأسست عام ١٨٨٩.

وثمة مكتبة في "اسبلانايد" صممها آلفار آلطو، وهي كبرى المكتبات في العالم، يؤمها سنوياً قرابة ٥ ملايين زبون وفيها مخزون من مليون كتاب. ويقول المدير الاداري فيها جورما كايميو: "غايتنا ان نكدس كل الكتب ذات الأصل الفنلندي وغالبية الكتب المطبوعة باللغة الاسوجية".

واذ يسعك أن تستقبل البرامج السوفييتية على التلفاز الهلسنكي، فإن المشي في احياء المدينة يومىء ايماءة خفيفة إلى الجار الشرقي العظيم. وأحد المدركين لهذا الأمر هو هانو بانتيللا، مدير "ستوكمان" المتجر التنويعي الاكبر في فنلندا وهو كنز من البضائع للعالم بأسره. وهذا المتجر هو الوحيد الذي جعل حياة الغربيين في موسكو محتملة عدداً من السنوات. ويقول بانتيللا في ذلك: "ان جماعة السلك الديبلوماسي هناك يحسبون ان عاصمة فنلندا اسمها "ستوكمان" لأنها تتردد على مسامعهم باستمرار. ونحن نزودهم كل الأشياء من زجاجات الحليب اليومي إلى السيارات."

ويستشعر المرء الوجود السوفييتي في نواح أخرى. فمن بين ٣،٣ ملايين سائح يؤمون هلسنكي سنوياً، يجيء ٣٥ ألفاً من الاتحاد السوفييتي.

ولا شك في ان كثيرين من السياح السوفييت يشعرون في فنلندا شتاء كأنهم في موطنهم، اذ تغدو المدينة جحيماً ابيض من عواصف الثلج والازقة التي يتغشاها الجليد. وفيما تنخفض درجة الحرارة احياناً إلى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر وادنى من ذلك، يأخذ البحر بالتجمد في شهر يناير (كانون الثاني). وتبقي السلطات المسؤولة عن المرفأ المجازات البحرية الرئيسية مفتوحة. وعندما يبلغ الجليد ثخانة معينة، يجري

التأشير الى طريق طولها ثلاثة كيلومترات (بسرعة اقصاها ٣٠ كيلومترا في الساعة) على البحر المتجمد الممتد من البر الرئيسي إلى سومينلينا حيث يعيش ألف شخص على مدار السنة. ويقول الجاس مورينن مدير الهيئات المسؤولة عن المرفأ: "المشكلة أن الطريق (المتجمدة) مناسبة جداً للسير، ولذا تصبح مرغوبة. وكم نعاني صعوبات في زجر الناس عن استعمالها اذ تشير ابحاثنا الى أن الجليد غير سليم."

هلسنكي لا تنسى في الشتاء. وثمة شعور موحش بالمكان له روعته: يجيء نور النهار ويمضي في أقل من ست ساعات، وتخفق قباب الكاتدرائيتين وبتقطع اذ تغمرهما الانوار الساطعة عبر الثلج المدوّم الذي يكتم كل صوت، عدا الريح بعويلها وهزيمها كأشباح أبطال "كاليفالا."

واذ تسير قاصداً المعدّية، يكوي الهواء حلقك ورئتيك فيما يجذب الصقيع بعنف نعلي جزمتك وكأنه يناشدك البقاء. تقف على سطح المركب مراقباً المروحة الدافعة تحرّك الجليد فتقطعه كِسَراً صغيرة، وتحرّك المركب الضخم عبر منشار منحنيات في البحر المتجمد. واذ تخبو انوار هلسنكي وراء المركب، تكون وحيداً مع البرد القارس ومعك ذكرياتك ومودة فضولية ملحاحة لابنة البلطيق تلك.

كريس موزي ■



نداء... نداء...

عندما توجهت الى المطار لاستقبال ابنتي وعائلتها، كان ازدحام السيارات ممتداً مسافة كيلومترين تقريباً من الطريق المؤدية الى منطقة الوصول. وفيما رحت اقود ببطء في الدوار الاخير شاهدت احفادي منتظرين عند المهبط الاوسط على مسافة غير بعيدة. وإذ توقف السير مجدداً مددت رأسي خارج السيارة وناديت باعلى صوتي: "ليلى! فادي!" سمعني الولدان فاقبلا راكضين. عندئذ انزلت امرأة زجاج سيارتها ورائي وسألت: "هلا تكلّفتِ نداء ياسمين؟"

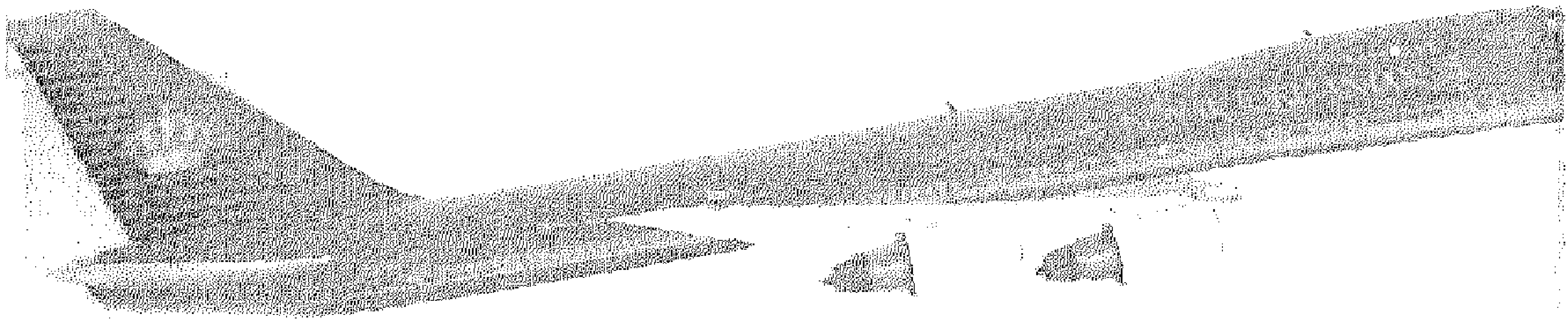
ب.ف.ا.

اجتماعات الاساتذة

عادة، تكون اجتماعات الهيئة التعليمية في جامعتنا طويلة ومملة. وذات يوم سمعت أستاذاً للرسم يحاول أن يُقنع مُدرّس موسيقى بمرافقته الى أحد هذه الاجتماعات. قال: "قد لا يدوم الامر طويلاً، وقد يحدث شيء مهم." فوهنت مقاومة الزميل وقال: "حسناً، سأذهب معك، ولكن بشرط أن نجلس في مؤخر القاعة وأن ترسم صوراً مضحكة كما فعلت في الاجتماع الاخير."

ب.ا.

تقدّم متواصل نحو آفاق جديدة



Flight		Time	Information
LOS ANGELES	RJ 265	15.45	ON TIM
SINGAPORE	RJ 182	16.10	
LONDON	RJ 111	17.30	
DUBAI	RJ 609	18.45	

ان الدقّة في المواعيد هي إحدى الميّزات التي جعلت الملكيّة الأردنيّة تنال ثقة مسافريها.

فمن الشرق الأوسط إلى أوروبا والولايات المتحدة والشرق الأقصى، تحملك طائراتنا في جوٍّ من الراحة والرفاهيّة، وتوفّر لك مستوى عالٍ من الخدمة والرعاية.

سافر على طائراتنا الحديثة من طراز بوينغ ٧٤٧، وترايستار وآرباص، تجد الراحة التي تنشدها في مقاعد النوم الوثيرة والمطبخ العالمي الفاخر والضيافة التقليدية الاصيلة.

سافر مع الملكيّة الأردنيّة إلى كافة أرجاء العالم، وثِق من أنّك ستجد الترحيب الحار دائماً في موعده.



تجدّد لا يتوقّف

أبوظبي • أمستردام • العقبة • أثينا • بغداد • البحرين • بانكوك • بيروت • بلغراد • بروكسل • بوخارست • القاهرة • الدار البيضاء
كوبنهاغن • دمشق • الظهران • الدوحة • دبي • فرانكفورت • جنيف • اسطنبول • جدة • كراتشي • كوالالمبور • الكويت • لارنكا • لندن
لوس انجلوس • مدريد • موسكو • مسقط • نيويورك • باريس • الرياض • روما • صنعاء • سنغافورة • طرابلس الغرب • تونس • فيينا

مدينة الملاهي

في ركن عابق بالسحر من ذاكرتك، مكان للطفولة وحدها حيث تشرق الشمس دوماً وتذوب الهموم ككوز مثلجات على اسفلت ساخن. مدينة الملاهي هي بوابة العبور الى ذلك الركن...







سأل طفل في السابعة اباه: "هل جئت هنا طفلا؟"

- لا لم آتِ الى هنا. لكن الملاهي متشابهة دوماً. لقد ركب جدك الدولاب الدوّار وجدي ايضاً.

الدولاب اختفى الآن، فقد زاحمته القناة المزخرفة، وهي اشد اغراء.

"يا للعظمة!" يقولها الولد اذ يغادر المركب على شكل جذع شجرة عند نهاية المنزلق. الأب وابنه منتقعان بالماء.

وإذ يمضي النهار متطاولا، تبرز صور خاطفة لاوقات بعد ظهر أواخر الصيف طفل دارج ينظر شزراً من عربته الى الأراجيح الطائرة، فيما يومىء اخوه: "انظر، ماما في السماء"، حلوى "غزل البنات" من ألياف السكر المنفوش، السجق المتبل، المياه الفازية، ثمار التفاح المغلفة بالسكر المحروق أو المتبلر تمسكها عيدان قصيرة."

وعند منحدر خروج القطار الحديد المصغر، صبي محملق العينين يهتف بأمه:"هذا افضل ما ركبته في حياتي. كدت أقذف ما في جوفي".

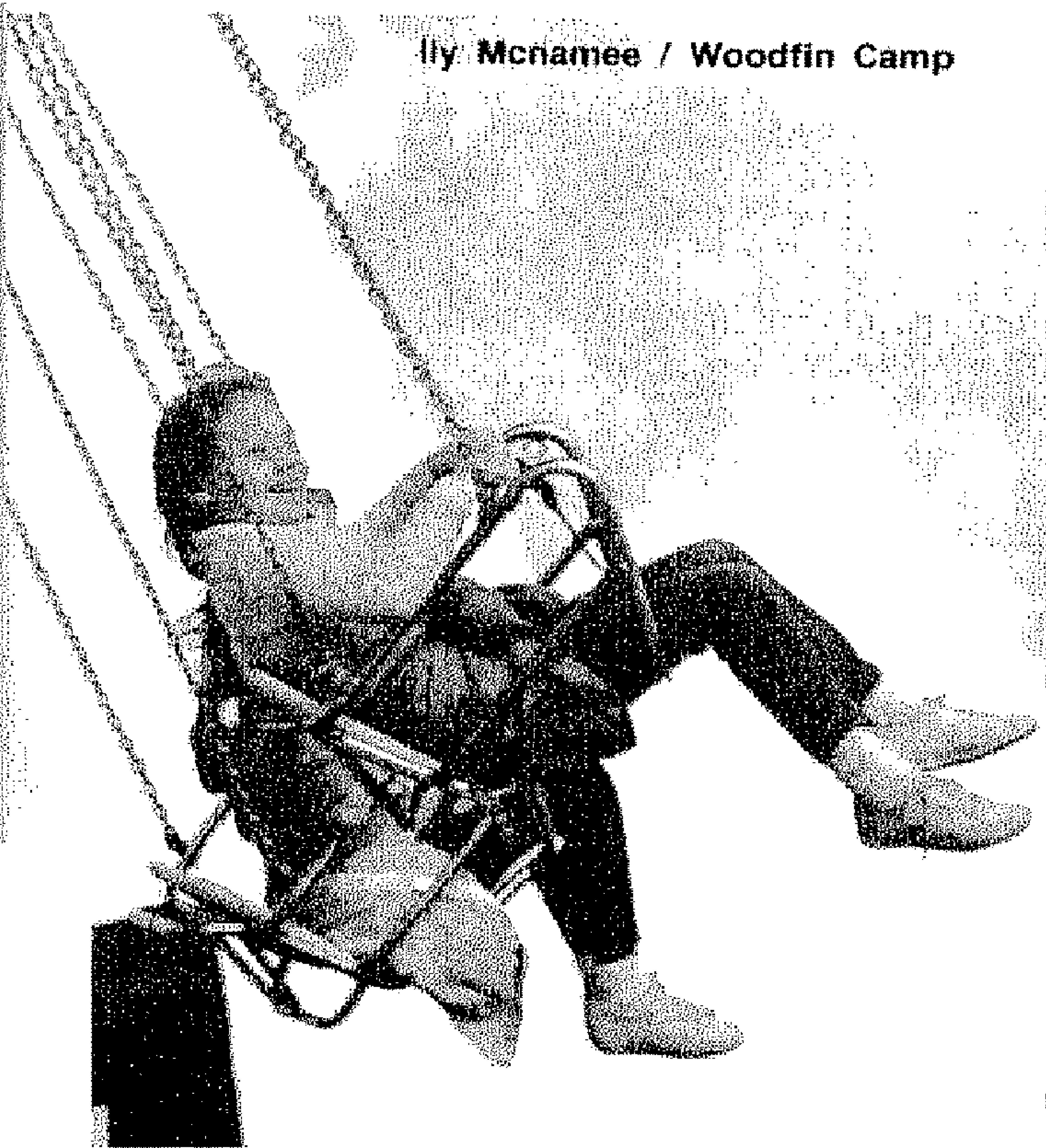
وفي برودة الممر المسقوف المقنطر يدمن الصبية العاب الدبابيس حيث آلة فيها لوح مائل الى الأسفل تتدحرج عنه كرات



© Dahlgren / The Stock Market

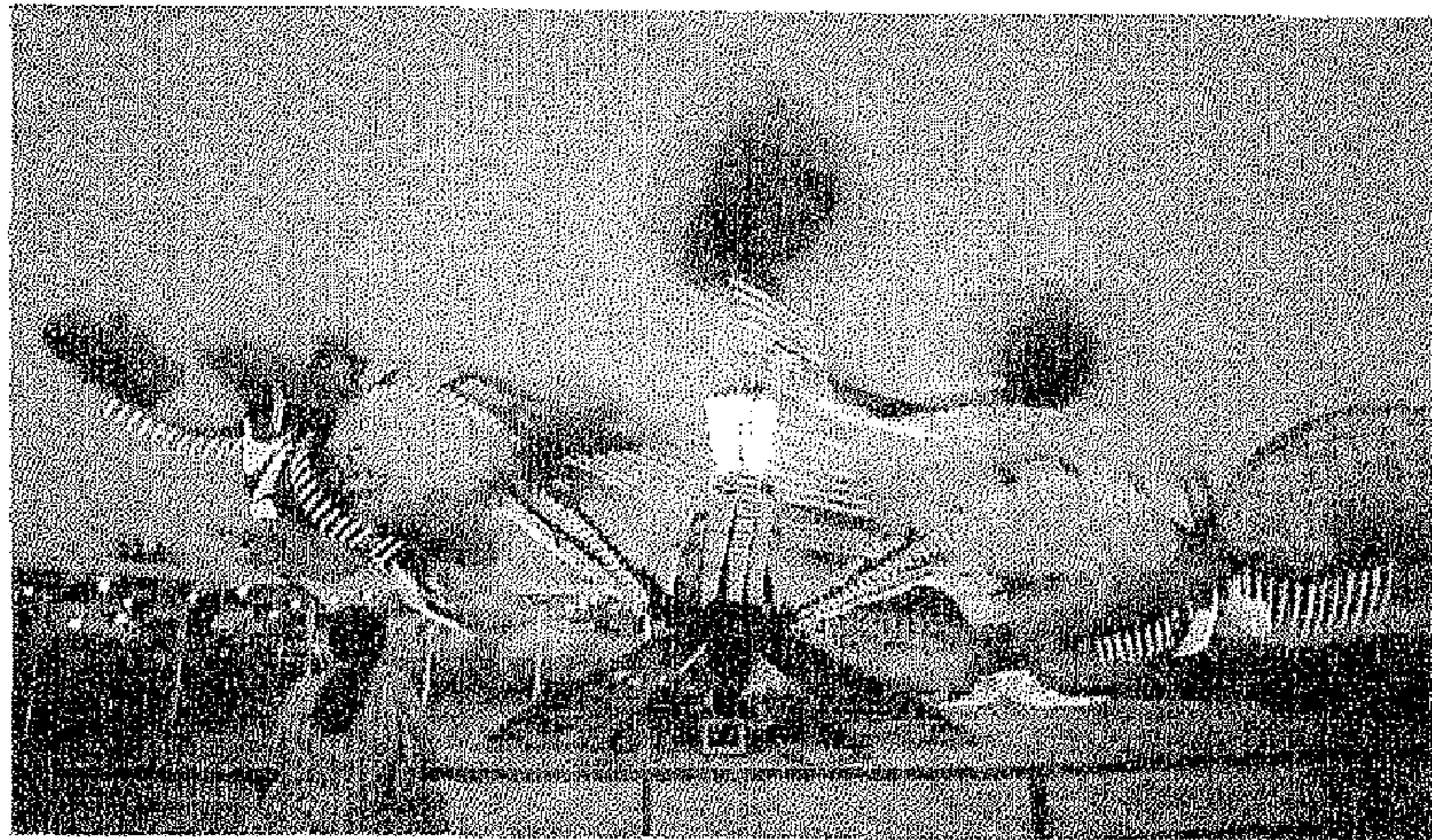


lly Mcnamee / Woodfin Camp



D: © Jeffry W. Meyers / FPC / FPG:



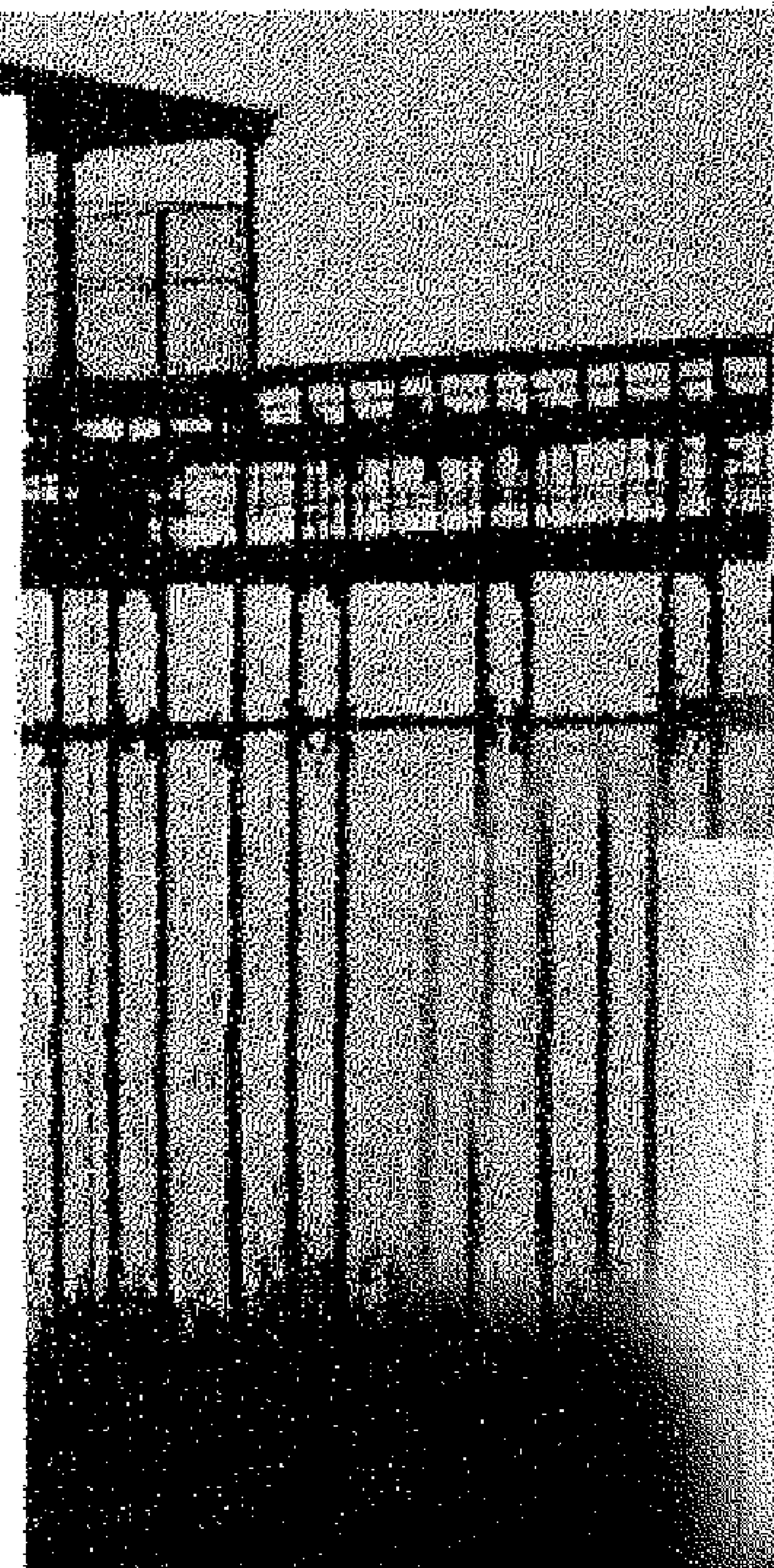


© Michael Philip Manheim / The Stock Shop



© Craig Aurness / Woodfin Camp





Pold

مرتطمة بمسامير. تومض الانوار، ويزداد نقف "الفليبرز"، وتضج الغرفة بفوضى مستحبة من الطنانات والأجراس. الفتيات يراقبن المنظر. ألعاب الحظ لا يمكن التكهن بها. يقول احد الآباء مستغرباً: "ثمانية دولارات تُدفع للفوز بمشط للجيب؟!".

وعلى الدولاب الدوّار، نصل اخيراً الى ارتفاع كبير للمرة العاشرة، ونشاهد شمساً برتقالية تلوّن هضاباً نائية، وتتصاعد الينا في الأعالي رائحة النقانق. وفي مكان ما تحتنا، دوّارة عملاقة قديمة الطراز من حيوانات خشبية يركبها الاولاد. ومعها طبل أعظم وصنّاجات تقرع لوحدها باعجوبة، وتجلجل موسيقى سمع جدك مثلها.

يقول الصبي اذ يتباطأ الدولاب. "ابتاه، ايمكننا ان نصعد ثانية؟ ارجوك...".

صدقوا اذ قالوا: "لا يركبن المرء عجلة الحياة الا مرة واحدة." لكن الدولاب الدوّار سيبقى على دورانه، صارفاً النظر عمن يمتطيه...

تري دانكل ■

Background Photo: © Paul O. Boisvert / FPG

الـدّبـق
نبتـة الحَظ السّعيـد

منافعه الطبية كثيرة وهو رمز للحب والحظ السعيد

قرابة آخر السنة، وكانت أشجار الزان والسنديان نثرت أوراقها والضباب ينتشر فوق الاودية، خرج سيمون كلامبغر الى الغابة في اقليم سالزبورغ في النمسا. هناك، في الصباح الباكر، وضع سلّماً طولها نحو خمسة عشر متراً على جذع صنوبرة قديمة وصعد الى أغصانها العليا. استعمل منشاراً يدوياً قطع به أماليد صغيرة بثخانة الابهام فيها شبه عناقيد من أوراق خضر بيضوية الشكل: انها أماليد الهدال(١).

وضع حزمة الاماليد في شاحنة وتوجه الى معرض سالزبورغ. هناك يباع الاملود الجيد الكثير الثمر الابيض بمبلغ يراوح بين مئتي شلن وما يزيد على ثلاثمئة.

اذا ما وضعت بذور ثمر الهدال في التراب العادي فانها لا تنبت أبداً. فهي لا تنبت الا اذا لامست لحاء شجرة. كتب سيغفريد لنز في روايته "أرض التمرين"(٢): "توزع الطيور هذه المادة. فهي اما تمسح مناقيرها بلحاء الشجرة مما يجعل البذور اللزجة تلتصق باللحاء، واما ترسبها على الاغصان حين تحط هناك. وطيور السماني هي المتقدمة بين الطيور الموزعة للبذور."

مهما يكن فالهدال الاوروبي(٣) لا ينبت على كل شجرة. فالهدال النفضي(٤) ينبت على الاشجار النفضية فحسب. والهدال الكرزي ينمو على الاشجار الكرزية. ونادراً ما ينبت هذا النبات الطفيلي على

(١) mistletoe أو الدبق.
(٢) The Exercise Ground
(٣) Viscum album
(٤) النبات النفضي هو الذي يسقط أوراقه موسمياً.

السلديان، كما أن بعض الاشجار، كالزان والقس، هو مقاوم له.

منافع طبية. تحتاج ثمار الهدال الى أكثر من سنة لتخترق لحاء الشجرة المضيفة بجذر مكيّف. وعندما يتم ذلك تسحب الماء والمعادن من الشجرة المضيفة. يقول هانس بيكر، الاستاذ في علم الصيدلة الذي ألّف مع الخبيرة في "الفن الجديد" هلغا شمول كتاب "الهدال في الطب: تقاليد وفن": "هذا الامر عادة لا يضايق الشجرة كثيراً، فقد رأيت أشجاراً مغطاة بالهدال."

كان السلتيون يحترمون الهدال ويجلّونه. وكان أبناء بلاد الغال(٥) يؤمنون بأنه علاج أكيد ضد كل الشرور في العالم.

في القرون الوسطى كان الهدال النامي على شجرة سنديان أمام المنزل يعتبر حماية فعالة ضد البرق، كما كان يُظن انه دواء أكيد لكل الامراض. وقد أثنى طبيب الاعشاب الشهير في القرن السادس عشر هيارونيموس بوك على خصائص الهدال الشفائية قائلا: "كمسحوق ممزوج بالشراب يساعد على الشفاء من الصرع والورم، وكشراب يشفي وجع الاذن."

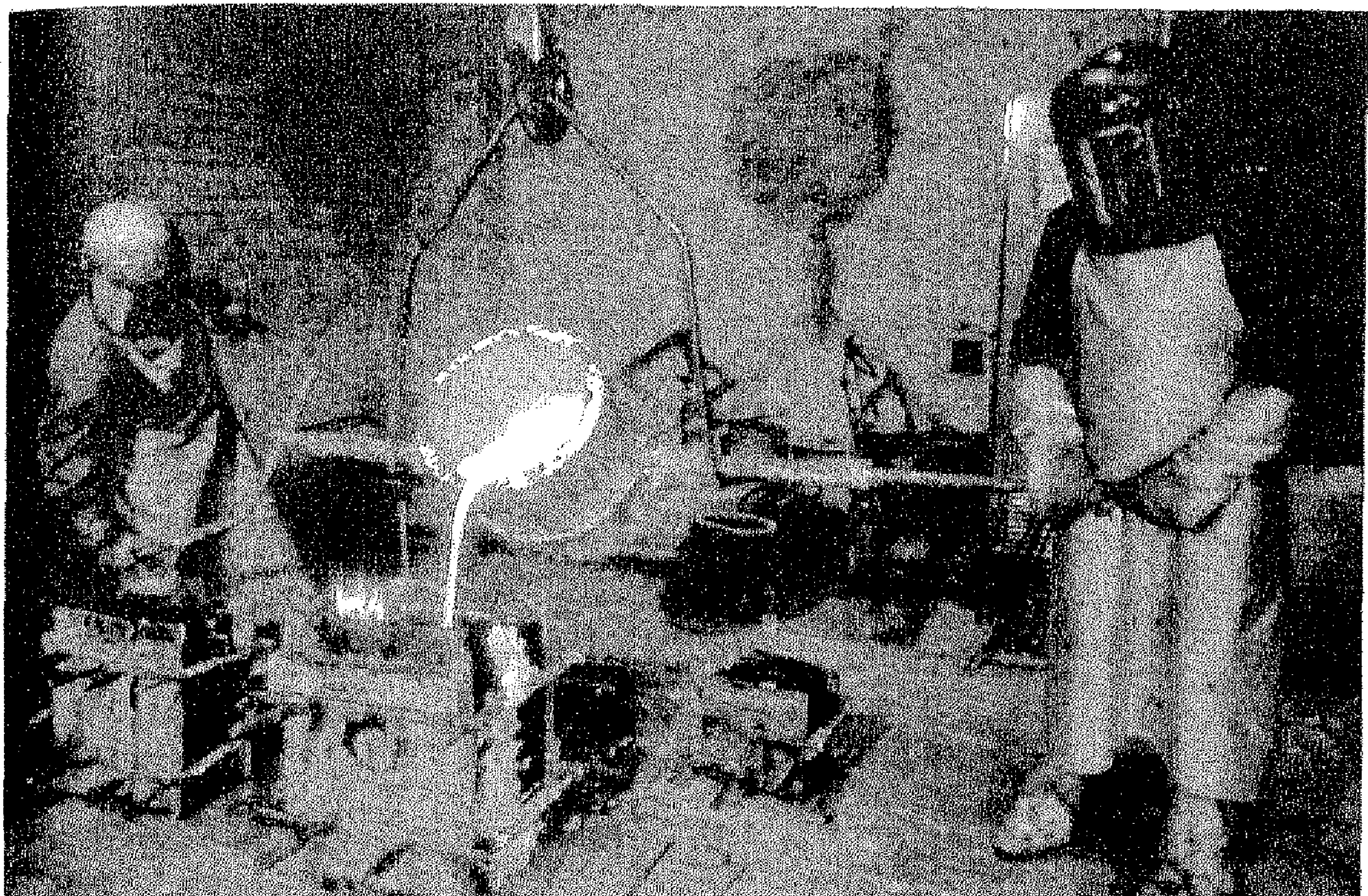
ومن القرن الثامن عشر يذكر كتاب طبي: "اذا ما قطع الهدال رقاقات وقى من الفالج وداء المفاصل وما يرافقهما من توعك. انه يشحذ الحواس والذاكرة، ويقوي الدماغ، وينعش القوى العقلية، وينفع التلاميذ والمثقفين نفعاً عظيماً. والواقع أن خلاصة الهدال تحوي مواد تقوي مناعة الجسم. واذا ما شُرب كالشاي أو استعمل كقطرات فيقال انه علاج مفيد ضد ضغط الدم العالي وأمراض الشيخوخة. ومن الممكن أن يصنع من ثمار الهدال غراء لزج.

قبلة تحت الهدال. أثناء فترة "الفن الجديد" استلهم الحرفيون الفنيون هذا النبات. فتخصصت صناعة الزجاج في باريس ونانسي وبوهيميا بزخارف الهدال المصنوعة بالذهب والمينا. وأنتج الصاغة حُلياً ذهبية وفضية ذات حجار كريمة كعين الهر أو عين الشمس، ولآلىء شبيهة بثمار الهدال. وهنالك محترفات أخرى صنعت تماثيل من الخزف الصيني على مثال الهدال، ومصابيح من الحديد المطروق على مثال أغصان الهدال. هذا اضافة الى منتجات أخرى لا تحصى زينها الفنانون بالهدال، كعلب السجائر والمحابر وخشخيشات الاطفال وفُرَش الثياب وحلقات مناديل موائد الطعام وأمشاط الشوارب والحلي التي "تجلب الحظ السعيد."

من بريطانيا أو اسكنديناڤيا جاءت عادة التقبيل تحت الهدال في مواسم الاعياد. وفي مقاطعة بريتاني الفرنسية تعتبر القبلة تحت "باقة التقبيل" – وهي حزمة هدال أو اكليل من أماليده – وعداً لزوجين شابين بالسعادة والخصب. وفي المانيا تزان المنازل في عيد الميلاد بالنبتة الدائمة الاخضرار. توضع في آنية أو تعلّق فوق الابواب أو على الجدران جلباً للحظ في العام الآتي.

راينر كلنغولز ■

(٥) السلتيون شعوب قديمة في غرب أوروبا. وبلاد الغال هي فرنسا القديمة.



نـوالك

ذروة الفَـن الألمَـاني

في العام ١٩٨١، عندما تفحّص النحّات البريطاني هنري مور قالبَيْ "التم
المنزلي" و"سكران" صدرت عنه، بعفوية، تحية تهنئة لهرمان نوالك صاحب "مس
نوالك للاعمال الفنيّة" في برلين الغربية. فقال: "انا مسرور منك جدا. فلقد حققت
اخرى عملا رائعا" وكان مور قد كلّف نوالك انجاز أكثر من مئة قطعة من أع
التشكيلية، الكبيرة الحجم والمنمنمة على حد سواء، منذ العام ١٩٥٩ حتى تا
وفاته في اغسطس (آب) ١٩٨٦.

تتضمن سجلات الطلبات في المسبك اسماء عدة نحّاتين مشهورين منهم ك
كولفيتس واوسكار كوكوشكا، ومنذ عهد أكثر قربا اليوناني اليكوس كيرياك
والالماني اوتو هربرت هايك. وانجز نوالك مصبوبات برنهارد هيلغر، وهي ١٥ ت

مربان نوالك يقدّم
مبري مور مع
المصبوب البرونزي
لمثاله "سكران"
الى اليمين
مث البرونز
مسمور.

من تزاوج كمال الصنعة مع روعة الفن برز نجاح مسبك "نوالك" للاعمال الفنية، هذه المؤسسة الحرفية العائلية في برلين الغربية وذات الشهرة العالمية

تجريدياً نافرا من الالومينيوم مخصصة لمقر البرلمان في مدينة بريمن. كذلك حملت توقيع نواك المداليات الذهبية، من عيار ٢٤ قيراطا التي كَرّمتْ بها "مؤسسة روبرت كوخ" العلماء من ذوي الجدارة الخارقة، و"دبُّ برلين" وهو الجائزة السنوية التي تُمنَح في مهرجان الفيلم الدولي. ويستطيع المرء في كل اقطار العالم – في المعارض والمتاحف الفنية كما في الحدائق والشوارع العامة – أنْ يُعجب بالتماثيل البرونزية التي تحمل دمغة "هرمان نواك، برلين".

هذه المؤسّسة الحرفية العائلية التي تستخدم ٣٥ مقولباً وسابكا ونقّاشا، لا تزال تستخدم عمليًّا طرائق السبك ذاتها التي كانت شائعة في الالف الاول في مشغل هيلدسهايم، حيث كان يُصنع قالب سلبي لكل تمثال منحوت في الجصّ او الصلصال. بعد ذلك كان التمثال يُصبّ بالبرونز او غيره من الأشابات(١) المعدنية. ويستخدم هرمان نواك، اضافة الى ذلك، تقنيّات الانتاج الاكثر عصريّة. وتملك الشركة فرنين للصهر يعملان بالدماغ الالكتروني، واربع غرف للتحميص وعشرة اجهزة للرفع. وهي واحدة من خمسين مسبكا فنياً ونيّف تعتبر الاكثر حداثة في المانيا الاتحادية وفي برلين الغربية.

فيما معظم منافسي نواك يتجنبون الاشكال غير المعهودة او التماثيل البالغة الضخامة، فهو يجعلها من اختصاصه. وهكذا قبل فريقه التحدي وانتج اعمالا تشكيلية لفنانة مدينة كولونيا السّرّياليّة اورسولا شولتسه، وهي تتضمن قطعا من الفرو. وكذلك حضّر الفريق وجمّع الـ٧٦ قطعة من تمثال "الفراشة" لهنري مور. وهذا العمل الفني الجبار ـ بطول ثمانية امتار وارتفاع اربعة امتار ونصف متر، ووزن عشرة اطنان ـ نُصب قبالة مبنى مجلس الشيوخ القديم في برلين الغربية منذ يوليو (تموز) ١٩٨٧. ويقول النحّات البريطاني كينيث ارميتاج الذي كلّف نواك صب تمثاله الضخم "سنديانة ريتشموند": "أعجَب كثيرا بحذق الشركة الفنّيّ، لاسيما عندما تتعاطى اعمالا ضخمة."

قصة طويلة. بدأت قصة نجاح الشركة قبل ٩٠ عاما. في ذلك الوقت كان هرمان نواك، جد المالك الحالي، يتعلم صب البرونز في مصنع لاوخهمر للحديد في منطقة لاوزتس. وكان في الثالثة والعشرين من عمره عندما أُرسل الى فيلادلفيا في الولايات المتحدة حيث اشرف على نصب تمثال جورج واشنطن. وقد ابلى بلاء حسنا في مَهمّته بحيث طُلب منه بعد ذلك بقليل ان يصنع تمثالا للحرية في انديانابوليس يزن ٣٣ طنا.

تزوج المقولب الشاب في العام ١٨٩٤، وبعد ثلاث سنوات بدأ يعمل لحسابه الخاص في فريدريشسهاغن في ضواحي برلين، صاهرا البرونز في موقِد المطبخ. وبالمال الذي جناه، سرعان ما توصّل الى انشاء مسبك صغير في إسطبل بضاحية فْلمرزدورف وكان اول عمل كبير نفذه سبك ثُريًّا رسمها الفنان فرتس كلمش لمتجر فْرتهيم التنويعي في برلين.

(١) الأشابة هي كل خليط من معدنين على الاقل.



فوق: جزء من المادة التشكيلية لتمثال "السكران" في الاستوديو.
تحت: يذر فوق رمل مدينة بوتروب غبار الغرافيت الدقيق تأمينا لالتصاق القطع الفردية بعضها ببعض.

واكتشف المشغل نحّاتون مثل فلهلم لمبروك، وبدأت اعماله تزدهر. وما مرّ عام واحد حتى كان في وسع نواك ان يشتري قطعة الارض التي يقوم فوقها المسبك الى الآن.

بعد الحرب العالمية الاولى تولّى ادارة العمل هرمان نواك الابن، البالغ ٢٥ عاما. وكان بين زبائنه فنانون مشهورون. وقد كتب رودلف بيلينغ، النحات التجريدي الاول في المانيا الغربية: "من دواعي السرور ان تعمل مع نواك، فانت تستطيع ان تناقشٍ معه التفاصيل، وهو جاهز دائما لينفذ رغبات الفنان الخاصّة."

في العام ١٩٤٣ سقطت قنبلة على المسبك، فهدمته وفيه آلاف من نماذج جصّيّة لفنانين وضعوها في عهدته. ولكنْ ما إن وضعت الحرب اوزارها حتى عاود فريق المسبك نشاطه، على رغم العقبات، وفي ظروف بديلة موقّتة. ووردت عليه طلبات جديدة معظمها من قوات الاحتلال. فالامريكيون مثلا طلبوا سبك تمثال لايزنهاور من صنع الفنان نيسون تريغور، ليوضع في اكاديمية وست بوينت الحربية. واوصى السوفييت على نُصُب حربية جبّارة.

بعد الحرب. بسبب خبرة الشركة واشتهارها بدقة العمل، قُدِّر لها ان تحمل عبء ترميم الانصاب المعدنية التي دمّرتها الحرب، فكُلِّفت تنظيف تمثال فردريك غليوم على متن جواده واصلاح اعطابه، واعادة تمثال الامير الجرماني الكبير في مدينة براندنبورغ الى سابق عهده، وكان الجرماني يوهن ياكوبي قد صبّه في العام ١٧٠٠ مستعملا طريقة الشمع، وهو غرق في العام ١٩٤٧ في بحيرة تيغيل، اما اليوم فينتصب في فناء قصر شارلوتنبورغ في برلين الغربية. ورممّ نواك ايضا تمثال "فكتوريا" ذا الخمسة والثلاثين طنا فوق عمود النصر والذي اصيب بآلاف الشظايا في اثناء معركة برلين الاخيرة.

بيد ان اضخم عمل وادقّه قام به نواك كان تجديد نصب "كوادريغا" فوق بوابة براندنبورغ. وكان النحات يوهن غوتفريد شادوف نفذ في العام ١٧٩١ هذا النصب الذي يمثل اربعة جياد تجر عربة "فكتوريا"، اي النصر. وفي اثناء الحرب اعطبت قذائف المدفعية هذا الاثر الفني حتى ان سلطات المبنى في برلين الشرقية اضطرت الى ان تفككه لضمان سلامته. ويبدو ان تلك الخطوة كانت نهايته.

ولحسن الحظ اكتُشفت بعد ذلك في غرف جانبية في اقبية متحف داهِلم، نسخة معكوسة عن النصب مؤلّفة من قالب مقطّع الفَ قطعة كان نُسِخ في العام ١٩٤١. وبعد ان صنعت مشاغل متاحف الدولة في برلين الغربية نموذجا جصّياً له، بدأ نواك وفريقه تجديده. وبدلا من صبه بالبرونز، كما جرت العادة، زُيِّن هذا النصب بالنقوش النحاسية النافرة – الامر الذي يشكِّل انجازا متجددا لحرفيّي الشركة بالنظر الى ضخامة العمل الفني الذي يفوق وزنه ستة اطنان. فقد كان عليهم ان يطرِّقوا ٣٠٠ صفيحة نحاس، تترجح ثخانتها بين سنتيمتر واحد وسنتيمترين، داخل الشكل المعدني السلبي المصنوع بعد النموذج الجصّيّ، ثم ان يزينوا المعدن بنقوش تُصنع باليد. وكان العمل بدأ بشق النفس عندما توفي هرمان نواك بعمر ٦٣ سنة، فتولى ادارته من بعده ابنه هرمان (٢٧ عاما) الذي كان انجز بنجاح فحصه كمعلِّم مقولب، قبل شهرين، وظل مشرفا عليه حتى إكماله بعد سنة.

الجيل الجديد. منذ منتصف الستينات يعمل في المسبك جيل جديد من النحّاتين الجديرين بما احرزه من شهرة دولية. فالامريكي لاري ريفرز انجز هنا اثنين من

اعماله التشكيلية، كذلك فعلت النحاتة البرلينية كريستا بيدربك بمجموعة ينابيعها. وامتلأت مستودعات الشركة من جديد بنماذج ليواخم شمتاو وأريش – فرتس رويتر وكنود كنودسن والامريكي ادوارد كينهولز وغيرهم، تحت حراسة "الملاك العائم" لإرنست بارلخ الذي يزيّن قالب جصّيّ مأخوذ عنه سقف تلك المستودعات.

في واحد من مشاغل الشركة الاربعة راقبت معلم القولبة راندولف ماير يُعدّ نموذجا من السّليكا (٢) بالحجم الطبيعي لتمثال البِطريق من صنع اوغست غاول. بعد ذلك وضع طبقة من الشمع في الجانب الاجوف من النموذج. اما المادة التي حشا بها الجوف فهي مزيج من جصّ خاصّ وصلصال حراري. وبعد ان ازاح غلاف السّليكا طلى النموذج بطبقة خارجية من الجص والصلصال ايضا. ثم وضع الكتلة بكاملها داخل احدى غرف التحميص حيث ستظل سبعة ايام تتلقى بالتدرج حرارة تصل الى ٥٠٠ درجة مئوية. حينئذ يذوب الشمع فيسكب رجالُ المسبك البرونزَ المصهورَ في الفراغ الحاصلِ من جراء ذوبانه.

امـا الاعمال الفنّيـة التي تحوي مساحات صقيلة او واسعة فيصنع لها نموذج من رمل بوتروب(٣) الأصفر، الذي يحوي جزئيات من الطين. وهذه الطريقة التي تستخدم الرمل، وكان نواك اعتمدها قرابة العـام ١٩١٠، تتطلب ثماني ساعات من الشيّ.

بعد ان يملأ النقّاش كل الشقوق والثقوب في المعدن المصبوب وغير المصقول يزيل من جوف القالب الجص والصلصال بعد سحنه، قدر المستطاع، ثم يملس سطحه المقعّر بورق السّنفرة(٤) وفرشاة معدنية. اخيرا يستخدم إزميله ليمهر العمل الفني باسم الفنان، ولا يبقى بعد ذلك الا إحداث غشاء العتق(٥).

في مسبك نواك يعجل التأكسدُ الطبيعي الذي يعطي البرونزَ عاجلا ام آجلا لونه المخضرّ بوسائل كيمية. فقد شاهدت معلم النقش يورغن زيغت يحفّ بفرشاة مغمّسة في مزيج حمضي – تحتفظ الشركة بمقوّماته ومقاديرها حفاظا على سر المهنة – مصبوبا لتمثال ارنست بارلخ "المنتقم". ثم راقبته يستخدم وابورَ لحِام المعادن وفرشاة فولاذية يعالج بهما التمثال الى ان تدرّج لونه الى السّمرة الداكنة.

سر نواك. عن غشاء العتق حدثني نواك: "انتقل سرُّ إحداثه بشكل مميّز في عائلتنا ابا عن جد. وقديما كانت مسابك اخرى كثيرة تعرفه مثلنا، لكننا اليوم غدونا من بين القلائل الذين في وسعهم ان يضعوا في خدمة الفنان درجات لونية صفرا او خضرا او محمرة او رمادية بنية او شديدة السواد." وحتى لو اراد نحّات ان يختار لاحقا غشاء من لون آخر يستطيع نواك ان ينفّذ له رغبته.

وثمة سرّ آخر مصان هو صيغة أشابة

(٢) ثاني أوكسيد السليكون.
(٣) مدينة المانية في حوض الروهر، مشهورة بفحمها الحجري.
(٤) ورق الزجاج.
(٥) غشاء مخضوضر بلون الزنجار، تتخذه المعادن على مر الزمن بالتأكسد او يحدث فيها اصطناعيا بالاحماض.

البرونز التي طوّرتها الشركة في السبعينات من اجل اللحم المثالي لقطع القالب. يقول نواك: "قديما كانت حزمة اللحام تغيّر البرونز كثيرا حتى لتضفي عليه عروقا بشعة تزداد دكانة في الاحوال الجويّة السّيّئة." ولكن بعد استعمال الأشابة الجديدة لم تعد آثار اللحام ظاهرة حتى في الاشكال البلاستيكية العصرية البالغة الفخامة.

النحاتون الراغبون في فرصة للتعبير عن رأيهم او حتى للمشاركة في صنع تماثيلهم غالبا ما يحضرون يوميا الى مشاغل نواك. والفنانون الشباب المغمورون يتعلمون هناك كيف تتم قولبة الشمع والرمل وكيف يُضفى على مصبوب البرونز غشاء العتق. يقول النحات البرليني الغربي فالكو هام: "عندما كان غيورغ كولبه ورينيه زينتنس لا يزالان مغمورين حصلا على حِذق ذي قيمة في مسبك نواك، تماما مثلما نفعل نحن اليوم. ونواك يرحّب بنا دائما نحن الفنانين. وانا لا اقدر فقط فريقَ الشركة الحِرَفيّ وابداعها، بل ان هذا المسبك هو في نظري التوافق الكامل بين الصنعة والفن."

كلاوس غايدمن ■



بلسم سحري

ركبت سيدة كهلة احد اوتوبيسات مدينة نيويورك واسقطت بطاقة نولها نصف المجانية في صندوق الدفع، فطلب السائق فوراً التأكد من عمرها. فبان الامتعاض على وجهها ولوّحت له باستمارة النول المخفض لانتقال الكهول في الحافلات. في البدء رفعت عقيرتها بالشكوى الى احد الركاب: "عمري ٨٠ عاماً وهو يريد ان يرى اثباتاً لذلك!" غير ان تجهمها سرعان ما تحوّل ابتسامة رضى عريضة ارفقتها بالقول: "ومع ذلك، زرعت بادرته البهجة في نفسي."

وبعدما غادرت الحافلة التفت السائق الى سائر الركاب وقال: "افعل ذلك بين حين وآخر، فيأتي مفعوله كالبلسم السحري."

ت.ت.

خطر بارد

في مكان ما من بريطانيا طريق ضيقة متعرجة تنتهي الى مجاز، في أوله لافتتان تحذّران السائقين: "حيوانات في الطريق" و"مجاز خَطِر." وتبين لنا كم أن القيادة خطرة هناك عندما بلغنا القمة وحدّقنا نزولا: مجاز موحل تتخلله منعطفات مستحيلة وجلاميد معلقة وقطعان ماشية. وفي دقة بريطانية كاملة برزت لوحة في القمة تقول: "لقد أنذرناكم."

د.هـ.

نحافة من دون حمية!

ان في امكانك خفض وزنك خمسة كيلوغرامات سنوياً، وربما اكثر، باتباع هذا البرنامج الصائب

ما هي أكثر الطرائق أماناً وثقة التي يعتمدها الباحثون في شؤون البدانة بهدف خفض الوزن وابقائه مخفّضاً؟ أنها التمرين المنتظم وتعديلات غذائية بسيطة كالآتية:

□ اذا عمدت يومياً الى ابدال القشدة في ثلاثة فناجين قهوة بحليب مقشود، ففي امكانك خسارة ستة كيلوغرامات في السنة.

□ أبدلي الكعكة الهلالية المحلاة (كرواسّان) في الصباح بفطيرة من النخالة، فينقص وزنك نحو خمسة كيلوغرامات في السنة.

□ توجي فطيرة النخالة بملعقة كبيرة من الجبنة القشدية كبديل من الزبدة، فتخفض من وزنك كيلوغرامين آخرين.

ان أفضل ما في هذا البرنامج الذي لا يعتمد الحمية لازالة البدانة هو أنه لا يتطلب أكثر من "دوزنة" عادات أكلك وخفض ٢٥٠ وحدة حرارية من استهلاكك اليومي. وهذه الكمية ضئيلة جداً بحيث لا تشعرين بأنك تتبعين برنامج حمية. وبذلك يتسنى لك أن تُسقطي ربع كيلوغرام من وزنك في الاسبوع او ١٢ كيلوغراماً في السنة. واذا خفضت ٥٠٠ وحدة حرارية خفضت نصف كيلوغرام في الاسبوع و٢٤ كيلوغراماً في السنة.

ولكن لا تفترضي أنه اذا كان خفض الوحدات الحرارية باعتدال أعطى نتيجة

جيدة، فان الخفض الى أقل من ١٠٠٠ وحدة سيكون أفضل. فقد أظهرت الدراسات أن خفض الاستهلاك اليومي الى أقل من ١٠٠٠ وحدة حرارية لعدة أسابيع يبطىء عملية الايض(١) بنسبة تراوح بين ١٠ و٣٠ في المئة، مما يعني أن حرق الطاقة الحرارية يغدو أبطأ. وعندما يعود المرء الى عادات أكله السابقة يسترد الوزن الذي فقده وربما أكثر، لان أيضه، بحسب بعض الباحثين، يبقى في حال تباطؤ.

وما يشكل ضرراً أكبر هو أن مقداراً كبيراً من الوزن المفقود نتيجة حمية تعتمد استهلاك طاقة حرارية متدنية، يأتي من أجزاء الجسم الخالية من الدهن (كالعضل، بما فيه القلب) وليس من الدهن. وتجدر الملاحظة أن غالبية برامج الحمية لا تؤمن ما يكفي من الكربوهيدرات، أي المواد السكرية والنشوية، ويؤدي هذا النقص الى احساس المرء بضيق الخلق والتباطؤ والخمول.

ان الخفض الحاد للطاقة الحرارية قد يولد رغبة في الانغماس في الطعام، فيحاول الجسم خزنه لـ"المجاعة" التالية. يقول الدكتور واين كولاواي مدير مركز التغذية السريري في جامعة جورج واشنطن في واشنطن: "ان الحيوانات تأتي العمل ذاته. من هنا قد يكون ذلك استجابة بيولوجية." ان الشهية هي رد فعل نفساني على الحرمان: فالحلوى يصبح طعمها لذيذاً جداً حين تمتنع عنها لبعض الوقت، لذلك قد تدفعك شهيتك الى التهام ست قطع بدلا من واحدة.

تبين في دراسة لباحثين في كلية بايلور للطب في هيوستن، تكساس، أن متبعي الحمية الذين يمارسون التمرين الرياضي فقدوا ما معدله تسعة كيلوغرامات من وزنهم في السنة، وحافظوا على نحافتهم الجديدة. اما اولئك الذين مارسوا الحمية فقط من دون رياضة فقد استعادوا معظم الوزن الذي فقدوه. ان حمل العضل على العمل يحرق الوحدات الحرارية ويساعد في كبح الجوع. ويلاحظ جون فوريت مدير عيادة التعديل الغذائي في بايلور: "نحن لا نتكلم عن ساعات من التمارين تتضمن كثيراً من النفخ واللهاث. تكفي ٤٥ دقيقة من المشي النشيط للحصول على النتيجة المتوخاة."

ان التمرين يساعد على خفض الوزن ويسهّل الحصول على نتائج مرضية من الحمية. فبدلا من اقتطاع ٥٠٠ وحدة حرارية من طاقتك في اليوم، اقتطعي ٣٠٠ وحدة فقط وامشي لمدة ٤٥ دقيقة تنشطي فيها نبض قلبك (وهذا يعادل خفض ٢٠٠ وحدة حرارية لشخص وزنه ٥٤ كيلوغراماً يمشي بسرعة ستة كيلومترات في الساعة).

يستهلك الانسان العادي من الدهن يومياً ما يعادل "إصبعاً" من الزبدة، أي ٨٠٠ وحدة حرارية أو ٤٠ في المئة من مجموع الوحدات المستهلكة. والدهن، بالمقارنة مع البروتيين والكربوهيدرات، يحتوي على ضعفي الوحدات الحرارية. والى ذلك ربط الخبراء الدهن باصابات السرطان وأمراض القلب.

(١) Metabolism

اخفضوا الدهن، لا اللذائذ

استخدموا اللائحة المدرجة ادناه لخفض ٢٥٠ الى ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً تؤمن خفضاً ثابتاً في الوزن بمعدل يراوح بين ربع كيلوغرام ونصف كيلوغرام في الاسبوع، أي بين ١٢ كيلوغراما و٢٤ كيلوغراماً في السنة!

في العمود الاوسط لائحة بالاطعمة القليلة الطاقة والقليلة الدهن لاستعمالها كبدائل من مثيلاتها التي تحتوي على كميات مرتفعة من الطاقة والدهن (في العمود الايمن).

في العمود الايسر، مقابل كل طعام يحتوي على كمية مرتفعة من الدهن تبدله بآخر قليل الدهن، قارنوا عدد الوحدات الحرارية التي تقتصدونها، ثم اجمعوا هذه الارقام في نهاية كل يوم لمعرفة مجموع ما خفضتموه من هذه الوحدات. مثالا على ذلك، اذا تناولتم لحم دجاج من دون جلدة بدلا من لحم دجاج مع الجلدة فانكم تقتصدون ٤٠ وحدة. واذا اخترتم الحليب المثلج بدلا من الجيلاتي (آيس كريم) الغنية بالقشدة، فانكم توفرون ٨٥ وحدة. وبذلك يكون مجموع ما وفرتم بسهولة وراحة ١٤٥ وحدة حرارية.

	وحدات حرارية		وحدات حرارية	وحدات حرارية مقتصدة
همبرغر (٨٤ غراماً)	٢٣٠	لحم بقر مطحون (١٧٪ دهناً) (٨٤ غراماً)	٢١٥	١٥
صدر دجاج مع الجلدة (٨٤ غراماً)	١٩٠	صدر دجاج من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٥٠	٤٠
فخذ دجاج مع الجلدة (٨٤ غراماً)	٢١٥	فخذ دجاج من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٧٥	٤٠
صدر ديك رومي مع الجلدة (٨٤ غراماً)	١٧٠	صدر ديك رومي من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٣٥	٣٥
فخذ ديك رومي مع الجلدة (٨٤ غراماً)	١٩٠	فخذ ديك رومي من دون جلدة (٨٤ غراماً)	١٦٠	٣٠
سمك مكسو بالعجين ومقلي (٨٤ غراماً)	١٧٥	سمك مشوي (٨٤ غراماً)	٨٠	٩٥
سمك التن بالزيت (٨٤ غراماً)	١٦٥	سمك التن بالماء (٨٤ غراماً)	١٣٥	٣٠
جبن حلوم (٤٪ دهناً) (نصف كوب)	١٢٠	جبن حلوم (١٪ دهناً) (نصف كوب)	٨٠	٤٠
جيلاتي دسمة (١٦٪ دهناً) (نصف كوب)	١٧٥	حليب مثلج (نصف كوب)	٩٠	٨٥
حليب كامل الدسم (كوب)	١٥٠	حليب مقشود (نصف كوب)	٨٥	٦٥
كريما كثيفة (ملعقة كبيرة)	٥٠	كريما نصف كثيفة (ملعقة كبيرة)	٢٠	٣٠
حليب مخفوق مع الشوكولاتة او الفانيليا (كوب)	٢٦٠	لبن مخفوق مع الفواكه (كوب)	١٤٠	١٢٠
زبدة (ملعقة كبيرة)	١٠٠	زبدة مخفوقة (ملعقة كبيرة)	٧٠	٣٠
جبنة قشدية (ملعقة كبيرة)	٥٠	جبنة قشدية مخفوقة (ملعقة كبيرة)	٤٠	١٠

(Values rounded to nearest five. All data from the Nutrient Data Research Branch of the USDA)

ويحضنا خبراء الحمية على أن نلتزم بحمية تؤدي الى حال صحية افضل وتعتمد نسبة أقصى من الدهن تراوح بين ٢٥ و٣٠ في المئة (تكون نسبة الكربوهيدرات ٦٠ في المئة ونسبة البروتيين بين ١٥ و٢٠ في المئة).

خففي من الطعام الذي يحتوي على الدهون اللذيذة (قطعة بسكويت او اثنتان، وليس حفنة). وأبدلي الطعام الذي يحوي نسبة مرتفعة من الدهن بآخر

يحوي نسبة متدنية، ولكن من دون أن يؤدي ذلك الى انتفاء النكهة اللذيذة (لان تقليص النكهة قد يثير الرغبة في الانغماس في الاكل). واليك حيلاً تؤدي الى خفض عدد من الكيلوغرامات من وزنك:

□ اقتصري في أكل الطعام المقلي على مرة أو مرتين في الاسبوع. عندما تقلين الطعام لا تستعملي أكثر من ملعقة من الزيت أو الزبدة، فتخفضين عن كل ملعقة لا تضيفينها ما يجاوز ١٠٠ وحدة حرارية.

□ قلّصي ما يزاد من الدهن (مارغرين، مايونيز، زبدة، زيت) بعدم استعمال أكثر من ٣٥ غراماً يومياً، اي نحو ٧ ملاعق صغيرة، في تلبيس الحلوى ومرق السلطة والطبق اليومي.

□ اقتصدي في استعمال المنكّهات. فكل جوزة توفرينها مثلا توفر عليك ٢٥ وحدة حرارية. استعيضي بالاعشاب والتوابل عن النقص في المنكّهات.

□ أبدلي الحليب الكامل الدسم ومشتقاته بحليب مقشود ومشتقاته.

ان اللبن القليل الدهن هو بديل حسن من القشدة الحامضة(٢) ويقتصد ٣٥٠ وحدة حرارية في كل كوب. وبابدال الحليب الكامل الدسم بحليب يحتوي على قليل من المواد الدهنية، بنسبة واحد في المئة، تقتصدين ٥٠ وحدة حرارية في كل كوب.

□ تأكدي أن يكون نصف استهلاكك من الوحدات الحرارية من كربوهيدرات مركبة: كالحبوب والمعكرونة والبطاطا والخبز والفواكه والخضر.

فاذا باشرت الآن اجراء هذه التبديلات، فستخفّضين بدانتك وتأكلين على نحو صحي أفضل.

كمبرلي هاملتون ■

(٢) Sour cream



من جراب الطلاب

في ما يأتي بعض الاجوبة "العبقرية" المسلية لتلاميذ السنة الابتدائية الاخيرة عن بعض الاسئلة العلمية، مستقاة من فروضهم وفحوصهم وتسميعاتهم الشفهية:

"يمكنك الاصغاء الى صوت الرعد بعد البرق فتعرف كم هي قريبة منك ضربة الصاعقة. أما اذا لم تسمع الرعد فتكون الصاعقة ضربتك." "الذبذبة حركة لم تقرّر بعد في أي طريق تنطلق."

"يشرح علم الوراثة لماذا تشبه والدك واذا لم تكن كذلك لماذا ينبغي لك أن تشبهه."

هـ.د.

لن تجد مولَعاً بالاسرار اكثر ممّن لا يُعنى بكتمانها.

ك.ك.ك.



شعاره أن الناس سيشترون سلعة ما اذا قل ثمنها عن ٥٠ دولاراً. وها قد أصبحت شركته في طليعة منتجي برامج الادمغة الالكترونية

نَجمُ الأدمِغَةِ الإلكترونيّة

خلال نوفمبر وديسمبر (تشرين الثاني وكانون الاول) ١٩٨٣ انهالت الطلبات على شركة "بورلاند انترناشونال." وكانت هذه الشركة، على رغم اسمها الكبير، تشغل غرفتين متواضعتين فوق دكان لاصلاح السيارات في وادي سكوتس بكاليفورنيا على بعد حوالى ١١٣ كيلومتراً من جنوب سان فرنسيسكو. وهذا السيل من الطلبات كان استجابة لاعلان الشركة الناشئة في احدى المجلات المتخصصة بالدماغ الالكتروني عن انتاجها الاول والوحيد لبرنامج "توربو باسكال"(١) بسعر ٤٩،٩٥ دولاراً. وكان ثمن برنامج مماثل من انتاج شركات أخرى يراوح بين ٣٠٠ و٥٠٠ دولار، فلم يسع مستخدمي الادمغة الالكترونية أن يتجاهلوا هذا العرض المغري.

والحقيقة أن الاعلان وسعر البرنامج أثارا اهتماماً فاق توقعات فيليب كان، الرئيس المؤسس للشركة، وهو شاب فرنسي عالم بالرياضيات. فكاد يعجز وشريكه سبنسر أوزاوا عن تلبية طلبات برنامج "توربو باسكال" التي بلغت ١٥ ألفاً في الاشهر الاربعة الاولى. كانا يتلقيان الطلبات في النهار ويتوليان

(١) Turbo Pascal

Photo: Borland International, Inc.

توضيبها وشحنها ليلاً. وعلى رغم انهماكهما خلال هذه الفترة فقد كانا يخططان لابتكار برامج جديدة.

لا يزال مقر شركة "بورلاند" في وادي سكوتس، لكن مكاتبها تحتل بناية زجاجية فخمة. ولدى بورلاند الآن ٣٢ نوعاً من البرامج الالكترونية و٦٠٠ مستخدم ومكاتب في باريس ولندن وكوبنهاغن. وبلغت عائداتها في السنة المالية التي انتهت في مارس (آذار) ١٩٨٨ نحو ٨١،٧ مليون دولار.

لكن المال لم يفسد فيليب كان الذي يندمج بارتياح في محيط وادي سيليكون مقر المشاريع الكثيرة للادمغة الالكترونية. في هذا العالم المثير حيث النجاح مرهون لاصحاب المواهب والمبادرة، يعقد هذا "المتمرد" اجتماعات عمل في المطاعم الصينية ويلبس قمصاناً من جزر هاواي في المكتب، ويملك مركباً شراعياً يبلغ طوله اثني عشر متراً وسيارة "بورش" ومنزلاً فخماً. ولا شك في أن هذا الترف يليق بشاب أنشأ شركة من العدم وهو في الحادية والثلاثين من العمر، وفي أقل من أربع سنوات بلغ بها قمة صناعة البرامج الالكترونية المصغرة وأصبحت احدى كبرى الشركات في العالم.

أثبتت أسعار كان المخفوضة – بين ٩٩ دولاراً و٢٥٠ دولاراً – أن خطته في التسعير كانت أشبه بالضرب في الرمل. فحين هبطت مبيعات منتجي البرامج الالكترونية الآخرين ازدهرت صناعة "بورلاند." والى ذلك كانت منتجات الشركة تحوز اطراء وجوائز في المنشورات الخاصة بالادمغة الالكترونية.

يقول كان بجفاء: "كل الشركات تحاول تأدية العمل ذاته وهو التسويق، فيأتي انتاجها رائع المظهر لكنه ينطوي على برامج ضئيلة الجودة." وهو يؤكد أن مستخدمي الادمغة الالكترونية ليسوا أغبياء، فمعظمهم يعرف أن انتاج البرامج ليس باهظ الكلفة، والزيادة التي تراوح بين ٥٠ دولاراً ومئة دولار على الثمن الاساسي هي فاضحة. ويضيف كان أن هناك برامج تباع بـ٥٠٠ دولار ويجدر أن يخجل بها أوقح المنتجين.

مبدأ ناجح. ولد فيليب كان في باريس عام ١٩٥٢. وكان والده شارل هنري مهندساً ميكانيكياً ووالدته كلير مغنية أصبحت لاحقاً مخرجة ومنتجة لبرامج تلفزيونية. عزف كان على الساكسوفون والناي وهو صبي، لكن امّه ثنته عن ذلك لأنها، كما يقول، "عرفت ما يعانيه الموسيقيون من مصاعب في تأمين عيش لائق."

التحق كان عام ١٩٧١ بالمعهد الاتحادي للتكنولوجيا في زوريخ بسويسرا. وكان أجاد في الرياضيات واستهوته منجزات الدماغ الالكتروني، فالتحق بصف مستحدث لدراسة البرمجة بطريقة "باسكال." وكانت تلك مصادفة رائعة، اذ ان أستاذ ذلك الصف كان نيكلاوس فيرث الذي طوّر برنامج "باسكال."

ترك كان الجامعة بعد ثلاث سنوات

وحاول كتابة القصص القائمة على الخيال العلمي، لكنه أخفق وأدرك أن عليه الرجوع الى الجامعة لاكمال دروسه كي يستطيع كسب معيشته. وبمنحة حكومية تابع علومه العالية في الرياضيات. ثم تزوج وبات رب عائلة وبدأ تعليم الرياضيات في منطقة نيس جنوب فرنسا. وفي المساء كان ينفخ في الساكسوفون في النوادي.

أجرى كان أيضاً اختبارات تربط الموسيقى بالادمغة الالكترونية. فوصل جهازاً الكترونياً لضبط الصوت بدماغ الكتروني من طراز "آبل"، واستخدم الجهاز المركّب أثناء عزفه في النوادي. والى ذلك كتب برامج ألعاب فيديو وابتكر برامج أعمال خاصة وعمل مستشاراً لاحدى شركات تسويق البرامج الالكترونية. في احدى مهماته زار وادي سيليكون، وعرف للحال أنه اذا أراد أن يشق طريقه بنجاح في صناعة الادمغة الالكترونية فان وادي سيليكون هو المكان.

عام ١٩٨٢ قدم الى كاليفورنيا مع زوجته مارتين وابنتيهما وفي جيبه ٢٠٠٠ دولار. وكان يحمل تأشيرة دخول، لكنه لم يستطع قبل مغادرته فرنسا الحصول على "البطاقة الخضراء" التي تخوله حق الاقامة. ومن دون هذه البطاقة لا سبيل الى العمل لدى شركة كبرى. والى ذلك فهو غير قادر على العودة الى فرنسا حيث منزله، لافتقاره الى المال اللازم للسفر.

اقامة غير مشروعة. بدافع اليأس تفتق لكان حل عملي رائع: سينشىء شركة خاصة به. وفي مايو (أيار) ١٩٨٣ أسس شركة "بورلاند انترناشونال." وصعب عليه في بادىء الأمر تدبر المال الضروري للتأسيس، لكنه وجد شريكاً بارعاً اسمه سبنسر أوزاوا، وهو أمريكي ياباني هاجر جده الى الولايات المتحدة. كان أوزاوا يبيع الادمغة الالكترونية في النهار ويساعد ليلاً في ادارة مطعم. كما عمل في بيع زيت السمسم عبر طلبات بريدية. ورأى الرجلان أن نظام الطلب بالبريد قد ينجح اذا اعتمد في ترويج البرامج الالكترونية. فبدأ كان يدرس السبل الممكنة، فلفت انتباهه ما ذكره أحد المؤلفين عن الدافع النفساني الى الشراء، موضحاً أنه من المرجّح أن يشتري الناس سلعة مسعّرة بأقل من ٥٠ دولاراً أو بأقل من ١٠٠ دولار. وأصبح هذا المبدأ أساس خطة التسعير في شركة "بورلاند."

كانت "بورلاند" في حاجة الى دعاية للانطلاق في البيع وتسليم الطلبات بواسطة البريد. لكن صفحة الاعلان في مجلة خاصة بالادمغة الالكترونية تكلف نحو ٨٠٠٠ دولار. فتعين على كان وأوزاوا اقتراض المال لكي يتمكنا من الاعلان عن مشروعهما. وفي سبيل ذلك أجريا عملية تمويه قديمة. فدعوا مندوب احدى المجلات المتخصصة بالادمغة الالكترونية الى مكتب الشركة وطلبا من بعض الصديقات أن يمثلن دور السكرتيرات كما سألا اصحابهما أن يجروا اتصالات هاتفية وهمية خلال وجود ممثل الشركة لديهما، وحضّرا لائحة بأسماء مجلات الدماغ الالكتروني الكبرى مع بيان بخطة اعلان

كاسحة، ووضعا اللائحة والبيان على طاولة بحيث تُرَيان جزئياً.

وصل المندوب فبادره كان محتجاً بصوت عال أن ٨٠٠٠ دولار للصفحة سعر مرتفع جداً. واذا به يدعى لتلقي "اتصال من طوكيو" في الغرفة المجاورة. فاختلس كان النظر من خلال ثقب الباب، فرأى المندوب يحاول قراءة اللائحة الزائفة.

رجع كان فقال له المندوب: "سنعطيك سعراً خاصاً." لكن كان رفض العرض. وفي النهاية وافق البائع على أن ينشر أول أعلان لشركة "بورلاند" على الحساب. وقد أتاحت الطلبات التي انهالت على "بورلاند" نتيجة الاعلان دفع ثمنه وتغطية جميع النفقات الاخرى وإرصاد قسم من الارباح للعمل والتطوير.

ركّز نجاح "بورلاند" الانتباه على فيليب كان وسلوكه المثير وكلامه القتالي. وكشفت الدعاية أن اقامته في الولايات المتحدة مخالفة لقوانين الهجرة. لذلك صمم في أوكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ على معالجة هذا الامر. فتعاقد مع "أشهر محامي شؤون الهجرة في سان فرنسيسكو" واصطحبه الى باريس التي رجع اليها وعائلته. وطمأنه المحامي الى أن القضية لا تتعدى تعبئة بعض الوثائق في السفارة الامريكية هناك.

مصادفة سعيدة. يوم الجمعة في أواخر الشهر أبلغت المسؤولة في السفارة الى كان أن عليه انهاء معاملاته قبل الحادية عشرة من صباح الاثنين، والا اضطر الى البقاء في باريس لثلاثة أشهر.

وتفحصت الموظفة أوراقه ثم قالت: "أرى أنك عشت في سويسرا، فأين شهادة دائرة الشرطة؟" وهذه الشهادة هي للاثبات أن كان لم يرتكب جرائم خلال اقامته في سويسرا. حدث ذلك في وقت متقدم بعد الظهر. وعلم كان من القنصلية السويسرية أن وصول الشهادة من طريقها يستغرق ثلاثة أسابيع. ولكن في وسعه الاتصال هاتفياً بمكتب القنصلية في برن الذي سيقفل بعد دقيقتين.

استبد الهلع بكان فاتصل بسويسرا، فرد عليه موظف مرهق كان على وشك الانصراف الى بيته لكنه قبل على مضض أن يدقق في سجلات الشرطة بالدماغ الالكتروني. وسأله الموظف: "ما اسمك؟" فلما أجاب: "فيليب كان"، صمت الموظف لحظة ثم سأله: "فيليب كان؟ من شركة بورلاند؟ أنا أحد مستخدمي برامجك!" ووعده بابتهاج ان ينتظره في برن الساعة الثامنة صباح الاثنين ومعه الشهادة المطلوبة، ولكي يضمن كان عودته الى باريس قبل الحادية عشرة صباحا استأجر طائرة خاصة. كما أنه لم يتوانَ عن صرف المحامي القدير.

كادت هذه الهفوة القانونية أن تكلف رئيس شركة "بورلاند" غالياً. ويؤكد كان أن شركته تحتفظ بطابعها المميز واستقلاليتها حتى في فترة نموها وتطورها. ويضيف: "ان البرامج الالكترونية لا تصنعها لجنة، بل عدد قليل من الناس." وانسجاماً مع هذه الفكرة يعهد كان دائماً الى أقل من خمسة أشخاص في وضع تصميم لمشروع واحد.

شركة مساهمة. ان منتجات شركة "بورلاند" سريعة وسهلة الفهم ومفيدة، وهذا هو السبب الرئيسي لنجاحها. ومن برامجها الجديدة الاكثر اثارة برنامج "توربو لايتننغ"(٢) وهو تركيبة من قاموس ومصحح أخطاء مطبعية ومستودع معلومات يمكن طلبها بكبسة مفتاح. وهناك أداتان سهلتا الاستعمال هما "سايد كيك"(٣) و"ترافلنغ سايد كيك"(٤) توضعان على طاولة المكتب فتغنيان عن دفاتر الملحوظات والحاسبات ومفكرات أرقام الهاتف والمواعيد. ويمكن طبع المعلومات بواسطة "ترافلنغ سايد كيك" وحملها أثناء السفر ثم اعادتها لاحقاً الى مكانها. ويستخدم "توربو باسكال" على نطاق واسع كأداة للبرمجة بلغة "باسكال." وقد بيع منه نحو مليون برنامج حتى فبراير (شباط) ١٩٨٨.

ان فيليب كان في غاية السرور لأن الاثرياء الذين يوظفون أموالهم في المشاريع رفضوا أن يمدوه بالمال اللازم للتأسيس. انما لكي تنمو شركته وتتبوأ مركزاً مرموقاً فهو يحتاج الى رأس مال اكبر مما يستطيع اقتطاعه من الارباح. لذلك قرر أن يجعل من "بورلاند" شركة مساهمة للعموم في يونيو (حزيران) ١٩٨٦، وطرح ١٤،٥ مليون سهم للشراء في بورصة لندن. وأحد الاسباب التي حملته على طرح أسهمه في لندن الدعاية الاوروبية الممتازة التي عززت تسويق برامجه في القارة الاوروبية. ومكتب "بورلاند" في باريس هو المقر الرئيسي لتوزيع منتجاتها والعمل على زيادة مبيعاتها.

وينظر كان بكثير من التفاؤل الى مستقبل صناعة البرامج والادمغة الالكترونية. وفيما يتابع انتاج برامج مبتكرة قليلة الكلفة يتألق نجمه كاسفاً منافسيه. ولا يخفي كان غروره الذي يباهي به مازحاً أمام الصناعيين في وادي سيليكون. انها الجرأة التي يتسم بها "الولد الرهيب" في صناعة البرامج الالكترونية.

جاي ستولر ■

(٢) Turbo Lightning
(٣) SideKick
(٤) Traveling SideKick



سبحان الخالق!

برزت على وجه المحيط واحدة من اكثر ظاهرات غروب الشمس روعة وجمالا. جلسنا مسلوبي اللب فيما الالوان تتغير وتمتزج سويّة. وفي ذروة العرض الطبيعي مرّ بنا زوجان آخران. وقال الرجل متأملّا: "عندما ينتهي هذا العرض قد تحدوكم رغبة على الوقوف والتصفيق للفنان."

فرفعنا ابصارنا الى السماء وصفّقنا.

أ.س.

أَكْبَرُ سَمَكَةٍ فِي البَحْرِ



قد يكون كتاب "جوز"
اكبر قصة بطلتها سمكة
امنا. وحيث تثير اهتمامنا
اعاجيب الاعماق هذه تأتي
لحقيقة لتفوق الخيال غرابة

كان الغطس الآلي في اعماق بحر المرجان، بعيداً من الرصيف الاوسترالي الكبير، نزهة ممتعة قبل محاولتي الماشرة، إذ قرش املس اشهب، يربو طوله على مترين ونصف متر، انبرى لي فجأة من اللجة الزرقاء الشفافة على عمق عشرة امتار. كان فمه كبيراً بحيث يقطع رأسي بضربة، وعيناه البالغتا الصغر تتوهجان بلمعان مخيف. فتملكني الذعر وانكفأت راجعاً نحو الرصيف وقد اخذ قلبي بالخفقان الشديد.

لم تعِرْني البهيمة المخيفة انتباهاً وهي تنسل قربي بتكاسل. فوجدتني منشدهاً بإزاء جمالها ورشاقتها. فامامي اكثر الوحوش فتنة رأتها عيناي، وفهمت أن عليّ ان اكتشفه اكثر.

سرعان ما استبنت أن القرش مختلف جداً عن ذلك الذي تصوّره الكتب والافلام كفاتك غبيّ بالبشر. وتذكرتُ ما قاله صاموئيل غروبر، العالِم الأحيائي المتخصص بسمك القرش في جامعة

ميامي بفلوريدا: "اسماك القرش تشبهنا من بعض النواحي بشكل ملفت للنظر، ومن نواحٍ اخرى هي الاكثر غرابة في التصرُّف من كل مخلوقات الخيال العلمي."

وفي وقت تواجه بعض انواع القرش خطر الانقراض، يعتبر علماء كثيرون القرش كواحد من اهم انجازات الطبيعة بل كآية فيسيولوجية بدأت معظم اسرارها الآسرة تنجلي الآن. فلولا القرش لاكتظت المحيطات سريعاً بالاحياء المائية واخلّت بالتوازن الكامل القائم في الطبيعة. كذلك اظهرت لنا المكتشفات العلاجية الحديثة كم -في وسع اسماك القرش ان تساعد على انقاذ حيوات بشرية.

مانع السرطان. يتمتع القرش بسلامة صحية مذهلة. فحتى جروحه الاكثر بلوغاً تندمل بسرعة في منأى عن عدوى الجراثيم. واحد جوانب هذا السرّ يكمن في جهازه المناعي. فدم القرش يحوي اجساماً مضادة تستطيع بنجاح ان تصارع اعداداً كبيرة من الاعداء، ليس الجراثيم والفيروسات فحسب بل ايضاً بعض المواد الكيمية التي قد تقتل كائناً بشرياً.

فضلا عن ذلك، تُصنَّف اسماك القرش في عداد الكائنات القليلة على الارض التي يكاد السرطان لا يطاولها ابداً. فقد حاول كارل لوور، العالِم بالكيمياء الحيوية في مختبر "موت" البحري في مدينة ساراسوتا بفلوريدا، إطعام بعضها مادة محدِثة للسرطان تُدعى "افلاتوكسين" وتستخرج من عَفَن الذرة والفول السوداني وغيرهما من المحاصيل الزراعية. وورد في تقريره: "أننا لم نتمكن بعد قرابة ثماني سنوات من احداث ورم وان بسيطا في جسم قرش."

يُعتبر الهيكل العظمي الجبار للقرش، المكوَّن بكامله من مادة غضروفية، المانع الاقدر لحدوث السرطان في جسمه. وقد اكتشف روبرت لانغر، وهو مهندس كيميّ في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا بمدينة كمبردج، أن احد مقوِّمات غضروف القرش يمنع الاوعية الدموية من النموّ وتغذية الاورام. وهو يجرب الآن مع يهوذا فولكمان الجرّاح في مستشفى الاطفال في بوسطن بولاية مساشوستس، هذا المقوِّم ضد اورامٍ عدة في حيوانات مخبرية، الامر الذي قد يساعد ذات يوم الناس المصابين بالسرطان. وثمة مادة كيمية مستخرجة من غضروف القرش تُجرَّب على الجلد الاصطناعي كعلاج مستديم لضحايا الحروق. وتستمر الدراسات حول عدسة عين القرش لاستقصاء السبب الذي يجنِّب الحيوان حالات الإعتام (السُّدّ) كلما تقدَّم في السن، ولا يقينا منها نحن البشر، مع ان مسلك الشيخوخة هو واحد عند النوعين.

سندويشات تحت الماء. الدافع الاكبر الى ارساء شهرة القرش المتعطش الى الدم هو كتاب بيتر بلانشي الرائج "جوز" الذي نشر في العام ١٩٧٤ وانتج منه فيلم سينمائي في العام التالي. ومع ذلك يقول الخبراء الحقيقيون ان كتاب "جوز" قد يكون اعظم قصة

تتناول حياة سمكة في عصرنا. وتقول اوجيني كلارك استاذة علم الحيوان في بارك كوليج بجامعة ماريلاند، بعد ان كرّست ٣٠ عاماً لدراسة اسماك القرش: "انها شديدة الجبن، وكان ينبغي لي ان اكون هادئة جدا حتى لا تجفل."

والاحصاءات، بدورها، تتهم "جوز" بالكذب. فأسماك القرش تجرح في العام نحو ١٠٠ شخص فقط في انحاء العالم، وقد تقتل ٢٥. وعلى اعتبار ان مئات ملايين الناس تسبح في المحيط كل عام، يكون احتمال ان يغدو السابح لقمة سائغة بين شدقي قرش واحداً من اصل خمسة ملايين. وكان بعض الاختبارات قد اظهر أن القرش يعير قليلَ انتباهٍ الدمى البشرية التي ترتدي بذلة سوداء مخضلّة، لكنه يهاجمها بسرعة اكبر اذا أُلبست صُدرة نجاة برتقالية اللون، كتلك المعتمدة دوليا. ويدعو خبراء القرش هذا اللون، على سبيل السخرية، "الاصفر اللذيذ."

مثبتتان في ذراعيْ امتداد على بعد اكثر من متر بين الواحدة والاخرى. اما القرش "الحوتي" الانف فهو اكبر الاسماك في البحار (الحوت الحقيقي اكبر منه، ولكنه حيوان ثديي وليس سمكة) اذ يبلغ طوله طول شاحنة لنقل الحاويات.

في الطرف الآخر من السلم مخلوقات هشة بحجم سكين التشريح. منها واحد يُطلق عليه اسم "قاطع الكعكة" ويعيش بقضمه اجسام الاسماك الاخرى قضمات دائرية متقنة. ومنذ بضع سنوات فوجئت البحرية الامريكية بوجود ثقوب ظاهرة في مطاط قبة السونار(★). فلقد كانت "قَطَعَةُ الكعكة" الغامضة تعمل فيها قضماً.

عندما تعضّ سمكة القرش فان دزينة من الاسنان قد تنقلع من فكيها. لكنّ صفاً جديداً منها ينبت ليأخذ مكان القديمة. ويؤمّن هذا السَّير المتحرك من الاسنان لسمك القرش ادوات قاطعة صلبة في كل الاوقات.

قطّاعة الكعكة. يعتقد ان اسماك القرش كانت تجول وتصول في المحيطات منذ ٤٠٠ مليون سنة، قبل ظهور الدينوصور بدهور. وخلال تاريخها الطويل تطوّرت الى اكثر من ٣٥٠ نوعاً – بعضها مختلف عن بعض كاختلاف الفأرة عن الفيل. فالقِرش "الدّرّاس" له ذيل بطول جسمه، والقرش "الملائكي" عريض الجسم مثل السمك المفلطح، و"ابو المنشار" له انف يشبه سلسلة المنشار الآليّ، ولـ"ابي المطرقة" رأس من اغرب الرؤوس في عالم الحيوان، فعيناه

الحاسّة السادسة. تُعتبر الاعضاء التي تصل اسماك القرش بعالمها الخارجي من بين الاكثر اتقاناً وإحساساً. فهذه الاسماك يُطلق عليها احيانا اسم "الانوف السابحة" لانها تستطيع أن تلتقط رائحة الدم او اللحم المتحلّل حتى عندما تكون مذابة في الماء بنسبة جزء في المليون.

وتتمتع اسماك القرش ايضاً ببصر خارق، وبعض انواعها ينعم بإبصار ليلي افضل من إبصار الانسان. ولها سمع دقيق

(★) جهاز لاكتشاف اجسام تحت الماء بوساطة انعكاس موجات صوتية منها اليه.

جدا. فمن بُعد عدة مئات من الامتار تستطيع ان تشعر بالخفقان السريع والمتقطع لحيوان شريد في خطر فتنقض عليه رأساً، او تشعر بلطخة نفايات رميت من على متن سفينة، او حتى بارتجاج ريشة طائرة مروحية.

وكأن كل هذه القدرات ليست بكافية، أعطي سمك القرش حاسة سادسة. فهو يقدر ان "يرى" الكهرباء. فعضلات كل الحيوانات تشِعّ اندفاعات كهربائية، وهذه الموجات تنتقل جيداً في المياه المالحة. وهكذا، على غرار رؤية "سوبرمان" بوساطة الاشعة السينية (اكس) يتيح جهاز الاحساس لسمك القرش ان يتعرف على الفريسة التي لولا ذلك لظلت مختبئة.

الرحالة عبر العالم بعض اسماك القرش يقوم برحلات الى مسافات بارزة. والانواع الاكبر، مثل القرش الازرق، تتبع تيارات المحيط في مسارات منتظمة يربو طولها على ١٦٠٠٠ كيلومتر. والقرش الشبيه بالثور يخرج من المحيطات الى مجاري الانهار.

لجسد القرش لدانة تمكّنه من الانثناء في دائرة كاملة، حتى ان النوع الرحال يمكنه ان ينجز قفزات لولبية تدفعه قُدُماً بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة. وبخلاف اسماك اخرى عدة يحوي جسمها اكياساً هوائية تساعدها على السباحة، فان القرش اخفّ قليلا من الماء بحيث يتعين عليه ان يظل متحركاً والا "انهار" وغرق.

الانسان هو اكبر عدو لسمك القرش. ففي كل عام نصطاد نحو ١٠٠ مليون سمكة يُحوَّل معظمها طعاماً. ومع ان شجرة عائلة بني قرش هي ذات تاريخ اعرق بمائتي مرة من تاريخ بني آدم، فان بعض انواعها - كالقرش الدّرّاس والقرش الازرق الصياد الصالحين للأكل - تُستثمَر على نطاق تجاري. ولأن اسماك القرش تنمو ببطء ولا تنتج الا بضعة اولاد فقط، فانها عرضة للانقراض اكثر من انواع السمك الاخرى.

قد يفرح اناس كثيرون لدى سماعهم ان بعض اسماك القرش مهددة بالزوال، "هؤلاء - كما يشرح غروبر - لا يعون أن هذه الاسماك هي في لغة علماء البيئة رأس الضواري، وبصفتها هذه تؤثر في كل فرائس البحار. فهي تجعل قاع البحر نظيفاً، ومن دونها ستمتلىء محيطات الارض بالاسماك العليلة او النافقة او المتحللة، فيما السليمة، الصالحة للاكل، تستنفد كل مواردها."

يتحدث جون ماك كوسكِر، مدير متحف ستاينهارت في اكاديمية العلوم بكاليفورنيا، باسم عدة علماء حين يقول: "هذا المخلوق العظيم هو صديق الصيادين بل اكثر. لقد كان جزءاً حيوياً من محيطات العالم خلال مئات ملايين السنين ونحن في حاجة اليه!".

نويل فيتَماير ■

نادراً ما نجد اقصر مسافة بين نقطتين في... الخطب.

ج.ب.

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنطوي على معاني الحرب والقتال. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **هيجاء:** ريح رملية – حرب – غضب – ناقة جموح.

٢. **مغوار:** متهوّر – جبان – صاحب نخوة وغيرة – كثير الغارات.

٣. **قنا:** رمح – عبيد وجوار – جدول – سيف.

٤. **أوزار:** دروع – ملابس – أثقال – قادة وضباط.

٥. **معقِل:** سجن – ملجأ – ذو عقل راجح – قضيب خيزران.

٦. **يتساجلان:** يتفاهمان ويتفاوضان – يتناديان – يشتكيان – يتباريان.

٧. **تضرَّج:** تسلَّح – سقط صريعاً – تلطَّخ واحمرّ – هجم.

٨. **حِمى:** ما يُحمى – حماسة – مأمن – شدة القتال.

٩. **مقدام:** شجاع – سيد القوم – محنَّك – ثابت القدمين.

١٠. **مدجَّج:** جريح – منتفخ غضباً – لابس سلاحاً – ثقيل.

١١. **عقر الدار:** أعلاها – وسطها – حولها – أجمعها.

١٢. **مِراس:** رأس – رسن الفرس – خندق – شدة وقوة.

١٣. **صَوْلة:** جولة – امتطاء دابة – ضربة – صرخة حادة.

١٤. **ذِمار:** أخلاق – تذمُّر – دمار – حَرَم وأهل وما يُحمى.

١٥. **دائرة:** ترس – ساحة المعركة – نائبة داهية – كتيبة.

١٦. **وغى:** ظلام – حرب – غبار متطاير – حشد متدافع.

١٧. **بيرق:** علم – مدفع – لمعة السيوف – خنجر.

١٨. **جحفل:** فارس – جيش كثير – زاحف – سرج.

١٩. **سِنان:** لجام – حد السكين – سارية – نصل الرمح.

٢٠. **حَصين:** مستتر – عالٍ – منيع – قليل الكلام.

٢١. **غِمار:** حرائق – شدائد – حراب – أكاليل غار.

٢٢. **وطيس:** حرّ – معركة – طعنة قاتلة – دماء الجرحى.

٢٣. **إجهاز:** إتمام القتل – مبارزة – تهيؤ – وقف القتال.

٢٤. **ميثاق:** قيد – وحدة صف – حبل متين – عهد.

٢٥. **كريهة:** موت – استسلام – داهية – اصابة.

الأجوبة

١. الهيجاء: الحرب. الهَيْج: الحرب والحركة والريح الشديدة.
٢. المغوار من الرجال: الكثير الغارات. فرس مغوار: سريع.
٣. القنا: الرمح. القناة: العصا والرمح. يقال "فلان صلب القناة" أي القامة.
٤. أوزار الحرب: أثقالها وآلاتها. يقال "وضعت الحرب أوزارها" أي انقضت.
٥. المَعْقِل: الملجأ. أيضاً: الجبل المرتفع.
٦. يتساجَلان: يتباريان ويتسابقان. يقال "الحرب بينهم سِجال" أي تارة لهم وتارة عليهم.
٧. تضرَّج: تلطخ، وخصوصاً بالدم. تضرج الخد: احمرّ.
٨. الحِمى: ما يُحمى ويدافع عنه. الحُمة: السم، والابرة التي تضرب بها العقرب ونحوها.
٩. المقدام: الشجاع الكثير الاقدام.
١٠. المدجَّج: اللابس السلاح لأنه يتغطى به، وهو من "دجَّجت السماء" أي تغيَّمت. يقال أيضاً "شاكّ في السلاح."
١١. العُقر والعَقر: وسط الدار أو أحسن موضع فيها.
١٢. المِراس: الشدة والقوة. يقال "هو سهل المراس" أي هيّن المأخذ والمعالجة. وفي ضده يقال "صعب المراس."
١٣. الصَوْلة: السطوة والقهر. أيضاً: الجولة والحملة في الحرب.
١٤. الذِمار: الحَرَم والأهل وكل ما يلزمك حمايته وحفظه والذود عنه وإن ضيعته لزمك اللوم. قيل سمي ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له أي التغضّب له.
١٥. الدائرة: النائبة من صروف الدهر. يقال "دارت عليهم الدوائر" أي نزلت بهم النوائب والدواهي.
١٦. الوغى والوغي: الحرب. أيضاً: الصوت والجلبة.
١٧. البيرق: العَلَم. ومن أسمائه أيضاً الراية والعُقاب واللواء والبَند.
١٨. الجَحْفل: الجيش الكثير. الجحفلة: شفة ذوات الحافر.
١٩. السِنان: نصل الرمح.
٢٠. الحصين من الاماكن: المنيع. يقال "حصنٌ حصين" للمبالغة.
٢١. الغِمار: الشدائد. يقال "خاض غمار الحرب." غَمرات الموت: مكارهه وشدائده.
٢٢. الوَطيس: المعركة. يقال "حمي الوطيس" أي اشتدت الحرب.
٢٣. الاجهاز على الجريح: إتمام قتله.
٢٤. الميثاق: العهد. الوثاق: ما يُشد به من قيد وحبل ونحوهما.
٢٥. الكريهة: الشدة في الحرب. أيضاً: الداهية. ذو الكريهة: السيف الماضي.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

مسرطنات المجتمع الصناعي

يعلن هذا العالم الشهير أن المواد الاصطناعية التي تسبب السرطان ليست أكثر ضرراً من شطيرة زبدة

في العام ١٩٨٧ دعا حاكم كاليفورنيا جورج دوكمجيان عددا من ألمع العلماء في الولاية الى اجتماع لمباشرة تنفيذ "الاقتراح ٦٥" وهو قانون سلامة مياه الشفة ومراقبة السُمِّية. فهذا القانون الجديد يحظر على الصناعات التخلص من النفايات الكيميائية التي يخشى أن تسبب السرطان أو أن تتسبب في ولادة أطفال مشوهين برميها في موارد المياه. ويدّعي البعض أن هذا القانون يفرض وضع ملصق تنبيهي على كل مادة منتجة قد تسبب السرطان.

وكان متوقعا ان يكون التخاطب في الاجتماع بلغة العلماء التي يعصى على سواهم فهمها. لكن بروس أيمس، رئيس دائرة الكيمياء الحية في جامعة كاليفورنيا في بركلي، قرر أن يفعم المباحثات بالحياة.

ولدى دخوله القاعة بنظارته الثنائية البؤرة ذات الاطار المعدني وبذلته المتغضنة وشعره الاشعث وبشرته الشاحبة التي تدل على أنه يقضي وقتا في المختبر أطول مما يقضيه تحت شمس كاليفورنيا، بدا أيمس كأنه مثال العالم الخالص. وفيما مضى أحدهم يتكلم عن

طريقة عمل المواد المسببة للسرطان بدأ أيمس يقحم آراءه الخاصة.

اعلن ان العالم مليء بالمواد المسرطِنة (١) أي المسببة للسرطان. فهناك الجعة التي تحتوي على "فورمالديهيد" بنسبة سبعة أجزاء في كل عشرة ملايين جزء، وخمسة أجزاء في المئة كحولا، وهذه اشد خطراً ألف مرة من اي شيء في الماء. فاذا بانت رائحة الجعة في نفسك، فهل يتحتم عليك أن تحذّر كل من يقترب منك مسافة ثلاثة أمتار؟

في هذا العصر الذي يعلن بعناوين ضخمة أحدث المخاوف من مسببات السرطان، تختلف نظرة أيمس فيعلن أن مستويات أكثر المسرطِنات التي هي من صنع الانسان هي اجمالا منخفضة الى حد أن خطرها يبدو تافهاً بالمقارنة مع مستويات المسرطنات الطبيعية.

فحص ثوري. ان أيمس ليس دجالا. فهو، في السن التاسعة والخمسين، أحد أهم المراجع المرموقة في الولايات المتحدة في ما يختص بالمسرطنات، وسجله حافل بشهادات التكريم، ومنها جائزة "تشارلز س. موت" من مؤسسة "جنرال موتورز" لابحاث السرطان، وهي احدى المنح المرموقة في مجال أبحاث السرطان، كما أنه عضو في الاكاديمية الوطنية للعلوم. حتى منتقدوه يثنون على طريقته المخبرية السهلة والقليلة الكلفة التي تساعد على معرفة ما اذا كانت مادة ما تسبب السرطان، ويعدونها انجازا رائعاً.

لكن أيمس لا يتورع عن مهاجمة الحرمات، كحركة حماية البيئة التي يعتبرها البعض أهم حركة اجتماعية في القرن العشرين. مثالا على ذلك، نشر واثنين من زملائه، هما ريناي ماغو ولويس سويرسكي غولد، في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ تقريرا في مجلة "ساينس" صُنفت فيه المسرطنات المحتملة. وأظهرت المعلومات، استنادا الى اختبار نحو ١٠٠٠ من المواد الكيميائية على الحيوانات، أن الاستهلاك اليومي لشطيرة زبدة الفستق التي تحوي آثاراً من الـ"أفلاتوكسين"، وهو عفن مسرطن كائن طبيعيا في الفستق، هو أشد خطراً مئة مرة مما يدخل جسمنا من الـ"د.د.ت." مع الطعام. كذلك فان كأسا من ماء الابار الاكثر تلوثاً في وادي سيليكون الصناعي قرب سان فرنسيسكو هي ألف مرة أقل خطراً في تسبب السرطان من كأس خمر أو جعة. ان أيمس لا ينصح الناس بالامتناع عن تناول زبدة الفستق أو الشراب، ولكن ما يعنيه هو أن أكثرية العوامل التي تسبب السرطان والتي هي من صنع الانسان تافهة بالمقارنة مع الاخطار الطبيعية. وليس واضحاً كم من هذه العوامل يشكل خطراً حقيقياً. وكلا النوعين يحوّل انتباهنا عن عوامل الخطر الهائل الكامنة في التبغ مثلا.

بدأ أيمس أبحاثه في السرطان قبل ٢٥ سنة بتفحص كيس من رقائق البطاطس (البطاطا). فقد كان في حينه يجري أبحاثاً لمعهد الصحة الوطني في

(١) Carcinogens

ماريلاند وقرأ على الكيس أسماء العناصر التي تتكون منها الرقائق. فخطر له فجأة أن لا أحد يعرف ما تفعله كل مادة كيميائية بجينات الانسان الوراثية، وليست هناك طريقة سهلة للتوصل الى ذلك.

في ذلك الوقت كان على العلماء الذين يجرون اختبارات لمعرفة المواد المسرطنة، أن يلجأوا الى تجارب مخبرية عالية الكلفة وتستغرق وقتاً طويلا يجرونها على الجرذان والفئران. ولمعرفته أن الجراثيم حساسة للمواد التي تسبب التغيار الوراثي (٢)، وأن المسرطنات قد تكون مسببة لهذا التغيار، فقد طور أيمس فحصاً للمسرطنات اعتمد فيه الجراثيم. ولقي هذا الفحص ترحيباً كبيراً على أنه تطور علمي رئيسي، وهو يعتمد حالياً في أنحاء العالم.

ثمن العصرنة. ذات يوم عام ١٩٧٤ فيما كان أيمس يعلم في جامعة بركلي بكاليفورنيا، طلب من بعض تلامذته أن يفحصوا منتجات منزلية مختلفة. ولكم كانت دهشته حين اكتشف أن الكثير من صباغات الشعر العادية، ومادة معوقة للاحتراق في بيجامات الاولاد أظهرت نتائج ايجابية في الفحص. وبين ليلة وضحاها أصبح أيمس بطل حماية البيئة حين أدت اكتشافاته الى اصدار قوانين جديدة تحظر استخدام بعض المواد الكيميائية الضارة.

خلال العقد التالي استمر تصاعد الاهتمام العام بالمسرطنات. ويقول أيمس: "بدأت أدرك حينذاك أن أمراً ما لم يكن صحيحا". لان الفحص اثبت ايجاباً أن عدداً كبيراً جداً من المواد الطبيعية هي أيضا اما مسرطنات واما مسببات للتغيار الوراثي، كعصير الفاكهة والخردل الاسمر والكرفس والبقدونس. وأظهر الفحص لأيمس أن نصف المواد الكيميائية فعلا - الطبيعية منها والاصطناعية على السواء - تصبح مسببة للسرطان حين تعطى بكميات كبيرة جداً للجرذان والفئران.

لذلك قدّر أيمس أن فحصه خانه وأن النتائج لم تكن صحيحة. لكنه في الحقيقة لم يكن على خطأ، بل كان خطأه في اعتماده التقدير الساذج الذي كان سائداً والقائل بأن المواد الكيميائية المصنعة فقط قد تكون خطرة. وهو يقول الان: "لماذا نقدّر أن الطبيعة غير خطرة؟"

والحملة التي أيدت تنفيذ "اقتراح كاليفورنيا ٦٥" أقنعت أيمس بأن عليه واجب شرح هذا الامر للعموم. وهو يقول: "حين يزعم الناس أن علة ما عند الولادة سببها أن الماء يحتوي على جزء في المليار من شيء ما، أرى في ذلك كلاماً غير مسؤول، لانه يثير مخاوف الناس. فهناك دائما جزء في المليار من شيء ما في الماء."

وفي شهادته أمام لجنة لمجلس الشيوخ في كاليفورنيا أفاد أيمس أن ماء الشفة، على سبيل المثال، يحتوي على "كلوروفورم" مسرطن بمعدل ٨٣ جزءاً في المليار، ويرجع السبب الى التطهير بمادة الكلور. أما القهوة فتحتوي على مادتين من المسرطنات الطبيعية بمعدل ٤٠٠٠

(٢) Mutation

جزء في المليار، فيما يبلغ معدل الـ"فورمالديهيد" في الدم البشري ٣٠٠٠ جزء في المليار، متأتيا من الأيض الطبيعي (٣).

يعتقد البعض أن أيمس أداة تعمل لمصلحة الصناعات الكيميائية. انما ذلك ليس صحيحاً. فهو في الواقع لا يعمل مستشاراً لشركات الدواء والغذاء والمواد الكيميائية ولا لمكاتب المحامين، وهو لا يقبل هبات من المؤسسات الصناعية.

لكن أنصار البيئة يرفضون براهين أيمس مدعين ضرورة تجلب الناس التعرض لخطر المسرطنات ما أمكن. يقول كارل بوب من نادي سييرا ان أيمس "يرى من الواجب، بطريقة او باخرى، أن يكون هناك اختيار. فلو كان علينا أن نختار بين وجود الـ«TCE» (٤) في ماء الشفة والتثقيف العمومي حيال خطر التدخين، فربما كان على حق. لكننا لسنا مضطرين الى الاختيار."

ويرد أيمس: "لا أحد يرغب في أن ترمي كل شركة كيميائية نفاياتها في فناء الدار لكن الثمن الذي ندفعه للعيش في مجتمع عصري صناعي هو وجود اجزاء قليلة في المليار من المواد الكيميائية في الماء. ان التخلص منها ممكن، ولكن بكلفة مرتفعة جدا. واذا أضعنا وقتنا في ملاحقة الامور التافهة فقد يفوتنا الانتباه الى الاخطار المهمة."

مارلا كون ■

(٣) Metabolism

(٤) مذيب يُرتاب في أنه مسبب للسرطان.

وقت للحريق!

عندما اكتشفت امرأة ان النار تشتعل في منزلها استدعت رجال الاطفاء، وفيما هي مندفعة للخروج رنّ جرس الهاتف. ولظنها ان الاطفائية تتصل بها، عادت ورفعت السماعة. فجاءها صوت من الطرف الآخر يعرّف بنفسه أنه بائع.

فشرحت المرأة: "لا اقدر ان اكلمك الآن، فبيتي يحترق!"

من الواضح ان الرجل سمع جواباً كهذا في اتصالاته السابقة، فشرح بدوره: "لكن الامر لن يأخذ اكثر من دقيقة واحدة."

م.س.

مطلوب زوج لحفيدة

عندما انضم ابني الى مكتب النائب العام في احدى المدن الكبيرة طُلب منه ان يتوجه بالحديث الى مجموعة من المواطنين الاكبر سناً. فتكلم على اساليب الخداع المرتكبة ضد المتقدمين في السن، وكان مسروراً حقا في نهاية حديثه لشعوره بان الراشدين بدوا مهتمين بالموضوع. وقبل انصراف المجموعة قالت له احدى النساء: "عندي لك حفيدة، فهل انت متزوج؟"

ر.ك.

ضَمِيْرُ العَالَم

في عامها الخامس والعشرين بعد المئة تتابع هذه المنظمة الانسانية مساعدة الذين لا يساعدهم أحد


Nicolas Somer / ICRC

أوغندا عام ١٩٨٤:
توزيع الحبوب على المهجرين.

في المقر الرئيسي للجنة الدولية للصليب الاحمر في جنيف يتحلق الاعضاء حول طاولة مؤتمرات في غرفة الاجتماعات الكائنة في الطبقة الثانية لدراسة التقرير اليومي الذي يرد في التاسعة صباحاً من فريق العمليات في افريقيا. افريقيا! حيث يدور أكثر من عشرة نزاعات، وحيث يواجه مئات الالوف من الناس المجاعة والموت، وحيث الالوف في الاسر، وحيث يعمل ما يقارب نصف عدد موظفي الصليب الاحمر الدولي، وحيث تصرف نصف موازنته السنوية.

الحاضرون، اضافة الى المندوب العام لإفريقيا جان دافيد شابوي، هم موظفون مكتبيون وخبراء في الطب والقانون والمواصلات. وهناك أيضاً اختصاصيون بأمور السجناء والمؤن الاسعافية والمسائل الاعلامية والعلاقات الحكومية وتطبيق معاهدات جنيف وتعقب الاشخاص المفقودين.

الموظفون المكتبيون يدونون ما يجري في مناطقهم. هنالك تقرير عن قافلة مواد غذائية لمئة الف شخص تغادر ماكيل في اثيوبيا الشمالية. تعاوَد الجهود لتحسين وضع السجناء في تشاد. وفي السودان حاجة ملحة الى زيادة مخزون

المواد الغذائية. مسؤول طبي يصف الازدحام الشديد في المستشفى التابع للصليب الاحمر الدولي في كينيا الشمالية.

هذه هي اللجنة الدولية للصليب الاحمر، "ضمير العالم" الذي يساعد ليس الذين يتمتعون بعطف العالم فحسب، بل أيضاً الذين لا يجدون من يساعدهم. ان اللجنة الدولية للصليب الاحمر، مع تحالف منظمتي الصليب الاحمر والهلال الاحمر والجمعيات الوطنية المماثلة، تشكل حركة الصليب الاحمر والهلال الاحمر الدولية، مهمتها مساعدة الضحايا المدنيين والعسكريين الذين خلفتهم النزاعات والحروب في أنحاء العالم، والتأكد من أن القواعد العالمية تراعى في معاملتهم. وهذه القواعد تعرف مجتمعة باسم "معاهدات جنيف." تعالج المرضى والمصابين وتطعم الجياع وتساعد المضطهدين وتزور السجناء وتجمع شمل العائلات.

أعمال شاقة. لقد زادت مسؤوليات اللجنة الدولية للصليب الاحمر التي بلغت عامها الخامس والعشرين بعد المئة. فالخضات الناتجة من العنف السياسي في العالم زادت من ٤٧٥ عام ١٩٨٠ الى ٣٤٤٣ عام ١٩٨٧. وكانت اللجنة فاعلة في ثمانين بلداً عام ١٩٨٨، في مقابل ٣٤ بلداً عام ١٩٧٨.

ولدى اللجنة ٣٦٠٠ شخص يعملون في مكاتبها المختلفة في انحاء العالم، بينهم ٦٠٠ في المقر الرئيسي في جنيف. وفي شرع اللجنة، ان على الاعضاء الميدانيين أن يكونوا من حملة الجنسية السويسرية لتأكيد حيادهم الذي يخولهم العمل في مناطق النزاعات. وقد بلغ عددهم ٥٠٠ وهم يعملون في مناطق خطرة ومتوترة في أنحاء العالم.

يقول مارتن فوهرر رئيس قسم التطويع: "نحن نحتاج الى أشخاص يجمعون المثالية الى المنطق، أشخاص يمكنهم مواجهة الامور الرهيبة من دون اظهار تعاطفهم مع الضحية." ومن بين ٤٠٠٠ طلب للالتحاق تتلقاها اللجنة سنوياً، تختار ٢٠٠ مجند تشكل النساء ثلثهم.

يقول كريستيان فوتش (٣٣ سنة) الذي يعمل حالياً محامياً في برن وكان لبنان أول مركز ألحق به: "ان العمل للجنة الدولية للصليب الاحمر هو أكثر صعوبة مما كنت أعتقد. كانت الاشتباكات في كل مكان. شاهدت الكثير من الدماء والجرحى وشعرت بخوف شديد." وقد تابع فوتش عمله في اوغندا والعراق والاراضي العربية المحتلة في فلسطين.

يقول روجر سانتش من دائرة التوظيف في اللجنة: "ان الاعمال لدينا شاقة، لكن ما نقدمه لا يمكن الحصول عليه في أي مكان آخر. يعيش مندوبنا في البلد على أسس خاصة جداً، فهو يعرف تماماً ماذا يحدث في الساحة السياسية وفي أي مكان آخر."

زيارة السجون. أما الخيبات في متابعة مهمة اللجنة فتناقش في الاجتماعات الاسبوعية للمجلس التنفيذي. رئيس اللجنة كورنيليو

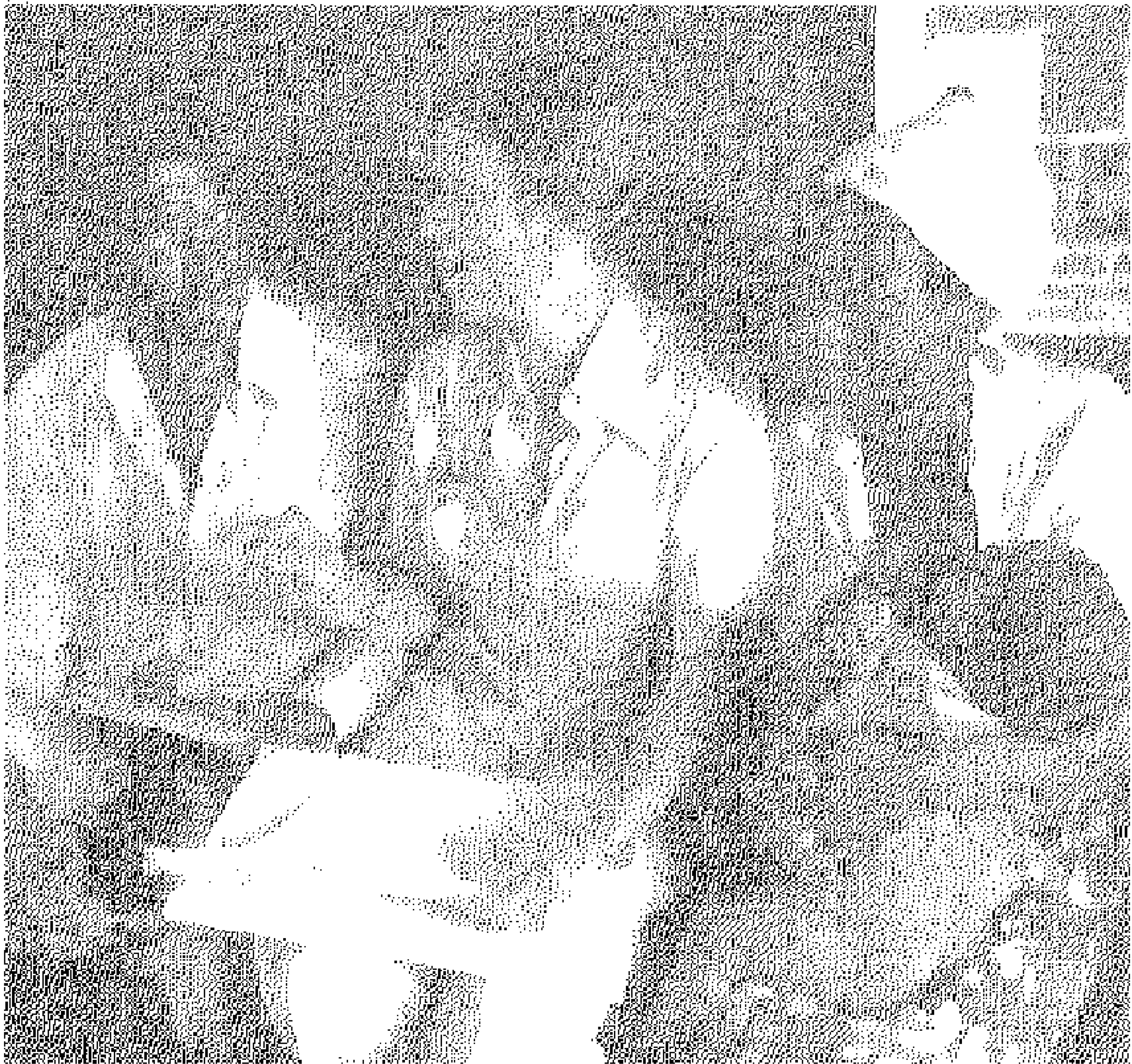
سوماروجا يعطي أمثلة: "سري لانكا، حيث رفضت حكومة كولومبو الى مايو (أيار) الماضي السماح لنا بالعمل مع أن مساعدتنا كانت مطلوبة قبل ذلك بسنوات." مثال آخر هو كمبوديا حيث يسمح للجنة الدولية للصليب الاحمر ببعض النشاطات المحدودة ومعظمها طبية، ولكن لم يسمح لها بالوصول الى السجناء. وفي موزامبيق حاجات انسانية ملحة، "لكن عملياتنا الجوية في الداخل تعثرت لعدة أشهر بسبب عدم تأمين سلامتنا". ويقول الدكتور رامي راسبك الضابط الطبي الاول: "ان زيارة السجون هي أهم أعمال اللجنة اذ اننا نقدم الى السجناء ما لا يستطيع غيرنا تقديمه، وفي امكانهم أن يقولوا لنا ما لا يستطيعون قوله لأحد غيرنا، كما يستطيعون الاتصال بعائلاتهم عبرنا."

ويشرح سوماروجا: "تضع اللجنة شروطاً واضحة لزيارة السجون. إذا دخلنا سجناً فنريد أن نرى كل المحتجزين ونسجل أسماءهم مما يوفر لهم نوعاً من التأمين على الحياة. نريد أن يسمح لنا بالتحدث اليهم على انفراد وأن نعاود زيارتهم للتأكد من تحسن احوالهم. وفي كل بلد نؤكد للحكومة أننا لن نكشف عما نرى، فصمتنا المضمون هو الاساس الوحيد الذي يسمح لنا بموجبه أن ندخل السجون. لكننا نرفع الى الحكومة ذاتها تقارير عن الخروق المهمة التي نراها."

تبادل أسرى. ان حياد اللجنة والصمت الذي فرضته على نفسها جعلاها تتهم احياناً بالتغاضي عن انتهاكات فاضحة



L. Chessex / ICRC



Liliane de Toledo / ICRC

(فوق) السودان عام ١٩٨٤: مركز التجبير في كسالا. (تحت) انغولا عام ١٩٨٢: الممرضة ماري جوزيه برنييه في مركز طبي.

لحقوق الانسان. ويشير المنتقدون الى أن اللجنة الدولية لم تستنكر علناً، خلال الحرب العالمية الثانية، إبادة اليهود الاوروبيين على أيدي النازيين، وأنها لم تحاول مساعدة أسرى معسكرات الاعتقال على رغم علمها بالابادة الجماعية. أما المسؤولون في اللجنة فيقولون ان وعدهم بالكتمان هو ما يمكنهم من تقديم المساعدة في بعض الحالات.

في احدى دول أمريكا الجنوبية، مثلا، نتج من زيارة اللجنة الدولية لاحد السجون انه سمح للمساجين بالخروج من زنزاناتهم الى نور الشمس للمرة الاولى منذ أربعة عشر عاماً. اما التعذيب الذي كان أمراً عادياً في سجون احد بلدان الشرق الاوسط فقد ألغي تقريباً بعد زيارات متكررة للجنة الدولية على مدى سنتين. نلسن مانديلا زعيم "حزب المؤتمر الوطني الافريقي" الذي زارته اللجنة الدولية في زنزانته في جنوب افريقيا طوال عشرين سنة، يقول ممتناً في الزيارات: "انها لا تأتي بالخير فحسب بل تمنع حدوث الشر أيضاً."

ويرتكز الكثير من عمل اللجنة على الاتصالات السريعة والموثوق بها بين المركز الرئيسي والمراكز الميدانية الموزعة في العالم. لذلك تم تطوير شبكة اتصالات لاسلكية تغطي انحاء العالم وتصل الوفود والمكاتب بمركز جنيف. وقد أدى مركز الاتصالات اللاسلكية في الطبقة العليا من المقر الرئيسي دوراً أساسياً في عملية تبادل الاسرى التي تمت عام ١٩٨٣، عبر اللجنة، بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية والتي تبودل فيها ستة اسرى اسرائيليين كانوا في مدينة طرابلس في شمال لبنان بـ٤٤٠٠ فلسطيني كانوا محتجزين في جنوب لبنان واسرائيل. يقول نيكولاس سومر الذي كان يعمل وقتذاك في قسم الاتصالات وهو اليوم رئيس دائرة المنشورات: "كانت الاتصالات من موفدي اللجنة الدولية تنصب على جنيف من بيروت وطرابلس وتل ابيب على مدى عدة أشهر. لم يكن أي من الطرفين يثق بالآخر. لم يكن هنالك أي اتفاق متبادل بين اسرائيل ومنظمة التحرير. كان هناك اتفاقان ثنائيان مع اللجنة الدولية للصليب الاحمر فقط.

كانت اللجنة الدولية في الوسط وعليها أن تؤكد للطرفين احترام الاتفاقين."

غذاء أساسي. يرئس أندرياس لاندورف قسم الاغاثة في اللجنة الدولية وهو المسؤول عن توزيع الغذاء ولوازم المأوى. يقول عن مهمته: "يجب ان تشمل المساعدة ضحايا صراع ما، ويجب أن تكون عاجلة. وعلينا ان نؤمن ضمان وصولها الى الضحايا. المشكلة الحقيقية تتأتى من محاولتنا تدبّر الشاحنات الكافية والاطعمة والاطار التنظيمي في وقت قصير لمساعدة مئات الالوف من الناس في محنتهم."

في شباط ١٩٨٨، مثلا، شحنت اللجنة ٩٠٠٠ طن من الاطعمة الى اثيوبيا. يقول



كورنيليو سوماروجا رئيس اللجنة الدولية

أوسكار شنايدر رئيس قسم النقليات: "من الصعب تصور الكميات التي نتحدث عنها. عندما تدرك ان شاحنة كبيرة واحدة تحمل ٢٠ طناً، ثم تتخيل اكثر من ٤٠٠ شاحنة تسير على الطريق في محاولة للوصول الى القرى النائية في اثيوبيا وتوزيع حمولتها هناك على نحو عادل، تكون أدركت شيئاً عما نفعله."

إن بعض المؤن التي توزعها اللجنة الدولية هي هبات، لكنها احتاجت الى مبلغ ٢٣٤،٨ مليون فرنك سويسري نقداً عام ١٩٨٧. القسم الاكبر من هذا الدخل (١٨٦،٥ مليون فرنك سويسري عام ١٩٨٧) يتألف من هبات تقدمها حكومات. وعلى رغم أن مجموع الدول الاعضاء في معاهدات جنيف يبلغ ١٦٥، فإن ٨٤ دولة فقط ساهمت في الموازنة عام ١٩٨٧. المتبرع الاكبر هو سويسرا التي قدمت ٥٣،٣ مليون فرنك سويسري عام ١٩٨٧ بينما قدمت الولايات المتحدة الامريكية ٤٥،٥ مليون فرنك سويسري. الاتحاد السوفييتي لا يساهم بشيء ومستويات التبرع للدول الاخرى تتفاوت كثيراً.

وبصرف النظر عن المبلغ الذي يتبرع به بلد ما، فإن اللجنة الدولية للصليب الاحمر تتخذ موقفاً حيادياً. ذلك الحياد كان من المسلمات الاساسية التي بنى عليها هنري دونان منظمته، وهو المصلح والمحسن السويسري الذي أسس الحركة بأسرها. كان دونان قرب مدينة سولفيرينو الايطالية عام ١٨٥٩ عندما وقعت معركة هناك بين النمسويين والبيدمونتيين الفرنسيين نتجت منها احدى أبشع المجازر التي عرفها الناس في ذلك الوقت. ذعر دونان من مرأى ألوف الجرحى من الطرفين وقد تركوا ليموتوا نزفاً أو عطشاً أو جوعاً. وانتهت اقتراحاته لمساعدة ضحايا الحرب في الصراعات المستقبلية بتشكيل "لجنة الاغاثة الدولية للجنود الجرحى" وهي سَلَف اللجنة الدولية للصليب الاحمر.

آفاق جديدة. في العام ١٨٦٤ عقد مؤتمر ديبلوماسي اجتمع فيه ممثلو ١٦ دولة لصوغ "معاهدة جنيف لتحسين أوضاع الجرحى العسكريين في ساحة المعركة." وقد صدر عن المعاهدة المبدأ الرئيسي القائل بوجوب الاعتناء بالجنود المرضى والجرحى بصرف النظر عن جنسياتهم، واعتبار الذين يعتنون بالجرحى حياديين، ووجوب حمايتهم.

ان البنود العشرة لمعاهدة ١٨٦٤ تضاعفت في ما بعد الى ٤٠٠ بزيادة بعض الاحكام التي تتعلق بحروب البحار وحماية البحارة ومعاملة السجناء. كما أضيف اليها عام ١٩٤٩ بند حماية المدنيين في زمن الحرب.

إن معاهدات عام ١٩٤٩ فتحت آفاقاً جديدة بتوسيع الحماية على أن تشمل جميع النزاعات المسلحة، حتى غير المعلنة، وبعض الصراعات الداخلية. والبروتوكولات الاضافية التي أقرت عام ١٩٧٧ شملت أنظمة للحروب لمنع المعاناة التي يمكن تفاديها ومنح المدنيين حماية أكبر.

تمثل ماري جوزيه برنييه الشجاعة والالتزام اللذين جعلا من اللجنة الدولية

للصليب الاحمر أسطورة. لقد خدمت كممرضة لمدة أربع سنوات في بعثات عدة في لبنان وأنغولا واندونيسيا وموزامبيق. وفي أنغولا أسرها الثوار ووضعوها في سجن انفرادي لمدة اربعة أشهر.

بعد اطلاقها وخدمتها في اندونيسيا عادت ماري الى افريقيا لاجراء دراسة عن الاوضاع الغذائية والصحية. وخلال احدى جولاتها تعرضت الطائرة الصغيرة التي كانت تنقلها من قرية الى اخرى لنار اسلحة اوتوماتيكية، فاصيب الربان في ذراعه وأصيبت في ساقيها. وقد ساعدت الربان في قيادة الطائرة أثناء رحلة العودة كما تولت عملية الهبوط.

تبع ذلك الحادث سنة ونصف سنة من المعالجة، اصيبت برنييه اثناءها بشلل موقت وقاست ألماً مبرحاً.

أما اليوم فتجري ماري أبحاثاً حول العناية الاساسية بالصحة في جامعة جنيف وفي غينيا - بيساو وافريقيا الغربية. وعندما يسألها أصدقاؤها ان كانت تنصح بالعمل للجنة الدولية للصليب الاحمر تجيب بهدوء: "أنا دائماً أنصح الناس بذلك. العمل خطر، ولكن من المهم لنا نحن السويسريين الذين نعيش حياة آمنة، أن نحظى بتلك التجربة، فنرى حياة الآخرين ونكون مفيدين في آن."

هنالك أربع شهادات ذات أطر ذهبية معلقة على حائط المقر الرئيسي للجنة الدولية للصليب الاحمر. تمثل احداها أولى جوائز نوبل للسلام، وهي منحت لمؤسس اللجنة هنري دونان عام ١٩٠١. وتمثل الاخريات جوائز نوبل للاعوام ١٩١٧ و١٩٤٤ و١٩٦٣ التي منحت لاعمال المنظمة الدولية من أجل السلام. لم تحظ أي منظمة أخرى بالجائزة أكثر من مرتين، وهذا يثبت بقوة أن اللجنة الدولية للصليب الاحمر تستحق اعجاب العالم لاظهارها اهتمام الانسان بأخيه الانسان.

جدسون غودنغ ■



"تشالنجر" والوقائع البسيطة

كان ريتشارد فاينمان، رابح جائزة نوبل في الفيزياء، رجلا حصيفاً عُيّن في هيئة المحلّفين المكلفين تحديد الخطأ الحاصل في تلك الثواني المروّعة التي تلت انطلاق المركبة الفضائية الامريكية "تشالنجر." ويمكنك أن تتصوّر المقدار الكبير من المعلومات التي تُقدَّم اليك اذا كنت عضواً في لجنة كهذه.

ماذا عمل فاينمان؟

خلال استراحة للهيئة غطّس اللوازم التي صُنعت منها الحلقات الدائرية للمركبة في حاوية مليئة بماء الثلج. ففقدت اللوازم الكثير من مرونتها، وبالتالي من ملاءمتها للمهمة. لا هبات حكومية. لا بيروقراطية مغرورة. مجرد وقائع بسيطة واضحة.

اليوم تعزى مأساة "تشالنجر" الى وهن تلك اللوازم في الطقس البارد.

ل.س.

اصداء من عالم الطب

فحوص الكولسترول

ان فحوص الكولسترول ليست بالدقة التي يتصورها كثيرون. ففي تقرير لـ"مركز العلم للفائدة العامة" في واشنطن أن نتيجة فحص واحد قد تأتي بنسبة ١٥ في المئة أعلى أو أدنى من مستوى الكولسترول الحقيقي لدى أي شخص.

يقول الدكتور إيرفنغ أكرمان طبيب الامراض الداخلية والعالم بالغدد الصمّ في مستشفى "كايزر برمانينت" في لوس انجلس: "على رغم أن هناك فحوصاً كثيرة دقيقة، فان التباين في أحسن المختبرات قد يصل الى ١٠ في المئة."

ويرى الخبراء أن الطريقة الفضلى لمعالجة التباينات المحتملة هي في اجراء فحصين أو ثلاثة فحوص بفارق أسبوع على الاقل بين كل فحصين. فمستويات من ٢٤٠ مليغراماً وما فوق تعتبر مرتفعة، ومستويات من ٢٠٠ الى ٢٣٩ تعتبر الحد الفاصل، وما دون ٢٠٠ مليغرام هو المستوى المرغوب.

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

علاج الفك

ان علة المفصل الفكي الصدغي (١) التي صُرف النظر عنها في السابق على أنها اعراض وهمية، يُعترف بها الآن كمشكلة حقيقية تبتلي ملايين الناس في مرحلة ما من حياتهم. وهذا الاعتلال المؤلم الذي يصيب مفاصل الفك وعضلاته قد ينجم عن عضة خاطئة (سوء انطباق الفكين) أو ضربة على الفك السفلي أو التهاب المفاصل، أو حتى من جراء مضغ شيء قاس. واطباق الاسنان بشدة وصرّها هما سببان محتملان آخران. وأكثر ما يشتكى منه ألم في الرأس والرقبة والاذنين وأصوات طقطقة وتشنج في العضلات.

وقد تشمل المعالجة تناول الاطعمة الطرية والتدليك والتدفئة الرطبة بحسب ما يقتضيه السبب. ويمكن استخدام صفائح "أكريليك" للعض بهدف تخفيف صرير الاسنان أو اعادة الاقراص الزائحة الى مكانها في مفاصل الفكين. وفي الامكان وصف أدوية للألم وتشنج العضلات والاهتياج العصبي. كما يمكن اسداء النصح في شأن معالجة الاجهاد وطرق الاسترخاء التقنية.

وربما كانت الجراحة ضرورية لقلة من المرضى. وفي حالات أخرى قد يلجأ الاطباء الى تنظير المفاصل (٢) فيدخل أنبوب بصري رفيع في المفصل لتنظيف الفتات أو اعادة القرص الى مكانه أو نزع النسيج الميت. وهذه الطريقة أخف من الجراحة المفتوحة، وهي تخلّف علامة في الجلد لا تتعدى حجم النمشة.

---

(١) Temporomandibular — joint syndrome

(٢) Arthroscopy

"تايم"

ليس أعذب من أن يسمع الأب كلمة اطراء من ابنه

«كنت عظيماً يا أبي»



جرت العادة أن تقام في المدرسة التي يتعلم فيها ابني مباريات في كرة السلة مساء كل يوم خميس يحضرها أولياء التلاميذ.

وأثناء احدى هذه الامسيات أبدى المدرب المسؤول عن التربية البدنية في المدرسة فكرة عفوية عن امكان تأليف فريق خاص بآباء التلاميذ.

وهكذا أصبحت عادة ان نجتمع ونلعب مساء كل خميس وسط تهليل الاولاد الذين ينال المدرب أكبر قسط من هتافهم.

وكنت في المنزل مع ابني حين قال لي بشعور متدفق من الاعجاب بالمدرب: "انه الاعظم." وكان قد سجل ما بين ٢٠ و٣٠ نقطة ضد فريق الآباء على رغم ذراعيّ الممدودتين كفروع الشجر لمنعه.

قلت لابني إني موافق أن يتخذ الولد أبطالا له غير أبيه. أما تفوق المدرب فهو أمر طبيعي لانه يتمرن يومياً. وأضفت: "انتظر حتى تكتمل لياقتنا البدنية، عندئذ سيكون في مقدورنا السيطرة على الخصم والتفوق عليه."

وتابعت متهماً المدرب بأنه لا يجيد المراوغة الى اليمين، فرد عليّ ابني ضاحكاً انه لا داعي الى ذلك. قلت انه بدين، فأجاب انه قوي. قلت انه أصلع، فرد وقد شرد للحظة: "لا، ليس أصلع بل قصة شعره مميزة."

عند هذا الحد شعرت بالانقباض. وأنبتني زوجتي ملاحظة كم أنا ساذج لأن ابني ايفان كان يتحداني من

خلال المدرب. قلت: "حسناً، اذا كان الرجل كذلك فانا قادر على التفوق عليه في اللعب."

أخيراً تحسن أدائي، وكان هذا راجعاً من جهة الى استردادي لياقتي البدنية ومن جهة أخرى – وهذا الأهم – الى انني كنت أبذل قصارى جهدي لكي أفوز بتقدير ابني.

وبعد احدى المباريات خرجت من الملعب وارتميت في مقعد فقال لي ايفان انني تغلبت بمهارة على خصمي في الفريق الآخر. وكنت سعيداً أن أسمع منه أنني سجلت خمساً من ثماني محاولات، وحصلت على نقطتين استرداداً ونقطتين لقطع الكرة عند الخصم.

وانقضت مدة أعلن بعدها المدرب انه سجل فريقنا في الدوري الخاص لكرة السلة وان مباراة سوف تقام بيننا وبين أحد فرق الاتحاد التي ترعاها شركة كبرى.

وفي اليوم التالي عدت الى المنزل ومعي طقم كامل من ملابس الفريق الرسمية ذات اللون الأخضر.

كانت ابنتي داني أولى من رآني. وصرخت فرحة تطلب مني أن أجرب الملابس. وكان ابني جالساً على الكنبة يلاحقني بنظراته ويده على فمه يخفي بها ابتسامته. والتفتت زوجتي نحوي وقالت: "لا بأس. جربها." فما كان مني الا ان ارتديتها وأديت عرضاً أمامهم.

العائلة في الملعب. سألني ايفان لماذا اخترت الرقم ١٤ وليس الرقم ٣٣ الذي يستعمله باتريك يوينغ نجم الوسط في فريق "نيكس" النيويوركي. أجبته انني لا أظن انه يمكن تفصيل قميص باتريك يوينغ على قياسي أنا.

وبتملق سألتني ابنتي داني ان كان في وسعها الذهاب مع امها وشقيقها الى المباراة. أجبت بالنفي. فكانوا أول من ذهب الى الملعب الذي امتلأت مدرجاته.

سبقنا فريق الاتحاد الى الملعب، وتبعناه ونحن في ملابسنا الخضراء الزاهية. وانتظمنا في صف واحد بعدما أسقط كل فرد من الفريق كرة في السلة.

قال لنا المدرب: "لا أريد أن تتوتر أعصاب أي منكم. فابتسمت له عشرة وجوه متوترة.

سمعت ابني يهتف مشجعاً: "يعيش الفريق الاخضر!"

صفر الحكم معلناً ابتداء المباراة. كنت ضمن لاعبي الاحتياط عندما أحرز فريقنا الهدف الاول. لم أتمالك نفسي. هللت بقوة لألفت ايفان وداني الى أن كوني لاعب احتياط لا يقلل من حماستي.

وفي الدقيقة الخامسة من المباراة كنا متقدمين بثلاث نقاط عندما اشار اليّ المدرب صائحاً: الرقم ١٤ بدلا من الرقم ٣٥."

سمعت ابنتي داني تصيح: "هيا يا أبي."

وجاءت اليّ الكرة عبر تمريرة. وتحركت بها الى وسط الملعب. وبدا لي لاعبو فريق الاتحاد كأنهم أشباح أشجار وخلفهم لاعبو الملابس الخضراء رافعين أيديهم ملوحين نحوي. سمعت ابنتي تصرخ بانفعال ونظرات ابني على الكرة وعلى يديّ وعلى عنقي. مررت الكرة الى أحد زملائي الذي

كان في مركز حسن. فمال يميناً واتجه يساراً ليضع الكرة في السلة من زاوية سهلة.

هنا صرخ ابني: "لقد سجلت يا أبي نقطة كمساعد. عندئذ تذكرت عندما كنت ألعب في مباراة للصغار وقول أبي لي مشجعاً: "لا بأس... لا تستسلم."

هنا المباراة خلاف تلك تماماً. ان الذي يشجعني الآن هو ابني. شعرت بالغيظ يتملكني لأنني في معركة أحاول فيها التغلب على ضعف لياقتي البدنية، في حين كان يجب أن تكون معركة أتباهى فيها أمام من أكن لهم أكبر حب في حياتي.

ورجعت الى منطقة الدفاع للذود عن حرمتها أمام هجوم فريق الاتحاد.

جاءت تمريرة الى اللاعب الذي كنت أحرسه. فاعترضته بجسمي مرتكباً مخالفة وقحة. فهلل لي الانصار وصفر الحكم محتسباً خطأ على الرقم ١٣ للاعتراض. رفعت يدي ولوحت بها كما يفعل اللاعبون المحترفون.

تبادل أعضاء فريق الاتحاد نقل الكرة وتمكنت من تحويل تمريرة. وحصل تخاطف وتدافع وتمكن لاعب خصم تحت حراسة زميل آخر، من أن يسجل هدفاً. حمدت الله ان ذلك لم يكن بسببي.

جرينا ناحية الهجوم. وكنت في مركز متقدم لا حراسة علي. وجاءتني الكرة وأنا على خط قريب من السلة. وخطر في ذهني ألف سبب لكي لا أسقط الكرة في السلة. ولكن لم يكن أي منها ذا أهمية. فرفعت الكرة ودفنتها في السلة.

عندئذ سمعت ايفان يصرخ: "نعم... نعم..."

بعد ذلك خرجت وحل زميل آخر محلي.

كنا نسبق فريق الاتحاد بسبع نقاط عند انتهاء الشوط الاول. لكننا فزنا في النهاية بفارق أربع نقاط. وكان الهدف الوحيد الذي أحرزته عن بعد خمسة أمتار.

قرأ علي ايفان الاحصاءات التي خزنها في ذاكرته: ثلاث محاولات وهدفاً واحداً. نقطتين كمساعد. لا كرات مرتدة.

"كنت عظيماً يا أبي."

واندفعت ابنتي نحوي وحضنتني وقالت انني أتصبب عرقاً.

بعد ذلك ذهبنا لتناول المرطبات.

سألتني زوجتي: "كيف حالك؟" وكانت تعني هل ركبتاي ورسغاي على ما يرام.

ولكن في تلك اللحظة لم اكن أشعر الا بالنشوة. وكنت مسروراً للثقة التي عاودتني بنفسي وشعرت بحب عظيم لعائلتي.

ماذا تعلمت من المباراة؟

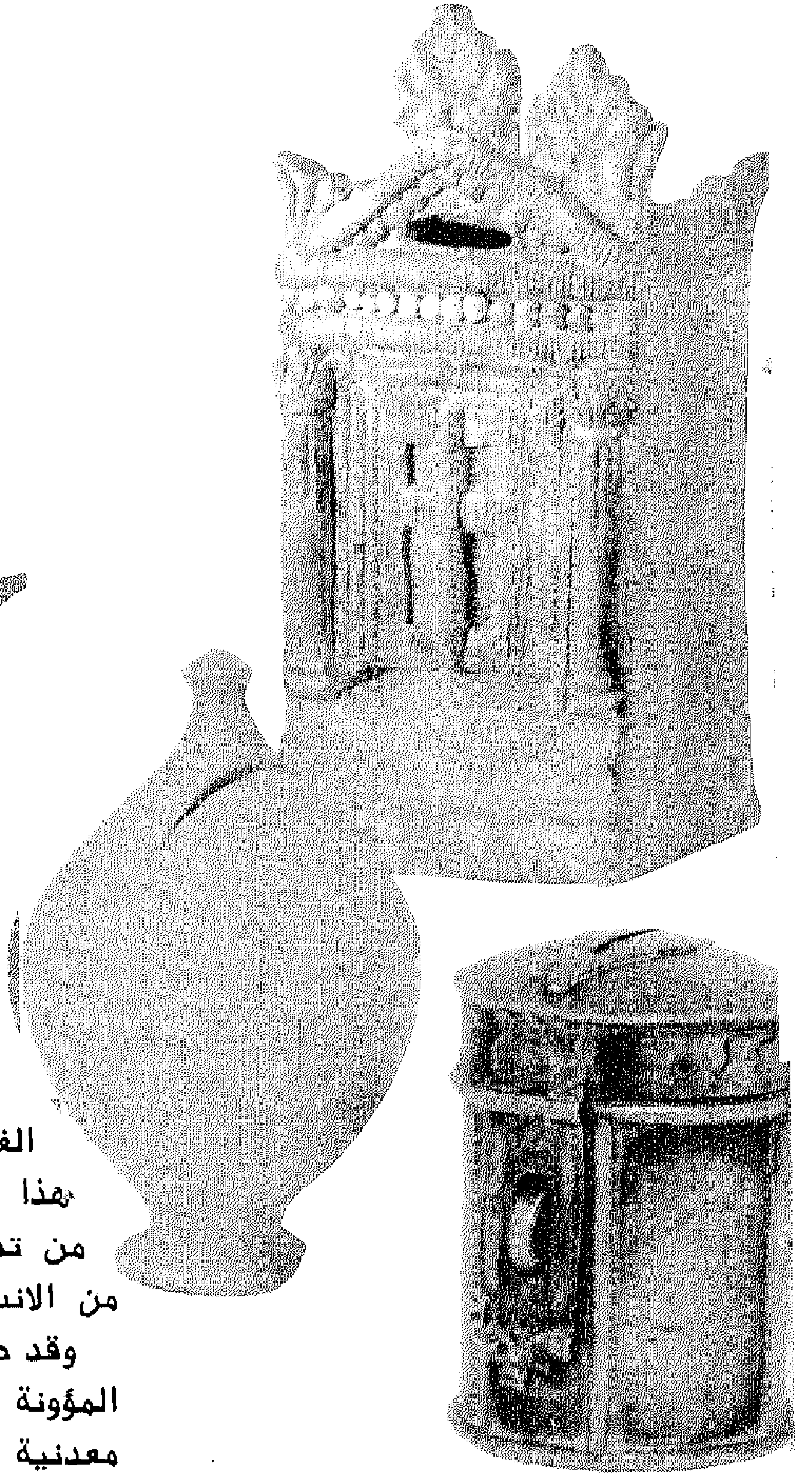
أن الاب ليس مضطراً الى أن يحوز أكبر عدد من الاهداف لكي يصبح بطلا. وأن ولديّ تأثرا وقدّرا كفاحي وغفرا لي امكاناتي البدنية المحدودة أكثر مما يمكن أن أسامحهما أنا عليها. وأنه كان يجب عليّ أن أحاول أكثر تسجيل هدف عندما أكون غير مراقب.

بارني كوين ■

من تحليل نفساني: "هي مغرورة وأنانية الى درجة أنها تحتل مكاناً خاصاً في قلبها."

أرنو شيبارد

حصّالة النقود



منذ قديم الزمان فكر الإنسان في خزن حاجاته، وخصوصاً الغذائية منها، لمواجهة المجاعة.

هذا التكديس للسلع، وما نجم عنه من تضحية بالإستهلاك الفوري، جعلا من الانسان كائناً مدّخراً.

وقد حلَّ المالُ في نهاية المطاف محلّ المؤونة المخزونة من طريق حفظ قطع معدنية في علب معدنية خاصة. وكانت هذه بداية حصّالات النقود التي يتخطى تاريخها ألفي سنة.

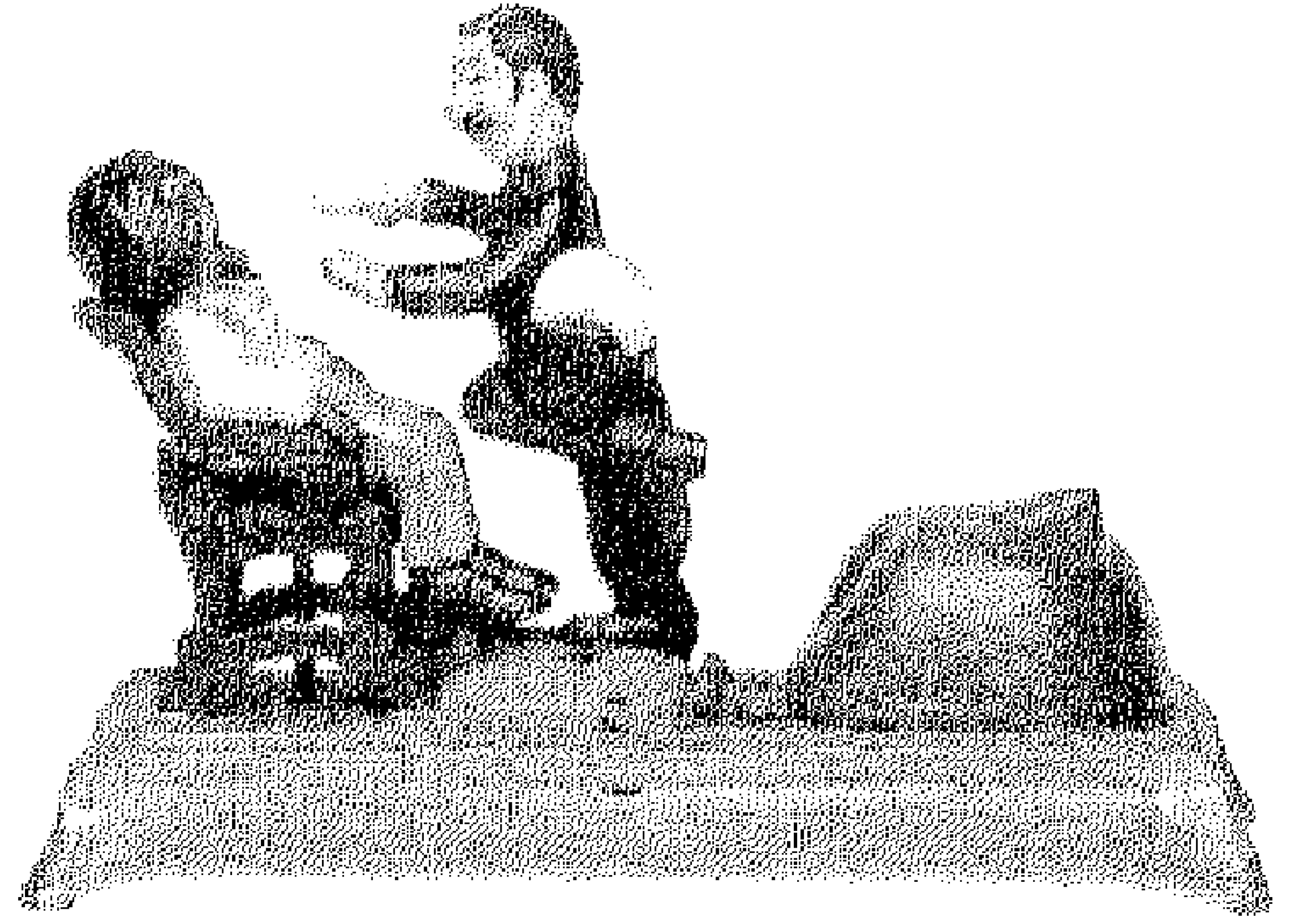
وجد أقدم نموذج من الحصّالات في آسيا الصغرى في بلدة بريين القديمة، وتعود الى القرن الاول او الثاني قبل الميلاد. كما وجدت حصّالات رائعة تعود الى العصر الروماني (القرون الثلاثة

فوق: حصّالة حجرية من العصر الهيليني. كانت هذه الحصّالات الخاصة تحفظ عادة داخل الهياكل.

في الوسط: حصّالة من الطين من العهد الروماني. (من القرن الاول الى القرن الثالث بعد الميلاد).

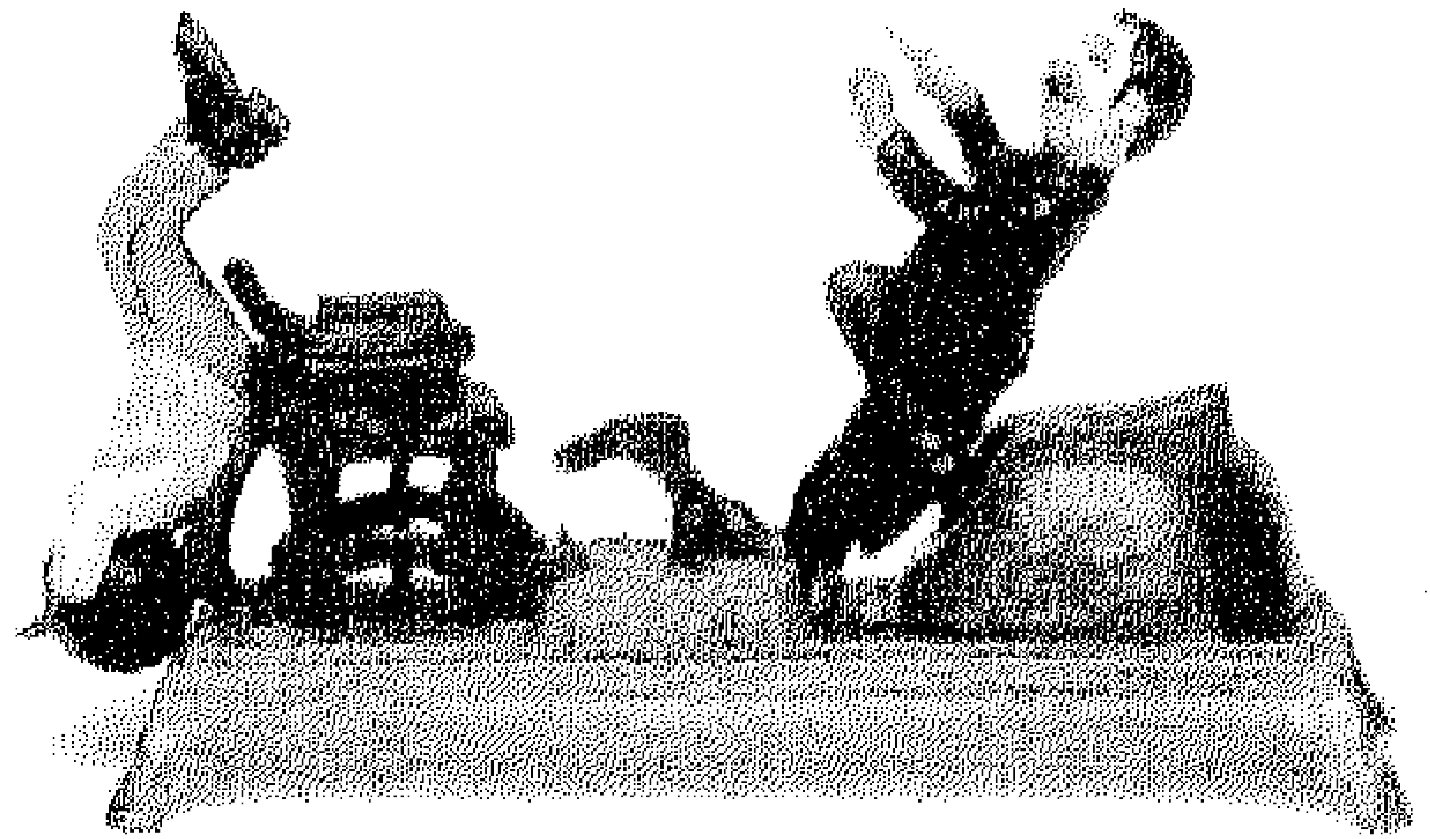
تحت: حصّالة برونزية ألمانية تحمل أسم مالكها (جاكوب شيفر) والتاريخ (١٥٨٧) منقوشين على الغطاء.







حصّالة من الكوبالت الأزرق، أسلوب بيدرماير.

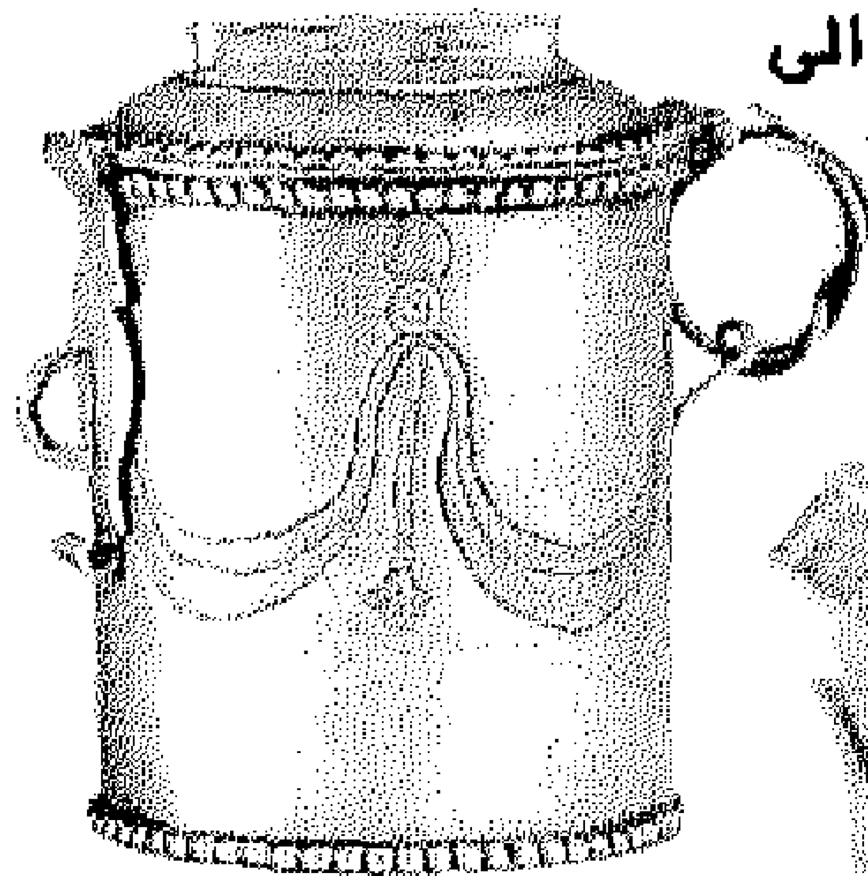


حصّالة أمريكيّة مجهزة بنظام ميكانيكي يوقع طبيب الأسنان عندما توضع قطعة نقود في جيبه، وينهض المريض في الوقت نفسه (أواخر القرن التاسع عشر).

الاولى بعد الميلاد) في جنوب ايطاليا وفي المنطقة الواقعة غرب نهر الراين في ألمانيا، ومعظمها مصنوعٍ من الطين المشوي ولها شكل كروي نسِبَ الى نهد الأم كرمز للخصب.

منذ العصور الوسطى الى أوائل القرن السابع عشرٍ، لم تتخذ الحصّالات أشكالا رمزية، بل شُكلت تبعاً لحاجة استعمالها. فكانت الحصّالات الكبيـرة والصغيرة والصناديق والخزائن الحديد والبراميل الخشبية. وكانت هذه الحصالات تُصنع، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، من الحديد المطاوع أو من صفائح الحديد. وكانتٍ في بعض الأحيان تُطلى بالالوان أو تبطّن بالجلد أو الخشب وكانت

حصّالة فضية تعود الى القرن الثامن عشر.





صندوق فضي في شكل طاحونة هوائية نقش على سطحها المكان (ستندال، ألمانيا) والسنة (١٨٩٦).

Photos Erhard Hehl

حصّالة النقود



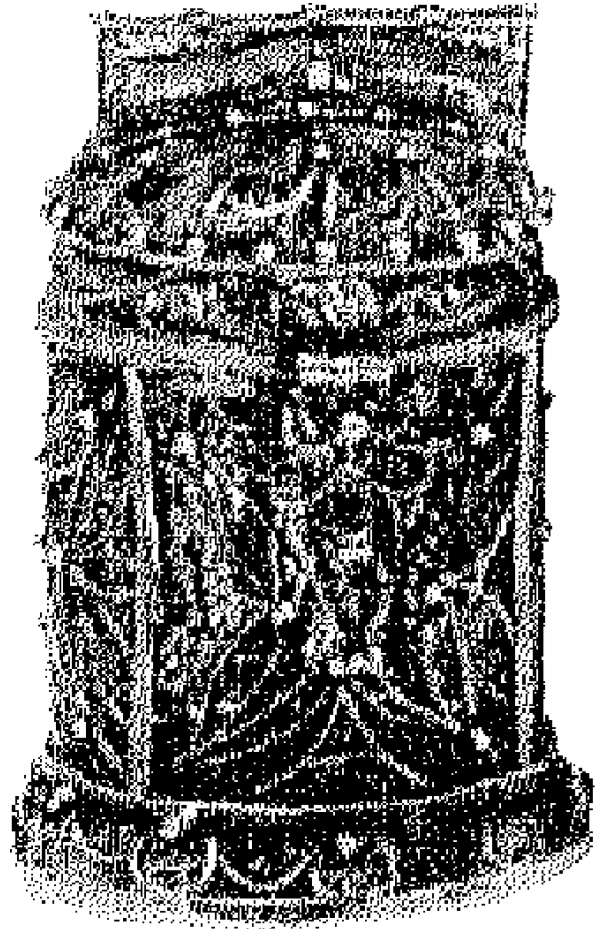
صندوق صدقة حديد من النمط الباروكي (وهو أسلوب يتسم بدقة الزخرفة وغرابتها).



حصّالة من الفخار صنعها خزافو فاينزا في ديلفت بهولنده في القرن السابع عشر. القسم الأعلى لقطع النقود والقسم الأدنى للقطع الكبيرة.



حصّالة ألمانية من الخزف المصقول.



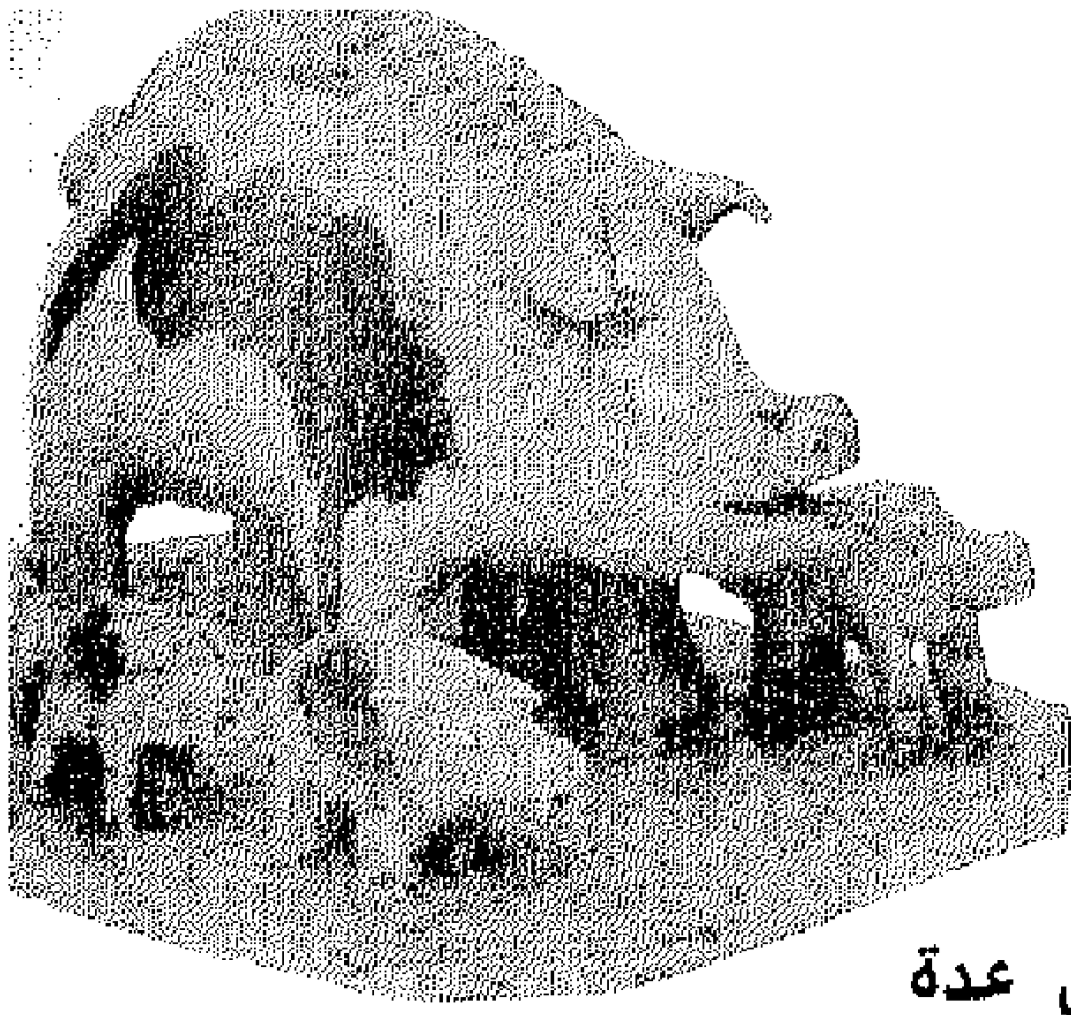
حصّالة روسية فضية مخرّمة تعود الى القرن التاسع عشر.

تُغلق بأقفال متينة ومزخرفة بعناية. وفي معظم الصناديق كنت تجد حول شق القفل، داخل الغطاء، سلاسل صغيرة او رُبُطاً جلدية صُممت لتمنع المال من السقوط. وهكذا لم تقتصر هذه الحصالات على حفظ المدخرات وانما كانت تحميها من السرقة أيضاً.

وكان للحصّالات دور يتسم بالطابع الجماعي. كانت هذه الصناديق تستعمل كمكان أمين لتخبئة الثروات الخاصة التي كانت شركات الحرفيين والتجار تضعها جانباً، وكخزائن حديد لمساعدة الفقراء والسقماء والأرامل والأيتام ضمن مجتمع معين، ولتوزيع الصدقات والهبات على دور العبادة.

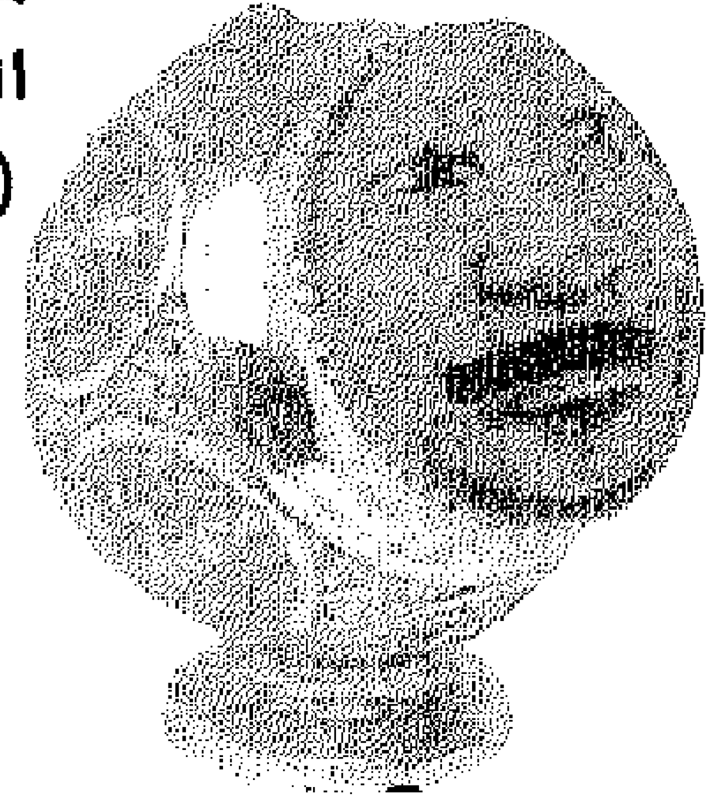
عندما اصبحت هولنده القوة التجارية الاولى في العصر الحديث، في القرن السابع عشر، حظيت الحصّالات بنصيبها من الثروة الجديدة الناتجة من الرخاء في ذلك العهد. وهناك نماذج من الحصّالات الثمينة المصنوعة من الفضة تعود الى تلك الفترة وهي سرعان ما انتشرت في أوروبا.

وازداد عدد الحصّالات سريعاً في القرن التاسع عشر. فقد عزز العصر الصناعي نمو المدخرات والودائع بفعل الفقر الذي اصاب الطبقات الدنيا. فشهدت الحصّالات عودة لأشكال ترمز الى البحبوحة والسعادة والرخاء كالدجاج والسناجيب والنحل والأرانب. وكان

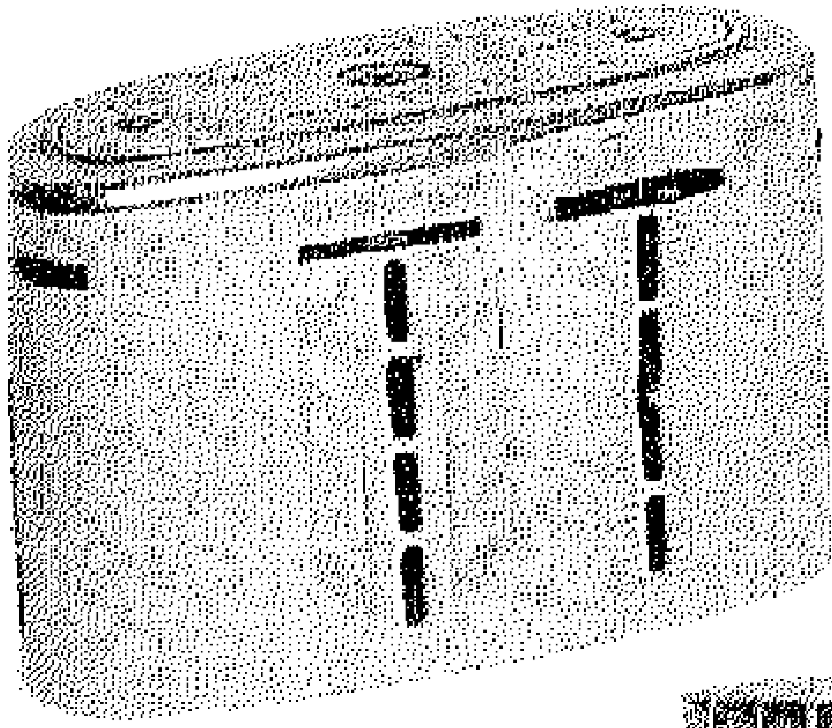


حصّالة النقود

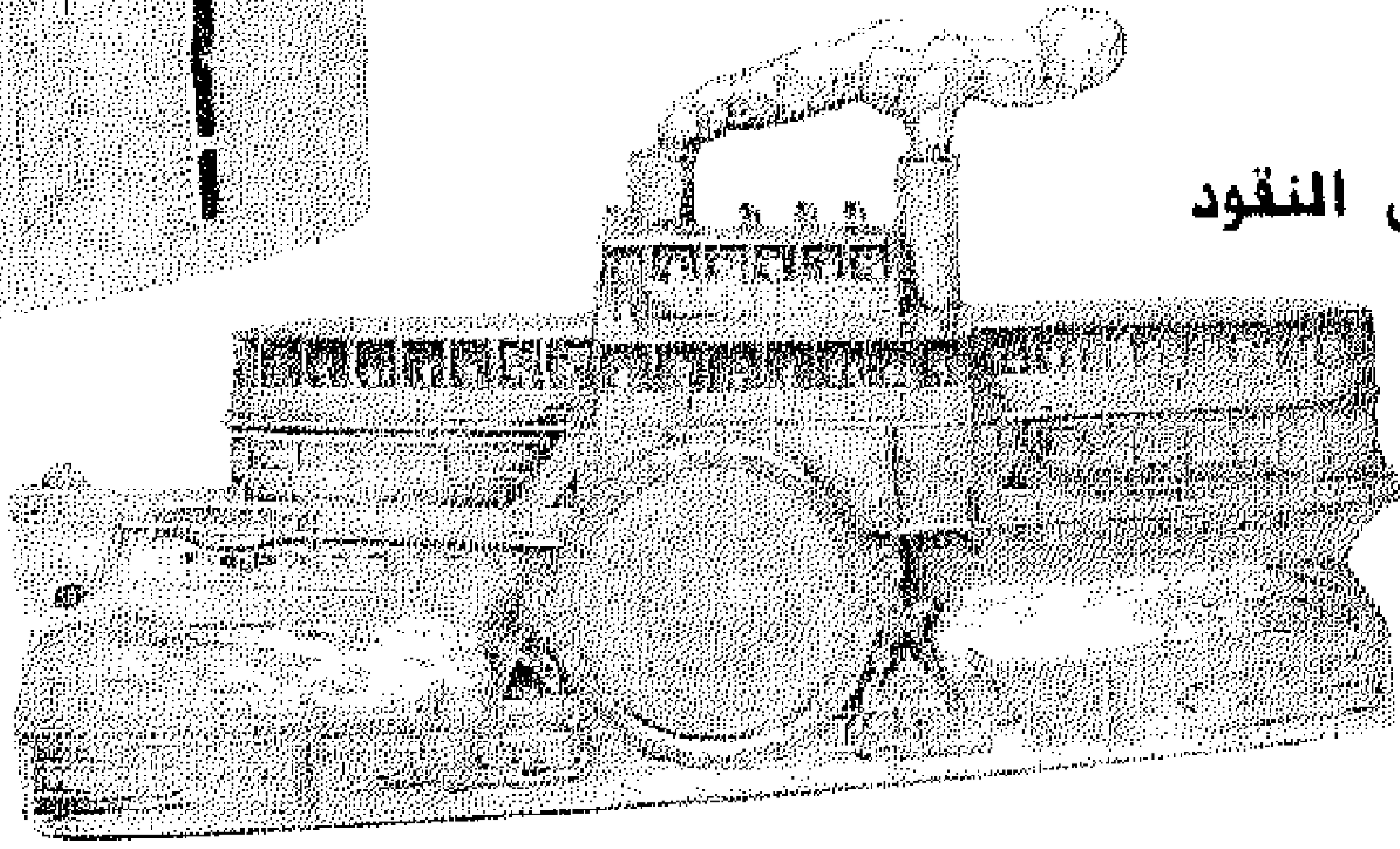
حصّالة فضية على شكل طبل، مع قناع خشبي توضع قطع النقود عبر فمه الفاغر (سيام، القرن التاسع عشر).



Photos Erhard Hehl



صندوق حديد له شقوق عدة للقطع النقدية من مختلف الفئات (الولايات المتحدة، القرن العشرون).

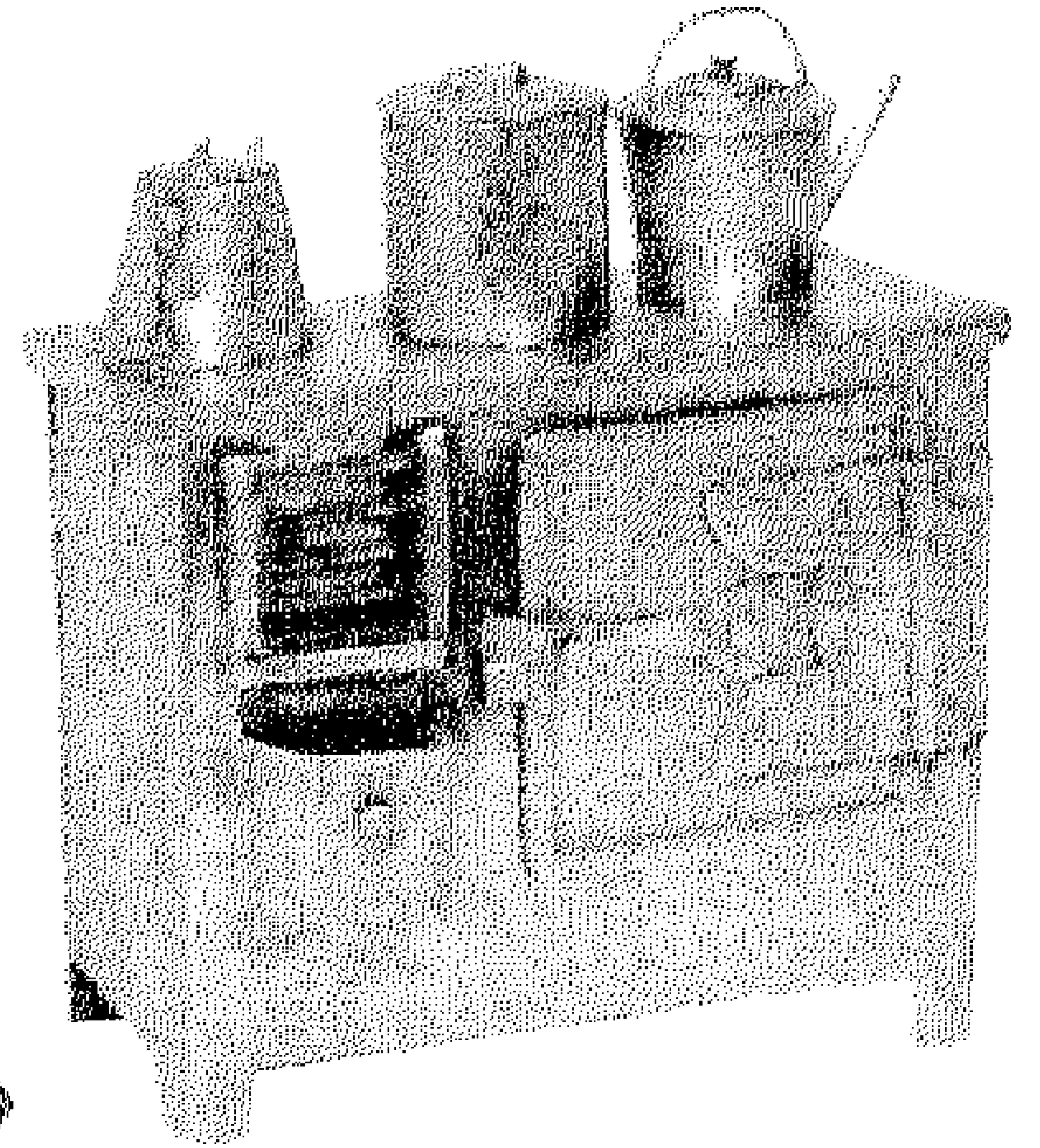


قارب بخاري معدني. ونجد شق النقود بين المدخنتين.

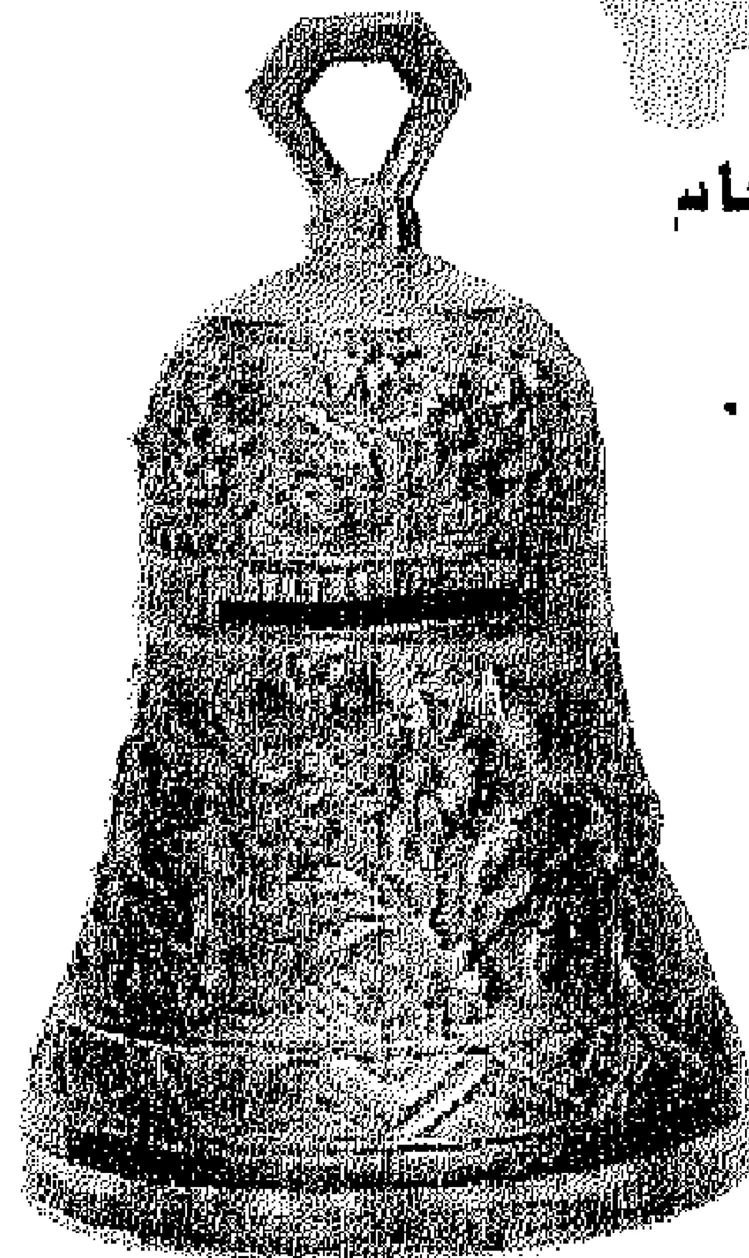
لنقوش الحيوانات وقعٌ مهمٌ في فرنسا على نحو خاص حيث كانت الحصّالات تُصنع على نطاق واسع. إلا أننا نجد الى جانب هذا الانتاج الكمي الضخم قطعاً نفيسة أنتجتها مخيلة واسعة، كتلك التي صنعها صاغة فيينا وروسيا القيصرية. وصُنعت حصّالات في الولايات المتحدة أيضاً، الا أنها اختلفت عن مثيلاتها الأوروبية بزخارفها الجديدة المبتكرة، وهي غالباً مزودة أجهزة ميكانيكية معقدة.

أما اليوم وقد ولّى عهد "المدّخر الصغير" فتبقى الحصّالات قطعاً يجمعها الهواة. قد تكون عتيقة أو من سقط المتاع، لكن سحرها باقٍ.

لوردانا فاكاري ■



حصّالة سويسرية من النحاس الأصفر والأحمر تعود الى أواخر القرن التاسع عشر.



Guiseppe Donadoni

حصّالة حديد في شكل جرس مع قاعدة يمكن نزعها (القرن العشرون)

كتاب الشهر

المغامرة



ملخص من كتاب

بقلم بيريل ماركهام

لم تكن طفولة بيريل ماركهام عادية ولا المجرى الذي اتخذته حياتها والمهنة التي اختارتها مألوفين، فهي نشأت في كنف والد هجرته زوجته هرباً من الحرمان وشظف العيش في شرق افريقيا البريطانية مطلع هذا القرن. واتخذت بيريل من افريقيا وطناً لها: افريقيا الأسود والفيلة والخنازير البرية، افريقيا الجمال الأصيل الصارخ الصرف. اما منزلها فكان في الاسطبلات وحلبات السباق مع مدربي الخيول المحترفين، وفي السماوات مستكشفة القفار والدروب ومواطن الفيلة في زمن اعتبر مجرّد التحليق في طائرة مغامرة فذة محفوفة بالمخاطر.



كانت بيريل شجاعة، مقدامة، حسّاسة، ذات مشاعر مرهفة تهتز لكل ما يصادفها، وقبلت في وقت لاحق أن تتحدى الاطلسي غير هيّابة، فعبرت فوق مياهه الجليدية بطائرة قادتها وحيدة من بريطانيا الى أمريكا الشمالية. وفي الثمانينات كانت مذكراتها التي أعيد نشرها بعد أكثر من أربعين سنة من صدورها، بين الكتب الاكثر رواجاً في تلك الحقبة، واقتبس منها مسلسل تلفزيوني وثائقي.



جميع شخصيات الابطال في أحلامي. أصواتهم هادئة متزنة مثل صوت ذلك الرجل الذي كلمني على الهاتف صباح ذلك اليوم من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٣٦ ليبلغني أن الطقس المتوقع فوق غرب بريطانيا ينذر بأمطار غزيرة ورياح معاكسة، وفوق وسط الاطلسي برياح متقلبة وسماء صافية، أما ساحل نيو فاوندلند فيلفّه الضباب.

"اذا كنت ما زلت مصممة على الطيران فوق الاطلسي في هذا الوقت المتقدم من السنة، فإن وزارة الجو ترى أن الطقس هذه الليلة وصباح غد هو أفضل ما يمكنك أن تتوقعيه." قال الصوت ذلك ثم تلاشى.

تمددت على فراشي يخامرني شك في أن المخابرة لم تكن سوى حلم سيعاودني إن أنا أغمضت عيني ويتبدّد ما ان أفتحهما. ولكي أتحقق من صحة الرسالة ما علي الا أن أغمض عيني وأفتحهما ثانية فيطالعني يوم عادي آخر.

لكنني بالطبع لم أقوَ على اغلاق عيني أو عقلي.

كان في وسعي أن اسأل نفسي السؤال ذاته الذي ما انفك الناس يطرحونه علي منذ ذلك اليوم: "لماذا المخاطرة؟" وكان في وسعي أن أجيب: "لكل انسان قدره." وقدر البحّار أن يبحر والطيار أن يطير. وكما أحصيت ٤٠٠ الف كيلومتر من الطيران في حياتي، تكهنت لنفسي بمزيد من الطيران. ولم يخامرني شك في أنه ما دامت في الوجود سماء وفي تصرفي طائرة، فلن أنقطع عن التحليق.

كان آل كاربيري يقطنون لندن. وما زالت صورة جون كاربيري وضيوفها والرجل الذي اسمه مكارثي وهو منحن فوق المائدة، مرسومة في مخيلتي. وما زال صوت مكارثي يرن في أذني حين قال لجون كاربيري: "جي سي، لماذا لا تموّل رحلة قياسية بالطائرة تقوم بها بيريل؟" كذلك صوت جي سي الجاف حين أجابه: "هناك عدد كبير من الطيارين الذين قطعوا الاطلسي بالطائرة من الغرب الى الشرق. وحده جيم موليسون فعل العكس بمفرده ومن دون توقف، الامر الذي لم يأت مثله أحد من بريطانيا الى الآن. ان اهتمامي محصور في هذا الامر وليس في أي شيء سواه. إن كنتِ ترغبين في المحاولة يا بيريل، فسوف ادعمك. أتريدين أن تخاطري؟"

قلت: "نعم."

وما زلت أذكر جوابي ذاك اكثر من أي شيء آخر، اللهم الا ابتسامة جي سي الخبيثة. وإجابته التي أبرم بها الاتفاق. وهو قال "إتفقنا. أنا أقدم الطائرة وأنت تقطعين الاطلسي. أنا شخصياً لا أقدم على مثل عملك وإن أغريت بمليون جنيه استرليني. فكّري في كل تلك المياه السوداء تحتك! فكّري كم هي باردة، تلك المياه!"

والحقيقة أن الامرين لم يغيبا عن بالي.

على أن أموراً أخرى استرعت تفكيري إذ كنت انتقلت في ذلك الوقت الى إلستري التي تبعد مسافة نصف ساعة بالطائرة عن مقر شركة "بيرسيفال" لصنع الطائرات وصيانتها في غريفز إند. ودرجت طوال ثلاثة أشهر على الانتقال بالطائرة يومياً الى المصنع لاراقب سير العمل في بناء طائرة الـ"فيغا غل" التي كانت تصنع خصوصاً لي.

كان بدن الطائرة أزرق فيروزياً وجناحاها فضّيين، وكانت ذات طراز رياضي وفق المعايير السائدة، لا تتعدى المسافة التي تستطيع اجتيازها من دون تجديد الوقود ألف كيلومتر. لكن محملها صمم بحيث يتحمّل الثقل الإضافي لخزانات الزيت والوقود التي ثُبتت في الجزء الأوسط من الطائرة وفي الجناحين وفي مقصورة القيادة لتشكّل جداراً حول مقعدي.

والى مراقبة بناء الطائرة كنت في تلك الاثناء أتمرّن استعداداً للرحلة كأي رياضي محترف. وفي اليوم المنتظر نهضت من سريري واستحممت وارتديت ثياب الطيران الخاصة وحملت علبة من كرتون وضبت فيها لحم دجاج بارداً، ثم توجهت بالطائرة الى المدرج العسكري في ابنغدون حيث وقفت الـ"فيغا غل" في انتظاري.

أسد إلكنفتون

إحتشدت الساحة خارج المدرج العسكري في ابنغدون بسيارات الصحافة وطائراتها وبالمصورين. فأهل الصحافة الكرماء وجدوا في الرحلة مادة صحافية مثيرة وفخمة.

وكان سبق لي أن سافرت بالطائرة الى أماكن نائية وبعيدة عن الحضارة، ولكن ليس بينها مكان واحد يمكن أن أصفه بالمثير أو الفخم. فالرحلة من نيروبي الى نانجوي ليست سوى قفزة صغيرة، وهي غير مثيرة، بل مملة، بالنسبة الى انسان يجهل افريقيا وأصواتها والصمت الذي يلفها أحياناً. لكن افريقيا بالنسبة الي كانت نفحة الحياة التي تفتحت فيها طفولتي.

كنت سعيدة ببساطتي وبتلك المسحة القروية الساذجة التي طبعتني منذ وصولي الى افريقيا وأنا في الرابعة، تلك السنّ الحيادية غير المكترثة. وقبل تلك السنة من عمري التي عشتها في لندن لم يكن في مقدوري أن أناقش موضوع سأم الوجود بذكاء وفهم.

ما زالت افريقيا الى اليوم تثير في نفسي مشاعر الخوف والرعب، وما زلت أرى فيها موطن الاسرار والالغاز. إنها في ذاكرتي الشمس المضيئة والتلال الخضراء والمياه المنعشة والصباح الذهبي الدافىء. قاسية كالبحر، عنيدة متشبثة أكثر من صحاريها، مفرطة في قساوتها وفي عطائها، لا تعرف الاعتدال. إنها لا تمنح شيئاً من دون مقابل، لكن الفرص فيها سانحة لكل البشر من كل الاعراق. إفريقيا، بالنسبة الى عدد كبير من الناس بمن فيهم أنا، هي "الوطن" بكل ما في الكلمة من معنى. إنها كل هذا، ومع ذلك فهي ليست باهتة ولا يعوزها البريق أبداً.

وكان هناك، في محاذاة محطة كابيت، مكان اسمه مزرعة إلكنفتون يقع بالقرب من نيروبي عاصمة كينيا على حافة أرض كيكويو التي يحظر فيها الصيد. وكنت وأبي نذهب اليه أحياناً على جوادين وأحياناً في عربة يجرّها حصان واحد. واعتاد أبي أن يحدّثني في الطريق عن افريقيا.

وذات يوم حدثني أبي عن الاسود، قال: "الاسد اكثر ذكاء من بعض الناس، وأكثر شجاعة من معظمهم. إنه يحارب من أجل الاحتفاظ بما يملك ومن أجل الحصول على ما يحتاج إليه. هو يحتقر الجبناء ويحترس من الانداد، لكنه لا يعرف الخوف. يمكنك دائماً أن تتأكدي من أن الاسد هو دائماً أسد وليس أي شيء آخر البتّة."

ثم أضاف: "... في ما عدا ذلك الأسد الملعون، أسد إلكنفتون."

كان أسد الكنفتون شهيراً ذاع صيته في الجوار ضمن مساحة قطرها ٣٠ كيلومتراً. والسبب أن كل امرئ يصادف وجوده ضمن ذلك الإطار، كان يسعه أن يسمع زئيره. وهو كان يزأر إذا جاع أو إذا حزن أو إذا عنّ له الزئير.

وحدث في ذلك الوقت أن بضعة مستوطنين في شرق افريقيا اصطادوا أشبالا وربّوها داخل أقفاص. لكن بادي، أسد الكنفتون، لم يكن عرف قفصاً في حياته. فهو استكمل نموه وأصبح اسداً قوياً نامي العضلات ذا لون اسمر ذهبي من دون أن يعترضه هم أو يكدّره غمّ. وهو أمضى معظم ساعات يقظته - التي تطابقت مع ساعات نوم الناس - يجوب حقول الكنفتون ومراعيها كأنه امبراطور دمث الاخلاق أنيس المعشر. وعلى رغم غياب حواجز تحدّ حريته وتقيّد تجواله فانه لم يتخط حدود الكنفتون قط، ونشأ أسداً اليفاً. والسبب في ذلك يعود الى أن أسود الغابات لا تقبل بينها وحوشاً يحمل فراؤها رائحة البشر.

قلت لوالدي: "إنني دائماً حذرة من ذلك الاسد، وإن يكن غير مؤذ. ولقد شاهدت السيدة الكنفتون تمسّد جلده وتربّته."

فردّ: "هذا لا يثبت شيئاً. فالاسد المدجّن أو المروّض أسد غير طبيعي. وكل ما هو غير طبيعي لا يؤمن جانبه."

همزت حصاني فانطلق، يخبّ المسافة المتبقية الى مزرعة الكنفتون. لم تكن المزرعة كبيرة لكنها حَوَت منزلا جميلا له شرفة كبيرة جلس فيها والدي وجيم الكنفتون والسيدة الكنفتون واثنان من المستوطنين وغرقوا في حديث بدا لي كئيباً.

قُدم الينا الشاي. وكانت هناك مائدة صُفّت عليها أصناف الكعك والفطائر. ولكن لم يكن ذلك ليغريني أو ليحوّل رغبتي عن متعتي الحقيقية. فسلّمت على الحاضرين باقتضاب وعجلة وانطلقت اعدو الى الخارج. وفيما أنا قرب سقيفة التبن لمحت بيشون سينغ وهو رجل من السيخ يعمل في مزرعة والدي وكان سبقنا الى ذلك المكان ليحضر لنا الجياد. وهو ايضاً رآني ورفع ذراعه يحييني بالطريقة السواحلية فيما تابعت عدوي في اتجاه فسحة من الارض مكشوفة خالية من الاشجار.

لماذا عدوت؟ ولأي غرض؟ سؤالان لا املك إجابة عنهما. إلا انني اعتدت أن اركض بأقصى سرعتي عندما لم يكن لدي مكان معيّن أقصده، علّ ذلك يهديني الى المكان المنشود. وكنت دائماً أجده.

رأيت أسد الكنفتون وانا على بعد ٣٠ متراً منه. كان متمدداً في الشمس باسطاً قوائمه، وعندما رآني رفع رأسه باطمئنان ورشاقة وحدّق الي بعينين ذهبيتين رأيت فيهما نوعاً من التصميم المقصود.

جمدت في مكاني وغرزت اصابع قدمي الحافيتين في التراب وأنا أحدّق الى الأسد - فتاة صغيرة تعرف الكثير عن الاسود. تذكرت ما كان يجب أن اتذكره: القوانين

وأصول التعامل مع الاسود. لم أركض، بل تقدمت ببطء شديد وأنا أردد اغنية تحدّ، وتابعت سيري في خط مستقيم متجاوزة بادي الذي ومضت عيناه من خلال العشب وراح ذنبه يعلو ويهبط على ايقاع أغنيتي البسيطة وكأنه يقيس الوقت.

أسرعت الخطى وأنا أغني، وتوجهت الى تلّة آملة أن يحالفني الحظ فأجد في منحدراتها بعض شجيرات الكشمش. كانت الأرض خضراء رمادية وشعرت بسخونتها تحت قدمي. كانت الريح ساكنة تماماً وأطبق على المكان صمت ثقيل. حتى بادي الذي انطلق بخفة في اثري لم يصدر عنه أي صوت.

كل ما أذكره من الدقائق التي تلت لا يتعدى أموراً ثلاثة: صرخة لم تتعدَّ الهمسة، ولطمة طرحتني أرضاً فدفنت وجهي بين ذراعي فيما أنياب بادي تنهش لحم ساقي، وعمامة تهتز على نحو غريب كانت عمامة بيشون سينغ الذي اقترب من حافة التلة.

لم يُغم عليّ، لكنني أغمضت عيني وحاولت أن أغيب عن الوعي، ليس من الألم بل لأن زئير بادي كان يضجّ في رأسي. طرح السيخي الصوت ولبّى نداءه بضعة من رجال الكنغفتون الذين هرعوا إلينا يتقدمهم جيم إلكنغفتون حاملا كيبوكو وهو سوط مصنوع من جلد البرنيق (جاموس البحر).

تبيّن من رواية بيشون سينغ لاحقاً أنه لولا بونا الكنغفتون لأجهز عليّ الأسد، وله الفضل في أنني ما زلت حية. قال بيشون: "تركك الاسد ليهجم على بونا الذي اندفع الى شجرة مباركة وتسلّقها."

سألته: "وأنت من حملني يا بيشون سينغ؟"

فأخفض رأسه ذا العمامة الضخمة وأجاب: "اسعدني القيام بواجبي وحملك الى السرير يا بيريل ثم إعلام والدك الذي كان يتفقد خيول بونا الكنغفتون بأن اسداً كبيراً كاد يلتهمك."

تلك الليلة فتك بادي بحصان وفي الليلة التالية أجهز على عجل وفي الثالثة افترس بقرة. وفي النهاية أسر ووضع في قفص حيث تسنى للناس أن يحدقوا اليه فيحدّق اليهم بدوره. واستمرت الحال هكذا الى أن هرم وشاخ وأكره السكان على قتله رمياً بالرصاص.

وما زلت أحمل الندبات التي خلفتها أنيابه وبراثنه في جسدي، لكنها ندبات صغيرة أصبحت في عالم النسيان. والحقيقة أنني لا أحمل له أي ضغينة، فهو عاش ومات على نحو لم يختره، وعمل أقصى وسعه ليصبح أسداً أليفاً، وليس من العدل أبداً أن ندينه على أساس غلطة وحيدة.

كلب غير عاطفي

لم تكن نجورو مزرعة بالمعنى الصحيح إلى ان حوّلها والدي بكثير من الكدّ والجلد مزرعة حقيقية مترامية الاطراف. وهو بناها بالعرق وبالصبر، حمل اليها تراباً جديداً ونقل اليها الصخور وضمّنها الأحراج تعاونه شمس مشرقة وأمطار غزيرة دافئة.

لم يكن والدي مزارعاً، لكنه ابتاع الأرض نظراً الى رخص ثمنها وخصبها والى أن شرق افريقيا كان ارضاً بكراً تَعِدُ بمستقبل باهر يحسّه المرء تحت قدميه.

في البدء بدت المزرعة كالآتي: أرض شاسعة واسعة وسهول ممتدة بعضها مكشوف ومعظمها يحوي اشجاراً كثيفة حجبت السماء وقد التفت حول جذوعها نباتات متسلقة بلغ ارتفاعها خمسة أمتار تشبّثت بها كالأفاعي. أما رؤوس الاشجار فلا مجال لرؤيتها إلا بعد أن تهوي تحت ضربات الفؤوس، فتجرّها الثيران في اشراف فرق من العمال الهولنديين المستوطنين الذين لم تكن سياطهم لتكف عن القرقعة طوال النهار.

اشترى والدي مولّدين بخاريين وثبّتهما في الأرض من أجل انتاج طاقة كافية لتسيير طاحونة قمح. ولم تكن الطاحونة لتكفّ عن الدوران ولا عمال كافيرونو المحليون عن العمل. فكانوا يعملون من الفجر الى المساء، يفرغون الاكياس الثقيلة ثم يعودون فيحمّلونها بعد أن يكون القمح تحوّل طحيناً ناعماً أصفر. وكانوا في عملهم أشبه براقصي الباليه على أنغام نفث البخار ودوران حجار الرحى.

نمت اسطبلاتنا وكبرت من بضعة مرابط الى صفوف طويلة من الزرائب المفتوحة. وتدرّج عدد خيولنا الاصيلة المدربة من اثنين الى عشرة فالى مئة، وهكذا استعاد والدي غرامه القديم ووقعت أنا على حبي الاول الذي رافقني بقية حياتي.

اعتاد رئيس السوّاس أن يقرع الجرس كل صباح فتفيق المزرعة على صوته الصدىء وتدبّ فيها الحياة. فيشد الهولنديون ثيرانهم الى العربات ويسرج السواس جيادهم وتروح المولدات تنفث بخارها ويهب الحلابون والرعاة ومربو الدجاج والطيور والبساتنة وخدم المنزل وهم يفركون عيونهم ويتنشقون هواء الفجر، ثم ينطلقون كل الى عمله.



في الايام العادية كنت أنا وكلبي بولر جزءاً من كل ذلك، أما في مواسم الصيد فكنا نتسلل من المزرعة قبل قرع الجرس. ومثلما كانت لدي دروس يتوجب عليّ انهاؤها، كذلك كانت لدي دروس أهرب منها.

وما زالت ذكرى أحد تلك الايام حيّة في مخيلتي.

بزغ النهار على حركة من بولر الذي كان نائماً كعادته عند قائمة سريري في كوخنا المبني بالتراب والطين. كان بولر هجيناً. وكان خطمه ناتئاً وعضلاته قوية مفتولة كالحبال وهو أشبه ما يكون بكلاب السباق المنحوتة في الافاريز الحجرية في بلاد فارس القديمة.

كان بولر يصارع أي شيء تتوجّب مصارعته. وقد حمل جلده الاسود والابيض خريطة عجيبة من الخطوط والندوب الطويلة والقصيرة والمنحرفة شهدت له بتاريخ حافل من الصراعات والحروب. وعلى رغم أن ولاءه لي كان خالصاً لا يتزعزع، فإنني لم أتخيله قط بطلا لقصة عاطفية رقيقة من النوع الذي يمس شغاف القلب. فهو كان مفرطاً في خشونته وفي قوته وحتى في عدوانيته.

ذلك الصباح تسلّلنا انا وبولر الى الساحة. وفيما أنا أجول بنظري حول كوخ والدي القريب من كوخي، تبينت سائسين يهمّان بفتح أبواب الاسطبلات مما يعني أن والدي جاهز للخروج وأنه سيظهر في أي لحظة بغية إرسال الدفعة الاولى من أحصنة السباق التي يملكها الى عملها الصباحي. ولو رآني برفقة كلبي والرمح في يدي حول خصري لصعب عليه أن يتصور أن ذهني منشغل بمبادىء الصرف والنحو، ولاستنتج في الحال - وعن حق - اننا في طريقنا الى أقرب قرية في ناندي كي نذهب مع أهل موراني الى الصيد.

قطعنا البيوت عدواً وانعطفنا في الطريق المتعرّجة التي حجبها العشب النامي ولم يكن يعرفها أحد سوانا وسوى أهل المنطقة الذين شقّوها بأقدامهم.

مع اقترابنا من مستوطنة ناندي، كان آراب مينا يحمل قربة مليئة بالحليب المتخثّر ونظره مرفوع الى الشمس. وسمعناه يبتهل: "المجد لله الذي أعطانا الحليب الذي يقوي عضلاتنا ويدفىء صدور أحبائنا."

كان وجهه فتياً قاسياً وفي ملامحه مسحة ظرف ودعابة. وأوحت تقاسيمه حباً كبيراً للحياة وللصيد وللقوة التي حباه بها الله ولجمال رمحه وفائدته.

تجرع آراب ما في القربة ثم أطلق جشأة صعدت من أحشائه ودوت في صمت الصباح، ذلك الصمت الذي لم يقطعه أحد منا نحن الذين وقفنا حوله. فعمله ذاك كان بين أهالي ناندي جزءاً من الشعائر المرعية وطقساً يسبق الانطلاق الى الصيد.

"إننا جاهزون،" قال آراب كوسكي وهو يسحب سيفه من غمده ويتفحص حدّه. وتابع: "بحق رحم والدتي سوف نقتل الخنزير البري اليوم."

ثم تقدم حاملا ترسه العريض ورمحه المستقيم حتى اصبح وراء آراب مينا مباشرة، وسرت أنا وراء آراب كوسكي وفي يدي رمحي الجديد النظيف الذي كان

أخفّ وزناً من رمحيهما. سرنا معظم الوقت في صفّ منفرد بمحاذاة غابة مو ثم انحدرنا شمالا في اتجاه وادي رونجي الذي كان على بعد ٣٠٠ متر تحتنا. ركض بولر في اثري وانتشرت خلفه كلاب المحلّة.

أعرف حيوانات تفوق خنزير افريقيا البري شهامة وكياسة، لكنني لا أعرف حيواناً أشجع منه ولا أكثر جرأة. إنه فلّاح السهول وحفّار التراب الزري. صحيح أن الوسامة تنقصه، لكنه الحامي الشجاع الذي يتصدى للدفاع عن موطنه وبيته وعاداته ببسالة وإقدام. هو مستعد دائماً لمحاربة أي متطفل مهما بلغ حجمه. وأسلحته عادية مبتذلة: أنياب معقوفة حادة ومميتة هي أبعد ما يكون عن الجمال.

لا يتعدى ارتفاعه عند إكتمال نموه ارتفاع خنزير داجن. جلده خشن ترابي اللون يغطيه هلب غليظ صلب. عيناه صغيرتان خاليتان من أي تعبير الا واحداً: الشك. إنه يرتاب بكل شيء لا يفهمه. وما لا يفهمه يحاربه. وسرعته في الخروج من وجاره ظاهرة غريبة غير عادية.

لا يعوزه المكر وهو يدخل وجاره الصغير المحجوب عن الانظار خلفياً، ذيله اولا، كي لا يؤخذ على حين غرّة. ومع أنه يفهم معنى التراجع الفني إلا انه عاجز عن الاستسلام. لا يرضخ ولا يستسلم. وإذا كان خصمه كلباً تنقصه الخبرة والحنكة، او رجلا حديث العهد بالصيد مبتدئاً وإن شجاعاً، فإن الدم المراق لن يقتصر على دم الخنزير.

صيد دامٍ

الاشارة الاولى الى وجود خنازير برية في الجوار كانت صرخة حادة اطلقها خنزير صغير باغتته خنازير هجينة وهو في بقعة معشبة، أعقبتها صرخات خلتها صادرة عن جميع صغار الخنازير في افريقيا. ثم راحت الخنازير تتراكض مذعورة في كل الاتجاهات وأذنابها منتصبة كفئران يطاردها قط. والقصد من الصرخات كان أن يلتقطها الأب الذي لا بد من أن يهرع لنجدة صغاره والشر نصب عينيه.

لم يخب ظن الصغار إذ سرعان ما هبّ الاب الى النجدة. ووسط كل ذلك الهرج والمرج انشق العشب أمام آراب مينا كأنما بمنجل، وانقضّ على الموراني خنزير بري أبيض ضخم أعماه الغضب. لمع الرمح في يد اراب مينا-الذي انحرف جانباً. لكن العفر اختفى وانطلق آراب في إثره.

ولو لم يركض بولر خلف طريدة أخرى لكانت الامور اتخذت منحى آخر. فأنا وآراب كوسكي تركنا آراب مينا يعالج الطريدة الأولى وانثنينا نجري خلف بولر الذي كان ينبح بقوة واهتياج. وبعدما قطعنا حوالى خمسة كيلومترات وجدناه بالقرب من وجار كبير وقد نجح في محاصرة الخنزير الذي طارده.

اقتربت من مؤخر الوجار بحذر شديد فيما وقف آراب كوسكي جانباً. قلت له: "ليت معنا ورقاً نحدث به خشخشة داخل الثقب.."

هزّ الموراني كتفيه وأجاب: "علينا ان نلجأ الى حيل أخرى يا طفلتي."

قد يبدو ذلك سخيفاً، لكننا نجحنا مرات كثيرة في إغراء الخنازير بالخروج بخشخشة الورق في مداخل جحورها بعد اخفاق جميع الاساليب الأخرى.

ولكن لم يكن في حوزتنا هذه المرة أي ورق. ولما لم تجدِ جميع الطرق التي حاولناها قررنا أن نتخلى عن المحاولة وننضم الى آراب مينا.

كنا على وشك الابتعاد عندما تغلّب فضول آراب كوسكي على احترازه. انحنى أمام الوجار فخرج الخنزير.

ما حدث كان أقرب الى الانفجار منه الى الهجوم. حجبت سحب الغبار المتطاير الرؤية ولم أرَ من خلالها سوى أطراف تتحرك: ذنب الخنزير وقدمي آراب كوسكي وأذني بولر وطرف الرمح.

كان رمحي غير ذي فائدة وخشيت إن أنا طعنت به الخنزير أن أصيب الكلب أو الموراني. كان ذلك اشتباكاً فظيعاً مروعاً دام خمس ثوان اندفع الخنزير بعدها من وسط الكتلة البهلوانية كقطعة من طين حملتها ريح مدوّمة عاتية، واختفى في دهليز من كثيبات النمل وبولر في إثره.

جلس آراب كوسكي على الأرض في بركة من دمه، وكان ينزف من جرح عميق في فخذه بدا كأنه من ضربة سيف. وما لبث أن انتصب واقفاً وهو يضغط جرحه بطرف قفطانه الفضفاض. وكان نباح بولر اصبح بعيداً خافتاً.

سألته: "هل تستطيع السير يا كوسكي؟ عليّ أن ألحق ببولر فربما قضى عليه الخنزير."

ارتسمت على وجه الموراني ابتسامة وأجابني: "بالطبع ايتها الطفلة. هذا جزاء حمقي. سوف أعود لأهتم بجرحي. الافضل أن تلحقي ببولر فالشمس شارفت المغيب. هيّا اذهبي. إجري بسرعة."

عضلاتي تؤلمني. ساقاي تنزفان وقد خدشهما الشوك وأنصال الحشائش الاستوائية. يدي التي بللها العرق ينزلق منها الرمح. أتعثر، انهض، أعدو في اتجاه نباح بولر الذي يعلو ويقترب. أختفى الصوت. لا شيء في الدنيا مهم في نظري أكثر من كلبي.

على سيقان الحشيش نقاط من الدم، وبقع من الارض الترابية مشبّعة بالدم. نباح بولر ضعيف وغير منتظم لكنه أقرب. خيط الدم على الأرض أكثر كثافة. في هذه البقعة من السهل شجر. شجر كبير صامت.

ينقطع النباح. أتابع العدو وأنا ألهث. أخترق بنظري نور النهار المتلاشي. في بقعة من الأرض المعشوشبة تحت شجرة زعرور شيء يتحرك.

فجأة كنت أنا هناك تحت الشجرة أقف في خليط من التراب والدم. هناك تحت الشجرة ارتمى الخنزير الضخم الذي يبلغ حجمه ستة أضعاف حجم بولر. ورأيت الكلب رابضاً يلعق بطنه. واذ رآني الخنزير لمح فيّ عدواً آخر. فاندفع في اتجاهي

بشجاعة رائعة. قفزت جانباً وسددت برمحي طعنة الى قلبه. هوى الى الامام هامداً. تركت رمحي مغروزاً في جسده واستدرت صوب بولر والدموع في مقلتي.

الكلب مبقور كالخروف المذبوح. جنبه الايمن كوادٍ من اللحم المكشوف من الذنب الى الرأس. أضلاعه البيضاء كأصابع يد مغموسة بالدم. ينقل بصره من الخنزير اليّ فيراني جاثمة بقربه. يريح رأسه بين ذراعي.

يعلق يدي. يرى اليأس في ملامحي. أنا لا أستطيع أن أتركه وحده، فنور النهار على وشك الغياب وهناك نمور وضباع تهيم في الليل وتفترس الجريح والعاجز: أنا وبولر والخنزير الهامد تحت شجرة الزعرور.

أراقب هبوط الظلام. شيء يتحرك في العشب النامي ويصدر صوتاً أشبه بحفيف تنورة امرأة. الكلب يتحرك بوهن. أريح رأسه على العشب ثم أقف واسحب رمحي من جسد الخنزير. صوت آت من الجهة اليسرى يتناهى الى سمعي.

"هل أنت هنا يا طفلتي؟"

صوت آراب مينا منعش كالمياه الجارية بين الصخور المظلّلة.

– إنني هنا يا مينا.

"إنك وحدك ولقد تألمتِ وعانيتِ. كيف تجرأ كوسكي وتركك وحدك؟ لقد خان ثقتي به."

– كوسكي جريح. لقد بقر الخنزير فخذه.

"إنه ليس طفلا وكان عليه أن يكون اكثر إحترازاً. استريحي الآن. وعندما يسطع القمر في منتصف الليل ننقل بولر الى المنزل."

آراب مينا يقطع بسيفه حفنات من العشب ويصنع منها وسادة يضعها تحت رأسي. بولر بين ذراعي غائب عن الوعي. يمزّق السكون زئير أسد يجوب الغابة في الليل. ننتظر وقد أرهفنا السمع.

إنك ترتجفين

في ضوء القمر نقل بولر الى المنزل. ظل فترة طويلة ساكناً لا يتحرك ولا يرى شيئاً. أخيراً تمكن من رفع رأسه ومن ثم السير. وذات يوم، راح يتشمم رمحي وهو يهزّ ذنبه المترقّب دائماً وأبداً. لكن ذلك جاء في وقت كان ولّى زمن صيد الخنازير البرية الى غير رجعة، ومع انتهائه تغيّرت دنيايا وتبدلت.

علمتني الايام درساً هو أنه إذا أراد المرء أن يهجر دياراً عاش فيها وأحبها وخلف فيها ذكريات وماضياً دفنه، فعليه أن يغادرها بأسرع ما يمكن. لكنني، ويا للاسف، غادرت تجورو بأبطأ ما يمكن. والسبب أن الأمطار نسيتنا. تلك الامطار التي تغذي البذور التي بدورها تغذّي الطاحون. فعندما ينحبس المطر تتوقف حجار الرحى عن الدوران، وإن استمرت في الدوران فلن تطحن سوى الخيبة والاسى لمالكها.

أما مالكها فكان والدي.

وهو قال: "علينا أن نفكّر." وفكّرنا.

جلسنا في مكتبه ساعة تحدث معي خلالها بجدية لم آلفها فيه من قبل. قال إنه عزم على الرحيل الى البيرو، البلد الخالي من القيود والعوائق مثل شرق افريقيا والذي يحب الجياد ويحتاج الى من يرعاها ويفهمها. اراد أبي أن أصحبه لكنه قال: "الامر عائد اليك." وشعرت بأنني لم أعد طفلة، وكان عمري ١٧ عاماً وبضعة أشهر.

لم اكن تعرّفت إلا على القليل القليل من افريقيا. وما عرفته منها أحببته وتعلّقت به. البيرو بالنسبة الي مجرّد لطخة بنفسجية في خريطة مدرسية، ألمسها بأناملي. أما قدماي فكانتا على أرض افريقيا وفوق ترابها.

لسنوات طويلة اعتنيت بخيول والدي. أطعمتها وركبتها وسستها وأحببتها. ترى هل اعتبر والدي أنني أملك خبرة كافية تؤهلني للبقاء وحدي في افريقيا واحتراف تدريب الجياد الاصيلة؟

الجواب كان نعم.

هل لي أمل بحيازة إجازة تدريب رسمية في ظل قوانين نادي الفرسان البريطاني؟

أيضاً نعم.

"إذهبي الى مولو،" قال والدي، ثم تابع: "إن فيها اسطبلات يمكن أن تفيدي منها. ولكن لا تنسي أنك مجرد فتاة ويجب ألا تتوقعي الكثير. لن يكون هناك سوى عدد ضئيل من أصحاب الاحصنة على استعداد لأن يعهدوا اليك بجيادهم. عليك أن تعملي بجدّ وتفان وألا تفقدي الأمل. لكن آمالك يجب أن تكون على مقدار جهودك."

بدأت بخمسة جياد ثم أصبح العدد ثمانية ثم عشرة. دربتها في مقابل كوخ واسطبل للتدريب. مرّت تحت يدي جياد بليدة وهرمة ومعاقة، لكن العمل عمل مهما يكن. شرعت في تدوين بعض الملاحظات، وأدهشني ارتفاع ثمن العلف. ومع ذلك دأبت على العمل وحصلت على إجازة تدريب رسمية. وكان اقترب موعد سباق نيروبي.

إمتلأت الفنادق بالنزلاء واكتظت الشوارع بهواة سباقات الخيول وعجّت المدارج بالناس من كل لون وزي بحسب القبيلة التي ينتمون اليها. وكم من مدرّب سُمع وهو يشرح ما كان في الامكان أن يكون "لولا كذا أو كذا..." كانوا جميعهم رجالا أكبر مني سناً وأكثر خبرة من سنواتي الثماني عشرة. حملوا معرفتهم. وتعلمت منهم ما كنت أجهله. لم يكن كثيراً على ما أظن وآمل. على كل حال سوف نرى. سوف نرى.

إنه سباق سان ليغر الكبير وآمالي معلقة على مهرة ذات كتفين صقيلتين كالحرير اسمها "وايز تشايلد" أي الولد العاقل.

"ما هو حظها في الفوز؟" سألني إريك غوش المزارع الذي يملكها. انه يحب جميع الحيوانات وخصوصاً الجياد.

قطبت جبيني وهززت رأسي وأجبته: "حظها ممتاز ما لم ينافسها الحصان راك."

غريب هذا القول صادراً عني، فكل عضلة في جسد ذلك المهر القوي النشيط الكستنائي الذي اسمه راك، شكلتها أنا بعرقي وجهدي ومعرفتي. براعته أنا أكسبته إياها. إنه من دون شك أفضل حصان في سباق ليفر ولا يضاهيه آخر. لكنه، ويا للاسف، سيركض ضدي.

نُقل راك من عهدتي الى عهدة مدرّب آخر قبل ١٢ أسبوعا فقط. وكان تحوّل تحت رعايتي واشرافي من مهر عنيد جامح ناحل القوائم الى حصان سبق مكتمل النمو متين العضلات سريع متغطرس يرى في المنافسة احتقاراً له ويزدريها. كان بحق واثقاً من نفسه معتداً بقدرته.

الذي حصل أن صاحب الحصان أقلقه ما سمعه من نصائح وبراهين عن أن اللمسات الاخيرة البالغة الدقة والتّي تتعلق بتغطية العظام بالعضلات، لا يُعهد بها الى فتاة في الثامنة عشرة، مما ألقى ظلالا من الشك حول مقدرتي. فنقل حصانه من عهدتي الى عهدة مدرب آخر، غير آبه بالاساءة التي ألحقها عمله بسمعتي كمدربة خيول.

لكن الهمس لا يقتصر على الاخبار السيئة، وهناك أناس يشتمّون رائحة الظلم مهما كان ضئيلا ويعترضون عليه.

كان اريك غوش يعلم أنني سوف آتي الى نيروبي بعدد من الاحصنة للاشتراك في السباق الكبير، وأن بين الاحصنة من هو مرشح للفوز في سباقات أقل شأناً من السباق الكبير. وكان يعلم أيضاً أنني، وقد حُرمت راك، لا أملك حصاناً واحداً اشترك به في السباق التقليدي الكبير، السباق القيّم الوحيد.

قال غوش: "الفكرة تعذّبني لكنني لا أرى لها مخرجاً، وراك مرشح للفوز ولن يقف في طريقه شيء. بالطبع هناك وايز تشايلد لكنك تعرفينها."

أعرفها؟ لقد ولدت على يدي وفي عروقها يجري دم اصيل يعود الى ٢٠ جيلا من الجياد المجلّية. انها من معدن راك... لولا قوائمها.

مشكلة وايز تشايلد أنها تعرّضت وهي في سنتها الثانية لسوء معاملة على يدي مدرّبها الأول الذي أنزلها الى الحلبة قبل الاوان وأشركها في سباقات قاسية مما أحدث ارتجاجاً مفاجئاً في أوتار قوائمها وأضعفها. فمع كل تلك النار المتقدّة في صدرها وكل تلك الطاقة الهائلة المختزنة في جسدها الكميت الريّان، لم تكن قادرة بعد على حمل انسان على ظهرها. والآن، هل من المعقول يا ترى أن نعمل خلال ١٢ أسبوعاً على تلك القوائم الموجوعة الراغبة والمستجيبة وننجح في تقويتها وتحصينها لتصبح قادرة على أن تجري مسافة ٢٨٠٠ متر وتفوز؟

لم يكن ذلك ممكناً في رأي اريك لكنه كان على استعداد للمحاولة إن أنا قبلت.

وأنا قبلت. لن تكلّفني المحاولة سوى الجهد والعمل الحثيث، وهذا أهون على نفسي من رؤية راك – مهري أنا – يكتسح الحلبة حاملا ألواناً غريبة.

وهكذا تم الاتفاق بيننا، فأكببت أنا والمهرة على العمل. عملنا معاً وتعذبنا معاً وقلقنا معاً. وسرعان ما انقضت الاسابيع الاثنا عشر. وكنت مرتاحة الضمير، فقد عملت بكل ما أوتيت من مهارة وها أنا هنا أخيراً.

أصدرت تعليماتي الى الجوكي (١) وقلت له: "خذ موقعاً ثلاثة أطوال وراء راك الى أن تحمى المهرة. إبق هكذا حتى المنعطف الاول، وإذا تبيّن أن قوائمها ما زالت صامدة ابتعد بها الى الجانب المستقيم من الحلبة. خذ مركزاً في المقدم وابق فيه. وإذا وهنت قوائمها وقصّرت فلن يكون ذلك بسبب غلطة اقترفتها."

راك مزهو بالانتصار حتى قبل أن يفوز. إنه مهر جميل صقيل الجسم، انه السرعة مجسّدة. كملاكم في حلبة يثب ويرقص بقوائم سريعة متلهفة. أهنىء نفسي على شكله المثير للاعجاب، فإلي يعود الفضل فيه، لكنني في الوقت عينه أشعر ببعض الشماتة عندما أرى جلده المتعضّد عرقاً. ترى هل أفرط مدرّبه الثاني في تدريبه فأرهقه؟ أم تراني أخنق صوت العقل بالتمني؟

لمس إريك غوش كتفي وقال: "لم أستطع أن أتمالك نفسي، فالمهرة تبدو جذابة جداً، ولقد راهنت على فوزها باسمي وباسمك. لن اضطر الى رهن بيتي العتيق إن هي خسرت، لكننا سنحقق ربحاً - وإن ضئيلا - إن هي فازت. ترى هل لها حظ في الفوز؟"

أجبته: "قوائمها ضعيفة كقصب الشوفان، لكنها بالتأكيد سوف تحاول."

عبرت وإريك المدرّج المسقوف الى احدى الزرائب. كل شيء أصبح جاهزاً: الحكم الذي يعطي اشارة الانطلاق جاهز، الجمهور جاهز، اريك جاهز، وأنا جاهزة. خيّم على المدرج صمت جليل. وأخيراً دقت الساعة وهب الجميع وقوفاً وأعناقهم مشرئبة.

"اهدأي،" قال لي إريك، وأضاف: "إنك ترتجفين."

كنت فعلا أرتجف. استدرت صوب إريك وقد ارتسمت على وجهي ابتسامة بلهاء. وعندما أدرت وجهي ثانية كانت الاحصنة انطلقت.

شعلة البسالة

راك في المقدم كما توقعت وكما توقع الجمهور. توقفت عن الارتجاف وحتى عن التنفس. تملكني هدوء تام وسكن روعي. الجياد في الحلبة وصوت حوافرها كقصف الرعد.

راك في المركز الاول ووراءه فحل أسود يعدو بقوة. وفي المركز الثالث الى جانب الحلبة قرب السياج مهرة بنية تحاول أن تتشبث بمركز تبدو فيه مقلقلة غير مستقرة. إنها فرس لا تتميز بالسرعة بل بأسلوب خاص. إنها وايز تشايلد.

"انها تتقدم جيداً،" صرخ إريك وهو يقفز صعوداً وهبوطاً كأنه فاز في السباق. أما أنا فاكتفيت بالابتسام.

(١) الجوكي هو فارس السباق.

يعلو صوت: "هيا يا راك!"

إنه تشجيع للعدو. أعبّر عن ازدرائي بشخرة. الجوكي الذي اخترته أنا ليس أحمق. ألا ترون كيف تنزلق وايز تشايلد الى المقدم؟ أين هو راك الآن؟ تكاد تدركه، أليس كذلك؟

اندفعت المهرة كالبرق متجاوزة المهر كما تعصف الريح بالحجر وكما يطارد الفهد الكلب. مسكين راك. سوف ينفطر فؤاده.

لا. فؤاد راك لا ينفطر. أراه يرفع رأسه قليلا وأعرف أنه يبذل قصاراه ويعطي المزيد. انه فحل، وكبرياء الذكر تشعل في صدره شجاعة تطغى على الالم الذي يعصر عضلاته المحمومة. لقد نسي ذاته ونسي الجوكي على ظهره. أمامه هدف واحد. اراه يخفض رأسه وينطلق وراء المهرة مرعداً.

لم تبلغ بي قساوة القلب بعد درجة تحجب عن عيني بسالة راك الرائعة. هيا! اركض يا راك. راك الذي عرفته عنيداً جامحاً متخلف الآن ستة أطوال عن وايز تشايلد.

ولكن كم سيدوم ذلك والى متى؟ ما زالت وايز تشايلد في محاذاة السياج، سريعة كالظل، هادئة، متزنة، عاقدة العزم. نظري مشدود اليها ومنظاري مصوب عليها. ألوف العيون معلّقة بها تراها الآن تميل وتترنح.

إنها تترنح. تأوهات الجمهور تحجب أنيني وتغرقه. تبتعد وايز تشايلد عن السياج، تترجح متداعية. قوائمها تنهار، سرعتها تنهار، سباقها ينهار.

الجوكي على ظهر راك يراها. راك أيضاً يراها. يستجمع قواه ويروح يقتلع الاطوال التي تفصله عنها واحداً واحداً.

"هيا يا راك!" الصرخة الصادرة من جميع الجهات تكاد تكون همجية.

اصرخوا، اهتفوا له، استحثوه. الا ترون قوائمها تنهار؟ الا ترون أنها تركض الآن بقلبها فقط؟ فليفز راك بالسباق، دعوه يفوز.

"إريك..."

لكن إريك اختفى. فهو قفز فوق الزريبة وراح يعدو في اتجاه السياج. جمدت في مكاني عاجزة عن أي حركة. لم يعد يفصلها عن راك والمهر الثاني سوى طول واحد. راك الآن بجانبها يكاد يلامس خاصرتها. إنه يدركها، يتجاوزها، يخزيها، وهي تنهار.

أرى المشهد بوضوح كلي وتلتقط عيناي أدق تفاصيله كما تلتقط الكاميرا الصور بأمانة وصدق.

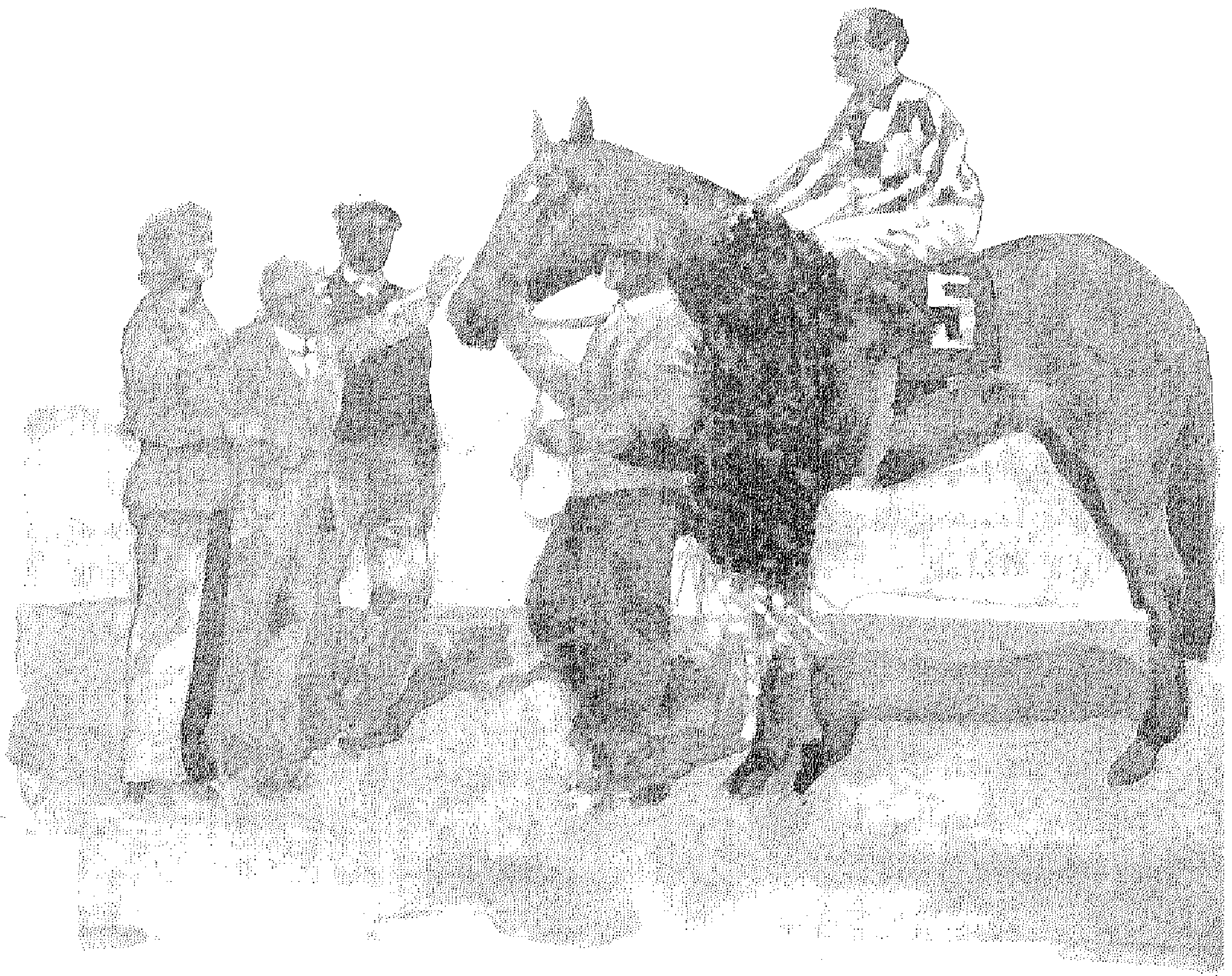
أرى وايز تشايلد تتعثر ثانية ثم تنهض. أراها تتحول من مجرد ظل الى شعلة مضيئة من البسالة، صغيرة، سريعة. أبتلع الشك الذي غزا فؤادي. ها هي في نهاية الشوط تكتسح المسافة الاخيرة على قوائم منتفخة متورمة والغبار يتطاير من حوافرها ويعفر وجه راك وفمه.

صراخ الجمهور يرتفع. اسمع هتافاته المشجعة المستحثة ووايز تشايلد على قابي قوس من خط الفوز. تصمّ أذني هتافات الاعجاب والإكبار ثم يهبط صمت مفاجىء كأن أحداً أغلق أبواب بابل.

تمّ وزن الفرسان وانتهى كل شيء وتوقفت الفرقة الموسيقية عن العزف وتلاشت أنغامها وحلّ السكون. راح الجميع يتدافعون في اتجاه الابواب مخلفين فضلات إنتثرت على الارض وفي الهواء مع الريح وفي كل مكان. أخذ إريك ذراعي وسرنا نحو بوابة الخروج نشق طريقنا بالمناكب.

"لقد حطمت رقم ليفر القياسي – وبهذه القوائم!" قال إريك وهو يحكّ ذقنه ويحاول بكل ما أوتي الذكور من عزم ألا يبدو عاطفياً، ولكن عبثاً. أخيراً نجح في إضفاء بعض الفظاظة والخشونة على صوته حين قال: "ربما بدا كلامي سخيفاً، لكنني أعرف أنك ستوافقينني الرأي، وهو أنه من حق وايز تشايلد ألا تشترك في أي سباق بعد اليوم مهما تكن المبالغ التي يمكن أن نجنيها بواسطتها."

ومنذ ذلك اليوم لم تشترك وايز تشايلد في أي سباق.



البحث عن الفيلة

كنت دائماً أعتقد أن التغيرات المهمة والمثيرة في حياة الانسان تحدث عادة عند مفترقات الطرق في عالم نسجته في خيالي. عالم يتحرك فيه الناس على أنغام موسيقى متسارعة لم يدر في خلدي قط أنه سيأتي يوم أسمعها حقيقة. في اي حال، لم يكن توقي الى ذلك العالم كبيراً ليقيني أنه موجود في عالم الكتب فقط ولا سبيل الى ادراكه إلا في خيالنا، تماماً مثل ذكريات الطفولة التي أحملها في مخيلتي لبغداد بلد شهرزاد.

ومولو كانت الوجه الآخر في هذا الحلم: حقيقية، هادئة، مملة.

التقيت طوم بلاك في احدى طرق مولو الترابية. كان واقفاً بالقرب من سيارة معطّلة يحاول بيدين اكتستا بالسخام أن ينفخ في محرّكها الصامت هدير الحياة. توقفت عنده عارضة عليه مساعدتي فتحدثنا. أخبرني أنه يملك مزرعة صغيرة، وان هي درّت عليه ربحاً وفيراً فسوف يشتري طائرة.

كنت سمعت بالطائرات، وكان ابي بين الحين والآخر يأتي على ذكرها وهو يهز رأسه عجيباً. لكنها، هي أيضاً، كانت بالنسبة الي من عالم آخر، عالم بغداد.

بين لقائنا الأول على الطريق في مولو ولقائنا الثاني فاصل كبير من الايام والاشخاص. قال لي طوم عندما التقينا ثانية: "بالطبع سوف تقودين طائرة، لا شك عندي في ذلك. أنه مكتوب في النجوم."

علّمني طوم قيادة الطائرات مستخدماً طائرة "دو هافيلند جيبسي موث" (٢). بدأنا كل صباح نستخدم ما حلا لنا أن نسميه مطار نيروبي. فكنا نقلع منه ونحلق فوق التلال والبلدة ثم نعود. ورأيت بأم العين كيف يكون الانسان سيداً للآلة الطائرة وكيف تكون هذه سيدة القوى والعوامل الجوية.

لم يسبق أن علّم طوم احداً قيادة الطائرات. ولم تكن الدروس تقتصر على الامور الميكانيكية بل تعدّتها الى أمور لا يُعبَّر عنها بالكلمات وحدها. فالحدس والبديهة والسليقة ما زالت من الاسرار والاحاجي، وكان طوم يتمتع بتلك الصفات وبسواها.

وما شركة خطوط "ولسون" الجوية – المشروع التجاري الاول من نوعه في افريقيا الشرقية – سوى وليدة خيال طوم وبعد نظره وبصيرته. وهو كان، عندما أخذ على عاتقه تعليمي التحليق، المدير المسؤول والطيار الأول والروح الملهمة في تلك الشركة الصغيرة المفعمة بالأمل والواعدة بمستقبل زاهر.

كانت وظيفة طوم في الشركة ريادة الطرق الجديدة من أجل استكشاف الاجزاء الداخلية الواقعة في عمق افريقيا وايجاد مواطىء قدم لتقدم إضافي في المستقبل. وكان غالباً يقلع من نيروبي ويحلق فوق أرض لم تعرف العجلات، ناهيك بالاجنحة، يحدوه أمل بايجاد مكان صالح للهبوط في نهاية الرحلة.

ولم يكن ذلك يتم دائماً في وضح النهار، إذ كان عليه أحياناً أن يقود طائرته في

(٢) De Havilland Gipsy Moth

الليل من دون منارة ترشده أو اتصال لاسلكي يرجع اليه، وبصرف النظر عن تقلبات الطقس وعن أي شيء يمكن أن يحمله الليل. ولم يكن يجد في طريقه معظم الاحيان شيئاً يستعين به، لا أنوار قرية ولا طرقاً عامة ولا أسيجة ولا مزارع. وكان، عندما يفاجئه الضباب أو العواصف، يقود طائرته في الظلام ساعات طويلة من دون معدات خاصة، ومع ذلك لم يضل طريقه مرة. كان يتمتع بتلك الصفة التي تسميها الكتب "الارتكاس الحسي"(٣).

بعد نحو ١٨ شهراً من شروعي في تلقي دروس الطيران حزت إجازة رسمية من الفئة "ب"، وهي في الانظمة البريطانية الشهادة العليا تمنح في هذا المجال. وكان في رصيدي آنذاك الف ساعة طيراناً، وكنت تخليت تماماً عن تدريب الخيول.

السحر الذي لازمني في رحلاتي الاولى سرعان ما اختفى وابتلعته مئات من ساعات التحليق جلست فيها أمام جهاز القيادة في طائرة من نوع "أفيان" أنقل البريد لشركة الخطوط الجوية لشرق افريقيا. كان علي أن أكسب قوتي، فعملت في الشركة على امتداد أشهر حتى مات في ذلك الاندفاع المتفائل. بعد ذلك بدأت أنقل الركاب في كل الاتجاهات. ولأن عددهم كان في تصاعد فقد استأجرت طائرة أكبر من نوع "ليبرد موث" واضفتها الى أسطولي المكون من طائرة واحدة.

كنت أقلع براكبين، وأمّنت لي الطائرتان دخلا شهرياً بلغ نحو ٦٠ جنيهاً استرلينياً.

كنت سعيدة بهذا المبلغ، لكن ايراداً يبلغ خمسة أضعافه لا بد من أن يكون افضل منه. وهذا هو المبلغ الذي كنت سأجنيه إن أنا عملت في البحث عن الفيلة. لم يهمني أن أحداً سواي لم يرضَ بهذا العمل وأن طوم أرسل الي رسالة تحذير من بريطانيا. لكنني أثبتُ أنه عمل معقول وممكن.

أعرض في فكري جميع المخاطر المترقبة في البحث عن الفيلة بواسطة الطائرات. ولكن في اليوم الذي وصلتني رسالة طوم بالبريد تلقيت برقية جاء فيها:

"بيريل،

"كوني في مكيندو غدا السابعة صباحاً. خبر من ماكولا عن قطيع فيلة يضم ذكراً ضخماً. بابو في مكيندو يسلّمك تعليماتي الخطية.

بلكس."

بلكس، بليكي، بارون فون بلكسن، جميعها أسماء يعرف بها ذلك الاسوجي (السويدي) اللطيف الذي يبلغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً. ومعلوماتي أنه أصلب الصيادين البيض وأكثرهم صموداً وتحملاً. فهو الوحيد الذي يضحك في سره من التبويق في رحلات القنص والذي يسدد بندقيته الى جاموس هائج ويصيبه بين عينيه وهو يجادل في أي نوع من الشراب سيتناول عند غروب الشمس.

كانت فرحتي برؤية البرقية مذيّلة باسمه أكبر من أن اتجاهلها.

(٣) Sensory reaction

من السخف أن يقتل الانسان الفيلة. فالى أن حجمها وجمال تكوينها يجعلانها أكثر ملاءمة منّا نحن البشر ذوي الشكل المزوّى لوطء هذه الأرض، فإن متوسط ذكائها تمكن مقارنته بذكائنا.

كما أنه من الخطأ اعتبار الفيل حيواناً مسالماً تماماً. والاعتقاد الشائع أن الفيل الشارد عن قطيعه فقط يشكّل خطراً على الانسان هو اعتقاد خاطىء أيضاً، وخاطىء الى حد أن كثيراً من الرجال الذين آمنوا به قضوا محرومين حتى من حق الاموات في الانحلال التدريجي. فذكر الفيل، وقد أثارته رائحة البشر، يهجم للحال معظم الأحيان. وسرعته، كما خفّة حركته، مدهشتان لا تصدَّقان. سلاحه خرطومة وقوائمه، على الأقل في المهمات الكريهة التي يفتك فيها بالبشر الضعفاء. أما ناباه، ذانك السيفان العاجيان المتألقان، فإنه يدخرهما لاعدائه المتألقين.

لا يسعني القول إن بلكس وأنا مصنفان ضمن هذه الفئة المتألقة، خصوصاً بعد مطاردتنا الذكر الضخم، او بالاحرى بعد مطاردته إيانا. وما زلت الى اليوم أشعر بمسرّة صادقة لاننا خرجنا سالمين، لكن ذكرى ذلك النهار ما زالت تراود أحلامي.

كانت رحلة قنص متواضعة ضمّت ثلاث خيم: واحدة للزبون الامريكي الثري ونستون غست والثانية لبلكس والثالثة لي. وكان هناك ايضا عدد من الخيم - الملاجىء لحملة البنادق من الرجال المحليين ولمقتفي الآثار. أما شجرة الباوباب الاستوائية في المخيم فأفاد منها الجميع كشرفة.

بعد هبوطنا بأقل من نصف ساعة كنت وبلكس في طائرة "أفيان" نستكشف موائل قطعان الفيلة قبل وصول ونستون ذلك المساء. واذا وجدنا قطيعاً، وإن على مسافة يومين أو ثلاثة أيام سيراً، لكان ذلك حظاً خارقاً.

ليس أمراً غير عادي بالنسبة الى صيادي الفيلة أن يمضوا أشهراً في تقفي ذكر فيل واحد. والاستكشاف بالطائرة يغني عن الكثير من الاعمال التحضيرية. وحتى إن وقعنا على قطيع من الفيلة على بعد ٥٠ أو ٦٥ كيلومتراً من المخيم، فإن ذلك يعني أنه لا زال يتعيّن على الصياد أن يقطع تلك الكيلومترات سيراً أو زحفاً أو حتى تلوياً في طقس خانق وعبر أدغال كثيفة تكتنفها أشجار الزعرور الشائكة وتعجّ بالبعوض والعقارب والافاعي وذباب التسي تسي الذي يحمل مرض النوم. وهذه المشقات الهائلة هي جوهر رياضة صيد الفيلة، ووحدهم الأغنياء قادرون على تحمل تكاليفها.

كان الحظ الى جانبنا، فعلى بعد خمسة كيلومترات من شجرة الباوباب التي كانت مشاعاً شاهدنا اربعة فيلة بينها ثلاثة ذكور رائعة. لم يكن ذلك عدلا، إذ كان في وسعنا أن نحط بالطائرة في المخيم ثم نتقدم من الفيلة سيراً ونتفحصها عن كثب ونتعرف الى نواياها.

كان معنا ماكولا، مقتفي الأثر الاسطوري في مكمبا. يأتي الناس في رحلات صيد ويذهبون، لكن ماكولا ماضٍ في عمله الى آخر الايام. وأظن أنه من أعقل الناس الذين عرفتهم. وما زلت أذكر ملاحظة أبداها لأحد مقتفي الأثر الجدد حين أظهر

حماسة مفرطة. قال له: "الرجل الابيض يدفع مالا ثمناً للأخطار. نحن الفقراء لا يسعنا ذلك. أعثر على الفيل ثم ابتعد لكي تظل على قيد الحياة وتجد سواه."

كان ماكولا يشق طريقه أمام بلكس بحذر وبطء حين أشار اليه فجأة أن يتوقف. وبخفّة وصمت تسلق شجرة ثم نزل منها. أشار الى شق في الاجمة وأخذ ذراع بلكس ودفعه الى الامام قبل أن يختفي. سار بلكس الى حيث أشار وأنا في اثره.

توقف بلكس. قال لي شيئاً بالاشارة وفهمت منه. راقبي الريح، هو قال، دوري حولهما. أريد أن أرى أنيابهما.

دوري، حقاً! فإكمال مجرد نصف دائرة قطرها ٥٠ متراً استغرقنا أكثر من ساعة! كان الفيلان ذكرين كبيرين ولديهما ما يكفي من العاج: ٤٥ كيلوغراماً أو أكثر.

كان بلكس مسروراً يتصبب عرقاً حين رفع أحد الفيلين رأسه فجأة وشمخ بخرطومه وتحرك ليواجهنا باسطاً أذنيه العملاقتين كأنه يلتقط بهما حتى صوت خفقات قلبينا. وهو كان مرّ صدفة ببقعة غادرناها لتوّنا فالتقط أنفه رائحتنا، ولم يكن يحتاج الى أكثر من ذلك.

نادراً ما رأيت شيئاً يضاهي ذلك الفيل الذكر هدوءاً أو تصميماً على التدمير. ويصح القول فيه إنه ذهب الى القتل وهو يرقص. ولأنه شبه أعمى كجميع الفيلة، لم يرنا، ولكن كان في امكانه أن يهتدي الينا بواسطة الصوت والرائحة، وذلك لن يستغرقه أكثر من ٣٠ ثانية.

أومأ بلكس الي وهو يلوي أصابعه في اتجاه الأرض، وهذا معناه "ارتمي على الارض وازحفي."

من المدهش كم يرى المرء من حشرات عندما يكون على بعد بضعة سنتميترات من الأرض. ولم أكن زحفت أكثر من متر واحد حين امتلأت ثيابي بممثلين لأكثر من ٥٠ نوعاً من الحشرات.

كادت عيناي تلامسان قدمي بلكس الذي كان يجر ساقيه بين الشجيرات النامية تحت الاشجار الكبيرة وكأنما بحبال. لا أعرف كم مضى علينا من الوقت ونحن نزحف هكذا. وما كدنا نقطع حوالى ١٠٠ متر على هذا النحو حتى تحولت لسعات الحشرات في جسدي بقعاً متسعة حارقة.

كنا نتنفس بسهولة. أو على الأقل كنت أنا أتنفس بسهولة عندما جمدت ساقا بلكس وقدماه فجأة. رأسه فقط كان يتحرك وهو اشرأب بعنقه وراح يحدّق الى أعلى. كان الفيل الضخم على بعد ثلاثة أمتار منا، وهي مسافة لا تكون الفيلة ضمنها عمياء.

إنتصب بلكس ببطء ورفع بندقيته وعلى وجهه تعبير حزين يفوق الوصف.

إنه يفعل ذلك من أجلي، قلت في نفسي، وهو يعلم علم اليقين أن الفيل سيسحقنا كثمرتي مانغو وإن أصابه في الدماغ. فرصاصة واحدة لا تكفي لايقاف فيل بذلك الحجم.

لو كان المكان خالياً من الاشجار لتمكنا من المراوغة إجتنابا للمحتوم. لكنه لم يكن كذلك. وكنا كالعالق في شرك يراقب جلمود صخر يترجح على حافة جرف شاهق قبل أن يهوي عليه ويسحقه وعملا بتعليمات بلكس، وقفت وراءه ويداي على خصره على رغم شعوري بأن ذلك لن يجدي.

خطر لي أن تلك كانت اللحظة المناسبة لاطلاق النار.

لم يأت بلكس أي حركة. سدّد بندقيته بثبات وبدأ ينشد أغنية من أدهش ما سمعت في حياتي من عبارات التجديف. ومع أنها كانت أغنية مبتكرة نابضة بالحياة والالوان، وقد أداها برقّة واناقة، فاني شعرت بأنه أساء اختيار الوقت لاختبارها.

تقدّم الفيل نحونا وأطلق بلكس سيلا جديداً من الشتائم، انما باللغة الاسوجية هذه المرة. كنت أرتجف، لكنه لم يطلق النار.

"ربما اضطررت الى اطلاق النار،" أعلن بلكس. واستوقفني اعلانه ذاك ووجدت فيه تصريحاً مكبوتاً رائعاً.

لا يتصور الانسان أن للفيل فماً لأنه لا يراه أبداً عندما يكون خرطومه منخفضاً. لذلك يُصدم عندما يقترب منه وهو رافع خرطومه ليُفاجأ باكتشاف ذلك الشق المستطيل الأحمر القاني والاسود. وكنت أراقب فمه بنوع من الفضول الغبي عندما اطلق الفيل تلك الصرخة المدوية التي باعتقادي أنقذت حياة بلكس وحياتي.

كانت صرخة أصيلة رنّانة اعتبرتها بقية الفيلة التي كانت ترعى في الاجمة تحذيراً مشروعاً، فانصرفت بجلبة خِلت معها أن العالم اقتُلع من جذوره. أخذت كل شيء في طريقها من شجر وعشب وتراب، كذلك الوحش الذي جبهنا. توقف برهة ثم أرهف سمعه، وكبوابة سرداب دار على عقبيه ببطء وابتعد مخلفاً إعصاراً من الشجيرات المتداعية والغصون المتساقطة.

عندما خيّم الصمت أخيراً بعد طول انتظار خفض بلكس البندقية. كنت منهكة منفعلة ورحت ألعن الحشرات من كل نوع. وعدنا أدراجنا الى المخيّم من دون أن ينبس أحدنا بكلمة. ولكن عندما ارتميت أخيراً في كرسيّ من قماش القنب تنكّرت لقواعد اللياقة والأدب المفروضة تاريخياً على بنات جنسي وسمحت لنفسي بسؤال وقح فقلت مستفهمة: "أعتقد أنك أفضل صياد في افريقيا يا بليكي، ولكن هناك أوقات تكون فيها روح الدعابة لديك رهيبة. لماذا لم تطلق النار؟"

رفع بلكس نظره وأجابني وهو يحدّق الى أوراق شجرة الباوباو: "لا تكوني سخيفة، إنك تعلمين مثلي تماماً لماذا لم أطلق النار. تلك الفيَلة هي لصاحبنا ونستون."

وداعاً يا افريقيا

فاز طوم ومساعده في السباق الجوي الدولي الذي يقام بين ملدنهول في بريطانيا وملبورن في اوستراليا قاطعين ما يقارب نصف المسافة حول العالم.

يجب ان اذهب الى بريطانيا بالطائرة. لماذا؟ لانني فضولية ولانني أصبحت جوّالة لا سبيل الى اصلاحي.

سألته: "أتريد أن تطير الى لندن يا بلكس؟" وهو أجابني بنعم من دون أن يرفع نظره عن البندقية التي كان يداعبها بأنامله وكأنها كمان.

لم تكن الرحلة بالطائرة قياسية لا من حيث السرعة ولا من حيث الاحتمال. ومع أننا أخذنا الوقت الكافي ولم نحاول أن نتجنب أياً من نقاط التوقف الضرورية، فانها لم تكن رحلة باهتة أو مملّة. ففي مارس (آذار) ١٩٣٦، كانت الرحلة بالطائرة من نيروبي الى لندن ما زالت غير مألوفة وبعيدة عن الابتذال. وعلى رغم وجود مهابط ومطارات في الطريق بين المدينتين، فان الارض الفاصلة بينهما لم تكن لتقلّ عن سطح القمر وعورة وانعزالا. فبعد الصحراء كان أمامنا البحر لنقطعه. وبعدما قطعنا خليج سيدرا هبطنا أولا في طرابلس الغرب ثم في تونس، ثم لاحت أمامنا تلال خضراء وكنا بلغنا نهاية القارة الافريقية. ربما كان علي أن أستدير بالطائرة وأنحدر تحيّة لتلك الأرض التي، وإن كانت ستبقى في مكانها لا تحول ولا تزول، إلا أنها لن تكون عند عودتي افريقيا نفسها التي عرفت. ومن يعود الى افريقيا بعد طول غياب لا بدّ من أن يجد أنها تغيّرت.

أمضينا تلك الليلة في باريس. وبعد ظهر اليوم التالي جلسنا أنا وطوم بلاك وبلكس في فندق "ماي فير" في لندن وسط جميع كماليات الحضارة ومتطلباتها.

عاجزة فوق البحر

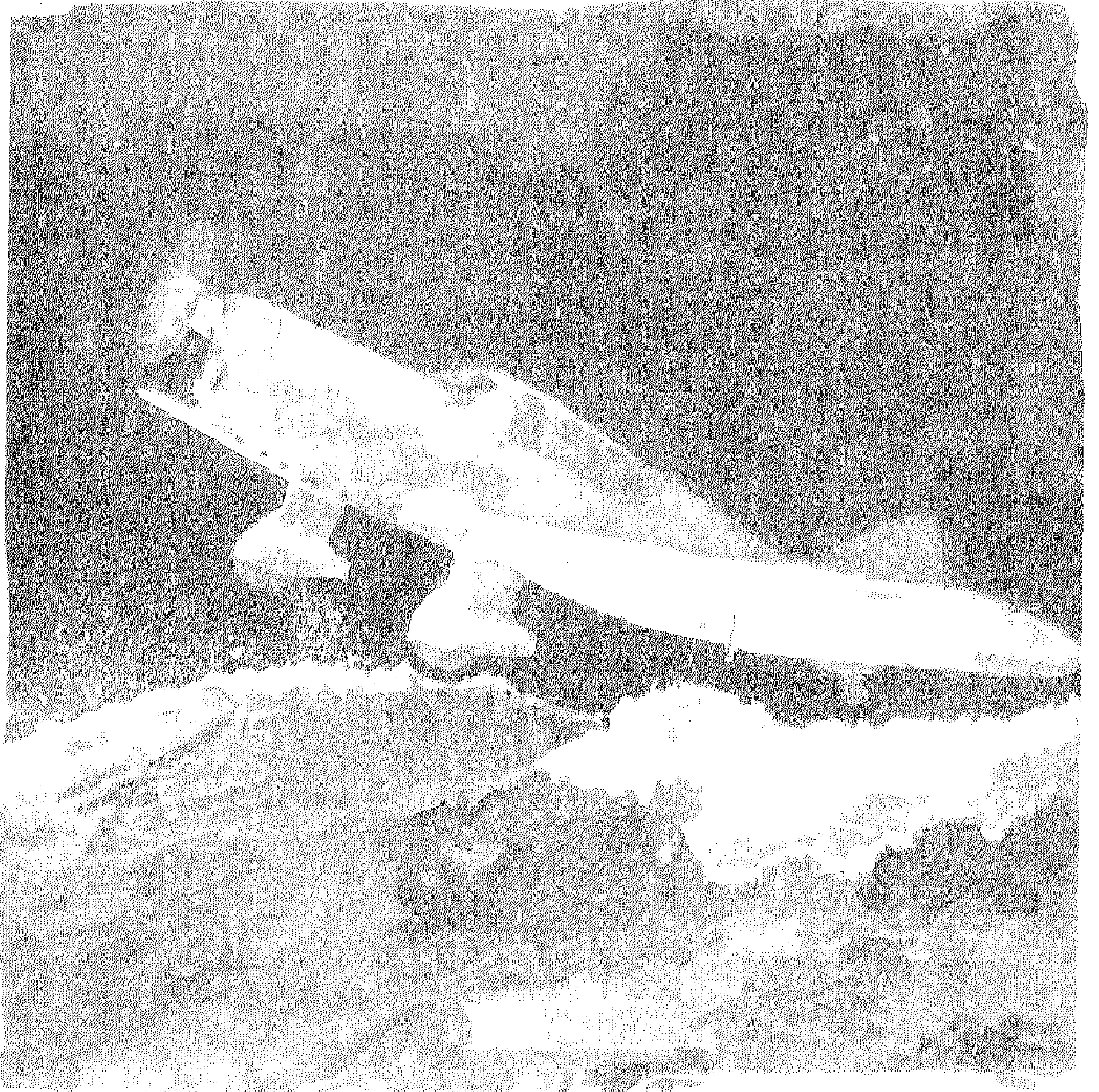
ها أنا أغادر لندن بمفردي هذه المرة. انني أقود طائرة الـ"فيغا غل" أشق بها الظلام في رحلة فوق الاطلسي آملة أن تحطّم الرقم القياسي.

ها أنا الآن فوق جنوب ايرلندا وقد مضى على إقلاعي من بريطانيا أكثر من ساعة. ويلز الآن ورائي، كذلك بحر ايرلندا وكأنهما وقت استنفدته.

في الرحلات الطويلة ينصهر الزمن بالمسافة ويصبح الاثنان واحداً. ولكن كان هناك لحظة خلت فيها أن الزمن توقف، لحظة حاولت أن أرتفع بالطائرة الفضية والزرقاء عن أرض المطار تحت عيون آلات التصوير المصوّبة الينا، لكن الطائرة تمرّدت على حملها الثقيل وحرنت وتشبثت بالأرض. كانت لحظة تجمّد فيها الزمن قبل أن يتناهى الى سمعي أخيراً دليل استجابة عصا القيادة.

أخيراً أقلعت بها. وعندما أصبحنا في الجو همست لي: "ها انني ارتفعت بالحمل. والآن ما هي وجهتنا؟" سؤال وجيه أرهبني. "وجهتنا مكان يبعد ٥٨٠٠ كيلومتر من هنا بينها ٣٢٠٠ كيلومتر من الطيران المتواصل فوق المحيط. سفرنا معظم الوقت في الليل، إننا نتجه غرباً مع الليل."

كورك ورائي، وأمامي منارة برهافن. إنها المنارة الاخيرة على اليابسة. أجتازها الآن وليس أمامي سوى البحر.



ينهمر المطر. الظلام دامس خارج مقصورة القيادة. مقياس الارتفاع في الطائرة يشير الى أنها على ارتفاع ٦٠٠ متر، و"الافق الاصطناعي"، وهو اداة لمعرفة زاوية الشمس أو النجوم حين تتعذر رؤية الافق الحقيقي، يشير الى أن الطائرة في وضع أفقي مستوٍ. في تقديري أن الطائرة منحرفة ثلاث درجات أكثر مما يوحيه جدول الطقس، أعدّل مسارها وفق المطلوب.

تجربة مدهشة أن تجد نفسك وحيداً في شبه ظلام وفي موقع لا سبيل الى تغييره وليس لك عنه رجوع، وإن لفترة وجيزة كنهار وليلة، ولا شيء يكسر وحدتك، لا شيء تتأمله سوى أدواتك ويديك، لا شيء تقلّبه في فكرك وفي تأملاتك سوى مقدار ما تملك من شجاعة متواضعة، لا شيء يثير في نفسك العجب والتساؤلات سوى الوجوه

والمعتقدات والآمال المتجذّرة في وجدانك وفي ضميرك. انها تجربة تشبه الوهلة التي تصيبك عندما تكتشف فجأة أن غريباً يسير الى جانبك في الليل. هذا الغريب هو أنت.

انها العاشرة مساء. أحلّق في الدائرة الكبرى ووجهتي مرفأ غريس في نيو فاوندلاند. تواجهني ريح معاكسة وسرعتي ٢١٠ كيلومترات في الساعة. لا أدري كم ساعة من الطيران تلزمني بعد، بسبب الطقس. أعتقد انه ما زال أمامي بين ١٦ و١٨ ساعة.

إنها العاشرة والنصف مساء. ما زلت أحلّق بالوقود المعبأ في الخزّان الكبير على أمل أن استنفده وأضع حداً لذلك السائل المدوّم الذي جعل الطائرة تترجج وتهتز منذ أقلعت بها. أجهل سعة الخزان ولكن على جانبه كتابة تؤكد أنه يخدم أربع ساعات.

إنها كفالة واضحة لا لبس فيها، وأصدّقها. ولكن ما ان بلغت الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين مساء حتى "سعل" المحرك ثم توقف. ومع توقفه أصبحت الطائرة عاجزة تماماً.

أتصور أن المقصود بعبارة "احتفظ بهدوئك" هو أن ينكر المرء الدافع الطبيعي ويرفضه. إلا أن لهذا الدافع مبرراً. والدافع الطبيعي عند الانسان الذي يجد نفسه جالساً في الليل في طائرة تحلق على ارتفاع ٦٠٠ متر فوق البحر ومحرّكها متوقف يأبى أن يدور، هو أن يشد عصا القيادة الى الخلف مضيفاً بضعة أمتار الى تلك الستمئة التي تفصله عن الكارثة. فالفكر والمعرفة وجميع القواعد والقوانين التي تقول له إن خلاصه ليس بهذا العمل بل بعكسه، أي بتحويل الطائرة نحو الماء، تبدو له تخلياً رهيباً عن العقل السليم. قلبه يرفضها وعقله يرفضها. يدا ذلك الغريب فقط تمتثلان لها، وتعملان بحذافيرها، انما من دون حس أو شعور.

انني هناك في الطائرة. أراقب. أرى يدين تتحركان، تدفعان عصا القيادة الى الامام. أشعر باستجابة الطائرة التي بدأت انحدارها نحو المحيط. بالطبع إن الامر بسيط، فالوقود نفد من الخزان بسرعة غير متوقعة وما علي إلا أن أدير صنبوراً صغيراً آخر.

المقصورة غارقة في الظلام. وعلى رغم أنه من السهل رؤية القرص المضيء في مقياس الارتفاع الذي أشار الى أن الطائرة على ارتفاع ٣٣٥ متراً، إلا انه ليس سهلا رؤية صنبور صغير مثبت في مكان ما قرب أرض الطائرة. أرى يداً تتلمس طريقها في الظلام وتعود حاملة مشعلا كهربائياً، وأرى أيضاً أنامل تتحرك بهدوء ورباطة جأش فتجد الصنبور وتديره. اني أنتظر.

الطائرة على ارتفاع ٩٠ متراً والمحرّك ما زال هامداً. اني أعي تماماً أن ابرة مقياس الارتفاع تتحرك دائرياً كشعاع في دولاب مغزل ملتهمة المسافة المتبقية بين الطائرة والمياه.

يستحيل علي أن أطرد من رأسي فكرة أن تلك هي نهاية رحلتي الجوية. غير أن ردود فعلي غير تقليدية وغير مألوفة. فأحداث حياتي لا تمر أمام عيني كشريط سينمائي مجنون. أشعر فقط بأن كل ذلك حدث من قبل. وهو فعلا حدث مئة مرة، في مخيلتي وفي نومي، ولهذا السبب لا أشعر بالخوف ولا يتملكني الرعب.

لا أعرف مدى المسافة التي كانت تفصلني عن الماء عندما عادت الحياة تدب في المحرّك. استرخت يدي على عصا القيادة وعادت إبرة الارتفاع تدور كالمغزل مبعدة المسافة التي فصلتني عن البحر.

يجب أن أحمد الله. أتوجه اليه بالشكر وإن على نحو غير مباشر. اني أشكر جيفري دو هافيلاند الذي صمم محرك الطائرة الذي لا يقهر. أشكر جيفري الذي هو أولا من ابداع الله.

مستنقع من دون إسم

فيما أنا أراقب انبلاج الفجر رأيت السفينة، ولاحت أمامي صخور نيوفاوندلاند يلّفها شريط من الضباب، بكل ما تحمله للطيار من معان لن تتغير. غمرني شعور بالابتهاج ممزوج بالذنب لأنني تحدّيت سلطة الطقس الصارمة وجبروت البحر وتغلبت عليهما بالمراوغة والحيلة.

شعرت بالبرد وبتعب شديد وبدأ الجليد يغشي زجاج المقصورة والضباب يداعب الأرض في ألعاب سحرية. الأرض كانت هناك. صحيح انني لا أراها الآن، إلا أنني قد رأيتها. لم يسعني أن أصدّق أن الأرض التي رأيتها كانت مجرد أرض وليست أرضي أنا التي قصدت.

جنوباً الى كيب ريس وغرباً الى سيدني في كيب بريتون. استعنت بالمنقلة والخريطة والبوصلة لأحدد مساري الجديد. لن يطول الوقت قبل أن تظهر نيوبرنزويك ثم مين وبعدهما نيويورك. يمكنني أن أتوق وأتوقع.

النجاح يولد الثقة. كنت أحلّق في اتجاه الريح وما زال خزان الوقود الاخير مليئاً الى ثلاثة أرباعه والدنيا براقة مشرقة. لو كنت أكثر حكمة ووعياً لأدركت أن تلك اللحظات لا تدوم طويلا. بدأ المحرّك يرتعد ثم توقف ثم بقبق ثم عاد فدار لكن بصعوبة وبطء. "سعل" ثم نفث دخاناً أسود في اتجاه البحر.

لكل شيء إسم، واسم ما حدث "انحباس هواء." ظننت أن في امكاني أن أعالجه وأتخلص منه بإدارة الخزانات الفارغة جميعها على نحو متقطع. وهذا ما فعلته. كانت مماسك الصنابير أشبه بدبابيس معدنية حادة صغيرة أدمت يديّ. وبعدما فتحتها وأغلقتها عشرات المرات رأيت يدي داميتين وقطرات من الدم تسقط على الخرائط وعلى ثيابي. ومع ذلك لم يأت الجهد ثمراً. واصلت التحليق في محاذاة الساحل بمحرّك مترنح أعرج عليل.

بدأت الطائرة تنحدر ببطء، وتسرّب الى قلبي شعور بالاخفاق. لو انني نجحت

فقط في الهبوط على اليابسة لكنت أول انسان يقطع المحيط الاطلسي بالطائرة آتياً من بريطانيا. والهبوط الاضطراري في نظري اخفاق لان هدفي كان نيويورك. لو أمكنني أن أهبط في مكان ما ثم أعود فأقلع ثانية لاستطعت بلوغ الهدف. لو أنه فقط...

المحرك يتعثّر، يتوقف، يبقبق، تعود اليه الحياة. وفي كل مرة كنت أحلق بالطائرة الى أقصى ما يمكنني الوصول اليه من علو قبل أن يعود المحرك الى البقبقة والطائرة الى الانزلاق. الرؤية الآن ممتازة وأرى أرضاً أمامي لا يفصلني عنها أكثر من ٨٠ كيلومتراً. إن كانت الطائرة في مسارها الصحيح فإن ما أراه الآن لا بد من ان يكون كيب بريتون.

انني أحلق فوق اليابسة. أتفحص الخريطة لاتحقق موقعي. أجد أنني حتى بسرعتي المشلولة كنت على بعد ١٢ دقيقة طيراناً من سيدني، حيث يمكنني أن أهبط وأصلح الاعطال التي أصابت طائرتي ثم أقلع ثانية وأتابع رحلتي.

يتوقف المحرك من جديد وتبدأ الطائرة الانزلاق. لكنني لست قلقة، سوف يدور ثانية، وسوف أرتفع بها وأصل الى سيدني.

لكن المحرّك ساكن لا يدور. تتابع الطائرة انحدارها نحو اليابسة. إنها أرض ترابية سوداء أجهلها وأجهل اسمها. طائرتي معلقة فوقها وأنا معلقة بالامل وبمروحة ساكنة لا حراك فيها. أميل بالطائرة، أدور بها، أنزلق جانبياً، أحاول أن أتفادى الصخور. تلامس عجلاتي الأرض، أشعر بها تغرز في التراب. مقدم الطائرة مطمور في الوحل. يندفع جسدي الى الامام ويرتطم رأسي بزجاج واجهة المقصورة. أشعر بالدم يسيل على وجهي ويغطيه.

جررت نفسي ونزلت من الطائرة بخطى متعثرة. غمرني التراب والوحل الى الركبتين. وقفت هناك أحدّق بغباء ليس الى الأرض حولي بل الى الساعة حول معصمي.

احدى وعشرون ساعة وخمس وعشرون دقيقة رحلة جوية فوق الاطلسي. من ابنغدون في بريطانيا الى مستنقع من دون اسم – من دون توقف.

صياد من أبناء جزيرة كيب بريتون عثر علي اتخبط في وحل بلاده الذي طوقني من كل صوب. وهو كان يقطع المستنقع بمشقة عندما رأى الطائرة، ذنبها في الهواء ومقدمها مدفون في التراب. اصطحبني الى كوخه على الساحل حيث أجريت اتصالا هاتفياً بمطار سيدني ذاكرة أنني سالمة وبخير لكي أحول دون حملة تفتيش لا لزوم لها.

صباح اليوم التالي نزلت من طائرة حطت في مدرج فلويد بينيت في نيويورك. وكان في استقبالي حشد ظل ينتظر وصولي ليحييني. فأنا من قطع المحيط الاطلسي الشمالي من الشرق الى الغرب. وقفت مبهورة وسط الوجوه المتلهفة ورنين الاجراس والبرقيات، وسط أناس حرصوا على التعبير لي عن اعجابهم وتقديرهم لما

فعلته إذ كدت أصل الى نيويورك، وهل أوقع لهم اسمي بخط يدي إن سمحت؟

وعلمت أن الـ"فيغاغل" لم تخذلني، إذ تبين عند الفحص أنه في مكان ما بعد ساحل نيو فاوندلاند استقرت كمية من الثلج في مسرب الهواء في خزان الوقود الاخير موقفة جزئياً تدفق الوقود الى المكربن. ولطالما تساءلت منذ علمت ذلك كيف استمرت الـ"فيغا" في التحليق كل ذلك الوقت رغم ذلك العائق.

شعرت بامتنان عميق للدفء والكرم اللذين أحطت بهما في أمريكا، ولست أتذمر من أن شهرتي كانت عابرة وسريعة الزوال، فذلك كله حصل فعلا، وإذا ما ساورني الشك احياناً في صحته فما عليّ الا الرجوع الى سجل الطائرة والى الوثائق والاوراق التي أحفظها وأعتز بها من برقيات عن رحلتي الجوية فوق الاطلسي وقصاصات مختارة من الصحف وصورة فوتوغرافية للـ"فيغا" تظهرها ومقدمها غائص في وحل نوفاسكوشا الاسود العضوي. إنها ذكريات مسطّرة بالحبر.

لم أكن احتاج الا الى شخص يقول لي: "تعرفين، يجب أن تكتبي ذكرياتك تلك. إنه حقاً واجب عليك!".

بيريل ماركهام ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

(سقط سهوا في العدد الماضي اسم د. باسمة سكرية عيدمترجمة كتاب الشهر "الحشاش الكبير").



الصمت خير علاج

راحت راكبة اوتوبيس ثرثارة تمتع رفيقتها بما يشبه قصة ابريق الزيت حول مشاكل اسنانها المتنامية بحيث ازعجت الركاب الآخرين. وتابعت المرأة حديثها: "لقد صرفت ثروة على فمي."

فسألتها رفيقتها: "هل جرّبت طبيب اسنان آخر؟ هل جرّبت مسكّنات الالم؟"

وقبل ان تستطيع المرأة الرد دوّى صوت عال واضح: "هل جربت شريطاً يُثبت على الفم؟"

ج.ل.

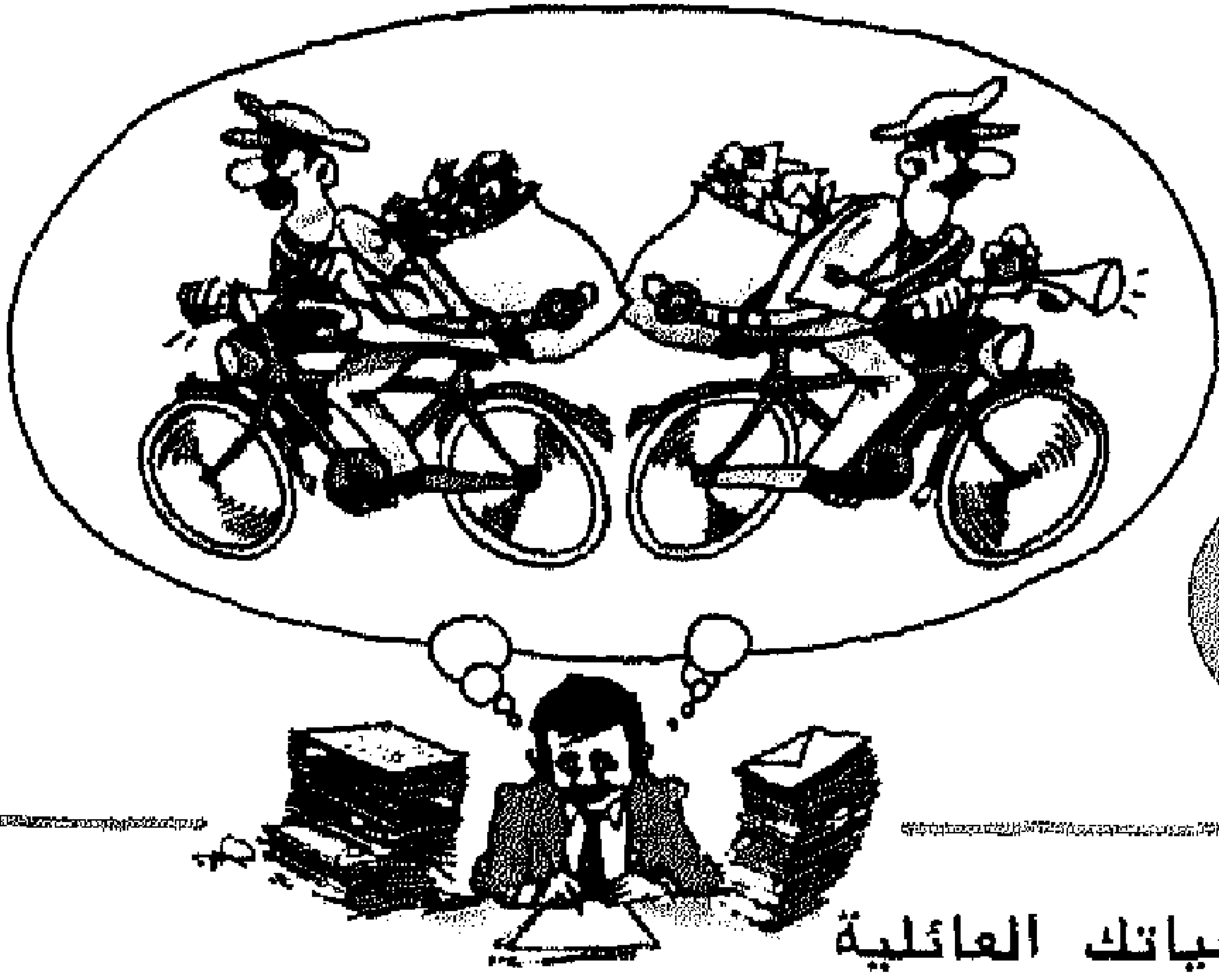
سبق صحافي!

بعدما عمل مروان فراشاً في الصحيفة لمدة طويلة، رُقّي حديثاً الى وظيفه محرر. وخلال يومه الاول "في الشارع" لاحظ عشرات من ضباط الشرطة يتحركون دائرياً في غير نظام امام مبنى قديم، فضغط بعنف فرامل سيارته وقفز منها مسرعاً نحو قائدهم. وبعدما ابرز بطاقته الصحافية سأل القائد بحدة: "ماذا يجري هنا؟"

فاجاب القائد بعد تردد قصير: "نقوم بعملية تبديل روتينية."

ج.س.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

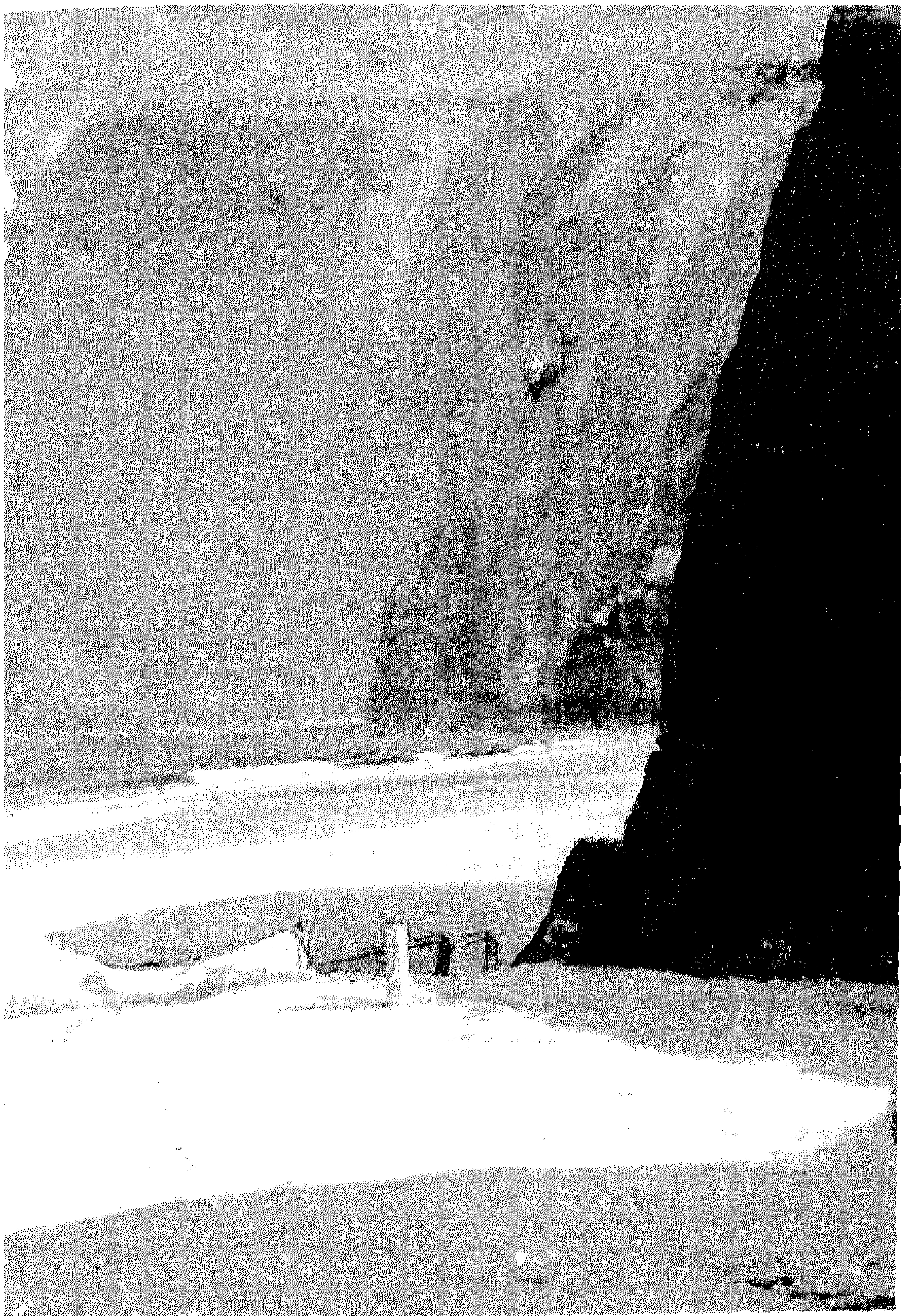
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

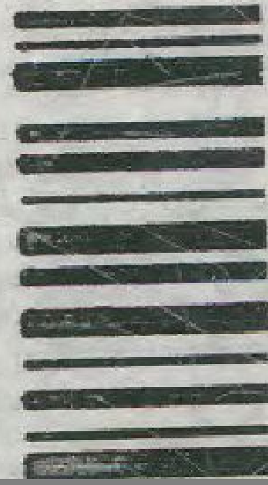
* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



Courtesy: Mr. and Mrs. Robert P. Warmington

نور الصباح للرسام الامريكي الفريد منتشا.


Alexandrina
81